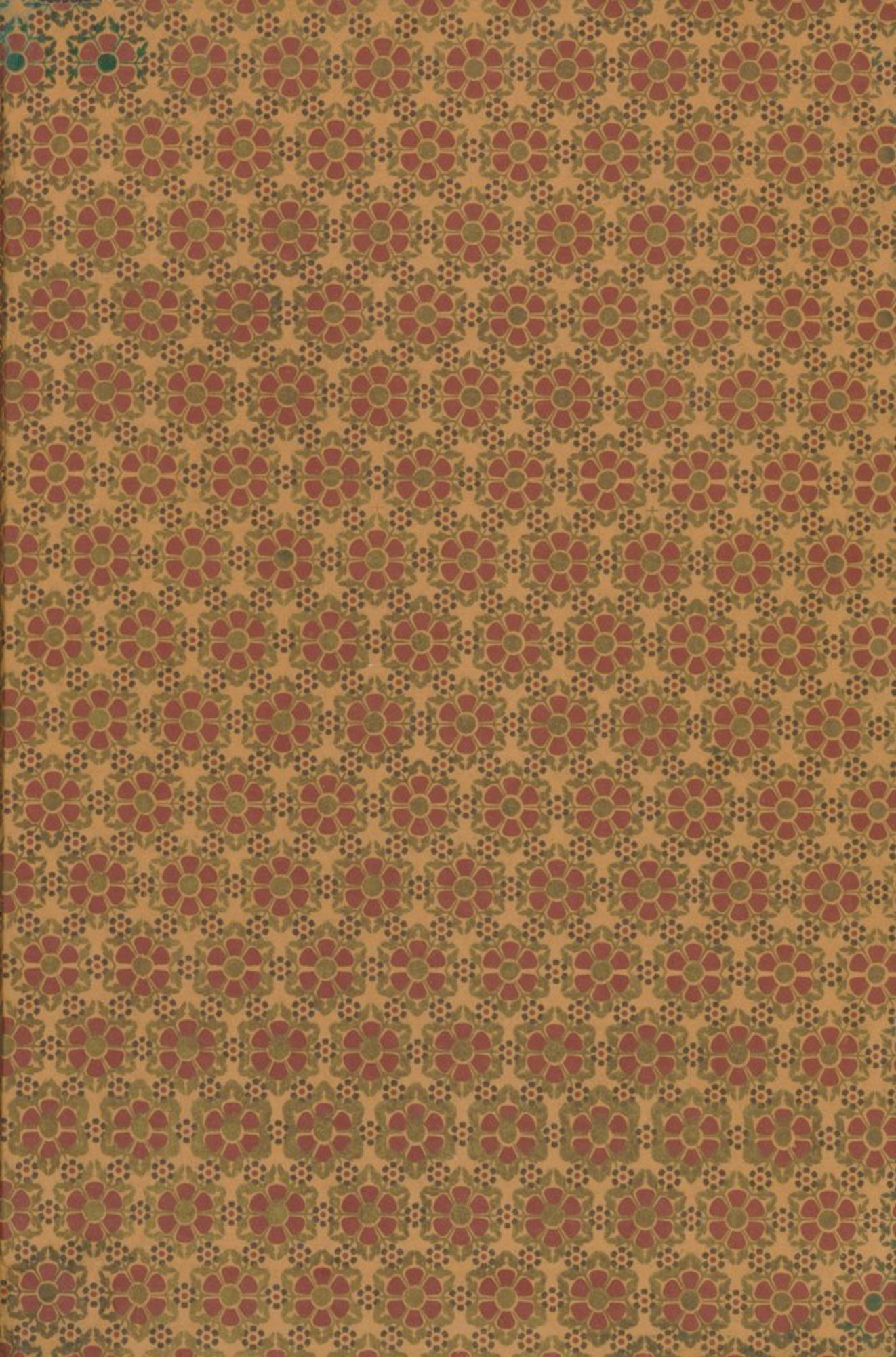
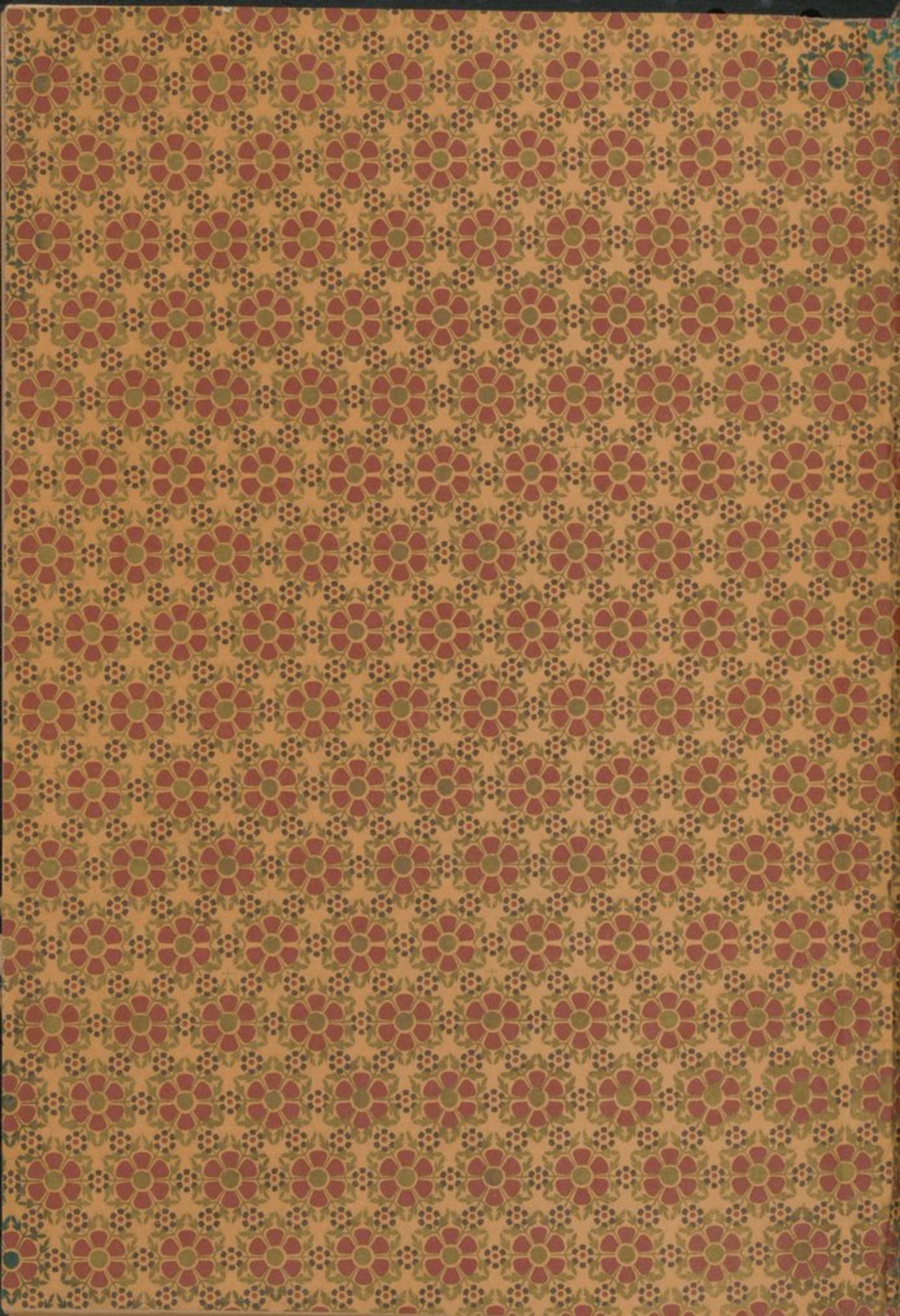




DS
62
S.
18
c. 1





١٠٠٠
١٠٠١
١٠٠٢
١٠٠٣
١٠٠٤
١٠٠٥
١٠٠٦
١٠٠٧
١٠٠٨
١٠٠٩
١٠١٠
١٠١١
١٠١٢
١٠١٣
١٠١٤
١٠١٥
١٠١٦
١٠١٧
١٠١٨
١٠١٩
١٠٢٠
١٠٢١
١٠٢٢
١٠٢٣
١٠٢٤
١٠٢٥
١٠٢٦
١٠٢٧
١٠٢٨
١٠٢٩
١٠٣٠
١٠٣١
١٠٣٢
١٠٣٣
١٠٣٤
١٠٣٥
١٠٣٦
١٠٣٧
١٠٣٨
١٠٣٩
١٠٤٠
١٠٤١
١٠٤٢
١٠٤٣
١٠٤٤
١٠٤٥
١٠٤٦
١٠٤٧
١٠٤٨
١٠٤٩
١٠٥٠
١٠٥١
١٠٥٢
١٠٥٣
١٠٥٤
١٠٥٥
١٠٥٦
١٠٥٧
١٠٥٨
١٠٥٩
١٠٦٠
١٠٦١
١٠٦٢
١٠٦٣
١٠٦٤
١٠٦٥
١٠٦٦
١٠٦٧
١٠٦٨
١٠٦٩
١٠٧٠
١٠٧١
١٠٧٢
١٠٧٣
١٠٧٤
١٠٧٥
١٠٧٦
١٠٧٧
١٠٧٨
١٠٧٩
١٠٨٠
١٠٨١
١٠٨٢
١٠٨٣
١٠٨٤
١٠٨٥
١٠٨٦
١٠٨٧
١٠٨٨
١٠٨٩
١٠٩٠
١٠٩١
١٠٩٢
١٠٩٣
١٠٩٤
١٠٩٥
١٠٩٦
١٠٩٧
١٠٩٨
١٠٩٩
١١٠٠

(فهرست)

الجزء الثاني

(من حقائق الاخبار عن دول البحار)

حسين

هدية
بمقر السيف فالحج من ناصر آل نبي
الله
مكتبة مركز الدراسات والبحوث
البيروتية

١١٠١
١١٠٢
١١٠٣
١١٠٤
١١٠٥
١١٠٦
١١٠٧
١١٠٨
١١٠٩
١١١٠
١١١١
١١١٢
١١١٣
١١١٤
١١١٥
١١١٦
١١١٧
١١١٨
١١١٩
١١٢٠
١١٢١
١١٢٢
١١٢٣
١١٢٤
١١٢٥
١١٢٦
١١٢٧
١١٢٨
١١٢٩
١١٣٠
١١٣١
١١٣٢
١١٣٣
١١٣٤
١١٣٥
١١٣٦
١١٣٧
١١٣٨
١١٣٩
١١٤٠
١١٤١
١١٤٢
١١٤٣
١١٤٤
١١٤٥
١١٤٦
١١٤٧
١١٤٨
١١٤٩
١١٥٠
١١٥١
١١٥٢
١١٥٣
١١٥٤
١١٥٥
١١٥٦
١١٥٧
١١٥٨
١١٥٩
١١٦٠
١١٦١
١١٦٢
١١٦٣
١١٦٤
١١٦٥
١١٦٦
١١٦٧
١١٦٨
١١٦٩
١١٧٠
١١٧١
١١٧٢
١١٧٣
١١٧٤
١١٧٥
١١٧٦
١١٧٧
١١٧٨
١١٧٩
١١٨٠
١١٨١
١١٨٢
١١٨٣
١١٨٤
١١٨٥
١١٨٦
١١٨٧
١١٨٨
١١٨٩
١١٩٠
١١٩١
١١٩٢
١١٩٣
١١٩٤
١١٩٥
١١٩٦
١١٩٧
١١٩٨
١١٩٩
١٢٠٠

- ٢ الباب الاول (الفصل الاول) الملاحة والبحرية عند المصريين القدماء -
 (الفصل الثانى) الملاحة والبحرية فى عهد البطالسة ١١ (الفصل الثالث)
 البحرية عند الرومان ١٨ (الفصل الرابع) الملاحة والبحرية المصرية فى دول
 الاسلام الاولى ٢١ (الفصل الخامس) البحرية بمصر فى عهد ولاة الدولة العثمانية
 ٣٧ (الفصل السادس) البحرية المصرية فى عهد العائلة المحمدية العلوية ٤٤
 ٦٩ الباب الثانى تاريخ مصر (الفصل الاول) جغرافية مصر الطبيعية ونهر
 النيل والملاحة فيه ٦٩ - النيل والملاحة فيه ٧٢ (الفصل الثانى) الثغور البحرية بمصر ٧٥
 (الفصل الثالث) تاريخ مصر القديم ٩٠ الطبقة الاولى أو عصر الجاهلية الاولى
 ٩١ (الفصل الرابع) الطبقة الثانية أو عصر الجاهلية الوسطى ٩٤
 (الفصل الخامس) الطبقة الثالثة عصر الجاهلية الاخيرة ٩٧ - حضارة
 المصريين ١٠٨ (الفصل السادس) الطبقة الرابعة عصر اليونان ومدة
 البطالسة ١١١ - مدة البطالسة ١١٢ (الفصل السابع) الطبقة الخامسة
 أو عصر الرومان ١١٧ (الفصل الثامن) تاريخ مصر الحديث
 ١١٩ (أشهر أخبار الديار المصرية مدة عمال خلفاء الامويين والعباسيين) عمال خلفاء
 بنى أمية ١٢١ - عمال خلفاء العباسيين ١٢٣ (الفصل التاسع) الدول التى استقلت
 ببلاد مصر (الدولة الطولونية) ١٢٧ - عمال الدولة العباسية ١٣٢ - استنطاقهم ١٣٣
 (الفصل العاشر) الدولة الاخشيدية ١٣٥ (الفصل الحادى عشر) بنى عبید
 المعروفين بالدولة الفاطمية ١٣٨ - الحروب الصليبية ١٤٤ (الفصل الثانى عشر)
 الدولة الايوبية ١٥١ (الفصل الثالث عشر) دولة المماليك الترك الاولى المعروفة
 بالبحرية ١٦٤ (المخلافه العباسية بمصر) ١٦٦ (الفصل الرابع عشر)
 دولة المماليك الثانية المعروفة بالچراکسة ١٧٨ (الفصل الخامس عشر) أشهر
 حوادث الديار المصرية مدة ولاة الدولة العلية العثمانية ١٩٢ (الفصل السادس عشر)
 استيلاء الفرنسيين على الديار المصرية ٢٠٩ - (الفصل السابع عشر) العائلة
 المحمدية العلوية الحالية

٢٢٠ محمد على باشا الكبير - مجلة انكتره على الديار المصرية ٢٢٢ - إعداد

الاساطيل بالبحر الاحمر لجملة الوهابية وقتل عسكر الكولمان ٢٢٥ حرب الوهابية ٢٢٧
 الاصلاحات والترقيات ٢٢٨ فتح سيوه ٢٣٠ انشاء المدارس ٢٣٠ فتح بلاد السودان ٢٣١

تظامات الجيوش والمدارس العسكرية ٢٣٥ - حرب مسوره ٢٣٧ - احراق
الدوننياناوارين ٢٤٠ - تجديد الدوننيانا المصرية وانشاء دارصناعة الاسكندرية
٢٤١ - الحروب الشامية ٢٤٤ - قوة محمد علي باشا العسكرية في العهد المذكور
٢٥١ - القوة البحرية في عهد محمد علي باشا ٢٥٢ - سفر ابراهيم باشا لاوروبا ٢٥٧

٢٥٨ ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا

٢٦٠ عباس حلي باشا الاول - وفاة المرحوم محمد علي باشا ٢٦٠ - الاعمال

العسكرية في زمن المرحوم عباس باشا ٢٦٠ - السودان المصري في العهد المذكور
٢٦١ - المدارس والمعارف في عهد عباس باشا ٢٦٢ - الطرق الحديدية بالديار
المصرية ٢٦٢ - حالة البحرية في زمن عباس باشا الاول ٢٦٣ - مساعدة مصر
للدولة في حرب القريم ٢٦٣ - حركات الاساطيل المصرية أثناء الحرب المذكور
٢٦٤ - قتل عباس باشا الاول وسيبه ٢٦٤

٢٦٦ محمد سعيد باشا ٢٦٦ - ثورة العربان بالقيوم ٢٦٧ - الاصلاحات في

العهد المذكور ٢٦٧ - غرق الامير احمد ابراهيم باشا ٢٦٨ - السودان المصري
في العهد المذكور ٢٦٨ - المدارس في عهد سعيد باشا ٢٧٠ - البحرية في عهد
سعيد باشا ٢٧٠ - النظمات العسكرية في عهد سعيد باشا ٢٧٣ - مساعدة
سعيد باشا لليونان الثالث في حربهم مع المكسيك ٢٧٦ - الشروع في فتح ترعة السويس
٢٧٧ - وفاة سعيد باشا ٢٧٨

٢٧٨ اسمعيل باشا - ٢٧٨ - زيارة السلطان عبد العزيز خان لمصر ٢٧٩ - المعارف

في عهده ٢٧٩ - ثورة احمد الطيب في قاو ٢٨١ - البحرية في عهد الخديو اسمعيل
باشا ٢٨١ - المجلس العسكري البحري ٢٨٨ - ايجاد ادارة البوسطة الخديوية ٢٩٠
- مصلحة البريد ٢٩٢ - بناء ميناء السويس واصلاح ميناء الاسكندرية ٢٩٢
- اصلاح الشرطة ٢٩٤ - مساعدة الخديو للدولة في اطفاء ثورة العسير ٢٩٤
- مساعدة الخديو للدولة في حرب الجبل الاسود وكريد ٢٩٥ - مساعدة اسمعيل باشا
للانجليز في حرب الحبشة ٢٩٨ - الاحتفال بفتح ترعة السويس ٣٠٠ - المحاكم
المنحلة بالديار المصرية ٣٠٢ - تأسيس مجلس الشورى ٣٠٤ - الجيش في عهد
الخديو اسمعيل باشا ٣٠٧ - المصانع والمعامل الحربية وغير الحربية في عهد الخديو
اسمعيل باشا ٣١٣ - السودان في عهد الخديو اسمعيل باشا ٣١٤ - فتح دارفور
٣٢٠ - فتح مدينة هرر ٣٢٣ - تجريدة نهر جوبا وجهات قسمايو ٣٢٦
- المشاكل مع الحبشة ٣٢٧ - حرب الحبشة ٣٢٩ - غوردون والسودان
المصري ٣٣٣ - الاكتشافات التي صنعها الضباط المصريون في العهد المذكور ٣٣٨

- الامتيازات الخديوية وأمبال اسمعيل باشا السياسية والمعاهدات التي عقدها مع
الدول ٣٣٩ - مساعدة اسمعيل باشا للدولة في حرب الصرب ٣٤٩ - مساعدة
الخديو للدولة في حرب روسيا ٣٥١ - تنازل اسمعيل باشا عن الأريكة الخديوية ٣٥٤
٣٦٦ محمد توفيق باشا (الفصل التاسع عشر) أسباب ومقدمات الثورة العربية

والاحتلال البريطاني ٣٦٦ - قانون التصفية ٣٧١ - الحوادث العربية ٣٧٤
- حادثة ١١ يونيو ٣٩٠ - الحرب والاحتلال ٣٩٧ - الإصلاحات في عهد
المرحوم توفيق باشا بعد الاحتلال ٤١٨ - المعارف في عهد الخديو توفيق باشا
٤٤٠ - البحرية في عهد الخديو محمد توفيق باشا ٤٤٥ - الجيش الحديدي ٤٥٤
المدارس الحربية ٤٦٠ - السودان المصري وحروب المتمهدين ٤٦٢ - ولاية
عبد القادر حلمي باشا ٤٦٧ - حملة هكس باشا وهزيمته ٤٧٢ - واقعة سنكات
٤٧٧ - حملة بيكر باشا ٤٧٩ - عودة غوردون باشا إلى السودان ٤٨١ - حملة
الجنرال جراهم وواقعة الطيب وطماي ٤٨٥ - تشديد الحصار على غوردون باشا في
الخرطوم ٤٨٩ - حملة الانكليز على الخرطوم لتخليص غوردون باشا ٤٩١
واقعة جنس ٤٩٨ - احتلال ايطاليا لمصوع ٤٩٩ - خلاص أمين باشا واخلاء
مديريات خط الاستواء ٥٠٥ - باقى حوادث السودان ٥١٠ - واقعة سرس
وحوادث سواكن ٥١٢ - حوادث ولد النجومي وواقعة طوشكي ٥١٤ - وفاة
الخديو محمد توفيق باشا ٥١٨

٥١٩ خديوينا الحالى عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه - الفرمان

النشاهاتى ٥٢٢ - وزارة رياض باشا ٥٢٤ - زيارة الجناب العالمى لدار الخلافة
٥٢٤ - زيارة الخديو المعظم بلاد الحدود ٥٢٨ - وزارة نوبار باشا ٥٣١ - وفاة
الخديو السابق اسمعيل باشا ٥٣٣ - وزارة مصطفى باشا فهمى الثانية ٥٣٤ - إعادة
فتح السودان ٥٣٧ - واقعة عطبرة ٥٤٠ - هزيمة التعايشى ودخول الجيش
أم درمان ٥٤٣ - الكولبيره فى القطر - مصرى ٥٥٥ - الاعانة العسكرية
العثمانية ٥٥٦ - ردم خليج القاهرة ٥٥٧ - بيع بواخر البوسنة الخديوية
٥٥٨ - الخزان ٥٥٩ - بيع أطيان الدائرة السنية ٥٦٣ - البنك الوطنى
٥٦٦ - (الفصل العشرون) البواخر المصرية والملاحه فى الوقت الحاضر ٥٦٦ -
(الفصل الحادى والعشرون) القوة البرية بالديار المصرية ٥٧٢ طريقة الدفاع
عن القطر المصرى ٥٧٢ - الطرق الحديديه ٥٧٧ القوة العسكرية المصرية
٥٧٨ نظام الجيش المصرى ٥٧٩ - طريقة جمع العساكر ٥٨١ - ترتيب
الجيش ٥٨٢

(فهرست القوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصفائف)

صفحة	(حرف الالف)	صفحة	
٤٨١	أمر الخديوي الى غردون باشا	٤٩٨	أبوك
٤٧٩	أمر الخديوي ليبيكر باشا	١٥٨	أمانات
٣٩٤	أمر دولة أنكلترا الى أميرال أسطولها بعباءة الاسكندرية	٤٢٧	الاتفاقية المنعقدة بين إنجلترا والدولة بخصوص ارسال مندوبين عالين لمصر
٤٦٧	أمر عال بتشكيل قطارة للسودان	٥٦٤	اتفاقية بيع الدائرة السنية
٣٦٤	أمر عال بقبول اللائحة الوطنية	٢٥٨	الاحكام الصادرة في حق ضباط مدفعية ميمندجهاد
٤٨١	أمر لورد غرنفيل الى غردون باشا	٤١٣	الاحكام الصادرة في حق عرابي ورفقائه
٢٣٨	أمر محمد علي باشا الى محرم بك	٤٤٩	أحمد حسين باشا
٤٨٩	أمر فؤاد باشا لامين باشا مدير خط الاستواء	٣٧٤	أحمد عرابي باشا
٢٦٥	الامير الهامي باشا	٩١	اختلاف سني التاريخ
٤٩٥	الامير حسن باشا	٤٥٢	ارادة سنية الى أهالي القطر المصري
٤٣٢	انذار فرنسا والروسيا بالوعيد للدولة اذا صدقت على الوفاق الذي عقده مع إنجلترا	٤٣٣	ارادة سنية الى رياض باشا
٣٥٥	أنواع الضرائب في عهد الخديوي اسمعيل باشا	٣٨٨	ارادة سنية باعادة عرابي باشا الى نظاره الجهادية والبحرية
٩٢	الاهرام	٥٢٠	ارادة سنية صادرة الى رئيس النظاريين بقرار النظاريين مراكهم
١٨	أوروزو	٥١٩	ارادة سنية صادرة بجعل الاوقاف ادارتها خاصة بذاتها
(حرف الباء)		٥٣١	ارادة مولانا الخديوي بالصادرة للسردار يشكر فيها الجيش عقب عودته من الحدود
٥٩	بارومتر	٤٢١	استعفاء شريف باشا من الوزارة
٣٩٣	البروتوكول الموقع عليه من معتمد دول أوروبا في الجلسة الاولى لمؤتمر الاستانة	٩٢	اسفنكس
٥٢٠	بلاغ نظارة الخارجية لعموم القناصل الخيرية بتبني مولانا الخديوي بالحيا مسند الاريكة الخديوية	٣٩٧	أسماء البوارج التي ضربت طوابي الاسكندرية
٣	بلوتارك	٢٤٣	أسماء قبودات أسطول محمد علي باشا
١٩١	البنادق	٢٣٨	أسماء قبودات سفن الاسطول المصري المرسل لحرب اليونان بحوره
٥٥٩	بواخر الموستة الخديوية	٥٠٣	اسيوتجاير
٤٥	البوصلات البحرية	٥٠١	اعتراف ايتاليا بسيادة الباب العالي على سواحل البحر الاحمر
٣٦	البوكر	٣٧٧	أعضاء القومسيون المشكل لتنقيح القوانين العسكرية
٣٧١	بونات عبد الحليم باشا	٤٠٢	اعلان اللورد واسلي الى أهالي القطر
٤٠٤	بيانة الباب العالي بعصيان عرابي واعوانه	١٣٢	آمد
٤١	بيرجريس	٣٥٢	أمر الامير حسن باشا الى راشد حسني باشا بالعودة الى واره
(حرف التاء)		٣٥٨	أمر الخديوي السابق الى فؤاد باشا بجعل الوزارة مسؤولة
١٣٠	ترعة الاسكندرية		
٥٩	ترموتر		
١٢٣	تروجه		
٣٦٠	تصديق الخديوي على لائحة التفطيش الاعلى		
٣٧١	التصفيه		

فهرست الفوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصفائف

صفيفة	صفيفة
١٢٣ الحوف الشرقي	٥٥٨ تعداد الانفس بالقطر
٤٥٠ حسين شرباشا	٢٨٥ تريفات عن الحوض العوام
٤٥٤ حسين فهمى باشا	٤٦٢ التعليمات لمحكم دار السودان
(حرف الخاء)	٤٤٧ تقرير أحمد محيى البحرية عن البحرية المصرية وقتها
٥٠ خريطة	٣٢٤ تقرير رؤف باشا عن فتح هرر
٣٠٤ خطاب اسمعيل باشا عن فتح مجلس النواب	٢٨٩ تقرير محرر من غرق قرويت الصاعقة
٢٩٧ خطاب الخديو الاسبغ اسمعيل باشا للعساكر المصرية في حرب كريد	٣٤٦ تلغراف الباب العالي المعلق جلوس السلطان مراد خان الخامس
٣٥٣ خطاب الخديو الاسبغ اسمعيل باشا لمجلس النواب	٣٥٠ تلغراف الباب العالي المعلن جلوس مولانا السلطان عبدا الجميد خان على كرمي الخلافة
٤٣٥ خطبة رياض باشا في مجلس شورى القوانين	٥١٩ تلغراف الصدر الاعظم جواد باشا الوارد على رئيس النظر بمصر
٢٤٩ انخط الشريف الهمايون في المنامع محمد على باشا ولاية مصر بطريق التوارث	٣٨٧ تلغراف فرنسالوكيها في مصر
٤٦١ خوجات المدارس الحربية (حرف الدال)	٥٣٨ تلغراف مولانا الخديو لسعادة السردار
٣١ الديبات	٥١٨ تلغراف مولانا الخديو الوارد الى رئيس مجلس النظر بانه على اهبته المحضور بمصر
١٥٥ دوج	٥١٧ تهنئة الخديو للجنرال جرنقل والجيش عن واقعة نوشكي
٧٨ دينوكراتس	١٠٦ نوسيديد (حرف الجيم)
٩٠ ديودور الصقلي (حرف الزاء)	١٢٩ جامع طولون
٣٢٣ رضوان باشا البحري	٤١٤ جوابات مرابي باشا لتريلنت
(حرف السين)	١٨٩ جواب الاشرف قانصوه الغورى الى السلطان بايزيد خان
٥٥ الساعات	٥٢٥ جواب الحكومة على اعتراض مجلس شورى القوانين
٤٥٢ سرهند بك البحري	٣٩٩ جواب مرابي باشا الى الخديو
٤٥١ سفن الاجرارية	٤١٨ جواب الورد ولسلي بك كرسلطان باشا
٥٣٣ سلاتين باشا	٤٨٥ جواب المهدي الى غوردون باشا
٢٨٤ سليمان حلاوة قبودان	٣٠٦ جواب النواب على نطق الخديو جوسلين
٤٦٦ السنومى	١٤٨ جيموش محمد على باشا في سنة ١٨٤١
١٤ ستيوم (حرف الشين)	(حرف الخاء)
٣١٦ الشارع في السودان	٢٦٦ حسن باشا الاسكندراني
٢٩٣ شروط اصلاح ميناء الاسكندرية	١٤١ حمزة وزير الحاکم
٤٥٧ شروط دخول الضباط الانكليز في الجيش المصري	٤٦ الحوض
(حرف الصاد)	
٣٠٥ صورة امر اسمعيل باشا الى اعضاء مجلس الشورى	

صفحة	صفحة
٣٩٦	(حرف الضاد)
لائحة قناصل الدول الى الاميرال سيمور	٣٣٣ ضباط أركان حرب المبعين لرسم خريطة الحبشة
٣٥٩ لائحة مجلس التفتيش الاعلى	(حرف الطاء)
٣٨٣ لائحة مصطفى حاصم باشا الى سفراء الدولة	١٣٤ الطوفان
٣٨٢ لائحة من قنصلي فرنسا وانجلترا الى توفيق باشا	(حرف العين)
٣٦١ اللائحة الوطنية بخصوص المالية المصرية	٤٧٧ عثمان دقته
٤١١ لجنة التحقيق التي شكلت لمحاكمة العرايين	٢٤٦ عثمان نور الدين باشا اميرال الاسطول المصري
٢٨٦ لطيف باشا البحري	٢٤٨ عدن
(حرف الميم)	٢١٥ عقد زواج عبد التعمنو
٤٢٩ محرر الدولة الانكليزية وصورة الاتفاق الذي	٤٤٦ على بك شكري القبودان
جعل أساسا للمخابرات لحل المسئلة المصرية	(حرف العين)
٥٠٢ محرر كرسى مخصوص مصوع	٣١٧ غوردون باشا
٥٥٥ محرر ناظر الخارجية الى اللورد كرومر	(حرف الفاء)
٢٤١ محرم بك البحري	٣٦٨ الفرمان السلطاني بتولية المرحوم توفيق باشا
٤٩٦ محمدا حمد التمهدي	٣٤٠ الفرمان السلطاني لاسماعيل باشا بتوارث الحكومة
٤٥٣ محمد آء بن توفيق باشا	المصرية
٢٨٦ محمد باشا الرودسلى البحري	٣٤٢ الفرمان الشامل لاسائر الفرمانات الصادرة
٣٠٨ المدارس الحربية فى عهد الخديوا اسمعيل باشا	للتنديو الاسبق اسمعيل باشا
٢٧٩ مدارس الخديوا الاسبق اسمعيل باشا	٥٢٢ الفرمان والتعارف العلنين تبوامولانا العباس
٢٣٠ المدارس فى عهد محمد على باشا الكبير	الاربيكة الخديوية
٤٤١ المدارس فى القطر المصري	(حرف القاف)
٤٤٤ المدارس المستجدة فى عهد الخديو محمد توفيق باشا	٤٤٩ طهم باشا البحري
٤٤ المدافع	٦ القانجه
٦ المدرعات	٣٧٢ قانون التصفية
٤١ مرادريس	٤٦١ قانون المدارس الحربية فى عهد العرايين
٥٠٦ مسترستبلى	٤٩٤ قلعة غوردون باشا التامل بها
٣٣٧ مصطفى باشا الطوسيه لى البحري	موضوع النقود
٤٥٠ مصطفى باشا العربى البحري	٣٩٣ قرار مندوبى الدول للباب العالى
٢٥٢ مصطفى مطوش باشا	٣٩ القلاوز
٢١٨ المعاهدة بين فرنسا و بين الانكليز والعمانيين	١٥٢ قلعة الجبل
باخلاء مصر	٤٠٧ قول الجنرال ولسلى عن واقعة القصاصين
٤٠٧ المعاهدة بين الدولة العثمانية وانكلتره	٥٥٢ قول ليوتار عن حملة مرشان
بخصوص عرابى	(حرف اللام)
٥٣٤ معاهدة الرقيق المنعقدة الاخيره	٣٩٦ لائحة الاميرال سيمور للقناصل
٣٤٧ معاهدة الرقيق مع دولة بريطانيا العظمى	٤١٨ لائحة انكلتره عن سياستها المجديدة عصر
٢٤٠ معاهدة محمد على باشا مع الدول لاخللاء موره	٣٩٢ لائحة روسيا الى سفرائها لى دول اوروپا بشأن
٣٤٩ المعاهدة مع بريطانيا العظمى بخصوص سواحل	المسئلة المصرية
الصومال	

فهرست القوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصحائف

صحيفة	صحيفة
٤٨٤ منشور المهدي في حق عبد الله التعايشي	٣١٩ المعاهدة المنعقدة مع سلطان زنجبار
(حرف النون)	٤٨٧ المعاهدة المنعقدة مع ملك الحبشة
٤١٦ نشرة جمعية السلام الانكليزية عن المسئلة المصرية	١٣٥ مقياس النيل
٢١٠ نشرة نابليون على أهالي مصر	١٨٤ مکتوب الاشراف اينال الى السلطان محمد الفاتح
٩٤ نصيحة أحد القراعنة لولده	٣٤٥ مکتوب الخزانة اغنايف للخديو اسمعيل باشا
٢٣٩ نطق محمد علي باشا القيودان باشا	٢٩٨ مکتوب اسمعيل باشا الى تيودور ملك الحبشة
٥٢١ نطق مولانا الخديو عند افتتاحه الجمعية العمومية	٢٩٥ مکتوب الخديو اسمعيل باشا الى أمير العسير
٤٦ النظارة	٣١٣ مکتوب الخديو اسمعيل باشا الى سلطان مراکش
١٣١ نهراي قطرس	٢٨٢ مکتوب الخديو اسمعيل باشا الملك زنجبار
(حرف الواو)	٣٩٩ مکتوب الخديو الى عربي باشا
٢٤٢ ورث دار صناعة الاسكندرية	١٥٥ مکتوب السباكيوس لصلاح الدين
٢١١ ورقة التأمين التي كان يعطيها نابليون لاهالي مصر	٥٠٧ مکتوب ستانلي للستربروس
٤٣٠ الوفاق بين انكلترا والدولة	٥٠٧ مکتوب ستانلي للسروليم ماكن
٦٦ وفاق قتال السويس	١٨١ مکتوب السلطان محمد خان الى المؤيد أبي النصر
٢٤٩ وفاق الاميرال نابير مع محمد علي باشا باخلاء الشام	٣٢٨ مکتوب ملك الحبشة للعساكر المصرية
٢٢٥ الوهابيين	٤٩٣ مکتوب المهدي الى عامل بحر الغزال يفتح الخرطوم
(حرف الهاء)	٣٢٠ مکتوب نابليون بونابرت لسلطان دارفور
٤٧٢ هكس باشا	٤٣٩ ملاحظات القطار المصري
٩٠ هيرودوت	٣٦٦ منشور الخديو السابق محمد توفيق باشا للوزار
حرف الياء	١٥٠ منشور العاضد
٥٢١ بين الطاعة الذي اقيم به الجيش	٣٨١ منشور عربي باشا للجيش والبحرية
١٠٤ يوسيفوس المؤرخ	٤٦٧ منشور المهدي

(بيان الخطا والصواب الواقع بهذا الجزء)

صواب	خطا	سطر	صحيفة
شريحه	محمد علي	٢٢	٤٤٦
أمين باشا	استانلي	١	٥١٠
فاضل	فاضل	١٢	٥٧٢

الغمره ان المصريين كانوا واقفين على أحوال السفن قبل أن تظنه

فمنه ان

حَقَائِقُ الْأَخْبَارِ عَنْ دَوْلِ الْبِحَارِ

الجزء الثاني

تأليف

(الميرالاي اسمعيل سرهنك ناظر المدارس الخريبيه)

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الاولى)

بالطبعة الميرية ببولاق مصرالحجيه

سنة ١٣١٤ هجرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب الاول)

(مقدمة في الملاحة والبحرية في الديار المصرية)

﴿ الفصل الاول ﴾

(الملاحة والبحرية عند المصريين القدماء)

اعلم أن ابتداء الملاحة عند المصريين يكاد يكون من الامور المجهولة بالكلية ومع ذلك فقد روى كثير من المؤرخين أن أول من صنع السفن بعد الطوفان هو منأى مصر ايم في نحو ٥٠٠٠ ق م (٥٦٢٦ ق هـ) عندما دخل الديار المصرية وعمرت به وبعائلته ويؤيد هذا القول ان صح مارواه تقي الدين أحمد المعروف بالمقريزي في تأليفه الشهير بالخطط (ص ١٩ ج أول) حيث قال ان قليمون الكاهن خرج من مصر وطلق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين أولاده وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنصر ولد اسماء مصر ايم فقال قليمون لنوح ابعث معي يا بني الله ابنى حتى أمضي به الى بلدى وأظهره على كنوزى وأوقفه على علومه ورموزه فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته وكان غلاما مر فيها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان أى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الأشجار والاحنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع وأحنة وعمارة وكان الذى مع مصر ايم جبارة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا فى أرغد عيش ويقال ان أهل مصر أقاموا عليهم مصر ايم بن نصر ملكا فى أيام نالغ بن عابرين شالخ بن أرغند ابن سام بن نوح فلما ك مصر وهى مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصر ايم غرس الأشجار بيده وكانت شمارها عظيمة بحيث تشق الاتربة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القشاء فى طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع

طولا في عرض مائة ذراع اه وقال غيره ان المصريين كانوا واقفين على أحوال السفن قبل أن تظهر في اليونان أخبار سفينة الارغونوط التي كان المصريون يدعونها بسفينة ايسيس والارغونوط المذكورة مشهورة أيضا باسم ارغو ويقال عنها في الميتولوجية ان مينرفة هي التي رسمتها وعلمتها التسهيل على الناس ركوب البحر وفي رواية أخرى ان هذه السفينة عبارة عن السفينة التي بناها زاناوس ليهرب بها مع بناته من أخيه ايجيبتوس وهي لدى الرومان عبارة عن سفينة يافوس ونقشوا صورتها على مسكوكاتهم وذكروا بلوترخوس (بلوتارك) (١) أنها سفينة أوزيريس وقد شوهدت على بعض الكرات القديمة على سفينة نوح عليه السلام فان صنع ذلك كان مصرايم صنع السفينة الاولى على شكلها الا انه في مبدئ دخولها مع عائلته الى الديار المصرية لم يكونوا يعبرون مافي صنع السفن من الأهمية الى أن ارتفعت مياه النيل فصاروا يبحثون على طريقة ينقلون بها من مكان الى آخر فجمعوا بعض الاخشاب وربطوها ببعضها وصاروا يعبرون بها فوق نهر النيل وهي المسماة عند العامة بالروامس (الرمث) ثم بعد ذلك أخذت صناعة السفن تتقدم بين المصريين حتى أتقنوها خصوصا بعد اختلاطهم بقبايل وأقوام الكنعانيين والعبرانيين الذين كانوا قد خاضروا بالبحولان بسفنهم داخل البحر المتوسط الابيض وباشروا الاسفار الطويلة فيه وهم المعروفون أيضا بالفينيقيين الذين امتازوا على سائر شعوب العصر القديم في سلوك البحار واتقان صناعة السفن واتخذوا لهم على كثير من سواحل البحر المذكور زلات تجارية وقال بعض المؤرخين ان الملاحه بديار مصر زادت أهمية من بعد ما أخضعت فراعنة مصر بلاد فينيقية التي كانت أساطيلها أشهر أساطيل العصر القديم تجول في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر حتى ان سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لما شرع في اتمام بناء الهيكل المشهور بمدينة اورشليم في حوالي سنة (١٠١٥ ق م) اهتم بزيادة أساطيله بميناء اسينونجباير (٢) (Asion - Gaber) الواقعة على ساحل البحر الاحمر وصار يسيرها من تلك الميناء بواسطة ملاحين من فينيقية جلب الاخشاب والذهب والحجارة الثمينة من البلدان البعيدة حتى قيل انها أرسلت الى أرض أوفير وجلبت منها الذهب وان حيرام ملك صور ساعده في بناء الهيكل المذكور وكانت أساطيله تنقل خشب الارز والصنوبر من السواحل القريبة من غابات لبنان الى فرضة يافا التي كان يسميها العبرانيون وقتئذ (جوبا) (zoppé) أي الظريفه وقال آخرون ان السفينة الاولى التي صنعها مصرايم بعد وطنه بديار مصر كانت على شكل سفينة نوح عليه السلام التي صنعها من خشب الساج وقيل من خشب الشمشاد وقيل أيضا انها كانت من خشب الصنوبر كما قاله المرحوم الشيخ الالوسي في تفسيره الكبير المسمى روح المعاني وقال المشار اليه أيضا كان رأس

(١) بلوتارك Plutarque مؤرخ يوناني شهير ولد في خيرونيا Chéronée من بيوتياسنة ٥٠ ميلادية ودرس علومه بمدينة أثينا وساح بلاد آسيا ومصر وكان معلما لادر يافوس بمدينة قرميه ولما عاد الى وطنه انضموا أمير المدينة أثينا وهو مؤلف كتاب شهير يسمي حياة عظماء الرجال يذكر فيه ترجمة كل واحد من اليونان بازاء آخرون الرومان وبقابل بينهما وقصد من ذلك أن يظهر ان اغر بقيه ليست أقل درجة من رومية ومات وله من العمر سبعون سنة

(٢) اسينونجباير سميت هذا المدينة فيما بعد بربنيس وهي مدينة قديمة من بلاد العرب لا تزال اطلالها باقية إلا أن بين العقبة وقصر البدوي

القلك كراس الديك وجوؤها بجوؤها الطير وذبها كذب الديك ولها أبواب في جنبها ومشدودة
 بدسر ومطليه بالقار وطولها كان ثلثمائة ذراع وعرضها خسون وارتفاعها في السماء ثلاثون وأخرج
 ابن جري وغيره عن الحسن قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع ووضع لها
 بابان في وسطها واختلف في المدة التي تم صنعها فيها ما بين ثلاث سنين وأربعين سنة وستين وكذا الموضع
 الذي صنعت فيه فقيل في الكوفة وقيل في الهند وقيل في أرض الجزيرة وفي أرض الشام ٥١
 وقال بعض المؤرخين أيضاً انه بعدما انتشرت صناعة السفن في الديار المصرية كثرت الملاحه
 بها في داخل النيل ثم صاروا يخرجون بها الى البحر الملح وينقلون تجارتهم من مكان الى آخر فاخذت
 عند ذلك أهمية وصناعة السفن والملاحه تتزايد بين المصريين منذ نحو سنة ٤٥٠٠ قبل المسيح
 وقد أيد ذلك ما ربيت باشام بدر دار التحف المصرية في تأليفه الذي ترجمه المرحوم أبو السعود أفندي
 المسهي فرجه المتفرج وقال أيضاً حضرة الفاضل أحمد كمال بك في تاريخه الشهير وغيره من المؤلفين
 أقوالاً عن الملاحه والاساطيل عند المصريين تلخص منها ما يأتي
 من تأمل الى النقوش البارزة الموجودة على جدران القبور والآثار القديمة الكائنة في بربه
 ايس المصور عليها صورة القوارب والزوارق المصرية التي كانت تستعملها القدماء يتضح له أن فن
 الملاحه في نهر النيل كان معلوماً من قبل ٧٠٠٠ سنة وقد قال المؤرخون إن خافو فرع (رعمنوسر)
 الذي يسميه ماينتون رثورس سادس ملوك الدولة الخامسة التي كانت قاعدتها جزيرة أسوان
 (٣٤٣٣ ق م) هو أول ملك أتقن صناعة المراكب والقلك التي كان المصريون يستعملونها
 في تلك الحقبة العصرية فلهذا نظهر أن المصريين كانوا من قبل ذلك بجمدة عالمين طرق الاسفار في
 البحار بطريقة تشبه الطريقة البحاري عليها العمل بديار مصر لغاية هذا العصر تقريباً وكانوا يستعملون
 الشراع والمجاديف في سفرهم واذ اصعدوا النيل كانوا يصبون العمود المعروف عند الملاحين
 بالصاري ويشدون عليه قلعا عريضا مبرعاً لعل على هيئة المثلث كالجاري في عصرنا هذا نقول
 فيكون المصريون عرفوا استعمال الشراع في سير السفائن بالالهام الالهي قبل باقي الامم البحرية
 القديمة ولعل أولئك الامم أخذوه عن المصريين أو عرفوه بعد ذلك من نقوش المصريين واذ
 انحدروا من أعلى النيل أنزلوا القلع ونكسوا الصاري واستعملوا المجاذيف ويظهر أن الشراع
 المثلث اخترع في مصر ليتلقف الريح من العلو وذلك بعدما عمل حول شواطئ نهر النيل الجروف
 المرتفعة التي صنعتها القدماء لمنع طغيان مياهه عند الفيضان على الاراضي الزراعية المنخفضة
 فصارت تلك الجروف تمنع تأثير الريح على الشراع المربع المنخفض فالتزموا بالبحث عن شكل آخر
 فاخترعوا الشراع المثلث ويعلم من صور وأشكال السفن الصغيرة المصرية التي وجدت في النواويس
 والقبور ضمن الآثار العتيقة أن مقاعد السفن التي كانوا يتخذونها على ظهر (كوكرتة) السفائن
 في ذلك العهد كانت مصنوعة في وسطها لافي مؤخرها وانها كانت ضيقة مستعرضة كما أن السفن
 كانت كذلك ومع هذا فقد كانت المسافة المتروكة فيما بين المقعد وما يسمى بحنجب السفينة (الابانده)
 متسعة اتساعاً كفاي سباع الجذافين يعلمون بمجاديفهم ولم يكن المصريون في ذلك الوقت يعرفون الدفة
 على الحالة المستعملة بالسفائن في هذا العصر وانما كانوا يستعملون بدلا عنها مجذافاً أو مجذافين
 أو ثلاثة مجاذيف ذات ألواح عريضة يرتطون بها في السفينة بمجال لهدايتها الى حيث شأوا هذه كانت

الحالة في السفن المستعملة في النيل أما السفائن المعدة لاسفار البحرية فقد كانت أكبر وأكبر صلابه من سفن النيل غير أن شكلها كان واحداً وكيفية استعمالها واحدة أيضاً وأول سفينة حربية صنعت بالديار المصرية على ما نعرف هي السفينة التي استعجمها معه الوزير أبو الشهبير عند ما أرسله الملك (مرزق) الأول رابع ملوك الدولة السادسة الاسوانية (٣١٩٥ ق م) مع أسطول جسيم من مراكب وصنادل عادية الى بلاد آيها والى جزيرة قاسوان لطلب الاجتار اللازمة لبناء هرمه وناووسه ومن هناك أقلع الى بلاد حانوب الشهيرة بجودة الاجتار لاحضار سفرة بحرية كبيرة للشروبات

وأمر الملك سمنخ كارغ تاسع ملوك العائلة الحادية عشرة الطيبية (٢٥٠٠ ق م تقريباً) أحد كبار رجال دولته المدعو حنوباً أن يبني سفائن على البحر الاحمر ويتوجه بها الى بلاد العرب لاحضار الصمغ العطرى أى البخور الذى يجعه رؤساء الصحراء للملك خوفاً منه فتوجه الامير المذكور من قفط براومعه ثلاثة آلاف رجل وصنع في أثناء سيره محطات وآباراً ولما وصل الى الساحل أنشأ سفناً لنقل تلك المحصولات وكانت أشكال تلك السفن كأشكال سفن بحر النيل فلما تمت أقلع بها وقصد بلاد الك و منها توجه الى رهان لطلب الاجتار النفيسة ولذا قال المؤرخون ان حنوب هذا هو أول فاتح للطريق الموصل من قفط الى بلاد العرب وأول من شئ لسفائن المصرية في البحر الاحمر ولما دعا الملك تحوتس الأول الملقب رع اخمين ثالث ملوك العائلة الثامنة عشرة الطيبية في آخر مدته ابتسه حج ناسولتشاركه في الحكم (١٦٩٠ ق م) وكانت حكومة مصر تحكم على بلاد الشام لان تحوتس الثانى كان قد فتحها بغير حرب وصارت فينيقية تحت حكم مصر وازدادت الفوائد البحرية بالديار المصرية بعد أن كانت قليلة الأهمية للأوهام الدينية المانعة من السفر في البحار وعزمت تلك المملكة بعد انقراضها بالحكم على الاستيلاء على بلاد يون وبلاد تونوتوسيع ملكها بضم هذه البلاد الشهيرة بالاخشاب النفيسة والصمغ والعطريات والذهب والفضة واللازورد والحجارة النفيسة والمتاجر الأخرى فصنعت في البحر الاحمر مراكب حربية وشحنتها بالجيوش وقادتها بنفسها ثم أقلعت بها القتال بلاد يون المذكورة ويرى أنهم استعجمت معها كثيراً من ملاحى الفينيقيين ولما وصلت الى تلك البلاد حاربت أهلها وانصرت عليهم فكانت هي أول ملوك مصر الذين قادوا الاساطيل في البحر الملح

وصورة هذه الغزوة البحرية منقوشة على جدران مباني جهة القرية بالمحل الذى يقال له الدير البحرى ومن نظر الى تلك الجدران يرى صورة كل سفينة بدقائق هيئتها وحقائق شكلها وكيفيةها بغاية الاتقان الظاهر للعيان فترى السفينة المصرية سائرة في بحر ذى أمواج خضر وتشاهد فيه من أصناف الاسماك العجيبة وأنواع الحيوانات المائية الغريبة ما يخترق البحار من كل جانب ويقاوم قوة التيار وتشاهد السفن ذات الشراع وعليها جذاًفين منحنين على مجاذيفهم يساعدون سيرها وضباط جنود واقفين على أقدامهم هاجرين لذة منامهم في حجرات منظمة على أطراف ظهر السفينة ولا يخفى خصوصاً على الناظر في ذلك المنظر الرائع حسن وترتيب كل سفينة ويرى أن مقدم السفن المصرية في ذلك العهد كان مقطوعاً على شكل قرصة قائمة كما في النوع المسمى

بالقنجة (١) وهو مصبوغ بالازرق بحيث يتخيل الناظر اليه كأنه متخذ من حديد وانه قرن
 للسفينة معد للطنع به في جنب سفائن الاعداء (٢) ويرى في الرسم المذكور أن مؤخر سفائن
 المصريين كان ملتويًا في غاية الظرف على شكل زهر السدر الذابل والسواري كانت غليظة الجرم
 مركبة من قطعتين من الخشب متحدتين بمجموعتين احداهما مع الاخرى بأربطة من الجبال
 وثيقة ويرى الناظر في أطرافها العليا بكرات لتسهيل ما يحصل فيهما من الحركات وعلى أحد جانبيها
 في الرسم خمسة عشر جذافاً بجانبهم يعملون ويجهدون فيما هم به يشتغلون وبذلك يعلم أن
 بالجانب الاخر خمسة عشر منهم يعملون عملهم فيكون لكل سفينة ثلاثون جذافاً ولا حاجة للكلام
 على ما يظهر للعيون من تلك الاشعة العظيمة والقلاع الرائعة الجسمية

وإذا ساغ لنا أن نعد على ما يوجد من النسبة الصحيحة بين جرم الادميين وأبعاد السفن المصرية
 المصورة على الجدران المذكورة صح لنا أن نقول بأن السفن المصرية كان لها من الطول بقدر قامة
 الرجل من البحارة المرسومة صورهم فيها ثلاث عشرة مرة أعنى نحو ٢٢ مترًا وتكون هذه السفن
 هي عين البوارج الحربية الكبيرة والسفائن العسكرية الشهيرة التي نقلت منذ أكثر من ٣٥٠٠
 عام مضت جنود الدولة المصرية لشن الغارة على بلاد اليمن وقد علم كما لا يخفى من التأمل في هذه
 الواقعة البحرية أن سفن أسلاف المصريين في ذلك العصر لم تكن بحسبة القدر هذا وقد دلت صور
 مناظر أخرى كالرسم الذي نحن بصدد وصفه هنا كذلك موجودة على بعض أطلال ناحية القرنة على
 أن أسلاف المصريين كانوا ينشئون من السفن الحربية ما هو أعظم والحاصل أن من تأمل في آثار
 أبنية جهة القرنة المذكورة يظهر له نموذجات كبيرة من سفائن قدماء المصريين ذات الشراع
 المنقوشة بجميع أنواع النقش المتنوعة ملونة بألوان الصبغ عليها من ستين إلى سبعين جذافاً
 وبها عدد كثير من الدواب كالبقر والحجر والقرود والجمال المربوبة من أصناف البضائع وغيرها
 وعلى ذلك يقتضى أن تكون الدرجة التي بلغتها الصناعة البحرية عند الامة المصرية في ذلك العهد
 من أعلى الدرجات ولذلك مدح اليونان قوتها وبالغوا في الثناء عليها وقد ذكر المؤرخ اليوناني
 الشهير ديودور الصقلي أن فرعون مصر سيزوستريس (رئيس الثاني) كان اهتم بأمر
 البحرية المصرية فشيدها سفن في البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط وبعث من البحر الاحمر من
 ميناء القصر التي كانت تسمى قديماً (فيلوتيراس أو أمان Eman ou Philoteris)
 اسطولاً جسيماً يزيد عن ثلثمائة سفينة حربية واستولى على سواحل هذا البحر وعلى جزائره ومدنه
 ونغوره وعلى جزائر بحر الهند وأرسل أيضاً اسطولاً مثله إلى سواحل فينيقية فاستولى عليها وعلى
 كثير من جزائر بحر الارخبيل بعد أن هزم اليونان في عدة وقائع بحرية بينهما كان يفتح الفتوحات
 الكثيرة في أواسط آسيا كما فتح في افريقية وكانت فتوحاته كباروى البعض أكثر مما فتحه اسكندر
 المقدوني الشهير

(١) وقد استعمل البنادقة هذا الشكل في سفنهم واستعمله أيضاً العثمانيون في أوائل بحر يثم وكانوا يسمون
 السفينة التي على الشكل المذكور فاجبه بأن
 (٢) لا يبعد أن شكل مقدم المدرعات التي صنعت أخيراً أخذ من هذا النوع وجعل قرن المصادمة من أسفل خط
 الماء لأن الرومان كانوا يصنعون سفنهم على ذلك الشكل ويجعلون القرن المذكور من أسفل ويرى على خط سطح الماء

وفي ابتداء عهد رمسيس الثالث أول ملوك الدولة الطيبة المتممة للعشر بن قامت عليه البدو وهددوا شرق في الدلتا وخرجت عن طاعته ولايات الشام وأغار الليبيون على غربي المملكة فاستعدت الحربهم فلما علم أهل آسيا الصغرى والجزائر اليونانية بهذه الثورات والحروب أرادوا الخروج عن طاعته فشنوا الغارة أيضا واندفعوا بجيوشهم وأساطيلهم على سواحل مصر فقابلتهم جيوش الملك وسفنه الحربية وحصلت واقعة هائلة بقرب مصب النيل الذي كانت فيه الاساطيل كحائط قد بنى بالسفن والمراكب الحربية والزوارق الغاصة من مقدمها الى مؤخرها بشجعان المقاتلين وانتهت بانتصار المصريين بعد أن وقعوا باعدائهم وغرقت سفنهم وأموالهم وبعده هذا الانتصار وانقياد الثوار للطاعة أرسل الملك رمسيس في البحر الأحمر سفنا الى بلاد العرب لطلب الخيرات منها الى مصر قال الفاضل أجديك كمال في كتابه العقد الثمين نقلا عن ورقة هريس عن لسان هذا الفرعون اني أرسلت سفنا وأغربة فيها ملاحون عديدة وعمال كثيرة ورؤساء من الملاحين للشد وكشافون وحساب لصر ما يلزم لهؤلاء الخدمة من المؤنة وشحنت فيها أيضا كثيرا من الاشياء النفيسة وسارت السفن في البحر الأحمر الى أن وصلت بلاد يون من غير أن يصيبها ضرر فشحنت الخدمة الاغربة والسفن من خيرات تونوتر (أى البقيع) ومن تحفها الى أن قال حتى ملؤا السفن بالاشياء التي لا تحصى عددا وأتى معهم أبناء رؤساء تونوتر بالجزيرة ووصلوا الى قفط سالمين ورست هناك السفن بتلك الخيرات ثم حطتها الرجال والخير الى مصراكب النيل الراسية فيما فقط اه وبعده ذلك أرسل هذا الملك تجريدات أخرى في البحر الأحمر الى شبه جزيرة الطور فاخضعها وأدخلتها ضمن أملاك مصر

وقال ديودور الصقلي أيضا ان سيزوستريس أنشأ على النيل سفينة كبيرة يبلغ طولها ما يعادل ١٤٠ مترا قال بلين أو بليسيوس^(١) أيضا ان أحد الملوك المعروفين بالبطلانية ولعله بطليموس الثاني أنشأ سفينة في الطول كالقدر المذكور مع كون مساحتها من خشبة السفلى المركبة عليها المعروفة عند الملاحين بالقرينة حتى ظهرها الظاهر من أعلاها (الكورزيطة) يبلغ ٢٤ مترا وعليها أربع مائة بحار وأربعة آلاف جذاف ونحو ثلاثة آلاف جندي نعم ان هذه الأرقام ربما كان فيها مبالغة غير أنها لا تزال تدل على أن الامم المعاصرين لاسلاف المصريين كانوا يحترمون البحرية المصرية ويتقنونها باعتبار ولا يبعد ذلك لأن القوة البحرية المصرية في عهد بطليموس الاول كانت أكبر وأعظم قوة في العالم البحري (٢٩٣ ق م) لأن السفن التي كانت يدور صناعته كانت نحو ٣٥٠٠ سفينة بين كبيرة وصغيرة حربية وتجارية وكان له من يد العناية بالقنون البحرية وعمارات السفن حتى كان عنوانه في ديوان مقدونيا قبطان الاساطيل وقد ارتقت في أيامه الملاحة المصرية وكثرت التجارة العمومية البحرية كما سنفصله في محله

ومما يؤيد اهتمام الدول التي حكمت مصر بأمر الملاحة والبحرية أن فرعون مصر نينخاوس الثاني (٦١٢ ق م) الملقب بمرع أحد ملوك الدولة السادسة والعشرين من الصاوية اعترف بأمر الاساطيل اعتماء زائد عند ما قصد أن يسترجع حكمه ببلاد الشام كما سلا في ليامن غائلة

(١) كابوس بلين pline هو عالم من علماء الطبيعيات روماني ولد بمدينة كومسنة ٢٣ لبلاد تارخ طبيعي مشهور لا يزال العلماء يقدرونه حتى قدره ومات في قرقر بركان ويزوف سنة ٩٧

الاشوريين فانتدب لذلك كثيرا من المهندسين اليونانيين لبراعتهم اذ ذلك في فن سلوك البحار وصناعة السفن وأوعز اليهم بانشاء المعامل البحرية لصناعة السفن وتغيير شكل المراكب المصرية القديمة الى مراكب حربية جديدة تسير بالمجاديف والشراع على هيئة سفن اليونانيين المسماة بالاغربة فقاموا بتنفيذ امره وشيدوا له الاساطيل القوية وبها تمكن من الانتصار على أعدائه واسترجع جميع الديار الشاميه فاصبحت سواحل فينيقية خاضعة لامره وازدادت الاعمال البحرية في الديار المصريه ثم تشبث بحسرو وعمرهم لفائدة التجارة وهو معرفه محيط قارة افريقية والوقوف على مسالكها البحريه على وجه الحقيقه ولا شك أن هذا المشروع كان من أجسام المشروعات لان رحلته البحريه أكبر رحله علمت في تلك الاعصار الجاهليه فاستخدم في سفنه المصريه جماعة من الفينيقيين وأمرهم بأن يسافروا في البحر الملح من عند خليج السويس ويتوجهوا نحو الجنوب فسافروا كما أمرهم ومكثوا في سفرهم هذا نحو من ثلاث سنين تبغوا فيها السواحل وقطعوا بسفنهم تلك المجال حتى وصلوا الى رأس الرجاء الصالح ثم صعدوا الى الشمال حتى بلغوا بحر الزقاق أو عمدة هرقل أو هرقل المسمى الآن بمضيق جبل طارق ومنه دخلوا الى البحر الابيض المتوسط حتى وصلوا الى بلاد مصر ورووا ما شاهدوه أثناء سفرهم وما ظهر لهم من الاماكن والمسافات وبذلك علمت سواحل افريقية وما حولها من البحار على وجه يقرب من العجبه مع ما كانت عليه الملاحه من الصعوبات في ذلك العصر وزيادة على ذلك فان هؤلاء الملاحين كانوا يضطرون للاقامة بالسواحل مدة فصل الشتاء والزوابع ولما كانت سفنهم لا تحتوى على كمية الزاد الذي يلزمهم مدة سفرهم كانوا يبذرون بالاماكن الخصبه الجيوب التي يقفون منها وينتظرون نضجها وحصدها ثم يقلعون كما كانت هذه عادة الملاحين القدماء في أسفارهم الطويله وهذا الاشك يجعل الاسفار البعيده محفوفه بالاطخار سيما وان القدماء كانوا يعتقدون أن الاقيا نوس هو الحد الفاصل بين العالم المعروف وقتئذ به حيوانات هائله مع ضعف سفنهم ومعرفةهم القليله بالاسفار البحريه وقلة عزمهم على إداره سفنهم الغير المحكمه البناء فلذلك لم يجسر أحد ان يتعد عن طرف البر كثيرا واذنا نظرنا الى ما كان عليه علم الجغرافيا و فن سلوك البحر في ذلك العصر من الطفولية فلا بد أننا نعجب غاية العجب من أن ملكا من ملوك مصر في ذلك العصر أى قبل نحو ٢٥٠٠ عام من الدهر أمكنه أن يقوم بعمل جليل مثل هذه الرحله التي لم يتيسر للامم المتأخره أن تقوم بها الا منذ نحو ٣٨٥ سنة أى عند ما قامت ملوك البرتغال وأرسلوا أساطيلهم تحت قيادة ماجلان وفاسكودوناغا لارتيا ذلك الاطراف ومع ذلك يمكننا القول بأن البحريه المصريه إذا كانت نالت في خلال تلك الحقبه العصريه قوة حركه ونشاط واهتمام كان أكثره في البحر الاحمر لان قوتها فيه كانت أزيد بكثير من قوتها بالبحر المتوسط الابيض ولهذا اهتم أولاسيزوستريس ثم الملك نيخاوس بعمل ترعة توصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط الابيض ليجتمع أساطيلهما في الجهه التي كانا يرغبان جمعها فيها لغز واتهم البحريه من جهه ولتسهيل التجارة من جهه أخرى وهي عين الفكرة التي قصد بها بعدهما بطليموس الثاني الملقب فيلادلف الأنان الكل لم يتمكنوا من اتمام هذا المشروع العظيم بالطريقه التي قصدوها وهي توصيل البحرين ببعضهما مباشرة ولكنهم تمكنوا من اتمام عملهم الى الدرجة التي سنذكرها في محلها وهي توصيل البحرين المذكورين ببعض ترع النيل وكان مشروعهما هذا من أعظم المشروعات

تسهيلا للتجارة والمنافع الحربية وهو الذي نفذه فرديندو وسبس في عصرنا الحاضر وفتح ترعة السويس المأخوذة

والحاصل أن اهتمام الدول المصرية القديمة بأمر القوة البحرية والملاحية جعلتهم يقهرون أكثر الممالك المعاصرة لهم ويمكنواهم من توسيع ممالكهم ومد نفوذهم على أكثر جزائر وبلاد آسيا والبحر الأحمر وإفريقية وجزائر اليونان وسوريا ولما استولت الفرس على الديار المصرية انحطت قوة مصر البحرية واستبدت أعمالهم فيها بأنواع المظالم فكانت نيران الثورات مغطاة باستار الاستبداد ولما عين الملك ارتخشيارش من قبله أخاه اخيمينس والباعلى مصر خلع المصريين طاعة حكومة الفرس قال نبي سيدنا المؤرخ مامعناه انه في أيام هذا الزوال ظهرت الثورات (٧٨ ق م) في أكثر جهات المملكة الفارسية فقام المصريون للتخلص من عبودية الفرس وانتخبوا ايناروس ابن بسامتيك ملكا عليهم وكان أميراً على مدينة ماريا وتعاهد مع اليونان وطلب منهم المساعدة بالأساطيل وكان لليونان في وقتها جالسة سفن حربية صنعوها في جزيرة قبرص فأرسلوا له أسطولاً مركباً من مائتي سفينة فدخلت النيل وحاربت الفرس في عدة وقائع ولما وصلت مصر واقتتل الطرفان تمكن ايناروس من قتل اخيمينس نائب الفرس وفي أثناء ذلك هجمت السفن الاثينية التي كانت تحت قيادة الاميرال حارتيديدس على السفن الفينيقية التابعة للجحيم فاغرقت منها ثلاثين سفينة وأسرت منها عشرين ثم هاجم اليونان والمصريون منفيس وخلصوها من يد الفرس واجتهد ارتخشيارش في التحيل على فصل جنود اليونان عن جنود مصر بمساعدة لدى مدينة اسبارطه فتمكن من مرغوبه وأعاد مصر الى قبضة الفرس ثانية وجعل سرتاماس الفارسي والباعلىها الآن ملوك الدولة الصاوية لم تخمد همهم في طلب الاستقلال فكانت الحروب مستمرة مع الفرس ثم تعاهد الملك نفر يس الاول مع اسبارطه (٤٠٣ ق م) واستمر كل من الملك اخوريس ومن خلفه من ملوك الدولة المذكورة يحارب الفرس بمساعدة أساطيل اسبارطه الى أن انقرضت وقامت الدولة المتممة للتلائين المعروفة بالهنودية التي في عهد ملوكها تقاطب الاول وطاخوس ونقطاب الثاني كانت مصر مركز حروب مع الفرس وأساطيل اليونان واسبارطه تخرب في سواحل مصر وينيلها مشحونة بالجيوش لمساعدة المصريين على الفرس الى أن أفل نجم الفرس من مصر بظهور اسكندر المقدوني

وكان قداماء المصريين يصنعون سفنهم على أجناس مختلفة فسفن الالهة تصنع بأقل كلفة عن سفن الملوك والأمراء والأعيان ووجوه الناس حتى ان الالهة كان يمكنهم ان يميزها من بعد وتعرفها من شكلها ولن هي السفينة بمجرد رؤيتهم لها قال العالم المصري المرحوم علي باشا مبارك في صحيفته ٣٠ من الجزء الثاني عشر من الخطط التوفيقية ان سفن الملوك وعائلته كانت مميزة عن باقي السفن بل ما هو خاص بالملك يميز عما هو خاص بعائلته وكانت سفن الامراء مميزة على حسب درجاتهم بحيث لا تشبه بسفن العائلة الملكية أو غيرها وكذلك سفن الاعيان وغيرهم وذلك لان سفن الملك كانت مركبة من أربع طبقات بعضها فوق بعض ارتفاع كل طبقة عشرة أقدام وكانت مذهبية من داخلها وخارجها ومزينة بجميع الصور والنقوش التي كانت في المعابد وكان يشاهد فيها التماثيل والهيكل وصور الكواكب والبروج وكانت سفن الامراء ورؤس الجيوش وحكام المديرية

مر كبة من ثلاث طبقات ارتفاع كل طبقة تسعة أقدام وكانت غير مذهبة جميعها بل كانت الالوان تتناوب مع الذهب في الزينة لأجل أن تتميز عن سفن الملوك وكانت صورة المقدس ايريس ممنوعة منها لانها منقبة مختصة بالملك وسفن القسس وضباط العسكر والاعيان مر كبة من طبقتين ارتفاع كل طبقة منها ثمانية أقدام وهي مزينة بأنواع الالوان وكان ممنوعاً منها ادخال صورة المقدس ايريس والمقدس أورودس والسفن المستعملة في نقل الاشياء التجارية وسفن عامة الناس مر كبة من طبقة واحدة بلطوس المسافرين وليس فيها نقوش بل هي مصبوغة بلون بسيط لا غير والطبقة المذكورة هي عدة أو دبعضها داخل بعض كأودالسفن المسماة في زماننا بالذهبيات وكان الموجود من أنواع السفن المذكورة كثيراً جداً حتى قال بعضهم انها تبلغ ثمانين ألف سفينة وكان جميعها يري فوق النيل في مدة زيادته وهذا فضلاً عما كان يوجد من غيرها وكان أيضاً كثيراً جداً وهو مخصص بباقي طوائف الاهالي اه

وقد يعلم شكل الزوارق التي كانت تستعملها قدماء المصريين في النيل من الزورق الذي وجدته دار التحف المصرية في تابوت والده الملك أموزيس أول ملوك الدولة الثامنة عشرة وهو الآن من محفوظات دار التحف بالبحيرة وهذا الزورق من الذهب الابريز تحمله عربته ذات عجلات من التوج وهو أشبه بالقوارب المعروفة في الاستانة بالقابق أو بالفتجات المستعملة بمدينة البندقية والقذافون به من الفضة الخالصة وفي وسطه صورة شخص صغير الجسم بيده بلطة وعصا موجهة وفي مؤخر الزورق المذكور صورة ملاح يقبض على يد دفعة هي عبارة عن مقذاف ذي لوحة عريضة يدبرها سير السفينة حسبما كان معروف في ذلك العصر وفي مقدمه صورة منشد قائم على قدميه ينظم عليه القذافين على توقيع المغاني وعلى القرب منه صورة طغراء الملك اجيس او اموزيس داخل الخانة الملوكية كما هو المعروف

قالوا والسفن المصرية أنواع كثيرة ترى أشكالها من الرسوم منها على جدران الهيكل والمعابد كالصور منها على حيطان معبد الكرنك ويرى من بينها سفينة لا يتقص طولها عن أربعين قدماً ولما كانت السفن لدى المصريين يرميها البعض معتقداً تميم الدينية كان منها نوع مقدس يخرجونه أيام المهرجانات والاعياد ويطوفون به في موكب حافل وكان لكل معبد حلة منها ويصنع أغلبها من الخشب النفيس وأحياناً تكون من الذهب أو الفضة الخالصة وكانوا يجعلون في وسط السفينة المقدسة مقعداً أو نواويساً يضعون فيه تمثال معبودهم ويسترونه بغطاء كبير وفي الاعياد العمومية كانت الكهنة تخرج من المعابد تحمل على أكتافها ألواحاً من الخشب عليها سفينة من تلك السفن المقدسة وورد في الكتابات التي بالقاعة الكبرى ذات العمدة معبد الكرنك أن الملك سيني الاول والدرميس الثاني أهدي للمعبود آمون رع سفينة ممهوبة بالذهب ومرصعة بالاجار الكريمة ومصبوغة بالالوان الزاهية وكان في مقدمتها عمال المعبود رع فكانت لجمالها تضيء كالشمس المشرقة وانما أنت مدينة طيبة هلل لها العالم استحساناً و كباراً

ومن السفن المصرية المحفوظة بدار التحف السفينتان اللتان وجدتا أخيراً بدشور سنة (١٨٩٤ م) بجوار الهرم الجري وكانتا مدفونتين في الرمال ويظن أن دفنهما في تلك البقعة كان بعد استعملهما في نقل جثة الملك أوسرتسن الثالث أحد ملوك العائلة الثانية عشرة (٢٤٥٠ ق م)

وهما من خشب السنط ويشبهان صنادل السفن الحربية الموجودة الآن وهما بغاية الاتقان والواحةما مركبة على بعضهما متقاطعة متخالفة فوق عيدياتهما بمعنى ان الألواح الداخلية متجهة من قرينة السفينة الى حافتها والخارجية ممتدة في اتجاه المقدم والمؤخر ويظن أن ذلك بقصد المتانة من جهة ومنع تحلب الماء من جهة أخرى وليس بداخلهما ما عدا دلافى وسطهما ولا في غيره من فراغ الداخل وطول احدهما ١٢ مترا وعرضهما متران وطول الاخرى عشرة أمتار وعرضهما متر واحد وعشرون سنتيمترا وليس بهما مسامير من الحديد أصلا لان المصريين لم يكونوا عرفوا الحديد في ذلك العصر

(الفصل الثاني)

(الملاحة والبحرية في عهد البطالسة)

كانت الملاحة والبحرية في مدة دولة البطالسة التي قامت بعد اسكندر الاكبر (٣٢٣ ق م) أعظم وأشهر وأزهى أحوار البحرية في مصر لانه بعد أن استقل بطليموس الاول الملقب بسوطير باحكام مصر التي كانت وقتئذ من أعظم ممالك الدنيا اتخذ مدينة الاسكندرية قاعدة له وكانت هذه المدينة أصبحت مركزا لتجارة أوروبا وآسيا وافر بركة تزداد عليها السفائن من أغلب ثغور البلاد المذكورة فاهتم بطليموس المذكور بأمر القوة البحرية كما اهتم بالقوة العسكرية البرية فشيّد دور الصناعة في كثير من ثغور مملكته حتى انه بعد قليل من الزمن صارت له قوة بحرية عظيمة بلغت أساطيلها أكثر من ٣٥٠٠ سفينة بين كبيرة وصغيرة فتمكن بها من حمايته تجارته الواسعة وانتشرت أعلامه باطراف البحار وأخذت محترمة عند جميع الملل والدول وبقوته البحرية هذه تمكن من الاستيلاء على بلاد القيروان وجزيرة قبرص وازدادت بعد ذلك سفنه التجارية حتى بلغت نحو ثلاثة آلاف سفينة ولما وقع الخلاف بينه وبين ديمتريوس ملك مقدونية بخصوص السواحل الشرقية عندما هاجم ديمتريوس المذكور بأساطيله سواحل آسيا يريد الاستيلاء على جميع البلاد الشرقية بالتحاده مع أبيه انطيغونيوس (Antigones) اضطره الى التخلي عنها وحافظ على جزيرة قبرص بهمة أخيه مينلاس (Ménélas) وعلى أرض البقاع وفي نيقية اللتين كانتا قد خضعتا له منذ مدة وجزيرة وبواسطة انتصاره في غزوة على ديمتريوس استرجع صور وصيد بقوة أساطيله المصرية الا أنه فقد ههما بعد ذلك عند انكسار كليس أحد قواد عسكره في ميونيا وليديا وبعد أن ساد السلام مدة وجزيرة انتسبت نار الحرب ثانية (٣١١ ق م) وبقيت مدة طويلة بدون أن تخرج ككفة النصر لاحد الفريقين وأخيرا لما قصد ديمتريوس استخلاص جزيرة قبرص من يد البطالسة ساق اليها أساطيله المؤلفة من ١١٨ سفينة حربية وبعض سفن أخرى من أساطيل محالفيه فاسرع بطليموس لمساعدة أخيه كما هم قبرص وساق عمارة مشكلة من ١٤٠ سفينة حربية ومائتي سفينة مسطحة بهما من الجنود ثمان عشرة ألف مقاتل فتقابل الخصمان في مياه قبرص وبعد حروب يطول شرحها تقابلت الاساطيل بجوارسها الاميس وحصلت بينهما واقعة بحرية هائلة انتصر فيها ديمتريوس وأفضت الى أن بطليموس فقد جزيرة قبرص ثم تبعه ديمتريوس بأساطيله الى مملكته الاصلية فقاومه ودفعه عن بلاده بعد أن أتلأ أكثر سفنه ثم

بالنجيدات القوية التي أرسلها بطليموس الى قبرص مع الاساطيل استحق أن يلقب بسوتيرأى
 المخلص وهو اللقب الذي عرف به في التواريخ وبعدها قام دمتريوس بريد الهجوم على آسيا ثانية
 بقصد الاستيلاء على جميع البلاد التي كان يحكمها أبوه ساق بطليموس أساطيله لمحاربة دمتريوس
 وأخذ سفنه الحربية ولم يدخل بأساطيله المصرية ببحر اليونان وجدأنا معاهديه من ملوك
 الطوائف كقوم مؤنة الحرب حيث كسر وادمتر يوس في معركة أبسوس التي قتل فيها انطيفغوس
 وأسروا دمتريوس وسلبوا ماله ولاية مقدونية ثم مات في أسره واكتفى بطليموس سوتير
 باسترجاع القيروان وجزيرة قبرص وقد وصف القيس أميرال الفرنسي جوريان دولاغرافير
 (Jurien de la Gravière) واقعة سلاميس هذه في الجزء الاوّل من تأليفه عن بحرية
 البطالسة والرومان وصفامطولا فقال ما ملخصه ان البحرية المصرية التي ابتلع خليج كسيوم
 سفنها الاخيرة أخذت مدة البطالسة تقدما وانتشارا كأنظن عدم صحته اذ لم تكن قوة انكسرت
 البحرية في الايام الحاضرة تؤيد ما يمكن أن ينظر من أمسة جعلت التجارة الهندية مقدمة الام ثروة
 وقد ذكر كل من المؤرخين ايبان (Appien) وأتينييه (Athénée) الاساطيل البحرية التي
 كانت لبطليموس في بلاد الف قال ايبان المذكور ان بطليموس المذكور كان لديه ألف سفينة من
 النوع المعروف بالغالي وألف وخمسة مائة طوبلة من ذوات الثلاثة صفوف من المقاذيف وثمانائة
 سفينة من النوع الكبير المسمى غانجه باش وأكاد اتينييه ان بطليموس المذكور كان يملك سفينتين
 بكل واحدة منهما ٣٠ صفان من المقاذيف وواحدة بها ٢٠ صفاً وأربعة بكل واحدة ١٣
 صفاً واثنين بكل واحدة ١٢ صفاً وأربع عشرة سفينة بكل واحدة ١١ صفاً واثنين سفينة
 بكل واحدة تسعة صفوف وسبعاً وثلاثين سفينة كل واحدة بها سبعة صفوف وخمس سفائن بكل
 واحدة ستة صفوف وسبعة عشر على رواية وفي أخرى ٤١٧ سفينة بكل واحدة منها أربعة
 صفوف من المقاذيف و ٣٤ في رواية وفي أخرى ٨٣٤ سفينة ببعضها ثلاثة صفوف وبعضها
 صفان وبعضها صف واحد وكان عند بطليموس هذا زيادة عن ذلك في دور صناعته نحو أربعة
 آلاف سفينة تجارية كان يرسلها الى الجزائر حتى الى السواحل البعيدة من بلاد ليبيا وقال آخرا انه
 كان يرسلها الى سواحل بلاد ليا (Lycie) وهي اقليم باسيا كان اذذاك للملك مصر
 ومؤسس هذه القوة البحرية هو بطليموس لاغوس وقد كان يميل ميلا زائدا من صغر سنه للبحر
 وما يختص به حتى ان أحصاه كانوا يلقبونه بخبرية به قبودان البحر وقد هزمت أساطيل هذا
 القائد الذي كان يحبه اسكندر ويوصف بعرفته جيدا طرق الانتصار مع ذلك في أول حرب بحرية
 لان سوء حفظه أوقعه مع خصم عنيد كان قهره بمدينة غزة الا أنه انتقم لهزيمته في مياه قبرص وهذا
 الخصم الحديث السن هو دمتريوس بن انطيفغون أمير بلاد فريجيا وقد اشتهر دمتريوس هذا بجهارته
 في حصار المدن بحيث انه لقب فيما بعد باباخذ المدن وقد ظن المؤرخ بلوتارك ان في امكانه عمل
 مقارنة بين دمتريوس بوليوكريت وانطونيموس الروماني الا انه مع ذلك يوجد بين هذين الشخصين
 الشهيرين فرق واضح فأولهما رجل بحر حنكته الوقائع وأما ثانيهما فكان لا يحسن الادارة كثير
 الاغلاط حينما ترك الارض وينزل في سفينة وقد اجتمعا انطيفغون والدمتريوس في توسيع الولاية
 التي خصته عند تقسيم ممالك اسكندر حتى صار بعد زمن ملكا على آسيا وقد كانت جنوده كثيرة

متعوده على الطعن والنزال صادقة في خدمته ولم يكن يتقصه غير السفائن ولقد كانت الاساطيل في القرن الرابع قبل الميلاد تبنى بسرعة كما أنها كانت تنمحي وتزول كذلك وان الاساطيل التي كان جهاها اسكندر سابقا لم تكن الأخشاب بالية بعد موته بقليل من السنوات

ولما عزم انطيوخون على تشييد السفن أمر بقطع الاخشاب من غابات لبنان وطوروس وأمر بها فنقلت الى الشاطئ وأخذ صنع رودس وصيدا وبيبلوس وطرابلس في العمل حتى أنه بعد قليل ظهرت في مياه كيليكيا عمارة مؤلفة من ٢٤٠ سفينة ممدودة تمتد من خليج ايسوس الى الرأس المقدس ليست اساطيل أثينا في جانبها الا عبارة عن زوارق وكان يوجد بين هذه السفن سفن ذات أربعة صفوف وخمسة صفوف وتسعة صفوف بل وعشرة صفوف من المقاذيف خلاف ١٣٠ سفينة ليس لها أسطحه (كوكرنه) وقد أخذ انطيوخون من أول الامر كقائد حقيقي من قواد اسكندر في عمل الاعمال العظيمة ولما تم له بناء هذه الاساطيل جعلها تحت قيادة ولده دمتر يوس وأرسلها للتحريز الاثينيين وفكر بقتلهم من الخضوع الى كسندر وقد ساعدت المقادير دمتر يوس لانه أراد اجراء عمل خيري فتمكن في بضعة أيام بمساعدة الرياح لمن قطع المسافة البحرية التي تفصله عن بلاد أتينا ولم يكن أحد لغاية هذا الوقت يفتكر في وجود عمارة لانطيوخون لهذا طنت حامية بلدة مونيشي (Munychie) احدى ثغور أتينا قديما أن هذه الاساطيل هي لبطليموس ففتحت لها مدينة يره فرضتها بالتحوف وفي سنة ٣٠٦ قبل الميلاد تمكنت أتينا بمساعدة هذا المخلص من القاهنير عبودية كساندر وفرحها بنوال حربها أقامت تمثالين من الذهب لانطيوخون ودمتر يوس ولقبتهما بالقاب المعبودات المختصة

ولما كان من يملك آسيا الصغرى أو مصر لا يمكنه أن يستغنى عن جزيرة قبرص كانت هذه الجزيرة من الملحقات التي يتنازعها على الدوام ملوك سوريا وملوك مصر ولذلك قامت الحرب بين دمتر يوس وبطليموس وتلاقيهما على الشاطئ الشرقي من هذه الجزيرة حذاء سلاميس بالقرب من المكان المشيدة عليه الآن بلدة فاما غوسطه وقد كان ميناس أخا بطليموس يحتل سلاميس وهي مدينة ذات فرضة عظيمة الأهمية وبهذه المدينة حكم سابقا ايفاغوراس (Evagoras) والتجأ اليها كآمن بعد هزيمة اغوس بوتاموس ولما حاصر دمتر يوس ميناس أسرع ملك مصر وأتى بنفسه لمساعدة أخيه المحاصر وكان بحجسته عمارة مؤلفة من ١٤٠ سفينة حربية و ٢٠٠ سفينة مسطحة أنزل بها ١٢٠٠ من الرجال وكان دمتر يوس يمكنه أن يوجهه على خصمه ١١٨ سفينة وما خلا الثلاثين شانية الاثينية التي لم يكن بها غير أربعة صفوف من المجاذيف كانت جميع سفن دمتر يوس الاخرى تحمل على الأقل خمسة صفوف من المجاذيف وكان غالب سفائن الفينيقيين ذات سبعة صفوف من المجاذيف

وأخذ ضباط العمارتين في تصفيف سفنهم للقتال وأخذ الكهنة في العمارتين يتضرعون الى المعبودات بنوال النصر وكان الجنود يؤمنون على دعواتهم باصوات عالية فعند ذلك أدرك كل من دمتر يوس وبطليموس أن الحرب ستكون هائلة دموية وروى ديودور الصقلي أن قلبه ما كانا يخفقان بشدة ولم يكن يفصل العمارتين عن بعضهما الا مسافة قليلة تبلغ خمسمائة متر وعلى هذا البعد كانت الاساطيل تنقض على بعضها عمارة ولما استعدت العمارتان أمر دمتر يوس رئيس

اشاراته برفع الترس المذهب فوق رأسه ولما رأى جنود العمارة ذلك ضجوا وهاووا وافرخوا وأخذت الابواق في سفن بطليموس تصفر للعرب وصرخت الابطال تطلب النزال بحيث اهتزت جوانب الكون الاربعه ولقد كانت الحرب في الشواني بذلك الوقت متشابهه ولم يعد في الامكان استعمال قرون السفن بالمهاره والرشاقه التي كان يستعملهاها الاثينيون وسواء كان المتحاربون هم من أمثال دوريا أو بارباروس أو داندالو أو بيزان أو روجيردولوريا أو برنس ساليرن أو خلفاء اسكندر الاكبر فالحرب أحوالها واحده فيبدأ أولاً بالترامى بالنبال والسهام والابحار أو بالمقدوفات بعد اختراع الآلات النارية ويعقب ذلك سر يعاوبلانعيه تصادم أجسام الرجال والاتحام وتلاصق السفن واستعمال الاسلحة البيضاء في مدة الاختلاط الدموي وكان المتقاتلون كصارعين اشتدت بهم الحيمه وشرفت نفوسهم الى شرب الدماء فلم يكونوا كبحارة اليوم يحتدون في استعمال كل أنواع التعجيبات الدقيقه العلميه الممكنه كما يشاهد في الحروب البحريه الآن وكيف كان يتأني لهم ذلك وهم على تلك السفن الضخمه الغير المنتظمه التركيب وكان دمتريوس واقفا على مؤخر سفينهته ولما أحاطت به الاعداؤه أخذ يطعن بعضهم برمحهم ويضرب الآخر بسيفه وكان يتقى النبال التي تقذف عليه اما بان يجيد عنها بمنه أو بسره أو بتلقاها على درقته وقد قتل ثلاثة من مقدميه كانوا بجانبه وكسرت المقاذيف وسحبت السفن يتبع بعضها بعضا مر بوطه بالخطاطيف الحديدية وفي تلك الاثناء غرق كثير وسقط كثير في قاع السفن واجرت ساحه القتال بامواج الدماء وتغطت بالانقاض والاعضاء بحيث أصبحت تشبه بحجره

واعلم انه بزوال الشواني من بين الاساطيل في هذه الايام انعدمت المحاربات الدمويه التي ليست واقعتا بوقير والظرف الاغرا لا كمنوشات لها ثم ان دمتريوس نجح في تشتيت شمل الجناح الايمن من العمارة المصريه ثم صار هذا الجناح الاوّل نجحاً تماماً ولما كانت النصره لبطليموس في جناحه الايسر سعى على غير فائده في ارجاع القتال الى حالته الاوّل الا أنه رأى بعد ذلك بقليل سفنه منهزمه تبحث عن سلامتها في الهرب وتقع الواحده بعد الاخرى في قبضه عدوه فعند ذلك لم يبق له الا طريقه واحده يستعملها لتجانبه فابتعد عن سفن الاعداؤه بكل قوة مجاذيفه حتى تمكن من الوصول الى فرضه سينيوم (Citium) (١) ولم يتعطل من سفن دمتريوس الا نحو العشرين واستولى من خصمه على أربعين سفينه طويله ومائتة سفينه نقلية عليها نحو ثمان مائه آلاف من الجنود المصريه وسحبت سفنه ثمانين سفينه متخترقه تر كها بحارها وقادتها الى الشاطئ حيث معسكره ولما رأت سلاميس ما فعله هذا القائر قدمت له طاعتها ويظهر أن الطبيعه أوجدت أهل مقدونيه لكي يقبوا قوتهم مع جنود دوتيلوس عند محاربتهم لقرطاجنه وقد وجدوا من جنود أوكتافوس اخصاماً أشداء أقوياء ولما خضع العالم روميه أتى وقت أمكنها فيه أن تعرض للفرق العسكريه الموجوده بهذه السفن الضخمه التي خلدت ذكرا انتصار سلاميس فرقا أخرى على سفن أكثر سرعه وتخفه بحيث كان يمكن الظن بان سفن الاثينيين ربما تعود الى الوجود ثانية وكان يمكننا أن نشاهد على البحار تقدمها جديدا في البحريه اذ لم يصر أوكتافوس امبراطورا ويغلق مدة عدده قرون ولازل مره أبواب هيكل جانوس اه

(١) سينيوم مدينة وثغر قديم بحريه قرب ص على الشاطئ الجنوي الشرقي منها وكانت الفينيقيين وتسمى الان شيبتي

وكان بطليموس الاول المذكور شغف واهتمام زائد بامر التجارة البحرية فانشأ للسفن منارة الاسكندرية بجوار الميناء البحرية لتتدى بها عند قدمها على السواحل المصرية فزاد بها فوائد السياحة والملاحة ولزيادة عنايته بالفنون البحرية وعمارات السفن لقبه ديوان مقدونية يقبودان الاسطول كما تقدم وقد كتبت مدينة الاسكندرية في عهده ثروة وافرة من المعاملات البحرية وبقوة اساطيله وسع بنوه أملاك مصر فصار لها ملكة القيروان وسواحل الشام وبلاد العرب المجاورة لمصر وجزيرة قبرص وجزائر بحر الروم وأغلب سواحل الاناضول الجنوبية وبعض سواحل الروم ايلي وذكر بعض المؤرخين أن مصر في أيامه كان في وسعها الحصول على مائتي ألف من العساكر المشاة وأربعين ألفا من الفرسان وثلثمائة من الافعال الحربية وعلى ألفي عربة مسلحة بالمنشير والمناجل وكان يخازن مملكته ٣٠٠٠٠٠ طقم مجهز من الزرد خلاف قوته البحرية السابق ذكرها ومع الصرف على هذه القوة الجسيمة كان يبق في خزنته كل سنة من اليراد السنوي ما قيمته ٥٠٠٠٠٠ من الدنانير المصرية ولما أراد اعتزال الاحكام في آخر أيامه أجلس ابنه فيلادلفوس على تخت (٢٨٥ ق م) وكان صيبا ولقبه بطليموس الثاني وصار يرشده ويديره على الاحكام ثم مات بعد سنتين من ذلك ولما استقل بطليموس الثاني بالملكة سار على سياسة والده من تقوية البلاد وتوسيع التجارة وتوطيد العلاقات مع الدول المعاصرة له فوسع نطاق العلوم والمعارف والتجارة والملاحة ومد الاسفار البحرية الى كثير من الجهات وأوجد أساطيل عظيمة في البحر الاجر أرسلها لاكتشاف طرق البحار فاكتشفت البلاد التي على سواحل بحر فارس وسواحل الحبشة وجزيرة العرب وبحر الهند وغيرها كما سيأتي مفصلا في تاريخه وأرسل جلة سفائن الى الممالك الهندية والشرقية وكانت سفائنه تطلع من ميناء القصير التي كانت مورد تجارة بلاد النوبة والعرب والحجيم والهند وغيرها واستمرت القوة البحرية في زهوتها مدة دولة البطالسة تقر يما في زمن بطليموس الثالث الملقب ويرجيطه أو افرجيت كان ملك الشام انطيوخوس مترق جابرينيقة أخت بطليموس المذكور فلما هربت قبض عليها سايفوقس الثاني ملك الشام وقتلها وقتل ابنها فقامت بذلك حرب بين مصر والشام وقاد بطليموس المذكور الجيوش بنفسه وتقدم بها الى الشام وسير الاساطيل الحربية فاستولت على سواحل الشام والاناضول وحازت شهرة عظيمة وفي عهد بطليموس الرابع المعروف بفيلابوطور اشتعلت الحرب ثمانية بين مصر والشام (٢٢٢ ق م) وكان ملك مصر وملك الشام سفن حربية تساعد الجنود البرية فتلقاها في جهة صيدا ولما كانت القوة البحرية متكافئة لدى الطرفين لم تستظهر احدهما على الاخرى الا أن الجنود المصرية انتصرت في واقعة رفح (رافيا) واستولت على كثير من المدن وتم الامر بعد ذلك بعقد هدنة لسنة واحدة وفي عهد بطليموس الخامس الملقب ايفانوس (١٩٧ ق م) ضعفت المملكة المصرية لتسوء تصرفه فلاح ملك الشام فرصة الانتقام من واقعة رفح السابقة الذكرو وعقد معاهدة مع فيلبس ملك مقدونيا وهجيم فيلبس باساطيله وحيوشه على جنق قلعة وبوغاز كيبولي وعلى بلاد الروم ايلي وكان فيها من عهد فيلادلفوس حاميات مصرية وورباطات عسكرية وهجيم ملك الشام على أملاك مصر بالديار الشامسية وجهات الاناضول فسافت مصر الاساطيل وانتصرت على ملك الشام نصره بجسيمة على سواحل الشام ثم انهزمت الجيوش المصرية فضاقت بذلك جميع البلاد التي كانت لمصر في الاناضول وبعد ذلك بزغ

نجم الدولة الرومانية في تلك الاطراف وتعاهد الرومان مع مصر ولما ساعد بطليموس السادس (١٧٥ ق م) الملقب فيلوبيطوراً عاد ملك الشام انطونيوس الخصاص مع مصر ولم يمكن للرومان مساعدة بطليموس المذكور فانهمزمت جيوش واساطيل مصر هزيمة منكروة وبعد أن استولى ملك الشام على أكثر ما كان لمصر بسواحل الشام وجزيرة قبرص دخل انطونيوس مصر وأسر بطليموس ثم قامت بعد ذلك الفتنة بين العائلة البطلموسية الى أن استتب الامر لبطليموس الثامن وأخذ يسلك مسلك أسلافه في احياء شأن الدولة فقوى الاساطيل واهتم بأمر زيادة التجارة وسير بعثة علمية على اسطول مصرى من البحر الاحمر للاستطلاع على أحوال البحر المحيط الهندي تحت رياسة القائد هودوشيش القوزبى وكان هذا الرئيس جسوراً على اقتحام أسفار البحار يحسن الارصاد الملكية فطاف حول افريقية في هذه السياحة ووقف على ما في البحر الهندي من الجزائر والبلاد وكانت هذه أول سفرة سافر فيها المصريون لمثل هذا العمل الجليل الذي كان المرشد الاول للبرنس هنرى ولى عهد يوحنا الاول ملك البرتغال في مشروعاته البحرية التي شاد من أجلها أول مدرسة بحرية في بلاده ولكن هذا البرنس لم يعش حتى يحصد أثمار مطالعته التي قام بها مشاهير ملاحى البرتغال في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى كما ذكر

أما من تولى بعد ذلك من ملوك البطالسة مثل بطليموس التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فانهم كانوا قد تولوا جميعاً في حدانته سنهم فتركوا أمور المملكة في يد أوصياءهم يديرونها حسب أغراضهم ولم يلتفتوا الا الى اللذات والشهوات فابتدأ حينئذ الاختلال في المملكة وسقطت شوكتها البحرية وصارت الاساطيل لانانى من الاعمال ما يستحق الذكركر قطع في الديار المصرية جيرانها من دول البحار واستمرت الحرب مع ملوك الشام بدون انقطاع تقريباً فالتزموا بأن يوسطوا دولة الرومان في الخلاف بينهم وبين أعدائهم من هؤلاء الملوك لان دولة الرومان كانت هى الدولة صاحبة السطوة في الوقت المذكور لها الكلمة النافذة على جميع ممالك البحر المتوسط الابيض وبذلك زادت مداخلة الدولة الرومانية في الاحوال المصرية سيما بعد أن ملكت كيو بطره ابنة أوليتس وكانت آخر البطالسة وفي أول أمرها نازعها أحد إخوتهم الملوك وتحزب معه الاهلون فاستجدت بالرومان فساعدوها يوليوس قيصر وأعادها الملك الى أن خللها الجور واتفق في سنة (٣٦ ق م) أن انطونيوس واكتافيوس القائدين الرومانيين كانا في حرب مع مارقوس برونس فأمدت كيو بطره برونس المذكور بعمارة بحرية مصرية فبلغ انطونيوس ذلك وهو في طرسوس ولما كان فعلها مخالفاً للعاهدات استدعاها انطونيوس الى طرسوس للمحاكمة فركبت نهر قره صوعلى سفينة جيلة حخر خرفة بالذهب ومجاذيفها من الفضة - يخرج منها عند التجديف أصوات موسيقية مطربة وكانت كيو بطره من أجل النساء فلبست أخف ما لديها من اللباس الثمين وجعلت حولها الجوارى في أحسن ما يكون من الزى والترتيب ونشرت الاعطار النفيسة بالسفينة ولما بلغت طرسوس وشاهدها انطونيوس شغف بها ولم يعديتخالف أمرها فأصدر الحكم كإشادت وعادت الى مصر منصوره وبعد قليل لحقها انطونيوس فأكرمت منواه ولقبها بمملكة الملوك ودعا ابنها قيصر وبذلك أيضاً وشرع في تنفيذ مقاصد كيو بطره حيث كانت التمت منه أن يضيف الى المملكة المصرية جميع مدن السواحل الشرقية الواقعة على

بحر سفيد لتوسيع ملك مصر وان يضيف الى مصر أيضا جزيرة قبرص وقسم من الاناضول
وبلاذيم وذا الموصوفة بالبلم في تلك الازمان وكذا بلاد العرب والجزاير الموصولة الى بحر الهند
لتعيد بذلك مجد التجارة الى الاسكندرية التي كانت تجارتها أخذت تتلاشى ولقد أخذ الغرام
بقلب انطونيوس مأخذاً أنساه واجباته نحو وطنه ولم يعد يفكر بأن عمله هذا مضعف لمصالح
الجمهورية الرومانية

ولما عرض أوكتافيوس الرئيس الثاني لمخووظاته عن أعمال انطونيوس على مجلس الجمهورية
الذي كان بمنزلة محكمة عليا حكم المجلس بعزل انطونيوس من رياسة الجمهورية واثمارة الحرب على
ملكه مصر (٣٢ ق م) وقاد أوكتافيوس الجيوش والاساطيل الرومانية البالغ عددها سفنها
٢٥٠ سفينة ولما استعد انطونيوس للافاة خصمه أقلع بخمس مائة سفينة من اساطيل آسيا
واساطيل البطالسة التي أمدته بها كليون بآثره وكان القائد عليهما من طرفه دميتريوس بوليوكريت
(Démétrius Poliorcète) قال العلامة المرجوم رفاعة بك في الجزء الاول من كتابه أنوار توفيق
الجليل صحيفة ٢١٨ ما بأن الخصاصه استعد كل من الفريقين للحرب وخرجت كليون بآثره
للغزو وأصبحت معها انطونيوس الى محل الواقعة البحرية وهو مدينة أكسيوم التي هي مدينة أزيو
(ارطه) بساحل الروم ابلي وأمدت كليون بآثره انطونيوس وحزبه بمائتي سفينة بحرية واجتمعت
في إحياء مهمة الجنود ونشاطهم لكي تنتصر على أوكتافيوس ويكون انتصار السفن المصرية
عائداً عليها بالمجد والفخار فجعلت مدار الحرب على جنودها البحرية لتغلب خصمها بجندها فحصل
القتال بين سفن الرومانيين والسفن المصرية وكانت الحرب بينهما سجالاً فلم ينتصر أحد الفريقين
على الآخر انتصاراً قطعياً حاسماً للتراع فينبما الامر كذلك انصارت ستون سفينة من سفن
كليون بآثره بقوة المجاذيف وانفصلت من بين سفن انطونيوس وهربت صوب جزيرة مورة وفيها
الملكة كليون بآثره هاربة من القتال فآزة من مضمار التزال إمالان الحرب أفرغها والطعن
والضرب روعها تخافت على نفسها من الهزيمة التي عاقبتها ذميمة أو أنه حصل بينها وبين
أوكتافيوس اتفاق سرى ودسائس مكتومة ومواعدة بينهما وبينها فعدت بقر بينها حيث وجدته قرين
سوء فلما رآها انطونيوس قد أدبرت ولى مدبراً وراهها إماماً جباناً منه أو اقتفاء أثرها لتعلقه بها وعدم
قدرته على فراقها وبالجملة فقد هرب كل منهما الى مصر فالتقى أثرهما أوكتافيوس وسلمت اليه
كليون بآثره مدينة فرما التي هي مفتاح الديار المصرية وأرادت بهذه الخيانة أن تصيب اليه حتى ينتهي
الحال بها أن تنصل من انطونيوس وكان انطونيوس لسوء محظته يعتمد على أمانتها ولا يخطر له
ببال أنها سلمت مدينة فرما مقصداً ولو قيل له ذلك لا يصدق له لاسيما وأنه في يوم وصول أوكتافيوس أمام
مدينة فرما كان انطونيوس دخل الاسكندرية وأطلع الملكة على دفتر العساكر الذين حاربوا
معها وامتازوا في الواقعة وفي اليوم الثاني من دخوله الاسكندرية خاتته العربان وتجزوا عليه
مع خصمه وانفصلت عنه العساكر المشاة وانضمت السفن المصرية الى سفن قيصر وولاشك
أن هذه فعله كليون بآثره لانها جردت انطونيوس من جميع الجنود حتى من السفن البحرية اه
ثم عدت كليون بآثره بعد ذلك الى الخيلة فاخفت نفسها وكل أمتعتها وأشاعت أنها ماتت ولما علم
انطونيوس بذلك لم يعد يهوى الحياة بعدها وأمر أحد عبده بأن يقتله لأن العبد لما رفع السيف

وهم بطعن سيده لم تسمع نفسه بذلك بل طعن به ذاته فخرقتيلا ويقال ان انطونيوس لما رأى ذلك
تجلى وتناول خنجر او طعن به نفسه فمات وبعد ذلك استولى أوكتافيوس على مدينة الاسكندرية
ولم تزل كليون بارثوما كانت تظنه وقتلت نفسها كما سيأتي مفصلا في بابها وانقرضت دولة البطالسة
واستولى الرومان على مصر وأساطيلها

قال الويس أميرال جوريان دولاغرافير بعد أن شرح واقعة أكسيوم شرحا عسكريا بالبحر
يا ان واقعة أكسيوم مكنت أربع ساعات قتل فيها كل رواد بلوتارك نحو خمسة آلاف رجل وتلك
خسارة ضعيفة بالنسبة لاساطيل عديدة كالتى كانت با أكسيوم وبالنسبة ليوم حاز هذه الشهرة
وروى آخرون ان مدة القتال استمرت ١٤ ساعة قال من روى هذا الخبر ان القتال ابتدأ الساعة
الخامسة صباحا وانتهى في الساعة السابعة مساء ولم يتحدث واقعة بحرية طال زمنها كهذه الواقعة
الا القليل وقد قدر المؤرخ أوروزو (Oroso) ما فقدته أساطيل انطون فقط باثني عشر ألف
قتيل وستة آلاف جريح ومن المحقق أن ثلاثمائة سفينة سلت الى أوكتافيوس في اليوم الثاني من
سبتمبر (٣١ ق م) وبعد ذلك بسبعة أيام سلت أيضا جنود كانيديوس الى أوكتافيوس
وبينما كانت بلاد اليونان التى تخلصت من ثقل نيرالعبودية تصفق استحسانا لانتصارات أوكتافيوس
ذهب انطونيوس ونزل ببلاد ليبيا أما كليون بارثوما فاستمرت سائرة نحو مصر ولسو عظم انطونيوس
تجلى عنه جميع أتباعه من قواد وحكام وجنود وأخذوا يتصلون عنه الواحد بعد الآخر ويترون
دعوتهم وفي تلك الاثناء كان أوكتافيوس وصل الى سوريا ثم توجه انطونيوس الى مصر اه

(الفصل الثالث)

البحرية عند الرومان

سبق ذكر البحرية عند الرومان بالجزء الاول ومع ذلك فقد رأينا من المفيد والمهم أن نذكر
هنا ملخص ما قاله الاميرال جوريان دولاغرافير في الفصل الثالث والسادس من الجزء الاول من
تأليفه عن بحرية البطالسة والرومان لاشتماله على بعض معلومات لم نذكرها فيما تقدم قال اعلم
أن الرومان لم يكن لهم ذكر في البحار قبل الحروب اليونيقية الا أنهم لما اضطروا للبناء لاساطيل
أخذت قوتهم تترقى في البحار شيئا فشيئا عندما شرعوا في حروبهم الاولى مع قرطاجنه خصوصا في
زمن القناصل ماركوس (Marcus) واتيليموس (Attilius) وريكوس (Regulus)
ولوسيوس (Lucius) ومانيوس (Manlius) وصار لهم الشأن الاول بعد الواقعتين
البحريتين اللتين حصلتا في اكموم (Enom) (٢٥٦ ق م) وفي جزيرة اجادس (Egades)
(٢٤٢ ق م) حيث انتصرت فيهما أساطيلهم على أساطيل قرطاجنه وكانت التجربة الاولى
تحت قيادة ريكوس ومانيوس والثانية تحت قيادة القنصل لوانينيوس ولما قوى أمر الرومان
في البحار تمكنوا باساطيلهم العديدة من مد فتوحاتهم با سيبيا وقريقية وأ كتر جهات أوروبا
وغيرها وصاروا كثر تغور البحر المتوسط الابيض يخفق عليه علمهم وبعدها انتصار أوكتافيوس على
انطونيوس وكليون بارثوما في واقعة أكسيوم كما سبق استولى الرومان على أساطيل البطالسة والقطر
المصري وصار أوكتافيوس رئيسا لمجلس الجمهورية ثم تلاقب بلقب امبراطور وأخير ادعى اغسطس

(١) مؤرخ وكهنوتى كان بالقرن الخامس من الميلاد ولد بمدينة طر كونه من اسبانيا وله تاريخ ضد عماد الاونان

وتحوّلت الجمهورية الرومانية من جمهورية الى ملكية واتسع نطاق الرومان في زمنه وقد رأى هذا الامبراطور لزوم اتخاذ محطات بحرية في أكثر جهات المملكة لحماية أملاكها الشاسعة بالاساطيل وبذلك أخذ يبنى سفنعا عديدة في فرضتى اكيلى (Aquilee) و فريجوس (Frejus) وغيرهما وخصص لجون نابولى أسطولا عظيما ووضع أقوى أساطيله في رأس مسيني وجعل البحر الادرياتيک أسطولا والبحر الاسود أسطولا آخر وجعل لنهر الدانوب أسطولا من سفائن خفيفة يمكن جعلها جسرا عند اللزوم وبتدعيمها جسرا كوكسين (Cuxin) وخصص لسواحل الشام أسطولا كما خصص للقطر المصرى أسطولا آخر واتخذ كارپاثوس (Carpathos) بجزيرة رودس محطة عمومية كما جعل في مياه بريطانيا أسطولا في سوم (Somme) وجعل لنهر الرين أساطيل مخصوصة وبذلك بلغت قوّة الرومان البحرية في أيامه درجة عظيمة قبض بها على صولجان البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود وبحر الادرياتيک والمحيط الاطلنطي وتمكن من مد أسفاره البحرية بالبحر الاحمر والمحيط الهندى والى كثير من السواحل الشرقية اه

ويفهم من هذه الرواية وروايات كثيرة أخرى أن ابتداء البحرية لدى الرومان كان وقت حروبهم مع قرطاجنه ولكن خالفهم في هذه الرواية كثيرون أيضا وقالوا ان الرومان كان لهم قبل هذا الوقت أساطيل بحرية ومن أثبت هذا القول المؤرخ الانكليزى جون كرفول الذى قال انه بعد أن تغلب الرومان على تاركان سكستوس (Sextus Tarquin) وانتهجوا برووس للقنصلية عقد مع قرطاجنه معاهدة ورد في أحد بنودها أن لا يتجاوز أحد المتعاهدين أو المتفقين معه نقطة صار تعيينها في المعاهدة وبذلك يثبت جليا أن الرومان كانت لهم قوّة بحرية في زمن برووس وقال هذا المؤرخ أيضا انه قبل فتوحات دوو يلبوس بنحو مائتى سنة أى في سنة ٢٨٠ من بناء رومة هاجم الرومان فرضة انتيوم (Antium) واستولوا منها على عشرين سفينة بحرية من نوع الغالى ونقلوها الى نهر التبر وأوقفوها فيه أمام دار الصناعة وروى أيضا أنه في سنة ٤٥٠ من بناء رومية عندما انتخب الالهالى اثنين من التريبون فى السيناتو أقاموا أحدهما المدعو ديسوس موس (Mus Decius) مأمورا لنظارة البحرية الرومانية فاذا لم يكن للرومانيين سفن وقتها فلا يعقل تعيين مأمورها ولا يصح أن ينسب الى أمة اشتهرت بالعقل أن تعينه على لاشئ وروى غيره من المؤرخين مثل فاليريوس (Valerius) أنه في نحو سنة ٤٧٥ من بناء رومية ظهرت أمام تارنتوم (Tarentum) دونتاروماتية مشكلة من عشرين سفن من نوع الغالى تحت قيادة أحد التريبونيينسمى كورنيلوس (Cornelius) ولما كان أهل تارنتوم يفوقون الرومان فى البحرية ساقوا عليهم أساطيلهم وتمكنوا من اغراق سفينة رومانية وأسروا أربع سفن أخرى ومن كل ذلك يتضح أن رومية كانت تلك أساطيل بحرية قبل الحرب البونيقية الاولى الا انها كانت ضعيفة

ولما قامت الحروب الداخلية فى مملكة الرومان فى أوائل القرن الرابع للميلاد وتصادمت القوتان البحرىتان الرومانيتان ببعضهما حدث من ذلك انقراض بحرية دولة الرومان العظيمة قال المؤرخ روزيموس انه فى سنة ٣٢٣ م جهز قسطنطين لاجيه لوسينيوس أسطولا يدافع به يتكوّن من مائتى سفينة بحرية بكل سفينة ثلاثون مقسدا فاونحو الى سفينة للنقل غير معينة القدر وتمكن لوسينيوس من الحصول على ثمانين سفينة مصرية ومثلها فينيقية وستين سفينة من بلاد يونية

ودوربه وثلاثين من قبرص وعشرين من قوربه وثلاثين من بننيه وجهازه الاقري يقمون خمسين سفينة
وبذلك بلغت عمارته ٣٥٠ سفينة ومما يدل على تقدم الرومانيين في انشاء السفن أن قسطنطين
أمر بنقل احدى المسلات المصرية من مدينة الاسكندرية الى رومية وكانت هذه المسلة تامه لم يعثد
عليها أحد الى ذلك الوقت وكان طولها ١١٥ قدما وثقلها ١٥٠٠ طونيلاطه وقد أنشأها
الرومان سفينة لنقلها لا يمكن أن يكون طولها أقل من ١٥٠ قدما وجولتها لا تتقص عن ألف طن
وناهيك مما يلزم لذلك من آلات جبر الاثقال التي استعملت في رفع تلك المسلة ووضعها بالسفينة
ولمات ثيودوسيوس سنة ٣٩٥ م واقتسم ولده هرونوريوس واركا ديوس المملكة الرومانية
بينهما وبعلاهما مملكتين شرقية وغربية كما مر بك في الجزء الاول من هذا الكتاب وصارت مصر من
أقسام المملكة الشرقية التي تعرف بالبوزنطية وبدولة الروم السفلى اعتمق المصريون الديانة المسيحية
وأخذت الدولة البوزنطية تشييد الاساطيل وتهتم بأمر القوة البحرية وترسل سفنها في البحر الاسود
لتوسع نطاق التجارة مع معظم البلاد الساحلية في وقتئذ وصارت سفنها الحربية والتجارية تجول في
سواحل سوريا والديار المصرية وصارت تنقل الغلال من مصر الى القسطنطينية واستمرت السفن
التجارية المصرية على نشاطها القديم في البحر الاحمر وغيره وتردد على ثغور بلاد العرب والحبشة
والسواحل الهندية وتنقل منها التجارة الى الاسكندرية التي كانت لم تزل مركز التجارة الشرقية
والمغربية وفي عهد جستينيان امتنعت من الجولان عند مصاب أنهر الهند وخليج كامباي وبقيت
تسافر الى سيلان فقط وان أمعن في السفر زيادة عن ذلك فلا تعدى مدينة كوسماس
(Cosmas) ولما كانت مملكة الحبشة قد ارتبطت بالكنيسة المصرية من سنة ٣٢٠ م وأقام
بطريرك الاسكندرية قرومنتيوس أسقفا للحبشة زادت العلاقات التجارية بين الطرفين وروى بعض
المؤرخين انه عند ما جهز كالب ملك كسوم حملة للاغارة على بلاد العرب لفتح مملكة اليمن (٥٧٠ م)
ورأى أن السفن التي كانت مستعملة بتلك السواحل صغيرة الحجم استعان بالسفن المصرية التي كانت
تمخر بالبحر الاحمر على نقل جيوشه وأقباله من السواحل الحبشية الى ساحل العرب فساعدته على
مرغوبه وكانت الاساطيل البوزنطية وقتئذ تتركب من أنواع مختلفة من السفن الحربية فكان
يتألف من السفن الجسمية بها الاسطول المرابط في الثغور المهمة ولا يتحرك من مكانه الا للتعليم أو لعل
مهم وأما باقي السفن الخفيفة التي من نوع الاغربة والشواني فكانت مجهزة بالشرع والمجاديف وهي
التي جعلت مستعدة لكل الاعمال الحربية البحرية حتى في الانهر لثقتها وسرعة حركتها وكانت أغلب
الاساطيل التي تعين لمصر مشكلة من هذا النوع لتمكن من الصعود في النيل بغاية السهولة وبقيت
التجارة البحرية في الديار المصرية على زهوها الى أن أخذت الدولة الشرقية في الانحطاط والتقهقر من
زمن هرقل (٦١٠ ق م) وكان الاقباط يشاهدون قرب سقوطها تهديد الفرس لها من الحدود
الشرقية والمغاربة ينتظرون الفرص ليستقلوا في بلادهم الاقريقية وبقيت على ذلك الى أن استولى
العرب على الديار المصرية تحت قيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه (٦٤٠ م - ١٨ هـ) ومات
هرقل وولده جيهز نائب السلطنة البوزنطية عمارتين من السفن وقصد أن يسترد كرسي مصر الى
الاسكندرية من المسلمين فرست سفن الروم على مين فاروس مرتين فدافعها عمرو بن العاص عن مدينة
الاسكندرية وثبت قدم الاسلام فيها وأخذ يهتم باصلاح شؤون مصر وتوطيد الملك فيها كما سبق شرح

ذلك في الجزء الاول ولم يكن بالسواحل المصرية وقتئذ الا بعض سفائن التجار وما غممه المسلمون منها من الروم وقت الفتح والمرالكب التي تخمر بالنيل

(الفصل الرابع)

الملاحه والبحريه المصريه في دول الاسلام الاولى

قال العلامة المقريري في صحيفه ١٨٩ من الجزء الثاني من خططه ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحري ركب للغزو في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأول من ركب البحر في الاسلام للغزو والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه وكان على البحرين من قبل أبي بكر رضي الله عنه فأحب أن يؤثر في الاعاجم أثر ايعز الله به الاسلام على يديه فنذب أهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارودين المعلى رضي الله عنه وعلى الثاني سوار بن همام رضي الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساري رضي الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم في البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه لا يأذن لاحد في ركوب البحر غازيا كراهة للتغيري بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضي الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخر جوا في اصطنخروا بانهم أهل فارس عليهم الهرذخا الوابن المسلمين وبين سفنهم فقام خليد في الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا عما صنعوا على أن يدعوكم الى حربهم وانما جئتم لحربهم والسفن والارض بعد الان لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في موضع يدعى طاوس فقتل من أهل فارس مقتلا عظيما لم يقتلوا مثله اقبلها وخرج المسلمون يديون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعمسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضي الله عنه وكتب اليه بعزله ووعده وأمره بأنقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمر سعد بن أبي وقاص عليه وقال الحق بسعد بن أبي وقاص بن معك فخرج رضي الله عنه من البحرين بن معه فحوسعد رضي الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضي الله عنه الى عتبة ابن غزوان بأن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين في البحر فأقطعهم الى فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك فحشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فانذب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يجتاحوا فانذب عتبة رضي الله عنه الناس وأخبرهم بكتاب عمر رضي الله عنه فانذب عاصم بن عمرو وعرجة بن هرثة وحذيفة بن محصن ومجرة بن ثور ونهار بن الحارث والترجان ابن فلان والحسين بن أبي الحر والاحنف بن قيس وسعد بن العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة ابن معوية رضي الله تعالى عنهم فساروا من البصرة في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم رضي الله عنه فساحل بهم حتى التقى أبو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ أهل اصطنخرا أهل فارس كلهم فأبوههم من كل وجه وكورة فالتقواهم وأبو سبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ورجع أهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشام ألح معوية بن أبي سفيان وهو يومئذ على جنود دمشق

والاردن على عمر رضى الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حصص وقال ان قريه من قري حصص لسمع
 أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضى الله عنه اتهم معويه لانه
 المشير فأحب عمر رضى الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لي البحر
 وراكبه فان نفسى تنازعنى اليه وأنا أشتهي خلافاً فكتب اليه يا أمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقاً
 كبيراً يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركداً حزن القلوب وان زللاً أزاغ العقول يزداد فيه
 اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجار يقرب فلما جاءه كتاب عمر وكتب
 رضى الله عنه الى معويه لا والذي بعث محمد بالحق لأجل فيه مسلماً أبداً ناقدهم معنا أن بجزر الشام
 يشرف على أطول شئ في الارض يستأذن الله تعالى في كل يوم وليله أن يفيض على الارض فيغرقها
 فكيف أجمل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب والله لمسلم واحد أحب الى مما حوت به الروم
 فإياك أن تعرض لى وقد تقدمت اليك وقد علمت مالى العلاء منى ولم تقدم اليه في مثل ذلك وعن
 عمر رضى الله عنه أنه قال لا يسألنى الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبداً وروى عنه ابنه عبد الله
 رضى الله عنهم أنه قال لولا آية في كتاب الله تعالى لعوتوا كعب البحر بالدره

ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه غزا المسلمون في البحر وكان أول من غزاه
 معويه بن أبى سفيان وذلك أنه لم يزل بعثمان رضى الله عنه حتى عزم على ذلك وقال تنتخب الناس
 ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزوطا فاجله وأعمه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس
 الحامى خليفة بنى فزاره فغزا خمسة من غزوة من بين شانية وصائفة في البر والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم
 يتكب وكان يدعوا لله تعالى أن يرزقه العافية في جنده ولا يبتليه بمصائب أحد منهم حتى اذا أراد الله
 عز وجل أن يصيبه في جنده خرج في قارب طليعته فانهى الى المرفأ من أرض الروم فثار به الروم وهجموا
 عليه فقاتلهم فأصيب وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا ٥

ولما صدر امر الخليفة بالتصريح بركوب البحر أخذت العمال تصنع السفن فصنع في مصر رجلاً
 سفائن أخذت أشكالها من سفن الروم التي استولى عليها عمرو بن العاص في واقعة الاسكندرية وأول
 من خرج قائداً على أسطول مصر المركب من مائتى سفينة لغزو قبرص عبد الله بن سعد بن أبى سرح
 سنة (٢٨ هـ) ثم في سنة (٣٤ هـ) فادأسطولا آخر بتألف من مائتى سفينة وغزاه في البحر قال
 المقرئ لما أتاه قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد الاسكندرية سار عبد الله في مائتى مركب
 أوتريدشياً وحاربه فكانت واقعة ذات الصواري التي نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل
 جنده ومن حديث هذه الغزوة كما قاله المقرئ ان عبد الله بن سعد لما نزل ذوالصواري أنزل نصف
 الناس مع سير بن أرطاة في البر فلما مضوا أتى ات الى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك
 ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيقافقام عبد الله
 ابن سعد بن ظهرانى الناس فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا على فما كلمه
 رجل من المسلمين جلس قليلا لترجع اليهم أفتدتهم ثم قام الثانية فكلهم فما كلمه أحد فجلس ثم قام
 الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا على فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد
 فقال أيها الاميران الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
 فقال عبد الله اركبوا اركبوا وانما في كل مركب نصف شخصته لانه قد خرج النصف الآخر الى البرمع

بسرقلقوهم فاقتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاثين شهرا وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نقتلوا بالنبل والنشاب فهم يرمون بالجار فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نقتلوا بالجار وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذلك تفرق بالسلال عند القتال قال ففر من كعب عبد الله يومئذ وهو الامير جركب من مراكب العدو فكان من كعب العدو ويحترق كعب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلالة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة ابنة حنيفة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلالة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى أبيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على قهاراى فان تركها أفعل فكلهم عبد الله علقمة فتركها فزوجهها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فزوجهها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فزوجهها بعده كريبن أبرهة وماتت فحتمت الروم الى قسطنطين بن هرقل في سنة ٣٥٠ فقالوا أتترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينة بيتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدر ان تعملوا ساعة اذ القيتم العرب قالوا اخرج على أننا نحوت فتبايعوا على ذلك فخرج في ألف من كعب يري الاسكندرية فسار في أيام غالبية الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرتهم الاقسطنطين فانه نجى كعبه فآلقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا اشتت النصرانية وأقنيت رجالها ودخلت العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب قال أبو عمر والكندي وانما سميت غزوة ذى الصواري (زيواره) لكثرة صواري المراكب واجتماعها اه وهذه الواقعة تسمى في كتب الفريج بواقعة فونيك (Phoeniconte) البحرية لتوقوعها بالقرب من فونيك وبعده هذه الواقعة ازدادت أساطيل الاسلام بسرعة حتى ان أساطيل معوية تمكنت من فتح بوغاز كلبولى سنة ٦٥٥ م وأخذ معوية يهتم تجهيز الاساطيل ثم قصد في سنة ٦٦٨ م فتح القسطنطينية الا أنه لم يوفق لذلك وأصاب أساطيله من الحريق بالنار الاغريقية ما تقدم ذكره مما كان سببا في رجوع المسلمين عنها

قال المقرئ ان أول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتمد عند ما نزل الروم مياطي في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحق فلكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تيس فاقاموا باشتومها فوق الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الامراء الى الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بحاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول جبان ولا جاهل بأمر الحرب هذا ولتأس اذ ذلك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه لا جرم أنه كان لخادم الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جلتهم فيسعى بالوسائل حتى يتمرقبه وكان من غزوا الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ فكانت الحرب بين المسلمين والروم حيا لا ينال المسلمون من العدو كما ينال منهم ويأسر

بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام على بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر والشام
وافريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان أول فداء وقع بمال في الاسلام أيام بنى العباس
ولم يقع في أيام بنى أمية فداء مشهور وانما كان يقادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر
والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الخزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هرون الرشيد
فكان الفداء الأول باللامش من سواحل البحر الرومي قريبا من طرسوس سنة ١٨٩ هـ وملك
الروم يومئذ تقفور بن أشيران وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر عمر حادق من بلاد
قسرين في أعمال حلب ففودي بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكرا و أنثى وحضر هذا الفداء من أهل
الثغور نحو خمسمائة ألف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيول والسلاح والقوة قد أخذوا
السهل والجبل وضاق بهم القضاء وحضرت مع كبر الروم الحربية بأحسن ما يكون من الرى معهم
أسارى المسلمين فكان عدة من فودي به من المسلمين في اثني عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام
ابن الرشيد باللامش أربعين يوما قبل الايام التي وقع فيها الفداء والثاني كان في خلافة الرشيد أيضا
باللامش في سنة اثنتين وتسعين ومائة وكان ملك الروم تقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك
الخزاعي أمير الثغور الشامية حضره ألاف من الناس وكان عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام
ألفين وخمسمائة من ذكرا و أنثى اهـ

وبعد أن استبد أحمد بن طولون بالديار المصرية وتقلد خراجها مع المعونة والثغور الشامية اهتم
بأمر الاساطيل اهتماما لا من قبل له فزاد في بناء السفن وتجهيزها بالالات والرجال ليتمكن بها من
المحافظة على الثغور وكانت دار صناعة جزيرة الروضة في أيامه عامرة وهي أول صناعة عملت بفسطاط
مصر بنيت في سنة أربع وخسين من الهجرة وكان ينشئ بها الخربيات والشنديات وغيرها من أنواع
السفن وصار له بها الهبة في قلوب أعدائه ونفذ بها جميع مقاصده في السواحل الشامية وغيرها وقد
بلغت أساطيله الدرجة العليا من القوة العظيمة ولما قام الخلاف بينه وبين الموفق وعزم الموفق على
الايقاع بابن طولون وبلغه ذلك أخذ يهيئ أسباب الدفاع فتأمل الى مدينة القسطاط فوجدها لا تؤخذ
الامن جهة النيل فأمر ببناء حصن على الجزيرة ليكون معقلا لخرمه وذخائره وانخذل مائة من كبر
حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والمجاثم والعشاريات والسنايب وقوارب الخدمة وعمد
الى سد وجه البحر الكبير وأن يمنع ما يجي اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر المالح الى النيل
بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفا مما يجي اليه من مراكب طرسوس وذلك
في سنة (٢٦٣ هـ) واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر
الامتناع من موسى بن بغا قائد الموفق بكل ما قدر عليه وقبل أن يقع قتال بين الطرفين مات موسى
ابن بغا (٢٦٤ هـ) واطمأن ابن طولون قال ابن اياس في تاريخه انه لما مات أحمد بن طولون
(٢٧٠ هـ) كان من خلفائه من المراكب الحربية والشواني ألف من كبر ثم اعتمى بنوه من بعده
بانشاء المراكب الحربية في هذه الصناعة وبقية القوة البحرية في أيامهم حافظه لشأنها وفي أول حكم
ابنه أبو الجيش خجارو به بعث بمراكب حربية في البحر لتقيم على السواحل الشامية (٢٧١ هـ)
ولما ولي أبو موسى هرون بن خجارو به يوم خلع أبو الجيش قامت طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن
أحمد بن طولون ودعوه للقيام فاشتعلت نار الفتن وبعث الميكنفي محمد بن سليمان الكاتب للجملة على بنى

طولون ونزل حص وبعث المراكب الحربية من الثغرى الى سواحل مصر وسيرونها سنة ٢٩١ هـ
المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان في تنيس وبعد حروب استظهرت مراكب محمد بن
سليمان عليها وملك أصحابه تنيس ودمياط ومن وقتئذ أخذت بحرية بنى طولون في الانحطاط الى
أن انقرضت

أما في عهد الدولة الاخشيدية فقد انحطت القوة البحرية المصرية لاسباب الفتن التي كانت
قائمة في عهدهم قال المقرئ لما قدم الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد اميراً على مصر من قبل
الخليفة الراضى عوضاً عن أحمد بن كيغغ في سنة ٣٢٣ هـ وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى بن أحمد
السلمى أبو مالك كبير المغاربة في طاعته ومضى معه بحكمه وعلى بن بدر وتطيف النوشري وعلى
المغربى الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعدين الكلكم عمرا كبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا امرأته
وركب فيها على بن بدر وبحكمه وقدموا مدينة مصر أول يوم من ذى القعدة فأرسلوا بجزيرة الصناعة
وركب الاخشيد في جيشه ووقف حياهم والنيل بينهم وبينه ففكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين
صاحبها الماء ليست بشئ فأقام بحكمه وعلى بن بدر الى اخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد
الاخشيد الى داره فأخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بساحل مصر القديم
في شعبان سنة ٣٢٥ هـ وابتدأ في انشاء المراكب بها اه وقال أيضاً لما كانت الفتن بعد موت كافور
الاخشيدى طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة ٣٥٧ هـ في بضع وعشرين مراكب فاقتلوا
وأسرروا مائة وخمسين من المسلمين اه ولو كانت أساطيل الاخشيد في وقتها قوية لم تجسر الروم على
مهاجمة السواحل المصرية وفي خلال ذلك كانت دولة العبيديين باقية بقية طامعة في الاستيلاء على
مصر في سنة ٣٠٧ هـ أقبلت مراكب صاحب افرريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم
عمل الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقى برشيد في شوال فاقتتلا فبعث الله ريحاً على مراكب
سليمان ألقها الى البر فتكسراً كثرها وأخذ من فيها باليد وقتل أكثرهم وأسمر من بقى وسبقوا الى
القسطنطين فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وبعد ذلك مضى عمل الخادم في مراكب الى الاسكندرية فقاتل
من بها من أهل افرريقية فظفر بهم ونقل أهل الاسكندرية الى رشيد وعاد الى القسطنطين ومضى في
مراكب الى اللاهون وما زالت الاسكندرية وأعمالها والاخشيديون في اضطراب الى أن قدمت
جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ٣٥٨ هـ وملكته وانقرضت بعد ذلك الدولة
الاخشيدية وقامت في مصر دولة القواطم

قال المقرئ وقويت العناية بالاسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب
واقترى به بنوه وكان لهم اهتمام بامور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر
والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمستطعات وتسميرها الى بلاد الساحل
مثل صور وعكا وفسطاط وكانت جريده قواد الاسطول في آخر أمرهم تزيد عن خمسة آلاف مدونة
منهم عشرة أعيان يقال لهم القواد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر
دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهي أقبلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة الى
أن قال وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والقائش فاذا
ساروا الى الغزو وكان هو الذي يقطع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه وبه يلعون باقلاعه ولا بد أن

يقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة في غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت في أيام المعز لدين الله تزيد عن ستمائة قطعة وآخر ما صارت اليه في آخر الدولة الفاطمية نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر محالات فانتقص عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتمش عصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهم فيجتمعون وكانت لهم المشاهدة والجرايات في مدة أيام سفرهم وهم معر وفون عند عشر بن عربا يقال لهم النقباء ولا يكره أحد على السفر الى أن قال فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف في الخدمة من جائب واحد نقابة نقابة وتكون أسماءهم قدرت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة الى أن قال وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما دينار فيسألهاه النقيب وتكتب باسمه ويبيده فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانقضى ذلك الجمع فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمس خارج القاهرة وكان هناك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاذا فاذا جلس هو الوزير للوداع جاءت القوادى المراكب من مصر الى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بالسلمحتا ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتحدر وتقلع بالمجازيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر المالح ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصف ما يريد للجماعة بالنصر والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتهدر الى دمياط وتخرج الى البحر المالح فيكون لها بيلاد العدو وصيت وهيبة فاذا وقع لهم مراكب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك للاسطول والعادة أنه اذا غنم الاسطول ما عسى أن يغنم لا يتعرض السلطان منه الى شئ البتة الا ما كان من الاسرى والسلاح فإنه للسلطان وما عداها من المال والسياب ونحوها ما فإنه لغزاة الاسطول لا يشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضاً الى منظرة المقس وجلس فيها للقاءه وقدم الاسطول مرّة بالف وخمسمائة أسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم في المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويعضى بالنساء والاطفال الى القصر بعدما يعطى منهم الوزير بطائفة ويفسّر ما بقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمون ويربون حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم التراب وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفريخ عمال ولا بأسير مثله وقال المقرري آخر ما صارت اليه الاساطيل في آخر الدولة الفاطمية نحو ٨٠ شونة وعشر مسطحات وعشر محالات فانتقص عن مائة قطعة قال المقرري أيضاً وأيت بخط الاسعد بن ممان أن عدته الجيوش بمصر في مدة أيام رزيق بن الصالح طلائع كانت ٤٠٠٠٠ فارس و ٣٦٠٠٠٠ راجل وزاد غيره وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية وقال أيضاً انه نزل الاسطول معتنى به في دولة الفواطم الى أن كانت وزارة شاور ونزل مري ملك الفريخ على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا اه

وكانت السفن الحربية في زمن الفواطم تصنع في جملة جهات لتعدد دور الصناعات المصرية

في أيامهم منها صناعة المقس وصناعة الجزيرة وصناعة مصر والاسكندرية ودمياط قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة العزيز بالله ان الله انشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مينا وقال المسيحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبراً وناقة وحسناً قال المقرئ وكانت جميع مركاكب الاساطيل لا تنشأ الا بالصناعة التي بالجزيرة فان ذكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشواني وغيرهما من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزيب وأنشأ المنظر فيها واسمها باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم الاساطيل ورهيباً بالمنظر المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجزراني والشنديات في الصناعة بالجزيرة قال ولما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عدوا في احداهما الى المقياس وقال ابن الطويراني قدمه في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمار وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشارياً وياوياً بأشهر وديعاً ستمائة عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليفة وغيرها وكل منها رئيس ونوافي لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهي تجر لهم وينفق في رؤسها ورجالها أيضاً كما لو ان مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد في العشاري المرسى بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللشارفين بالاعمال عشاريات دون هذا وفي هذا الديوان برسم خدمة ما يجري في الاسطول نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الخواصل لعمارة المراكب شئ كثير واذا لم يفر ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يستدخله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الطرية والشنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان اه

وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاصم ووصل الفرنج الى دمياط سنة ٥٦٥ وهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على ٥٥٠,٠٠٠ دينار فأقامت الحرب مدة ٥٥ يوماً وكانت صعبة شديدة واتهم في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بما لاقوه من الفرنج ومكابنتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغزالي قدموا الى مصر من الشام بحجة أسد الدين شيركوه فخرت الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغزالي فاستمدوا اخوانهم أهل صقلية فأمدوهم بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرقة فساروا بالديارات والنجانيق وزلوا على دمياط في الاساطيل التي ذكرناها وأحاطوا بها ببحر او براوا اشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين الى نورالدين محمود بن زكي صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفاً من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شياً بعد شئ وخرج نورالدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نورالدين أن يتمكن منها فحلوا عن دمياط بعد ما غرق

لهم نحو الثلاثمائة مركب ومن وقتئذ رتبت المقاتلة على البرجين وشدت من اكب الى السلسلة ليقاتل عايبا ويدافع عن الدخول من بين البرجين اه من المقرري والذى جعل الفرنج يستطيعون على أرض مصر بهذه الصفة أن العناية لم تكن موجهة بمصر اذ ذلك لاهم الاساطيل عقب سقوط دولة الفواطس قال الفاضل محمد شكري أفندي في تاريخه المسمى بالاستفارة البحرية العثمانية ما ملخصه

قد تكلم كثير من مؤرخي أوروبا عن أساطيل العرب ومدحوا تقدمهم في سلوك البحار وفي صناعة السفن لكن صاحب التاريخ العمومي الانكليزي جون كارنوك (John Charnock) خالفهم في ذلك حيث قال عند كلامه على وقوعات بحرية عموم الملل ان العرب توفقوا في كثير من الاسفار البحرية الا انهم لم يعمدوا فيها كخادمين لتزيينات الفنون والصنائع البحرية حيث كانت أسفارهم المذكورة لغرض مخصوص يقصدون منه تنفيذ أعمالهم فقط وغير ذلك من الاقوال التي أظهر فيها التعصب على العرب ونسبهم الى الجهل في الاعمال والفنون البحرية وهو يقصد من ذلك اسقاط منزلتهم في تاريخه بعبارة سقيمة فرار من الاقرار لهم بالفضل المتقدم ولا يذكر أن دول أوروبا أخذت في القرون الوسطى عن العرب التمدن وآثار العمران وأكثرت العلوم والمعارف لاننا لو نظرنا الى الزمن الذي ظهر فيه الاسلام وتقدم جيوشه العربية بالفتوحات حتى فازت بالاستيلاء على الاندلس وصار العرب متاجرين لامم الفرنج نجد أن ذلك الزمن كان عقب انقراض دولة الرومان الغربية وقيام اقوام الجرمانيين وقبائل الشمال الوجوديين واستيلائهم على أكثر بلاد أوروبا واطفائهم نور العلم منها حتى لم يبقوا فيها من آثار مدينة الرومان شيئا يذكروا فآخذت العرب من وقتئذ تهمتهن بنشاطهم المشهور في تحسين وترقية أمور دولتهن فتقدموا في كثير من المعارف والعلوم حتى أتقنوا صناعة السفن وصاروا مهرة في سلوك البحار ويمكن أن نعتدهم أول الاقوام الذين قاموا بالاكتشافات في البحر المحيط الاطلنطي ويؤيد ذلك رواية الجغرافي العربي الشهير العلامة الادريسي عند كلامه على الملاحين المعروفين بالمغربيين الذين قاموا في الوقت المذكور بكل نشاط لهذا العمل المفيد فن الجغرافيا فاعلوا بسفنهم من اشبونة (ليسبون) عاصمة البرتغال الآن بقصد البحث عن اراض جديدة في المحيط الاطلسي فاكشفوا جزائر قناريه وقال انه عند عودتهم الى الساحل الافريقي رسوا بسفنهم امام قرية من أعمال مراکش عرفت الآن بآسني ويقال ان هذا الاسم اشتق من أن أولئك الملاحين لما وصلوها وعرفوا بعدهم عن بلادهم الاندلسية قالوا واأسني تأثر اطلاق هذا اللفظ على الثغر المذكور وصار يعرف بذلك وروى غيره أنه بعد هذا الاكتشاف اتخذ العرب جزائر الخالدات (قناريه) المذكورة مرسداً للاطوال ورسوموا خريطهم على حسابها واعتبرها كذلك فيما بعد كثير من علماء أوروبا والحاصل أن المعارف كانت عند العرب في ارتفاع دائم باجتهاد علمائهم الافاضل الذين ملأوا الارض بعلمهم وترجموا كتب العلوم العديدة من اللغة اليونانية وشرحوها وصنفوا عنها عدة مؤلفات ارتقت بها العلوم الرياضية والفلكية وعلم الهيئة والنجوم وكانت هذه العلوم الواسطة الكبرى في تقدم فن الملاحة عندهم وهم أول من استعمل الابرة المغناطيسية (البوصله) في أسفارهم البحرية ويمكن ملاحظتهم بواسطتها من معرفة الشمال والجنوب بالضبط بعد أن كانوا لا يهتدون الى الطريق في البحار الا بضوء النجوم ومواقعها

وبالسواحل البحرية التي كانوا لا يفتنون راقبونها مدة سفرهم وبعد ذلك تمكنوا من الامعان في أسفارهم والابعاد عن البر فامتازوا بذلك عن باقي ملاحي الامم المعاصرة لهم وكانت سفنهم في العهد المذكور تعتمد من أشهر السفن لانفائهم فن انشأها وصناعتها فكان يوجد بدور صناعاتهم من العمال المهرة عددا لا يحصى كانوا في الصناعة كأستاذة ذلك العصر وكان ملاحوا العرب يسافرون بتلك السفن الاسفار الشاسعة لطلب التجارة وينقلون كثيرا من البضائع من ثغور الهند والصين الى جميع البلاد التي كانت تحت حكمهم ولما اخترع العرب الساعات التي هي أساس ساعات الكبر ونومتر عند اورو وباستفادت العلوم البحرية كثيرا وزادت بحريتهم تقدموا أكثر وامن التوغل بين غمار البحور المجهولة وسكن كثير من شعوبهم وقبائلهم عدة جزائر من البحر المحيط الهندي فعمرت بهم منها جاوه وسوماتره وجزائر القمر وأكثر سواحل افريقية الجنوبية وغيرها ويحق أن تعد العرب من أولى العزائم والهمم في الاعمال البحرية وأول الخادمين لترقية فنونها وصناعاتها في الوقت الذي لم يكن لدولة من دول اورو وبافيه اسم يذكر وقد أجمع المؤرخون على أن دول اورو وبأخذت عنهم في القرون الوسطى صناعة الآلات الحربية والادوات البيئية والفنون الزراعية وكثيرا من العلوم ووسائط العمران ونقلت اليهم من اللباس أكثر الحرف والصناعات والحبوب والاشجار المثمرة ثم لما أخذت الاضطرابات في دول الاسلام بالمغرب وقامت دول الافرنج باطماعهم للاستيلاء على ثغور تلك البلاد وكانت ممالك جنوه والبنادقة وساردينيا وبقلمية وغيرها من دول ايطاليا أخذت ترتقي في سلوك البحار حتى نالت الشهرة والامتياز فيه دون سائر الممالك الاوروپاوية بما أخذوه عن العرب من الفنون والصناعة وصارت سفنهم تتردد الى جميع فرض البحر المتوسط الابيض خصوصا بعد أن تعلموا وتلقوا من البلاد الاسلامية كثيرا من العلوم والفوائد النافعة مدة الحروب الصليبية فنقلوها معهم عند عودتهم الى بلادهم وصارت بعدئذ أساطيل دول ايطاليا تتقدم في سلوك البحار حتى اجتازت بونغاز جبل طارق وزارت اسبانيا وسواحل فرانسا الغربية بل وانكثرت كما أنها كانت تنخرق في سواحل الشرق في مياه الاستانة والبحر الاسود في أواخر الدولة البورنظمية

وقد روى بعض المؤرخين أنه لما قاست بعد ذلك حكومة البرتغال واسبانيا بالاكتشافات في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي استعمل خريستوف كولومبوس مكتشف أمريكا وفاسكودوغاما مكتشف طريق الهند في أسفارهما الخرائط التي وجدوها عند العرب وكان لتلك الخرائط في الوقت المذكور قيمة ممتازة لاشتهار أصحابها بالمعلومات البحرية حتى ان فاسكودوغاما استخدم في أثناء سفره رجالا من العرب يدلونه على الطريق الذاهب من رأس عشم الخير الى الهند وباشاراتهم فاز ونجح في أسفاره واكتشافاته التي وصل بها الى الساحل الهندي الجنوبي وبذلك علا ذكره وطارأ أمره وجذب اليه أبصار اوروپا ووجل أهلها على الاقتداء به ولما ترددت أساطيل البرتغال على السواحل الهندية وأحست بذلك أساطيل العرب التي كانت تريح المكاسب العظيمة من نقل التجارة الهندية الى الثغور العربية اضطرت لمداغمة أهل البرتغال لمنعهم عن هذا الطريق قال المؤرخ البرتغالي القس جيروم أوزاريو (Jérôme Osario) في تاريخه ما ملخصه أنه لما وصلت أساطيل البرتغال الى البلاد الهندية بعد مرورها من سواحل

جزيرة العرب أخذت سفنهم تحارب أساطيل البرتغال وفي إحدى الوقائع استظهر الاسطول البرتغالي على سفن العرب وكان من بين سفنهم سفينة حسيمة قاومت البرتغال مقاومة تذكر لانها أضرت كثيرا باسطولهم وكانت سفينة العرب المذكورة مع متانتها وجودتها صنعتهما مسلحة تسليحا متقنا وكان سطحها الخارجي مكسوبا بالخلود وكان هذا الكساء بعد اذ ذلك من أعظم الترقيمات المهمة في فن صناعة السفن وقال ان طائفتها كانوا على جانب عظيم من الدراية والمهارة في فن الملاحة وقد ظهرت في وقت القتال منفعة هذا الجلد لانه كان كحائل منيع ودرع قوي يصدهجمات سفن البرتغال حتى انها قاومت مقذوفات المدافع البرتغالية وحرقاتهم وكانت تلك الخلود تعد وقتئذ من أهم آلات وسلاح الحرب وقد أظن المؤرخ المذكور في شجاعة العرب وسرعة حركتهم الحربية ومهارتهم في ادارة السفينة وقال انهم تمكنوا من مقاومة المقذوفات التي أطلقتها عليهم سفن البرتغال مدة ساعات حتى لم تصب سفنهم بمقذوف منها ثم لما اجتمعت سفن البرتغال أخيرا وسلطوا مدافعهم على تلك السفينة تمكنوا بعد محاربة عدة ساعات من إصابته بمقذوف واحد فخرقها ولما أحس رجالها الابطال بالهلاك لاشراف سفينتهم على الغرق وكانوا يعلمون أن العدو لا يقبل منهم الامان ألقوا بأنفسهم جميعا في البحر وصاروا يسبحون بكل قوتهم يخرجوا الى الساحل الذي كان على بعد بعض أميال من محل الواقعة ولكن قساوة البرتغاليين ساقتهم الى أن أطلقوا على أولئك المساكين القنابل حتى أغرقوا معظمهم وهذا الشك أمر مغاير للانسانية بعد من الاعمال الوحشية اه

قال المقرئ فلما كان زوال الدولة الفاطمية (٥٦٧ هـ) على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب اعترف بأمر الاسطول وأفرده ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان القيموم بأعمالها والجنس الجيوشى في البرين الشرقى والغربى وهو من البرال شرقى بهتين والاميرية والمنية ومن البرال غربى ناحية سفظ ونهياو وسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضا الخراج وهى أشجار من سنط لا تحصى كثرة في البهنساوية وسفظ ريشين والاشمونين والاسيوطية والاشجمية والقوصية لم تزل بهذه النواحي لا يقطع منها الاما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وعين له أيضا النطرون وكان قد بلغ ضمانة ثمانية آلاف دينار ثم أفرده ديوان الاسطول مع ماذ كرازاكة التي كانت تجبي بمصر وبلغت في سنة زيادة عن خمسين ألف دينار وأفرده له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدي وسلم هذا الديوان لانحيه الملك العادل أبى بكر محمد ابن أيوب فأقام في مباشرته وعاملته صنى الدين عبد الله بن على بن ششكر وتقرر ديوان الاسطول الذى يتفق في رجاله نصف وربع دينار بعدما كان نصف وثمانين دينار اه وقيل هذا الوقت كانت قامت دول أوروبا باطماعها وقصدت الاستيلاء على الشرق فاشتعلت نيران الحروب الصليبية وامتلكوا أكثر السواحل الشامية وأخذت أطماعهم وتعبصاتهم تزايد حتى انهم قصدوا الاستيلاء على كعبة الاسلام فلما بلغ صلاح الدين الايوبى خبر تقدمهم على الحدود والحجازية عاد الى مصر مسرعا وأنشأ عمرا كب في دور صنعها وجمعها مفضلة على الجمال (٥٦٨ هـ) الى ساحل أيلة (بحر العقبة) فألفها وألقاها في البحر وشحنها بالخنود وبعده تجهيزها فألق ذلك الاسطول وحاصره مدينة ايلة برا وبحرا ففتحها عنوة وأخذ بعد ذلك يقوى أساطيله في البحر الاحمر وفي خلال ذلك قام البرنس

ارناط صاحب الكرك وعزمها تباع على محاربة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام قال ابن خلدون ما ملخصه فأنشأ أسطولاً مفصلاً وحمل أجزاءه إلى صاحب أيلة وركبه على ما تقتضيه صناعة انشاء السفائن وقذفه في بحر السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا به وأرسل فرقة منه أقامت على حصن أيلة تحمسه وفرقة سارت نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا به من مراكب التجار وطرق الناس منهم بيلة لم يعرفوها لانه لم يعهد ببحر السويس افرنجي محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائباً عن أخيه صلاح الدين فحضر وجهر أسطول مصر وشحنه بالمقاتلة وقال به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ بأسطول الفرنج الذي يحاصر أيلة فزقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم أقطع في طلب الفرقة الثانية من أسطولهم الذي قصد عيذاب فلم يجدهم فرجع إلى رابع فأدركهم بساحل الحوارة وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاعارة على الحاج فلما أطل عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وتراموا على الحوارة وأسفروا إليها واعتصموا بشعاب ساحلها فنزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خييل الاعراب هناك وقتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم إلى متى فقتلوا بها أيام البحر وعاد بالباقي وبما غنمه من سفنهم إلى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء ثم بعد ذلك حاصر صلاح الدين قلعة الكرك إلى أن فتحها عنوة وقتل البرنس ارناط بيده حرصاً على الوفاء بنذره بعد أن عرفه بقدرته وبما كان يرومه من الحرمين هـ

وفي خلال ذلك قصد الفرنج الاسكندرية من صقلية (٥٦٩ هـ) بأسطول مؤلف من مائتي سفينة تحمل الرجال ٣٦٠ طريفة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب وأربعين مراكب تحمل الازواد وكانت عدة الرجال خمسين ألفاً والفرسان ١٥٠٠ فوصلوا على حين غفلة من أهلها في ٢٦ الحجة فخرج أهل الاسكندرية بالسلاح لينعولهم من النزول وأبعدوا عن البلد فأمرهم الوالي بلازمة السور ونزل الفرنج إلى البروق وتقدموا إلى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقتلوا أشد قتال وصبر أهل البلد وكان العسكر عندهم قلائد ورأى الافرنج من شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراهم وسيرت الكتب في الحال إلى صلاح الدين ودام القتال ووصل من العساكر الاسلامية كل من كان قريماً من الاسكندرية فقويت بهم نفوس أهلها وأحسنوا القتال والصبر وهاجوا الفرنج ببسالة حتى وصل المسلمون إلى الدبابات فأحرقوها وصبروا للقتال فدام القتال إلى آخر النهار فأنجلى عن نصر المسلمين فعادوا إلى المدينة مستبشرين بفتور حرب الافرنج وكثرة القتل والجراح فيهم فأتى البشير بقدم صلاح الدين فعادوا المسلمون القتال واشتد خوف الافرنج فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا إلى خيامهم فغنموا ما فيها من الاسلحة وغيرها وأكثروا القتل في رجالهم فهرب كثير منهم إلى البحر وقرى واشوا نهبهم ليركبوا فغرق البعض ونجا البعض وغاص بعض المسلمين في الماء وخرقوا بعض الشواني فغرقت فهرب الباقيون وهذه الحادثة من أهم الحوادث التي جرت على الاسكندرية في الحروب الصليبية ثم سار صلاح الدين من مصر إلى ساحل الشام لغزو الفرنج فيها وكانت حروبه مع الفرنج متواصلة وكان الفرنج ضحية قوا على جيوشه بكماء وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر

(١) قال في القاموس الدبابية مشددة آلة تتخذ للخراب فتدفع في أصل الحصن فيقبولون وهم في حوزتها

جهمز الافرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم
 يشغلوا عنده وقتا ولا الفريقيين برا وبحرا ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم
 بغيبه ثم اشتد الحصار على عكا حتى قلت الميرة فأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية ليعيث الاقوات
 في المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركبها منها ونصبوا فيها الصلبان يوهمون أنه
 للافرنج حتى دخلوا المرسى وجاءت بعد ذلك الميرة من الاسكندرية (٥٨٦ هـ) ثم تابعت
 امدادات الافرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا وحضر لهم ستة مراكب عظيمة
 مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوى الافرنج في عكا وكان صلاح الدين يصاحبهم كل يوم عن مراجعة
 البلد وتقدم الى أسامة في بيروت بتجهيز ما عنده من المراكب والسواني الى مرسى عكا ليشغل
 الافرنج أيضا فبعثها ولبت خمس مراكب انكليزية في البحر وكان ريكاردوس ملك انكلترا أرسلها
 أماريكاردوس فكان على جزيرة قبرص طامعا في ملكها فغنم أسطول المسلمين المراكب المذكورة
 بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين الى سائر النواب باعمال مثل ذلك فجهزوا السواني وملأها مرسى
 عكا حتى ان صلاح الدين استجد الموحدون ليرسلوا له الاساطيل فلم يجيبوه الى طلبه ولم يكن في الاسلام
 وقتئذ قوة بحرية غير قوة الموحدون قال ابن خلدون لما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر
 والشام لعهدده باسترجاع نغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس منهم تابعت أساطيلهم
 بالمدد لتلك النغور من كل ناحية قرية لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فأمدوهم بالعدد
 والاقوات ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر
 وتعددا أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هناك كما أشرفنا اليه قبل فأوفد
 صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهدده من الموحدون رسوله عبد الكريم بن منقذ
 طالبا مدد الاساطيل لتجول في البحرين أساطيل الفرنج وبين مرامهم من امداد النصرانية بنغور
 الشام وأحجبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيهقي يقول في افتتاحه فتح الله ليسدنا أبواب
 المناجع والميا من حسمنا نقله العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القسي فنقم عليهم المنصور بتجافهم
 عن خطابه بأمر المؤمنين وأسرها في نفسه وجلهم على مناهج البر والكرامة وردتهم الى مرسى سلمهم ولم
 يجبه الى حاجته من ذلك اه وفي رواية أخرى أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصاري
 من سواحل الشام ولكن لم يرد في التواريخ التي وقفنا عليها شيء عن حركة تلك الاساطيل وقد نجح عن
 هذا التهاون الطفيف أن خسرت صلاح الدين الذي كان يدافع عن بيضة الاسلام وما خسرنا ورافرة فلا
 حول ولا قوة الا بالله لانه في تلك الاثناء انتهى ملك انكلترا من امر جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها
 وبلغ عكا في خمس وعشرين مراكب مشحونة بالرجال والاموال والتي في طريقه مراكب المسلمين جهز من
 بيروت الى عكا وفيه ٧٠٠ مقاتل فقاتله للقبض عليه فامتنع أهله ودفعوا عن أنفسهم ولما علموا أنهم
 مأخوذون لا محالة ونسوا من الخلاص نزل مقدمهم يعقوب الحلبي وألحى غلام ابن شقطين
 وخرق المراكب فأغرقها ولم يمكن الفرنج من أن ينظفروا بها ورجالها وذخايره هذه كانت حالة القوم
 مدة عز الاسلام ووقت أن كان رجاله لا يرون الفخر الا في المدافعة عن أوطانهم وروى هذه
 الحادثة الفاضل محمد شكري أفسدى صاحب كتاب الاسفار البحرية العثمانية بما يخالف رواية
 ابن خلدون وقد رأيت من المفيد ذكرها هنا ليقف عليها المطالع قال الفاضل المذكور نقله عن

المؤرخ الانكليزي جون كارفوك (John Charnock) انه في الحملة الصليبية الثالثة لما قصد كوردوليون ملك انكلترة الذهاب الى بلاد الشام خرج بأساطيل كثيرة وبعدها استولى على قبرص وغادرها فأصدا سواحل الشام في مائتي سفينة لاقى في طريقه سفينة جسيمة من أساطيل صلاح الدين وكان يقودها قائد يدعى الامير يعقوب وبعدها هاجمها بسفنه ودارت رحى الحرب بينه وبين من في الاسطول الاسلامي عدة ساعات ومات من رجالها نحو المائتين تمكنت سفن كوردوليون من القبض على تلك السفينة التي كانت له غنيمة غالية القيمة لانهم لم تقع في قبضة الانكليز الا بعد ان قاومتهم مقاومة عنيفة وقتلت من رجالهم عشرة أمثال من قتل منها وفي رواية جون كارفوك هذا أن السفينة المذكورة كانت كبيرة الحجم جدا فكان بها ألف وخمسمائة نفر وهذا يدل على أن فن انشاء السفائن كان في ارتفاع عند الاسلام وقال المؤرخ المذكور أيضا انه بعد ذلك أمر ريكاردوس بقتل من بقي من رجال السفينة المذكورة وعددهم ١٣٠٠ نفس ولم يرثوا لخالقهم بل ألقوهم قطعاً في البحر ولم يكن ينتظر هذا الامر من هذا الملك الذي اشتهر بالفروسية والاقدام حتى ان جون كارفوك لم يظهر أسفاً واستنكاراً لهذا الامر القبيح بل مدح فعل ريكاردوس اه لمخاضها ولما مات صلاح الدين وانتشرت الفتن بين أولاده في البلاد وأهمل القوم حراسة ممالكهم أهملوا أمر القوة البرية والبحرية الا عند مسيس الحاجة قال المقرئ ولما مات السلطان صلاح الدين بن أيوب استمر الحال في الاسطول قليلاً ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر في أمره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا في السلاسل نهاراً وسمجوا في الليل حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم الا شئ قليل من الخبز ونحوه وربما قاموا الايام بغير شئ كما يفعل بالاسرى من العدو فصارت خدمة الاسطول عارا بسببه الرجال واذا قيل لرجل في مصر يا أسطولي غضب غضباً شديداً به لما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله وتبرك بدعائهم الناس اه ولما علم الفرنج بضعف بحرية الدولة الايوبية أكثر وان الهجوم بسفنتهم على بلادها وكثيراً ما نالوا منها ما قصدوه قال المقرئ أيضاً لما انقرضت دولة بني أيوب وتلك الاراك الممالك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (٦٥٨ هـ) فنظر في أمر الشواني البحرية واستدعى برجال الاسطول وكان الامر اقداسه لملوهم في الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعد الشواني وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الحراج ومنع الناس من التصرف في أعواد العمل وتقدم بعمارة الشواني في ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشواني ومصالحها واستدعى بشواني الثغور الى مصر فبلغت زيادة عن أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائف فانها كانت عدة كثيرة وذلك في شوال سنة ٦٦٩ هـ ثم سارت تريد قبرص وقد عمل ابن حسون رئيس الشواني في اعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة ففكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرص تقدم ابن حسون في الليل ليجسم المينا فصدت الشونة المقتمة شعب فانكسرت وتبعها بقية الشواني فنكسرت الشواني كلها وعلم بذلك ممتلك قبرص فأسر كل من فيها وأحاط بجماعهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوجهه وان شوانيه

قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدتها إحدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال
 الحمد لله منذ ملكني الله تعالى ما أخذ لي عسكر ولا زلت لي راية إلى أن قال وأمر بإنشاء عشرين شونة
 وأحضر خمس شواني كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركب إلى صناعة العمارة بمصر
 كل يوم في مدة شهر المحرم سنة سبعين وثمانمائة إلى أن تجيزت فلما كان المحرم سنة ٦٧١ زاد النيل
 ولعبت الشواني بين يديه فكان يوماً مشهوداً به باختصار وقال أيضاً في سنة ٦٩٢ تقدم السلطان
 الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون إلى الوزير صاحب شمس الدين محمد بن سلعوس بتجهيز
 الشواني فنزل إلى الصناعة واستدعى الرئيس وهياً جميع ما يحتاج إليه الشواني حتى كملت عدتها
 نحو ستين شونة وشحنها بالعدة وآلات الحرب ورتبها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم
 السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم ثم ركب السلطان من قلعة الجبل واستعرض أسطوله وكانت
 جوع المتفرجين لا تحصى وبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة
 تحاصر والقتال عليها والنقط يرمى عليها وعدة من النقبانين في أعمال الحميلة في النقب وما منهم
 الا من أظهر في شونته عملاً معجيباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الراعي
 وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعالى بسم الله محمداً وصلى الله عليه وسلم ثم تلاها بقراءة
 قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هذا والشواني تمواصل بحجارة بعضها بعضاً إلى أن أذن
 بصلاة الظهر فغضى السلطان بعسكره عائداً إلى القلعة به باختصار وبقي الاهتمام بأمر الاساطيل
 يتزايد وخر وجهها للغزو في البحار سنواً بمتواصل حتى صارت لهم في قلوب الاعداء هيبه تذكر
 في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهز الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والازودة
 (٧٠٢ هـ) وعين لها جماعة من أجناد الحلقة وألزم كل أمير مائة فارس رجلين من عدته وألزم
 أمراء الطبليخانة والعشروات باخراج كل أمير من عدته رجلاً ونائب الأمير سيف الدين كهر دأش
 المنصوري الزرافة إلى السفريهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزرافين وزينت الشواني
 أحسن زينة واستعرضها السلطان كالعادة ثم سارت إلى ميناء طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة
 من طرابلس وهاجوا جزيرة أرواد من أعمال قبرص واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا إلى
 طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقي منها بينهم ووصل خبر لمصر أن صاحب
 قبرص أرسل إلى ملوك الفرنج يستصرخهم ليساعدوه على محاربة المصريين وانهم أرسلوا عدة
 من كبريس لمداعمة وكان ذلك أيام سلطنة الملك الأشرف أبي المعالي زين الدين وبعد قليل أتت
 من كبريس ورودس وأخذت تهاجم السواحل المصرية ولكن فم بحردمياط وقتل كان
 مسدوداً أمامهم لانه في مدة الملك الظاهر بيبرس البنسقداري الصالحى كان أخرج من مصر عدة
 من الحجارين في سنة ٦٥٩ فقطعوا كثيراً من القرباص والقوهاني في بحر النيل الذي ينصب
 من شمالي دميياط في البحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه إلى دميياط ولذلك أخذت
 من كبريس تسطوا على كل مركب تجارى لمصر فتعطلت التجارة من ذلك

وفي سنة ٨٦٧ هاجم صاحب قبرص نغرا الاسكندرية بأسطول جسيم عدده ٧٠ مركباً

فقتل ونهب وأسر وهرب الناس فلما بلغ السلطان خبر ذلك أمر بتجهيز المراكب الحربية وعهد إلى

الاتاكي يبلغها مباشرة هذه المهنة فسيدي في زمن قليل نحو مائة غراب وجهازها محاربة أولئك القرصان الذين قطعوا الطريق على سفن تجار مصر فأنكشت بعد ذلك سفن قرصان الروم مدة خصوصا لما أخذت القوة البحرية في الترقى وصارت الملوك تخرج بنفسها في الاساطيل لزيارة السواحل والغور المصرية وتقصدهم هذه الزيارة إرهاب سفن قرصان الروم التي كانت تسطو على كل سفينة تجارية وغير تجارية فأرسل الأشرف قايتباي سنة ٨٧٨ أسطولا مشكلا من جملة أغربة حربية تحت إمرة الأمير محمد بن قجماس (قاجمز) لتعقيب أسطول الروم الذي كان حضر إلى قم نغردمياط وتعدي على أهاليه بالنهب والسلب وقبل عهد قنصوه الغوري بسنتين كانت سفن البرتغال اكتشفت طريق الهند من جهة رأس الرجاء الصالح بمعرفة فاسكو دوجاما (١٤٩٨ - ١٥٠٤ م) ثم أرسلوا فرانسوا الميدا (François d'Almeida) بالاساطيل والرجال وأخضعوا بلاد بجزر وسواحل دكن وجزيرة هر من الواقعة في فم خليج العجم وأخذت سفنهم تخترق ميا بين البصرة وعدن وتعدي على كل سفن مصر والعرب التجارية وتنهها وتستولى عليها وبذلك انقطع طريق التجارة بين الهند ومصر خصوصا بعد بناءهم قلعة فونافي ساحل دكن قال الحاج احمد راشدي في تاريخ اليمن وصنعاء ما ملخصه ان السلطان مظفر شاه ملك بجزر والسلطان عامر ملك اليمن أرسلوا إلى قانصوه الغوري يطلبان منه المساعدة فأرسل الغوري سنة ٩١٣ ٥ خمسين سفينة حربية وجيوشا وافر تحت قيادة الأمير حسين الكردي أحد أمراء مصر لمطاردة سفن البرتغال التي كان يقودها فرانسوا الميدا وبعد وفاته عادت سفن مصر بعد أن فقدت جملة سفن ثم التزم الأمير حسين بالعودة ما زاعلى جدة وصادر عدة من تجارها وأظهر لاهلها القسوة والظلم وأخذ منهم أموالا طائلة ليعوض بها على نفسه ما أضاعه أمام سفن البرتغال عامله الله بما يستحقه وفي سنة ٩١٧ ٥ أفلح بالاسطول يقصد بجزر ثانية بعد أن شيد بجدة قلعة أنزل بها حاميه اه وروي بعض المؤرخين أن البنادقة كانوا يساعدون بسفنهم السفن المصرية في هذه الغزوة البحرية لان تحويل البرتغال لتجارة الهند عن طريق رأس عشم الخبير أضربهم ضررا بليغا لاشتغالهم معركتهم التجارية بنقل تجارة الهند إلى نهر السويس وبعد أن تحمل إلى الاسكندرية تحملها سفنهم أيضا إلى أوروبا ولهندا فانهم أعدوا أسطولا عظيما في السويس واتحدوا مع أساطيل قنصوه في ثلاث الحروب وحفروا عند المكان المسمى عيون موسى بحجاري لتوصيل المياه العذبة إلى حوض بنوه هناك على ساحل البحر الأحمر لتزود الماء منه سفنهم ولا تزال آثار تلك الاعمال باقية في تلك الجهة لا تان وكانت العلوم البحرية تترقى في ذلك الوقت بازدياد التجارة والمدن فأصبح القوم أشد مقاومة وإقداما وكان للملك ايطالي حينئذ الشهرة والامتياز في التمدن وفي الاسفار البحرية وكانت سفنهم تتردد على جميع فرض البحر المتوسط الابيض خصوصا الاستانة وسوريا ومصر

وكان للغوري خلاف أساطيل السويس بجملة أساطيل البحر الابيض المتوسط حتى انه في سنة ٩١٨ ٥ عند ما التجأ إليه الأمير كركود أخو السلطان سليم الاول ابن السلطان بايزيد خان طالبها مساعدته على أخيه أمده الغوري بالاسطول مركب من عشرين سفينة حربية تساعده على نزع السلطنة من يداخيه وقد تلاقى هذا الاسطول مع أساطيل العثمانيين بسواحل سوريا وبعد واقعة

بحريه انهمزمت السفن المصريه ووقع غالبها في قبضة المراكب العثمانية وفي روايه اخرى أنه أصاب سفن الغوري زوبعة شديده بددت معظمها فاستولى الاسطول العثماني على ما بقي منها وفي سنة ٩١٩ هـ وصل خبر الى السلطان عامر سلطان اليمين ان ١٨ سفينه برتقاليه أقبلت الى عدن واستولت عليها ثم تحقق أنهم ارتدوا عنها خائبين لتيقظ أميرها ولكنهم قصدوا انحياو الحديدية وقتسكوا بأهلها ثم احتلوا جزيرة قران وقتلوا جميع حاميتها وأهالي البلد ثم أقلعوا منها وقتلوا فاحرقوا مدينتها وعادوا ثانية الى عدن وحاربوها الا أنهم لم ينالوا منها وكان السلطان عامر استنجد بالغوري فأرسل الغوري أسطولا الى تلك المياه تحت قيادة الامير حسين الكردي الماراذكرو وتلاقى مع أسطول البرتقال الذي كان يحاصر عدن وكان تحت قيادة الفونسو البوكرك (1) (Albuquerque) فخاربه وأجلاه عنها وكان البوكرك المذكور قبل ذلك هاجم كالكو تان من أعمال الهند واستولى عليها وعلى غوا وملقا ولما انتصر عليه المصريون أمعن في عرض البحر الا أنه انهمزمت سفنه عوده الاسطول المصري الى مياه اليمن وعزج بسفنه على سواحل الحبشة بمحاول الاستعانة بالنجاشي على المصريين وخاربه في أمر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليتمت بلاد مصر لشده كراهته للمصريين وكان يظن ذلك من الامور السهلة ولكنه لم ينجح وضابقتة الاساطيل المصريه واحتلت جزيرة قران ثم أخذت الاساطيل المذكورة تخارب الدولة العامرية واستولت منها على كثير من بلاد اليمن ثم أقلع الامير حسين الى عدن وهاجها واستولى على زيلع وغيرها ثم أتاه الامير سلمان أحداً من امراء مصر في مدد فأرسله بسفن بها الجنود لرافقة سفن تجار عدن التي أفلعت قاصده بلاد الهند وكان سلمان هذا من طائفة لوندات جزائر الغرب له الملمام بالحروب البحريه ولما التحق بالغوري عينه قائداً عاماً على أساطيله التي بالبحر الاحمر ورأسه على خمسين غراباً وأرسله لرافقة الامير حسين الكردي كما ذكر لانه كان بلغه أن دولة البرتقال عينت في سنة ١٥١٧ م - ٩٢٢ هـ الاميرال ديبغو (Diego) باسطول جسيم لمطاردة سفن ملوك مصر بمياه بلاد العرب ومنعهم من ارسال الجيوش الى بلاد الهند فترسوا على عادل وزيلع وبربرة (وكانت علاقة البرتقال مع الحبشة متصله من سنة ١٤٩٢ عند ما أرسل يوحنا الثاني ملك البرتقال بدر ووكولها م الى بلاط النجاشي اسكندر للتفتيش على برسترجون أحد رجال البرتقال الذي انقطع خبره في الوقت المذكور ولما مات اسكندر وخلفه على تخت الحبشة النجاشي داود وكان صغير السن قامت جدته هيلانه مسدده بوكالة الملك فارسلت وفداً الى البرتقال فأنتها سفارة من لسبون في نحو سنة ١٥٢٠ فكان ذلك باعثاً على دخول البرتقاليين كثير في مصالح البلاد المذكورة وكانت أساطيلهم لا تنقطع عن سواحل الحبشة وقد صدرت أوامر الى اسطفان داغاما نائب ملك البرتقال في الهند أن يساعد الحبش بجيش قليل في حربهم مع مسلمي عادل وهي الحرب التي انتشبت نيرانها في نحو سنة ١٥٢٨ وكان قد مضى عليها اثنا عشر سنة وبناء على ذلك نزل الى البر في مصر وع تحت قيادة خرسو فورس داغاما أخى نائب الملك أول جيش أوروبا وودخل الحبشة سنة

(١) هو ملاح بورتقال كبير يلقب بالكبير والمربح البرتقالى أصله من عائلة ملوك البرتقال وسيأتي ذكره مفصلاً تاريخ دولة البرتقال

١٥٤١ وكان عدده ٤٥٠ جنديا ومعهم ستة مدافع وقد استظهر على عساكر المسلمين في معارك كثيرة الآن عساكره انكسرت أخيرا وقتل هو في معركة مهمة سنة ١٥٤٢ م وفي خلال ذلك كانت الاساطيل البرتغالية لم تزل تنخر في بحار الهند وتردد كثيرا على ثغور البحر الاحمر وخصوصا سواحل الحبشة نعا كس التجارة وتتعدى على سفائن المسلمين في تلك المياه الى أن استولى العثمانيون على الديار المصرية وصارت أساطيلهم تحارب البرتغاليين في المياه المذكورة حتى منعت تعدياتهم واطمانت ثغور بلاد العرب من شرهم

﴿ الفصل الخامس ﴾

(البحرية بمصر في عهد دولة العثمانية)

اعلم أنه بعد أن دخلت مصر تحت حكم الدولة العلية العثمانية على الصورة المشروحة في هذا التاريخ ورتبها السلطان سليم القوة اللازمة لحراستها كانت الاساطيل العثمانية تتردد كثيرا على السواحل المصرية و بعد عودته السلطان الى القسطنطينية أخذ خير الدين بك الوالى بمساعدة خيرى بك أمير الامراء في اصلاح المراكب الموجودة بالنيل ولم يكن لمصر وقتها بالبحر الاحمر أغربة لان الاغربة التي كانت لقنصوه الغورى انقضت وضاع معظمها وما بق منها حجرة الامراء المصرية بجهات اليمن تحت قيادة سلمان رئيس السابق ذكره حتى انه في عام ٩٢٥ هـ لما أتت الاخبار من مكة بأن في البحر المالح قبالة جدة ثغور أربعين مر كبا من مراكب الفريج يعيثون في البحر ويقطعون على التجارة الطرقات لم يجدوا الى مصر لديه قوة بحرية يرسلها ذلك فأرسل جماعة من المماليك الجراكسة وغيرهم يبلغ عددهم ثلثمائة برا حجة الحاج يعيمون بجدة خوفا من أن يطردها بعض الفريج على حين غفلة ثم اهتم خير الدين بك بأمر تشييد السفن في دار صناعة بولاق قال ابن اياس في تاريخه بصحيفة ٢١٤ من الجزء الاخير ان ملك الامراء عرض المراكب الاغربة التي أنشأها ولعبت قدامه في البحر وانشرح من ذلك سنة ٩٢٦ هـ ٥

ولما جلس السلطان سليمان القانوني بعد وفاة السلطان سليم (١٩ القعدة ٩٢٦ هـ) اهتم بأمر الثغور البحرية فرتب نظامات مخصوصة لادارة السواحل المصرية والامور البحرية فيها وعين ثلاثة قبودانات لمصر أحدهم لشغر دمياط والثاني لشغر السويس والثالث لشغر الاسكندرية سمي كل منهم قبودان بك وجعل تعيينهم وتغييرهم يتعلق رأسا بارادته السلطانية لان أحوال البحار وعبث أساطيل الفريج فيها جعل الدولة تهتم في ذلك الوقت اهما ما زاد بأمر الثلاثة ثغور المذكورة لاعتبارها وقتئذ أبواب القطر المصري فكانت الدولة ترسل حاميتها رأسا من الاستانة تحت قيادة القبودانات المذكورين وعمدها كل سنة بما يلزمها من الذخائر الحربية ولم يكن هؤلاء القبودانات يعتبرون أنهم من جيوش مصر الا باعتبار اقامتهم في تلك الثغور المصرية وبما يستولون منه من المرتبات من الخزينة المصرية ولم يكونوا تحت أوامر البلاد في شئ ما فأوامرهم كانت ترد اليهم رأسا من دار الخلافة وكثيرا ما كان يوجد تحت قيادة هؤلاء القبودانات أغربة بحرية ما عدا قبودان السويس وقد اهتم أمير الامراء بمصر بأمر القوة البحرية حتى انه في سنة ٩٢٧ توجه بنفسه الى بولاق وكشف

على المراكب التي عمر وهانك فأزولها إلى البحر قدامه ثم عاد إلى القلعة وصار يتردد على دار الصناعة حتى اطمان باله وورد في صحيفة ٢٧٤ من الجزء الاخير من تاريخ ابن اياس أنه حضرت مراكب من الاغربة التي كان عمرها ملك الامراء وأرسلها بحجة الاروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا إلى البحر المالح وجدوا جماعة من الفريج يعيئون في سواحل البحر المالح يعني السواحل المصرية فأوقعوا بهم وقتلوهم فانكسر الفريج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتوا على مراكبهم فوجدوا فيها بضائع وجوزوا وأصنافا فاخرة فأخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الفريج ووضعوهم في الحديد وأرسلوهم إلى ملك الامراء إلى أن قال في صحيفة ٢٧٧ في أواخر هذه السنة ان ملك الامراء جهز مراكب أغربة وفيها جماعة من المقاتلين فتوجهوا إلى البحر المالح وقد بلغه أن جماعة من الفريج يعيئون في السواحل على المسافرين فلما توجهوا إلى البحر المالح وجدوا مراكب فيها تجار من الفريج ومعهم بضائع بنحو خمسين ألف دينار فتقاتلوا معهم فكسر والفريج وقبضوا عليهم وأحاطوا بجماعهم من البضائع ٥

وفي عام ٩٢٨ هـ ترادى الفريج على سواحل البحر الهندي حتى بطلت التجارة تقر بيا فأخبر الوالي بالحاصل دار الخلافة وكان اهتمام خير الدين باشا الوالي بأمر البحر بالمصرية يفوق الوصف لانه كان لا يفر عن التوجه في أغلب الاوقات إلى بولاق للتفتيش على المراكب الاغربة التي كان يبنها ويعمر هانك ويستعرضها قدامه في البحر ذهابا وايابا وهو ينظر إليها والنفوس تشتعل فأجبت الامه لاهتمامه بشؤونها أيضا وبقي خير الدين باشا في نشاطه هذا إلى أن أدركته الوفاة بمرض جلدى سنة ٩٢٨ هـ وفي سنة ٩٤٤ هـ استغاث بهادرساهم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني لتعديت أساطيل البرتغال على بلاده فاثلاثا انها مستقرة على العيث في السواحل الهندية دائبة السطو على كل سفينة تمنع المواصلات التجارية التي كانت بينها وبين الديار المصرية فأصدر السلطان أوامره إلى الخادم سليمان باشا وإلى مصر وكان السلطان يثق به كثيرا تجهيزا وتزينا في البحر الأحمر لتسير بحجة الجنود العثمانية إلى بحر الهند فشدستين غربا وثلاثين سفينة وجهزها بالمدافع والادوات الحربية في زمن وجيز وأقلع بهم من نجر السويس ومر في ذهابه بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ونصب عليها أحد ضباطه السمي بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع إلى الهند ومع ما بذله من المجهود ببجته ديولم يتمكن من طرد البرتغال عن تلك الاطراف فعاد إلى عدن ومنها إلى محبا وخلع إلى اليمن ونصب مكانه مصطفى بك نائب غزة سابقا ثم عاد إلى مصر

وقد ذكر هذه التجربة الاميرال الفرنسي جهوريان دولاغرافية في صحيفة ٢٥٢ من كتابه في البحر المسمى دور ياو بارباروس قال اعلم ان جمهورية البنادقة والدولة العثمانية كانا لا يحسنان انتخاب الوقت لاصلا تيران القتال وتجديدا كمن بينهما من العداوة بالحروب بأوروبا ولم يكونا يفظنان لما هانك من المنفعة العظيمة لان يجمعان في بحار الهند سفنهما ويتحداسيا سياضدا العدو العام الذي كان يهدد دول البحر المتوسط الابيض بزع التجارة من أيديها أي تجارة الشرق الاقصى التي كانت تعود على الدولتين المذكورتين بالمكاسب العظيمة وانه قبل سنة ١٥٢٥ م لم يكن يظهر العلم العثماني في الجهات التي كانت تجلب منها سفن العرب متاجر الهندستان وفي هذا الزمن أرسل

السلطان سليمان في البحر الاحمر الملاح سلمان رئيس ومعه عشرون شانية للاغارة على سواحل بلاد اليمن وادخال قبائلها تحت طاعة العثمانيين وكانوا يخضعون للملوك مصر الى وقت استيلاء السلطان سليم عليها وبعد ذلك بنحو عشرين سنة اشتبك القتال بين أمير بلاد بجزرات والبرتقال ولما تضايق الامير المذكور التمس المساعدة من السلطنة العثمانية فأمر السلطان الخادم سليمان باشا أميراً مصر بأن يبني دونها بمدينة السويس ويترأس عليها وكانت الاخشاب اللازمة لذلك تأتي بجزر من ارضاليا ثم تنقل على النيل الى مدينة القاهرة ومن هناك تحملها الجمال الى السويس ولما تمت المعدات شيئا وادونتها قويه في مدة بعض شهر عدد سفنها ٧٦ سفينة من كل الانواع والاشكال وقد كان السفر الى بلاد الهند في القرن السادس عشر الميلادي يحتاج لنوعين من الادلء (فلاووز) ^(١) نوع يراقب السفر من السويس الى غواو كالكونا ويتبع في البحر الاحمر الطريق المسمى عند البحارة طريق الوسط (المجره) والاخر يراقب السفر عند العودة متجنباً الرياح التي تهب عادة من الشمال فيمر بالسفن من بين الصخور القريبة من شواطئ بلاد العرب وكان قيام الخادم سليمان باشا من نجر السويس في ٢٢ يونيه سنة ١٥٣٨ م ووصوله الى عدن في ٥ اغسطس من السنة المذكورة ثم أقلع من عدن في التاسع عشر من الشهر المذكور وقطع المحيط الهندي بسرعة حتى رسا في اليوم الثاني من سبتمبر أعني بعد مضي ٧٢ يوماً من خروجه من مصر على بعد بعض أميال من الشاطئ الذي احتله البرتقال من جزيرة ديومند سنة ١٥٣٥ م وكان أمير بجزرات يحاصر حصن ديومند ٢٦ يوماً وكان يساعده في هذا الحصار رجل يدعى

(١) الفلاووز المعروف عند الفرنج بـ *Pilote* هو الدليل الذي تأخذه السفن عند دخول الميناء أو عند مرورها على السواحل الخطرة أو المضائق الصعبة وأرباب هذه الوظائف يكونون في العادة جافين يقنون الملاحة لتسيير السفن وواقفين على تأثير الريح ووجارى المياه والتيارات مطلعين على الحسابات الفلكية وغيرها مما ينبطرق سير المراكب واقفين على أحوال السواحل والتغور ومساك الميناء ومواقع الصخور المائية والمحال الغير العميقة والمواقع الخطرة في المسالك والمرافى وعند السواحل لهم المام بالتخطيط ورسم البحار وكانت السفن في العصر القديم لا تسير بدونهم لانهم كانوا الملاحين المغيرين البحر بين العارفين بأحوال المسد والجزر والهواء وغير ذلك مما يعين السفن على المسير ولذلك كان لا ينظر من رئيس السفينة مهما كان حاذقاً عارفاً أن يكون عالم بأحوال الامكنة كلها كالملاح خبير خصوصاً في العصر السابق كثيراً ما كان يمهّد لقواد البر الرياسة على المراكب الحربية فكانت القوانين تقضى باستخدام الفلاووز وفرضت لهم مرتبات مخصوصة وقضت بأنه عندما يكون الفلاووز مستغلاً بتسيير السفينة يكون رؤساء السفن عبارة عن قواد أو مدبرين تتعلق بهم ادارة السفن فقط وروى المؤرخون أن جمهورية البنادقة عندما قصدت انهاء قوتها البحرية عام ١٥٢٦ تعانت بفلاووز من اليونان ثم نبغ فيها كثير من منهم كابوت (Gean Cabot) الذي صار الفلاووز الاول لدى حكومة الانجليز ولما ارتقت الفنون البحرية وأنشئت لها المدارس وعلم فيها فن تخطيط البحار وفن سلوكها قل احتياج المراكب الحربية اليهم قبل التجار به بزمن ثم انقطع استخدامهم في السفن تفر بباقي الاسواق اطواراً وبقيت وظائفهم محصورة عند السواحل والدخول الى الميناء وفي البحر الاحمر خصوصاً لكثرة شهو به وقد سنت الدول نظامات مخصوصة لفلاووز سواحلها وفرضها جعلوهم تحت نظر مديري ادارات الميناء والقنارات وقد تأسسوا هم في دقارها وجعلت لهم مرتبات مخصوصة على تلك الاعمال ومن النظامات التي وضعت لهم أيضاً أن يكتبوا على شرائط قواريرهم ومما كتبهم ومؤخرها اسم صنعتهم بالحرف الكبير واسم النفر التابعين له وفرضت على من يطلب الفلاووز رفع علم مخصوص مر في عند جميع الملاحين

ظافر أصله نصراني من مدينة أوترنت اعتنق الاسلام ثم في اليوم الثامن من شهر سبتمبر اقترب سليمان باشا من الشاطئ وأرسل من معه من جنود اليكجيرية والمدافع وفي أول أكتوبر استولى على حصون البرتقال الامامية بعد عدة مناوشات وفي آخر هذا الشهر أمر بالهجوم العام على الحصن المذكور فرددته البرتقال بقوة وفقد في ذلك من رجاله نحو أربعمائة نفر وبينما كان يدير أمر هجوم آخر بلغه قرب مجي الدونونا البرتقالية فأرسل جنوده الى السفن في الحال وترك للاعداء مدافعه وفي اليوم الخامس من شهر نوفمبر تقدم نحو سواحل كجرات وكانت الرياح تعاكسه الى أن وصل الى مدخل خليج كوتش ومن هناك أقلع نحو بلاد مصر وفي اليوم الخامس من شهر ديسمبر استقبل أمام مدينة عدن وكان في الثالث والعشرين من الشهر المذكور أمام مدينة محاولم يصل الى مدينة السويس الا في منتصف شهر يونيه من السنة المذكورة وقدمت هذه الاربعة شهور ونصف وهو يجول بين الصخور طورا بالشراع وطورا بالمجداف وقدر وى أسير بندي رافق الخادم سليمان باشا في هذا السفر أن الصخور في هذا الممر كثيرة (أى الممر الكائن بين شواطئ بلاد العرب وسلسلة الصخور المذكورة) بحيث انه يستحيل على أى ملاح مهما كان عليه من الدربة أن يعرفها جميعها ولذلك كان القلاووز يجلس عند مقدم السفينة (البروة) يصيح على الدوام قائلاً أورسه ووجي (ومعناها جلب السفينة فوق الريح أو تحتها) واعلم أن قلاووزة الطريق الداخلى بالبحر الاحمر على معرفة تامة بالسباحة حتى انك تراهم في أمكنة كثيرة حيث لا يمكن القاء المرسى لعدم موافقة قاع البحر يذهبون سباحة و يغوصون ليتجسسوا الصخور والشعاب لسبك الخناطيف فيها وقد عادت تجريدة سليمان باشا البحرية بنتائج مهمة في البحر الاحمر وان كانت لم تأت بالفائدة المطلوبة في بلاد الهند وذلك لانه استولى على عدن وطردها بن داود لاتهمه بمخالفة البرتقال وأسس أيضا ما اتخذ من أنواع الخيل وبقوة السلاح حكومة جديدة ببلاد اليمن وجلب معه من بلاد الهند ١٤٦ أسيرا بعضهم هنود والبعض الآخر من البرتقال وقد قتلهم جميعا قبل أن يصل الى السويس وأرسل رؤسهم الى القسطنطينية وكلف بهذه الأمور بكيله (خسر و باشا وكان نائباً عنه في مصر مدة غيابه في التجريدة) قال الويس أميرال الذى عرفنا عنه هذه الرواية ان تجريدة سليمان باشا هذه عادت علينا معاشر الاور وباوين بفائدة بحرية عظيمة لانها علمتنا ان طرق الملاحة بالبحر الاحمر وبالمحيط الهندى في القرن السادس عشر من التاريخ الميلادى لا تختلف أصلا عن الطرق التى وصفها النامؤف السباحة المسماة جهولان في بحر أريتريه (Erythrée) ومن المعلوم ان البهارات والحرير المحلوبة الى أور وبا واذ ذلك زادت أثمانها من زمن كلوديوس ويوستانيانوس وان الانقلاب التجارى الذى أحدثته البرتقاليون نتج من تغيير في الاقتصاد المالى المتبع قبل ذلك وبسببه فقد اتوازن تماما بين القوى فى ممالك الجنوب وممالك الشمال اه

وفي سنة ٩٥٨ هـ صدرت أوامر الى على باشا الذى ولى مصر سنة ٩٥٦ هـ بتسيير أسطول السويس ثانية الى مياه الهند واستخلاص عدن وكان أهلها خلعوا رداء الطاعة واتفقوا مع البرتقال وسلموهم قلعها وهزموا الخامية المصرية التى كان سليمان باشا الخادم تركها هناك فبعد أن

تجهزت السفائن وشحنت بالمهمات والادوات الحربية عينت الدولة ييرى رئيس^(١) وهو من مشاهير الملاحين قائدا عاما عليها وأقلع بهم امن السويس واستخلص مدينة وقلعة عدن من يد الاعداء بعد عدة وقائع وعاد ظافرا وفي سنة ٩٥٩ أفلح ثانيا باسطول مركب من ثلاثين سفينة بين غراب وشانية وقصد السواحل اليمنية وبعد أن ساعدت شار مصطفي بك على اخضاع اللثاثرين في بلاد اليمن أفلح منها وخرج الى المحيط الهندي واستولى على قلعة مسقاط وأغار على جزيرة هيرمز ودوخ البرتقال في تلك الاطراف ثم وصل الى البصرة ولما بلغه أن أسطول البرتقال صار على وشك الحضور الى مياه تلك الاطراف رأى انه اذا بقي في البصرة تعسر عليه المرور من بوزاهر من لا ستيلاء البرتقال على جزيرته سيما وان أدوات وآلات السفن الباقية تحت قيادته قد فنى معظمها فافلح من ميناء البصرة بعد أن ترك فيها كثيرا من سفنه الواهية وعاد الى فرضة السويس ولما قدم للدولة تقريرا بأعماله عينت بدله مراد رئيس^(٢) لقيادة أسطول السويس وأرسلته براومعه ما يلزم من الادوات للسفن الراسية بالبصرة وبعد أن نظم سفن الاسطول بها ترك لمحافظة سفينتين حربيين وخسعة أغربة وأقلع بالباقي يقصد السويس وكان أسطوله يتركب من ١٧ سفينة فلم يصادف في طريقه موانع حتى وصل معبر هيرمز وهناك قابل أسطولا لجسيما البرتقال كان يخفر في تلك المياه كأنه ينتظر الدونما العثمانية فالتزم مراد رئيس أن ينازله ودارت رحى الحرب بين الطرفين من الصباح الى المساء وأصيب الطرفان بخسائر وافرة واستشهد من الدونما العثمانية سليمان رئيس قبودان سفينة القائد مراد رئيس ورجب رئيس قبودان اخرى وحلق كثير من رجال المراكب وليكون بعض السفن أصابتهما اتلافات عظيمة التزم مراد رئيس أن يعود ثانية الى ميناء

(١) ييرى رئيس هو من أشهر قبودانات العثمانيين الذين اكتسبوا الشهرة في عصر السلطان سليمان القانوي وكان حفيد الكمال رئيس المشهور السابق الكلام عليه في تاريخ الدولة ورافق وهو صوبي كمال رئيس في كل أسفاره التي أجراها بالبحر المتوسط الايض واكتسب المهارة والشهرة في فن سير السفائن والمخاربات البحرية ثم عين في سنة ٩٥٩ هـ قبودا بالبحرية الايالة المصرية وقاد أسطول السويس المركب من ٣١ سفينة وخجرت في البحر الاحمر وبحر عمان ودخل خليج البصرة المعروف بصرفارس واستولى في أثناء سفره على عدة ثغور كسقط وهيرمز وغيرهما وغنم منها غنائم وافرة جدا ولما وصل الى البصرة توبلغه خبر قدوم الدونما البرتقالية لتعقبه ترك جميع سفن الاسطول بالبصرة كإذ كرحصاعلى تخليص غنائه وعاد بثلاثة منها تحمل الغنائم المذكورة وفي عودته غرقت منه إحدى السفن الثلاث المذكورة امام بلاد البحرين من ساحل العرب ثم عاد الى السويس بسفينتين فقط ولما بلغ مسمع الحضرة الشاهانية خبر هذه الخسائر أمرت باعدام القبودان المذكور فنفذ الامر عليه بالقاهرة وأرسلت الغنائم التي جلبها الى دار السعادة ولصاحب الترجمة مؤلف وأطلس في جغرافية البحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل بك تبخانة جلع نور عثمانية باستانبول منبر ٣٠٠٤ وهما يهدان لصاحبها بسعة الاطلاع والتدقيق والمعرفة ويظهر منهما ما كانت عليه البحرية العثمانية في الوقت المذكور من المعلومات الكاملة والدقة التامة في فن سير السفائن والجغرافية (قاموس الاعلام)

(٢) مراد رئيس هذا أصله من أهالي فارس ولحق بالبحرية العثمانية وكان معدودا في زمن السلطان سليمان القانوي من مشاهير أمراء البحرية العثمانية اشتهر في كثير من المخاربات البحرية والفتوحات العثمانية وكانت وفاته سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٢ م) بجوزيت رودس ودفن فيها خارج القلعة وبني بجانب ضريحه جامع صغبر وصارت خواص المسلمين وعوامهم يترددون على ضريحه للتبرك والزيارة وكان رحمه الله مستخدا مارمنا متصرفا بسنجية القطيف اه من الاسفار البحرية العثمانية

البصرة ولما كتب للدولة بما حصل عينت بدله سيد علي قبودان وهو من علماء البحرية والفلاحة وله معرفة تامة بسلك بحار الهند حتى انه ألف عنها كتابا نفيسا ووصف به تلك البحار وكيفية السير فيها وقد وجد هذا القبودان أيضا في أكثر الغزوات البحرية مع خير الدين باشا بارباروس ولذا كانت البحرية العثمانية تعتمد عليه ولما تعين رئيسا للبحرية العثمانية بالبحر الأحمر سنة ٩٦٠ هـ أمرته الدولة بإرسال السفن الباقية بينا البصرة إلى نجر السويس لتقوية الاسطول العثماني هناك وبعد أن جهز سفنه بما يلزم أفلح بهما من البصرة وتقابل في طريقه بأسطول البرتغال فخاربه بجوار مسقاط وكانت سفن البرتغال ثلاثة أمثال سفنه ومع ذلك انتصر عليها انتصارا عظيما ثم تقدم بقصد السويس وفي أثناء سيره هبت عليه زوبعة شديدة اضطرت له لان يتبع مجرى الريح لعدم قدرته على مقاومتها بتلك السفن التي تخرب معظمها من كثرة الحروب إلى أن ألقته الرياح أخيرا على سواحل الهند فغرق منه بعض السفن ولما خافت طوائف السفن الباقية من شدة الارياح والامواج التزم بالوقوف على سواحل كجرات وأخرج منها الطوائف الباقية وجرى السفن من آلتها وسلمها هي والسفن إلى محافظ قلعها ثم عاد برا هو ومن بقي معه من الملاحين وعددهم نحو مائة مارا ببلاد بلوچستان والمجم حتى وصل إلى الاستانة بعد أن تكبد من المشقات ما لا يوصف وقد ألف القبودان المذکور في ذلك رحلة مفيدة

هذا وقد استمرت ولاية الدولة في مصر بشيخون الشوانى والاعربية والاساطيل في بعض الثغور المصرية حتى صار لها قوة بحرية مخصوصة طوائفها من رجال اللوندات كالذين كانوا بأساطيل أوجاقات بلاد المغرب كان لهم ذكر في أكثر الحروب البحرية بمشاركتهم أساطيل الدولة في معظم الوقائع البحرية وهذا خلاف السفائن التي كانت للديار المصرية في البحر الأحمر لتأمين طرق المواصلات بينها وبين البلاد المجاورة والسواحل اليمنية ونجور الدولة بالبحر الأحمر

وفي النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجرى أخذت القوة البحرية في مصر في الانحطاط لضعف حالة اللوندات من جهة واشتغال ولاية الدولة في الارتباك والاضطرابات الداخلية التي أوجدتها طوائف الجنود من الجهة الأخرى وذلك لان الجنود صاروا يحمون بعض التجار والمزارعين والملاحين ليقاسمهم الارياح وينعوههم من أداء حقوق الحكومة التي كانت تتمكن الولاة بها من تعزيز القوة البحرية وبعد تمكنهم من إبطال هذه الحماية المضرة ظهرت بمصر أحزاب أخرى تدعى بالقاسمية والفقارية اضطرت الأمور في أيامهم اضطرابا وظهرت منازعات عديدة ثم أخذت أمراء المماليك تستبد بالأمور ووقع بينهم خصام أشعل البلاد مدة وكافوا حريين أيضا محمدية نسبة إلى محمد بك أبي الذهب وعلوية نسبة إلى علي بك الكبير ونشأ عن ذلك أن أهمل الولاة صناعة اللوندات فسقطت القوة البحرية التي كانت لهم بمصر وأخذت الدولة ترسل من طرفها السفائن تارة لنقل مال خراج القطر المصري إلى الاستانة وتارة لخفارة المراكب التجارية الحاملة للآلار زاق والذخائر واستمر الحال على ذلك إلى عهد السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول وفي أيامه تمرد كل من مراد بك وبرايم بك وأظهرا العصيان للأوامر السلطانية ومنعا خراج جملة سنين وأكثر من ظلم العباد فأرسل السلطان القبودان حسن باشا الجزائر ببعض سفائن حربية ونقلية وها قدر كاف من الجيوش العثمانية (١٢٠٠ هـ) فلما وصل إلى نجر الاسكندرية وقع الرعب في قلوب الأمراء المذکورين وأرادوا

التخلص مما وقعوا فيه فارتادوا جلة هذا إلى القبودان باشا المذکور مع جماعة من العلماء منهم الشيخ
أحمد العروسي والشيخ محمد الحري وغيرهما ولسا قبالوه عرضوا عليه امتثال الامر الا واصر
وطاعتهم للخليفة وكان ذلك حيلة من الامراء المصريين حتى يتأهبوا فلم تنطل هذه الحيلة على
القبودان وانتقل بالمرابك والجيوش الى رشيد ودخل النيل وتقابل مع جوع الامراء بجوار قرية
تدعى محلة العلويين عبر كرفوة من مديرية الغربية فخار بهم وبدد شملهم وهم ابراهيم بك بامتلاك
أبواب القلعة بمصر لما بلغه الخبر فنع محمد باشا والى مصر وشرع جماعة الاميرين العاصيين في عمل
المتاريس جهة السبئية ليولاق للتحصين وأخذوا يسلمونها بالمدافع وقبل أن يتموا التحصين وصل
القبودان المذکور بسفنه وعساكره الى مصر فهرب العصاة الى الصعيد وبعده حروب يطول شرحها
طلبوا الصلح من القبودان فاجابهم وبعده أن أقام الغازي حسن باشا بجبهات الصعيد أربع سنوات
وعاد الى مصر وكانت الاحوال بها هادئة والاعمال جارية شرع في تشييد ترسانة بالجيزة وأنشأها
سفائن أميرية وانتخب لها قليمو نجييه من النصارى الاروام وجعل عليهم رئيسا منهم يدعى نيقولا وجعل
له نفوذ عظيمًا وحينئذ وافر حتى انه فيما بعد أكثر من التعدي على سفن الاسلام والقرنج معا وكان من
أسباب حجة الفرنسيين على مصر ما أتاه هذا الرئيس من المظالم في حق تجار الفرنسيين كما قاله
العلامة المرحوم جودت باشا في تاريخه ثم عينت الدولة عبيدي باشا واليا على مصر وعاد الولى المنفصل
والقبودان باشا بالدونما الى استانبول وفي عهد السلطان سليم خان الثالث ازدادت أهمية البحرية
العثمانية بما أدخل فيها من الاصلاحات وكانت عنايته السلطانية موجهة لازدياد قوة الدونما فعرزها
بالسفن الجسيمة التي أمر بتشبيدها كالغلايين والفرايط والشهيدية وغير ذلك وخصص بعضها
لحماية الثغور وأرسل بعضها لليام المصرية فسكان في نغرا الاسكندرية منها ثلاث سفن حربية تحت
قيادة ادريس بك قبودان السفينة المسماة عقاب بحرى عندما فاجأنا بليون بونابارت الديار المصرية
بجيشه وأساطيله سنة (١٢١٣ هـ ١٧٩٧ م) ولما طلب بونابارت من ادريس بك أن يرفع العلم
الفرنساوى بدلا من العلم العثماني توقف عن اجابة هذا الطلب وطلب الافلاخ من الميناء فصرح له
نابليون بذلك فأقاع الى الاستماتة وأخبر بما حصل كما سبق ذكره وكان أبو بكر باشا والى مصر وقتئذ
هرب الى غزة ولم يرض زمن طويل على استيلاء نابليون على نغرا الاسكندرية حتى اشتعلت نار واقعة
أبوقير الشهيرة التي أباد فيها الاميرال نيلسون قائد الاسطول الانكليزي الدونما الفرنسية الراسية
أمام ساحل أبوقير تحت قيادة الويس أميرال برويس وقتل في الواقعة قبل احتراق سفينته الكبيرة
أوربان كما أتى ويأتى في هذا الجزء ان شاء الله وفي مدة السنوات الثلاث التي عملت فيها فرنسا الديار
المصرية كانت بالسواحل المصرية والشامية الاساطيل الانكليزية التي تحت قيادة الاميرال
والفابركرومي والاميرال سدنى سميت والاميرال اللورد كيث (Keith) وكانت الدونما
العثمانية التي يقودها مهابط زاده حسين باشا الردوسلى تخجر على الدوام عند السواحل المصرية
لمنع السفن الفرنسية من التقرب اليها وبقيت على ذلك حتى انجلى الجنود الفرنسية من الديار
المصرية (١٨٠١ م) ولما عقدت الدولة الصلح مع فرنسا بعهده باريس أخذت سفائن الدولة
تتردد على الثغور المصرية كما كانت ثم طرقت الدونما الانكليزية نغرا الاسكندرية مع الجيوش
البريتانية وكانت تحت قيادة الاميرال السير جون دو كورث والجنود تحت قيادة الجنرال فيرير

ولما استولوا على نجر الاسكندرية (١٨٠٧ م) وتقدموا الى رشيد قهرهم محافظها وقتلوا وأسر منهم عددا وافرا ثم عقدوا شروط الصلح مع محمد علي باشا والى الديار المصرية وأخلوا الاسكندرية سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وكان ذلك بعد سبعة شهور من أخذهم لها كما سيأتي في بابها

الفصل السادس

(البحرية المصرية في عهد العائلة المحمدية العلوية)

لما استقر محمد علي باشا في الولاية المصرية سنة ١٢٢٠ هـ اهتم باصلاح شؤون الحكومة باجمعها فسلم المصالح لمن يتق بهم من رجاله فتقدمت البلاد بسرعة ولما عهد اليه السلطان محمود كما سيجيء امر اخضاع الوهابيين لما استفعل أمرهم لم يكن له مراكب بالبحر الا حرق قطع الاخشاب وفصلها في دار صناعة بولاق ونقلها الى السويس وشيد هناك ثمانية عشر مرصعا (١٢٢٢ هـ) من أنواع مختلفة ونقل بها جيوشه الى ينبع وقد كانت هذه الحملة سببا لاهتمام محمد علي باشا بأمر الاساطيل حيث وجهه منته للحصول على أساطيل في البحر المتوسط الابيض وأوصى التجار بأن يتناعوا والسفان حربية من البلاد الاجنبية فابتاعوا له منها قراوا فرا جعل بهم املاحين من الاجانب اولاهم استخدم كثيرا من قبودانات سفن التجار بالاسكندرية وبذلك أصبح له في زمن قريب أساطيل قوية مسلحة بالمدافع (١) على الطراز الذي كان يستعمل في ذلك الوقت وتمكن به من ارباب سفن قرصان الروم الذين كانوا لا ينفكون عن التعرض للسفن المصرية بين قياسات ونقاير وهي التي كانت تستغل على الدوام بنقل البضائع من الثغور الى داخل نهر النيل وقد ساعد به هذه الاساطيل ايضا الدولة العثمانية في كثير من حروبها كما علمته وستعلمه ولما احترقت أساطيله مع أساطيل الدولة في واقعة ناوارين كما ذكر في تاريخ الدولة العثمانية ورأى انه لم يبق لديه الا القليل من المراكب شرع في تكوين دونها أخرى من السفن الحربية التي كان أوصى عليها في بلاد أوروبا وبأتم اهتم كثيرا بانشاء دار صناعة بثغر الاسكندرية فجلب من أوروبا وبعثة آلات لتعميق الميناء واشترى جلة أما كن من خط الصيادين أدخلها في دار الصناعة الموجودة آنهارهالآن وتم العمل منها سنة ١٨٣١ م وجرى العمل بانشاء السفن الحربية فيها بنشاط واجتهاد بحيث لم يمض شهر يونيه من السنة المذكورة حتى أنزلوا أول سفينة

(١) المدافع هي أهم آلات الحروب وتصنع عادة من الحديد لثقل الكرات الحديدية فتهدم أو تهشم ما أصابته وقد ورد في تاريخ الصينيين أن المدافع كانت معروفة عندهم منذ سنة ٦١٨ ق م وأيد هذا القول العلامة باري (Barye) في تقرير قدمه الى الاكاديمية الفرنسية سنة ١٨٥٠ م وقد استعمل العرب المدافع في عدت حروب وكانوا يصنعونها من الخشب ويجزونها بالجبال ويطولونها بالطلاء لئلا تتهشم ثم أخذها عنهم الظليان فاستعملوها في حصار مدينة فلورانس سنة ١٣٢٥ م واستعملها اودوارد الثالث ملكا انكلترة في حربه ضد فرنسا سنة ١٣٤٦ في موقعة كرسى وكان فم المدفع وقتئذ اوسع من أسفله وقد تفننت المعامل بأوروبا في صناعة المدافع واستعملت الدول البحرية في أساطيلها أضعف المدافع فاشتهرت في أساطيل المانيا بمدافع كروب (Krupp) وفي انكلترة اشتهرت بمدافع معمل ارسترونغ (Armstrong) وفي فرنسا اشتهرت بمدافع كانت (Canet) وفي أساطيل اسبانيا اشتهرت بمدافع هونتوريا (Hontoria) وفي أساطيل روسيا اشتهرت بمدافع اختراع أوبوكهوف (Oboukhoff) وبلغت أكبر المدافع الآن ١٢٤ طونيلاته

حربية من نوع القبايق تحمل مائة مدفع وكانت عناية المرحوم محمد علي باشا بأمر البحرية شديدة حتى انه وسع المينا وصرح لسفن الفريج التجارية والحربية بالدخول في المينا الغربية ولم يكن يصرح لها بذلك من عهد الدول القديمة الى زمن احتلال نابليون بونابرت الديار المصرية فانه استعمل هذه المينا للمرسى المراكب التجارية الكبيرة الاوروبة وكانت سفن الفريج ترسو قبل ذلك بالمينا الشرقية لا غير وهي مينا كثيرة الاخطار لكثرة الصخور بها وتسلب الرياح الشرقية والشامية عليها خصوصا وان عمق مياه البحر فيها غير كاف فكان يحصل لكثير من السفن التي تقصدها في زمن الارياح أضرار بل قد تلف بعضها ومن وقت صدور هذا التصريح أخذت السفن الاجنبية تتوارد بالتجارة فأتسع نطاق الاخذ والعطاء والمبادلة بالقطر المصري ولما كان مدخل هذه المينا صعبا وضعا واجهة علامات بالبر والبحر تم تديها رؤساء البوغاز وقبودانات السفن عند دخولهم وخروجهم قال العالم الفاضل المرحوم علي باشا مبارك في صحيفة ٥٢ من الجزء السابع من الخطط ما ملخصه ان الترسانة كانت تشمل على جميع ما يلزم لانشاء وترميم المراكب الحربية وغيرها وقد أحضر لها محمد علي باشا سنة ١٨٢٩ م من مدينة طولون من مملكة فرانس المهندس الحاذق موسيو سيريزي وجعله بالمشهدس الترسانة ورماه الى رتبة البكوية فصار يعرف بسيريزي بك ثم وصل الى درجة لواء وكان الرئيس على انشاء وعمارة السفن بتلك المينار يحمل من الوطنيين يسمى الحاج عمر وكان صاحب ادارة ومعرفة غريزة واندغام على مثل هذه الاعمال مع الاصابة لما حضر مسيو سيريزي اتخدمه وساعده في جميع أعماله وفي ظرف خمس سنين من ابتداء سنة ١٨٢٩ تم جميع مواضع الترسانة مثل ورشة الخبال المعروفة بالتiale وورشة الحدادين وورشة القلوع والسوازي والبصل (١)

(١) البوصلة البحرية أو الابر المغناطيسية هي آلة من كبة من ابرة مغناطيسية وضعت لمعرفة النقط الاصلية فالابر المغناطيسية متصلة بأسفل دائرة من الورق السميك أو من الرق قائمة على ابرة المحور وعلى الدائرة المذكورة أسماء الجهات الاربعه وتقسيمها التاوية ودرجات المحيط و يوجد جهة القطب الشمالي للابر علامة أملمها علامة للقطب الجنوبي وقد صنع من البوصلات أنواع وأشكال نوع لتبيين اتجاه المراكب ونوع لتبيين اتجاه الكواكب وهذا يسمى ببوصلة الانحراف أو (كربيز) وبها فإيمان يسميان بالهدفين موضوعين على اطراف النحاس لسهولة تعيين اتجاه الكواكب وبعض يصل هذا النوع نظرا لصغره قائمة في أحد الهدفين لينظر منها الراصد لها مبعات من زجاج ملون لمنع تأثير شعاع الشمس في الغالب فوضع هذه البصل في صندوق من النحاس الاحمر أو الاصفر وتجعل على قائم من النحاس أو الخشب ويربط هذا القائم بحسامير من النحاس على سطح السفينة في خط المنتصف قريبا من دولا البفة بشرط أن يكون الخط الاسود المرسوم في طرف البوصلة على ممت اعتدال منتصف السفينة من جهة الطول وهي معلقة في داخل صندوقها على اطراف لتكون أفقية الوضع على الدوام مهما تحركت المركب وتكون الابر مغطاة بغطاء زجاجي لمنع دخول الهواء والغبار اليها قال المؤرخون ان أول من عرف البوصلة الصينيون واستعملوها في البرمنذ ثور بعين جيلا ولا يوجد دليل على استعمالها في البحار الا في القرن التاسع الميلادي في أسفارهم الى خليج الفرس والبحر الاحمر وعن الصينيين أخذها الهنود وعن هؤلاء أخذها العرب وقال قوم ان القدماء لم يستعملوا الا الحديد المغناطيسي بتعويته على قطعة من خشب القلين وقال غيرهم ان فلافيوجيو جوجا من نابولي (Flavio Gioja) هو مخترع الابر المغناطيسية سنة ١٣٠٠ ميلادية وخالفهم في ذلك الدكتور جلابرت (Jallabert) الذي قال انه أتى بارة القبلة من الصين الى ايطاليا نحو سنة ١٢٩٥ بواسطة ماركو بولو النندق (Marco Polo) وقد ثبت بالبراهين أنها استخدمت في فرانس نحو سنة ١١٥٠ م وكذلك في سفن دول الاسلام بسوريا وفي سفن التروج قبل سنة ١٢٦٦ وقد ورد في مؤلفات كثيرة ان العرب هم الذين اخترعوها وأخذها عنهم الفريج بمدنة الحروب الصليبية

والنظارات (١) والمخازن وأمر أيضاً فانتخبوا من شبان الاهالى من جميع المديرىات العددا اللازم للقيام باحتياجات المراكب وعلومهم جميع ما تحتاج اليه السفن على أيدي معلمين من البلاد الخارجية فاخص كل جماعة منهم بفرع من فروع انشاء المراكب حتى أتقنوها وشيدوا في زمن قليل سفنا كثيرة حربية في غاية الاتقان لا تنقص عن سفن الاور وباو بين في شئ وبذلك استغنت الحكومة المصرية نوعاً عن شراء السفن من البلاد الاجنبية الا أن جميع ما يلزم لانشاء المراكب وعمارتهما من الحديد والنحاس والخشب كان يجلب من البلاد الاجنبية ولاحتياج الامر اليها كان اربابها يتعاونون في اعمانها جتدا وليتها كانت من الانواع الجيدة بل كانت رديئة فان الخشب كان يأتي من جهات القرمان وبلاد ايطاليا غير مستوف اشروط الانتفاع به ولهذا كانت المراكب التي تصنع منه يسرع اليها العطب وتحتاج للاصلاح بعد زمن قليل ومع كل ذلك لم تضعف هممة العزيز في انشاء المراكب وكثيرا ما كان تجار المراكب يشبطون عزيمته ويبدون له ما لا مزيد عليه من الصعوبات وكثرة المصاريف ويدخلون عليه بكل حيلة ليصرفوه عن هذا العزم كل ذلك لانهم كانوا يرجون ارباحا كثيرة من بيعهم المراكب للحكومة المصرية مع أن المراكب التي كانت تشتري منهم مع ارتفاع اعمانها جتدا كانت إما قديمة أو غير جيدة الصنعة فلم يلتفت الى تبيطهم ولم تقعه همته بل ازادت رغبة في تلك الاعمال ورتب لها مجلسا اناطيه بجميع لوازم المراكب وجعل رئيسه مسيوسيريزى المذكور وانشأ مدرسة لتعليم صنعة السفن وما يتعلق بها وكان المشتغلون بانشاء المراكب وتعميرها اذذاك نحو ٨٠٠٠ نفس من الاهليين الذين تربوا على أيدي المعلمين من الافرنج وغيرهم وقد أتقن الصنعة منهم نحو ١٦٠٠ نفس فاستغنت بذلك الحكومة المصرية عن شراء المراكب من الخارج وكان المعين لها على هذا العزم موسيوسيريزى فكان دائما يسدى له من محاسن تلك الاعمال ونشأ بجها ما يحمله على تمييزها فلهذا تعصب الافرنج على موسيوسيريزى المذكور وضيعوا عليه حتى ألقوه الى الاستعفاء من تلك الوظيفة وبلغ ما بنى وعمر في مدته وعلى يديه من السفن الحربية ٤٥ سفينة تحمل ١٢٣٤ مدفعا وخصص لها من الجنود ١٠٠٠٠٠ نفس وجعل رئيسها موسيوسيون بك وبعد موته تولاهاموسيو وشار وبهما حصلت الكفاية في انشاء الدونما ثم لتتميم جميع منافع الترسانة وزيادة الامن على السفن الصادرة والواردة بنى القنار الموجود الآن برأس التين ولما كانت سفن الدونما وغيرها من المراكب لا تستغنى عن حوض (٢) في المينا

(١) النظارة آلة في طرفها زجاجات من الزجاج التي تشاهد بها الاجسام البعيدة ويستعملها الملاحون كثيرا لكشف السفن والسواحل وغيرهما وكذا تستعمل لكشف الاجرام السماوية وبسمها الافرنج بالتلسكوب والنظارة الكبيرة التي تدعى دورين وكذا النظارة المقرنة استنبتها جميعا فينوس وهو هولاندى ويقال ان اولاده هم الذين اكتشفوها بينما كانوا يلعبون بان وضعوا زجاجة مخوفة امام زجاجة مخدبة وذلك سنة ١٦٠٩ م وكذلك قيل ان اول نظارة فلكية اخترعها اوجنالييرسهي من ميديلورغ في هولانده سنة ١٦٠٨ م ثم تقف فيها الفيلسوف اسحق نيوتون والبارون هرشل وروس وغيرهم وقال آخرون ان اختراع النظارة كان في سنة ١٦٤٦ ميلادية واشتغل بهذا العمل كثير وفخرت واتستون الانكليزي النظارة ذات العينين سنة ١٨٣٨ م

(٢) الحوض عبارة عن محل في البحر متصل بالبر يختار لذلك بحيث يكون عميقا ويعمق بالكرا كانت حتى يصلح لدخول المراكب الكبيرة فيه ويحاط ببناء متين من الاحجار او ييجل من حديد او من الخشب ويكون طوله عادة يسع أكبر سفينة في البحر او يسع جملة سفن خلف بعضها ويكون عرضه بنسبة ذلك ويجعل له فم من جهة الماء يسد باب وفي هذا الباب منافذ تفتح وتغلق حسب الارادة فاذا اراد اذخال سفينة به للعمارته مثلا يفتح الباب فيدخل =

لاصلاح ما يحتاج منها للاصلاح امر المرحوم ايضا فسيبدو بالينساحوضا اتي على وفق المرام وانتفع به الخاص والعام بجميع الناس الاعمال كانت سببا لقوة السفن الحربية واثرتهم ولم تزل السفن تكثر ويحلب لها من البلاد الخارجية ما يلزم من الاسلحة والالات حتى قويت الدولتنا المصرية وأحرزت ما كانت فاقتها به دولتنا العلية من العدد والعدد والتعليمات النافعة التي لم تسمح الديار المصرية بمثلها في الاصر الخالية وجعل موسيو بيسيون ويس اميرا اعليها جميعها وأعطاه العزير بترتبة الميرالاي وكان قبل ذلك من ضباط الدولتنا الفرنسية وحاصل امره أنه كان سنة ١٨١٥ ميلادية في مينارشفور بسبقتينة حين كان نابليون يونايرت يريد الهرب من بلاد فرنسا فاعتده له أن يوصله الى بلاد امريكا وقبل منه نابليون ذلك فاستعدت بيسيون لهذا الامر ووضع في سفينته جملة براكيل فارغة مصفوفة بعضها بجوار بعض ليخفيه فيها فها نابليون جميع ما يلزم لسفنه وتواعد مع بيسيون على أن ينتظره بمجزرة ا كس فلما اجتمع معه في الميعاد وجدته قد رجع عن العزم على السفر معه وأخبره أنه كتب الى اميرال الدولة الانكليزية أن يأخذه عنده ثم شاع خبر توافقه معه على اخفائه فخاف بيسيون عاقبة ذلك وقد حصل بالفعل رفته لهذا السبب فصار يشتغل بالتجارات والاسفار في سفينة زوجته الى أن حضر سنة ١٨٢٠ م بمدينة الاسكندرية وكان العزير اذ ذاك مهمما بإنشاء السفن فعرض له بطلب الخدمة والمعيشة تحت ظله فجعله ملاحظا للسفن الجارية انشاؤها في بلاد اوروبا ثم جعله قبطانا للفرقون المسمى بالبحيرة الذي أنشئ بمرسيليا وكان به ٦٤ مدفعا ولم يزل يترقى الى أن أخذرتبة البكوية ثم صار اميرا لايالي الدولتنا المصرية بتمامها كما قلنا وكان وقتئذ قد بلغ عددها و عدد رجالها على ما ذكره كوت بك في تأليفه ٣٤ سفينة حربية بمجموع عساكرها البحرية ١٥,٦٤٣ وشغالة الترسانة بالاسكندرية ٤٠٧٦ المجموع ١٩,٧١٩ والمدافع التي كانت بها وقتئذ ١٣٦٤ ومصروفات العساكر والرجال البحرية تبلغ ٧,٥٠٠,٠٠٠ والمنصرف على المباني العسكرية ١,٨٧٥,٠٠٠ والمنصرف على ترسانة بولاق ٤١٢,٥٠٠ يكون المنصرف على القوة البحرية جميعه ٩,٧٨٧,٥٠٠ فرنك اه وسأني كل ذلك مفصلا في أبوابه من هذا التاريخ

ولما كانت عناية العزير بأمر البحرية وتقدمها في ازدياد انتخب كثيرا من ضباطها الذين نبغوا في مدارسها البحرية التي أسسها على نسق بحرية فرنسا وأرسل منهم جملة ارساليات لفرنسا وانكثرت لاعتناء تعليمهم الفنون البحرية والحربية وفن صناعة السفن وغيرها وبعد أن أتموا ذلك عادوا الى الاوطان وخدموا الدولتنا المصرية بعلومهم وفنونهم فتعين منهم كل من محمد بك الاستانبولي الذي تلى فن انشاء السفن بانكثرت وحسن بك السعران الذي تلى هذا الفن في فرنسا ريسين لقسم

الماء ويمتلئ الحوض حتى يوازي سطح البحر فتدخل السفينة من غير مشقة ثم يسد الباب وينزع الماء منه بواسطة والور يحرك طلوبات تأخذ الماء من الحوض من بحار مجعولة لذلك في جدرانها وعادة تتم هذه العملية بعد ساعات بحسب كبر الحوض وصغر حتى تستقر السفينة على ما كزمن أخشاب مجعولة فيه تسمى اسقرين قائمة فوق أرضية الحوض وتكون في هذه الحالة مستندة على أخشاب أخرى تسمى المناطيل تحفظها من الميل وتستمر واقفة كذلك مدة عمارتها طال أو قصرت وبعد انتهاء العمار تفتح منافذ الباب فتدخل الماء حتى يملأ الحوض فترتفع السفينة مع الماء ولائق يمنعها من الخروج من الحوض سوى فتح الباب أما الأحواض الطويلة التي تسع عدة سفن فأنهم متى أرادوا أن يدخلوا فيها سفينة محتاجة لاصلاح مدة زمن طويل جعلوا لها قسما خاصا بها من الحوض وفصلوا عن بقية الحوض لمنع دخول الماء الى هذا القسم فكان الحوض حوضا ومنتهى اصلاحها أطلقوا الماء كالعادة

ادارة الصناعة الهندسية وانشاء السفن بدار صناعة الاسكندرية فكانت لهما اليد البيضاء في انشاء السفن الحربية وتعميرها وتعين الباقون بصفة قبودانات بالسفن لتدريب طوائفها على الاعمال البحرية وترجم بعضهم عن كتب الاور وباوين عدة مؤلفات مفيدة فترجم جرحس محمود قبودان كتابا في فن الحرب البحري وترجم عبد الحميد بك الديار بكركلى مؤلفا في مقياس السفائن وترجم محمد شنان أفندى قانون البحرية وترجم عثمان نور الدين باشا كتاب القواعد البحرية وآخر في السياسة البحرية أى قانون العقوبات وترجم أحمد خليل أفندى المهندس قانون نامه من بحرية وكابا في فن الطوبجية البحرية وترجم هؤلاء أيضا وغيرهم كثيرا من القوانين واللوائح والنظامات البحرية المستعملة في سفن اساطيل فرانسوا وانكلتره ونشرت على ضباط البحرية واتبعت أحكامها بالدونما المصرية فازدادت بها انتظاما وقوة وصارت في زمن قليل كما كى أعظم بحريات أوروبا ونشأ بها قواد ماهرة من الوطنيين كانت لهم الشهرة في ذلك العصر فعين عثمان نور الدين باشا سر عسكرا على الدونما ثم خلفه موطش باشا وتعين حسن باشا الاسكندرانى مديرا العموم دار صناعة الاسكندرية ومصطفى بك الريالة المعروف ببشكا كى مفتشا بالدونما ومحمد راشد بك ناظر الترسانة ومخازنها وأمين بك الاستانبولى وكيلادىوان عموم الدونما وقد أظهر الجميع كفاءة ونشاطا واهتماما عظيما خلدوا لهم به ذكرا حسنا ولما كان محمد على باشا يعيل الى الاطلاع على دقائق التاريخ كان يبحث عن الطريق الذى قدم دول أوروبا وبأفظهر له أن سبب ارتفاع شأنها وزيادة ثروتها واتساع تجارتها أتى معظمه من اهتمام ملوكها بأمر الاساطيل والتجول بها فى البحار المفتوحة الابواب لاكتساب الثروة من اتساع الصلات التجارية مع البلدان الاخرى وبذلك تمكنوا من امتلاك كثير من المستعمرات فى أغلب سواحل المسكونة ولهذا كانت ملوكهم تتسابق الى ازدياد قواهم البحرية حتى أنهم أدرجوا فى سلكها كثيرا من أمراء العائلة الملوكية فشرف شأنها وأمال الناس للدخول تحت رايها واهتم كثير منهم بانشاء الشركات البحرية التى عادت على بلادهم بالمنافع الجمة لذلك اعتنى المرحوم محمد على باشا بأمر الاساطيل وزيادة عددها وعلم ولده المرحوم محمد سعيد باشا فنون البحرية ولما حصل منها على القدر اللازم جعله سوارى باحدى سفن العمارة المسماة دمنهور وما زال يترقى فى البحرية الى أن صار سر عسكرا للدونما وهذه الوظيفة نوازى وظيفه الاميرال الاول فى البحرية وقد ترقى فى البحرية فى أيامه حتى وصلت الى درجة فاقت بها قوة بحرية معظم الدول التى حكمت بلاد مصر لان قوة بحرية دولة البطالسة التى أطنب بها جميع مؤرخى البحار وان كانت بلغت فى القدر والعدد درجة عظيمة الا أن الترقى الذى حصل فى فن انشاء السفن وفى المعلومات الجغرافية والفلكية وفى علوم البحرية وفى صناعة السفن فى هذا الوقت جعل العزيز يصنع مرا كبة البحرية على القدر الذى لا يتقص عن سفن أعظم دول البحار وقد كان بدونا غتمه من صنف القليون فقط أحد عشر قليونوا يحمل كل واحد منها مائة مدفع به من الجنود ١٠٤٥ نفر اقهذه الاساطيل التى كانت حصونا ساجحة فوق البحار واتى يدفع بها كل من قصد البلاد بالشرا نالت مصر هبة قوية بحيث كانت تعد بين دول البحار كما شهد لها بذلك كثير من مؤرخى البحار

ولم تقتصر أعماله البحرية على البحار المالحة فقط بل أرسل عدة رساليات فى نهر النيل لاكتشافه ومد نفوذه وتجارته الى أقصى جهاته كما سأتى فى تاريخه وقد عادت هذه الارسلات على علم الجغرافيا بالتقدم العظيم وقد كتب البكباشى البحرى سليم قبودان وكان رئيس الارسلية الاولى رحله ذكرفها تفصيل السياحة بالنيل الاعلى وقد رافقه فى رحلته الثانية التى ابتدأت فى ٢٣

فوفبر سنة ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ الموسيودرنوبك وكل من ساباتي الفرنسي وقرنه الالماني فسارت هذه الارسالية في النهر الابيض من الخرطوم مسافة خمسمائة فرسخ ولم تجد من الانهر المهمة التي تصب فيه الانهرين عظيمين يجتمعان به في شماله ويختلطان به أحدهما نهر سوباو ويقال له نهر جوجب يخرج من شرقي بلاد سافاو يرسم حول بلاد كفا انعطافات شبيهة بانعطافات النهر الازرق وثانيهما بحر الغزال وهو يصب في بحيرة نوا المسماة كوير ولما وصلت تلك الارسالية الى جزيرة جاندكبير وجدت بالقرب منها كسباناً من الرمال والصحور بالنيل تمنع سير السفن منعاً كلياً ولمارس سفن الارسالية على هذه الجهات ووجدت هذه الموانع اقتضت على أخذ الاستعلامات اللازمة والاستفهامات النافعة فيما يختص بمنابع النيل ثم قفلت راجعة ووصلت الى الخرطوم في ١٨ مايو من سنة ١٨٤١ م ١٢٥٧ هـ وقدم أعضاءها خريطة وتقريراً عن اكتشافاتهم أما التجربة الثالثة فسافرت حينما كان أحمد باشا المنيكلي حاكماً للبحر العموم السودان خرجت في ٢٧ فوفبر سنة ١٨٤١ م ورفقتها عشرة مرابك مسلحة بالمدافع فلم يأت عملها بشئ جديد سوى انعام الناقص من الاكتشافات الاصلية واكالم نواقص خريطةها ولما عاد الموسيودرنوبك الى مصر أمره العزيز برسم خريطة عمومية من منبع النيل الى الخرطوم ومنها الى أبي حمد

ولما ارتقى الرمح ابراهيم باشا على الاريكة المصرية كانت البحرية آخذة في السير بطريق التقدم على النظام الذي سنه لها والده محمد علي باشا وقد سر رجال البحرية لما يؤمنونه فيه من ابلاغها على يديه أوج الارتقاء لما اشتهر به من الاعمال التي عادت على هذا القطر السعيد بالهيئة لدى جميع الممالك فهو في الحقيقة يعد مشاركا للمؤسس الاصلى في تقدم البحرية المصرية كما تقدمت العسكرية وباقى فروع الادارة المصرية وان كانت مدة حكمه قصيرة لا تزيد عن السبعة شهور لانه رحمه الله قد تولى ولاية مصر بطريق الوكاله عن والده في ربيع سنة ١٢٦٤ هـ وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر الى دار الخلافة لتقديم فرض السكر لجلالة السلطان على قليون بنى سويف قبودانه حسين شرين بك ترافقه فرقة من الاسطول المصرى كما سيأتى ذكره ولما وصل الى مياه الارخبيل انتقل من القليون الى الباخرة العثمانية التي أرسلت له ولما نال فرمان الولاية وعاد الى مصر اشتغل أولاً بأهم الامور فأتم حصون واستحكامات نجر الاسكندرية على الطريقة التي رسمها رئيس هندسة الاستحكامات اذذاك المدعو جليس بك كرجبة العزيز والده وشجعها بالاسلحة والمدافع والجنود وأصدر أمره الى رئيس البحرية بإنشاء مائتين وخمسين سفينة مدفعية من نوع الشوبات تحمل كل واحدة منها مدفعين لحفظ البوغازات والاشاتيم والملاحات وبهذه التوجه الجديدة زادت البحرية بمائة واستعدادها واذلك قال بعض المؤرخين إن ولاية ابراهيم باشا على مصر وان كانت قصيرة في الحس لكنها طويلة في المعنى بما نالته البحرية وغيره من التقدم ولو مد الله في عمره لنالت البحرية المصرية على يديه أسمى درجة وأكمل غاية

ولما تولى المغفور له عباس باشا الاول (١٢٦٥ هـ) وجه أفكاره وعنايته للاعمال المفيدة المهمة كانشاء الخطوط الحديدية ومد السلك التلغرافية فاستخدم أكثر ضباط وملاحى السفن الحربية في إقامة الجسور للخطوط المذكورة وغيرها وبقية الاساطيل مهملة خالية من الملاحين

وقد نسب بعض كبار البحرية تحويل أنظار العزيز عن الاساطيل الى النفور والاغترار بالخاصل
 بينه وبين المرحوم سعيد باشا الذي كان وقتئذ سرعسكر للدونما وقد قام في خلالها ذوالغايات من
 رجال كبار البحرية بأحوال مضرّة فاسدة لبنا لوالمن جانبها نفوذ أغراضهم وفي مقدمتهم محمد خسر وبك
 الذي كان ناظر الترسانة حيث أساء معاملة العمال حتى ألبأ كلاً من محمد بك الاستانبولي ومدبر أعمال
 هندسة البحرية والانشآت وأمين بك وكيل ديوان الدونما الترتك الخدمه بل والمهاجرة من البلاد
 خوفاً على أنفسهم ما لانهما كانا من المتسولين الى سعيد باشا وغير ذلك من الاعمال وقد تسبب من
 ذلك تعطيل أمور دار الصناعة والاساطيل وانحطت درجتها وبقيت السفن الحربية في أماكتها
 لا تتحرك الى أن قامت الحروب المعروفة بحرب القريم بين الروسيا والدولة العلية العثمانية سنة
 ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) وطلبت الدولة من الحكومة المصرية النجيدات كما تقتضيه الفرمانات
 فاصدر المرحوم عباس باشا عند ذلك الاوامر الى دار الصناعة بتجهيز الاساطيل وقام كل من أحمد بك
 الجوخدار وكيل ديوان الدونما وكان محبوباً لدى العموم ومحمد خسر وبك ناظر الترسانة المبعوض
 من عموم أفرادها بما يجب عليهما وأخذ يجهزان السفائن ويسرّانها لنقل الجيوش المصرية المراد
 ارسالها للدار الحرب وصدراً مراً في أواخر رمضان سنة ١٢٦٩ هـ باستدعاء كثير من الضباط
 والعساكر البحرية المشتغلين بإنشاء الطرق الحديدية والتغرافات ليهودوا الى سفنهم ولم يرض زمن
 قليل حتى تجهزت عبارة مركبة من ١٢ سفينة حربية بها ستمائة وثلاثون مدفعا عقداؤها وأهلها المرحوم
 حسين باشا الاسكندراني سافر عليهما من الجنود البرية عشرون ألف جندي جعلت قيادتها السليم باشا
 الشهير بابي طربوش وأحمد باشا المنكلي وخرجت هذه القوة في شوال من سنة ١٢٦٩ هـ ومن هذا
 الوقت عادت الاعمال نوعاً الى دار الصناعة التي أخذت تجهز المعدات اللازمة الى ذلك الاسطول
 الذي بقي عيانه الحرب وكان هذا آخر الاساطيل الحربية التي جهزتها الحكومة المصرية من سفن
 عمارة محمد علي الكبير وقد اشتهر رجال هذه القوة في تلك الحروب كما سيأتي في بابها من هذا الكتاب
 ولما كان عباس باشا رحمه الله يميل الى الاقتصاد ألغى في أول حكمه الجيش ولم يبق منه الا القليل وأبطل
 جميع المعامل التي كان جده أنشأها في كثير من بلاد القطر حتى أصبحت خالية خاوية بعد أن كانت
 تقدمت وراجت مصنوعاتهم ايين عموم المصريين بل وجودها وقلة أعمانها هذا فضلا عن التقدم الذي
 حصل لابناء البلاد في فنون الصنائع المختلفة وفي إنشاء حروب القريم السابق ذكرها أرسل المرحوم
 عباس باشا الاول رسالتين علميتين خلف بعضهم الاولي للكشف على المواقع التي يمكن للجيوش
 الإقامة فيها بالحدود المصرية غربي الاسكندرية ومعسرة الاماكن التي يمكن للسفن الاجنبية
 أن تقرب منها وترسو عليها في تلك السواحل والثانية للكشف على جميع فرض ومينات السواحل
 المصرية الغربية الواقعة على بحر الروم وكان مع الرسالتين المذكورتين من قبل البحرية العلامة
 البحري سليمان قبودان حلاوه وقد أنجزت هاتان الرسالتان ما أمر تابه ورسمت خريطتين (١)
 مفصليتين

(١) الخريطة قطعة من القماش أو الورق مرسوم عليها قارة أو بعض قارة وعرضها للملاحين قطعة من الورق أو القماش
 مرسوم عليها قسم من بحر أو بحر بتمامه مع السواحل والجزر القريبة منه بحيث تكون شاملة لما في تلك السواحل
 والجزر من تعاريف وأنها رؤس وجبال وما أشبهه ومرسوم عليها أيضا خطوط الأطوال والعروض وما هو ضروري
 للاستدعاء للملاحين والخرائط على نوعين خرائط مسطحة وخرائط كروية والخرائط المسطحة هي التي يستعملها

وفي مدة حروب القسريين المذكورة كانت المواصلات والاخبار لا تقطع بين الاستانة والديار المصرية بواسطة وابورى النيل واسميوط وهما الباخرتان اللتان اشتهرتا بسرعة السير في الدونما المصرية وقتئذ لان أغلب سفنها الحربية كانت شرعية فلهذا استعملت الترسانة الباخرتين المذكورتين في نقل المهمات والذخائر ونقل رسائل البريد ما بين نجر الاسكندرية وميدان الحرب حيث كانت الجيوش المصرية وكان عبد الحميد بك الديار بكرى قومندان الباخرة النيل وخليل شقتر قبودان قومندان الاسيوط

ولما ارتقى محمد سعيد باشا على كرسي الولاية المصرية بعد قتل عباس باشا (١٢٧٠ هـ ١٣ أغسطس ١٨٥٤) اهتم بأمر الوقوف على حقيقة منابع النيل فبعث بالامير عبد الحليم باشا الى السودان وجعل تحت أمره عدة سفان نيلية وأحال عليه أمر تفتيش ادارات السودان

الملاحون في الاسفار القربية أما الخرائط الكروية في رسم عليها كل البحار والاقيانوسات وما على سواحلها من البلدان والقرى وتكون عليها خطوط الأطوال والعروض وغيرها وقد أجمع المؤرخون على أن المصريين كانوا يعرفون رسم الخريط من قديم وكذلك كانت الخريط معروفة عند الاسرائيليين قال المؤرخ الشهير هيرودوت ان القرنس في عهد دارا كانوا اقفين على رسم الخريط وقال فيرديان رسم الخريط انظم بعد انتشار علم الجغرافيا وقد كان الفينيقيون أول من نجح في توسيع المعارف الجغرافية حيث طافوا بجميع السواحل بالبحر المتوسط الابيض وعبروا بوغاز جبل طارق وطافوا على سواحل الاطلنطيق في أوروبا وبقية ثم اتسع نطاق الجغرافيا ايضا بالرحلة البحرية التي أرسلها المخاومك مصر سنة (٦٠٠ ق م) للطواف حول سواحل افريقية واتسعت ايضا باسفار هنون (Hannon) الملاح القرطاجي في القرن الخامس قبل الميلاد له بعد أن عبر بوغاز جبل طارق بستين سفينة تتبع ساحل افريقية حتى وصل الى جون بنين وذهب آخرون الى انه لم يتجاوز نهر نون ويقال ان بوتياي اناكسيمندر (Anaximandre) هو الذي كشف كروية الارض وتقسيم عليها اصول رسم الخرائط ومن أقدم هذا الفن بناس البحار من سيليا سنة ٣٢٠ ق م حيث دخل الاطلنطيق ومر بسواحل اسبانيا وبلاد الغال و دخل بريطانيا واكتشف جزيرة طنها البعض جزر اسالاند وحسب البعض شتلاند وفي رحلته الثانية دخل بحر الباطيق وقد حاول اراتوستين (Eratosthène) الجغرافي الشهير الذي تبع من مدرسة الاسكندرية (٢٧٦ ق م) تقطع خرائط من بحر سفيديو وضع عليها العروض والاطوال ويقال ان مدرسة الاسكندرية كانت تعرف شكل الارض الكروية وخطوط الأطوال والعروض وكانت البلدان الواقعة على بحر الروم معروفة عندهم معرفة تكاد تكون صحيحة وقد أتى استرابون الجغرافي الشهير في كتيبه بجملته تصحيحات بعد رحلته الشهيرة وذلك في نحو سنة ٣٠ ق م وكذا الجغرافي الروماني هويمونيوس ميلا في عهد الامبراطور كلوديوس ثم اشتغلت علماء العرب بهذا الفن فأنتج ابن أبي شيبه عبيد الله بن عبد الله كتاب المسالك والممالك وابن حوقل في القرن الرابع الهجري وألف ابن الوردي خريدها الجاهل وكتب ابن فضل الله العمري في القرن الثامن مسالك الابصار في ممالك الامصار وهو ٢٠ مجلدا وألف ياقوت الحموي مجمل البلدان فأؤدبه الملايين وعلم الجغرافيا وألف سلمان ابن أحمد المهري عن اسفار في البحر المحيط الشرق كتابهما يدعي عمدة المهرة وآخر يدعي تحفة الفصول وثالثا يدعي المنهاج الفاخري في علم البحر الزاخر وألف أبو حنيفة الديشوري كتاب الانواء فأؤدبه انك علماء الملاحه وقد رسم العرب الخرائط العظيمة التي كانت أول مساعدا لاكتشافات التي قام بها ملاحوا اسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر والسادس عشر لبلاد فكانت لهم من أكبر الوسائل حيث هدتهم الى ما قصدوه من البلاد الاماكن والمارات دول أوروبا وفي رسم الخرائط البحرية فائدة عظمى للبحر به خصصت لها ادارات مخصوصة للقيام بهذا الامر المهم ورثت كل من انكلترة وفرنسا ادارات لذلك وهي المسماة بالهيدر وجراف (Hydrographe) أي الطبوغرافية الملاحية

وفحص أحواله ثم بعد عودة العزيز من دار الخلافة على الباخرة المصرية النيل ورجوع الاساطيل والعساكر من حرب القريم الى ثغر الاسكندرية توجه بنفسه الى الخرطوم سنة ١٨٥٧ م وبعدها ان اطلع على أحوال السودان أصدر الاوامر باجراء ما يلزم لاصلاح أحواله واتخاذ دارصناعة في مدينة الخرطوم وقسم البلاد السودانية الى خمس مديريات جعلها سار وكرديان والتاكو وبرودنقله ولما عاد الى القاهرة وجه عنايته للاساطيل وأصدر الاوامر الى ناظر الترسانة فأعاد العمال اليها ولما قصد أن يصلح ما تخرب من سفن الدولتيا المصرية بأمر سلطانيتها تأمره بالمنع بدعوى أنه لا حاجة لها في الوقت المذكور وقد شعاع وقتئذيين بعض رجال البحرية بأن السبب في اصدار الدولة هذا الامر سعي سفير إحدى الدول البحرية التي ساعدت الدولة في حرب القريم وصار لها بعد ثذ النفوذ الكبير في الاستانة لان ارتقاء الحكومة المصرية في البحار ينافي مصالحها وقد كان هذا المنع سبباً لأن فقدت مصر جميع أساطيلها فان سفانها التي كانت تخربت بقيت على حالتها حتى وصلت مع الزمن لدرجة الاضمحلال ولما نظر العزيز بأن السفن صارت غير صالحة بالمرة واذا أريد إعادة اصلاحها تكلفت مصاريف توازي أثمانها أمر بتكسيروها ومع كل ذلك لم تفرهمه محمد سعيد باشا عن الاهتمام بأمر البحرية فإنه أمر بابتاع جلة بواخر حديدية منها قرويت حربي يسمى سيح البحر وهو الذي صار تكبيره وتحويله فيما بعد بانكتره الى فرقاطة سميت محمد علي ثم أصح اثنتين من الفرقاطات الباقية من سفن الدولتيا القديمة وكذا أصح وابوري النيل وأسبوط وابتاع في سنة ١٢٧٨ هـ وابور فيض جهاد وجعله لكرتته وعين على قيادته مصطفى ددش قبودان وأخريدي حسين قبودان الردوسلي وعين سليمان قبودان حلاوة مأمورا لحساب سفريه الوابور المذكور وأحيل عليه تصحيح ساعات الكرو نومتر فيه وكان من البواخر التي ابتاعها المرحوم سعيد باشا من أوروبا بانخرتان مدرعتان من نوع الدوبة المدرعة عرفان زرخ عمرة واحدة وزرخ عمرة اثنتين وكان ابتاعهما لاشتمالهما داخل نهر النيل عند الحاجة وفي هذا الوقت كانت أكثر دول أوروبا آخذة في صناعة المدرعات وتغييراً كثر أساطيلها الخشبية الى مدرعات حيث ظهرت منفعتها ومتانته في الحروب وكانت دولة فرانساً أول من أحدثت السفن المدرعة سنة ١٢٦٨ م وقد نفي بعضهم هذه الرواية مدعيان أن المدرعات كانت معلومة من القديم لان كثير من الامم كانت تكسو سفنهم من الخارج بالواح معدنية فقد وجد ضمن أساطيل قرطاجنة في الحرب البونيقية سنة ١٤٦ ق م نحو ١٢٠ سفينة قرطاجنية مدرعة بالحديد وفي سنة ١٣٥٤ م استعمل الملك بطرس الخفيف (Pierre le Cruel) ملك قسطنطينية في أساطيلهم من الخارج بالواح الحديد لوقايتها من الحريق وكذا كسى النورمانديون في القرن الثاني عشر سفنهم من الخارج بالواح الحديد لوقايتها من المواد المحرقة وصنعوا في جانبها حواجز لوقاية الجذافين والجنود المقاتلة من مقذوفات العدو وكانت أيضاً سفن شارل كان (Charles V) التي أرسلها الى تونس سنة ١٥٣٠ م مصفحة من الخارج بالرصاص وكانت بين أساطيل جنوة التي قادها اندريا دوريا في محارباته خير الدين باشا بارباروس كثير من السفن المصفحة من الخارج بالرصاص وقالوا أيضاً ان أول سفينة صنعت من الحديد كانت بانكتره في الجهة التي تدعى برادلي (Bradley) (١٧٨٧ م) وأول سفينة بخارية سارت في البحار

كانت في سنة ١٨٠٧ م وشرح ذلك البعض حيث قالوا ان أول من شرع في عمل الآلة البخارية هو دينيس باين وكان طبيباً برتوستانياً فرنسائياً الأصل سنة ١٦٩٠ م ثم ركب تلك الآلة على سفينة صغيرة في وادي فولدا في كاسل سنة ١٧٠٧ م ولكن لسوء حظه قام على سفينته بعض الرعاع في وادي الويزر وكسروها ولم يعد في وسعه تجديدها ثم اعتنى في هذه الاعمال النافعة بحسن واط المشهور وحسن الاختراع وكاد ينجح نجاحاً تاماً في صناعة السفينة البخارية لتسير بواسطة دواليب من الجانبين (طارات) ولم تساعد المقادير على اتمامها ثم تداول هذا العمل أياد كثيرة ولكن لم تنجح تماماً حتى سنة ١٨٠٣ م حيث أنزل روبرت فلتن الاميركاني أول سفينة بخارية تامة بدواليب في نهر السين بباريس منذ كان في فرانسوا وصادفته عراقيل منعت من تميم عمله فذهب فلتن المذكور الى امريكا وطنه وهناك تمكن من صنعها سنة ١٨٠٧ م كما سبق وكانت تسمى كلارمون وسافرت من نيويورك الى فيلادلفيا أما آلة الذنب المسماة بالفانم فاختراع لها هو المهندس اريكسون من أهل أسوج في البلاد المتحدة الاميركانية أيضاً سنة ١٨٤٤ واستعملت من وقتئذ في السفن

ثم وجه محمد سعيد باشا عنايته للاحة في بحر النيل فأوجده مصلحة خاصة سميت بالانجرارية وأصل دار صناعة بولاق وابتاع جلة بواخر وصنادل ولم يمض زمن طويل حتى بلغ عدد بواخر هذه المصلحة خمسين باخرة غير المراكب الشراعية تختلف قوة الواحدة منها بين ٤٠ و ١٤٠ حصاناً وكان بهذه المصلحة أيضاً واحد وستين صندياً جولة أصغرهما ١٥٠ اردب وجولة أكبرها ١٦٥٠ اردب وعين لادارتها عدة ضباط وملاحين من رجال الدولتنا المصرية ولما بطل العمل بدار صناعة الاسكندرية تشقت صناعاتها في أنحاء القطر السعي وراء قوتهم وابتاع العزيز أيضاً أربعة بواخر للبحر الاحمر وهي الخجاز ونجدو القباري وجدة وكانت مكسوة بالواح الحديد ليست معدودة من سفن الحرب وبها سافر الى الخجاز لاداء الفريضة وقد دخلت هذه السفن فيما بعد ضمن سفن الشركة المجددية التي تشكلت بالديار المصرية بمقتضى فرمان السلطان الصادر في أول فبراير من سنة ١٨٥٧ م ١٢٧٣ هـ ولما صار لمصر عدة بواخر في البحر الاحمر رأى المشار اليه من اللزوم ايجاد بعض الورش فأمر بها فشيئت وشيئاً أيضاً حوضاً من الحجر بالسويس لاصلاح تلك البواخر عند الحاجة عهد بيننا لشركة اجنبية فرنسائية تعرف بشركة دوسو (١٨٦٢ م) ١٢٧٨ هـ بلغت تكاليفه ٨٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ فرنك ومع ذلك فإنه لم يتم الا في زمن المرحوم اسماعيل باشا وأعاد فتح المدرسة البحرية وانتخب لها من تلامذة المدارس الحربية العدد الكافي ونسب بهذه المدرسة كثير من الضباط الذين سيأتي ذكرهم في هذا التاريخ ويروي أن أحد أمراء البحرية قال في حضرة المرحوم سعيد باشا لقد كثرت عدد الضباط المتخرجين من المدارس البحرية الا أنه ليس لمصر من السفن ما يكفي لتوظيف هؤلاء الضباط فأجابه سعيد باشا ان المدرسة البحرية لا بد من وجودها وتخرج ضباط أكفأ منها لان ذلك يحتاج لزمن بخلاف الحصول على السفن فإنه أمر سهل لانه متى مكنتنا القرص اشترينا منها ما يلزمنا الا التالنج من يديها من القواد المهرة المتدربين في مدة لا تنقص عن العشرين سنة وهو قول صواب ورأي جيد وكان رحمه الله لما زاد في عدد البواخر الحديدية وشكل منها القومانية المجددية

ورأى أن الحوض الحجري الذي شيده المرحوم والده محمد علي باشا صغير الحجم لا يسع البواخر المذكورة لكبر حجمها وان اشتغالها في أعمال البريد والتجارة وخلافها مما يجعلها في أغلب الاوقات عرضة لغوائل كثيرة مثل ملاطمتها للصخور أو الرمال أو ببعضها بعضا وكذا قد يزول طلاؤها من قاعها المنحور في الماء من طول اقامتها في البحر ويلتصق بأسفلها الحمار ويتراكم على بعضه فيقل سيرها المعتاد فلذلك لا تستغنى ولو مرة في كل سنة عن الاصلاح والمسح والطلاء بالدهان في داخل الاحواض أمر بتشييد حوض كبير بجانب الحوض الصغير السابق ذكره وأن يشيد في رأسه أيضا قراقا من الحجر على شكل منزلتان لتسحب فوقه السفن الى البر فتكون الفائدة مزدوجة حيث يمكن بوجودهما اصلاح جملة بواخر فوق القراق المذكور وبداخل الحوض وقد أنيط هذا العمل ببعض مهندسي الاوروپا وبين وبعد أن تم القراق وجهلوا في نهايته آلة بخارية لتسحب السفن وشرعوا في تشييد الحوض أمام القراق المذكور تعطلت الاعمال مرة واحدة وكان ذلك في عهد نظارة حافظ خليل باشا البحرية ويروى أنه كان أول الساعين في ذلك لانه أخذ الاخشاب والخوازيق التي كانوا غرسوها لهذا العمل بمئتين بخس واستخدمها في الفرضة الكائنة أمام شوادير الخطب باسكندرية وكان المرحوم سعيد باشا أنعم عليه بها أخذ ايرادها لنفسه

وفي أيام المرحوم سعيد باشا سعى الموسيوقردينان دولبسس وقدم طلبا بفتح قنال السويس وذكر فيه المنافع التي تعود على الديار المصرية من فتحه لانه الطريق الاقرب بين ثغور جميع بلاد اوروپا وثور البلاد الهندية الغنية والشرق الاقصى وبذلك يتحول طريق السفائن التجارية الاوروپاوية التي كانت تقطع الطريق الطويل حول افريقية مارة برأس عشم الخبير الى القطر المصري فتسهل المواصلات ويعود على مصر خصوصا فوائد جمة وبعد أن تقابل دولبسس المذكور مع العزيزة من اروسعي بكل الوسائط الممكنة وأفهم بعض حاشيته أهمية ذلك سمح محمد سعيد باشا بفتح الشركة الغير المملوكة الاعضاء التي قال عنها الموسيوقردولبسس المذكور في تقريره بامتياز انشاء القنال المذكور وكان ذلك في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ م ١٢٧١ هـ وقد ساعد سعيد باشا الشركة بكل ما أمكنه كما سيأتي في تاريخه

ولما قبض اسمعيل باشا على الاريكة المصرية (١٢٧٩ هـ) وكان يريد ترقية أحوال البلاد أعاد للبحرية المصرية حياة جديدة وأنشأ شركة البواخر المعروفة بالقومانية العززية بعد أن أبطل القومانية الجعيدية السابقة فكانت من أعظم الاسباب في جلب المنافع للبلاد واتساع تجارة مصر وبعد أن كانت الديار المصرية تحت تحكم السفن الاجنبية تخلصت من تلك السيطرة وترقت حاله سفنها حتى زاحمت سفن جميع الدول في مزاياها وصارت تنحرف في كل البحار المجاورة لمصر وشاركت غيرها من الشركات الاجنبية في جر المنفعة فكانت تتردد في اوقات معينة على بلاد اليونان وبلاد الاجر على ثغور مصوع وسواكن وينبع وجدة والحديدة وعدن وغيرها من ثغور بلاد العرب وتصل أيضا الى زيلع وبربرة وغيرها وفتح المدارس البحرية بعد اندراسها وأحضر لها مهرة المعلمين والاساتذة من انكتره وغيرها وأعاد لدار الصناعة عملها وأمر المرحوم عبدا الطيف باشا ناظر

البحرية وقتئذ بما شروا إنشاء السفن الحربية الجديدة التي أمر بها فأنشأ سفينة بخارية بحرية من نوع القرويت دعيت لطيف ثم أنشأ قرويت آخر سمي الصاعقة انتهى العمل فيه أيام نظارة المرحوم شاهين باشا البحرية وسلحهما بالمدافع الجديدة من نوع الارمسترونغ وأهدى الخديو المشار اليه السلطان عبد العزيز وابو راحر بيادى فيض جهاد كان لكويته الخاصة وسمى فيما بعد بالسلطانية وكان سألته المرحوم سعيد باشا أهدي للسلطان أيضا قارطة بحرية وهي المعروفة الآن بأسم مخبر سرور ولما تم للقوم بانية العزيزية ما يلزمها من السفن وكان تعيين لادارتها حسين شيرين باشا أحضر واليهما من أنحاء القطار ضبطات البحرية الخالين من الخدمة وطلبوا اليها أيضا كثيرا من عساكر البحرية خصصوها لخدمتها وبذلك صارت أكثر الشركات الاجنبية نظاما وقد بلغ عددها سفنها بالبحر الابيض المتوسط ١٩ باخرة وبالبحر الاحمر عشرين سفن أخرى وحصلت مصر بذلك زيادة عن تواردها محمولات الاقطار المختلفة على انتظام ادارة البريد وزيادة العمارة في سائر الثغور المصرية وترقى البحرية وبلغ عددها السفن الاسطول الحربي المصري ١٨ سفينة قوة آلاتها معا ٤٥٨٠ حصانا بخاريا تستهلك من الفحم الحجري كل سنة ١١٠,٠٠٠ طون لانه منها في البحر الرومي سبثن المحر وستة ومصر والغربية ومحمد علي ولطيف والصاعقة وأسبوط ومخبر ونور الهدى ويتبع ذلك سبع سفن شرعية وابو ريدى العجى وزخان ثمرة واحد وثمرة اثنين وسفن البحر الاحمر هي شيرجهاد ودنقله والطور وسنار والخرطوم وشندي ومنمود واسوان والجعفرية ثم لما عزم المرحوم اسمعيل باشا على ابطال الشركة العزيزية ابتاع جميع أسهمها وحولها الى شركة جعلها خاصة بالحكومة المصرية ومما هابا بوسته الخديوية ولا زالت موجودة لآن وسفنها تخترق في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمرين ثغور الدولة العثمانية والحكومة المصرية

ومن الامم الاحاط البحرية التي تمت في عهد الخديو المشار اليه أن نظارة البحرية وقتئذ رأت ان ساعات (١) الكروية موجودة بكافة لوازمها تحتاج الى التصحيح في أغلب الاوقات لضبط

(١) تطلق الساعة على الآلة المعروفة لقياس الزمن فالساعات عند الفلكيين على ثلاثة أنواع الساعة الحقيقية وهي المعول عليها عندهم والساعة الشمسية الوسطى والساعة الشمسية الحقيقية ويساوى كل منها $\frac{1}{24}$ من النهار فالساعة الشمسية الوسطى تعين بالساعات المثقنة الضبط والساعة الشمسية الحقيقية تعين بحركة الشمس والساعة الحقيقية المستعملة في المراصد تضبط للوقت التجمي وتعرف بالساعة الفلكية وتصنع بطريقة مخصوصة وتقابل كل يوم مرارا على الفلك ليتحقق ضبطها ويجعل اليوم فيها ٣٦٠ درجة فتكون الساعة ١٥ درجة ومن هذه الساعة ساعات الكرونومتر المستعملة عند الملاحين وفي كافة السفن الحربية والتجارية وهي ساعة محكمة الصنعة متبسطة الحركة وهي مركبة على بندول معتدل يصنع من معدنين مختلفين النحاس الاحمر والصلب ولما كان النحاس يقبل التمدد والانكماش أكثر من الصلب اتخذوا في المعامل طريقة وهي انه قبل وضع هذا البندول في الساعة يضعونه في درجة عظيمة من الحرارة مدتم من الزمن ثم يضعونه في درجة مثلها من البرودة ثم أخرى وذلك لعدم تأثير البرودة والحرارة على حركة الساعة عند انتقال السفن مدة الاسفار من المنطقه الباردة الى المنطقه الحارة أو بالعكس والملاحون يستعملون هذه الساعة لاستخراج طول الامكنة المراد معرفتها لان سيرها يكون عادة على وقت نصف نهار يوم متوسط المكان المعبر ووحدة الاطوال وتوضع عادة في جهات المركب الخالية من الاهتزاز والحركة وقبل اختراع الساعات كان الملاحون يستعملون في قياس أوقاتهم بمراقبة سير الشمس من الشروق والغروب وهذا النهار أمافي الليل فيعرفون الساعات بمراقبة حركات النجوم السيارة وحركة القمر واستمر وعلى ذلك الى أن وصلوا الى اختراع آله أسهل من تلك المراقبات وأول آله وضعت لمعرفة الوقت كانت الساعة الشمسية أو المزولة وهي قطعة من الحجر بها خطوط على

ارصادها وحسابها في مدة أسفارها فقررت انتخاب أحد ضباطها الشهيدين في فن الارصاد الفلكية للقيام بهذه المأمورية المهمة فانتخب الصاغ قول أغاسي مصطفى قيودان شاهين وسلمته جميع ساعات الكرونومتر في نحو سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) وأصدرت منشورا لعموم السفائن تعلمهم بذلك فصارت تلك السفائن عند عودتهم امن الاسفار الى الميناء ترسل له جميع ساعاتها التصحيحها ثم رأى المرحوم عبد اللطيف باشا لزوم تعميم الفائدة بالميناء فأصدر أمرا بإقامة عمود فوق سطح المدرسة البحرية التي كانت في الطبقة العليا من ورشة التيالة وان يوضع عليه كرة وأمر مأمور اصلاح الساعات المذكورة أنه متى عين زمن الزوال أعلم ذلك بجعل الكرة المذكورة تسقط الى أسفل العمود ومتى حصل ذلك أطلق في الحال مدفع من إحدى البواخر الحربية المصرية وكل ذلك في وقت الزوال عما تصلح بموجبه السفن المصرية والسفائن الاجنبية الراسية في الميناء ساعاتها فكان ذلك من أحسن الاعمال وما زال ذلك متبعا حتى سنة ١٨٨٢ م حيث أحيل العمل المذكور على مصلحة الليمانات والفنارات ولما كثرت السفن بمصر ورأى الخديو المشار اليه أن ارسالها الى الخارج لاصلاحها واطيلها بالاصباغ يكلف الحكومة أمورا كثيرة سيما وأنه نقص يمكنه مداركته أو جسد بنجر الاسكندرية حوضا سابحا من الحديد لاصلاح السفن صنعه أحد معامل فرانساسة سنة ١٢٨٥ هـ طوله مائة وأربعون مترا وعرضه ٣٣ مترا وعمقه ١١ مترا وزنته ٣٨٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام وبداخله آلتان بخاريتان لتفريغ مياهه قوتها ٢٥ حصانا بخارا با بلغت قيمة انشائه ١٢٦٠٣٣٦ جنيها مصرية باوله بايان يستعملان متى كانت السفن التي تدخل فيه

عدد ساعات النهار توضع مستقلة للشمس وفي وسطها قضيب من الحديد يلقى ظله على تلك الخطوط فيعرف من ذلك الظل الوقت ويروى أن اخترعها كان في نحو سنة ٨٠٠ ق م ونسب بعض المؤرخين اختراعها الى لانكس ميندروس الايونى سنة ٦٠٠ ق م ولكن استعمالها في رومة كان في نحو سنة ٢٩٢ ق م فقط ولما اخترعت الساعة الرملية المستعملة لهذا اليوم أخذ الملاحون عموما يستعملونها في سفنهم ولا يعرف أصل منشؤها وذكروا المؤرخ بيروس الكلداني (Berose) في سنة ٥٤٠ ق م ولما كانت الساعات المذكورة لا تقفان بالمطلوب لتغير مجرى الظل في الاولى بحركة الارض وتأثير الرطوبة على الرمل في الثانية أخذ العلماء يصنعون على أحسن آلة لقياس الزمن حتى ظهرت الساعة المائية واستعملت فيها قوى الصناعات ويقال انها كانت مستعملة في الصين وفي بلاد اشور وبين مصر بين قبل الساعة الشمسية حقيقة منشؤها مجهولة وقد نسب البعض اختراعها لليونان قالوا ان كتيبيوس أحد علماء الاسكندرية أدخل عليها اصلاحا جليلا سنة ٢٣٥ ق م ولم يستعملها الرومان في رومية الا في سنة ١٥٨ ق م وقد أخذها العرب عن اليونان أيضا وتفننوا في صنعها وان الخليفة هرون الرشيد أهدى الامبراطور ثمانين الساعة المستعملة الآن القرن الثامن الميلادي ساعة مائية ذات ثقل لم يكن لها مثل في أوروبا وقتئذ واما مبدأ اختراع الساعات المستعملة الآن فيجهول أيضا قال بعض المؤرخين ان كثير من العلماء يتنازعون شرف هذا الاختراع ولكن أشهر من صرف به بوليتيانوس سنة ٥١٠ م وأحسن اصلاح أدخل في صناعة الساعات كان لجربرت الراهب الذي رقى في مراتب الكهنوت حتى جلس على كرسي البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلطستروس الثاني وكان من أعلم أهل زمانه وأكثر من الاشتغال في الآليات حتى اتصل سنة ٩٩٦ م وهو أسقف مقديبرغ الى عمل ساعة ذات ثقل ذكرها أكثر المؤرخين ولم يزل القوم يتدرجون في تحسين الساعات الى أن حسنوا صناعتها وتنوعوا في عملها على أشكال حتى توصلوا لعمل الساعة الدقيقة في القرن الحادي عشر الميلادي وقد اشتهرت الساعة التي صنعها هنري رويك أو ويلك سنة ١٣٧٠ م وأهداها الى شارلس الخامس ملك فرنسا ويقال انها كانت قريبة الشبه بالساعات المستعملة في الوقت الحاضر ثم تتابع التحسين حتى بلغ من الاتقان درجة أربعة واشتهرت بمعامل بلاد السويس خصوصا مدينة جنيف بها وفرنسا وبقربول من أكثره وبعض معامل المانيا والولايات المتحدة وأوجدوا كثير من الساعات الفلكية

للاصلاح جسيمة وثقلها ازيد من المقرر له فتقبل الابواب المذكورة وينزع الماء من داخله وتصلح فيه وهو غاطس في البحر أما السفن الخفيفة فيسبح بها وتم عمارتها وهو ساج وبهذا الحوض سهل العمل بدار الصناعة وتوفرت لها مبالغ من الاموال ويمتاز هذا الحوض على الحوض المبنى بانه ينقل الى أى مكان اريد واول اعماله اسهل من أعمال حوض البناء بكثير سيما وان الحوض الاول الذى كان من البناء في عهد ساكن الجنان محمد على باشا لم يكن يسع كل السفن الجديدة لعظم ابعادها ولما وجد هذا الحوض الجديد بغير الاسكندرية كثر تردد السفن الاجنبية على مينائها للاصلاح وقد ترتب على ذلك زيادة عن الايراد المتحصل للحكومة استمرار توارد البواخر الاجنبية الى ذلك الثغر وتمكن الحكومة من صيانة سفنها الحربية والتجارية مما يصيبها من الاضرار وصار بالميناء حوضان عم نفعهما المراكب الاهلية ايضا لانه قبل انشاء الحوض العوام كانت المراكب الاميرية ربما شغلت الحوض البناء المذكور مدة طويلة فتمتعطل مراكب الاهالى المحتاجة الى الاصلاح مدة فتوقف بسبب ذلك تجاراتهم ومما الارب فيه أن حكم المرحوم اسمعيل باشا امتاز بته بتقديم جليل في الاعمال الحربية لما وجهه نحوها من العناية كما وجهه عنايته لكثير من المنافع التى عادت على القطر بالفوائد كما سيبيء ولما صدر فرمان المرحوم السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) باحالة قائم مقامى سواكن ومصروع على الحكومة المصرية اتسعت دائرة البحرية وصارت سفن مصر ترد على فرضهما ولما تم فتح قنال السويس في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (١١ شعبان سنة ١٢٨٦) وأقيم له الاحتفال العظيم الذى لم ير مثله ورأى المرحوم اسمعيل باشا بشاغب فكره أن متاجر الدول الشرقية والغربية لا بد أن تهوّل اليه وخاف من أن التجار ينتقلون الى المدينة الجديدة العهد التى شيّدت عند طرفه الشمالى المسماة بورت سعيد ويجعلونها مركزا لتجارتهم سيما وانهم أخذوا في ذلك بالفعل اهتم بتحسين فرضة الاسكندرية وتنظيمها وجعلها في ما من من فعل الرياح المختلفة فأنشأ جسرا عظيما من الاجار الصناعية بقى الفرضة من الامواج وهذا الجسر ممتد بين رأس التين وجهة العجمي وجعل به طريقا كالباب لسلك السفن الواردة الى الميناء والخارجة منها وأنشأ رصيفا لتسهيل الشحن والتفريغ وأرصفة أخرى ممتدة في الميناء وغير ذلك مما سأتى الكلام عليه وكان المتعهد بهذا العمل شركة انكليزية تدعى شركة جرنفلد (١٨٦٨ م) وقد اهتم أيضا ببناء ميناء الثغر السويس بجانب الحوض الذى شرعوا في انشائه من زمن المرحوم سعيد باشا وأعطى مقاوله اتمام الحوض واعمال ميناء السويس (١٨٦٧) الى شركة اخوان روسو وقد تمت هذه الاعمال سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤) وبذلك كثر سير سفن التجارة في البحر الاحمر حتى كادت تضارع تجارة البحر الابيض المتوسط وعادت اليها شهرتها القديمة نوعا ومن أعماله التى أعانت كثيرا على تقدم الملاحة أن شيّد عدة قنارات في جله تقط بين الاسكندرية وبورت سعيد على البحر المتوسط الابيض وفي كثير من جهات البحر الاجر لاهتداء السفن ليلا وقد عادت هذه القنارات بالفوائد الكثيرة على الملاحة من جهة وبارادات ذات شأن على المانية المصرية من الجهة الاخرى وزاد الخديو عدد بواخر بحر النيل ونظمت مصلحة الانجارية تنظيمها جديدا وبلغ عدد السفن البخارية بها ٥٨ سفينة منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية والباقي للاصلاح العمومية ومقدار قوة تلك السفن ١٤٠٠ حصان تستهلك في السنة ٢٦٢٥ طن من الفحم الحجرى ووسع دار صناعة

انخرطوم وأوجد فيها كثيرا من الصناعات ونقل اليها نحو ١٨ وابوربخاريا وصنع فيها كثيرا من المراكب الشراعية فأفادت هذه السفن والبواخر في الاكتشافات والتجديدات والحلات التي ساقها اليها أكثر جهات السودان لتوسيع أملاكه خصوصا عندما أرسل السير صموئيل بيكر (Sir Samuel Baker) الانكليزي لاكتشاف منابع النيل (١٨٧٠ - ١٨٧٣ م) وساعدت أيضا الجنود التي أرسلها الي قلب افريقية حتى بلغت البلاد الواقعة عند الدرجة الاولى من شمالي خط الاستواء فانتسعت أملاك مصر بالسودان حتى بلغت أطرافها تلك الحدود وظنوا أن ذلك أقرب الوسائل لمنع النخاسة وابطال التجارة بالرفيق وتعين السير صموئيل بيكر كما عاملا على المقاطعات الاستوائية وبقى فيها الى أن استعفى سنة ١٨٧٣ وعادت أعماله بفائدة مهمة حيث أنشأ محطة بحرية عند ملتقى نهر صوبات بالنيل للقبض على المراكب التي تسرق العبيد سماها بالتوفيقية ولما كان الخيزال غوردون باشا (Gordon) حاكما على مديرية بحريّة خط الاستواء (١٨٧٣ - ١٨٧٦ م) اهتم بأمر المحطة المذكورة وشدد في ضبط الارقاء وقلت أهمية بلدة شكاشا شهر مرا كز النحاسين عند بحر الغزال وكانت الرياسة فيها للزبير باشا حيث كان له فيها قصر وجيش منظم بالسلاح لاقتناص الرفيق ولما تعين غوردون باشا حاكما للبحريّة السودانية سنة ١٨٧٩ م عين انكليزيا يدعى جسي مديرا لمديرية بحر الغزال فقام هذا المدير بعدة أعمال نافعة في مديريته وتوخي القناطر على الانهار ومجاري المياه وساعد الاهالي على مد المراكب وأنشأ السفن واجتهد في منع النخاسة فقام عليه النحاسون تحت رياسة سليمان بن الزبير فخار بهم وكان غوردون وقتئذ في انخرطوم يصلح دوائر الحكومة فقاد جيشا حتى وصل محلة العصاة ودخل على القوم ووحده فوجد نحو ثلاثة آلاف عبد وعدة أمراء كلهم شاكي السلاح فخطب رؤسائهم وطلب منهم التسليم فسلموا وأطاعوا وفي مقدمتهم سليمان بن الزبير باشا ومن هذا الوقت جعله غوردون حاكما على بحر الغزال ثم اهتم غوردون بعد ذلك أيضا بتحسين طرق المواصلات وسير المراكب في البحر حتى لا تكون شلالات النيل عقبة قائمة في طريق الملاحة به وبينما كان غوردون مشغولا بالأعمال المفيدة أدخل سليمان ابن الزبير عصا الطاعة فوجه عليه جيشا وكسره وقتله وأعاد السكنينة الي ربوعها والمعاملات الي أصلها وبذلك حافظ على المواصلات البحرية بالنيل وقد نالت البحرية المصرية في عهد الخديو اسماعيل باشا انفرادا عما أجرته من الاسفار البعيدة فسافر مصطفى بك العرب في أول حكمه بالفرقاطة المسماة بالابراهيمية سنة ١٢٨٠ هـ من نجر الاسكندرية الي بلاد الانكليز ثم سافر من هناك وطاف حول افريقية على طريق رأس عشم الخير الي أن دخل البحر الاحمر ورسا على السويس وذلك قبل فتح القنال وهناك غيرت نظارة البحرية اسم الفرقاطة وسمتها شيرجهدا وسافر بعد ذلك أيضا سليمان قبودان حلاوة بوأور سمند وطاف حول افريقية سنة ١٢٨١ هـ ثم عاد سالما الي السويس بعد أن تكبد جملته مشقات في توصيل حجاج المغاربة الي بلادهم وهم الذين نقلهم من الاسكندرية عند سفره وكان كلما مر بهم على نجر رده ولم يصر حواله بدخوله خوف من الوباء المنتشر بين أولئك الحجاج ثم ذهب الي بلاد الانجليز لاصلاح السفينة وبعد ذلك سار للسياسة حول افريقية فكانت مدة سفره من لوندرة الي السويس نحو ثلاثة شهور وستة أيام بما فيها الايام التي رسا فيها بحرية ما ديرا وجزيرة القديسة هيلانه ورأس عشم الخير وعدن لاخذ الفحم وغيره من اللازم للباخرة

ولما كانت الاسفار بالسفن القديمة بالبحر المحيط الاطلنطي والمحيط الهندي المحيطين بقارة افريقية محفوفة بالاعطار امرت نظارة البحرية ضباط السفينتين المذكورتين بمراقبة البارومتر (١) والترمومتر (٢) للوقوف على التغيرات الجوية وحرارتها وان يسجلوا ما يشاهدونه من التغيرات في دفاتر مخصوصة تعرف عند الملاحين بالجرنال كل ذلك ليحتمهم اتقاء اخطار التغيرات الجوية فيبادروا الى الاتجاه الى اقرب فرضة

وأرسل الخديو اسماعيل باشا رحمه الله في سنة ١٢٨٣ هـ عدة سفائن مع الجيوش التي بعثها لمساعدة الدولة في ثورة الاروام بجيزة كريد وقد أتت هذه السفائن باعمال عظيمة في سواحل الجزيرة المذكورة كما سيأتي ذلك وأرسل أيضا في ١٧ فبراير من سنة ١٨٧٥ م (١٠ محرم سنة ١٢٩٤ هـ) تجريدة بحرية من كبة من باخرتين حريتين وهما فرقاطة محمد علي وقرية لطيف واورين نقالين وهما طنطا

(١) البارومتر هو آلة معدة لقياس ضغط الهواء والمستعمل منه في السفن الحربية والتجارية على أشكال متعددة منها ما يسمى بالبارومتر الطشت وهو عبارة عن أنبوبة زجاجية مملوءة بالزئبق مركبة على لوح من الخشب مقسم الى اقسام ميليمترية أو سنتيمترية وبارومتر فورتين وهو كالسابق ولكنه سهل النقل وزجاجته مثبتة بين قطع معدنية وله عضادة تتحرك بسمار يعلم منها ارتفاع أو انخفاض الزئبق عند حدوث تغير في الهواء ومنها البارومتر ذو المنص وهو يتحرك من انبوبة مخصصة ذات فترتين فرعيتين طسويل مغلق بقوم مقام أنبوبة البارومتر الاول والثاني مفتوح ويقوم مقام الطشت ويعرف فيه ضغط الهواء بقياس الفرق بين سطح الزئبق في الأنبوبتين من الارقام المرقومة فوق الخشبة المثبت عليها والبارومتر الساعي وهو ذو منص يسبح فوق سطح الزئبق ولكن حركة الضغط تعلم من تحرك العقرب من اليمين الى اليسار أو بالعكس على الاقسام المرقومة على دائرته والبارومتر المعدني وهو مؤسس على مرونة المعادن وله عقرب يتحرك على دائرته وتفرقه من المعدن ويعلم به ضغط الهواء من الانخفاض الذي يحصل على الانابيب المعدنية بزيادة الضغط أو بقلته وبذلك يتحرك العقرب أمام وجه ساعة الدرج وقد أجمع المؤرخون على ان أول من اهتدى الى معرفة نقل الجوى هو توريشلي (Torricelli) التلياني تلميذ فيلسفي (Galilée) واستمر على التجارب حتى اكتشف التوجبات التي تحدث في أعلى عمود الزئبق بسبب تغيرات الهواء وفي سنة ١٦٤٥ م نشر ملاحظاته على ذلك الا أنه مات بعد ذلك بقليل قبل أن يتمكن تماما من اكتشافه العظيم الأن بسكال (Pascal) الفرنسي اشتغل بعده بذلك وأتم امتحانه في ١٩ سبتمبر سنة ١٦٤٨ م وفي تلك السنة استعمل أول بارومتر منظم وأخذ العلماء في انعام ما ينقصه وانتشر استعماله في البحر والبروقدا استمر العلامة توبس بلوت من أثرخت في ملاحظاته هو وعلما آخرون وقرر والله نسا بعدد ما يتمكن من اكتشاف التواميس التي تجرى عليها حركة مركز الهبوط البارومترى للعواصف وحمل حكومة هولاندا سنة ١٨٦٠ م على انشاء لجنة لمراقبة الهواء ووضع علامات للعواصف فاقتدت بها الكثرة سنة ١٨٦١ وفرناسا سنة ١٨٦٣ وأمريكا المتحدة سنة ١٨٧٠ وقد بلغ الآن الكمال ويمكن العلماء من اتقان البارومتر حتى حققوا به اختلافات الارتفاعات بضبط لا يعادله ضبط الحساب المثلثات

(٢) الترمومتر آلة تقاس به درجات الحرارة وتستعملها المراكب الحربية والتجارية كميزان تعرف به تقلبات الحرارة وهي مؤسسة على الخاصية التي بها تمدد السائل بالحرارة وتقلص بالبرودة والمفضل من السوائل الزئبق والسكرول وقد أثر الزئبق لانه لا يغلي الا على درجة حرارة مرتفعة جدا واختاروا السكرول لانه لا يتجمد باعظم درجات البرودة المعروفة وكان أول استعمال الترمومتر في جرمانيا سنة ١٦٢١ م وبختره كزيليوس دريل الهولاندي ونسبه البعض الى سنكنور يوس الايطالياني وسمى أولازجاجة الهواء وكان في مبدئه آلة خشنة تغير مضبوطة ثم أصلها ببول والا كاذميون الفلورنسيون ثم ان ريو مور استعمل الزئبق الترمومتر وهو الذي اخترع الآلة والسلم النسوبيين الى قارنيتين من مسدودا سنة ١٧٢٠ م وأما قارنيت فهو الذي كماله ونشرها فاشاع أمرها بأوروبا في النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي

ودسوق بهما أورطمة من المشاة وبلوك من الخيالة وبطارية مدافع جعلها تحت قيادة الاميرال
مكيلوب باشا والي الكولونيل لويج والميرالاي عبدالزاق بك وكيل المدرسة البحرية وقتئذ الى جهات
مصب نهر جوبيا وأوجب من بلاد الصومال لاكتشافه وفتح البلاد الواقعة عليه وتوصيلها بالاملاك
المصرية التي فتحها الكولونيل غوردون باشا باسم مصر في جهات خط الاستواء الا ان أكثره
اعترضت على ذلك على لسان اللورد دربي سنة ١٨٧٦ م وكانت القوة المصرية تقدمت مع
الكولونيل لويج واليوزباشي حسن أفندي واصف أركان حرب التجريدة (الآن بك ومدير الخيطة)
نحو ١٥٠ ميلا في النهر المذكور فالتزم الخديوي بان يوقف هذه التجريدة وأمر قائد هبابا العودة
الى نهر السويس وكانت وقتئذ أكثر السفن المصرية مستغلة بنقل الجيوش الى حرب الحبشة وفتح
هرر وبعد انتهاء ذلك أرسل عدة سفن عليها قوة عسكرية بمصرية لمساعدة الدولة في حرب الصرب
والجبل الأسود (١٨٧٦ م) ثم لما اشتعلت نيران حرب الروسية سنة ١٨٧٧ أرسل
جيشا آخر على كثير من السفائن المصرية ورافق تلك السفن أسطول حربي عثماني حتى أوصلها
الى الدردنيل وبقي بعض تلك السفن تساعد الدولة هناك كما سيأتي وكان الخديوي المشار اليه من
أول ولايته عميل جدا لأن يرى له من الاساطيل المدركة قوة عظيمة يحافظ بها على سواحل مصر
البحرية ولذلك كان أوصى على ثلاث مدرعات بفرنسا وأوصى على اثنتين بتريسته ولما تمت
أرسل اليها من مصر طوائفها سنة ١٨٦٨ م لاحتضارها الا ان الدولة العثمانية اعترضت على
ذلك ومنعت من أن يكون لمصر قوة بحرية كهذه لان الفرمانات لا تبيح لها ذلك وابتاعت الدولة منها
تلك السفن وتصرح للخديوي المصرية بانشاء سفائن حربية بسيطة ويرى أن هذا المنع أتى عن
ايغازا حدى الدول التي حذرت المرحوم السلطان عبدالعزيم من عاقبة التساهل مع مصر في ذلك
وهو قول مقبول تؤيده خطة دول أوروبا وانحوم مالك الشرق عموما الا ان الرسميات لم تثبت هذه
الرواية والحاصل أن هذا المنع أضعف القوة البحرية في الديار المصرية فأقتصرت مصر على
استعمال ما وجدته الخديوي من البواخر العادية والسفن الاميرية السابق ذكرها

ولما تبوأ كرسي الخديوية المصرية المرحوم محمد باشا ترقى سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م)
كانت البلاد المصرية محاطة بالمصائب السياسية والمشاغل الدولية على حالة لم يسبق لها مثال في
العصر الخالية وكان أهم أسباب تلك المشاكل العسر المالي ولما تعين المستر بارنج والمسيو
دي بلنيار مفتشين عاليين للمالية أخذوا في اجراء الاقتصاد بكثير من فروع الحكومة لتسوية الاحوال
المالية ولما اقتصد من ميزانية الجيش والبحرية مبلغا وافرا وكان الوكيل في البحرية قاسم باشا
اضطر هذا الاقالة كثير من ضباطها وملاحيها فاعتطلت بذلك عدة باخر ومنع أيضا ما كان يصرف
سنويا للسفائن الحربية من الأدوات والآلات وربط عدة منها داخل رصيف الترسانة وباعت
البحرية قرقاطة شير جهاد وواور شندي اشتراها ما ناجر انجليزي بمبلغ ٥٢٠٠ جنيهه مصري
(١٨٨٠ م) فكسرها وبيع أنقاضها ومهمات ما بمبلغ وافر وفي خلال ذلك انتهزت دولة ايطاليا
فرصة الارتباك المالي الواقعة فيه الحكومة المصرية خصوصا بعد صدور قانون التصفية
(١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م) الذي تقر فيه خفض ميزانية البحرية وابقاء سبعة مراكب فقط
بطواقها وهي المحرسة ومحمد علي بنجر الاسكندرية والصاعقة وجعلت للفرين نلامدة المدرسة

البحرية وأوقفوها بمدينة بورت سعيد والجعفرية والطور ومخبر بالبحر الأحمر أما ما بقى من السفن فاعطوها عن الحركة وأخذت تسمى في الحصول على مستعمرة بساحل الدنا قيل من البحر الأحمر فاحتلت إحدى الجزائر القريبة من تلك السواحل بتدخلها مع مشايخ العربان القاطنين هناك ولما تحققت من ثبات مركزها وتغاضى الحكومة المصرية صاحبة البلاد عن الاحتجاج على عملها هذا خطت خطوة ثانية واحتلت جهة اصاب المقابلة للجزيرة المذكورة وكان امتلاك الحكومة الخديوية لهذه البلاد بمقتضى فرمان السلطان الصادر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ (٨ يوليو سنة ١٨٧٣ م) وهو الذى منحت فيه مصر قائمية سواكن ومصوع وتوابعهما في مقابلة مبلغ من المال تؤديه للدولة سنويا وأظهرت حكومة ايطاليا ان ذلك أن الغرض من احتلالها هذه النقط جعلها مخازن لحسم لوابوراتها المتجولة بتلك الجهات وللضعف الذى أصاب بحر بة مصر صارت غير قادرة على اجراء أى عمل تحفظ به باقى سواحلها فى البحر الأحمر وأخيرا قررت تعيين محافظ عام لتلك السواحل وهو على رضا باشا وأعجبت به بعض المأمورين وخصصت له وابور الجعفرية سوارية على بك شكري وعينت معه من قبل البحرية القائمة محمد أمين توفيق بك (الآن باشا) فأخذ يتجول فى تلك الاطراف وفى خلالها قتل الأهالى ضابطين وعشرة عساكر طليانية فى جهة بيول وكان ايطاليا كانت عرضتهم للخطر قصد التجنى من وراء ذلك ثمرة كما تفعل دول أوروبا متى أرادت اختلاق أسباب تمكنها من نوال مقاصدها واحتجت على الحكومة المصرية فالترمت الحكومة بتحقيق ذلك وأمرت على رضا باشا المذكور بالذهاب الى تلك الجهة وبعد أن أجرى التحقيق مع مشايخ الأهالى بحضور مندوب من ايطاليا فرض عليهم عقوبات متنوعة كما سيأتى مفصلا فى بابيه وقد عد أرباب السياسة عمل الحكومة المصرية بهذا كاعتراف منها بوجود جنود طليانية فى سواحلها بجهات الدنا قيل وبعد ذلك تعين أمين توفيق بك المنقسم الذى كان ناظر الدار الصناعية مكان موسى بك الذى أحيل على المعاش وكانت البحرية أرسلت تلامذة المدرسة للتمرين فى قرويت الصاعقة على السواحل المصرية (١٨٨١ م) وفى تلك الاثناء ارتبكت أحوال مصر لقيام المهدي وأشباعه بالثورة فى السودان المصرى لضعف القوة العسكرية هناك الناشئ عن الاقتصادات التى حصلت بجزانية العسكرية وكان اشتداد ثورة المهدي فى آخر ولاية المرحوم محمد رؤف باشا حتى كادت الملاحاة فى النيل الاعلى تتعطل بالمره وشكلت الحكومة بعدئذ نظارة جديدة للسودان تحت رياسة عبدالقادر حلمى باشا وأحالت عليه أيضا حكمدارية عموم السودان فتوجه الى الخرطوم بعد عودته رؤف باشا وأخذ يهتم فى تسكين الثورات واصلاح الاحوال وكاد يصل الى المطلوب ولكن تغيرت النظر واستدعته الحكومة الى مصر فبقيت الاحوال والاهوال تزداد رداة وفى هذا الوقت تظلم بعض ضباط البحرية من معاملة وكيل البحرية لهم فى مسائل الترقيات وغيرها فتشكل مجلس حربي بأمر نظارة البحرية والتحقيق وفى خلال التحقيق صدرت الاوامر بإحالة قاسم باشا المذكور على المعاش وعين بدله محمد كامل باشا قومندان البحرية ووكيل البحرية معا وبما كانت الحكومة المصرية مشغولة باطفاء ثورة المهدي فى السودان اشتعلت نيران الفتنة بصر وهي الفتنة التى قام بها رجال الجهادية تحت رياسة زعيمهم عربى فنشأ عنها اختلال نظام

المملكة وتدخلت الدولتان فرانساً وانكلترة وأرسلنا أساطيلهما الى نجر الاسكندرية ١٣
 جادى الثانية سنة ١٢٩٩ هـ (٢ مايو ١٨٨٢ م) فكانت أساطيل الاولى تحت قيادة
 الكونت اميرال كونراد (Conrad) والثانية تحت قيادة الويس اميرال السربوشيب سيمور
 (Beauchamp Seymour) واشتدت الارتباك بتصميم عرابى وحزبه على مطالبهم
 وزادت الدولتان عددهنهما الحربية في مياه مصر ثم قدم المعتمد السلطانى المشير ابراهيم درويش
 باشا على وابور عز الدين وقدمت سفن أخرى لبعض الدول الاوروبابوية فوقفت حركة التجارة
 وفي أوائل شهر يونيو زاد الخوف وأخذت الاجانب تتوارد من داخلية القطر الى نجر الاسكندرية
 هربا من الاضطراب واستشاروا اميرالى الاسطولين والقناصل فوافق الاميرالان على وجوب
 تسليح الافرنج استعدادا للدفاع واستنكر القناصل الجزالية هذه الطريقة الا ان الاجانب
 رأوا ان يعتمدوا على استعدادهم الخصوصى مع أنه صدر الامر لاميرالى الاسطولين بحمايتهم
 عند الاقتضاء فكان هذا التسليح سبباً لزيادة الاضطرابات لانه بمجرد ظهور مشاركة بسيطة بين
 مالطى وجمار مصرى فى الشارع الابراهيمى قرب محفر اللبان قامت الفرنج تطلق الغارات من
 منافذ المنازل وسلت الخناجر وكثر الزحام واستفعل الخصام بين الرعاى والفرنج وسالت الدماء
 وحطم بعض الاهالى أبواب بعض المخازن ونهبوها وكان محافظ الثغر وقتئذ عمى رطقى باشا فرنج
 من ذلك مهاجرة جميع الاوروبابيين وبينما كانت الدول تتذكر فى المؤتمر الذى عقده فى الاسناتة
 لمقاومة العرابيين كان رجال الجهادية يحصنون القلاع ويجهزون الجنود ويدخرون الازواد
 والمعدات وقد قدرت قوة العرابيين وقتئذ بنحو ١٣٠٠٠ من الجنود معهم ٤٩٧ مدفعا
 من مدافع الجبال والصحراء لكل مدفع ٥٠٠ حشوة من البارود ولهم ١٥٠,٠٠٠
 بنديسة ونحو ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ من القشنىك وكان بقلعة الجبل بالقاهرة ٤٢ مدفعا من
 المدافع القديمة التى كانت فى السفن المصرية على عهد محمد على باشا ولها ٢١٠٠٠ حشوة
 وكان فى طوابى الاسكندرية أكثر من ٢٢٥ مدفعا بينها عدد قليل من مدافع ارمسترونغ التى
 تصلح لحرق المدرعات أما باقى المدافع الحديدية التى من النوع المذكور فكانت وضعت من عهد
 الخديو اسمعيل باشا فى استحكامات أبوقير وغيرها من السواحل المصرية وكان بالاسكندرية
 والسواحل الأخرى من الطوبجية نحو ١٢٠٠٠ جندي وبينما كانت الدول تلج على الباب العالى
 بارسال جيش عثمانى الى مصر بادرت دولة انكلترة وأرسلت أمرا الى الاميرال سيمور قائداً أسطولها
 تعلمه بأنها عازمت على التداخل بالقوة فلهدا استعداداً أخذ يرسل يومياً بعض سفنه الصغيرة لسبر عمق
 المياه حول استحكامات الاسكندرية ومراقبة حركات الجنود المصرية ولما كان يبحث عن طريقة
 يستعمل بها انفاذ مرغوبه أنذر الحكومة المصرية بانها اذا لم تنكف عن تعزيز الاستحكامات وتزويل
 المدافع التى ركبها حديثاً فوق تلك الحصون اضطرت الى اطلاق مدافعه على المدينة وبينما كانت
 المخبرات جارية بينه وبين الحكومة فى هذا الخصوص خرجت جميع سفائن الدول الأخرى خارج
 الميناء ولما امتنع عرابى وأعوانه عن اجابة مطالب الاميرال طلب الاميرال من المرحوم الخديو توفيق
 باشا على يد المستر كوفن المراقب الانكليزى النزول الى احدى السفن منه المار بما أن يصيبه من
 الخطر فلم يقبل وفى صباح ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ (١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م) أطلقت
 السفن الانكليزية مدافعها على حصون المدينة وأجابتها الحصون المصرية ولكنهم لم تؤثر فى

الدواع الانكليزية لعدم تمرن طوبجيتها على اطلاق تلك المدافع من عهد وضعها وغير ذلك من الاسباب التي سيأتي ذكرها وظلت المقدوفات تخرج من السفن والقلاع الى ما بعد ظهر ذلك اليوم وقال قومندان احدى سفن الولايات المتحدة الاميريكانية المدعو غودريش (Caspar F. Goodrich) في تقريره الرسمي الذي قدمه لاميالية الولايات المتحدة المطبوع في واشنطن سنة ١٨٨٥ بعد أن وصف القلاع والحصون وأنها قد عهدها وأنهم من زمن محمد علي باشا لم يتجدد فيها شئ سوى وضع بعض مدافع من عمل امسترونغ في عهد الخديو المرحوم اسمعيل باشا ان قواد القلاع المصرية غلطوا في ترك قوائم مانعة الصواعق في مراكرها فوق جحجانات قلاع الاسكندرية يوم الضرب لان تلك القوائم كانت كاشارات ساعدت طوبجية المدرعات الانكليزية على تحري الاطلاق عليها حتى تمكنوا من احراق الجحجانات وبذلك تدمرت القلاع بسرعة اه وقد آبت فرنسا الاشتراك في هذا العمل ولذا أمرت اميرالها بعدم الضرب وانتهت هذه المسائل باحتلال القطر المصري بالجيوش التي ساقها انكلتره بعدئذ وذلك بعد واقعة التل الكبير التي حصلت يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ كما سيأتي مفصلا في هذا التاريخ وعقب هذا الاحتلال حرر اللورد غرنفيل ناظر خارجيتها (١٨٨٢) لائحة مشهورة بشأن مصر أرسلها الى سفراء الحكومة البريطانية لدى الباب العالي والدول الاور وباوية ومن نصوصها بخصوص قتال السويس أن يكون في جميع الازمنة والاقوات حراما لمرور جميع السفن من أي جنس وراية كانت وأن يعين في زمن الحرب المدة التي تضطر سفن الدول المتحاربة الى قضائها في الترع المذكورة ولكن لا يسمح لها بانزال معدات وذخائر حربية على ضفاف الترع وأن لا يرخص لدولة ما أية كانت في القيام بأموار عدوانية في الترع وفيما جاورها وفي المياه المصرية حتى لو كانت تلك الدولة هي الدولة العثمانية ولا تجرى هذه الاحكام على الوسائل اللازمة للدفاع عن مصر وأنه يجب على كل دولة نشأ عن سبقتها ضرر ما في الترع أن تتحمل نفقات تعويض الضرر وأن تتخذ مصر ما يمكنها من الوسائل لمراقبة الشرط المتعلق بعدم نقل شئ من ضفاف الترع الى سفن الدول المتحاربة أو انزال شئ اليها من محولها وأنه لا يجوز انشاء حصون واستحكامات على خط الترع أو في جوارها وأن لا يكون لاحد حق استعادة النظر في هذه المواد بدعوى أنها مخفية بما للحكومة المصرية من حقوق التملك وكان لهذه اللائحة شأن عظيم بين دول البحار وخصوصا عند شركات الملاحة في عموم الدول وهذه اللائحة هي التي ورد فيها أن يكون لجناب خديو مصر مستشار مالي بدل المراقبة النسائية التي تم الامر بالغائها بالذكريت الصادر في ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ عقب مجي الورد دفرين الى مصر وانتخب المستشار المالي السير ادغار ونسنت بعد ذلك ولما شكل الجناب الخديوي وزارة المرحوم شريف باشا كان عمر لاطفي باشا نظارة الحربية والبحرية وتعين المرحوم حسين شيرين باشا وكيلا للبحرية فأخذ يرتب بعض الضباط والعساكر البحرية في ابورات المحروسة ومحمد علي والصاعقة وأرسل الصاعقة الى بورت سعيد وكانت تحت قيادة بروفوليجو بك النمساوي الذي رقي فيما بعد الى رتبة لواء وبقيت باقي المراكب الاميرية الاخرى مربوطة داخل الميناء ولرض وكيل البحرية الموصى اليه قام مقامه باعماله معاون أول البحرية المرحوم ابراهيم بك عركي ثم سافر الوكيل الموصى اليه لاورد والتبديل الهوا سنة ١٨٨٣ فتوفي هناك وخلفه في وكالة البحرية بمصطفى باشا العرب وأحيل ابراهيم بك المذكور على المعاش وتعين اسمعيل بك ابراهيم مهندسا أول للترسانة بطلب الوكيل الذي

لما كان يعيل الى الوفرة أخذ يسعى في إيجاد الطرق اللازمة لذلك فصدرت للبحرية أوامر بتشكيل لجنة للنظر في أمر المراكب المربوطة فشكلت اللجنة سنة ١٨٨٤ تحت رئاسة الفريق البحري فرديريكو باشا النمساوي مدير مصلحة وابورات البوسنة الخديوية وعضواً هما موريس باشا مدير الليمانات والقنارات وحسين فهمي باشا قومندان وابورات المحروسة واسماعيل بك ابراهيم باشا مهندس الترسانة وآخرون فنظرت في حالة جميع الابورات البحرية ومعداتها ورأت ما يصلح منها وما لا يصلح وبعد المداولة أقرت وعلى أن ما يصلح منها في البحر الأبيض هو وابورات المحروسة وقرقاطة محمد علي وقرويت الصاعقة أما في البحر الأحمر فوابورات الجعفرية ومخبر والطور وأن تباع وابورات مصر والغربية وسنار والخرطوم وكذا باقي المراكب الصغيرة ولما صادقت الحكومة على ذلك اشترى وكيل البحرية المذكور وهو وبعض شركائه في ذلك وهم اسمعيل بك ابراهيم ورستم بك العلالي وسعد الله بك حلاية وناضوري بك وابوري الغربية ومصر بمبلغ ١٤٠٠٠٠ جنيه مصري وكان مصر مشتري بمائة وستين ألف ليرة فرنسوية والغربية بمائة وست وثلاثين ألف ليرة فرنسوية واشترى الموسيو أرشل سفينتي الخرطوم وسنار بمبلغ زهيدا ما مابق فقد كسرت وبيعت قطعاً وأخذ مصطفى باشا العرب مع صنيعته اسمعيل بك المهندس المذكور في بيع جميع أدوات وآلات دار الصناعة فباعا ما بهما من الأدوات والمعدات الحربية والغير الحربية التي كانت مخازنها ملأى بهما منذ عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير

هذا ولما حضر اللورد نورثوك الذي انتدبته حكومة الانكليز للنظر في مقتضيات الديار المصرية سنة ١٨٨٤ م وتقديم تقرير مفصل بذلك كان مما أشار به لإلغاء البحرية المصرية لتمام الاقتصاد فاحيل وكيلها مصطفى باشا العرب ومن معه من الأمورين على المعاش (١٨٨٥ م) وتعين حسين فهمي باشا قومندان المحروسة مأموراً لا تشغيل البحرية به بما يتم بيع ما بقي من أنقاض وآثار البحرية المصرية وأغلقت معاملها التي تقاسمها مصالح خفر السواحل ومصالح أخرى كالقنارات والليمانات وغيرها وألحقت باخرة المحروسة بميزانية المعية السنية اتباعاً لما قال به اللورد المشار اليه وأضيفت مصاريف قرقاطة محمد علي وقرويت الصاعقة والجعفرية ومخبر الى ميزانية مصلحة الليمانات والقنارات التي رأسها الاميرال موريس باشا (١٨٨٥ م) وتقرر أيضاً عدم استعمال الحوض الخيري البحري الذي بناه المرحوم محمد علي باشا بدعوى أنه لا يفي بحاجات السفن الكبيرة لصغرهِ وعدم التمكن من صرف المياه منه تماماً عند الحاجة وبيعت الآلة المعدة لإخراج مائه وألحقت ادارة الحوض العوام الذي بميناء الاسكندرية بمصلحة وابورات البوسنة الخديوية وكذا حوض السويس البحري مع المعامل التي كانت بجانبه في ميناء ابراهيم التابعة لقومندانيتها اللغاة أيضاً عند إلغاء البحرية كما تقدم

هذا ولما تعاظمت الثورة بالسودان وتداخلت انكلازه عسكراً بالاجنادها وتخليص الجنرال غوردون باشا الذي كانت أرسلته الحكومة المصرية لانحلال السودان وحاصره الثوار في الخرطوم وسيرت لخلاصه حملة في سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ وأرسلت مع جنودها عساكر مصرية من طريق النيل جهزت مصر في ذلك الوقت عدة سفن من بواخر الانجارية النيلية وسلحتها بالمدايع وقد تمكنت بها من نقل الذخائر والجنود الى بعض جهات النوبة وجلب الانكليز أيضاً معهم عدة سفن أخرى

وفي خلال تلك الوقائع غرقت بعض البواخر المصرية التي كان أرسلها الجنرال غوردون مع خشم الموس باشا لضرب بربر بالقنابل ثم انكسرت الباخرتان اللتان أرسلهما نابياع الباشا المذكور لتوصيل كتابه الى قائد جيش الحملة المذكورة ثم لما أشار الانكليزي على الحكومة المصرية بترك السودان (١٨٨٣ م) وحصل ما حصل الى ان سقطت عاصمة الخرطوم في يد المتهمدي وخرجت من تلك البلاد العساكر المصرية تعطلت الملاحية في جميع القسم الاوسط من النيل وفقدت مصر (١٨٨٥ م) أيضا دار صناعة الخرطوم وما كان به من البواخر والسفن والآلات والادوات التي أوجدتها بها منذ فتحها هذه البلاد كما أنها فقدت من ثغورها على البحر الاحمر والمحيط الهندي في ذلك الوقت بربرة وزيلع وتاجوره ومصوق بعد أن صرفت على اصلاحها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة

وفي خلال سنة ١٨٨٥ المذكورة أظهرت انكسره رغبة الاتفاق مع الدولة العلية على تسوية المسئلة المصرية وعينت من قبلها مندوبا عاليا وهو السيد روموندو ولف وأرسلته الى الاستانة للدولة والمذاكره مع رجال الدولة فصادف سقوط سعيد باشا من الصدارة ونخلقه فيها كامل باشا وقرر الباب العالي ارسال معتمد عال من طرف الدولة وعينت لذلك دولة الغازي أحمد مختار باشا رئيس قومسيون التفيش العسكري ثم حضر السيد روموندو ولف الى مصر في أواخر اكتوبر وحضر بعده الغازي المشار اليه في شهر نوفمبر وعقب وصوله أخذ يجتمع بالمعتمد الانكليزي ويتبادل النظر في المسئلة وكانت الجلسات تعقد برئاسة الخديو المرحوم توفيق باشا ثم وضع الغازي لأئحته المشهورة بخصوص تنظيم الجيش المصري وغير ذلك مما يختص بالمسئلة المصرية فاعترضت الحكومة الانكليزية على لأئحته وكانت وزارة المحافظين في انكسره قد سقطت في أثنائها وقام مقامها وزارة الاحرار بقيت المسئلة المصرية معلقة كما كانت الى الآن وسيأتي ذكر ذلك بأوفى بيان

ولمارات الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر الاتفاق مع انكسره على شروط لاخلاء القطر المصري من الجنود الانكليزية وتحمرت الشروط اللازمة وأراد الجناب السلطاني التصديق عليها سنة ١٨٨٧ م اعترضت كل من فرانسوا وروسيا على هذا الاتفاق لكونه تم بدون استشارتهما ولذلك رجح الباب العالي عن التصديق على هذا الوفاق الذي كانت صادقت عليه ملكة الانكليز وكل ذلك حدث بعد عودة المندوب الانكليزي العالي وبعد حصول مخابرات بين الدولتين المذكورتين وقد ظهر في تلك السنة محرز السيد روموندو ولف المندوب العالي الانكليزي بمصر كسبه الى المركز السبوري ذكره فيه بما فرانسوا من الحقوق في المسئلة المصرية ولتعلقه بحق الملاحية في قنال السويس وأوردنا منه القسم المختص بذلك وهو ان حقوق فرانسوا تنقسم الى قسمين وهما أولاً الاعتراف لها بخدمة العظيمة في فتح ترعة السويس وثانياً اعادة الفوائد التي اعترفتها عند اشتراكها معناني ادارة مصر ثم ان فرانسوا انفصلت عننا بما آتته في سنة ١٨٨٢ وبني عليه فسخ الاشتراك المذكور رأى المراقبة الثمانية غير أن ذلك لا يجوز تاريخ الاعوام الغابرة وعلى كل حال فترعة السويس هي أول وجه يلزم مرعاها في هذا المقام وقيل ان ترعة السويس في زمن الحرب ربما تخسر بها أو تسدها دونها الانكليزية على أنه لا يجوز لدولة محاربة أن تتلف لغايات عملا كهذا ينتفع منه سائر العالم على أن هذه التبعة هي قطعة من البحر الاحمر تخترقها سفن التجارة على اختلاف أعلامها

ولأن كثرتهما ثلاثة أرباع التجارة فوجودها ضروري لأملاك انكلترا في الهند ومستعمراتها فإذا أبرم اتفاق دولي لحفظ حرية القنال لتجارة سائر الدول فيكون ذلك مفيداً لنا جداً ولما كانت هذه مقاصدنا ويجب علينا إيجاد وفاق سياسي نخمى به القنال من كل أخطار وتقدم مصر من كل هجوم واعتداء ومن المعلوم أن حياة القنال لا تتم إلا إذا تمتعت البلاد المحيطة به وكذا التربة الحلوة بمثل هذه المزايا ويوجد شرطان ضروريان للوفاق المستقبلي وهما (أولاً) حياة القنال لحفظه على الدوام مفتوحاً بصفة قطعة من البحار حرة مزايا خصوصية (ثانياً) تأسيس هيئة لحماية القطر المصري نفسه تضمنه من التعدي وتسمح بتخفيض عدد القوة العسكرية إلى ما يناسب حالة السلم دائماً ولكن بالنظر لموقع مصر الجغرافي أرى من اللازم أن الحياة تضمن حقوق حرية السفر في القنال لجميع الأمم وأن لا يكون الغرض منها منع السفر فيه كما في باقي الأحوال اه وقد جرت المخابرة في هذا الخصوص زمنابن حكومة انكلترا والموسيو واد نكتون سفير فرنسا في لوندرة والموسيو فلوران وزير خارجية فرنسا في باريس على قواعدها أنها بمقتضى هذه الحياة تكون عمارات الدول على الدوام حرة في اجتياز التربة التي لا يمكن أن تحصن ضفافها وأن يعهد إلى لجنة دولية مرابطة تنفيذ هذه التسوية واستمرت المخابرات بين الدول مدة وأخيراً تقررت شروطها وصادقت الدول عليها وفي ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٧ ظهرت في الجرائد الفرنسية أخباراً بيادية في باريس ولاهمية هذا الوفاق في الملاحة داخل قنال السويس المعتبر جزءاً من أجزاء مصر المهمة أدرجناه في ذيل هذه الصحيفة ليكون تذكاراً مهمهما في مقدمة الملاحة المصرية (١)

(١) (البند ١) تكون الملاحة حرة في قنال السويس بأزمة الحرب والسلم على حد سواء وتباح الملاحة فيه إلى كل باخرة بحرية أو تجارية بدون أدنى استثناء وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بأن لا يلقيا أقل عشرة في سبيل الملاحة سواء كان ذلك في وقت الحرب أو في وقت السلم ولا يجوز لأي دولة أن تخاصر القنال (البند ٢) تعترف الدول المتعاقدة بصرفه لزوم ترعة المياه الحلوة إلى قنال السويس ومن ثم يتعين عليهن مراعات ما سبق في حكومة الجانب الخديوي مع الشركة العمومية المتعلقة بترعة المياه العذبة ويتعهدن برعاية التربة والمساق المتفرعة عنها (البند ٣) تعهد الدول المتعاقدة أيضاً بعدم إلحاق الضرر في مهمات وبنيات وأشغال قنال السويس وترعة المياه الحلوة (البند ٤) لا تقام على ضفاف القنال معاقلة أو حصون يمكن استخدامها لتهديد سلامة القنال ولا يجوز احتلال مساكن في أية نقطة كانت سواء كانت عند مدخل القنال أو على عرضه (البند ٥) تباح الملاحة في القنال للبواخر الحربية في زمن الحرب ولا يجوز إجراء تظاهرات عدوانية أو أعمال حربية عند حدود القنال أو عند مدخله أو على ضفافه وإنما تباح الأعمال الحربية خارجاً عن المناطق التي تحددها القنال اللجنة المختلطة المكلفة بالملاحظة (البند ٦) لا يباح في زمن الحرب للدول المتحاربة أن تنزل على شاطئ القنال أو على مدخله مساكن ولا أن تأخذ منها ذخيرة أو مؤنات حربية (البند ٧) يجري مفعول منطبق البند السادس على جميع السفن الحربية (البند ٨) لا يجوز للدول أن تشيد أي بنية بحرية في مياه القنال ولا في بحيرة التمساح أو في البحيرات المرتبطة ببياح البواخر الحربية أن تسوق في زمن الحرب عند مدخل القنال في نورث سعيد والسويس بشرط أن لا يتجاوز عددها باخريتين لكل دولة (البند ٩) على قناتل الدول الواقعة على هذا الوفاق أن يسهر على تنفيذ شروطه ومتى تراءى لهم أن حالة القنال والمرور فيه فيه تهديد عليهم أن يعقدوا جلسة لاخذ الاحتياطات اللازمة ويخبروا الحكومة المصرية بالخطر الذي يهدد القنال حتى تتخذ أفضل الوسائل لتأمين حالة القنال والمرور فيه وعلى القناتل المتقدم ذكره أن يعقدوا جلسة واحدة في كل عام تأكد التنفيذ بنود هذا الوفاق ويخبر بهم عند اللزوم أن يطلبوا توقيف أي عمل وإزالة كل ما من شأنه أن يلقى العثرات في سبيل حرية الملاحة (البند ١٠) يتعين على الحكومة المصرية بمقتضى الحقوق المخولة لها بقرارات الباب العالي أن تتخذ الوسائل اللازمة لاحترام تنفيذ بنود الوفاق ومتى عجزت الحكومة المصرية عن القيام بهذه المهمة عليها أن تخبر الباب العالي حتى يتداول في شأن ذلك

وكانت مصلحة الانجرارية بنهر النيل في أول عهد الخديوي المرحوم توفيق باشا باقية على حالتها التي كانت عليها مدة والده وبعد دفع الثورة انفصلت عنها ادارة وابورات الر كائب الخديويية ببحر النيل واتبعت بالمعية السنية وأحيل قومندانها المرحوم أحمد باشا حسنين على المعاش وتعين مكانه على بك عبادي وبقيت مصلحة الانجرارية تابعة لنظارة الاشغال العمومية وكانت الحكومة عقدت شروط طامع شركة كوك أجازتها فيه بتشغيل بعض البواخر المذ كورة في نقل السواح وذلك من عهد الخديوي السابق اسماعيل باشا (١٢٩٠ هـ) في مقابلة مبلغ تدفعه للحكومة كالاتفاق بينهما واستمر ذلك حتى استلمت شركة كوك المذ كورة هذه السفن لنقل الجيوش الانكليزية في جملة سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ حينما تقدمت لرفع الحصار عن الخرطوم كما سبق ثم بعد ذلك اقتصدت نظارة الاشغال في هذه المصلحة وأوقفت سير بعض تلك البواخر وأحالت ناظرها سر هنك بك على المعاش ثم باعت الى شركة كوك المذ كورة كثيرا من بواخرها وكسرت ما لا يتقدها منها وأبقت بعضها للاشغالها الضرورية وللأعمال اللازمة لدار التحف المصرية وفي خلال ذلك زادت مصلحة خفر السواحل بعض بواخرها وابتاعت بعض مراكب شرعية من انكلترة واستخدمت فيها بعض وطنيين وصارت تستعمل هذه البواخر والمراكب في أمر مراقبة السواحل المصرية لمنع تهريب الاشياء المنوع دخولها من بحار الحكومة بمقتضى نظامها وفي سنة ١٨٨٧ م وضعت مصلحة الليمانات علامات عوامية كبيرة على طرفي مدخل بوغاز الاسكندرية ووضعت على طابية كوم الناصورة بعض آلات للارصاد الجوية وأقامت هناك سارية ارتفاعها ١٤٠ قدما ووضعت فيها كرة تسقط كل يوم بانتظام وقت الزوال بدل التي كانت فوق مدرسة البحرية بالترسانة كما سبق وعينت هناك مراقبين من الملاحين للاخبار بقدم المراكب القادمة على الثغر لتقوم مصلحة الليمانات بواجباتها ثم تقرر تعيين بوغاز ميناء الاسكندرية حتى تدخله المراكب من تلقاء أنفسهم بدون عائق أو واسطة وعهد هذا العمل الى احدي الشركان الانجليزية وبشرت عملها وهو كسر الصخور الموجودة تحت مراقبة مصلحة الليمانات فتظلم من هذا الامر رؤساء البوغاز الذين يتعيشون من هذه المهنة التي ورثوها عن آباءهم وأجدادهم فنظرت الحكومة في شكواهم وأحالت أمرهم على مصلحة الليمانات فسنت لهم نظاما حفظ لهم به بعض تلك الحقوق وفي أول سنة ١٨٨٧ قررت نظارة الخريفة

مع الدول الموقعة لاتخاذ الوسائل في سبل وقاية القنال (البند ١١) الاقتراحات المدونة في البنود ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٨ لاتجعل أدنى عائق لجلالة السلطان الاعظم ومموا الخديوي أن يتخذ اجل الوسائل في سبل حماية القطر المصري واعادة الامن فيه في حالة اعدائه ومتى أراد جلالة السلطان أو مموا الخديوي أن يجر بأعمال حربية في القنال اقتيادا لاحكام الضرر وروعا عادة للراحة والامن في القطر المصري اذا حدثت فيه ثورة فعلمه ما أن يشعر الدول بذلك (البند ١٢) اجراء الاحتياطات المحولة للباب العالي في البند العاشر والحادي عشر من هذا الوفاق لانتع حرية الملاحة في القنال ولا يجوز اقامة الحصون دالماعلى القنال (البند ١٣) تعترف الدول المتعاقدة بحق المساواة في التمتع بحرية الملاحة وأن لا يجوز لواحد منهم أن تسي بالنسبة للقنال لتوسيع نطاق أراضيها أو تجارتها أو لنوال امتيازات في النظامات الدولية التي يمكن ادخالها بعد هذا الوفاق والدولة العلية هي الدولة المالكه لأراضي القنال (البند ١٤) هذا الوفاق وجميع ما انطوت عليه بنوده لا يعبت قط بحقوق العظمة السلطانية ولا بحقوق الخنايب الخديوي المحولة لسموهم بالقرمات (البند ١٥) هذه الشروط لا يتقضى أجلها بانقضه الاجل المعين لشركة قنال السويس (البند ١٦) هذه الشروط أيضا لا تفسد الشروط المقررة للقرنينتات المصرية (البند ١٧) يتعين على الدول المتعاقدة أن تطلع بقية الدول التي لم تقص على الوفاق بقصد التوقيع عليه اه

والبحرية أن لا يطلق مدفع الزوال في نغر الاسكندرية من كوم الناصورة وأن يحال أمر اطلاقه على فرقاطة محمد علي التي كانت تحت قيادة محمد أمين توفيق باشا وأن يطلق الحصن المذكور سهما ناريا في الفضاء عند شوب سريق في المدينة وأن يطلق سهمين اذا كان الحريق في السفائن داخل المينا ويطلق من تلك الفرقاطة مدفع واحد بعد خروج كل سهم وذلك لاختصاص الاحتياطات اللازمة وفي هذه السنة صدر الامر بتوقيف سير باخر في الجعفرية والطور بالبحر الاحمر وأحيلت بعض رجالهما على البوستة الخديوية وبعضهم على المعاشات ثم يعا بعد كسر ٥٠٠ ماوكسر وايقوا بورا القصير بالبحر الاحمر

ولما تبوأ خديويًا الخالي عباس علي باشا الثاني ادام الله ايامه الاريكة الخديوية بمقتضى فرمانات المؤيدة لحقوق الوراثة الخديوية (١٣٠٩ هـ ١٨٩١ م) وجدد البلاد المصرية مشغلة بردهجمات الدراويش عن حدودها القبلية وعن جهات طوكروسواكن ورجال الانكليز آخذين في تنفيذ الاصلاحات التي رسمها لهم اللورد دوفرن في لأتمته الشهيرة صرف العناية في التوفيق بين المصلحتين لامكان السير في جادة السلام والامان واخذ يستطلع المقاصد والرجال للوصول الى أحسن الطرق التي يأمل أن تعود على القطر السعيد بالفوائد والارتقاء ومن أعماله التي عادت على البحرية ببعض الترقى اصلاحه باخرة المحر وسعة المخصصة لركوب الحضرة الخديوية فأصلح مر اجلاسنة ١٨٩٤ بعد أن قررت الحكومة بيع فرقاطة محمد علي وقر وبت الصاعقة لعدم صلاحيتها للعمل (١٨٩٣ م) وأحالت طوائفهما على المعاش وأخذت نظارة البحرية احدي بواخر البوسطة وهي باخرة البحيرة وخصصتها لأعمالها بالبحر الاحمر وكانت الحكومة قررت الغاء المدرسة البحرية الا أن العزير حفظه الله أمر بابقائها فشكلت نانية بواور المحر وسعة الا أنهم اختصروها وجعلوا بها خمسة تلامذة فقط ورتبوا لهم ما يلزم من المعلمين وخصصوها للتخرج الضباط الذين يلزمون في المستقبل لبواخر الحكومة ببحر النيل واليوسسته الخديوية وبجراكب خفر السواحل فكان في ذلك بعض مداركة الضرر وليله حفظه الله الى الاسفار البحرية اوصى باحد معامل مدينة غلاسكو على يخط خصوصي نفيس جدا سمي بصفاء البحر طوله ما يتقدم وعرضه ٢٧ قدما ومحموله ٧٠٠ طن وقوة الآلة ألف ومانا حصان بخاري ولما تم بناؤه أرسل من مصر الميرالاي البحري على بك عبادي قومندان الركائب الخديوية ببحر النيل مع ثلاثة ضباط آخرين من وابور المحر وسعة فاحضروه الى نغر الاسكندرية في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٤ وفي سنة ١٨٩٥ قررت الحكومة بناء على ماراه المسترروف الانكليزي مدير مصلحة اليوسسته الخديوية باجراء بعض اقتصادات في المصلحة وصارت سيفنها لاتنف على كافة الثغور التي كانت تمر عليها قبلا فجعلوا في البحر المتوسط الابيض سفريات أسبوعية مستجيلة بين الاسكندرية والاسنانة رأسانتقطعها السفينة في ٥٦ ساعة فقط وخصصوا لها ثلاث باخر وهي توفيق رباني والقاهرة والبرنس عباس أما الثغور التي صارت لاتنف عليها السفن فهي بهذا الخط بيرية واندروس وبنوس وسيراوساقر وازمير وكيبولي ومديلي والقلعة السلطانية والغوايل ذلك ما كان لهذه المصلحة من العمال والوكلاء بتلك الثغور هذا ما خط سوريا بقوه على ما كان عليه أي عرا أسبوعيا على يافا وبيروت وطرابلس ومرسين انما منعوا السفن من الوقوف بمدينة بورت سعيد وخصصوا

لهذا الخط بواخر الشرقية والدقهلية وجعلوا باخرة الفيوم كاحتياطي له أما بالبحر الأحمر فجعلوا
 ميعاد السفريات به في كل خمسة عشر يوماً فتخرج السفن من السويس وتقر بمدن جدة وسواكن
 والغوامنة توكيل ينبع ومصوع والحديدة وخصصوا له بواخر الرحمانية والحجلة ومسير وشبين والنجيلة
 يشتمغل منها اثنتان والثلاثة الباقية تكون سفناً احتياطية وجعلوا ابور ينبع لتكرير المياه في
 زمن الحج وفرر وانكسیر وابورات المنصورة والزقازيق والحديدة ودمهور وباعت المصلحة أنقاضها
 بألف جنيه مصري ويقال انه عندما اشيع ذلك طلب أحد تجار عدن المدعوق وهو جى الهندي
 مشتري باخرة المنصورة بثلاثة آلاف جنيه وطلب الناظوري بك والحدي وغيرهما من التجار
 المصرين ابتياع بعض البواخر ولكن صادف أن طلبهم علم يوم أن ابتدأت المصلحة في تكسيرها
 وبيع أنقاضها ولم يبق للحكومة الا أن من كل باخرها المذكورة الا احدى عشرة باخرة فقط
 وهي السابق الكلام عليها وللقسم الجرى من مصلحة خفر السواحل الا تسبعة وابورات وهي نور
 البحر وعباس وظريف وورده وسريع والنيل ومخبر سرور وزورقان بخاريان وسبع سفن شرعية
 صغيرة وهي نسيم وطير البحر والنمر وغزاله ومبروك وبسيل وزولا وبعض زوارق أخرى يجتمعها
 من الطوائف بحسب المراتب الذي اعتمده المصلحة المذكورة من أول أغسطس سنة ١٨٩٦
 تسع وعشرون ضابطاً وتسعة عشر مهندساً ميكانيكياً وثمان وثلاثون وفاداً و٤٢٧ ملاحاً فيكون
 الجميع ٥١٣ ولم يبق الا أن من سفن نظارة البحرية المصرية الملقاة سوى ابور المحروسة الذي
 نسأل الله حفظه حتى يبقى لمصر الأسيطة تذكاراً من مجدها البحري القديم وبقى ببحر النيل خمس
 باخر مخصصة للخدمة الفخيمة الخديوية وهي فيض رباني وفيض ظفر وفيروز وزينة البحرين
 وهيبه ومن أعمال مولانا الخديو أيضاً التي عادت على البحرية المصرية بالفوائد ايجاده لميناء قصر
 المنزه العامر جعلها خاصة بسموه بحيث يمكن للسفن الصغيرة الخديوية أن ترسو وتقلع منها عند
 الحاجة وقد بلغت تكاليفها نحو ثمانية عشر ألف ليرة مصرية ومن أميال مولانا الخديو الى اصلاح
 وتميز بآمر البحرية المصرية يتضح أن سموه يسعى في أن يكون لمصر بحرية وأساطيل تحافظ بها على
 سواحلها وقت الحاجة مثل كل امالك الواقعة على البحار نسأل الله تحقيق ذلك قريباً

الباب الثاني

(تاريخ مصر)

﴿ الفصل الاوّل ﴾

(جغرافية مصر الطبيعية ونهر النيل والملاحة قيس)

مصر بلاد عظيمة واقعة في الشمال الشرقي من افريقية بين الدرجة ٣١ والدقيقة ٣٠ والدرجة
 ٢٤ والدقيقة ٥ من العرض الشمالي وحدودها الطبيعية من جهة الشمال ببحر الروم والبحر
 الابيض المتوسط ومن الشرق خليج السويس وقنال السويس والبحر الاحمر ومن الغرب صحارى
 ليبيا ومن الجنوب بلاد النوبة المبتدئة في الحقيقة من شلال اسوان هذا أما حدّها السياسي من

جهة الشرق فقط مفروض ما زينة العقبة بحيث يجعلها شرقا ومدينة العريش بحيث يجعلها غربا وكان قدماء المصريين يدعونها باسم كيم أى السوداء نسبة الى تربتها الشديدة السوداء وبالنسبة للون سكانها القدماء على قول وكان قدماء اليونان واللاتين يدعونها باسم ايجبتوس (Egyptus) ومعناه بالعربية القبط نسبة الى الطائفة التي هي بقية قدماء أهل مصر وأما اسمها باللغة القبطية فهو كيمي ومعناه أرض حام بن نوح وذكرت في التوراة باسم مصر ايم نسبة الى مصر ايم بن حام بن نوح وأرض مصر عبارة عن واديكشفه جبالان من الشرق والغرب وهما جبال ليبيا وجبال العرب وهذا الوادى نارة يضيق وبارة يتسع وأضيق مكان فيه عند جبل السلسلة القريب من ادفو ثم يتسعان قليلا قليلا حتى اذا حاذيا مصر العتيقة أى القسطاط تباعدا كثيرا وامتد شرقهما الى الاسكندرية وغريهما الى بحر القلزم و يبلغ مسطح مصر بما يشتمل عليه من الجبال والصحارى والارض الزراعية نحو ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ هكتار ومحيطها ٨,٠٠٠ كيلومتر وطولها ٢٦٠٠ كيلومتر ومتوسط عرضها يبلغ ٧٦٥ كيلومترا تقريبا ويختلف ارتفاع قمم هاتين السلسلتين فالإزيد أعلاهما عن ٣٥٠ مترا ولا ينقص أخفضها عن ٥٠ مترا ولما كانت سلسلة الجبال العربية مكونة من جبال منفصلة عن بعضها تعددت أسماءها والى السكان فمن أشهرها جبل البرمات عند اسوان وجبل السلسلة بين اسوان واسنا وجبل الطوق بمدينة قنا وجبل الشيخ الهريدى بمدينة جرجا وجبل أبو فودة بمدينة أسسوط وجبل الطير بمدينة المنيا وجبل الحامور بمدينة بنى سويف والجبل المقطم بالقرب من القاهرة أما سلسلة جبال ليبيا فلما كانت قممها أكثر انخفاضا كانت جبالها غير مشهورة واعلم أن سلسلة الجبال العربية يقطعها عدة وديان تصل بين النيل والبحر الأحمر أعظمها وادى القصير وبه عدة مقالع استخراج منها القدماء الاحجار ولا يزال يشاهد هناك للآن أطلال مدن وقرى كانت تسكنها العمال

وبالعصراء العربية التي بين النيل والبحر الأحمر سلسلة أخرى تمتد عرضا من رأس بناس الى اسوان وهى الحد الفاصل بين بلاد النوبة ومصر وتسمى بسلسلة الشلالات وعلى سواحل البحر الأحمر سلسلة ثالثة موازية لساحله مكونة من عدة جبال أشهرها جبل زبارى بمحاذاة مدينة ادفو والى الشمال منه أمام أسسوط تقرى بجبلان آخران هما جبل القطيرة وجبل الدخان وعلى ساحل خليج السويس جبل يسمى بجبل الغربى وغربى مدينة السويس جبل عتاقه وبالقرب من بحيرة التمساح جبل جنيفه وأجاره جيرية بخلاف اجار الجبال السابقة الذكر فكلاهما صوانية بين جنوبية وبارية ومما قيعة وقد استخرج قدماء المصريين والرومان من هذه الجبال الاحجار النفيسة خصوصا السماق المختلف الالوان الذى استخرجوه من جبل الدخان وأخذ المصريون من هناك المسلات والاحجار الصلبة الجسمية التى صنعوا منها تماثيلهم وعمائرهم ومعبوداتهم وبجميع المدن العظيمة التى على ساحل البحر الابيض المتوسط اجار نفيسة بين جراء وزرقاء وخضراء جلها الرومان وملوك القسطنطينية من مصر وشيدوا بها معابدهم ومبانيهم وقد أهملت الآن كل هذه المقالع المقالع الجبل المقطم ومن معادن مصر أيضا زيت النعنع المحرقى وله ينابيع كثيرة بالقرب من خليج السويس واستخرج القدماء أيضا الزمرد من جبال العصراء العربية كما هو مشهور ومعلوم ويشبه جزيرة الطور التابعة لمصر كثير من الجبال الشامخة أشهرها جبل سينا وجبل كرتينا وجبل مرنبال وجبل التيه ومن

جبالها استخراج القدماء الحديد والنحاس والفيروز ولا يزال بدو تلك البلاد يلتقطونه لآلآن
وبيعونه ويوجد الذهب أيضا جنوبي اسوان وكان قدماء المصريين يستخرجونه هناك بكثرة وافرة
وعربان العبادنة يلتقطونه الآن من مجارى السيول وبيعونه للتجار والرغام الاصفر الكهرمان
اللطيف وجسده بعد ثمان ساعات عن بنى سويف شرقا ومنه جلب المرحوم محمد علي باشا رخام
جامعه الذى بقلعة الجبل ومن المعادن بصر أيضا الملح وهو جيد مشهور والنظرون وغيرهما ولولا عدم
وجود المواد الاولية الضرورية لاستخراج المعادن ونقص المواصلات لا يمكن استغلال هذه المعادن
وكان يعود منها على الامة والاهالى ربح وافر

أما صحراء ليبيا فهى عبارة عن نجد ملي تحل خال من السكان به عمدة واحات مسكونة تمتد من
الجنوب الى الشمال موازية لمجرى النيل وأشهرها واحه بريس والواحة الخارجة والواحة الداخلة
واحة فرافرة والواحة البحرية ثم واحه سيوه وهى بالشمال الغربى بالقرب من بلاد بركة وبكل
هذه الواحات ينابيع طبيعية وآبار صناعية يستقى منها السكان وروون من ارضهم
وبالقسم الشمالى من الدلتا ومصر السفلى عدة بحيرات أكبرها بحيرة المتزلة وهى شرقى القرع
الشرقى بين مدينتى دمياط وبورسعيد ويبلغ مسطحها ١٧٠٠٠٠ فدان وتتصل بالبحر الملح
وقد تحوّل قسم عظيم منها الى ارض وهو القسم الذى فصله قنال السويس جهة الشرق وهذه البحيرة
كثيرة الاسماك جدا يعود منها على الحكومة سنويا دخل وافر وبالقرب منها استخراج الملح وبحيرة
البرلس وهى بين فرعى النيل أصغر من المتزلة وتتصل بالبحر الملح من مكان واحد وتتسع زمن
الفيضان حتى تبلغ ثلاثة أمثالها زمن التخريق وبحيرة ادكو وبحيرة أبوقير وهما غربى فرع رشيد
ولقاة مياههما وعدم اتصهما بالبحر يتحوّلان عما قليل الى ارض زراعية سيما وان احدى الشركات
تشتغل الآن فى تحفيهما وبحيرة مريوط وهى أكبر من البحيرتين السابقتين واقعة جنوبي
الاسكندرية وكل هذه البحيرات آخذة فى الجفاف تدريجيا بما يجلبه النيل معه سنويا من الطمي
والمواد الاخرى وكلها قليلة العمق ويبلاد مصر خلاف هذه البحيرات بحيرات أخرى أقل أهمية وهى
بحيرة قارون بمديرية الفيوم واليهما ينصرف ما زاد من مياه ذلك الاقليم بعد سقيهما والبحيرات التى
يخترقها قنال السويس وهى بحيرة البلع وبحيرة التماسح والبحيرة المزة وفى غربى الدلتا سبعة
مستنقعات قليلة العمق تسمى بحيرات النظرون تستخرج الحكومة منها كل سنة ما يزيد عن أربعين
ألف قنطار من النظرون

واعلم أن مصر واقعة على بحر من عظيمين وهما بحر الروم وبحر القلزم كما تقدم وطول سواحلها
على بحر الروم ٨٧٠ كيلومتر وذلك من خليج سلوم آخر نقطة فى حدودها الشمالية الغربية الى
العريش شرقا وارض هذا القسم الواقع بين ولاية طرابلس والدلتا قفر قليل السكان والنبات تكثر
به الكشبان أما سواحلها الممتدة على البحر الاحمر فطولها ١٣٠٠ كيلومتر منها ٥٠٠ كيلومتر
من العقبة الى السويس و ٥٠٠ كيلومتر أخرى من السويس الى القصير وثلاثمائة كيلومتر من
القصير الى رأس بناس وهذه السواحل صخرية مرتفعة خلة أكثر تلسنا وتعرجا من ساحل
البحر الرومى

أما نباتات مصر فكثيرة مختلفة وكلها إما نبت فى المنطقة المعتدلة أو الحارة ومنها ما يزرع

في الاراضى التى يسقيها النيل مباشرة عند فيضانه ومنها ما يزرع في الاراضى الاخرى ويساق اليها الماء بالترع أو المساقى وهى جميع أنواع الحبوب والحوارش والبدور والكواخج كانت تردل والانيسون والسهم والقرطم والخلبة والزعفران والبرسيم والسلمج والقناء والبطيخ والقاوون بأنواعه والقطن وهو من أهم محاصيلها والكتان والذرة والتبغ وقصب السكر والنيلة والارز وهو من أجود أنواعه والورد وهو يزرع في جهات الفيوم والاقليم يسهل لاستخراج مائه وفي ديار مصر من الاشجار الكثيرى والتفاح والخوخ والليمون والعنب والنارج والمشمش والمان والموز والجوز والخروب والتمر هندي والحناء والافاقيا وخيار الشمبر والدقلى والصقفاق واللبن والاثل والسنط وغيرها كثير والنخل وهو أكثر اشجارها وقد استنبتوا بها الا أن عدة اشجار أخرى جلبت من البلاد الاجنبية أما المشايخية في مصر فقليلة لقلية المراعى الطبيعية ومن حيواناتها الداجنة الخيل والجمال والبغال والحير والجواميس والضأن والبقر والمعز والدجاج والحمام وحيواناتها البرية قليلة لعدم المأوى لها ففيها الضباع والغزلان وابن آوى وفرس البحر والتمساح وغيرها وفيها من أنواع الطيور الاليفة والبرية عدد عظيم

وهو اقليم مصر مختلف باختلاف الفصول ففي أيام الفيضان يكون رطبا حاراً ومن شهر ديسمبر الى مارت يكون بارداً وفي هذه المدة تكون أرض مصر كستان موشى بروج خضراء منشور بها الخيل ومن مارت الى وقت فيضان النيل يشهد الحار وتكثر الامراض الوبائية وأمراض العينين ووقوع الامطار في مصر نادر جدا الاعلى الشواطىء البحرية وذلك لان الرياح الشمالية الغالبة هناك تطرد الاجخرة الصاعدة من البحر الى الجنوب وبين الاعتدال الربيعي والمدار الصيفي تهب ريح الجنوب وهى حارة يابسة وتسمى بريح الخماسين

النيل والملاحة فيه - نهر النيل هو أكبر أنهار الدنيا القدسية وأطول أنهار العالم ويتكون من نهرين أصليين يسمى الأول بالبحر الابيض والاخر بالبحر الازرق الذي ينبع من بحيرة دمبعه يبلد الحبشة على ارتفاع ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ويصب فيه عدة نهيرات تأتي من جبال بلاد الحبشة ويجرى الى الشمال الغربي ويلتقى بالبحر الابيض عند مدينة الخرطوم ثم يصب فيه نهر عطبرة المسمى قديما استابوراس من الجنوب الشرقي عند بلدة الدامر أما البحر الابيض فقد تمكن العلماء من اكتشاف منابعه والوقوف على مخارجه حتى وصلوا الى الدرجة الثالثة من العرض الجنوبي وهناك وجد ويخرج من بحيرتي فكتوريا نيا نيازا العظيمة والبرت نيا نيازا المنصبة اليه مائيه الجبال المجاورة على ارتفاع يبلغ ألف ومائتي متر عن سطح البحر الرومي ويخرج من الاولى نهر يصب في الثانية من طرفها الشمالي الشرقي ثم يخرج من الثانية نهر النيل الابيض المذكور ويجرى الى الشمال ويلتقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم كما تقدم ثم يتجه شمالا من وسط بلاد النوبة ويدخل أرض مصر عند مدينة اسوان وهناك الشلال الاول أو الاخر للنيل والشلال صخور كثيرة تظهر رؤسها فوق سطح الماء عند انحطاط مياهه ويسير النيل نحو الشمال حتى يصل الى مدينة القاهرة وبعد أن يبارحها بما يزيد عن عشرين كيلومترا يصل الى المكان المعروف ببطن البقرة حيث القلعة السعيدية والقناطر الخيرية يتفرع الى فرعين يصل الشرقي منهما الى دمياط والغربي الى رشيد ويصبان في البحر المتوسط الابيض ولما كانت الارض المحصورة في هذه المسافة

بين فرعي النيل تشبه مثلثا رأسه القناطر الخيرية وقاعدته البحر سمه اليونان بالذلتا المشابهة حرف الدال عندهم وسميت هذه الذلتا في عهد الخديو الاسبغ اسمعيل باشا بروضة البحرين وهي الآن عبارة عن مديرتي المنوفية والغربية وفي الذلتا يتشعب النيل الى شعوب وفروع عديدة تصب جميعها في البحر الابيض المتوسط أو في البحيرات القريبة منه بعد أن تروى أراضي وقرى ومدن الوجه البحري أما ما عدا ذلك من الأراضي فانها براري وصحارى قاحلة قليلة السكان على العموم وكان للنيل في الزمن السابق سبعة فروع كلها تصب في البحر الملح وهي أولاً الفرع البوسيطي أو البيلوزي (Pélusiaque ou Bubastique) ويعرف الآن بترعة أبو المنجاو وكان يصب في البحر بالقرب من قرية الطينة أو الفرما ومكانه ظاهر الى الآن والثاني الفرع الطانيتيكي (Tanitique) ويعرف الآن ببحر أشمون الرمان ويصب في بحيرة المتزله الرابع الفرع الفاطميتيكي ويعرف الآن بفرع دمياط (Phatmétique) الخامس الفرع السبنتي (Sebennyte) ويعرف الآن بترعة ملبج السادس الفرع البوليتيني (Bolbitine) وكان جزأ من فرع رشيد ويخرج من الفرع الكانوبي (Canopique) الا أن ذكره بالقرب من بلدة الرحمانية السابع الفرع الكانوبي (Canope) ويسمى أيضا الهرقليوتسكي أو النقرانيسكي وهو عبارة عن فرع رشيد قال المؤرخون انه من يوم أن عرف سكان الديار المصرية الملاحة في نهر النيل صاروا يسرون بسفنهم فيه وفي كافة فروعها بلا عوائق حتى قالوا ان صخور الشلالات الموجودة جنوبي اسوان ليست مخوفة بالنسبة لسير السفائن وان كانت تعطل السفر الى البلاد القبلية نوعا وكان هذه الشلالات وجدت لتكون حدا فاصلا لسير السفن بين البلاد المصرية والبلاد التابعة لها على ساحل النيل بالنوبة والسودان المصري وان التيارات المائية الجارية بين تلك الصخور لا تكون مانعة من السير فيه بالكيفية وقد اتخذ الاهالي لمرور السفن بين تلك الشلالات طرقا مخصوصة يعرفونها كبطها بأحبال وجرها من الساحل بين تلك الصخور حتى تمر منها باسلام ويقال ان جبل السلسلة الكائن بين ادفو واسوان في جاني النيل من الشرق والغرب كان في الاصل جبلا واحدا وكان معترضا أمام النيل كالشلالات المذكورة فقطعه القدماء ومر النيل منه وبذلك صار جبلين يكتسفانه وسمي بجبل السلسلة لسلسلة كانت تمدها القدماء معترضة بين الجبلين لمنع مرور سفن النوبة مدة الحروب التي كانت بين شعوبها وبين دول القراعنة وكانت تؤخذ عندها الرسوم المقررة على السفن وكان أغلب سفن السودان التي تقصد مصر بالبضائع وغيرها ترسو في ماردة وادي حلفا حيث كانت من القديم أشهر الموارد لانساءها وتجمع فيها السفائن الصاعدة أو النخادرة بالتاجر المصرية والسودانية على البرين وكان شلال حلفا المعروف أيضا بشلال عبيد بعد أعظم شلال بعد شلال اسوان لان طوله يبلغ ١٢,٠٠٠ مترا ويبلغ أعلى ارتفاع صخوره عن سطح الماء ٤٠ مترا وينحدر الماء من فوق تلك الصخور على مدرجات كانت تعطل السفن في الايام السالفة عن العبور فيه خصوصا أيام احتراق النيل ثم أصلح في أيام الخديو المرحوم محمد علي باشا الكبير اصلاحا سهلا لسير السفن فيه أكثر أيام السنة ولكون مجرى النيل في جهات كروسكو ينعطف الى الشمال الغربي بصورة قوس كبير فهناك الرياح الشمالية والشمالية الغربية لاتساعد سير

السفن الصاعدة فيسحبها الملاحون بالحبال المسماة باللبان ويوجد بجبهات ابريم مخور في النهر تعطل سير السفن قليلاً أما المسافة الواقعة بين شلال عبكة وشلال حنك الكائن عند أوفاطمة البالغة ٢٣٢ ميلاً فإنه يوجد بها أحد عشر شلالاً وهي شلال كتخبره وشلال سمنه وشلال ميدوشلال أمبجول وشلال طنجور وشلال اللاموليه وشلال عكاشه وشلال دال وشلال عماره وشلال كجبار وشلال شعبان ومعظم هذه الشلالات غير مخيف وتمر بين المراكب بلا عوائق كبيرة ما عدا شلالات دال وكجبار وحنك فإن المرور منها به بعض الصعوبة لأنه في زمن الفيضان تمر منها السفن بسهولة وهناك شلالات أخرى بين دنقله وأبو جند أشهرها شلال أدري الذي هو الرابع في الدرجة وشلال أوسى وبين أبو جند وبرر شلال فوجرات وشلال أبو هشيم وشلال البقاره وشلال الامور وهو الخامس في الدرجة ولا يصعب المرور بأغلب هذه الشلالات زمن النيل خصوصاً ما في زمن التحاريق فتتعطل الملاحه في تلك الجهات تقريباً بالمرأكب الصغيرة التي لا تحتاج الى مياه عميقة وترى في أغلب الاوقات السفن مجتمعة في أكثر الموارد وأشهر هذه الموارد مودة حلة مديرة دنقله وعليها تمثالان قديمان أصلهما من الحجر أتى بهما اليها من ناحية البرقل في سنة ١٢٧٦ هـ وموردة الدبة وموردة أمبجول وهي على رأس العظم مور المنسوب اليها وموردة مرأوى وهناك أثر هيكل من البرابي القديمة وموردة أبو جند وهي في أول العظم مور المعروف بهم الواصل الى كروسكو وكانت العادة قديماً أن السفن تشحن البضائع من موردة كروسكو الى الشلال الاقل فإن كان وقت فيضان النيل أمكن للسفن أن تستمر في السفر لحد اسوان والانتقلت من السفن عند ناحية الشلال وجلت على الجمال الى اسوان ثم تنقل ثابته الى السفن فتعديرها الى الجهات البحرية ويوجد في أكثر الموارد المذكورة الصناع والتجارون فتصنع فيها السفن العظيمة والمرأكب الخفيفة والزوارق وغير ذلك من أدوات المراكب أما الملاحه بين برروا وخرطوم فلا يعيقها الا الشلال السادس المعروف بشلال سبلوكا وهو واقع في جنوبي المنتمه ولكنه سهل العبور

أما الملاحه في جهات البحر الابيض وغيره من بلاد السودان الواقعة على ساحل النيل ومنابعه فسهلة جداً لان السفن لا تقابل فيها موانع كبيرة وتسمى السفينة التي تخترق في النهر بتلك الجهات بالنفيرة وتصنع عادة من خشب السنط بهيئة بسيطة توافق السفر هناك خصوصاً بين الشلالات بحيث اذا حصل لها خلل أمكن تعبيرها في بضع ساعات وجولة الواحدة في الاكثر نحو ٣٠٠ اردب وان السفر بالسفن في النيل بتلك الجهات لا يعتبره عطل الا في نحو شهرين من السنة وذلك عند اقتراب فيضان النيل بسبب شدة التيار الواقع من التقاء البحر الابيض والازرق ببعضهما ووجود بعض مخور حجريه بالقرب من ملتقى الانهر وكانت أزبلت بعرقه للحكومة المصرية في عهد المرحوم الخديو الاسبق اسماعيل باشا مدمه اصلاح دارصناعة الخرطوم عندما وجد البواخر فيها الاشغال حكمدارية السودان فسهل بذلك السفر بتلك الاطراف والحاصل أن صعوبة الملاحه في هذا النهر لا تكون الا وقت ما يكون على حالته الاعتيادية بحيث لا يصلح اسير السفائن الكبيرة التي يزيد وسقها عن ١٣٠٠ قنطار ولكن عند فيضانه تجرى فيه السفن الكبيرة بأعظم شحن ويكون ٤٠٠٠ حينهئذ نحو أربعين قدماً تكليزياً ويقال ان مياهه في وقت التحريق لا تزيد في بوغاز دمياط عن ثمانية أقدام وفي بوغاز رشيد عن خمسة أقدام أما في زمن فيضان النيل فيزيد عن المائتين مائة عن ٤٣ قدماً بحيث

يمكن أن تسير فيه ا كبر السفن الحربية التي تحمل ٢٤ مدفعا وتصل الى القاهرة وقد ثبت عند
أرباب المعارف الباحثين عن أحوال النيل أن علة فيضانه هي وقوع الامطار الغزيرة في الجبال
الجاورة لمنبعه فتتدفق اليه مخلوطة بالطين والطفل الموجوده بتلك الجبال فتستقي منه أراضى مصر
وغيرها ويرسب هذا الطين فوق الاراضى الزراعية فيكسبها مادة تقوى بها على تغذية النباتات
وإذ لك كلما زاد فيضان النيل زاد الخصب في بلاد مصر والزيادة تتبدى في أواخر سبتمبر (١٥ نوت)
وتأخذ في التناقص في شهر ديسمبر (أواخرها تور) من كل سنة

واعلم أن شاطئ الدلتا يتقدم تدريجيا داخل البحر لاسيما عند مصيبيه وقد حسبوا ما يوجد
النيل من الاراضى بهذه الكيفية فكان متوسطه سنويا عبارة عن مترين ونصف ويميل مجلبه النيل
من الطمى والمواد الاخرى التي ترسب على الارض الزراعية حدث في أرض وادى النيل ارتفاع بلغ
بحسب تقدير أهل الفن نحو متر وربع في كل قرن وكان البحر الملح في الأزمنة الغابرة يغير بلاد الدلتا
باجمعها ويميل مجلبه من الطمى سنويا تنحسرت مياه البحر عنها بالتدريج ونشأ منها هذه الارض الزراعية
حتى ان هيردوت المؤرخ الشهير قال ان مصر هبة من هبات النيل

﴿ الفصل الثانى ﴾

(اشور البحرية بمصر)

من تأمل في السواحل المصرية الواقعة على ريف البحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر يرى أن
الطبيعة أوجدت فيهما جملته أجوان ورؤس اتخذها القديما ميناء ونغورا صارت مع الزمن من
أعظم الفرض التجارية خصوصا ما اعتدت باصلاحها الدول التي حكمت الديار المصرية وهذه
النغور منها قديم ومنها حديث فالقديمة هي مدينة الطينة أو الفرما المعروفه قديما بمدينة
أواريس (Avaris) أو بيلوز (Peluse) وكانت تبعد عن البحر الابيض بقدر ميلين وكانت
فرضتها لا تتخلو من السفن الواردة والصادرة بأنواع السلع ومحل هذه المدينة يقرب الآن من
مدينة بورت سعيد على الضفة الشرقية من القنال وفي زمن الفراعنة كانت حصن القطر من جهة
الشرق وكان يقسم بها الحرام لحفظ البلاد من الطوارئ وذ كالمؤرخون أهمية هذه المدينة
والوقائع الحربية التي حصلت فيها فى المدة القديمة حيث هاجمها العدو ثلاث عشرة مرة تقريبا
فأول من هجم عليها الهكسوس أى الرعاة المشهورون بالعمالقة سنة (٢٨٥٠ ق م) ثم هجم عليها
الفرس أربع مرات هجم عليها قبيز عند اغارته على مصر (٥٢٥ ق م) وفي زمن كسرى
ارتخس ياراش الاول (٤٠٠ ق م) وفي زمن كسرى ارتخس ياراش الثانى (٣٧٧ ق م) وفي
زمن دارا ملك الفرس (٣٤٤ ق م) ثم هجم عليها اسكندر المقدونى (٣٣١ ق م) ومن
فرع النيل المضاف الى هذه المدينة دخلت أساطيل اسكندر حين استيلائه على مصر وفي مدة
البطالسة هجم عليها برديكاس حاكم الشام فلم ينجح (٣٢١ ق م) وهجم عليها انتيغون (٣٠٠ ق م)
وانتيغوس ملك الشام (٢٧٠ ق م) وانطيونوس فلم يتمكن من دخول الديار المصرية وفي زمن
القيصر ماركس أوريل الرومانى هجم عليها اجايوس رئيس الجيوش الرومانية فارتدخا بها (٥٥ ق م)

وهجم عليها أو كافيوس رئيس الجيوش الرومانية (٣٠ ق م) - وقانوب (Canope) وهي من المدن القديمة في مصر السفلى وكانت واقعة عند مصب النيل المضاف إليها ويقال إنها سميت كذلك باسم دليل بحري كان لمنيلامات فيها من لدغة ثعبان واشتهر سكانها بفساد أخلاقهم ومعلمها الآن بلدة أبوقير - راقوده (Rakotis) بلدة شيدها الفراعنة على ساحل البحر الرومي في غربي قانوب لتكون معقلا وكانت تعد قديما حصنا للديار مصر من جهة الغرب وقد شيده اسكندر المقدوني بالقرب منها وعلى أطرافها مدينة الاسكندرية هذا خلافا لمصبات النيل السبعة التي كانت تعد قديما كفض أيضا لان السفن كانت تصعد منها إلى أعلى النيل وكانت الفراعنة يستدون هذه المصبات بالاجار ويحسونها لمنع أساطيل العدو من دخول البلاد ولمنع مياه البحر المالح من أن تهجم على الارض الزراعية فتفسدها وكانت هذه التغور أول باعثة للدول القديمة على اتخاذ الاساطيل وكان البطالسة اتخذوا في معظمها دور صناعات جعلتهم في مقدمة دول البحار

وكان للديار المصرية على سواحل البحر الاحمر جملة تغور أيضا كرهايودور الصقلي ومن أقواله يظهر أن البحر الاحمر كان آخره بحيرة التمساح وكان به فرضة لمدينة ارسينوى (Arsinoë) وبستان من قول استرابون أيضا وبلين وغيرهما أن فرضة هذه المدينة كانت بقرب بلدة سيرايوم أنشأها أحد البطالسة وسماها باسم أخته وجعلها في آخر البحر الاحمر ولعلها فرضة بطوليس (Ptolémaïs) القديمة التي عددها المؤرخون من الفرض الشهيرة بمصر وكانت في ولاية ارسينوى نيس وذهب بطليموس إلى أنها كانت فرضة لمدينة ارسينوى وكانت قصبة مقاطعة هيروبوليس وسميت أيضا كليوباتريس (Cleopatris) ويقال انها كانت من أحسن الفرض وكان بطليموس فيلادلف قدوسه واحسنها وصل بينها وبين النيل بقناة صناعية وبقيت زمنا طويلا من أهم المراكز التجارية الشرقية في مصر وكانت مداخيلها للملكة ارسينوى وبظهر من هذه الاقوال أن البحر الاحمر كان قد تأخر عن بركة التمساح بتغلب الرمال على ذلك المضيق الواقع بين البحيرة المسرة وبركة التمساح المذكورة وصار آخره سيرايوم عند البحيرة المرة المذكورة وكان لمدينة القززم (Clysmos) خلاف الفرضة المذكورة فرضة عظيمة ينسب إليها البحر القززم ويقال انه بالقرب منها أغرق فرعون سيد ناموسى عليه السلام ولم يكن بالقززم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكانت فرضتها من أشهر الفرض التجارية أيضا منها تحمل المتاجر إلى الحجاز واليمن وقال المسيحي في حوادث سنة ٣٨٧ في شهر رمضان ساءح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أهل مدينة القززم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب اه وقد خربت هذه المدينة الآن ويعرف اليوم موضعها بالسويس وكان لمصر في العهد القديم أيضا على البحر الاحمر فرضة ايلمة (Alama ou Ailath) الواقعة على خليج العقبة فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وأيلة حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر المالح بها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس وكانت كثيرة النخل والرروع ويقال ان بجانبها جرت الواقعة بين الحبش وعرب اليمن والتي ملكهم ذوفواس الجبيري نفسه في البحر أنفة من وقوعه

وقوعه في أسراجبشة وقد شيد أحد بن طولون بأيلة قلعة موجودة أطلالها الآن وفي مدة صلاح الدين الايوبي حصلت فيها واقعة بحرية بين أساطيله وأساطيل ارناط أمير الكرك كما مر في المقدمة ثم حاصرها الايوبيون برا وبحرا حتى فتحوها أما الآن فهي خربة لا اعتبار لها سوى أنهم من منازل الحج المصري ويقال لها عقبة ايلة وعيداب وكانت على ساحل بحر القلزم قبالة قوص أكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسي الدنيا لان مراكب الهند واليمن كانت تحط فيها البضائع ولما اتسع نطاق التجارة في زمن البطالسة أمر بطليموس الاول بعمل طريق في صحراء عيداب أولها من مدينة فقط بالصعيد الاعلى وبنيها محطات وصهاريج لحزن الماء ورتب فيها العساكر لخفارة المحطات وأمن التجارة قبعها الناس وسارت فيها أغلب تجارة البحر الاحمر فكانت المراكب تأتي من جميع مين الشرق الأقصى وبحار الهند وغيرها الى عيداب بالمتاجر وتحملها الجبال من عيداب الى بحر النيل عند مدينة فقط وهناك تنزل في مراكب النيل فتسير بها اما الى مصر واما الى بحر الروم فتدخل البلاد الافريقية وغيرها قال أبو الفداء في تقويم البلدان وابن خلكان وغيرهما ما لمخضه ان ميناء عيداب من أجل مراسي الدنيا بسبب ان مراكب اليمن والهند تحط فيها وتقلع منها زيادة على مراكب الججاج الصادرين والواردين وايس من أهلها ذوو يسار الامن له الجلبسة (السفينة) والجلبتات تحمل الججاج ذهابا وياها فهي تعود عليهم رزق واسع وفي بحر عيداب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها ويستخرج منه جوهر نفيس له قيمة فالناس يذهبون الى تلك الجزائر في الزوارق ويقومون فيها قعودون بما قسم لهم وقال أيضا وجلاب هذا البحر لا يستعمل بهما سمار البتة انما هي مخيطة بأمر اس من قسرجوز الهند المسمى بالنارجيل ويخللونها بدم من عود النخل فاذا فرغوا من انشاء الجلبسة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها والقرش حوت عظيم في البحر ينتلع الغرقى وانما يدهنون الجلاب لتلين عودها وترطيبها لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر وأخشاب هذه الجلاب مجلوبة من الهند واليمن وشراعتها حصر منسوجة من خوص شجر المقل فجميعها متناسبة في اختلاف البنية ووهنا فسبحان مضرها على تلك الحال ولاهل عيداب في الخبيج أحكام الطواغيت لانهم يشحنون المراكب بهم حتى يجلس بعضهم على بعض كأنها أقفاص الدجاج المملوءة حرصا على الكراء حتى يستوفي صاحب الجلبسة ثمنها في مرة واحدة ولا يبال بصنع البحر فيها ويدكر أن سليمان بن داود عليه السلام كان اتخذها سجنًا للفراعة ويقال ان مدينة عيداب كانت قريبة من مدينة بيرنيس القديمة التي بناها بطليموس فيلادلف على البحر الاحمر بينها وبين القصير القديمة ١٨٠٠ غلافة قال ابن سعيد وعرض البحر بين عيداب وجدة درجتان وهي أشبه بالضيعة منها بالمدن اه

بيرنيس مدينة تجارية كانت بمصر العليا قديما واقعة على الخليج العربي في نهاية خليج صغير ولم يكن لها ميناء الا أن أهميتها كانت بالنسبة لتجارة بلاد العرب والهند للطريق الذي بينها وبين مدينة فقط وهي الطريق التي أنشأها بطليموس فيلادلف وسماها باسم أمه ولم تزل بعض أطلالها موجودة لآن قرب رأس بناس ومع وجود هذه الفرض والثغور القديمة لمصر كانت أكثر

الدول التي حكمت مصر في العصر الخالصة لاتصنع أساطيلها الا في داخل النيل ثم تسوقها من الجداول والمصاب الى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط عند الحاجة فلهذا كانت مراكز الاساطيل المصرية في أغلب أودار الدول القديمة داخل نهر النيل كما تقدم ذكر ذلك في مقدمة هذا الكتاب وقد اشتهرت ثغور البحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر في عهد البطالسة والرومان بما أدخل فيها من الاصلاحات العظيمة هذا

أما الفرض المصرية الموجودة الآن فهي الآتية الاسكندرية - هي أكبر ثغور مصر بل وافرى قيمة جميعها وأشهرها وهي دار الصناعات المصرية وتبعد عن القاهرة بنحو ١١٢ ميلا الى الشمال الغربي في عرض ٥ ١١ ٣١ شمالا و ٥ ٥١ ٢٩ طولاً لخط نصف نهار غر نوبج وهي قائمة على لسان بين البحر الرومي وبحيرة مريوط وقد صارت ثغرا تجاريا بعد أن اختطها اسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق م على أطلال قرية راقوده (Rakotis) السابقة الذكر وكان اسكندر عهداً أمر ببنائها الى دنيو كراتس (١) اودينو خارس فأحسن عمارتها ولما كملت انتقل تخت الملك من مدينة منف اليها فصارت دار الملكة بديار مصر ولم تنزل على ذلك حتى فتحها الاسلام سنة ٤٠ هـ بعد أن حاصرها أربعة عشر شهراً وأزال من مصر حكم دولة الروم السفلى كما أزاله من سوريا فانتقل تخت الملك الى القسطنطينية ولما ظهرت هذه المدينة قصدها التجار وأخذت السفن التجارية والحربية ترد عليها وكانت في أيام البطالسة محطاً كبير التجارة أوروبا وممالك البحر المتوسط والشرق الاقصى ومركز العلوم والمعارف تأسست بها مدارس طارصتها قصدها العلماء والفلاسفة من كل مكان ونبغ بها عتمة من فقهاء الرجال وكان بها كبر دور صناعات البطالسة الذين اشتهروا بالقوة البحرية والحربية والتجارية وبعد أن خضعت للرومان وصارت القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الشرقية لم تفقد الاسكندرية أهميتها التجارية بل كانت فرضتها باقية مركزاً لعموم السفن التجارية الاوربية وغيرها وكان بها المنارة الشهيرة التي تعد من عجائب الدنيا وسبق الكلام عليها بالجزء الاول وهي التي بناها أحد ملوك البطالسة فوق جزيرة فاروس وجعل في أعلاها منارة من نوع الاجار الشفافة ليشاهد منها مراكب البحر اذا قبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها وقد هدمت هذه المنارة سنة ٥٣٤ هـ وشيد فوقها بعد ذلك منارة البرج المعروف الآن بقلعة قايتباي وكانت على طرف لسان من الارض قدر كبحر جنوبيه عند مدخل ميناء الاسكندرية الشرقي لان الميناء القديمة التي كانت أمام المدينة العتيقة لم تكن ترسو فيها المراكب لبعدها وقتئذ عن العمران وكان البحر يفصل قديماً جزيرة فاروس عن المدينة فغلبت عليه الرمال فالتصق البر بالجزيرة وصار لها بذلك فرضتان الفرضة الشرقية المذكورة والفرضة الغربية التي اعتنى باصلاحها وتعميقها ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير رأس العائلة المحمدية العلوية سنة ١٨٣٠ م كما تقدم وصارت من وقتئذ أشهر ثغور بالديار المصرية ثم صرح لمراكب الفريج بالدخول فيها وكانت قبل ذلك لا يصرح لهم بميل كانوا الا يرسون الا في

(١) دنيو كراتس (Dinocrate) مهندس مقدوني وهو الذي اصلى هيكل مدينة افسوس الذي أحرقه أروسترات (Erostrate) في القرن الرابع قبل الميلاد وعهد اليه اسكندر تشييد مدينة الاسكندرية

المينا الشرقية مع أخطارها كما سبق وبهذا التصريح كثر تردد المراكب على هذا النغر فجلبت اليه الخيرات من جميع فرض البحر المتوسط الابيض وغيره وزاد اقبال التجار وأهل الاسفار عليها وكثرت بذلك أسباب الاخذ والعطاء خصوصاً بعد أن شيد فيها المرحوم المشار اليه دار الصناعة والحوض الخيري الحجري وجميع ما محتاجه السفن خصوصاً الحوض الذي لا تستغنى عنه المراكب لعمارتها فزاد وارد المراكب عليها وسهل نقل بضائع القطر الى البلاد الاجنبية من هذه الميناء بترعة المحمودية التي تخترقها وصارت المراكب الاتية من داخل القطر تسير فيها حتى تدخل الميناء وتوصل محمولها الى السفن الكبيرة فلذلك كانت المراكب النيلية الذاهبة الى ذلك النغر كثيرة جداً وقد جلب الماء العذب الى الميناء بواسطة أنابيب لتأخذ المراكب التجارية والحربية ما يلزمها منه بسهولة ثم انه بعد أن أتم المرحوم سعيد باشا السكك الحديدية سهلت النقلات التجارية وأخذت أهمية فرضة الاسكندرية تتزايد الا أنه لم يعمل بها أعمال مهمة الى زمن الخديو اسماعيل باشا الذي لما رأى أن كثيراً من التجارة تحوّل الى طريق القنال بعد فتحه وخشى من أن هذا التحوّل يقلل من أهمية نغر الاسكندرية ووجه عنايته لاصلاح حالة الميناء وعمل بها حوضاً من الحديد لعمارة السفن فحصل من ذلك منافع عامة وسهولة تامة فزادت الرغبة وأمنت السفن بهامن فعل الرياح المختلطة أيضاً بسد الميناء بالحجر الذي أقاموه هناك بالصخور الصناعية التي ألقوها بالبحر من رأس التين الى البوغاز ولتسهيل الشحن والتفريغ جعل في دائره من ابتداء المرسي المعروف بمرسي الانكليز جهة القبارة الى الحوض المبني في الترسانة أرضة جيدة البناء ولوقاية السفن التي ترسو على الارصفة من الاهوية عمل جسر من الحجر في داخل الميناء تمتد من الجنوب الى الشمال فكانت هذه الاعمال سبباً لزيادة الرغبة في الميناء وزاد تردد السفن العظيمة المختلفة الاوروبانية والامريكانية عليها وجعل لوقوف السفن الحربية مكان مخصوص وقد تردد عليها في سنة ١٨٧٢ م ٢٩٥٣ سفينة مع أنه في سنة ١٨٣٧ لم يرد عليها سوى ١١٦١ ومن هذا يعلم أن مقدار المراكب الواردة عليها أخذت عاماً في الزيادة وأشهر الحوادث التي حصلت بالاسكندرية من يوم وجودها الثورة التي قامت في عهد البطالسة والرومان سنة ٤٧ ق م فاجتد قيصر العصيان ويقال ان المكتبة المشهورة التي كانت بهذه المدينة احترقت في ذلك الوقت وفي سنة ٦١١ م أرسل كسرى ابرويز ملك العجم قائده شاهين ففتحها وأرسل منها تيجها الى ابرويز ثم ان ابن ابرويز ردها الى القياصرة وفي سنة (٦٤٠ م - ٥٢٠ هـ) فتحها المسلمون على يد عمرو بن العاص كما مر في الجزء الثاني ثم هاجها أساطيل الروم عدة مرات فردوا حاطين وفي سنة ٢١٠ هـ أقبل عليها طائفة من أهل الاندلس وكان الزوالى على مصر عبد الله بن طاهر والناس في قننة ابن السرى ونصر بن شيب وغيرهما فارسوا بأساطيلهم في الاسكندرية ورئيسهم يدعى أباحفص وتغلبوا عليها وكان ذلك قبل قدوم ابن طاهر فلما قدم أرسل يطلبهم الى الحرب ان يدخلوا في الطاعة فأجابوه وسألوه الامان على أن يرتحلوا عنها الى بلاد الروم فأعطاهم الامان فرحلوا الى اقر بطش (كريد) ثم هاجها العلويون كما مر في أوائل القرن الرابع الهجري وفي سنة ٥٦٢ هـ ملك الاسكندرية أسد الدين شيركوه كما تقدم وفي سنة ٥٦٩ هـ قصدها الفرنج من صقلية بأسطول جسيم كما مر في المقدمة فعادوا مقهورين وكانت واقعة من أهم وقائع الحروب الصليبية وفي سنة ١٧٩٨ م

استولى عليها الفرنسيون واستمرت في حوزتهم الى سنة ١٨٠١ فأخذها الانكليز وأقاموا فيها الى سنة ١٨٠٣ م ثم لما ارتقى المرحوم محمد علي باشا على الديار المصرية أصلح شأنها كما ذكرناه واعتنى بأمرها خلقاؤه من بعده الى يومنا هذا وهي الآن من أجل الثغور والمدن بالديار المصرية وبها من السكان أكثر من ثلثمائة ألف نفس ولها مجلس بلدى لإدارة أحوالها وأعضاؤه من الوطنيين والاجانب وتعتبر العاصمة الثانية بمصر وترتبط مع أكبر مدن الديار المصرية وأشهرها بطريق حديدى ولم يبق من آثار هذه المدينة الشهيرة القديمة إلا نسوى وعمود السوارى وبعض آثار أخرى لأهمية لها ثم انه فى سنة ١٨٨٢ م أطلقت عليها المدرعات الانجليزية قنابلها فأخرت حصونها وسبأت ذك ذلك مطروح - وهي مرسى للراكب على البحر الملح واقعة غربى الاسكندرية على بعد ٢٠ ميلا ما بين الاقطار المصرية واىالة طرابلس الغرب بحيرة - وهي مرسى للراكب الصغيرة واقعة أيضا غربى الاسكندرية بينها وبين مطروح ورأس الكناؤس - وهي فرضة ترسو بها المراكب الكبيرة على بعد ستة أميال من رأس العقيلى واقعة أيضا غربى الاسكندرية وتبعد عن مطروح السابقة ٣٥ ميلا تقرىبى الى الشرق وقد اتخذت مصلحة خفر السواحل فى تلك المراسى رباطات من عمالها لمنع دخول الاشياء المهربة أو التي لا يصرح بدخولها أرض مصر

أبو قير - فرضة تبعد ١٢ ميلا من شرقى الاسكندرية واقعة بالقرب من مكان بلدة قانوب أو كانوبوس القديمة التي لا يعرف مكانها الآن بالتحقيق لان تراكم الرمال والتغير الذى حصل فى الساحل على مر الزمن قد أضاعه ويقول بعضهم انها فى موقع نابوسيريس (Thaposisiris) القديمة (أبو صير) أو ثوبيس ولما كانت من الفرض التي يمكن الدخول منها الى البلاد المصرية اعتنى بتحصينها ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير ولقوله عمق الماء عيناها تلتزم المراكب الكبيرة أن تقف خارجها ومدخل فرضتها ضيق جدا ولهذا البلدة وفرضتها شهرة تاريخية وفيها آثار كثيرة وأطلال قديمة ومساكن منحوتة بالصخور وفي ميناء هذه المدينة حدثت الواقعة البحرية المشهورة بين الدولتين الانكليزية التي كانت تحت قيادة الاميرال نلسون وبين الدولتين الفرنسية التي كانت تحت امرته الاميرال برويس سنة ١٧٩٨ م وهي التي مرز كرها فى تاريخ الدولة العلية وربما تعرضت كرها بتاريخ مصر وفى سنة ١٧٩٩ حدثت فيها واقعة برية ذات شأن عظيم بين العثمانيين والروسيين والانكليز من جهة وبين نابليون بونابارت من الجهة الأخرى وفى سنة ١٨٠١ استولى الانكليز على أبى قير من يد الفرنسيين ثم تركوها وتصل مع رشيد والاسكندرية بطريق حديدى

رشيد - واقعة عند مصب الفرع الغربى المسمى أيضا بفرع رشيد على الضفة اليسرى منه قال بعض المؤرخين ان رشيد هي المدينة اليونانية القديمة المدعوة ميتيليس وذ كغيرهم أنها فى موقع مدينة كانوب الشهيرة وهذا الثغر يبعد عن الاسكندرية بنحو ٣٦ ميلا الى الشمال الشرقى والمدينة تبعد عن البحر الرومى بنحو ستة كيلومترات وهي من أشهر ثغور الديار المصرية وقد اشتهرت باللطافة والعمارة والبهجة والازهار رشاها العرب سنة (٢٥٦ هـ ٨٧٠ م) وكانت فى القرن التاسع الميلادى ذات أهمية قليلة ثم حازت من كرامهم ما بما كان يرد اليها من المناجر التي كانت تنقل اليها بالنيل وذلك بسبب انسداد الترع التي كانت تصل مصر بالاسكندرية قديما وبعد فتح ترعة محمودية أخذت أهميتها تنقص أمامينها وأفا من لکنه صعب المدخل لتراكم الرمال

فيه وقد حصل بقرب رشيد سنة ٣٠٦ هـ واقعة بحرية بين اسطول المقتدر بالله العباسي وبين اسطول القائم العلوي فظفرت مراكب المقتدر وأحرقوا كثيرا من مراكب القائم العلوي وهلك أكثر جنودها وأسروا منهم كثيرا وقال المؤرخون انه في القديم كان مرسى جميع المراكب مدينة فوه فلما تراكمت الرمال في بوعاز هذا الفرع تعسر وصول المراكب الواردة من الخارج اليها فشيّدوا مدينة رشيد وكانت قبل ذلك قرية صغيرة ولما زار بلون الديار المصرية سنة ١٥٣٠ م قال ان رشيد أصغر من فوه ولما استولت الدولة العلية على القطر المصري أهمل أمر الخلدان فبطل رسو المراكب على مدينة فوه بالكلية وقامت مقامها رشيد وأخذت من حينئذ في التقدم والاهمية والعمارة لكثرة توارد البضائع الاجنبية والمصرية عليها حتى بلغت سنة ١٧٧٧ م أعظم درجة وفي شهر يوليو من سنة ١٧٩٨ استولى عليها الفرنسيون مدة احتلالهم مصر بلا قتال وبينما كانت الجنود الفرنسية الذين تحت قيادة القائد بوسرديت حفر أساس بيت عند قلعة سان جوليانس وجدوا حجرا كبيرا من الصخر عليه كتابة بثلاث لغات اليونانية والهبرية والديوثيقية ولما استولى الانكليزي على الاسكندرية حين اخراجهم الفرنسيين من مصر أخذوا الحجر المذكور الى بلادهم كما أخذوا أشياء كثيرة أخرى من آثار المصريين القدماء ثم ان الملك جورج الثالث أهدى الحجر المذكور الى المتحف البريطاني ولا يزال به الآن ويعرف بحجر رشيد ومن الكتابات التي على هذا الحجر تمكن العلماء من حل رموز الخط المصري القديم وكان أول من نجح في ذلك تمام الموسيو شميلون الفرنسي كما هو معلوم وبعد خروج الفرنسيين من مصر حاول الانكليزي سنة ١٨٠٧ م الاستيلاء على رشيد فأخفق سعيهم كما هو بآني أيضا بتاريخ مصر الحديث وهي الآن ليست محافظة من محافظات مصر بل جعلت مركزا لبلاد الارز الشريفة منذ قليل وذلك مما خفف من شأنها كثيرا حتى أصبح قسم كبير منها بلاسكان وسكانها الآن لا يتجاوزون ١٥ ألف نسمة

البرلس - نغر عظيم من نغور مصر واقع على ساحل البحر الرومي بين فرعي النيل عند البحيرة المضافة اليه المسماة قديما بوتي كوس لا كوس (Buticus Lacus) وكان على الساحل الجنوبي من هذه البحيرة بلدة قديمة تدعى بوطو أو بوطو أطلالها ظاهرة للآن وعلى ساحلها الغربي بلدة صغيرة الآن تدعى البرلس تابعة لمديرية الغربية وفيها قلعة على شاطئ البحر وبشرقيها أشتموم البرلس وفي غربها أشتموم برج المعنوية قال بلين في بعض مؤلفاته ان هذا القسم كان يسمى بتنينو وجعله بطليموس بين فرع النيل الغربي وفرع فرموطان ويؤخذ من كلامه أن البرلس مدينة كانت قاعدة هذا القسم وكانت تسمى بوطو وعلى شاطئ هذه البحيرة جلة قباب الجماعة من الصالحين يقال لهم الشرفاء العاصرية وجميع بلاد البرلس لا يصل اليها ماء النيل الا قليلا وأكثر شربهم من الحفائر ولها ملاحه تنسب اليها وهي من أعظم ملاحات مصر لحدودها ملحها قال ياقوت وينسب الى البرلس جماعة من أهل العلم منهم أبو اسحق البرلسي وكان حافظا ثقة مات بمصر سنة ٢٧٢ هـ وكان سكن البرلس فقط ومولده بصور من بلاد السواحل وأبوه من أهل الكوفة وينسب الى البرلس من المتأخرين عبد الجواد بن نور الدين البرلسي المصري خطيب جامع الازهر وكان فاضلا عالما شاعرا مات في رمضان سنة ١٠٣٤ هـ والمراكب الشراعية التي تقصد البرلس أكثر ترددتها يكون في فصل البطيخ جلودة زراعته فيها

دمياط - هي من أشهر الغور المصرية واقعة على رأس الفرع الشرقي للنيل عند مصبه في نقطة عرضها ٥٥ ٣١ شمال خط الاستواء وطولها ٤٧ ٣١ شرقي غر نويج قال المقرئ دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرام بن بصير بن حام بن نوح عليه السلام وقيل انها كلمة سريانية أصلها دمط أى القدرة وذكري في سائر تواريخ العرب أن دمياط مدينة قديمة بنيت في زمن قليمون بن تريب بن قبطيم ابن مصرام على اسم غلام كانت أمه ساحرة قليمون وهي مشهورة بطبيب هو أمها وبشمالها بحر فرع النيل المضاف اليها وعرض النيل هناك نحو مائة ذراع وعليه من جانبيه برجان وكان قديما يوضع بينهما سلسلة حديد عليها حرس لا يخرج مركب الى البحر ولا يدخل الا باذن وكانت تعد من غور الاسلام العظمى ٥١ وفي زمننا هذا تعد من المدن العظيمة في مصر السفلى تبعد عن مصب النيل تسعة كيلومترات تقريبا وعن القاهرة بنحو ١٦٠ كيلومترا الى الشمال الشرقي ولها تجارة واسعة في الارز وغيره وكان بينها وبين البحر خليج عظيم عمزته السفائن الكبيرة فورد في أيام سيرس البندقدارى سنة ٦٥٩ هـ لمنع سفن العدو من الدنوا اليها للعروب التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكانت سفن قرصان القرنج تسطودا على سواحل مصر الغنائم فأصبحت بهذا الردم بعيدة عن البحر لا يمكن للسفن الكبيرة الدنومنها فصارت من وقتئذ ترسو على مسافة فرسخين من الساحل ومن أشهر حوادثها أنه في سنة ٩٠ هـ في أيام الوليد بن عبد الملك نزل عليها الروم وأيضا في سنة ١٢١ هـ مته خلافة هشام بن عبد الملك نازلوها في ٣٦٠ مر كبا وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا النساء وفي خلافة المتوكل على الله وولاية عنبسة بن اسحق الضبي على مصر نزل عليها الروم يوم عرفة سنة ٢٣٨ فلكوها وغنموا ما بها وقتلوا أهلها وسبوا النساء فأمر المتوكل بأقامة حصن يقها من ذلك فشرعوا في بنائه في رمضان سنة ٢٣٩ هـ وأنشئ من ذلك الوقت الاسطول بمصر ثم طرقتها الروم باسطول مركب من مائتي سفينة فأقاموا يعيشون في السواحل شهرا ولما كانت الفتنه بعموت كافور الاخشيدي طرقتها الروم في رجب سنة ٣٥٧ هـ في أكثر من عشرين مر كبا وقتلوا وأسروا وفي أيام الخليفة الفاطمي نصر الله الفاطمي ووزيره طلائع بن رزيق نزل عليها الروم أيضا في ستين مر كبا (٥٥٠ هـ) فعاثوا وقتلوا كثيرا وفي أيام العاضدين الله نزلوا عليها في أكثر من ١٢٠ مر كبا (٥٦٥ هـ) فخرجت الجيوش من القاهرة وحاربهم ٥٥ يوما حتى التزموا أن يرحلوا عنها وفي سنة ٥٧٧ هـ رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مر كبا الى السلسلة التي بينهما ورم شعث السور وأنقنت السلسلة وفي سنة ٥٨٨ هـ أمر السلطان صلاح الدين بقطع أشجار البساتين بدمياط وحفر خندقها وعمل جسرا عند السلسلة وفي سنة ٦١٥ هـ هاجها القرنج وكان صاحبها الملك الكامل بن الملك العادل وملكوا البرج بعد قتال أربعة شهور وقطعوا السلاسل ونصب الملك الكامل جسرا عظيما فقطعوه بعد قتال شديد متتابع فأمر بتغريق مر كبا النيل لتمنع القرنج عن العبور فهدوا الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما قفر وهو عقوقه وأجر واقبه الماء وأصعدوا مر كبا بهم واستفعل أمر القرنج وبعث الكامل الرسل الى البلاد يستجدهم فأتته التجذات من كل النواحي وانفق موت أبيه الملك العادل بالشام فضعف عزم المسلمين وخاف الكامل من الفشل وحصلت أمور يأتي ذكرها نجسم عنها استيلاء القرنج على دمياط ولما دخل القرنج مدينة دمياط

بعد حصارها ١٩ شهرا (٦١٦ هـ) وضعوا السيف في الناس وكان يوم ما يشيب له الولدان
 وبني السلطان الكامل المنصورة وتجهز فيها الصدا للفرنج وتقدم المسلمون بشوائبهم أمام المنصورة
 وعدت هامة قطعة وحالت العرب بين الفرنج ودمياط حتى سار الملك الأشرف أخو الكامل وأخوه
 الملك المعظم وغيرهم بالتجدات وانتشب القتال وأسرا المسلمون عدة مرات من الفرنج وتم الامر
 بتسليم الفرنج دمياط الى الكامل (٦١٨ هـ) وفي سنة ٦٤٧ هـ عاد الفرنج عبرا كبرهم
 الى دمياط وكان الملك الصالح بن الكامل حصنها وكان مريضا غابت بالمنصورة وقام بالامر الامير نجر
 الدين ابن شيخ الشيوخ وكنتم موت السلطان خوفا من الفشل ثم انتشب القتال وأخذ المسلمون
 كثيرا من سفن الفرنج (٦٤٨ هـ) وأسروا ملك الفرنسيس لويز التاسع وأخاه وكثيرا من أمراء
 الفرنسيين وجنودهم وذلك مدة الحملة الصليبية الثامنة وسجنوهم بالمنصورة بمكان معروف
 عند أهل تلك المدينة الآن ولما كانت ولاية الملك الأشرف موسى أرسل المماليك الى دمياط لتخريبها
 خوفا من عودته الفرس ينج اليها فوقع الهدم في أسوارها (٦٤٨ هـ) وأتموا تخريبها حتى حطت
 آبارها فلما ملك بيبرس البندقداري أرسل الحجارين سنة ٦٥٩ هـ لردم فم يجر دمياط فردم كما
 مر وصارت المراكب غير قادرة على الوصول اليها ومن وقتئذ انحطت أهمية دمياط الحربية وهذه
 المدينة الآن من أعظم ثغور مصر يقيم بها محافظ وسكانها يبلغون ٣٥,٠٠٠ نسمة وبها مسجد
 قديم أسس زمن الفتح وتصل مع غيرها من مدن مصر بطريق حديدي

بورت سعيد - فرضة شهيرة حديثة من فرض الديار المصرية واقعة في أول الخليج المالخ
 المسمى قنال السويس غربى مكان مدينة الطينة القديمة بمائة وعشرين ألف متر على ساحل
 البحر أسست سنة ١٨٥٩ - ١٢٧٧ هـ أى حينما شرعوا في حفر قنال السويس وهى
 واقعة على ٤٥ ١٥ ٣١ من العرض الشمالى و ١٥ ١٨ ٣٢ من الطول الشرقى لخط
 نصف نهار غروبى وكيفية بنائها أنه عندما أخذ العمال يتواردون من فرنسا وغيرها للعمل في
 القنال نزلوا على ساحل البحر عند مدب الترععة في أكواخ من القصب اتخذوها ليا ووالهاثم
 بنيت دور ومساكن في محل اقامتهم وأخذت تلك المساكن في الكثرة وأقيمت بها الاسواق حتى
 صارت من أشهر مدن مصر الساحلية كما هى الآن قال المرحوم على مبارك باشا في خططه
 وسميت بورت سعيد باسم المرحوم سعيد باشا أيضا ذكره ولسهولة تفرغ مهمات العمل الواردة
 في السفن عمل جسر من الخشب يمتد في البحر الى قدر كاف للمرسى المراكب وتفرغها و عمل عند
 نهاية ذلك الجسر في داخل البحر برج من خشب ارتفاعه عشرين مترا وجعل بأعلى منارة تتهدى
 بنورها المراكب التي تصد هذه الجهة الى أن قال ثم شيدت بيورت سعيد مخازن كبيرة ومصانع لعمل
 الآلات والكراكت ومستشفى لمعالجة المرضى وكنيسة أحداهما الروم والاخرى الكاثوليك
 وجامع للمسلمين وكذلك حصلت عمارات ومنازل عظيمة وشيدت بها فرضة بأرضقة من الحجر وجرل
 وركبت آلتان بخارتان على ترعة الاسماعيلية لايصال الماء الخلوالى مدينة بورت سعيد بواسطة
 أنابيب من الحديد وفي أثناء ذلك ظهرت شركة دسواخوان في عمل الاجار الصناعية وهى التي بنت
 ميناء بورت سعيد وصيرتها على هيئتها الحاضرة وأكثر تردد المراكب اليها من جميع بلاد أوروبا باحاطة
 للمواد اللازمة للاعمال من حديد ونحاس وما كولات وخلافها على طرف القوم مبانىة وبعض

السفن يأتي اليها مشحوناً من أوروبا أيضاً بالبضائع التجارية للبيع على الشغالة وغيرهم وتأتي اليها من أكابيض القطر المصري من نحو المنزلة والمطرية ودمياط ورشيد وما وجدوا من الارباح ورواج السلع وفي سنة ١٨٦٧ م جرت مراكب البوسطة ونحوها في الخليج بين هذه المدينة ومدينة الاسماعيليه ووردت عليها البضائع الشاميه وأقيمت ابورات تجارية من طرف وكلاء خمس قومبانيات وفي سنة ١٨٦٨ م كان انتهاء أعمال المولدين أي الرصيفين ولما تم فتح القنال سنة ١٨٦٩ م أخذت ميناء بورت سعيد المستجدة تزهر وتتزايد عمارتها يوماً فيوما حتى صارت من أعظم الثغور ولما رغبت الحكومة بعدئذ أن تستولى من القومبانية على كرك البضاعة الواردة الى ميناء بورت سعيد والصادرة عنه مثل الجارى في باقي ثغور القطر طبق نص الشروط عارضتها الشركة بدون وجه حق وتداخل في ذلك قنصل دولة فرانسا ثم بعد مداولات اتفقت معها على أن تعطى الحكومة للشركة ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك في مقابلة التنازل عن المعارضة الواقعة من الشركة في كرك بورت سعيد ولما صدر الأمر المرحوم اسماعيل باشا الى القومبانية بأقامة فنارات على ساحل البحر لهدياه السفن شيدت أربعة فنارات على ساحل رشيد والبراس وعلى مصب فرع دمياط والرابع في مدينة بورت سعيد بقرب مبد المولص الغربي ونوره كهربائي يضطرب ويرتعش وله بعد كل ثلاث ثوان غمضة وهي الآن من أعظم ثغور مصر وبها يقيم محافظ عموم قنال السويس وقد وصلوا اليها الماء العذب بترعة تخرج من الاسماعيليه واتصلت بأضامع مدن القطر بطريق حسيدي بنته شركة القنال وسكانها نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة

الاسماعيليه - لما وصل العمل في القنال الى بحيرة التماسح شيدوا على ساحلها عند ترعة الماء العذب مدينة عرفت أولاً بمدينة التماسح ثم سميت الاسماعيليه باسم المرحوم اسماعيل باشا الخديو السابق تذكراً لبقاء اسمه وقد كثرت العماره في هذه المدينة فيما بعد وكانت هذه البحيرة قديماً آخر البحر الأحمر كما ذكرناه ثم اندرس أمرها وبعدها أن عاد العمار اليها بعد فتح القنال اتخذت مرسى للسفن المارة من القنال وهي مرسى حسن حسيدي سبع كثيراً من السفن قال المؤرخون انه في عهد رمسيس الكبير كان ينصب ما يفيض من ماء النيل الى هذه البحيرة وان ماء البحر الأحمر كان يصل اليها في الأزمنة السابقة لوجود الآبار الدالة على ذلك وسميت بحيرة التماسح لكثرة فيها قديماً وبعدها أن سميت بالاسماعيليه افتكر المرحوم الخديو الاسبق أن يتخذها فرضة حربية ويشيد فيها داراً للصناعة العسكرية ويبنى بها السفن الحربية التي كان ينوي إيجادها لولا الموانع السياسية التي منعتة من إتمام هذا المشروع خصوصاً بعد تسوية الخلاف الذي قام بين الشركة والحكومة المصرية وأجازت الشركة للحكومة بعمل استحكامات ومبان أخرى مستخدمى الإدارة كالبوسنة والكرنك وثكنات العساكر على نفس الاراضى المخصصة للشركة وعارضت الدول في اقامة الاستحكامات حول القنال وقيم بها الآن وكيل محافظة تابع لمحافظة عموم القنال وهو أوهاردى وتفشوا بها الحمى وفي سنة ١٨٨٢ م اتخذها الانجليز قاعدة أعمالهم العسكرية لما أرادوا مهاجمة جيش عربى المتحصن بجهة التل الكبير كما سيأتى

والى الجنوب من الاسماعيليه بحيرة تدعى البحيرة المزة كانت قديماً فرضة للديار المصرية

مدة البطالسة وشيدوا عليها مدينة تدعى ابطولومايس وهذه البحيرة من أشهر البحيرات المصرية واقعة بين السويس وبحيرة التمساح ومينائها عريقة جدا تنسج كثير من الاساطيل والسفن وكانت ترسو بها السفن التي تمر من القنال مسافة قبل ايجاد الضوء الكهربي الذي يثيره لاشاطى القنال الآن ويساعد السفن على المرور في أى وقت ولا تناسعها تناسق فيها البواخر ليمتدح بعضها على بعض في عبور القنال وهى زيادة على ذلك أمينة جدا يصلح اعتبارها من أعظم الفرض المصرية الا انها ليست ذات فائدة تجارية الآن

الويس - نغر من أشهر نغور مصر واقع على الجانب الغربى من خليج السويس وفرضة لتجارات جزيرة العرب والهند والسودان وكل نغور الشرق الاقصى تبعد عن القاهرة بنحو ١٣٥,٠٠٠ مترا الى الشرق وقد دخلت مدينة القلزم القديمة السابق الكلام عليها قال المقرئى ان مدينة القلزم قد خربت ويعرف الآن موضعها بالسويس اه ولم تقف على تاريخ تجديدها ولا متى سميت باسم السويس ولا سبب تسميتها بذلك قال المرحوم على باشا مبارك فى الخطط ما ملخصه والاهمية موقعها من الديار المصرية من حيث تحصينها وسد عورتها من هذه الجهة ومرورها لبحاج عليها صادرا وواردا وكثرة المناجر الواردة على مينائها كان لها أهمية فى جميع الاعصر وفيها دائما من طرفها كم مصر رباط من العساكر المحافظين ولها كما يقيم بها ومحل للجمرك تؤخذ فيه عوائد البضائع الواردة الى مصر ولوقوعها فى النهاية الشرقية من مصر كان ينقل اليها من مصر على الحيوانات ما يلزم ايصاله اليها حتى المراكب التي يقتضى الحال انشاءها بمينائها وقد حصل ذلك غير مرة فى ذلك ما فى حوادث سنة ٩٢٧ من ابن ياسان ان الامير تم الناطر من طرف ملك الامراء على وقف الدشيشة كان قد صنع مرابعا عظيمة فى الجزيرة الوسطى لينقلها الى هناك لجل مغل الدشيشة وكان طولها ١٢٠ ذراعا وبها فرن وطاحون وصهرجج للماء الخلو ومقعد واصطبل للخيول فلما أتمها ركب اليها الملك الامراء فى سادس عشر رجب ففترح عليها ثم فكأخشاها الامير تم وأرسلها على ظهور الابل الى الطور وقد حصل مثل ذلك زمن العزيز محمد على باشا حين أراد بنا القصر أرسل الى السويس أخشاها وأدوات عمارة ونجىها قصر نفسه وكذلك جعل اليها على ظهور الابل عدة سفن حين عزمه على حرب الوهابية وكثر تردد المراكب الانكليزية فى البحر الاحمر لقرب هذا الطريق عن طريق عشم الخير (١٨٤٥ م) وفى زمن المرحوم سعيد باشا أنشئت السكة الحديدية من القاهرة الى السويس فازداد ورود المراكب التجارية على ميناء السويس وكثر التردد عليها والى ذلك الوقت كانت المراكب تقف فى ماء بعيد العمق على مسافة كبيرة من البر وتنقل بضائعها الى البر فى زوارق صغيرة ولما كانت المصاريف اللازمة لذلك جسمية عين لجنة لنظر ساحل البحر وتعيين المثل اللائق لرسى المراكب الحكومة ومراكب الشركات فاختاروا بقوة فى البحر تحت جبل عتاقه لانهم وجدوها تفي بالمقصود من الامن على المراكب وسهولة تنقل البضائع وقدموا له تقرير يعمل مولص هناك طوله أربع مائة متر تشتم المراكب وتفرغ عليه (١٨٥٨ م) ولما كان لا بد فى مثل هذه الميناء من وجود حوض لترميم المراكب وعمارتها عند الاقتضاء شرعوا فى انشاء حوض (١٨٦٠ م) ولما قبض المرحوم الخديو اسماعيل باشا على زمام الاحكام زاد الاهتمام بانشاء الحوض المذكور حتى

تم بنوا هناد مبانى أخرى أفادت السفن كثيرا كالارصفة والمنارات والمواص وأنشؤا لمراكب الحكومة ميناء واسعة تبلغ مساحتها ١٦٠,٠٠٠ متر مربع محاطة بجسور وأرصفة متينة للشحن والتفريغ سميت بميناء ابراهيم وبنوا بجانبها الى الغرب ميناء أخرى مسطحها ٢٣٠,٠٠٠ متر مربع لمراكب التجارة وأقاموا أمام المينتين من جهة البحر جسرا من الدبش والاحجار لوقاية المراكب بعد دخولها الميناء جعلوا به فتحة لدخول المراكب وخروجها وهذه الميناء الجديدة واقعة في جنوبى المدينة على نحو ميل داخل البحر من البحر الاحمر وتتصل بالمدينة بجسر من الدبش والتراب ومدتوا عليه أشرطة حديدية لنقل البضائع وفى شرقى ميناء الحكومة المذكورة ميناء أخرى صغيرة لقومبانية القتال يسكن حولها عمال القومبانية وترسو عليها سفنهم الصغيرة وشيدوا بجانب الحوض بعض المعامل لاصلاح السفن وبجانبها ميناء صغيرة للصنادل والفلايك

وبخليج السويس أيضا عدة أما كن تصل لسيان السفن أشهرها المكان الكاش جنوبى رأس ملعب عمقه اثنا عشرة قامة والمكان الذى يجوار رأس أبو قافا على بعد ١٥ ميلا الى الشمال الغربى من رأس غريب عمق مائه ثمان قامات وأكثر السفن تقصد هذا المكان لتختبى فيه من الرياح الجنوبية وكذا من الجنوب الشرقى الجون الكاش فى رأس شوقير بعد ميل منه تقريبا وعمق الماء فيه لا يزيد عن أربع قامات

الطور - فرضة من أشهر الفرض القديمة وهى على ساحل خليج السويس على مقربة من جبل الطور المعروف أيضا بجبل سيناء ترد عليها متاجر الشام ومصر والهند والمواصلات بينها وبين السويس لا تقطع بواسطة القوافل وفى زمن الحج تقصد بها الساعة من مصر وغيرها وترسل اليها الدولة العلية والحكومة المصرية الاطباء والخيام والمأكولات والادوية لاجراء الحجر الصحى الذى يقام عادة على جميع حجاج الجهات الشمالية عند عودتهم الى بلادهم سواء كان طريقهم قنال السويس أو المرور من الديار المصرية ولهذا يتعين على جميع البواخر التى تستغل بنقل الحجاج من أى ملة كانت الذهاب بهم الى فرضة الطور حتى تمضى أيام الحجر الصحى هناك وهذه الفرضة كثيرة الصخور وعمق المياه فيها لا يتجاوز تسع قامات وهى تابعة لمحافظة السويس وبها من السكان نحو ثلاثة آلاف نسمة

ومن المراسى الشهيرة بهذا الخليج أيضا مرسى الشيخ رباح وهو فرضة واقعة على بعد خمسة أميال الى الجنوب الشرقى من الطور تقصد بها المراكب الصغيرة وقت العواصف وعمق الماء فى داخلها لا يزيد عن ثلاث قامات وتكثر بها الصخور ومتى اضطرت البواخر الكبيرة وقصدت ما فانها ترسو فى داخل جون الفرضة المذكورة وعمق الماء بسبع قامات وهناك مراسى أخرى بجانب هذه الفرضة ضربنا عن ذكرها صفا لعدم أهميتها

التصير - هى من الفرض القديمة المصرية واقعة على ساحل البحر الأحمر الأفرى فى نقطة عرضها ٢٦ ٦ شمالى خط الاستواء وفيها قلعة قديمة تظهر للآتى اليها من بعد اثنى عشر ميلا تقريبا والطريق الواصل منها الى قنات مطروق بالقوافل ويسمى طريق الرصفة به جلة محطات فيها آبار عذبة الماء بعضها من عمل المرحوم الخديو محمد على باشا الكبير والبعض قديم جعلت لاستقاة المسافرين

في هذا الطريق وتقصدها على الدوام السفن الشراعية والبواخر التجارية وتكثر فيها التجارة في زمن
الحج عددها له نحو ٢٢٤٥ نفسا وتجارهم في الغلال والبن والصابون والفلقل والسجاجيد
والكوفيات والمربى وغير ذلك وبمهاديون محافظة ومحل للصحة وميناء للسفن وكانت الرغبة في القصير
لقصر مسافة البحر الى الحجاز فلما كثرت السفن البخارية بهذا البحر وصارت تنقل الحجج الى ينبع
وجدة من ميناء السويس واتصلت سكة الحديد بالسويس تحولت الرغبة الى السويس بسبب
السهولة وقال المرحوم على مبارك باشا في الخطط القصير ميناء على بحر القلزم تبعد ثلاثة ايام الى
الغرب من قوص في مفازة وهي فرضة قوص وقال ايضا القصير هي بيريس المدينة القديمة التي كانت
على البحر الاخير بينها وبين القصير القديم المسمى ميوهور رموس ألف وثمانمائة غلوة كما في البيريل
وفي بعض العبارات أن بينهما مائتين فرسخا وهو غير القصير الجديد المسمى عند العرب الجديدة وهو في
جنوب القديم بقليل وبين بيريس ومدينة قفط التي على الجانب الشرقي للنيل ٢٥٨ ميلارومانيا
وهي ٥٩ فرسخا وقال بلين ان بين قفط وبيريس مسافة اثني عشر يوما وقال ايفان ان بيريس
في محاذة جزيرة اسوان والذي وضع هذه المدينة هو بطليموس فيلودولفوس وسماها باسم والدته
ورتب فيها محافظة بقيت الى زمن الرومانيين ولم تزل آخذة في العظم وكثرت فيها المناجر الى زمن مديد
٥٨ من كتاب استرابون وقال هو وبلين ايضا انها لم تكن ميناء للسفن بل كانت في آخر خليج أطلق
عليه الرومانيون اسم طارنوس تدخل فيه السفن وبعد تفريغها ترجع الى ميناء بعيدة عنها تسمى عند
الرومانيين ميناء فيموس رموس باسم مدينة كانت هناك وكان عندها مدينة أخرى تعرف بالمدينة
البحرية وكانت تلك الميناء أقرب الى مدينة قفط من بيريس وهذا هو السبب في عدم جعل الميناء عليها
وسمى ديودورا صقلى هذه الميناء بميناء الزهرة وذكروا واسترابون وغيرهما أن الميناء كانت بقرب
الجبل الاجر الذي هو على مسافة ١٦ فرسخا من القصير فكانت الميناء في جنوبه على نحو فرسخ
ونصف وكان في الميناء عمارة متسعة بعيدة عن البحر نحو فرسخين بينها وبين البحر ثلاث جزائر الى
أن قال وطن بعضهم أن مدينة بيريس هي القصير القديمة وان اسم القصير مأخوذ من اسم قوص
لانها من أول طريقها وترد اليها بضائعها تنشر في الجهات لكن قد علمت أن بين بيريس والقصير
مسافة وفي خطط انطونان ان مدينة بيريس في موازاة اسوان وذكروا بعضهم أقرب بعدد قوص
والبحر الاجر ٤٠ ساعة بسير الجبل وقدر الساعة ٢٠٤ نوازه عبارة عن ٢٥٠٠ استمادة
مقدونية فاستنتج من ذلك أن مدينة بيريس هي مدينة القصير ٥٨

سواكن - هي فرضة عظيمة ومركز حكمدارية السودان الشرقي المصري الان يقيم بها محافظ
٤٠٠٠ م سواحل البحر الاجر واقعة على ساحل البحر الاجر في عرض الدرجة ١٩ والدقيقة ٩
شمالي خط الاستواء والدرجة ٣٧ والدقيقة ٣ من الطول الشرقي لخط نصف نهار غرنويج
وبينها وبين بربر طريق مطروق وفرضتها من أشهر فرض السودان التجارية يوجد فيها مخزن لحفظ
الفحم الحجري مبنى بجزيرة الشيخ عبد الله قبالة مركز المحافظة بقرب الميناء التي ترسو بها الوابورات
وميناء سواكن عميقة حصينة محفوظة من تسلط الريح مدخلها صعب العبور لما به من الشعوب
ويرد اليها كما يصدر منها عموم التجارة السودانية ولهذا كانت تسرع عليها كثر البواخر التجارية وتتردد

عليها كثير من السفن الشراعية وترسو عادة البواخر الكبيرة بالجهة الشمالية من المكان المعروف بالشيخ عبد الله على عمق يختلف بين ٦ و ٨ قامات وقسم من هذه المدينة واقع على جزيرة صغيرة والقسم الآخر فوق القارة والمدينة محاطة ببعض طوابق الجبايات من الطوارئ وهي تبعد عن جدة بنحو ٣١٠ كيلومترا إلى الغرب وعدد نفوسها ١٠,٠٠٠ ولها تجارة منتسعة في الصمغ والسمسم والجلود وسن الفيل وريش النعام والقطن والبن الخشبى وشمع العسل والزباد والسمن والبرش والمواشى وشرب أهاليها من الآبار وفيها الآن آلة لتكرير الماء ولكثرة تجارتها وأهمية موقعها يعتمد منها خط تلغرافى تحت البحر ويتصل بعدن ويكثر فى سواحلها صيد اللؤلؤ

مصوع - فرضة مصرية أضيفت إلى الخديوية المصرية بفرمان صدر من المرحوم السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٣ مدة المرحوم الخديو اسماعيل باشا وهي واقعة بالشمال الشرقى من بلاد الحبشة على بحر القلزم مشيدة فى جزيرة تتصل بالبحر بجزر طولها ١٨٠٠ متر أنشئ فى زمن الخديو المذكور (١٢٩٠ هـ) وعرضه عشرة أمطار وهي ميناء أمينة عامرة بها جلة أسواق ويقسم بها كثير من تجار الهند والعرب وتجارها تنحصر فى الجلود والصمغ والسمن والعسل والشحم وغيرها ومن مصنوعات الخلى المستعمل عندهم والأسلحة المعروفة لهم كالسيوف والحراب والنبيل وأنواع من منسوجات الصوف وأشربة من الجلد تشد على الأسرة والحصر والمنسجات والفخار وقد كانت سابقا صغيرة فأتسعت وزاد عدد سكانها حتى بلغوا نحو ٤٠٠٠ نفس وبها جامعان بمنارتين أحدهما يعرف بجامع الشافعى والآخر بجامع المالكي وبها قلعة قديمة على رأس الجزيرة من جهة الشرق وبداخلها عدة صهاريج قديمة تتلاءم وقت الأمطار وكان فى نية الخديو المذكور مد طريق حديدى من هنا إلى الخرطوم مارا بأعمال البلاد الموجودة جنوبى السودان الشرقى مثل كسلة التى كانت قاعدة الحكمدارية وقتئذ لاسيما وأراضى سنهت والغضارف والقلبات الواقعة فى شمالى الحبشة موافقة جدا للطرق الحديدية فلم تساعده المقادير ومصوع أشهر وأقدم الفرض فى ساحل الحبشة ومركز عمومى لتجارة الهند والبن وميناءها حصينة تسع كثيرا من السفن ولا تخلو فرضتها يوما ما من السفن الشراعية الأهلية لكثرة تردد ها عليها فذلك كانت المواصلات بينها وبين باقى غور البحر الأحمر والهند متصلة على الدوام ولما أشارت الدولة الانكليزية على الحكومة المصرية بتلك السودان وجعل الحد وعند وادى حلفاء وصدر أمر الخديو بذلك سنة ١٨٨٣ سمحت انكثره بعد سقوط الخرطوم لايطاليا باحتلال زيلع أو مصوع أو بيلول فاحتلت مصوع فى ١٩ ربيع الثانى سنة (١٣٠٢ هـ ٨ نوفمبر ١٨٨٤ م) ولما احتلها الطليانيون اتسعت بها العمارة وقصدها التجار وبنيت حكومة ايطاليا فيها ثكنات ومباني لجنودها وعمالها فصارت الآن فى هيئة تعادل بعض مدن أوروبا

زولا - هى بلدة جنوبى مصوع تبعد عنها ثمان ساعات بسير الجبل يقال انها اتخذت ميناء من مدة اليونان وانهم شيدوا بها هيكلًا جسيما وكانت ميناء شهيرة زمن البطالسة على شاطئ البحر الأحمر وفرضتها تسع عدة سفن ولما حاربت الحكومة الانكليزية الحبشة سنة ١٨٦٨ اتخذتها مركزا لسفنها وكانت أيضا تابعة للخديوية المصرية بالفرمان السلطانى الذى أخذت فيه مدينة مصوع كسابق

تاجوره - فرضة على خليج عدن وهي على ساحل بلادشوا وجنوب الحبشة بالقرب من الجون المسمى قبة الخراب ومن هذه الفرضة خرج مونسنجر باشا بالجنود المصرية الذين دخل بهم الحبشة من بلادشوا سنة ١٨٨٥ م وقتل هو وجيشه على مقربة منها كما سنه فصله في محله

زِيلَع - فرضة عظيمة واقعة على خليج عدن وهي ميناء مدينة هر قاعة بلاد السومال وكانت تابعة لمصر من القديم وسميت زمن البطالسمة موسيلون (Mosyllon) موقعها في ٢٢ ١١ عرض شمال خط الاستواء ٢٠ ٢٧ - ٤٣ شرقى خط نصف نهار غر فويج سكانها الايزيدون عن ٥٠٠٠ نسمة اُضيفت هي وبنو ابعها الى الاملاك الخديوية بالفرمان السلطاني الصادر في جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ هـ وعقب ذلك أرسل المرحوم الخديو اسماعيل باشا بتجريدة تحت قيادة رؤف باشا وفتح مدينة هرر وتجر هذه المدينة في البن والجلود والماشية وقد ذكر في كتب العرب قال ابن بطوطة وهي مدينة البربر وأهلها سودان شافعية وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أو أكثر أما زيلع نفسها فهي مدينة كبيرة الا انها أقدت من مدينة في العمورة وأنتها لكثرة ممكها ودماء ما ينخر بهامن الجبال وقال ياقوت زيلع جبل من السودان في طرف أرض الحبشة وأرضهم تعرف بالزِيلَع فيها سوق يجلب اليها المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها وترعى أكثر مساكنها في البحر وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش حدثني الشيخ وليد البصرى وكان ممن جال في البلدان قال وأكثرت معيشة أهلها من الصيد وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماء ثم يعقدونه كأنه الزيت فان أكل منه الرجل لا يضره فان جرح موضع بعقد ارغر زلابرة وترك فيه أهالك صاحبه وذلك أن الدم يهر ب من ذلك الجسم حتى يصل الى القلب ويجمع فيه فيفجره فاذا أراد أحد اختباره جرح رأس الأبرة ساقه فاذا سال منه الدم قرب ذلك السم منه فانه يعود طالبا لموضعه فان لم يبادره بقطعه من أوله قتله وهو من العجائب وهم يجعلون منه قليلا في رأس السهم ويتوارون في بعض الأشجار فاذا امرت بهم سباع الوحوش كالفيصل والسكر كدن والزراف والنمر يرشقونه بذلك السهم فاذا خالط دمه مات لوقته فياخذون جلودها ومامنها ذوقية في التجارة ٥١ ولما صدر الدكر يتوان الخديوى في سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٢ م بترك السودان انسحبت العساكر المصرية من هرر وزيلع واستولى الحبش على هرر وقتلوا كثيرا من سكانها وكانت قبل استيلاء مصر عليها ملكة اسلامية مستقلة واستولى الانكليز على زيلع (١٨٨٥ م) وفي مر فأزِيلَع صخور كثيرة ولكنها أمينة وتورد عليها كثيرا من السفن الشراعية التجارية وبعض البواخر ولها مواصلات مستمرة مع مدينة عدن وباقي سواحل العرب فبناؤها لا تخلو من المراكب في جميع فصول السنة

بربرة - هي فرضة تجارية شهيرة في شرقى افريقية مقابل عدن واقعة الى الجنوب من زيلع وكانت تسمى قديما الى سكانها ١٢,٠٠٠ نسمة ويقام بهذه المدينة وزيلع أسواق موسمية تجارية في فصل الشتاء تنقصها التجار من بلاد عديدة وتقصده هذه المدينة القوافل من جميع بلاد السومال والسودان القريبة منها بجميع السلع وتصدر منها الماشية والجلود والبن والمزوريش النعام والعاج والصمغ العربي وغير ذلك قال أحمد رفعت أفتدى في كتابه اللغات التاريخية

والجغرافية ما ملخصه ان بربرة مدينة مركزية لسومال فرضتها شهيرة قبالة عدن وكانت قد عيادت
تجارة واسعة في الرقيق والبن وغيرهما ويقام بها أسواق موسمية وأخير اتركتها الدولة العلية هي
وأراضي عادل وزيلع للادارة المصرية وبذلك تمكنت مصر من ادخال هرسر تحت طاعتها طوعا
وبهذا الاستيلاء اتسعت أملاك مصر في تلك الجهات حتى اتصلت ببحر الغزال وقد اهتم الخديو
الاسبق اسماعيل باشا بهذه المدينة لكثرة تجارتها ونصب عليها أول محافظ مصري وهو رضوان باشا
البحري فأخذ في بناء جلاء مبان للحكومة منها الجمرك والجامع والمحافظه والشكنات العسكرية وأجرى
اليها الماء العذب في أنابيب من مسافة بعيدة فكثرت فيها العمارة ولما صدر الذكر يتوب بالخلاء
السودان سنة ١٨٨٣ م احتلتها الجيوش الانكليزية التي حضرت اليها من عدن بعد عودة
حاميتها المصرية كما احتلت غوري وزيلع وغيرهما من الاملاك المصرية هناك

الفصل الثالث

(تاريخ مصر القديم)

تمهيد - لا يخفى أن أكثر المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ مصر استمدوا أخبارهم عنهم من
الانوار المصرية كالكتابات البربانية أو الهير وغيليفية والمباني المختلفة ومما وصلهم من الأقوال
المنقولة عن تاريخ مصر الذي ألفه باللغة اليونانية القسيس المصري مانيون في حوالى سنة
٢٥٠ ق م لان نسخته الاصلية قد صالت عليها يد الدهر فاخفتها من ما خفي من كتب الاولين ومما
وصفه المؤرخ هيرودوت (١) اليوناني في كتابه الذي كتبه بعد أن وفد على مصر سنة ٤٥٠ ق م
ومما قاله المؤرخ الشهير ديودور الصقلي (٢) اليوناني في كتابه الذي كتبه بعد سياحته في مصر
سنة ٨ ق م وقد شرح فيه جغرافية مصر بطريقة أفادت أرباب الفن ومما قاله المؤلف بلوتارك
الذي كتب باللغة اليونانية عن ديانة المصريين القدماء وأهتهم سنة ٩٠ بعد الميلاد أما ما يخص
تاريخها الحديث فقد ورد في كتب العرب والعثمانيين والاوروبوا وبين أقوال كثيرة اقتطفنا
منها أحصاها راية وأقواها سنداً وقد قسمنا تاريخها القديم الى خمس طبقات والحديث الى
دول أما طبقات القديم فهي الطبقة الاولى أو عصر الجاهلية الاولى ويمتد من العائلة الملوكية
الاولى الى الحادية عشرة من سنة ٥٦٢٦ الى سنة ٣٥٢١ قبل الهجرة والطبقة الثانية
أو عصر الجاهلية الوسطى ويمتد من العائلة الملوكية الحادية عشرة الى الثامنة عشرة من سنة
٣٥٢١ الى سنة ٢١٦٠ قبل الهجرة والطبقة الثالثة أو عصر الجاهلية الاخيرة ويمتد من
العائلة الملوكية الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين من سنة ٢١٦٠ الى سنة ٩٥٤ ق م
والطبقة الرابعة عصر اليونانيين ومدة البطالسة من سنة ٩٥٤ الى سنة ٦٥٢ ق م
والطبقة الخامسة عصر الرومان من سنة ٦٥٢ ق م الى سنة ١٨ هجرية ومن وقتئذ
ابتداء حكم الاسلام وأوله دولة الخلفاء ثم الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية والدولة الفاطمية

(١) هيرودوت مؤرخ شهير اغريقي ولد بعد نبهه الكارناس من آسيا الصغرى ولقب بابي التاريخ ويعتبر المؤرخون
كاتبه على ما فيه من الغلطات أحسن وأنفس وأصدق ما ألف في الارمنة القديمة عاش من سنة ٤٨٤ الى ٤٠٦ ق م

(٢) مؤرخ اغريقي حاصر الامبراطور أغسطس وله مؤلف شهير في التاريخ العام

والدولة الايوبية ودولة المماليك والدولة العثمانية الى عصرنا الحاضر وقد جرت عادة المؤرخين أن ينسبوا كل عائلة للمدينة التي اتخذتها قاعدة لها هذا ان كانت وطنية أما ان كانت أجنبية فنسب الى البلاد التي خرجت منها أو الى جنسها

(الطبقه الاولى أو عصر الجاهلية الاولى)

٥٦٦٦ - ٣٥٢١ ق ٥

ورد في الآثار المصرية القديمة أن المصريين كانوا يعتقدون أن أول من حكمهم ثلاث دول من المعبودات حكوا على التوالي مدة تبلغ ١٢٣٠٠ (١) عام وأن مدينة طيبة أو تبي التي بالوجه القبلى كانت دار ملكهم ومركز الحكم والعلم والديانة عندهم وقال بعض المؤرخين ان هؤلاء المعبودات حكوا مصر نحو ٥٧٣٠ عام قبل الملك منامى مصر ايم وكانوا يدعون حورشو وهم الكهنة خدمة المعبود حور والى الان لم يتحقق أمر هؤلاء الملوك وكذا لم يمكن تعيين زمنهم الا بالتقريب المشكوك في صحته جدا والمعول عليه في تاريخ مصر هو الدول التي تشكلت بعد نزول المصريين وسكنهاهم حول النيل بعد الطوفان أما أسماء الملوك وعدد سنن تسلطهم على رواية المؤرخ المصرى مانيتون فلم تكن جميعها متتابعة ملكا بعد آخر بل كان هناك ملوك كثير من متعاصرون منهم من كان مستقلا باقليم ومنهم من كان منفردا بقطعة أخرى وسما جميعا بالفرع عنه جمع فرعون وهى كلمة مصرية أصلها (فارغ) ومعناها نور الشمس كما رواه بعضهم وقد عد المؤرخون العائلات الملوكية التي حكمتها قبل فتوح الاسلام فكانت ثلاثين عائلة.

العائلة الاولى - ومدتها ٣٠٥ سنوات وتسمى بالعائلة الطينية نسبة الى مدينة قديمه قرب ابيدوس المعروفة الان بالعرابة المدفونة وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ابتداء حكمها وأول ملوكها بالاتفاق هو منامى أو منيس أو مصر ايم وأصله من مدينة الطينة المذكورة وهو الذى أسس مدينة منف وأحاطها بجسر يعرف الان بجسر قشيشة وجعلها دار ملكه وكان مصر ايم هذا معتبرا بين شعبه ومهيبا عندهم حتى انهم عبدوه كاله وقال هيرودوت انه بنى هيكل مفتاح ووضع للعبادة نظاما مخصوصا وكان بطلا في الوغى حارب الليبيين وقال غيره انه حوّل النيل عن مجراه الاصل وأصلح أحوال الرعية بتحسين الزراعة ونظم القوانين والاحكام وكانت مدته حكمه نحو ٦٢ سنة ومن أنباء مونه انه ابتلعه تمساح وخلفه ابنه اثوتيس ويقال انه تولى على مصر العليا في أيام أبيه مدة ٣٠ سنة وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذى شرع في تحسين مدينة منفيس وبنى فيها الهياكل والقصور وأسس القصر الملوكي وألف عدة كتب في التشريع ويقال ان في أيامه كان ملوك الدولة الثانية والثالثة متسلطين على بعض أطراف المملكة ومن أشهر ملوك هذه العائلة ونفس الأول وينسب اليه بناء هرم كوخوم أو كوكه القريب من سقاره وهو أول هرم بنى بمصر

(١) غير خاف انه لم يكن للصير بين مبدأ مؤرخون به وكذا جميع الامم البائدة ولهذا اختلف المؤرخون باختلافنا بينا في سنى العائلات والدول أو ردها على سبيل التقريب حتى انك ترى القسرق عند البعض يبلغ الالف سنة بل زيادة أو بالنقص وهذا المؤلف طريقا وسطا ولم يرتكب شططا واعتمدنا على كتاب حضرة الفاضل أحمد كمال بك في تاريخ مصر وعنه خصوصاً لخصنا بعض الاقوال المختصة بتاريخ مصر القديم

العالمة الثانية **الطينية** - ومدتها حكمها ٣٠٢ من السنين وكان بين ملوك هذه العائلة وبين الملك منافرة ولم يعثر الباحثون على آثارها إلا أن وقال ما ينشون انه لما استولى الملك بوثوس نزل على مدينة بوست (تل بسطة) سخط من السماء خسف به الارض ومات فيها خلق كثير وكره هذه الحادثة أيضا مؤرخو العرب وفي مدتها أخذ المصريون يعبدون الحيوانات المقدسة كالثور أبيض بجنفيس وسن أحد ملوكها قانونا جزية للنساء الجالوس على سرير الملك لحصر الملوكة في العائلة المالكة ويقال ان ثالث ملوك هذه العائلة المدعو بوسيريس أو بتيوتريس هو الذي بنى مدينة طيبة وجعلها تحت الثاني بمصر ويسمى آخر ملوك هذه العائلة خينرس او حوتفا وهو آخر نسل منا

العالمة الثالثة **النفسية** - ومدتها ٢١٤ سنة وقد تقدمت العلوم والصنائع والفنون في مدة هذه العائلة وأتقنت الكتابة واتسعت الثروة ومن اثارها الباقية التمثال العجيب المسمى بابي الهول ويسميه المصريون حورنخي (١) أى شمس الافق وتسميه الفرنج اسفنكس وهو عبارة عن صخرة هائلة نحتت على شكل حيوان برأس آدمي ووجهه سبع وكان على رأسه كتابة نحتت بتقادم الاعصار ولم يزل تاريخ هذا التمثال مجهولا الى الآن رغم ان شدة البحث والتفتيش واخر ملوك هذه الدولة يدعى سنفرو (كرفريس) وفي مدته ناز عليه سكان جبل الطور وتعدوا على حدود مصر فقاد جيشا وحرار بهم وقهرهم واستولى على أرضهم وشيد فيها قلعا وحصونا وبيوتا وبارا وعين من قبله رجالا يستخرجون له منها النحاس والفيروز وقد رسم نفسه هناك في صخرة بوادى مغارة ولما عاد الى مصر من هذه الغزوة شيد في حدود مصر البحرية حصونا وقلعا بقيت الى زمن العائلة الثانية عشرة

العالمة الرابعة **التقيية** - ومدتها ٢٨٤ سنة اشتهرت مصر أيام ملوكها بما شيدوه من المباني العجيبة التي لا مثيل لها منها الهرام الجيزة ومن مشاهير فراعنتها الملك سوريس وسوفيس الاول (خوفو) وهو ثاني الهرم الاكبر (٢) وخفرع وهو صاحب الهرم الثاني ومنقورع (رثوتيسس) وهو صاحب الهرم الثالث والاهرام قبور ملوك مصر وعظماؤها قال المرحوم على مبارك باشا في الخطط الجديدة الاهرام بفتح الهمزة جمع هرم مثل سبب وأسباب وأصل الهرم أقصى الكبر كافي القاموس ومنه اشتق الهرم الطاعن في السن وقال وقد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها في غيرها مثال اه وقال مارييت باشا أما الاهرام فتبعد عن النيل بقدر ثمانية كيلومترات وثلاثمائة متر وبنواؤها من أغرب الاشياء حتى ان قدماء اليونان وغيرهم جعلوها أول

(١) الاسفنكس أو بابي الهول هو صورة على شكل سبع له رأس آدمي إشارة الى القوة والعقل وجعله المصريون رمزا لكثير من الملوك المصورة أجسامهم على شكل سبع ويبلغ طول هذا التمثال تسعة عشر مترا وثمانين سنتيمترا وطول أذنه متر واحد و٩٧ سنتيمترا وطول أنفه متر واحد و٧٩ سنتيمترا واتساع فمه متران و٣٢ سنتيمترا وعرض وجهه من نتوان الخد الى مثله أربعة أمتار و١٥٥ سنتيمترا وهو على ماله من العظم الجسم كإعلته كانت صورته في غاية التناسب والاحكام فهو من أبدع ما صور المصريون ومن أعظم الأدلة على تقدمهم في العلوم والصنائع (٢) ارتفاع الهرم الاكبر ١٤٦ مترا ونصف وطول كل ضلع من قاعدته ٢٢٧ مترا ونصف متر أما زاوية الميل في جميع الاهرام فهي ٤٥ و٥١ وارتفاع الهرم الثاني ٤٤٧ قدما انكيزيا وعرض قاعدته ٦٩٠ قدما وملوثة ٢٠٣ أقدام وعرضه عند قاعدته ٥٣٢ قدما

العجائب السبعة اه قال ليسيوس كان الملك عند المصريين متى تبنوا تحت الملك أخذ يبنى هرما
فيختار المكان وتمهد الارض بصخر صلدويثقب على طريق مائل ويصنع على طرف ذلك الثقب
مخدع مستطيل السطوح بقصد أن يكون مدفنا لجسد الملك بهدمونه ووضعوه في تابوت ويقمون
في الموضع الممهذبنا صغيرا مدرج الظاهر فان اتفق أن مات الملك عند ذلك وضعوا التابوت الذي فيه
جثته في ذلك البناء وملوا ما بين الدرجات في ظاهره بحجارة هرمية حتى تستوي جدرانها فيصير البناء
هرما صغيرا وان بقي الملك حيا الى السنة الثانية بنيت طبقة ثانية من الحجارة على جوانب ذلك الهرم
الاربعة وبينون طبقة ثالثة كذلك في السنة التالية وهكذا مادام الملك حيا لكن الطبقات تصغر
سنة فسنة ومتى مات الملك كفوا عن بناء طبقة أخرى كما ذكر ويكلمون الهرم اما بدرجات عملا بقطع
مناسبة من الحجر أو بأن يزيدوا طبقة أخرى من الحجارة ويهدوا ما تأن منها حتى تستوي جوانب الهرم
ومن البديهي أن مثل تلك القبور بنيت لتبقى الى الابد وتقوى على التغييرات الجوية والحوادث
الطبيعية اه وكان الملك خوفوا المذكور من رجال الحرب حيث وجد مصورا في وادي مغارة وهو
يقا تل طائفة بني عون وهم قبيلة من عرب البوادي كثيرا ما كانوا يتعدون على حدود مصر الشرقية
ومن آثار هذه العائلة أيضا الايوان الغربي الموجود بجب دفتاح بمنفيس وهو أعظم ايوان حزين
بالصور والنقوش الغريبة والاشكال العجيبة

العائلة الخامسة - ومدتها ٢١٨ سنة وهي اسوانية وكانت قاعدة ملكها جزيرة
أسوان وعددملو كهاتسعة وأشهرهم أسركاف وسفرس (سحورع) ونفرا كريس (نفر فرع)
ولم تعلم لها آثار الا الهرم الذي بسقارة المنسوب الى آخر ملوكها المسمى أوناس أو أنوس ولما فتحه سنة
١٨٨١ م لم يجدوا فيه سوى تابوت الملك وهو من المرمر الاسود وغطاه ملقى به يداعه وكذا بعض
أعضاء الملك وعظامه مع قطع من أكتافه وجد في وسط الحجر حفرة حفرت للبحث عن الدفائن
قال أحمد بك كمال في العقد الثمين قد وجد في الصحيفة المصرية القديمة المحفوظة في اتيمة خانة
نوريتو بايपालيان الملك أوناس كان هو المتمم للقسم الاول من طائفة الفراعنة اه

العائلة السادسة - ومدتها ٢٠٣ سنين وهي أسوانية أيضا وفي مدتها انحطت مصر
عن درجتها وضعف أمر منفيس وبارت بلاد النوبة وكذا بعض قبائل سوريا ولما تولى أحد ملوكها
المدعو مرنع الاول (منه سوفيس الاول) أمر وزيره أوناس بان يبنى له هرما وأرسله في سفن بلطب
الاجحاز فذهب ومعه سفينة حربية وهي أول سفينة حربية صنعت بمصر على ما نعلم ومن ملوك
هذه العائلة نيتو كريس (نيتاقرت) وكانت من أجل نساء عصرها وأفضلهن قيل كان لها أخ قتلها
بعض رجال دولتها بغضا وحسد فانتمت منهم بان أقامت لهم وائمة في محل بنته تحت الارض وكان له
وصلة الى النيل فلما تكاملوا فيه وانهمكوا في الاكل والشرب أمرت بان ينساب عليهم ماء النيل
ففتحت الوصلة المذكورة فأتوا عن آخرهم ثم قتلت نفسها مخافة أن يبسط بهامن تحزب للمقتولين
ويقال انها هي التي أتمت الهرم الثالث الذي تركه منسكورع ناقص البناء وانخذلت لها فيه محلا
دفنت فيه

أما العائلات التي أتت بعد هذه العائلة الثالثة عشرة فامرهم مجهول بالمرور ربما

كان لهم آثار مدفونة تحت الارض لم يقف عليها الباحثون للان وعلم من الآثار وأقوال المؤرخين أن مصر في تلك المدة كانت في حالة ضعف واضطراب واختلال وتفرقة وأشهر عمل حدث في تلك الحقبة العصرية به اهتمام الملك سعنخ كارع آخر ملوك الدولة الحادية عشر الطبيعية في ترتيب المواصلات بين مصر وبلاد العرب ونقش ذلك على حجر في داري مغاره فترجم شاباس ذلك فكان ان حنوهو أول من فتح الطريق الموصل من فقط الى بلاد العرب بأمر الملك سعنخ كارع وجعل فيها خمس محطات وعمون الماء فكانت سبباً لترتيب المواصلات فيها وسلكها بالقوافل التي كانت تأتي بالبضائع والسلع من بلاد الهند والعرب الى مصر واستمر هذا الطريق كذلك الى عصر اليونان والرومان اه

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ الطبقة الثانية أو عصر الجاهلية الوسطى ﴾

٣٥٢١ — ٢١٦٠ ق ٥

العالم الثانية عشرة - ومدتها ٢١٣ سنة وتعرف هذه العائلة بالطبيعية وملكها ثمانية أولهسم امتنعت الاول وتسميه اليونان أممنس وكانت مصر في مدته في راحة وسلام واعتنى بأمر سكانها واطول بعضهم قتله في سنه الاخيرة ولكن لحسن حظه نجح من الهلاك وقد أشرك هذا الملك ابنه أوسرتسن الاول معه في الملك ولما راه متكبيرا كتب له كتابا يصفه وينهاه فيه عن هذا الخلق الذميمة وغيره (١) وبعده موته خلفه ابنه أوسرتسن الاول وهو صاحب المسلة القائمة للان بالمطرية وطولها عشرون مترا و٢٨ سنمترا قال الفاضل أحمد أفندي نجيب في كتابه الاثر الخليل رأى عبد اللطيف البغدادي في سياحته بعصر سنة ١١٩٠ ميلادية جملة آثار بالمطرية منها مسلتان متوجتان من نحاس كالتقع ترنجبر او اسالا على بسطهما وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان سنة ٦٥٦ هـ وقعت احدي مسلتى فرعون التي بارض المطرية فوجدوا داخلها مائتي قنطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار وقال في موضع آخر ويستفاد من دقة صنعها ووضعها على نصابها أنهم كانوا يستعملون وسائل ميكانيكية ولهم أعظم يد في الهندسة وصبر على مسابرة الاعمال الجسيمة اه وشيئا أحدا مر اه هذا الملك المقبرة العجيبة التي في بني حسان بمديرية المنيا وبين الصور والنقوش التي عليها مشهد يشبه دخول سيدنا يعقوب مصر حتى ظن بعض المؤرخين ان أوسرتسن الاول هو فرعون يوسف عليه السلام ولكن المدة التي وجد فيها سيدنا يوسف لا توافق عصر هذا الملك وسيأتي التنبيه عليها ولا يستبعد أن يكون ذلك مشهد دخول سيدنا ابراهيم الخليل بن نارح عليه السلام لانه بعد أن خرج ابراهيم من النار وأمنت بزوجه سارة وهي ابنة عمه هاران فارق ابراهيم ومن آمن معه قومهم وهاجر والى حران وأقاموا بمأمة ثم سار ابراهيم الى مصر وصاحبها

(١) اسمع قول يابني حيث أصبحت كما على الاقاليم الثلاثة وهي الوجه البحري والقبلي والنوبة فيلزمك أن تتقدي باحسن ما كانت تفعل أسلافك وأن تحافظ على حسن النظام بين رعيك حتى لا ترجع منك قلوبهم ولا تكن في معزل عنهم ولا تجب بنفسك ولا تقتصر في المصاحبة على الغنى والشهيد دون المسكين والفقير ولا تبادر بتقريب الوافد اليك لان ضمائرهم غير خبث تلك اه ورقة سألير

فرعون قال أبو الفداء وكان اسمه سنان بن علوان وقيل طوليس فذكر جمال سارة لفرعون المذكور
فاحضر سارة اليه وسأل ابراهيم عنها فقال هذه أختي يعني في الاسلام فهم فرعون المذكور بهم فأيديس
الله يديه ورجليه فلما تخلى عنها أطلقه الله تعالى ثم همهم بخبري له كذلك فاطلق سارة وقال لا ينبغي
لهذه أن تخدوم نفسها ووهبها جارية لها فآخذتها وجاءت الى ابراهيم ثم سارا ابراهيم من مصر الى
الشام وأقام بين الرملة وابلما اه وهذا التاريخ يقرب من زمن محبي ابراهيم الى مصر ويوافق ما أورده
مؤرخو الفرنج الذين يرتكبون على ما جاء في التوراة وهو أن اليهود من نسل ابراهيم الذي دعى سنة
١٩٢١ ق م لان يترك قبيلته وأرض ميلاده وبيت أبيه ووعده بأن المسيح يأتي من نسله وتسمى
اليهود عبرانيين من عابر والاسرائيليين من يعقوب الذي دعى اسرائيل أيضا ويهوداء من يهودا بن
يعقوب وهو جد يهوذا الذي كان له التقدم بين الاسباط الاثني عشر ثم ان يعقوب ونيه وعمالهم
وهم سبعون نفسا انحدروا من أرض كنعان الى مصر سنة ١٧٠٦ ق م واستعبد المصريون
نسلهم مدة ٢١٥ سنة وقد أشرك أوسرتسن الاول ولده امنتعت الثاني معه في الملك وللمات
واستقل ابنه بالحكم كانت أيامه كلها حروب مع الايتوبيين ثم مات وخلفه أوسرتسن الثاني وهو
الذي شيده عند الشلال الثاني قلعة سميت بالبقية اثارها لا تزال وعندها كتابة معناها منع السودان
من تعدي هذا المكان ما لم يأتي من امراكب المعز والثيران وغيرها من المشايخ ويظن أن السفينتين
التي وجدتا في دهشور ونقلتا الى متحف الجزيرة وتقدم الكلام عليهما في مقدمة هذا الجزء صنعتا في
أيامه وخلفه في الملك امنتعت الثالث وقد اهتم هذا الملك أكثر من سلفائه ملوك هذه العائلة
بالاعمال النافعة العائدة على مصر والمصريين بالسعادة والثروة ولما كان من المحقق أن سعادة
مصر وشقاءها متوقفان على النيل بحيث ان فيضانه لا يكون زائدا عن حده فيغرق البلاد ولا ناقصا
عنه فيجذب الارض اهتم هذا الملك في عمل ما يدفع به هذين الخطرين الشديدين عن ديار مصر فأنشأ
لذلك بحيرة عظيمة بوادي الفيوم ليخزن فيها ماء النيل الى وقت الحاجة وأقام حولها الجسور
والسدود وجعل لها ترعتين احدهما تجلب اليها ماء النيل وهي بحر يوسف والثانية لتصرف منها
ما زاد متى كان الفيضان قليلا وتعرف هذه البحيرة عند اليونان بحيرة موريس ومكاتها الآن وادي
الريان ومن أعظم أعماله أيضا قصر اللايرت البديع الصنعة وكان بالفيوم أيضا قرب البحيرة
المذكورة زاره هيروdotus وأعجب به جدا وينسب الى اوسرتسن الثالث تأسيس مدينة الكرنك في
بلاد الصعيد وافتتاح بلاد الحبشة وأخر ملوك هذه العائلة يسمى امنتعت الرابع وقيل سبك نفرو رع
العائلة الثالثة عشرة العظيمية والعائلة الرابعة عشرة السخاوية - ومدة الاولى ٤٥٣
سنة والثانية ١٨٤ سنة تقريبا - لم يذكر ما يشون هاتين العائلتين في جداوله فلهاذا تعسر
الوقوف على تاريخهما حتى عثر الباحثون على بعض آثارهما محفوظة بدار الخنف المصرية بالجزيرة
وذكر ما ريت باشا أن لهاتين العائلتين بجملة آثار بالانتمية خاتمة المصرية وبخزائن الخنف باوروبا
ولهاتين ابل هاتين بجملة سان ونقوش ببعض النواويس القديمة باسيوط التي كانت تعرف في كتب
اليونان باسم ليكوبوليس (Lycopolis) أي مدينة الذئب لانهم كانوا يعبدونه بها وانقراض
العائلة الاخيرة منهم انشأ عن عصيان الرعية على اخر ملوكها وفي مدتها كانت الاحوال مختلفة بمصر
حتى أدى ذلك لتغلب العائلة عليها

استيلاء العماليق والرهاة على مصر ومدته ٥١١ سنة - لا يخفى أن افتتاح الرعاة بلاد مصر كان من الحوادث الكثيرة الأهمية في تاريخ مصر وقد اختلف المؤرخون في أصل هؤلاء القوم فبعضهم يجعلهم من الأمة العبرانية وبعضهم يقول أنهم من أهل فينيقية ولكن هذه الأقوال لا تنطبق على هيئة أشكالهم المرسومة على الآثار المصرية لأنهم كانوا يصورون على الأعمدة والصخور كشعب موسومة أجسادهم بالزرق متشعبين بجلود غم فهذه الاشارات تدل على أمة عربية لا على شعوب عبرانية أو فينيقية وقال عنهم مارت باشان قبائل الهكسوس يعني العماليق كانوا أخذوا من العرب وأهل الشام وأكثرهم من الكنعانيين كما ذكره مانتون وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسي خيتا وفي التوراة حيثين وفي نواريج العرب عمالقة وقد دخلوا مصر من أسيا أتوا من جهة الشمال الشرقي واستولوا على الوجه البحري تحت راية الوليد بن دؤم وهو الذي يسمى عند اليونان سلاطيس فخار مصر السفلى والوسطى وتغلب عليهما ولما استقر في الملك أحرق المعابد وخرب الهياكل وبني القلاع والحصون وشحنها بالمقاتلة ومهمات الحرب خوفاً من هجوم المصريين وغيرهم من الطوائف الأجنبية على البلاد واتخذ مدينة منفيس تحت المملكتين واضطر ملوك مصر أن يهاجروا مع جماعة من رعيتهم إلى الصعيد وحكروا هناك بمدينة طيبة مقر الفرعنة وفي ذلك الوقت صار بيد مصر مملكتان وهما مملكة الفرعنة ومملكة الرعاة المتغلبين في منفيس ثم انتهى الأمر بفرعنة طيبة إلى الخضوع إلى العمالقة وكانوا يدفعون لهم خراجاً وأثرون بأوامرهم وكان المصريون يكرهونهم وينفرون منهم لقساوتهم وكثرة جورهم وفي عصر هؤلاء الأقوام تنكأ وورد أهل أسيا إلى مصر فاتخذ العمالقة منهم جنوداً ليكونوا لهم أعواناً عند النزوم ولم يعض على هؤلاء العرب زمن طويل حتى تدينوا بدين المصريين وتركوهم عليه من الخشونة والغلظة وشرعوا في إحياء التمدن ونشر العلوم وتعلموا لغة المصريين وعلومهم وفي عهد الريان ابن الوليد المسمى عند اليونان أبوفيس وباللسان الهرمسي رعاً كمن أحد ملوك الدولة السادسة عشرة وفدت السيارة التي اشترت يوسف من أخوته بعد إخراجه من الحب فباعه رئيسها مالاً إلى قطفير (بدوفر) وزير مصر ودخل بعد ذلك في خدمة الدولة المصرية بعد القصة المشهورة الواردة في القرآن الشريف وما زال يوسف عليه السلام يترقى إلى أن صار عزيزاً ثم جاء يعقوب عليه السلام وأولاده الاثني عشر فأنزلهم يوسف عليه السلام جهة الشرقية وأقطعهم أرض جاشان المعروفة الآن برأس الوادي قال أبو الفداء وعاش يعقوب معهم مئتين سبع عشرة سنة ومات يعقوب وأوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف ذلك وسار به إلى الشام ودفنه عند أبيه ثم عاد إلى مصر وكانت وفاة يوسف بمصر ودفن بها ٥١٥ وورد في التاريخ المسمى قطف الزهور أن دخول يوسف إلى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة ويؤيد ذلك كلام مانتون المؤرخ أذيتكلم عن مدينة منف فيقول وعاش بها يوسف وتسلط على البلاد وفي زمن أقدر وأعظم فرعون مملكة الجديدة بعد نقي الرعاة وخرجهم من البلاد ٥١٥ ثم قامت حروب بين المصريين والهيكسوس بسبب مناقشات حصلت في شأن الديانة وغيرها واستمرت أحكام البلاد في أيديهم نحو ٢٦٠ سنة وقال بعضهم ٥١١ سنة ويصعب تعيين تاريخ مدقق لتلك الأعصار الأولية لعدم اتفاق المؤرخين

في ذلك وما زالت البلاد تحت تسلطهم ولم يتمكن المصريون من اجلائهم عنها الا في مبداء ظهور الدولة الثامنة عشرة وتغلب احمس (اموزيس) الاول عليهم وقد أثبت المؤرخون للملوك الرعاة أعمالا حسنة في عمارة البلاد المصرية وزيادة ثروتها فاذا قال عنهم البعض بانهم خربوا البلاد ودمروها فذلك في أول أمرهم ومدتهم عبارة عن العائلات الخمسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

(الفصل الخامس)

(الطبقة الثالثة عصر الجاهلية الأخيرة)

٢١٦٠ - ٩٥٤ ق هـ

العائلة الثامنة عشرة الطيبة ومدة حكمها ٢٤١ سنة وأول ملوكها يدعى احمس أو احمس ومعناه ابن القمر وأصله من سلالة أحد ملوك العائلة السابعة عشرة وهو الذي حارب العمالقة ولما هزمه في أول الحرب فزها ربا إلى بلاد السودان وتزوج بابنة ملكها ليستعين به على طرد العمالقة ثم عاد بجيش عظيم وانضم اليه أقوام من المصريين وما زال يقاتل الهكسوس حتى هزمهم وأجأهم إلى الاعتصام بقلعتهم المسماة أواريس فحاصروهم بها وورد في بعض صحف البردي التي بالمتحف البريطاني ان احمس هذا كان وقت حصار قلعة أواريس عند سكترا أي رئيس الملاحين في سفينة اسمها الججل وامتاز بالشجاعة في عدة وقائع انتصر فيها ثم انتهت الحرب بفتح قلعة أواريس التي كانت تحت الحصار برا وبحرا فخرج منها الرعاة بشرط أن يأخذوا جميع منقولاتهم من بر مصر ومع ذلك فان احمس اقتفى أثرهم حتى أدخلهم قلعة شاروهن في حدود أرض كنعان ولما هزم المصريون ملوك الرعاة استولى احمس على كل أرض مصر وقبض على أزمة الاحكام منفردا والتفت إلى اصلاح ما دمره الرعاة وقت الحرب فأصلح هيكل فتاح في ممفيس وهيكل أمون رع في طيبة ولم يبق في مصر من عرب الرعاة الا طائفة مكثت بين الصحراء وقرع النيل الشرقي وأعقابهم القاطنون الآن حول بركة المتزلة وحرفتهم صيدا الاسماك وقنص الطيور وملك احمس اثنين وعشرين سنة وفي تلك الايام وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون أن هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة إلى مصر ويقال انهم هم الذين أدخلوها وملك بعده زوجته المسماة احمس نفرت اري السودانية بالنيابة عن ابنها منوفيس أو منعتب لصغر سنه ولما كبر وجلس على سري الملك حصن مصر من الجانب القبلي ثم انتقل إلى الوجه القبلي وعمل أعمالا تعلم من نقوش على أحجار قسرية الكاب منسوبة إلى احمس رئيس الملاحين القائل فيها اني أحضرت سقيفة الملك أمنحتب حين جهز تجريدة لقتال الاثيوبيات لتوسيع حدود مصر ٥٥ ومكث ملكا إحدى عشرة سنة وملك بعده تحوتس الاول ومن عظيم أعماله انه زحف على بلاد الجزيرة (بين النهرين) وحارب الاشوريين وفي أيامه كانت بلاد اثيوبيا منبع الثروة المصرية فتأتي منها البضائع مشحونة في مراكب تمر بالنيل إلى مصر وله عمارات عظيمة منها جزم من معبد أمون بالكرنك ومستلطان احدهما موجودة الآن في باب المعبد المذكور ثم خلفه تحوتس الثاني بالاشتراك مع الملكة حاتازو بنت المتوفى ولكنها ماتت وبقيت الملكة منفردة بالحكم وهي التي قامت بتوسيع ملكها فصنعت في

البحر الاحمر من اكب حربية وقادتها بنفسها الى بلاد يون كما ذكرناه في المقدمة وخلفها نحو عس
 الثالث وفي أيامه هجمت الجيوش المصرية على أهل الشام فأوقعت الرعب في قلوبهم وانتصرت
 جنوده في كل الحروب فاغتنت الامة المصرية بالجزية الوفيرة التي أخذها من الاجانب ومن البلاد
 التي حلت له الجزية الحبش وسوريا وفينيقية ومحاسم أخته من الآتار ومن جملة آثاره المسئلة
 التي نقلت الى الاسكندرية والمسئلة الموجودة الآن في القسطنطينية وأخرى في رومية مكتوب عليها
 اسمه وله أيضا آثار أخرى عظيمة منها الرواق الملكي الموحود في الكرنك وخلفه امكتب الثاني فللك
 وقتا قصيرا وخلفه امنوفيس الثاني وكانت مملكة مصر وقتئذ في حالة العظيمة والسطوة وقد حارب
 الاشوريين وانتصر عليهم وفتح نينوى وفي السنة الثالثة من حكمه عاد في البحر غائما الى مصر ووضع
 في مقدم سفينته رؤس الذين قتلهم بنفسه وبتولى بعده نحو عس الرابع المذكور اسمه على اللوح
 الذي بين برانز أبي الهول وقام بعده امنوفيس الثالث وبلغت صناعة النحت والبناء والتصوير في
 أيامه أوج الكمال وكان من رجال الحرب العظام فاحضع كثير من البلاد وأخذ الجزية من أهل بلاد
 ما بين النهرين وحكم ٥٤ سنة وخلفه امنوفيس الرابع وله محاربات مع أمم آسيا منقوشة على
 جدران معبد الشمس التي محلها الآن تل العمارنة القريب من منية ابن خصيب وخلفه الملك أبي
 وكان من عبدة الشمس أيضا وملك بعده توت عنخ آمن وله مقبرة بطيبة عليها نقوش تشخص السفن
 القادمة من السودان حاملة الجزية من غلال وثيران وخيول وغيرها وملك السودانين ورسولها قد
 خرجا من تلك السفن وركبت الملكة عربية جميلة تسحبها ثيران ومعها امرأؤها متواضعين أمام
 ملك مصر

العالمة التاسعة عشرة - أول ملوك هذه العائلة هو رمسيس الاول وكانت أحوال الامة
 المصرية قد ضعفت بسبب الثورات الحاصلة من تغيير ديانة المصريين الى عبادة الشمس التي دخلت
 مصر في عهد الدولة الثامنة عشرة وينسب الى هذا الملك محاربة ملك الخيتا والحيثين وغيرهم من
 الامم ومات وخلفه ابنه سبتي الاول فحارب الاسيين والشاسوا والعرب وهو الذي ينسب اليه توصيل
 النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة احتقرها وكان قها عند تل بسطه وشيد خط استحكامات شرقي
 مصر وملك بعده رمسيس الثاني الشهير بسيزوستريس وطال ملكه زمانا طويلا وكان ملكا عظيما
 ظافرا كثيرا المغازي والغارات قد ملاما مشارق الارض بصيت فتوحاته وأرهب مغاربهامية بأسه
 وسطوانه كثرت في زمانه الحروب وعظمت علوم مصر وتقدمت صنائعها تقدمما حسنا ولم تشتهر
 حروب رمسيس الا كبره هذا بالكتابة فقط بل صورها مهرة المصورين في تلك الايام بأبي سميل وفي
 أما كن أخرى خصوصا صورة الواقعة الكبيرة التي حصلت في قادش وحارب الخصمان فيها بشجاعة
 غريبة فترى فيها من كبات الخيتا وأحلافهم مصورة تقبل على النهر وقد قتل فيها خلق كثير من كبار
 رجالهم منهم أخو ملك الخيتا وسائق من كبة ملكهم وقائد الجيش وقائد الفوارس ورسم في احدى
 الصور ملك الخيليو وأخيرا ييوحليف ملك الخيتا يتقدم جاله من الغرق في النهر وحاصل ذلك
 ان رمسيس توغل بالدخول بين جنود الاعداء حتى أحاطوا به من كل جانب وفي تلك الحال أخذ يذبح
 معبوده أمن رع فظهر له وشجعه بالكلام وأخذ يبيده ونصره على العدو كما ورد عنه في الآتار ثم

انتهت تلك الحروب بدون أن يكون الظفر غاما لاحد المتحاربين ثم حصل الصلح والتحالف بين المصريين
والخيتا وتزوج رع عيس ابنة ملك الخيتا ثم قهر رع عيس بعد ذلك الكنعانيين والاموريين وأهل
سوريا وغيرهم وشيد دجلة هياكل ثم أخذ في توسيع ممالكه بالفتوحات العظيمة فجدد الجنود
وشرع في التغلب على الاقطار السودانية فاستولى عليها و ضرب على أهلها خراجا يدفعونه كل سنة
من الابنوس وسن الفيل والذهب وكان يرسل السفن لاستحضاره ثم بعث في البحر الاجر عمارة
بحرية مركبة من أربع مائة سفينة حربية فاستولت على سواحل هذا البحر جزائره ومدنه وتغوره
وعلى جزائر بحر الهند وجهاز نظير ذلك جيشا برابا وقاده بنفسه الى بلاد آسيا ودخل به بلاد الهند
ثم دخل بلاد التتار ووصل الى نهر الطونة واجتازه واستولى على جزائر بحر الروم بالاستطول الجسيم
الذي ساقه في البحر المتوسط الابيض وقال بعض المؤرخين ان رمسيس الثاني امتد ملكه من نهر
الكبيخ في آسيا الى نهر الدانوب أي الطونة في أوروبا وكان كلما فتح قطر او استولى على مملكة شيد
فيها هياكل وآثارا تدل على نصراته وفتوحاته وأبقى فيها فرقة من الجنود المصرية ليستوطنوا فيها
وينشروا بهاديانهم وعوادئهم وحكم هذا الملك ٦٧ سنة وورد عن كثير من المؤرخين المعتبرين
تكذيب لا غلب هذه الفتوحات بالمره وان ما وقع منها بالغ فيه لاسباب ذكرها وهو الذي ضيق بحيرة
التمساح ومهد الطريق الموصل لاستخراج المعادن من بلاد النوبة وطهر الترع وحصن حدود الصحراء
لمنع اغارة العرب على مصر وكان محبوبا لدى أمته معظم الاسم وملك بعده ولده منفتح الاول
وكان طاعنا في السن فشرع في تشييد المباني العظيمة في طيبة ولما علم أهل آسيا بعوده منفتح على
التخت طنوا فيه الضعف لتقدمه في السن فأرسلوا مراكبهم الحربية الى سواحل ليبيا من البحر
الابيض من جهة الغرب مشعونة بالرجال من قبائل متعددة من يونان وصقلية وغيرهم وانضم اليهم
مرمايون ريد ملك الليبيين وخرجوا من السفن وهجموا على مصر ومع ذلك فقد دلت النقوش
الموجودة على الآثار ان مصر لم يدخلها عدو اجنبي منذ خروج العمالقة منها ولما أغار هؤلاء الاعداء
على مصر بادروا بفتح باقامة الاستحكامات على ضفة فرع رشيد وتجنيد الجنود ولما تقدم العدو
تقدم هو أيضا بجيوشه الكثيرة وهزمه واستولى المصريون على جميع آلاته ومؤناته وما كان معه
وهذه هي أول واقعة حربية حصلت بين المصريين وأم أوروبا

والذي عليه غالب المؤرخين أنه في عصر هذا الملك خرج بنو اسرائيل من مصر مع سيدنا
موسى عليه السلام بعد معجزات كثيرة وذلك للعاملة التي كان المصريون يعاملون بها بني اسرائيل
فكانت الفرعنة يستعملونهم في تشييد المباني والعمارات وغيرهما من الاعمال الشاقة وفي عهد
رمسيس الثاني أمر بتشديد العذاب عليهم ومخزهم في نقل الاحجار وتشييد مدينة رمسيس وغيرها مما
شيد ويقال ان ولادة موسى عليه السلام كانت وقت صدور هذا الامر وقال أبو الفداء لما ولدته أمه
كان قد أم فرعون مصر واسمه الوليد يقتل الاطفال تخافت عليه أمه وألتي الله تعالى في قلبها أن
تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته والتقطته آسية امرأة فرعون وربته ٥٥ ولما شب أخذ
يرأف بحالة الاسرائيليين وكان من أمره ما كان من الحوادث التي آل الحال فيها أن فرعون
صرح لبني اسرائيل أن يسيروا مع موسى ثم دم فرعون وسار بعسكره حتى طفقهم عند بحر القلزم
وعند ذلك أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فانشق ودخل فيه هو وبنو اسرائيل وتبعهم فرعون

وجنوده فانطبق البحر على فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم وقال بعض المؤرخين ان ذلك حصل مدة منفتاح الثاني والبعض قال انه في مائة وستين سنة من الثاني ومن العجب أن قدماء المصريين يكتمون حادثة غرق فرعون ويشكرونها بالكلية خوفاً من الفضيحة والعار في الاجيال المستقبلية ولا يعجب من كتمان المصريين هذه الحادثة لاننا نجد في هذه الايام المتتورة من يشكروها أيضاً الذين يسبون انفلاق البحر الى حادثة طبيعية كالمجد والجزر الدورين وغير ذلك من التصورات التي لا تنطبق على ما ورد في الكتب المترلة وشرحه وفسره علماء الادب ان

وبعد موت منفتاح الاول حصلت حروب أهلية مدة منفتاح الثاني لم يستدل على تفاصيلها إلا الآن ولما مات منفتاح الثاني خلفه في الملك ولده سيتوس الثاني الملقب منفتاح الثالث وكانت في أيامه ارتباك وقيل وفاته نجي له مقبرة عظيمة الصناعة في بيان الملوك وملك بعده امنس وحدث في أيامه اختلالات داخلية أدت الى ورود الاجانب الى مصر بكثرة وعمكوا فيها حتى اغتاز المصريون من ذلك ثم ملك بعده سبتاح بانفاق الوزير بابي مع زوجة سبتاح المسماة نوسرت ولذا قال هذا الوزير فيما ورد عنه اني أزلت الباطل وأظهرت الحق لكي لا يكون لي الملك سبتاح على نخوت والده ولكن استمر الخلل والاضطراب في داخلية مصر واستقل اربزوالقندي في الملك مدة طويلة وأساء معاملته أهلها ولما طردتولى بعده سينخت مررع فشرع في ردع أبناء وطنه الذين حاولوا نزاع الملك منه وقايل الاجانب العالم المسمى للعشرين وتدعى بالرميسية ومدتها ١٧٨ سنة - وتدعى بالطيبة أيضاً

وأول ملوكها رمسيس الثالث وهو آخر مشاهير ملوك مصر وفي أول حكمه خرج عليه البدو وأهالي الشام واليبين وعدة قبائل أخرى وهم الخيتا والترويون والعموريون والتكاريون والشرتية والساوون وغيرهم فحاربهم وانتصر عليهم ولما علم أهل آسيا الصغرى والجزائر اليونانية بمذا الحرب أرادوا الخروج عن طاعته فشنقوا أساطيلهم بالجيوش وانفذوا على مصر من جهة الدلتا وتقابلت جيوشهم وسقنهم الحربية بجيوش وسفن المصريين وحصلت واقعة هائلة انتهت بنصرة المصريين على هؤلاء الاقوام كما ذكرناه في المقدمة وأرسل رمسيس هذا في البحر الاحمر سقنا الى بلاد العرب بلحلب خيراتهم ثم أرسل تجريد حربية الى شبه جزيرة الطور وأخضع أهلها وقبل موته أشرك معه ابنه رمسيس الرابع في الحكم ودفن في بيان الملوك بمقبرة كبيرة صنعها لنفسه هناك في مدة حياته وخلفه في الملك ولده رمسيس الرابع فقام عليه أهل آسيا فحاربهم وانتصر عليهم وبعد ذلك فتح طريق قفط لتسهيل التجارة بين مصر وبلاد العرب وفي آخر مدة هذا الملك حصل اختلاف في داخلية مصر فانهزرمسيس الخامس فرصة ذلك واغتصب الملك لنفسه وكتب اسمه على الآثار بعد اسم سلفه فاصدب ذلك الانتساب الى العائلة الملوكية ولما كان عميل الى الاعلام شأن مصر والمصريين انتمرحت الامة بولايتيه واستعشرت بطبعته حيث زادت الثروة في مدته وأصلح المعابد ورتبها القربان وعمرها بالعطاء وخلفه رمسيس السادس وله مقبرة عظيمة النقش والرسوم في بيان الملوك منقوش عليها وقائع فلكية ورموز دينية وحداول مقسمة الى ساعات وعليها مطالع الكواكب وغير ذلك من الغوامض الفلكية وقد تغلب على عدة أقاليم من بلاد السودان وخلفه رمسيس السابع ثم بعده رمسيس الثامن وليس لهما آثار ثم تملك رمسيس التاسع وله بعض أحجار في معبد خونسو بطيبة ثم خلفه رمسيس العاشر وله جملة آثار بمحافظ اذكلته ومقبرته بطيبة

وفي أيامه ضبط بعض لصوص كانوا تعدوا على كسر ونهب مقابر بعض ملوك العائلات الحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة ولكن لما أمر بالتحقيق اتضح براءة المتهمين وخلفه رمسيس الحادى عشر ومدسلطته على بلاد الايتيو بياوسور باو خلفه رمسيس الثانى عشر وقد بنى كثيرا من الآثار وفي آخر حكمه ضعف أمره واستفحل أمر حور رئيس كهنة آمون حتى صار صاحب الحل والعقد فى أحكام وسياسة الدولة وما زالت سلطته تنمو حتى انتزع ملك مصر من رمسيس الثالث عشر آخر ملوكها

العائلة الحادية والعشرون الطيبة - وأول ملوكها حور الكاهن السابق المذكور له بعض كتابات على هيكل خونسو مدح فيها نفسه ونفى فى مدنته من بقى من العائلة الرميسية الى الواحات الكبرى وتولى بعده الكاهن بعنخى ووضعه قامت الفتن فى مصر من العائلة الرميسية وخلفه ولده الكاهن بينوزم وفى أيامه ثارت فتنة بين أهالى الوجه القبلى والبحرى بسبب نفى العائلة الرميسية فى الواحات فلم يتمكن هذا الملك من اطفاء تلك الثورة وبعث ابنه منخيرع بقوة لذلك فاطفا الفتنة ودعا نفسه برئيس كهنة آمون بدل أبيه المذكور وأحضر الرميسيين من منفاهم وفى آخر عهد هذه العائلة ضعف أمرها وخرج عن طاعتها كثير من البلاد وتولى ششلق بعد موت ميامون آخر ملوك الدولة التيبية

العائلة الثانية والعشرون ومدتها ١٧٠ سنة - كان تحت هذه الدولة مدينة بسطة بالشرقية وأول ملوكها ششلق الاول وله أخبار منها أنه حارب رحعهم ملك فلسطين بجيش مؤلف من ١٢٠٠٠ عربية حربية و ٦٠,٠٠٠ فارس وكثير من المشاة فاستولى على فلسطين وسلب أموال هيكل سيدنا سليمان بن داود عليهم السلام وله آثار عديدة وملك بعده أو سور كون الاول ثم ملك بعده ناكولن الاول وخلفه أو سور كون الثانى وخلفه ششلق الثانى وليس له آثار وخلفه ناكولن الثانى وله بعض الآثار وخرج عليه الايتيو بيون جنوبا والاشوريون شمالا واستقلوا فضعفت مصر بخر وج بعض ملحقاتها منها وفى عهد ششلق الثانى وبيماني وششلق الرابع ميامون آخر ملوك هذه الدولة تجزأت مصر الى ولايات صغيرة وانتزع الملك عائلة أخرى من التيبيين

العائلة الثالثة والعشرون ومدتها ٨٩ سنة - وكانت قاعدة ملكها مدينة بسطة وأول ملوكها يدوسابست وهو المؤسس لهذه العائلة وأخذ بقوى مملكته فانتزع طيبة من أيدي الايتيو بين وفى مدة أو سور كون الثالث وبساموس وذت من ملوك هذه العائلة انقسمت مصر الى عشرين ولاية فكان لكل ولاية أمير مخصوص واستمرت مصر على ذلك الى أن ظهرت عائلة من صالحجر بالوجه البحرى ونزعوها من أيدي هؤلاء الامراء الذين أضعفوا قوتها بسوء تدبيرهم ولكن بقيت المنازعات بينهم وبين الايتيو بين الى أن ظهرت فتخت الآتى وبعد حروب اتفق مع الايتيو بين فجعلوه ملكا عليهم

العائلة الرابعة والعشرون الصاوية - عديم ملوك هذه الدولة خمسة أولهم تفتخت المذكور وكان يحكم احدى الولايات العشرين المتقدمة وكان حصن مدينته تحصينا قويا ولما قصد التغلب على مصر تمامها شرع فى اخضاع الملوك المجاورين له واستمر بحاربهم الى أن قويت شوكته وانقادت مصر اليه أولا فاستعان أخصامه بالملك بعنخى ملك ايتيو بيا فبادر الى معاونتهم ولكنه بعد أن

اخضع تفنخت المذكور جعله ملكا على كل الرؤساء المتنازين ثم توفي تفنخت المذكور وخلفه
ياكوريدس وكان ضعيف البنية فسلك مسلك والده حيث شرع في نزع مصر الوسطى والوجه البحري
من يد الامراء لعدم وجود من يعارضه من الايتوبيين ففتح في عهده وجعل مصر مستقلة تحت حكمه
ثم لما تازع الايتوبيين وقع في قبضتهم وآل ملك مصر اليهم

العائلة الخامسة والعشرون الايتوبية ومدتها ٥٣ سنة - وعدد ملوكها أربعة أولهم
شابا كأوسبا كون ولما جلس شرع في اصلاح نظام مصر وتديريها وقوى الجسور ثم طمعت في
مصر مملكة آشور وكانت قبل ذلك استظهرت على الفينيقيين والاسرائيليين وأهل فلسطين فرأى
هؤلاء أن من الصواب أن يتحالفوا مع ملك مصر فهاداه هوشع ملك الاسرائيليين ثم عقد معه تحالفا
ولكن محالفتهم لم تجد نفعا لان سلطنا مصر ملك اشورا حتم على هوشع وأسرعه وحاصره مدينة السامرة
فاعدته ولكنه مات في خلال ذلك ويولى بعده سرجون على مملكة آشور ففتح السامرة ثم قاتل
المتعاهدين وهزم جيوشهم وهرب شابا كأوسبا وكانت هزيمة الجنود المصرية سببا لقيام الامراء بالثورة في
مصر فطردوا السودانيين من أرضهم الى طيبة وشككوا حكمهم بالوجه البحري وقام عليها
اسطيقاتس ملكا ولما مات سببا كون قام ابنه سينخون وأخذ يستعد لحارب ملوك الوجه البحري
وانتمز فرصة تفرق الكلمة بين المصريين فهاجهم واستظهر عليهم وحكم جميع مصر ولكن بعد
قليل قتله طهراقه وحكم بعده واستولى على منف وطيبة وأبطل عبادة ايدس منها ولما ظهر
اشور بانبيسال ملك آشور جعل يقرب اليه رؤساء الاقاليم المصرية المأسورين عنده لينال رضاهم
ومساعدتهم وأعادهم الى مصر فاستولوا على الوجه البحري ثم القبلي ولكن ثم الامر أخيرا بدخول
مصر تحت سلطة كوات ميامون الايتوبي وكان من أشهر الملوك محبا للسياحة البحرية وكان
يسمى في أن يسود على كل الاراضي المحيطة بمملكته وقد توصل الى بعض المراتد وكانت مدته حكمه
ثلاثين سنة

وقد اتفق في خلال الفترة التي كانت بين آخر ملوك العائلة الخامسة والعشرين وأول
العائلة السادسة والعشرين أن أحد امراء مصر المتعاهدين وهو المدعو بسامتيك قام واستعان
بعساكر يونانية مجيكة واستخلص مصر من أيدي الامراء وكان أحد الكهان أخبر الامراء قبل ذلك
أن من قدم منهم للعبد ففتح شرابا في انا من المعدن صار ملكا على الاقاليم المصرية وكانوا مرة
يشربون شرابهم بالهيكل في أقداح من الذهب ولم تكن أقداح الذهب الموضوعة بينهم الا أحد عشر
قدح السهم وحصل من كاهن المعبد فيقي بسامتيك وهو أحد هم بلاقدح فترغ عن خوذته وكانت من
الحديد والبرونز فشرب فيها الشراب فتذكر فقاؤه عند ذلك قول الكاهن فتعصبوا على بسامتيك
ونفوه الى بعض مستنقعات الوجه البحري خيفة أن يستبد بالملك وبعد وصوله اليها حضر كاهنا
وسأله عما سيقع له فأخبره أنه لا بد وأن يستبد بملك مصر وأن ينصره على أقرانه الامراء رجال
من حديد يدقون عليه من جهة البحر فانفق أن رست سفن بتلك الجهة بها الصوص من اليونان
عابهم - م دروع من الحديد ولما تذكر بسامتيك قول الكاهن بادرا الى هؤلاء الملاحين الوافدين وأكرم
نزلهم ووعدهم بالانعام انهم نصره ووافضوا الى حزبه من المصريين وبذلك تمكن من خلع الامراء
واستبد بالملك وهو أول العائلة الصاوية

العالم السادسة والعشرون الصادية ومدتها ١٣٨ سنة - عددملوك هذه العائلة ستة
أولهم سامتيك السابق ذكره الذي بعد أن استبد بالملك كما تقدم شرع في احياء مصر واعداد رونقها
القديم فاصح المعابد وشيد الحصون والقلاع في مضائق طرق الشام من الشرق وفي ضواحي بركة
المنزلة من الغرب وفي الشلال الاوّل من الجنوب كل ذلك لصد هجمات الاشوريين والايثيوبيين
والليبيين وأكرم زلاة اليونان واقطعهم أرضا على ساحل فرع الطينة وفي حلال ذلك وقد قوم
من الميليزيين سكان بعض جزر اليونان في ثلاثين سفينة ورسوا على ساحل بحر رشيد ونزلوا هناك
وأسسوا محلة عظيمة بامر الملك دعيت فيما بعد بالمعسكر الميليزي كما قاله استرابون وانضم الي هؤلاء
الاقوام اقوام آخرون فكثروا وكان سامتيك يجند منهم جنودا واستمر سامتيك ينظم الجيوش
الجديدة ويشيد السفن الحربية العديدة الى أن مات سنة ٦١١ ق م وخلفه ابنه نخاو الثاني
فسلك مسلك مشاهير الفراعنة حتى ألبس الديار المصرية كساء الفخار وقصد توسيع مملكته فبعد
أن أتم تنظيم الجيش الذي جيشه والده وجهته لانشاء الاساطيل البحرية وأعد لذلك دار صناعة
بقيت آثارها الى زمن هيرو دوت وقد سبق وصفها في مقدمة هذا الكتاب وتمكن من اخضاع
فينيقية وأكثر بلاد سوريا وقسطنطينية وعجسليم وهو اتصال بحر القلزم بالبحر الابيض بقطع
برزخ السويس فحفر ترعة كان طولها أربع مراحل بحرية وعرضها يسع سفينتين ومبرؤها
من مدينة بسطة وآخرها بركة التماسح حيث يبتدى البحر الاجر اذ ذلك ويروى أنه بينما كان العمل
جاريا أخبره الكهان بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية فأمر في الحال بالكف عن العمل
وبعد ذلك شرع في عمل آخر عظيم وهو أن بعض الملاحين من أهل صور وقرطاجنة كانوا قد
اكتشفوا في سواحل افريقية بلادها كثيرا من الذهب والعاج وغير ذلك من الاخشاب والخيرات
النفيسة ولكنهم لم يستغلوها للعداوة التي كانت قائمة بينهم ومنعوا أيضا من الاقوام الاخرين
من الذهاب اليها فلما بلغ خبرها الملك نخاو أمر ملاسي النينقيين بأن يذهبوا بسفنهم لاكتشاف
تلك البلاد فساحوا حول افريقية كما سبق في المقدمة ثم عادت تلك السفن ولم تحقق من مواقع
تلك البلاد وكانت وقتئذ مملكة آشور انحطت بسبب حروبهم مع الليديين فانهز نخاو تلك الفرصة
وسار بجيش عظيم واقترح فلسطين وأكثر البلاد التي في طريقه وكافأ عساكره بالجمحة من اليونان
لما عاد منصورا الى مصر ولكن ملك بابل نبوخذ نصر سير ابنه بختنصر بعد ذلك على رأس جيش
لاسترجاع فلسطين والشام من يد المصريين وقيل أن يبلغ مقصوده ببلغه موت أبيه فعاد الى بابل
مسرا بعد ان كان فتح الشام ثم بعد ذلك حاول نخاو الثاني الاستيلاء على الشام ثانية لئلا من غائلة
البابليين فجمع الجيوش والاساطيل بدون أن يشعر به أحد ثم شرع في ابارة الحروب على دولة بابل
ومع ذلك فإنه لم يبلغ مقصوده لان بختنصر قاوم جميع التاثرين وكسرهم وانتهك حرمة بيت المقدس
وسلب جميع خزائن ملوك اليهودو بعد ذلك بستين مات نخاو المذكور وخلفه ابنه سامتيك الثاني
فقامت عليه أهل ايتيويا فوجه لقتالهم وبعد انتصاره عادت سنة ٥٩١ ق م ومات بعد ذلك بقليل
وخلفه ابنه وح ابرع (ابريس) وقد استجد به صدقيا ملك اليهود على بختنصر ملك بابل وانضم
اليهما أيضا ملوك المدن الفينيقية وقامت الحروب بين الطرفين فانصر أيضا بختنصر على الملوك

المذكورين والتجأ اليه يهودا الى مصر فاقطعهم ملكها أرضاً بقرب دفنه فانتشر وافي كثير من البلاد وسكن بعضهم الصعيد ولم يعول المؤرخون على ما قاله المؤرخ يوسيفوس العبراني (١) في ذلك لخالفته لاقوال هيرودوت حيث قال ان المصريين هزموا عساكر بابل وان سفن الملك وح أبرع كان بها ملاحون من اليونان فضربت السفن الفينيقية التي كانت في خدمة البابليين ورفعت العساكر المصرية الحصار عن مدينة صيدا وبعد ذلك دخلت سواحل الشام تحت سلطة مصر رغم ان أنف يختصر هذا ثم نار أحمس أحد القواد المصريين على الملك وح أبرع وتمكن من القبض عليه وخلفه وسجنه ثم قتله الاهالي وكانوا يكرهونه لتفضيله الاجانب على المصريين وخلفه احمس الثاني المذكور السمي أيضاً موزيس فحافظ على نفوذ مصر في فينيقية وفتح جزيرة قبرص وضمها الى أملاكه وكان يخاف على ملكه من مملكة الفرس التي قوى أمرها في ذلك الوقت فالتمز الحياة وقت حروبهم مع الليديين ومع ذلك فإنه لم يسلم من شرهم حيث أخذوا منه فينيقية وبجس سياسته وتدبيره أمن من اغارتهم على بلاده فارتاحت مصر في أيامه واعتنى باصلاح داخلية فافانستت التجارة ولاسيما مع اليونان فزاد عددهم في مصر حتى أناف على ما يقال عن مائتي ألف فاقطعهم أموزيس أرضاً وشيدوا فيها مدينة أصبحت من أجل مدن مصر وحصونها وسنوا لانفسهم نظامات صرح لهم أموزيس بالسيرة على مقتضاها ثم رأى أموزيس أن التحالف مع جمهوريه أثينا يفيد الصدم مع الفرس فعقد معهم معاهدة وكان ملك الفرس وقتئذ هو كيروش واستمر أموزيس يشتغل بالتجهيزات والاستعدادات الحربية خوفاً مما عساه أن يحدث ولملمات كيروش خلفه ابنه قبيز وكان قبيز يتر بص الفرس لمحاربة المصريين وقد أثار المؤرخون من روايات تعالته لمحاربة مصر فقال هيرودوت ان قبيز طلب أن يتزوج بابنة احمس ظناً منه أن أباه لا يقبل فجاربه ولكنه قبل فتزوج بها فلما ناداها بابنة قبيز قالت انم اليست يابنته فعلم أن ذلك مكيدة من احمس المذكور فغنى عليه وغزا مصر لذلك وقال غيره غير ذلك والحقيقة أن سبب طموح انظار الفرس لمصر هو كثرة ثروتها وخيراتهم وموقعها المهم وكان بين حدود الشام وبين خان يونس وبحيرة سمر يونس النازلة فيها مقدمات الجيوش المصرية مسافة تقرب من ٩٠ كيلومتراً وكان قبيز يخاف على عساكره من أن تضل فيها فتخبر في أمره ولكن قبض الله اليه رجلاً يونانياً يدعى فانيس وقد عليه من الديار المصرية وكان قائداً جيش فيها فاطلعه هذا اليوناني على حقيقة تلك البلاد ودله على الطريق الموصل اليها فكان في ذلك انعاماً صديقاً على فتح مصر وبشارة هذا اليوناني أيضاً عقد قبيز شروطاً مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على ذلك الطريق ليرخصوا له في المرور منها وبأتوه بالماء لجيشه فوق جمالهم وعلى ذلك تقدمت جيوش الفرس وانتشبت الحرب بينهم وبين المصريين

(١) يوسيفوس أو يوسف مؤرخ عبراني ولد ب اورشليم سنة ٣٧ م من عائلات المكابيين ومات سنة ٩٥ م وقد اشتهر بعقته واجتهد كثيراً في اطفاء الثورة التي أحدثها اليهود على رومية فلم ينجح ثم ان اليهود ولوه على بلاد الخليل وقد قوم كلاماً في سبب اسباب وطيطوس ثم خضع أخيراً وبشرقيها اسبان بصعوده على تخت الدولة الرومانية فاجبه لذلك وساعد طيطوس في حصار اورشليم وبعد ان استولى هذا القائد على المدينة المذكورة سار معه الى رومية وكافأه الرومان بالانعام عليه برتبة ورتبوا له وظيفة وهو صاحب كتاب تاريخ حروب اليهود ضد الرومان وخراب اورشليم وينقسم الى سبعة كتب وقد ترجم الى عدة لغات وله كتب أخرى معتبر لدى المؤرخين

عند الطينة وكان بين الجيوش المصرية سرايا من اليونان والكاريين مجمكين والتعم الجيدان ودام القتال أياما ويقال ان فانيس أشار على قبيز فوضع أمام جنوده كثيرا من الحيوانات المعظمة لدى المصريين كالقطط والثيران وبعض الطيور وغيرها فلم يتجاسروا على رمي السهام على عدوهم خوفا من أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة عندهم فرجعوا القهقري بمجرد هجوم العجم عليهم ولم يثبت منهم في صف القتال سوى عساكر اليونان والكاريين الذين لا يصدقون بهذه الاعتقادات واشتد القتال بينهم مدة مديدة انتهى فيما بأن تحت الغلبة للعجم واحتلوا مدينة الطينة ثم أرسل قبيز رسلا من قومه لمدينة منف يطلب منها التسليم فركب الرسل سفينة يونانية ولما وصلوا الى منف ورأهم أهلها خروا من قبل أعينهم زمرا وقبضوا على السفينة وكسروها وقطعوا ذبائحها وكان فيها فغضب الفارسيون من فعلهم هذا المألوف وتقدموا نحو منف وأحاطوا بها وحاصروها الى أن استولوا عليها عنوة وقتلوا ولدا للملك بسامتيك الثالث وكثيرا من أعيان المصريين المأسورين عندهم وبذلك خضعت مصر الى قبيز سنة ٥٢٧ ق م وقبض قبيز على بسامتيك وأرزمه أن يشرب مقادارا كثيرا من دم الثيران فمات

العالم السابعة والمشرق وهي الدولة الفارسية ومدتها ١٢١ سنة - لما فتح قبيز ديار مصر لم ينتهك لها حرمة بل كان يحترم أميال أهلها وأبقاهم على عبادتهم وأعاد الى أعيانهم امتيازاتهم واتخذ لنفسه ألقابا فرعونية قاصدا بذلك أن يوهم الناس أنه من نسل العائلات المصرية ونبش قبر أموزيس وأخرج جثته ومثل به ماتم أحرقها وكان يقصد أن يظهر للناس انه ينتقم من أموزيس لاغتصابه ملك مصر وكان لفتح مصر تأثير عظيم على جميع الامم المجاورة حتى انهم بادروا جميعا الى قبيز بتقديم الهدايا والجزية واتخذ قبيز مصر حصنا يستعين به على فتح بلاد افريقية فشرع في تجهيز ثلاثة جيوش كان يريد ارسال أحدها على مدينة قرطاجنة ونخصص معه أسطولا عليه عسكر بحرية من الفينيقيين وأمرهم باخضاعها فامتنعوا العلاقة الجنس التي تربطهم بسكانها وأرسل جيشا آخر من جنوده الفارسية به ٥٠,٠٠٠ مقاتل لمحاربة الامونيين سكان واحات سيوه فضلوا الطريق وارت عليهم رياح أهلكتهم وقادهم بنفسه الجيش الثالث لفتح بلاد ايتيوبيا ولم يتبع في سيره الطريق السلوك القريب من شاطئ النيل بل انحرف عنه طلبا لتقريب المسافة فضل وخلص زاده ولحق جيشه الجوع حتى أكل الجنود بعضهم بعضا بعد ما كلوا ما معهم من الحيوانات والجلود وغيره ماتم عادم من بقي ولما علم بما أصاب جيشه الذي كان أرسله لواجهة أمون اعتراه شبه جنون وصار يرتكب أشنع الافعال والاقوال حتى انه لما وصل الى منف وجد أهلها يحتفلون بمهرجان لهم ديني فظنهم فرحين لخيبته فامر بقتل الكهنة وطعن العجل ايبس بخنجره وألقاه للكلاب تأكله وسخر عبوداتهم ونبش القبور ونهب جميع ما كان في المدافن القديمة من الجواهر وزاد في جوره حتى قتل أخوته وغيره بالاذنب ثم خرج من مصر بعد أن جعل أحدا لا عاجم المدعو اريانس نائبا عنه فيها وقصد بلاد فارس لاطفاء الفسنة التي أثارها غومات الجوسى الذي ادعى انه أخو قبيز وكان لقبه زاخيدعى سهرديس كان قتله سرا قبل خروجه لحرب مصر خوفا من عصبانته في غيابه وبينما كان قبيز يركب جواده وهو متوجه الى بلاده اندلق سيفه من عنقه فخرجه فمات من ذلك وقيل مات غما وقيل قتل نفسه وانفرد غومات بملك فارس ثلاث سنين

حتى اتضح لاهل فارس كذبه واعتصامه الملك فقتلوه وانتخب الاعيان أحدهم وهو دارا الأول ونصبوه ملكا فأخذ ينظم أمور المملكة ويخمد الثورات كإذ كرفي الجزء الأول وأخذ دارا يبحث عن الوسائل التي يستجلب بها رضا المصريين بين فتن ذلك انه اتفق موت العجل أيبس في أول حكمه فجاء بنفسه الى المعبد وأظهر تأسفه الشديد وودع مبلغ وافر لمن يأتي بعجل اخزمله فأحبه المصريون وقبل أن يبارح مصر زار معبد فتاح بمنف وأراد أن يضع تمثاله بجانب تمثال رع عيسى الثاني فضعه الكهنة فأنزلوا له انك لم تأت من الاعمال ما أتاه رع عيسى الا كبر ملك مصر لانه فتح بلاد التتار فقال لهم دارا أو مل أن أكون رع عيسى ان طال عمري ثم امتثل لقول الكهنة ومن أعماله أنه مهبط طرق التجارة القديمة فوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر بترعة احتقرها ولذلك يوجد في كثير من المواضع ببرزخ السويس جملة أبحار قديمة مكتوب عليها اسم دارا ولما اتصل البحران ببعضهما ووردت السفن بالتجارة من الهند الى الثغور المصرية وفتح طريق فقط الموصل الى البحر الاحمر وطريق أسبوط الى العراية المدفونة وأسوان فعادت بذلك لمصر ثروتها القديمة ثم بار اليونان بأسيا فصار يجيشه الكبير اتبعهم كما تقدم فاغتنم المصريون فرصة غيابه وقاموا على ولاية دارا وانتخبوا رجلا يدعى خيش وعهدوا اليه بالحكم فأخذ يحصن مصر بالقلاع ليدفع هجوم الفرس وكان يتم تحصين الاباطح والاشاتيم ظنانه أن الفرس ستهاجه ببحر اولكن لما فاجأه شيارش الفارسي برا لم يثبت المصريون أمامه وانهمزوا وأعاد الفرس ملكهم على مصر وعاملوا أهلها بالقسوة وعين أخاه اخيمينس واليا على مصر وفي خلال ذلك جاهر الميديون بالعصيان فتوجه لاختصاصهم وفي أثناءها عصت اليونان ودمرت سفنه في واقعة بحرية كما سبق فعاد الى أسبوط وخرجت أوروبا من يده وبقيت لهم بعض حاميات بالبوسفور (٤٧٨ ق م) ثم استعمل شيارش الخادعة والذين مع أهل أوروبا (٤٦٦ ق م) وهاجت أساطيل أثينا القبروان وليكيا وطرخوا الفرس منهم ثم قتل شيارش على يد من تأمر عليه ونخلقه ابنه ارتخشارشا قال (١) توسيديد (Thucidide) وفي خلال ذلك استقل المصريون وأقاموا عليهم ايتاروس بن بسامتيك ملكا ولما عجز عن مقاومة الفرس طلب من اليونان المساعدة وكان عند اليونان وقتئذ سفن حربية صنعوها في جزيرة قبرص فأرسلوا له منها اثني سفينة فلما وصلت الى مصر كان وصولها مقرونا بانتصار المصريين على الفرس في مبدأ الامر وقتلوا في الواقعة اخيمينس نائب مملكة العجم بمصر وأرسلوا سلوه الى ارتخشارشا ملك العجم وفي أثناء الحرب هجمت السفن الاينية التي كانت تحت قيادة الاميرال خار تيميدس على السفن الفينيقية التابعة للعجم فاغرقت منها ثلاثين سفينة وأسرت عشرين ثم ركب المصريون واليونان النيل حتى وصلوا منفيس وخصوصها من يد العجم ولكن تمكنت العجم من اللقاء الشقاق بين أهل اسبارطه والايينيين ثم أرسلوا القائد مجاييسوس على رأس جيش فارسي وقاتل المصريين حتى أبلأهم الى الاحتماء بجزيرة بروسوبينس الحصينة ثم سد العجم فرع النيل الذي به سفن اليونان وكان ذلك الفرع يحيط بالجزيرة المذكورة وبعدئذ هجموا على الجزيرة وأسروا ايتاروس وقتلوه وهلك غالب اليونان وفي تلك الاثناء أتت نحو خمسين سفينة يونانية جديدة لأمداد المصريين وورست في المنصب المنديسي فهجمت عليها السفن

(١) توسيديد مؤرخ يوناني شهير له تاريخ في حروب مور وكان ولادته سنة ٤٧١ وموته سنة ٤٠١ ق م واشتهر بالتأليف المذكور بالضبط وظلاونا العبارة والتحقيق

الفيينيقية ودمرت معظمها ودخل ثانيا من بن ياناروس تحت طاعة العجم فقلده ملك مصر مكان
أبيه وبقيت مصر بعد ذلك خاضعة لارتخشيارش الى أن مات سنة ٤٢٥ ق م ثم خلفه ارتخشيارشا
وبعد شيارش الثاني ثم سوغديانوس ثم دارا الثاني وفي أيامه استمدعى المصريون أميريتس من
الاباطع وكان فيها بحارب العجم وأقاموه رئيسا عليهم فهم بمن معه من الجوع وأخذ يطاردهم
المختلفة بالديار المصرية ومات دارا في أثناء ذلك وملك المصريون وطنهم واستقل أميريتس بالملك

العالم الثامنة والعشرون الصادية والتاسعة والعشرون الاشمونية - ومدة الاولى
سبع سنين ومدة الثانية ٢١ سنة - كان أميريتس مدة الفرس حاكبا بعد أبيه على بعض الاقاليم
المصرية وبعد أن دعاه المصريون وطرده العجم كما مر أسس العائلة الثامنة والعشرين وبعد ذلك
اشتدت عصرا الفتن فسمى في اطفالها وبعد أن تمكن من ذلك أخذ يصلح ماد مره الفرس ولكن
عاجته الوفاة وانتقل الملك بعده الى العائلة التاسعة والعشرين وأول ملوكها نفرتيس الاول
فتحالف مع جمهورية اسبارطه وفي وقتها أعلنت اسبارطه الحرب على الفرس فأمد هان نفرتيس
بمراكب مصرية ملئت بالسلاح والذخائر الحربية ولكن اجيلاس قائد اسبارطه انهزم أمام
الفرس فخاف ملك مصر سوه العاقبة فاخذ يستعد للدفاع ولكن ساعدته المقادير بحادث بعض
حروب أخرى أشغلت الفرس عن مصر ولمات نفرتيس خلفه أخوريس وتعاهد مع قبرص
وأثينة والقيروان وهاججه الفرس فردهم على أعقابهم بالخيبة ومات سنة ٣٨٢ ق م وخلفه
بساموتيس وفي أيامه قدم أفلاطون وغيره من حكماء اليونان مصر وبعد حكم نفرتيس الثاني وهو
آخر العائلة التاسعة والعشرين

العالم التاسعة والثلاثين وتدعى بالشمودية ومدةها ٣٨ سنة - وأول ملوكها نقتاناب
الاول وكانت الاحوال في زمنه مضطربة لان دولة الفرس كانت ميالة الى استرجاع مصر تنهز
الفرس للحملة عليها ولما استعدت لذلك وجهت جيشا قويا من طريق الشام يبلغ ٢٠٠,٠٠٠
تحت قيادة قسربازار وبصحبته رجل من أثينا يسمى افيكريش وكانت جيوش مصر تحت قيادة
خابرياس اليوناني وبعد أن وصل الفرس الى أشتوم أم فرج بالفرع المنديسي تقابلوا مع طلائع
الجنود المصرية وحصلت بينهم مناوشة انهزم فيها المصريون ثم اختلف القائد الفارسي مع رفيقه
اليوناني ونشأ عن ذلك انهزام جيش الفرس بجوار منديس وبذلك تخلصت مصر من الفرس ثم مات
نقتاناب المذكور سنة ٣٦٤ ق م وخلفه تيوس أو تاخو وتحالف مع جمهورية اسبارطه
وقلد خبريا من رئاسة العساكر البحرية والبرية وكان الجيش المصري يتألف اذذاك من ١٨٠٠٠
من الوطنيين و ١٠,٠٠٠ من اليونان المحركة ومن مائة سفينة حربية وأراد هذا الملك محاربة
الفرس في فينيقية فثار عليه الجنود وعزلوه ونصبوا عليهم نقتاناب الثاني ملكا والتجأ تاخو الى ملك
الفرس واستعد نقتاناب لمحاربة العجم وكان ارتخشيارشا الثاني ملك العجم مات وخلفه ابنه اخوس
أودارا اخوس فتقدم نحو صور وهزم حاميتها وكان المصريون مهتمين في تحصين الحدود وأقاموا
على أشاتم النيل القلاع والحصون والسفن الحربية الكافية للدفاع ومع كل ذلك كسرهم الاجرام
وانهزم نقتاناب الى بلاد النوبة ودخلت مصر تحت حكم الفرس ثانية ومن ذلك الوقت بقيت مصر
تحت سلطة الغرباء ولم يملك عليها ملك من أهلها

العالم الحادية والثلاثون وهي دولة الفرس الثانية وامتدتها ٨ سنوات - لما أخضع اخوس الملكبارتخشارشا الثالث ديار مصر كانت دولة مقدونيا آخذة في الظهور والارتقاء فوجهت أطماعها الفتح بلاد آسيا من يد الفرس وفي ذلك الوقت مات ارتخشارشا الثالث وخلفه ابنه أرسيس وحكم سنتين ومات وقام بعده دار الثالث وكان اسكندر المقدوني معاصر له وفي أيامه تقهرت دولة الفرس وبدا يجهم اليونان بالاشراق كما نرحناه في الجزء الأول من هذا الكتاب فأخذ الاسكندر في الفتوحات وتوسيع مملكته أبية فيلبس فدخل آسيا وفتح فيها الفتوحات العظيمة ولما تغلب على العجم استولى على مصر بعد موقعة انتبت بانهم زام الفرس ويقال ان مصر سلمت له بدون حرب لشدة كرهها للاجرام فعامل الاسكندر أهلها بالعدل والاحسان وأبقاهم على ما هم عليه من عوائدهم الاصلية (٣٣٢ ق م)

(حاضرة المصريين)

العلوم والصناعات والاخرعات - من تأمل في النقوش الموجودة على الآثار المصرية القديمة وفي أقوال المؤرخين يتضح له جليا أن قديما المصريين كانوا قد تقدموا في تلك الحقبة العصرية الى درجة عظيمة في التمدن والعمران واقتنوا المعارف والفنون العقلية والفلسفة والكيمياء اتقاناً عجيباً وبرعوا في العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والهندسة براعة غريبة لا سيما في فن الطب فانهم كانوا اقتموه اتقاناً جيداً وكان الطبيب عندهم لا يتفرغ للمعالجة مرض واحد من الامراض فلهذا تجمعا فيه وبرعوا وكان علماءهم لا ينفكون عن الاختراعات لتوسيع نطاق الصناعات فهم الذين اخترعوا آلة الحرارة ومسبغوا الزجاج بألوان متنوعة وأوجدوا ورق البردي وكانوا يصنعونه من النبات المعروف بهذا الاسم وكانت لهم اليد الطولى في صياغة الذهب والفضة والوانى المختلفة فكان صياغهم يصيغون نحواً تم نقيسة وقلاناً ثمينة يبيعون ويشترون بها وكانوا تقدموا في فن العمارة فشيّدوا أضر المبانى وهاهى آثارهم وأبنيتهم العظيمة المدهشة دلائل ظاهرة على براعتهم في تلك الاجيال المظلمة وكانت تجارتهم منحصرة في غلالهم ومحصولاتهم وكان لهم اتصال مع الهند وغيرهما من بلاد المشرق الاقصى بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك النواحي ما راج عندهم من الحبوب والمواشى والفخار والزجاج ويستبدلون بها منهم العطر والبهار والياقوت وغيره وكانوا قد برعوا في استخراج المعادن من ذهب وفضة وفير وزج وغيرها فكانوا علماء في فن الجيولوجية وفن قطع الاحجار والصخور وأما صناعة تحنيط الاجسام وبراعتهم فيها فقل عنها ما شئت من المدح فهي كافية لظها ردرجة تقدمهم وقد تكلم كثير من المؤرخين على طرق التحنيط وما كانوا يستعملونه فيها من العقاقير وغيرها ووصفوها بكلام مشبع بقرب من الحقيقة ولكننا لم نرالى عصرنا الحاضر من أمكنه اجراء هذا العمل ولا ما عائله مع اعتناء أكثر دول أوروبا وبالحفظ الآثار والحاصل أن قديما المصريين لم يتركوا علماء ولا قنابلاً ولا اشتغلوا به وبرعوا فيه

الانظامات العسكرية والتربوية الحربية - قد أورد الفاضل أحمد نجيب أفسندى في تأليفه الاثر الجليل لتقدمه وادى النيل فصولاً كثيرة عن ذلك نلخص منها ما يأتي ان الجنود كانت أعظم

طائفة بعد الطائفة الكهنوتية وتقسّم الى جملة فرق تسمى بأسماء مختلفة كاسماء المعبودات منها فرقة (رع) وفرقة (أمون) وفرقة (فتاح) وغير ذلك وكان الملك هو الرئيس الاعظم وهو الذي يعين الرؤساء لجميع الفرق من اولاده وأقاربه وأمن أولاد أعظم العائلات المصرية مع مراعاة الكفاية والاهلية والدرجة وكانت الملوكة أرباب الغز وتقود الجيوش بنفسها الى البلاد البعيدة وتدير جميع حركة الاعمال وتنفذ في ساحة الحرب على عريتهم كما في العسكر وهم شاكوا السلاح ومحاطون بخفرهم الملوكة ورؤساء ضباطهم ويقذفون على العدو نبالهم ويضربونهم بالبلط وغير ذلك والغرض من هذا تشجيع عساكرهم وتثبيت أقدامهم في مواقع القتال ومشاركتهم في النصر أما جيش مصر فلم يعهد أنه كان به عساكر من الفرسان لان جميع الآتار والوحدات الحربية خالية عن ذلك ولكن كان المصريون يعرفون ركوب الخيل وأنواع الفروسية لكنهم لم يدخلوا هذا النظام في جيشهم والدليل على ذلك أنه وجد في كثير من النصوص صورة فارس ركض جواده

أما ما ذكره التوراة من أن فرعون غرق في البحر مع خيله وفرسانه وعربانه فهذا لا ينافي عدم وجود جيش من الفوارس لان الخيالة التي كانت معه كانت من الالهة المتطوعة لامن الجيش وقال شميليون فيجاء ما علمنا أنه كان لمصر عساكر خيالة وان الغرض من الفرسان المسذ كورة في التوراة هم راكبو العربات لاراكبو الخيل وان التوراة ذكرت في موضع آخر أن فرعون غرق في البحر بخيله وعربانه وفوارسها أي المقاتلة الذين كانوا عليها إلى أن قال وبؤيد صحة ما قلناه وهو خلو الجيش المصري من جنود الخيالة كيفية تربية العساكر وتربيتهم المختلفة المنقوشة على الآتار جميعها مشاة ولم نزل الخيالة عليها أدنى ذكر وسكوتها دليل كاف على عدم وجودها به

الاسلحة وتربية الجنود - كانت تربية الجنود عبارة عن مصارعة ومنازلة مختلفة النوع والشكل فتارة ترى المتصارعين في هيئة الهجوم أو الدفاع وتارة في هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور والترتيب فتراه ما يخضعه صان ويرتفعان وتارة يقمان ويقومان ويستبكان ويفترقان ويغلب أحدهما الآخر فينهزم المغلوب ثم يعود غالباً ويستعمل كل واحد منهما ضرباً المختالاً والمراوغة والخيل والقوة وهما عاربان ليس عليهما ما غير منقطة عريضة تسترسوا أو تهما وكانت تربية العساكر وتربيتهم تستغرق المدد الطويلة يدخل فيها جميع القواد والرؤساء كما يدخل فيها جميع العسكر على اختلاف طبقاتهم وكانوا يعودونهم من حين شبيبتهم على المسكافة والمقارعة ومنازلة بعضهم بعضاً يعلمونهم قواعد الحرب وأركانها حتى يشبوا على حب القتال واقتحام المعارك وكانت الاسلحة عندهم هي الحراب والمزاريق والرماح والقسي والنشاب والسيف والخنجر والابوس والنصل والباطة والساطور والسكين والدرق والدرع والزرد والخنفر أو الخوذة

المعسكرات ونظامها - يرى على بعض الآتار كيفية المعسكر المصري وهو مكان من الارض مربع محاط باخشاب وأوتاد من كل جهاته وعلى بابه الديديان (خضيرة النوبة) وفي الجهة المقابلة له نخيمة الملائكة أو القائد العام ويجوارها الاسد المسنأ نس رابض ويده مغلولتان ويجواره خفير من العسكر قائم ويده عصا طويلة ثم مضارب الضباط وخيامهم وعلى جانبي باب المعسكر صفوف من الخيزر والخيل بلاسروج وأمامها العلف والعليق ثم صفوف من العربات

الخريرية مرتبة من الجهة المقابلة لصفوف الحيوانات أما الجهة الخالية ففيها السروج وأطقم العربات ومهمات الحملة وعلى عيني المعسكر بعض الجنود يجري الحركات العسكرية والتمارين الخريسية وفي جهة أخرى عساكر الرديف تمارس التعليمات وترى الاوامر العسكرية جارية على محور الطاعة والامتثال وفي جهة أخرى صورة تنفيذ العقاب على المجرمين من العساكر وبعض الضباط فوق عرباتها يطوف على الجنود لتفتيش صدور الاوامر أو مباشرة تنفيذها وعلى الجهة اليسرى من المعسكر يمارستان الجنود (المستشفى) والنقلات من تنكزة بجوارها ثم المرضى من الخيل والحير والاطباء والبيطرة فائون في خدمتهم والطومارجية واقفة تركب الادوية والجرع وتسقيها المرضى العسكر

تقسيم الجيش للحرب - أما ترتيب سير الجيوش للغز وتكون المشاة الثقيلة في القلب وهي مثقلة بالسلاح وتكون العربات الخريسية من أمامها ومن خلفها وعلى جوانبها وتكون المشاة الخفيفة في المقدمة وعلى النقط الخفيفة ومتى دوام من العدو عقد الملك حفلة جامعة يحضرها جميع رؤساء الجيش وضباطه ويتفقون على الحركة ثم يضحجون جميعهم بالعداء والابتهاال الى معبوداتهم ويطلبون منهم النصر والفوز على أعدائهم ثم يستلم الملك قيادة الجنود ويخف بهم على العدو ومتى تم له النصر عليهم يقوم خطيبا بين ضباطه وهم يقدمون له الاسارى من الاعداء ويادرك كل فريق الى قطع اليد اليمنى من كل ميت من الاعداء ثم يحصونها او يقدمونها الى الملك ليعلم عددا لاسرى والاموات

التجارة البحرية - قد سبق الكلام في المقدمة على ما وصل اليه قدماء المصريين من الاعمال البحرية واتقان بناء السفن وفن الملاحة بالنيل والبحر الابيض والاجر واجتهادهم في توسيع نطاق التجارة بارسال مارج عندهم من اجناس المحصولات المصرية ومصنوعات البلاد النقيصة كالخلى من مصاعات الذهب والفضة المنقوشة بالمينا والمعادن المشغولة وأواني الفخار الجميلة وغيرها المتخذة من الزجاج في معامل مدينتى طيبة ووقف في داخل السفن بالبحر الاخر الى بلاد العرب وبلاد افريقية والهند وغيرها من بلاد آسيا وكانت تجارتهم المذكورة ناجحة في جميع الاسواق الخارجية والذي سهل لمصر ذلك وقوعها بين بحرين عظيمين وهما البحر الابيض والاجر واعتمدها أهلها بتشديد السفائن وتسييرها الى البلاد البعيدة بواسطة تلك السفائن التي كانت تتردد دائما بين السواحل المصرية وتغور تلك البلاد قداما كتسبت في خلال ذلك معرفة واستعدادا في فن الملاحة وتمكنت من اكتشاف اقرب الطرق للبلاد الاجنبية وكانت تجلب منها مصنوعات الفخارة كالاقتشة المتخذة من الخبز والابسطه والفراء والطيبوب والنجور وسن القليل والاشباب النقيصة واللؤلؤ والبهارات وغير ذلك وترى منقوشا على الألواح في الدير البحري صورة شاطئ البحر الاخر وأهاليه يرون تركت منازلها ذوات القباب البيضاء وأنت بمحصول أرضها وصنائعها فترى بعضهم يكرم النجور ويجمع له أكل كصبرة الخنطة والاسطول المصري راس على تلك السواحل ثم ترى كيفية شحن السفن وترتيب طرود البضائع والخوابي والجرار والحيوانات كل نوع في مكانه ثم سير السفن مع بعضها بالاشرعة والمجازيف ثم تراها كأنها وصلت الى مدينة طيبة وصار احصاء جميع

ما بها وغير ذلك من الصور التي تدل على تقدم المصريين في أمر الملاحة وكانت بلاد الشام تبعث لها بالاختشاب اللازمة لعمل السفن لتوفر الغابات في جبالها وكانت السفن المصرية التجارية تجول على الدوام في البحار المجاورة لها وكان أكثر ملاحيمها من أهالي فينيقية المشهورة بالملاحة وقد وصلت تلك السفن حتى بلاد الهند

الحروب البحرية - كانت الاساطيل المصرية في عهد دول الفراعنة الذين اهتموا بأمر البحار تساقق فرقا الى مياه الحرب كما تساق الجيوش فتصطف المراكب الحربية أمام سفن العدو بقرب الساحل ثم تسير وتتحرك بالشراع والمذاري والمجاذيف لمقاتلة العدو وهي على أشكال حربية وأوضاع عسكرية وتصطف جنود الرماة على الساحل المقابل لها لتساعد من بالسفن من المصريين ويرمي الجميع بالنبل والنشاب على سفن العدو ويكون الملك قائما على قدميه وسط الجيش البري يدير حركة القتال ومتى فاز بالنصر على العدو اتبعه عند الانهزام برا وبحرا ونصب القناطر على الانهار وعبر فوقها مع جنوده ودخل بلاد العدو واستولى عليها وأبادت عساكره القلاع والحصون وأحرقتها وغير ذلك من الاعمال التي تقرب من الاحوال الجارية في زماننا الحاضر وانما تختلف عنها في الوضع فقط

أما أحكام قدماء المصريين فكانت مقيدة بالمجالس الملكية وكانت سطوة الفراعنة نافذة في جميع الامة أما الكهنة فكانوا أصحاب الشرائع والعلوم ومن وظائفهم مسح الاراضي وتقسيط الخراج على الناس ولم يكونوا يدفعون مالا عن أملاكهم وكان لكل منهم كل يوم قسم من اللحوم المقدسة ومن لحم البقر والاوز ولم يكن يسمح لهم بأكل السمك وكانوا يحافظون جدا على نظافة اجسادهم وملابسهم أما الاراضي فكانت كلها للملك والكهنة والمحاربين ومن أشهر صنائع المصريين التخنيط فكانوا يأتون بالجسد الى المخنطين فيخترجون دماغ القحف من المخنطين ويخترجون الامعاء والقلب والكليتين من ثقب في الخاصرة ثم يغسلونها بخمر النخل ويردونها الى أجوافها وعلون الرأس وأجواف الامعاء بالمر والقرفة وكل أنواع العطور ويدهنون الجسد بالزيوت العطرية مدة ثلاثين يوما ثم يوضع في ماء النظرون أربعين يوما ثم يلف بلقائف مغموسة بالمر وتدهن اللقائف من خارج بماء الصمغ الوقاية من الهواء ثم يوضع في تابوت من خشب أو من حجر ويدفن ومن هذه الاجساد ما هو باق الى يومنا هذا أما لغة المصريين فلم تكن تكتب بالحرف هجائية بل باشارات مستعارة من الاشباح الطبيعية وهي على نوعين الاول يشير الى أصوات نطقية والثاني يدل على جمل مختصرة وبقيت مجهولة الى أن وجد حجر وشيد واهتدى شيليون الشهير لفكر رموزها سنة ١٨٢٢ م

﴿ الفصل السادس ﴾

(الطبقة الرابعة عصر اليونان ودمرة البطالمة)

٩٥٤ - ٦٥٢ ق ٥ أو ٣٢٢ - ٣٠ ق م

عصر اليونان - قد أجمع المؤرخون على ان الاسكندر بعد أن تغلب على جيوش داراغند

ايسوس من أعمال كيليكيا وأسر زوجته وأمه وابنتيه فتح سوريا ومدينة صور وتقدم منها الى مصر بجيوشه برا وأساطيله بحرا ودخلها من جهة مدينة الطينة وبعد معاركة انهزم الفرس وفتحته مصر أبوابها فامتلكها هذا أمار واية اليونان فتختلف عن ذلك كما استراه قالوا ما ملخصه انه بعد أن أخضع الاسكندر مدينة رومية وكثيرا من سلاطين وملوك وقبائل أور وبارجع الى جزيرة الاندلس ثم عزم على فتح الديار المصرية فأمر الملوك المتقدمين الذين في تلك النواحي أن يصنعوا له اثنتي عشرة ألف سفينة كبيرة وأن يركب في كل سفينة ألف مقاتل وأرسل فيليبوس وبتلوماوس وزيره في البر لاختضاع المغاربة وأوصاهم بقوله اذا دخلتم أرض مصر فاجعوا خراجها ولا تظلموا أحدا فيها ثم أمر بانزال السفن الى البحر وجعل انتياخوس على ثلاثة آلاف سفينة وفيرندوس وزيره الاخر على ثلاثة آلاف أخرى وسلفسكيس على ثلاثة آلاف سفينة أخرى وجعله الرئيس الاعظم ونزل هو بذاته في الثلاثة آلاف سفينة الباقية ثم وجه كلامهم الى جهة أمماهوقلم نزل يسير الى المشرق وبعد أربعين يوما قطعوا البحر المتوسط فوصل الاسكندر أولا في سفنه كلها الى نهر النيل وفتح مصر وأمر أن تبنى هناك مدينة وسماها الاسكندرية نسبة الى اسمه وجعلها على نسق المباني المقدونية وأذن لكثير من أهل بلاد اليونان وأهالي المشرق أن يستوطنوا بها وفتح أبوابها لجميع الناس وأعد هاهنا كرا جديد التجارة العالم فصارت كذلك وأتى هيكل جوبيتر آمون الكائن في الصحراء فهلك كثير من جيوشه في تلك الرمال وبعد أن قدم الذبايح فيه طلب من الكهنة أن يلقبوه بابن جوبيتر بعد أن أعطاهم هدايا وافرقة فلقب بابن جوبيتر ثم عاد الى مصر وكان وزيره سفيلوس وصل الى أرض كايكا وهي قرمان وابنتي مدينة حصينة دعاها سلقوية ووصل الى أنطاكية ووصل أيضا في رندوس بسفنه الى بحر اسكندر وابنتي هناك مدينة سماها بوزنطيه وكان الاسكندر مغتما بسبب السفن المذكورة والوزراء لانه لم يقف لهم على خبره وبعد أيام قلائل وفد عليه ثلاثة رسل من قبل وزرائه الثلاثة المذكورين فلما قرأ رسائلهم فرح جدا وبعد مدة قليلة وفدوا عليه جميعا وسار بهم الى آسيا وبدشمل فارس وورث ملكهم ثم دخل بلاد الهند وانتصر على ملكها المسمى بوروس اه

وكان الاسكندر لما اختط مدينة الاسكندرية عين بنفسه محل المباني والهياكل ما بين مصرية ومقدونية وهو دليل على أنه أباح الديانة المصرية وكان المهندس الذي باشر العمل يدعى نوكراتس أو زياركس اليوناني (٣٣٢ ق م) وبعد قليل أصبحت المدينة المذكورة مركزا لتجارة العالم ولما قصد الاسكندر العود الى آسيا لانعام فتوحاته فلدولانية مصر للاميراقليمونوس وبعد موت الاسكندر (٢٤ مايو سنة ٣٢٣ ق م) جاء بطليموس الاول من بابل ووضع يده على مصر

مدة البطالسة - بطليموس الاول (٣٢٣ - ٢٨٥ ق م) لما انقسمت مملكة الاسكندر الاكبر بين قواده وقعت مصر في نصيب بطليموس هذا الملقب سوطيرأي المخلص ولما كان يعرف بمقام مصر واعتبارها وامتيازها بين الممالك أحسن التدبير والسياسة في حكمها واستمال عقول الاهالي وانتهز فرصة قيام أهالي المغرب على جمهورية القيروان فانطلق اليها بجنود كافية وأساطيل حربية وافيسة وهزم جمهوريتها واستولى عليها ووضهها الى مصر ثم بلغه أن الامراء صموا

على نقل جثة الاسكندر الى مقدونيا فاسار بجنوده الى الشام واستولى على تابوت الاسكندر ودفنه في الاسكندرية كما حققه المؤرخون وبخيه فيها هيكل عظيم ايظن كثير من ارباب البحث انه هو القبر المعروف بقبر نبي الله داود بن علي بن ابي القلوب ولما كان ملوك مصر من القديم يميلون الى ضم الشام الى مصر جهز لذلك الجيوش وتغلب على مدن السواحل الشاميه ولكن بعد قليل أخذها منه انطيوخوس بالقوة فاعتاض عنها باستيلائه على جزيرة قبرص ثم ان ديمتريوس بن انطيوخوس قصد مصر فصد به بطليموس بجيشه المؤلف من ٨٠,٠٠٠ من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان وهزمه قرب غزة ولكن بعد ذلك بقليل جهز انطيوخوس عمارة قوية وساقها تحت قيادة ولده على قبرص وانتصر هناك على اساطيل بطليموس في واقعة سلاميس كما سبق في المقدمة ولما رأى بطليموس أن حربه انطيوخوس لم يعد عليه منها كبير فائدة اختار السلم وشرع في تشييد الهياكل واصلاح المملكة فوجه مزيد عنايته لزيادة القوة البحرية فاكثر من السفن ووسع نطاق التجارة والمخالطات مع البلاد البعيدة وذكروا بعض المؤرخين أنه كان مصر في أيامه ما يزيد عن ٣٥٠٠ سفينة حربية بين كبيرة وصغيرة تخلاف سفنه التجارة المنشورة الاعلامها أكثر تغور البحار وهو الذي شيده منارة الاسكندرية بجوار الميناء البحرية لمنافع التجارة وفوائد الملاحة كما بسطناه في المقدمة ورق في المعارف والعلوم بمدرسته التي شيدها بغير الاسكندرية وكانت تدرس بها علوم ذلك الوقت من فلسفيات ورياضيات وطبيعات وحكم وآداب وكانت المدرسة المذكورة متصل بقصره الذي شيده بقرب عمود السوارى المشهور وجلب كثير من علماء اليونان وغيرهم من سائر البلدان وغيرهم بالاحسان وبينما كان بطليموس مستغلا بتقدم بلاده طمع ديمتريوس في البلاد الشرقية وقصد أن يعيد الى ملكته ما كان يحكمه أبوه أنطيوخوس منها فقاومه بطليموس وأخذ سقته الحربية ودخلت الاساطيل المصرية تحت قيادة ولده فيلادلف الى بحر الارخبيل فوجد معاهديه من ملوك الطوائف كقوه مؤنة الحرب ان قد غلبوا ديمتريوس وأسرهم ثم مات في أسره كما ذكرناه في المقدمة وبما حجب المصريين في بطليموس الاول اعتمأوه بالقوة العسكرية المصرية حيث بلغت في أيام ١٠٠,٠٠٠ من العساكر المشاة و٤٠,٠٠٠ من الفرسان وثلاثمائة من الافعال الحربية وأنقى عربيه مسلحة بالناشير والمناجل وكان في مخازن المملكة ٣٠٠,٠٠٠ طقم مجهزة من الزرد وكان يبقى في الخزينه في كل سنة من اليراد السنوي بعد الصرف نحو مائة ألف كيس ولما مات سنة ٢٨٥ ق م خلفه ولده الاكبر

بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٧ ق م) وكان يلقب بفيلادلف أى محب أخيه من باب التكم له لأنه كان يعض اخونه وكان سنه وقت جلوسه ٢٤ سنة ولم تقع مدة أيام ملكه الطويل حروب تستحق الذكر وقد سار سيرة أبيه وساعد اليونان على انطيوخوس غوناسا وبقية قبرص والقيروان خاضعتين له وقد اعتنى بالوقوف على حقايق البلاد فاستكشف داخل بلاد افرقيسية وأرسل الاساطيل من البحر الاحمر فاستكشف سواحل بحر فارس وسعى أيضا في معرفة حقيقة منابع النيل فارسل عدة ارساليات لذلك وهم اذا صار له ووقوف على أحوال السودان وقد وصل البحر الاحمر بالبحر الابيض كما وصلهم انجاوس ودارا الاول من قبل ففتح خليجانا من فرع الطينة بالقرب من تل

بطه وأوصله الى البحر الاحمر وأرسل السفائن لاكتشاف سواحل الحبشة وجزيرة العرب وبحر الهند وكان ينشط العلوم والمعارف وزاد غنى مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي أسسها أبوه بما أمر بترجمته من الكتب منها ترجمة التوراة من العبراني الى اليوناني وسميت الترجمة المذكورة بالترجمة السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين نفر من علماء اليهود وأمر الكاهن مانينون المصري بتأليف تاريخ لمصر باللغة اليونانية فجمعه من الدفاتر الرسمية والاوراق القديمة التي كانت بالمعابد والهياكل وكانت اللغة اليونانية في أيامه قد امتدت الى أقاصى ممالك الارض وكانت مملكة مصر وقتئذ تحكم القبروان وسواحل الشام وبعض بلاد العرب وجزيرة قبرص وجزائر بحر الروم ودفن في بلاد فلندف مهاجمات انطيوخوس ثيوس وأخرب مملكته وعقد محالفته مع الرومان بعد انتصارهم على ابيروس وشرع في بناء هيكل عظيم لزوجته التي هي أخته فلم يتمه ثم مات سنة ٢٤٧ ق م وحكم من بعده بطليموس الثالث (٢٤٧ - ٢٢٢ ق م) وكان يلقب بأفر جيتس أى المحسن وبعد

زمن غير طويل قام الخلاف بينه وبين سيلوقوس الثاني ملك الشام وسبب ذلك أن ملك الشام المذكور قتل برينقة أخت بطليموس عندما تغلب على زوجها انطيوخوس الثاني ولما انهزم سيلوقوس بعد وقائع تقدم بطليموس بحسارة الى آسيا العليا وطاف جهات بابل وسيدس وفارس وبلوخستان ورد الى مصر ثم ايل الآلهة التي كان قبمير قد أخذها من مصر قديما وقد بذل ما في وسعه من المساعدات لارائوس الشاعر الفلكي اليوناني الشهير ودعا نفسه محاميا للاتحاد الاثنى ولما اضطر كليومن الثالث (Cléomène) الاسبرطى الى الهرب من يلو يونيزه بعد انكساره في حربه مع المدة يونيين أنزله بطليموس عنده على الرحب والسعة ثم حارب بطليموس بلاد ايتيوبا واستولى عليها وبذلك امتد نطاق مملكته من ينايبع النيل الازرق الى مضيق باب المنسند وأخضع جزيرة قبرص وبلاد برفه وليبيا وكان الفلكي الشهير ايراروستين موجودا في مدته ومات سنة ٢٢٢ وقيل سمه ابنه الا تى طمعافى الملك

بطليموس الرابع (٢٢٢ - ٢٠٥ ق م) وكان يلقب فيلوباتر أى المحب لابيه وكان قاسيا جدا واتهم بقتل ابيه بالسم كما تقدم ولم تأخذه الشفقة في قتل امرأه كليومن وأولاده ثم ألزقه وهو منقأ أن يقتل نفسه وكان محاطا بتابع وجواسخداعين مملقين ولما أقبل انطيوخوس ملك سوريا بجيشه للاستيلاء على الولايات التي ييسد المصريين صادف أولانجا عظيم حتى خيل له أن ممالك عدوه صارت في قبضة يده ولكن عند حلول الخطر استنفاق بطليموس من رفاده فتمض وجار به بمدينة رفح واستظهر عليه وكان لكل من ملكي مصر والشام عدة سفن حربية تساعده جنوده البرية في هذه الواقعة فتلاقت السفن في جهة صيدا وكانت القوة البحرية من الطرفين متكافئة ومع ذلك فان السفن المصرية استولت على كل السواحل الشامية وكان بطليموس هذا ضعيف الرأى حيث كان وزيره سوسيبوس يدخل عليه الاراجيف واستمال عقله حتى أغراه على قتل أخيه وأعيان دولته وزوجته الملكة اريستينوى وكانت أخته فاحتقره رعيا لارنكابه هذه القطائع ومات مرذولا مسموما سنة ٢٠٥ ق م وخلفه ابنه

بطليموس الخامس (٢٠٥ - ١٨١ ق م) وكان يلقب ايبيفانيس أى المساجد ولما جلس كان لمزل قاصرا فوقع في مملكته ارتباكات كان سيدها وزيره الذي أقامه وكيلاعنه وهو

أغاسكليس لانه ظلم الرعيه فأبغضوه فأقيم مكانه هيبومينوس وكان غير كفو لئلا ينصبه خلفه
أكارتابان اريستومينوس فانتز انطيوخوس فرصة صغر سن بطليموس ونهض لاسترجاع سوريا
وفينيقية وتعاهد مع فيلبس ملك مقدونيا فجهجم فيلبس على الدردنيل وكيبولوى وعلى بلاد الروم ايلي
التي كانت تابعة لمصر وهجم ملك الشام على سوريا فانتصرت أساطيل وجيوش مصر التي كانت
تحت قيادة سكوياس وبعد ذلك تصالح انطيوخوس مع بطليموس على شرط أن يزوج الأول ابنته
كليوباتره لبطليموس ويهب لها أقاليم الشام التي كانت محل النزاع بين الطرفين وكان انطيوخوس أراد
فسخ المعاهدة وأرسل أساطيله على جزيرة قبرص لاختذها من يدمصر فالقتها الرياح على سواحل
الاناضول فلم ينجح واشتغل بعد ذلك بحرب الرومان ولبث متمسكاً بما لآتملك مصر حسب العهود ثم
قامت ثورات في عدة أماكن من مملكته وأخيراً توفي بطليموس بسم دسه اليه بعض أعوانه سنة ١٨١ ق م

بطليموس السادس والسابع (١٨١ - ١١٧ ق م) السادس هو ابن المتقدم وكان يلقب
فيلوماتر أرى المحب لأمه ولما خلف أباه كان ابن خمس سنوات وتولت أمه كليوباتره بالنيابة عنه إدارة
المملكة وكانت على جانب عظيم من العقل والحكمة وسادت الراحة وعدم الامن في زمنها ولما ماتت
اختلت الاحوال وقامت حرب بين بطليموس المذكور وبين ملك الشام انهزم فيها بطليموس وأخذ
أسيراً ولما رأته أعيان البلاد ما حل بملكهم أقاموا أخاه بطليموس السابع مقامه (١٤٦ ق م)
وبعد أربع سنوات من أسر بطليموس السادس رجع الى مملكته فالتخذ أخاه أفرجيتس الذي تولى باسم
بطليموس السابع شريكاً له في الملك ثم ان ملك الشام نهض لمحاربتة ثانية وسار بجيشه الى نجر
الاسكندرية وحاصرها الا أن بوبليوس سفير الرومانيين منعه عن قصده وفي رواية أن اليهود أشاعوا
عنه أنه مات وهو يحاصر الاسكندرية فاضطربت أحوال الشام فالتزم أن يترك الحصار ويعود اليها ثم
اختلف الاخوان فتوسط الرومانيون في الامر وقسموا ملك مصر بين الاثنين فغضب بطليموس
فيلوماتر وقامت الحرب بين الاخوين وتغلب بطليموس محب أمه على أخيه أفرجيتس في معركة
وقعت بينهما على نهر العاصى ثم توفي بطليموس السادس ولما قصد أخوه بطليموس السابع اغتصاب
الملك من كليوباتره امرأة أخيه وكانت نوات الحكم بالنيابة عن ابنتها حتى يبلغ رشده وبعدها بالزواج
ويجعل ابنتها ولى عهد للملكة فقبلت على هذا الشرط الا أنه سعى حتى قتله بعد ذلك وارتكب فظائع
شنيعة أخرى وما زالت الاحوال مضطربة الى أن أدركته المنية (١١٧ ق م) وخلفه

بطليموس الثامن (١١٧ - ١٠٧ ق م) ويلقب بسوتير الثاني ويسميه العرب شوطار
ولما تولى كانت أحوال الاسكندرية في اضطراب من المظالم التي ارتكبها سلفه وبقى مدة تحت
سلطة أمه كليوباتره وكان لين العربية جدا وسعت أمه في ابعاده عن الملك لغرض في نفسها
فاشاعت أنه يسعى في قتلها فارت عليه الرعيه فهرب الى قبرص ثم الى سوريا وبينما كان هناك
بمحارب الثوار القاطنين عليه ولت أمه المملكة أخاه اسكندر الا أنه خاف العواقب بعد قليل فاختر
الاعتزال وفر الى قبرص وكان أخوه سوتير يستعد في سوريا يريد الهجوم على مصر فلما رأته
كليوباتره قرب وصول الجيوش لمحاربتة تادعت ابنتها اسكندر من قبرص فعاد ولكنه لما اطلع على
نواياها قتلتها فهاج الشعب لذلك وثاروا عليه فهرب خوفا منهم فاستدعى أهالي الاسكندرية سوتير

ولما قدم قابلوه بالترحاب وفرحوا به وأجلسوه على التخت وعاش بعد ذلك في أمن تام إلى أن حضرته الوفاة وقد سلك في آخر أيامه مسلك أسلافه حيث اهتم بترقية العلوم والفنون وبعث بعثة علمية لاكتشاف بحر الهند وكانت هذه أول سفرة سافر فيها المصريون لاستطلاع أحوال البحر المحيط الهندي تحت رياسة القائد هودوشيش القوزيقي وكان ممن اشتهر بالاسفار البحرية عارفاً بالارصاد الفلكية وتعيين المواقع الجغرافية فطاف حول افريقية وعين مواقع الجزائر والبلاد التي بالبحر الهندي

بطليموس التاسع (١٠٧ - ٨١ ق م) ويسمى باسكندر الاول وله عدة ألقاب فيلقب بسوطير الثاني وبوطونوس ولاطور وس وفي أيامه حصلت جملة حروب بين مصر وسوريا ثم قامت الحرب بينه وبين أخيه الذي خرج من مصر واستولى على بلاد بركة وقصد أن يستولى على قبرص فساق بطليموس أساطيله إليها وقعت حروب بحرية بينها وبين أساطيل أخيه انتصر فيها على أخيه (٩٢ ق م) ثم وطد حكومته هناك وأعاد لمملكة مصر علوشاً أنها وشوكتها البحرية بتعمير السفن التجارية والحربية وترقية فن الملاحة وروى أنه لما طلب سولارئيس جمهورية الرومان من مصر الاعانة للقائد بوقولوس الذي أرسلته لحرب مملكة كبادوكيا امتنع ملك مصر عن المساعدة وهذا يدل على شوكة مصر في زمنه

بطليموس العاشر و بطليموس الحادي عشر (٨١ - ٥٢ ق م) والاول منهم يعرف باسكندر الثاني والثاني يلقب باوليتس أي الزاهر وكان لاسكندر الاول ولدي يسمى اسكندر الثاني أيضاً وكان مقياً في ديوان متريدات ولما جاء الامير سولامع جيوش الرومان الى كبادوكيا محاربه متريدات انضم اليه اسكندر الثاني المذكور بأمل أن يعينه عند الفرصة على نوال ملك مصر وبعد انقضاء حرب متريدات أمار اسكندر هذا على بطليموس العاشر و باجسيمة الى أن مات أخوه بطليموس العاشر سنة ٨٠ ق م ولما انفرد بطليموس الزاهر تعاهد مع بومبيوس ويوليوس قيصر ملكي رومية وكان يهاديهم بالمبالغ الوافرة فأتى ذلك الى زيادة الضرائب فثار عليه رعاياه وطرده ثم عاد بجيش جهز له أنانياينيوس حاكم سوريا وحكم ثلاث سنوات أخرى قتل فيها كثيراً من امرائه وأعيان مصر وصادر أموالهم

بطليموس الثاني عشر و بطليموس الثالث عشر (٥٢ - ٤٢ ق م) لما تولى بطليموس الثاني عشر الملك كان عمره ١٣ سنة وتزوج بانخته كليوباتره وكان زمام الملك بيد أوصيائه ولكن الاهالي كانوا يبغضون كليوباتره ويريدون البطش بها فهربت الى الشام وفي هذه المدة قامت فتنة بين ملكي رومية يوليوس قيصر وبومبيوس قيصر ولما انهزم بومبيوس فر الى مصر محتمياً بطليموس الثاني عشر فما كان من هذا إلا أنه قتله وبعث برأسه الى يوليوس قيصر فشق عليه ذلك وأمر باحضار بطليموس الثاني عشر وحبسه وأجلس أخته كليوباتره وطلب أهل الاسكندر به اعادة بطليموس عليهم انتقاماً من كليوباتره فامتنع الرومان من ذلك وهربت كليوباتره الى سوريا مستنجدة بيوليوس قيصر ثم قامت حروب بين الرومان ومصر اشتركت فيها جملة أساطيل رومية ولكن أهالي الاسكندرية غلبوا الرومان ولما هموا بالاستيلاء على سفنهم أغرقها يوليوس بيده وفي مدة

الحصار أضرم الرومان النار بالمدينة حتى وصلت الى القصر الملوكي واتصلت بالكتبخانة الشهيرة فأبادت معظمها ثم أتى المدد ليو ليموس من رومية فانتصر على المصريين وأطلق الرومان بطليموس الثاني عشر وبجرحه من السجين جهز عساكر مصر وهجم على الرومان فهزمه يوليوس وقبض عليه ثانية وأغرقه هو وكثيرا من عساكره في النيل وعاد يوليوس الى بلاده (٤٨ ق م) بعد أن اجلس بطليموس الثالث عشر وكليوباترة على تخت مصر سوية فترجت كليوباترة أختها المذكورة ثم قتلته بالسسم ليخولها الجو (٤٢ ق م)

كليوباترة وانقراض البطاسمة (٤٢ - ٣٠ ق م) لما استتب الامر لكليوباترة بقيت تحت جباية رومية واتفق أن انطونيوس واكتافيوس القائدين الرومانيين كانا بحاربان بروتنس فامدت كليوباترة بروتنس بعمارة بحرية وكانت قد ولدت ولاداعته قيصر (نسبة لقبصر والده) فكان هو الملك على مصر رسميا فلما بلغ انطونيوس أن ملكة مصر تساعد أعداءه وكان في طرسوس استمدعها اليه للمحاكمة حيث خالفت العهد فركبت زورقا جيلاموها بالذهب مجاذيفه من الفضة يخرج منه عند التجديف أصوات موسيقية مطربة ولبست أفرمالديها من اللباس الثمين فزادها ذلك جلالا على جمالها ولما بلغت طرسوس وشاهدناها انطونيوس وكان قلبه شغف بها حينما رآها في رومية عندما التجأت الى مجلس الرومان بعد موت قيصر فازدادها شغفا حتى أهمل أعمال الدولة ولم يخالف لها أمر او بقيت معه على ذلك الى أن أشهرت المشيخة الرومانية الحرب عليها (٣٢ ق م) وحدثت واقعا كسيوم البحرية السابق ذكرها في مقدمة هذا الجزء ولما انتصر انطونيوس استولى أو كنافيوس على الاسكندرية وصمم على الايقاع بكليوباترة فاجتت خيفة منه وجعلت تسجلبه اليها وتخادعه بكل الطرق والمال ففزعها ما اقتلت نفسها بثعبان (١٥ أغسطس ٣٠ ق م - ٦٥٢ ق م) بعد أن قبض عليها وقيل في موتها غير ذلك والله أعلم بالحقائق ومن ذلك الوقت صارت مصر اقليما رومانيا وهذه الدولة هي آخر دول الدور الجاهلي

(الفصل السابع)

(الطبقة الخامسة أو عصر الرومان)

٦٥٢ ق م - ١٨ هـ - ٣٠ ق م - ٦٤٠ م

لما ضافت الدولة الرومانية اقليم مصر لحكمها صارت ترسل اليها عمال من قبلها يعينهم مجلس رومية وكان العامل منهم بيده جميع السلطة الادارية والعسكرية يتلقى أوامره مباشرة من مجلس رومية وليس لاحد عليه كلمة سوى المجلس المذكور أو قيصر الرومان وأول وال تعين عليها فور تليوس غالوس فاجتهد في اصلاح ما أفسدته الفتن والحروب الاخيرة وخلفه في ولايته مصر بطرقيوس وبارت عليه أهل الاسكندرية فخار بهم حتى قهرهم وأدخلهم تحت الطاعة وغزى بأمر أغسطس عرب الحجاز ولكن انهزمت جيوشه وفي تلك المدة انتهز أهل السودان فرصة غياب العساكر الرومانية في بلاد العرب وأغاروا على الديار المصرية واكتسحوا بلاد الوجه القبلي

والحاصل انه أتى على مصر في أوائل حكم الرومان بعض أيام سعيدة إلا أن غالب أيامها كانت ثورات وحر وبل ليس في ذكرها كبير أهمية وسبب هذه الفتن على العموم أن بعض أولئك الولاة كل بسى السيرة مع الرعية فنارة كان اليهود يظهرون العداوة لهم ويقاؤونهم فيعزلون وتارة عندما يتظلم المصريون القياصرة كانوا يقابلون شكواهم بالاستهزاء والسخرية وكل ذلك بسبب ما يقع بين الطرفين من الجحالات الدينية خصوصاً بعد ظهور الديانة المسيحية فكانت الاضطهادات ضد النصارى آخذة حدها وأشهر تلك الاضطهادات الذي حصل بمصر في أيام دقلديانوس أو ديوقليطس لانه بالغ في ذلك وقتل من المسيحيين جماعة غفيرين كهنه وعامة وقد أرتخ الاقباط بهذه الحادثة ويسمونه تاريخ الشهداء وهو يبتدئ من ١٣ يونيو سنة ٢٨٤ م (٣٣٩ ق ٥) وكان على مصر من طرف الرومان عامل يدعى اجيلوس استبدت باكامها فقاتله دقلديانوس وانزع مصر من يده فكان ذلك فتحاً جديداً للمصر ومفتاح سعادة للمصريين لان هذا القيصر بعد ما صار منه ما صار من الظلم عاد الى طريق الاستقامة والانصاف وسن لمصر قوانين خاصة بها عادت عليها بالرفاهية ولما نقل قسطنطين امبراطور الرومان تحت مملكته الى مدينة بيزانس ودعيت بالقسطنطينية (٣٠٦ م) أخذت حالة مصر في الانحطاط لانتقال الاهمية الى هذا التخت الجديد الذي صار أعظم مدينة في الشرق ولما توفي نيودوسيسيوس (٣٩٥ م - ٢٢٧ ق ٥) أعقب ولدين وهما أرقاديوس وهنوريوس فورثا الحكومة الرومانية تمامها واقسمها فغلاها مملكتين شرقية وغربية وجعلت عاصمة الشرقية بوزنطية وعاصمة الغربية رومية وكانا كلاهما حاكين في زمن واحد كما سبق ذكر ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب فكان هذا الانقسام من أسباب انحطاط وانقراض هذه الدولة العظيمة وقد صارت مصر بعد هذه القسمة من أقسام الدولة الشرقية ولما تبعت مصر لهذه الدولة أمر ارقاديوس أن تغلق هيكل المصريين وتكسر أصنامهم ويعلن في مصر دين النصرانية دون غيره فطلب أهل مصر منه أن يسوس أمرهم بمافية المصلحة وحسم الفتن فبعث اليهم قوانين مشتملة على التشديد والجزر وأجبر الاهالي على القيام بواجباتهم تحت نواب دونه وكان عين تيوفيلس بطر يقابالاسكندرية ووضع تحت أمره والى مصر وأميرها فقال البطر يق المنزل العظمى وأخذت القساوسة تتداخل في أمور الدولة حتى صار لهم الشأن الاول فلهذا كان الاضطراب مستمرا وكان بين الامة وأهل الدولة اختلاف دائم وكانت قياصرة القسطنطينية يسعون دائماً في تسكين الفتن الدينية في أول ظهورها ومع كل ذلك لم تكن نيرانها تخمد الا بصورة وقتية وقد اجتهد بوسطنيا فوس القيصر الاول في تحسين أحوال مصر وتعاهد مع الحبشة بطلب التجارة الى الاسكندرية ولكن نائبه كلف أهل الاسكندرية فوق طاقتهم واستعمل الجند في اذلالهم فكانت هذه الامور سبب الكراهة الاهالي للحكومة وكانت أساطيل الروم لا ينقطع ورودها عن سواحل ونعور مصر وقد تكلمنا عن أحوال البحرية في العهد المذكور في مقدمة هذا الجزء بمافية الكفاية وهنا نقول ان أول تجريدة بحرية مهمة ساقمتها الدولة الرومانية الشرقية على ساحل افر يقية كانت من طرف الامبراطور ماجوريان سنة ٤٥٧ م وكان القصد من ارسالها دفع الوندال عن افر يقية وقد ضاع أسطول التجريدة المذكورة في جون قرطاجنة ولم يكن الاسطول الذي أرسله بعده الامبراطور البوزنطي لاون

(٤٦٨ م) أ كثر نجحاً من أسطول ماجوريان وفي عهد الامبراطور يوستينيانوس (٥٢٣ م) أرسل أسطولاً جسيماً مؤلفاً من ٦٠٠ سفينة وجيشاً قويا تحت قيادة بيساريوس الشهير لطراد الوندال فاستولى على قرطاجنة و بلاد شمل الوندال وكانت ميناء قرطاجنة وقتئذ من أشهر المين وأوسعها خرج منها أميلافرس قبل ذلك الى حرب سر قوسه بالف سفينة حربية وثلاثة آلاف سفينة للوسق ولهذا كانت من القديم تعدأ كبر فرضة في الساحل الافريقي والحاصل أنه بعدما أسمر الجنرال البرونطي ملكاً الوندال أرسل فرقة من الاساطيل فاحضعوا سردانيا وكورسيكا وجزائر البياره ثم أخذت بعد ذلك الدولة الشرقية في الانحطاط للمهاجرة البلغاريين لها من الشمال والفرس من الشرق والترک من الشمال الشرقي ولما ارتقى هرقل على تخت الامبراطورية الرومية الشرقية (٦٣٥ م - ٦٤١ م) استنار الوجود بظهور كوكب الاسلام وتقدمت جيوشه في الفتوحات ففتحها في عهد الخليفةين الاولين أكثر البلاد العراقية الواقعة على نهر الفرات واستولوا على الاقطار الشامية وكان أهالي القطر المصري الاقباط يثنون من جور حكومة الروم وكثرة ضرائبها واستبداد عمالها وكان عقلاً وهم يتوقعون قرب سقوط دولة الرومان لتقدم العرب بالفتوحات فلذا كانوا ينتظرون أول فرصة لشق عصا طاعتها الى أن تم لهم ذلك بدخول جيش الاسلام مصر واخضاعها عنوة على يد القائد الشهير والبطل الكبير عمرو بن العاص رضي الله عنه (١٨ هـ - ٦٤٠ م) كاذ كرفي صحيفة ١٧٩ من الجزء الاول ومن ذلك الوقت انتهت المدة المسيحية وابتدأت المدة الاسلامية

(الفصل الثامن)

تاريخ مصر الحديث

(أشهر اخبار الديار المصرية بدءاً من الخلفاء الامويين والعباسيين)

٢٢ - ٢٥٥ هـ

لما تم عمرو بن العاص فتح مصر واختط الفسطاط وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفسطاط وأسفل الارض وولى عبد الله بن أبي سرح على الصعيد فأجرى عمر في مصر حكماً عادلاً مدوحاً كما يظهر مما كتبه للخليفة في بعض كتبه اذ عرض عليه ثلاثة أمور تعود بالنفع على مصر وأهلها عدم ازدياد الضرائب ثانياً حفظ جزء من الارض العام لشق الجداول والترع واقامة الجسور والقناطر واصلاحها ثالثاً تقسيم المال على الاراضي بحسب غلاتها ولما أصيبت جزيرة العرب بالجماعة عام الرمادة كانت غلال مصر هي السبب في خلاصها من القحط وكان أكبر مساعد لنقل الحبوب بالسهولة والسرعة الخليج الذي حفره عمرو بين النيل والبحر الاحمر وسماه خليج أمير المؤمنين قال ابن الحكم توفي عمرو بن الخطاب رضي الله عنه وعلى مصر أميران عمرو بن العاص وأسفل الارض وعبد الله بن سعد على الصعيد فلما استخفاف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد أميراً على مصر كلها وفي السنة الاولى من امارته (٢٤ هـ) سار من قبل الروم منويز الخصى الى الاسكندرية فسأل أهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربتهم فرتده والباع الى الاسكندرية فخارب الروم بها حتى افتتحها وجعل لأمير مصر هذا صلواتها وخراجها ومكث أميراً

مدة خلافة عثمان كلها وغزاه في خلالها عدة غزوات غزاه افر بيقية (٢٦ هـ) وقتل والها البطريق
غريغوريوس اوجرجير وأسرت ابنته وفتح سببطله وكانت تبعد عن قرطاجنة نحو ١٥٠ ميلا
وغزا السودان حتى بلغ دنقله (٣١ هـ) وغزا باسطول مصر اسطول قسطنطين واستظهر عليه
استظهارا باهرا في واقعة الصواري بجوار فرضة (زيواره) وكان اسطول مصر يتألف من مائتي
مركب واسطول الروم من ألف مركب (٣٣ هـ) وقاد ايضا الاسطول المصري في فتح قبرص
(٣٣ هـ) وكان عمرو بن العاص عاد الى المدينة سنة ٢٧ هـ وفي نفسه من عثمان أمر كبير
وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بعد عمرو بن العاص
قال الامصافي وكان ابن أبي سرح جبي خراج مصر فبلغ أربعة عشر ألف ألف دينار فنظر سيدنا
عثمان الى عمرو وقال قد علمت أن اللقمة درت بعدك قال نعم ولكن أجمعت أولادها اه

وفي خلال اشتغال عبد الله بن سعد بالحروب نشأت بمصر طائفة يؤلبون الناس على حرب
عثمان والانكار عليه في عزله عمر او نأيته آخرين وكان معظم ذلك مسندا الى محمد بن أبي بكر ومحمد
ابن أبي حذيفة حتى استنفرا نحو ما من ستمائة راكب يذهبون الى المدينة لينسكروا على عثمان
فساروا اليها وسألوه أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ويولي محمد بن أبي بكر أميرا فاجابهم الى ذلك فلما
رجعوا اذاهم راكب فأخذوه وقتلوه فاذا في أداته كتاب الى ابن أبي سرح عن لسان عثمان بقتل
محمد بن أبي بكر وجماعة معه فرجعوا واداروا بالكتاب على الصحابة فلام الناس عثمان على ذلك خلف
رضى الله عنه أن ماله علم بذلك وثبت أنه زوره على لسانه مروان بن الحكم وزوره خاتمه فكان ذلك
سبب تحريض المصريين على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه وفعل المصريون في المدينة من الشر
ملا يفعله فارس والروم ونهبوا دار عثمان وعدلوا الى بيت المال فأخذوا ما فيه وكان فيه شيء كثير
جدا (٣٥ هـ) وغير ذلك من الاقوال والافعال التي رواها المؤرخون وبعدموت عثمان تجدد
التزاع على الخلافة وقامت الفتن وبقيت المدينة خمسة أيام بلا خليفة والمصريون يلحون على علي
أن يبايعوه وهو يهرب منهم ويطلب الكوفيين الزبير فليجدهونه والبصريون طلحة فلم يجهم وبعد
ذلك بايع القوم عليا رضي الله عنه وأشار عليه ابن عباس باستمرار نواب عثمان في البلاد الى حين اخر
فأبى عليه وعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن مصر وولى عليا قيس بن سعد بن عبادة وكان محمد
ابن أبي حذيفة لما بلغه حصر عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح وصلى
بالناس فيها فسار ابن أبي سرح بجناه الخبر في الطريق بقتل عثمان فذهب الى الشام فأخبر معاوية بما
كان من أمره بدياره صر وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها فسار معاوية وعمرو بن العاص
ليخرجاه منها فعا لجاد خول مصر فلم يقدر اولم يزالها حتى خرج الى العرش في ألف رجل فخصن
بها وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ثم سارا الى مصر
قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي فدخول مصر في سبعة نفر فرقي المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير
المؤمنين على ثم قام قيس فخطب الناس ودعاهم الى البيعة لعل في بايعوا واستقامت له طاعة بلاد مصر
(٣٦ هـ) وسار فيها سيرة حسنة ولكن كانت أحوال الخلافة في اضطراب لان معاوية بن أبي
سفيان أخذ يحزب الناس على علي رضي الله عنه بأنه هو السبب في قتل عثمان حتى انه كتب الى

فيس يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده أن يكون نائبه على العساقين اذا تم له الامر فلما بلغه الكتاب وكان قيس رجلا حازما فلم يخالفه ولم يوافق بل بعث بلاطف معه الامر وذلك لبلده من على وقربه من بلاد الشام ومما مع معاوية من الجنود الكثيرة فسالمه قيس وتاركه ومع كل ذلك لم يخل من التهمة وأخيرا كتب الى على رضى الله عنه يستعفى من ولاية مصر وقال له بعث على عمالك بمصر غيرى فولى على على مصر محمد بن أبي بكر وارتحل قيس الى المدينة ثم ركب الى على واعتمدر اليه وشهد معه صفين ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب على على الناس وخطبهم ثم بعث الى القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم يقول ادخلوا في طاعتنا وأخرجوا من بلادنا فقلوا ادعنا حتى ننظر وأخذوا حذرهم ولما انقضت صفين وصار الامر الى التحكيم طمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالعداوة وندم على بن أبي طالب على عزل قيس عن مصر لانه كان كفوا معاوية وعمر و ابن العاص فلما فرغ على من صفين وبلغه أن أهل مصر استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شابا ابن ست وعشرين سنة عزم على رد مصر الى قيس بن سعد ثم انه ولى عليها الا شتر النخعي فلما بلغ معاوية تولية الا شتر ديار مصر عظم ذلك عليه لانه كان طمع في انتزاعها من يد محمد بن أبي بكر وعلم أن الا شتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته وجاه الا شتر فنزل على صاحب الخراج بالقلم فقات هناك وقيل ان معاوية بعث الى صاحب القلم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وبلغ موته عليا فاسترجع واسترحم وحصلت أمور أخرى يطول شرحها وبقى محمد بن أبي بكر الى أن كان من أمر الحكيم ما كان واختلف أهل العراق على على وبايع أهل الشام معاوية وقرر معاوية فتح مصر فجهز عمرو بن العاص في ستة آلاف فسار اليها واجتمعت عليه العثمانية وأراد محمد بن أبي بكر المقاومة وأخيرا تفرقت جموعه وهرب هو واخفى في خربة ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر ثم دل على محمد بن أبي بكر فحفي به وقد كاد يموت عطشا فقدمه معاوية بن حديج فقتله ثم جعله في جيفة حار وأحرقه بالنار (٣٨ هـ) وكان عمرو أرسل الى محمد بن أبي بكر يطلب منه عدم المقاومة وكتب اليه يقول نخ عنى بدمك فاني لأحب أن بصيبيك منى ظفر وان الناس قد اجتمعوا بهم هذه البلاد على خلافك فأغلق محمد له في الجواب ثم كان ما كان وكتب عمرو بن العاص الى معاوية يخبره بما كان من الامر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر فاقام عمرو أميرا بمصر الى أن مات بها (٤٣ هـ) ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس اذ ذاك للهج وهو أول أمير مات بمصر

عمال خلفا بنى امية (٤٠ - ١٣٢ هـ) - لما قتل على رضى الله عنه غيلة في الكوفة سنة أربعين من الهجرة ولى الخلافة ولده الحسن رضى الله عنه ولم يمكث الا ستة أشهر ثم بايع معاوية كاهم بالحزب الاول وكان عمرو بن العاص يدبر شؤون مصر بالصورة المذكورة وبعد موته ولى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو وعمل له عليها سنتين وقيل بل أشهر ثم عزله وولى عقبه بن أبى سفيان وجمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عقبه لعقبة بن يزيد على الاسكندرية في اثني عشر ألفا من أهل الديوان تكون بهما رابطة ثم خرج اليها رابطة (٤٤ هـ) فقات بها واستخلف على مصر عقبه بن عامر الجهني وفي سنة ٤٦ هـ جهز عقبه بن عامر الجهني الاساطيل بشغر الاسكندرية وغزى بحر ابل مصر وأهل المدينة بجزيرة رودس ولكن فتحها كان سنة ٥٣ هـ عند

ما غزاها جنادة بن أبي أمية الازدي بالاسطول ونزلها المسلمون على حذر من الروم لانهم كانوا يعترضونهم في البحر وياخذون سفنهم وكان معاوية يجزل لهم العطاء حتى خافهم الروم وكان معاوية ولي مسلمة بن محمد الانصاري على مصر وامره ان يكتب ذلك على عقبه بن عامر حتى يقطع بالاسطول لغزور ودس (٤٧ ٥) وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ثم ولي معاوية على مصر وافر ببيعة مسلمة بن مخلد الانصاري وجمع له الصلات والخراج والغزير وانشطمت غزواته في البر والبحر (٥٠ ٥) وفي امارته نزلت الروم باسطيلهم البرلس (٥٣ ٥) فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد وجسده ومن وقتئذ اهتم بأمر الاساطيل وأمر ببناء صناعة في الجزيرة فبنت سنة ٥٤ ٥ وأخذ يصنع ويصلح الاساطيل فيها وعامل الامه بالعدل وكان معاوية أراد ان يولي على مصر عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي فلم تقبله الاهالي لشهرته بسوء السيرة فأقر مسلمة بن مخلد في الولاية واستمر على ايمرة مصر الى أن مات (٦٢ ٥) في خلافة يزيد فولي بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الازدي (٦٢ ٥) وأعرض عنه أهل مصر لاستخفافهم به لصغر سنه واعتزل سعيد ابعد سنتين من ولايته ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة (٦٤ ٥) من قبل عبد الله بن الزبير عندما يبيع بالخلافة بعد موت يزيد وقامت فتن بين الامويين والهاشميين فقصدهم مروان مصر ومعه عمرو بن سعيد الأشدق فقاتل عبد الرحمن فهزم عبد الرحمن وهرب ودخل مروان الى مصر فتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز (٦٥ ٥) وجعله على الصلات والخراج ومات أبوه و يبيع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر (٧٠ ٥) فنزع عبد العزيز عنها ونزل حلوان فاتخذها دارا له وبنيها الدور والمساجد وعمرت في أيامه حتى كان لها شأن عظيم وجهر الاساطيل والبعوث في البحر لقتال ابن الزبير (٧٢ ٥) واستمر أميرا على مصر عشرين سنة ثم مات سنة ٨٦ فولي من بعده عبد الله بن عبد الملك وكان حدينا وكان أهل مصر يسمونه الكيس وهو أول من نقل الدواوين الى العربية وكانت لعهد العجيسة وأول من نهى الناس عن لباس البرانس فأقام الى سنة ٩٠ ٥ وعزله أخوه الوليد وولي قره بن شريك العبسي وكانت الفتوحات الاسلامية اتسعت في زمن الوليد ودخلت جيوش الاسلام في أوروبا وفي هذا الوقت أخذ المسلمون يبنون الاساطيل فصارت تصنع السفائن في أكثر نواحي مصر وافر ببيعة وكان قره بن شريك المذكور ظوفا في أيامه أمر الوليد ببناء الجوامع لما امتلأت بيوت الاموال من مال الخمس فبنى مسجد العيلة وهو أول مسجد بني بالفسطاط وكان في أصل حصن الروم عند باب يعرف بباب الريحان ومات قره سنة ٩٦ فولي بعده عبد الملك ابن رفاعة فأقام ثلاث سنين وفي أيامه كانت ركة القسطنطينية التي سبها سليمان بن عبد الملك تحت قيادة مسلمة فارسل أمير مصر عمارة عظيمة أقلعت مع العمارة العربية التي خرجت من بحر الشام فكانت نحو ألف وعثمانه سفينة أعظمها تحمل مائة رجل بجهازهم ولما وصلت الى القسطنطينية ونظرها الروم أمر و ارفع السلسلة القاطعة للينا لكي تدخل السفن وتستأن من داخل البوغاز واستعدت مسلمة للهجوم برا وبحرا ولما وصلت المراكب الى حيث السلسلة وقفت متحيرة أن تدخل أو ترسو في مكانها خوفا من حيلة ما واذ بالناظر الاغر ببيعة قد اشتعلت من كل جانب وأحرقت أغلب الاساطيل (٩٩ ٥) وبعد موت سليمان خلفه عمرو بن عبد العزيز فولي أبو ب بن شرحبيل

(٩٩ هـ) على مصر وعطلت حانات البحر في أيامه وأرسل اليه الخليفة بارسال المدد للجيش
الساكنة في ضواحي القسطنطينية فجهز أئوب عمارة عظيمة مؤلفة من أربع مائة سفينة وشحنها قنبا
وأقلعت من الاسكندرية ولحقت بالعمارة الافريقية التي كانت مرسية من ثلاثمائة وستين سفينة
ولما وصلت الزناد الى جنود مسلمة حدث لها ما حدث للعمارة الاولى من التدمير ولم يخلص من سفنهما
الا القليل ويقال انه لم ينج من كل تلك المراكب الا خمسة فقط جاءت بالاخبار الى الاسكندرية ومع
كل ذلك استمر المسلمون على تجهيز المراكب في مصر واقاموا بغزوات الصوائف كعادتهم ولمسات
عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك أقرأئوب على مصر الى أن مات (١٠١ هـ)
فولى بعده بشر بن صفوان الكلابي ولما ولاة افر ببيعة استخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر فقام
بها الى سنة ١٠٥ هـ ثم ولى محمد بن عبد الملك بن مروان وفي أيامه وقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى
الصعيد ثم عاد وخرج عن مصر وولى الحارث بن يوسف من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ) ثم
ولى حفص بن الوليد فقام الى سنة ١٠٨ هـ وولى بعده عبد الملك بن رفاعه (١٠٩ هـ) وصرف في
السنة نفسها وولى أخوه الوليد فقام الى أن توفي سنة ١١٩ هـ وفي أيامه انتقلت قبيلة قيس الى مصر
فانزلوا في الحوف الشرقي (١) وولى بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمي من قبل هشام بن عبد الملك
وفي امره نزل الروم على تروجة (٢) فاصروه وهاشم اقتتلوا وأسر واصرفه هشام وولى حنظلة بن
صفوان نائبا فانتقض عليه القبط وفي سنة ١٢٢ هـ ولاة افر ببيعة وأعيد الى مصر حفص بن
الوليد فقام ثلاث سنين ثم صرف وولى بعده سنة ١٢٨ هـ حسان بن عثامية التجيبي ثم أعيد
حفص بن الوليد وعزل لظهور فتنة في مصر سنة ١٢٨ هـ وولى الحوثر بن سهيل الباهلي من قبل
مروان فسار اليها في آلاف من الجنود فخافه أرباب الثورة من الاهالي وسألوه الامان فأتهمهم ونزل
بظاهر الفسطاط وقد اطمانوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجنود فقبض عليهم وقيدهم فانهمزم
الجنود وكان معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج وبعث في طلب رؤساء الفتنة فجمعه واله وضرب
أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف مروان الحوثر عن مصر (١٣١ هـ) وبعثه الى
العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عثامية وقيل أبا الخراج بشر بن أوس ثم صرفه عنها
(١٣٢ هـ) وولى المغيرة بن عبد الله الفزاري وخرج الى الاسكندرية ومات (١٣٢ هـ)
واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرفه الوليد بعد شهر وولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير
على الصلوات والخراج وكان واليا على الخراج قبل (١٣٢ هـ) وهو أول من أمر باتخاذ المنابر في
الكور ولم تكن قبله بل كانت ولاة الكور يخطبون على العصي الى جانب القبلة وخرج القبط
فخارهم وقتل كثير منهم وفي خلال ذلك قامت الخلافة العباسية

عمرها ثلث مائة عام (١٣٢ - ٢٥٥ هـ) - لما ولى السفاح الخلافة وانهمزم مروان الحمار
وعرب الى الديار المصرية وولى السفاح نياحة الشام ومصر لصالح بن علي بن عبد الله بن عباس فسار صالح

(١) قال ياقوت الحوف بالغح وضبطه ابن خلكان بالضم وعصر حوفان الشرق والغربي وهما متصلان أول الشرق
من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط بشتلان على بلدان وقرى كثيرة

(٢) تروجة قرية بمصر من كورة البصرة من أعمال الاسكندر بهأ كثير ما زرع بها الكون وقيل اسمها تروجة وكانت
تروجة مدينة عظيمة متسعة ذات أسواق دائمة وقصور مشيدة ومساجد عامرة وبساتين وكانت تنزلها الملوك والامراء ثم
أخنى عليها الزمان فنصرت

حتى قتل مروان بن يحيى السدري من أعمال مديرية الحيرة في ذي الحجة سنة ١٣٣ هـ وبعث برأسه الى العراق وانقضت بذلك أيام بني أمية ثم رجع صالح الى الشام واستخلف على مصر بأعوان عبد الملك بن أبي يزيد الأزدي فأقام الى سنة ١٣٦ هـ ثم أعيد صالح بن علي وخرج أبو عون بالجيش الى افر بيقية بعد أن جهز المرابك من الاسكندرية الى برقة فيات السفاح واستخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبي عون بالرجوع وورد الدعاء ثم بعد ذلك أعيد أبو عون سنة ١٣٧ هـ فأقام الى سنة ١٤١ هـ ثم ولى بعده موسى بن كعب التميمي من قبل أبي جعفر المنصور ومات بعد سبعة أشهر وولى محمد بن الأشعث الخزازي ثم عزل (١٤٤ هـ) وولى نوفل بن الفرات ثم عزل وولى حميد بن قحطبة الطائي ثم صرف سنة ١٤٤ هـ وولى يزيد بن حاتم المهلبى فأقام الى سنة ١٥٢ هـ ثم عزل لهزيمة أمام القبط عند ثورهم وولى بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حديد من قبل أبي جعفر المنصور العباسي وهو أول من خطب بالسواد ومات سنة ١٥٥ هـ واستخلف أخاه محمد بن عبد الرحمن بن حديد فأقام سنة وشهرين ثم ولى بعده موسى بن علي اللخمي (١٥٥ هـ) فنارت القبط في أيامه فكسروهم ولما مات أبو جعفر (١٥٨ هـ) وبويع ابنه محمد المهدي أقر موسى بن علي المذكور الى سنة ١٦١ هـ ثم ولى عيسى بن لقمان الجمعي ويعرف باللخمي من قبل المهدي على الصلات والخراج ثم ولى واضح مولى المنصور (١٦٢ هـ) ثم صرف من عامه وولى منصور بن يزيد الجعفي ثم ولى بعده يحيى بن داود أبو صالح الجعفي وكان أبوه تركا ثم ولى سالم بن سواده التميمي (١٦٤ هـ) ثم ولى علي بن ابراهيم بن صالح العباسي (١٦٥ هـ) ثم ولى موسى بن مصعب مولى ختم وكان نظاما فزاد الخراج والضرائب على أهل الاسواق فكرهه الناس وثاروا عليه فقاتلهم بالجند فانهمز وأسلمه أهل مصر للقائمين عليه فقتلوه (١٦٤ هـ) ثم ولى عامر بن عمرو ثم ولى الفضل بن صالح العباسي ثم عزل (١٦٦ هـ) ثم ولى علي بن سليمان العباسي ولما مات الهادي (١٧٠ هـ) وبويع هرور بن محمد الرشيد أقر على بن سليمان فأظهر في ولايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما تطلع للخلافة وطمع فيها استخط عليه هرور الرشيد وعزله (١٧١ هـ) ثم ولى موسى بن عيسى من قبله على الصلات ثم صرف عنها (١٧٢ هـ) ثم ولى بعده مسلمة بن يحيى من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف عنها (١٧٣ هـ) ثم ولى محمد بن زهير الأزدي على الصلات والخراج وصرف بعد خمسة أشهر فولى داود بن يزيد الصلات وبعث ابراهيم بن صالح لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل سنة ١٧٤ هـ وأخرج الجند الكثيرين الى المشرق والمغرب فساروا في البحر فأسرتهم الروم بما كرههم فعزل عنها (١٧٥ هـ) ثم أعيد موسى بن عيسى على الصلات والخراج من قبل الرشيد وصرف عنها (١٧٦ هـ) وتولى جعفر بن يحيى البرمكي فاستتاب علماء عمر بن مهران وكان شيعيا ردي الشكل نكابه في عيسى بن موسى لانه بلغه عنه انه عامل على خلعه ثم ولى ابراهيم بن صالح وتوفى فكان مقاه بمصر شهرين وعمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى عبد الله بن المسيب (١٧٦ هـ) وصرف سنة ١٧٧ هـ فولى اسحق بن سليمان بن عباس على الصلات والخراج فزاد على المزارعين الضرائب فخرج عليه أهل الحوف فخار بهم وقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد له رثمة بن أعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فقتله أهل بالطاعة وأذعنوا لقبول منهم واستخرج الخراج وصرف اسحق عن مصر (١٧٨ هـ) وتولى هرثة بن أعين من قبل الرشيد على الصلات والخراج وبعثه فدان فأقام بمصر شهرين سار الى افر بيقية

ثم ولي عبد الملك بن صالح على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف الرشيد عبد الله بن المسيب
ابن زهير الضبي وصرف عنها (١٧٨ هـ) فولى عميد الله بن المهدي العباسي على الصلات والخراج
(١٧٩ هـ) فاستخلف ابن المسيب ثم قدم بعدها وصرف عنها بعد تسعة أشهر وأعاد الرشيد موسى
ابن عيسى وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له ثم صرف (١٨٠ هـ)
فولى الرشيد عبد الله بن المهدي ثانية على الصلات فقدم داود بن جباش خليفة له ثم صرف (١٨١ هـ)
فولى اسماعيل بن صالح على الصلات فاستخلف عون بن وهب الخزاعي وكان اسماعيل هذا
خطيبا مضعوا وصرف عن مصر سنة ١٨٢ هـ فولى اسماعيل بن عيسى وصرف بعد ثلاثة شهور
فولى الليث بن الفضل البيروزي على الصلات والخراج وكان يخرج لتوصيل المال والهدايا الى
الخليفة ويستخلف أخاه نارة وغيره أخرى وثار عليه أهل الحوف فخار بهم وأخيرا ولى محفوظ
ابن سليمان الخراج وفي أيامه استعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل التي بساحل الشام
ومصر وحارب قبرص فهزم أهلها وسبي وصرف الرشيد الليث عن الصلات والخراج (١٨٧ هـ)
وبعث أحمد بن اسحق على الصلات مع محفوظ ثم ولى أحمد بن اسماعيل العباسي على الصلات
والخراج (١٨٧ هـ) ثم صرف سنة ١٨٩ هـ ثم ولى عبد الله بن محمد العباسي وفي خلال
ولايته تقضى أهل قبرص العهد سنة ١٩٠ فغزاهم معتوق بن يحيى وكان عاملا على سواحل
مصر والشام ونحنت امرته الاساطيل فسبى أهل قبرص وردهم الى الطاعة وصرف الرشيد عبد الله
ابن محمد عن مصر (١٩٠ هـ) وولى الحسين بن جميل الصلات (١٩١ هـ) فخرج عليه
أهل الحوف وامتنعوا عن أداء الخراج وعمردا أيضا أبو النداء بأبيه في جموعه فبعث الرشيد جيشا وبعث
الحسين بن جميل من مصر قائد يدعى عبد العزيز بن عسكر فظفر عبد العزيز بأبي النداء ووصل جيش
الرشيد الى بلبس فأذعن أهل الحوف ودفعوا الخراج وصرف ابن جميل سنة ١٩٢ هـ فولى مالك
ابن دلهم الكبي على الصلات والخراج وصرف سنة ١٩٣ فولى الحسن بن التتاج فثار في أيامه
الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة فعزل (١٩٤ هـ) وولى بعده حاتم بن هرثة على الصلات والخراج
فاخضع أهل الاحواف وغيرهم من الثائرين ودخل القسطنطينية ومعه الرهائن ثم صرف (١٩٥ هـ)
فولى جابر بن الأشعث الطائي من قبل الامين على الصلات والخراج وكان ليئا فلما حدثت فتنة
الامين والمأمون قام السري بن الحكم يدعوا الناس لمبايعة المأمون وخلع الامين فأجابوه (١٩٦ هـ)
وأخرجوا جابر بن الأشعث فولى عباد بن محمد بن حيان من قبل المأمون على الصلات والخراج
(١٩٦ هـ) وكانت الفتنة قائمة بين الامين والمأمون بشأن الخلافة ولم يقتل الامين صرف عباد عن
مصر سنة ١٩٨ وولى المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون على الصلات والخراج وصرف
بعد سبعة أشهر فولى العباس بن موسى من قبل المأمون وفي أيامه ثارت الجند مرارا وكان الاضطراب
زائدا وسجن المطلب ثم أخرج من الحبس وصرف سنة ١٩٩ هـ ونزل العباس بلبس ودعا قيسا
الى نصرته ثم مات في بلبس ويقال ان المطلب دس اليه السم في الطعام فمات وكانت ولاية المطلب
سنة وثمانية شهور ثم ولى السري بن الحكم باجماع الجند وبعض الاهالي (٢٠٠ هـ) ثم ولى
سليمان بن غالب على الصلات والخراج بمبايعة الجند (٢٠١ هـ) وقامت فتنة داخلية ثم صرف
وسجن وأعيد السري بن الحكم ثانية من قبل المأمون فلم تقبل الاهالي ولايته وأخرج الجند سليمان

من الحبس وتبع من حاربه وقوى أمره إلى أن مات (٢٠٥ هـ) وتولى محمد بن السري وكان الجردى أحد الخوارج قد غلب على أسفل الأرض فخرت بينهما حروب ثم مات محمد (٢٠٦ هـ) وتولى عبيد الله ابن السري بمبايعة الجند وكانت بينه وبين الجردى حروب إلى أن قدم عبد الله بن طاهر من قبل المأمون فاستقدم مصر من عبيد الله بن السري بعد حروب يطول شرحها (٢١١ هـ) وكان قدم الاسكندرية مرآكب للاندلسيين التجؤا إليها بعد واقعة الرض التي أوقع فيها الحكم بن هشام بكثير من أهل قرطبة سنة ١٨٢ هـ وكانوا زهاء عشرة آلاف وكانوا قد أكثروا من الشرور بالاسكندرية وثاروا على عاملها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر وإلى مصر من قبل المأمون فخار بهم وغلبهم وأجازهم بما كرههم إلى اقر بطش (كريد) وملكوها وكان الأمير معهم أبو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون وشيدوا بها مدنا منها قنديه وكانوا يسمونها بالخذق وبقيت بأيديهم إلى أن غزاها الروم سنة ٣٤٥ هـ وملكوها بعد حصار طويل كما مر بالجزء الاول وكان عبد الله بن طاهر على الصلات وانطرح فقام عليه الجند فمحصن في بليس فالتفت عليه عصابة من أهلها وأخذ المأمون إليه أن يقف عنده ثم تولى بعده عيسى بن يزيد الجلودى وفي سنة ٢١٣ نار رجلان بمصر وهما عبد السلام وابن حليس نخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية وتابعهما طائفة من القيسية واليمانية فولى المأمون أخاه أبا اسحق بن الرشيد نيابة مصر مضافة إلى الشام فقدمها بالجيش وافتتحها وقتل عبد السلام وابن حليس وأقام بمصر ثم تولى عليها عمير بن الوليد التميمي ثم صرف وأعيد عيسى بن يزيد الجلودى فخار به أهل الحوف وهزمه وأقبل أبو اسحق إلى مصر في أربعة آلاف من أتراكه فهزم أهل الحوف وقتل أميرهم ثم خرج إلى الشام (٢١٥ هـ) ومعه جمع من الاسارى وولى على مصر عبدويه بن جبلة فخرج أناس بالحوف فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفروهم ثم صرف عبدويه وخرج إلى برقة (٢١٦ هـ) وولى عيسى بن منصور الراقي من قبل ابن اسحق وفي أيامه انتقضت عرب وأقباط أسفل الأرض وأخرجوا العمال لسوء سيرهم ونخلعوا الطاعة فقدم الافشين نحو برقة ثم خرج هو وعيسى فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلوا ورجع موسى وسارا الافشين إلى الحوف وقتل جماعة ثم وكانت حروب إلى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون مصر (٢١٧ هـ) فسخط على عيسى وحل لواءه ولامه على لباس البياض ونسب الحدث اليه وإلى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل القساد وبعد أن أصلح ما اختل من أحوال البلاد عاد بعد تسعة وأربعين يوما وولى كيدرا وهو نصر بن عبد الله أبو مالك (٢١٨ هـ) ومات المأمون (٢١٨ هـ) وبويع أبو اسحق المعتصم ومات كيدر (٢١٩ هـ) فولى ابنه المظفر بن كيدر باستخلاف أبيه وخرج إلى يحيى بن الوزير الجردى وقاله فخر وجه عليه حتى أسره ثم تولى المظفر (٢٢٠ هـ) وتولى مصر أبو جعفر اشناس فدعى له بها وتولى موسى بن أبي العباس من قبل اشناس على الصلات (٢١٩ هـ) وصرف (٢٢٤ هـ) فولى مالك بن كيدر الصغدى من قبل اشناس على الصلات وصرف سنة ٢٢٦ هـ وتولى سنة ٢٣٣ هـ وولى على بن يحيى الارمنى من قبل اشناس (٢٢٦ هـ) ومات المعتصم (٢٢٧ هـ) وبويع الواثق بالله فأقره (٢٢٨ هـ) ثم تولى عيسى بن منصور من قبل اشناس (٢٢٩ هـ) ومات اشناس وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى (٢٢٣ هـ) ثم مات عيسى في قبة الهواء بمصر بعد عزله وتولى هرثة بن نصر فورد عليه كتاب

المتوكل بتروك الجدال في أمر القرآن (٢٣٤ هـ) ومات هرثة واستخلف ابنه حاتم بن هرثة بن النصر ثم ولي علي بن يحيى بن الارمني ثابته وصرف ايتاح (٢٣٥ هـ) واستصفت أمواله بمصر وترك الدعاء له ودعى المنتصر مكانه وصرف علي بن يحيى وولي اسحق بن يحيى الجبلي من قبل المنتصر الذي تولى عهداً بيه المتوكل على الله ثم ولي خوط عبد الواحد بن يحيى (٢٣٦ هـ) ثم صرف سنة ٢٣٨ وولي عنبسة بن اسحق من قبل المتوكل وفي مدته نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ٢٣٨ فلكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر وكانت جميع السفن والاساطيل التابعة لمصر والشام تابعة لاميرالاساطيل بالسواحل المذكورة ومن ذلك الوقت وقع الالتمام بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كاهي لغزاة البر وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان (٢٤٢ هـ) فدعاه وعنبسة هذا هو آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف سنة ٢٤٤ هـ فولى يزيد بن عبد الله من قبل المنتصر على الصلات وهو الذي منع من النداء على الجنائز وعاقب عليه وخرج الى دمياط مرابطا (٢٤٥ هـ) ورجع بعد شهرين فبلغه نزل الروم بالفر ما فرجع اليها فلم يلقههم وتبع الروافض وجاهلهم الى العراق وبني مقياس النيل وكان تهدم من زلزلة فصار يعرف من وقتها بالمقياس الحديد وهو الباقي الى يومنا هذا (٢٤٧ هـ) ومات المتوكل في أيامه وبويع ابنه المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر (٢٤٨ هـ) فورد كتابه بالاستسقاء لقطع كان بالعراق وخلع المستعين (٢٥٢ هـ) فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب وقدم مزاحم ابن خاقان من العراق معيناً لزيد في جيش كثيف فواقعهم حتى ظفر بهم ثم صرف يزيد سنة ٢٥٣ هـ وولى مزاحم بن خاقان على الصلات من قبل المعتز وثار الحوف وتروجه وبعض جهات من القيوم فواقع بالتأثرين وولى الشرطة أرجوز فزفع النساء من الحمامات والمقابر ومنع الجهر بالجملة في الصلاة بالجامع (٢٥٣ هـ) ولم يزل أهل مصر على الجهر بما منذ الاسلام ولما مات مزاحم سنة ٢٥٤ هـ استخلف ابنه أحمد ولم تطل أيامه حيث مات في سنته بعد شهرين فاستخلف أرجوز بن أولع طرخان التركي على الصلات فولى الصلات خمسة أشهر ونصفا وصرف وبعده ظهر نجم الدولة الطولونية بمصر كإسياني

(الفصل التاسع)

الدول التي استقلت ببلاد مصر

(الدولة الطولونية)

٢٥٥ - ٥٢٩٢

أصل هذه الدولة من عمال خلفاء العباسيين على مصر استقلت بها كما استقل غيرها في أنحاء الدولة العباسية عندما ظهرت عليها علامات الضعف وتنسب الى رجل تركي يدعى طولون أصله من تركستان أخذ أسيراً في إحدى الوقائع الحربية وبعي به الى ابن أسد الصماحي عامل المأمون على بخارى فبعثه ابن أسد الى الخليفة ضمن المماليك الذين أرسلهم اليه (٢٠٠ هـ) فاجبب المأمون

بتناسب أعضائه وقوة بنيته فألحقه بحاشيته وصار يرقبه الى أن جعله رئيس حرسه ونال وظيفة أميرالسترومكث طولون المذكور في هذا المنصب نحواً من عشرين سنة مدة المأمون والمعتصم فلما توفي في أيام المتوكل على الله (٢٣٩ هـ) رأى الخليفة في ابنه أحمد الذي كان عمره وقتئذ ١٩ سنة اللياقة للقيام بوظيفته أياً فألحقه بها وكان أحمد بن طولون قد اشتهر بين أقرانه بالعلم وحسن التربية والتقوى والشجاعة فأحبه كثير من العلماء ومال اليه معظم الأتراك منهم باركوج أحد كبار عرس الخليفة المتوكل على الله فزوجه بابنته وهي التي ولدت له ابنه عباس ومع كون أحمد ابن طولون نشأ بين دسائس وثورات الأتراك السابق الكلام عليها في الجزء الأول الأثناء لم يتداخل فيها بل اشتغل بتوسيع معارفه وواظب على تلقي علومه حتى أنه سافر الى طرسوس لاخذ العلوم من مدارسها وصادف أنه في أثناء عودته منها الى سامرا هجم بعض قطاع الطرق على القافلة التي كان بها ليسلبوا ما معهم من الأموال وكانت هذه الأموال محمولة الى الخليفة المستعين بالله فأنكر عليهم أحمد بن طولون ذلك وجعل عليهم حيلة منكرة هزمهم فيها واستخلص أموال الخليفة وكان سنة وقتئذ ٢٩ سنة فلما وصل الركب الى سامرا وبلغ الخليفة ذلك أتم عليه بألف دينار وقرّبه اليه ووهبه إحدى جواريه المسماة مية وهي التي رزق منها بابنه الثاني جارويه (٢٥٠ هـ) وكان هذا مبدأ ظهور أحمد بن طولون وشهرته وحافظ على الودح حتى أنه بعد خلع المستعين كتب المعتز الى أحمد بن طولون يقتل المستعين فامتنع عن قتله وأوصله الى القاطول على الدجلة وسلمه الى الحاجب سعيد بن صالح فضر به سعيد حتى مات ولم يقبل أحمد الدخول في هذا الأمر ولما وجهت ولاية مصر الى بابكيال أحد رؤساء الأتراك من قبل الخليفة المعتز بالله بن المتوكل (٢٥٤ هـ) لم يرغب هذا الرئيس أن يترك بغداد مركز نفوذه ويذهب الى مصر فاستخلف أحمد بن محمد بن المدير وأولام أشرك معه أحمد بن طولون وقسم بينهم ما إدارة البلاد فوجه الى ابن المدير بجباية الأموال وجعل أحمد بن طولون على الإدارة وباقى الوظائف العسكرية وكان ابن المدير أحدث بمصر أنواعاً من الظالم وأثقل الضرائب على الأهالي واضطربهم فنبأ عن ذلك الضرر والخراب وأخذت الأمة تسمى للايقاع به ولما أحس بذلك اتخذ لحرسه مائة هندي من الأشداء المشهورين بالشجاعة رافقونه في كل جهة يتوجه اليها حفظاً لحياته ولما وصل أحمد بن طولون بالجيش الذي ضم اليه في رمضان سنة ٢٥٤ هـ خرج للملاقاة أحمد بن المدير بحرسه وقدم له هدية ذات قيمة قدرت بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها ابن طولون وطلب منه عوضاً عنها المائة غلام فالتمز أن يرسلهم اليه وبذلك تحولت هيبه ابن المدير الى ابن طولون وصادف قتل المعتز وبويع المهتدي (٢٥٥ هـ) فقتل المهتدي بابكيال المذكور واستعمل على مصر باركوج التركي وهو جوأحد فاستعمل صهره على مصر كلها منفرداً (٢٥٧ هـ) بتقليد من الخليفة فقوى أمر أحمد بن طولون وعلا شأنه بعد أن تقلد خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية قال ابن وصيف شاه لما تولى أميراً أحمد بن طولون على مصر أخذ في أسباب عمارة قراها وجسورها وقناطرها وحفر خنادقها وسد ترعها فاستقامت أحوال الديار المصرية في أيامه بعدما كاد أن يتلاشى أمرها الى الخراب وانحط خراجها في أيام من تقدمه من العمال الى أن قال فلما تم أمر الأمير أحمد بن طولون في ولايته على مصر واستقامت أحوالها استكثر من شراء المماليك الديلمية حتى بلغت عدتهم ٢٤٠٠٠ مملوكاً وبلغ ما اشتراه من العبيد الزنج ٤٠٠٠٠ واستكثر من شنارة العرب حتى بلغت

عدهم ٧٠٠٠ هـ ولما كثرت جنوده عزم على الاستقلال فشرع في تحصين البلاد وأكثرت آلات الحرب وأسس مدينة جديدة سماها القطائع تمتد من جبل يشكر الى سفح المقطم وقسمها بين رؤساء جيشه وشيخها المساجد والنسائين والاسواق والمعامل والبيوت والحمامات واتخذها ميادنا للجيش وفي أيامه عصى أهل برقة (٢٦١ هـ) فبعث اليهم غلامه لؤلؤ وأمره أن يتلطف بهم فإن أطاعوا فيها والجراد السيف فطمعوا أولاً ثم أخذ لؤلؤ مدينتهم وقتل من كبرائهم وأسر وفي سنة ٢٦٢ هـ وقعت المناقرة بين أحمد بن طولون وبين الموفق العباسي فطلب الموفق من يتولى الديار المصرية فلم يجد أحداً الا نخدم ابن طولون وهدياه كانت متصلة الى القواد بالعراق فكتب الموفق الى ابن طولون يتهتده بالعزل فأغلظ له ابن طولون الجواب فسير اليه الموفق جيشا كثيفاً مع القائد موسى بن بغافسار الى الرقة وخالف الامر فعاد الى العراق ومات (٢٦٤ هـ) وفي خلال ذلك كان ابن طولون يستعد للدفاعه وبنى الحصن بالجزيرة ليكون معقلاً للماله وحرمه وذلك سنة ٢٦٣ هـ واجتهد في عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فاتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العليات والحمام والعشاريات والسناييك والزوارق وقوارب الخدمة وعمد الى سد فم البحر الكبير وأن يمنع ما يجي اليه من مراكب طرسوس وغيره من البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفاً من مراكب طرسوس ثم بعد ذلك مات أماجور التركي عامل دمشق وقام مقامه ابنه فتجهز ابن طولون للاغارة على الشام فكتب الى ابن أماجور يذكركه أن الخليفة قد أقطع الشام والثغور فأجابته بالسمع والطاعة فسار أحمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقبه ابن أماجور بالرملة فأقره عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر قواد أماجور على أقطاعهم وسار الى حصن فملكها وكذلك حماة وحلب وراسل سيمال الطويل بانطاكية بدعوه الى طاعته ليقره عليها فامتنع فعاوده فلم يطعه فسار اليه أحمد وحصره وكان سبي السيرة مع أهل البلد فدولوا ابن طولون على عورة المدينة فنصب عليها الجنائيق وملكها وقتل سيمال بعد قتال شديد (٢٦٥ هـ) ثم مضى الى طرسوس فدخلها ثم خرج عنها واستخلف عليها ومضى الى الشام فبلغه أن ابنه العباس خالف عليه بمصر وأخذ الاموال وسار الى برقة فلم يكترث بذلك ولم ينزعج له وثبت وبعد أن أتم أشغاله وحفظ أطراف البلاد وترك بحران عسكراً وبالرقة عسكراً مع غلامه لؤلؤ خرج من الشام وعقد على جيش وبعث به الى برقة فقاتل جيش العباس وهزمه (٢٦٧ هـ) وأسر العباس وأخذته الى والده فحبسه ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم قدر بمائتي ألف مقاتل (٢٦٧ هـ) فأقام بالاسكندرية واشتدت العداوة بينه وبين الموفق حتى أقضت الى أن الموفق أمر عماله بلعن ابن طولون على المنابر ففعلوا وفي سنة ٢٦٩ هـ حصلت بين عساكر ابن طولون وعساكر الموفق وقعة بمكة انهزم فيها جيش ابن طولون وثار عليه عماله في الشام فسار ثانية الى طرسوس فنزلها وكان البرد شديداً فسار عنها الى أذنة ثم الى المصيصة فنزلت به على الموت فرجع الى مصر ولما وصلها (٢٧٠ هـ) تزيدت به العلة فمات وهو الذي بنى قلعة ياقا وكانت المدينة بغير قلعة كما رواه ابن الاثير وأول جامع شاده بمصر جامع التنوير ابتناه على قبة جبل المقطم وكذا شيد عدة مباني عظيمة أخرى في مصر منها جامع (١) الشهير في جبل يشكر

(١) جامع ابن طولون هو من الجوامع العتيقة الانيقة الصنعة الواسعة النيان ذكر المقرري في خطه ان موضع هذا الجامع يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور بأجابه الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام نأجى

وأعاد حفر ترعة الاسكندرية (١) ورسم مقياس النيل (٢) في الروضة وغير ذلك وكان أحمد بن طولون حازم اسدي الرأي صحيح الظن صاحب تدبير وحسن سياسة قال ابن خلكان انه كان حسن الصوت في القرآن حافظه ومع ذلك كان طائش السيف سفا كالدماء يقال انه أخصى من قتله ابن طولون صبيرا ومن مات في جسده قبله ١٨٠٠٠ قال ابن وصيف شاه لما توفي الامير أحمد بن طولون خلف من الاولاد ٣٣ ولدا منهم ١٧ ذكورا وبقي ذلك اثنا وخلف من الذهب العين عشرة آلاف ألف ألف دينار وخلف بن المماليك المشتروات سبعة آلاف مملوك ومن العبيد السود أربع وعشرين ألف عبد وخلف من الخيول سبعة آلاف فرس ومن البغال والخيول ستة آلاف رأس وخلف من الجمال عشرة الاف جمل ومن المراكب الحربية والشواني ألف مراكب وغير ذلك ٥١ وولي بعده ابنه بخارويه

ربه عليه بكلمات وذكر المقرري أيضا أن الامير أبا العباس أحمد بن طولون شرع في بنائه سنة ٢٦٣ وفتح منه في رمضان سنة ٢٦٥ فجاء من أحسن الجوامع وأجسجها وعل في مؤخره ميثاقه وخرانه شراب فيها جميع الثمرات والادوية وبلغت نفقة بنائه مائة وعشرين ألف دينار وقد بق هذا الجامع طامع ماحولة الى زمن المستنصر الفاطمي ثم خربت القطائع والعسكر وقارق الناس هذه الجهة وتخرب الجامع وما حوله وصارت المغاربة تنزل فيه بياضها عند ما قرع عصر أيام الحج ولا تزال منه بقية عظيمة إلا أن

(١) ذكر استرابون هذا الخليج وقال انه كان على عين الخارج من باب قنوب وكان يتصل بالنهر الاكبر وقبل ان يصل الى مدينة قنوب يصل الى ناحية بلوزه وهو محل قريب من الاسكندرية والى نيكو بوليس الواقعة على شاطئ الخليج المذكور وقال المرجوم على باشا مبارك في الخطط ان خليج الاسكندرية كان محاذ السور المدينة القبلى على بعد ٣٠٠ متر منه وفيه الآن بحرى شرقى فم المحمودية بقدر ١٠٠٠ متر وكان من داخل المدينة معقودا غير مكشوف وترعة المحمودية التي حفرها العزيز بن محمد على باشا سنة ١٨٢٠ م كلها محل الخليج ما عدا الفم فانه في الميناء هو وبعض تعديلات جليلية وكان على الخليج القديم ثلاث قناطر بين الحفرة والبلد وعند حفر المحمودية تهدمت وقال بعض المؤرخين انه في سنة ٢٦٥ هـ أعاد أحمد بن طولون حفر خليج الاسكندرية وكان قد سدته الرمال المحمولة اليه وذكر المقرري انه في سنة ٧١٠ هـ في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اشغل ٤٠٠٠٠٠ عامل في تطهير خليج الاسكندرية وبعد تطهيره قيس فوجد ٨٠٠٠٠٠٠ قصبة حاكمة من ابتداء فم النيل الى مشيخار ومن مشيخار الى الاسكندرية كذلك وكانت قرية مشيخار قديما بماء أخر وج الخليج من النيل

(٢) أجمع المؤرخون على ان قدماء المصريين كانوا يقيسون النيل عند فيضانه بمقياس غير ثابت انقري الخراج وكان هذا المقياس خشبة أو قصبة مقسومة الى أقسام معلومة في طرفها حلقة وممى المؤرخون هذا المقياس باسم نيلومتر أو نيلوا سكوب ولا عتاشهم بذلك كانت آلة المقياس تودع في معبده يسمى به سيرايس ومعناه مقياس النيل وذكر هيرودوت تلك المقياس وأنها كانت متعددة منها في منف ومنها في طيبة وروى ان عمودا كان أقيم في جهة جزيرة الدانا وهي روضة البحر من لقياس النيل عند الفيضان وذهب البعض الى انه هو المقياس الموجود الآن وبني القوس في حكمهم مقياس جديدة وعمروا بعض القديم منها واعتنى البطالسة بذلك أيضا وحافظوا على القديم منها وأنشؤا مقياسا جديدا في أرمنت المسماة في زمنهم هيرمونيس وأخرى أسوان قرب معبد كتوفيس وفي زمن الرومان كانوا يقيسون فيضان النيل بمقياس منف ولما دخلت مصر في قبضة الاسلام بنى عمرو بن العاص ثلاثة مقياس اول في أسوان والثاني في دنتر والثالث في حلوان بأمر سيدنا عمر ترتيب الخراج وفي زمن المأمون أنشؤا مقياسين أحدهما جعل يعرف بسم حوروات والثاني بالحمم وبقى المقياس هما الى ان عمل مقياس الروضة بأمر المتوكل على الله وذكر ابن خلكان ان الذى وضع مقياس الروضة هو أحمد بن محمد الحاسب القرصاني بأمر المتوكل وبقى هذا المقياس الى يومنا هذا وفي زمن المرجوم الخديو اسماعيل باشا جدد مقياس جزيرة أسوان بعرفة المرجوم محمود باشا الفلكي وجعل طول النزاع فيه ٥٤ سنتين كما مقياس الروضة والتجار يقيون فيه على ذراع منه وغاية الزيادة ١٧ ذراعا والزيادة الحقيقية فيه ١٦ ذراعا وقياس الروضة ١٤ ذراعا

ابو الجيش خمارويه (٢٧٠ - ٢٨٢) - بويع له بعد وفاته بيه وامتنع أخوه العباس من مبايعته فقتله في السجن وبعث جيشا الى الشام تحت قيادة أبي عبد الله الواسطي وجيشا آخر تحت قيادة الايسر والاعسر وبعث مراكب حربية في البحر تقيم على السواحل الشامية وأرسل الخليفة الموفق العباسي ابنه أحمد في أربعة آلاف مقاتل ومعه اسحق بن كنداج ومحمد بن اسحق ابن أبي الساج فاستولى على قنسرين والعاصم وحارب أصحاب خمارويه فهزموهم فخرج خمارويه من مصر في ٧٠ ألف مقاتل (٢٧١ هـ) والتقى بأحمد عند نهر أبي فطرس (١) وحاربه فانهزم خمارويه واستولى على عسكره فأتى سعد الاديم وحارب أحمد فهزموه ومضى الى دمشق فلم يفتح له وكان قد طمع في البلاد الشامية واستخف بخمارويه ثم استولى على دمشق وكان خمارويه قد وصل الى مصر ولم يعلم بما فعل سعد فلما بلغه الخبر خرج ثانية الى الشام فلما كان بفلسطين عرضت له أمور اضطرت به الى الرجوع فرجع الى مصر (٢٧٢ هـ) ثم خرج ثانية الى الشام وكان سعد قد خرج عن طاعته فقاتله وهزموه ثم ظفر به فقتله واستولى على دمشق (٢٧٣ هـ) ثم سار لقتال ابن كنداج فكانت الهزيمة أولا على خمارويه فانهزم جميع أصحابه وبقي هو ثابتا في نفر قليل وشدد في قتال ابن كنداج حتى هزموه واتبعه بأصحابه حتى وصلت عساكره الى سرمن رأى بالعراق فعظم أمر خمارويه بهذه الواقعة وهابه الناس فكتب الى الموفق بالصلح فأجابه وكتب له بولايته عن الشام ومصر والثغور ثلاثين سنة فمضى بذلك وعاد الى مصر ودعا للموفق على المنابر بعد ان كان يدعو عليه وسكنت الفتن وأخذ في اصلاح شأن ممالكة وثار أبو الساج داود بن دوست أحد عمال بني الصغار فهزموه بعد حروب يطول شرحها وأسروا أسباعه وغنم (٢٧٦ هـ) وبعده سنة خرج الى الشام للنظر في أحوالها وبعده عودته الى مصر بلغه وفاة الموفق (٢٧٨ هـ) ثم موت أخيه المعتمد (٢٧٩ هـ) ومبايعته المعتضد وهو أحمد بن الموفق فبعث خمارويه اليه بهديان نفيسة وسأله ان يزوجه ابنته قطر الندى من ولده المكتفي فقال المعتضد بل أنا تزوجه فزقت اليه (٢٨١ هـ) وضربت بجهازها الامثال وبني لها والدها على رأس كل منزلة تنزل فيها من مصر الى بغداد قصر امير وشا بأخضر الرياض ووصلت بغداد في أول محرم سنة ٢٨٢ وهي السنة التي قتل فيها خمارويه لانه لما جهز ابنته الى الخليفة وسيرها خرج بعساكره الى الشام ودخل دمشق فقتل بها في ذي الحجة سنة ٢٨٢ وقيل في سبب قتله انه كان كثيرا للفساد بالعلمان حتى انه يوما ظهر منه ذلك علانية في الحمام فأنف الخدم من ذلك وكرهوه فاغتموا الفرصة وذبحوه وقيل كان بعض خدومه يهوى جارية من جواريه فتهدها خمارويه بالقتل فانفتحت مع الخادم على ذبحه وقيل قتل على فراشه وغير ذلك فحمل في صندوق الى مصر وصلى عليه ابنه جيش وكان لدخول تابوته بمصر يوم عظيم وهول جسيم استقبلته جواريه وجوارى علمانه ونساء قواده بالصياح وحمل العلمان أقيمت وسود بعضهم ثيابهم وبعضهم شقها وكان منظر ايفتت الاكباد

جيش بن خمارويه (٢٨٢ - ٢٨٣ هـ) - لما قتل خمارويه اجتمع القواد صبيحة يوم قتله وأجلسوا جيشا على كرسي سلطانه فأفاض العطاء فيهم وسبق الخدم الذين تولوا قتل خمارويه

فقتل منهم نيفا وعشرين ولماولى جيش كان صبيغا غرافعكف على لذاته وقرب الاحداث والسفلة
وتسكر لكبار الدولة وبسط فيهم القول وصرح لهم بالوعيد فبسط القوادلسنتهم فيه وشكا بعضهم
الى بعض فعزموا على القتل به وبلغه الخبر فلم يتلاف الامر ولا شاور من له اصابة رأى بل توعدهم
جهارا فلما علموا ذلك اعتزل من عسكره اكارهم وخرجوا في خاصة غلمانهم وساروا الى المعتضد
العباسي فأكرمهم أحسن اكرام وخلق عليهم ورحب بهم واستمر جيش على حاله مع بطانته وكان طغج
ابن جف مولى خجاريه من كبار الدولة وكان عاملا لهم على دمشق فخرج عليه وخلق طاعته وخرج
ابن طغان أمير الثغور أيضا وأسقط اسمه من الدعوة والخطبة على منابر أعمالهم فلما رأى بقية
غلمان أبيه هذا التغاضي والغفلة تشاور وافيا بينهم على خلعه ثم وشوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره
ونهبوا مصر وأحرقوها وبايعوا الاخيه هرون وذلك لتسعة أشهر من ولايته (٢٨٣ هـ)

هرون بن خمارويه (٢٨٣ - ٢٩٢ هـ) - بعد قتل جيش أقدو وأخاه هرون وفي
سنة ٢٨٢ هـ اختل حال هرون بن خمارويه وعصر واختلف القواد عليه وانحل نظام مملكته
فقام المعتضد يريد الاستيلاء على مصر فسار الى آمد (١) (٢٨٥ هـ) فاقتحمها بالامان وكان
صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ثم سار المعتضد الى قنسرين فسلمها وتسلم العواصم من نواب
هرون بن خمارويه ويقال ان هرون قد كان سأل المعتضد ان يتسلم هذه البلاد منه وكانت وفاة
المعتضد سنة ٢٨٩ هـ و خلفه المكتفي بالله الذي بعد ان هزم القرامطة (٢٩١ هـ) عزم
على فتح مصر فبعث سنة ٢٩٢ هـ جيشا مع قائده محمد بن سليمان فاستولى على دمشق وسار حتى
دنا من مصر فاستعدت هارون للدافعة الا ان غالب قواده غدروا به ولحقوا بعسكر الخليفة فخرج
هرون فيمن بقي معه وجرى بينه وبين محمد بن سليمان وقعات ثم وقع في عسكر هرون خصوصه أدت
الى القتال فركب هرون ليسكن الفتنة فطعنه جندي من المغاربة برمح فقتله ولما قتل قام عمه شيبان
بالامر ثم طلب الامان من محمد بن سليمان فأمنه ثم هرب شيبان تحت الليل فلم يوجده واستولى محمد بن
سليمان على مصر وأمسك بنى طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفي ما لهم وقيدهم وحلهم الى
بغداد وكتب الى المكتفي بالفتح وكان ذلك سنة ٢٥٢ هـ وهكذا انقرضت الدولة الطولونية بعد
أن غلكت نحو ٣٨ سنة

عمال الدولة العباسية (٢٩٢ - ٣٢٣ هـ) - لما عزم محمد بن سليمان على الرجوع
الى بغداد وكان المكتفي قد ولاه عليها ولى المكتفي مكانه عيسى بن محمد النوشري وقدم في منتصف
سنة ٢٩٢ هـ وفي أول متده خرج عليه أحد قواد بنى طولون ويدعى ابراهيم الخليلي وكثرت جموعه
وزحف الى مصر فخرج النوشري هاربا الى الاسكندرية ومملك الخليلي مصر وبعث المكتفي العسكر
مع فائق مولى أبيه المعتضد ويدر الجمالي وعلى مقدمتهم أحمد بن كيغغ فلقبهم الخليلي على العرش
(٢٩٣ هـ) وهزمهم ثم تراجعوا ورحلوا اليه وكانت بينهم حروب تمت بظفر عسكر بغداد ودخلوا
مصر وقبضوا على الخليلي وحبسوه وبعث الى بغداد حسب أمر الخليفة ورجع عيسى النوشري
الى مصر في نصف سنة ٢٩٣ هـ وبقى بها الى أن توفي (٢٩٧ هـ) وقام بأمره ابنه محمد وولى

(١) مدينة قديمة بين النهر بن سيمها الا تراك آنيده وقره آمد لسواد حجارها وهي مدينة ديار بكر

المقتدر على مصر بأب منصور تكيين الخزري وفي خلاها استفتحت دولة العلويين بالمغرب وجهز عبيد الله المهدي العساكر مع ابنه أبي القاسم (٥٣٠١ هـ) فلك بركة ثم سار الى مصر وملك الاسكندرية والقيوم وبلغ الخبر الى المقتدر فقلداه بأبا العباس مصر والمغرب وعمره يومئذ أربع سنين وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك ولقب الرازي ولما قلده مصر استخلف له عليها مؤنسا الخادم وبعثه في العساكر الى مصر وحارب جنود عبيد الله حتى أرجعهم الى المغرب ثم أرسل عبيد الله العساكر ثانية سنة ٥٣٠٢ هـ مع قائده حامية وأجباة الكناهي وجاء في أسطول تلك الاسكندرية وسار منها الى مصر وجاءه مؤنسا الخادم في عساكر الخليفة فقاتله وهزمه في أربع وقعات فاضطر حامية أن يعود الى المغرب فقتله المهدي وعاد مؤنسا الى بغداد وكان تكيين الخزري لم يزل واليا على مصر الى أن صرف عنها سنة ٥٣٠٣ هـ وولى مكانه ذكاء بأبا الحسن الاعور ثم صرف المقتدر ذكاء سنة ٥٣٠٧ هـ وولى مكانه بأب منصور تكيين الخزري وكان عبيد الله المهدي قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم بقصد الاسديا على بلاد مصر فلك الاسكندرية (٥٣٠٧ هـ) وسار الى مصر وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما اليه وكتب أهل مكة بطاعته فبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم بالجيش فحارب بأبا القاسم في عدة وقعات وجاء الاسطول من افرريقية الى الاسكندرية في ثمانين مركبا مددا لابي القاسم وعليه سليمان الخادم ويعقوب الكناهي فسار اليهم الاسطول من طرسوس في خمسة وعشرين مركبا وفيها النفط والمدد وعليها أبو اليمين فالتقت العساكر في الاساطيل بمرسى رشيد فظفر اسطول طرسوس باسطول افرريقية وأسر كثيرا من جنوده منهم سليمان الخادم ويعقوب الكناهي أما سليمان فهلك في محبسه بمصر وحمل يعقوب الكناهي الى بغداد ففهرب منها الى افرريقية واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنسا وكان الظفر لمؤنسا ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففنى كثير منهم بالموت فعاد الى المغرب بمن بقي من جيشه ورجع مؤنسا الى بغداد فانظرا ثم صرف تكيين عن مصر سنة ٥٣٠٩ هـ وولى المقتدر أجدبن كيغليغ وصرف من عامه وأعيد تكيين المرة الثالثة سنة ٥٣١٣ هـ وأقام واليا الى أن مات سنة ٥٣٢١ هـ وفي أيامه جدد المقتدر عهده لابنه أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشام واستخلف له مؤنسا (٥٣١٨ هـ) وولى مكان تكيين ابنه محمد وبعثه القاهر بالطلع وثار به الجند فظفر بهم ثم صرف وولى أبو بكر محمد بن طغج الملقب بالانخشيدي ثم صرف من عامه وأعيد أجدبن كيغليغ ثم صرف سنة ٥٣٢٣ هـ وأعيد محمد بن طغج الانخشيدي ثانية

استطرد هم - كان العرب في الجيل الثالث الهجري المذكور متقدمين في الاسفار البحرية وكانت سفنهم تختر الى أقصى بلاد الهند والصين وجزائرهما ومدوا تجارتهم الى معظم بلادها وصنف علماءهم عنها المؤلفات العديدة شرحوا فيها ما اكتشفوه من البلدان والاصقاع وما شاهدوا من ملاحوهم من عجائب تلك الديار والبحار وروى أبو زيد الحسن وسليمان التاجر مصنفات لسلسلة التواريخ المطبوع بباريس سنة ١٨١١ م كثيرا من أخبارهم اقطفنا بعضها لتمام النائمة ذكر أنه في سنة سبع وثلاثين ومائتين كانت أمور البحرية مستقيمة لكثرة اختلاف التجار اليها من العراق والبحرين وعمان وغيرها الى بلاد الصين يحملون منها على سفنهم الحرير والاقطان وغيرها الى

بلاد العرب وزاران وهب في أحد أسفاره ملك تلك البلاد فأطلععه على كثير من عجائبها من هادرج فيه صور الانبياء فلما راها حرك شفتيه بالصلاة عليهم فسأله الملك عنهم فقال انهم الانبياء فقال من أين عرفتهم فقال مما صور في أمرهم هذا نوح في السفينة ينجو عن معه لما أمر الله بجلد كره الماء فغمر الارض كلها عن فيها وسلمه ومن معه فضحك الملك وقال أما نوح فقد صدقت في تسميته وأما غرق الارض كلها فلان عرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض (١) اه وورد في الكتاب المذكور أيضا ان ما حدث في زماننا هذا ولم يعرفه من تقدمنا أن البحر الذي عليه بحر الصين والهندي متصل ببحر الشام ولا يقوم في أنفسهم ذلك حتى وجد في بحر الروم خشب مراكب العرب المخترعة التي قد تنكسرت بأهلها فقطعها الموج وساقته الرياح بأمواج البحر فصدفت الى بحر الخزر ثم جرى في خليج الروم ونفذ منه الى بحر الشام وأن الخشب الخزر لا يكون الا لمرأكب سيراف خاصة ومراكب الشام والروم مسمورة غير مخروزة وقال أيضا وكانت مراكب أهل سيراف اذا وصلت من بحر الهند الى جدة أقامت بها ونقل ما فيها من الامتعة التي تحمل الى مصر في مراكب القلزم اذ كان لا يتبأ لمرأكب السيرافيين سلوك ذلك البحر لصعوبته وكثرة جباله النابت فيه وأنه لا ملوك في شيء من سواحله ولا عمارة وأن المرأكب اذا سلكته احتاج في كل ليلة الى أن يطلب موضعها يستكن فيه خوفا من جباله فيسير النهار ويقوم الليل وهو بحر مظلم كرهه الروح لا خير في بطنه ولا ظهره وليس كبحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر وفي جباله الجوهر ومعادن الذهب وذكر في كتاب عجائب الهندية وبحره وجزايره وأجانبها من شهر يار الناخذاه الهرمزي المطبوع في أوروبا كثير من أخبار تلك الاسفار لخصاصها ما يأتي وهو أن أهالي سيراف والبحرين وعمان اشتهروا بأمر سلوك البحر ونبغ من بينهم جله من الرباين مثل أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر السيرافي وأبي الزهر البرختي الناخذاه والحسن بن عمر واسماعيل بن ابراهيم بن حرواس الناخذاه الذي كان من بقية نواخذة بلاد الذهب وعرف باسمه على وجهه وعهدة الريان الكرمانى ومحمد بن بابشاد وعمران الاعرج الربان الشهير وغيرهم ممن سافروا الاسفار الطويلة في بحر فارس والهند والصين والقلزم في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري وساحوا السياحات المشهورة واكتشفوا كثيرا من البلاد المجهولة وشاهدوا كثيرا من عجائب وغرائب تلك البلاد وبحارها مثل حيتان وأسماك هائلة القدر غريبة الشكل نادرة الوجود وطبورا كبيرة الحجم تشبه الوحوش الضارية اذا حطت على بلاد آخريتها وقرودا تقرب في خلقه وجوهها بنى آدم وأقبالا مستأنسة تشتري وتبيع وغير ذلك مما يطول شرحه وحصره وورد في هذا الكتاب أيضا أوصاف الزوابع والقراتين التي

(١) قد تضاربت أقوال العلماء في أمر طوفان نوح عليه السلام فذهب علماء الاديان انه حصل في سنة ٢٢٤٢ من خلقه آدم عليه السلام وأنه كان عاملا وغرق كل الدنيا كما ذكره في قصة الطوفان بالخزء الاول وأنكر ذلك الصينيون وتباينت فيه أقوال الهند والفرس والعبرانيين وذهب آخرون الى انه موضع وأنه أغرق البلاد والامم التي كان بها نوح عليه السلام فقط وأيدوا أقوالهم بروايات اعتمدوها وقال بيروز (Berose) المؤرخ الكلدي في تاريخه الذي ألفه في القرن الرابع قبل الميلاد انه حصل قبل طوفان نوح عليه السلام طوفان في عصر أوثون بن شيت وأتلف ثلث المعمورة وقال غيران اليونان يذكر ون حدوث طوفانين في بلادهم أحدهما يسمى دوكاليون (Deucalion) أغرق تساليسنة ١٦٢٠ ق م والثاني يسمى بطوفان أوجيس (Ogygès) أغرق يوسيه وأتيكه سنة ١٨٢٠ ق م وغير ذلك من الحوادث

صادفوها أثناء أسفارهم المذكورة ويسمونهم الخب وكانت اذا وقعت عليهم بطرحون قسما من جولة سفنهم الى البحر منع الغرق وكان متوسط طول سفنهم خمسين ذراعا بذراع العمل من شعر الابط الى طرف الاصبع الوسطى وكانوا يسمون مديري السفن بالربايين ورؤساءها نواخذة وهي كلمة فارسية مفردها ناختاه أى قبودان المركب ويسمون الدلاء أو القلاوزة عرافين وكانوا يسمون الهلب أو الخظاف أنجر وكان له عندهم أربعة قرون ويصنعونه من أوزان مختلفة متوسطها ٦٠٠ من والمن كفاي القاموس رطلان ويربطونه بحبال ضخمة وكان العرافون هم الذين يشيكونه في الضور المعروفة عندهم تحت الماء عند ريسان سفنهم التي كان لها أسماء مختلفة كالصندل والسنبلون والقطيرة وغيرها

(الفصل العاشر)

(الدول الاخشيدية)

٣٢٣ - ٣٥٨ هـ

أصل هذه الدولة من أولاد ملوك فرغانة كان جدتهم يدعى جف قدم بغداد في أيام المعتصم العباسي فأقطعه أقطاعا بسمر من رأى عرف به وتوفي ببغداد سنة ٢٤٧ هـ وخرج أولاده الى البلاد بتصرفون ويطلبون المعيشة فانصل أحدهم وبسمى طغج بلؤلؤ غلام أحمد بن طولون بمصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز الى احمق بن كنداج فلم يزل معه ثم أخذه خمارويه من اسحق وقتله على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه الى أن قتل خمارويه فرجع طغج الى الخليفة المكتفي فباع عليه وكان الوزير حينئذ العباس بن الحسن فطلب من طغج أن يجرى معه مجرى التذلل كغيره فكبرت نفسه عن ذلك فأغرى به المكتفي فحبسه هو وابنه محمد احمق في طغج في السجن وبقى محمد محبوسا ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يرصد العباس بن الحسن حتى أخذ بنأرأيه وأخيه عبيد الله ثم خرج هاربا الى الشام سنة ٢٩٦ هـ وأقام متغربا بالبادية سنة ثم اتصل بابي منصور تكين الخزري فكان أكبر أركانها وبقى من ضمن قواده الى سنة ٣١٦ هـ ثم فارق تكين لسبب وسار الى الرملة فولادها بالمتدرف قام فيها الى سنة ٣١٨ فكتب اليه المتدرب بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاء القاهرة بالله بولاية مصر (٣٢١ هـ) بعد موت تكين ثم صرف عنها وعاد الى دمشق وولى بعده مصر أحمد بن كينغغ كما تقدم ثم أعيد اليها محمد بن طغج الاخشيد ثانية كما تقدم وأما أمر هذه الدولة فهم على الترتيب الآتي

محمد بن طغج بن جف (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) - لما ولى مصر في المرة الثانية ضم اليه الخليفة البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وغير ذلك وقيل كان على مصر فقط كل أيام الراضى والذى ضم اليه ما ذكر من البلاد التي أخوار الراضى وأقر على شرطه بمصر سعيد بن عثمان ثم وردت عليه الخلع من الراضى فلبسها ورسم الراضى بأن يراد في ألقابه الاخشيد (٣٢٧ هـ) وثار على الاخشيد في أول أمره عيسى بن أحمد السلي أبو مالك كبير المغاربة وآخر من فبعث عليه الاخشيد صاعد ابن الكاكيم في سفنه فقاتله الثوار وقتلوه وأخذوا سفنه وركب فيها منهم على بن بدر ويحكمهم وقد موا

مدينة مصر فأرسوا بحزيرة الصناعة وركب الاخشيد في جيشه ووقف جياهمم والتيل بينهم وبينه
فكره الاخشيد ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشئ ومن وقتئذ أخذ في
تحويل الصناعة من موضعها بالحزيرة الى دار خديجة بنت الفتح (٣٢٥ هـ) بساحل مصر
القديمة وعندما ابتدأ في انشاء المراكب الحربية بها صاحبت به امر أمه فأمر بأخذها اليه فسأته
أن يبعث معها من يحمل المال فيسير معها طائفة فأنت بهم الى دار خديجة هذه ودلهم على موضع
منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم يوجد ولا عرف لها خبر وبعد ذلك أبطل
الاخشيد صناعة الحزيرة وجعل موضعها يستأنا يعرف بالمختار ثم وقع بين أصحاب أحمد بن كيغلق
فتنة أدت الى القتال فتحاربوا وانكسر أصحاب ابن كيغلق وخرجوا من مصر على أقبج وجهه واتصلوا
بالقائم بأمر الله العلوي صاحب المغرب ورضوه على أخذ مصر وهو نوا عليه أمرها وكان في نفسه
شئ من ذلك فجهز اليها الجيوش وبلغ الاخشيد ذلك فجمع العساكر ونهيا القتال وبينما هو كذلك إذ ورد
عليه كتاب بخروج محمد بن رائق ومجيئه الى مكان يسمى الشامات فعرض عساكره وجهه جيشا
في المراكب لقتال ابن رائق ثم خرج بنفسه (٣٢٨ هـ) واستطف على مضراً أخاه الحسين فوصل
الاخشيد الى الفرما وكان ابن رائق بالقرب منه فسعى بينهما الحسن بن طاهر العلوي في الصلح فاصطلحا
وعاد الاخشيد الى مصر فنقض ابن رائق الصلح فجهز الاخشيد جيوشه وخرج فالتقى بالعريش
فكانت بينهما واقعة عظيمة انكسرت فيها مئمة الاخشيد وتبث هو في القلب ثم حل بنفسه على أصحاب
ابن رائق فأسر كثيرا منهم وأمعن في قتلهم وقتل أخوه الحسين واقترب العسكران ومضى ابن رائق
نحو الشام وعاد الاخشيد الى الرملة بمخمسة مائة أسير وكان قتل أخي الاخشيد عز على محمد بن رائق
فحفظ جثته وكفنها وأنفذها مع ابنه من اجبال الى الاخشيد وكتب معه كتابا يعز به فيه ويعتذر اليه
ويحلف له انه ما أراد قتله وانه أرسل ابنه من اجبال اليه ليقتديه بالحسين ان أراد فاستعاذ الاخشيد بالله
من ذلك واستقبل من اجبال بالرحب والقبول وخلع عليه وعامله بكل جميل وردته الى والده فكان ذلك
سبب الصلح بينهما على أن يفرح ابن رائق عن الرملة ويحمل اليه الاخشيد عنهما في كل سنة
١٤٠,٠٠٠ دينار ويكون باقي الشام في يد ابن رائق وان كلاً منهما يطلق أسرى الآخر ثم ذلك
وعاد الاخشيد الى مصر (٣٢٩ هـ) وعاد ابن رائق الى دمشق وفيها ماتت الخليفة الراضي
وبويع أخوه المتقي فأقر الاخشيد على عمله بمصر فاستمر الاخشيد بمصر الى أن قتل ابن رائق في واقعة
بينه وبين بني جدان بالموصل (٣٣٠ هـ) فجهز الاخشيد جيوشه الى الشام ثم سار بنفسه في
السنة المذكورة فدخل دمشق وأصلح أمرها وعاد الى مصر (٣٣١ هـ) وأخذ البيعة على
المصريين لابنه أبي القاسم اتوجر وحصلت في سنة ٣٣٣ هـ محاربات بين سيف الدولة بن جدان
وجيوش كافور قائد عسكر الاخشيد وانهمز كافور وملك سيف الدولة حصص وحاول الاستيلاء
على دمشق وفي خلاها خرج الاخشيد الى الشام وبعده وقائع عقد اتفاقا بينه وبين سيف الدولة
عينت فيها حدود المملكتين وتأيدت بزواج سيف الدولة بابنة الاخشيد وفي هذه السنة خلع الخليفة
المتقي العباسي وبويع المستكفي وفي سنة ٣٣٤ هـ خلع المستكفي وبويع المطيع لله وأقر
الاخشيد على أعماله بمصر والشام وفي هذه السنة أيضا مرض الاخشيد بدمشق ومات ودفن في
القدس وكان رحمه الله ملكا حازما حسن التدبير عارفا بأساليب الحرب يقظا في مصالح دولته مكرما

بجنده بلغت عدة بماليكه ثمانية آلاف مملوك و عدة جيموشه ٤٠٠,٠٠٠ وكان حريصا على نفسه
يحرسه كل ليلة ألف مملوك و يضع الخدم بجوانب خيمته و ولى مكانه ابنه أبو القاسم أنوچور

أبو القاسم أنوچور محمد (٣٣٤ - ٣٤٩ هـ) - قال الذهبي في العبر أنوچور معناه
بالعربية محمود مقامه ولى وهو صغير فأقيم كافر الاخشيد الخادم الاسوداً تا بئله فكان يدبر
المللكة نيابة عن ابن سيده و لما بلغ سيف الدولة خبر موت الاخشيد لم يعمل بالمعاهدة التي بينه وبين
مصر و سار بجيموشه الى دمشق و استولى عليها فلما علم كافر بذلك سار باليخيش و معه أنوچور
و تحارب الجيشان في الرملة فانهم زعم سيف الدولة الى الرقة و أعاد كافر و دمشق الى مصر و في سنة
٣٤٥ هـ أعاد ملك النوبة على مصر العلي فبعث كافر رجيسامع القائد محمد بن عبد الله الخازن
من طريق البر و أنفذ أسطولاً في بحر النيل و آخر في البحر الأحمر فنزل على الساحل من وراء النوبة
لقطع خط رجعتهم فتضايق النوبيون و هربوا فاستولى المصر بون على حصن ابريم ثم علت سن أبي
القاسم أنوچور و رام الاستبداد بأمره و ازاله كافر فلما شعر كافر بذلك قتله فيما قيل مسموماً
(٣٤٩ هـ) بعد أن حكم ١٤ سنة و تولى مكانه أخوه أبو الحسن

أبو الحسن علي (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ) - بويغ له و كان كافر و يدبر كل أعمال المملكة
كما كان قابضاً عليها مدة أخيه أنوچور و في سنة ٣٥١ حصل بمصر قحط لعدم وفاء النيل
و تعاقب ذلك تسع سنوات و اضطربت الاسكندرية و جهات البحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها
و فسد ما بين كافر و ما بين علي بن الاخشيد فنع كافر من الاجتماع به و اعتل علي و في خلال ذلك
الاضطراب الداخلي زحف الروم تحت قيادة الامبراطور نيسوقورس فوكاس المعروف بنفقور
(Nicéphore II Phocas) (٣٥٤ هـ - ٩٦٥ م) و استولوا على مدينة حلب دون قلعها
و حاربوا سيف الدولة بن حمدان و هزموه و أسر عماراً كدمشق من قبل الاخشيديين لمساعدة ابن
حمدان بعشرة آلاف مقاتل فرجع ملك الروم و كانت وفاة علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ فاستقرت
المملكة باسم كافر و هو من موالي أبي بكر محمد بن طغج كما قلناه

كافر الاخشيد (٣٥٥ - ٣٥٧ هـ) - لما استبد كافر بالامر دون بني الاخشيد طلب
من الخليفة المطيع لله أن يقره على ما كان للاخشيديين فكتب له المطيع بعهده على مصر و الشام
و الحرمين و كناه العالي بالله فلم يقبل الكنية و أضعوا استوزراً بالفضل جعفر بن الفرات و هكذا
عادت سلطة العباسيين الى مصر من وقتئذ و صار يدعى لكافر على المنابر و كان كافر من أعظم
الملوك جواداً ممدوحاً كثيراً خشية الله و الخوف منه و كان يدارى المعز العبيدي صاحب المغرب
و يهاديه كما يهادى صاحب بغداد و صاحب اليمن و كان يجلس للظالم في كل سبت الى أن هلك و كانت
وفاته في ١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧ هـ

أبو الفوارس محمد بن علي بن الاخشيد (٣٥٧ - ٣٦٢ هـ) - لما هلك كافر اجتمع
أهل الدولة و ولوا أبو الفوارس و لم يكن له من العمر أكثر من احدى عشرة سنة فلم يقره الخليفة
العباسي في الحكم و قام بتدبير أمره الحسن بن علي بن عبد الله بن طغج و تولى قيادة العساكر شمولى
مولى جده و الاموال جعفر بن الفضل و استوزر كاتبه جابر الراعي و فوض أمر مصر اليه و حصل

انقسام في العائلة الاخشيدية وارتبكت احوال الدولة من الفتن التي كان يرى منها قرب انقراض الدولة الاخشيدية وصاروا يستجدون بالعبيديين أصحاب المغرب فكان ذلك جل منبتهم وفي سنة ٣٥٨ هـ بعث المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي الكاتب الى مصر لماعلم حالها ووجهه بمائة ألف مقاتل فسار بهم جوهر من القيروان الى مصر ما را بيرة ومالك الاسكندرية ثم الجيزة ثم جاز الى مصر وحاصرها وبها أبو الفوارس الاخشيدى وأهل دولته ثم فتحها بالقتال ولا مشقة في السنة المذكورة وقتل أبو الفوارس وكل من خاف منه وبعث بالاموال والغنائم الى القيروان وأصحابه بوفد من علمه وقضاة مصر وانقرضت بذلك دولة بنو طغج المعروفة بالاخشيدية

(الفصل الحادى عشر)

بنو عبيد المعروفين بالدولة الفاطمية

(٣٦٢ — ٥٥٦٧)

قد سبق الكلام على أصل وابتداء هذه الدولة وكيفية تأسيسها بتاريخ تونس من بلاد المغرب في الجزء الاول من هذا الكتاب ولذلك نقول انه بعد أن توطدت أركانها واول أمرها الى الخليفة معتمد أبي عيم الملقب بالمعز لدين الله بن القائم بأمر الله ثالث خلفائهما كان حكمها يعتمد على كثير من ولايات اريقية والمغرب وجزائر مالطة وسردينيا وصقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط الابيض وكانت أنظارها ترون من أول ظهورها للاستيلاء على القطر المصري مثل الدول القائمة فلهذا أرسلت عدة جيوش على مصر الا أنهم تفزعوا بمرامها كما مر بك وسبب ذلك قوة الدولة الاخشيدية الى أن أصاب هذه الدولة الضعف بتفرق كلمتها كما تقدم ولما علم المعز ذلك جرد جيشا وسيره مع القائد جوهر الصقلي من موالى أبيه فدخل مصر واستولى عليها كما تقدم بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة (٣٥٨ هـ) وخطب في جامع عمرو وباسم المعز لدين الله وأزال الشعار الاسود العباسى وألبس الخطباء الثياب البيض فبايعه الناس وبعده قليل أصبحت جميع البلاد المصرية خاضعة للدولة الفاطمية ثم أمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحى على خير العمل كإذان الشيعة فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وصبروا لحكم الله ثم شرع جوهر في بناء مدينة القاهرة ويقال انها سميت القاهرة لالقاء أسسها عند توسط المريح المعروف عند علماء الفلك باسم القاهر ودعيت القسطنطاط من وقتئذ عصر القديعة وحول الى القاهرة كرمى المملكة بعد أن كان بالقطائع ثم أمر ببناء الجامع الازهر (٣٥٩ هـ) وكان تمامه سنة ٣٦١ هـ وجعل به دار كتب عظيمة جمع فيها أشهر المؤلفات وخصص له الفقهاء والعلماء في كل علم فكانت تدرس فيه جميع العلوم النقلية والعقلية وأخذت شهرته من أيام المعز تنتشر في آفاق المشرق والمغرب وقصدته الطلاب من سائر الاقطار الاسلامية لطلب العلم وصارت بذلك القاهرة مقر للعلوم والمعارف وبنى أيضا قصرين جعلهما لاقامة المعز عند قدومه الى مصر وبنى حول المدينة سور اقيه أبواب ولم يزل بعض هذه الابواب باقيا الى الآن ثم بعث جوهر الى مولاة يخبره بعمام وفي تلك الاثناء سير جوهر جيشا مع جعفر بن فلاح الى الشام فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبد الله بن طغج وغيره من بوابى الاخشيديين فخار بهم ودخل الرملة عنوة فاستباحها ثم سار الى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز فقبل وصوله فقصده دمشق

فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للعز وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي وكان مطاعا
 فيهم فجمع الاوباش والزعار وثار بهم في الجمعة الثانية ولبس السواد وأعاد الخطبة للطبيع العباسي
 فقاتلهم جعفر بن فلاح أياما ووالى عليهم الهزائم وعانت جيوش المغاربة في أهل دمشق حتى أذعنوا
 للطاعة (٥٣٥٩) ثم قبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى المذكور أول سنة ٣٦٠ هـ
 وبعث به الى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح ثم لما وصلت المعزة هذه الاخبار اعزمت على
 المسير الى مصر وبعد أن مهد المغرب كما تقدم في الجزء الاول ارتحل عنه (٥٣٦١) وسار
 ومعه بلكين بن زيري خليفته على افرقيصة والمغرب قليلا ثم ودعه وورده الى عمله وسار هو الى
 طرابلس في عساكره وهرب بعضهم الى جبل نفوسة فاستنصوا به وسار الى برقة فقتل بها عشرة محمد بن
 هاني الاندلسي ولم يعلم قاتله ثم وصل الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ هـ وتلقاه أعيان مصر
 بها فآكرمهم ووصلهم ثم سار الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين ثم سار اليه الحسن
 ابن أحمد القرمطي في جيش كثيف وحصلت حروب هائلة بين القرامطة وجيش المعز بالقرب من عين
 شمس (المطرية) وضعف جيش المعز عن مقاومتهم فاستشار أهل الرأي من نصحاءه فقالوا ليس حيلة
 غير السعي في تفريق كلمتهم فراسل حسان بن الجراح الطائي أحد رؤسائهم ووعد بمائة ألف دينار
 ان هو خذل بين الناس فأرسل اليه الدراهم في أكياس أكثرها زيف ضرب النحاس ولبسه الذهب
 وجعله من أسفل الاكياس ووضع في أعلى الاكياس الدنانير الخالصة وركب في أثرها بجيشه
 فالتقى الجيشان ونشبت الحرب وانهمز حسان بالعرب فضعف جانب القرمطي فكسره المعز وقبض
 على جماعة منهم يبلغ عددهم ١٥٠٠ وأمر بضرب أعناقهم واقتفوا أثرهم الى بلدتهم الاحساء
 والقطيف ثم سير المعز الجيوش مع القائد ظالم بن موهوب العقيلي فاستولى على دمشق (٥٣٦٤)
 من أبي النجاشي وابنه صاحب القرمطي وكان المعز من أول دخوله مصر مهتما بتنظيم أحوالها فكثر من
 صناعة السفن الحربية فزادت قوته البحرية وحصن الثغور البحرية ثم عادت الفتنة في دمشق
 وأرسل المعز القائد ريان الخادم وكان بطرابلس الى دمشق للنظر في أحوالها وتعرفه بحقيقة
 أمرها وأمره أن يصرف القائد أبا محمود عنها ولما استعمل الأمر بدمشق عزم على قتال الثوار بنفسه
 فعاجلته منيته في ربيع آخر سنة ٣٦٥ وكان عمره لما توفي ٤١ سنة وهو أول القواطم عصر وكان
 يحب العدل والانصاف بين الرعية غير أنه كان رافضيا بسب الصحابة قال المسيحي ان المعز كان يعيل
 الى علم الفلك فآخبره جماعة من المتجمنين بأن عليه قطع أشد بداني يوم كذا من شهر كذا وأشاروا عليه
 أن يمتحن في سرداب تحت الارض فعمل سردابا واختفى فيه نحو أربعة أشهر وكان جنده المغاربة
 ظنوا أنه رفع الى السماء فكان الفارس منهم اذا نظر الى السحاب في السماء ينزل عن فرسه ويقول
 السلام عليك يا أمير المؤمنين فلم يزلوا على ذلك حتى ظهر ٥١ وكان عزل جوهر القائده عن دواوين
 مصر وجباية أموالها وعين بدله يعقوب بن كاس

العزيز بالله أبو منصور تزار (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) - لما توفي المعز ولى ابنه تزار هذا
 وتلقب بالعزير وكنى موت أبيه الى عيد النحر فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بآبائه وأقر
 يعقوب بن كاس على الوزارة وكان يهودى الاصل وأسلم وجهز القائد جوهر القتال افتكين الذي ترأس
 على الأتراك بعد سبكتكين وقصد الاستيلاء على دمشق واستجد بالقرامطة فلما قربوا رحل جوهر

الى مصر فقبعة افتكين والقرامطة وأعلم جوهر العزيز بالحالة فسار العزيز بنفسه الى الشام وحارب
افتكين والقرامطة واستظهر عليهم وقتل وأسرى منهم خلقا كثيرا وقبض أخيرا على افتكين وعفا
عنه وأنعم عليه وصحبه الى مصر وبقى بهما عظاما الى أن مات فيها (٣٧٢ هـ) وظن العزيز أن
يعقوب بن كلس دس السم لافتكين لسبب المناظرة التي كانت بينهما للتقرب من الخليفة فاعتقله
مدة ثم أخلى سبيله وفي سنة ٣٨١ هـ حضر باسيليوس الثاني ملك الروم (Basile II.) بالجيش
الى حلب ولقي أبا الفضائل بن سعد الدولة ومولاه لؤلؤا وكانا استنجدا على جيوش العزيز يرسلان
معهم واقترح حص وسيروز فتمهما ٩٩١ م وحاصر طرابلس أربعين يوما وبلغ الخبر الى العزيز
فعظم عليه واستنفر الناس للجهاد وبرز من القاهرة لغزو الروم ونزل بلبليس فاعتورته الامراض وكان
العزيز مغرما بالاكثار من الاساطيل قال المسيحي ان العزيز بن بالله من المعز هو الذي بنى دار الصناعة
التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبروا وثافة وحسنا وقال في حوادث سنة ٣٨٦
ووقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الاخر فاحرقت خمس
عشاريات وأتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ست مراكب
فارغة لاشي فيها فحمل البعريون السلاح واتهموا الروم النصراري وكانوا مقيمين بدارماتك بجوار
الصناعة التي بالمقس وجلاوا على الرومهم وجوع من العامة معهم فتهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم
مائة رجل وسبعة رجال وأخذ من بقي فخبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نستور بن خليفة
أمير المؤمنين العزيز بالله ومعه يانس الصقلي وهو يومئذ خليفة العزيز بن علي القاهرة عند مسيره
الى الشام ومعهما سعود الصقلي متولى الشرطة وأحضر الروم من الصناعة فاعتروا بانهم هم
الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز فوضعت أعناقهم كلهم وكانت وفاة العزيز بالله
في بلبليس يوم ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ بمرض القولنج المزمع والحصاد سنة ٤٢ سنة

الحاكم بأمر الله بن العزيز (٣٨٦ - ٤١١ هـ) - لما ولي الاحكام جعل برجوان
الخادم مدبر دولته كما كان لابي العزيز وأعطى أبا محمد الحسن بن عمار لقب أمين الدولة وكان
بين الموالي والكتاميين في الدولة منافسة كانت كثيرا تنفض الى القتال من ذلك أنهم اقتتلوا سنة
٣٨٧ هـ فاركب المغاربة ابن عمار والموالي برجوان وكانت بينهم حروب شديدة ثم تجاوزوا واعتزل
ابن عمار الامور وتخلي بداره عن رسومه وجراياته وتقدم برجوان بتدبير الدولة وكان كاتبه ينظر
في الظلمات ويطلع عليها وولي علي رقة يانس صاحب الشرطة مكان صندل ثم قتل برجوان
(٣٨٩ هـ) ورجع التدبير الى القائد أبي عبد الله الحسن بن جوهر وفي سنة ٣٩٠ هـ فصل
الحاكم طرابلس عن المنصور بن بلكين بن زيري صاحب افر بنية وولي عليها يانس العزيز من موالي
العزيز وكرهت الخاكم في أهل دولته وقتله إياهم وقطعه أيديهم حتى ان كثيرا منهم كانوا يهربون
من سطوته وآخرون يطلبون الامان فيكتب لهم به السجلات وكان حاله مضطربا في الجور والعدل
والاخافة والامن والتسك والبدعة وأمر بسب الصحابة وكتب سبهم على أبواب المساجد ثم منع سبهم
ومحا الكتابة ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها ومن غرائبها أنه أمر بغلق الاسواق نهارا
وفتحها ليلا فامتثلوا ومن النوادر في ذلك انه رأى يوما نجارا يشتغل بعد العصر فوقف عليه وقال له
ألم أنهنكم عن هذا فقال ياسيدي أما كان الناس يسهرون لنا كانوا يعيشون بالنهار فهذه من جملة

السهر فتبسم وتركه وأعاد الناس الى أمرهم الاول والحاصل أنه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا
يل مصر بعد فزعون أشتر منه رام أن يدعى الربوبية كما دعاها فزعون فأمر الناس اذا ذكر الخطيب
اسمه على المنبر أن يقوموا بالجلال والاحترام لاسمه وقال الشيخ شمس الدين الذهبي في تاريخه كان
جماعة من جهال العوام يسجدون له ككبار أو وه وادعى أنه يعلم الغيب فكان يقول لامرأته ووزرائه
ما كانوا يفعلونه في بيوتهم بواسطة نساء جعلهم لذلك فكان يدخلن البيوت ويظالعهن باحوالها سرا
وأقن من فطيع الاعمال أشياء كثيرة مثل سداب الحمام على النساء حتى متن فيسه وأمر بحرق
الكروم ومنع الناس من بيع العسل الاسود ومن أكل الملوخية والقرع وما أشبه ذلك قال ابن
خلدون أما ما يرحى به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلوات وغير صحيح ولا يقوله ذوعقل
ولو صدر من الخا كم بعض ذلك لقتل لوقته وأما مذهبه في الرفضة فعروف اه

وتوفي الخا كم بامر الله قبلا عند عين حلوان بمصر وكان يركب حمارا ويطوف بالليل ويخلو
بدار في جبل المقطم للعبادة يقال لاستنزال روحانية الكواكب فصعد ليلة من الليالي في سؤال سنة
٤١١ وركب على عادته ومشى معه خادمان فردتهما واحدا بعد آخر في تصاريه أمور ثم افتقد
ولم يرجع وأقاموا أياما في انتظاره ثم خرج مظفر الصقلي والقاضي وبعض الخواص الى الجبل
فوجدوا حماره مقطوع اليدين واتبعوا أثره الى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مزررة وفيها عدة ضربات
بالسكاكين فأيقنوا بقتله ويقال ان أخته هي التي عملت على قتله لأمر بعلمه الله وينسب الى الخا كم
هذا بناء بعض أما كن وتكبير بعض جوامع بالقاهرة فمن ذلك الجامع المنسوب اليه وهو الذي أسسه
أبوه العزيز خارج باب الفتوح ثم أكمله الخا كم (٤٠٣ هـ) ولما تم سنة ٤٠٤ حبس عليه
عدة قياسر وأملاك وفي أيامه توفي الامير جوهرا الشهير فاتح مصر ووجدوا له من الاموال ما لا يحصى
ولما احتفى الخا كم بامر الله قام رجل يدعى حمزة (١) بن أحمد وكان وزير الخا كم وأخذ يث
تعاليم نسبها الى الخا كم ويقال انها انتشرت بين الطائفة المعروفة بالدرور

الظاهر بن الخا كم (٤١١ - ٤٢٧ هـ) - لما تحقق قتل الخا كم اجتمعوا الى أخته
ست الملك فأحضرت علي بن دواس وأجلس علي بن الخا كم وكان صبيانا يناهز الحلم وبايع له الناس
ولقب بالظاهر لا عز الدين الله وكانت عمته ست النصر أخت الخا كم هي القائمة بأمر دولته هي
والامير سيف الدين بن رواش وفي أيامه اضطربت أحوال الديار المصرية والبلاد الشامية وفي سنة
٤١٥ هـ توفيت ست النصر أخت الخا كم وتركت من الاموال والجواهر والامتعة شيا كثيرا
ووجد لها أربعة آلاف جارية مابين بيض وسود ومولدات منهن ١٥٠٠ أبنكار وفي أيام هذا
الخليفة أذن للاقباط بأجراء موسم الغطاس وكان في هذا الموسم عملي البحر بالمراكب والزوارق
مشحونة بالجوع فاذا دخل الليل زينت المراكب بالقناديل والشموع ونزل رؤساء القبط في المراكب

(١) وكان حمزة هذا من أعيان شيعته وكثيرا ما يكتب رسائل ويتلوها في امامة الخا كم ثم في لاهوته وجعل أساس
تعليمه ان الله يتصدق الائمة السبعة الذين آخرهم الخا كم بامر الله وهو الذي يعرف بالقائم في آخر الزمان وكان حمزة
عضو بهادى المسيحيين المتقم من المشركين والمردين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحمده وزعم أهل بدفته
انه لم يمت بل اختفى متواريا في بستان داخل سرداب للمراي من فساد الناس وانه حي وسوف يأتي في آخر الزمان

وفي سنة ٤٢٢ توفي الخليفة القادر بالله العباسي وخلفه على بغداد القائم بأمر الله وتوفي الظاهر في شعبان سنة ٤٢٧ هـ فولد ابنه أبو تميم معد ولقب بالمستنصر بالله

المستنصر بأمر الله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) - لما بويع له بالخلافة بعد موت أبيه كان عمره سبع سنين فقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني ثم استوزر بعده الحسين بن علي التازوري وفي سنة ٤٤٦ هـ قطع المعز بن باديس بالمهدية خطبة العلويين ونحط بالقائم بأمر الله العباسي فجزد عليه المستنصر الجيوش فلا قامهم المعز ومعه ثلاثون ألفا فهزم ودخل القيروان مهزوما ثم استولت جيوش المستنصر على القيروان وهرب المعز إلى المهديّة لتحصن بها ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد الساسيري من مماليك بني بويه عند انقراض دولتهم واستيلاء السلجوقية عليهم وسبب ذلك أنه بينما كان مقدم الأتراك ببغداد إذ قام بينه وبين بعض رجال الدولة وحشة أدت إلى أن حدثت بينه وبين مخالفه حروب اضطرت فيها القائم بأمر الله العباسي أن يخرج من بغداد وينزل مع رئيس رؤسائه على علم الدين قريش بن بدران صاحب الموصل وقاله الرئيس بأعلم الدين أمير المؤمنين القائم يستتم زمامك وزمام رسول الله وزمام العربية على نفسه وماله وأهله وأصحابه فأعطى قريش لحضرتة زماما فتنزل القائم والرئيس إلى قريش وسار معه باتفاق منه فأرسل الساسيري يذكر قريشاً بما عاهدته عليه من المشاركة في الأمر عقب حرب الموصل سنة ٤٤٨ هـ ثم اتفقا على أن يتسلم الساسيري رئيس الرؤساء لأنه عدوه وبقى الخليفة عند قريش وحمل قريش الخليفة إلى معسكره يردته ونهبت دار الخلافة ثم سلم قريش الخليفة لابن عمه مهاوش بن المجلي أمير العرب فسار مهاوش والخليفة في هودج إلى حديثه عانة فترلا بها وسار أصحاب الخليفة إلى طغربك وكان وقتئذ ملك العراق فأتى طغربك إليهم مع جيشه وأرجع الخليفة إلى داره ثم سار لقتال الساسيري فهزمه وأصحابه وقتله (٤٥١ هـ) وبعث برأسه إلى الخليفة فصلبه ببغداد وفي سنة ٤٥١ هـ وقع الغلاء العظيم بمصر فكان يعادل الغلاء الذي وقع في زمن يوسف عليه السلام وقد أقام هذا الغلاء بمصر سبع سنين متوالية اشتد فيه الجوع فأرسل المستنصر إلى امبراطور القسطنطينية قسطنطين دو كاس الحادي عشر (Constantin XI Ducas) يطلب منه ارسال الحبوب فقبل ولكنه مات قبل ارسالها (١٠٥٩ م) ولما تولت من بعده الامبراطورة ايدوكسى ما كرىمبوليتيس (Macrembolitisse) أوقفت ارسالها حتى يعقد معها معاهدة هجومية ودفاعية فلم يقبل المستنصر وكانت أم المستنصر متغلبة على دولته وكانت تصطنع الوزراء وبولهمم وكانوا يتخذون الموالي من الأتراك للتغلب على الدولة وفي سنة ٤٥٤ هـ حصلت فتنة بين الأتراك والعميد كانت سببا في خراب الاقليم المصري وسببها أن تركيا قتل عبدا وهو سكران فاجتمعت العميد وقتلوه وبلغ ذلك الأتراك فاجتمعوا على مقاتلة العميد وتقابل الفريقان في بلدة كوم شريك وحصلت بينهما واقعة انهزم فيها العميد فشق ذلك على والده المستنصر لانها أمة ولانها كانت تساعدهم سرا وتجددت بينهما فتنة ثانية انهزم فيها العميد أيضا وفر إلى الصعيد (٤٥٩ هـ) فازدادت قوة الأتراك بمصر واستخف رئيسهم ناصر الدولة حفيد ناصر الدولة بن حمدان بالخليفة وصار هو وبقية الامراء يطلبون منه أموالا حتى نقد جميع ما في الخزينة والتزم أن يبيع ما عنده ثم

بعد ذلك سار ناصر الدولة لقتال العبيد في الصعيد لتجمهرهم فقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى القاهرة وأخذ يستبد بسلطنة مصر الى سنة ٤٦١ هـ وحضر الاترك مرة بدار المستنصر فأمرت والدته العبيد الذين بالدار أن يقتكوا بمقدى الاترك فلما هموا بذلك تمكن الاترك من الهرب الى ظاهر البلد ومعهم ناصر الدولة الذي قاتل أولياء المستنصر فهزمهم وملك الاسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منهما ومن سائر الريف للمستنصر وراسل الخليفة العباسي ببغداد وافترق الناس في القاهرة فرقا ثم ان ناصر الدولة استعطف المستنصر فعفا عنه ظاهر او دخل القاهرة وأخبر ادس المستنصر اليه من قواد الاترك من قتله وقتل أخاه نقر العرب وأنواب أسهما الى المستنصر (٤٦٥ هـ) وقتلوا أيضا جميع بني حمدان بمصر وكان الخليفة استدعى أمير الجيوش محمود بدر الجمالي وهو أرمني الاصل من صنائع الدولة بمصر فأتى من الشام بالسفائن الى دمياط ثم وصل الى قليوب وهناك أمر رؤساء الترك بالقبض على ابلد كوز فقتله وقتل الوزير ابن كرتية وبعض أمراء الاترك واستقام له الامر (٤٦٧ هـ) وبعدئذ صارت لبدر الجمالي الكلمة النافذة فقلده الخليفة المستنصر امره بالجيوش والوزارة وجند في تسكين الاضطرابات الداخلية وفي احياء ما فقد من العمران فنشر العلوم والمعارف وسهل سبيل التجارة وشيد جملة مبان نافعة وخفف الضرائب ولم يحصل في مدته ما يكدر الراحة وعاد الى الخليفة ما كان له من السلطة والاحترام وفي خلال ذلك أغار اتسر أحد الامراء التركي على سور باب أثناء غياب بدر الجمالي عنها واستولى على القدس الشريف وطبرية ودمشق ثم تقدم نحو مصر في جيش مؤلف من عشرين ألف مقاتل وعسكر بجوار القاهرة وكانت الجيوش المصرية اذذاك مشغولة باطفاء ثورة الصعيد فاضطربت أهالي القاهرة واضطر بدر الجمالي أن يصلح اتسر المذكور على مبلغ قدره ١٥٠,٠٠٠ دينار يدفعها له عند خروجه من مصر فقبل بذلك اتسر وكانت تلك حيلة من بدر الجمالي لانه تمكن من جمع الرجال وهجم بغتة على اتسر فهزمه بعد أن قتل بعسكره فتكاد يعاون خسراته وكان جميع البلاد التي فتحوها في الشام فأعيدت الى حكم المستنصر ومات اتسر في دمشق مائة سنة ثمانين في سنة ٤٨٧ هـ بعد أن حكم في مصر عشرين سنة أحسن فيها الادارة وعمرها وقوى أسوارها ونظم جيوشها ومالياتها وكان مهيبا محترما وبعد وفاته بيضعة أيام مات الخليفة المستنصر وسنه ٦٧ سنة وخمسة أشهر حكم منها ستين سنة لم يحكم مثلها قبله خليفة ولا ملك في الاسلام وكان ضعيف الرأي لقي أهوالا وشدا في مدته وان كانت مصر عادت في آخر حكمه لرونقها القديم الا أن هذا الميديم طوبى بلان الدولة الفاطمية أخذت بعده في الانحطاط وفي أيامه سنة ٤٥٣ هـ هاجم روبرج الاول النورماندي جزيرة صقلية واستولى عليها فخرجت من قبضة الفواطم كإذ كرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب وخلفه ابنه الثاني المستعلي

المستعلي بن اتسر المستنصر (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) - يقال ان المستنصر قبل وفاته كان عهد ولده نزار باخلافة وكانت بينه وبين أبي القاسم الافضل عداوة فغشي بادرته وداخل عمته في ولاية أبي القاسم على أن تكون لها كفالة الدولة فشهدت بأن المستنصر عهد له بمحض فبويع وهو ابن ست سنين ولقب المستعلي بالله وأكره أخوه الاكبر على بيعته ففر الى الاسكندرية وبيعه هناك اقتكين مولى بدر الجمالي ولقبه المصطفى لدين الله (٤٨٨ هـ) فسار الافضل بالجيوش

وحاصر الاسكندرية فسلمت على الامان وأركب تزار السفن الى القاهرة وقتل بالقصر وعاد الافضل
ومعه افتكين أسيرا وقتله فعدت السكينة وكان الحكم وقتئذ للوزير الافضل المذكور وهو شاهنشاه
ابن بدر الجالجي وعزم الافضل على استرجاع البلاد التي كانت خرجت عن الدولة الفاطمية ففتح
القدس من يد ابني أرتق بن أكسب وهما بلغازي وسقان بعد حصاره أربعين يوما (٤٩١ هـ)
وكان تنش صاحب الشامات واختلف بعده ابنا رضوان ودفاق وكان دفاق بدمشق ورضوان
يحب فخطب رضوان في أعماله للسع على بالله أياما قلائل ثم عاودا خطبة للعباسيين وبينما كانت
الاحوال في هذا الارتباك اذ قامت الحروب الصليبية وكان مبدؤها سنة ٤٩٠ هـ

الحروب الصليبية - لقد بأسف التاريخ على ذكر التعصبات الدينية العمياء التي قامت بسببها
الحروب الصليبية المذكورة التي كان من أسباب ظهورها الضعف الذي أصاب خلفاء بني العباس في
بغداد وخلفاء العميديين القواطم بمصر وهما الدولتان الاسلاميتان اللتان كانتا يتنازعا في الحكم في
المدة المذكورة فطمع الفرنج في ممالك الشام وذلك سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وأول من أثار
هذه الحروب راهب فرنسوي يدعى بطرس الناسك (Pierre l'Ermite) وكان ترهب وانفرد
عن أهله وساح متنسكا فزار بيت المقدس وأخذته الحمية والتعصب لاستخلاص تلك الاماكن من
أيدي المسلمين بدعوى أن زوار بيت المقدس من النصارى مضطهدون فلما رجع الى بلاد ايطاليا
اجتمع بالبابا أوربانوس الثاني (Urban II) وخطبه في ذلك فوافقه البابا وأمره أن يطوف
ببلاد الفرنج يدعوهم ويحرضهم لاتخاذ الاراضى المقدسة فجاء وحرك القلوب في أوروبا على حرب
الاسلام وفي خلالها كان الكسيس كومنينوس الأول (Alexis I^{er} Comnène) امبراطور
القسطنطينية يحارب الاتراك بأسيا الصغرى وكان اليأس أخذ منه كل مأخذ خصوصاً لما بلغه
أن الاتراك استخدموا بعض اليونانيين الذين أسروهم في بناء أسطول قوى فأرسل وفدا الى البابا
يسأله المساعدة على الترك فدعا البابا الملوك المسيحيين لنجدة اخوانهم في الدين وذلك بعد أن عقد
عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وألقى على مسامع من حضرها أقوالا مستهزئة بهم للبادرة
بالاستعداد وفي المجمع الاخير الذي عقد بمدينة كيرمنت من أعمال فرنسا (١٨ نوفمبر ١٠٩٥ م)
نادى أوربانوس المذكور بالحرب الصليبية الأولى فنض أحدا لاساقفة وطلب من البابا أن يكون
أول المجاهدين في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب وتبعه المجمع ورسومها جميعا على صدورهم
صورة الصليب باللون الأحمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ومن وقتها
سموا بالصليبيين وكانت الحملة الأولى الصليبية من سنة ١٠٩٧ الى ١٠٩٩ م وتجهزها
الفرنج وكان ملوكهم الحاضرون بقسطنطين وأوردويل (Baldwin-Boudouin) والقص
ريغوند وغريديو بوعوند وغيرهم من أمراء فرنسا وغيرها وطلبوا من صاحب صقلية المرومن
بلادهم فلم يتمكنهم من ذلك على ما يقال فعزموا على التوجه الى الشام عن طريق القسطنطينية ففتحهم
الامبراطور من الاجتياز ببلاد البشرط أنهم يحلقون له أنهم يسلمون له أنطاكية وغيرها من المدن
التي كانت للروم متى امتلكوها وكان يخاف من الفرنج أن يستولوا على بلادهم فلما قبلوا بشرطه
صرح لهم قال ابن خلدون ما ملخصه كان بيت المقدس قد أقطعته تاج الدولة تنش للامير سليمان
ابن ارتق التركي وقارن ذلك استفعال الفرنج واستطاعتهم على الشام وخرجهم سنة ٤٩٠ هـ

ومرتوا بالقسطنطينية وعبروا خليجها فنازلوا أولاً أنطاكية وأخذوها من يد باغيسيان من قواد
السلجوقية وخرج منها هار بافقتله بعض الارمن في طريقه وجاءه رأسه الى الفرنج بانطاكية وعظم
الخطب على عساكر الشام وساركر بونغا صاحب الموصل فتزل مرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تنش
وسليم بن ارتق وطمغتكين أنابك صاحب حص وصاحب سنجار وجعوا من كان هناك من الترك
والعرب وبادروا الى أنطاكية ثلاثه عشر يوماً من حلول الفرنج فيها وخرج الفرنج وتصافوا مع
المسلمين فانهزم المسلمون وقتل الفرنج منهم ألفاً واستولوا على معسكرهم وساروا الى معرة النعمان
وحاصروها أياماً وهربت حاميتها وقتلوا منها نحو مائة ألف وصالحهم ابن منقذ على بلدة شيزر
وحاصروا حص وصالحهم عليها جناح الدولة ثم حاصروا عكا فامتعت عليهم وأدرك عساكر الغز
من الوهن ما لا يعبر عنه فطمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر بالعساكر لاسترجاع بيت المقدس
فحاصرها ثم ملكها بالامان (٤٩٠ هـ) وأحسن الافضل الى سقمان وبلغازي وخلي سبيلهما
وولى على بيت المقدس من بثقبه ورجع الى مصر ثم سار الفرنج الى بيت المقدس وحاصروه أربعين
يوماً (٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ) ونصبوا عليه برجين ثم اقتحموه واستباحوه أسبوعاً وقتلوا من أهله
سبعين ألفاً وغنم الصليبيون غنائم كثيرة وجاء الصرنج الى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد
الهروي فكثرت البكاء والأسف وتمكن الفرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس غودفري دوبريون
(Godefroy de Bouillon) دوق دولورين وقام الدوج فيتال ميشيلي (Vital Michieli)
رئيس جهوه البنادقة بمساعدة بالاساطيل الكبيرة وكان ذلك سبباً في امتداد تجارة هذه الجمهورية
في الشرق وحصولها على امتيازات وافرة (١٠٩٨ م) ولم يبلغ خبر سقوط بيت المقدس الى
مصر جمع الافضل الجيوش والعسكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتهديد فأعدوا
الجواب ورحلوا من عين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلموا المسلمين ونهبوا
سوادهم وعادوا الى القدس واستولى تنكريد (Tancrede) من أمراء صقلية على طبرية
وتقلد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا بمساعدة أساطيل جمهورية البنادقة الذي منع عنها كل مدد
وفي خلالها مات غودفري (٤٩٣ هـ) وقام بالامر بعده أخوه بقدوين (Baudoin)
صاحب الرها وسار في ملكه الفرنج الى سروج وقيسارية فملكوهما عنوة (١١٠٠ م) وملكوا
ارسوف بالامان وفي سنة ٤٩٥ هـ سار صنجيل رعوندي الى طرابلس وبعد حصار صلحوه على مال
وخيل ثم ملك انطرسوس عنوة ثم ملك أعمال حص وبعد ذلك استفحل أمر الفرنج بالشام وفي سنة
٤٩٥ مات المستعلي أبو القاسم أحمد في منتصف صفر ويبيع ابنه أبو علي

الأمير بالحكم الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) - وفي الخلافة وعمره خمس سنين ولم يلب منهم أصغر
منه وكان الفرنج الصليبيون في نجاح لانقسام الممالك الاسلامية وقتئذ وفي سنة ٤٩١ هـ وصلت
مراكب من بلاد الفرنج تحمله خلقاً كثيراً من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على حصار
طرابلس وكان معظم تلك المراكب البنادقة أرسلها الدوج أورديلاف فاليورو (١١٠٤ م)
(Ordelafe Faliero) الذي خلف فيتال ميشيلي السابق ذكره على رئاسة جمهورية البنادقة
مساعدة للصليبيين فحاصروها برا وبحرا ولما ينسوا منها ارتحلوا الى جبيل وكانت عكا تابعة لمصر وحاصرها

يدعى زاهر الدولة الجيوشي وكان يحاصرها الكونت صنجيل (Raymond de Saint-Gilles) وطال زمن الحصار وحضر بودوان الأول (Baudoin) الذي خلف غودفرد وادوبو يولون في ملك أورشليم (١١٠٣ م) وشد الحصار عليها (١١٠٤ م) وبعد ثلاثة أسابيع دخلوها عنوة وفتكوا بمن فيها وهرب زاهر الى مصر ولما كانت سنة ٥٠٣ هـ وصل القصر رعيون بن صنجيل بجراكب عديدة من سفن البنادقة وخنوة وبيزا مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصر طرابلس مع بقدرين ملك القدس المذكور وملكوها عنوة لتأخر الاسطول المصري بالميرة ثم استولى الفرنج على بيروت أيضا ثم نازلوا صيدا برا وبحرا واسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا الى صور في أبراج الخشب المصفحة فاستأمن أهلها وكانت سفن البنادقة وخنوة وبيزا تساعد الصليبيين في تلك الوقائع حتى ان الصليبيين كافوا أهالي خنوة على مساعدتهم لهم في الحروب الصليبية الاولى المذكورة بأن تنازلوا لهم عن قطعة من الارض في ساحل فلسطين كما نالهم ثم في سنة ٥٠٤ هـ قصد بقسودون الديار المصرية فانتهى الى القرما وفيها أصيب بمرض خبات بالعريش في مكان يعرف برمال بودون (برديل) فنقله أصحابه ودفنوه بكنيسة القيامة (١١١٨ م) وجلس مكانه ابن عمه بقدرين الثاني ملكا لأورشليم وكانت الحروب قائمة بين المسلمين والصليبيين على ساق وقدم وكانت أحوال مصر في فلال واضطرابات مستمرة فلذلك لم يتمكن من المحافظة على أملاكها بسوريا واستمرت جانب المدافعة وبينما كان بقدرين الثاني يدافع عن انطاكية (٥١٠ هـ) لانقاذ جوسلين كونت الرها أسره المسلمون ولم يطلقوه الا بقضية عظيمة وبعد ذلك حاول الاستيلاء على حلب فصادف فشلا ومن حوادث مصر أن عرب لوانة أظهر وافيا الفساد (٥١٧ هـ) فجمع المأمون بن البطاحي الذي تولى الوزارة بعد قتل أمير الجيوش الافضل (٥١٥ هـ) الجنود وقتلهم وهزمهم فعادوا الى المغرب وفي سنة ٥١٩ هـ قبض الخليفة على وزيره أبي عبد الله البطاحي وصلبه هو واخوته لتردهم ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ هـ وساروا الى دمشق ونزلوا على مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها أمراء التركان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليه وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط طغركين في المعركة فظن أصحابه انه قتل فانهزموا والفرنج في اتباعهم وقد أخذوا في رجاله التركان الآن فرقة من جيش التركان كانت عادت الى معسكر الفرنج بينما كانوا يتعقبون المسلمين ونهبوه وقتلوا من به ولما عاد الفرنج وجدوا خيامهم وأنقالهم منهوبة فانهزموا وفي خلال ذلك عظم أمر الاممالية المشهورين بالباطنية وبالحشاشين (وقد تقدم ذكرهم بالجزء الاول صحيفة ٢٣٥) وملكوا باناس وفي سنة ٥٢٤ هـ سعى أمير الباطنية في قتل الأمر بأحكام الله فانفذ اليه أحد رجاله فقتله في ناني يوم من شهر ذي القعدة وكان منهم كافي اللذات والملاهي خلفه ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن القاسم بن المستنصر بالله

الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ) - وكان وزيره يدعى هزار الملوك فلم ترضه العساكر وثاروا وأقاموا أبا علي بن الافضل وزيره وثاروا هزار الملوك وعانوا في القاهرة واستبدأ أبو علي بالوزارة (٥٢٤ هـ) وقبض هذا الوزير على الخليفة وسجنه مقيدا فاستمر في سجنه الى أن قتل أبو علي (٢٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ) فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على الامراء والقواد وقد

اتخذ الخافظ هذا اليوم عيداً سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الخافظ بعده أحد وتولى الامور بنفسه الى سنة ٥٢٨ هـ حيث أقام ابنه سليمان ولي عهداً له مقام الوزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فعين مكانه ابن حيدر فحنق ابنه حسن وسار بالفتنة ولما قتل حسن قام بهرام الارمني وأخذ الوزارة وظاهره على ذلك بعض أمراء الدولة (٥٢٩ هـ) وكان مسيحياً فاشتد حذر المسلمين من المسيحيين وكثرت أذيته لهم فسار رضوان بن ونخشي وهو يومئذ متولى الغربية وجع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة (٥٣١ هـ) وأخذ في اهانة حواشي الخليفة وهم يحلعه فتوحش الخافظ منه وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد (٥٣٤ هـ) فجهز له الخافظ العساكر لتهاربه فقاتله وأخيراً قبض عليه واعتقله ولم يستوزر الخافظ أحد بعده ثم هرب من معقله (٥٤٢ هـ) وأثار قتنة آلت الى قتله وفي سنة ٥٤٣ هـ شاع خبر قدوم روبر الثاني (Roger) ملك صقلية بالاساطيل الى الاسكندرية فاضطربت الاحوال بمصر وكان هذا الملك لم يقنع بما ناله من أملاك القواطم حتى طمع في باقي ثغورهم فسار الى بلادهم قبل الا أن بجماعة بحرية مؤلفة من ٢٥٠ سفينة وأغار على بلاد افريقية واستولى على جربة (٥٣٩ هـ) واستباح سكانها واستعبد نساءها ثم وضع يده على طرابلس الغرب (٥٤١ هـ) ثم على المهدي (٥٤٣ هـ) وهي مهدية العبيديين وكان قد هجرها أهلها بسبب القحط الذي استولى عليهم وقتئذ كما بسطناه في الجزء الاول وفي خلال ذلك مات الخافظ في منتصف سنة ٥٤٤ هـ وكانت الفتنة قائمة فاقم مكانه ابنه الظاهر أبو منصور اسمعيل

الظاهر أو الظاهر بأمر الله (٥٤٤ - ٥٤٩) - وكان هذا الخليفة كثير اللهو واللعب منه كما في اللذات يعميل الى سماع الاعاني والتفرد بالجوارى وكانت في أيامه حملة الصليبيين الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩ م) وسيبها الخوف الذي اعترى أهل أوروبا من فتوحات زنكي ونور الدين قال ابن الاثير ما لم يخلصه لما استولى المسلمون على الرها أخذ ظل الفرنج في التقلص من المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد الفرنج يستجدونهم على المسلمين ويتخوفونهم استيلاهم على أنطاكية واستردادهم بيت المقدس فتألبت أمم الفرنج من كل ناحية وسافروا سنة ٥٣٠ ملك الفرنج لويس السابع (Louis VII) ومعه ملك الالمان كونراد الثالث (Conrad III) (١١٤٢ م) في جوع عظيمة فاصدين بلاد الاسلام فجمعوا بالقسطنطينية أولاً ثم سافروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس امبراطور القسطنطينية مانويل الاول كومنينوس (Manuel I^{er} Comnène) ولما وصلوا الى الشام اجتمع عليهم عساكر بقدون ممثلين أمرهم فساروا جميعاً بسرعة الى دمشق فحاصروها ودافع عنها عامها معين الدولة ولما اشتد الامر بالميدان الاخضر بعث معين الدولة الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعو الى نصرة المسلمين فجمع عساكره وسار الى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حصص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكان الشام والواردين مع ملك الالمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل ان لم يرحلوا وما زال يضرب بينهم وجعل لهم حصن بنايس طعمة فاجتمعوا الى الملك الالمان خوفاً من صاحب الموصل وقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده بطريق البحر (١١٤٩ م)

وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عساكره وسار إلى بلاد جوسلين الثاني الفرنجي (١) وهي شمال حلب وسار جوسلين فارس الفرنج في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهمز المسلمون وقتل منهم وأسرجع كثير ولكن بالحيلة التي عملها نور الدين ظفر التتر كان بجوسلين وجملوه إليه أسيرا ثم سار نور الدين إلى قلاع جوسلين فلكها وهي عين ناب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك وفي سنة ٥٤٨ هـ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد خلفاء مصر واستطروا على دمشق ووضعوا عليها الجزية وكان صاحبها مجير الدين وبينما كانت الحروب الصليبية قائمة بالشام نزلت مراكب صقلية على السواحل المصرية ونهبت وأحرقت تنيس (٥٤٨ هـ) وفي سنة ٥٤٩ هـ مات الظافر قتيلا وسبب قتله أن وزيره العباس شق عليه اشتغال الخليفة بالشهوات واعراضه عن الملك فاعزى إلى ابنه نصر وكان صديق الظافر وكان الظافر يهواه لفرط جماله وأدبه فقتله تخلصا مما كابدته به الناس وكما الخبر ثم لما أشيع أنهم العباس أخوى الظافر وهما جبريل ويوسف بانهم ماقتلا الخليفة فقتلهما لذلك ومن آثار الظافر الجامع الظافري داخل باب زويلة وخلقه الفائز أبو القاسم عيسى

الفائز بخراسان (٥٤٩ - ٥٥٦ هـ) - هو ابن الظافر أقامه في الخلافة الوزير عباس المذكور وكان عمره خمس سنين ولما اطلع أهل القصر على حقيقة قتل الظافر أخذوا يعملون الحيلة لقتل عباس وابنه فكانتوا الصالح طلائع بن رزيق وكان عامل الأشمونين فجمع طلائع الجوع وتقدم نحو القاهرة وقرع عباس واستولى طلائع على الوزارة واستحضر الخادم الذي كان مع الظافر وسأله عن الموقع الذي دفن فيه سيده فدلهم عليه فاخرج الظافر وحمل مع ولديه المقتولين وانتشر البكاء والنوح في الطرقات إلى أن واروهم التراب وقام طلائع بتدبير أحوال الدولة وكاتب أخت الظافر الفرنج في عسقلان بشأن عباس وشرطت لهم مالا ان قبضوا عليه فأسروا الجنود فتلاقت معه في الطريق فقتل عباس وقبض على ولده نصر وأرسل في قنص من الحديد إلى مصر مع من قبض المال وأخذ نصر وضرب ومثل به ثم صلبوه على باب زويلة (٥٥١ هـ) ومات الفائز سنة ٥٥٦ هـ وكانت دولة الفوطم قد ضعفت في أيامه وانحطت قوتها البرية والبحرية ففي أوائل خلافته نزل على دمياط نحو ستين مركا في جمادى الآخرة سنة ٥٥٠ هـ بعث بهار وجير صاحب صقلية فعاثوا وقتلوا ووزلوا على تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثر وافيا الفساد ولما مات الفائز دخل الوزير الملك الصالح طلائع القصر وسأل عن يصلح للخلافة فاحضر واله رجلا كبيرا فقال له بعض أصحابه سرا لا يكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فاعاد الصالح الرجل إلى موضعه وأمر باحضار العاضد بن الله أبي محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ وليكن أبوه خليفة فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسع عدله

(١) جوسلين هذا هو ابن جوسلين الأول المعروف به وكونتني (de Courtenay) أمير فرنسا ورافق بلدوين الثاني إلى فلسطين وجعله بلدوين أميراً على طبرية سنة ١١١٥ م ثم خلف بلدوين في أميرية الرهاسنة ١١١٨ م ولما مات وخلقه ابنه المذكور على الرها حاربه جيوش نور الدين وأسره في وقعة حلب ومات بها (١١٤٩ م) ولما قام ابنه جوسلين الثالث من بعده أسر أيضاً سنة ١١٦٥ م وقد أدهم بلدوين الرابع سنة ١١٧٥

العاقد لدين الله (٥٥٦ - ٥٦٧ هـ) - بويغ له بالخلافة وعمره لا يتجاوز الاحدى عشرة سنة واستبد الصالح بالامور وازدادت مكنته من الدولة فثقل ذلك على أهل القصر لانه ضيق عليهم فدمت عليه ٤٤ العاضد من وقف له يباب القصر عند دخوله فطعنه بخنجر الا أنه لم يمت وحل الى بيته وأرسل يعقب على العاضد فارس العاضد الى الوزير يحلف له انه لا يرضى بذلك ولا علم له به وأمسك العاضد عتقه وأرسلها الى طلائع فقتلها ثم مات بعدها (٥٥٦ هـ) وكان طلائع بن رزيك أرمنيا نجبا جوادا فاضلا عاقلا سياسيا وولى العاضد بعده ابنه رزيك بن طلائع ولقب العادل وحسنت سيرته في الناس فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص وكان يتخدم أباه الصالح طلائع فولاه الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب في مصر بعد الوزارة فلم يقبل شاور العزل وغت بينهما العداوة فسار شاور بجموعه نحو العادل الى القاهرة فهرب العادل وتعبه شاور وأمسكه وقتله وانقضت عتقه دولة بنى رزيك واستقر شاور في الوزارة وتلقب بامير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وودائعهم ثم ان ضرغاما أحد الوزراء جمع جمعا ونازع شاور في الوزارة وقوى على شاور فانهزم شاور الى الشام مستجدا بنور الدين فوعده نور الدين بالمساعدة ولم يتمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين (٥٥٨ هـ) لتخوله البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب واختلت الاحوال وقدم الصليبيون فدعاهم ضرغام لمساعدته على خصمه ونازلوا بلبليس مدة ودافعهم المسلمون حتى عادوا الى بلاد الساحل وفي خلال ذلك قدمت جيوش نور الدين وعليها أسد الدين شيركوه أحد قواده وسار في صحبتهم ووصل أسد الدين والعساكر الى مدينة بلبليس فخرج عليهم أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم ثم تقدم أسد الدين حتى نزل على القاهرة وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع العاضد على شاور وأعادته الى الوزارة وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور ولم يقم له عا كان تعهده بنور الدين وأرسل الى امورى الاول (Amaury I^{er}) ملك الفرنج الذى خلف أباه بودوين الثالث (١١٦٥ م) في بيت المقدس بسمته فسارع الى تلبية دعوته ونصرته فلما قرب الفرنج من مصر فارقه أسد الدين وقصد مدينة بلبليس وجعلها ظهرا يتحصن به وحاصره بالعساكر المصرية والفرنج ثلاثة أشهر وهو بغاديسم القتال ويراوهم فلم يبلغوا منه غرضا فراسله الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام (٥٥٩ هـ) ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة ثم في سنة ٥٦٠ هـ عاد أسد الدين شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فخرج شاور من القاهرة للاقائه واستدعى أمورى لتجديده بجموع الفرنج وكانت له معه واقعة البابين الشهيرة ثم انهزم شاور الى القاهرة وسار شيركوه بعد الواقعة الاخيرة من الاشمنين الى الاسكندرية فخرج اليه أهلها وفيهم نجم الدين محمد بن وصال والى الثغر وقاضيه الاشرف بن الجنباب وغيرهم وسلموه المدينة ثم سار منها يريد الاسكندرية على بلاد الصعيد واستخف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الاسكندرية في ألف فارس ثم حضر شاور ومعه أمورى ملك الفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة أشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية وعود الى الشام فسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال وسار شيركوه الى الشام واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على أن يكون للفرنج بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار ثم تمكن الفرنج

من البلاد المصرية وتحكوا على المسلمين بها وأخشوا في المظالم وملكوا بليس قهرا ثم ساروا من بليس وزلوا على القاهرة (٥٦٤ هـ) وحاصروها فاحرقوا ودمروا مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج فتركها الناس بما خف من المناع وبقيت النار بها أياما وأمر بحرق مراكب الاسطول المصري فحرقوا ونهبوا العبيد فيما نهبوا وكان ذلك آخر العهد بأساطيل القواطم بالديار المصرية ولما تفاقمت الخطوب واشتد الكرب على أهل مصر أرسل العاضد الى نور الدين يستغيث به وأرسل في الكتب شعور النساء وصالح شاورا الفرنج على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف منها وسألهم أن يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا وكان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام جهز العساكر مع أسد الدين شيركوه وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب على كره منه وكان في هذا السفر سعاده وملكه ولما قارب شيركوه مصر رحل الفرنج عنها الى الشام خوفا منه ودخل أسد الدين شيركوه مصر واجتمع بالعاقد وخلع العاضد عليه وعاد الى معسكره بالخلة ثم أخذ شاورا في عمل الخيلة للإيقاع بين نور الدين وخوفا منه الكامل من عاقبة الامر فلم يقبل ولما استشعر رؤساء عسكر نور الدين بما عزم عليه شاورا أخذوا حذرهم وعزموا على الفتك بشاورا واتفق أن شاورا قصد معسكر شيركوه على عادته فقبض عليه الامراء وقتلوه (٥٦٤ هـ) وسمع العاضد الخبر ففرح وطلب من شيركوه انفاذ رأس شاورا اليه حتى يراه فأرسلها ودخل شيركوه بعد ثلثا القصر وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش وكتب له منشورا بالانشاء الفاضلي ^(١) ولما قتل شاورا دخل ابنه الكامل القصر فكان آخر العهد به ولكن لم تطل مدة وزارة شيركوه حيث عاجلته الوفاة بعد شهرين ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب ولقبه بالملك الناصر ولما تولى الوزارة أبت جيوش نور الدين اطاعته لصغر سنه فأخذهم باللين حتى استجلبهم لولائه فعظم نفوذه وتمكن من أمور الدولة بأجمعها وأحسن تدبير أحكامها بما كان له من السياسة والكياسة ففسده جوهر الخصى مؤتمن الخلافة وحدائنه نفسه بخلع صلاح الدين واتفق مع الامراء على الاستنجاد بالصليبيين وكتبوا لهم الكتب ولكن ضبطها أحد أصحاب صلاح الدين مع رجل بالبر البيضاء قريبا من بليس وتبع صلاح الدين أصحاب الدسائس والثورات فنكل بهم ومقتل جوهر الخصى المذكور (٥٦٤ هـ) وثار الجند المصرية بدسيسة من العاضد وحل شمس الدولة نحر الدين طوران شاه على الطوائف السودانية فبسد دشمهم في واقعة عظيمة حصلت بين القصرين قال بعض المؤرخين ان من غرائب الاتفاقي أن الذي فتح مصر للدولة الفاطمية يدعى جوهر والذي كان سببا في زوالها يدعى جوهر اثم أخذ صلاح الدين يرتب عمال

(١) بعد البسملة من عبادته ووليه أبي محمد الامام العاضد الدين انه أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الائمة بجير الائمة أسد الدين أبي الحرث شيركوه العاضد يعضد الله به الدين وأتمع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدره وأعلى كلمته سلام عليك فان محمد الملك الذي لا اله الا هو ونسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليما ثم ذكر تفويض أمور الخلافة اليه ووصايا أضر بنا عنها للاختصار وكتب العاضد بخطه على طرف المشور هذا عهد له بهد لوزير بنسند فقلد أمانة ترك أمير المؤمنين أهل الخلة فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة وامح بديل الخنجر بأن امرت خد منك الى نوة النبوة (الجزء الثالث لابي القداء)

الدولة فعين أخاه توران شاه على ولاية الصعيد وأقام على القصر بهاء الدين قره قوش الاسدي وكان
 خصياً أبيض فصار لا يجري في القصر صغيرة ولا كبيرة الا بأمر صلاح الدين وفي سنة ٥٦٥ هـ سارت
 الفرنج الى دمياط على ألف ومائتي مركب وحصروها وشحنها بصلاح الدين بالرجال والسيلاح
 والذخائر ولما امتد الحصار كتب صلاح الدين الى نور الدين يعلمه بالامر فخرج نور الدين وأغار على
 بلاد الفرنج بالساحل فدخلوا عن دمياط فاصابوا كصين على أعقابهم واهتم صلاح الدين من ذلك الوقت
 بتجهيز الاساطيل ولما تمت سار بهاسنة ٥٦٦ هـ فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى
 مصر وفي سنة ٥٦٧ هـ قطع خطبة العاضد لدين الله آخر خلفاء العلويين بأمر نور الدين وأقام
 الخطبة العباسية وثقل مرض العاضد ومات يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ وعمره ٢١ سنة
 وبالحال الله بموته دعوة العلويين وذهب بدولتهم فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر عام لانور الدين
 وكان وقتئذ نور الدين يركب الاساطيل المصرية ويطوف البحر المتوسط على سواحل الشام لينجع
 مرور القرنج الوافدين الى أرض الشام وللقبض على ما يرد الى الصليبيين من المؤن والذخائر فاستنجد
 الصليبيون بملوك أوروبا فاقبل نجدهم غير أن امبراطور القسطنطينية ما فويل كومنينوس
 أرسل أسطولاً مؤلفاً من ١٥٠ سفينة مشحونة بالذخائر والمؤن والرجال وبعد عدة وقائع مع المسلمين
 عاد مقهوراً

(الفصل الثاني عشر)

(الدولة الايوبية)

٥٦٧ - ٦٤٨ هـ

قال ابن الاثير ما لم يخلصه ان شيركوه وأيوب هما بناتشاذي من بلدوين أصلهما من الاكراد
 الروادية قصدا العراق وخدم مابهر ووز شحنة السلجوقية ببيغداد وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله
 بهر ووز مستحفظ القلعة تكريت ولما قهرت عسكر الخليفة عماد الدين زنكي ومصر على تكريت
 خدمه أيوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فأخرجهما بهر ووز من تكريت فلحقا بخدمة
 عماد الدين زنكي فأحسن اليهما وأقطعهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكي قلعة بعلبك
 جعل أيوب مستحفظا عليها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلمها أيوب اليهم على اقطاع
 كبير شرطه له وبقى أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق وبقى شيركوه مع نور الدين محمود بعد قتل أبيه
 زنكي وأقطع نور الدين حصص والرحبة لسا رأى من شجاعته وزاده عليه ما وجعله مقدم عسكره ولما
 أراد نور الدين امتلاك دمشق أمر شيركوه فكتب أخاه أيوب ليداع نور الدين على قصده وأقام مع
 نور الدين الى أن أرسل شيركوه الى مصر ٥١

صلاح الدين يوسف (٥٦٧ - ٥٨٩ هـ) - لما استقر صلاح الدين عام لانور الدين
 على مصر أحضر أباه وأخوته وأهله فقدموا عليه من الشام وأقطعهم الاقطاعات العظيمة وفي سنة
 ٥٦٧ هـ جرى بين نور الدين وصلاح الدين وحشة في الباطن لان صلاح الدين كان يميل الى الاستقلال
 ولذلك أخذ في اعداد القوت ولما أحسن نور الدين بذلك كتب اليه يستقدمه مع فرقة من رجاله

مظهره الاستجداد به في حرب مع الصليبيين عند الكرك وكان في الحقيقة يقصد باعداه عن مصر
ليأمن غائلته فأدرك صلاح الدين ذلك ولكنه رأى اجابة طلبه وخرج من مصر حتى وصل الكرك
ولما لم يجد فيها أحداً كرراً جعل الى مصر وكتب لنور الدين يعتذره بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين
بمصر أنهم معتزمون على الوثوب فلا يقبل نور الدين عذره في ذلك واعتزم على عزله من مصر فاستشار
صلاح الدين أباه نجم الدين وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة ذا حزم ورأى فأشار عليه بملاطفة نور الدين
ومراعاته ففعل وأظهر الطاعة وكان ملكاً نور الدين محمود استغفل وهابه الاعداء فدخل بلاد الفرج
وعاش فيها ودمر ما مر به من القلاع والحصون وبينما كان يستعد لتزع مصر من يد صلاح الدين
أدركته منيته سنة ٥٦٩ هـ وكان أسمر طويلاً القامة ليس له لحية شجاعاً باسلاً حسن السيرة عادلاً
ولما توفي قام ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وعمره إحدى عشرة سنة وحلف له العساكر
بالطاعة في دمشق وأطاعه أيضاً صلاح الدين بمصر وفي سنة ٥٦٨ هـ قصد السودان امتلاك
مصر وهاجوا الصعيد وحصلت جملة حروب وأخيراً أنقذ صلاح الدين أخاه شمس الدولة في جيش
كثيف وأصبحه بعدة مرات كعب تحمل المون والنخار فدخلت هذه الجنود بلاد النوبة وفتقوا ابريم
ودوخوا السودان وعادوا وفي سنة ٥٧٠ هـ أي بعد وفاة نور الدين سار ابن أخيه سيف الدين
غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيرية واجتمع الفرج وجمعهم على مال يعثونه
البيهم فتقررت الهدنة وبلغ صلاح الدين ذلك فأنكره واستعظمه وكتب الى الصالح بيقع من تكب أهل
دمشق ويعدهم بغزوة الفرج وفي هذه السنة مات اماليك (Amalric) ملك الفرج صاحب
القدس قال ابن خلدون فبعقبه في الملك ابنه بلدوين الرابع وكان مجذوماً ولم أر أي أهل دمشق أن
العدو قد استغفل وأن ولد نور الدين طفل لا ينهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطاروا اليهم فخرج
اليه أهل الدولة بمقتهم وسلبوا اليه المدينة فاستحلف عليها أخاه سيف الاسلام طغر بكين بن أيوب
ثم سار الى محاربه سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى منه على حصن وجماعة ثم زحف الى
حلب وأقام محاصر الهما وبه الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه
عن حلب وأرسل كشتكين الى سنان مقدم الاسماعيليه أموالاً عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فأرسل
سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرج
على حصن فاسترجعها وملك بعلياً ثم سار الى ملاقات سيف الدين فصدق عليه الجملة فأنهزم سيف
الدين وغنم سواده ومخلفه واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وقطع صلاح الدين حينئذ الخطبة
للملك الصالح وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة ورحل عن حلب (٥٧٢ هـ) ثم سار
الى بلاد الاسماعيليه فنهبه وخر به وأحرقه ثم أتت مسيرته الى مصر فأمر ببناء السور الدائر على مصر
والقاهرة والقلة التي على جبل المقطم ٥١ (١) وقد ذكر العالم الفاضل المرحوم علي مبارك باشا

(١) شيد القلعة على قطعة من جبل المقطم تشرف على مدينة القاهرة وأطرافها وكان في ذلك المكان قد عاقبه عرفت
بقبة الهواء نبت في ولاية حاتم بن هرثمة على مصر وبها مات أمير مصر عيسى بن منصور بعد عزله سنة ٥٢٣ هـ ولما
قدم المأمون الى مصر جلس بقبة الهواء المذكورة ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان
كثيراً ما يقيم بها واعتنى نوبها من بعدهم ثم خربت من بعدهم وتحول موضعها الى مقبرة وبعض مساجد ولما شيد صلاح

في الخطط الجديدة أن صلاح الدين بنى قلعة الجبل لتكون له معقلا وحصنا يعتمده من أعدائه فإنه كان يحذر من شيعة الفاطميين فاختر لها المحل الذي بنيت فيه وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قره قوش الاسدي وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الأهرام الصغار التي كانت بالجيزة وكانت كثيرة العدد ونقل أبحارها وبني منها السور وقناطر الجيزة لسهولة نقل الأبحار اه
وفي سنة ٥٧٣ هـ سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان فأكسح أعمالها ولم يزل يفرق بين خيبر فاساح في البلاد وانقلب الى الرملة فغارعه الاال فرنج مقبلين في جموعهم وحصل بين الطرفين واقعتان قتلت فيهما خلق من الجانبين وعت الهزيمة على المسلمين ومضى السلطان منزها الى مصر على البرية في قل قليل وأسر الفرنج كثيران من العسكر (١١٦٩ م) ثم طمع الفرنج بسبب بعد السلطان بصر وهزيمته وحاصروا بلاد حماة مدة الى أن صانعهم المسلمون بالممال فرحلوا عنها وفي سنة ٥٧٦ هـ توفى سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة وولاه من العمر ثلاثون سنة وكان مشهورا بالعدل والعقل ثم توفى بعده الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب فسار صلاح الدين من مصر واستخلف فيها ابن أخيه ولما وصل الى الشام اجتمع الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فهزمهم ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرقّة وماردين ونصيبين وحاصر الموصل وأقام عليها منجنيقا ثم تركها واحتل مدينة حلب وأقطعها أخاه الملك العادل ثم سار الى الكرك وضيق مخنقها ولم يتمكن من فتحها الكثرة جموع الفرنج فيها فسار الى نابلس وأحرقها ونهب وقتل وأسروسي ثم عاد الى دمشق ثم حاصر الموصل وأخيرا استقر الصلح بينه وبين صاحبها على شروط ثم مرض بجزان مرضا شديدا حتى قطعوا الأمل من شفائه ثم عوفي وعاد الى دمشق وفي سنة ٥٧٨ هـ أنشأ البرنس ارناط (Irnat) صاحب الكرك وتسميه الفرنج رينو وارنلد وشاتيليون (Chatillon Renaud ou Arnold) أسطولا في بحر أبله وسير فيه فرقتين فرقة أقامت على حصن أبله تحاصره وسارت الاخرى نحو عيذاب يفسدون في السواحل ويقتلون المسلمين في تلك النواحي ولم يعهد المسلمون بهذا البحر فربحوا وكان بصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فأنشأ أسطولا في بحر عيذاب وأرسله مع الحاجب حسام الدين لؤلؤ وكان يتولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا فاسار لؤلؤ لمجد في طلبهم وأوقع بالذين يحاصرون أبله قتلا وأسرا ثم سار في طلب الفرقة الثانية فبلغ رابع فادركهم بساحل الخوراء وقتلوا أشد قتال فاطفروا الله بهم وقتل أكثرهم وفي سنة ٥٧٩ هـ نازل السلطان الكرك بعد أن حصن آمد وعبر نهر الاردن وأغار على بيسان وحرقها وأصاب بلدوين الرابع برص في هذه السنة (١١٨٣ م) فأقام ابن أخته سيبيلان زوجها الاول وهو الكونت وليم دومونفرات ملكا مكانه باسم بلدوين الخامس وتوفي بلدوين الرابع وكان أرسل من قبله رسلا الى ملوك أوروبا يستنجدهم على صلاح الدين ومات بلدوين الخامس بعد سبعة أشهر من جلوسه ويقال إن أمه دست اليه سما لكي يكون الملك زوجها الثاني المسمى لوسينيان فأنفأ رناط وغضب وجاهر بالشقاق والانضمام

الدين القلعة بنى في مكان القبة المحكي عنها قصره ولما أراد المرحوم محمد علي باشا بناء مسجد الفاخرا الذي بالقلعة أزال بقية قصر صلاح الدين وشيد المسجد المذكور مكانه

الى صلاح الدين وراسلده فعلا فصار صلاح الدين بفرقة من عسكره الى العسكر وحاصرها
 (٥٨٠ هـ - ١١٨٥ م) وأمر ابنه الافضل بارسال بعث الى عكا ليكنسحوا فواحيا فصحبوا
 صفورية وبها جماعة من الفداوية والاستتارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله
 النصر فيها للمسلمين فانهم زحف الفريخ وقتل مقدمهم ثم صار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر
 مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وكانت طبرية القومص أرناط وكان قد هادن السلطان ودخل
 في طاعته فارسل الفريخ الى القومص المذكور القسوس والبطريرك يهنونه عن موافقته السلطان
 ويوبخونه على فعله وما زالوا به حتى سار معهم واجتمع الصليبيون المتيق السلطان وحصلت بعدئذ
 واقعة على سطح جبل طبرية قريب تل يقال له تل حطين كانت من أشهر الوقائع في التاريخ انتصر فيها
 صلاح الدين انتصارا باهرا طارت بذكره الاخبار وأسر وملك القدس والبرنس أرناط ومقدم الفداوية
 ثم استحضر صلاح الدين الاسرى وقتل أرناط بيده حرصا على الوفاء بنبذره وقتل أسرى الفداوية
 والاستتارية أجمعين لشدة أذاهم للمسلمين ثم استحضر الملك وأمنه وطيب قلبه ولما فرغ صلاح الدين
 نهض وفتح طبرية ثم سار الى عكا فنازلها ودخلها عنوة (٥٨٣ هـ) وأقطعها لابنه الافضل ثم فتح
 يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا وبعد ما فتح عسقلان وماجاورها ثم بعث السرايا ففتحوا
 الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والبطرون وكل ما كان للفداوية وكان أرسل وهو
 على حصار عسقلان يطلب حضور أسطول مصر فجاه به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأغار به على
 عدة نواحى ولما فتح صلاح الدين الفتوحات المذكورة سار الى بيت المقدس (رجب سنة
 ٥٨٣ هـ - ١١٨٨ م) ونزل عليه من الجانب الغربى وكان مشحونا بالمقاتلة والخيالة والرجال
 ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالى ونصب عليه الجناح وضايقه بالزحف والقتال وكثرة
 الرماة وأخذ ينقب في السور مما يلي وادى جهنم فلما رأى العدو وما نزل به وظهرت له أمارات نصره
 السلطان طلب الامان فأبى السلطان في أول الامر وقال لأفعل بكم الا كما فعلتم بالمسلمين حين
 ملكتموه سنة ٤٨٠ هـ من القتل والسبي فقال له بليان قائد الصليبيين أن ذلك يضطرننا الى أن
 نقفل أولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغمون ولا تسبون ونحرق الصخرة والمسجد
 الاقصى ثم يقتل من عندنا من أسارى المسلمين الى غير ذلك من الاقوال فاستشار السلطان كبار قومه
 فأشار واعليه بقبول طلبهم وسلمت اليه المدينة في ٢٧ رجب على شروط الصلح التي منها أن يؤدى
 الفريخ عن كل رجل عشرين دينار فدية وربع هذه القيمة على كل امرأه وعن كل ذكر صغير أو أنثى
 دينار واحد فلما جمعت الاموال قسمها السلطان على جنده حسب القواعد المتبعة في ذلك وبعد
 هذا الفتح المبين خلف السلطان أخاه الملك العادل في بيت المقدس بقرقوا عدها وسار هو لفتح صور
 فجاه عكا ونظر في اصلاحها ثم قصد صور وكان الفريخ احتشدوا اليها بمجموعهم فاحضر السلطان
 الات الحرب ونزل عليها وقاتلها برا واستقدم أسطول مصر ليقاها لهاجرا ثم أرسل من حاصرهونين
 فسلمت أما صليبيوا صور فاسلخوا أسطولهم للملاقاة أسطول مصر فحصل بين الاسطولين حرب أسر
 الفريخ فيها خمس سفن وكان الشتاء قد أقبل فرحل السلطان عن صور الى عكا وبقيت الهدنة الى
 أن دخلت سنة ٥٨٤ هـ وكان الصليبيون لما اشتد الخطب عليهم بفتح القدس بعثوا الى بلادهم
 بجبريت المقدس واستنصار الفريخ لها فقام ملك الفرنسيس فيليب اغوست (Philippe II)

وملك انكتره ريكارد الاول الملقب بقلب الاسد (Richard Coeur de Lion) وملك
الالمان فردريك الاول بارباروس (Frédéric I^{er} Barberousse) بحملتهم الصليبية
الثالثة (١١٨٩ - ١١٩٢ م) وجعوا عساكرهم فسار كل من فيليب ملك فرنسا على
مراكب جنوه من عاصمتها وملك انكتره باسطوله المركب من ١٥٠ سفينة شرعية بين
حرية ونقالة وقصد ملك المانيا القسطنطينية فخاف الحق المحلوس (Ishac-Angelus)
امبراطور الروم من ازعاج مملكته من جيوش الصليبيين فنع الاقوات عن عساكر فردريك الاول
ولكنه عجز عن منعه من عبور البوسفور وكان امبراطور القسطنطينية عاهد صلاح الدين قبل ذلك
على معرقة مساعي الصليبيين فكتب الى السلطان يعلمه ^(١) ثم لما عبر ملك الالمان خليج
القسطنطينية من بعلكة قليج أرسلان السلجوقي وتبعهم التركان بقا تلونهم وكان الفصل شتاء
فهلك أكثرهم من البرد والجوع ولما وصلوا الى طرسوس وأرادوا عبور نهرها عرض لملكهم فردريك
بارباروس أن يسبح فيه فهلك غرقا فلما غرق الجنود بعده ابنه هنرى السادس (١١٩٠ م) وكان يرافقه
وأتموا المسير الى الشام فبلغوا طرابلس وقد أفناهم الموت قال ابن خلدون فركبوا البحر الى عكا
(أى بعد أن تركوا طرسوس) ثم رأوا ما هم فيه من الوهن واختلاف فركبوا البحر الى بلدهم وغرقت
بهم المراكب ولم ينج منهم أحد ٥٨

ومات ابن ملك الالمان في عكا وحن الفرنج عليه حزنا عظيما وفي تلك الاثناء أرسل زيانى
(Ziani) دوج ^(٢) البنادقة أسطولا بقصد الاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة المذكورة طمعاً في
المكاسب التجارية التي كانت أهالي بلاده تهتم بها كثيراً فاشترك الاسطول المذكور في حرب عكا
وغرق معظمه عند عودته بالجيوش الالمانية ثم وصل ملك الفرنسيس بحرا ثم وصل ملك الانكليز وكان
شديداً البأس عظيم الشجاعة وكان من خبره أنه وصل الى جزيرة قبرص ولم يرد أن يتجاوزها الا أن
تكون له وفي حكمه فاستولى عليها وزحف الى الشام ثم اتفق فرنجي صور على الرحيل الى عكا
ومحاصرتها فخر حوا في ٨ رجب سنة ٥٨٥ وسلكوا طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم
في البحر وفرق المسلمين تخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر حتى
لم يبقوا للمسلمين الهاترين بقا ونزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت
عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر بلاد الجزيرة وغيرها وبقى المسلمون يغادون القتال
ويراوحونه أشهراً فتباعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا حتى جهد
المسلمين بعكا الحصار وضاقت الاحوال وقتل المسيرة وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يطلب
الاقوات في المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا من كبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون
أنه لا فرنج حتى دخلوا الى المرسي وجاءت بعده الميرة من الاسكندرية وحصلت بعد ذلك جملة وقائع

(١) الكتاب من ايسيا كيوس المحلوس صاحب الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبة والمودة قد
وصل خط نسيبك الذي انفذت الى ملكي قاطن ان نسيبك تسمع اخبار اودية وانه قد سار في بلادى الالمان ولاغر وفان
الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر اعراضهم ولوتشهي أن تسمع الحق فانهم قد تأذوا وتعابوا كثيراً وقد خسروا
كثيراً من المال والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا بالشد قد تخلصوا من أيدي أجناد بلادى وقد ضحوا بحياتهم
لا يصلون الى بلادى فان وصلوا كانوا ضحايا بعد شدة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا ينصرون نسيبك ٥٨ من ابن شادى
(٢) لقب لكل رئيس على جمهورية البنادقة وغيرها من جمهوريات بلاد ايطاليا

بحرية كما سبق في المقدمة ولما اشتد حصار الفرنج لعكا وضعفت نفوس أهل البلد وهنوا بعثوا إلى الفرنج في تسليمها على أن يصلحوا لهم على الأمان فيعطوهم مائتي ألف دينار ويطلقون لهم خمسمائة أسير ويعيدوا لهم صليب الصليبون فأجابوا إلى ذلك فدخل الفرنج عكا واستراحوا بما كانوا فيه ثم تخلف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا إلى ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وجاؤا عليهم فأنكسروا عن موقفةهم فوضع الفرنج السيف في المسلمين الذين بالمدينة وقتلوا الأسرى وكانوا خذتهم فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل إلى ناحية عسقلان وأخربها ثم هم بترميم ما نال من أسوار القدس وسد فوه وجه وأمر بحفر خندق عليه فنقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب إلى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبها فيقتدي به العسكر ثم سار ملك الإنكليز مع بقية الفرنج وانهمزموا إلى ياقاقا فاجأها المسلمون فقاتلهم ثم ساروا إلى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا إلى ارسوف فسبقهم المسلمون إليها فحملوا على المسلمين وهزموهم ثم ساروا إلى الداروم ثم إلى القدس فأنتموا إلى بيت قوحة على فرسخين من القدس فاستعد صلاح الدين للحصار فوعد عليه رسول الفرنج وعقدت الهدنة معه وكان سبب ذلك كباروا ابن شاذي أن ملك انكلترة قد طال مغيبه عن بلاده وطال عليه البيكار فكتب الملك العادل يسأله التوسط لدى السلطان في الصلح فأجاب السلطان إلى ذلك واتفق عليه رأى الأمر ما لحدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات فتحالفوا على ذلك ولم يخلف ملك الإنكليز بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذروا بأن السلوك لا يخلفون وقنع السلطان بذلك وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج ياقاقا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكا مع أعمالها وأن تكون عسقلان خرابا وأذن للفرنج في زيارة بيت المقدس وكان يوم ما مشهود أغشى الناس من الطائفتين من الفرح والسرور وما لا يعلمه إلا الله وارتحل ملك انكلترة في البحر عائدا إلى بلده وأقام الكندهنري (Henri de Champagne) صاحب صور بعد المريكس ملكا على الفرنج بسواحل الشام وتزوج بالملكة ايزابيل (Isabelle) أرملة المريكس كونراد (Conrad) صاحب صور وكانت تملكهم قبله وكر صلاح الدين راجعا إلى دمشق ثم أصيب بمرض اشتد عليه مات به ليلة ٢٧ صفر سنة (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) وكان سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة في مصر و١٩ في سوريا وترك من الأولاد ١٧ ذكرا وأنثى واحدة وكان رحمه الله حلما كريما أحسن الأخلاق متواضعا كثيرا تغافل عن ذنوب أصحابه ذات سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر شجاعا عظيم الجهاد غزواته كثيرة ومن شدة كرمه لم يركب فرسا الا وهو موهوب لانسان ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضا فيها ثم ان ابنه الملك الافضل بنجله تربة قرب الجامع وكانت دارا لرجل صالح ونقل جثته إليها يوم عاشوراء سنة ٥٩٢ هـ بمشهد حافل ويقال ان السلطان صلاح الدين عند تمام الصلح السابق ذكره أباح للفرنج أن يستوطنوا مصر بقاء منهم بعض التجار وأقاموا بقنطرة الموسكى التي بناها عز الدين ولما توفي صلاح الدين تقاسمت أولاده الملك فاستقر العزيز عثمان في مصر وولده الملك الافضل بدمشق

العزيز عماد الدين عثمان ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ - ما يبيع بملك مصر بعد الهدنة التي عقدها أبوهم مع الكندهنري ملك الفرنج ولم تمض سنة من حكمه حتى قام العباسيين الاخوة وتفرقت

كلتهم واستحكمت الوحشة بين العزيز وأخيه الأفضل فسار العزيز في عسكر مصر وحصر أخاه
الأفضل بدمشق وأرسل الأفضل إلى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور صاحب
حماة يستجدهم فساروا إلى دمشق وأصلحوها بين الأخوين ورجع العزيز إلى مصر ورجع الباقي إلى
بلادهم واشتغل الأفضل باللهو وفوض أمر المملكة إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير فدبرها برأيه
البعيد عن الصواب فعاد الملك العزيز عثمان وقصد الشام لحرب أخيه ولكن لم ينجح (٥٠٩١)
فعاد إلى مصر ليقرر أمورها ثم اتفق العزيز والملك العادل على الأفضل وساروا بالجيوش إلى دمشق
ودخل العزيز من باب الفرج ودخل العادل من باب توما واضطر الملك الأفضل على تسليم القلعة
اليهما وانتقل بأهله وأخوه وزيره ضياء الدين مخفياً في صندوق خوف عليه من القتل وكانت مدة حكم
الأفضل على دمشق ثلاث سنوات وشهر أو سلم العزيز البلدة إلى العادل معه وسارت الخطبة والسكة
فيها العزيز حسبما اتفقا عليه قبلاً وفي خيال ذلك كان أمير بيروت المدعو أسامة يعث الشواني
للإغارة على الفرج بالساحل فسكوا ذلك إلى العادل فلم يكفهم فأرسلوا إلى ملوكهم وراء البحر
يستجدهم فأمسوا بهم بالعساكر وأكثرهم من الألمان أرسلهم هنري السادس (Henri)
امبراطور ألمانيا على أسطول عظيم أقطع بهم من فرضة مسيني من أعمال جزيرة صقلية وكانت
الجملة الصليبية الرابعة (١١٩٦ - ١١٩٧ م) فوصل منهم جمع عظيم بالمركب إلى
الساحل (٥٠٩٣) واستولوا على قلعة بيروت فسار الملك العادل صاحب الجزيرة إلى يافا
وأته النجدة من مصر والجزيرة فلك المدينة وخربها وامتنع حاميتها بالقلعة فحاصرها وهاو فتحوها
عنوة واستباحوها فجاء الفرج من عكا بصريح أخواتهم فبلغهم وفاة الكونت هنري
(Henri Comte de Champagne) ملك القدس فرجعوا ثم اعتزموا ونازلوا تبينين
(٥٠٩٤) فأرسل الملك العادل إلى الملك العزيز صاحب مصر فسار العزيز بنفسه واجتمع بعه
على تبينين فرحل الفرج على أعقابهم إلى صور ثم اختاروا لهم ملكاً صاحب قبرس أموري الثاني
دولسينيان (Amaury de Lusignan) فجاءهم وزوجوه بملكهم ايزابلا زوجة
الكونت هنري ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانعقد بينهم
في تلك السنة (١١٩٧ م) واتفق موت هنري السادس امبراطور ألمانيا يوم ٢٨ سبتمبر ولما
خلفه ابنه فرديريك الثاني حاول أو تودق صكصونيا وقتئذ الحصول على التخت فانتسبت بينهما
في ألمانيا حروب أهلية استمرت ثمان سنوات أشغلتها عن تجمدة صليبي الشرق ثم رجع العادل إلى
دمشق وسار الفرج إلى بلادهم وكانت وفاة العزيز عماد الدين عثمان سنة ٥٠٩٥ بعد أن حكم
ست سنين وعمره ٢٧ سنة ويقال إن سبب وفاته أنه تقنطر به جواده أثناء صيده في القيوم فأصابته
من ذلك حتى حمل إلى القاهرة ومات فيها وخلفه ولده ناصر الدين محمد ولقب بالمنصور وكان رحمه الله
في غاية الكرم والعادل والرفق بالعبية والاحسان إليهم وكان الغالب على دولة العزيز فخر الدين
جهازر كس وقد نسب إليه بعض المؤرخين إعادة المكوس التي كان والده أبطلها

المنصور بن العزيز ٥٩٥ - ٥٩٦ م لما خاف أباه كان عمره لا يتجاوز التسع سنوات
فاتفق الأمر على احضار شخص من بني أيوب يقوم بنسابة الملك فعملوا المشورة بحضور القاضي

الفاضل فأشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخدا فارس لما اليه فسار سرىعاً الى مصر وقبل الوصية ونودي به أنابكا (١) أى وصيا على ابن أخيه الا أن ذلك لم يطل لانه اتفق مع أخيه الظاهر على محاصرة دمشق ثم فى أثناء الحصار وقع الخلاف بين الاخوين الافضل والظاهر حتى تغير خاطر الظاهر على أخيه الافضل وترك قتال العادل فظهر الفشل فى العسكر وسار الافضل الى مصر وتبعه العادل وبعد حرب وسلم الافضل القاهرة الى العادل فدخلها فى ربيع الاخر سنة ٥٩٦ هـ وسافر الافضل وأقام العادل بمصر على انه أنابك الملك المنصور محمد بن العزيز مدة يسيرة ثم خلع الملك المنصور المذكور واستقل هو بالسلطة فى مصر

العادل بن أيوب ٥٩٦-٦١٥ هـ - لما استقرت المملكة للملك العادل خضع له أكثر الامراء الايوبيين بسوريه ومن جعلتهم ابن أخيه الظاهر ملك حلب فعادت المملكة المصرية الى ما كانت عليه من القوة فى مدة صلاح الدين بن أيوب واتحدت أجزاءها وأرسل الجيوش وفتح كثيراً من البلاد مثل الرها وقلعة نجم وغيرها وفى خلالها أخذ البابا انوسان الثالث (Innocent) يجرى على الحرب الصليبية فقامت أمراء فرانسوا وابطالبايا الجمله الخامسة المعروفة أيضاً فى كتب الفرنج بالحمله الرابعة (١٢٠٢ م - ٥٩٩ هـ) وسار فى مقدمتهم بودوان كونت فلندرا (Baudouin comte de Flandre) وبونيفاس ماركييز ومنفرات (Boniface, marquis de Monferrat) بالجيوش وكانت لاتنقص عن خمسة عشر ألف فارس وعشرين ألف راجل وطلبوا من الدوج هنرى داندولو (Enrico Dandolo) (٢) رئيس جمهورية البنادقة مساعدتهم بالاساطيل لانه لم يكن فى وسع أحد من أمراء أوروبا وقتئذ أن يقوم بذلك خلاف البنادقة لكثرة أساطيلهم وتقدمهم فى الملاحة فأظهر لهم فى أول الامر الصعوبات ثم تداول مجلس البنادقة فى ذلك وقبل نقل الجيوش المذكورة فى مقابلة مبلغ ثمانين ألف بنسدى (نحو ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك) وقاد الدوج المذكور الاسطول بنفسه وكانت سفنه خمسمائة سفينة شراعية ثم بدله محاصرة مدينة زارا فاستعان عليها بالصليبيين ولما فتحت أضيفت الى أملاك

(١) أنابك لفظه تناريمه كبر من انا ومعناها الاب وبك معناها الامير أو السيد وكانت تطلق فى الاصل على مربي أولاد الملوك ثم استعملت فى القرن الحادى عشر والثانى عشر لقباً لمن يتولى قيادة الجنود أو الصدارة العظمى عمالك العراق ويران وأول من تلقب بهذا اللقب عماد الدين زنكى بن أقسقر وذلك لان السلطان محمود السلجوقى سلم اليه ولده فروخ شاه ليربيه واعلم ان هؤلاء القواد أو الرساء وان كان بعضهم استقل فى حكمته الا لم يزل منهم أحد لقب سلطان والحكومات الانابكية أربع وذلك ان الدولة الانابكية التى حكمت بالموصل أيام الدولة السلجوقية التى رتبها عماد الدين المذكور استقل أمراؤها فى ولاياتهم وبذلك انقسمت هذه الدولة الى أربعة أقسام أولهم أمراء سوريا والعراق وأولهم عماد الدين المذكور ومدت ولايتهم من سنة ٥٢١ - ٦٣١ هـ وهم الذين حدثت الحروب بينهم وبين الصليبيين فاستظهروا عليهم وثأبهم أمراء قرين بجبهات شيراز وأولهم سنقر بن مودود وحكموا من سنة ٥٤٣ - ٦٦٣ هـ الى ان أخرجهم هولاء كونائهم أمراء أذربيجان ومملكته من سنة ٥٥٥ - ٦٢٢ هـ ورابعهم أمراء لارستان بحرم آباد وابتداء حكومتهم من أواسط القرن السادس الى أواسط القرن السابع

(٢) هنرى داندولو هذا ولد سنة ١١١٠ ومات ١٢٠٥ وكان فى البنادقة فى القسطنطينية مدة ملكها مانويل كومنين وخلافه وقع بين البنادقة وبين امبراطور القسطنطينية امراء الامبراطور تيميل عني هذا السفير ولما ارتقى داندولو وجاعلى البنادقة وهو فى سن ٨٢ سنة حصلت الحملة الصليبية الرابعة فاشترك فيها كإسكرا

البنادقة ثم ذهبوا وحاصروا القسطنطينية مساعداً لامبراطورها الكسيس لانج (Alexis l'Ange) ابن ايسحق لانج (Issaac l'Ange) الذي التجأ اليهم وبعد أن حاصروها فحوها سنة ١٢٠٤ م قال ابن خلدون وكان هؤلاء الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت أحوالهم في الفتنه والمهادنته مع الروم التي كانت بايديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية (٦٠١ هـ) من الروم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم تصاهروا مع ملوك الفرنج وترجوا منهم بنما الملك الروم فولدت ابناً ثم وثب على الملك أخوه فانتزع الملك من يده وجلسه فلق الولد على الفرنج مستصر خابه فوصل اليهم وقد تجهز الفرنج لاستنقاذ بيت المقدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الأسطول الذي ركبوا فيه وكان شيخاً أعشى لا يركب ولا عشي الأبقائد ومقدم الفرنسيس ويسمى المريكش والثالث يسمى كندفلندر وهو أكثرهم عدداً فجعل الملك ابن أخيه معهم وأوصاهم بظاهرته على ملك القسطنطينية ولما وصلوا اليها خرج عم الصبي وقتلهم وأضرم شيعه الصبي النار في فواحي البلد فاضطربت العساكر ورجعوا وفتح شيعه الصبي باب المدينة وأدخلوا الفرنج وخرج ٤٠٠٠ هاربا ونصب الفرنج الصبي وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد فأقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فافتحموها وأغشوا في النهب ونجا كثير من الروم إلى الكنائس وأعظمها كنيسة أياصوفيا فلم تغن عنهم ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملكها وتنازعوا فخرجت القرعة على الكندفلندر فلما علم أنها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورووس وغيرها ويكون للمريكش الفرنسيس الخليج مثل نيقة وفيلاداف ولم تدم له فأنه تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري ولم تزل القسطنطينية بيد الفرنج إلى سنة ٦٦٠ هـ فقصد هاربا الروم واستعادوها من الفرنج ٦٥٠ هـ وقال أيضاً لملك الفرنج القسطنطينية من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم إلى الشام وأرسلوا بعكازمين على ارتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا في فواحي الاردن فاكسوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر وسار فتنزل بالطور قريبا من عكا لما دفعتهم وهم قبائله وساروا إلى كفر كنا فاستباحوه ثم ساروا في المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم ياقا ولما استقرت الهدنة أعطى العساكر دستورا وسار إلى مصر وأقام في دار الوزارة فقصد الفرنج حماة وقتلهم صاحبها ناصر الدين فهزموه وفي سنة ٦٠٣ هـ أكثر الفرنج الغارات بالشام بمحمد بن ماملوكوا القسطنطينية فجز المسلمون عن دفاعهم وأغار أهل قبرس في البحر على أسطول مصر فظفر وأمنه بعدة قطع وأسر وأمن وجدوا فيها فبعث العادل إلى صاحب عكا يخبره عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرس في طاعة افرنج القسطنطينية وأنه لا يحكم له عليهم فخرج العادل في عسكرة إلى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق أسرى من المسلمين ثم نازل طرابلس ونصب عليها الجناح وعاث العسكرة في بلادها وقطع قنائم عادت إلى دمشق ٦٠٤ هـ وفي سنة ٦٠٤ هـ أرسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله الامام الناصر الشيخ شهاب الدين السهروردي وصحبته كسوة التشریف للملك العادل وأولاده وخطوب العادل بشاهنشاه فقدم مصر وخلعها على الملك الكامل باحتفال ثم عادوا هتم

الملك العادل بعمارة قلعة دمشق وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها وقال
أبوالفداء دخلت سنة خمس وستمائة والملك العادل بدمشق وعند ولاداه الملك الأشرف والمعظم ٥
وأمر الملك الظاهر صاحب حلب بإجراء قناة من حبلق إلى حلب فأجريت بأموال كثيرة وفي سنة
٦٠٦ هـ استولى العادل على نصيبين والخابور ثم عاد العادل من البلاد الشرقية إلى دمشق (٦٠٧ هـ)
وأعطى ولده الملك المظفر غازي الرها مع مياقارقين (٦٠٨ هـ) ثم عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع
لها الصنائع من البلاد والعسكر حتى تمت (٦٠٩ هـ) وكان العادل في الديار الشامية يصلح أمرها
إلى سنة ٦١١ هـ ثم عاد إلى مصر ولما اجتمعت الفرنج في داخل البحر ووصلوا إلى عكا فجمع
عظيم وبلغ الخبر الملك العادل فخرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسارت الفرنج إليه ولم
يكن معه من العساكر ما يقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم إلى عقبه أفيق فأغاروا على بلاد المسلمين
ووصلت غارتهم إلى نوى من بلاد السودان وبما بين يسان ونابلس وغيرها وعادوا إلى مرج عكا
(٦١٤ هـ)

ثم في السنة التي بعدها قامت الفرنج بحملتهم السادسة التي تعرف في كتبهم بالخمسة
(١٢١٧ - ١٢٢١ م) وكانوا تحت قيادة جان دو بريان (Jean de Brienne) زوج ماري
بنت ولي عهد كوترادو ومونفرات ملك القدس والقس بلاج (Legat Pelage) واندري الثاني
(André II) ملك المجر الذي اضطرب أن يعود إلى بلاده من الطريق ونزل عسكر الصليبيين على دمياط
وحاصرها واستولوا عليها وزادت مياه النيل فاضطروا إلى تركها للمسلمين بعد حروب طويلة قال
أبوالفداء ثم دخلت سنة ٦١٥ هـ والملك العادل بمرج الصفر وجمع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا
منها إلى الديار المصرية بحرا ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل
قبلتهم واستمر الحال كذلك أربعة أشهر وأرسل الملك العادل العساكر التي عنده إلى ابنه الملك الكامل
فوصلت إليه شيئا فشيئا ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن
دمياط ٥ ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر إلى عالفين وهي عند عقبه أفيق فنزل بها ومرض
واشتد مرضه ثم توفي هناك سابع جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ وكان عمره ٧٥ سنة ومدة
ملكه على مصر ١٩ سنة وكان رحمه الله حازما متيقظا عزيز العقل سديدا لآراء ذمك وخديعة
صبورا حلما سعيدا اتسع ملكه وخلف ستة عشر ولدا غير البنات ودفن بالقلعة ثم نقل إلى المدرسة
العادلية بدمشق وخلفه ابنه الكامل

الكامل بن العادل ٦١٥ - ٦٣٥ هـ - وصل خبر موت العادل إلى ابنه الكامل
وهو في قتال الفرنج فعظم عليه ذلك جدا حتى أصاب الجندي بعض الاختلال وبلغ ذلك الملك المعظم
عيسى بن العادل فرحل لوقته من الشام ووصل إلى أخيه الملك الكامل ونفى عماد الدين بن المشطوب
رأس القنينة إلى الشام وكان على النيل بمرج حصين فمر منه إلى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع
السفن في البحر الملح أن تصعد في النيل إلى مصر فلما نزل الفرنج بذلك الساحل كما تقدم خندقوا عليهم
وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستمكروا من آلات الحصار قال أبوالفداء
وأبلغ الفرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه فعبروا إلى البر المنصل بدمياط واشتدوا
في قتالها وهي في قلعة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت

استأنوا الى الفرنج فلكوه سنة ٦١٦ هـ واخذوا في عمارتها وتحصينها واقام الكامل قريبا منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفرق البحر من جهة دمياط الى أن قال وفي سنة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك العظيم والملك الأشرف مع نجدة صاحب مارد بن وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حصص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج ورد دمياط منهم فاحاطوا بهم وضيقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بأيديهم - ثم من أسرى المسلمين واطلاق ما بأيدي المسلمين من أسراهم - وقرر الصلح المذكور نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجية ومقدمو الفداوية والاستقارية وتسلم الكامل دمياط يوم الاربعاء التاسع عشر رجب ٦١٨ هـ ثم سار الملك الكامل الى مصر وأخذ في تشييد العمارات والنظر في أمور الدولة فأقام قبة عظيمة على ضريح الامام الشافعي وأنشأ المدرسة الكاملة المعروفة بدار الحديث وجلس لها الجيوس وفي خلال ذلك قامت الفتن بين أبناء العادل واختلقوا بين بعضهم وبين أقاربهم - وحصلت أمور يطول شرحها وفي تلك الاثناء قام البابا غريغوريوس التاسع (Grégoire IX) يحرض الفرنج على الحروب الصليبية فلما رفض فردريك الثاني (Frédéric II) امبراطور المانيا السفر حرمه البابا فالتمز أخيرا بالسفر بحرا بحموشه وسميت سفريته هذه بالحملة الصليبية السادسة كافي كتب الفرنج (١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) وكان الملك الكامل قد أرسل اليه مخرا الذين يستدعيه الى قصد الشام يستعين به على أخيه العظيم فوصل الامبراطور سنة ٦٢٥ هـ وقدمت العظيم عيسى (٦٢٤ هـ) ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها ثم ترددت الرسائل بين الكامل وبين الامبراطور ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدامن المهادنة أجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على أن تستمر أسوارها خرابا ولا يعمرها الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك ونحاه فاعليه وتسلم الامبراطور القدس ورجع الى عكا وركب البحر الى بلده (٦٢٦ هـ) وفي سنة ٦٣٥ سار الكامل الى دمشق واستولى عليها وكانت وفاة الملك الكامل بها في ٢٢ رجب من سنة ٦٣٥ المذكورة ودفن بقاعتها وكانت مدة حكمه ٢٠ سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا مهيبا حاز ما حسن التدبير أمنت الطرق في أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر في أول ملكه وزيراً به صفى الدين بن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحدا بعده وكان الكامل يخرج بنفسه ينظر في أمور الجسور وعند زيادة النيل واصلاحها فعمرت ديار مصر في أيامه وكان محبا للعلماء ومحبا لهم ولما مات الملك الكامل بدمشق كان معه الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق رأى الامراء على تخليف العسكر للملك العادل أبي بكر بن الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر فخلف له جميع العسكر

العادل بن الكامل ٦٣٥ - ٦٦٧ هـ - لما وصل خبر وفاة الملك الكامل الى مصر بايع المصريون ابنه سيف الدين أبا بكر الملقب بالعادل وعين الامير بونوس بن مودود بن العادل أميراً على سوريا ولكنه تبادل مع الملك الصالح نجم الدين أيوب أمير ما بين النهرين فأتى الاخير الى سوريا وذهب

الاول الى ما بين النهرين وكان غرض الصالح بن الكامل اختلاس ملك مصر من أخيه العادل وفي خلال ذلك خرج صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفريخ عمر واقفلعتها فحاصرها وفحصها وخرب القلعة وخرب برج داود (٦٣٧ هـ) وفيها أفرج الناصر داود عن ابن عمه الملك الصالح أيوب من معقله وكان قاصدا الاستيلاء على ديار مصر فوقع بنابلس في اعتقال الملك الناصر داود واعتقه في الكرك ولما خرج منها سارا الى قبة الصخرة وتحالفوا على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب ودمشق والبلاد الشرقية للناصر وسارا لمحاربة الملك العادل بن الكامل فبرز العادل بعسكر مصر ونزل على بليس لرد هجماتهم إلا أن امرأه قبضوا عليه بدسيسة وقيدوه وخلعوه يوم الجمعة ٨ ذى الحجة سنة ٦٣٧ هـ وبايعوا أخاه الملك الصالح فسجنه بقلعة الجبل الى أن قتله الصالح بها (٦٤٠ هـ)

الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ٦٣٧ - ٦٤٨ هـ - قال أبو الفداء لما استقر الملك الصالح أيوب في ملك مصر وصحبه الناصر داود وحصل عند كل واحد منهما استعار من صاحبه وخاف الناصر داود أن يقبض عليه فطلب دستوراً وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها وأمر بعد سنة بالقبض على أيك الاسمر مقدم المماليك الاشرقية وعلى غيره من الامراء الذين قبضوا على أخيه وبايعوه مكانه وقتلهم ونصب مكانهم آخرين ٥٥ وشرع في بناء قلعة في جزيرة مصر المعروفة الآن بالمنيل والروضة واتخذها مسكناً لنفسه ويقال ان سبب بنائها أنه لما استكثر من مشترى المماليك ضاقت بهم القاهرة فصاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضجت منهم الخلق فلما بلغه ذلك بنى لهم القلعة المذكورة بالروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم فيها وجعل لهم حول تلك القلعة شوانى حربية مشحونة بالسلاح لتكون معدة لقتال الفريخ ومن وقتئذ ما هم المماليك البحرية ثم في سنة ٦٤٢ وقع الخلاف بين الصالح بن الكامل وبين عمه الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق أدى الى القتال واستعان صاحب دمشق بالصليبيين الذين في عكا وعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفريخ لمساعدته ولكنهم انهزموا بظاهر غزة واستولى الصالح أيوب على غزة والسواحل وبيت المقدس وعلى دمشق (٦٤٤ هـ) وهزم الخوارزمية شرهزيمة وأهم الحوادث التي حصلت في أيام الصالح أيوب قيام لويس التاسع (Louis IX) ملك فرنسا المعروف بسنت لويس (Saint Louis) بحملته الصليبية السابعة (١٢٤٨ - ١٢٥٢ م) وذكرجان دوجوانفيل (Joinville) وكان رافق ملك فرنسا في هذه الحملة أن اخوة الملك الثلاثة الفونس دو تولوز (Alphonse de Toulouse) وروبيرارنواز (Robert d'Artois) وشارل دانجو (Charles d'Anjou) والملكة مارغريت زوجته (Marguerite) وكثيرا من الامراء والاشراف اشتركوا مع الملك في هذه الحملة وكانت القوة التي استعجمها معه مؤلفة من ٥٠,٠٠٠ مقاتل والاسطول يتركب من ١٢٠ سفينة كبيرة و ١٥٠٠ صغيرة وقصد أولاً جزيرة قبرص وكان ما كملها وقتئذ هنرى أصغر أولاد أمورى دولوسينيان وذكريه أنه بعد وصوله اليها رتب جيشه ثم قصد نغردمياط (٦٤٧ هـ) وحاصرها ثم ملكها من يدي كانه كان أنزلهم الصالح بها حامية فلما بلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق كرا جعالي مصر ونزل في عصائب المسلمين اقاتلهم وقد أصابه بالظرب وقتل وأرسل الجنود لحصارهم واستمر محاصرهم الى أن توفي

في شعبان سنة ٦٤٧ هـ وكان رحمه الله مهيبا على الهمة عظيم فاطاهر اللسان والذليل وأخفت زوجته شجرة الدر مونه حذر امن الفرنج وتفرق الجنود وقامت بالامر أحسن قيام وكانت تركية لانظير لها في النساء والرجال بعد أن أخبرت أهل الدولة بما فعلت فاستحسنوه وبقى الامر على ذلك والناس تعلم أن السلطان مريض ولا سبيل لاحد عليه الى أن حضر ابنه توران شاه وكان غابا بمصر كيفما يعوهُ ثم تقدم الفرنج الى المنصورة وحرق بينهم وبين المسلمين واقعة عظيمة في مستهل رمضان ولم ينل الفرنج من المنصورة شيئا لقوة المسلمين ثم جمع ملك فرانساجيوشه وسار بهم طابا القاهرة فصبر المصريون الى أن عبر الفرنج الخليج المنفرع من النيل المسمى أشمون فتقاتلوا هناك قتالا شديدا وانجحت الحروب عن كسرة الفرنج برا وبحرا وأخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين مر كما منها تسع شوان فضعف الفرنج لذلك فارتادوا يطلبون أن يسلموا دمياط ويسلم السلطان لهم - م القدس وبعض السواحل الشامية وكان الصالح أراد أن يسلمها لهم أولا بشرط أن يرحلوا فطمعوا ولم يقبلوا فلم تقع الاجابة الى ذلك ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفتيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد في دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون أكتافهم وبنوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفا وانجاز ملكهم لوز التاسع ومن معه من خواصه وأكابر ما الى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي بحسن الصالحى ثم أحضروا الى المنصورة وقيدهم ملكهم وجلس في دار ابن لقمان و وكل به الطواشي صبح ثم انعقد الصلح معه على تسليم دمياط وأن يطلق هو ومن معه من أمرائه ويدفع ٨٠٠,٠٠٠ دينار وقيل أكثر من ذلك فأطلق وأقلع مع أصحابه الى عكاسنة ٦٤٨ هـ وفي خلال ذلك قتل الملك العظيم يوم الاثنين ليلة بقيت من المحرم ٦٤٨ هـ قتله بعض مماليك والده البحرية بعد نزوله بفارسكور ويقال ان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد فهرب الملك العظيم منهم الى البرج الخشبي الذي نصب له بفارسكور فأطلقوا في البرج النار فهرب العظيم منه طابا البحر ليركب في حرقته فخاوا بينه وبينها فطرح نفسه في البحر فادركوه وقتلوه وكانت مدة حكمه شهرين وأياما وكان يعتمد على بطانته ويطرح جانب أمرائه أبيه فلذا قتلوه

شجرة الدر (٦٤٨ هـ) - لما قتل الملك العظيم اجتمعت الامراء وانفقوا على أن يقيموا شجرة الدر وزوجة الملك الصالح في المملكة وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركانى أتابك العسكر وحلقوا على ذلك وخطب لشجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والده الملك المنصور خليل وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولد امان صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والده خامل وكانت توقع بذلك ثم سبحت الاعلام السلطانية على حصون دمياط يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة ٦٤٨ وركب سان لوزن البحر مع من سلم معه وأقلعوا الى عكا كما مر وانتشر خبر هذا النصر المبين في سائر الاقطار ثم عادت العساكر الى القاهرة وبعد عودة ملك فرانسالى بلاده جهز الجنود واستحجب معه أولاده الثلاثة واخوته وكثيرا من أقاربه وأعيان وأمرائه بلاده وقصد تونس لأمر جرى بينه وبين ملكها وهي الحملة الصليبية الثامنة ويقال ان أخاه شارل دنجوم ملك نابولى حرضه على ذلك الامر كان يضمه في نفسه طمعاني نوال تحت فرانسوا وكان جيش سانت لوزيس بتألف من ثلاثين ألف مقاتل

وعدارته مؤلفة من ثلاثمائة سفينة كبيرة وصغيرة وحاصر تونس سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) وكانت هذه الحملة هي آخر الحروب الصليبية التي قامت بها الفرنج على المسلمين وحصل لهذا الملك فيها ما حصل وأخيرا أصابه مرض الوباء ومات (١٢٧٠ م) كما ذكرناه في تاريخ تونس واجتمع أمراء الفرنج على ابنه الأكبر فيليب (Philippe le Bel) فبايعوه ولم ينل شارل دانجو ما أضره وقد أخذت شجرة الدر تقرب من أرباب الدولة فخلعت عليهم الخلع الثمينة وأنتعت عليهم بالرتب والمناصب وأمالت القلوب بتخفيض الضرائب ومع كل ذلك لم تنصل إلى ما ترغب وأنفذ أهل الشام إلى الخليفة العباسي في بغداد يستفتونه في الأمر فكتب إليهم مامعناه (إذا لم يكن بينكم من يصلح للسلطنة أقدم إليكم فأقيم عليكم من يحكم فيكم) فاستمسك بمماليك مصر بهذه الفتوى وثار رفاقهم في دمشق وخلعوا طاعة شجرة الدر وقطعوا الدعاء إليها وقامت حروب بين أمراء سوريا ومماليك مصر وعسكر عز الدين أيبك في هذه الثورات من الاستقلال بحكم مصر وأجأ شجرة الدر إلى التنازل وانقرضت بهادولة بني أيوب

(الفصل الثالث عشر)

(دولة المماليك الترك الأولى المعروفة بالبحرية)

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ)

قال ابن خلدون إن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن في معناهم من التركمان والأرمن والروم وجر كس وغيرهم الآن اسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومن يتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون إليهم من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة إلى الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة إلى القلعة التي بناها الصالح بين شعبتي النيل إزاء المقياس بما أنهم كانوا حاميها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصاة سلطانه وخواص داره ٥ وأما سميتهم بالبحرية فلا تلهما أسكنهم الصالح قلعة الروضة التي بناها بالقرب من المقياس جعل حول تلك القلعة شوانى حربية مشحونة بالسلاح وبأوثق المماليك فصاروا يتدربون على الأعمال البحرية وبذلك سمو بالبحرية كما تقدم وفي قول آخر أن نقطة أقامتهم يتفرع عندها النيل إلى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر لعظم اتساعه هناك فسمى هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية ومنها اشتق اسم دولتهم

أيبك الجاشنكير (٦٤٨ هـ) - لما قامت المنازعات بخصوص ملك مصر اتفق كبار الدولة على إقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالح في السلطنة لعدم تفرقة الإسلام على حكومة النساء لأسباب لا تخفى قال أبو الفداء فأقاموا أيبك المذكور وركب بالصناجق السلطانية وحلت الغاشمية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وأبطلت السكة والنظبة التي كانت باسم شجرة الدر ٥ وهو أول من تملك مصر من المماليك وتزوج بشجرة الدر فانضم حزبها إلى حزبه ثم حصل انقسام بين حزبه وحزب الصالحية ففاز الأخير وألبس أيبك الجاشنكير بعبادة الأشرف في ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ هـ

الاشرف مظفر الدين موسى ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ - لما أقامه الامراء مشاركا للملك المعز عز الدين أيبك التركاني بعد خلع الملكة شجرة الدر أم خليل وكان ذلك حين ورود الخبر باستيلاء الملك المغيث عمر بن العادل الصغير على الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة وكان عمره للملك ست سنين وصارت المراسيم تبرز عن الملكين لكن لم يكن للاشرف سوى الاسم وكانت الامور معلقة في الحقيقة بالملك المعز أيبك وفي خلال ذلك قصد الملك الناصر يوسف صاحب الشام الديار المصرية فقام المعز أيبك التركاني في جماعة من البحرية وصد الناصر وبعد حروب انهمزم الناصر الى الشام وتشتت جيشه وعاد أيبك الى القاهرة مع البحرية منصورين ثم عادت الحروب سنة ٦٤٩ هـ في جهات غزة وأخيرا تمت باستقرار الصلح بين الطرفين على شرط أن يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ما وراء ذلك ٦٥٠ هـ وأخذ المعز أيبك يسعى للاستقلال بالسلطة فقتل خوشدشاه اقطاعي الجدار ولما علمت البحرية بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام فصفاله الجؤ فاستقل بالسلطة وأبطل اسم الاشرف موسى المذكور منها بالكلية (٦٥٢ هـ) ثم قامت حروب أخرى بين المعز أيبك وبين الناصر ومشي نجم الدين الباذراي في الصلح بين المصريين والساميين واتفق الحال على أن يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بئر القاضى وهو بين الورداء والعريش ويبدأ المعز أيبك الديار المصرية واتفق الحال على ذلك (٦٥٣ هـ) وفي ٢٣ ربيع الاول ٦٥٥ قتل الملك المعز أيبك قتلته امرأته شجرة الدر وسبب ذلك أنه بلغها أنه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان رحمه الله شديدا المعاملة شجاعا شديدا في خلال حكمه عمارات عظيمة منها مدرسة دعاها المدرسة المعزية بناها على ساحل النيل في مصر العتيقة

المنصور نور الدين ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ - لما ظهر الخبر بقتل عز الدين أيبك أراد المماليك قتل شجرة الدر فاعتصموا عنها المماليك الصالحية فاتفقت الكامة على اقامة نور الدين على ابن الملك المعز ولقبوه الملك المنصور وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجرة الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك وفي يوم ١٦ ربيع الآخر من السنة المذكورة قتل شجرة الدر وألقيت خارج البرج وحملت الى تربة كانت علمتها نفسها فدققت فيها وكانت تركية الجنس وقيل أرمنية وحصلت حروب بين المصريين والمماليك البحرية وكان مع البحرية عسكر المغيث صاحب الكرك الذين التجؤ اليه بعد أن طردهم الملك الناصر يوسف صاحب الشام لما قاموا عليه يريدون أن يفتكوا به فهزمهم المصريون وكان مع البحرية بيبرس البندقداري الذي صار ملكا بمصر كاسيأتي وأهم الحوادث التي حصلت في عصر نور الدين استيلاء هلاكو ملك التتار على بغداد وانقراض الدولة العباسية كإيناه في الجزء الاول من هذا الكتاب قال ابن خلدون ان التتار من شعوب الترك وان الترك كلهم من ولد كورميرث بن ياقث بن فوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيجون وهم أمم كثيرة وسيجون نهر مما وراء النهر قرب تخنده بعد سمرقند وهو في حدود بلاد الترك ويطلق أيضا على نهر الهندوأما جيحون فهو نهر خوارزم وحيحان نهر بالشام وفي سنة ٦٥٦ هـ كان استيلاء التتار على بغداد وانقراض الدولة العباسية ٨٥ ثم بعد ذلك سار التتار واستولوا على كثير من البلاد وفي خلال ذلك أقبل شرف الدين هبة الله من

الوصاية على نور الدين ونصب بدله سيف الدين قطوز ولقب باتابك ولما تمكن سيف الدين من المنصب استقدم اليه المماليك من الشام واتفق معهم على خلع نور الدين بدعوى صغر سنه وعدم لياقته للاحكام فآزروه في ٤ ذى القعدة سنة ٦٥٧ هـ وبايعوا سيف الدين قطوز

سيف الدين المظفر قطوز ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ - لما بويع له بملك مصر لقب بالملك المظفر وكان علم الدين الغمقي وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزبة عاينين في رى البندوق فأنهز قطوز الفرصة في غيبتها وفعّل ذلك ولما قدم الغمقي وبهادر المذكور ان قبض عليهما قوطوزاً أيضاً واستقر في ملك مصر وفي خلالها سار هولاكو الى شرقى القرات وفتح حوران واستولى على بلاد الجزيرة وأرسل ولده سموط بن هولاكو وفتح بلاد الشام جميعه وأخذ كل من الملك الناصر يوسف صاحب الشام والملك المنصور صاحب حماة بمحاربة التتار ثم ذهب الى مصر بجيشيهما وقابلهما الملك المظفر قطوز بالصالحية وطيب قلوبهما ولما استفحل أمر التتار جهز الملك المظفر قطوز العساكر الاسلامية وخرج بهم الى الشام لقتال التتار فقابل معهم وكافوا تحت قيادة كتبغا نائب هولاكو على الشام عند عين جالوت يوم ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ وبعد وقائع انهزم التتار هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتار برؤس الجبال وتبعهم المسلمون فاقتوهم وتعبقوا الفارين منهم وأعدت جيوش مصر فتح حماة ودمشق وباقي بلاد الشام وعادت منصوره ثم بعد ما قرر الملك المظفر قطوز أمر الشام سار من دمشق الى البلاد المصرية وكان اتفق البندوقدارى الصالحى مع أنص مملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صوغان وأوغلى على قتل المظفر قطوز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطوز الى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة من القرين قتله هناك بيبرس البندوقدارى بمساعدة حلفائه وكان ذلك يوم ١٧ ذى القعدة من سنة ٦٥٨ ويقال انه نقل من القرين ودفن في مدرسة بالقرب من زاوية الشيخ خلف وخلفه على ملك مصر الامير البندوقدارى

رکن الدين ميركس البندوقدارى ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ - ويعرف بالصالحى والنجمى لما قبض على الاحكام بمصر بعد قتله المظفر تلقب بالقاهر ثم تشاء من ذلك وتلقب بالظاهر واستوزر بهاء الدين وجعل بيليك خازن داراله وكان من أكبر المتقربين اليه ثم آمن من بقى من عائلة قطوز وأبطل كثيرا من الضرائب وأعلنها على المنابر ولما قام أهل الشام بعصيانهم وبايعوا الامير سنقر حاكم حلب سار اليهم بجيشه وأخذ قوتهم وعاد الى مصر وأخذ يصلح شؤونها الداخلية وفي خلال ذلك حضر من بغداد شخص من بنى العباس وبويع له بالخلافة فانتقلت الخلافة من وقتئذ الى مصر بعد انقراضها من بغداد كما مر

الخلافة العباسية بمصر - اعلم أنه في شهر رجب من سنة ٦٦٠ هـ قدم شخص الى مصر من بنى العباس الذين سلوا من قتل التتار في بغداد واسمه أجد بن الظاهر بن الناصر فعقدوا له مجلسا بمصر حضره عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام وغيره من القضاة والعلماء ومشايخ الصوفية والطرق وسائر الامراء وأرباب الدولة والسلطان الظاهر بيبرس بنفسه وأثبتوا نسيبه وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء بجماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسيبه في اعيان السلطان الظاهر بيبرس

والقضاة والعلماء والناس بالخلافة ولقبوه بالاستنصر بالله وبايع الملك الظاهر بيبرس بالسلطنة
وفوض اليه أمر البلاد الاسلامية وما يضاف اليها واحتمل السلطان به وصلى الامام أحمد بالناس
صلاة الجمعة بجامع القلعة وخطب فيهم خطبة بليغة أثنى فيها على فضل الملك الظاهر الذي رد الخلافة
لبنى العباس ثم جهز السلطان مع الامام أحمد جيشا للقتال التتار واسترد بغداد وقبل أن يصل
الى بغداد هزمه التتار وقتلوه ونهبوا ما كان معه وكان التتار تحت قيادة قرة بغا نائب هولاء كوعلى
بغداد ثم حضر شخص آخر من بنى العباس الذين سلخوا من قتل التتار يدعى أحمد أيضا فعقد له الملك
الظاهر مجلسا جمع فيه القضاة وفعل به كما فعل أولا وكان قد حضر معه الامير عيسى بن مهنا وجماعة
كثيرة من العرب فشهدوا وبين يدى قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز بان الامام أحمد هذاهو
ابن حسن بن أبي بكر ابن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر فنبت ذلك وحكم بعخته وبايعه
الظاهر بيبرس والعلماء ولقبوه بالخلافة وبأمر الله وتولى الخلافة وبايع الملك الظاهر بالسلطنة
وأشركه السلطان فى الدعاء لا غير ومن وقتئذ صارت القاهرة مقر الخلفاء العباسيين يبايعهم سلاطينها
وليس يبدعهم من الملأ والتصرف شئ بل الامر بيد السلاطين واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم
خان الاول مصر سنة ٩٢٢ هـ وانتقال الخلافة الاسلامية لبنى عثمان كما سأتى

وفى سنة ٦٦١ هـ جهز الملك الظاهر جيشا وسار به من مصر الى الشام وأغار على عكا وأعمالها
وهى بيد الفرنج فغنم وهاجها ثانية وهدم برجها كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرية
وبعث السرايا الى انطاكية وبلادها فغزى واوغموا ثم فتح قيسارية من يد الفرنج وفتح طرابلس
والقليعات وعرفا وفى خلالها قبض الظاهر على المغيث صاحب الكرك وأرسله معتقلا الى مصر
وفى سنة ٦٦٤ هـ سار الظاهر بجيشه الى أرمينيا واستولى على عاصمتها سبسطية وعلى سائر بلادها
وفى فتح صفد وعاد الى مصر ثم توجه فى سنة ٦٦٦ هـ بجيش عظيم الى الشام وفتح ياقان يد الفرنج
وملأ انطاكية بالسيف وكذا بنجراس (٦٦٩ هـ) ونازل حصن الاكراد وملكه ثم رحل الى
حصن عكا ونزله الى أن ملكه وملك أيضا حصن القرين وفى سنة ٦٧٠ اقمتم الفرات وحارب
التتار وهزمهم وعاد الى مصر وفى سنة ٦٧٣ توجه الى بلاد سبسطية ودخلها بجيشه وغنم ورجع الى
دمشق وفى سنة ٦٧٥ غزا بلاد الروم بعساكره المتوافرة والتقى فى طريقه بجيش من التتار فقاتلهم
وهزمهم وكان ملكهم يقال لهم بغا فهرب فقبضه السلطان الى نحو بلشين فكانت بينهما هناك واقعة
عظيمة قتل فيها من الفريقين نحو مائة ألف فانكسر بغا ملك التتار وهرب وتبعه السلطان الى زبيد
ثم رجع بعد أن قتل كثيرا منهم وفى سنة ٦٧٥ هـ كان ابتداء عمل المحمل بأمر السلطان الظاهر بيبرس
وصاروا يطوفون به فى مصر قبل نحر وجه لترغب الناس فى الحج وحثهم عليه ثم سافروا به مع
كثير من الحاج من طريق البر وعند رجوعهم بزورون قبر خراف الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام
وفى السنة المذكورة سجع الملك الظاهر بنفسه وزار الحجر التتار وتصدق بصدقات كثيرة على أهل
الحرمين وغسل الكعبة بيده عماء الورد ثم رجع وكانت وفاته فى دمشق يوم الخميس ١٨ محرم سنة
٦٧٦ هـ ومدته ملكا ١٧ عاما وكان رحمه الله ملكا عظيما جليلا مهيبا كثيرا الغزوات وكان المصريين
يلقبونه بأبى الفتوحات لكثرة فتوحاته وخلف من الاولاد عشرة ثلاثة ذكور و سبع إناث ولما توفى
الملك الظاهر كتب الامير بيليك نائب السلطنة خبر موته خوفا من التتار ثم احتاط على خزائن المال

وقصد مصر وهو يظهر من ض السلطان ورتب حضور الاطباء على العادة واستمر على ذلك حتى دخل مصر وطلع قلعة الجبل ثم أعلن موت السلطان وتسلطن ولده الملك السعيد وكان الظاهر رجه الله محبا للممارج فجدد الحرم النبوي وجدد عمارة قبة الصخرة ببيت المقدس وأنشأ بمصر وأعمالها قناطر شبرا منمت وعمر سور الاسكندرية وجدد بناء المنارة التي بها وورد دم فم بحر دمياط بالقرا ميص حتى لا تدخل اليه مراكب الفريج كما مر وأعاد شأن البحرية فعمس الشواني وشحنها بالرجال وشيخيدار الصناعة وصار يضع فيها كثير من السفن وجدد عمارة الجامع الازهر وأعاد الخطبة فيه وعمر الجامع الكبير وشيخيد المدرسة التي بين القصرين وحفر الخليج ومن آثاره قناطر السباع التي عملت لتوصيل الماء من النيل الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعا من الحجارة وبها سميت وهي المعروفة الآن بالعيون وكان يحضر نفسه التمرينات العسكرية وحركات رمي القناطر والشباب والالعاب بالرغ ورتب البريد فكان يصل الخبر من الشام الى مصر في أربعة أيام وصار بذلك يحكم في ممالكة العزل والولاية وهو مقيم في القلعة وعين في مراكز البريد الخليل المعدة للركوب وجعل لها سواسيا يعرفون بالسواطين ولا يركب أحد خيل البريد الا براسم سلطانية وكان عمرا كرا بريد كل ما يحتاجه المسافر ولذلك كانت الطرق في أمن فكانت المرأة تسافر وحدها من غير أن يصيها خوف ولا ضرر

السعيد بركة محمد ناصر الدين برقه خان ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ - بويغ له بعد وفاة أبيه باتفاق

الامراء ولقبوه بالملك السعيد وأقاموا له الامير ييليك الخازندار تايكاو وكان من مماليك والده فقام باعباء المملكة أحسن قيام ولكنه لم يلبث طويلا فانتقلت واختار السعيد أق سنقر العزباني فاتخذ التوبة نائبا للسلطنة وبعد قليل قبض عليه وسجنه بنجر الاسكندرية ثم خنقه بها خاف الامراء وأضربوا للسلطان السوء وحر كواثورة بدمشق اضطر الملك السعيد أن يسير اليها بالجيوش واستعجب معه الامير سيف الدين قلاوون الصالحى وكان القائم بها شرف الدين سنقر أمير دمشق مدعي الملك لنفسه وتلقب بالكامل فلما وصل السعيد ونزل بالقصر الابلق الذي كان شيده أبوه أخذ يهوى أسباب الثورة فعمل انها ديسية من الامراء اتفقوا عليها فطلعهم فتركهم وعاد مسرعا الى مصر ونزل بقلعة الجبل فحضرت العساكر التي خرجت عن الطاعة بعد سفره وحاصروه بالقلعة (٦٧٨ هـ) فاضطر الى تسليم نفسه اليهم فسقط بذلك اختياره وهموا بقتله فنعهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي من ذلك فخلعوه وأرسلوه الى قلعة الكرك (ربيع أول ٦٧٨ هـ) ومات فيها عقب سقوطة عن جواده وبايعوا أخاه سلامش بن سيرس

سيف الدين سلامش ٦٧٨ هـ - لما بايعه الامراء بعد خلع أخيه لقبوه بالملك العادل

وكان عمره سبع سنين ونصفا وأقاموا له الامير سيف الدين الاتي وصيا وكان يخطب له وللعادل على المنابر وكان الامر كله لوصيه المذكور ثم طمع في الملك فقبض على جماعة من الامراء الظاهرية وأرسلهم لسجن الاسكندرية وأعقبها بخلع الملك العادل وأرسله مع أخيه سيدي حضر الى قلعة الكرك وطلب من الناس المبايعه لنفسه فبايعوه يوم الاحد ١٦ رجب من السنة المذكورة سيف الدين قلاوون - ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ - لما تمت له المبايعه بعد خلع العادل تلقب بالمنصور واستوزر نجر الدين وكان كاتب سره ثم جعل ابنه الملك الصالح ولي عهد (٦٧٩ هـ)

وفيها قامت ثورة في الشام فبعث قوة تحت قيادة الامير طرباي لاجتادها فخرب الملك الكامل صاحب دمشق حتى اضطره الى التسليم وقبض عليه وجا به الى القاهرة وسجن فيها ولوا على دمشق واتباعها الامير حسام الدين لاجين (٦٨٠ هـ) وفي السنة التي بعدها حارب المصريون جيشين للنتار الاول كان تحت قيادة ابا كخان والثاني تحت قيادة منجوتيمورخان وكانا اغارا على الشام وهزماه المصريون وقتل منجوتيمورخان وولى الباقي منهم الادبار وفي سنة ٦٨٠ هـ تمرد المماليك ونبذوا الطاعة فغضب السلطان غضباً أعظمى بصره حتى لم يعد غير المجرم من البريء وأعمل فيهم السيف ثلاثة أيام وغصت الاسواق بجثثهم رجالا ونساء ثم توسط العلماء فنع القتل وندم السلطان على ما فرط منه كثيرا وبعد ذلك اهتم بتشييد المباني النافعة في المستشفى الشهير المعروف بالبيمارستان وغيره من التكايا وفي سنة ٦٨٢ خرج السلطان بالعسكر لحفر خليج الاسكندرية وفي السنة التي بعدها أمر المنصور المماليك بتغيير ملابسهم ومنعهم من استعمال التحلي بالذهب والفضة الطويلة وجعل ملابسهم على الزى العسكري وفيها فتح حصن مرقد بعد حصار ٣٣ يوما وفي سنة ٦٨٤ هـ نازل حصن المرقب وافتحه وفي سنة ٦٨٦ أرسل جيشا مع علم الدين سنجر المسروري الخياط متولى القاهرة الى بلاد النوبة فغزا وغنم وعاد منصورا ثم توفي ابنه وولى عهده الملك الصالح علاء الدين علي بجي محرقه (٦٨٧ هـ) فحزن عليه قلاوون حراثا شديدا ثم سار بجيشه الى الشام وفتح طرابلس عنوة وهدم كنيسة سان توماس ثم عاد الى مصر وبذا استخلص طرابلس من يد الفرنج بعد ان بقيت تحت سلاطنتهم ١٨٥ سنة وشنهورا ولما دخل مصر جلت على رأسه القبة والظير وكان يوما مشهودا (٦٨٨ هـ) وفيها جاءت الاخبار بأن ملك النوبة هجم على مدينة أسوان ونهب أسواقها وأحرق أجرانها فجرد السلطان عليه الامير عز الدين أيبك الافرم فلما وصل الى هناك هرب ملك النوبة فقبه القائد المذكور بعسكره الى آخر بلاد النوبة وغنم منها أشياء كثيرة وفي سنة ٦٨٩ هـ خرج السلطان الى الريدانية لغزو عكا فابتدأ أمرضه ثم تزايد به المرض حتى توفي به يوم ٧ ذى القعدة من السنة المذكورة بعد ان حكم سبع سنوات وأشهرها وخلف ثلاثة اولاد من الذكور وكان رحمه الله ملكا شجاعا وبطلا مقداما في الحرب مغرما بمشترى المماليك حتى قيل انه تكامل عنده ١٢٠,٠٠٠ مملوك وكان محبا للعمار ومن آثاره جامع عهده الشهير ومقامه وهما في البيمارستان الذي بين القصرين وقام بالامر بعده ابنه

الاشرف صلاح الدين خليل ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ - لما استقر السلطان الملك الاشرف في

المملكة قبض على الامير حسام الدين طرباي نائب السلطنة وسجنه ثم قتله وذلك لما كان بينه وبين الامير طرباي المذكور من العداوة ومن أيام والده وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدار والوزارة الى شمس الدين محمد بن السلجوس وفي سنة ٦٩٠ سار الاشرف بالعساكر المصرية والشامية الى عكا وحاصرها وشد عليها الحصار والقتال ولم يغلظ الفرج على كل أبوابها بل كانت مفتحة وهم يقا تلون فيها وكر في دائرة المعارف الفرنسية انه في سنة ١٢٩١ م حاصر الاشرف عكا بعدما استولى على طرابلس وكان بعكا وقتئذ نواب مملوك نابولي وقبرص وفرانسا وانكلترة والباياو بطبريك اورشليم وبنس انطاكيا وجماعة من عسكرية سان جان وفرسان التوتون الالمانيين ونواب مستعمرات البنادقة وبنوه وبيزه فاستصرحو اول الفرج فلم يجبهوهم فدا فعدوا دفاع الابطال ثم

اضطروا وأخبروا الى التسليم (١٦ يونيو سنة ١٢٩١) قال أبو الفداء وكان حاضرا وكانت منزلة
 الجوين برأس المينة على عادتهم فكانوا على جانب البحر والبحر عن يميننا اذا واجهنا عكا وكان يحضر
 النيامرا كب مقيمة بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرمون بالنشاب والجر ووخ وكان
 القتال من قدامنا ومن جهة المدينة ومن جهة يميننا من البحر وأحضر وابطة فيها من جنح يرمى علينا
 وعلى يميننا من جهة البحر فكاننا منه في شدة حتى اتفق في بعض الليالي هبوب رياح قوية فارتفع
 المركب وانحط بسبب الموج وانكسر المنجنيق الذي فيه بحيث انه انشطم ولم ينصب بعد ذلك اه
 وبعد حروب يطول شرحها اشتدت مضايقة العساكر الاسلامية لعكا حتى فتحها الله تعالى عليهم
 وهرب جماعة من الفرنج في المراكب ولما فتحت عكا وقع الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل
 الشام فاخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الشجاعي وكذلك هرب أهل صور فأرسل السلطان وتسلمها
 ثم تسلم انظرطوس واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة
 الحصينة بغير قتال وخلصت الشام والسواحل من يد الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار
 المصرية ثم عاد السلطان الى مصر وفي سنة ٦٩١ هـ سار الملك الأشرف بالجيش الى قلعة الروم
 ونازلها وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة ثم فتحت بالسيف (١١ رجب) ثم عاد
 السلطان الى مصر بعد أن أعطى الملك المظفر الدستور وفي سنة ٦٩٢ هـ أرسل الملك الأشرف
 وأحضر الملك المظفر محمودا صاحب حماة وعم الملك الأفضل على خيسل البريد وأنعم عليهم ما يخرج
 السلطان على الهجن الى الكرك وجيوشه على طريق دمشق ورافقه صاحب حماة وعمه الى الكرك
 ثم سار ودخل دمشق وغيره من بلاد الشام ونظم أحوالها وعاد الى مصر وفي محرم سنة ٦٩٣ هـ
 مات مقتولا قتلته ممالك والده وهم بيدر نائب السلطنة ولاجين الذي كان عزله عن نيابة السلطنة
 واعتقله وغيره من المماليك ولما قتل السلطان اتفق الجماعة الذين قتلوه على سلطنة بيدرا وتلقب
 بالملك القاهر وسار نحو قلعة الجبل ليملكها فاجتمعت ممالك الملك الأشرف وانضموا الى زين الدين
 كتبغا المنصوري وساروا في اثر بيدرا فلقوه على الطرانة واقتموا وانهم زيم بيدرا وأصحابه وتبعوا
 بيدرا وقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستقر لاجين وكان الأشرف رحمه الله من أجل الملوكة اشتهر
 بالقنوجات وبالعمارات فانشأ قاعة الأشرفية بقلعة الجبل ومدرسة بالقرب من مزار السيدة نفيسة
 واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليل وخلفه أخوه محمد بن قلاوون

الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٢ - ٦٩٤ هـ - بعد أن حصل ما حصل من قتل بيدرا
 وصل زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية الى قلعة الجبل وبها علم الدين سنجر الشجاعي نائباً فاتفقوا
 على سلطنة الملك الناصر بن المنصور فاجلسوه على سرير السلطنة في يوم مشهود وتقرر أن يكون
 الامير زين الدين كتبغا المنصوري نائباً بالسلطنة وعلم الدين سنجر وزيراً وركن الدين بيبرس البرجي
 الجاشنكير أستاذ الدار ثم تبعوا الامراء الذين تعصبوا على الأشرف وقبضوا عليهم وضربت رقابهم
 وأحرقت جثثهم ثم حصلت وحشة بين الامير زين الدين كتبغا وبين علم الدين سنجر الشجاعي ثم الامر
 فيها بقتل الشجاعي (٦٩٤ هـ) ولما اخلوا كتبغا طمع في الملك فجعل الملك الناصر في قاعة
 بقلعة الجبل وحجبه عنه الناس ثم طاعه ونولى مكانه ونفاه الى الكرك ولقب نفسه بالملك العادل
 وخطبه بعصر والشام وضربت السكة باسمه

العدل كتبنا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ - لما بويع الملك العادل في محرم من سنة ٦٩٤ جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين المنصوري ثم أرسل وقبض على خدشاه عز الدين أيبك الخازندار وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ثم أفرج عنه واستتاب موضعه عز الدين أيبك الموصلى وفي سنة ١٩٥ قدم من التتار عشرة آلاف نفس وافرين على بلاد الاسلام خوفا من غازان ملك تبريز من العائلة الايلخانية وكان مقدمهم يقال له طرغيه من أكبر امراء المغول وكان متزوجا بابنة منكوغر بن هولاء كوال الذي انكسر جيشه على حصص قال أبو الفداء يقال لهذه الطائفة الوافدين العويرانية وكان سبب قدومهم أن مقدمهم طرغيه هو الذي اتفق مع سيدر على قتل كينخون ابغا فلما ملك غازان قصد الامساك على طرغيه وقتله أخذ باشارعه كينخون فهرب طرغيه وجماعته المذكورون بسبب ذلك ولما قدموا الى الاسلام أرسل الملك العادل كتبغا أمير القاهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قرب قافون وأدر عليهم الارزاق وأحضر كبراهم عنده الى الديار المصرية وأعطاهم الاقطاعات الجميلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم اه وبقال ان العادل أنزلهم بالحسينية ورتب لهم الراتب فاشتد الحماس والتشاجر بين أهل الدولة والملك العادل وكان العادل سارا الى الشام وأقام بدمشق يقرر أمرها وفي أول سنة ٦٩٦ سار من دمشق بالعساكر بقصد مصر فلما وصل الى نهر العرجا واستقر بدهليزه واستراحت مماليكه في خيامهم ركب حسام الدين لاجين المنصوري النائب بسنجق ونقاره وانضم الى لاجين بدر الدين البسرى وقره مستقر المنصوري وسيف الدين قبيحاق المنصوري والحاج بهادر الظاهري وغيرهم من الامراء المتفقين وقصدوا الملك العادل وبقنوه عند الظهري في دهليزه بالمتلة المذكورة فلم يمكنه أن يجمع أصحابه وركب في نفر قليل فحمل عليه نائبه لاجين المذكور وقتل بكتون الازرق وبخاص وكان أكبر مماليك العادل فولى العادل كتبغا هاربارا جعالي دمشق وكان به مملوكه غرلوف قام معه يتأهب لقتال لاجين فلم يوافقهم عسكر دمشق ولما رأى منهم التخاذل خلع نفسه عن السلطنة وقعد بقلعه دمشق وأرسل الى حسام الدين لاجين يطلب منه الامان فاعطاه صرخد

المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ - لما هزم العادل كتبغا على ما ذكرناه نزل حسام الدين لاجين بدهليزه على نهر العرجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على الامر بشرطوا عليه شروطا فالتمها منهم على أن لا ينفرد عنهم ثم رأى ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فاجابهم لاجين الى ذلك وأقسم لهم عليه وبعدئذ حلفوا له وبايعوه بالسلطنة ولقب بالملك المنصور وذلك في محرم من السنة المذكورة ثم عاد الى مصر يجيوشه واستقر بقلعه الجبل وجعل سيف الدين قبيحاق المنصوري نائب السلطنة بالشام وأفرج عن الامراء الذين حبسهم العادل ومنهم بيبرس الجاشنكير وأخذ يرتب رجاله في الوظائف وردا اقطاعات الاجناد اليهم وأخرجها بأسرها من دواوين الامراء وجعل للامراء والاختيار ١١ قراطا والجنود ٩ قرايط ولما أمر بتخفيض مرتب الامراء والاجناد الى عشرة قرايط تسكرت قلوب الاهالي منه وفي سنة ٦٧٩ هـ جرد الملك المنصور لاجين جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بأمير السلاح ومعه كثير من الامراء فساروا الى الشام وورس عسكر عساكر الشام وساروا الى بلاد سين من دربند مصر ومن

جهة بغراس من باب اسكندرونة واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلاد سيبس وكسبوا وغنموا وفتحوا حصون وتل جمدون وكوبرا والنفير وجرشغلان وسرفند كارومر عش وهذه جميعها حصون منيعة وأمر الملك المنصور لاجين باستمرار عمارة هذه البلاد وكان ذلك من الآراء الفاسدة على ما سيظهر من عودة هذه البلاد الى الارمن عند دخول غازان البلاد وفي ١١ ربيع الثاني من سنة ٦٩٨ هـ مات المنصور لاجين مقتولا قتله كرجي وتوغان الكرماني من المماليك وهو قائم يصلي العشاء فصاح عليهم القاضي حسام الدين الرازي وكان هو وجماعة من العلماء عند السلطان قائلا ويلكم كيف تقتلون أستاذكم فلم يلتفت لقوله أحد ومات وعمره ٦٣ سنة وكان رحمه الله موصوفا بالفروسية شجاعا بطالادينا بطل كثير من المكوس وبقى كرسي السلطنة خاليا ٤١ يوما تمكن في خلالها سيف الدين طغجي من القبض على زمام السلطنة وتلقب بالملك القاهر ولم يحكم الا يوما واحدا ثم ذبحه المماليك واجتمع الامراء في القلعة وتداولوا فيمن يولونه فوقع الاتفاق منهم على عودة الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك

الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ - لما حصل ما ذكرناه من قتل لاجين وقتل طغجي وقرر الامراء مبايعة الناصر نائبة ارسلاو سيف الدين آل ملك وعلم الدين الجاولي الى الكرك فأحضراه الى مصر فصعد الى قلعة الجبل واستقر على كرسي ملكه يوم السبت ١٤ جادى الاولى من السنة المذكورة وهي سلطنته الثانية وعين الامراء سيف الدين سلار نائبا للسلطنة وبيرس الجاشنكير أستاذ الدار وقوض نيابة السلطنة بالشام الى جمال الدين أقوش الاقزم وفي سنة ٦٩٩ هـ قصد غازان خان ملك التتار افتتاح سوريا فجهز الملك المظفر صاحب حماة الجيوش ولكنه مرض بعد ذلك ومات فوجه السلطان الناصر نيابة حماة الى قره سنقر فاستقر بها ثم سار الملك بالعساكر المصرية الى بلاد غزة بسبب حركة التتار ولم يرض القليل حتى حصلت واقعة عظيمة بين التتار والمسلمين انهزم فيها عساكر مصر وتبعهم التتار واستولوا على دمشق والقدس والكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيا عظيما ثم بعد مسير غازان عن الشام خرجت الجيوش من مصر وخرج السلطان الى الصالحية ثم تقرر مسير العساكر المصرية الى الشام تحت امره سلار وبيرس الجاشنكير فسار الملك كوران وبلغ التتار بدمشق فخافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وكان قبيح وبكتر السلحدار والالبكي هر بوا مع من معهم من دمشق والتحقوا بالسلطان ووصل سلار وبيرس الجاشنكير الى دمشق وقرر امور الشام ورتب في نيابة السلطنة بدمشق الامير جمال الدين أقوش الاقزم على عادته وجعل قطلوبك في نيابة السلطنة بالساحل والحصون عوض سيف الدين كرد لانه استشهد في الواقعة ثم عاد التتار الى الشام فأخذ السلطان من غالب الاغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة وبعدئذ جرد جيشا جارا المقاتلة غازان فالتقى معه في حصص (٧٠٠ هـ) وفيها جرد السلطان تجريدة تحت قيادة بدر الدين بكتاش أمير السلاح وأبيك الخازندار وأرسل معهما قوة أخرى من الشام فأغارت هذه الجنود على بلاد سيبس (٧٠١ هـ) فأحرقت الزرع ونهبت ما وجدت وعادت وفي سنة ٧٠٢ هـ فتحت جزيرة ارواد من يد الفرنج الذين كانوا متحصنين فيها وكانوا يقطعون الطريق على المسلمين المترددين على ذلك الساحل فطلب سيف الدين استدر الكرجي ارسال الاسطول اليها فعمرت الشواني وسارت اليها وملكها وأسر وغنم ما بها وعاد الى الديار المصرية

وفيها عاد التتار الى الشام فأرسل زين الدين كتبغا عساكره وبعد حروب يطول شرحها انتصر
السلطان الناصر عليهم في واقعة مرج الصفر وولى التتار منهم زمين مع قطلوشاه نائب غازان وهلك
معظمهم في الفرات وكان ذلك وقت زيادته وفيها مات زين الدين كتبغا وتولى بعده سيف الدين
فبحق نيابة حماة وفي سنة ٧٠٣ هـ توفي غازان ملك التتار بن واحة الرى وخلفه أخوه خربند
ابن ارغون بن بغان هولاء كوين طلوع جنكيزخان وفي سنة ٧٠٤ هـ وصل الى مصر ركب كبير
من المغرب وصحبهم رسول من أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب ومعه هدية عظيمة
من الخيول والبغال عددها ٥٠٠ رأس من الخيل العربية بالسروج والجمع المذهبة ووصل الى
مصر صاحب دنقله وهو زنجي أسود اسمه اباى ومعه هدايا كثيرة من الرقيق والهجن والابقار والنور
والشب والسبازج وطلب نجدة من السلطان فجد معه جماعة من العسكر تحت امره طقطبانا نائب
السلطنة بقوص وفي سنة ٧٠٥ هـ أرسل قوه سنقر نائب حلب مع مملوكه قشمر جيشا للاغارة على
بلاد سويس فلم ينجح بل فشلت جنوده وفي سنة ٧٠٨ هـ أظهر السلطان الناصر أنه يقصد الحجاز
وسافر الى الكرك ولما وصلها بعث جمال الدين أقوش نائبه بالكرك الى مصر يعلم الناس أن السلطان
كره الإقامة بمصر لثقل ببيرس وسلا عليه وفي ٢٥ رمضان وصل كتاب الناصر الى المماليك
مصر حابتنازله ومفوضاتهم الامر في مبايعة من أرادوا فبايعوا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير
المظفر ركن الدين بيبرس ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ لما بايع الامراء بيبرس تلقب بالملك المظفر
وأرسل الى نواب السلطنة بالشام فلقوا له عن آخرهم وكتب تقليد السلطان بالكرك ومنشورا
بما عينه له من الاقطاع وأرسلهما اليه وملاك الفرنج الاستبارية جزيرة رودس وأخذوها من
صاحب القسطنطينية وشكوا فيها حكومة تعرف بحكومة الشفاليه أى الفرسان وقد اشتمروا
بعدئذ بالتلصص في البحار وصعب بسبب ذلك على التجار الوصول في البحر الى هذه الجزيرة تلتنع
الاستبارية لهم من الوصول الى بلاد الاسلام وفي آخر هذه السنة قدم الفرنج بموافقة صاحب
قبرص لغزو دمياط بمحارفاتنقى الامراء في القاهرة على اصلاح جسر النيل الممتد من القاهرة الى
دمياط لثلاثين عذرا على الجنود الذهاب من القاهرة الى دمياط أيام الفيضان وقد كان وضع في شهر
واحد وفي سنة ٧٠٩ هـ سار جماعة من المماليك من مصر مفارقين طاعة بيبرس الجاشنكير
ووصلوا الى الكرك وأعلموا السلطان الناصر بما الناس عليه من طاعته ومحبته فأعاد السلطان
خطبته بالكرك ووصلت اليه مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه وأنهم ياقون على طاعته وجاءته
التداآت من كل جانب فسار عن معه من الكرك وقصد دمشق ونزل بالقصر الابلق وأعاد فيها
الخطبة لنفسه وأمن الناس ولما تكاملت العساكر سار بهم تاسع رمضان يقصد ديار مصر ولما بلغ
بيبرس الجاشنكير ذلك جرد عسكرا وقصد الصالحية لمقاومة السلطان ولكن لما وصل السلطان الى
غزة قدم له الطاعة معظم عسكر مصر ولما تحقق بيبرس ذلك خلع نفسه من السلطنة وأرسل
مع ركن الدين بيبرس الداودارى يطلب من السلطان الامان فأجابته وأعطاه صهيون لأنه هرب الى
الصعيد أولا

الناصر بن علاءون ٧٠٩ - ٧٤١ هـ - لما وصل السلطان الى قلعة الجبل واستقر
على سرير ملكه في أول يوم من شوال وبعث من قبض على الملك المظفر الجاشنكير بقرب غزة وكان

يقصد المسير الى صهيون فاحضر مقيد بالحدديد فاعتقه بقلعة الجبل ثم قتل ثم قبض على سلار واحتاط على غالب موجوده لبيت المال وكان شياً كثيراً (٧١٠ هـ) وفيها قلد السلطان الملك المؤيد اسمعيل أبا الفداء نيابة حجة والمعزة وبارين وقد أبطل السلطان عيد الشهيد الذي كان يفعله الاقباط زعمانهم أن النيل لا يزيد الا به وأبطل كثير من الضرائب الظالمه وفي سنة ٧١٥ هـ أرسل عسكرا ضخما من مصر ومن الشام وفتح مطية من يد الارمن وكانت قاعدة الثغور وفي سنة ٧٢٠ هـ سارت عساكر من مصر والشام وحلب ودخلوا بلاد سيب ونازلوا قلعتها حتى بلغوا السور فغنموا غنائم كثيرة وفي سنة ٧٢٢ هـ توجهت العساكر المصرية حتى نزلوا اياس من بلاد سيب وحاصروها ومدكوها بالسيف وفي سنة ٧٢٥ هـ غزا عسكرا حلب بلاد سيب وضر بوافي جهات أذنه وطرسوس وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشي وعادوا بمائتين وأربعين أسيرا وكانت العساكر عشرة آلاف سوى من تبعهم وكانت وفاة الناصر يوم ١٢ ذى الحجة من سنة ٧٤١ ومدنه الاخير ٣٢ سنة وأشهر ومات وله من العمر ٥٨ سنة ودفن داخل القبة التي أنشأها قلاوون بين القصرين وكان رحمه الله محبا للعمارة أنشأ امره صيدا في الميدان (٧٢٩ هـ) وغير ذلك من القصور والجسور والجوامع وخلفه ابنه المنصور

المنصور سيف الدين ابوبكر ٧٤١ - ٧٤٢ هـ - بويع له بالسلطنة بعد وفاة أبيه وعين قوصون أتابك العسكر وجعل الامير طشتمر المعروف بمحمص أخضر وادارا ثم دبت عقارب الفتن بين الامراء ثم الامر فيها ان قوصون الاتابك طلع القلعة وقبض على الملك المنصور وأرسله الى السجن بمديرية قوص مع أخويه وهما الامير يوسف والامير رمضان ثم أرسل قوصون خبرا الى متولى أعمال قوص بأن يقتل المنصور في معقله فقتله فكانت أيام ملكه ٤٠ يوما وخلفه في ملكه أخوه

الاشرف علاء الدين كجك ٧٤٢ هـ - لماولى الملك بعد قتل أخيه كان عمره سبع سنين واستقر طغر دمير نائب السلطنة ثم تمكن قوصون من نفي النائب المذكور الى دمياط ثم أخذ يعلم السلطان كيفية التوقيع على المراسيم والتأشير عليها وصار الامر جميعه بيد قوصون ثم قامت عصبه ضده في الشام تمت بأن الامير يدغمش تمكن من القبض على قوصون وأرسله الى نغرا الاسكندرية مقيدا ثم خلع الاشرف بعد خمسة شهور وأيام واعتقل الى أن مات في دولة أخيه الكامل شعبان وخلفه أخوه

الناصر شهاب الدين حمير ٧٤٢ - ٧٤٣ هـ - لما بويع له كان متغيبا في الكرك فاستقدم وأجلس على سرير الملك وكان أكبر اخوته سنا ثم أمر بقتل سبعه من الامراء الذين كانوا في سجن الاسكندرية ولذلك نفرت منه النفوس ولما قصد التوجه للكرك لتمضية فصل الشتاء فيها اتفقت الامراء على خلعهم فخلعوه وولوا أخاه اسمعيل

الصالح علاء الدين ابو الفداء اسماعيل ٧٤٣ - ٧٤٦ هـ - بعد ما بويع بالسلطنة بعد خلع أخيه عزل بعض الامراء ونصب غيرهم وسار في الناس سيرة حسنة وبسط العدل وأكثر في الرعية العطا وعامل خاصكية أبيه بالمعروف وأرسل سنة ٧٤٥ هـ تجريدة الى الكرك وحاصر

أخاه الناصر واستمر يرسل التجذات فنقد المال فضرب ما بقى عنده من السروج الذهب والكبايش
نقوداً ثم اشتد الامر على الناصر فطلب الامان وسلم نفسه الى الجند فقيده وأرسلوا يعلمون الصالح
فأمر بقتله فقطعوا رأسه وأرسلت الى القاهرة وفي خلالها عقدت مصر معاهدة تجارية مع
جمهوريه البنادقة (١٣٤٦ م) وكان دوجها وقتئذ يدعى مارينو فاليريو (Marino Faliero)
فتحهم الملك الصالح المواني المصرية أسفن للجمهوريه المذكورة وصار عوجهم البنادقة فنصل
بقيم في نغر الاسكندرية لتمكين الروابط التجارية بين مصر وبلادهم ثم مرض السلطان وكانت وفاته
في ١١ ربيع الاول من سنة ٧٤٦ هـ وفي أيامه أعارت التركان مراراً عديدة على بلاد سين
(٧٤٤ هـ) وخلفه أخوه شعبان

الكامل شعبان ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ - لما بوبع له بعد موت أخيه أخذ يعزل ويولي وينقي
ويقتل في الامراء ويصادرهم فكانت أعماله تخالف لقبه حتى تعصب عليه الامراء ثم هم أن يقتل
أخويه حاجي وحسين فلم يمكنه خدام باب الدهيشة من ذلك فعاد الى بيت أمه خائفاً واخفى فيه
ولكن الامراء وجدوا في طلبه ثم قبضوا عليه وسجنوه في الدهيشة ثلاثة أيام ثم قتلوه يوم ٣ جمادى
الثانية من سنة ٧٤٧ هـ ويقال ان أمه كانت رومية ثم باعوا أخاه حاجي

المظفر حاجي ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ - لما تمت له البيعة بعد قتل أخيه الكامل قبض على كثير
من الامراء وسجنهم بنغر الاسكندرية وقتل بعضهم ونصب غيرهم وأنعم عليهم وكان المظفر هذا
مولعاً بالطيور ومحباً للصنوفها حتى اشتغل بذلك عن تدبير الملك قال الشيخ نهاب الدين بن أبي حجلة في
ترجمة الملك المظفر حاجي انه جعل السطح داره والشمس سراجها والبرج مناره وأطاع سلطان هواه
وخالف من نهاه اهـ ولما استخف بالامراء تغيرت عليه خواطرهم وخرجوا عليه وقامت بينه وبينهم
الحرب فانهزمت فيها ممالك السلطان وقبضوا عليه وخنقوه ثم اتفقوا على تولية أخيه حسن

الناصر أبي الحسن ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ بوبع له بعد قتل أخيه حاجي وله من العمر
ثلاث عشرة سنة وكان اسمه أولاً سيدي قارى لحسنه ثم خلع الخلع على الامراء وفرق الاقطاعات على
الممالك السلطانية ونصب البعض في الوظائف الخالية وفي سنة ٧٤٩ هـ وقع الفناء بمصر وغلت
الاسعار وذكرك ذلك ابن حجر في كتابه المسمى بذل الماعون في أخبار الطاعون وفي سنة ٧٥١ هـ جرد
السلطان تجريدة حاصر بها هندو التتري الذي أعار على سنجار فطلب هندو الامان فأمنه وأعيد اليها
النائب السلطاني وبعد أيام قبض الناصر على جماعة من الامراء وسجنهم بنغر الاسكندرية فتعصب
عليه الامراء باغراء الامير طاز وقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة وخلعوه ولو بعده أخاه صالحاً

صلاح الدين صالح ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ بوبع له بعد خلع أخيه الناصر ولما جلس
على كرسى السلطنة استبد الامير طاز بالامر وصار صاحب الحل والعقد بالملك فاجتمعت فيه
الكلمة حتى صار السلطان بالاسم فقط تعصب الامراء عند ذلك على الامير طاز باغراء الامير بغا
الفخرى وغيره وقامت نيران الفتنة وحصلت حروب داخلية انهزم فيها الثوار وقبض السلطان على
رؤساء الفتنة وسجنهم بالاسكندرية وأفرج عن الامير شيخو من سجنه وقربه اليه وفي سنة ٧٥٤ هـ
مات الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله وخلفه المعتضد بالله وفي سنة ٧٥٥ تعصب الامير شيخو

العمري مع جماعة من الامراء على السلطان وخلعوه وسجنوه وأزالوا ملكه بدسيسة أخيه الناصر وكان الصالح حسن السيرة عادلا ساس الرعية في أيامه القصيرة أحسن سياسة وكان تقيًا صالحًا واتفق الامراء على إعادة الملك الناصر

الناصر حسن ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ - لما خلع الصالح أخرجوا الناصر من سجنه وباعوه مرة ثانية بحضور الشيخ جمال الدين بن نباتة ومن وقتئذ صار الامير شيخو والامير مصر قتمش صاحب الحل والعقد في المملكة وفي سنة ٧٥٦ هـ أنشأ شيخو جامعة وافتتحها بالصلبية وغير ذلك من المباني وحبس عليها الحبوس وفي سنة ٧٥٧ هـ ابتدأ في بناء مدرسته الشهيرة العجيبة قال ابن يياس في تاريخه ان ايوانها بنى على قدر ايوان كسرى أنوشروان في الطول والعرض ٥٥ ولما كملت نزل السلطان وصلى بها الجمعة وخلع على العمال الخلع السنية وبينما كانوا يحفرون أساسها اذ وجدوا امر ساة مر كب وهذا مما ثبت مرور النيل بتلك الجهة قديما وفي سنة ٧٥٨ هـ مات شيخو ومقتولا ودفن في خانقاه بالصلبية وكان أميرادينا كثير العطايا والناصر حسن هو الذي أبطل عيد الشهيد الذي كان يفعله الأقباط وهدم كنيستهم التي بناحية شبري الخيمة وحرق اصبع الشهيد الذي كان محفوظا بها في صندوق وكانوا يعتقدون ويعتقد معهم جهلة المسلمين أن النيل لا يصعد الا اذا غسل فيه ذلك الاصبع وكان يحصل أيام ذلك العيد من المفاسد والفجور ما لا يحيزه شرع ولا يبيحه دين ووفى السلطان الناصر قتيلا يوم ١٢ جادى الأولى من سنة ٧٦٢ هـ ويقال ان قتله كان بعكيدة من الامير يلغا وكان رحمه الله بظلام مقصدا ما شجبا عما حجب للرعية وخلف من الاولاد عشرة ذكور وخلفه في الملك ابن أخيه المنصور محمد

المنصور محمد بن المنظر ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ - تولى الملك وعمره أربع عشرة سنة وقام له الامير قشتمر المنصوري بنباية السلطنة والامير يلغا العمري أتاك العسكر بتدبير أمور المملكة وأخرج السلطان من كان مسجونًا من الامراء بالاسكندرية وأظهر الامير بيدمر الخوارزمي نائب الشام العسبان بعد عودته من غزو بلاد الارمن وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة وغيرها فتوجه السلطان بالجيوش الى الشام ثم قبض على الخوارزمي وسجنه وعاد ظفرا وتوفى الخليفة المعتضد بالله واستقر مكانه وولده المتوكل على الله أبو عبد الله محمد وفي سنة ٧٦٤ هـ قبض الانابكي بيلغا على السلطان المنصور وخلعه وولى مكانه ابن عمه شعبان بن حسن

الاشرف زين الدين شعبان ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ - بويغ له وسنه اثنتا عشرة سنة وأقر الامراء في مناصبهم وفي سنة ٧٦٧ سطت مراكب صاحب قبرص على نغر الاسكندرية وكانت سبعين سفينة حربية مشحونة بالمقاتلين فطرقوا المدينة وخرج نائب الاسكندرية مع جماعة من أهل البحيرة لمحاربتهم وبعد واقعة عظيمة ظاهر باب البحر انهم هزموا فدخل الفرنج المدينة ونهبوها ثم رحلوا عنها وعند ذلك صدرت المراسيم السلطانية بانشاء مائة غراب من المراكب الحربية وبعد اتمامها استعرت منها السلطان في يوم مشهود وعين للاسكندرية الامير بكتمر الشرف أحد مقدمي الالوف نائبًا وتوجه اليها بجموعه فزاد شأنها وكان الرئيس على الاساطيل شخص يدعى محمد بلطه وفي سنة ٧٦٩ هـ اتفق صاحب قبرص وصاحب رودس رئيس طائفة الاستبارية على منازلة

طرابلس فخاؤا اليها في مائتي مر كب حربيته وبعد حروب تمكن الفريخ من المدينة ونهبوا أسواقها وقتلوا ايمها جماعة من المسلمين وحضرت عساكر البلاد وحاربوهم فانكسروا كسرة قوية حتى اضطروا لتترك ساحل طرابلس وفي سنة ٧٧٥ هـ أصيبت مصر وسوريا بقطيعة شجعت فيه الغلال ونحرج السلطان والعلماء والصلحاء وانفجروا الى وراقبة النصر وخطب هناك القاضي شمس الدين ابن القسطلاني خطبة الاستسقاء واستمر الامر على ذلك نحو سنة ثم قامت حروب داخلية قصد بها بعض الامراء الايقاع بالسلطان وبعد وقائع بطول شرحها قبضوا عليه وقتلوه خنقاً في ٣ ذي القعدة من سنة ٧٧٨ هـ وخلفه علي بن شعبان

المنصور علي بن الأشرف شعبان ٧٧٨ - ٧٨٣ هـ - لما تولى الملك كان سنه سبع سنوات وأول من بايع له الخليفة المتوكل على الله ثم الامراء وبعد أن لبس الخلع الملوكة في باب السر قصد الايوان وبين يديه القبة والطير على رأسه وجلس على سرير الملك ساعة ثم دخل القصر الكبير ومد السماط حسب العادة المتبعة وقتئذ ثم أقر من أقره ونصب من نصبه من الامراء ثم حصلت أمور يطول شرحها بين الامراء اضطرت فيها الامير القمري الحنبلي نائب السلطنة بالتخلي عن وظيفته وتوجه الى الشام واستقر فيها نائباً ونال الاتابكي أئنيك البدرى منزلة عظيمة لدى السلطان حتى صار يتصرف في أمور المملكة كما يشاء وبعد قليل هاجت العسكر عليه فهرب وحصل فتنة بين الامراء فاز فيها الامير برقوق العثماني فأقره السلطان أتابكاً للعساكر بمصر وكانت نيران الحروب الداخلية لا تنطفئ بمصر وعصت عزبان البعيدة وهجموا على دمنهور ونهبوها وكان كبيرهم يسمى بدر بن سلام فأرسل الاتابكي برقوق عليهم قوة مع ثمانية من الامراء المقدمين فبددوا شمل العربان وهرب زعيمهم وعادوا منصورين (٧٨١ هـ) ولكن في السنة التي بعدها عادت العربان يجمعوهم ونهبوا البلاد فنحرج اليهم الشعباني أمير السلاح مع خمسمائة مملوك فكسروه ولما وصل نائب الاسكندر به بجيشه هزمهم وهربوا الى برقة وفي سنة ٧٨٣ هـ ظهر الوباء بمصر ووقع بسببه الغلاء وكانت وفاة الملك المنصور يوم ١٣ صفر (٧٨٣ هـ) وكان رحمه الله جميل الصورة حسن الشكل قليل الاذي مات وله من العمر اثنتا عشرة سنة وخلفه أخوه ماجي

الصالح ماجي بن الأشرف شعبان ٧٨٣ - ٧٨٤ هـ لما بويع له كان عمره لا يتجاوز الست سنوات وأجريت له الاحتفالات المعتادة وكان الاتابكي برقوق هو الذي يحمل أثناءها القبة والطير على رأس الملك وفي أول حكمه ثارت عريان بلاد البعيدة ونهبوا البلاد فجرد عليهم برقوق ستة أمراء وخمسمائة مملوك فخاربوهم حتى شنتوا شملهم وغنموا منهم غنائم وافرة ثم اتفق ان الشيخ الصقوي أبلغ الاتابكي برقوق خبراً اتفق بعض المماليك على قتله فعزم برقوق من وقتئذ على اظهار مقصده بجمع الخليفة المتوكل على الله والقضاة وأخبرهم بالحالة التعيسة التي وصلت اليها البلاد واختلال الامن ورحيل السكان من المظالم والتعديت وانما اذا لم تسلم البلاد لسلطان قوي ذي بطش ساءت الحالة أكثر مما هي وعم الاضطراب وبعد أن تداول المذكورون في الامر طويلاً اقر رواجع الملك الصالح ومبايعة الاتابكي برقوق وتم الامر بادخال الصالح الى دور الحرم مع اخوته بعد أن حكم سنة وسبعة شهور ومن يومئذ قامت دولة المماليك الثانية

(الفصل الرابع عشر)

(دولة المماليك الثانية المعروفة بالجزراكسة)

٧٨٤ - ٩٢٣ هـ

اختلف المؤرخون في أصل الجزراكسة فمنهم من قال انهم من شعوب أواسط آسيا زحفوا الى
البقعة الشمالية الغربية من بحر قزوين واستوطنوا فيها وينسب اليهم كثير من شعوب أوروبا
ومنهم من قال انهم من قبائل سيبيريا ونواحي بحيرة بيكال هاجر وامنها في القرن السادس الميلادي
واستوطنوا في الجبال الكائنة غربي بحر قزوين ومنهم من قال انهم من أصل عربي جدتهم جبلة
ابن الايهم بن الحارث بن أبي شمر الغساني الذي ارتد الى النصرانية وهرب من قصاص عمر بن الخطاب
الى القسطنطينية وتزوج بها وكثر نسله وصار منهم قبائل استوطنوا في البقعة الواقعة غربي بحر
الخرز ويجيها قيرطاي وفي الجبال الكائنة بجنوب نهر ترك وعلى ساحل بحيرة قوبان وفساد هذا
القول الاخير نظاهر لكل من وقف على علم التاريخ وأما كون بعض العلماء ألف في ذلك تأليف
يقصد بها نسبتهم الى العرب فهو من باب المداينة والتملق قصد نوال مطمع أو حاجة اذ لم يقل أحد من
العلماء الذين يعتد بأقوالهم بهذا القول وقد اشتهرت هذه الامة بالشجاعة وجمال الصورة ومعاضدة
بعضهم بعضا واشتهر كثير من أمراءهم بمعامد الاخلاق والصلاح والفروسية وقد اقتنى منهم سلاطين
مصر عددا وافرا وكانوا يستخدمونهم في مصالح الدولة فارتقوا فيها لذكائهم وشهامتهم وأمانتهم حتى
صارت اليهم حماية البلاد وصاروا يسكنون الحصون والقلاع وما زالوا يزدادون عددا وقوة
حتى تمكن رقوق المذكور بواسطتهم من خلع الملك الصالح واستلام مقاليد السلطنة كما تقدم وهو
أول ملوك الجزراكسة بمصر

الظاهر سيف الدين رقوق ٧٨٤ - ٧٩١ هـ - لما بويع له بالسلطنة باقرار الخليفة
العباسي المتوكل على الله لقب بالملك الظاهر ثم أقر من أقره وقرب من أحبه من الامراء وفي سنة
٧٨٨ هـ بلغه أن الخليفة المتوكل يؤلب الناس على خلعهم من السلطنة فجمع رقوق المشايخ والائمة
والعلماء وقرر معهم خلع الخليفة فخلعه وحبسه في القلعة ونصب بدله في الخلافة عمرا ولقبه الوائق
بالله ولكن لم تطل أيامه فمات سنة ٧٩١ هـ فنصب مكانه أخاه زكريا ابراهيم وظهرت الفتن وامتد
الاضطراب حتى خاف السلطان على نفسه فأمر نائب القلعة بأن يضيق على الخليفة المتوكل ثم
استفحلت الفتنة في الشام فأرسل السلطان الامير عمر بغا الفخاري ليستطلع أخبارا يبلغا الناصري
ولماسار بجيشه قبض الامير حسام الدين بن باكيش نائب غزوة على طوابع جيشه ومجنهم وفي خلال
ذلك أساء الخليفة أبو زكريا ابراهيم السيرة فخلعه السلطان وأعاد المتوكل على الله وخلع عليه الخلع
وكان يبلغا الناصري وصل بجيوشه من الشام الى الصالحية فاضطربت الاحوال وانسحبت جيوش
الملك الظاهر التي أرسلها الصفة فاضطر السلطان أن يخرج بنفسه الى المطرية ولما وصل اليها مجموعة
أخذ بعض المماليك يهرب ويلحق ببلغا الناصري فعاد السلطان الى القلعة ليحتمى بها ووجهز
الجند وحصلت حروب طويلا بين الطرفين انتهت بانهمزاهم الظاهر وفوز الامير ببلغا ثم أقر الخليفة

و يبلغا ومعهما الامراء على خلع برقوق ومبايعة الملك الصالح حاجي آخر مولانا المالك البحرية ونفي برقوق الى الكرك فتم لهم الامر وبايع الناس الملك الصالح

الصالح حاجي ٧٩١ - ٧٩٢ هـ - لما جلس الصالح نائبة على سير الملك تلقب بالملك المنصور وكانت الفتن لم تخمد تماما لانه بعد جلوس هذا السلطان بقليل قامت الفتن بين الامراء و هرب جماعة منهم الى الكرك والتفوا على الظاهر برقوق وحرصوه على نوال السلطنة فخرج بجموعه الى الشام والنف حول خلق كثير ثم تقدم وحصلت بينه وبين عساكر الشام جملة حروب كان الفوز في جميعها لبرقوق ولم تحض سنة ٧٩١ حتى انضم معظم عساكر الملك المنصور الى الملك الظاهر برقوق فاضطرت الاحوال بمصر واخير اجتمع المتوكل ومنطاس والامراء على خلع المنصور واعادة الملك الظاهر برقوق فدخل مصر يوم ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ

الظاهر برقوق ٧٩٢ - ٨٠١ هـ - لما عاد الى السلطنة جدد له الخليفة المتوكل على الله المبايعة وتبعه الامراء والعلماء والاعيان واخذ يدبر الملكة فأقر من أقره وعزل من عزله وسجن من سجنه ثم ختم ذلك بقتل الملك المنصور حاجي وبعض رجال خزينة معا للدسائس فوطد بذلك الامن في أنحاء البلاد وفي خلال ذلك استفحل أمر تيمورلنك ونازل بغداد سنة ٧٩٥ هـ وامتلكها من نائبها السلطان أحمد بن أويس الذي قدم الى مصر مستنصرا بالظاهر برقوق فقباه الظاهر بالاکرام في ربيع أول سنة ٧٩٦ هـ وأخذ يجهز الجيوش لمساعدته ثم خرج بها الى الشام واستعجب معه السلطان أحمد بن أويس ثم بعث جيشا مع السلطان أحمد يساعده على فتح بغداد فتم له ذلك وضرب السكة باسم السلطان برقوق وخطب له وبقى برقوق بجموعه في الشام مترقا قتال تيمورلنك وفي أثناء ذلك ورد عليه مکتوب تيمورلنك مهدده فيه ويتوعده بالذل والهوان وكان تيمورلنك طلب من برقوق قبل ذلك أن يسلمه قره يوسف أمير الدولة المادية وكان هرب من وجه تيمورلنك والتجأ الى مصر فلما قرأ برقوق كتاب تيمورلنك غضب غضبا شديدا وجاوبه بجواب شديد العبارة من انشاء ابن فضل الله العمري فلم يتجزأ تيمور على الاقدام لامتلاك مصر بل رجع الى بلاد خراسان لظهور رقنة هناك وكانت وفاة السلطان برقوق بده الصرع ليلة الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ وكان أوصى بالملك بعده الى اولاده بالتوالي ومات وله من العمر ٦٣ سنة وكان رحمه الله عادلا كريما أبطل كثير من المكوس محبا للعمارة شيدا كثيرا من المباني منها مدرسة سميت بالظاهرية وجامعه المعروف باسمه لاني في شارع النحاسين وجد بناء خزانة السلاح بشعر الاسكندرية والمجرة التي تجرى من النيل الى قلعة الجبل وهو أول من سعى في مهادنة العثمانيين فكتب الى السلطان يلدرم بايزيد المحررات الودية وبعثهم مع أحد الامراء الى قونيه وخلق في ملك مصر ابنه فرج

الناصر زين الدين فرج ٨٠١ - ٨٠٨ هـ - لما مات برقوق اجلسوا ابنه فرجا كما عهد اليه قبل موته وبايعه الخليفة المتوكل على الله والامراء كالعادة ثم خلع على الامراء وأقرتهم البعض وقبض على البعض وسجنهم بالاسكندرية بسبب الفتن التي قاموا بها و هرب بعضهم الى الشام منهم الاباكي ايتش وكان الامير تم نائب الشام خرج عن الطاعة فقاد الناصر جيشا وحاربه وكسره وقبض على كثير من الامراء الذين التفوا عليه وجسد منهم بقلعة دمشق منهم ايتش الجاسي ونغري بردي وبقغا الكاشي وبقغا طيور ورازغون شاه اليدرمر وغيرهم وفي سنة ٨٠٣ هـ أغار تيمورلنك

بجيوشه يقصد الشام ففتح في طريقه سيمواس من يد السلطان بايزيد خان العثماني واستولى على
 ملطية وحلب وحصن من أملاك مصر فرج الملك الناصر بالجيوش الى الشام ولما قصد تيمورلنك
 دمشق وكان الناصر فرج جاء لحمايتها ومعه الخليفة العباسي لم يقم بهم المقارب تيمور بل تركها وتوجه
 الى قبة يلغا ثم خاف وارتحل منها أيضا الى مصر وأخذ يستعد للدفاع عنها ثم وردت الاخبار بانهم زام
 جيوش بايزيد في انقره وأسره (٨٠٤ هـ) فاضطربت أحوال الناصر ومال الى التزلف لتيمورلنك
 وعقد معه مصالحة وحصلت بينهما مودة ومهادنة فأرسل تيمور الى الناصر سلطان مصر هدية وفيلا
 وأمر الناصر فاعتقل كل من السلطان أحمد بن أويس وقره يوسف حسب طلب تيمور بعد أن هربا من
 بغداد عندما أخذها تيمورلنك ثاني مرة (٨٠٦ هـ) وفي سنة ٨٠٧ هـ كان هلاك تيمورلنك
 بمدينة أترار الواقعة على نهر سيحون وجلبه الى سمرقند ودفنوه بها وتكلم بعده حفيده خليل بن
 أمير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين فتغلب على بغداد ملوك من
 التركمان الى أن اتزعتهم منهم الشاه اسماعيل الصفوي (٩٠٦ هـ) ولما مات تيمور اغتتم الناصر
 فرج الفرصة فافرج عن السلطان أحمد بن أويس وقره يوسف وأخذ يتأهب لاسترجاع الشام
 وكانت النفوس متغيرة على الناصر من يوم خضوعه لتيمورلنك من غير قتال وفي سنة ٨٠٨ هـ
 أطلق الدمرداش نائب حلب الامير حكم العوضى من السجن مع باقي الامراء وتعبص عليه الامراء
 بمصر فاضطربت أحوال الناصر ونزل من القلعة متسكرا ولما بلغ القائمين عليه ذلك خلعوه ونصبوا
 مكانه أخاه عبدالعزیز (١٦ ربيع الاول ٨٠٨ هـ)

النصور عز الدين عبدالعزیز ٨٠٨ هـ - بويغ له بعد خلع أخيه وصار الاتابكي ببيرس
 صاحب الحل والعقد بالملكة فأنخفض بذلك نفوذ المقر السيفي بشبك الشيباني فتنى عود الملك
 الناصر فرج ففسك ذلك الى المقر السعدى بن غراب في خلوة فقال له ابن غراب لاتهم في هذا الامر
 لان الملك الناصر عندي محتف ففرح يشبك ثم أخذ الاثنان في أسباب عميلك الناصر الى أن أظهره
 فاضطربت الاحوال وقام حرب بين رجال الحزبين انتصرت فيها حزب الناصر وخلع عبدالعزیز بعد
 سلطنته بشهرين ونصف وعاد أخوه الناصر الى تختة ثانية

الناصر فرج ٨٠٨ - ٨١٥ هـ - لما عاد الى كرسي السلطنة قبض على الاتابكي ببيرس
 واعتقله بسجن الاسكندرية ثم أقر من أقره من الامراء وأتم على بعضهم بالعطايا ولم تمض أيام حتى
 مات الخليفة محمد المنوكل على الله خلفه ابنه العباس في الخلافة ولقب بالمستعين بالله ثم جرد الناصر
 الجيوش وغزاد دمشق وافتتحها وفتح كثيرا من بلاد الشام واعتنى بالاصلاحات الداخلية فساد الامن
 في أطراف البلاد ووقع الطاعون بالقاهرة سنة ٨١٣ هـ وكانت الفتن بين الامراء لاتقطع والناصر
 يقبض على مماليك أبيه وينقي منهم ويقتل بقصد اطفاء نار تلك الثورات فنشرت قلوبهم منه فتنسحبوا
 الى الشام والتحقوا بنوروز الخلفي والشيخ محمود أمير دمشق وأعمالها وكانا خلعوا طاعة الناصر
 فرج الناصر يقود جيشا بنفسه ودخل الشام وحاربهم فانهزموا وكان بين الامراء العصيان وبين
 الخليفة المستعين بالله العباسي نواطو على خلع الناصر وجلس الخليفة ليعيد للعباسيين السلطة
 السياسية وبجرد انهم زام الناصر قرر الخليفة بخلعه ونادى بنفسه سلطانا وخليفة لنفسه ومترئته

(٨١٥ هـ) ولما وصل الناصر مهزوما الى تربة تم قبض عليه وسجن بدمشق ثم أُنبتوا عليه الكفر بحكم الخليفة وقتلوه داخل البرج ودفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق وكان الناصر فرج شجاعا مقداما كريما غير أنه كان سفاكا للدماء وكان محبا للتشديد المباني فأنشأ المدرسة التي بباب زويلة وعمر الجامع الذي بجوش القلعة الداخلي ووجد أشياء كثيرة غير ذلك

الخليفة العباسي المستعين بالله ٨١٥ هـ - لما قتل الناصر بوبيع المستعين بالله بالسلطنة ولم يتفق خليفة قبله من بني العباس من عهد قيام خلافتهم بمصر انه تسلطن فأقر نوروز الحافظي نائبا على الشام ياجعها وجعل الشيخ محمودا تابكا على العساكر المصرية وكان ذلك بدمشق ثم سافر الخليفة الى مصر ودخلها مع كباقل وبعد أن استقر في القلعة أياما قلائل أخذ يهتم بإصلاح الأحوال وتنظيم أمور المملكة لينال ثقة الرعية ومحبتهم ولكن لما كان الشيخ محمود يقصد بثورته التي قام بها مع شركائه على الملك الناصر خدمة أغراضه الذاتية بدله أن يتسلطن فأخذ من وقته يترقب الفرص خلخ الخليفة العباسي من كرسى السلطنة وصار يقرب الامراء ويظهر لهم ضعف الخليفة وأنه أجنبي عنهم ثم جعله الخليفة نائبا للملك لما أحس بذلك ولم يتحول عن مقصده بل بعد أيام قلائل اتفق مع القضاة وكتب محضرا يلزم إقامة سلطان تركي له سطوة وليقمع أهل الفساد وكانت العرب تآثر في مدير بيتي الشرقية والغربية وقتئذ وكثر منهم الفساد في البر والبحر فأجعوا على خلخ المستعين بالله من السلطنة وبقائه خليفة فقط وبإيعوا الانابكي الشيخ محمود وفي الحال سجن الخليفة في بعض غرف القصر

المؤيد أبو النصر شيخ محمودي ٨١٥ - ٨٢٤ هـ - لما جلس على سرير السلطنة أجريت له الرسوم المعتادة واقب بالملك المؤيد ثم خلخ المستعين بالله من الخلافة وولوا مكانه أخاه داود ولقب بالمعتضد بالله ثم قبض السلطان على بعض الامراء وسجنهم وأنعم على غيرهم ممن حضر وامعه من الشام بالوظائف وأرضى الجندي بالقطاعات ولما بلغ نوروز الحافظي نائب الشام خبر خلخ الخليفة حتى وأظهر العصيان يدعوى ان الشيخ خان الايمان والعهود فجر دشيخ الجيوش عليه سنة ٨١٦ هـ وحاصروه بدمشق حتى اضطرروه الى التسليم وقطع رأسه وبعث بها الى القاهرة ثم عاد العسكر نظرا فابعد ان وطد أحوال الشام وفي أيام الملك المؤيد هذا وقع الطاعون بمصر سنتين اشتد فيه ما الغلاء (٨٢١ هـ) وكان محبا للعمارة فشيّد جامع الشهباء بالمؤيد بباب زويلة وأكمل عمارته سنة ٨٢٢ هـ وأوقف عليه الجبوس وفي هذه السنة وردت عليه محررات من السلطان محمد خان بن يلدرم بزايدتويد وتجدد الصلات القديمة والمحبة والارتباط الذي بين ملوك آل عثمان وبين سلاطين الدولة المصرية (١)

(١) من السلطان محمد خان غازي الى عزير مصر أبو النصر الشيخ محمودي تيمنا بذكر العزيز السلام الذي سبق وجهه ذوالجلال والاكرام مدانته تعالى أطناب خيام دولة السلطان الامامى الهامى الاعظمى الاكرامى الاعلى الاعلى الانجى الكاملى الكافى المكملى المشدى المنعمى الارضى الاوسمى الجليلى الجميلى المعظمى المنجى الرسمى الكرمى المرابطى المناغرى الاولوى الاعلى ملك الملوك فى العالم أسونا للحكام بين الامم معين الاسلام والمسلمين عوث الملهوفين وغيث المظلومين ظهير الاقبال والخواقين قهرمان الماء والطين حامى سكان الحرمين الشريفين فقد هجج الصفا والمرورين المخصوص محض اللطف الودودى ضد الملك والدين أبو النصر الشيخ محمودى خلد الله تعالى أيام سلطنته واقباله وأدام أعوامه عز واجلاله مادام الفلك وسبح السمك وبعد فلما كان مراسم المحبة بيننا مشيدة

ولما وصل جواب الملك المؤيد اتفق موت السلطان محمد وفي سنة ٨٢٤ اشتد المرض بالملك المؤيد حتى ألزمه الفراش فمات في ٩ محرم ودفن في جامعته المذكور وكان رحمه الله عاقلاً عارفاً بأحوال المملكة مقدماً ما في الحروب محباً للعلماء أبطل كثيراً من المكوس وكان كثيراً يعطي بالفقراء والصالحاء ميالاً إلى الطرب والملاهي عالمابفن الموسيقى محباً للعساق وخلفه في الملك ابنه أجد

المظفر أحمد والظاهر سيف الدين والصلاح ناصر الدين ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ - تسلطن أجد بعد موت أبيه وله من العمر سنة وثمانية أشهر وأيام وذلك بتعصب مماليك أبيه ولكن بعد عودة التجسر يد من الشام عارض الخليفة في ميايعته لصغر سنه خوفاً على البلاد ثم عظمت شوكة سيف الدين أبي سعيد ططر بعد ظفروه على الاتابكي الطنبغا نائب الشام وغيره من الأمراء وخلع الملك المظفر وتسلطن هو بالشام ولقب بالملك الظاهر وطلق خوند سعادات أم الملك المظفر وكانت دست إليه السم لما خلع ابنها مرض لوقته ودخل مصر وهو عليل فلم تطل أيامه فمات بعد ثلاثة أشهر وخلفه ابنه ناصر الدين محمد ططر وله من العمر إحدى عشر سنة تقرباً ولقب بالملك الصالح وتمكن الأمير برسباي الدوادار من الأمور وصار صاحب الحل والعقد وأخيراً تعصب له جماعة من الأمراء وخلعوا الملك الصالح وابعوا برسباي بعد ثلاثة أشهر ونصف وحبس الصالح في دور الحرم وكان برسباي هذا حركي الأصل

كثيراً من مرصوص وثابتة بالآيات والنصوص لزم علينا تجديد المصادقة القديمة وتعميد الخاصة المستقيمة فالعجب المخلص غاب ابلاغ الدعوات الخالصات المستجابة وازدادت المصادقات المستطابة الصادقة من خلوص الوداد وخصوصاً الاعتقاد يبدي إلى علمه الكريم علم التكريم لا زال محفوظاً بما يسر من الطالب العالية البهية والمقاصد الرفيعة السنية ان هذا المحب المخلص منعه الاشتغال بدفع أعداء الله تعالى القاصدين لضرر بلاد الاسلام وقتل المسلمين وقهرهم عن ارسال الرسل وابداء الاشواق ورفع الرافعات والان لمواقع الفراغ بعون الله تعالى وفضله وبركات رسول الله صلى الله عليه وسلم من قهرهم واستنصاهم وتدميرهم وتخريب بلادهم وقتل أمرائهم وصناديدهم وأخذ حصونهم أراد تخريب سلسلة المحبة والاخلاص وابداء مارضخ القلب من المودة والاختصاص ووقع ما وقع بفضل الله تعالى من الغف وارتفاع اعلام الدين وتدمير أعداء رب العالمين إلى العلم الكريم لينتجح به القلب الكريم الذي قصد مدى الأيام اعلاء كلمة الله تعالى ونصر أوليائه وقهر أعدائه وكفى بذلك فخرًا وذخراً جهز الامير الخطير افتخار الامراء العظام ينبوع اللطاف والمكارم معدن المآثر والمفاخر عين الملوك العظام اقتضار الحاج والمعتمر من الحاج خير الدين خليل بك أدام الله تعالى عزه لينوب عن هذا المحب في اعلام ما في ضميره من فرط المحبة وصدق البنية وخلوص الاعتقاد وصدق الطوية ويبيد أن الاخلاص الموروث الذي لهذا المحب ارتش من آتائه لخدمته الشريفة على الزائد بتعاقب الليالي والايام وتكرار الشهور والاعوام شامخة البنين راحضة الأركان لا يمكن أن يستثنى من شامه أرحمة الزلل أو يخطئ بما سمها شائبة الخلل وحملنا من المشافهات ليرفعها إلى المسامحة الكريمة لازالت محفونة بالسلامة والكرامة فالأمول من اللطف التام والكرم العام الاصفاء اليها على عادة الحسنة البهية وسيرة الكريمة المرضية والمسؤل من شيم الخنازير الشيف أن يشرف هذا المحب المخلص أحياناً عشر فاته الكريمة المشرفة وكتبه الجملات المجللة ويديه باختيار السارة الدالة على انتظام أمور الدولة الظرفية القاهرة لازالت منصوره الاسلام ناصر لدين الاسلام ليكون سبباً للبهجة وانشرح الخواطر وان يعلم بسوانح المهمات التي في وسع هذا المحب انماها الجديف ما يهايا ويهيم بها كل الاهتمام ان شاء الله تعالى وأن يمكن التجار والقوافل القاصدين لبلادنا من الورود حسب ما يمكن لهم المنفعة ويسر برحمتهم ما يعينهم نفعاً له بما دليعيه الله الملك المتعالى المهمات بفضله العظيم ويؤيد بلائكة السموات بلطفه العميم وكتب في رابع شوال سنة ٨٢٢ عتقاً بروسه اه حقيقه ١٥٦ ج أول منشآت تفر يدون

الاشرف ابو النصر برسباي ٨٢٥ - ٨٤١ هـ لما اتخذه القضاة والامراء وجلس على
 سرير الملك فلقب بالملك الاشرف وخلع على كثير من الامراء بالمناصب فاستقامت الاحوال وراق له
 الوقت وزادت الخيرات لوفاء النيل في اول حكمه فشبغ الفقراء ثم في سنة ٨٢٩ هـ ارسل أسطولا
 وجيشا وغزرا قبرص وفتح مدينتها واسر ملكها جان لوسينيان (Jean Lusignan) ورجع
 به الى القاهرة قال ابن ياس فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهورا وزيبت المدينة سبعة ايام
 ودخل اسكر القريخ وهم في زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب اه واعترف ملك قبرص
 بسطان مصر برسباي وقبل دفع الجزية وفي سنة ٨٣٣ هـ وقع الطاعون بالقطر المصري وكان
 مخالفا لبقية الطواعين لوقوعه في وسط الشتاء واستمر أربعة شهور وقد عتد الاشرف برسباي مع
 ملوك القريخ والسلطان مراد خان العثماني المعاهدات فبلغت مصر في ايامه درجة واقية من
 الهيبة والوقار وكانت وفاة برسباي يوم ١٣ الحجة سنة ٨٤١ هـ بعد ان حكم ١٦ سنة وثمانية شهور
 وكان رحمه الله ملكا جليلا مجيلا منقادا الى الشريعة محبا لأهل العلم قال بعض من وصفه ان
 الاشرف برسباي أحد ملوك الجراكسة كان أرفعهم هممة وأشدهم عزيمه وأكثرهم تدربا في
 الاحكام محبا للعلماء مرم عدة مدن وشيد جلة مبان مقفزة بالقاهرة منها جامع المعروف بالاشرفية
 الكائن بسوق الوراقين ومدرسته التي في خانقاة سرياقوس وزادت عظمته بقوة ممالكة الذين ابتاعهم
 في ايامه وكانوا أكثر من خمسة الاف وخلقته ولده جمال الدين

العزيز جمال الدين يوسف ٨٤١ - ٨٤٢ هـ لما بويع له بعد موت ابيه كان له من العمر
 ١٤ سنة فلقب بالعزيز وأقر الاتابكي حقمق العلاءي نائبا نصارا للخل والعقد بيده ولم ترض ايام
 حتى دبت عقارب الفتن بين الاتابكي المذكور والامراء الاشرفية وصار العزيز سلطانا بالاسم
 فاستدت الفتنة بين الاشرفية وبين الممالكة السيفية والامراء المؤيدية والناصرية المتعصين
 بلحقمق فانتصر الآخرون على الاشرف وتم ابحلغ العزيز بولي الاتابكي حقمق بعد ثلاثة أشهر
 وخسة ايام من حكمه فقبض عليه واعتقل بسجن الاسكندرية ولبث فيه مدة طويلة

الطاهر حقمق العلاءي ٨٤٢ - ٨٥٨ هـ بويع له بعد خلع العزيز بحضور الخليفة
 المعتضد بالله داود والقضاة الاربع وكان سنه يومئذ ٦٩ سنة فانفق على العسكر نفقة السلطنة
 وفرق على الممالكة الاقطاعات كالجاري وقامت بعض ثورات في أوائل حكمه بالشام وغيرها فاطفأها
 بحكمته ثم في سنة ٨٤٥ هـ مات الخليفة داود ولوامكانه أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكني
 بالله وفي سنة ٨٥٣ هـ توقف النيل عن الوفاء فرسم السلطان بأن تخرج الناس للاستسقاء فخرج
 الخليفة والعلماء والصلحاء نحو الصحراء عند جبل الاحمر وبقي النقص مستمرا فشحت الجيوب وتزايد
 السعر وحصل من ذلك اضطراب ثم أعقب ذلك وقوع الطاعون ومات فيه خلق كثير وفي سنة
 ٨٥٥ توفي الخليفة المستكني بالله سليمان وخلقته أخوه حمزة ولقب بالقائم بأمر الله وكانت سيرة هذا
 الخليفة مغارة لسيرة سابقه حيث ظهرت منه أمارات تدل على حبه للاستقلال بالسلطة فاحترس
 السلطان من دسائسه ومارأى السلطان تقدمه في السن وتوعك خلع نفسه من السلطنة سنة
 ٨٥٧ وتنازل لابنه نغرا الدين عثمان واستمر عليلا الى أن توفي يوم الثلاثاء ٤ صفر من السنة
 المذكورة وكان رحمه الله لين العريكة متواضعا محبا لفضل الخير يحب العلماء

المنصور عثمان ٨٥٧ هـ - لما تنازل له والده عن السلطنة وبايعه الخليفة والامراء جعل
الامير عمر بغاد وادار اعوضا عن الاميرد ولا نبأ المؤيدى وأمر بالقبض على بعض الامراء وسجنهم
وأتم على غيرهم بالانعامات ولما كانت الخزينة في عسر أخذ يبحث على طريقة ليصرف بها نفقة
السلطنة على العسكر وفي خلالها قامت عليه المماليك الاشرافية والمؤيدية مع غيرهم بتخريص
الخليفة جزء القائم بأمر الله وكان يقصد خلع المنصور لينال ما يقصده وهو الاستقلال بالوظيفة فخاب
في مساعده لانه بعد خلع المنصور يادر الامراء بعبادة الاتابكي اينال بالسلطنة وبقيت نيران الحرب
الداخلية مشتعلة بين اينال وحرزيه والمنصور وحرزيه مدة ثمانية أيام ثم انهزم المنصور وعثمان وجوعه
وقبضوا على المنصور وقيدوه وبعثوا به على حراقة الى نجر الاسكندرية فسجن فيها بعد أن
حكم ٤٣ يوما

الاشرف اينال السلطانى ٨٥٧ - ٨٦٥ هـ - لما تم لاينال الامر وجلس على سرير الملك
تلقب بالاشرف وأخذ يدير بأمر المملكة وينظر في اصلاح الاحوال فكان من أول أعماله ان قلد
الامراء المقربين اليه الوظائف السامية وخلع عليهم ونار عربان البحيرة فخر عليهم العساكر مرتين
الاولى تحت قيادة طوخ باني بازق أمير المجلس والثانية تحت قيادة الامير جالم الاشرافى وبرسبباى
الجباسى فادخلوهم تحت الطاعة وفي سنة ٨٥٨ هـ انتهت عمارة جامع بريدك صهر السلطان
وكان شيده بخط قناطر السباع يطلى على الخليج فاحتفل بفتحته ثم في سنة ٨٥٩ هـ أظهرت المماليك
العصيان بتخريص الخليفة القائم بأمر الله أيضا تخاف الاشراف أن يناله من هذه الفتنة ما نال سلفه
فطلب السلطان الخليفة ولما حضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بكلمة وأمسك لسانه عن الجواب
ثم أمر به فسجن وأرسل في حراقة الى سجن الاسكندرية فبات فيها ويقال انه بعد أن وبخه السلطان
وفرعه أعلن بخلعه عن الخلافة فقال الخليفة من أين لك أن تخلع الخلفاء ولهم وحدهم أن يولوا
ويعزلوا فلم يجبه الا بالثنى وقال ابن اياس لما أرادوا خلع الخليفة حرز من الخلافة قال انه قد واعدنى
أنى قد خلعت نفسى من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال
قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ان خلعه للسلطان لا يصلح وقد بدأ بخلع نفسه أولا ثم ثنى بخلع
السلطان وهو غير مولى للخلافة فهبدأت الافكار وبعد خلع الخليفة وقع الاتفاق على ولاية أخيه
الجمالى يوسف بن محمد المتوكل واقب بالاستجد بالله ثم ان السلطان قبض على جماعة من المماليك
الظاهرة بمن كانوا السبب فى الفتن ونفاهم الى الشام ولما وردت المكاتبات من السلطان العثمانى
الغازى أبى الفتح محمد خان متضمنة أخبار فتحه القسطنطينية أرسل له الاشراف الهدايا والتهنئة
(١) مع الخواجه ابن القاينى والامير قانى باى اليوسفى وفي سنة ٨٦١ هـ تعدى الأمير ابراهيم

(١) ضاعف الله تعالى نعم المقر الشريف العالى المولوى الاولوى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى العضدى الكهنى
العوفى العوفى الغبانى الملكى السيدى الهامى النظامى القوامى المقفرى الذخرى المههدى المشيدى المجاهدى الثنافرى
المرابطى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والمسلمين ناصر القرظة والجاهدين لمجا الفقراء والمساكين زعيم
جيوش الموحدين بمهدى الدول مشيد الممالك عماد الملة حامي النور الاسلاميه غياث الامه المحمدية ظهير الملوك
والسلطين عضد امير المؤمنين ولا زالت اخبار فتوحاته متواترة وركائب نصرته في ساحة الوجود سائرة وعرضه
الهيبة قائمة فالفلاحة الدائرة تجرى بتأييده فيجعل لاوليائه العقبى وعلى أعدائه الدائرة أصدرها هذه المقامضة الى المقر

ابن قرمان أمير التركمان على الاملاك المصرية واستولى على طرسوس فجرد الاشرف عليه جيشا وأرسله تحت قيادة خمسة قدم أمير السلاح فانتصر عليه بعد وقائع واستولى على كثير من بلاده وفي سنة ٨٦٣ هـ حضر جاكم (Jaquin) ابن ملك قبرس وطلب من الاشرف نجدة فوعده بالنجدة وشرع من وقتئذ في عمارة المراكب الحربية والاغربة بالجزيرة تحت ملاحظة الامير سقر قرق شبق الزرد كاش فظلم العباد بسبب الأخشاب فلما تجهزت الاغربة أرسلها مع جيشين تحت قيادة الامير يونس الداود اراي بلاد الفرس نجح ولكن لم يحصل من سفرها فائدة وعادت بدون نتيجة وكانت وفاة الاشرف يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ وله من العمر ٨١ سنة وكان رحمه الله من خيار ملوك الجرا كسة يتفاد الى الشريعة قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وخلافه ابنه أجد وكان متولى الأحكام في آخر مدة أبيه

المؤيد محمد بن الاشرف اينال ٨٦٥ هـ - لما تم له الامر وبإيعاه الخليفة والقضاة ولبس شعار الملك وهو العمامة السوداء والجببة والسيف البناوي خلع الخلع وأخذ يدير الاحكام بعزم وبعد

الكرام مهيئة له بهذا الفتح الذي ادخره الله لا يامسعه وهذا النصر الذي من انه تعالى به على المسلمين وما النصر الا من عنده ونهدى اليه سبلا ما طاب نشره ووضع بشره ونفاه يشنف الامم اذ كره ونهى لعلمه الكرم ان مكانته الرفيعة التي جهزت اليها على يد رسول المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخرى العضدى المؤتمنى الجمالى يوسف القايسى الناصرى أحسن الله وفادته ويسر بالخيرا عاده ووقفنا عليها وصرقنا وجه الاقبال اليها وشرحنا النظر في زهر الخمائل من سطورها وشرحنا الخاطر بديع منظومها ومنورها ووجدنا لها محلا من البلاغة عالي الاندك نناء الاوهام ومنهلا من الفصاحة عذبا زدهم فيه غرائب المعاني وانتهينا الى ما أشار اليه بما يسر الله تعالى له من فتح القسطنطينية العظمى وما خصه الله تعالى به من آيات النصر ومنحه به من أطافه الخفية وفهمنا ذلك مجلا ومفصلا ومقربا ومؤصلا وكررا حمداته عز وجل على ما من به من هذا الفتح المبين وهذه النعمة التي تنضم تنبئت قلوب المتقين على اليقين واعلاء كلمة الموحدين على الملحدن وهذه النصر التي أصبحت بها كلمة الايمان منتشرة ووجه الصادقين مبيضة وشفاء المسلمين بها ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليها غيرة ترهقها اقترأ أولئك هم الكفرة الفجرة وقد أعدنا الجواب عن ذلك وعن جميع ما أشار اليه مفصلا على يد رسول المجلس الجمالى المشار اليه اعلاه كما سيجب به علمه الكرم بعد أن علمنا بعز يد الانعام ووافرا الاحترام وأفضنا عليه وعلى من معه من خلع التشريف والاكرام وأنعمنا عليهم من مائدة الاحسان التام وأعدنا لهم الى خدمتهم الكريمة على أحسن الرجوه وأجمل الحالات وجهزنا بحببتهم الواصل بهذه المكتوبة وهو المجلس العالى الاميرى الكبيرى المؤيدى الذخرى الاعزى الاخصى المؤتمنى المقرئ السيقى رسبى الاشرفى أحد أمرائنا وأوجدنا خصا ئنا كتب الله تعالى سلامته وأدام سعادته وجلته من السلام الوافى والاكرام الكافى ماهو أركى من نشر الحزام ومن الحب الصافى والود الشافى ملو تجسد لكان أصفى من ماء التمام ومن الصداقة والاخلاص والمواناة والاختصاص ماهو على ذلك شهيد وله مبدئى ومعيد وجهزنا على يده من الهدية ما يؤكده أسباب الوداد والمحبة ويونق عرى الاتحاد والمحبة كما هو دأب السالفين الاقدمين من الحكام والسلاطين (تم ذكر أصناف الهدية وهى عبارة عن أقشة وألحج وحيوانات غريبة وقد ضربنا عن ذكرها صغرا) ثم قال

فالمقر الكرم بأمل يتسلم ذلك وقبوله وان يشمل فاصد المشار اليه بحسن النظر ومثوله ويواصل باخبار السرات وما يعن له من المهمات لتيسر المواظمة من الجهتين كما كان بيننا وبين آباءه العظام وأجداده الكرام أمرا ته براهينهم مع الاتخاف بلودات والاهداء بالاصافات والله تعالى يمتع الاسلام ببقائه ويعمل قواضيه القاضية فى أعدائه محكمة حتى تصبح جنود الملة المحمدية بتوالى فتوحاته منصوره الاعلام وتصير البلاد كلها بعزمه المؤيد دار السلام ان شاء الله الملك العلام كتب فى العشرين من شهر ردى القعد الحرام سنة سبع وخمسين وعثمانه من الهجرة النبوية اه منصات تفريدون بك جزء أول

قليل نارت عزبان لبيدو وصلوا الى البحيرة ونهبوا الغلال فجرده عليهم السلطان العسكر وفي خلالها نارت عليه المماليك الاشرفية والظاهرية والايالية فاضطر السلطان الى محاربتهم فكسروه واحتق منهم فخلعوه وبايعوا الاتابكي خشقدم الرومي وكانت مدة المؤيد اربعة أشهر وثلاثة أيام وكان عاقلا كاملا كفو السلطنة

الظاهر خشقدم الناصري ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ - وأصله مملوك اغريقي جلبه الخواجه ناصر الدين وبه يعرف بالناصرى فاشتراه منسه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه ولما بيع له قبض على المؤيد وأرسله الى سجن نغرا الاسكندرية وقرب من قبره من الامراء وخلع عليهم الخلع وأنفق على العساكر نفقة كاملة فاستقامت أحواله أياما ثم قامت عليه المماليك وقصدوا عزله وتولية الأمير جرياش وبالفعل نادوا به سلطانا وتقبوه بالملك الناصر ولكن الظاهر تمكن من منع ثورتهم بحزمه كما أخذ ثورة الأمير جاشم نائب الشام الذي قتله مماليكه فيما بعد (٨٦٧ هـ) ثم ان الظاهر تخوفه من ثورة المماليك جعل له مماليك كثيرة بلغ عددهم الاربعة آلاف فتقوى بهم على أعدائه وما زال مطاعا الى أن توفي يوم السبت ١٠ ربيع الأول من سنة ٨٧٢ هـ ودفن في تربته التي أنشأها في الصحراء وكان من أحسن السلاطين الذين حكموا مصر بحسب السلام فصيح اللسان

الظاهر باباي المؤيدي ٨٧٢ هـ - لما توفي الظاهر خوسقدم اجتمع الامراء وبايعوا باباي هذا ولقب بالظاهر وأصله تركسي من مماليك المؤيد شيخ أيضا وفي أول حكمه قامت فتنة بين الامراء وبينه فخار بهم ولكن جنده انهمز لسوء تصرفه فخلعه الامراء بعد شهرين الأربعة أيام وقبضوا عليه وعلى كثير من رجاله وسجنوهم في الاسكندرية وبه زالت الدولة المؤيدية وكان باباي يعرف بالمجنون

الظاهر ترمبا الظاهري ٨٧٢ هـ - كان عمره بغاهذا رومي الجنس من مماليك الملك الظاهر حقمق تسلطن بعد خلع الظاهر باباي باتفاق الامراء ولم تطل أيامه لان المماليك الخشقدمية والايالية ناروا عليه بتحريك الأمير خير بك الذي كان يطمع في الملك فقبضوا على الملك وطن خير بك انه نال مناه فجلس على سرير الملك وتلقب بالظاهر أيضا مثل أستاذه خشقدم وكان من جهة أخرى الاتابكي قايتباي رئيس الايالية بطمع في الملك أيضا فانفق الايالية على استمالة باقي الاحزاب المهم وصرفهم عن خير بك وحصل الاتفاق بين الجميع على خلع ترمبا ومبايعه الاتابكي قايتباي فالتفوا حوله وصعد القلعة وقبض على المقر السميني خير بك الذي كان يرجع عن طمعه وقصد اعادته ترمبا الى كرسيه وعلى كثير من الامراء وسجنهم وأرسل الظاهر ترمبا الى دمياط وكانت مدة سلطنته ٥٨ يوما

الاشرف قايتباي الظاهري ٨٧٢ - ٩٠١ هـ - قايتباي هذا تركسي الجنس جلبه الخواجه محمود ثم اشتراه الملك الاشرف برسباي وبعد وفاته اشتراه الملك الظاهر حقمق وذكر القرطبي في تاريخه أنه لما جلب قايتباي الى مصر للبيع كان معه رفيق اخر من المماليك فتحاد نافع الجمال في ليلة من ليالي رمضان ففعل العمل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منهما بما يحبه فقال قايتباي أما أنا فاطلب سلطنته بمصر من الله تعالى وقال الثاني وأنا أطلب أن أكون أميراً كبيراً

والتفت الى الجمال وقال له أي شئ تطلبه أنت فقال أنا أطلب من الله تعالى خاتمة الخيرة فصار قايقباي
 سلطانا وصار صاحبه أميراً كبيراً فكان اذا اجتمعوا يقولون فاز الجمال من بيننا رجهم الله تعالى اه
 ولما جلس (٢ رجب ٨٧٢ هـ) كانت البلاد في حالة اختلال واضطرابات فتمكن
 بحسن سجاياها وعلوهمته من القبض على أئمة الاحزاب فساس الرعية أحسن سياسة وسلك
 السلوك الحسن وبسط يده بالعطايا والاعمال الخيرية وفي سنة ٨٨٤ هـ توفي الخليفة
 المستجيد بالله الجمالي يوسف وخلفه ابن أخيه عبد العزيز ولقب بالمتوكل على الله وفيها جدد الأمير
 يشبك الدوادار سلسلة الحديد بقم البحر الملح في دمياط عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقداري
 وكان زنتها نحو مائتين وخمسين قنطاراً فحصل النفع منها صدماً كـب الفربج التي كانت تسطو
 على الثغر المذکور ولما وصلت اليه الاخبار بان تصارجيوش السلطان محمد خان الثاني على أوزون
 حسن وكان قبل ذلك استولى على العراق وأذربيجان وبلاد الملك أبي سعيد بن تیمور بخراسان بعد
 أن قتله (٨٧٣ هـ) وان أوزون حسن المذکور لما قصد مهاجمة بلاد قرمان (٨٧٦ هـ)
 فضده الأمير مصطفى ابن السلطان محمد خان الفاتح وأسره وأرسله الى أبيه بالقسطنطينية وبذلك
 اضطربت الأحوال بمصر لما كان بين أوزون حسن ومولوك مصر من التحالف عند ذلك أسرع
 قايقباي بمحمد الجيوش لتعزيمية الشام خوفاً عليهما من آل عثمان وبعد وفاة السلطان محمد
 الفاتح (٨٨٧ هـ) قام من بعده السلطان بايزيد الثاني فاراد أخوه السلطان جم منازعته في
 الملك لأنه أكبر منه سنوا جمع الجوع ثم استولى على بروسه ونهض السلطان بايزيد لقتاله فانهمز
 جم في الواقعة التي حصلت بينهما بالمكان المعروف بسلطان أوكي والتجأ الى مصر مستنصراً بالملك
 الأشرف قايقباي فآكرم الأشرف وفادته قال خير الله أفندي في تاريخه وكان السلطان بايزيد يؤمل
 ان قايقباي يقبض على جسم ويرسله اليه معتقلاً فلم يكن ذلك غضب من قايقباي وجرده عليه جيشاً
 في سنة ٨٩٠ هـ وأرسله تحت قيادة قره كوز باشا أميراً من القرمات فالتزم قايقباي بأن يدافع
 عن بلاده وبعث جيشاً من مصر مع الأمير أوزبك وحصلت بين الطرفين وقائع هائلة بجوار حلب
 انكسر فيها العثمانيون وأسرا المصريون منهم عدة قواد منهم هرسل زاده أحمد باشا ثم أرسل
 السلطان بايزيد خان جيشاً آخر سنة ٨٩٢ هـ وهاجم صحراء جقور فضده الأمير أوزبك ثانية
 واستولى المصريون على مدينة أذنه (أطنه) ثم أرسل السلطان بايزيد جيشاً ثالثاً في أواخر
 سنة ٨٩٥ هـ مع سردار دود باشا واسترد أذنه ثم مال الطرفان الى الصلح وانقلمت العداوة الى
 محبة اه وتنازل قايقباي بالسلطنة العثمانية عن أذنه وطرسوس (٨٩٦ هـ) ويقال انه
 في أثناء هذه الحرب جهز قايقباي عشرين سفينة حربية بقصد افتتاح القسطنطينية وأرسلها لهذا
 الغرض فلم ينجح وضاع معظمها في سواحل سور يا ثم عاش قايقباي بعد ذلك خمس سنوات مستغلاً
 باتمام عماراته الكثيرة ومبانيه الفاخرة التي لا يزال بعضها الآن وكانت وفاته يوم الأحد ١٧
 ذي القعدة من سنة ٩٠١ هـ بعد ان حكم ٢٩ سنة وأربعة أشهر وأياماً قال ابن اياس ولم يطل ملك
 أحد من أبناء جنسه نظير ملكه وكان رجحه الله من أشهر الملوك عدلاً ما في قط ولا يحسن أحد اواقر
 العقل متروياً في الامور محباً للعمار شيد العمارات الكثيرة منها جامع المعروف باسمه وشيد بجانب

المسجد الشريف الذي بنده (٨٨٦ هـ) بعد الحريق الذي أصابه المدرسة الشهيرة وأرسل إليها خزائن كتب وأوقف عدة قري عصر للدينة المنورة وأنشأ برجاً في رشيد وأخرى في نجر الاسكندرية في مكان المنارة القديمة لحماية الميناء الشرقية وهو البرج المعروف الآن ببرج الظفر (٨٨٤ هـ) وخلفه في الملك ابنه محمد

النصر ناصر الدين محمد وقاصوه خمسمائة ٩٠١ - ٩٠٤ هـ - لما جلس محمد مكان أبيه كان شاباً يغلب عليه الهوى والجماعة ومن أفعاله الجنوبية البربرية أن والدته كانت أعدت له جارية فسلبها حية وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر أستاذيته في السلخ فثار عليه المماليك وخلعوه ونصبوا قاصوه الشهير بجمه مائة مكانه ولقبوه بالملك الأشرف وسبب تسميته بجمه مائة أنه كان يبيع بجمه مائة دينار ولم تطل أيامه لأن ازدياد الارتباك والاضطراب في أيامه وقيام المماليك على بعضهم أعجزه عن ضبط الأمور حتى اضطرت لتنازل عن الملك فالتزم الأمراء أن يعيدوا الملك الناصر محمد ثانية وفي سنة ٩٠٣ هـ توفي الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز وخلفه ولده يعقوب وتلقب بالسمسك بالله واستمر الملك الناصر محمد ممنوعاً في لذاته ولهوه إلى أن قتله المماليك في جهة الجزيرة بالقرب من قرية الطالبية وجاؤا به إلى القاهرة على أسوأ حال ودفنوه في تربة أبيه ١٦ ربيع أول سنة ٩٠٤ هـ وبايعوا عمه قاصوه

الظاهر أبو النصر قاصوه والأشرف جانبلاط وطومان باي ٩٠٤ - ٩٠٦ هـ - يقال إن الملك الظاهر تردد في قبول السلطنة أولاً لأنه لم يجد نفسه كفؤاً لها ولأنه لا يعرف إلا بلسان البحر كس حيث جلب من بلده وهو كبير في السن ثم قبل أخيراً لشدة إلحاحهم ومع ذلك فلم تطل مدته لأنهم خلعوه بعد سنة وسبعة أشهر وبايعوا الأمير الكبير جانبلاط ولقبوه بالملك الأشرف ولم يتناطوا به إلا بعد اتفاقهم جميعاً عليه فخلع نفسه بعد ستة أشهر وبايعوا طومان باي وتلقب بالملك العادل فلم تطل مدته أيضاً بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظملاً فلذلك لم يقدم أحد على السلطنة فاجتمع الأمراء وأرباب الدولة وتداولوا فيمن يليق بالنصب فاتفقوا على أن يولوا قاصوه الغوري لأنهم وجدوه لين العريضة سهل الازالة فعرضوا عليه الأمر فقال لا أقبل إلا بشرط أن لا تقتلوني ومتى أردتم خلعي فأخبروني وأنا أوافقكم وأنزل لكم عن الملك فعاذوه على ذلك

الأشرف قاصوه الغوري ٩٠٧ - ٩٢٢ هـ - لما تمت له البيعة فرح العسكر بولايته وكان قاصوه كثير الدهاء ذافطنة ورأى إلا أنه كان شديد الطمع لكونه كان أقل الأمراء مالاً وإذ كان كثير الظلم وكان محباً للعمارة فشيده عدة مباني مقنطرة منها جامع المعروف باسمه ومدرسة الغورية ومدفنه الشهيرة وفي مدته كان أهل البرتقال اكتشفوا طريق الهند من جهة رأس عشم الخير (١٤٩٨ م) واستولوا على عدة تغور بخرية وقطعوا طريق تجارة الهند عن مصر فأرسل الغوري جيشاً من المماليك في أسطول إلى الهند لطلب البرتقال وإرجاع التجارة إلى طريق مصر كما كانت فلم ينجح فيما أراد وانهمز الجيش وضاع كثير من السفن قال خبير الله أفندي في تاريخه أنه بينما كانت الأحوال المصرية مرتبكة بأعمال المماليك ظهرت تعديت البرتقال على طريق الهند واستولوا على بعض بلادها ودخلوا بأساطيلهم إلى البحر الأحمر فخافت حكومة مصر على طريق مكة المكرمة

نشيد الاشراف قاعة في جدة لانها فرضة الكعبة المشرفة وشحنها بالعدد والعساكر ولم ترض أيام من انماها حتى وصلت أساطيل البرتغال أمام جدة وأطلقت عليها المدافع فقابلتها القلعة بالمثل فخاف البرتغال سوء المنقلب فافعلوا بسفنهم عنها فرأى الأشراف قانصوه ضرورة المحافظة على جدة فاستخدم سلمان رئيس وأنشأ خمسة وعشرين غرابا حربييا في بحر السويس وجعله الامير عليها وشحن ذلك الاسطول بالجيوش وجعل قيادتها الحسين بك الكردي وأرسله لطرده أساطيل البرتغال عن طريق الهند فخرج سلمان رئيس الاسطول المذكور على سواحل اليمن واستولى على مدينتي صنعاء وزبيد تحت الدولة العامرية وضمها الى الاملاك المصرية ثم ترك حسين بك المذكور هناك حامية مع برسيباي (بارس باي) أحد أمراء الجزائر كسوة وجعله محافظا على تلك البلاد وأقلع بالاسطول الى عدن وغيرها من البلاد ثم عاد الى السويس وبعد أيام بعثه الأشراف ناسية لرد البرتغال ولكنه في كل أسفاره لم يأت بفائدة تذكر في هذا الخصوص بل لم ينجح في أعماله بالكعبة (٩١٥ هـ) ٥٥ وذكروا من المؤرخين أن مرآة كعب البنادقة اشتركت مع الاسطول المصري المذكور في مطاردة البرتغال بالبحر الاحمر لاعادة التجارة الشرقية الى طريقها الاصيل لان انتمالها الى طريق عشم الخير أضرب بالبنادقة جدا لما كانوا يأنونه من فائدة نقلها على سفنهم في البحر الاحمر ونقلها ثانية من ثغور مصر الشمالية الى أوروبا وقد تكلم المقرري على ذلك فقال وفعل البندقاويون عند عيون موسى مجاري من البناء لتوصيل مائها الى حوض عمارة على ساحل البحر الاحمر لتنتفع به مرآة كعبهم وانما المجرى والحوض باقية الى الآن ٥٥ وقال خير الله أفندي وفي خلال سنة ٩١٤ هـ حدث بين الامير قورقود ابن السلطان بايزيد خان وكان حاكما على مغنيسيا وبين الصدر الاعظم على باشا الخادم اغبرار في الخواطر بخصوص ندماء الامير وهما يياله وغز الى حتى اضطر الاميران بهاجر من البلاد فأظهر أنه يتصد أداء فريضة الحج وأنزل أمواله وأمتعته في ثلاث سفن وسافر الى ثغر الاسكندرية ولما بلغ قانصوه الغوري قدومه قابله بالترحاب واحتفل به في القاهرة ورتب له ثلاثة آلاف دينار مصرية لمصرفه اليومي وغير ذلك فلما بلغ السلطان بايزيد خان حقيق على الوزير المذكور وكان قورقود سافرا الى الحج فعلا وبعد عودته الى مصر كتب السلطان بايزيد خان الى عزيز مصر الغوري يشكره على عنايته بمخدومه ويطلب منه رده ليتولى أحكام لواء انطاكية الذي ولاء امره فرده الغوري الى والده مع رزامكرما وكتب كتابا الى السلطان بايزيد خان يستعطفه عليه ويشكره على رضاه عنه وعلى توجيه ذلك المنصب الجديد اليه (١)

(١) ثم ذلك لمن أوصل يوسف الى أبيه اسراييل من مصر احسانه ونشكره لمن جمع بين يعقوب وابنه الجميل بعد افتراقه وجرى عشيقته نيل السعادة وفق المرام وأثبت حب الحب من زراعة الشوق والغرام وطيراني مقامه حمام العراق وأعاد الى محله لحوم العراق وتلا لآل بحكمته نجوم الموافقة وتضاضاً بقدرته بدر المرافقة وتبسم بلطفه صبح الهداية فضحت وجه الدينانم طلوع شمس العناية ان للهجر رجلا * ورجالا لوصول ونصلي على سيدنا محمد الاصحح الامم على آله وصحبه الاصحح الذي روى عن حوض شفاعته ظمنا تبريد الذنوب من الامة وتكون حمايته سيال دخول في مجبوحه الجنة صلالة تنبخر منها يابيع راض السالكين ويتبلى عنها غدا نصباح الصالحين وبعد فلما تمكنت أنوار المحبة وتشتعت أشعة المودة وفتح نسيم المصادقة ولاح نسيم الموافقة من الباب الرفيع والطود المنيع السلطان الاعظم الاكبرى الابجدى العوفي العثماني الغياني المهدي المشيدي

الدولة العثمانية بالجزء الأول واستقر على تخت الملك نازعه أخوه أحمد وقصد كل منهما الآخر (٩١٩ هـ) بجيش عظيم فتقاتلا أمام مدينة يكي شهر فانتصر السلطان سليم وأمر بأخيه أحمد نفي و قتل كثير من أمراء العائلة السلطانية تخلصا من شرورهم ومقاسدهم وكان الأمير قورقود صغيرا غير مطالب بالملك فتعاهد مع أخيه على الطاعة له وأن يبقيه على سنجقية مغنيسيا وصاروخان ومع ذلك فلم يسلم من القتل بل قتله بعد أيام وكان الشاه اسمعيل الصفوي ملك العجم يتعصب للإمبراطور أحمد ويدافع عنه فلما قتل السلطان سليم الأمير أحمد كما تقدم هرب ولده وهما الأمير مراد والأمير علاء الدين والتجأ الأول منهما إلى الشاه اسمعيل والثاني إلى الغوري فأرسل السلطان سليم بطلم ما منهما فامتنعا عن إبعادهما فكان ذلك من أسباب قيام الحرب والقتال بين السلطان سليم واسمعيل شاه من جهة وبينه وبين الغوري من جهة أخرى ثم زحف السلطان على الشاه اسمعيل الصفوي أولا (٩٢٠ هـ) وكان يقود الجيش بنفسه ثم التقى الجيشان في مكان يقال له جالدران وبعد قتال عنيف انهزم العجم هزيمة منكرة واستولى السلطان سليم على خزانة الفرس وأموالهم وهرب الشاه اسمعيل متحصنا بشواخ الجبال ثم تقدم السلطان ودخل مدينة تبريز تحت العجم وصل إلى بها الجمعة وخطب

المظفرى المؤيد الخاقانى المكرم العظمى المنعمى المنصورى المعين الاقضى الاعلى المولى الاولوى الافرعى الانقى نصب رايات المعدلة فى أوج النصفه ناسر رايات السلطنة من كتاب الخلافة ملك ملوك البر والبحر فاتح بلاد العداة بالعز والنصر ظل الله فى الارضين عون الاسلام والمسلمين قهرمان الماء والطين الغازى فى سبيل الله الجاهد لوجه الله الناصر لدين الله الناطق بما أنزل على الرسول من الله المؤيد من عند الله الملك المجيد الاخ الاعدل الاشجع أبو النصر السلطان بايزيد لزال أغصان حدائق سلطنته العلية مزينة بأحكام الاولاد وما برحت أشجار دوحه تلاقفه البهية معمرة من أوار الاحقاد تنور عفلنا عن المانع تلك الاعطاف وتعطر مجلسنا من روائح تلك الاطراف واطمأنت قلوبنا وقلوب الخاشعين من شر الوسواس لما علمت بما قل عزمنا قائل (والكاظمين الغيظ والعاقبين من الناس) فى حق ولدنا الخدوى الاعلى الارشدى عضد الدولة العثمانية كبد الغلظة الاورخانية المنظور بعناية الله الودود أبو الفتح سلطان قورقود أطال الله بقاءه وزاد ارتقاءه الذى هو شعبة طاهرة من دوح حاكم الزاكية وعمرة طيبة من نخل رياضكم العالية وغرة السعادة على جبهته لائحته وتجوم الدولة من فواحيه طالعها وكان قصوى منبى وقصارى بغيرى أن يكون هو كالدر الزئبد منتظما فى عقد جواهر سر بره الاعظم ومنخرط فى سلك عبده المكرم والحمد لله الذى رفع العسرة ودفع الكلفة وألف بين قلوبهم بالرأفة ووصل موكبه الى مقامه الاصلى وحصل وصوله الى وطنه المحبلى وتيسرت الهجعة لكم عن قدومه وازدادت شفقكم عليه واحسانكم اليه وفق رجائنا من تقويض الاله الانظاليه اليه التى هى معظم ولايته الانطولية مضيفا اليها الواء العلية والمنوعاد ومنلها من النواحي والبلاد حيث تل خواصها المعينة الى مقدار ثلاثين مائة ألف درهم عثمانى وصدر فرىد عننا بكم فى حق هذا الخدم المؤيد طبق ما ألقوا رضا الرب عند رضا الاب فالرجومن أظافكم أن يزيدوا الشفقة اليه والمرحمة عليه على رغم أنوف الحساد حسما لانطلة أهل العناد وتسلوا سلسلة المحبة والوداد وتشدوا روابط الاخوة والاتحاد اجاءه الداب آياتكم العظام واقداء برسم أجدادكم الكرام طيب الله قراهم وجعل فى الفراديس مثواهم ويكون معلوما لديكم ان القلب واللسان متفقان فى نطق ألفاظ الوفاق والروح والجنان متوافقان فى عدم مطالعة معانى التفارق ولا يتغير بدخلى الموسوسين ولا يتزلزل تحريك المسقدين بعزوب العالمين والملائكة والناس أجمعين وجهازنا بمرافقة قائدكم عداة الاكابر والاعاظم نجم الدين قباد القاندى بخدمه وبالخير اعاده صحة الاميرى الكبرى الاشرى فى الاميرى بكتناى الخاصكى شرفه الله بحسن لقائكم واعادنا بحجر من جنابكم بالهدايا والتحف المشروحة فى كتاب غير هذا فلما مول القبول والانصراف بعد الوصول ان شاء الله تعالى انه يؤيدكم وينصركم ويدينكم الى يوم التنادف وهو المراد (منشأة قريدون بك جزء اول)

هناك باسمه وكان يريد اتمام فتح بلاد ايران لولا غلاء الاقسوات لان الغورى كان قطع الميرة ومنع
 السائرين اليه لما كان بينه وبين الشاه اسمعيل من الصداقة والارتباط حتى اتهم بعضهم السلطان
 الغورى بأنه كان على مذهب الشيعة ولمافرغ السلطان سليم من أمر الشاه اسمعيل عاد لما أقبل
 فصل الشتاء الى اماسيه وشتى فيها وبقيت الحرب متواصلة بينه وبين عساكر ايران واقتمت قلعة كاخ
 ومدينة بيوردو وأرسل وزيره فرهاد باشا لفتح بلاد مرعش والبستان فانتصر على أميرها واستولى
 عليها وقد تمت مدينة آمدان الطاعة فعين لها ياقو محمد بك الأمدى واليا وفتح كثير من البلاد وفى
 خلالها أخذ الغورى يجهز الجيوش ويعد المعدات ولما بلغه ان الدولنما العثمانية تقصد السواحل
 المصرية وكانت تحت قيادة جعفر قوبدان أرسل كثير من المدافع الى نجر الاسكندرية وعزز
 حصونها ثم خرج السلطان بجيش جرار من القسطنطينية (٩٢٢ هـ) يبلغ ١٥٠,٠٠٠ مقاتل
 وخرج الغورى أيضا من مصر بجيش كثيف وأخذ معه أمواله وخزائنه وقصد الشام والتقى
 الجيشان فى مرج دابق بقرب حلب ودارت بينهم مارجى الحرب واشتد القتال ثم انجلت الواقعة
 بانكسار جيوش الغورى وفقد هو تحت سنايك الخيل وهربت بقية الجراكسة الى مصر كاذرناه فى
 صحيفة ٥٢٨ من الجزء الاول واستولى السلطان سليم على أموال وخزائن الغورى وأدواته وسلاحه
 وكان الغورى افتتح دولته بالمصادرات والمظالم واختتمها بالفتن وسفك الدماء ثم بالضياع والله الدوام
 والبقاء وبما ساعد العثمانيين كثيرا على سرعة الانتصار مهادتهم فى اطلاق البنادق (١) والمدافع
 الاشرف طومان باى ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ - كان الغورى لما خرج بالجيش للملاقاة العثمانيين
 كان قد تم ترك نيابة السلطنة لابن أخيه طومان باى الثانى فلما جاء الخبر بالهزيمة وقتل الغورى يابعه

(١) البنادق جمع بندقية وهى آلة من سلاح الحرب تعرف بالبارودة نسبة الى البارود الذى يقذف به الرصاص
 المسبوك كريا أو مستظيلا وتنسب الى بلاد البندقية حيث يقال ان أول من اخترعها هم الطلاب وكثرا استعمالها فى
 سنة ١٤٣٠ م وذكر بعض المؤرخين ان هذا السلاح كان معروفا من القديم فكانوا يستعملون البندقية
 الهوائية وكانت على نوعين أخذ من شكل الاقلام البنادق النارية الا ان الدفع بها كان يتم بضغط الهواء والثانى
 يقال له بالانجليزية ساربا كان (Sarbacane) وهى أنبوبة طويلة خشبية أو معدنية يدخلون فيها سهما
 خفيفا أو حجرا أو رصاصا ثم ينفخون فيها من أحد طرفيها فيندفع ما فيها الى مسافة بعيدة وكان بعض سكان الجزر
 الهندية يستعملونها سلاحا للحجارية ويدفعون بها سهام صغيرة مسمومة واستعملها الايوبيون لرمى سهام نارية على
 الجيش الفرنسي فى حصار المنصور (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) ولعل الطلاب أخذوها عنهم ولما عرفت أهل
 أوروبا فوائدها اعتفت بأمرها وصارت تصنعها على أنواع مختلفة فاقتموا أشكالها وتفننوا فى آلاتها فبعد ان كانت
 تطلق بالشفطة والزناباد اخترعوا الهالكبسول ثم انقوتوا واستبدلوه بالبارود وصاروا الكبسول من داخل طرف البارود
 والرصاص وهذا النوع المستعمل فى عصرنا على أشكال متنوعة فى المانيا المستعمل صنف ماوزر (Mawzor)
 وصنف مارتلير (Mannlicher) وفى انكلترا صنف مارتينى هنرى (Martini - Henry) وصنف لي ميدفورد
 (Lee Medford) وصنف انغلند سنايدر (Enfield - Snider) وفى فرنسا
 صنفى غراس (Gras) ولويسل (Lebel) وفى روسيا صنفى بردان (Berdan) وموزين
 (Mosin) وفى ايطاليا صنفى فيترلى (Vetterli) وبيرتولدو (Bertoldo) وفى النمسا صنفى ورنرند
 (Wernd) ومانيشير (Mennlicher) وفى الدانمارك صنفى رامنتون (Remington) وكراج
 جورجسن (Krag - Jorgensen) وفى السويد والترويج صنفى كراج پترسون (Krag - Peterson)
 وجرمان (Jarmann) وينسب كل نوع من هذه البنادق الى السنة التى عمل فيها

الامرء فأخذتهم في جع الجنود والآت القتال أما السلطان سليم خان فتم عقب فل الجرا كسة وأخذ يفتح البلاد فاستولى على البلاد الشامية ودخل مدينة حلب واستقبل أهلها وعلماؤها ووصالحاؤها بالمصاحف وهنؤه بالفتح وسألوه الرفق والصفح فقبلاهم بالجميل ولما دخل المدينة خطب له فيها ودعاه الخطيب بقوله خادم الحرمين الشريفين كما كانوا يصقون سلاطين مصر ففرح بذلك واستبشر وخلع على الخطيب حلته التي كانت عليه وكانت تساوى ٥٠,٠٠٠ غرش وبعد أن مكث بالشام ثلاثة أشهر ونصف أسارى يد البلاد المصرية وافتتح في مسيرهم مدينة بيت المقدس وغزة وطبرية وصفد واللجون والرملة وغير ذلك ثم وصل إلى مصر (١٣ محرم ٩٢٣ هـ) فخرج طومان باي بجيشه الذي جمعه وكان يبلغ ٤٠,٠٠٠ من الجراكسة بقصد قتال السلطان سليم ومنعه من دخول مصر ووقع القتال بين الجيشين في سهل بركة الحج ولم تثبت الجراكسة في الواقعة إلا ساعة واحدة وانكسر وأوشل ريعهم وعرب طومان باي وعسكره بعد أن قتل منهم خلق كثير ثم قبض عليه وحبسه إلى السلطان سليم خان مقيدا عليه علام الذل والقنوط فأمر السلطان سليم بحل قيوده وأذن له بالحضور في الاجتماعات التي كان يعقدها السلطان للنظر في أمر البلاد وكان يسأله في كثير من المسائل المتعلقة بها وبخراجها وادارتها واستمر على ذلك عشرة أيام ثم رأى السلطان لزوم قتله فأمر بشنقه تحت رواق باب زويلة فصلى بكلاب من حديد كان باقيا هناك إلى عهد قريب وذلك يوم ٩ ربيع الأول من سنة ٩٢٣ هـ وبقتله انتهت دولة الجراكسة بعد أن حكموا الديار المصرية ١٤٠ سنة تقريبا ومن وقتئذ صارت البلاد المصرية وتوابعها ولاية من الولايات العثمانية الكبيرة وانتقلت من يومئذ الخلافة إلى السلاطين العثمانيين كما مر في تاريخ الدولة وفي خلال ذلك عاد حسين بك الكردي وسلمان رئيس اللذان كان بعنهما الغوري في أواخر سلطنته لإعانة حاكم بركات بالاسطول المصري بغنائم وافرة وكثير من أسرى البرتقال وتشرفا بالمتول أمام السلطان فنال احسن الرعاية

(الفصل الخامس عشر)

(أشهر حوادث الديار المصرية بمدة ولاية الدولة العلية العثمانية)

(٩٢٣ - ١٢٠٣ هـ)

لما أتم السلطان سليم خان فتح ديار مصر ضبط خراجها وتمتصلاتها وكان مستقره مدة إقامته بمصر في روضة البحرين في كشك بناءه فوق قاعات المقياس وكان يشرف على النيل والروضة والمقياس ثم أخذ في تهيد أمور المملكة وجعل خير به باي أحد كبار قانصوه الغوري (وكان انضم مع الغزالي إلى الجيش العثماني قبل واقعة مرج دابق) والباعلى مصر وجعل خير الدين باشا أمير الدونما العثمانية محافظا للقلعة وحدد لكل منهما حدودا مخصوصة لآيته مديانها فجعل واجبات الزوايا ابلاغ الأوامر السلطانية لهيئة الحكومة والشعب ومرافقة تنفيذها وجعل له مجلس شورى من قواد الجيش الذي أبقاه في مصر وكان اثني عشر ألف جندي منها ستة آلاف من الفرسان ومثلها من المشاة وقسمها إلى ستة أوجاقات عهد قيادتها إلى خير الدين باشا محافظ القلعة وأمره بان لا يخرج منها الا

عند اللزوم ووضع على كل أوجاق ضباطا بلباغ أو كتيبا وباش اختيار ودفتر دارا ونخدا دارا ووزنا محيا كانت لكل منهم اختصاصات معلومة وكان مجلس الشورى يتألف من كافة ضباط الأوجاقات المذكورة وصار الباشا لا يقضى أمرا إلا بمصادقتهم وكان لهم حق إيقاف الباشا عن العمل وتستأنف قراراتهم في ديوان الاستانة عند الاقتضاء ولهم أن يطلبوا عزله عند الاشتباه في مقاصده وكان خبيره باى عرض على السلطان أن أبناء الجرا كسة يريدون الدخول في زمرة الاجناد فاجابه الى ذلك ولحفظ الموازنة بين الادارة والأوجاقات نصب اثني عشر أميراً من أمراء المماليك الذين هم في الاصل أعداء للفرقيين على ادارة الاقاليم فكانت منفعتهم السياسية تحملهم على الانتصار للفرق الاضعف ليصدوا القوى عن الاستبداد وكان هؤلاء الامراء يعرفون بالصناجق وبهم صارت مصر منقسمة الى اثني عشر قسماً حراً وكان الديوان الذي هو مجلس شورى الولاى يعينهم من أمراء المماليك الذين دخلوا تحت الطاعة العثمانية قال الشيخ عبد الله الشرفاوى في كتابه تحفة الناظرين لما أراد السلطان التوجه الى الروم واورده خبيره باى على ابقاء أوقاف الجرا كسة وهى نحو عشرة قرارى من أرض مصر فاجازها بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فى ما تناوعسا كرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بما قال السلطان سليم أين الجلاد وكانت احدى رجلية فى الركاب فضرب عنق الوزير الى أن قال عاهدناهم على أنهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم - م أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذ أدخلنا أبناءهم فى جندنا فاهم أولاد مسلمين ويغارون على دارهم فرحم الله هذا الملك العظيم اه وقال الفاضل محمد محسن بك الكاتب الثانى للندوب العالى للحضرة السلطانية فى مصر فى تأليفه دليل افرىقىة فى صحيفة ٦٧٤ مالمخصه انه فى ٦ رمضان من السنة المذكورة عندما كان الجيش السلطانى مارا بالصالحية اذ دخل الصدر الاعظم يونس باشا فى حضرة السلطان وأظهر انفعاله من توجيهه ولاية مصر الى خبيره باى فتسبب من ذلك أن أصدر السلطان أمرا بقتله ونصب بدله فى مسند الصدارة محافظ دار السلطنة يبرى باشا وكان أهلا لهذا المنصب وأرسل يطلبه فى الحال اه وفى خلالها قام خبيره باى أمير الامراء وخير الدين باشا قائد العساكر ببناء الشوانى فى ساحل مصر لتكوير قوة بحرية ولما تمت جعلوا فيها ملاحين من الروم والمغاربة وصاروا يخرجونهم الى البحر الملح لحفظ السواحل المصرية من سفن الفرنج الذين كانوا يبيعون فيها وتبقى خبيره باى والبايعلى مصر الى ان مات فى ١٤ القعدة سنة ٩٢٨

ولما جلس السلطان سليمان القانونى على تخت الخلافة العثمانية بعد وفاة والده وجه عنايته للديار المصرية فاصحح ادارتها ونظم داخليةا وماليته وجعل الاموال أقساما منها ما يرسل الى دار الخلافة ومنها ما يصر فى ادارة البلاد وتنظيمها ومنها ما يصر فى على طوائف الجنود ما بين أمرتهم العثمانية وطائفة السباهية وطائفة الكجربة وطائفة الكملىة وطائفة الامراء الجرا كسة وطائفة المماليك الجرا كسة وطائفة مماليك أمير الامراء وغير ذلك وجعل بدل ديوان شورى الولاى ديوانين أحدهما كبير والآخر صغير فكانت أعضاء الديوان الصغير من الرجال السابق الكلام عليهم والديوان الكبير أعضاؤه القاضى وأمير الحج ومشايخ المذاهب الاربعة والمفتون ورؤساء الاشراف والمشايخ وجعل جميع الاراضى المصرية لنفسه ملكا وفرقها الى اقطاعات عهد بها للمتميزين بحربها الفلاحون

ويزعونها ولهم نصيب فيها ويورثها أعتابهم من غير أن يكون لهم حق التصرف فيها وعليهم خراج يدفعونه للمتزمين واذامات المزارع من غير وارث يأخذها الملتزم واذامات الملتزم من غير وارث تعود للسلطان وجعل لشغور الاسكندرية ودمياط والسويس قوادق وقبونات وجعل تنصيبهم وعزلهم لارادته السلطانية وجعل الولاية يجددون كل سنة بقرمانات سلطانية فلما مات خير بهاي أمير الامراء اجتمع الامراء العثمانيون بالقلعة وتداولوا في الامر لمنع حدوث اضطرابات في الاوقاف فتقرر بينهم بقاء الاحوال على ما هي عليه تحت رياسة خير الدين باشا محافظ القلعة وبعاونه كل من خضر باشا وسنان باشا من كبار رجال العسكرية حتى يحضر الوالي الجديد وعرضوا عن ذلك لدار الخلافه فوجه السلطان سليمان ولاية مصر الى زوج أخته الوزير الثاني مصطفى باشا فحضر الى مصر وصار يلقب بوزير الوزراء وعم تنفيذ النظام الجديد الذي سنه السلطان لمصر في جميع أنحاءها وغير بعض الأمور وادار شؤون البلاد سنة واحدة كما هو القانون ثم فصل عنها في شهر رجب ونصب بدله قاسم باشا المعروف بالكورجي ولما وصل مصر قوبل بالاحترام كالمعتاد وبعد قليل ظهر عصيان في بعض الجهات بتحرير بعض كل من جامنغا كاشف الفيوم والهنسا واثال الطويل كاشف الخملة وقتلوا ابن بركات وبعض الجنود الذين أرسلوا معه لتسكين ثورتهم فاضطر بعدئذ قاسم باشا أن يجرد عليهم بعض الفرق وبذلك شنت شملهم ثم فصل بعد تسعة شهور من ولايته وتولى بعده الوزير الثاني أحمد باشا (٩٢٩ هـ) وحضر الى مصر على غراب حربي وكان بين هذا الوزير وبين الصدر الاعظم ابراهيم باشا عداوة كبيرة فصمم أحمد باشا على العصيان في مصر وبمجرد وصوله (شوال) قصد تنفيذ مقصده فناعه اليكبرية فأخذ يبدلهم مكيدة يزيل بها وجودهم من مصر فاستمال بعض الامراء ولما كان الصدر الاعظم مطلعاً على خبث هذا الوالي أصدر أوامراً سرية الى أمراء مصر يقتل أحمد باشا المذكور وبعثها اليهم مع أحد القصاد وكان يدعى طاهر فأقروا صلها الى بعضهم ولكن وقع الامر الصادر لموسى بك أحد أمراء مصر المتهاعدين في يد الوالي فأخذ حذره وأظهر العصيان والتمرد جهاراً وأمر أن يخطب له على المنابر وأن تضرب النقود باسمه وصعد القلعة وأخذ يقتل كل من ظن فيه الشهية ويصادر الامراء بلا سبب ولكن لم تطل أيامه حيث تأمر عليه الاميران محمد بك وجامن الخزاوي وقتلاه في الحمام (٩٣٠ هـ) وقد كان لما وصل خبر عصيانه الى دار الخلافه صمم السلطان سليمان على السفر الى مصر بنفسه ولكن منعه الصدر الاعظم ابراهيم باشا الذي سافر في الحال مع بعض المأمورين على عشرة أعربة في أوائل ذي الحجة من السنة المذكورة ولكن بالنسبة لاشتداد الزواجع اضطر الى أن يخرج الى ساحل الانا طول أمام جزيرة رودس ويسافر برا فوصل القاهرة في ٨ جمادى الآخرة سنة ٩٣١ هـ وأخذ يصلح شؤون الادارة المصرية ومع كبر سنه كان من أعظم الوزراء نشاطاً وبعد قليل دعي الى الاستانة مع جامن الخزاوي المذكور ونصب على ولاية مصر سليمان باشا الخادم بك بكوات الشام وكان الوزير المذكور يأخذه معه من الشام وكان سليمان باشا هذا من المقر بين السراي السلطانية والخليفة يثق به كثيراً ثم عاد ابراهيم باشا في شوال من السنة المذكورة ولما وصل الاستانة وعرض تقريراً بمأموريته نال جامن الخزاوي المذكور تقيماً من الحضرة السلطانية وأعاد دفتر دارالمصر وقد أخذ سليمان باشا الخادم يتنظر في احوال مصر ويصلح ما فسدها فعين الأمير كيواني مأموراً لمسح الاراضي ورتب الضرائب على أحسن نظام وأوجد

دفا تر جديدة للحكومة وشييد كثيرا من المباني النافعة وفي مدة ولايته الطويلة كثر تعدى البرتغال بسفنهم على بلاد البحر الاحمر وجهات الهند وسواحل بحرات التي استغاث ملكها بالسلطان سليمان القانوني فأصدر السلطان فرمانا الى سليمان باشا الخادم والى مصر بإنشاء دونما كافية فى السويس وتجهيز جيش عظيم لتعم البرتغال فأخذ الوالى المذكور فى انشاء السفن بالثغر المذكور وبعد أن جهزها شحنها بالجيش وقادها بنفسه (٩٤٤ هـ) واستعجب معه سليمان رئيس المتقدم المذكور مرأولاً على قران ثم استولى على عدن وتوجه الى الهند وحارب البرتغال كما ذكر فى مقدمة هذا الجزء وعاد منصوراً الى السويس وكان خسرو باشا تعين والياً على مصر سنة ٩٤١ هـ بالنيابة عن سليمان باشا الخادم مدة قيامه بمحلة الهند المذكورة فأم خسرو باشا جميع الاصلاحات التى وضع أساسها كل من الصدر الاعظم ابراهيم باشا وسليمان باشا الخادم وكان المال المقرر راساله سنو بالدار الخلاقه من ايرادات مصر وقتئذ ثمانية أجمال ذهب فزاده خسرو باشا الى اثني عشر رجلاً وعدد ذلك طلبوه الى القسطنطينية وسأله ديوانها الكبير عن سبب هذه الزيادة خوفاً من أن يكون أحدث ضرائب جديدة تضر بالاهالى لا يرضها السلطان فابتدأ أن النظام القديم الذى كان معمولاً به قبلاً كان مختلفاً لما انتظمت الادارة المصرية ظهرت هذه الزيادة فى الايرادات من غير أن يراد شئ ما فى الضرائب الاصلية وان عدم ارسالها فى الثلاثة أعوام الماضية كان لصرف مبالغ وافرة فى التجهيزات الحربية وفى بناء السفن التى أقبل بها سليمان باشا الخادم ولما عاد سليمان باشا الخادم الى مصر استلم مقاليد الولاية ثانية وبقي فيها سنة وخمسة أشهر ثم دعى الى الاستانة فأسند اليه مسند الصدارة العظمى فكانت ولايته على مصر احدى عشرة سنة وعهدت ولاية مصر الى داود باشا (٩٤٥ هـ) وكان رجلاً مستقيماً كريم الاخلاق محباً للعلماء جمع من المؤلفات العربية شيئاً كثيراً ومات فى مصر فحزن عليه الاهالى وله المآثر الخيرية بما خلد ذكره (٩٥٦ هـ) فحين مات تره المدرسة العظيمة التى بناها بسويقة الملا بمصر وأوقف لها أوقافاً باقية لآن ثم تولى بعده مصطفى باشا صقصقان ولكن لم تطل أيامه فصرف بعد أربعة شهور ونصف (٩٥٦ هـ) ثم تولى بعده على باشا الملقب بسميز وصدر له فرمان من دار الخلافة بتسيير الدونم الحاربة البرتغال فى الهند فسار بها القائد البحرى الشهير پيرى رئيس من السويس مرتين (٩٥٨ هـ) ثم ترك الاساطيل بالبصرة وعاد الى السويس عمر كين فصدر الامر بقتله فقطعوا رأسه بالقاهرة كما سبق فى المقدمة وتعين بدله لقيادة الاساطيل مراد رئيس ولما عاد هذا الوالى الى دار الخلافة (٩٦٠ هـ) تقلب فى كثير من الوظائف الى أن ولى الصدارة العظمى (٩٦٨ هـ) فأحسن السلوك وتولى مصر بعده محمد باشا الشهير بدوقترا كين زاده فى أول صفر (٩٦١ هـ) وكان سبب السيرة مبغضاً عند الناس وفى أيامه سافرت الاساطيل العثمانية المصرية التى كانت ببحر البصرة والسويس تحت قيادة السيد على قبودان خارب البرتغال كما سبق وتصرف هذا الوالى الى سنة ٩٦٣ هـ ثم عزل ودعى الى الاستانة للمحاكمة وقتل فيها وتولى بعده مصطفى باشا النشار وفى أيامه أصدر السلطان فرمانا بتجهيز الجيوش الى اليمن فحصل منه تراخ فى الامر فعزل بعد مدة قصيرة وتولى اسكندر باشا المعروف بالبستانجى (٩٦٣ هـ) ولما جاء سنان باشا بتجهيز الجيوش لليمن كانت الأوامر والنواهي بجمع ديار مصر بيده ولما توجه بالجيوش الى اليمن انفرد اسكندر باشا

البيسانجي بالاحكام وفي ولايته عمر المدرسة البديعة العجيبة البنيان التي كانت سبب الحرق المظلمة على الخليج وهدمت أثناء فتح شارع محمد علي وله غير ذلك من الاعمال العظيمة وأوقف أوقافا كثيرة ثم صرف سنة ٩٦٦ هـ وتولى مصر بعده علي باشا المعروف بالخادم وبقي حاكما إلى سنة ٩٦٨ هـ ثم فصل وأصب بدله لاشاهين مصطفى باشا وأقام ثلاث سنوات ثم عزل وتولى علي باشا الصوفي سنة ٩٧١ هـ وبعد سنتين وثلاثة شهور فصل وتولى محمود باشا في رمضان (٩٧٣ هـ) وكان ظلوما جازرا مر تشيوا وما وصل الى مصر أهدها شيخ مشايخ الصعيد محمد بن عمر بمخمين ألف دينار قبلها ثم دعاه اليه بعد ذلك وقتله وقتل أيضا الشيخ يوسف العيادي من القضاة لكونه لم يحضر لزيارته ووضع يده على أموال الدفتر دار ابراهيم جلبي يوم وفاته فأساءت هذه المعاملة لأصحاب الحمية من الاهالي والجنود وبينما كان مارا في أول يوم من جادى الاولى سنة ٩٧٥ هـ من بين بعض البسائين اذا أطلق عليه رجل عيارا ناريا فقتله ولم يقف أحد على القاتل ولما بلغ خبر قتله للاستانة كان السلطان سليم خان الثاني جلس على تخت الخلافة بعد أبيه فأمر بتعيين سنان باشا بك بكوات حلب والبياع على مصر فوصلها في ١٣ شعبان وأخذ يتظر في أحوالها ويتصرف في أمورها بحكمة وتدبر وبعد تسعة أشهر ونصف وردت عليه الاوامر السلطانية بان يستعد لفتح بلاد اليمن واسترجاعها من الزيديين القائمين فيها بالفتن فجهز فرقة من الجنود وقادها الى اليمن (٩٧٦ هـ) وأتاب عنه في ولاية مصر جركس اسكندر باشا وقد تمكن هذا الوالي من فتح بلاد اليمن ثم أخذ في تهويد أمرها واصلاح أحوالها وقد ألف القبطي تاريخا معتبرا عن هذه الفتوحات وسماه البرق اليماني في الفتح العثماني لم ينسج على منواله تاريخ وسان باشا هذا هو الذي فرش الحجر الاسود الذي بعد صحن المطاف بالمسجد الحرام ولما رجع سنة ٩٧٩ هـ استلم ولاية مصر ثانية من اسكندر باشا الفقيه الجركسي المذكور وأخذ يشيد المباني فشيدي بولاق تكية وجاهه عاليرال للان وتظر في كثير من الاصلاحات حتى أحبته الاهالي وبعد سنتين دعاه السلطان الى دار الخلافة ورفاه الى مسند الصدارة ثم بعثه لفتح تونس وتولى الصدارة بعد ذلك أربع مرات وكان من أعظم رجال الدولة له ما ترجمه وخيرات جسيمة لا تنقطع على توالي الايام في بلاد الشام ومصر والنغور والبنادر ووجه السلطان سليم ولاية مصر بعده الى حسين باشا (١٦ محرم ٩٨١ هـ) وفي ولايته حصل في مصر حط وغلاء أعقبه وباه ولما جلس السلطان مراد خان الثالث على تخت الخلافة صرف حسين باشا (٩٨٢ هـ) عن مصر وولى مكانه خازنده الخادم مسيح باشا ولما كان هذا الوالي يتصف بالعدل والشفقة ويكره أهل الفساد قتل منهم نحو عشرة آلاف نخافه أصحاب المطامع من الحكام والكشاف فاستقام أمرهم وشيئدي في حياته مدرسة ومدفنه بالقرافة أوقف عليهم أوقافا باسم الشيخ نور الدين القرافي لأبأس بها واستمر واليا خمس سنوات ثم فصل في ١٥ جادى الاولى من سنة ٩٨٨ هـ وتولى بعده حسن باشا الخادم وكان يسمى بالقيص لحصره الخدمة لمنفعته وكان محبا لجمع المال بأى وسيلة وعمر وكالة بيولاق تجاه دار الصناعة وصهر بجوا وكان ينوى ازالة دار الصناعة ليبنى مكانها جامعاً فلم تمكنه مدته من ذلك حيث صدر الامر بعزله بعد سنتين وعشرة أشهر من ولايته ولما خاف من العقاب هرب ليلا من القاهرة ثم قبض عليه وسجن (٢٤ ربيع الآخر ٩٩١ هـ) وتولى بعده ابراهيم باشا الوزير وحضر بفرمان سلطاني بأذنه بالتفتيش على أعمال حسن باشا المذكور ففرح لقدومه الناس وأخذ يفتش على ما اغتصبه سلفه فوجده شيا كثيرا وكان التحقيق علنا يجمع السلطان فرج بن برقوق وكان لكل الحق في الادعاء على الوالي المذكور ولما تم

التحقيق وعرض ابراهيم باشا نتيجة آتى الامر اليه بقتل حسن باشا فقتله وتوجه بنفسه الى بئر الزمر ذقظ فرمته بشئ نفيس ونظر في كثير من الامور وأصلحها ثم استعفى ودعى الى القسطنطينية سنة ٩٩٢ هـ وتولى بعده سنان باشا الثاني المعروف بالدفتر دار فأساء التصرف ولما بلغت الشكاوى في حقه دار الخلافة عزل (٢٤ ربيع الآخر ٩٩٥ هـ) وولى السلطان مكانه أويس باشا ولما وصل الى شبرى قابل سنان باشا بوجه عبوس تخاف سنان باشا من ذلك ولما عاد الى مصر اختفى ليل ولم يظهر له خبر ثم ظهر بعد مدة في القسطنطينية ولما كانت ادارة البلاذم مهمله في زمن سنان باشا على الخصوص أثر ذلك في الجنود ولم ترض أيام على ولاية أويس باشا حتى ظهر لهيب الفتنة بين العسكر وذلك لانه لما قصد ادخال اولاد العرب من المصريين في الجيش تذر الجنود ولم يقبلوا أن يتشبه غيرهم بهم في لباسهم وهجموا على أويس باشا وأهانوه (٥ ٩٩٧ هـ) وقتلوا اثنين من القضاة فاضطر الى الاذعان لطلباتهم وفي هذه المدة حصلت زلزلة شديدة سقطت منها جملة منارات وبيوت وأعقبها ريح عاصف وتفرق جبل المقطم الى ثلاث فرق بالقرب من اطفح وخرج منها ما وفي شهر رجب سنة ٩٩٩ مات أويس باشا ببدء السكتة ودفن بالقرافة وتولى بعده حافظ أحمد باشا الخادم وكان حاكما على قبرص وكان عالما حاذقا مديرا محبا للعلماء والفقراء فأحبته الاهالي وعمر في مدته وكالة كبرى وأخرى صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وروعا في بولاق بجوار شون الخطب وغير ذلك من المباني ولما جلس السلطان محمد خان الثالث سنة ١٠٠٣ هـ على تخت الخلافة استدعى حافظ أحمد باشا المذكور الى القسطنطينية وجعله وزيرا وولى مكانه في مصر السيد محمد باشا الشريف فوصل مصر في ١٣ شوال ١٠٠٤ هـ وكان عالما مهيبا ذا سطوة وبصيرة قامت في أيامه ثورة كبيرة كاد يقتله فيها العسكر وطائفة السليمانية ولكنه تمكن بحذقه من رد عنهم ورمم أروقة الجامع الازهر ورتب عدسا يطبخ للجوارين به والفقراء ولما دعى الى الاستانة خرج من مصر عوكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء (٥ ١٠٠٦ هـ) وتولى بعده خضر باشا ووصل الى مصر في ذى الحجة من السنة المذكورة وكان سبي التصرف فأغضب الاهالي وكانت حركات العساكر غير مرضية وبعد ثلاث سنوات من حكمه عزل وتولى بعده السلطان علي باشا المعروف بياوز (٩ صفر ١٠١٠ هـ) ولما وصل الى مصر تقدمت اليه شكاوى كثيرة في حق كاشف المنوفية وحاكم النجراوية فقتلها ما فيها به الحكم وكان من رجال الحرب فلذلك كان يكرم الجنود وكان قاسيا سافكا كالدماء حتى لقبه أهل مصر بالنمر وتظلم الاهالي من مساوئه وفي مدته حصل الطاعون في مصر ثم أزاله الله بعد أن فنك بالقرى والامصار وانتشر في زمنه بمصر تدخين التبغ ثم دعى الى الاستانة بعد ستين وستة أشهر وعشرين يوما من ولايته وأتاب عنقه بيري بك أمير الحج (٥ ١٠١٢ هـ) واتفق في هذا الوقت جلوس السلطان أحمد خان على كرسى الخلافة فوجه مسند الصدارة العظمى الى ياوز علي باشا المذكور وجعل بيري بك المذكور واليا على مصر ولكن عاجلته الوفاة قبل وصول الخبر اليه بذلك أي بعد أربعة أشهر من نيابته وانتخب السناجق أمير اللواء عثمان بك الى أن يرد الفرمان عن بتصريف في الولاية وكان عثمان بك مشهورا بالعفة والاستقامة والعدل وكان له حظ ملج فاق به مشاهير الخطاطين وكان أيضا من رجال الحرب المعدودين فنصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وولى السلطان أحمد خان بعد جلوسه على مصر حاجي ابراهيم باشا وكان مستقلا برأيه لا يتقاد الى النصيح والشورى فنارت العساكر عليه واشتدت الفتنة

وصمروا ساءوها على قتل الوالي المذكور عند عودته من قطع جسر أبي المنجا وكان ذهب اليه ومعه محمد باشا خسرو ومصطفى أفندي عزمي قاضي مصر فتمكنوا من مرادهم وقتلوه بعد أن فتكوا بمحمد خسرو باشا (١٠١٣ هـ) وفي ذلك اليوم أرادوا تولية عثمان بك فلم يقبل فأقاموا قاضي العسكر مصطفى عزمي أفندي نائباً ولما علم ديوان الاستانة بقتل ابراهيم باشا ولى على مصر كورجى محمد باشا الخادم في ٦ رجب من السنة المذكورة فحضر على غراب حربي وألقته الرياح على ساحل دمياط ولما قدم مصر أخذ يبحث عن قاتلي ابراهيم باشا ولما قبض عليهم قتلهم شرقة فلهذا فيها به الناس ولكن لم تظلم مدة حيث صرف عن ولاية مصر بعد سبعة شهور و ١٧ يوماً وتقلب في خدمات عديدة الى أن تولى الصدارة العظمى ثم في مدة السلطان مصطفى خان عاد الى مصر وأقام بها وهو كفيف البصر ولما فصل كورجى محمد باشا تولى مصر بعده حسن باشا الدفتر دار (ربيع أول ١٠١٤ هـ) وكان على ولاية اليمن وكان حسن الاخلاق أنشأ رواقاً للعلمية في الازهر ولم يحصل منه بمصر لانفع ولا ضرر وعزل في ١٦ صفر ١٠١٦ هـ وولى بعده أو كوز محمد باشا وولما وصل الى القاهرة تقدمت له بجملة شكواى في حق كشف المنوفية والغربية والبحيرة فعزلهم ونصب خلفهم وبذلك سكنت اضطرابات الاهالى ويقال ان كاشف الغربية لما فصل تعصبت عليه العساكر وأرادوا قتله فهرب في احدى السفن الراسية على ساحل البحر فسقط في البحر وغرق (١٠١٧ هـ) ولما اشتدت الفتنة ساق الباشا جيشاً تحت قيادة الامير مصطفى بك سردار العسكر فبتدشمل الثائرين واستمر محمد باشا بعد ذلك نافذ الكلمة الى أن عزل (١٠٢٠ هـ) وولى الصدارة بعد ثذوله عمارات برشيد وغيرها وتولى بعده على مصر حاجى باشا وكانت مدته قصيرة ودعى الى دار الخلافة وولى مكانه محمد باشا الصوفي (١٠٢١ هـ) ووصل الى مصر في شهر شعبان وكان مستقيماً عيى الى العدل وفي السنة الثانية من حكمه أتت بعض الفرق العسكرية من الاستانة للاقامة في مصر ولما أمر بارسال الزائد من الجنود الى اليمن بعد تجهيزهم صرف لهم استحقاقهم وأرادت تفسيرهم لاجاد ثورة اليمن فثاروا عليه وحصل منهم مقاومة وأخيراً تغلب عليهم وساقهم الى السويس ومنها الى اليمن ثم عزل (١٠ ربيع الاوّل ١٠٢٤ هـ) وتولى بعده أحمد باشا الدفتر دار وكان سياسياً صاحب تدبير سهل الاخلاق ولما قامت الحرب بين الدولة والعجم جهز فرقة مؤلفة من ألف جندي وأرسلها امداداً للدولة تحت قيادة صالح بك واستمر أحمد باشا نافذ الكلمة الى أن صرف في صفر سنة ١٠٢٧ هـ وكان السلطان مصطفى خان تربع على دست الخلافة فولى لفكه مصطفى باشا السلحدار على مصر وثار في ولايته بعض الاوباش من الجنود فأعادهم الى السكينة ثم عزل (١٠٢٨ هـ) وصادف خلع السلطان مصطفى خان وجلس السلطان عثمان خان الثاني (١٠٢٧) فولى على مصر جعفر باشا (١٠٢٨ هـ) وكان في اليمن وحضر الى مصر وأقام فيها مدة في ولاية أحمد باشا ولما قامت الفتنة سافر الى دار الخلافة ثم عاد بفرمان الولاية وقبول بالسرور وفي مدة ولايته نفسي في البلاد الطاعون حتى قفلت الاسواق وتعطلت الاعمال وعزل في شهر رمضان وعاد الى الاستانة وتولى بعده مصطفى باشا (١٠٢٨ هـ) وتضرر أصحاب الاملاك والاموال كثير من أعماله لانه اغتصب منهم شيئاً كثيراً وكثرت الجواسيس والوشاة بيبه وصاروا يتقنون اليه اخبار الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة فاختلفت الاحوال وكان مصطفى باشا هذا شجاعاً واقدام قتل بيده زعيم الفتنة

الماضية المدعو مصطفى يقبلى وظن الناس أن بقتله تقوم فتنة فلم يحصل شيء ثم عزل في رمضان سنة ١٠٢٩ هـ ويولى بعده مره حسين باشا الأرئود ولما حضر حبس مصطفى باشا المذكور ونظر في حسابه ثم لما سافر الى دار الخلافة اتبعه المتظلمون وهناك أخذوا حقوقهم منه وبعد سنة من حكم حسين باشا حصل غلاء وارتفعت الاسعار وأعقبتها وبأبقي ثلاثة شهور ثم عزل في ربيع الآخر سنة ١٠٣١ هـ وسافر الى دار السعادة وقبل وصوله خلع السلطان عثمان خان الثاني وجلس السلطان مصطفى خان مرة ثانية واتفقت الاحزاب فولوا مره حسين باشا والى مصر الصدارة العظمى (١٠٣١ هـ) وولى على مصر بور محمد باشا رئيس البستانية ولكنه لم يصل الى مصر بل عزل بعد ٧٠ يوما وكان النائب عن الولى بمصر حسن أفندي الدقردار ثم ولى على مصر السلطان ابراهيم باشا ودخل مصر من نجرشيد في شهر رمضان وأظهر في ادارته حسن الاقتدار ولكن لم تطل أيامه فعزل وتولى مكانه قره مصطفى باشا (في رمضان ١٠٣٢ هـ) ولما وصل قصد محاسبة ابراهيم باشا على مال الديوان فلم يستطع ذلك وقال ابراهيم باشا الصالح بك الذى أرسله الولى الجديد اليه لأنه يدفع ما عليه للاسلطنة فى الاستانة وأقلع من اسكندرية وأطلقت طابية الفنار على سفينته بعض طلاقات الأأنها لم تحدث لها ضرر او كان قره مصطفى باشا هذا يتجول بنفسه فى الاسواق ويتنظر فى الشكاوى وفى الاسعار ويحكم فى الجنائيات بنفسه فخافته العسكر وحصل من أعماله هذه تأثير حسن فى قلوب الخلق وعظم فى أعينهم وله من العمارات والمدارس التى بناها شئ كثير ولما جلس السلطان مراد خان الرابع (١٠٣٢ هـ) عزل هذا الولى عن مصر وولى مكانه على باشا الجشنه جى ولما حضر طلبت منه العساكر الأعطية المعتاد توزيعها عند توية الولى الجديد فوقف القائم مقام عيسى بك فى الصرف فرفضت العساكر عزل قره مصطفى باشا والزموا على باشا بالعودة من حيث أتى ولما ركب البحر لم يساعده الريح سفينته على الافلاج وأطلقوا عليها من قلعة فنار الاسكندرية بعض القنابل فاضطرت للهرب بعد كل صعوبة ثم أرسل الجنود من طرفهم مأمورا الى الاستانة فقال لهم فرمنا ببقاء قره مصطفى باشا فى الولاية العموى لاهالى القطر فتقدمت فى حقه الشكاوى لدار الخلافة فعزله السلطان مراد خان وولى مكانه بيرام باشا (فى شعبان ١٠٣٧ هـ) وفى ولايته حصلت ثورات فى اليمن وكلفته الدولة باخادها فساق عليها الجنود وحصل بسبب ذلك أمور مكدره يطول شرحها وكان بيرام باشا هذا محبا للعلم والعلماء اذا اذارة حسنة ولذلك ازدادت فى زمنه التجارة والمكاسب فكثير بسببها الضرائب ثم دعى الى الاستانة وولى فيها الوزارة (١٠٣٨ هـ) ويولى على مصر مكانه طبان بصى محمد باشا وفى أوائل ولايته صدر له فرمان بارسال جيش لاطفاء ثورة اليمن فعين أمير الحج قانصو بك مأمورا لاصلاح مقاطعة اليمن وبعد ان تجهزت الجيوش أظهر قانصو بك المذكور بعض تعلات ولكنه اضطر أن يسافر بعد ذلك مع القوة التى كان عددها ٣٠٠٠٠ مقاتل ومعها ٣٠ مدفعا (١٠٣٩ هـ) فاطفا لهيب تلك الثورة وأصلح محمد باشا هذا ما هدمه السيل من الكعبة الشريفة بأمر السلطان ثم عزل عن مصر (١٠٤٠ هـ) وتولى بعده موسى باشا وكان سبب السيرة وفى أيامه سافر من مصر جيش لمساعدة الدولة فى حرب الفرس وعين لقيادته قيطاس بك ونشأ من ذلك ضرورة زيادة الضرائب ونضع قيطاس بك الولى بمنع هذه الزيادة فقامت السناحقة على موسى باشا ومنعه عن النظر

في الاعمال فاضطر أن يسافر بجرا الى دارالسعادة (في محرم ١٠٤١ هـ) وتقدمت جلة شكواى في حقه من العلماء والامراء فولت الدولة مكانه البستانجى خليل باشا فأتى مصر في شهر ربيع الاول وفي أوائل ولايته قامت ثورة بالحجاز زعيمها يدعى ناى الاشراف وهجم رجالها على مكة ونهبوها فكلفت الدولة خليل باشا باطفاء هذه الفتنة فأرسل تجر بده مع الامير قاسم بك فخارب أولئك الثوار وقتل زعيمهم وعاد سنة ١٠٤٢ هـ وفي هذه السنة استقال هذا الولى من ولاية مصر وقد أتى عليه الاهالى لعده وقناعته وولى مكانه الامير اخور كورجى أحمد باشا ولما وصل طلبت منه الدولة ارسال الامداد والذخائر لمساعدة جيوشها التى أرسلتها المعاقبة دروز لبنان وفتح بغداد فاعتذر بعدم امكان مصر القيام بذلك ثم طلبوا منه تفود الاعانة العسكرية فائقل الضرائب لذلك فشكته الاهالى فاستدعى الى الاستانة وهناك حكم عليه بالاعدام بعد اجراء التحقيق (١٠٤٥ هـ) وولى مكانه بك بكوات ديار بكر ولى حسين باشا وكان سقا كاللدماعنها بالاموال الايتام أبطل شرب الدخان وعاقب يقتل من استعمله وعزل بعد سنتين (١٠٤٧ هـ) وولى مكانه قموجى باشى جوان محمد باشا المعروف بسلطان زاده ولما وصل طلبت منه الدولة مساعدة جلة بغداد فأرسل ١٥٠٠ جنسى مع أمير الحج قانصوبك (١٠٤٩ هـ) وعادوا بعد سنة وكان محمد باشا هذا طامعا جامع ثروة عظيمة وفي ولايته جلس السلطان ابراهيم خان على كرسى الخلافة فعزل محمد باشا وولى مكانه نقاش مصطفى باشا المعروف بالبستانجى (في جمادى الآخرة ١٠٥٠ هـ) وكان نزيه النفس ولكن سوء أعمال حاشيته سلب الامان من البلاد فنصبوا من يدعى كنعان أفندى مأمورا للضابطة فأعاد النظام وبعد قليل هاج العساكر لتأخير مر تباتهم وقد انضج بعد النظر في شكوايهم ان بعض ذوى الاطماع من المأمورين اختلس جانباً منها وكان قاضى مصر كاف بتحقيق ذلك ولما ظهرت الحقيقة أخذ الوالى المذكور بغير المأمورين الذين ظهرت إدانتهم وينصب بدلهم وقد اضطر بسبب ذلك الى الاستعفاء (١٠٥٢ هـ) وولى مكانه بك بكوات ديار بكر مقصود باشا فلما حضر أجزا بعض التحقيقات فظهر له ان فى طرف كتحذا الوالى السابق وكتابه مائتى كيسه ولذلك أخذ سبيل الذين كانت وقعت عليهم الشبهة من العمال وحصل فى مدة هذا الوالى وباه لم يسمع عملة فكثرت الموتى حتى صاروا يدفنون بدون صلاة وخرت بسببه ٢٣٠ قرية من الوجه البحرى وأعقبه قحط وغلاء فى الاسعار وتآمر السناجق وفي مقدمتهم مامامى بك وعلى بك وشعبان بك ورضوان بك والدفتر دارشعبان بك على الباشا طلبه منهم تسديد رواتب الجيش وبقيت الاحوال مر تبكة والتجارة كاسدة فعزله السلطان (١٠٥٤ هـ) وولى مكانه الدفتر دارشعبان بك مؤقتا ثم حضر الوالى الجديد أيوب باشا الى القاهرة فى ربيع الاول وكان من مأمورى السراى الشاهانية وكان تخيف الجسم متمرضا ومع ذلك تمكن من اصلاح بعض الامور لاستقامته ووزارته ولكن لم تطل أيامه فاستقال وتفرغ للعبادة (فى ربيع أول ١٠٥٥ هـ) وولى بعده محمود باشا ابن حيدر آغا ولما لم يحسن الادارة زادت الامور ارقبا كابثورة اليكجى به التى قامت بدسيسة ورضوان بك وعلى بك ورفع اليكجى به شكواهم الى السلطان فوردلوا الى فرمان بقتل قانصوبك ومامامى بك فقتلها وبنى غيرهما من الامراء وهرب البعض (١٠٥٧ هـ) ثم قام مصطفى كتحذا وغيره بفتنة أخرى فاستدعى الوالى محمود باشا الى الاستانة الا ان أرباب الثورة كانوا قبضوا عليه وحبسوه بالقاهرة وورد الخبر بولاية مستارى مصطفى باشا (١٠٥٧ هـ) وفى تلك الاثناء انتقل السلطان

ابراهيم خان الى الدار الآخرة وجلس ابنه السلطان محمد خان على كرسى الخلافة (١٠٥٨ هـ) وتعين شريف محمد باشا بديل مصطفى باشا المذکور ولما أتى حاسب الوالى المحبوس فوجد طرفه ٨١٠٠ دينار فحصلها منه ثم فصل مصطفى باشا المستارى هذا (١٠٥٩ هـ) وتولى مكانه أحمد باشا الطرخونجى وعقب وصوله لمصر وصل خبر بعزل الامير قيطاس محافظ جدة وخلفه فيها كما أخريدى حسن باشا وقد حصل بين حسن باشا وبين الشريف زيد شريف مكة منازعات أدت الى حروب قهر فيها الشريف زيد وفي أيام هذا الوالى اضطرت الاحوال وغلت الاسعار حتى خيف من المجاعة وأناه أمر من دار الخلافة بنقل أمير الحاج رضوان بك لتصرفه بجر جبال من على بك الذى عين أمير المعاج ثم عزل أحمد باشا فى صفر سنة ١٠٦١ هـ وتولى مكانه عبدالرحمن باشا (١٠٦٢ هـ) ولم يكن له من النفوذ شئ لتغلب الامراء عليه حتى اضطرت لان يعيد قيطاس بك لحفاظة جدة ثم عزل هذا الوالى وتعين مكانه خاصكى محمد باشا (فى شعبان ١٠٦٢ هـ) وفى أيامه أصحبت بعض الجوامع والاضرحة ولما مات على بك كما جرجا عين مكانه أحمد مماليكه المسمى محمد بك وثارت بعض العساكر فقبض عليهم ونفى بعضهم وبذلك سكنت الفتنة ثم أرسل أحمد بك كبير بكوات الحبشة اليها فأصلح المعتل من أمور هابقدر الامكان وبعد عودته مات رضوان بك أمير الحاج فتعين أحمد بك مكانه ثم حصلت بعض قلاقل واضطرابات تعصب فيها كتحدا الجاويشيه ضد الباشا وكانت نهايتها انزال الوالى من القلعة وجسه فى بيته الى أن صدرت الاوامر من الاستانة بعزله (١٠٦٦ هـ) وولى مكانه مصطفى باشا صهر ابن الخاليجى وفى مسدته تحوّل النفوذ الى السنجاق واعتصب اليكچريه واجتمعوا بالسلاح أمام الديوان وطلبوا النظر فى أمر علوفاتهم فدعا الوالى امرامهم ونصحهم ووجههم فلم يرتدعوا وحصل من ذلك عريضة كبيرة تمت بعزل الوالى (١٠٦٧ هـ) وولى مكانه الغازى محمد باشا ابن شهسوار فلم يتمكن من رتق الفتق وازدادت الارتباكات لخروج بعض الامراء عن حدودهم مما اضطره لان يعقد مجلسا مؤلفا من القاضى وشيخ الجامع الازهر والشيخ البكرى وغيرهم فقرروا بلزوم محاربتهم لعدم امتثالهم الاوامر السلطانية فجرده عليهم وحاربهم وقتل قانسوه أحد كبارهم فى الواقعة وقدم محمد بك كاشف البهنا الطاعة ومع كل ذلك قطع الوالى رأسه فى ملوى وعاد الى مصر ثم عزل هذا الوالى وخلفه مصطفى باشا الكورجى (١٠٦٧ هـ) ولما حضر شرع فى محاسبة سلفه عمالديه من الاموال ومطالبته بعتروكات محمد بك المقتول ثم حبسه فى قصر يوسف صلاح الدين بالقاعة وكتب الى الاستانة يعدد سيئاته وما ارتكبه من المنكرات فصدر فرمان بقطع رأسه فقطعت سنة ١٠٦٨ هـ وانطقت بذلك فى الظاهر الفتنة التى قامت فى مصر وقتئذ ثم عزل مصطفى باشا المذکور فى شهر رمضان من السنة المذكورة وولى مكانه الدفتر دار ابراهيم باشا وحدثت فى مدته قلاقل واضطرابات شديدة بين امرام مصر فعزل وتولى وال أخريدى ابراهيم باشا الدفتر دار ولم يبق الا أياما ثم عزل ونصب بعده عمر باشا السلحدار وفى أيامه اشتد الهرج وانقسمت الامراء أحزابا وحصلت واقعة الصناجق وكانت واقعة هائلة بقيت فيها نيران الحرب بينهم مشتعلة فى شوارع القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهاز الوالى أثناءها عدة تجار يد ثم انتهت بقتل معظم امراء الفقارية وانتصرت أحزاب القاسمية (١٠٧١ هـ) وبقي عمر باشا فى الولاية الى سنة ١٠٧٧ هـ ثم عزل وتولى بعده أحمد باشا ولم تطل أيامه حيث فصل بعد سنة وتولى بعده ابراهيم باشا

المعروف بالصوفي (١٠٧٨ هـ) ثم عزل بعد سنة أيضا وتولى مكانه قره قاش علي باشا ومات في القاهرة خلفه الكنخدا ابراهيم باشا وفي أيامه ارتفع عن القضة جدا لسبب لم تنف عليه ثم عزل سنة ١٠٨٥ هـ وتولى مكانه حسين باشا ابن جانبولاد وأمرته الدولة بارسال ثلثمائة كيس غروش كلاب على حساب الغرش الكلب ٣٠ نصف فضة وكان الغرش الكلب في مصر بأربعين نصف فضة ثم فصل في سنة ١٠٨٧ هـ وتولى بعده أحمد باشا الدفتردار وصرف بعد سنة وتولى بعده عبد الرحمن باشا وفي أيامه غلت الحبوب حتى بلغ عن إردب القمح ١٨٠ نصف فضة وإردب الشعير ١٢٠ والقول كذلك مع ان النيل كان وافيًا ثم عزل سنة ١٠٩١ هـ وتولى بعده عثمان باشا وفي أيامه زاد النيل كثيرا حتى غطى ما بين الجبلين من الاراضي ونادى المنادون بذلك في مصر وفي ولايته شيد ذوالفقار بك أحد الامراء جامعه المعروف باسمه بدرب الحماميز ثم عزل هذا الوالي سنة ١٠٩٤ هـ وتولى مكانه جزه باشا ولما كانت الدولة في العهد المذكور مشتغلة بالحروب المتواصلة مع النمسا وغيرها ومرتبكة بالنورات الداخلية كإيتماءه في تاريخ الدولة بالجزء الأول انتهز الامراء في مصر هذه الفرصة وقاموا يريدون الاستقلال واعادة حكومة المماليك فكانوا يهددون الولاية تارة باشهار السلاح وتارة بعقد الانفاق فيما بينهم حتى جعلوا الولاية لأعوبة في أيديهم ولما عزل جزه باشا المذكور سنة ١٠٩٧ هـ تولى بعده حسن باشا كخدا وخوفه من اتحاد الاحزاب عليه واستبدادهم اضطر لان يقع بينهم الفتنة ويضرب بعضهم بعض فنجح وقامت بينهم مجادلات وحروب يطول شرحها وأخيرا تعين الامير ابراهيم بك أبوشنب شيخا للبلد ونصب الامير اسمعيل بك دفتدارا فعاد النظام وهذه الأحوال وغلت الاسعار سنة ١٠٩٨ فضج الناس وأظهر والتذمر من الوالي فعزل من الولاية سنة ١٠٩٩ هـ وتولى مكانه حسن باشا الداماد بفرمان من السلطان سليمان خان الثاني ولم تطل مدته فعزل بعد سنة وتولى بعده ابراهيم باشا الصوفي سنة ١١٠٠ هـ ثم أحمد باشا الكنخدا (١١٠١ هـ) فعاجلته الوفاة سنة ١١٠٢ هـ فتولى مكانه علي باشا الملقب بقلنج ويلقبه حضرة صاحب دليل افر بيقية بالخزينة دار ولما حضر عين الامير اسمعيل بك دفتدارا بدلا عن الامير مراد بك واهتم بارسال فرقتين عسكريتين تركب كل واحدة منهما من ألف نفر الى كريدامداد للدولة وفي أيامه ثارت العساكر على الامراء فتمكن هذا الوالي من ردهم وكان فساد العساكر في أيامه قد بلغ منتهاه حتى عجز عن ردع المفسدين وتأمين الرعايا وانقطع ورود الغلال الى الشئون السلطانية وخلت الخزينة من الاموال واشتدت الامور وكانت كل طائفة من العساكر تأخذ في حمايتها اجلة من التجار أو المزارعين أو الملاحين في البحر فيقتسمون معهم الارباح ويمنعونهم من أداء حقوق الحكومة فبذل الوالي كل جهده في إبطال هذه الحمايات حتى أبطلها وحارب العربان فقمعهم ثم سكنت الامور فوعا وصرف في ذى القعدة سنة ١١٠٦ هـ وتولى بعده اسمعيل باشا ولما حضر الى مصر ووجد الفقر اشتد بجانب كثير من الناس اختص باطعام قسم كبير منهم ووزع ما بقي على الامراء ولاشتداد الفقر ظهر الوباء في أيامه مات به خلق كثير وكان هذا الوالي شديدا لوطأة على عمال الحكومة واتفق أن شخصان عمال المحكمة الشرعية يدعى محمد الزرقاني زور حجة ولما تبين تزويره أمر به فخلقت لحية وساروا به في الحارات والازقة ثم نفى الى الصعيد وثار بعض العساكر في ربيع الاول من سنة ١١٠٩ فعزل ونقل واليا على بغداد وتولى بعده

صارى حسين باشا البوشناقى ولما وصل الى مصر أرسل فرقة من الجنود المصرية بمداد للجيش السلطانى سافرت مع الامير يوسف بك المسلمانى وفي أيامه أوقع المغاربة ببعض الاهالى فقبض على جملة منهم وحبسهم ثم صرف في ربيع الآخر من سنة ١١١٠ هـ وتولى بعده قره محمد باشا كخدا الوزير الاعظم المعروف بعوجه زاده وفي خلال ولايته وردت الاخبار بحلوس السلطان أحمد خان الثانى على سرير الخلافة فعملت الزينات وشيد هذا الوالى كثير من المباني النافعة مدة ولايته ثم نقل في شهر جمادى الآخرة من سنة ١١١٦ هـ الى الشام وتولى مكانه محمد باشا ارامى وفي أيامه نقصت زيادة النيل عن العادة فارتفعت الاسعار واشتد الكرب بالناس وظهر الطاعون ومات به خلق كثير وتولى الامير أيوب أمير الحج بدلا عن قيطاس بك ثم فصل هذا الوالى في جمادى الاولى سنة ١١١٨ هـ وتولى مكانه على باشا كخدا حسين باشا وحضر على النيل مع اتباع عديدين يزيدون عن أثنى نفس وفي مدته قامت فتنة بين فرقة المتفرقة وفرقة العزب فقبض على رؤسائهم وانقاهم فسكنت فتنهم وصادروا الى السابق في أمواله وحبسه ثم نفاه الى رودس ولما مات اسمعيل بك الدفتردار نصب مكانه أيوب بك ثم عزله ونصب مكانه الامير ابراهيم بك وفي سنة ١١١٩ هـ حبس هذا الوالى بناء على ما ورد من الاستانة لامور نسبت اليه وأخذ الدفتردار في محاسبته وسؤاله عما فعله بأموال الحكومة وتولى بعده حسن باشا الاما مرة ثانية ووصل من طريق النيل في شهر شعبان وثار الكيصرية في أيامه فتوسط العلماء والامراء فيما بينهم وبين الوالى فثابوا الى السكنية وأخذت عليهم المواثيق بأن لا يشقوا عصا الطاعة مرة أخرى وأعيد قيطاس بك لامارة الحج ثم ثار أهل الفساد ولم تنطقى ثورتهم الا بعد أن نصب ابراهيم بك أبو شنب لامارة الحج وأعيد قيطاس بك دفتدارا كما كان ثم فصل هذا الوالى سنة ١١٢١ هـ وتولى مكانه القبودان ابراهيم باشا وسافر حسن باشا الى منصبه الجديد في طرابلس وفي أوائل حكم هذا الوالى هطلت أمطار كثيرة لم ير مثلها حتى زاد النيل منها خمسة أذرع وتغير لونه وفصل ابراهيم باشا سنة ١١٢٢ هـ وتولى بعده كوسج خليل باشا وفي مدته ثارت العساكر وحاصروه بالقلعة وانقطع المرور من أكثر طرق القلعة نحو سبعين يوما وتخربت من ذلك جهات الدرب الاحمر والمحجر وقوصون وسوق السلاح والداودية والصليبية والسيوفية والخليفة ولما وضع الثوار المدافع على جبل المقطم وأطلقوها على القلعة وشددوا الحصار على الباشا خاف العاقبة فأرسل اليهم نقيب الاشراف فى الصلح وأجاب مطالبهم ونزل مع أعوانه وأمواله الى المدينة وبقي محبوبا فيها سنة كاملة ونصب الثوار الامير قانصوبك للولاية حتى ترسل الدولة والباچيدبا وولت الدولة مكانه شريف والى باشا (١١٢٣) وكان عبران الهوارة هاجوا مصر مع الامير محمد بك وقت الفتنة ونهبوها فأرسل الوالى عليهم جنودا تحت قيادة الامير محمد بك فتوسط ابراهيم بك أبو شنب فى الامر وعادت السكنية وأنت الهدايا للوالى من الاطراف كالعادة وفى أيامه قدم واعظ تركى وأخذ يهبط الناس فى جامع المؤيد وينهاهم عما جرت عادتهم بفعله مثل زيارة القبور وايقاد القناديل بالاضرحه وغير ذلك ويرى فاعلمها بالكفر فصدت فتوى من الشيخ أحمد النفر اوى أحد علماء الازهر بمحو اذنك فتمصّب لهذا الواعظ خلق كثير وثار واوحصلت أمور من ذلك بطول شرحها ثم عين الوالى من قبلها ابراهيم بك وقيطاس بك لتأديب الفأئمين بالفتنة وقبض على البعض ونفى البعض وهرب الواعظ فعادت السكنية وفى تلك الاثناء عادت الجنود المصرية التى

كانت تحت قيادة بلطه جي محمد باشا بعد انتصاره الشهير على بطرس الاكبر في واقعة نهر بروت وكما
تحمل مكافآت سلطانية ولما أخلت الروسية بالعهود بعد ذلك ولم تراع ما اشترطته الدولة عليها
صدرت الاوامر السلطانية لوالي مصر بتجهيز الجيوش اللازمة لمداد الجيش السلطاني وبينما هو
يتم بذلك صدر الامر بعزله سنة ١١٢٦ هـ وولي بعده عبدى باشا وفي مدته حصلت واقعة
القاسمية وكان الباشا يتحرب لهمم وغرضه من ذلك قتل الامير قيطاس بك الذى كان رئيس
الفقار به لان الحبل والعقد كان بيده فقتله يوم العيد فانقل النفوذ للقاسمية بعد ان كان للفقارية
ثم عزل عبدى باشا عن مصر ونقل الى الروم ايلي وتولى بعده الكخنداعلى باشا المعروف بالازميرلى
وقبل وصوله مات ابراهيم بك ابوشنب فعين مكانه اسمعيل بك من امراء الفقار به وصار الامير أحمد
بك دفتر دارا وفي سنة ١١٢٩ هـ طلبت فرقة عسكرية الى دار الخلافة فأرسلها الوالى محبة
أحمد كاشف وكانت الفتنة قائمة بين الامراء وبين ابن ابراهيم بك ابوشنب طلبا للرياسة ثم أرسله الوالى
لتوصيل الخزينة الى استانبول ليخلص منه فقام عند ذلك أحد الامراء المدعو اسمعيل بك
باطماعه يقصد الانفراد بالاحكام وفي خلالها عزل على باشا عن مصر (١١٣٢ هـ) وتولى مكانه
أميرج الشام رجب باشا فلما حضر سجن على باشا وشد عليه في الحساب وأخيرا قتله بغير ذنب
وصادر أمواله وظهر الامراء المختفون وسعى الباشا سرا في الايقاع بين محمد بك واسمعيل بك
ليخلص منهما أو من أحدهما على الأقل وبارت العسكر واتفق الامراء على عزل رجب باشا فأنزله
من القلعة محقرا بعد مائة يوم من حكمه (١١٣٣ هـ) وتولى مكانه نسانجى محمد باشا المنفصل
عن الصدارة ولما وصل أخذ يدقق في الحساب وطالب رجب باشا بالباقي طرفه من حساب
الضرب يخانه وحرض اسمعيل بك على القاسمية فشتت شملهم قتلا وتشريدا ونصب أمراء الفقارية
على الأعمال ثم عزل سنة ١١٣٨ هـ وولى مكانه على باشا المورلى ولما حضر وأعلنت ولايته
أخذ سلفه يحرض الفقارية على القاسمية فقامت الفتنة بين الحزبين ولعب الوالى اللاحق والوالى
السابق ادوارا في الفتنة ثم انجبت بابقاء امارة الحج في حزب الفقارية والدفتردارية في القاسمية
وانفصل بذلك الخصام وأعاد الفقارية محمد باشا النسانجى الى الولاية قاضطرا على باشا الى السفر من
مصر ولم تمض أيام بعد ذلك حتى اتصرت حزب القاسمية وطالب محمد باشا بالحساب وألزمه بترك القلعة
وفي خلال ذلك وجهت الدولة ولاية مصر الى بكر باشا (١١٤١ هـ) وفي ولايته قتل القاسمية
ذوالفقار بك فقام محالكة يقتلون كل من وجدوه في طريقهم من القاسمية واشتدت الفتنة وظهرت
بينهم أحراب أخرى وفي خلالها جلس السلطان محمود خان الاول على دست الخلافة (١١٤٣ هـ)
ف عزل بكر باشا عن مصر وولى مكانه عبد الله باشا التكفورى وكان لا بأس به مدحه الشعراء الحسن
أعماله وفي أيامه قتل جر كس بك وتولى عثمان بك مشيخة البلد وفصل بكر باشا عن مصر سنة
١١٤٤ هـ وولى مكانه والى البصرة محمد باشا السلحدار فوصل القاهرة سنة ١١٤٥ هـ ولم تطل
أيامه حيث عزل سنة ١١٤٦ هـ وتولى مكانه عثمان باشا الحلبي فقدم من طرابلس ونصب على
بك ذوالفقار شيخا بالبلد وغير في مأمورى الحكومة بالوجه القبلى والبحرى وفي أيامه ادعى أحد
السودانيين من مجاورى الأزهر النبوة فنصحه العلماء ولمالم يرتدع أمر به فقطل وحدث من ذلك
ناويلات وأقاويل كثيرة أزيجت أصحاب العقول السخيفة ثم عزل هذا الوالى سنة ١١٤٧ هـ وتولى

بعده محافظ جدة بكر باشا فثبت هذا الوالى فى اصلاح عيار النقود على غير طائل وظهر وباء الطاعون
فمات به خلق كثير وأعقب ذلك فتنة بين الاحزاب بسبب قتل محمد بك قيطاس قتل فيها خلق كثير
وانتهت بانزال بكر باشا من القلعة وعزله (١١٤٩ هـ) وحضر مكانه الأمير مصطفى أغا أمير اخور
وبقى الى سنة ١١٥٢ هـ ثم نصب بدله سليمان باشا ابن عظيم الشامى وكانت الفتن قائمة على قدم وساق
بين الأمر ائمة قتل بهم منهم كثير وحرص الأمر على الوالى طائفة الكيچرية فعزلوه سنة ١١٥٣ هـ
وتولى بعده على باشا ابن الحكيم ولما حضر نصب ديوانا عميدان القلعة وبعد قراءة فرمان خطب على
الجميع خطبة وجيزة بليغة قال فيها انه حضر لانصاف المظلوم من الظالم وكانت مسدته ذات أمن
واطمنان وعزل فى أوخر رجب من سنة ١١٥٤ هـ وتولى بعده يحيى باشا ولم يحصل فى مدته
ما يستحق الذكر ثم فصل فى سنة ١١٥٦ هـ وتولى بعده محمد باشا السيد بكى ومنع الناس من
تعاطى التبغ فشارت العساكر فجمع الأمر وأخذ يخاصمهم وحصلت من ذلك أمور بطول
شرحها جمع فيها كثير من الاموال المتأخرة وعزل سنة ١١٥٨ هـ وتولى بعده محمد راجب باشا
رئيس الكتاب وفى أيامه ثارت العساكر وقتل فى الثورة خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى
وهرب آخرون وانتصر الدمياطية وأنزل محمد راجب باشا بالقوة من القلعة وعزل فى أوخر سنة
١١٦١ هـ وسافر بجرا فى السفينة التى أحضرت خلفه كوراً أحمد باشا (١١٦٢ هـ) وكان عالماً
محباً للعلماء أزال كثير من المنكرات وشهد كثير من الاماكن الخيرية ثم فصل سنة ١١٦٤ هـ
وتولى بعده شريف سيد عبد الله باشا وحكم سنتين ثم نقل الى ولاية حلب وتولى بعده محمد أمين باشا
(١١٦٦ هـ) ولم تطل أيامه فمات بعد شهرين من ولايته وتولى بعده مصطفى باشا (١١٦٧ هـ)
وفى مدة ولايته جلس السلطان عثمان خان الثالث على كرسى الخلافة (١١٦٨ هـ) وفى ولايته
أراد الاقباط عمل احتفال كاحتفال المحمل لزيارة القدس فعارض بعض العلماء ذلك وحصلت أمور
من الرعاع بطول شرحها انتهت بمنع الاحتفال المذكور وعزل مصطفى باشا وتولى على باشا ابن الحكيم
ثانية (١١٦٩ هـ) فسار فى حكمه سيراً حسناً ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان ففرح
الناس من ولايته وفى خلال ذلك توفى السلطان عثمان وجلس السلطان مصطفى خان الثالث
(١١٧١ هـ) ففصل على باشا عن مصر وتولى بعده مصطفى باشا الصدر وصرف بعد سنتين
وتولى بعده أحمد كامل باشا (١١٧٤ هـ) وكان غيوراً عفيفاً ضرب على أيدي أصحاب الاطماع
ومنعه من النهب فقاموا عليه لذلك وعزلوه وأجلسوا سلفه مصطفى باشا وكان لم يبارح مصر بعد
(١١٧٥ هـ) الا ان الدولة لم تقبل ذلك فعينت له ولاية حلب ووجهت ولاية مصر لباكر باشا ولكن لم
تطل أيامه فعاجلته الوفاة بعد شهرين وتولى مكانه حسن باشا ثم عزل بعد قليل وتولى مكانه حمزة باشا
(١١٧٩ هـ) وفى مدته أخذ الأمير بلوط قبان على بك مملوك وصهر ارهم بك كتحدياً بداخل
فى الامور وصار ينفى وينصب من أراد فتعصب الامراء واتفقوا مع العربان وشيخهم همام وبعض
مشايخ هواة وهاجوا القلعة وحصلت منهم أمور كثيرة انتهت بعزلهم للوالى وجلسه فى قصر
يوسف بالقلعة واستمرت المذازعات مع ذلك بينهم وأخذ على بك الكبير المذكور يستعمل دهاه
وشجاعته حتى قبض على مشيخة البلد بمصر وصارت له الرياسة العمومية على مصر والحجاز والشام
فداخله الطمع وشمخ بانفسه وتاقت نفسه الى قول امر كزاعلى من ذلك وكانت الدولة تولى محمد

راقم باشا على مصر (١١٨١ هـ) ثم عزلته وولت مكانه محمد باشا الأرفلي (١١٨٢ هـ) وفي خلال ذلك تمكن أعداء علي بك الكبير المذكور من الوشاية عند جلالة السلطان وبينما كان علي بك يجهز جيشا مؤلفا من ١٢,٠٠٠ مقاتل ليرسله مساعدة للدولة في الحروب التي قامت وقتئذ بينها وبين روسيا في عهد الامبراطورة كترينة الثانية حسب الأوامر الواردة له من دار الخلافة قالوا عنه انه يرغب الانضمام الى روسيا لتساعده على الاستقلال بمصر فأرسل السلطان أمرا الى محمد باشا الأرفلي والى مصر بقتل علي بك الكبير وارسل رأسه الى القسطنطينية فلما علم علي بك بالخبر تربص لحامل الفرمان وقتله عند وصوله واتفق مع باقي البكوات وأعلنوا جميعا استقلال مصر وأمروا الوالي بأن يخرج في الحال وشرع علي بك في الاستعداد لمقاومة الدولة وأخذ ينظم الادارة ويقلل الضرائب عن الاهالي لاستمالتهم اليه وخطب له على المنابر وضربت النقود باسمه ثم عزم على افتتاح بلاد الشام بتخريصات الروسية وعقد مع الأميرال الكسيس أورلوف (Alexis Orloff) قائد العمارة الروسية بالبحر الابيض المتوسط اتفاقا بذلك ومعاهدة هجومية ودفاعية ضد الدولة ثم سار الأميرال المذكور بالعمارة الروسية الى سواحل الشام لمساعدة علي بك وكان علي بك كتب الى صديقه الشيخ طاهر عمر أمير عكا بقصده وطلب منه المساعدة فبلغ الدولة ذلك فأصدرت أمرا الى والى دمشق بإرسال جيش لمنع جنود عكا من معاونة علي بك الكبير فسار ذلك الجيش وقاتل جيش علي بك والشيخ طاهر ما بين جبل لبنان وطبرية فأوقع بهما وردهما على أعقابهما الآن جيش علي بك استولى على غزة والردية ونابلس وغيرها كما سيأتي (١١٨٤ هـ) وفي خلالها عزلت الدولة محمد باشا الأرفلي عن مصر وولت مكانه أحمد باشا والى الحجاز فحضر وسكن بدرب الحجز ومات بعد أشهر قلائل وتولى مكانه خليل باشا وغلت الاسعار في تلك الأيام بسبب حروب علي بك الكبير ومملوكه محمد بك أبو الذهب مع الشيخ همامان رئيس قبيلة الهوارة وفي جهات مكة عند ما جردت يده التي أرسلها لمحاربة الشريف أحمد بن سعيد وانتصر عليه وولى مكانه الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات (١١٩٤ هـ) وقد صرف علي بك على تلك التجريدات نحو مليون وربع من الخنفيات تقريبا ثم أرسل علي بك بمملوكه محمد بك أبو الذهب على رأس جيش مؤلف من ثلاثين ألف مقاتل فاستولى به على كثير من بلاد الشام في مدة قليلة من يد أولاد ابن العظم ثم لما أمره أن يتعدى الحدود ويستولى على البلاد العثمانية وفهم أبو الذهب خبث منويات سيده وخاف سوء العاقبة اتحد سرا مع الدولة ضد علي بك وتحالف مع الامراء المرافقين له وأقسموا على المصحف ثم جمع محمد بك أبو الذهب من الشام رجلا ضمهم الى جيشه وعاد الى مصر لمحاربة علي بك من قبل السلطان ولما أراد علي بك مقاومة عند المكان المعروف ببيضاة انهزم والتجأ الى عكا واستولى محمد بك أبو الذهب على مصر ثم ان علي بك الكبير المذكور عاد في السنة الثانية بقوة مؤلفة من ثمانية الاف مقاتل بقصد امتلاك مصر ارتكنا على بعض مكاتبات وصاته من بعض رجاله بها ولما وصل بجموعه الى الصالحية قابله محمد أبو الذهب بجيشه الجرار وحاربه وهزم جيشه وجرح علي بك الكبير في الواقعة بجرحا يليغا فدخل عليه محمد بك أبو الذهب في خيمته وقبل يده ونقله الى مصر وخصص له الاطباء المداواة جراحه ولكن لم يفد ذلك شيئا مات بها بعد أيام قلائل (١١٨٧ هـ) وموت علي بك انتهت الرئاسة لمحمد بك أبو الذهب الا انه لم يرضح بها طويلا حيث عاجلته الوفاة بعد

بضعة أشهر نال في خلالها من السلطان التقاليد وتنازع السلطة بعده ابراهيم بك ومراد بك وهما من مماليك واسماعيل بك الى أن نالها الاولان أخيراً فانفرد بالمل والعتد وفي خلالها توفي السلطان مصطفى خان الثالث الى رحمة ربه وجلس مكانه السلطان عبد الحميد خان الأول فصرف خليل باشا عن ولاية مصر لولاية جدة وولى مكانه مصطفى باشا النابلسي (١١٨٨ هـ) وكانت السلطة في ولايته لابراهيم بك ومراد بك وليس له من الولاية الا الاسم فقط ولذا لم يتمكن من اجراء عمل ما ثم عزل سنة ١١٩٠ هـ وتولى بعده محمد عزت باشا الكبير وفي أيامه نار المغاربة بالازهر وحصل من ثورتهم مقتلة كبيرة واستبد ابراهيم بك ومراد بك بالاحكام تماماً وكثرا من الظلم وجباية الاموال حتى أفقر الأهالي وكانت الحرب بينهما وبين اسماعيل بك رئيس أمراء وجهه قبلى لا تنقطع فينتصر بعضهم تارة وينهزم أخرى وصارت القاهرة وقلاعها وضواحيها كمدان حرب دائم وفي خلالها مات محمد عزت باشا الكبير وتولى بعده رائف اسماعيل باشا والى جدة (١١٩٣ هـ) ووصل الى مصر والاحوال على ما هي عليه من الاضطراب واشتدت المنافسات بين الاحزاب وبعضها ثم تعصب البكوات على والى المذكور وانزلوه من القلعة معزولا (١١٩٤ هـ) فولت الدولة بدله ملك محمد باشا المعروف بيكن الحاج وفي خلال ذلك تغلب ابراهيم بك على مصر وبعث شريكه مراد بك بجيش لاذلال حسن بك وورضوان بك وغيرهما من أمراء الصعيد فخار بهم ثم صالحهم وأخذ منهم الرهائن وعاد ودعت الدولة ملك محمد باشا للصدارة (١١٩٦ هـ) وولت مكانه الشريف على باشا المعروف بالقصاب وبعد قليل عزلته وولت بدله الوزير محمد باشا السلحدار المعروف بالصوغانجي فوصل الى نجر الاسكندرية في شهر شعبان (١١٩٧ هـ) وفي أيامه كانت الحرب قائمة بين البكوات واقتتل ابراهيم بك مع مراد بك لاختلاف حصل بينهما وسببه مصالحة الاول لامراء الوجه القبلى ثم عزل مراد بك وعزل والى وولى نفسه سنة ١١٩٩ هـ بعد أن تصالح مع ابراهيم بك وعمت السلوى مصر بسبب الطاعون الذى ظهر بها وكانت الدولة وات يكن محمد باشا الشريف وحضر مصر في محرم سنة ١٢٠٠ هـ والاحوال فيها غير مرضية بسبب المصادرات والمظالم والتعدى ولما بلغ الدولة تمرد البكوات عليها وطمعناهم أرسلت جيشا مع الدونما العثمانية تحت قيادة القبودان حسن باشا الجزائرلى الى نجر الاسكندرية لردعهم فلما وصلت اخبارها خاف البكوات وطلبوا من والى التوسط بينهم وبين القبودان باشا فلم يقبل فإرسلوا وفدا من العلماء منهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريرى ومعهم غيرهم من الامراء للتوسط فى الامر وأرسلوا معهم الهدايا الفاخرة لأن ذلك لم يجدي نفعا وعند ذلك سار مراد بك بعسكره الى فوة لمصادمة القبودان باشا وكان انتقل ببعض المراكب الخفيفة الى رشيد ودخل النيل ولما اقتتل الطرفان انهزم المصريون وعادوا على أعقابهم ثم وصل القبودان باشا بجيشه وأسطوله الخفيف الى مصر كما مر في المقدمة واستولى على بيوت الامراء وأموالهم وساق فرقة مع عبدى باشا أهدقواه لتعقب الامراء الذين فروا الى الصعيد مع ابراهيم بك ثم عزل محمد باشا السلحدار وولى مكانه عبدى باشا المذكور وبسميه الجبىرى وغيره بعابدى باشا وكان القبودان باشا يتعقب البكوات بالصعيد فأخذ عبدى باشا ينظر فى أحوال البلاد مدة سنتين ثم صرف وولى مكانه اسماعيل باشا التونسى كتحدا حسن باشا القبودان ومن رتبة الوزارة ثم عاد القبودان باشا

من الصعيد واهتم في إيجاد بعض مراكب حربية لمصر ثم سافر الى القسطنطينية قال الخبر في ما ملخصه
 وفي أربع عشرة من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٠١ عمل حسين باشا ديوانا بالقصر وحضر
 عنده عابدى باشا والمشايخ وسائر الامراء وقرأ عليهم المراسيم التي حضرت من الدولة وفيها طلب
 حسن باشا الى الديار الرومية بسبب حركة السفر الى الجهاد وان الموسقوز حذوا على البلاد واستولوا
 على القريم وغيرها والثاني فيه ذكر العقوقن ابراهيم بك ومراد بك من القتل وركب الامراء لوداعه
 وفي يوم السبت ثالث عشر به سافر من مصر الى ان قال ورجع مراد بك بعد أربع سنين وجعل
 اقامته بقصر الجسيرة وعمل له ترصانة عظيمة وطلب صناعات آلات الحرب من المدافع والقنابر والنب
 والجلل والمكاحل واتخذها أيضا معامل البار ودخلاف المعامل التي في البلد وأحضرت أناس من
 القليوبجية ونصارى الاروام وصناع المراكب فأنشؤا له عدة مراكب حربية وغلابين وجعلوا لها
 مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم صرف عليها أموالا عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية
 وأدر عليهم الجاكي والارزاق الكثيرة وجعل عليهم رئيسا كبيرا رجلا نصرانيا وهو الذي يقال له
 نقولانجي له دار عظيمة بالجسيرة وأخرى بمصر وله عزرة وأتباع من نصارى الاروام المرتبين عسكريا
 ولا يدري أحد لى شئ هذا الاهتمام ولاى حاجة انفاق هذا المال في الخشب والحديد واعطائه
 للاروام واختلفت آراء الناس في ذلك فمن قائل ان ذلك نحو فامن خشدا شينة وقائل مخافة من
 العثمانية كما تقدم في قضية حسن باشا والبعض يظن خلاف ذلك وليس غير الوهم والتخيل الفاسد
 وبقية الآلات الحرب جميعها والبار ودبحوا صله حتى أخذ جميعه الفرنسيين ويقال انه كان بحواصل
 الترصناته من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة ٥٥ ولما جلس السلطان سليم خان الثالث (١٢٠٣ هـ)
 أقر إسماعيل باشا التونسي على مصر وكانت أحوال البكوات باقية على حالها يسبون المعاملة
 ويظلمون الاهالى وسفهم تسطو على مراكب القسرج حتى عمادت الشكوى من دولهم للباب
 العالي وللارتباك الذي كانت فيه الدولة بمسائل اليكبرية لم يمكنها أن تعمل شيا فأصرفت إسماعيل
 باشا نقل على ولاية موره وولت مكانه محمد عزت باشا (١٢٠٥ هـ) وفي أيامه اشتد الغلاء بمصر
 ومات فيه خلق كثير ومات في هذا الوقت الصدر الأعظم حسن باشا الجزائرلى ووجهت الصدارة
 ثانية الى يوسف باشا (١٢٠٦ هـ) فأسرع أمره بمصر بتقديم الهدايا الى الصدر الجديد
 وبعثوا به مع كتخدالچاويشية صالح أغا وكتب الوالى مكتوبا للدولة يلتمس لهم فيه العفو عن
 جرائمهم السابقة ولما وصل المنسوب المذكور صادف عزل يوسف باشا من الصدارة وتوجهها
 الى ملك محمد باشا فصدر فرمان العفو عنهم ثم صرف محمد عزت باشا عن مصر وتولى مكانه صالح باشا
 القيصرى (١٢٠٩ هـ) فوصل في ٢٤ محرم من السنة المذكورة وأعقبه ورود خبر توجه
 مسند الصدارة الى محمد عزت باشا وكانت الاحوال بمصر مضطربة وحصل انه تعدى أحد البكوات
 المدعو محمد بك الانقى على عائلة الشيخ الشرفاوى فاجتمع العلماء وقفوا أبواب الازهر واشتد
 الامر وزادت تشكيكات الاهالى وعزل الوالى وتولى مكانه السيد أبو بكر باشا الطرابلسى (١٢١١ هـ)
 وكان السبب في قصر مدة ولاية الوزرا بمصر تغلب الامراء والصناع والعاكر على أمور
 الحكومة حتى وصلت أعمالهم الى عزل من أرادوا عزله ممن لا يرضخ لافعالهم وأقوالهم وولاية
 من أحبوه ولما وصل الوالى الجديد الى مصر وجد الخلل مستهكما في كل ادارتها والبكوات

مستبدين بالامور مفرطين في ظلم العباد ونهزمهم فكثرت الشكوى ورفعت سفراء الدول مذ كرتهم الى السلطان سليم خان الثالث كما سيأتي في محله وكان ذلك من الاسباب التي اطمعت الحكومة الفرنسية في امتلاك البلاد فارسلت الجنرال نابليون بوناپارت بجيوشها واساطيلها الى نهر الاسكندرية فتمكن لذلك من الاستيلاء على القطر المصري واضطر السيد أبو بكر باشا الوالي المذكور الى الهرب الى غزة مع ابراهيم بك وكان ذلك في يوم السبت ١٧ صفر من سنة ١٢١٣ هـ

الفصل السادس عشر

(استيلاء الفرنسيين على الديار المصرية)

(١٢١٣ - ١٢١٦ هـ ١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

قد سبق الكلام على حوادث اغارة الجنرال نابليون بوناپارت بجيوشه الفرنسية على وادي النيل في صحيفة ٦٤٦ من الجزء الاول من هذا الكتاب ولما كانت أقوال المؤرخين في هذا الباب كثيرة متخالفه رأينا من المفيد ان نذكرها من أقوالهم لتمام الفائدة فنقول اتفق أغلب المؤرخين على أن السبب الذي حمل دولة فرنسا على ارسال جيوشها الى مصر هو طمعها في امتلاك هذه الديار لاهمية موقعها الجغرافي ووفرة حاصلاتها وان كونها أجود من كرتجاري وأهم نقطة للمواصلات بين آسيا وأوروبا وبامتلاكها يمكن بكل سهولة من تهديد الدولة الانكليزية في الهند الشرقية وكانت تنتهز كل الفرص لتسيغ هذا المقصد حتى إنها أظهرته في مدة محاربة الدولة العلية للروسيا من امبراطورتها كترينه الثانية في الوقت الذي كان أظهر فيه على بك الكبير العصيان على السلطان ونادى باستقلال مصر عن الدولة كما تقدم وذلك ان الحكومة الفرنسية تشبثت وقتئذ في عقد اتحاد مع الروسيا بتجيز لها فيه الاستيلاء على القسطنطينية نظير أن تستولى هي على الديار المصرية لان الدولة الانكليزية خصيمتها كانت في ذلك الوقت مشغولة بحرب واستقلال أمرها وكالها هذا أشار المسيود سارتين (M. de Sartines) وزير لوزير السادس عشر على الحكومة الفرنسية بجهيز أسطول قوى وجيش كبير للاستيلاء على وادي النيل الا أنه لما وجد أن أحوال المالية الفرنسية وقتئذ لاتساعد على ذلك اضطر أن يعدل عن تلك السياسة ويسلك مسلكا آخر ثم لما رأت فرنسا فيما بعد أن أحوال الديار المصرية صارت الى الارتباك والتعقيد والاضطراب الذي مرت بك ذكره من حركات الممالك البكوات وكثرة مظالمهم وتعدياتهم ونهبهم الاموال هبت لانتظار نيتها الاولى واجتهدت في اخراجها من القوة الى الفعل وبجرد حصول التعدي من البكوات المصرية على بعض التجار الاورور وپاويين كما تقدم أخذت تحرك سفراء الدول في الاستانة حتى ساقطتهم لرفع شكوى من حوادث مصر للسلطان سليم خان الثالث وطلبوا فيها من جلالتهم منع هذا التعدي ولما كانت أحوال الدولة وقتئذ في اضطراب زائد لقيام أوجاعات الكجربة بالثورات في داخل استانبول وفي خارجها واشتغال السلطان بوضع نظام جديد للجندية لم يمكنه أن يفعل شيئا مريض به السفراء وكتب الميسوشارل ماجالون Magellon قنصل فرنسا في مصر تقريراً مشحوناً بالشكوى الشديدة من أحوال مصر وأرسله لدولته وطلب منها فيه اتخاذ الطرق الفعالة وكان ذلك بلا شك بإيعاز منها

فصادف تفريره هذا عضداً قويا في باريس من الجنرال بوناپارت وكان وقتئذ عاد من محاربته التي قام بها مع ممالك أوروبا وأزال في أثنائها جمهورية البنادقة بمعاهدة كامبوفورميو التي عقدتها مع دولة النمسا وضم بها قسما عظيما من سواحل البحر المتوسط الأبيض لبلادها فأخذ نابليون يحرض حكومته ويعددها القوائد والمكاسب التي تنالها من الاستيلاء على وادي النيل حتى اجتذب بتخريصاته المذكورة معظم أعضاء الحكومة لآيه فقرروا الحملة وجهزت فرنسا له جيشا مؤلفا من ٤٠,٠٠٠ مقاتل وضعته تحت قيادته وفوضت له أمر انتخاب القواد الذين يرغب أن يكونوا معه فانتخب بوناپارت الجنرال كليبر (Kléber) وديزكس (Desaix) ورونيير (Regnier) وداماس (Damas) واندريوسى (Andreossy) ومارمون (Marmont) وحنوفو (Junot) ومينو (Menou) لقيادة فرق البيادة والجنرال مورات (Murat) لقيادة السوارى وكافاريللى (Cafferalli) وبرتييه (Berthier) لقيادة فرق المهندسين والجنرال دومارتين (Daumartin) لقيادة الطوبجية وأخذ معه أيضا كثيرا من العلماء والمهندسين والصناع ثم أقطع بهم من طولون على اسطول جسيم جهز له يتكون من ٤٠٠ سفينة بين حربية ونقالة وكانت الاساطيل تحت قيادة الويس أميرال فرانسوا بول كونت دورويس (Brueys) ومعه أربعة أميرالات آخرين وكان خروجهم في يوم ١٩ مايو من سنة ١٧٩٨ م وسارت تلك الاساطيل تخترق عباب البحر حتى وصلت الى مالطة واستولت عليها ثم قصدت نغرا الاسكندرية فوصلت فيه في أول يوم من شهر يوليو من السنة المذكورة وتلكته بلاقتال تقريبا (في محرم ١٢١٣ هـ) ثم نشر نابليون على أهالى البلاد المصرية نشرة يدعوهم بها الى الاستسلام^(١) من مطالعتها تعلم

(١) بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شر يكفه في ملكه من طرف الجمهور الفرنسي على أساس الحرية والمساواة السعرا الكبير بوناپارت أميرالجيش الفرنسي يعرف أهالى مصر جميعهم انه من زمان بعيد والصناع والذين تسلطوا في البلاد المصرية يتعاملون بالثلم والاحتقار حتى الملة الفرنسية وتوظفون تجارتها بأنواع البص والعدى فحضرت الان ساعة عقوبتهم وأخر من مدة عسور طوليلة ان هذه الزمة المالك الجلوبين من بلاد الانا والجزجستان يفسدون في الاقليم الاحسن الذى لا يوجد في كره الارض كلها مثله فامرب العالمين القادر على كل شئ فقد سخرتم على انقضاء دوائهم بأهالى مصر بون قد يقولون لكم انى ما نزلت في هذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للفترباننى ما قدمت اليكم الا لكيفا أخلص حقاكم من يد الظالمين وانى اكثر من الممالك أعبدا لله سبحانه وتعالى واحترم نبيه محمد والقرآن العظيم وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساون عند الله وان الشئ الذى يميزهم عن بعضهم فهو العقل والفضائل والعلوم فقط وليس عند الممالك من العقل والفضل والمعرفة ما يميزهم عن الاخرين ويستوجب انهم يتملكون وحدهم كل ما تخلون به حياتا للدينا تخمين يوجد أرض مخصصة فهى مخصصة للمالك وكذا الخوارى الاجمل والجيل الاحسن والمسكن الا نهى فهذا كله لهم خاصة ان كانت الارض المصرية التزام المالك فليظهروا الحجة التى كتبها الله لهم ولكن رب العالمين هو رؤف وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا يستثنى احد من أهالى مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية والعقلاء والفضلاء والعلماء منهم سيدبرون الامور بذلك يصح حال الامة كلها وسابقا في الاراضى المصرية كانت المدن العظيمة والخلجات الواسعة والمنجر المتكاثرو وما زال منها ذلك كله الا لطعم وظلم المالك اهبها القضاة والمشايخ والائمة وبأهالى الشرباجية وأعيان البلد قولوا لامتنكم ان الفرنسيون يهتهم أيضا سلطون خالصون وانما نال ذلك قدر لوقر ومية الكبرى وجبر وافيا كرمى البابا الذى كان يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها الكوارية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك فالفرنساوية في كل

مقاصده الظاهرة وبعدها استولى نابليون على الاسكندرية تقدم بجيشه الى القاهرة فقباله مراد بك بمجموعه عند الرحمانية الا انه لم يثبت امام الجيوش الفرنسية ووقعه نابليون حتى لحق به عند شتيل بالقرب من اوسيم مركز امبايه من أعمال الجيزة وحدث هناك بينهم واقعة عظيمة انتهت بانهزام مراد بك مع جيشه وفر هاربا الى الصعيد ودخل فرنساويون مصر وصاروا يعطون أوروبا بالامان لمن سالمهم^(١) ثم خرج نابليون يتعقب جيش ابراهيم بك والوالي لوقاجي أبو بكر باشا الذي اخذ يتقهقر الى طريق الصالحية فلحقه وهزمه وفر ابراهيم بك والوالي الى جهة الشام وعاد بونا بارت الى مصر واستوات رجاله على أملاك البكوات وأموالهم وأغلظت المعاملة مع عائلاتهم حتى اضطر وهم لان يفدوا أنفسهم بالأموال وكان ذلك كل مرغوب الفرنسيين فافتدت زوجة مراد بك نفسها بمائة وخمسة وعشرين ألف ريال ودفع غيرها من النساء مبالغ وافرة ليتخلصن من جورهم ولم يقف الفرنسيون عند ذلك الحد كما كانوا يدعون بل اكدوا من نهب الاهالي وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغير ذلك من الاعمال الفظيعة وصارت جواسيسهم من الاخلاط يخبرونهم عن ودائع الامراء وخباياهم فكثرت هجومهم على البيوت ونبتوا الاراضي وهدموا الحيطان واتسع نطاق الفتن وتخيّر الناس في أمرهم وقد وصفهم المرحوم الشيخ عبد الله الشرفاوي في كتابه تحفة الناظرين بقوله ان حقيقة حال الفرنسيين الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة باحماية

وقت من الاوقات صاروا المحيين الاخلاصين لحضرة السلطان العثماني وأعدائه اذ ادم الله ملكه وبالعكس المسالين امتنعوا من طاعة السلطان غير ممثلين لامره فإطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون مع نابلا تأخير في صلح حالهم وتعلموا منهم طوبى أيضا للذين يتعدون في مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين فاذا عرفوا بالاكثري يتسارعوا اليها بكل قلب لكن الويل للذين يتعدون مع المالبث ويساعدونهم في الحرب علينا فاجيدون طريقا للخلاص ولا يبقى منهم أثر

(المادة الاولى) جميع القرى الواقعة في دائرة قريية بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها العسكر الفرنسي يجب عليها أن ترسل للسر عسكر بعض وكلاء من عندها لكيما يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا السجاق الفرنسيين الذي هو أيضا وكلي وأخضر (المادة الثانية) كل قرية تقوم على العسكر الفرنسيين تحرق بالنار (المادة الثالثة) القرية التي تطيع العسكر الفرنسيين الواجب عليها نصب السجاق الفرنسيين وأيضا نصب سجاق السلطان العثماني محبنا اذ ادم الله بقاءه (المادة الرابعة) المشايخ في كل بلد يتختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع المالبث وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لا يضيع أدنى شئ منها (المادة الخامسة) الواجب على المشايخ والقضاة والائمة انهم يلازمون وظائفهم وعلى كل واحد من اهالي البلد أن يقيم في مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم يشكرون بفضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة المالبث قائلة بصوت عال اذ ادم الله حلال السلطان العثماني اذ ادم الله اجلال العسكر الفرنسيين لعن الله المالبث وأصبح حال الامه المصرية تحميرا بعسكر اسكندرية في ١٣ من شهر مسيدور سنة ٦ من اقامة الجمهورية الفرنسية في ٢٨٨

(١) صورة وريقة التأمين التي كان بونا بارت يعطيها الى اهالي مصر

من معسكر الجيزة خطابا لاهل مصرنا أرسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا محضرون بالانفس اذ ادم الله المالبث الذين ساءلوا الفرنسيين بالذل والاحتقار وأخذوا أموال البحار ومال السلطان ولما حضرنا الى البر الفرنسي خرجوا بنا فقلنا انهم عايننا ونحن وقتلنا بعضهم وأمرنا بعضهم عند نواهير بعضهم ونحن في طلبهم حتى لا يبقى منهم أحد بالقطر المصري وبأعمال المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم

طباعية يقال لهم نصارى قاتوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق التعليل ويحكى العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعون ان الرسل محمد او عيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا في مصر وقرائها الكباردواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة بأهل مصر فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لاتليق بالشرع والسبب الذي أوجب لأهل مصر وقرائها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هرب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبوا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثمانيين ولم يأتوا الا لطرده المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شئ لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم فخر يدغرامسة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض في مصر وقرائها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكتوفيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان أهل البلد ظنوا ان العسكر لا يدخله حقولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع ونشروا الكتب التي في الخزانة يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجون لهم كتبوا ومصاحف نفيسة اه

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٣ المذكورة أن رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلاني كان مجاورا بمكة والمدينة فلما شاعت الاخبار باستيلاء الفرنسيين على مصر صار يعظ الناس ويحرض على الجهاد فانضم اليه نحو ٦٠٠ رجل فلما وصلوا ينبع انضم اليه جماعة منها ثم ركبوا البحر الى القصير فانضم لهم جمع من الهوارة والمغاربة والترك وأهل القرى ثم انكفأ بهم الكيلاني الى جرجا وبقرية حصلت بينه وبين الجيوش الفرنسيين بجملة مواقع ومناوشات غير انها انتهت بدون طائل اه ولما كانت العلاقات بين دولة انكلترة وفرنسا منة طعة من عهد قيام الامة الفرنسية على ملكهالوزير السادس عشر حتى حاكمه وأعدموه في سنة ١٧٩٢ م (١٢٠٧ هـ) وأعقبها المحاربات التي حصلت في طولون بين الطرفين صارت انكلترة من ذلك الوقت تنظر الى حركات فرنسا ومحاربات يونان بآرائه في ايطاليا وأستوريا وانتصاراته على الاخيرة في كاستليون وأركول وريفولي ومحوه لجمهوريه البنادقة وضمه لكثير من أملاكها الساحلية الى بلاده كما مر بعين الاضطراب والبغضاء حتى انه بمجرد انتشار خبير التجهيزات الحربية التي قامت بها فرنسا من جمع الجيوش وتسليح الاساطيل أوجست من ذلك خيفة على هندها واستمراتها الشرقية فأسرعت باصدار الأوامر المشددة الى الأميرال جون جرفيس أرل سان ونست (John Jervis) القائد العام لاساطيلها في البحر المتوسط الابيض وكان راسيا يومئذ بالدونما في قانس وأمرته بعراقبة حركات

الدونما الفرنسية التي أقلعت من طولون فبعث في الحال وكيله الاميرال هوراثونلسون لهذه المهمة على رأس أسطول مركب من ١٤ سفينة حربية يحمل بعضها ٧٢ مدفعا وبعضها ٨٢ عليها ٦٩٧٠ ملاحا اقتفاء أثر الدونما الفرنسية وقوض له أمر منعها من الاغارة على أي فرضة كانت فسار يبحر بها عباب البحر باحثا على الدونما الفرنسية كما ذكرنا في تاريخ الدولة العلمية بالجزء الاول حتى وجدها راسية امام ساحل أبوقير كما مرقودها الاميرال برديس وكانت مركبة من ١٤ سفينة كبيرة يحمل بعضها ٧٦ مدفعا وبعضها ٨٦ عددا كبيرا المسماة أوربان فكان بها ١٢٤ مدفعا وأربع فرقاطات بكل واحدة ٤٠ مدفعا وبها جميعا ١٠٠٠٠ ملاح فهجم عليها وحاربها حتى تدمرت كائنة - تم (أول أغسطس ١٧٩٨ م - ١٩ صفر ١٢١٣ هـ) وسيزيد ذلك بيانا ان شاء الله في تاريخ انكسار الدونما بالجزء الثالث ولما بلغ يونان بارت هذا الخبر عند عودته من الصالحية اضطرب له وتكدر ولكنه أظهر الجلسد كعادته لأن انكسار الدونما صير الحيلة الفرنسية التي تحت قيادته في مقام حرج ومع كل ذلك فإنه أخذ يقوى مركزه في الديار المصرية وعدم لذلك كثيرا من الابنية الفاخرة والآثار النفيسة التي كانت حول القلعة وزاد البناء على بذات باب العزب بالميلة وكان الفرنسيون غير وافي اثناء ذلك كثيرا من معامل القلعة ومحواما كان بهما من آثار الحكما والعلماء ومعالم السلاطين وما كان معلقا على الابواب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ثم شدوا في طلب النوقود من أهالي البلاد وضربوا الضرائب الفاحشة فارتبكت أحوال الاهالي من شدة المعاملة وزاد كرههم ثم لعلم نابليون يونان بارت ان الدولة العلمية أخذت تسعى في استرجاع مصر واخراجها منها بالقوة رغم اعن المساعي التي أجراها الموسيوروفن (Ruffin) سفير فرنسا لدى الباب العالي لاقتناع الدولة وجعلها تعبر بحر كات يونان بارت بحية لاعدوانية لان الدولة وقتئذ عدت ذلك بمثابة اعلان حرب من فرنسا عليها وسجنت السفير روفن المذكور في يدى قلعه مع باقي الفرنسيين المقيمين في القسطنطينية كالعادة في ذلك ثم أخذت تجهز جيوشها وأساطيلها وعقدت لذلك معاهدات دفاعية مع دولتي روسيا وانكسرت على يد منسندوبها المسمى عصمت بك أحد الصدور والعظام وعاطف أفندي رئيس الكتاب وعليه وصلت الدونما الى راسية من البحر الاسود الى الاستانة وكانت مركبة من خمسة قبايات كبيرة وست فرقاطات وعدة سفائن صغيرة وانضمت اليها الدونما العثمانية وكانت تحت قيادة قدرى بك وكانت مركبة من ثلاثين سفينة حربية ثم ألقع الاسطولان سوية من البوغاز وقصد البحر الادرياتيكي واستولى على البلاد التي كانت فرنسا واضعة يدها عليها هناك بمساعدة تبه دنلي على باشا وبعد أن تم لها ذلك شكلت الدولة والروسية هناك جمهورية مكونة من عدة جزائر يونانية عرفت بجمهورية الجزائر السبع وبعثت الدولة وقتئذ الى أحمد باشا الجزائر والى عكان يبعث جيشا لاحتلال العريش وكان نابليون يونان بارت صمم على افتتاح بلاد سوريا وفتح عليها بضم عظيم من جيشه (أول فبراير ١٧٩٩ م) وافتتح غزة ويافا وأما كن أخرى وعامل رجالها الذين سلموا اليه معاملة وحشية تأبأها المدينة التي تدعى امدول أور ويا حيث انه قتلهم بعد التسليم ومثل بهم ولما حاصر عكا حبطت مساعيه فيها وانابت آماله أمامها إذ صدته الجنود العثمانية بقوتهم المشهورة وكانت العمارة الانكليزية والعثمانية تساعدان الجيش

العثماني بحرافكسرنابليون وارتد على أعقابها ولما سمعت بذلك باقي البلاد انقضت على جيشه من كل جانب فاضطر الى التقهقر وترك سوريا عائدا الى القاهرة وفي أثناء عودته قاسى هو وعسكره من العذاب ألوانا فكان العطش والوباء يجاربانها من جهة والعمارة الانكليزية والعرب والعمانيون يتعقبانه برا وبحرا يقتكون بجيشه قتلا ونهبا ولم يصل الى مصر حتى كادت ارواحهم تفارق أبدانهم ولم يمكث بونا بارت بعد ذلك كثيرا حتى جاءه خبر وصول البوارج العثمانية والانكليزية والروسية المتفقة على اخراجه من الديار المصرية الى ميناء أبي قير لتعضيد الحملة العثمانية التي خرجت فيها تحت قيادة السر عسكر كوسه مصطفى باشا فانزعج لذلك وأسرع لملاقاةها بقوة مؤلفة من ستة آلاف مقاتل فالتقى بهم ودارت رحى الحرب بين الطرفين فتقهقر أولا عسكر بونا بارت ثم اغنم قائدهم اشتغال العساكر العثمانية بتحصين بعض المواقع وسار بقوته من ورائهم واستولى على طابقتهم السمسة أبو خور فاندعر العثمانيون من ذلك واضطر والى التقهقر وبذلك فاز الفرنسيون وقبضوا على المعسكر عما فيه ووجدوا السر عسكر كوسه مصطفى باشا مجروحاً أسروه وهو وواده والتجأ الباقى الى السفن ورجع بونا بارت الى مصر بالأسرى ثم بعد قليل وردت عليه رسائل من فرنسا تستدعيه اليها لتسكين الاضطرابات التي قامت بها الاحزاب ضد الموسيوي باراس (Barras) أحد أعضاء الدركتوراتسو تصرفه في أمور الجمهوريه فكتم الامر وكاشف عليه الكونت الاميرال غانتوم (Gantheaume) رئيس أركان حرب الاساطيل الفرنسية ليعده سفينتين تنقلانه مع حاشيته الى فرنسا وولى الجنرال كليبر منصبه ثم سافر خفية الى فرنسا على فرقاطة تدعى مويرون (Muiron) قبودانها لارو (Larue) تخفها فرقاطة أخرى تدعى كوريز (Corrèze) في ٢١ ربيع أول سنة ١٢١٤ هـ - (٨ أكتوبر ١٧٩٩ م) وكان الاميرال اسميث الانكليزي لما بلغه خبر سفر بونا بارت اقتنى أثره بفرقة من أسطوله ولكنه لم يلحقه وأخذ الجنرال كليبر يهتم في تنظيم الاحوال لاكتساب ثقة الالهين وجمع الاموال للصرف منها على الجنود ثم أرسلت الدولة العثمانية جيشا آخر الى دمياط مؤلفا من ثمانية آلاف مقاتل على السفن الخمسين العثمانية التي كانت عادت من مياه أبو قير عقب واقعة أبو خور يرافقهم بعض المراكب الانكليزية ويبنما كانت السفن تخرج الجيش هاجمه الفرنسيون فاضطرت المراكب أن توقف انزال باقى العساكر ولمالم يتمكن العثمانيون من انزال جنودهم هناك أمرت الدولة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا بالتقدم بجيشه من جهة الشام فتقدم واحتل العريش بعد أن كسر الفرنسيون بين هناك وفارتاع الجنرال كليبر من ذلك وعينت الدولة صالح باشا لولاية مصر في رجب (١٢١٤ هـ) وكان الجنرال بونا بارت مال الى الصلح قبل فراره من مصر وأرسل رشيد أفندي أحد كتاب الديوان الهمايونى الذى كان أسرمع كوسه مصطفى باشا في واقعة أبو خور للتوسط واشترط عليه ان يكون الصلح بين فرنسا والدولة رأسا وبذلك يخرج من مصر في مدة أربعة شهور ولما كان طلبه هذا مغاير المنطوق المعاهدة الدفاعية التي عقدتها الدولة مع روسيا وانكثرت أرسلت للصدر يوسف باشا ان يبلغ الفرنسيين بعدم امكان المصالحة على ذلك الوجه الا بالاشتراك مع الدولتين المشار اليهما وأعاد الصدر الاعظم مصطفى رشيد أفندي المذكور بذلك فسلم المحررات الى الجنرال كليبر الذى بقى وكيسلا بونا بارت كما مر ففرح كليبر بذلك وأسرع بتحرير جواب القبول على شرط أن

ينسحب بعساكره من مصر عن طريق رشيد والاسكندرية في مدة ٥٠ يوما وأن يخرج بكافة مهماته وجنده وما قبضوه من الاموال وأن يدفع لهم قدر من المال يستعينون به على السفر وغير ذلك من الشروط وأرسلها مع رشيد أفندي المذكور وجماعة من الفرنسيين وقبيل الصدر الاعظم ذلك بعد مراجعة الاميرال اسميث قائد الاساطيل الانكليزية وكان حضر وقابل الصدر الاعظم وفواضه في هذا الامر بحضور مصطفى أفندي رشيد فترد ارا الصدر الاعظم وراسخ مصطفى أفندي ثم زحف الصدر بجيشه البالغ عدده أربعين ألف مقاتل الى ما بين خانقاها السرية واقوسية والمطرية وكان يرافقه الميرالاي دوغلاس (Douglas) الانكليزي وبعض ضباط انكليز آخرين بصفة اركان حرب وبعض الفرنسيين المتجنسين اليه ثم ان الجنرال كليبر تعطل بعدم امكانه انفاذ شروط الصلح بدعوى ان الانكليز لا تمكنه من السلوك في البحر ومكث مدة وهو يتخادع الصدر كان في خلالها يتجهز لقتال الجيوش العثمانية والانكليزية ثم هاجم مقدمة الجيش العثماني الذي بالمطرية بغتة وكان العثمانيون لا يتوجهون شر الا اعتمادهم على الصلح الذي عقدت مقتماته في العريش فانكسر العثمانيون وانهمزمت المقدمة واضطر الصدر الاعظم أن يعود الى بلبس ومنها الى الصالحية وأخذ يجمع عساكره المنهزمة ولما تقدمت الفرنسيون الى الصالحية تفهقر الصدر بانتظام حتى وصل غزه ثم عاد الجنرال كليبر بعد ذلك وقصد الدخول الى مصر فغره رجال الالبي وحصلت بين الطرفين حروب يطول شرحها حروب فيها الفرنسيون كثيران مبانى مدينة القاهرة بالمدافع التي أطلقوها من القلعة وحصل للاهالى ضنك شديد وأخيرا حصل الصلح وعاد البكوات الى الصعيد بشروط معلومة وأخذ الفرنسيين يهتمون في جمع الاموال بالقوة وفي يوم ٢١ محرم من سنة ١٢١٥ بينما كان الجنرال كليبر يمشى في بستان المنزل الذي كان يسكنه في الازبكية وثب عليه رجل حلبي وضربه بمخبر فقتله وكان هذا القاتل يدعى سليمان الحلبي فقتلوه بعد أن عذبوه عذابا باليا وذلك بعد أن حاكوه محاكمة دقيقة سعوا كثيرا في أثناء المعرفة المحرض له على ذلك وقال هذا القاتل انه أتى من الشام وأقام ثلاثين يوما في رواق الشوام بالجامع الازهر عند جماعة سباهم فأحضرهم الفرنسيون وقتلوهم وأقيم بعد كليبر على قيادة الجيش الجنرال مينوالذي اجتمع في بناء القلاع وتعمير السور من باب النصر الى باب الحديد وجعل الفرنسيين جامع الحاكم قلعة وهدموا قواصره وجعلوا منارته برجاً وهدموا أكثر بيوت الحسينية وبولاق وتغيرت الاحوال وهاجر كثير من أهل البلد وفي تلك الاثناء أظهر الجنرال مينوالاسلام وسمى نفسه عبدا لله وتروج بين أحد كبار المصريين قال الجبرتي واستقر عوضه في السر عسكرية فأقام عبد الله جاك منو وهو الذي كان متوليا على رشيد من قدمهم وقد كان أظهر انه أسلم وتسمى بعبد الله وتروج باهراء مسلمة وقلدا وعوضه في قائماتم بليار اه وقد وجدنا الفاضل على بك بهجت مترجم ديوان المعارف صورة عقد الزواج في قيودات محكمة رشيد الشرعية فأدرجناه بحروفه لتمام الفائدة (١) وقد أخبرني

(١) صورة العقد بمحض كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخصري الملقب الشافعي ومولانا الشيخ محمد صديق النائب الملقب الحنبلي ومولانا السيد محمد قرا النائب والمفتي المالكي والسيد أحمد بدوي نقيب الاشراف حالا والامير محمد بدوي جورجي سردار مستهفظان وأحمد آق جاو بش مستهفظان والحاج أحمد جاو بش العسال والحاج

محمود اللوي المغربي و ابراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بيرو والحاج بدوي الشناوي وازون اممبيل
السلانكي وعلى جاووش كتحدا البيك دام كمالهم

بعد ان اقر واعترف منو باشا صاري عسكر القطر المصري حالا بصر بحلفه وفضبح نطقه بكلمتي الشهادة
وهما اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عارفا معتقدا معناهما ومصداقهما بمضمونها نارا كالدين النصرانية
والاديان الردية على الترتيب والولاء واعادة التشهد واستيقا الشروط المعنوية فيها شرعا طائعا مختارا من غير اكرام
ولا اجبار وعقضى ذلك صارا له المسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم وسمى نفسه
عبد الله بلشا واشهد على نفسه الجماعة المذكورة من جميع ذلك الشهادتين عارفا بما بعد ذلك رغب عبد الله بلشا المذكور في
توجه امره المسلمة تخطيها خطبة شرعية واجيب الى ذلك بعد ابراز لفتيات شرعية لفظ سؤاها ما قولكم دام فضلكم في
رجل احب الاسلام واهله ورغب فيهما نارا كالدين النصرانية ناطقا بكلمتي الشهادة صادا على الوجه الاكمل
ثم اراد ان يتزوج امرأته المسلمة على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ التزوج بها والعقد عليها
بشر وطه الشرعية اقيدوا الجواب بآذانه الحمد لله حيث كان الحال ما شرحت في السؤال فيجوز للرجل المسلم المذكور
خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشر وطه الشرعية والله اعلم كتبه العبد الفقير احمد الخضري الشافعي لطف الله به
وبآذانه الحمد لله حيث اقر الرجل المذكور بالشهادتين بشر وطهما الشرعية فيجوز له ان يعقد على المرأة المسلمة عقدا
شرعيا مستوفيا لشرائطه الشرعية والله سبحانه وتعالى هو الموفق كتبه الفقير محمد صديق الخليلي عن عمه وبآذانه
الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور في الاسلام ونطق بكلمتي التوحيد جازله ان يتزوج المرأة المسلمة وان يعقد عليها العقد
الشرعي بشر وطه الشرعية والله اعلم كتبه الفقير محمد غرا المالكى غفر له وعن عمه فيحضر كل من ذكره اعلاه يتزوج
عبد الله بلشا المذكور بخطوبته زينة المرأة بنت محمد البواب التي كانت زوجا لسلیم أعمامه الله وطلقها وانقضت
عدها شرعا على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصداق جلته الفاربال اثمان معاملة ومائة دينار ذهبا
محبوبا للحال لهما من ذلك المائة دينار المذكورة اقبضها وكيلها الحاج حسين ابن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك
عددا بالمجلس عما بينه من ذكره اعلاه وعليه الخروج من عهده ذلك لها شرعا والباقي الفاربال الاثنان يحلان لها عليه بموت
او فراق وزوجها بذلك وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم بانها في ذلك شهادة كل من اخبرها
لامها السيد علي الحماني بن حسن البواب والسيد احمد وشقيقه السيد ابراهيم المكلف كل منهما ابني السيد سليمان
النقران زو يجاشر عاقب له لزوج المرقوم وكيله الحاج احمد شهاب حسبا وكله صر بحال المجلس بشهادة شهود
المذكورين وعلى عبد الله بلشا الزوج المذكور والقيام لزوجه المذكورة في كل سنة تمضي من تاريخه اذناه بقضاء
كسوة اقشنة شتاء وصيفا لاثنين بحالهما القيام الشرعي ونبت ذلك لى مولانا انندي بعد ان نبت لديه معرفة زينة
المذكورة المعروفة الشرعية التي لاجهالته معها شرعا بشهادة كل من شهد ذلك كياها المذكورين ثبوتها شرعا بحكم
بوجه حكما شرعيا في الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين واثل

(صورة الاتفاق) ولديه بمحضر كل من مولانا الشيخ احمد الخضري المقتى الشافعي ومولانا الشيخ محمد صديق
النائب المقتى الخليلي ومولانا السيد محمد غرا النائب والمقتى المالكى والسيد احمد بدوي نقيب الاشراف
والامير محمد بدوي جرجي سردار مستحفظان و احمد آق جاووش مستحفظان العسال والحاج محمود اللوي المغربي
وابراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بيرو والحاج بدوي الشناوي وازون اممبيل السلانكي وعلى
جاووش كتحدا البيك ولوى يوسف ويكتور جليان صاري عسكر حاكم ولاية النغر ولوى او جيت دروى
رئيس طائفة عسكرية وكتحدا صاري عسكر الاقبي ذكر فيه وجان فرنسوا لوى لو بكة مهندس وميقاى
الجيش الفرنسي ولورى ونولى باش حكيم القرن ثبته دام كمالهم صدرا التوافق والتراضى بين الحاج حسين ابن السيد
محمد المقتى الوكيل الشرعي عن زينة المرأة بنت السيد محمد البواب الثابت معرفتها ووكيله عنها فيما يدكر فيه
بشهادة كل من اخبرها السيد علي الحماني بن حسن البواب والسيد احمد وشقيقه السيد ابراهيم ابني السيد
سليمان النقران الثبوت الشرعي وبين الحاج احمد شهاب محاضر معه بالمجلس القائم في ذلك بواكاته الشرعية عن
عبد الله بلشا من صاري عسكر القطر المصري حالا الثابتة صر بحال المجلس وبصديقه على ذلك التصديق الشرعي وهو
زوج زينة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بحكمة النقران المؤرخ بخمس عشر شهر تاريخه اذناه على شروط
تكون وتوجد بين عبد الله بلشامو وبين زوجته زينة باقرار الوكيلين المذكورين

حضرته انه وجد صورة العقد المذكورة مشطوبة شطبا يكاد يجعل قراءتها مستحيلة وانه قاسى في قراءتها عناء شديدا

ولما كانت دولة انكلترا لا يهدأ لها حال بسبب احتلال الفرنسيين لمصر لما هالها في ذلك من الصوالح خصوصا لانهم افتتح طريق هندها وأملا كها الا سيوية أسرعت بارسال عمارة حربية مؤلفة من ١٧٠ مركب تحت قيادة الاميرال جورج الفانستون لورد كيث (George Elphinstone, Lord Keith) وانضم الى السير سيدنى اسمث وعلى العمارة المذكورة ١٥٠٠٠ مقاتل يقودها السير رولف ابركرومبى (Sir Rolph Abercromby) ورفقته من القواد الجنرال جون مورى (John Moore) والجنرال هتشنسون (Hutchinson) وغيرهما ورحلت هذه القوة في طريقها على ميناء مرمىس ليقرر رؤساؤها خطة الحملة مع الاوردى الهمايونى الذى تجهز مع الدونما العثمانية المركبة من ٦٠ سفينة شرعية تحت قيادة القبودان حسين باشا ثم أفلعت العمارة الانكليزية ولم تقف امام الاسكندرية لمناعة حصونها فقصدت أبوقير وأخرجت الجيش هناك على ٣٢٠ صندل (٢ مارس ١٨٠١ م) وبينما كان الفرنسيون والانجليزيون يتقاتلون وصل القبودان باشا بالمرالكب

الشرط الاول منها أن يزيدت الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكلا عنهما في سائر ما ملكت بهما الا أن وفيما هو جدهما من المال يتصرف لها في ذلك بحسن نظره السيد (الثانى) ان عبد الله باشا منو الزوج المذكور أقر بأن كامل ما هو تحت يدهما من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها مفردا (الثالث) عبد الله باشا منو الزوج المرفوم أعطى لوكيله الحاج أحمد شهاب المذكور مائة تجوب كل واحد منها بمائة وعشرون نصف افضه في نظير صداق زوجته المذكورة وان الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليدوكيلها الحاج حسين المذكور فسلها ذلك عددا بالجلس وذلك على حسب عادة عقود المسلمين (الرابع) ان الزوج المذكور شرط على نفسه انه ان حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها الف ريال انان معاملة في نظير فراقها وكل ما كان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملكا لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين (الخامس) ان زبيدة الزوجة المذكورة ان كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الاقنين ريال المذكورة ولا نصف فضة ماعدا ماتحت يدهما من مصاغ وغيره فلوها (السادس) زبيدة لم تزوارثه في كل ما كانت ترثه شرعا (السابع) ان زبيدة أقرت بنفسها انه ان مات زوجها المذكور وهى في عصمته تأخذ من ماله الف ريال المذكورة وليس لها وارثه ولا طلب في تركته وذلك في نظير ارثها الشرعى حسب رضاها بذلك (الثامن) انه ان مات الزوج المذكور وخلفه اولاد من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليهم جلان ناظران ووصيان واحد فرنسوى والثانى ابن عرب يتصرفان في أموالهم بحسب المصلحة في طريقة الفرنسيو وطريقة المسلمين (التاسع) ان الزوجة المذكورة ان ماتت وخلفت اولاد من زوجها المذكور في حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعى على اولاده وعلى ما لهم (العاشر) الناظر الوصى الفرنسي المذكور في الشرط الثامن يقام من طرف حكاهم الفرنسيو الموجودين في بر مصر وقت ذلك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين وان حصل تماع بسبب اختلاف تقام القضية على يد الحاكم الشرعى ان كان بر مصر أو بر الفرنسيو (الحادى عشر) عبد الله باشا منو وزجته ان ما باجمعا وخلفا اولادا تكون اولادهما تحت حماية الجمهورية الفرنسية والزوجة المذكورين يقصدان من فضل الحكاهم الخمسة التى بلاد فرنسان يكونون نظارا على اولادهما وان الزوج والزوجة أقر او اعترفا رضاهما على هذه الشروط المذكورة على يد وكيلها الاقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منها بالجلس بحضور من ذكر أعلاه وانهما التزاما بهذه الشروط ليعلاها وقت الاحتياج اليها من غيرا كراه ولا اجبار التزاما رضيا وثبت ذلك لدى مولانا فى قدى ثبو تاسر عا وحاكم بوجهه في سابع عشرى رمضان سنة ثلاث عشرة وما تين وألف ما

نسختان متطابقتان

العثمانية الى أبوقير وأخرج فيها الجيش وكان عدده ٧٠٠٠ عسكري فانضم الى جيش الانكليز وحاربوا الفرنسيين وهزمهم وانجاز الجنرال منو الى ثغر الاسكندرية بعد أن قتل من جيشه عدد عظيم وحاصره الانكليز والعثمانيون فيها وقطع الانكليز عليه المواصلات بداخل القطر وذلك بأن قطعوا الجسر الفاصل بين الملاحة وبحيرة مريوط فأصبح محاطا بالماء من كل جانب والجنود العثمانية والانكليزية حوله وانجاز جانب من الفرنسيين الى الرجاية وتحصنوا بقلعة كانوا بنوها هناك فتوجه القبودان باشا مع القائد الانكليزي ببعض المراكب الخفيفة الى الرجاية وكانت المدفوعات تحت قيادة القبودان ستيفنسون (Stevenson) وفتحوا في طرفيهما رشيد وفوة وهزموا الفرنسيين في كل نقطة واستولوا على قلعتهم المذكورة وكانت تبعد ١٧٠ ميل عن البحر قال جودت باشا في تاريخه وفي خلال ذلك تقدم جيش السردار يوسف ضيا باشا من العريش وقصد مصر وبعث قوتين في مقدمته الاولى تحت قيادة جرنحه جى طاهر باشا والثانية تحت قيادة السرعة عسكر محمد باشا ونلا في مع القوة التي كانت تحت قيادة الجنرال بليار (Bellier) وهزموها فتقهقر بليار الى مصر وأخذ يحصن القلعة اه ثم حبس الفرنسيين في القلعة كثيرا من العلماء من ضمنهم الشيخ السادات والشيخ الامير والشيخ محمد المهدي والشيخ خليل والشيخ عبد الله الشرفاوى صاحب تحفة الناظرين الذي قال في كتابه المذكور ان سبب حبسهم خوف الفرنسيين من قيام أهل البلد عليهم كواقف منهم سابقا فكثنا في القلعة مائة يوم من تسعة ذى القعدة الى اواخر صفر سنة ١٢١٦ هـ ١٥ وكان الفرنسيين في خلال تلك الحركات يجندون كثيرا من النصارى سكان مصر لا تمام النقص في طوابيرهم لحفظ قوتهم التي كانت أخذت في الانحطاط وكانوا فقدوا أكثر من نصفها ولما قربت جيوش السردار يوسف باشا أخذها جميعا الفرنسيون من يوم الى آخر بدون طائل ولما وصل القبودان باشا والأميرال الانكليزي بالجيش وبالمرابك الحربية انخفضت تضايق الفرنسيين وحصل لهم اليأس وكانوا ينتظرون وصول المدمم من فرانسافروغ صبر وكانت الاخبار أتت اليهم بتسريحهم بوصول المدد اليهم على أسطول عليه الأميرال غانطوم (Ganteaume) وكان ذلك الأسطول يتركب من سبعة قباقات حربية كبيرة مشحونة بالذخائر وعليه خمسة آلاف عسكري يرى الآن هذا الأسطول اضطر أن يعود ثانية الى طولون فرارا من عمارة المائش الانكليزي التي شاهدته من بعد وكانت تحت قيادة الأميرال السير هارفي (Sir Harvey) وكان ذلك في شهر يناير من سنة ١٨٠١ م فلما تبس الجنرال بليار اضطر أن يطلب الصلح والانسحاب فأجيب طلبه وعين السردار يوسف باشا مندوبا يدعى عثمان بك وعين القبودان باشا آخريدي صبحي بك وأتى من طرف الانكليز السير سيدنى سميث (Sidny Smith) فاجتمعوا مع مندوبين من طرف الفرنسيين وبعد مداولات أظهر فيها الفرنسيون التجلد والقوة قبلوا باخلاء مصر في مدة خمسة عشر يوما على شروط اتفق عليها ذكرها المؤرخون وهي مذكورة أيضا بالجزء الثالث من الجبرتي (١) ولما صدق عليها السردار والقبودان باشا والقائد الانكليزي والجنرال بليار

(١) ملخص المعاهدة التي أمضيت بين الفرنسيين وبين الانكليز والعثمانيين من جهة أخرى في ١٦ صفر الخيرية سنة ١٢١٦ هـ (٢٥ يونيو ١٨٠١ م) وهي تتضمن احدهم شرط ان الجيش الفرنسي يترك

٢٥ يونيو (١٨٠١ م) خرج الفرنسيون من مصر وذهبوا الى البحيرة وكانوا زهاء ١٣٧٣ نفر ثم توجهوا منها يوم الاربعاء ٤ ربيع الاول من سنة ١٢١٦ هـ الى رشيد وأبي قير صحبة حسين باشا القبودان وعساكر كثيرة من العثمانيين والانكليز وأرسلوهم هناك في المراكب وامتلأت مصر بالعساكر العثمانية وبعض العساكر الانكليزية ودخل الصدر الاعظم مع أركان حربه وهم ابراهيم باشا والي حلب و ابراهيم باشا والي ديار بكر ومحمد باشا أبو مرق وطاهر باشا الارنؤد وغيرهم ومن أمر امصر ابراهيم بك الكبير والطنبورجي وعثمان بك البرديسي والاني والمحروفي والسيد عمر مكرم وغيرهم وذلك يوم الخميس في موكب عظيم عليهم أهبته الجمال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحاً لكثرة ما وقع لهم من طائفة الفرنسيين من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم وغير ذلك من المظالم وفي أثناء ذلك وصلت فرقة انكليزية الى القاهرة عددها ستة آلاف عسكري تحت قيادة الجنرال بردان كانت أرسلتها انكلترة من جنودها بالهند على طريق البحر الأحمر مدد الجنرال ابركرومي وكان وصولها من طريق القصير الا أنها أتت بعد انسحاب الجيوش الفرنسية من القاهرة فسافرت الى اسكندرية وحضرت وقائع هناك لأن الجنرال مينو كان مصر على الدفاع عن معه من الجنود البالغ عددهم عشرة آلاف عسكري فشدد الانكليز والعثمانيون عليه الحصار ودخلت مدفعات صغيرة الى الميناء خلف المدينة بواسطة البحيرة تحت قيادة القبودانين سديني اسمت واستيفسن وأطلق الجنرال هتشنسون المدافع والبنادق على الفرنسيين وحصلت واقعة هائلة قتل فيها كثير من الجنود العثمانية والانكليز واستعد السير سديني اسمت لضرب المدينة بالمدافع من البحر فاضطر الجنرال مينو عند ذلك لقبول التسليم والسفر

أن يخلفوا القلاع ومصر ويتوجهون على البر يتجمعهم الى رشيدو ينزلون في مراكب ويتوجهون الى بلادهم وهذا الرجل ينبغي أن يسرع به وأقل ما يكون في خمسين يوماً وأن يساق الجيش من طريق مختص ويلزم أن يقوم لهم من عسكر الانكليز والمساعد جميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب والمحل الذي يدا منه السبي يكون بالراضى بين الجمهور والانكليز والمساعدو كامل الامتعة والانتقال توجهه في البحر ومعهم جيش من الفرنسيين لاجل الحراسة ولا بد من كون المؤونة التي تترتب لهم كالمؤونة التي كانوا يعطونهاهم لجيش الانكليز ورؤسائهم وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثماني القيام بنفقة الجميع والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرنسا من جهة البحر المحيط وأن يقدم كل من حضرة العثماني والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيول التي يأخذونها في المراكب وأن يسير وامعهم مراكب للحفاظة عليهم الى أن يصلوا الى فرنسا وان الفرنسيين لا يدخلون ميناء الامينافرانسا والامناء والكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون اليه نظر الكفاية عساكرهم والمديرون والامناء والكلاء والمهندسون الفرنسيون يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقتهم وكتبهم ولواقي اشترها من مصر وكل من أهل الاقليم المصري اذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الامن على متناه وعياله وكذلك من داخل الفرنسيين من أمثلة كانت فلاما مرضية له الا أن يجري على أحواله السابقة وجرى الفرنسيون به يتخلفون عصر ويعالجهم الحكماء ويتفق عليهم حضرة العثماني واذاعوا فوجوهوا الى فرنسا بالشروط المتقدم ذكرها وحكام العثماني يتعهدون من مصر منهم ولا بد من حاكمين من طرف الجيشين توجهان بمركبين الى طولون فيرسلون خبرا الى فرنسا ليطلعوا حكمها على الصلح وسائر الرسوم وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنسيين فلا بد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين المتكافئ في الصلح ولا يقع في ذلك نقض عهد الصلح وعلى كل طائفة من العثماني والفرنساوي أن تسلم ما عندها من الاسرى ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الاخرى حتى يتوصلوا الى فرنسا ١٨٣ جزء ٣ جبرتي

بجنوده الى فرنسا وأرسل من طرفه مندوباً للخبرة (٢ نوفمبر ١٨٠١ م) فعددت شروط الانسحاب كمنطوق شروط بليدار ثم نزل بعسكره في المراكب شيئاً فشيئاً وعاد الى بلاده وملت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد بعد أن تصرفوا في مصر ثلاث سنين وشهر ثم بعد ذلك بقليل أمضى على أسعد أفندي سفير الدولة في باريس مقدمة الصلح الذي انعقد بين فرنسا والدولة ثم بعد أن قبض الصدر الأعظم يوسف ضياباشا على زمام الاحكام في القاهرة أخذ يرب نظام الادارة المصرية وفي خلالها كانت المماليك البكوات تحاول التسلط لاعادة نفوذهم وكان عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالقي مقيمين بجنوده ما بالجزيرة ومعسكر الانكليز بمصر العتيقة وأخذ القبودان حسين باشا يتباحث مع الصدر الأعظم يوسف باشا في تدبير طريقة لردع المماليك ولما أحس المماليك بذلك التجأ كبارهم للانجليز فموسطوا لهم عند الصدر ومنعوه من اجراء مقاصده ليكون لهم بذلك من يعتمدون عليه في مصر عند الحاجة ولله في خلقه شؤون وكان الامر صدر للجنود الانجليزية من الأميرال الأكبر اللورد كيث بالانسحاب من مصر ثم توسط القبودان باشا لدى الصدر الأعظم فطلب من السلطان تولية خسرو باشا كخيا القبودان باشا المذكور على مصر فصدر الفرمان بذلك وكانت توليته اياها في يوم ١٢ جادى الاولى من سنة ١٢١٦ هـ

الفصل السابع عشر

(العائلة المحمدية العلوية الحالية)

(أول أمرها من سنة ١٢٢٠ هجرية)

(محمد علي باشا الكبير)

(١٢٢٠ - ١٢٦٤ هـ)

كانت ولادة هذا الرجل الكبير والبطل الشهير بمدينة قولة من أعمال مقدونية سنة ١١٨٢ هـ وكان والده يسمى إبراهيم أغا من ضباط تلك المدينة ولما توفي والده تركه في سن لا يتجاوز الأربع سنوات فكفله عمه ثم مات عمه بعد ذلك بمدة يسيرة فتكفل به حاكم المدينة المذكورة ورباه عند أحد أصدقاء والده فشب على حب استعمال السلاح وزوجه وهو في الثامنة عشرة من العمر باحدى قريباته وكانت ذات يسار فكان ذلك سبباً أثره واشتغل بالتجارة ونجح فيها خصوصاً في تجارة التبغ التي هي أعظم حاصلات بلده ثم لما تعين القبودان كوجك حسين باشا بالدونما السلطانية لانخراج الفرنسيين من مصر كما سبق في صحيفة ٦٥٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب كتب الى جنرال باجى مدينة قولة قوله حسين أغا بارسال عدته من العسكر فارسل مائتي جندي مع صهره محمد علي أغا هذا صحبة الدونما التي أفلعت الى مصر سنة ١٢١٤ هـ وبعد اخراج الفرنسيين من الديار المصرية (١٢١٦ هـ) ترقى محمد علي الى رتبة سرچشمه أى رتبة البكباشي وصار قائداً فرقة ثم توظف في معية محمد خسرو باشا عندما قلده الدولة ولاية مصر كما رولم يزل محمد علي يتقدم بكفاءة الى أن ارتقى الى رتبة أمير لواء فظهر حينئذ اقباله وعلا نجم سعده حتى خاف منه

خسرو باشا وأراد الفتك به عقب انهزام تجر يده عثمان بك البرديسي ومحمد بك الألقى في دمه هور وكان
أرسلا لمحاربة العصاة من المماليك ولكن من حسن حظ محمد علي باشا أن قامت العساكر على الوالى
الذى كورلتأخير صرف مرتباتهم حتى ألبؤه الى الفرار وقلدوا طاهر باشا فأتاهم ولاية مصر ولما
عجز عن أداء مطلوبهم قتلوه ورغبت اليكبرية تولية أحمد باشا والى جده وكان أقى مصر ليسافر منها
الى محل مأموريته وكان ذلك على غير رضا محمد علي وكان أحمد باشا الذى كورتمكن من الاستيلاء
على قلعة الجبل الآن محمد علي تمكن بما انصف به من المهارة وحسن السياسة بعد ان اتحد مع
الامراء والرؤساء من اخراج أحمد باشا من القلعة ثم حصلت بعض وقائع أخرى مع خسرو باشا
يجوار دمياط تمت بمحاصرة البرديسي له فيها وأسره (١٢١٨ هـ) وتسليمه بعد ذلك الى إبراهيم
بك الكبير ولما بلغ الدولة ما حصل أرسلت على باشا الجزائرى (الطرابلسى) لولاية مصر مكان
خسرو باشا ولكنه بعد استلامه الاحكام أساء التديبير حتى وقع فى أيدي الكولمان فقتلوه ثم ولت
الدولة خورشيد باشا واستمر الاضطراب سائدا مع ما بذله خورشيد باشا الذى كور من المساعى
الى أن صدرت الاوامر السلطانية بعد حدوث أمور ووقائع بطول شرحها بتولية محمد علي باشا
على الديار المصرية فى شهر صفر من سنة ١٢٢٠ هـ طبقا لرغوب أعيان وأمرء البلاد الذين طلبوا
من الدولة ذلك بما أرسلوه من العرائض وأخذ محمد علي بعد توليته يسبى بكل الطرق فى تسكين
الاضطرابات وقطع دابر الفتن واستماله قلوب المشايخ والعلماء وأصحاب الكلمة ولما بلغ أمر
تولية محمد علي باشا الى خورشيد باشا امتنع من الاعتراف به وتخصن بالقلعة فالتزم محمد علي باشا
بمحاصرته فيها يجنود الارنؤد فأزاد الارتباك وكانت الدولة ترى ان وجود هذه الفتن المستمرة بمصر
محل بالامن لانها ترقى الحر من الواجب المحافظة عليه ومن الضروري إعادة النظام الى مصر لتأمين
هذا الطريق فأرسلت فر مانا بعزل خورشيد باشا مع من يدعى صالح أغا القيوجى باشى ولما بلغه الى
خورشيد باشا لم يمثل حتى حضر القيودان سيد عبد الله راضى باشا بالدونما العثمانية وبلغ الامر
لخورشيد باشا الذى كور وبعد تردد خرج من القلعة وركب من يكمن بولاق وأقلع من هذا القطر
واستلم محمد علي باشا الولاية بلا معارضة ثم انه فى سنة ١٢٢١ هـ أتى من سوم سلطانى بعزل محمد علي
باشا عن مصر وتوليته ولاية سلانيك وجعل موسى باشا واليا بدله على مصر وحضر موسى باشا
بالاسطول الى القطر فكتب العلماء والوجه وأمرء الجند محضرا الى الدولة وأرسلوه صحبة إبراهيم
بك كبر أنجال محمد علي باشا يلتمسون فيه بالاجماع بقاء محمد علي باشا والى المارأا فيه من حسن
الادارة والطاعة للدولة وعليه أصدر السلطان سليم خان الثالث فر مانا ببقائه فى الولاية (شعبان
١٢٢١ هـ) وتعين ابنه إبراهيم بك دقتدراوا وكان الذى حسن للدولة عزل محمد علي باشا من مصر
هى دولة الانكليز ليمهد الامر لخليفها محمد بك الألقى ويتسنى له ما ساعدته وكان الألقى سافر
الى انكتره قبل ذلك واتفق معها ان هى ساعدته على نوال مرغوبه الذى أخصه ازالة نفوذ البرديسي
خصمه وظهيره محمد علي باشا ان يتنازل لها عن سواحل مصر الواقعة على البحر المتوسط الابيض
وعن ميناء الاسكندرية الا أنه بعد قليل من الزمن توفى محمد بك الألقى الذى كور ولم يتمكن من
نوال شئ قال العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى تاريخه عن رحلته الى بلاد الانكليز لانه
غاب بها سنة وشهورا وقد تهذبت أخلاقه بما طلع عليه من عملة بلادهم وحسن سياسة أحكامهم

وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وفضائلهم وعدلهم في رعيتهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذوقاة ولا محتاج وقد أهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية إلى أن قال ومن أنواع الاسلحة الحربية أشياء كثيرة وقال أيضا انه كان آخر من أدرك من الامراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا في عواقب الامور اه وبعد موته بأيام قلائل توفي عثمان بك البرديسي رئيس الامراء المصريين قال الجبرتي سمى بالبرديسي لأنه تولى كشوفية برديس بقسلى فعرف بذلك إلى أن قال فلما سافر إلى في البلاد الانكليزية عين رئيسا على خندايشنه مع مشاركة بنسلك بك الذي عرف بالانفي الصغير وكان ظالما غشوما قاسيا التدمير وقد أوجده الله جل جلاله وجعله سببا لزال عزهم ودولتهم واختلال أمرهم وخراب دورهم وتشتت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك اه وبعث هذين الاميرين استتب الامر لمحمد علي باشا حتى أصبح بلا معارض تقريبا وفي خلال ذلك اتحدت الدولة العثمانية مع نابليون بونابارت بمهارة سفيرة الخترال سياستيان ونشأ عن ذلك قيام دولة الروسية واعلانها الحرب على الدولة العثمانية وانفقت انكلتره معها ودخلت دونتها الدردنيل تحت قيادة السير جون دو كورث (Duckworth) وأخذت تهدد دار الخلافة أياما ورفضت الدولة جميع اقتراحاتها كما مر في الجزء الاول من هذا الكتاب ولما خاف الاميرال المذكور سوء العاقبة خرج مسرعا بالدونما إلى البحر الابيض المتوسط وحلفه من قلاع الدردنيل وقت خروجه خسائر جمة وفي أثناءها أصدرت الدولة الاوامر إلى محمد علي باشا بأخذ الاحتياطات اللازمة والمحافظة على الثغور المصرية خوفا من أن تدهمه أساطيل دولة انكلتره وكان العزير وقتئذ يسمى في مسالمة الامراء والاتفاق مع ابراهيم بك الكبير وجاهين بك وغيرهما وكانت انكلتره لما تم مقصدها من الاستانة عازمت على مهاجمة الديار المصرية لتنفيذ مقصدها في مصر بالقوة وهو المقصد الذي كانت تسعى اليه من أمدميديوتهي له الفرص والاسباب

مما نكثرا على الديار المصرية - انه في ١٧ مارث من سنة ١٨٠٧ (محرم سنة ١٢٢٢ هـ) ظهرت امام نغرا الاسكندرية دونما انكليزية من كبة من ١٧ مركبا رياومعها غيرهما من السفن الحاملة للعساكر فحصل من ذلك دهشة عظيمة لسكان البلد قال الجبرتي وفي ناسع محرم وردت مكاتبات مع السعاة من نغرا الاسكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الاخبار بورود مركب الانكليزي وعدتهم اثنان وأربعون مركبا فيهم عشرون قطعة كبارا والباقي صغارا فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم ما طلبوا الطلوع إلى الثغر فقالوا لهم لانتم كنتم من الطلوع الا برسوم سلطاني فقالوا لم يكن معنا اسم وانما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيين فانهم ربما طرقتوا البلاد على حين غفلة إلى أن قال ولما انقضت الاربعة وعشرون ساعة التي جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية وهم في الممانعة ضربوا عليهم بالقتار والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانب من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فغن ذلك طلبوا الامان فرفعوا عنهم الضرب اه وعند ذلك خرج من الدونما إلى البر نحو سبعة آلاف عسكري تحت قيادة الخترال فريزر (Fraser) ولم يكن بالاسكندرية في ذلك الوقت غير بضع مئين من الجنود تحت قيادة أمسين أعلم من ضباط الاستانة ولم يتعرض الضابط المذكور لفتح خروج العسكر إلى البر ولان تقدمهم نحو المدينة بل قبل العاروسلم نفسه هو ومن معه من العساكر بلا مقاومة أصلا وبهذه الكيفية استولى الخترال الانكليزي على هذه المدينة الشهيرة بدون أن يفقد أحدا

من عساكره وفي ذلك الوقت كان محمد علي باشا في الصعيد مستغلا بحجارة الكولمان ولم يكن يخطر بباله أن دولة قوية مسالمة مثل الانكليز تم حرم على بلاده بلا سبب فلذلك انزعج من هذا الامر جدا وأسرع بعقد الصلح مع الكولمان وعاد في الحال الى القاهرة للنظر في أسباب الدفاع عن القطر المصري أما الجنرال الانكليزي فانه بعد ان استراح أياما واستطلع الاحوال واستعد بما يلزم سير بعض عساكره الى رشيد ليحصل على موقع داخل القطر ويكون له بسببه المؤنة والخيول اللازمة لعساكره وكانت العساكر التي سارت الى رشيد ألني جندي بينها كثير من مجيكي الفرنسيين وبينهم ما ثاب بحري وكان حرس رشيد يتربص من بضع مشين تحت قيادة رجل انصف بالشجاعة والصدقة يسمى على بك وكان ذلك من حسن حظ محمد علي باشا ولما علم هذا الضابط الغيور بقرب مجي الانجليز استعد للدفاع بجمعه القليل ولأجل قطع خطر جعة العدو بالمرّة أمر بنقل جميع المراكب والصنادل التي كانت بقرية رشيد الى الشاطئ الآخر وأمر العساكر فاختفوا داخل المنازل وان لا يسدوا بجزيرة أصلا حتى يأمرهم ولما رأى الانجليز ان ليس بالمدينة من يدافع عنها ظنوا ان السكان والجنود تركتها لعدم مقدرتها على المدافعة كما حصل بالاسكندرية وكان الانكليز اعترافهم التعب من السير فدخلوا البلدة مطمئنين بلامبالاة وانتشروا في الطرق يمشون على محلات يلجئون اليها للاستراحة وأتى كثير منهم السلاح ونام في الاسواق فلما رأى ذلك على بك المذكور وتحقق من التمكن منهم خرج عليهم بقليل من العساكر وأطلق النار على كل من واجهه منهم فحصل لهم من ذلك دهشة وفشل واختياط عظيم وابتدأت العساكر الكامنة في المنازل باطلاق البنادق أيضا على عساكر العدو وكانوا يلقونهم من الابواب والشبابيك والاسطحة وبعد قليل من الزمن فرت الفرقة العسكرية الانكليزية هاربة بلا نظام الى جهة الاسكندرية بعد ان قتل منها اللواء الحكمدار وكثير من الضباط ومائة جندي وأخذ منها ١٢٠ أسيرا ومدفعان أما الهاربون فصاروا يوجدون في السير لابلون على شىء حتى وصلوا الاسكندرية

وكان محمد علي باشا وصل الى القاهرة اثناء ورود أخبار انتصار على بك في واقعة رشيد المذكورة ولما بلغه خبر تجديد الاعارة من الانكليز على البندر المذكور أسرع في ارسال الامداد اللازم اليه أما الجنرال فريزر فاعتبره الدهشة والوجل مما حصل للفرقة الانكليزية في رشيد ولذلك جهز سرية أخرى وأرسلها الى ذلك البندر وكانت مركبة من ٣٠٠٠ جندي مع هاستة مدافع وأربع قطع من الهوان تحت قيادة الجنرال استوارت (Stewart) ولما وصلت الى رشيد في ٨ ابريل من سنة ١٨٠٧ ألقت عليها الحصار ووضعت بطريقتين على تل بناحية أبو مندور واستولت على قرية الحماد ووضع هذا القائد فيها خمسة بلوكات لوقاية الخلف ثم ابتدأ في ضرب النار ومكث الضرب أسبوعين بلا ثمرة وفي نهايتها تجب الفريقان من المدد الذي أتى على حين غفلة من طرف المرحوم محمد علي باشا ففرح المحصورون وكان هذا المدد يتألف من ١٥٠٠ من السوارى ومن ٤٠٠ من البيادة وانقسمت هذه القوة الى فرقتين كانت الاولى وهي الصغيرة تحت قيادة حسن باشا واتخذت موقعها امام الحماد المتقدمة والفرقة الكبيرة تحت قيادة الكيخيا واتخذت موقعها في برمبال وكان عساكر الفرقتين يشاهدون بعضهم بعضا وفي الصباح هجمت فرقة حسن باشا على موقع الانجليز الذي بالحماد ولكنها تفهقرت وتعبقتها فرقة من العدو ولكن السوارى المصريين

شقتوا شملها ثم اجتمعت فرقة الكيخيا بفرقة حسن باشا ليلا وكان الجنرال استوارت أخذ عساكر
 قره قول الجاد وخسة بلو كات أخرى وجعلها قوة واحدة بلغ عددها ٨٥٠ جنسدى وضعها تحت
 قيادة الميرالاي ما كلاود (Macloed) وكان هذا الميرالاي يظن انه ليس في مواجهته الا فرقة
 حسن باشا ولكنه رأى في الصباح عندما أراد الهجوم ان جميع الجيش المصرى اجتمع في مواجهته
 فدخله الرعب وأمر عساكره بالتقهقرى الا انه غلط في تقهقره لتجزئة قوته الى سرديات كانت أول
 سرية منها سر كبة من ثلاثة بلو كات تحت قيادة البكباشى مور (Moore) والثانية تحت
 قيادته وكانت مؤلفة من بلو كين من ايقوسيا والثالثة من نخسة بلو كات ومدفعين تحت قيادة
 البكباشى وجلستر (Vaglester) ومن سوء ادارته أيضا لم يسير تلك السريات مع بعضها بل جعلها
 منفصلة عن بعضها مسافات بعيدة لا يمكنها ان تجد بعضها بعضا ولذلك انتظرت السوارى المصرية
 سرية البكباشى مور حتى انفصلت من السريتين الاخرين وأحاطت بهما من كل جانب فأفتتها عن
 آخرها ولم ينج من القتل منها الا من أسره وهو البكباشى مور مع قليل من الانفار ولما صار الميرالاي
 مكليور (Maclear) على مسافة نحو نصف ميل أحس بغلظه في التحرك فأراد أن يرجع
 ويجمع مع سرية البكباشى وجلستر فأحاطت به السوارى المصرية من كل مكان حتى اضطر الى
 تشكيل قلعة من المائتى نفر الذين صديهم السوارى المصرية الا أن عساكر القيادة المصرية أطلقت
 عليهم النار فدمرت صفوفهم وقتل الميرالاي مكليور المذكور فأخذ القيادة اليوزباش ما كى
 (Mackay) وصمم على اقتحام وسط المصريين كي يلتحق باخوانه فوقع وسط التيار ولم يصل
 الى البكباشى وجلستر الا بفر قليل أما البكباشى وجلستر فانه دافع بشجاعة مع النخسة بلو كات
 التى كانت معه لكنه اضطر في آخر الأمر الى أن يسلم نفسه مع من بقى معه بلا شرط هذا أما الجنرال
 استوارت فانه لما رأى ما حل بجيشه وعاد مهزوما الى الاسكندرية مع من بقى معه من جنود التجربة وعددهم ألفا
 نفس وبعده هذه الصدمة الثانية التى أصابت الانكليز امام رشيد صمم الجنرال فريزر على أن لا يجم
 مرة ثانية حتى يأتيه الامداد من انكلترة ودخله الرعب من هجوم عساكر محمد على باشا على
 الاسكندرية فاشتغل لذلك بتحصينها ووجه الخوف على نفسه وعلى من بقى معه فقطع سد أبو قير وبذلك
 أغرق جميع أطراف المدينة وانعدمت نحو ١٤٠ بلدة فأصبح الهجوم عليه من الصعب جدا
 وكان محمد على باشا فى تلك الاثناء توجه الى الرحمانية ثم قصد دمهور ليوقف بنفسه على حركات
 الانجليز وهناك علم أنهم أصبحوا فى موضع يصعب الوصول اليه فأخذ فى تقوية وتحصين الاماكن
 خصوصا مدينة القاهرة ولما مضى الصيف ولم يأت امداد الى الجنرال فريزر كاتب محمد على باشا
 فى أمر الصلح وحصلت المداولة فى تخليصة الاسكندرية ثم ان الجنرال فريزر سار وقابل محمد
 على باشا فآمره فادته ثم أرسل من طرفه الى دمهور الجنرال شربلد (Charbold) نائبه
 فاستقر الرأى على خروج عساكر الانكليز بشرط رد جميع اسراهم اليهم فقبل بذلك محمد على باشا
 وفى ١٤ ستمبر ركبت العساكر الانكليزية المراكب وأقلعوها من الاسكندرية بعد ان
 تركوا الاربع فراقبط العثمانية التى كانت راسية بالاسكندرية وكانوا استولوا عليها حين سجنهم

عند مجيئهم فكانت مدة بقاء الانكليز بالقطر المصري ستة أشهر الاثلاثة أيام ولما انقضى أمر الانكليز وارتحلوا عبرا بهم من الديار المصرية التفت محمد علي باشا الى تنظيم الاحوال فكان من أول أعماله انه سلم المصالح المصرية للترشيحين ذوى الكفاءة من ذوى قرابه وكان ذلك من حسن تبصره وجودة معرفته لأنهم قد اشتدازره واستقام أمره ولما تحسنت الامور بحسن التدبير والسياسة مالت اليه قلوب الامة المصرية بتمامها ثم شرع في تخليص القطر من الانحطاط الذي أصابه فسن للاصلاحات قوانين معتدلة وأوفد على مصر كثيرين من اشحاء العالم لنشر لواء العمران وبث روح الحضارة ورتب الضرائب على أحسن نظام وأحدث نظام غنغة المنسوجات وغيرها من الضرائب الخفيفة التي يمكنه الحصول على الاموال اللازمة لاتمام تلك الاصلاحات (١٢٢٣ هـ) ولما كان الجيش كثير التذمر كعادته ويريد ضبطه أن يكون لهم مشاركة في الحكم وهي العادة القبيحة التي أودت بالديار ظهرت الاضطرابات بين الجنود فتمكن من اطفاؤها بنفي رجب أغارأس الفساد في الجيش وقطع دابر ثورة ياسين بك أحد أمراء الجيش ونفاه الى قبرس ثم أصدر أمر باصلاح سد أبي قير الذي كسره الانكليز واصلاح الحصون والقلاع المتخربة الموجودة بشعر الاسكندرية وبالسواحل المصرية وتشييد أخرى حتى بلغ عددها بالسواحل ٢٦ حصنا وسلمها بنحو ٦٢٧ مدفعا و ٦٥ هوانا ثم جدد حصونا أخرى في أبي قير للمحافظة على السد فأصبحت سبعة وسلمها بنحو ١٥٩ مدفعا وثمانية هوانات وأحدث غير ذلك من الاصلاحات والاستحكامات

اعداد الاساطيل بالبحر الاحمر حكمة الوهابية وقتل عسكر الكولمان - بينما كان محمد علي باشا مهتما في اصلاح شؤون البلاد المصرية استقبل أمر العرب الوهابية (١) بالاقطار الخجازية واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجاق والقوافل وكان قيامهم بدعوى مناقضة السنة الاسلامية وبدعة مخالفة لانا المجدية كما سبق الكلام عليهم في تاريخ الدولة العلية ولما جلس السلطان محمود خان العديلى على التخت أصدر فرمانا (١٢٢٤ هـ) بتأييد

(١) كان ظهور الوهابية في سنة ١٢٠٤ هـ ومؤسس مذهبهم الخبيث يدعى محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بني عجم وكان من المعمرين لانه عاش قرىباً من مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم وكانت ولادته سنة ١١١١ هـ وهك ١٢٠٦ هـ وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايعه يفرسون فيه أن سيكون منه زعيم وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله وزغائه في كثير من المسائل وكانوا يخونونه ويخذرون الناس منه فحقق الله فراساتهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيف والضللال الذى أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك الى تكفير المؤمنين فزعم ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالانبياء والاولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وأن أسند شيئا لغير الله ولو على سبيل المجاز العتلى يكون مشركا نحو نفعي هذا الدواء وهذا الولي الغلابى عند التوسل به وغير ذلك وأتى بعبارات مزورة وزخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وأنف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفرة أكثر أهل التوحيد واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصره وقلوبه عونه وجعلوا ذلك وسيلة الى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الاعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا جند الهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقدهما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور أمر سنة ١١٤٣ هـ وابتداء انتشاره من بعد سنة ١١٥٠ هـ وألف العلماء رسائل كثيرة لرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقيه مشايخه وكان من قام نصرته ونشر دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية ولما مات محمد بن سعود قام به والده عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولد له سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود اه لمخلص من الفتوحات الاسلامية لابن دحلان

محمد علي باشا على ولاية مصر كما هي العادة عند جلوس سلطان جديد على تخت العثماني ولما كان
اطفاء قننه الوهابية من المسائل المهمة جدا أصدر امره الى محمد علي باشا أيضا باعداد تجريدة
تجارة الوهابيين وتخليص مكة والمدينة من أيديهم فصدع محمد علي باشا بالأمر وأخذ يجهز القوات
اللازمة لهذه الحملة ولما لم يكن له في ذلك الوقت عمارة بحرية بالبحر الأحمر وليس به سفن يمكن
استئجارها غير بعض سفائن صغيرة لشريف مكة غالب بن مساعد وكان متحدا سرا مع الوهابيين
فلهذا أصدر محمد علي باشا أمره بإنشاء ١٥ سفينة بالبحر المذكور وأمر بقطع ما يصلح لبنائها
من أشجار التوت والنبق وغيرهما من الوجوه القبلي والبحري وعين المأمورين لذلك ولما تم قطعها
أحضرت بساحل بولاق وكان أنشأ هناك دار صناعة ومعامل مختلفة فهذا ابتداء إنشاء ترسانة
بولاق (١٢٢٤ هـ) ولما تم صنعها نقلوها قطعاً من منفصلة على الجمال الى السويس وهناك
هيؤها تاما وشيد بالسويس مباني لصناعة السفن أنشأها أربع سفن جسيمة من نوع الابريقي
(وهي سفن بساريتين وقلوع مربعة) واحدى عشرة سفينة أخرى من نوع السكونة (وهي سفينة
بسارية واحدة لها قلوع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية) ثم توجه العزيز بنفسه الى
السويس لمشاركة ما به من السفائن سنة ١٢٢٥ هـ وهناك أمر بضبط ما به من المراكب
وما به غيرها من سواحل البحر الأحمر لاستعمالها في حملة الوهابية وكان عصر وقتئذ جيش يبلغ
٢٥٠٠٠ مقاتل جميعهم من الباشا وزوق الذين كانت الدولة يجمعهم تحت قيادة الصدر الأعظم
يوسف ضياء باشا لما أرسلته لاجراء الفرنسويين من مصر فتمكن محمد علي باشا من أن ينتخب من
هذا الجيش قوة للدفاع عن مصر تبلغ ٨٤٧٢ جنديا من المشاة و ١٧٠٧ من الطوبجية
للقلاع والحصون وجعل منه أيضا قوة أخرى متحركة عددها ١٨٣٣٣ مقاتلا انتخب
منها ٦٠٠٠ من المشاة والقبين من الطوبجية ومثلهم من السوارى للحملة الحجازية المذكورة
وجعل لقيادة هذا الجيش البطل الشهير ولده طوسون باشا ثم خرج الجيش وعسكر بقرب قبة العزب
وفي خلال ذلك غي اليه ان جماعة من المماليك تطأوا على القتل به عند عودته من السويس فخرج
منها يسلا على غير ميعاد وأسرع في السير حتى دخل مصر ولما تحقق من انه لا يأمن من فتك المماليك
به خصوصا اذا دخلت البلاد من العسكر دبر مكيدة ليقطع جهاد ابرهم ويملكهم عن آخرهم ولاجل
تنفيذ هذا الغرض دعاهم (١٢٢٦ هـ) الى القلعة لحضور تقليد ولده طوسون باشا
عسكريه جيش الحجاز وعقد موكبا لهذا القصد فلما اجتمعوا بالقلعة بدت منه اشارة اتفق عليها مع
الذين وكاهم بالفتك بهم فأغلقت الابواب سر يعا وأطلقت عليهم عساكر الارنؤد البنادق من
أبراج القلعة وكانوا كأمين هناك ولساهم المماليك بالهرب لم يتمكنوا لضيق المكان وهول الموقف
وصعوبة المرتقى على الاسوار فسلموا أنفسهم للقضاء حتى قتل أغلبهم حيث كانوا وتبع العسكر من
اختفى منهم بجبهات القلعة فقتلواهم عن آخرهم واقتفوا كذلك آثار من بقي منهم بالقاهرة والارباب
وفسكو اوجهم ونهبت دورهم واستولى الارنؤد على أموالهم وأنعم العزيز ببيوتهم بما فيها على خواصه
والقريبين اليه وأراح الله البلاد والعباد من شر هذه الطائفة الباغية وان كان يلام المرحوم
محمد علي باشا على عدم تفرقة بين المسيء والبريء منهم ولكن لم تكن هناك وسيلة أخرى يمكن
بها التخلص من هؤلاء الفسدة أحسن من ذلك

حرب الوهابية (١٢٢٦ - ١٢٣٤ هـ) تعرف هذه الحرب أيضا بحرب الست سنوات
 وحاصلها انه بعد ان اطمأن بالمرحوم محمد باشا من خوف حدوث ثورة بالبلاد أصدر الاوامر
 بقيام الجيوش لحرب الوهابية تنفيذا لاوامر الدولة العلية وعلى ذلك سافرت تلك الجيوش تحت
 قيادة نجله طوسون باشا الى ينبع (شعبان ١٢٢٦ هـ - ٣ سبتمبر ١٨١١ م) ولما تكامل عددها
 تقدمت لحرب الوهابيين فاستخلصت من أيديهم المدينة المنورة ومكة المشرفة ثم ان رئيسهم سعود
 استجاش وأتى في جمع كثير وتلاقي مع العسكر المصري في جهات الصفراء والحديدة ووقع بين
 الطرفين قتال شديد بحيث اضطر طوسون باشا الى الهزيمة ونهب العرب كل ما كان مع الجيش
 من المعدات والذخائر ولما عاد الجيش المصري الى ينبع أرسل طوسون باشا الى أبيه وأعلمه بالخبر
 فجهز له جيشا آخر ولما وصل تقدم به على الوهابيين وكانوا تحت قيادة فيصل بن سعود فقهرهم
 في عدة مواقع واستولت العساكر على ما كان بيدهم من الاماكن وملكوا الصفراء والحديدة
 وغيرهما بالقتال (١٢٢٧ هـ) وارتحل سعود الى الطائف ثم الى الدرعية واستولى المصريون على
 المدينة المنورة وكان استردها سعود وأرسل محمد علي باشا بنجر هذا الفتح الى دار الخلافة العثمانية وأرسل
 مع رساله مقابيح مكة والمدينة وحنة فكان لذلك أحسن وقع وقد أراد محمد علي باشا مشاركة القتال
 بنفسه تشجيعا للقائمين به فسار بنفسه الى الحجاز وقبل خروجه من مصر قبض الشريف غالب على
 عثمان المضايقي أمير الوهابية على الطائف وبعثه الى مصر مقيدا بالحديد فأرسله الباشا الى دار السلطنة
 فقتلوه هناك ولما وصل محمد علي باشا الى مكة صرف الشريف غالب بن مساعد عن ولاية الحرميين
 الشريفين لما تحقق فيه من الميل الى الفتنه ثم قبض عليه وعلى عائلته وأرسل الكل الى مصر ومنها
 نفضت الدولة الى سلانك فبقى فيها الى أن توفي (١٢٣١ هـ) وولى محمد علي باشا مكانه ابن أخيه
 الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وفي محرم من سنة ١٢٢٩ هـ بعثوا الى القسطنطينية
 مبارك بن ماضيان الذي كان أميرا على المدينة المنورة من طرف الوهابية فطافوا به في شوارعها
 ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه أياما ثم ان محمد علي باشا بث سراياه في جهات تربة وبشنة وبلاد
 غامد وهران والعسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم تبعهم بنفسه (شعبان ١٢٢٩ هـ)
 الى أن وصل الى تلك الديار وقتل كثير منهم وأسروا وخرّب ديارهم وفي شهر جادى الاولى من السنة
 المذكورة مات سعود أمير الوهابية وقام بالامارة بعده ولده عبد الله ولم يكن في الكفاءة كبيه ثم عاد
 محمد علي باشا الى مكة فأدى فريضة الحج الشريف وبينما هو يستعد لفتح ما بقى بيد الوهابية من
 الاقطار العربية اذ بلغه خبر مهم أزمه العودة الى مصر مسرعا فاعاد اليها في رجب من سنة ١٢٣٠
 وركب بمكة حسن باشا نائب اعنسه أما الامر الذي اضطره للعودة فهو انه لما فتحت جنوده المدينتين
 المشرفتين كان أرسل مقابيحهما الى الاستانة مع خازناره لطيف بك وقد سعى هذا الرجل عند أرباب
 الدولة للإيقاع بسيدته عليه نيال حظا وتعهد لهم بخلعه من منصبه ان ساعدته الدولة وكان أرباب
 الدولة يتوجسون شر من محمد علي سيما وان أعداءه كان كثير عددهم خصوصا بعد قتله للأماليك كما
 سبق فلماذا صادفت أقواله اذانا صاغية وقلوبنا بحجب الانتقام طامحة وأنعم السلطان على هذا
 المفسد برتبة الباشا وأرسلوه الى مصر ويده خط سلطاني بتقليده الولاية المصرية فلما وصل مصر
 أخذ يجتمع على بعض رجالها وأظهر لهم الفرمان وكان ذلك في غياب محمد علي باشا بالاقطار الحجازية

ولما اتضح أمره خاف رجال محمد على باشا سوء العاقبة وعودة الفتن التي لم تلتئم جرحها بعد وأسرع محمد لاط أوغلي كتحدا محمد على باشا ونائبه بمصر مته تغيبه بالقبض على لطيف باشا المذكور وقتله وكانت الدولة العلية أرسلت الى نغرا الاسكندرية في الوقت المذكور اسطولاً عثمانياً كعادتها اذ ذلك ليؤيد الوالي الجديدان احتاج لذلك هذا ولما حضر محمد على باشا الى مصر أخذ يقوى الثغور ويجهز المعدات الحربية وأمر نجلة طوسون باشابان بعقد مشروطا بينه وبين أمير الوهابية عبد الله بن سعود نقضى بان يردها بيون جميع ما سلبوه من الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم مع بقاءه أميراً يلاذه بشرط الطاعة لمحمد على باشا ولما تعاهد الطرفان على ذلك وكانت قوة الوهابيين اضمحلت عاد طوسون باشا الى مصر فقبول فيها باحتفال عظيم ثم توجه الى نغرا الاسكندرية لمقابله والده هناك وبعد قليل من الزمن أصيب بمرض لم يمهله الا بضعة ساعات ومات الى رحمة ربه ونقلت جثته الى القاهرة فدفنت قرب الامام الشافعي رضى الله عنه

ولما رأى الوهابيون في أنفسهم القدرة على القتال بعد ذلك نكثوا بالعهود واستعد محمد على باشا لقتالهم وأعد السنن بيولاقي مصر لجل الجنود بالنيل الى مدينة قنال التسيير من هناك الى نغرا القصر وجعل على هذه القوة ولده إبراهيم باشا (١٢ شوال ١٢٣١ هـ - ٣ سبتمبر ١٨١٦ م) ثم ركبوا أسطول البحر الاحمر الى ينبع ولما اجتمعت الجيوش هناك تقدم بهم إبراهيم باشا الى الدرعية (١٢٣٢ هـ) وبعد حصارها أياماً سلمها عبد الله بن سعود زعيم الوهابيين على غير شرط ثم قبض عليه وعلى أتباعه وبعث به وبكثير من أمراء الوهابية الى مصر فاقى في ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ وصنعوا له موكباً حافلاً ليراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد على باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ومما قال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابن إبراهيم باشا قال ما قصر في شيء وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره الله تعالى فقال له الباشا انا أتربى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اعميل باشا بيولاقي وكان بصحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذته أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان فأمر الباشا بفتحها فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم ير الاون أحسن منها ومعها ٣٠٠ حبة من اللؤلؤ الكبار وحنة زمرد كبيرة وغير ذلك ثم أرسلوا عبد الله بن سعود الى دار السلطنة فقتلوه عند الباب الهماني وقتلوا أتباعه أيضاً في فواح متفرقة وموتهم انتهى أمر الوهابية ثم عاد إبراهيم باشا الى مصر بجميع عساكره وأتم عليه السلطان بلقب والى مكة فعظم قدره وارتفعت منزلته (٢١ صفر ١٢٣٥ هـ)

الاصلاحات والترقيات - اعلم أنه بعد ان فرغ محمد على باشا من طائفة الوهابية يبلاد الحجاز انتفت الى تنظيم واصلاح القطر المصري فقطع دابر الاشقياء وأمن السبل وأخذ في تمهيد وتحسين سير التجارة برا وبحرا واهتم على الخصوص بامر الزراعة اذ علمها مدار التربة بمصر فامر بحفر ترعة الاشرفية وهي التي سميت بالحمودية فيما بعد وكان مكانها ترعة قديمة ولكنه لم يجعل فيها مكان فم التربة القديمة عند ناحية الرحمانية بسبب ما تراكم امامه من التربة والرمال بل جعله عند ناحية قرية العطف التي ترفت حالتها من ذلك الوقت وصارت مرسى للسفن التجارية الاتية من داخل البلاد وخارجها وجعل مصب هذه التربة بالمينا الغربية قري يمان مصب الخليج القديم الذي

كان يأتيها من النيل زمن دولة البطالسة وأوصل مياه الترع المذكورة الى نجر الاسكندرية وكان
غرضه من هذه الترع سهولة نقل تجارة مصر الصادرة والواردة زيادة عن فائدتها الى الاراضى
فصارت المراكب تحمل المتاجر من ميناء الاسكندرية واليه داخل هذه الترع بدلا عن السير في البحر
المخ الكثير والخطرات خصوصاً في زمن الزوابع وكان يتعذر على القياسات والنقائر والمراكب
الثيالية السفر من الاسكندرية الى رشيد ودمياط أغلب السنة وكانت لا تخلو سنة من غرق بعضها
وضياع البضائع والناس وكلف هذا العمل مهندسين فرنسيين وهما كوستا (Costa) وماسي
(Massé) ثم أخذ في تطهير الترع وإنشاء الجسور وترميم القناطر وشق الجداول فانصلح بذلك
أمر الري في كثير من أنحاء القطر وزادت فيه الزراعة ومن أشهر الاعمال التي عادت على الري
بالقوائد القناطر الخيرية التي قام العزيز بتشييدها على رأس الدلتا سنة ١٢٥١ هـ بعد أخذها رأى
باشه مهندس الشهير لينان باشا (Linand de Bellefond) لان مياه النيل بعد وصولها الى
رأس الدلتا المذكورة تجرى في فرعى رشيد ودمياط وتذهب الى البحر الملح بدون أن يستفيد منها
مقدار عظيم من اراضى القطر في الوجه القبلى والبحرى خصوصاً المرتفع منها حتى في زمن الفيضان
ولهذا رأى من الضرورى بناء تلك القناطر على عرض الثرعين المذكورين عند أول تكوّنهما
جهة بطن البقرة وأن يجعل لها أبواباً من الحديد تعلق وتفتح عند الاقتضاء وبهذه الطريقة يمكن
صرف المياه وتوزيعها الى حيث يشاء ومتى كان الفيضان قليلاً تسد القناطر كلها وترفع المياه الى
الصعيد فتسقى اراضيه ثم لا يصرف منها الا ما يلزم لرى الوجه البحرى وقد عهد بيننا الى المهندس
الشهير موجيل بك الفرنسي (Mougel) ولما صار الاحتفال بيننا وضع العزيز الحجر الاول
بنفسه كإحدى العادة (١٨٣٥ م) وصار العمل فيها مجد ونشاط الى أن تمت على أحسن نظام سنة
١٨٤٧ وبلغت مصاريفها نحو مائة مليون من الفرنكات وقد عايد بناء هذه القناطر على القطر
بالقوائد الكثيرة التي لا تقدر وصارت اراضى الوجه القبلى والبحرى تروى بانتظام ولا اهتمام
محمد على باشا بأمر الري تفكر في خزن مياه النيل لوقت الحاجة وأخذ يبحث عما يلزم لذلك ويسأل
عن حقيقة بحيرة موريس الموجودة بالفيوم التي استخدمها القدماء لهذا الامر ليستخدمها خزانا
وأمر لينان باشا بالبحث عن التدابير اللازمة لذلك وأرسلها فكشف أمر هذه البحيرة الاكتشاف
الاول وعين موقعها القديم وعمل حساب مقايستها التقرىبية الا أنه نظرا لكثرة ما تحتاجه من
المصاريف عدل محمد على باشا عن هذه الفكرة مؤقتا واهتم بأمر فتح الترع الكثيرة التي جعل
معظمها صالحا لالسير السفن طول السنة فانتفعت بها الالهالى لرى اراضيه ونقل محصولاتهم
ولما رأى ان انتظام الضرائب لا يكون الا بعرفة مقدار الارض المزروعة من اراضى القطر
ليربط على كل جهة ما يناسبها من الضرائب عين ولده ابراهيم باشا لهذا الامر الخطير (١٢٣٦ هـ)
فأتمه وقرر على كل فدان مبلغا معيناً يعرف الناس ما عليهم بعد ان كان مجهولا واستراح الفلاح من
عناء ذلك نوعا وجعل لمشايج البلاد على كل مائة فدان خمسة أفدنة سميت مسموح المشايخ لا يدفعون
عليها ضريبة في مقابلة ما يسرعون به للاغراب وانباء السبيل وبعض الحكام من الماء كل وقسم
القطر المصرى الى أقسام ادارية سميت مديريات وجعل على كل منها كما يعرف بالمدير وقسم
المديريات الى أقسام وعين لكل منها مورا يعرف بناظر القسم ومما ساعد به الزراعة أيضا ان أدخل

بمصر نباتات مختلفة منها نبات النيل جلبها من جهات الهند وأحضر من بحسن زراعتها وصناعتها ومنها الافيون أتى به وبمن يزرعه من آسيا الصغرى ثم أكثر من غرس الأشجار الكبيرة إلى ما يشبه الأحرش لتلطيف الحرارة الهواء وكثار الأخشاب ومنها وهو أهمها القطن أتى به في سنة ١٢٣٦ هـ من بلاد الهند على يد رجل أوروبي اسمه شوميل (Chomel) وأتى بالصنف المعروف بالسيلاني منه من جزيرة سيلان وبيدور القطن الشجري ولما علم نجاح هذه الأشياء حمل الناس على زرعها وأنشأ معامل كثيرة في أكثر جهات القطر حتى في مديرية دنقلا لانتشار الصناعة كعامل الغزل والطرايش التي كانت بقوة وغيرها ومما لصناعة الشمع ومذبحا وميا فأبطل بذلك الذبح في البيوت والأسواق وأوجد كثير من الحدائق وغرس فيها أشجار الراحين والفواكه منها حديقة الأزبكية وكان مكانها بركة مضررة بالصحة فخففها وغرس فيها صنوف من الأشجار فأصبحت من أحسن المنزهات وابتنى القصور والسراريات لاقامته في مصر والاسكندرية وفي بعض عواصم المديرية ومن آثاره مطبعة بولاق الأميرية التي انتشرت بها المؤلفات العلمية ورخصت أعمالها وكان بها من العمال أربع مائة عامل وطبع بها اللغة العربية والتركية كثير من الكتب المصنفة في السياسة والجغرافية والأدب وفن الحرب وغير ذلك ونظم التلغراف الهوائي بين مصر والاسكندرية لتقل الأخبار (١٨٢٦ م) وكان هذا التلغراف تحت إدارة الموسيو كوست وفي سنة ١٨٣٥ م أصدر أمر بجمع خروج الانتيمات من مصر وتأسيس دار للعمليات بمنزل الدققدار وفي السنة التي بعدها طلبت انكثرت من محمد علي باشا مطربق حديدي من القاهرة إلى السويس لنقل المتاجر وتسهيل المواصلات فأجاب إلى ذلك وأخذت حكومته في مداركة الأدوات اللازمة لها

فتح سيوة (١٢٣٥ هـ) - لما عزم العزيز محمد علي باشا على توسيع تخوم الديار المصرية جهز تجريدة مرمكة من ١٣٠٠ جندي وجعلها تحت قيادة حسن بك الشماسرجي ووجهه لفتح واحة سيوه واخضاع سكانها فقصد هاهنا الجنود واجتمع سكانها المقاومة فانتشب القتال بين الطرفين وبعد مضي ثلاث ساعات انهزموا وطلبوا الأمان واعترفوا بالطاعة والانقياد والخضوع للحكومة المصرية (١٥ جمادى الأولى من سنة ١٢٣٥ هـ) فأصبحت تلك البلاد من ذلك الوقت تابعة لمصر وأظهر حسن بك الشماسرجي في هذه الحملة الحزم والعزم وساعد الموظفين الأور وباو بين الذين أرسلهم العزيز لاستكشاف تلك البلاد واستطلاع أحوالها وكان منهم الموسيو لينان دوفوندي (Limant de Bellefond) والموسيو ريتشي (Ricci) من أطباء فلورنسه ومن مهرة المصورين والموسيو دوروثي (Drowetti) والموسيو فريدياني (Frediani) ورسموا خريطة هذه البلاد وصوروا ما شاهدوه فيها من الآثار وخرابات معبد أمون الشهير

انشاء المدارس - لما شعر محمد علي باشا بحاجته إلى رجال وموظفين للإدارة وأن ليس بالبلاد من ذلك أحد لان أهل البلاد لم يكونوا يعتمون بتربية أولادهم تربية حقيقية وجه عناية لرفع شأن بلادهم معنويا وحسبيا من جهة وللحصول على رجال يقومون له بالأعمال التي يريد هان من جهة أخرى فأسس مدارس كثيرة ومكاتب عديدة في أغلب أنحاء القطر (١) وأدخل فيها أولاد

(١) منها مدرسة المهندسخانة ببولاق (مايو ١٨٣٤ م) ومكتب الزراعة بشري (أغسطس ١٨٣٦ م) ومدرسة الاسن بالأزبكية (نوفمبر ١٨٣٦ م) ومدرسة الأجزاء بالحكمة بالقلة (نوفمبر ١٨٢٩ م)

مما ليك وأبناء خدمة الحكومة ولما أراد إدخال أبناء الاهالى وجد منهم نفورا وعدم ارتياح لذلك فأمر بأخذهم قهرا وكان كل هؤلاء التلامذة يأكلون ويشربون ويأخذون ملابسهم وأدوات تعليمهم مجاناً ويبيت غاليهم بالمدارس ولا يسمع لهم بالخروج الا في أيام الجمع وكانت لهم مرتبات نقدية شهرية تختلف قلة وكثرة حسب المدارس وأنشأ ادارة عمومية للمعارف سنة ١٨٣٦ م جعل على نظارتها مصطفي مختار بك فكان أول مدير للمدارس بمصر ثم خلفه أدهم باشا (١٢٥٥ هـ) ونقل على الجهادية سنة ١٢٦٥ هـ وأعيد ثانية في تلك السنة وبقى مديراً للمدارس الى سنة ١٢٦٦ هـ وبهذه الكيفية بث روح التربية بين الاهالى حاذيا حذو الممالك المتقدمة وبالجملة فقد أخذت مصر في أيامه نشأة عظيمة وسارت في زمن قليل الى طريق العمارة ودخلت في عصر جديد من التقدم وكان أسس قبل ذلك دار رصد في بولاق وكان بدء الرصد بها في سنة ١٨٤٦ م وفي خلال ذلك عزم على توسيع بلاده من جهة الجنوب بافتتاح السودان وكان قصده على الخصوص ابعاد جنود الارنود عن القطر لما كان يعرفه فيهم من شراسة الاخلاق وعدم الطاعة فهدس من أدخل في ذهنهم ان بلاد السودان هي معدن الذهب ليرغبوا فيها وقد كان ذلك فانه بمجرد اصداره أمر التجهيزات لهذه الحملة لبوا دعونه بكل ارتياح

فتح بلاد السودان - لما عزم محمد علي باشا على توسيع تخوم مملكته بضم ما جاورها من البلاد الجنوبية سيما وانها كانت تابعة لمصر منذ العائلة الثانية عشرة الفرعونية ادعى ان القبائل النازلة

ومدرسة المعادن بمصر القديمة (مايو ١٨٣٤ م) والمكتب العالي بالخانقا (يوليو ١٨٣٦ م) ومدرسة الطب (١٨٢٥ م) ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب (فبراير ١٨٣٧ م) ومدرسة الصنائع (مارس ١٨٣٩ م) وغيرها من المدارس والمدرسة التجهيزية بأبي زعبل تأسست في اكتوبر سنة ١٨٣٦ والقيت في يناير سنة ١٨٤٢ ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب تأسست في يناير سنة ١٨٣٩ والقيت في أغسطس سنة ١٨٥٠ ومدرسة المبتديان بأبي زعبل تأسست في اكتوبر سنة ١٨٤٤ والقيت في نوفمبر سنة ١٨٤٩ ومكتب أسبوط تأسس في مايو سنة ١٨٣٢ والتي في سنة ١٨٤٩ ومكتب أوتيج تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في سنة ١٨٤١ ومكتب صفيو تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في ابريل سنة ١٨٣٩ وتحول الى أسبوط ومكتب ملوي تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في ابريل ١٨٣٥ ومكتب منفلوط تأسس في مايو ١٨٣٣ والتي في نوفمبر ١٨٤١ ومكتب اخميم تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في سنة ١٨٣٩ ومكتب جرجان تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب سوهاج تأسس في مايو سنة ١٨٣٣ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب طهطا تأسس في مايو ١٨٣٣ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب الرحمانية تأسس في يونيو ١٨٣٧ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب النجيلة بشبراخيت تأسس في فبراير ١٨٣٧ والتي في نوفمبر ١٨٤١ ومكتب دمنهور تأسس في مايو سنة ١٨٣٧ والتي في مايو سنة ١٨٣٧ بالاحالة على مكتب الرحمانية ومكتب أبار تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في نوفمبر سنة ١٨٤١ ومكتب المحلة الكبرى تأسس في فبراير ١٨٣٧ والتي في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب زفتي تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب شربين تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في مايو سنة ١٨٣٨ ومكتب طنطا تأسس في فبراير ١٨٣٧ والتي في نوفمبر ١٨٤١ ومكتب قوص تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب البحفرية تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب نبروه تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب أشمون جريس تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب شبين الكوم تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب منوف تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ والتي في اكتوبر من السنة المذكورة بالاحالة على مكتب أشمون جريس ومكتب ميت غمر فتح في فبراير ١٨٣٧

جنوبى مصر دأبته على الاخلال بالنظام وتكدير كاس الراحة كما هي عادة الفاتحين وأظهر أيضا انه
يرغب توسيع أبواب الرزق والثروة لانصاره من الاتراك والارنؤد وغيرهم من الذين تغلب بهم على
الممالك الكولة مان وان قصده استئصال بقية المماليك الذين كانت لهم سيادة على جهات دنقله
وعلى بعض جهات السودان والاستيلاء على معادن سنار الذهبية السرى طارذ كرها فى جميع
الاقطار وكثرت فيها الاقاويل والاختبار فجهز فى سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م جيشا من
الارنؤد يتألف من ٣٤٠٠ من المشاة و ١٥٠٠ من السوارى وبطاريتين من كبتين من
٢٤ مدفعا ومن نحو خمسة مائة نفر من قبيلة البقارة معهم شيخهم المدعو عابدين كاشف ويقال ان
محمد على وعده بأن يوليه على دنقله وجعل ابنه اسمعيل باشا قائدا عاما على هذه القوة
وأرفقه بصهره أحمد بك الدفتر دار زوج نطفى خانم كريمة فتوجه بالجيوش المذكورة على
المراكب النيلية الى الحدود ومن هناك تقدم ما نحو دنقله وهزم اسمعيل باشا المماليك فى واقعة
كورفى (نوفبر ١٨٢٠) ثم امتلك فى زمن قليل بلاد النوبة ثم استولى على بلاد سنار وكان للملكها
السيادة على جميع بلاد السودان الشرقى وكانت تعرف وقتئذ بالسلطنة الزرقاء وتحصل
إسمعيل باشا على مقدار عظيم من التبر والرفيق وكان محمد على باشا أرسل تجريدة أخرى الى
السودان بعد خروج تجريدة اسمعيل باشامع ولده ابراهيم باشا ولكنه لم يتيسر له الزحف على دارفور
وبرولانه بعد ان التحق بأخيه اسمعيل باشا فى سنار ومارمعه الى جبال القنج الواقعة جنوبى سنار
لاخضاع جهاتها وكانت مستقلة بحكمها أمير يسمى الماشجىل ادريس بن عدلان يعترف لسلطان
سنار بالطاعة الاسمية فقط اذ فاجأ ابراهيم باشا المرض فرجع الى القاهرة ثم وصلت جنود اسمعيل باشا

وألقى فى ديسمبر سنة ١٨٤٦ بالانتقال على مكتب الرقازيق ومكتب المنصورة تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧
وألقى فى أكتوبر ١٨٤١ ومكتب المنزلة فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ ونقل الى فارسكور فى مارس ١٨٣٨ ومكتب
صهرجت فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ ونقل فى السنة بعينها الى مكتب ميت غمر ومكتب فارسكور تأسس فى ابريل سنة
١٨٣٧ وألقى فى يناير سنة ١٨٤٠ ومكتب حجة دمنه تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى السنة المذكورة
لاجالته على مكتب المنصورة ومكتب العزيزية فتح فى ابريل سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤٩
ومكتب الرقازيق فتح فى ابريل سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١ ثم أعيد فى ديسمبر سنة ١٨٤٤
وألقى فى ابريل سنة ١٨٤٩ ومكتب بلبليس تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١
ومكتب كفور نجم فتح فى ابريل سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب بنها تأسس فى فبراير سنة
١٨٣٧ وألقى فى يناير سنة ١٨٣٨ ومكتب قوله فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١
ومكتب قليوب فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب حلوان تأسس فى ابريل سنة
١٨٣٧ وألقى فى نوفمبر سنة ١٨٤٠ ومكتب الفيوم فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى ابريل سنة ١٨٣٨
ومكتب بونى تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١ ثم أعيد فى يناير سنة ١٨٤٢ وألقى
فى ابريل سنة ١٨٤٩ ومكتب بنى سويف فتح سنة ١٨٣٧ وألقى فى سنة ١٨٤٠ ثم أعيد فى سنة ١٨٤٢
وألقى فى سنة ١٨٤٩ ومكتب الفشن فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى نوفمبر سنة ١٨٣٨ نقلا على مكتب المنية
ومكتب المنية تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب بنى مزار فتح فى فبراير سنة
١٨٣٧ وألقى فى سبتمبر سنة ١٨٣٧ ومكتب قنا فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى أكتوبر سنة ١٨٤١
ومكتب فرسوط فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألقى فى مارس سنة ١٨٣٩ ومكتب اسنا فتح فى فبراير سنة ١٨٣٧
وألقى سنة ١٨٤١ اه نقلا من كتاب الاحصاء الجارى تأليفه بمعرفة حضره الفاضل أمين بك ساسى ناظر مدرسة
المتدبان ودارالعلوم

الى جبال دنكار على البحر الازرق وكان مع هذه الجيوش أسطول صغير مر كب من عدد عظيم من المراكب النيلية يحمل العدد والسلاح ومعه جلة زوارق صغيرة يسهل حملها اذا صادف الاسطول يخور أو شلالات تعوقه عن المسير وهو محذور ربما كان يترتب عليه عدم نجاح الحملة وبعد أن تمت هذه الفتوحات ووجد اسمعيل باشا نقطة اتصال النيل الابيض بالنيل الازرق النازل من بلاد الحبشة أنها أعظم وأهم تلك البقاع وأحسنها أخذ في تحصينها وأسس على رأسها مدينة الخرطوم وهي على مسافة ٣٠٠٠ كيلومتر من مصر وعلى ارتفاع ٣٩٠ مترا من سطح البحر المالح (١٢٢٨ هـ - ١٨٢٢ م) وكانت قبلا لا تتعدى الاعلى عشرة بيوت فقط وتابعة لبلاد سنار وفي خلال ذلك وقع الوباء في أسكره حتى أفنى جلة منه فاستأذن اسمعيل باشا والده في العودة الى مصر فاطله فتوجه الى شندي وطلب من حاكمها السمي ملك النمر بعض طلبات منها أن يدفع له مل سفينة صغيرة ذهباً ونحو ألف عبد وغير ذلك وأخذت العساكر المصرية ترتكب أفعال بتلك الجهة كما هي عادتهم في تلك الأزمنة فضجرت الاهالي ودير النمر وقومه عليهم مكيدة للابقاع بهم وذلك بأن عرض على اسمعيل باشا أن أهل البلدي يرغبون في اقامة الافراج للباشا فرحا بقدومه ودعاه الى قصر كان قد أعد له وجعلوا حوله قشاً كثيراً قالوا انه للمواشي والحيوانات وبعد تناول الطعام واجراء الاعاب امام الباشا نام هو ومن معه في ذلك المنزل وبينما هم نيام أضرم النمر النار في ذلك الهشيم ومنه سرى الى المنزل فاحترق عن فيه وظن النمر انه بهذا الغدر السبي والتدبير الوحشي قد تحلص من مخالب مصر وكان أجدبك الاقتدار وقتئذ بجبهات كردفان يحارب حاكمها المدعو المقدم مسلم وهو من قبل سلطان دارفور فلما بلغه ذلك انخبر حضر في الحال لأخذ النار وانقض على بلاد شندي انقراض الصاعقة وقتل من أهلها نحو خمسة عشر ألف نفس انتقاماً لقتلهم اسمعيل باشا وأحرق مدينة شندي ثم تقدم وثبت سيادة الحكومة المصرية على بلاد سنار وكردفان وجعل لها ادارة منتظمة ولم يرل محمد علي باشا عمده بالرجال والمال حتى اتسعت بذلك الفتوحات المصرية وجعل مدينة الخرطوم قاعدة لحكومة تلك البلاد وبني فيها دار صناعة واسعة وعمل بها ما كن ومعامل للتجارة والحداثة والتلفظة وبنيت فيها المراكب من خشب السنط وكانت في مبداء الأمر ضخمة كسفن تلك البلاد ومن وقتئذ صارت الخرطوم محطة لعموم التجارة السودانية وجعل للولاية بها عثمان بك ثم عزل وتعين بعده محجوب بك (١٢٢٩ هـ) فأحسن السيرة وأصله من السناجق ثم عزل وتعين بعده خورشيد أغاور في الولاية الباشا وعرف باسم السناري ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م) وكان مشهوراً بحسن الادارة والاستقامة فأحبهت الاهالي وتمكن من مد الفتوحات فاستولى على فاشوده وغيرها وهو الذي أدخل ببلاد السودان صناعة سقف البيوت من الأجر بدل الجلد والقش الذي كان يستعمله الاهالي هناك من القديم ثم فصل وخلفه في الحكمة اريه أجدب باشا المعروف بابي ودان سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) فأحسن معاملة الامراء السودانية وكانت معاملته هذه سبباً لنفاذ مقاصده في ادارة شؤون البلاد واصلاح أحوالها وتظم مدينة الخرطوم وقسم مقاطعات السودان الى أخطاط وجعل للاخطاط أقساماً وقسم هذه الى مديريات وعين لكل مديرية منها حدوداً وضم اليها العرب الرحالة القاطنين في وديانها وبذلك انتظمت ادارتها ونقل اليها من مصر كثيراً من الحيوانات الانيسة والنباتات النافعة والبذور النادرة فتحسنت بذلك الزراعة في هذه البلاد

ونشرفهم أيضاً أصول الصناعة فتقدمت التجارة واستخدم معاتيقه في دار الصناعة وجعل منهم ملاحين في السفن الاميرية التي أخذ عدد هارزادايوما فيوما حتى نسبت اليه بحارة الخرطوم وقصد هذه المدينة في أيامه بعض التجار الاورو باو بين تعاطى التجارة وفي زمن المرحوم محمد علي باشا وفد العلماء من كل الجهات الى ديار مصر وانسال السياحون اليها تسوقهم الفائدة التي ينالونها من استقراء الآثار التاريخية ومساعدة الأحوال الطبيعية وتقودهم سهولة البحث والنظر وتيسر الكد والدأب للاستطلاع على أحوال الأقاليم السودانية الجديدة واشتدت عزائمهم لما كانوا ينالونه من كامل الرعاية وحسن اللقاء من العزيز رجه الله ومن علماء الفرنج الذين أرسلتهم الى استطلاع أحوال الأقاليم جون ريموند باشو (Jean Raymond Pacho) ذهب الى الواحات ورتي (Parthey) الى بلاد النوبة وأمعن ويلكنسن (Wilkinson) في الصحراء الشرقية وذهب ايرنبرج (Ehrenberg) مع همبرنج (Hemprich) الى سواحل البحر الأحمر وكوينج (Koenig) الى بلاد كردفان وفي سنة ١٨٢٧ م سافر لينان بك الشهير لاكتشاف النيل الابيض والبحث على معادن الذهب وزادت تجارة السودان بالمواصلات التي حصلت مع بلاد أواسط افريقية فكثرت في الخرطوم بوارد التبر وريش النعام والعاج والصبغ واستخدم العزيز أيضاً كثير من علماء المعادن للبحث عن أجودها في أراضى مصر والسودان منهم الموسيو برياني (Boreani) بارح الخرطوم في فبراير من سنة ١٨٣٨ ومعه ألف جندي واشتغل بالبحث عن الذهب واستخلاص شذراته في مجارى السيول وكوستكي (Kostki) وتردد مرارا على الطريق التي بين الخرطوم والابيض وروسيجر (Russeger) سافر الى جهات البحر الازرق حتى بلغ بلدة فيض اوغلى للبحث عن معادن الذهب أيضاً (١٨٢٨ م) وغيرهم من العلماء كثير ولما رأى العزيز تناقض الأقوال في شأن هذه المعادن عزم على السفر بنفسه الى الاقطار السودانية فسافر (١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م) اليها على طريق دنقلة ثم قصد الخرطوم ماراً بطريق صحراء بيوضه وهناك أمر بالغاء الاسترقاق لما رأى من فظاعته وقسوة الجلابة وأرسل رسالات على ذلك رسمياً في جميع البلاد وبعدها زار سنار قصد جبال قولى لمشاركة أعمال الارسالية التي بعثها لاكتشاف معادن الذهب هناك وكان يرافقه في هذه الرحلة من العلماء والباحثين الموسيو لوفيفر (Lefèvre) والموسيو دارنو (D'Arnaud) والموسيو لامبير (Lambert) وقضى الاول نجسه إثر حصى أصابته أما دارنو فاهتم باكتشاف شواطئ نهر طومات الواقع في جهات دار برطاب وجبل دول وذهب لامبير الى كردفان للبحث والتقيب أيضاً ثم بعد أن نظم العزيز شؤون البلاد السودانية وشاهد أحوالها بنفسه عاد في نهاية السنة المذكورة الى مصر ولم يجتهد في سياحته هذه ما كان يتنهد من الظفر بمعادن الذهب ولكن عاد سفره هذا على علم الجغرافيا بأجل الثمرات حيث أرسل بعد عودته عدة رساليات لاكتشاف منابع النيل والوقوف على أصله لأن ذلك طالما أتعب العلماء في سالف الايام كما هو معلوم فقصد العزيز أن يناله من ذلك شرف الذكر وعظيم القدر فأرسل التجربة الاولى من الخرطوم تحت قيادة البكباشى البحرى سليم افندى قبودان ورفقته سليمان كاشف ورجل فرنسوى يدعى تيبو (Thibaut) وأر بعامة عسكري من الالاي الاولى والثاني البيادة وكانا يقيمان في سنار فسافرت هذه التجربة على خمس زهبيات في كل ذهبية منها

مدفعان ومعها ثلاث ذهبيات أخرى وزورقان و ١٥ سفينة تحمل الميرة والذخيرة اللازمة لمدة ثمانية شهور وكان سفر هذه التجربة في ١٦ نوفمبر من سنة ١٨٢٩ م وعودتها في ٣٠ مارس من سنة ١٨٤٠ بعد ان وصلت الى جزيرة شنجير الكائنة على بعد ٥٠٠ فرسخ جنوبي الخرطوم ولم يأت لهم تجاوز هذا المحل بالسفن لموانع اعترضتها في طريقها ولذلك اهتم رؤساؤها بالاستفهام والاستعلام من سكان تلك الاطراف عن أصل النيل الابيض فأخبروهم انه ينبع من بحيرة موجودة على بعد ٣٠ يوما وهي مسافة يبلغ طولها ١٥٠ فرسخا من جزيرة شنجير المذكورة ولما عادت التجربة كتب سليم قبودان رحلة ضمنها تفاصيل هذه السياحة وألحق بها جدول يتعلق بالارصادات الجوية فكانت أول مؤلف معتبر حصل عليه العلماء فيما يختص بداخلية افرريقية ثم سافر سليم قبودان المذكور رئيس التجربة الثانية التي بعث بها العزيز لانعام هذا الاكتشاف في ٢٣ نوفمبر من سنة ١٨٤٠ م ورافقه من علماء الفرنج درنو (D'Arnaud) وسباتير (Sabathier) وفرن (F. Verne) وكان سفرها هذه المرة في نهر صوبات وتقدمت حتى وصلت الى الدرجة الرابعة ونصف من العرض الشمالي ثم اضطرت الى العودة للخرطوم لهبوط المياه وعدم امكان التقدم الى الامام (٢٠ يناير ١٨٤١ م) ومع هذا فان همة العزيز لم تقف عن الرغبة في معرفة منابع النيل وجهانه فانه أرسل تجربة ثانية جعل عليها سليم قبودان المذكور فسافرت في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤١ م على عشرين مسلحة بالمدافع الصغيرة ورافقه أيضا العلماء المذكورون وبصحبتهم أربع مائة عسكري إلا أن أحمد باشا الشهير بابوودان حكمدار السودان وقتئذ فعل مع هذه التجربة ما يناقض اشارة الامير حيث قصر في مساعدتها بكل ما تحتاجه فتسبب من ذلك عدم نجاحها ولم تصل الى أكثر مما وصلت في المرة الثانية واضطرت الى العودة بأمر العزيز ورسم موسيودرنو خريطة مجرى النيل من الخرطوم الى أبي جند وكانت همة محمد علي باشا موجهة على الخصوص لازدياد نفوذه وتوسيع أملاكه بالاقطار البعيدة ليعلونه كره ويشتهر أمره وينال من الصيت والثروة ما يرغب فيه كل فاتح أولا ثم توسيع دائرة المتاجر والمكاسب امام أهل بلاده ثانيا ولما كان مأمورا والحكومة أخذوا يسئون معاملة أهالي الجهات السودانية حدث من ذلك بعض ثورات بين قبائل الهدندوة في جهات كسله ولما كان محمد علي باشا يخشى أمر الاضطرابات جدا لانها تعوقه عن مرغوبه عزل أحمد باشا أبوودان عن السودان (١٢٥٧ هـ ١٨٤٢ م) ونصب مكانه أحمد باشا المنسكي الذي تمكن بمخذه من اطمئنان نيران تلك الثورة واصلاح الاحوال ثم فصل سنة ١٢٦١ هـ ونعين مكانه خالد باشا واهتم هؤلاء الحكام مدة حكمهم بتنظيم أحوال السودان وتشديد دعائم الامن بها واعلاء كلمة الحكومة المصرية بين أهاليها وأكثرها من صناعة السفن والزوارق والصنادل النيلية لتسهيل النقل والمواصلات بين بلادها وكانت تلك السفن من أعظم الاسباب في مجازح الاكتشافات العديدة التي تحصل عليها العزيز محمد علي باشا في تلك الديار وعادت على العلوم الجغرافية وغيرها بالفوائد التي لا تحصى والمزايا التي لا تستقصى

نظامات الجيوش والمدارس العسكرية - لما عزم محمد علي باشا على ايجاد جنود على النظام الحديث المتبع بدول اوربا وكانت ظهرت له فوائده بعد أن تمهدت له السبل لذلك أمر

بتأسيس المدارس الحربية لتخريج الضباط فأسس مدرسة حربية بقصر العيني ففتحت في يوايوم من سنة ١٨٢٥ م وأخرى للسوارى بالجيزة جعلها في سراى مراد بك ففتحت في ابريل سنة ١٨٣١ م تحت نظارة الجنرال فارين بك (Varin) ومدرسة للطوبىجية بطنه ففتحت في السنة المذكورة تحت نظارة الكولونيل الاسبانيولى المسمى سغيره (Seguera) ومدرسة لليياده بالخانقاه ففتحت سنة ١٨٢٢ نقلت الى دمياط بعد سنتين من تأسيسها ثم نقلت الى ابي زعبل وفتح مدرسة أخرى لليياده في بابا بديرية جرجاسة ١٨٢٢ لم يمكث الا سنتين وأسس اوجا فالتعليم البروجية وضاربي الطبول العسكرية (ترمينيه) ١٨٢٤ م ثم ألغى بعد سنة ووزعت أنفاره على الاسلحة وفتح مدرسة للموسيقى بالخانقاه سنة ١٨٢٧ م واستحضر لهذه المدارس أساتذة من الاستانة وفرنسا يعرفه فنصل فرانسوا يومئذ الموسيوميومو (Mimaut) وكان تلامذة هذه المدارس من مماليكه وأبناء خدامه أولا وقد نبغ منهم جملة رجال خدموا البلاد أحسن الخدم يذكروها لهم التاريخ على مدى الدهور سيما في المحاربات التي قام بها محمد علي باشا في كثير من الجهات ولم يرض على تأسيس هذه المدارس أربع سنين حتى تمكن المشار اليه من تأسيس النظام العسكري الجديد سنة ١٨٢٧ وجعل عساكره من الاهالى المصريين وهى أول مرة قام فيها المصري بالمدافعة عن بلاده بمهنية عسكرية بعد ان دخلت هذه البلاد في حوزة الاجانب لانه في زمن حكم الفرس واليونان والرومان ودول العرب وبني أيوب والمماليك لم يحمل مصرى قط سلاحا للمجامة عن وطنه بل كانت جيوشهم من جنس الدولة الحاكمة واستحضر العزيز لتعليمهم وتدريبهم عدة ضباط من فرانسويين واطليانيين وغير الكل باحساناته ومن ضمن هؤلاء الضباط الموسيومارى (Marey) والمسيوراكس (Prax) والمسيوشيدوقو (Chedufeu) حكيم باشى الجيش الذى نظم الاستباليات العسكرية والجنرال بويه (Bouillet) أحد قوادنا بليون بونا بارت أحضره من فرانساء فنصلها بمصر المدعور وقتى (Drovetti) سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) وقد قام هؤلاء الضباط بانقاذ مقاصد العزيز في تعليم وتدريب الجنود على المهينة الحديثة حتى صاروا بعد زمن قليل بما كونا جيوش أوروبا بانتظاما ومهارة وخلف الجنرال بويه هذا في وظيفته الكولونيل سيف (Selve) الذى عرف فيما بعد بسليمان باشا الشهير بالفرنساوى فكانت له في تعليم الجيش النظام الجديد اليد البيضاء

وقد تكلم كل من الدكتور كلوت بك (Clot) الطبيب الفرنسوى الشهير الذى خدم العزيز في تأسيس المدارس الطبية والمستشفيات في تاريخه الذى طبع في بروكسل سنة ١٨٤٠ وكذا المسيوفيلكس مانجان (H. Mangin) في تاريخه عن مصر المطبوع ببواريس في سنة ١٨٢٩ عن عسكرية محمد علي باشا ومدارسه الحربية المذكورة وغيرهما من التأسيسات الحديثة ويظهر من رواياتهما أن عدد تلامذة المدارس الحربية بلغ ١٦٧٠ تلميذا كان منهم بمدرسة الليياده ٨٠٠ وبالطوبىجية ٣٠٠ والسوارى ٣٠٠ وبالموسيقى العسكرية ١٥٠ وبمدرسة الطب البيطرى ١٢٠ وان مصروفات المدارس المذكورة بلغت وقتئذ ١٠٠.٠٠٠ ليرة هذا خلاف ما كان يصرف على تلامذة الرسالة المصرية بأوروبا وهى التي كان يقصد بها تذليل صعاب الأمور من نبع من تلامذتها وقد نجح في مشروعه لحسن قصده لانه قد أمكنه بعد عودته من تعلم

منهم أن يؤسس في القاهرة معامل لصناعة الأسلحة وصب المدافع وصناعة جميع ما يحتاجه الجيوش من العدد والذخائر الحربية وكانت تلك المعامل تحت منظره عمله من مهرة الفرج وأسس للمدارس الحربية مطبعتين في طره والجزيرة جعلهما للطبع الكتب والقوانين باللغة التركية والعربية لنشر المعارف على رجال عسكره

ولما عزم المشار إليه في تلك الأثناء على إيجاد سفن حربية بالبحر المتوسط الأبيض وكان المرحوم السلطان محمود خان أهدها سفينتين حربيين فعهده بعض تجار الفرج باحضار ما يلزم منها فواضاه باحضار بعض سفن حربية من نوع الفرقاطة والقرويت والابريق تكون على شكل السفينتين اللتين أهدتا اليه من جانب الحضرة السلطانية وبعد قليل أتاه بعض تلك السفن وكانت صنعت بتريستة ومرسيليا وليفورن وخنوة فانتخب لها القبودانات من سفن التجار الأتراك والاسكندرانيين وجعل ملاحيهما من المتطوعة كما أوجد بها بعض ضباط فرنسويين وطلبايين لتعليم البحارة وتدريبهم وأسس على الشاطئ الشرقي من الميناء الغربية جهة خط الصيادين بالاسكندرية معامل للعدادة والتجارة والقلفظة وغيرها للقيام بما يحتاجه السفن الحربية وكان رئيس المهندسين له هذه الاعمال يدعى شاكرافندي الاسكندري وألحق به ارجلا آخر من الأهالي يدعى الحاج عر وهو من مشاهير المعلمين جعله رئيسا للانشاء وعمارة السفن واتفق أن حضر الى مصر في ذلك الوقت (١٢٣٦ هـ) رجل فرنسوي يدعى المسويي بيسون (Besson) أصله من قبودانات المراكب الحربية الفرنسية ولما وجد العزيز بهم بانشاء السفن عرض له بطلب الخدمة والمعيشة تحت ظله فجعله ملاحظا للسفن الجارية انشاؤها بالمصر ببلاد أوروبا ثم أوجد المشار اليه ادارة خاصة للاسطيل المصرية جعله لرئاسة مرمم يك مع بقائه بحفاظ النغر الاسكندرية فكان أول باشبوع تعيين للعمارة المصرية وجعل لمنظره بناء السفن متوظفا يدعى الحاج أحمد أغا وابتاع العزيز أيضا عدة سفن شرعية لنقل المهمات والذخائر خصصها في ميد الامر لجلب الاخشاب اللازمة لدار صناعته الجديدة من سواحل بلاد الاناضول ثم أسس بعد حرب مورة الآتي ذكرها مدرسة للبحرية فتحت في شهر سبتمبر سنة ١٨٣١ وأدخلها أوليا مالكة وأبناء خدامه كما عرهم المدارس الحربية وجلب لهم معلمين من أوروبا وباهم القبودان أنطون بنانسي (Antoine Banansy) والقبودان كامالو موسكاني (Camillo Moskani) وجعل معهما محمد بك الشهير بالترجان والابراهيم باشا توفيق فكان لهذين المعلمين اليد البيضاء في تعليم كثير من التلامذة الذين اشتهروا فيما بعد بالبسالة والاقدام والصدق في خدمة حكومته وبينما كان العزيز بهم بالاصلاحت الداخلية كعادته اذ صدر له فرمان من السلطان محمود خان بان يبعث فرقة من اساطيله وقدر امن العساكر المصرية لمساعدة الدولة في اخضاع الثائرين من الروم ببلاد مورة

حرب مورة - اعلم أنه بينما كان محمد علي باشا مشغولا بمراعاة الترقيات في مصر كانت الدولة العلية العثمانية مشغولة بمحاربة تيمه دلنلي على باشا والي يانيا بالمعاهدة ردا على ما كانت كامر بك في تاريخ الدولة بالجزء الاول من هذا الكتاب ولم تمض على اخضاعه عدة أيام حتى اشتعلت نيران الثورة اليونانية ببلاد مورة (فبراير سنة ١٨٢٢ م - ١٢٣٦ هـ) فأسرعت

الدولة الى سوق الجيوش والاساطيل لاتحاد لهم فلم يزد هذا الا الاشتعالا وسببه قيام أهل أوروبا عامة باسعاف الثوار بالمال والرجال ليتخلصوا من التبعية الاسلامية وكان هذا على غير رضاء دولهم في ظاهراً الأمر وكان المحرض الاكبر لهذه الثورة الجمعيات العديدة التي تشكلت بانحاء أوروبا وهي المسماة بجمعيات محبي اليونان وقد تطوع فيها كثير من المشاهير مثل وشنطون فنجيل محرراً أمريكياً واللورد بير ون الشاعر الانكليزي الشهير وغيرهما ولاسباب المذكورة وغيرها تغاب الثائرون على الجيوش العثمانية في عدة وقائع وأصاب الاساطيل السلطانية الخفيفة المعينة للحفاظ على جزائر اريخبيل خسائر جسيمة كما سبق في تاريخ الدولة لهذا أرسل السلطان محمود خان أمراً الى محمد علي باشا يطلب منه ارسال اسطوله للمساعدة على تأديب الثائرين وتخليص الاسطول العثماني الذي أضنى كالاسير بمياه البانيا ولما رد فرمان السلطان لم يسع محمد باشا الا الطاعة فكتب في الحال أمراً الى صهره محرم بك محافظ الاسكندرية وباشبوغ الدونما المصرية بتجهيز الاسطول (١) فأعد محرم بك أربع عشرة سفينة حربية بما يلزمها من الجنود والقبودانات وأفلق بها الى دار الحرب (٢) وجعل شاكر افندي السابق الذي كرمه هندسا للاسطول المذكور كما جاء في دفاتر قيودات الدونما القديمة المصرية ولم يبق بنغر الاسكندرية غير عثمان سفائن حربية فقط للحفاظ بها على السواحل المصرية وأخذ العزيزيتم بتجهيز اسطول آخر من السفن الجديدة التي تاتي اليه تباعاً من بلاد أوروبا ولما وصل محرم بك بالاسطول المذكور الى مياه كريت تلاقي في الجهة الشمالية منها سبع عشرة سفينة تجارية قرومية تهاجم سفينة تجارية عثمانية فهجم على سفن الاروام واستولى على ثلاث منها وولى الباقي الادبار وتخلصت تلك السفينة العثمانية ثم تقدم الى بحر اريخبيل حسب الاوامر وبعد ذلك بشهر أرسل محمد علي باشا اسطولا آخر يتركب من ١٨ سفينة تحت قيادة بطرונה طبوراً وغلى قبوجى باشى محمد أغا لالاتحاق بالدونما العثمانية التي كانت تحت قيادة البطرונה مختار بك وأمره انه متى انضمت كل هذه السفن الى بعضها ومعها اسطول محرم بك تذهب لتخليص الاسطول العثماني المحصور بجهة برويزه وكان يقوده القبودان نصوح زاده على بك وقد حصل ذلك وبعد اخراج الاسطول المذكور أخذت الدونما المصرية مع الاساطيل العثمانية تطارد مرآكب الاشقياء من اليونانيين فاحرقت منها كثيراً ثم عادت اساطيل مصر الى الاسكندرية لاصلاح ما تلف

(١) وهذه صورة الامر المذكور قد علم لكم أنه أحيل تأديب وتربية الاروام الثائرين على الدولة العلية على عهدى وبعثت السفن البحرية التي جرى استعدادها للغاية الا ان قد بلغت أربع عشر سفينة ولوان قيادتها عائد على الآله لكثرة أشغالى قد عينتكم بدلا عن قيادتها فتمكوا على الله تعالى وأسروا بالاقلاع بها للجهة المقصود وأداء الخدمة اللازمة عليكم في هذه الامور بحسب ما ترضى عليكم حقوقها المقدسة وقد تحرر صدور من هذا الامر الى مطوش قبودان الذي تعينت سفينته بجهتكم ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦ مترجم من الامر التركي المفقيد بغيردات البحرية القديمة

(٢) وقبودانات السفن المذكورة هم فندقى أحمد قبودان وقوله الى مطوش قبودان واستأله لى نورى قبودان وارينبوط خليل قبودان وكرىدى حسن قبودان وبدو على السيد على قبودان وكرىدى اسمعيل قبودان وأوردى مصطفى قبودان المعروف ببشكاكى وجشمه لى مصطفى قبودان وبوزجه أطله لى حسين قبودان واسكندرانى على قبودان ولازنى عمر قبودان وازميرلى قراوغلى قبودان ويدر وىلى على محمد قبودان

منها) ١٢٢٨ هـ) وفي سنة ١٢٢٩ (٦ مارس ١٨٢٤ م) أصدر السلطان فرمانا الى محمد علي باشا بتعيين ولده إبراهيم باشا واليا على جزيرة كريد وموره ومنحه تمام الحرية في الاعمال بهم ما لعادة النظام وفرمانا آخر بارسال نجدة مصرية للمساعدة على حرب اليونان المذكورة قال الفاضل لطفي أفندي في تاريخه لما وصل الخبر الى الاستانة بان محمد علي باشا سيرسل بعض أوط من عساكره الجهادية الى موره صدر أمر الدولة الى خسرو باشا قبودان الدونما العثمانية بمياه اليونان وكان طلب العودة الى الاستانة لاصلاح ما تخرب من سفنه الحربية بالاقلاع الى ميناء الاسكندرية لاصلاح سفنه فيها واخذ ما يلزم من الذخائر الحربية والمؤنة منها ولمساعدة محمد علي باشا على نقل الجيوش المصرية الى بلاد موره وكان وصوله الى ميناء الاسكندرية في ٢٨ الحجة وكان حضر قبله بيضة أيام الى يونان الاسكندرية ثلاث سفن من حراقات اليونان دخلت منها واحدة الميناحتى وصلت امام طابية صالح وأشعلت نارها تنقص اوراق الاسطول المصرى الراسى امامها ولما شاهدت حفظة القلعة المذكورة أطلقوا عليها المدافع وأرسلت المراكب المصرية بهض زوارقها بالمدافع فهجمت عليها وأطفأت نارها ولما رأت السفينتان اليونانيتان الباقيتان التيقظ الحاصل هر بتاسر يعا ولما علم محمد علي باشا أمر أميرال عمارته محرم بك وكنته داه بلال أغا بان يخربها بخمس سفن حربية لاقتفاء أثر الحراقتين اليونانيتين المذكورتين وخرج بعدهما محمد باشا بنفسه في قرويت يندى جناح بحرى ومع هذا لم يكن القبض على السفينتين المذكورتين ولما وصل خسرو باشا وبلغه الخبر تأسف لعدم مصادفته في طريقه للسفن المصرية وخصوصا سفينة محمد علي باشا وأراد الاقلاع بنفسه حال البحث على السفن المصرية فتمعه وكلاء الحكومة المصرية الذين أسرعوا في اصلاح السفن ومداركة ما يلزم للدونما العثمانية من الادوات والذخائر الا ان القبودان المذكور أرسل القائد الثاني عشر من سفينه حربية عثمانية فذهب بها حتى سواحل الاناضول ثم قفل راجعا فوجد العز يز قد عاد الى الاسكندرية ولما بلغ محمد علي باشا ما أجراه القبودان باشا من جدامنه وأكرم وفادته وأظهر تمام الرضوخ لما تأمر به الدولة تمهما كان (١) فأبلغ القبودان باشا ذلك للباب العالى رسميا فورد له مكتوب الشكر والثناء على محمد علي باشا لخدمته الجليلة التي أداها وألوانيا وقيامه باصلاح دونتها وتجهيزه بالجيوش لمساعدتها وأمره السلطان بتبليغ ذلك لمحمد علي باشا بالنسبة عنه وفي ٣ ربيع الاول من سنة ١٢٢٩ (١٠ يوايه ١٨٢٤ م) أفلح الاسطول العثماني المذكور ثم أفلح بعده الاسطول المصرى تحت قيادة محرم بك وكان مجموع السفن المذكورة ٩٩ سفينة منها ٦٣ بين حربية ونقلية و ٣٦ تجارية استؤجرت لنقل العدد والذخائر وكان عدد الجيش المصرى ١٧٠٠٠ جندي بقيادة و ٧٠٠٠ سوارى وأربع بطاريات طويلة بحية ومدافع أخرى للقلاع والجبال وكان هذا الجيش تحت قيادة ولده البطل الشهير ابراهيم باشا الكبير وبعد ان مرت هذه الاساطيل على رودس أفلحت الى موره فوصلت في رجب من سنة ١٢٤٠ هـ

(١) قائلا انى بصفة كوني خادما لولى نعمى صاحب الشوكة السلطان المعظم أعلمك بأخى الباشا أنه ليس للدولة العلية فقط أن تطلب جبه خاله أو قومائه (زاد) أو مهمات للدونما العثمانية بل يمكنها أن تطلب جميع منازيد فى مستعد للقيام به وفيما جنى الدين والمال وأن ذلك عندى من الامور المعنى بها وانى لا تأخر عن بذل نفسى في سبيل تقوية شأنها وإعلاء كبرها ورفع قدرها اه من تاريخ لطفي أفندي

ونزلت الجيوش منها قرب قلعة متون فهرب اليونانيون الذين كانوا يحاصرونهم وانضم الجيش المصري للجيش العثماني وابتدأت الحركات العسكرية وأخذت الاساطيل تجول في تلك المياه حتى دمرت كثيرا من سفن الثايرين وقلاعهم وفي شهر شعبان من سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٦) بينما كان الجيش يحاصر قلعة ميسولونكي تقدم سر چشمه حسين بك أحد رؤساء البحرية المصرية ببعض سفنه الخفيفة وهاجم الاستحكامات المشيدة على الجزيرة الصغيرة الواقعة امام المدينة المذكورة واستولى عليها فسهل بذلك على الجيش الهجوم على ميسولونكي التي فتحت عنوة (١٥ رمضان) وغنم منها العثمانيون غنائم لا تحصى ولم تنته سنة ١٢٤٢ حتى تمكن ابراهيم باشا بمهارته من اخضاع الثوار واسترداد جميع بلاد مورده وقلعها الا ان سفن اليونان كانت لا تزال تعيث في جزائر الارخبيل وفي خلال ذلك عزل خسر وباشا من البحرية بخلاف وقع بينه وبين ابراهيم باشا وتعين عزت باشا قبودانا مكانه وجعل جنسكي أوغلي طاهر باشا قائدا للدونما العثمانية التي تحت امره ابراهيم باشا بموره وكانت تتألف من ٣٧ سفينة وذهبت هذه الدونما الى ميناء ناوارين في ١٨ شوال من سنة ١٢٤٢ هـ ثم حضر محرم بك بالدونما المصرية وكانت تتركب من ١٦ سفينة الى الميناء المذكور أيضا وبذلك صارت السفن العثمانية والمصرية والتونسية والجزائرية البالغ عددها ٥٣ سفينة جميعها بميناء ناوارين تحت أمر ابراهيم باشا وعند مدافعتها ١٥٨٨ مدفعا وبعد ذلك حصلت واقعة ناوارين التي ألبست أوروبا وباقوبان من العار لا يبلى

احراق الدونما بناوارين - سبق الكلام في تاريخ الدولة بالجزء الاول عن استجداد اليونان بدول أوروبا وقيام انكلترة وفرنسا والروسيا بمساعدتهم لنوال استقلالهم وارسالهم الاساطيل لذلك فكانت أساطيل انكلترة تحت قيادة السير ادوارد كودرنجتون (Codrington) وأساطيل الثانية تحت قيادة الكونت راميال ريني (Rigny) وأساطيل الثالثة تحت قيادة الكونت راميال هيدين (Heiden) عددها جميعا ٢٦ سفينة كبيرة تحمل ١٢٦٦ مدفعا وحاصرت هذه السفن أساطيل الدولة على غير عداوة سابقة وأخذت المخابرات بين قواد الاساطيل و ابراهيم باشا دورا عظيما كما سبق شرح ذلك في محله ولملم تحصل نتيجة وكان القوم على اتفاق لتدمير الدونما الاسلامية دخلت الدونمات المتحدة الميناء يوم ٢٧ صفر من سنة ١٢٤٣ هـ (٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ م) ولم تعارضها الاساطيل العثمانية ولا منعتها القلاع لعدم وجود سبب ظاهر للعداء ولم تسك الدولة بالاعمال الودية وبعدها أخذت تعيبتها أطلقت قنابلها فجاء على المراكب العثمانية بلا إعلان حرب كما جرت العادة بين الدول فأطلقت جميع السفن العثمانية والمصرية سرفا وتدميرا كما مر ولمالم تدعن الدولة لمطالب الدول الأوروبية المذكورة انفق على إنهاء هذه المسئلة بالقوة وتجهزت لذلك فتكفلت إنجلترا بالاعمال البحرية وفرنسا بالاعمال البرية وعينت لذلك جيشا يتألف من ٢٤٠٠ مقاتل وتخابروا مع محمد علي باشا بواسطة قناصلهم في مصر بأن يسحب جيوشه وكتبوا معه اتفاقا في ٣ أغسطس ١٨٢٨ م (غاية الحجة ١٢٤٣ هـ) على اخلاء شبه جزيرة مورده (١) وأرسل محمد علي باشا صورة هذه الشروط لولده ابراهيم باشا فلما قرأها

(١) أوليا تهمدوا الى مصر باعادة جميع الاسراء من يونان وغيرهم ثانيا ان يعهد الاميرال الانكليزي باعادة جميع

اغتاظ منها احد الانه رأى ان ثمره اعادة قد ضاعت سدى ولم يمكنه الامتناع عن تنفيذ هذا التمسديد
 عمارات الدول له بحرا وجيش فرانسار افاصدرا الامر لكافة الفرق التي كانت بداخل مورده بالعودة
 الى الثغور ليرحلوا الى القطر المصرى وأرسل سليمان بك الفرنساوى الذى كان مع الاية بمدينة
 تريولنسا يهدم قلاعها وأسوارها والعودة الى الساحل ثم عادت الجيوش المصرية مع ابراهيم باشا
 الى مصر وعاد معه محرم بك باشبوع الدوننما أيضا (١) وأخليت بلاد اليونان من عسكر مصر تماما
 واحتلتها فرنسا ويون ثم عقدت الدول المذكورة مؤتمر فى لندن ١٦ نوفمبر من سنة ١٨٢٨ م
 ودعت الدولة العلية للاشتراك فيه فلم تقبل للتلا بعد اشترى كلها اقرارا من اعلى ما فعلته الدول
 المذكورة التي أقرت فى المؤتمر المذكور على استقلال مورده وجزائر سيكلاده وعلى ان يعين لها أمير
 مسيحي تنتخبه الدول الثلاث يكون تحت حمايتها وضمانتها وان يدفع للباب العالى سنويا
 خراج قدره ٥٠٠,٠٠٠ غرش فلم تقبل الدولة العثمانية بذلك واستمرت الحرب ثم أعلنت روسيا
 الحرب على الدولة وانتهت بانتصار الروس والضعف الذى أصاب الدولة من طول تلك الحروب
 والثورات كما تقدم فى تاريخها وأخيرا اضطر الباب العالى الى طلب الصلح والتصديق على المعاهدة
 التي عقدتها معه روسيا المعروفة بمعاهدة ادرنة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩) واعترف فيها
 باستقلال جميع بلاد اليونان استقالاتا تاما

تجديد الدوننما المصرية - والثا دوا رضاعة الاسكندرية - بعد ان بارحت الجنود
 المصرية بلاد مورده أخذ محمد على باشا يهتم فى اتمام ما كان شرع فيه من الاصلاحات وكان من أول
 اعماله الشروع فى توسيع واصلاح ميناء الاسكندرية كما سبق فى المقدمة لتقله عقبها وعدم كفايتها
 للسفن التي تضطر ان ترسو بعيدة عن الشاطئ مما يجعل شحن واخراج البضائع منها يتكلف مصاريف
 كثيرة فأحضر الكراكت من أوروبا ولما أنت أخذوا فى تعميق الميناء فتم بعد قليل من الزمن
 وجعل لها ادارة مخصوصة سميت بادارة ليمان رئيس وجعل نظارتها الضابط يدعى بوزجه أطهلى
 مصطفى جاويش فكان أول رئيس ليمان لميناء الاسكندرية ولما كانت الدوننما الاصلية أحرقت
 فى واقعة مورده كما همتم العزيز بايجاد سفن جديدة أخرى لتعزيز قوته البحرية فوجه عنانية أولا

الاسرى من مصر بين وخلافهم مع السفن التي أخذها فى الحرب فلما ان تغلى الجيوش المصرية شبه جزيرة مورده
 فى أسرع وقت وينقلها الى مصر بسفنه الى الاسكندرية رابعان تكون السفن المصرية فى حالتها بما واياها
 مخفورة بسفن فرانسوا وانكتره خامسا ان لا يجير اليونان المقيمون بمصر على تركها ماداموا غير مكرهين على البقاء فيها
 وكذلك من يريد العودة مع المصرى بين باختياره لا يمنع عن ذلك سادسا يجوز لبراهيم باشا ان يترك فى مورده عددا من
 العساكر لا يزيد عن ١٢٠٠ نفر للمحافظة على متون وقرون وناوارين وبتراس وكستيل أما بالبقى الاخرى
 فلا بد من الجلاء عنها بدون امهال اه من مجموعة المعاهدات

(١) محرم بك هذا أصله من قوله ولما اتخذ الدبار المصرية ووطننا نائبا له استخدمه محمد على باشا فى كثير من مهام
 الحكومة وبلجبل سيرته وحيد خصاله زوجه بكر يته نفيد هانم ولكن عاجلها الوفا بعد زمن قصير وكان العزيز
 جعله محافظا لمدينة الاسكندرية فاحسن ادارتها ثم لما شكل عمارته الاولى أحال عليه ادارتها فقادها بوظيفة باشبوع
 أول فى حرب اليونان من سنة ١٢٣٦ الى ١٢٤٣ ولما عاد مع ابراهيم باشا الى مصر بقى فى وظيفته محافظا
 لثغر الاسكندرية حتى يوم وفاته (١٢ محرم سنة ١٢٦٤) فأسف عليه الناس وكان محبا لعمل الخير اعتق
 الكثير من جواربه ومماليكه وأحسن عليهم بالاحسانات الجزيلة وشيد لهم المنازل العديدة لسكناهم

لتشييد دار صناعة مهمة مع ما يحتاجه من المعامل والمصانع^(١) الانشاء وترميم السفائن وكان الشروع في ذلك سنة ١٢٤٢ هـ وأشغل العساكر في بنائها وامت سنة ١٢٤٥ وشكنا بالآلات والأدوات وأحضر لها في سنة ١٨٣١ م من مدينة طولون مهندساً ماهراً يدعى سيريزي (Cerisy) جعله بائناً مهندساً ورفاهه الى رتبة البكوية وكان بدار الصناعة المذكورة خمسة فترات أى من لفات لصناعة السفن واهتم سيريزي بك المذكور مع الحاج عمر مهندس الترسانة القديمة بتعميق البحر من ناحية الترسانة الحديدية حتى صيراه في عتق كاف لرسواً كبير السفن الحربية ورتبها للصانع من كل نوع وكانوا تحت ملاحظة الحاج عمر المذكور وكان لهذا الرجل استعداد ومعرفة طبيعية غريبة في بناء السفن وقد تمكن في السنة الاولى من انشاء سفينة من نوع القباق وجلب العزير كثير من شبان المصريين من جميع المديرية لتعليمهم صناعة عمل السفن وما يلزم لها من الآلات ووزعهم على المعامل فاخص كل جماعة منهم بفرع من فروع انشاء السفن ونبغ كثير منهم في هذه الأعمال حتى بلغوا درجة عظيمة وحصلت مصر بهم في زمن قليل على عدد سفن حربية عوضت بها أساطيلها التي فقدت في واقعة نوارين بل وزادت قوتها البحرية أضعاف ما كان لها وشيدت عدة من السفن المسماة نصف قرصان أو مئزره قرصان فتوفرت لديها أسباب النقل والجل وخصتها بنقل ما يلزمها من الاخشاب وغيرها وكان بعضها يشتغل بالتجارة والحاصل ان صناعة انشاء السفن بالاسكندرية وصلت لدرجة تضارع في الجودة والمتانة سفن أعظم البلاد الاوروبية وصار في إمكان مصر صناعة كل ما يحتاجه سفن الدونما ولما تحصل العزير على تصريح من الحضرة السلطانية بيجزله قطع الاخشاب اللازمة من غابات الاناضول عين لذلك الصناع والعمال تحت امره كل من الحاج حسن بك نجار باشي دار الصناعة والسيد أحمد أحد عمالها وبذلك صار بالاسكندرية القدر اللازم من الاخشاب وكان المشتغلون بانشاء المراكب واصلاحها يبلغ عددهم ٨٠٠٠ نفس من الاهالي الذين نخروا على أيدي مهرة المعلمين من الاورو باويين واتقن منهم نحو ١٦٠٠ صناعة انشاء السفن فاستغنت بذلك مصر عن اتياع السفن من الخارج وفتح العزير أيضاً مدرسة لتعليم نحو اثني عشر ألفاً من الجنود الاعمال البحرية أخذهم من كل المديرية وكانوا يقيمون على الساحل بجوار طواحين الريح الموجودة الآن بالشمال الشرقي من رأس التين وجعلوا لهم فوق البرم كبا بصواريخها وشرائعها لتعليمهم استعمال الشراعات وغيرها وكان ذلك تحت رياسة الموسيوي يسون بك (Besson) ولما تدرجوا وزعواهم على السفائن الحربية فانتظمت طوائف السفائن وصارت نظاماتها كما هي النظمات البحرية بالاساطيل الاوروبية ونقل ما كان بتلك السفن من الملاحين الغير النظاميين الى سفنه المسماة بمئزره قرصان التي جعل لها

(١) وهالذ أسماء الورش والمصانع بدار الصناعة المذكورة

١ ورشة النباله لعمل الحبال	٦ ورشة الدكخانه لصب الآلات	١١ ورشة التجارين لصناعة التجارة اللازمة للسفن
٢ ورشة الحدادين لصناعة الحديد	٧ ورشة البويه لصناعة الدهانات	١٢ ورشة الطلومبات لصناعة الطلومبات
٣ ورشة القلقول لعمل الشراعات	٨ ورشة المخرطة لعمل البكرات وغيرها	١٣ ورشة القلاطيه لتقلطة السفن
٤ ورشة السوارى لصناعة الساريات	٩ ورشة الترتيزه لعمل السناخ والاعلام	١٤ ورشة البورغوجيه لتقرب الاخشاب
٥ ورشة البصل والنظارات لعمل ذلك	١٠ ورشة الفلاكل لصناعة الزوارق	١٥ مخازن الذخائر والمهمات الحربية

ادارة خاصة تحت رياسة محمد قراقيش قبودان ثم خلفه فيها محمد راشد بك ثم بوججه اطهلى اوزون
 اجد قبودان وادخل جملة تحسينات فى المدرسة البحرية التى انشأها سنة ١٢٤١ وجعلها تحت
 نظارة حسن بك القبرسلى وكانت المدرسة المذكورة بأحدى السفن الحربية ثم قسمت هذه المدرسة
 الى فرقتين جعلت كل واحدة منهما بسفينة وتعين لنظارتها كنج عثمان بك وسبب ذلك ان العداوة
 كانت استحكمت حلقاتها بين حسن بك السابق المذكور وبين عثمان باشا سرعسكر الدونمافانتهز
 الناظر المذكور فرصة خروج التلامذة يوم الجمعة ومروا بالسرعسكر زورقه فأحرق جحجخانه
 المدرسة بقصد قتل السرعسكر فهلك هو ولم يصب السرعسكر بضرر ثم سافرت احدى الفرقتين
 بسفينة شيرجهاد ومعها قرويت عليه برغلى أحمد قبودان وابريق آخر فاصدته جزيرة كريد
 ولما كانت على مقربة من الجزيرة قابلها غليون روسى وكانت الحرب قائمة بين الدولة والروسيا
 فأطلق الغليون القنابل على السفن المذكورة بقصد أسرها فتمكنت شيرجهاد لسرعة سيرها
 من الهرب وأسر الروس القرويت المذكور (١٢٤٣ هـ) وقد نبغ من هذه المدرسة
 البحرية كثيرون اشتهروا فى الاعمال والحروب البحرية (١) كما اشتهر بعضهم فى حسن العمل
 عند ما نقلوا الى ادارات أخرى وفى تلك الاثناء انتخب العزيز بعض ضباط البحرية وأرسلهم الى
 فرانسوا وانكتره لاعمام علومهم بهم ومارسة الفنون الحربية على أساطيلهما وأصحهم بكتب
 التوصية على يد قنصلى فرانسوا وانكتره وكان الذين أرسلوا الى فرانسوا حسن افندى الاسكندرانى
 وشئان افندى ومحمود افندى ناى الملقب بچركس والى انكتره عبد الحميد افندى ويوسف آكاه
 افندى وعبد الكريم افندى ولما أعوا علومهم عادوا الى مصر فوظفهم بالسفن الحربية
 وكفوفهم بترجمة القوانين والنظامات المستعملة بعبارات الدولتين المذكورتين كما سبق فى مقدمة
 هذا الكتاب وكان العزيز أرسل أيضا الى أوروبا تلميذين آخرين لتعلم فن انشاء السفن وهما حسن
 افندى السعران سافر الى فرانسوا ومحمد افندى الاستانبولى سافر الى انكتره ولما اتقن هذان
 التلميذان ما أرسل لاجل عادتهما الى الاوطان فوظفوا فى دار صناعة الاسكندرية مكان سرى بك الذى
 استقال لتعصب تجار الفريج عليه وهم الذين كانوا تعهدوا بشراء السفن لمصر من معامل أوروبا
 بالاعان الباهظة لانهم لما رأوا تقدم الوطنيين فى صناعة السفن نسبو احرمانهم هذا لصداقة سرى بك
 المذكور وقيامه بمعاهد اليه ومع ذلك فان أولئك التجار لم ينجحوا فى تحويل نظر العزيز عن مقصده

(١) ومن عثرنا على اسمائهم منهم خير الدين قبودان ومبد اللطيف قبودان وأحمد نوري قبودان الملقب
 بالجوخدار وحسين شرين قبودان وجعفر مظهر قبودان وحافظ خليل قبودان وهؤلاء ترقوا فيما بعد
 المرتب الباشوية وحافظ قبودان مصطفى وبرغلى أحمد قبودان ومصطفى قبودان الكريدى وحاجو
 قبودان وحافظ قبودان الشيرازى وبودرغلى أحمد خوجه قبودان وعارف قبودان واسماعيل قبودان
 الكريدى وأمين قبودان الملقب بالطويل ونوزجه اطهلى خليل قبودان وخورشيد قبودان وهما دايت
 محققون ويااسليم قبودان وأحمد شاهين قبودان وخورشيد قبودان الملقب بأبى فصاده ومحمد
 راشد قبودان وسليم قبودان ومرجان قبودان وويسل قبودان وابراهيم قبودان الملقب بقره كوز
 وعثمان قبودان الملقب بقحاح وعثمان قبودان الملقب بالثوبى وسليمان قبودان الملقب بالبيرقدار
 ومصطفى قبودان الملقب بالبلاجوى وبوججه اطهلى أمين قبودان وبوججه اطهلى سليمان قبودان
 ومطون قبودان وغيرهم ممن لم نذكر على اسمائهم

حيث صارت الترسانه بعد استقالة سرى بك وسفره ناجحة في أعمالها كما كانت بل ازدادت هممة مهندسيها الوطنيين عن ذى قبل واجتهد حسن بك الشعران ومحمد بك الاستانبولى في العمل بجد ونشاط واتقان حتى بلغت العمارة المصرية درجة وأهمية عظيمتين جدا وكان المرحوم محمد علي باشا جعل عثمان بك نور الدين سر عسكر اعلى الدولتين المصرية مندسنة ١٢٤٣ هـ وقد بذل هذا الرئيس الماهر قصارى جهده وعنايته في اكمال التعليمات وتنظيم قواعدهما كما كان يصدره دائما من الاوامر على رجال البحرية لتطبيق القوانين على التعليمات واهتم بقبودانات السفن بتنفيذ هذه الاوامر بالدقة حتى بلغ النظام بالاساطيل المصرية فوق ما كانت تتطلع اليه الآمال وكان يخرج بالسفن سنويا زمن الصيف لاجراء المناورات وتدريب الجنود على الحركات البحرية الحربية مدة ثلاثة شهور حتى وصلت العمارة المصرية بدرجة رفيعة جدا وأصبحت تماثل عمارة الدولة العلية في العدد والعدد وليس القطر المصري بها حلة الفخر حيث لم ير مثلها جميع الدهر سيما عند ما بنى المنار الموجود الآن برأس التين وازداد به الامن على السفن الصادرة والواردة الى ميناء الاسكندرية وكان المباشر لسنائه المهندس الشهير مظفر باشا وجعل ارتفاعه ستين مترا ونوره يشاهد من ١٦ ميلا بل أكثر من ذلك وبينما كان العزيز مشتغلا بهذه الاصلاحات قامت الحروب الشامية الآتى ذكرها

الحروب الشامية - قال بعض المؤرخين ان سبب هذه الحروب الدولة الفرنسية لانها هي التي حرقت محمد علي باشا على القيام بتوسيع مملكته من الجهة الآسيوية لينال بذلك الاستقلال وتشتغل الدولة العثمانية بجمعها عن المداخل في مسألة بلاد الجزائر التي احتلتها فرنسا سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠ م) وقال آخرون ان الدولة العلية لما وعدت محمد علي باشا بولاية البلاد اليونانية وحالت الظروف دون تنفيذ وعدها وأعطته جزيرة كريد مكافأة له على صداقته ومساعدته تطوع المشار اليه لبلاد الشام بدلا عن مورده والتمس من جلالة السلطان محمود خان ضم بلاد الشام الى مصر بدلا مما استرد منه من بلاد اليونان فرفضت الدولة ملتزمة ثم بعد قليل عن له أن يطلب عبد الله باشا والى عكا بما له في ذمته بقى له من المبالغ التي كان أقرضه اياها عقب عصيانه على الدولة سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) وكان السلطان محمود أرسل على هذا الوالى جيشا لتأديبه تحت قيادة درويش باشا والى دمشق وكان عبد الله باشا التمس من محمد علي باشا أن يتوسط بينه وبين الدولة على يد الامير بشير حاكم لبنان فعفت عنه الدولة اكراما لمحمد علي باشا واعادته الى ولاية عكا بشرط أن يدفع لها ٦٠,٠٠٠ كيسة مقدما ولما لم يكن مع الوالى المذكور كل هذا المبلغ اقترض نحو خمسة من محمد علي باشا ولم يقم بسداده في ميعاده فلما كانت حروب هوره اضطر محمد علي باشا الى المال ليصرفه في التجهيزات العسكرية فطلب ذلك المبلغ من عبد الله باشا الذي جاوبه بجواب لم يرضه محمد علي ومما زاد الخلاف أيضا بينهما مساعدة عبد الله باشا المهرى البضائع من الجمارك المصرية الى حدود الشام واعانتة للفارين من فلاحى مصر على ترك أوطانهم الاصلية والاقامة بالجهات الشامية ولما رفع محمد علي باشا هذه القضية الى الباب العالى أجابه بأن الشام ومصر كلاهما من الولايات السلطانية بحيث يستوى لدى السلطان أن يعاياه يقيمون في أيتهما شاءا فكتب محمد علي باشا والى عكا مرة ثانية في رد رعاياه المتجنين اليه فأجابه بجواب شديد اللمجة فتغير خاطر محمد علي باشا من ذلك جدا وشرع من وقتئذ

في عمل المعدات العسكرية (١٢٤٧ هـ) وبعد قليل سافرت القوة المصرية وكانت تتألف من ستة
الايات من البيادة ومثلها من السوارى و ٤ مدفع اصغير و عدة من مدافع الحصار وكل ما يلزم من
الذخائر والماء كولات والمياه العذبة لقاتلها بين مصر والشام سائرة من طريق العريش وكان على هذا
الجيش أشهر قواده مثل أحمد باشا المنكلى وسليم بك الخجازى وسليم بك المنسترلى وحسن بك
المناسترى وغيرهم ثم جهز جيشا آخر وأرسله مع ولده ابراهيم باشا وجعله القائد العام وسافر بطريق
البحر مع ضباط أركان الحرب وهم عباس حلمى باشا وسليمان باشا الفرنساوى و ابراهيم باشا يكن
المعروف بالصغير وبجربى بك رئيس الكباب ومصطفى أغا بربر و ابراهيم أغا الجوخدار وخرجوا على
أسطول مصرى مؤلف من ١٦ سفينة حربية و ١٧ سفينة نقلية وكان القائد لهذا الاسطول
عثمان نور الدين باشا وذلك في غرة جمادى الاولى من سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) وبعد خمسة أيام
وصل الى حيفا ونزل بها ولما اكمل ورود العسكر تقدموا واستولوا في زمن قليل على غزة ويافا ثم سار
الى عكا وحاصرها ثم حضر المستر بيزاوث فنصل انكلترة في بيروت وتقابل مع ابراهيم باشا في خيمته
ولما كثر على هذا العمل وحضوره بهذا الجيش الى الشام بلا تصریح من الدولة العثمانية وقال له ان
هذا الاعمال لا توافق عليها دول أوروبا وبالمطالفة في مقدمتهم انكلترة فاعتناط ابراهيم باشا سرا و اجاب به
بقوله انى حضرت بهذا الجيش بامر والى مصر لاستخلاص هذه الديار انتقاما من واليهما عبد الله باشا
الجزاير فاذا كان هذا لاوافق الدولة البريطانية فعليا بخبايرة والذى بعصر ثم قام وتركه وشدد
الحصار على عكا وأمر سر عسكر الدونما المصرية بضرب القلاع بحمرا فتقدم بالاسطول
(ديسمبر ١٨٣١ م) وصف سفنه حول حصون عكا نصفها عسكر باو كان الاسطول يتركب
من تسع سفن حربية وهى الفرقاطة كفر الشيخ وعليها القبودان بريسك الانكليزى والفرقاطة
الجعفرية وقبودانها نغمه لى أحمد قبودان وعليها علم السرعسكر والفرقاطة البحرية وعليها
عبد الطيف قبودان (وهو الذى تولى نظارة البحرية فيما بعد) وتحمل علم القائد الثانى للاسطول الرياله
مصطفى مطوش باشا والفرقاطة رشيد وعليها السيد على قبودان والفرقاطة شيرجهاد وعليها نورى
قبودان والفرقاطة مفتاح جهاد وعليها مصطفى قبودان الجزائرى والفرقاطة دمياط وعليها هدايت
محمد قبودان والقرويت بومبه وعليه بيجان قبودان والقرويت رهبر جهاد وعليه على رشيد قبودان
الجزائرى وكان بهذه السفن ٣٨١٠ ملاحين و ٤٨٤ مدفعا وأخذت هذه السفن فى اطلاق
المدافع على حصون عكا طول النهار فلم تصبها بضرر يذكر لثباتها ثم رست مع باقى سفن الدونما
التي لم تسترک في الحرب وفي خلال ذلك التقت فرقة من الاسطول المصرى وكانت تتجول فى
تلك المياه بالدونما العثمانية التي كانت تحت قيادة خليل باشا رفعت بين جزيرة رودس وشواطئ
الاناضول ولما علم عثمان نور الدين باشا بذلك أقطع بياقى الدونما المطاردة السفن العثمانية التي دخلت
ميناء مرمرس فاكتفى بمحاصرتها وبقى على ذلك حتى أمره ابراهيم باشا بالعودة الى اسكندرية فعاد
ووصل محمد على باشا ضباطها بما طيب خاطرهم وذلك فى ٨ شوال من سنة ١٢٤٨ وفى هذه السنة
احترقت الفرقاطة الجعفرية بقضاء وقدرا وهى راسية امام هويس المحمودية وفيها استولى ابراهيم
باشا على عكا بعد حصارها ستة شهور وقبض على واليهما عبد الله باشا الجزاير وأرسله الى نغرا اسكندرية
فقاله محمد على باشا بالاعزاز

ولما وصل خيرسقوط عكاه الى الدولة اندهش رجالها لظنهم متانة حصونها وانها لا تؤخذ ولذلك اهتمت الدولة باسباب صد ابراهيم باشا الذي أرسل فرقة عسكرية تحت إمرة حسن بك المناستري الى بلاد الساحل فاستولى على صيدا وصور وبيروت وطرابلس وباقي الثغور ثم بعد ان تمكن ابراهيم باشا من عكاه توغل بجيشه فكان كلما وصل بلداً أو نزل على قبيلة سلمت اليه بلا حرب وسأقت الدولة عليه جيشا تحت قيادة السر عسكر حسين باشا فحصلت بينه وبين ابراهيم باشا وقعات شديدة بقرب حصن وعضيق بين الان بالقرب من بعلبك ثم انهزم الجيش العثماني ولما علم السلطان محمود خان بما حصل لجيشه مال الى المسألة فراسل محمد علي باشا في ذلك فأجاب بالقبول بشرط ان الارض التي استولت عليها جنوده تبقى له فتوقف السلطان في قبول هذا الشرط واستعان بدول أوروبا وبعدها ان رفض وساطتها في مبدل الامر وبدأت كتابة الروسية في ذلك وكانت غاية ما تمتناه التدخل في أعمال الدولة فتعرضت دولة فرنسا للمعاكسة واذ ذلك مساعدة منها ل محمد علي باشا وتشجيعه له فرجع السلطان لحل المشكلة بنفسه ووجه جيشا آخر تحت قيادة الصدر الاعظم محمد رشيد باشا فتلاقى مع جيش مصر عند قونية ولما التقى الجمعان انهزم جيش محمد رشيد باشا بعد أسره واستولى ابراهيم باشا على عشرين مدفعا وكثير من الادوات والذخائر الحربية ثم تقدم ابراهيم باشا حتى وصل بجيشه الى كوتاهيه وعند ذلك طلب السلطان وساطة أوروبا وطلب المساعدة من الروسية بالفعل وعقد معها اتفاقية هنكارا سلكه سى المشهورة فأرسلت عشرين ألف عسكري الى بيكوزب ساحل البوسفور وأسطولا بالبحر الاسود ليكون تحت تصرف الدولة ولما بلغ الجنرال مورافيف (Mouravieff) ذلك الى سفير فرنسا الموسيو دو فارين (Varenes) أظهر هو وسفير انكاستره للسلطان وخامسة التصريح لعساكر الروسية بوضع قدمها بأراضي الدولة وتدخلها في الامور رسميا وبعد مخبرات عقدت الدولة مع ابراهيم باشا معاهدة كوتاهيه سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٣ م) وكان من شروطها أن يتقلد محمد علي باشا ولاية الشام ومصر ويتقلد ولده ابراهيم باشا ولاية اطنه والحجاز وبذلك اجتمع ل محمد علي باشا بلاد مصر والشام والسودان والحجاز وجزيرة كريد ثم أراد محمد علي باشا ادخال أهل كريد تحت النظام العسكري فلم يرضوا واخلعوا الطاعة فأرسل عليهم عثمان نور الدين باشا سر عسكر الدولة المصرية بقوة عسكرية ل اخضاعهم فتمكن بعد ان تعهد رؤسائهم بعدم وصول الاذى اليهم الا أن محمد علي باشا لم يرض بذلك ورأى ان لا بد من قتل رؤساء القسنة ولهذا بقي عثمان نور الدين باشا متحيرا بين أمرين صعبين الاول كونه تعهد للكريديين بعدم وصول الاذى اليهم والثاني تشديد العزب في اعدام رؤساء القسنة أما عثمان باشا فانه آثر الاستقالة والهرب عن البقاء في خدمة مصر (١)

(١) عثمان نور الدين باشا هذا أصله من جزر تديلي وواق بالديار المصرية فادخله محمد علي باشا في مدارسه الحربية ثم بعد ان عم الدراسة فيها بعثه الى بلاد فرنسا لانعام التعليم فاقن فيها الفنون الحربية البحرية وتوعد الى اسكتندرية فألقبه بحريته ولما ظهر للعزب زاجته وولياقته واستعداد غنينة سر عسكر على الدولة المصرية سنة ١٢٤٣ هـ بدلا عن صهره محرم بك الذي انقرد به بعد ثذبا عمال محافظة الاسكتندرية ولما كان صاحب الترجمة من أمهه رؤساء البحر لقيه العزيز برئيس رجال البر والبحر وكان لا يناديه الا بلقبته ولدى عثمان ولا يكتب له الا بما احتى انه بنى له منزلا خصوصا في غربي سراي رأس التين على ساحل الميناء لتكون اطلته به على مقربة من سراي الخديوية ومن سفن الدولة الموضوعه تحت إمرة الى أن حصلت الحوادث التي تسبب عنها هربه واختلف الرواة في أسباب موته فقالوا انه مات مسموما

وركب سفينة مصرية صغيرة وأقلع من جزيرة كريدبدون أن يعلم أحد بقصده ولما وصل الى جزيرة مدالي رد السفينة ثم توجه الى الاستانة وتوفي بها وعين محمد علي باشا بدله على رياسة الدونما مصطفي مطوش باشا (١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م) وجعل يسيون بك الفرنساوي وكيله عليها وعين مصطفي بك الكريدي الملقب ببشا كاكلي بوظيفة رياله (أي كونتراميرال) ثم أرسل بأمر باعدام رؤساء الثورة في كريدو بادخال شبان الجزيرة بالعسكرة قهرا فاشتعلت فيها نيران الفتنة ثابته وامتدت الى أكثر جهاتها وبقيت كذلك الى أن أعيدت الجزيرة للدولة هذا أما الدولة العثمانية فانها المارات انحطاط منزلتها امام الدول وانتصار جنود محمد علي على جنودها شرعت في تنظيم جيوشها وتجهيز أساطيلها فعززتها بالسفن الجسيمة التي شيدتها لذلك وأخذت تحت الشاميين على خلع طاعة محمد علي باشا فساعدتها المقادير وذلك ان محمد علي باشا لما قصد ادخال شبان أهل الشام في عسكره قامت عليه جميع أهالي البلاد واشتعلت نيران الفتن واتسع الخرق وأخذ محمد علي باشا يد ولده ابراهيم باشا بالجيوش والاموال ثم توجه هو بنفسه الى الامير شبل العريان أمير جبل لبنان واتحد معه فتمسره له انجاد الثورة والقبض على رؤسائها ووجد الاهالي من الاسلحة فهذات الحال في الظاهر ووطن محمد علي انه قد تمكن بذلك من الشام فما كان من شبل العريان شيخ الدر والذكو الا أن خلع رداء الطاعة ونصب شبانك الحليل لصيد عساكر مصر وتحصن بجباله وصار يقاتلهم حتى أفضى الكثير منهم فاضطر ابراهيم باشا الى استمالة طائفة الموارنة اليه فساعدوه حتى أطفأ نار الفتنة وأعاد الطمأنينة وكان محمد علي باشا في تلك المسدة يكرر الطلب بعد الطلب من الدولة بأن تجعل مصر والشام والحجاز لا ولاده من بعده فقال السلطان لاجابته في مصر والحجاز وان تكون ولاية الشام له مدة حياته فقط الا أن محمد علي باشا لما تم تسكين الاضطرابات الشامية قام بمخاطرة الوصول الى غاية أرفع مما كان يطلبه فخاطب الدول رسميا بواسطة قناصلهم في مصر طالبا الاستقلال وتحديد بلاده فعارضه القناصل في ذلك بصورة ودية وأقنعوه حتى قبل بما كان يطلبه أولا من أمر الوراثة وفي خلال ذلك سافر الى السودان لمشاهدة معدن الذهب كما تقدم ذكر ذلك في أخبار السودان وترك الدول وشأنها في المسئلة المصرية (١٢٥٤ هـ) وكانت الدولة العلية تمكنت من تنظيم جيوشها فجهزت جيشا عظيما تحت قيادة السير عسكر حافظ باشا وأرسلته الى الجهات الشامية فأخذ هذا الجيش في بناء الاستحكامات تجاه معسكر الجنود المصرية فكتب ابراهيم باشا الى والده يعلمه بذلك ويستشيره فيما يصنع وكان الباشا قد عاد من الاقطار السودانية فكتب اليه يحذره من قتال العثمانيين الاعلى الارض التي يحتلها عسكره وبهد ذلك بقليل تقدمت العساكر السلطانية الى جهة نصيبين (نزيب) وهناك التحمت الحرب بين الطرفين واشتد القتال وانجلت بانهازم حافظ باشا وتفر بجيوشه الى مرعش (١٢٥٥ هـ) وفي ذلك الوقت توفي السلطان محمود خان وجلس السلطان عبدا الجيسدخان وفي تلك المدة استولت الدونما العثمانية التي كانت بعماء قبرس تحت قيادة خليل رفعت باشا على ثلاث سفن حربية مصرية منها الفرقاطة كفر الشيخ وقرويتان ولكن تمكن أحد القرويتين المدعو تساح من الهرب والوصول الى نغر الاسكندرية فأخبر بضياح المركبين ولما كانت الخبارات في المسئلة المصرية جارية بين الدول تم الاتفاق بين الروسيان روسيا وانكاستره وفرانسا وانمسا على التداخل

الفعلی لحلها وأخبروا الباب العالی بأن لا یعمل شیاً الا باطلاعهم وكانت فرانساً مساعداً لمحمد علی باشا وانما كثرت معاً کسبته خوفاً من اتساع ملكه وأن لا تضیع منها عدن^(١) المتسلطة علی مدخل البحر الاحمر وكانت اشترتها من مشایخها قبل ذلك بقليل بستة آلاف لیره (١٨٣٩ م ١٢٥٥ هـ) وفي أثنائه ذلك أصدر السلطان عبدالمجید خان فرماناً لمحمد علی باشا بالاعتراف وعما سلف وجعل ولاية مصر وراثیة فی عائلته وولاية عكالة مئة حیاته وأرسله مع رفعت بك أحد رجال الدولة وبعد سفره أرسل خسرو باشا الصدر الاعظم أمر الی دالی مصطفى باشا الامیرال الثاني للدونما العثمانیة الراسیة فی جنق قلعة بأمره بالقبض علی أحمد فوزی باشا القبودان العام وهو المشهور بفراری أحمد فوزی باشا وقتله لعداوة بينهما وقد اتفق ان القاصد الحامل لهذا الامر لما وصل الی جنق قلعة قابل أحمد فوزی باشا المذکور فظن انه مصطفى باشا فسلمه الامر فلما قرأه وشاهد فی حقه أضمر السوء وطوى الخبر علی عواهنه ونزل الی الدونما واتفق أيضاً مع رؤساء السفینة الی کان بهم رفعت بك ولما تقابلا أخبر رفعت بك الباشا رسمياً بحلوس السلطان عبدالمجید وتعیین خسرو باشا للصدر اذ العظمی فأرسل فوزی باشا من یحمل مبیاعته ومبایعة أمراء الدونما الی الخلیفة ویهئ الصدر الاعظم بالمنصب کما هی العادة وذلك لیصرف الانظار عما أضمر فعله ثم أقطع بالدونما قاصداً لتسليمها الی محمد علی باشا واشترائه معه فی العصیان وكانت الدونما تتألف من ٩ غلايين کبيرة و ١١٠ فرقاطة و ٥٠ قراویت وأباریق بها ١٦١٠٧ من الملاحین وخمسة آلاف جندي بری ولما کان القبودان برودس أرسل کتخدها بمکتوب سرى الی محمد علی باشا یخبره بما عزم علیه ولما وصل الی کتخدها قابله محمد باشا بالترحیب وأرسل فی الحال أحداً خصائه علی سفینة تدعی النیسل الی رودس لیبلیغ القبودان باشا سروره مما راسله بخصوصه کل ذلك حصل قبیل وصول رفعت بك الی اسکندرية ولما تقابل رسول محمد علی باشا مع فوزی باشا أفلعت الدونما العثمانیة من رودس ووصلت الی نغرا اسکندرية وكانت الدونما المصریة خارج البوغاز لاجراء التمرینات تحت قیادة السر عسکر مصطفى مطوش باشا ثم دخلت الدونمتان المیناء معاً ولما علم جنود الاساطیل العثمانیة بالامر وكانوا یجهلون حتى ذلك الوقت هرب بعضهم علی الصنادل الی الاستانة لیسلاو کان رفعت بك أتى قبیل ذلك بیضع أياماً وبدخول الدونما العثمانیة فی قبضة مصر تغیر شکل المسئلة المصریة ودخلت فی دوراً کثیراً أهمیة من ذی قبیل وكان ذلك من سوء تدبیر رجال الدولة وفی مقدمتهم الصدر الاعظم وحسن حظ محمد علی باشا الذی صمم علی ابقاء بلاد الشام کلها لیه فعارضته انجلت به بدعوى ان أهالیها غیر راضین بالبقاء تحت إدارة مصر واذ اتقرر بقاءها المصریة فوشک ان یشوروا ویحد ثومان المشاغب والقلقل ما لترضاه أوربا ورعما کان مانعاً لها من انفاذ مقاصدها الخلیفة ووافقها الدول الأخرى علی ذلك وألحوا علی محمد علی باشا باجلاء عسکره عن بلاد الشام فأبى وأمر أسطوله بالاستعداد وأنزل بحریته بالسفن العثمانیة فصارت عساکرها بناتک نصفهم من المصریین والنصف الآخر من عساکرها الأصلیین وفی تلك الاثناء أرسل محمد علی باشا قرویت دمنهور وعلیه مرجان قبودان ببعض مکاتب الی

(١) عدن هی من أشهر فرض جزيرة العرب كانت تابعة قديماً للحكومة الامانية الزيدية وفي سنة ١٥٦٨ م

(٥٩٧٦ هـ) حاصر هاخیرالدين قبودان مراراً ثم استولى علیها أخيراً باسم الدولة العلیة وبعد ذلك زمن استجد أميرها

المذکور قسم بالرتق بالین فأنجده و بقيت علی حالة الاستقلال الی أن ابتاعها الانكليمن مشایخها

سلانيك لتحرريك الارنود على الدولة ولما اطلع رجالها على الامر قبضوا على تلك الاوراق وعزموا
 ايضا على القبض على السفينة المذكورة وبينما كان بعض الاروام يتكلم في ذلك سمعهم ضابط
 مصري يقال له غضنفر قيودان وكان يعرف الرومية فعادوا واخبر قيودان السفينة المصرية بذلك
 فاقبلوا في الحال وعادوا الى اسكندرية ولما رأت الدولة استعداد محمد علي باشا للقاومة بالصورة
 المذكورة صممت على ارجاعه بالقوة واخذت تتداول مع الدول الاوروبوية في هذا الخصوص
 وارسل كل من انكلترة والنمسا اساطيلهما مع أسطول الدولة وكان الاول تحت قيادة السير روبرت
 (Stopford) استوبفورد والثاني تحت قيادة الارشيدوق شاراس متره دريق والثالث تحت قيادة
 بلداوين ولكر الانكليزي المستخدم بالبحرية العثمانية الى سواحل سوريا وسار بالبر جيش عثماني ثم
 استولت الاساطيل المذكورة على بيروت وصيدا وناقوركا وأتى الاميرال ناير ببعض سفن انكليزية
 الى نجر الاسكندرية واطلع محمد علي باشا على ما صممت عليه الدول فرأى محمد علي باشا بعد الامعان
 ان الاولى له الاذعان الى آرائهم فامر بغوص يوسف بك ناظر خارجيته بعد عقد اتفاق مع الاميرال
 المذكور فقدمه اتفاقا في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ م (١) مضمونه قبول اقتراحات الدول واخلاء
 بلاد الشام ورد أسطول الدولة اليها ثم ارسل مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم فرما ناسلطانا الى
 محمد علي باشا بولايته على البلاد المصرية وان تتوارثها ذريته من بعده وصدقت الدول على ذلك ومن
 شروط هذا الفرمان (٢) ان تدفع مصر الى الدولة سنويا ستين ألف كيسه وان لا يزيد عدد الجيش

(١) صورة الوفاق المتعقد بين الكومودور ناير قائد قوات جلالة مملكة بريطانيا البحرية الراسية بسفنها قبالة
 الاسكندرية من جهة وسعادة نوفوس يوسف بك ناظر خارجية سيمو نائب السلطان الى مصر المرضى من سموه من
 جهة اخرى ومحرر ومحمض في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ (البند الاول) حيث ان الكومودور ناير بصفته المذكورة
 احاط علم سمو محمد علي باشا بما بدته الدول من التوصية به الى الباب العالي لاجل اعادته في ولاية مصر بطريق
 التوارث ولما رأى سموه ان في هذا المناسبة وسيلة تسع بتوقيف مضار الحروب المنتشرة تعهد سموه باصدار اوامره
 الى ولده ابراهيم باشا بباشرة الانجلاء عن سور بالبحال بتسليم الاسطول العثماني حال وصول التعريرات الرسمية
 اليه من لندن الباب العالي مؤذنة بتوليته مصر بطريق التوارث على حين هي لم تزل وما زالت مكفولة له من قبل الدول
 (البند الثاني) يعين الكومودور ناير بارجه من وارجه فتكون رهيته اوامره الحكومة المصرية لتتقل الى سوريا
 المأمور الذي يعينه سمو محمد علي باشا لاجل ايصال اوامره ويعين قائدا لقوات البر بتانية سيرستو بفوردين قبله هو
 أيضا ضابطا يلاحظ تنفيذ هذه المهمة (البند الثالث) بالنسبة لما سبق ابراده بتعهد الكومودور ناير بتوقيع
 الاعمال العدوائية من قبل القوات البريطانية ضد الاسكندرية وباقي الممالك المصرية ويرخص في الوقت
 نفسه للسفن الاجنحة تصد نقل الطرحى والمرضى وباقي العساكر المصرية التي تريد الحكومة المصرية ارجاعها
 الى بلادها عرا (البند الرابع) من المعلوم ان للعسكرة المصرية ان تعجل عن سور ياندافعها وألحقتها وتحويلها
 وذخرتها وأمتعتها وكل ما كانت تتألف منه المهمات العسكرية بوجه عومي وتحرر من هذا الاتفاق صوران أصليتان
 اه قاموس القضاء والادارة الامضاآت ناير (Napier) بوفوس يوسف بك

(٢) صورة المخط الشريف الهمام في المانع محمد علي ولاية مصر بطريق التوارث تحت شروط معلومة مؤرخ
 في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٦

وأنا بامر ورماعه ضمموه من البراهين على خضوعكم وتأميناتكم وصدق عموديتكم لذاتنا الشاهانية واصلمه
 انما العالي فطول اختباركم ومالككم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة ادارتها لكم من مدتم بدلة لا يترك لنا ريبا
 بأنكم قادرون بما بدونه من الغيرة والحكمة في ادار شؤون ولايتكم على الحصول من لذاتنا الشاهانية على حقوق جديدة

المصري عن ١٨٠٠ عسكري يكون زعيمهم ونظامهم كالمتبع في جيش الدولة وانه يجب على كل

في عطفنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون في الوقت نفسه احسانا لنا اليكم قدرها وتجتهدون ببيت هذه المزايا التي امرتم بها في اولادكم وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم في الحكومة المصرية المدينة حدودها في النحر بطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الاعظم ونحنناكم فضلا على ذلك لولاية مصر بطريق التوارث والشروط الآتي بيانها متى خلسنا من منصب الولاية المصرية تمهد الولاية الى من نتخبه سدا لنا الملوكية من اولادكم المذكور وتجري هذه الطريقة بنفسها بحق اولادهم ولم جرا وانا اقرضت ذريبتكم المذكور لا يكون لاولادنا عائلتكم المذكور حتى أيا كان في الولاية وانها ومن وقع عليه من اولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور الى الاسنانة لتقليده الولاية المذكور وعلى ان حق التوارث الممنوح لوالى مصر لا يخضع رتبة ولا لقبنا أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقهم ولا حق التقديم عليهم بل يعامل بذات معاملة زملائه وجميع احكام خطننا الشرى بها الما في الصادر عن كلنا وكافة القوانين الادارية الخارى العمل بها وتلك التي سيجرى العمل بموجبها في محال كسنا العثمانية وجميع اليهود المعقودة والتي تستعد في مستقبل الايام بيننا العالي والدول المتحابية يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر ايضا وكل ما هو مفروض على المصر بين من الاموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكي ولكن لا يكون اهل مصر وهم من بعض رعايانا العالي معروضين لضاروا الاموال والضرائب غير القافية يجب ان تنظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة تربتها في سائر المعالك العثمانية وتربيع الارادات الناتجة من الرسوم الجمركية ومن باقي الضرائب التي تحصل في الديار المصرية يتحصل تمامه ولا يخص منه شئ ويؤدى الى خزينة باينا العالي العامر والثلاثة الارباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وتنفقات الولى وبأمان الغلال المزروسة مصر بتقدمها نحو الى البلاد المقدسة مكة والمدينة وبقي هذا الخراج مستردا دفعه من الحكومة المصرية بطريقه تأديته المشروحة مدة خمس سنوات بتسديت من عام ١٢٥٧ أى من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن ترتيب حالة اخرى بشأنهم في مستقبل الايام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلية ووقع الظروف التي ربما تجدي عليها ولما كان من واجبات باينا العالي الوقوف على مقدار الارادات السنوية والطرق المستعملة في تحصيل العشور وباقي الضرائب وكان الوقوف على هذه الاحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فنظرت في ذلك فيما بعد ويجري بما يوافق ارادتنا السلطانية ولما كان من لزوم ان يعين باينا العالي ترتيبا لسلك النقود لما في ذلك من الاهمية بحيث لا يعود يحدث فيها اختلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتي السنية ان تكون النقود الذهبية والفضية الخائر لحكومة مصر ضريها باسمنا الشاهاني معادلة للنقود المضروبة في ضريها تماما العامرة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها ويكفي ان يكون لمصر في اوقات السلم ثمانية عشر ألف نقر من الجند للعحافظة في داخلية مصر ولا يجوز ان تتعدى ولا يتسكم هذا العدد ولكن حيث ان قوات مصر العسكرية بمعددة لخدمة العباب العالي كاسوة قوات المملكة العثمانية الباقية فنسوغ ان يزداد هذا العدد في زمن الحرب بما جرى موافقا في ذلك الحين على انه يجب القاعدات الجديدة المتبعة في كافة محال كسنا بشأن الخدمة العسكرية بعد ان تقدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدات يجب اتباعها ايضا في مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة في الخدمة حالا عشرون ألف رجل ليتدوا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألف رجل في مصر وترسل الالفان لها لاداء مدة خدمتهم وحيث ان خمس العشر من ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فبقوا خدسنا من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدات المقررة من نظام العسكرية حين نصب القرعة بشرط ان تستعمل في ذلك مواجب الانسانية والزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستمائة خندى من الجنود الجديدة والاربعمائة يرسلون الي هنا ومن أم مدة خدمته من الجنود المرسله الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر رجعون الى مساكنهم ولا يوغر طلبهم للخدمة مرة ثانية ومع كون مناخ مصر رعايتهم اقسى خلاف الاقشاة المستعملة للمبوسات العساكر فلا بأس في ذلك فقط يجب ان لا تختلف هيئة الملابس والاعلام التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية وكذا ملابس الضابطان وعساكرهم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحر المصرية ورايات سفنها يجب ان تكون مماثلة للملابس ورايات وعلاهم رجالاتنا وسفننا والحكومة المصرية ان تعين ضباطا برية وبحرية حتى رتبة اللازم اما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا

من شوى مصر الحضور الى الاستانة ليقبله الولاية من يد الحضرة السلطانية وغير ذلك من القيود وتاريخ هذا الفرمان ٢١ ذى القعدة من سنة ١٢٥٦ هـ (١٣ فبراير ١٨٤١ م) ولما عادت الدولت العثمانية هرب فيها بعض ضباط من بحرية مصر منهم سليمان قبودان الوردلى وبصدر وهذا الفرمان وتسليم الدولت انقشعت تلك الغيوم وخضعت الحكومة المصرية لتبوعها الا تخم وسلطانها الاعظم وعادت الروابط الى ما كانت عليها من قبل وانتهت المشكلة الشامية قوة محمد على باشا العسكرية في العهد المذكور - اجمع كل الذين تكلموا عن جنود مصر أثناء تلك الحوادث انها بلغت سنة ١٨٣٩ م ٢٧٦,٦١٦ جنديا (١) وبلغ ما كان يصرف عليهم ٣٣,٥١١,٥٠٠ من الفرنكات ومن الاعمال العسكرية التي اوجدتها المرحوم محمد على باشا أيضا الاستحكامات العديدة التي شيدتها بانحاء مصر تحت مرقبة المهندس الفرنسي ميسو جليس بك ووضعت فيها المدافع والآلات الكافية ورتبت لها الجنود اللازمة وسنت لها القوانين والنظامات حتى أصبحت البلاد في منعة كافية لمقاومة من يقصدها بسوء

الشاهانية ولا يسوغ لوالى مصر أن يشتكى من الاقتصار فسادنا حريه الا باذننا الخصوصى وحيث ان الامتياز العظمى ووراثة لولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه في عدم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والعاية للجمال وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف المملوكى كى تقدر واؤتم وأولادكم قدرا احسانا الشاهانى فتعتنون كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحمون أهالى مصر من كل فعل الكراهى وتكفلون أمنيتهم وسعادتهم مع الحذر من مخالفة أوامرنا المملوكية واخبارنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهوده ولايتها لكم اه قلموس القضاء والادارة

ثم صدر فرمان آخر في التاريخ المذكور عهده محمد على باشا والى مصر ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع نوابها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث وبعض شروط أخرى ثم صدر فرمان آخر بتاريخ غرة يونيو سنة ١٨٤١ يؤيد فرمان الامتياز والوراثة السابق ذكره ومفح والى مصر فيه أن يرقى الضابطان البرية والبحرية حتى رتبة أميرالاي أما الترقى لما فوق هذه الرتبة فيطلب من الذات الشاهانية لتصدر بذلك أوامرها المملوكية بفتح الترتيب

(١) منها الألى غارديا كان في حصن رجالة ١٣٧٢ نفر وألى طوبجية يياده فى الاسكندرية كان به ٢٣٤٩ نفر وألى نائى طوبجية يياده ١٩٤٩ نفر وألى طوبجية سوارى فى حصن ٩٢٢ نفر وأربع بلوكات طوبجية متفرقة فى عسكار ٣٣٧ نفر وأورطة طوبجية فى الجزار ٣٧٩ نفر وأليات البياد الغارديا كان بها ٨١٢٨ نفر وألى غارديا سوارى به ٧٩٦ نفر وألى زرخ ٨٤٤ نفر اجموعهم ١٧١٧٦ نفر أما عسكار البياد فكانت ٣٥ ألياها من العسكار ٩٠٢٤٩٥ نفر و ١٥ ألى سوارى بها ١٠١١٤ نفر وأربع أورطامدانية فى القاهرة بها ٣٩٨٠ نفر وألى بلطجية فى عسكارها ٨١٢ نفر وأورطامدانية فى عسكارها ٧٥٨ نفر وأورطامدانية فى الاسكندرية بها ٨٠٨ نفر وبلوك لعجبة فى القاهرة به ٩٤ نفر و ١٦ باسكا موزعة فى الاقاليم بها ١٦٧١ نفر وعسكار خفر القاهرة ٢٨٥ نفر وعسكار ججبية بمصر القديمة ١٨٥ نفر وألى السرعة ١١٥٢ نفر وأورطامدانية بطرابلس بها ١٦٤١ نفر وأورطامدانية بنقلها بها ٨٥٥ نفر وبلوكين إمدادية بالجزار بها ٣٠٠ نفر وكذا بلوك من حاملى القربان به ١٠٦ نفر اجموع العسكار المنتظمة التي كانت تحت السلاح اذذاك خلاف الرديف على ما ذكره كلوت بك فى تاريخه ١٣٠,٣٠٢ وجموع رجال الباشبوزق ٤١٦٧٨ نفر وعسكار الرديف والعربان الذين كانوا بمصر والاسكندرية ودمياط ورسيد وبلوك ٤٧٨٠٠ نفر وكان يدارس الطوبجية والسوارى والبياد والبحرية ١٢٠٠ تلميذ وكان البولوش ١٥٠٠٠ عامل الجميع ٢٣٥٩٨٠ نفر واذا أضيف اليهم جنود الدولت المصرية البالغ عددهم ١٩٥٣٩٩ نفر و جنود الدولت العثمانية التي سلمت لمحمد على باشا البالغ افرادها ٢١٠٧,٠٧ كان الجميع ٢٧٦,٦١٦ نفر

ولما كان من الهبات الالهية التي وهبها الله لحمد علي باشا معرفته قدرا للمعارف مع عدم ممارسته لها أرسل في سنة ١٢٦٠ هـ أنجاله الى باريس ومعهم سبعون طالبا وأنشأ لهم هناك مدرسة مستقلة ليتعلموا بعد اتمام دروس هذه المدرسة الفنون العسكرية وغيرها ولم تزل الارشاليات تذهب الى فرنسا ثم تحضر الى مصر وينظم طلابها في الادارات العسكرية والاعمال الهندسية كانشاء المباني والسرع والقناطر والحصون وادارة المصانع والمعامل المختلفة مثل معامل الزيوت والصابون والشمع والعطريات وتكرير السكر والاسلحة النارية والبيض والحياكة والتجليد وصناعة الورق وغير ذلك مما يطول تعداده وقد شرح ذلك كله المسيو بريكالده الطلياني في تقرير حرره بهذا الخصوص

الحقبة البحرية في عهد محمد علي باشا - سبق القول في المقدمة وعند الكلام على تجديد الدونما المصرية وإنشاء دار صناعة الاسكندرية بما كان للرحوم المشار اليه من العناية في ذلك حتى أصبحت أساطيل مصر كأعظم ما يكون ولما مات الاميرال الثاني بسيمون بك الفرنسي تولى بعده الموسيو هووسار بك (Haussar) وكان استقدمه محمد علي باشا لتعليم ولده الأمير محمد سعيد باشا الفنون البحرية ولما أحرز سعيد باشا من ذلك نصيبا تعين قبودانا على قروي بتدمهور برتبة صاغقول أعامى وجعل في معيته الموسيو كتيك والبوز باشية عرفان قبودان (صار أخيرا باشا وتوفي) وذوالفقار قبودان (وهو ذوالفقار باشا ناظر الخارجية سابقا) والمرحوم والدي سرهناك قبودان بوظيفة مفردات (١٢٥٦ هـ) ولما توفي مصطفى مطوش باشا سرعسكر الدونما المصرية (١) بعد ذلك بسنتين نصب محمد علي باشا ولده محمد سعيد باشا مكانه سرعسكر اعاما على الدونما المصرية وسواريا للغليون المسمى بنى سويف وصار هووسار بك المندكور أميرالانيا ومعه البوز باشي منوبلي (Manueli) مسترجاله وكان أغلب رؤساء الدونما يوظفون في ذلك الوقت في مصالح دار الصناعة مدة اقامة الدونما في ميناء الاسكندرية وأمر محمد علي باشا اذ ذلك بعمل حوض في الترسانة وأحال هذا العمل على مظهر باشا وبمجت باشا وكان قد قدم حديثا من أوروبا بوضع اليه الميالن بك ثم موجيل بك وهو الذي قام بإنشاء الحوض المندكور وكان تمامه سنة ١٢٦٠ وعاد هذا العمل على سفن مصر والسفن الاجنبية بالفوائد العظيمة وفي هذا الوقت استعملت الخنازير والسلاسل في السفن المصرية بدل الاحبال (١٢٥٧ هـ) فترقت بذلك حالة السفن وقد عثرت على أسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها في الوقت المندكور محررة بيد المرحوم حسن باشا الاسكندري عند ولده صاحب السعادة محسن باشا فاوردتها هنا كالاتي اتماما للفائدة

(١) مصطفى مطوش باشا هذا أصله من قوله وكانت صناعته قبودانا بالمرآكب التجارية ولما قدم الى البير المصرية استخدمه محمد علي باشا في دنونته وكان يتق به ويعلم مقدار معارفه البحرية فجعله كوكيل للدونما التي بعث بها لمساعدة الدولة في حرب مور (١٢٣٦ هـ) وحضر واقعة نوارين (١٢٤٣ هـ) ثم جعل ويس أميرالالدونما التي أرسلت لضرب مكاتحت قيادة عثمان نورالدين باشا (١٢٤٧ هـ) ثم جعله محمد علي باشا سرعسكر اعلا للدونما المصرية بدلا عن عثمان باشا (١٢٤٩ هـ) وكان اصحاب الترجمة ولدان أحدهما يسمى صقر بك والاخر صالح بك فألحقهما محمد علي باشا في المدارس البحرية واستخدمهما في الدونما ووزج صاحب الترجمة ولد صالح بك بآية المرحوم حسين باشا والي الجزائر الذي اتخذ الاسكندرية دارا لجمته بعد احوال فرانسوا البلادوقد بقى صاحب الترجمة رئيسا على الدونما المصرية الى أن توفي سنة ١٢٥٩ هـ

(سفن الغليون المعروفة بالقباني)

أسماء قنوداتها	أسماء السفن	نوعها	جهة انشائها	تاريخ تزولها البحر	الطول من القام الى القام بوحه قدم	مقدار الجزء الداخلى بالماء من المؤخر بوحه قدم	مقدار الجزء الداخلى بالماء من المقدم بوحه قدم	ارتفاع ما بين ٢ جى بطريه الى الكوكريه بوحه قدم	ارتفاع ما بين ١ جى بطريه الى ٢ جى بطريه بوحه قدم	ارتفاع ما بين القريه الى ١ جى بطريه بوحه قدم	رض البطارية الاولى بوحه قدم	طول القريه بوحه قدم	ارتفاع البوردون الكوكريه بوحه قدم	عدد حبات المدافع			جمله المدافع	الطاقه
														الكوكريه	٢ جى بطريه	١ جى بطريه		
أسماء قنوداتها وزن من مسكويه سميدياتها	الجزء الكبيرى	١	اسكندريه	١٢٤٦	٢٠٠	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٣	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
بوزجه اطه كى خليل بك	المشور	٢	»	١٢٤٦	٢٠٠	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٣	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
ظاهر قودان	الاسكندريه	٣	»	١٢٤٧	٢٠٠	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧٠	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٣	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
جر كس بحر وقودان	أبى قير	٤	»	١٢٤٧	١٨٦	٢١٠	٢١٠	٧٠	٧٠	٢٣٠	٤٥٦	١٦١٠	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
حافظ بن ايل قودان	مصر	٥	»	١٢٤٨	٢١٥	٢٤٦	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٦٠	٥٠٠	١٧٧٦	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٩٧
شنان قودان	عكا	٦	»	١٢٤٨	٢١٥	٢٤٦	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٦٠	٥٠٠	١٧٧٦	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١١٤٨
عثمان بك قاق	حصن	٧	»	١٢٤٩	٢٠٢	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧٧٣	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
عثمان قوقى بك	يلان	٨	»	١٢٥٠	١٩٥	٢١٦	٢٠٦	٧٠	٧١	٢٤٠	٤٧٠	١٦٧٠	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	٩٠٠
حسين بنين بك	حلب	٩	»	١٢٥٣	٢٠٣	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٣	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
ازميرلى محمد قودان	القيوم	١٠	»	١٢٥٤	٢٠٢	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٠	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
عبد اللطيف بك	بني سويف	١١	»	١٢٥٤	٢٠٠	٢٣٠	٢٣٠	٧٠	٧١	٢٥٩	٤٨٦	١٧١٠	٤٦	١٢	١٢	١٢	١٠٠	١٠٣٤
الامير محمد سميدياتا	دمشق	١٢	»
حرق قبل انقامه كسيندى																		

اسماء فيرواداتها	فروعها	اسماء السفن	جهتها انشائها	تاريخ انزالها البحر	الطول من القمام للقدم	مقدار الجزء الذي في الماء من المؤخر	مقدار الجزء الذي في الماء من المقدم	ارتفاع البوردو	ارتفاع ما بين القرينة والكوكرنة	عرض الكوكرنة	طول القرينة	عدد وعبار المدافع	جمله المدافع	الطاقفة
حسن باطاه قبودان	فرويت	جهاد بيكر	جنوة	١٢٤١	١٢٤٠	١٣٠	١٤٠	٤٦	١٥٦	٣١٦	١١٦٠	٧	٢٤	١٨٥
مروان قبودان	فرويت	فوه	اسكندرية	١٢٣٨	١٢٥٠	١٤٠	١٤٥	٤٦	١٦٠	٣١٥	١١٨٠	٧	٢٤	٠٠٠
ابراهيم قبودان	فرويت	شاهد جهاد	اسكندرية	١٢٤١	١٢٤٠	١٣٠	١٤٠	٤٦	١٥٠	٣٠٥	١١٧٠	٧	٢٤	١٨١
احمد شاهين قبودان	أبريق	سند جهاد	مرسيليا	١٢٤١	١٠٠٠	١١٠	١٠٠	٤٦	١٣٠	٢٦٦	٩٥٥	٧	٢٤	٨٩
.....	أبريق	بادي جهاد	أمريكا	١٢٣٨	١٢٢٠	١٣٥	١٤٠	٤٦	١٥٥	٣١٠	١١٠٠	٧	٢٤	٨٩
.....	أبريق	غون ٢	١٢٣٩	١٢١	١١٠	١١٠	٤٦	١٣	٢٦٠	١٠٩٥	٧	٢٤	٨٩
.....	أبريق	شهبان جهاد	مرسيليا	١٢٤١	٩٩٠	١٠٠	٨٥	٤٦	١٣٠	٢٦٠	٩٥٢	٧	٢٤	٨٨
.....	أبريق	صانقة	لبفونك	١٢٤٤	١١٠٠	١١٠	٨٥	٤٠	١٢٦	٢٦٠	١٠٥٦	٧	٢٤	٠٠
.....	غولت	قشاح	مرسيليا	١٢٤٢	١٠٣٠	١١٠	٨٥	٤٠	١٥١	٢٦٠	٩٨٥	٥	١٦	٨٨
.....	غولت	غولت جديد	اسكندرية	١٢٥٤	٧٨٠	١٠٣	٨٣	٢٦	١٠٥	٢٣٠	٦٩٥	٢	١٢	٥٢
.....	فرواطة بخارية	النيل	انكزوه	١٢٥٠	١٧٥٠	١٢١	١٠٣	٤٠	٢٣٤	٠٧٠	٦٥٠	٣٠	٠٦	٥٢

وتبيع هذه السفن ثلاث بواب اخرى وهي رابوزا بحري صنع سنة ١٢٦٦ وواوراجيلان بحري سنة ١٢٦٥ وواورالشرقية وهي فيميا بعد قودان بحري من ربيع سنة ١٢٦٤
 كتبت الاله بالندوة واورالشرقية وهو قودان صنع سنة ١٢٦٢ وسفان البحارة الاميرة وهي سفن المنقلوب وغيرها ولم تكن ضابط هذه السفن وقودان انتمها بقى في سفينة واحدة بل كانت تتنقل من سفينة الى اخرى بحسب
 الترتيبات وطرف واف الاحوال وغير ذلك كما هو معلوم

ولما كان المرحوم محمد علي باشا يهتم بمجاراته أروبا في أعمالها الحربية والتجارية وظهر استعمال
 البخار في سفنها أمر دار الصناعة بعمل بواخر حربية فشيدها في زمن قليل بعض البواخر منها النيل
 وأسيوط ورشيد وجيلان خصصها للسفر على التوالي ما بين الاسكندرية والاستانة يريد اعبر على
 بعض المواقيت العثمانية وجعل لها ادارة خاصة سماها بالقوم بانيصة المصرية (١٢٦٤ هـ)
 ولما انتظم سيرها عادت منها منافع ومكاسب كثيرة ثم لما أتمت دار الصناعة إنشاء فرقاطة الشرقية
 أمر فأرسلت الى انكلترة لترتيب آلاتها البخارية وكلف بذلك ناظر الترسانة وقتئذ محمد بك راغب
 المعروف بالاستانبولي وأرسل معه ٢١ نجارا من دار الصناعة ليتقنوا صناعتهم هناك مدة تركيب
 آلات الفرقاطة المذكورة وكانت قوة الآلات المذكورة تقدر بقوة ٥٥٠ حصانا ثم عادت في السنة
 المذكورة وفي هذه السنة تعين خسرو بك الذي كان ناظرا لشئون الغلال باسكندرية وكيلًا لتفتيش
 الدونما وأعيد حسين شيرين بك لغيلون بيلان وتعين القائم مقام البحري محمد رشيد بك متعهد
 السنبلاوين ناظرا لسفائن التجارة الاميرية بدلا عن محمد قرايش قبودان الذي نقل الى الترسانة
 ثم جعل رشيد بك مفتشا للدونما والحاصل ان الاملاحة التي أدخلها العزيز بدار الصناعة وكذا
 عنايته الموجهة لتقدم البحرية جعلها في درجة عظيمة جدا قال المرحوم الشيخ خليل بن أحمد
 الرجبي الشافعي الشاذلي في تاريخه الذي ألفه عن أعمال الوزير محمد علي باشا ما ملخصه ان السفن
 التي صنعها باسكندرية هي مراكب بكل غرض وافيه منها مراكب الحرب الشهيرة وما يبرم من
 العساكر والميرة مشحونة بالآلات الحرب والقتال مملوءة بالجنحانات وكل ما لازم لوقت النزال فله
 أيده الله من الغلابين العظام ما يسر الناظر ويشرح الصدر ويريح خاطر والفرقاطون الذي
 أنشأه باسكندرية قد احتوى على كل معنى رقيق في الصناعة البهية كامل المعاني محكم المبنى
 متين الى الغاية جميل السير في اللجج به من آلات الحرب وعدد الطعن والضرب من البارود
 والمكاحل والبنب والمدفع الذي هو لصد العدو كافل ثم انه بعد تمامه وإحكامه وانتظامه
 أرسله الى جهة الانكليز فصفعوه من سائر جوانبه بالنحاس وحذوه بذلك استجلا بانظاره فحوهم
 وطلب التودد اليه دون الناس فأتموا صناعة ذلك الفرقطون الكبير وبقى كل قابودان اليه بالتعظيم
 والاجلال يشير وله غير ذلك من المراكب الجليلة المقدار التي بلغت غاية الكثرة والاشتهار
 ما يقارب الستين وأما النقاير والمعلى منها فشيء كثير والامر فيه بادشهير وحاصل الامر ان
 المراكب الحربية الكبار مع الاواسط والصغار بالسوية نحو مائة مستعدة كالة الادوات
 والعدة فهي زينة للنظار وبهجة للابصار وصادرة للاعداء من الفجار قول معروف فابغير انكار
 وقد ظهر للعيان واشتهر عند جميع العامة والاعيان ما صنعه من الهمة لكبيرة والقوة والجماسة
 الشهيرة من ارسله تلك المراكب مشحونة بالابطال ملأته بالخاير من سائر الممالك كولات وأنواع
 الغلال والارز والاسمان والزيتون والزيت والاجبان والبن وجميع ما يلزم لطول الازمان
 مع البارود والجنحانات ما كثر جدا وازداد معناه وتوجيحه ذلك كله الى مدائن اقليم كريد نحو
 كنديا وخابيا وغيرهما حرصا عليهم من كيد كل عنيد وذلك في وقت هيجان الروم ونزوحهم
 ونقضهم طاعة الخليفة وشقاق علاوهم فأرسل حضرة الصدر العلى صاحب العز والفخر الخلي
 أتباعه وامر اعيانهم بشراقة حسن باشا ظاهر عليه الرحمة والرضوان وأفاض على برزخه محاسن

نلك المآثر ولم يزل حضرة الصدر العلى كل وقت يجدهم بالرجال والنخار ما لا يحصى كـ
ولادفاتر ولولم يكن منه وفقه الله هذا الصنيع لتملكت الروم مدائن الجريد وحل بالمؤمنين هناك
الهول الشديد وكذلك فعل أيضا بناحية جزيرة قبرس المعروفة فأرسل هناك عساكره مثل ما صنع
بالجريد فهي من الروم مأونة والله در ذلك الصدر كامل المجد على القدر فقد صرف على هذه
المآثر ما لا يحصى من النفود والخارجة عن الحد لقمع كل عدو تأثر فأطال الله بقاءه عربى الفخار
ولابرح محاطا بالعناية على الديار وقد خرجت عدة المراكب وآلات البحرية الحربية والنيلية
عن الحسبان فانها تجاوزت الالف هذا كله مشاهد ومعروف اه وقد بلغ عدد تلامذة المدرسة
البحرية في سنة ١٢٦٣ هجرية ٢٣١ تلميذا

سفر المرحوم ابراهيم باشا لاوروبا - قد كان ألم بباراهيم باشا مرض باطنى فأشار عليه
الاطباء بزيارة أوروبا وباتسبيل الهواء وترويح النفس فسافر في شهر ستمبر سنة ١٨٤٥ م
(القبلة ١٢٦٣ هـ) على باخرة فرنسية تدعى كرو وكان يصحبه في سفره هذا الجنرال سليمان باشا
الفرنسى ومحمد بك قفطان أعاسى والموسى بونفورتر بجان محمد على باشا والموسى بونفورتر بك حاكم باشى
فقد صدقوا لاجامات بلدة سان جيايو من ايطاليا ثم سار منها الى فلورنسة وليقورن وجنوه وسافر
من هناك على احدى السفن الحربية الى طولون فقبل هناك بالاحترام وأطلقت له السفن الراسية
هناك المدافع وقابله المريكزى لأقاليت من قبل ملك فرانسوا وكثير من قواد الاساطيل ومحافظ المدينة
ثم قصد مرسيليا وبعد ان زار جميع معاملها واستعرضت امامه الجيوش الفرنسية سافر الى بلدة
فرنبة الواقعة على جبال البرانس الفاصلة لفرنسا عن اسبانيا للاستحمام بياها ثم قصد باريس
فقبل به بها أحسن مقابلة وزار سراى الانقليس وحيث فيها رجال الحرب والمتقاعدين ثم زار قبر
ناپليون الاول وبعد ان أقام بباريس أياما سافر الى انكلترا عن طريق ديب وبورنسموث فقبله
الاميرال تشارلس أوجل من طرف الحكومة ثم سافر الى لندن (يونيه ١٨٤٦ م) فقبلته
الملكة فكتوريا بالترحاب وشاهد كثيرا من جهات برطانية ودور ضاعتها ومعاملها ثم عاد من فرصة
جسيت على باخرة انكليزية تسمى افنجر عن طريق جبل طارق وأحضر معه عدة مهندسين
لاستخدامهم فى المعامل والفبريقات التى أنشئت فى الديار المصرية وخرج عند عودته على اشبونه
وقادس ومالطة ثم وصل الى الاسكندرية يوم ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦٤ هـ (٢٣ أغسطس
١٨٤٦ م) وقبله هناك سر عسكر الدونمنا أخوه سعيد باشا وجميع قناصل الدول الاجنبية هذا
أما المرحوم محمد على باشا فكان ذهب فى شهر يوليو من السنة المذكورة الى دار الخلافة لتقدّم
فرائض الطاعة للحضرة الشاهانية وليظهر لاوروبا احسن نيته واخلاص طوبته للمجا الخلافة
العظمى ويزيل من فكر رجال الدولة ما كان علق به من سوء الظن به فقبله مقابلة حسنة ثم عاد
الى مصر فى يوم ٤ أغسطس من السنة المذكورة وبعد ذلك بسنة أى فى سنة ١٨٤٧ م ظهر
الوباء فى القطر المصرى فأشار الاطباء على ابراهيم باشا بالسفر ثانية الى مالطة وابتاليا فأقنع
فى ٩ اكتوبر ثم سافر محمد على باشا بعده أيضا الى مالطة ومنها الى نابلى لما أصابه من المرض
وقبالة ولده ولما كان هناك بلغه خبر قيام أهالى فرانسوا بالثورة على ملكهم لوزفيليب

(Louis-Philippe) وخلعهم اياه ومناداتهم بالجمهورية فتكدر من ذلك لما كان بين الاثنين من تمام الارتباط والمودة ثم ازداد عليه المرض وبوالى الضعف على قواه العقلية حتى التزم الاطباء بارجاعه الى القطر المصرى فعاد الى الاسكندرية في اواخر مارث من سنة ١٨٤٨ وحضر بعده نجلها ابراهيم باشا واقام محمد على باشا بسر اى رأس التين ومعه أمهر الأطباء لتمريره والقيام بأمره أما ابراهيم باشا فعاد الى القاهرة وعقد ديوانا تحت رئاسته لادارة أحوال الحكومة مدة مرض والده وأخبر بذلك الباب العالى الذى أرسل فى ١٥ يولييه من السنة المذكورة فرمانا مع أحد رجال الدولة المسمى مطلوب افندى بتولية ابراهيم باشا مكان والده الى أن يتم شفاؤه

(ابراهيم باشا ابن محمد على باشا)

(من ١٨ شعبان الى ١٣ الحجة من سنة ١٢٦٤)

لما ضعفت قوى محمد على باشا العقلية من الشيخوخة واعتزل الاعمال معتكفا بسر اى رأس التين وتقلد ولده ابراهيم باشا أمر مصر بالنيابة عنه سافر مع المندوب السلطانى المذكور الى الاستانة فى ٧ رمضان من سنة ١٢٦٤ على غليون بنى سويف وكان قبودانه حسين بك شرين للشول امام الحضرة السلطانية واستلام فرمان الولاية وكان يعجبه فى سفره هذا كمل باشا زوج أخته وأمير اللواء أدهم بك مدير ديوان المدارس وحسن بك حيدر وكان يخفره سفينتان حريتان مصريةتان هما غولت جديد وقبودانه المرحوم والذى وسند جهاد قبودانه الياس قبودان (١) ولما وصل الى رودس حملته الى الاستانة سفينة عربية عثمانية تدعى المنجودية وبعد ان نال فرمان السلطانى عاد الى مصر وقرئ فرمان باحتفال فى ديوان الغورى بالقلعة (٢٧ شوال سنة ١٢٦٤ هـ) وقد فرح الناس بذلك خصوصا الجنود لما كانوا يملونه فيه من الخير وقد اهتم المرحوم ابراهيم باشا من أول ولايته بالاصلاحات فاتم استحكامات السواحل على الصفة التى أسسها عليها والده وشجعها بالعساكر والاسلحة وآلات القتال وتفقد بنفسه السواحل المذكورة من اسكندرية الى دمياط ورتب أحوالها بمعرفة جليس بك (Galice) باشمهندس الاستحكامات وقتئذ وشيد أيضا استحكامات القناطر الخيرية والعطف وأبى جادو برمبال والعريش والسويس والقصر وما يلزم لحفظ الآبار والعيون بها وورد فى كتاب المسير بحرى القرنسوى ان جليس بك وجد وقت إقامة الاستحكامات المذكورة بالاسكندرية وضواحيها ٨٩٦ دهر بحاجبينة جميعها بالبحر متصل كلها ببعضها بأبى اليها الماء من خليج كسير يشق نجر الاسكندرية ويمتد الى بحيرة مريوط ووجد غير ذلك من الآبار وقد عثرت بين أوراق قديمة من أوراق المرحوم حسن باشا الاسكندرانى مدير

(١) غرقت هذه السفينة فى هذا السفر تصادمها الصخور فى مضيق خزر سافر بجوار رأس غيبانه يوم ١١ شوال من سنة ١٢٦٤ هـ ونجت طائفتها وهما متاهة ومدافعها ثم حوكم ضبطها بالمجلس العسكرى البحرى بحكم على قبودانه بالعدل بلده سنتين مع انزاله ثلاث درجات وعلى محمد قبودان والملازم محمد قبودان من ضباطها بالسجن فى الجبلان لمدة خمس سنوات وصدق ابراهيم باشا على الحكم اه من جريدة الوقائع المصرية سنة ١٢٦٤

دار الصناعة في سنة ١٢٦٤ على كشف ميين لتلك الاستحكامات وما بها من المدافع والذخائر
ولفائده أدرجته هنا كما ترى

أسماء الطوابي	الارتفاع	القطر	أسماء الطوابي	الارتفاع	القطر	أسماء الطوابي	الارتفاع	القطر	
استحكامات رشيد	٠٠	٠٠	طابية السلية	١	٢	٢٠	استحكامات الاسكندرية	٠٠	٠٠
طابية التني	١	٦	طابية المكس	١	٩	٤٠	طابية القنار	٢	٠٦
« العباسي »	١	٦	طابية القرية	١	١	٩	« الصغرة »	١	٠٠
« الطواجنية »	١	٥	طابية أم قبيبه	٢	٤	٥٦	« التراب »	٣	١٢
« المتزلاوي »	٠٠	٣	طابية الملاحة القديمة	١	١	١٤	طابية الاستبالية الجديدة	١	١٠
« محل الشركة »	٠٠	١	« الملاحة الجديدة »	١	١	٣٤	« الاستبالية القديمة »	١	٠٠
برج رشيد	١	١٤	طابية صالحاغا	٢	٠٠	١٣	« الأطله »	٢	٧
قلعة البوغاز	١	١٨	طابية باب سدرة	١	٠٠	٨	قلعة برج الظفر	١	٦
الطابية الشرقية	١	١٠	« كوم الدماس »	١	٢	٩	طابية ظهر منزل القرنيس	١	٦
« الغربية »	١	١٠	استحكامات أبوقير	٠٠	٠٠	٠٠	طابية المضممة	١	٠٠
استحكامات البراس	٠٠	٠٠	قلعة أبوقير	٢	٣	٤٨	طابية مسلة نفعون	١	٠٠
قلعة البراس	١	٦	طابية كوم الشوشه	١	٣	٤٧	طابية قبور اليهود القديمة	١	٠٠
استحكامات دمياط	٠٠	٠٠	طابية كوم العجوز	١	٤	٢٤	« قبور اليهود الجديدة »	١	٠٠
القلعة القديمة	١	٢٠	طابية السدغرة	١	٠٠	١٠	طابية برج السلسلة	١	١
الطابية الشرقية	١	١٠	« السدغرة ٢ »	١	٠٠	١٠	طابية باب شرق	٠٠	٠٠
الطابية الغربية	١	١٠	« السدغرة ٣ »	١	٠٠	١٠	طابية كوم الناطورة	١	١
.....	٠٠	٠٠	« السدغرة ٤ »	١	٠٠	١٠	طابية الدخيلة	١	٠٠

وأمر المرحوم ابراهيم باشا بإيضاد صناعة الاسكندرية ببناء ٢٥٠ شالوبة (نوع مدفعية)
تحمّل كل واحدة منها مدفعين لحفظ البوغازات والاشاتيم وورد في الوقائع المصرية سنة ١٢٦٤ ان
طول الشالوبة الواحدة من الشالوبات المذكورة وهي التي تحمّل مدفعا واحدا ٤٨ قدما وعرضها
١٣ قدما وارتفاعها خمسة أقدام وطول الواحدة من التي تحمّل مدفعين ٥٨ قدما ونصف قدم
وعرضها ١٤ قدما ونصف قدم وارتفاعها خمسة أقدام ونصف قدم وكان رجمه الله مصمما على
تخطيط طريق عسكري من الاسكندرية الى قبر ورشيد لسهولة تنقل العساكر والآلات الحربية
الى تلك الحصون عند الحاجة كما كان مصمما أيضا على ايجاد كثير مما يعود بالمنافع على البلاد وأهلها
اذالم تعالج مدينته (١٣ الحجة من سنة ١٢٦٤) وكان رجمه الله متوسط القائمة ممتلى البدن أشهر
العنين مستطيل الوجه والانف حسن الصوت لايهاب الموت شجاعا مقداما ذا بطش واقتدار يحيا
لعسكره لا يميز نفسه عنهم خصوصا في الاسفار وخلفه بعد وفاته ابن أخيه الحاج عباس حلي باشا الاول
وكان جده يعزه ولذلك اعتنى بتربيته وولاه كثيرا من فروع الحكومة لتدريته وترشيحه بالاحكام

ولذا كان عارفا بالامور واقفا على دقائق أحوالها من قبل الولاية وكان بالاراضى الحجازية لما توفي عامه
بجاء مسرعا لاستلام أحكام البلاد

(عباس علي باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا)

١٢٦٤ - ١٢٧٠ هـ

لما قبض عباس باشا على زمام الولاية المصرية كمنطوق الفرمان السلطاني وجد الامور بمهدة
والاحوال موطدة والنظام مستتب والراحة متوفرة وذلك لحسن الخطة التي اختطها جده وعنه فسار
على طريقهما فأحسن سياسته وحافظ على النظام واستتب الامن والراحة في البلاد بقطع دابر
المفسدين وقطاع الطرق حتى أمن الناس سرورهم ثم وجه عنايته لتسهيل طرق التجارة فهدى
طريق السويس بالحجارة وبذلك سهل سفر العربات عليه كما سهل نقل الامتعة وبريد الهند والصين
ثم أمر بوجيل بك باشا مهندس القناطر الخيرية التي كان انشاؤها وقتئذ قد قارب التمام بعمل ما يلزم
لسهولة مرور المراكب التجارية النيلية فصعد بالامر وشكل لذلك لجنة من المهندسين منهم جاد بك
وعلى مبارك بك وعلي بك ابراهيم وغيرهم فقرروا عليهم على عمل الآلات المسماة بالارغانات فسهل
مرور المراكب من الاهوسة والقناطر وأتم أيضا الاستحكامات والطوابق والقلاع التي كان شرع
في بنائها من قبل رئيس هندسة الاستحكامات جليس بك المذكور وجعل لها السكنات العسكرية
والاستشفيات وطواحين الهواء والمعامل والمخازن ثم ملأها بالآلات والصناع والمعلمين حتى
أصبحت وافية وللام كافية وشيد أيضا كثيرا من المباني والقصور الفاخرة مثل سراي العباسية التي
كان يضرب بجمالها المثل وقصر ابرام التين جعله لمجلس التجارة وغير ذلك مما يطول شرحه
واستخدم الموسيوقماريت (Auguste Mariette) وكلفه بالبحث عن الآثار القديمة
فاكتشف مدافن العجول بسقاره (١٨٥٠ م) وغيرها بعد ذلك ومن هذا الوقت زادت
أهمية دار التحف المصرية واشتهرت بين علماء الآثار وعمل في عصره العالم الفاضل محمود باشا
الفلكي أول تقويم أى نتيجة سنوية

وفاة الرعوم محمد علي باشا - كانت وفاة المرعوم المشار اليه بسراي رأس التين باسكندرية
في يوم ١٣ رمضان من سنة ١٢٦٥ هـ (٢ أغسطس سنة ١٨٤٩) ونقلت جثته الى
القاهرة ودفن بمسجده الذي شيده بالقلعة باحتفال لم يسبق له مثال وقد تكدرت الامة جدا لوفاته
لانه هو الذي أنقذ مصر من أيدي الجهل ورفعها بقرية تحت المتوقفة الذكية وأفكاره العلية
الى درجات المدنية وصيرها في مكان عظيم من الأهمية وكان رحمه الله من أكبر رجال العصر
فتاريخه شاهد على درجته

الاهمال العسكرية تفي زمن الرعوم عباس باشا - لما جلس عباس باشا على تخت مصر
اهتم كثيرا باعماله شأن القوة العسكرية وكان أول ما أمر به في ذلك أن جعل أخذ الجنود من كل
الطبقات بلا فرق فكل فتى بلغ سنه سن النظام المقرر يطلب للجندي بتريقة تشبه القرعة النظامية

ثم أدخل على نظام الآليات بعض التغييرات فجعل الآليات الواحدة خمسة آلاف عسكري أعنى قدر
الايين مما كان قبل ثم أوجد فرقاً للهجامة لم تكن من قبل بين الجيوش المصرية وجعل أول مرتين
للهندسين والكوريجية عليهم ضباط كان أحضرهم المرحوم عمه ابراهيم باشا من بلاد فرنسا
بواسطة الموسيوساباتييه (Sabatier) قنصل فرنسا بمصر وكان من هؤلاء الضباط الموسيو
موتى بك (Motté) الذى صار فيما بعد رئيساً للاستحكامات (١٨٥٦ م) ودو برناردى بك
(de Bernardi) وجاكوبيك (Jacques) الذى صار فيما بعد مأموراً لمعامل الحوض
المرصود وغيرهم وقد اتقن هؤلاء الجنود كيفية مدا الجسور لعبور الانهر والخلجان وعمل الانغام
والخيل العسكرية وقد عاد ذلك على الجيش المصرى بالفوائد وكان عدد الجيوش المصرية فى زمنه
كبابى ٩٨,٤١٤ من الرجال عليهم ٣٤٢٤ ضابطاً و ٧٦٠٠ من السوارى عليهم ٤٠٠
ضابط و ٩١٤٩ من الطوبجية عليهم ١٥٤ ضابطاً و ٦٧ من ضباط أركان الحرب ونحو
١٣٥ حكيم وجراح معهم ٨٨ أجزاجيا وتورجيا كل هذا خلاف عساكر الاربعمائة المعروفين
بالباشبوزوق وكان يبلغ عددهم ٤٣٧٧ وكان يتبع هذا الجيش نحو ١٠٦ من الكتاب
الملكيين وغير ذلك

السودان المصرى فى العهد المذكور - لم تمض على جلوس عباس باشا على الارياكة
المصرية أيام طوييلة حتى دبت عقارب القسطنطينية وبين الامراء من أقاربه و بعض كبار رجال
الحكومة الذين خدموا المرحوم جده محمد على باشا الخدم الجليلة ولا يستغرب ذلك فى بلاد لم تألف
جيداً بعد معنى الحكومة النظامية والادارات الترتيبية ولا يزال قسم عظيم من سكانها يشتمى
عودة الايام الخالية ليسود أمره و يعلق قدمه غير حاسب للايام حساباً ثم ان عباس باشا لما خاف
من معانديه ومبغضيه أبعد منهم عن مصر كل من اشتبه فى أمره وكان منهم يوسف كامل باشا
صهر المرحوم محمد على باشا وكانى باشا وسامى باشا الكبير وصبحى بك وغيرهم سافر والى دار الخلافة
ونال أكثرهم هناك الوظائف ومنهم أيضاً خالد باشا حاكم دار السودان الذى انفصل سنة ١٢٦٥
وتعين بدله عبد اللطيف باشا البحرى وفى أيامه أنشئت مدرسة بالخرطوم وعين بها ناظر ارفاعة بك
العالم الشهير وكان أبعد أيضاً من مصر لاسباب لا نعرفها وقد أحسن عبد اللطيف باشا الادارة
فى السودان وأنشأ ديواناً بالخرطوم للحكمدارية وبجانبه مسكنه ثم فصل سنة ١٢٦٧ هـ ونصب
مكانه رستم بك و رقى الى رتبة باشا وكان قبل ذلك رئيساً لمجلس أحكام السودان بالخرطوم ولكن لم
تطل أيامه فى الحكمدارية فعاجلته الوفاة فى السنة المذكورة وتعين بعده اسمعيل حقى باشا
المشهور بابو جبل وفى مدته هاجم الاحباش جهات القلابات فصددهم بالجيوش المصرية وشتت
شملهم ثم فصل وتعين مكانه سليم باشا الخربوطلى وكان مديراً لسنار ولم يمكث طويلاً وتعين مكانه
على سرى باشا الارنؤدى (١٢٦٩ هـ) ولما لم يحسن التصرف عزل السنة وتعين مكانه على باشا
يتركس (١٢٧٠ هـ) وكان لا بأس به فسبقى حاكم دار اليا وائل حكمهم سعيد باشا ولم يلبثت
عباس باشا الامرا الا اكتشافات بالجهات السودانية ولم يرسل لذلك الاراسيات كما كان يفعل
المرحوم محمد على باشا بل كان ما فعله من ذلك أنه أرسل المسعود وجوتبرج (De Gottberg)

للتنظر فيما به يسهل عبور الشلالات وأمره أيضا بإنشاء طرق المواصلات في الصحراء الشرقية والسبب في امتناعه من ذلك تخوفه من وفود الأجانب بكثرة إلى بلاد مصر

المدارس والمعارف في عهد عباس باشا - كان من أول أعمال هذا الأمير أن أمر بإقفال غالب المدارس التي شيدها جده ولم يبق منها الا ١٤ مدرسة وهي مدرسة السوارى بالجيزة ومدرسة الطوبجية بطره ومدرسة البحرية باسكندرية ومدرسة المهندس سخانه بيولاقي والمكتب العالي بالخانقاه ومدرسة اللسن بالازبكية ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب ومدرسة الطب البيطري بالقاهرة ومدرسة الصنائع بيولاقي ومدرسة المبتديان بابي زعبل ومدرسة أسبوط ومكتب الزفازيق ومكتب بوش ومكتب بنى سويف وجعل عمده شكري باشا مديرا للداوس بدلا عن أدهم باشا الذي نقل مفتشا للهمات الخيرية ثم لنظارة أوقاف الحرمين (٢٦ ج ١٢٦٦ هـ) وليته اكتبى بانغاء ما أوقفه من المدارس بل انه بعد ذلك أبطل كثيرا منها وانتقى من بين طلبتها من اتصفوا بالنجاح واللياقة وأدخلهم مدرسة حربية وسماها بالمفروز وجعلها بالعباسية وأحال على المرحوم على مباركة بك انتقاء المعلمين لها فرتب نظام الدروس فيها واختار ما يليق من كتب التدريس فجمعت نجاحا عظيما وكانت عناية به هذه المدرسة تفوق الحصر فارتقت بها المعارف في أول حكمه وكثرت بسببها المؤلفات في كل فن وطبعت في المطابع الخيرية ونسخ منها رجال خدموا المصالح واشتهروا في أعمالهم بحسن الادارة ومع ذلك لم يطل عمرها فأصابها الاهمال كما أصاب غيرها لانه رجه الله أبطل كثيرا من صنوف الجيش فلم يبق منه الا القليل وأبطل أيضا الورش والمعامل للاقتصاد وبذلك أخلى سبيل كثير من معلى الاور وباو بين واجتمعت في اخراجهم جميعا من المملكة ورفض جميع الرخص والمنع التي كانت تعطى لهم ولهذا لم يثن عليه كتابهم فيما كتبوه عنه

الطرق الحديدية بالديار المصرية - سبق الكلام على المساعي التي بذلتها دولة انكثرة لادى جده محمد على باشا بخصوص متسكة حديدية من القاهرة الى السويس (١٨٣٧ م) لتسهيل نقل بضائع الهند والشرق الاقصى والبريد وكان محمد على باشا أجاب الطلب لما يعود عليه من المنافع فعقد مع احدى الشركات الانكليزية شروطا وبعث ان احضرت بعض القضبان والآلات تخوف من ذلك فصرف النظر عن هذا الامر بالكلية واستعملت تلك القضبان في الطريق الذي أنشئ بناحية طره بين الجبل والنيل لنقل الاجار اللازمة للقناطر الخيرية وبقيت التجارة والبريد الانكليزي يحمل على الجمال كما كان الى القاهرة ثم ينقل الى نجر الاسكندرية في سفن النيل ولما تولى عباس باشا سعت الخجلة كثيرا في مد السكة الحديدية المذكورة وكان الباب العالي يعارض معارضة شديدة ويحدث صعوبات جمة بخصوص انشاء الطرق الحديدية بديار مصر لاسباب منها انه كان يخشى عواقب المداخلات الاور وباوية في شؤون بلاد كبلاد مصر لا تقوى بعد على الوقوف في سبيل تدخل أوروبا ومنها ان دولة فرنسا كانت تمنع في ذلك لان القائم به شركة انجليزية ومع هذا فقد تمكنت الخجلة بابتدائه من المساعي من قوال تصريح الباب العالي فصدر الفرمان السلطاني مصرحاً الى مصر بذلك وعليه أجاز عباس باشا للشركة الانجليزية مد الطريق الحديدية بين اسكندرية ومصر

وكان يباشر العمل مهندس انجليزي يدعى استيفنسون (Stephenson) وكان القائم بأعمال الطريق المذكور هم العساكر البحرية المصرية

قالة البحرية في زمن عباس باشا الاول - لما اشتغل عساكر البحرية في اقامة جسور الطريق الحديدى المذكور حدث من ذلك ان اوقفت جميع السفن الحربية المصرية عن الحركة و رطت بجانب بعضها ونعلت أيضاً أعمال دار الصناعة وسبب ذلك كما يؤكده قوم نفور كان بين المرحوم عباس باشا وبين عمه سعيد باشا الذي كان سرعسكر للاساطيل المصرية لسعاية الواشين اصحاب المقاصد السافله الذين نجم عن سعياتهم تعطيل عضوم من أهم الاعضاء التي لا تقوم مصر بدونها واستحكمت العداوة بين الاثنين حتى ان عباس باشا ثبت العيون على سعيد باشا لاجاره بحركانه وسكناته سواء كان بمصر أو في أبا عده وأمر أيضاً بتكسير الغليون المسمى بالمنصورة بعد ان تم اصلاحه وتجهيزه (١٢٦٥ هـ) فزاد بعد ذلك الانحطاط في البحرية وعلم الكل بكرهية الوالى لها ونفوره منها ووقعت العداوة أيضاً بين رجالها وأخذوا يدسون الدسائس لبعضهم تخاف الكثيرون سوء المنقلب وارتحل بعضهم الى القسطنطينية مفضلين مهجرة الاوطان كما سبق في المقدمة ولما خرج السلطان عبد المجيد خان للسياحة في جزائر الارخبيل (١٢٦٦ هـ) سافر عباس باشا على باخرة الشرقية الى جزيرة رودس لمقابلة جلالته وهناك قدم الفرقاطة المذكورة هدية فضمت الى العمارة العثمانية وسميت مخبر سرور وفي سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) نالت مسئلة انشاء قنال السويس أهمية عظيمة وتحدث بشأنها أرباب السياسة وعين عباس باشا لينان بك ومعه كل من المهندسين سلامة افندى و ابراهيم رمضان افندى ومسيوارنود (Arnaud) لاختميزانيسة الطريق التي سيفتح فيها القنال المذكور ولما سن السلطان عبد المجيد القانون المسمى بالتنظيمات الخيرية سنة ١٢٦٨ هـ وصار تميمه بالمالك العثمانية أصدر أمره لوالى مصر بذلك فتوقف عن قبوله في ابتداء الامر وحصلت أمور بطول شرحها وأخيراً اضطر لان يقبله وكان من نتائجها منع الحكم الاستبدادى فتقيدت الحكومة المصرية به زمننا وكان أمير تونس امتنع أيضاً ولا عن قبول تلك التنظيمات ثم نعمه عباس باشا قبلها كما سبق بالجزء الاول

مساعدة مصر للدولة في حرب التبريم - لما حدث الخلاف بين الدولة العلية العثمانية ودولة روسيا بخصوص الاراضى المقدسة للاسباب التي سبق ذكرها في الجزء الاول من هذا الكتاب أصدر السلطان عبد المجيد خان أمر الى عباس باشا الاول يطلب منه ارسال نجدة للجيوش العثمانية كما تقتضيه فرمانات الامتياز فأصدر عباس باشا أمره بذلك (٢٧ رمضان سنة ١٢٦٩ هـ) وتجهيز الجيوش والاساطيل وكانت وقتئذ دار الصناعة لا عمل فيها فاسرعوا في جمع العمال والصناع ولما استعدت الاساطيل جعلت تحت قيادة الاميرال حسن باشا الاسكندراني وجعل مصطفى بك الذي تعين لاصلاح السراى الخديوية بالاستانة وكيلا له وجعل عليها سليم باشا سرداراً وكانت النجدة المصرية تتألف من ١٢ بطاريه من الطوبجية والى من السوارى عليهم اللواء جعفر صادق باشا ومن سبعة الايات من المشاة عليهم اللوائت اسمعيل حتى باشا الكردي المعروف بأبي جبل و ابراهيم باشا حرس وعلى شكرى باشا ومن ضباطهم

حسين بك بركس وسليمان بك الارنؤود وسليم بك طوب صدالي وأجد بك وكانت القوة المذكورة تبلغ ٢٠٠٠٠ مقاتل ولما استعرضهم عباس باشا خطب فيهم مشجعاً منهم والهمهم واعداً متوعداً ثم اقلعوا في أول شوال من سنة ١٢٦٩ في سفن العمارة المصرية وكانت تتألف من ثلاثة قبايات بكل واحد منها مائة مدفع ومن أربع فراقيط بكل واحدة ٦٠ مدفعاً ومن ثلاثة قراويت بكل واحد منها ٢٤ مدفعاً ومن باخرتين بكل باخرة ١٢ مدفعاً وكان من ضباط هذه السفن سنان بك وبوغجه اطهلى خليل بك وعثمان بك بوتي والمرحوم والدى سرهنك قبودان وخورشيد قبودان ومرجان قبودان وأجد شاهين قبودان ومحمد خورشيد قبودان وزينل قبودان وحسن قبودان الارنؤود وواظرة قبودان وعبد الحميد بك الديار بكرلى وصالح قبودان ولما وصلت هذه القوة الى الاستانة في منتصف القعدة حضر السر عسكر محمد علي باشا والقبودان محمود باشا ومحمد باشا مشير الخاصة الهمايونية واستعرضوا الجيش وعلمت لهم مادية من قبل الحضرة السلطانية ثم سافروا الى حدود الروملى عن طريق وارنه وجعل معظم الجيش المصرى بسلاستره وهناك شهيد المصريون الحصن الشهير المسمى بطابية العرب وهى التى أمكن بها صد هجوم الروس سنة ١٢٧٠ عند هجومهم عليها تحت قيادة الجنرال مونجيكوف (Montschikoff)

حركات الاساطيل المصرية أثناء الحرب المذكور - لما وصلت الاساطيل المصرية الى دار الحرب قسمها القبودان باشا على فرق الدونما العثمانية فالحق فرقاطة دمياط وواويز بروز باسطول عثمان باشا وأقلعت معه (١٢٧٠ هـ) قاصدة سينوب وهناك فاجأها الاسطول الروسى مع الاميرال ناشيموف (Nachimof) وهاجها وأحرقها يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٣ كما تقدم فى تاريخ الدولة واحترقت معه فرقاطة دمياط المذكورة وكانت باخرة بروز وهى عائدة من سينوب لاتعلم شيئاً عن خبر دمار الاساطيل العثمانية وقابلتها باخرة حربية روسية فخادعها برفع علم عثمانى وأخذت تشير اليها بالاشارات البحرية فلما قربت منها أبدت العلم العثمانى بعلم روسى وأخذت تطلق عليها القنابل بشدة فقابلتها بالمثل الا أن قنبلة روسية أصابت آلتها فعملتها عن الحركة فأسرها الروس وأخذت الى سواستبول هذا أما باقى السفن المصرية فانضم منها فرقاطتا شهيد وشيرجهاد وقر وبتاجناح بحرى وجهاد بيكر وغوليت الصاعقة الى اسطول الدولة المعين للمحافظة على جزائر الارخبيل ثم انضمت الفرقاطتان المذكورتان الى اساطيل البحر الاسود وفى خلال ذلك تعين المرحوم والدى سرهنك بك قبودان بالشيرجهاد ورفى الى رتبة البكاشى فأقلع بها الى باطوم ثم اشتركت دولتا المجلثة وفرنسا فى الحرب مساعداً للدولة على روسيا ودخلت اساطيلهما البحر الاسود كما سبق ذكره بالجزء الاول واشتركت السفن المصرية التى بالبحر الاسود تحت قيادة حسن باشا الاسكندرانى مع سفن الدول المتفقة فى نقل الجيوش من وارنه الى القريم التى صارت مركزاً للاعمال الحربية وبقيت بعد ذلك تقاتل الاعضاء مع الاسطول العثمانى الذى كان تحت قيادة القريمى أحمد باشا القيصرى وفى تلك الاثناء توفى عباس باشا الاول مقتولاً فى ١٨ شوال ١٢٧٠ (١٥ مايو ١٨٥٤ م)

قتل عباس باشا الاول وسببه - قال الرواة ان سبب هذه الحادثة هو ان المرحوم

عباس باشا كانت له حاشية تخدمته الخصوصية يقال لهم أيج آغاسيه كان أكثرهم حائزا لرتبة قائم مقام وكان جعل لرئاستهم أحد علماته الاخضاء المسمى خليل درويش بك وعرف فيما بعد بحسين بك الصغير وقد أساء هذا الرئيس معاملة الأيج آغاسيه المذكورين فأطالوا عليه السننهم سيما وأنه كان صغير السن وصاروا كلما يمر عليهم يرمونه بأقوال قبيحة وألفاظ شائنة فشقاهم الى المرحوم عباس باشا فأمره بجمعهم داخل السراي وأمر حسين بك المذكور بمجلدهم ثم جردهم من ثيابهم الرسمية وألبسهم بسداوز عبايط وأرسلهم تخدمته الخيول بالاسطبلات فعز ذلك على مصطفى باشا خزنة دار عباس باشا لانهم من كبار خشداشينه فسعى بكل جهده لدى الامير ليعفو عنهم فلم يملكه ولما توجه المرحوم عباس باشا الى قصره في بنها وكان معه أحمد باشا يكن و ابراهيم باشا الانلي ترجاهما الخزندار المذكور في طلب العفو عن خشداشينه المذكورين فلما التمس منه ذلك أصدر أمرا بالعفو عنهم وردد لهم الى مناصبهم كما كانوا ثم ذهبوا جميعا الى بنها ليرفعوا واجب شكرهم للامير ولكنهم أضربوا له السواد لما حصل لهم وأخذوا يدبرون مكيدتهم ثم تواطوا مع غلام من خدمة السراي يدعى عمر وصفي وكان من عادة المرحوم عباس باشا عند فومه أن يقوم على حراسته اثنان من الغلمان وفي ليلة ١٨ شوال كان القائم بحراسته اثنان يدعى أحدهما شاكرا وكان المتأمرون انفقوا معهم على الفتك بسيدهم ولما أقبلوا فتحالهم الباب فدخل الأيج آغاسيه على الامير وهو مستغرق في فومه ولما أرادوا الفتك به استيقظ وقصد الهرب ولكن اثنان عمر وصفي منعه وأعاد اليهم فتكاثروا عليه وقتلوه وأوعزوا الى الغلامين بالهرب لتمام الخيلة فهربوا في تلك الليلة وكنتم الباقون الخبر الى اليوم الثاني ولما لم يستيقظ الامير في ميعاده دخل عليه أحمد باشا يكن و ابراهيم باشا الانلي فوجداه مقتولا فاخفيا الخبر ونقلوا جثته الى القاهرة على عربته هذه هي الرواية التي يتداولها الناس عن موت عباس باشا بقول بعض الخاصة انه مات فجأة والله أعلم ثم اجتمع الذين يميلون الى عباس باشا تحت رئاسة الانلي ابراهيم باشا وانفقوا على استدعاء نجده ابراهيم الهامى باشا وكان بأور بالبولوه على مصر ويمنعوا عمده محمد سعيد باشا كبيرا اولاد المرحوم محمد علي باشا عن الولاية ولو بالقوة وكتبوا سرا الى اسمعيل سليم باشا محافظ الاسكندرية وقتئذ وأخبروه بما عزموا عليه وأوصوه بالتيقظ والسهر على التفرخ حتى يحضر الهامى باشا ولما وصل المكتوب الى اسمعيل باشا خاف عاقبة الامر وعلمه بنص الفرمانات قصد من ساعته محمد سعيد باشا صاحب الحق بالولاية لئلا يكونه أرشدا العائلة وكان بسرراي القبارى وأخذ معه أشرطة من العساكر ولما أخبره شكره على صداقته وذهب معه الى سراي رأس التين وأعلن الامر رسميا وهناك أجريت حفلة الخلوس وأطلعت المدافع ثم سافر سعيد باشا الى القاهرة ليصحبه أمراء عائلته وهو الامير اسمعيل باشا والامير عبد الحلیم باشا والامير مصطفى فاضل باشا والامير أحمد ابراهيم باشا وغيرهم ولما وصلوا وقصدوا الذهاب الى القلعة بلغهم ان رنجي الأي يياده الموجود فيها تحت قيادة محمد شكيب بك (الآن باشا وهو العضو الوطني بمصلحة الدومين) مصمم على الممانعة حتى يحضر الهامى باشا (١) من أوروبا بالاستسلام الولاية كالاتفاق المعقود بين رجال

(١) كانت ولادته هذا الامير سنة ١٢٥٣ وربا أبوه جميل التربية فشب على كرم الاخلاق ومحاسن الشيم ولما زار دار الخلافه سنة ١٢٦٩ أكرم السلطان الغازي عبدا مجيد خان وقادته ومثوا وزوجه بابنته منيرة سلطان فقال بذلك شرف مصاهرة آل عثمان وفي خلال اقامته بدار العادة تعين عضوا في مجلس وكلاء الدولة ولكن لم يظلم اليه حيث عاجلته الوفاة بجهة أوسكدار في نضر شبابه سنة ٢٥ سنة وذلك سنة ١٢٧٧ ونقل جسده الى القاهرة ودفن بهارجه التمر حمة واسعة اه قاموس الاعلام يتصرف

حزبه فتوجه الامير اجدا ابراهيم باشا بنفسه واقنع رجال الالاي المذكور بوخامة العقاب اذا هم استمروا على عنادهم فسلموا وفتحوا الابواب وصعد سعيد باشا وعت له رسوم التولية وانتهت الازمة ثم استعرض الجيوش وكان يقودها أحمد باشا الطوبجي ناظر الجهادية يومئذ ثم ان سعيد باشا طلب شكيب بك وطيب خاطره وشكره على صداقته لعائلة سيده وأراد ان يبقيه في قيادة الالاي فأبى وقدم استعفاءه فائلا اني لا أخدم الا عائلة سيدي فزادت منزلته عند الامير ولم يصبه مكر وه أما ابراهيم باشا الا اني محافظ مصر فانه عزل عن منصبه وأمر بأن لا يبارح منزله

(محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا)

١٢٧٠ - ١٢٧٩

لما استتب الامر وارتيق محمد سعيد باشا على الاريكة المصرية كانت حروب القريم قائمة على ساق وقدم والجيوش والاساطيل المصرية مشتركة فيها مع باقي أساطيل وجيوش الدول المتفقة كما سبق بيانه وأراد سعيد باشا اظهار ولائه للدولة فأرسل نجدة مصرية أخرى على البواخر العثمانية التي استقدمها لذلك وكانت أربعة ثم سافر محمد سعيد باشا الى دار الخلافة واستلم فرمان التولية من يد السلطان عبد المجيد خان وحضر الى الاستانة معتمداً وجوده بهاسنان بك وكيل الاميرال المصري حسن باشا ليقدم الى مولاه رسوم التبريك عن الجنود المصرية التي في ساحة القتال وبينما كان سنان بك عائدا الى كوزلوه حيث يعسكر الجيش المصري لتبليغه سلام سعيد باشا وامتنانه منه استشهد سليم فتحى باشا في ميدان القتال وكان قائد الجيش المصري فتعين بدله أحمد باشا المنكلي وانضم الى أركان حربه الميرالاي على مبارك بك فسافر من مصر الى ميدان الحرب وبينما كان حسن باشا الاسكندرا في عائدا الى الاستانة لاصلاح بعض سفن العمارة المصرية هبت عليه ريح شديدة وانتشر ضباب كثيف منعهم من دخول البسفور ثم ألقتهم الامواج والارياح في الجون الشرقي لمسدخل البوسفور المعروف عند الملاحين بيلنجي بوغاز فاصطدمت سفينتا وهما مفتاح جهاد والبحيرة وانكسرتا وغرق حسن باشا (١) وسنان بك وجميع ضباط السفينتين وعساكرهما البالغ عددهم جميعا ١٩٢٠ ولم ينج منهم سوى ١٣٠

وقد كابدت العساكر المصرية والجيوش المتحدة في هذه الحروب الالهوال من شدة البرد الذي حصل في شتاء عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ م ومن نقشي الامراض التي أهلكت كثيرا منهم هذا فضلا عما أصابهم من الجوع والتعرض للسلوج تلك البلاد والابخرة المنتنة المتصاعدة من جثث القتلى والحيوانات وغير ذلك وفي خلالها توفي الامبراطور نيقولا الاول (١٨٥٥ م) وجلس مكانه

(١) حسن باشا الاسكندرا في هذا جركسي الاصل وهو من معاتيق المرحوم محمد علي باشا الكبير أدخله في المدارس الحربية ثم أرسل الى أوروبا باضمن التلامذة الذين أرسلوا للدراسة العلوم فرسوا وبعد اتمام دروسه عينه محمد علي باشا بسفن الدونمنا فظهر مهارته وهمه وما زال يترقى الى ان صار رئيس الدار الصناعة باسكندرية ثم عين باشا بوغاز للدونمنا وأخيرا قائد الاسطول الذي تعين لحرب الروسيا سنة ١٢٦٩ هـ بوظيفة أميرال أول وحضر كثيرا من الوقائع أظهر في خلالها الشجاعة والمعرفة الى أن توفي سنة ١٢٧١ هـ رحمه الله رحمة واسعة

ولده اسكندر الثاني ثم حصلت موقعة عظيمة بين الجيوش المتحدة والروس في سيواستبول كانت
الدائرة فيها على الروس واستولت جيوش فرانس على قلعة ملاكوف فاضطر الروس الى ترك
سيواستبول وقرروا من زمين ودخلت العساكر المتحدة المدينة واستولوا على حصونها وبعد ذلك
تخايرت الدول في الصلح وعقدت مؤتمر في باريس حضره مندوبان عن كل دولة من الدول المتحدة وهي
انكلترة وفرنسا والدولة العثمانية والنمسا وروسيا وسردينيا ومندوبان عن الروسيو وبعد المداولة
أيا ما مضيت شروط الصلح متضمنة ٣٤ شرطاً منها ان يكون للدولة العثمانية نفس الامتيازات
التي لباقي دول أوروبا من جهة القوانين والنظامات السياسية وان تكون مستقلة تماماً في ممالكها
كغيرها من دول أوروبا وان لا يصرح للسفن الحربية بالجلولان في البحر الاسود ما عدا الروسيو
والعثمانية فان لهما حقاً في أن يكون لهما به قليل من المراكب الصغيرة الحربية وان يكون للدول
المتفقة حق مراقبة هذه الشروط كما سبق في تاريخ الدولة وبذلك انتهت تلك الحروب التي لم يكن
لافتتاحها دع سوى المطامع والغايات وعادت الدولتيا المصرية بالعساكر الى اسكندرية بعد ان نال
ضباطها وعساكرها النياشين من الدولة اعترافاً بحسن خدمتهم ولما عادوا بعد هذه السفرة الطويلة
أمر سعيد باشا فأخلى سبيلهم وتوجهوا الى بلادهم وأخلى سبيل أكثر الضباط أيضاً

ثورة العربان فيقوم - انه في سنة ١٢٧٠ هـ ثارت العربان في جهات الفيوم بزعامة عمر
المصري شيخ العربان فخرج عليهم سعيد باشا فاقوه مركة من ثلاث فرق الاولى تحت قيادة حسين باشا
المعروف بابوصباغ والثانية تحت قيادة اسمعيل باشا الفريق والثالثة قاده سعيد باشا بنفسه
وانضم الى الحكومة قبيلة اولاد علي من عربان البحيرة وكان مع هذه التجريدة بطارتان من المدافع
ولما لم يقو العربان على الدفاع تشتت شملهم بعد أيام وعادت السكينة الى ربوعها وقبض على كثير
من مشايخهم وسجنوا في ليمان ترسانة الاسكندرية وكان سبب ذلك ان سعيد باشا اراد ادخال
اولادهم ضمن الجنود المصرية كبقية السكان أما هم فانهم يابون ذلك كل الابعاء لامتيازات قديمة
تحصلوا عليها وراعتها كل الدول التي حكمت مصر ولعدم حيازتهم لاراضي زراعية كبقية الاهالي
وغير ذلك ولا زالوا على هذا الامتياز الى الآن

الاصلاحات في العهد المذكور - لما عاد سعيد باشا من دار الخلافة أخذ يدير الامور
بدراية تامة وعزيمة صادقة مجتهد في رفع منار الحضارة وشأن البلاد فسن كثير من النظامات
المفيدة وعدل الضرائب وأخذ الاطيان من الملتزمين ووردها الى أربابها وسن للاطيان لائحتة
المشهوره بالسعيدية (٢٤ ذى الحجة ١٢٧٤ هـ) وجعل للعاشات نظاماً يديعاً لحفظ
للموظفين بذلك حقوقهم وحثهم على النشاط والصدق في العمل وأصلح ترعة المحمودية وأنشأ ميدان
الاسكندرية وأتم الطريق الحديدي بين مصر والاسكندرية وهي التي كان شرع في عملها المرحوم
عباس باشا الاول وأنشأ خطاً حديدياً آخر بين القاهرة والسويس وأتم الموصلات التلغرافية
فسهل بهذه الاعمال نقل التجارة والركاب (١٨٥٧ م) واعتنى بأمر بوزار الاسكندرية
فأمر بوضع العلامات الثابتة على صخرته المعروفة احدها ما بالفار والآخرى بالقط ووضعت
ثلاث علامات أخرى في البحر احدها في الجهة الغربية من المدخل عند طابسة الجحى والانتان

الأخرتان على صفحور بونغاز أبو بكر ووضع ثلاث علامات أخرى ثابتة في البر بجهات أم قبيبة والسرديب والعمائر وعلى طابسية المكس وبهذه العلامات سهل الدخول إلى المينا والخروج منها ولما كان بهم أيضا بأمر تحصين البلاد أمر ببناء القلعة السعيدية على رأس الدلتا عند مفترق النيل وكان ابتداء العمل فيها في يوم الأحد الموافق ٢٣ من جمادى الثانية سنة ١٢٧١ وجعل لها حصونا واستحكامات عظيمة تمتد من شاطي فرع دمياط إلى شاطي فرع رشيد وكانت هذه الحصون وأبراجها تعد وقتئذ من أمن وأشهر الاستحكامات وجعل فيها كثير من الشكنات العسكرية والمخازن الحربية وجعلها بحيث يصلها المدد والاقوات بسهولة من بلاد مصر كما يسهل عليها ارسال المدد إلى كافة الثغور المصرية عند الحاجة ولما كانت هذه الديار محصنة طبعاً في أثناء زيادة النيل بالارادة الازليسة ولا يمكن تعدي العدو عليها الا عند التحريق لا مكانة السير في أي طريق استحسن المرحوم سعيد باشا أن يشغل هاتيك البقاع بالحصون الحصينة والقلاع المتينة بحيث لو طمع طامع في الدنو من هذه المواضع صد عنها بواسطة اطلاق المياه من عيون تلك القناطر وبذلك يمكن منع العدو عن الحملة والهجوم وتصبح عاصمة البلاد آمنة من الحوادث والخطوب متباعدة عن الوقوع في مهاوى المصائب والكروب ولما تمت عمارتها شتمتها بالدفاع والاسلحة المختلفة والآلات الحربية ورتب لها الجنود والمقاتلة وكانت عنايته بها تفوق الوصف وكان موتي بك (Motté) الضابط الفرنسي هو المباشر لهذه الاستحكامات ثم عينه سعيد باشا رئيس العموم الاستحكامات المصرية وجعل السيد بك مجدى مأموراً لا شغال القلعة السعيدية كما عين محمد بك المرعشلي باشمهندسا للقلع السعيدية المذكورة

غرق الامير محمد ابراهيم باشا (١٢٧٤ هـ) - اختلفت أقوال الرواة في أمر هذه الحادثة وقد اختلفنا من أقوالهم ما يأتي وهو انه في اليوم الاول من شوال من سنة ١٢٧٤ هـ (١٤ مايو ١٨٥٨ م) بينما كان هذا الامير عائداً من اسكندرية إلى مصر وكان ذهب إليها لتبثنة سعيد باشا بحلول عيد الفطر وكان هو والامير عبد الحليم باشا وخير الدين باشا محافظ القاهرة ورابع يدعى رأفت بك وحاشية الاميرين في عربة من عربات السكة الحديدية وكانت قنطرة كفر الزيات لم تمت بعد فكانوا يتقلون عربات السكة الحديدية من شاطي إلى آخر بواسطة سفينة بخارية تحمل العربات ولما أنزلت العربة التي بها الامراء المشار اليهم سقطت في البحر وقال بعض الرواة ان ذلك كان بإيعاز من المرحوم سعيد باشا وقال آخرون بل حدث سهواً ولكل من حجت لا فائدة من ذكرها وغرق بذلك أجد باشا وآخرون معه وأما الامير عبد الحليم باشا فانه نجح بمساعدة مملوكه وعرفته بالسباحة

السودان المصري في العهد المذكور - اعلم ان سعيد باشا في أول حكمه وجه أخاه الأمير عبد الحليم باشا للفتيش على ادارات السودان وجعله كما لجميع تلك الاقاليم مع بقاء على باشا بركس حاكمه وكيلاله ولما وصل إلى مركز الحكم ادرية فخص الشؤون والاحوال ونظر في كافة الاعمال فأصلح المعوج منها بقدر الامكان وضم بعض المديرات إلى بعضها لتقليل عددها حتى جعلها أربعة فقط فجعل دنقله وبر بمديرية واحدة وكردفان وجهات مديرية والخرطوم ونواحيها وسنار مديرية والتاكو وأطرافها مديرية وبعد ان نظم المديرات المذكورة عاد إلى مصر

مبقيها هناك وكيله المذكور ثم اراد سعيد باشا ان يحذو حذو والده محمد علي باشا الكبير وينهج منهجه فتوجه لزيارة تلك البقاع بنفسه على طريق العظمو (١٢٧٣ هـ) وكان بعينته راغب باشا ونوبار باشا واخوه اركيل بك والموسيو دولسبس وغيره مثل الدكتور ابانه (O. Abbate) وهو اول من لاحظ اهتزاز البارومتر في صحراء كروسكو وكتب كتابا عن هذه الرحلة سماه الكلام على افرقية الوسطى ورحلة صاحب الفخامة سعيد باشا الى السودان ولما وصل الامير المشار اليه الى الخرطوم (١٦ يناير سنة ١٨٥٧ م) قدمت اليه الاهالي عرائض التظلم من كثرة الضرائب فرتى حالتهم ورفع عنهم المتأخر منها وخفض مقدار كثير من الضرائب حتى صيره الى ربع المقرر وسن لتلك البلاد نظاما مخصوصا لاصلاحها وتنفيذ تلك الاصلاحات في اوقاتها بطل وظيفة الحاكم العام وقسم السودان الى خمس مديريات مستقلة الادارة عن بعضها وهي سنار وكردفان والتاكة وبربر ودنقله وجبل للبحر الابيض مدير اخصا فكان مدير وتلك المديريات يخاطبون نظارة المالية والداخلية بمصر رأسا وجعل اركيل بك مديرا للخرطوم وسنار معا وأمر بإنشاء محطة عسكرية على نهر صوبات لمنع الاتجار بالرفيق ومطاردة النحاسين وأنشأ أيضا محطات في صحراء كروسكو لتوصيل الاخبار والبريد بسرعة ثم عاد الى مصر عن طريق دنقله وأمر الموسيو موجيهل (Mougel) المهندس بالبحث عن الوسائل التي ترتب عليها تقرب المسافة وتقليل مشقة الاسفار فيما بين وادي حلفا والخرطوم اما بإنشاء طريق حديدي واما بشق خليج للملاحة فرأى هذا المهندس ان احسن الطرق لتلك هوانشاء طريق حديدي ولكنه لم ينفذ لكثرة النفقات التي كان يستلزمها النجاح ولما توفي اركيل بك مديرا للخرطوم بالخرطوم سنة ١٢٧٤ هـ تعين مكانه الضابط حسن بك سلامة وأحيل عليه أيضا قيادة اى الخرطوم ثم صرف عن السودان وتعين بدله سنة ١٢٧٧ هـ محمد بك راسخ الطوبجي وكان سبي التصرف والسيرة فكثرت الشكاوى من الاهالي في حقه وحق غيره أيضا من حكام السودان ولهذا رأت الحكومة ان أحسن وسيلة لمنع الخيف عن الاهالي ابطال استقلال المديرين في مديرياتهم وجعلهم تابعين لادارة واحدة وكان سعيد باشا في ذلك الوقت (١٢٧٩) متغيبا بأوروبا وكان اسمعيل باشا ابن أخيه نائبا عنه بمصر فشككت الحكمدارية العمومية ثانية وجعل موسى حمدي باشا حكاما لاراعا السودان وهو من رجال العسكرية وكانت له معرفة تامة بأحوال السودان لانه تقلدها وظائف زمن أحمد باشا أبوودان ولما قبض على ادارتها سن نظاما جديدا للضرائب وعُدل في حكمه فاجتبه الاهالي رغباعن ميله الشديد لجمع المال وفي أيامه نارت بعض فرق عسكرة الارنؤد التي بالسودان وكان غائبا بمصر فأقبل سر يعاوقهرهم بمجبهات شلال عبكوا وأعادهم الى الخرطوم فسكنت الفتنة ومن أعمال سعيد باشا التي عادت على العلم بالفوائد الجمة ان أرسل المرحوم محمود بك الفلكي الى دنقله لرصد كسوف يشاهد هناك فأغتم هذا العلامة تلك الفرصة وعين ٤٢ موقعا فلكيا في المسافة الكائنة بين أسوان ودنقله ولما رأى العلماء اكرام سعيد باشا لهم أخذوا يفترون الى بلاد السودان ويتوغل كثير منهم باقاصها مكتشفين مر تادين حتى أصبحت مسألة غموض منابع النيل قريبة الحل ومن تلك الرحلات الرحلة الالمانية وسافر فيها كثير من العلماء الى السودان الشرقي واقلسم كردفان وكان من أعضائها من نجر (Munzinger) واستيدنز (Stuedner) وبايرمن (Beurmann) وكترلباخ (Kinzelbach) وغيرهم

ومنهم أيضا أنتينوري (Antinori) ولوجان (Lejean) والستين (Tinne) والست تريجو (Tremaux) والبارون درنيم (Baron d'Arnim) وبياجيا (Piaggia) وهو أول من دخل بلاد نيام نيام من أهل أوروبا وكان منهم رجل فرنسوى عرف بالكونت ولعله البارون المذكور وقد صدرت من هذا الرجل أعمال غير مرضية بجهات كوفيت وأم ديب فسعى موسى جدى باشا حتى رده الى مصر وأشهر هذه الرحلات رحلة السير صمويل بيكر (Samuel Baker) (١٨٦١ م) وكان معه كل من القبودان سپيك (Speke) وغرانت (Grant) وكانا سافرا من زنجبار في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ تحت رعاية سعيد باشا أيضا وقصد منابع النيل حتى وصل الى بحيرة البرت وظهر من سياحته ما أن النيل الابيض هو النيل الحقيقي وأنه يخرج من بحيرة أو كرويه التي سميت فيما بعد فيكتوريا نياتزاوان النهر الازرق الذى منبعه من بين الثلوج المحيطة بجمبال القربس الا عبارة عن نهر صغير بالنسبة للنيل الحقيقي المذكور ولما عاد هؤلاء السياحون الى مصر كان توفى سعيد باشا وجلس مكانه اسمعيل باشا فأكرم وفادتهم (١٨٦٣ م) ولما قصوا عليه نتيجته اكتشفتهم أخبرهم بعزمه على قطع دابر تجارة الرقيق من أواسط السودان وبعزمه على متابعة الاكتشافات باواسط أفريقية خدمة للعلم

المدارس في عهد سعيد باشا - لما توفى سعيد باشا كان بالقطر المصرى أربع مدارس كبيرة فقط ومع ذلك فإنه لم يستتم به بل زاد هذا النقص نقضا بابطاله ديوان المدارس وكان مديره وقتئذ عبدى باشا شكركى (٢٥ ربيع الأول ١٢٧١ هـ) وألغى أيضا مدرسة المهندسخانة التى كان يديرها المرحوم على مبارك باشا وأرسله بجمعية أحمد باشا المنيكللى الى حرب القريم كأمير ثم ألغى مدرسة المفروزة (١٢٧١ هـ) وفتح مدرسة للحرية بقلعة القاهرة (١٢٧٢ هـ) جعلها تحت نظارة رفاعه بك ثم ألغى الله وحاسب نفسه على ذلك فأعاد فتح مدرسة المهندسخانة ثانية بيولاى (١٢٧٤) وسميت بالمهندسخانة السعيدية ثم نقلها الى القلعة السعيدية وسميت بعدئذ بالمدرسة الحربية ولما قصد السفر الى السودان صرف جميع عساكر الجيش (١٢٧٣ هـ) لخوفه من أن يشوروا عليه مدة غيابه وجمع عوم الضباط من أول رتبة البكباشى الى رتبة الاسبران وشكل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية وجعل لها الاساتذة والمأمورين ولما عاد من السودان أعاد الجيش ثانية كما كان ولما كان متخرجا من مدرسة البحرية كان يميل بطبعه الى تعزيز القوة البحرية فأحيا مدرستها بعد الاندراى وانتخب لها جملة من نجباء التلامذة (١٢٧٦) وجعل لادارة هذه المدرسة أحمد مطوش قبودان أحد رجال البحرية وكان تلامذة هذه المدرسة يمترون يوميا فى فرقاطى شير جهاد ورشيد ولما أريد اصلاح السفينتين المذكورتين سافر تلامذة البحرية بهم للقربول بانجلترا ومعهم القبودان فريدريك بونك

البحرية فى عهد سعيد باشا - لما عادت الدوتنما المصرية من حرب القريم كأمير أمر العزيز باصلاح سفنها وإنشاء سفن أخرى جديدة بحرية ولما كان تقوية البحرية المصرية لا يروق فى عين بعض الدول البحرية الاوربانية وربما أضر بنفوذها الذى اكتسبته بالاستانة بعد حرب القريم أشارت على السلطان بمنع مصر من تقوية أساطيلها وبالغت فى تخويفه من ذلك مظهرة أن والى

مصر كان رئيس الاساطيل والده واذا تمكن من تقوية اساطيله اضر بصالح الدولة ومن اجتمعت في البحار ولما كانت الدولة تخاف من عودة مثل ما حدث مدة المرحوم محمد باشا ماتت الى هذه النضامح المزخرفة الطاهر المبنية على المنافع الذاتية في الباطن فنع السلطان والى مصر المشار اليه من اصلاح السفن فاثلا بعدم الحاجة الى ذلك اذ ذلك فكان في ذلك ضياع القوة الحربية المصرية بتمامها لان سعيد باشا المرأى فيما بعد ان أغلب السفن الحربية التي كانت راسية امام دار الصناعة تحتاج الى اصلاح جسيم وانها اذا تركت تلفت تماما امر بتكسيدها ومبيع أخشابها واحراق الغير الصالح منها وأخلى سبيل أكثر ضباطها وأدخل بعضهم في وظائف ملكية وعلى الخصوص في مطبخه الواسعة ثم لما جدد مصلحة الانجارية في النيل ابتاع لها كثيرا من البواخر النهرية واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود وكان للمصلحة المذكورة نحو ٤٠ باخرة و ٨٢ صندوقا وهي كما يأتي بيانها أدناه

رقم	نوعها كنية	مقدار انقمارها في الماء		مقدار قوتها في البحر	كل ساعة من اليوم	متوسط البحر وسم التسم	مقدار راسم		مقدار ما من التسم	المتاخر	أسماء البواخر	القمران		فان خصوصية
		قدم	نوصه				عدد	عدد						
٠١	١٤٠	٠٢	٠٥	٨٧	٠٠	٢٢	١٢٠٠	٦٣	١٢٠٠	٠٠	واهور مصر الكبير	٤٩	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠	٠٣	١٣	٠٨٠	٥٥	٠٨٠	٠٠	« الصخرة »	٣٧	٠٠	
٠١	٠٦٠	٠٦	٠٣	٨٧	٠٩	٠٩	٤٥٠	٤٢	٤٥٠	٠٢	للخدمة والمأموريات	٢٥	٠٢	
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠	٠٨	٠٨	٤٠٠	٣٢	٤٠٠	٠١	الخصوصية	٢٠	٠١	
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠	٠٨	٠٨	٤٠٠	٣٦	٤٠٠	٠١	النيل	٢٠	٠١	
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠	٠٨	٠٨	٤٠٠	٢٠	٤٠٠	٠١	المحمودية	١٣	٠١	
٠١	٥٤٠	٠٦	٠٣	٠٠	٠٨	٠٨	٣٥٠	٢٧	٣٥٠	٠١	بني سويف	١٦	٠١	
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠	٠٨	٠٨	٣٥٠	٢٩	٣٥٠	٠١	الخيزه	٢١	٠١	
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠	٠٨	١٣	٠٨٠	٠٠	٠٨٠	٠٠	مستعمل للبحر والاشغال الاخرى	٠٠	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠	٠٨	١٣	٠٨٠	٠٠	٠٨٠	٠٠	« الغربية »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٦٠	٠٤	٠٣	٠٥	١٢	١٢	٠٥٠	٠٠	٠٥٠	٠٠	« المنشية »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠٥	٠٤	٠٠	١٣	١٣	٠٥٠	٠٠	٠٥٠	٠٠	« بشيش »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٣٠	٠٠	٠٣	٠٠	٠٦	٠٦	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠٠	« غرة ٤ »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٨	٠٢	٨٧	٢٢	٢٢	١٥٠٠	٠٠	١٥٠٠	٠٠	« قنا »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٧	٠٢	٨٧	٢٢	٢٢	٠٩٠٠	٠٠	٠٩٠٠	٠٠	« الروضه »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧	٢٢	٢٢	١٢٠٠	٠٠	١٢٠٠	٠٠	« المنيا »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٣	٠٤	٧٧	٢٢	٢٢	١٢٠٠	٠٠	١٢٠٠	٠٠	« السعوديه الكبير »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧	٢٢	٢٢	١٥٠٠	٠٠	١٥٠٠	٠٠	« دمياط »	٠٠	٠٠	
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧	٢٢	٢٢	١٥٠٠	٠٠	١٥٠٠	٠٠	« رشيد »	٠٠	٠٠	
٠١	١٠٠	١١	٠٦	٨٧	١٩	١٩	٠٨٠٠	٠٠	٠٨٠٠	٠٠	« طهطا المستجد »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠	١٣	١٣	٠٨٠٠	٠٠	٠٨٠٠	٠٠	« القيوم »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠١	٠٣	٠٠	١٣	١٣	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠٠	« طير سعيد الكبير »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٦٠	٠٣	٠٣	٠٠	١٢	١٢	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠١	« طهطا غرة ٧ »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٦٠	٠٤	٠٣	٢٥	١٢	١٢	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠٠	« السودان »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٨٠	٠٥	٠٤	٠٠	١٣	١٣	٠٥٠٠	٠٠	٠٥٠٠	٠٠	« مسير »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٦٠	٠٢	٠٤	٢٥	١٢	١٢	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠٠	« شراخيت »	٠٠	٠٠	
٠١	٠٤٠	٠٤	٠٣	٠٨	٠٥	٠٥	٢٥٠	٠٠	٢٥٠	٠٠	« الرظن غرة ١ »	٠٠	٠٠	

تابع ما قبله

رقم	فوتلك كتيبه	مقدار انصارها في الماه	ماتخرون من جملتها في كل ساعة من اليوم	متوسط ما يعرض من القسم	مقدار ما يتبعه مخازنها من القسم	الناظر	أسماء البواخر	الافقرات	أوقات حضوره
حضان	روضه	قدم	قنطار	قنطار	عدد	وايو مصر الكبير	مدد	مدد	عدد
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» مدشر خير	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» اسكندرية	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٤	١٣	٠٠	» الذهليه	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» ساعي خير	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» بنها	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» قوه	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» طنجا	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» القباري	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» مصر الصغير	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٨	٠٠	» بولاق	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٢٠	٠٣	٠٣	٠٥	٠٠	» العطف	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٨	٠١	٠٣	٠٠	» مطير سعيد الصغير	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٠	٠٠	١١	٠٠	» شري	٠٠	٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٠	٠٠	١١	٠٠	» فارسكور	٠٠	٠٠	٠٠

تسلمت كلها فيما بعد لادارة البوستة لاستخدامها في نقل البريد

جدول عدد الصنادل وجولتها

عدد الصنادل	جولة كل صندل بالاروب	طول كل صندل بالقدم	عرض كل صندل بالقدم	مقدار انصار كل صندل	ملاحظات
٢٥	١٦٥٠	١٢١	٢١	روضه	
٠٦	١٢٠٠	٠٩٤	٢٤	قدم	
٢٤	١٠٠٠	١٢٠	٢٠	٤	
١٥	٠٨٠٠	٠٨٦	٢٤	٩	
٠٥	٠٦٥٠	٠٨٧	١٨	٥	
٠٢	٠٥٥٠	٠٦٥	١٨	٠	
٠٣	٠٥٣٠	٠٦٤	١٨	٦	
٠١	٠٩٠٠	٠٩٤	٢٣	٦	
٠١	٠٨٠٠	٠٨٩	٢٠	٧	
٢٦				٦	

صنادل جولة اردب ١٦٥٠	صنادل جولة اردب ١٠٠	صنادل جولة اردب ٧٠٠	صنادل جولة اردب ١٥٠
٥	٢٦	٢٨	٢

الواحد وستون صندلا المذكورة أعلاه تسلمت للبوستة لاستخدامها مع العشرة وابورات السابق ذكرها في أعمال البريد

ثم أصدر أمره الى حافظ خليل باشا ناظر البحرية وقتئذ باقتناء زرخين وأربع بوخر حديدية تكون كالتى لشركات الملاحة التجارية فلما اشتروها سميت بالبحار ونجدوا القبارى وجده جعلت للبحر الاحمر كما جعل بوخر الجعفرية والسعيدية والتمساح للبحر الابيض المتوسط وابتوا له ايضا باخرة سميت فيض جهادر كويته خاصة ثم لما كثرت البواخر وكانت تحتاج للاصلاح والدهان من قاعها سنويا وان ارسلها لاوربا بتكلف مصاريف كثيرة أمر أحد مهندسى الفرنسيين ببناء حوض كبير ومن لقان جسيم بالاسكندرية فأخذ في العمل بجانب جامع سيدي المجاهد الذى بناه لطيف باشا منذ كان ناظر الترسانة (١٢٥٥ هـ) وكان طول المزلقان المذكور ٤٥٠ قدما وعلى رأسه آلة بخارية تسحب السفن وهدموا أربعة من لقانات من المزلقانات القديمة التى أنشئت فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا وأخذوا تقاضها للمزلقان الجديد وفى أثناء العمل مات الفرنسيون المذكور فاستحضرت البحرية مهندسين من الانكليز ولكنهم لم يتا العمل بخلاف حصل بينهم وبين الادارة البحرية ولم يسع حافظ خليل باشا ناظر البحرية فى متابعة العمل الذى أهمل بالمره بعد ان صرفت عليه المصاريف الكثيرة وفصل حافظ باشا من نظارة البحرية (١٢٧٣ هـ) وتعين مكانه حافظ مصطفى باشا وتعين حسين بك الرودى وكيلال للبحرية و خليل بك بونجه اطهلى ناظر الترسانة (١٢٧٨ هـ) ولما صدر فرمان سلطاني فى أول فبراير من سنة ١٨٥٧ م بانشاء الشركة المحمدية استخدم سعيد باشا جميع بوخر البحر الابيض والبحر الاحمر فى نقل البضائع والبريد من الثغور المصرية الى أسا كل الدولة ببحر الروم والبحر الاحمر فعادت من ذلك فائدة كبرى وكان أرسل فرقاطة رشيد الشراعية الى بلاد الانكليز لجعلها بخارية ولما وجدوها غير صالحة باعوها هناك وفى سنة ١٢٧٤ ابتاع من امر يقاسفينة بحرية من نوع القرويت دعيت سواح البحر ثم أرسلها الى انكلترة فجعلوها فرقاطة سميت محمد على وكان سعيد باشا يراها فى أكثر أسفاره قبل اتمام فيض جهاد ثم رأى من الواجب لترقى الملاحة والتجارة البحرية واصلاح فرضة السويس وبنائه وصيف لها لسهولة السكن والتفريغ فعين لجنة من المهندسين اختارت فجوة فى البحر هناك تحت جبل عتاقة وقالت بوجود انشاء رصيف (مولص) طوله ٤٠٠ متر وقدرت نفقته بنحو ٢٠٠,٠٠٠ ليره مصرية وعهد ايضا الى شركة تسمى شركة دوسو (Dussaud) انشاء حوض كبير فى السويس لاصلاح ما به من السفن المصرية (١٨٦٢) وقدرت مصاريفه بنحو ٣٥٢,٠٠٠ ليره انكليزية ولم يتم هذا الحوض الا فى زمن المرحوم اسمعيل باشا

النظام العسكرية فى عهد سعيد باشا - من أظهر الصفات والاميل التى اتصف بها سعيد باشا ميله الشديد للعسكرية وتزقيتها بجميع فروعها ومع ذلك لم تكن طريقة جمع الجنود على نظام وقوانين مرعية بل كانوا عند الحاجة لزيادة الجيوش أولا كمال نقصانها يستعملون طريقة وقية كما يتراعى لهم ويخصصون على كل مديرية قدرا معلوما من الجنود وكان عمد ومشايخ البلاد يستعملون لذلك طرقا وأساليب بأباها العدل فمن ذلك انهم كانوا كثيرا ما يقبضون على المارة والزوار لادخالهم ضمن العدد المطلوب خلاف ما يستعملونه من الغش والاحتيال وأخذ أموال الناس والانتقام من أعدائهم حتى كانوا يؤجرون بعض النساء والرجال ليكون خلف المقبوض عليهم ليروهوا الحكام انهم من أقاربهم وغير ذلك من الخيل الشيطانية التى كثيرا ما يستنبطها أهل مصر

فراراً من العسكرية لأن من أصعب الامور وأكربها لديهم الدخول بالجندية وأظن ذلك لاسباب منها بقاها الجندية في الخدمة طول حياته تقريباً وكثرة ما يناله من المشاق والتسخير في ذلك الوقت ومنها ان جميع الدول الاجنبية التي حكمت مصر لم تدخل أبداً مصر في العسكرية بل كان القائم بها أفراداً من جنس الدولة الحاكمة كما مر بك فلذلك بعد عهدهم بالعسكرية وصاروا يتفرون منها سيما وان الدفاع عن أرض مصر ليس في صالحهم بل هو في صالح الدولة الحاكمة لانهم فقدوا استقلالهم من زمن طويل وغير ذلك مما لا يخفى على اللبيب ولما أراد المرحوم محمد علي باشا أول موجد لجيش من المصريين أن يجند منهم جنوداً كانوا يفرون من ذلك ويحتالون بكل أنواع الخيل حتى لا يؤخذون للجندية فكان الكثير منهم يبقوا حدى عينيهم أو يقطع بعض أعضائه للاعفاء من الجندية ولما جعل منهم رديفاً سنة ١٢٥٥ اشاعه ربه في بلاد الشام وعم ذلك الشريف والنوابع منهم قال بعضهم في ذلك

علموا بهوات علينا * وكلامهم مشوه
من اعترض عليهم * فوق الجمر مشوه

صاحب الذقن * من أعلى القصور قشوه
وأمره الذقن * قدام الطابور مشوه

ولما رأى سعيد باشا ان الخدمة العسكرية قاصرة على الفقراء والضعفاء أصدر أمره بجمع أولاد العمد والمشايخ وأقاربهم (١٢٧٢ هـ) ليتساوى الكل في الخدمة العسكرية والاحتياجات الوطنية وعرف هذا الامر بلمة أولاد العمد ثم أصدر أمراً آخر بجمع عساكر مستجيبة أخرى وهو بالجيزة دعى بلمة الجيزة (١٢٧٤ هـ) وأخروهو بالقبارى ودعى بلمة القبارى (١٢٧٥ هـ) وأخروهو في ميت بره ودعى بلمة ميت بره (١٢٧٦ هـ) وغير ذلك وبلغ عدد الجيش المصرى في أول حكمه ٤٥٧٤٢ عسكرياً معهما من الخيول ٥٨٢٧ رأساً ومن البغال ١٨٣٠ رأساً ومن المدافع ١٢٠ مدفعاً وكان هذا الجيش يتركب من الألى من الطوبجية مكون من أربعة حذاآت ولكل حذاء أربع بطاريات ومن هذه الحذاآت أربع بطاريات طوبجية سوارى واثناعشرة بطارية طوبجية بياده ولكل حذاء بكباشى واحد ولكل حذاء من قاتمقام وكان يقود هذه القوة أو لافاضل باشا الدرهمى ثم لما نقل على البياده خلفه على حمدى باشا ومن الألى من طوبجية السواحل كان موزعاً على اسكندرية ورشيد ودمياط والقلة السعيدية وكان يتألف من ٣٥٠٠ جندى تحت قيادة حسين باشا الطوبجى ومن الألى طوبجية الحصار وكان مخصصاً للقلة السعيدية ويتألف من ١٩٥٠ جندياً تحت قيادة الميرالاي كوله على بك وجعل الايات السوارى الاربعة على أصناف فكان نصف الألى منها يلبس الرزد والنصف الآخر يلبس الدرود والألى يحمل المزاريق يقوده سليم باشا الجزائرى والألى ثالث يحمل القرينات والرابع يعرف بالألى الدال فلنج وكان تحت قيادة على باشا سكبرى وكان كل الألى من الايات السوارى المذكورة يتركب من ١٢٣٠ جندياً معه ١٢٠٠ حصان وكانت الايات البياده ثمانية كل الألى يتألف من ٦٦٤٠ جندياً وعلى كل الألى أميرلواء وكان للحرس أورطنان خصوصيتان تعرفان باورطى المعيسة تتألفان من ١٦٤٠ جندياً وكان بالجيش أيضاً أورطنة للمهندسين تتألف من ٨٥٠ نفر يقودها سليمان قبودان البحرى وأورطنة للكوبرجية وتتألف من ٨٥٠ نفر أيضاً تحت قيادة محمد أفندى خير وتسعة ارادى من الباشبوزوق وأوردبان من

العسكر الغير النظامية المعروفين بالعزب عددهم مائة الف واربعمائة واربعة عشر وكان كل اوردى منهم يعسكر في الغالب باحدى المديرية التي وهى قنوج وجرجا وأسسيوط والفيوم وبني سويف والمنيا والبحيرة والجيزة وكان عليهم على باشا القولة في توظيفه سرجسته ثم خلفه اسمعيل باشا أبو جبل ثم بعد تقليل عددهم جعل عليهم ضابط يدعى بكتاش اغا وفي سنة ١٢٧٣ صرف سعيد باشا هذا الجيش باجمعه ولم يبق منه الا ثلاث بلوكات من السوارى وبلوكين من الطوبجية وست اورط من المشاة أخذ معه منها اوردطين عند سفره الى السودان وأبقى الاربعة اورط الاخرى بالقاهرة والاسكندرية وبني سويف ثم جمع عموم الضباط العسكرين وجعل منهم مدرسة بالقلة السعيدية وسبب ذلك خوفه من حدوث ثورة بالبلاد يقوم بها الجيش مدة غيابه بالسودان كما هو وجعل لتظارة المدرسة المذكورة الميرالاي على بك المعروف بسميواستبول وبعد عودته من السودان أوجد خمسة الايات من المشاة والايامن طوبجية الميدان وآخر من طوبجية السواحل والايين من السوارى وفرق باقي الضباط على الضبطيات والمحافظات والمديرية وكان الامير حليم باشا ناظر الجهادية في أول حكم سعيد ثم خلفه مصطفى باشا الكريدى ثم اسمعيل سليم باشا المعروف بالفريقي وكان سليمان باشا الفرنسوى سردار اعلى الجيش ولما عاد الضباط الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا لانتهاء القنون العسكرية جعل من بينهم شريف بيك ومراد بيك وعلى شريف بك وحنفي افندى العشماوى أركان حرب السردار سليمان باشا وبعد وفاة هذا السردار (١٢٧٦) تعينوا القيادة الأورط والالايات بالجيش ويقال ان نابليون الثالث امير اطور فرانس بعد ما فرغ من حروب ايطاليا كان يحسن لسعيد باشا اجراء بعض امور تخالف رغبة متبوعه الا انهم فنجم عن ذلك تعكير كامن السياسة بين التابع والمتبوع (١٢٧٧ ٥) ولذلك جمع سعيد باشا الجيوش ثانية وأعاد اليها الضباط وكان غالبهم خارج الخدمة وبعضهم بعصالح الحكومة ونظم ٤٥ اورطة من الپياده وعشرين بطرية من المدافع والايين من طوبجية السواحل وستة الايات من السوارى وخمسة عشر اورديامن الباشبوزوق واردين من الشايقية وثلاثة ارادى من العربان واردين من لاسي القاووق وكافوا يعرفون باسم دلانية ثم قاد هذا الجيش العرمرم وذهب فعسكر به بمربوطاً فقام هناك نحو ثلاثة شهور أجرى أثناءها جملة مناورات حربية وكان عددهم هذا الجيش ٦٤٠٠٠ جندي علم ذلك من عدد الارغفة التي كانت تصرف من مخبز القبارى يومياتهم لما انقشعت ظلمات النفور وعادت أحوال السياسة كما كانت تصرف هذا الجيش باجمعه ورتب اوردطين جديدين كانت عساكرهما من حديث السن وعلمهم القراءة والكتابة ثم نظم سنة ١٢٧٨ اربع اورط امدادية ثم جعلها اثنتي عشرة اورطة ثم صرفهم بمقايير اربع اورط من الپياده وثلاثامن السوارى وبطرية واحدة من الطوبجية السوارى وأخرى من الطوبجية الپياده وهى القوة التي بقيت الى آخر أيامه وكان رحمه الله لا يقره قرار الامع عساكره المذكورة قائماني وسطهم ملازم الهمم في أكثر أوقانه ورقى منهم الكثير الى أعلى الرتب وكانت تعرض عليه القضايا والمهمات وأكثر ما يتعلق بشؤون البلاد وهو بينهم لا يقره أبن حل أو ارتحل وكان كثير التقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى مريوط وباب العرب وقصر النيل والقلة السعيدية وكان دائماً يغير أزياءهم الى أشكال مختلفة وقد ألبسهم أخضر الملابس من قطنية وصوفية ومخيش بالقصب ومخيل بالفضة والذهب وعلى طرايبهم

الفرحيات وكانت مناظر فرسانه المدرعة والمزرعة تشببه بالفرحون أو بالتي كان يعيل جدها الى جعل هيشة عسا كره تشبه عسا كرها ولذلك فانه ابتاع قدرا عظيما من البرانيط الفرنجية قصد بالاسما الجنود تخفاف سوء العاقبة من استعمالها وبقيت هذه البرانيط بمخازن القلعة حتى زمن المرحوم اسمعيل باشا ولكنها كثيرا ما كان يصرف على الجنود خصوصا اضطرت الحكومة في آخر عهده الى الاستقراض فاستمدت نحو ثلاثة ملايين من الليرات ولما كانت فرمانات الامتياز وقتئذ لاتصرح بالحكومة مصر بالاستدانة من الخارج خاف عاقبة الامر وأصدر الاوامر المشددة ببذل المجهود في تسديد تلك الديون حتى انه صرح بجميع أنباء قصوره وسراياته وكسبر من أملاكه وعقاراته الخصوصية بتعدادا عن مخالفة الدولة صاحبة السيادة وشماتة المراقبين له من العائلة الخديوية وغير ذلك مما ذكرناه ومع هذا فلم يتمكن من تسديد تلك الديون وترك معظمها بعد وفاته ولعله تذكر أيضا أن الديون مجلبة لدمار الممالك تجعل صاحبها سيدا بجانو جبهه من مداخلته والكل يعلم أن معظم الضعف الذي أصاب ممالك الشرق في الوقت الحاضر سببه ديون الاجانب فلا حول ولا قوة الا بالله

مساعدة سعيد باشا لنايليون الثالث في حرب المكسيك - رأينا من المناسب قبل الكلام على هذه المساعدة الا اننا نذكر بعض أسباب تلك الحروب فنقول إنه في سنة ١٨٦٠ ميلادية كان رئيس جمهورية المكسيك هو المسيو جوارز (Juarez) وفي مدته سعى بعض الاحزاب في اقامة الحكومة الملوكية بدل الجمهورية فحدث من ذلك ثورات داخلية ولما كانت المكسيك مدينة لانتكتره وفرنسا واسبانيا في مبالغ وافرة ورأت الدولة المذكورة أن قد أصاب ما ليها العسر لما هي فيه من الثورة أخذوا ياطالبونها بديونهم ملحين وشددوا النكير في ذلك فكتب جوارز للدول المذكورة يطلب منها مهلة فحسبوا أن هذا من باب المحاولة وطلبوا منه الكفالة على ذلك ولما كان لنايليون الثالث مقاصد سياسية في محور الجمهورية من المكسيك وتقرر ان المالكية فيها اتفق مع انتكتره واسبانيا على ان يحاربوا المكسيك سوية لاطفاء الثورة بها واصلاح حالها وورد النظام اليها وكانت الولايات المتحدة مشغولة اذ ذلك بحرب الغاء الرق فلم يكن لها المدخله وبعد قليل انسحبت انتكتره من الاتفاق وتبعها اسبانيا واما نايليون فلم يرجع عن عزمه وأرسل سنة ١٨٦١ العمارة الفرنسية على تحمل الجيوش الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين (Bazin) ولما ظهر الضعف على الجنود الفرنسية طلب نايليون من المرحوم سعيد باشا أن يمد يده ببعض الجنود السودانية لما كان بينهم من المودة ولم يستأذن سعيد باشا الباب العالي في ذلك وأرسل أورطة سودانية تتألف من ١٥٠٠ جندي عليها البكاشى جيرة الله محمد أفندي السودانى والصاغ الماس أفندي محمد وأبحر هؤلاء الجنود على وابور حربي فرنسوى (١٨٦٢ م) ولما مات هناك البكاشى المذكور خلفه في قيادة الاورطة المذكورة الماس محمد أفندي ورفق الى رتبة البكاشى وبقيت هذه الاورطة هناك نحو أربع سنوات وقد فنت كلها تقريبا بالامراض والحرب ولم يعد منها سوى ضباطها و ٣٠١ من أنفارا وقد أبلت في الحرب المذكور بلا عسنا هذا ولما بلغ الباب العالي الخبر اعترض على حكومة مصر لان اشتراكها في حرب بين دولتين أجنبيتين بغير مصادقة الدولة العثمانية يعهد من حكومة مصر للمعتبرة بجزء من الدولة العثمانية اعلان حرب منها على المكسيك وهذا يخالف لعهود الدولية

وأرسل الصدر الاعظم يوسف كامل باشا الى مصر مكاتب شديدة للهجة وقد أخذت المخبرات في هذه المسئلة دورا عظيما الى آخر عهد محمد سعيد باشا

الشروع في صنع ترعة السويس - قد سبق الكلام على هذه الترعسة في تاريخ الدولة بالجزء الاول ونذكر الان الاسباب التي دعت سعيد باشا الى امتياز فتحها فنقول انه لما تولى سعيد باشا الاربيكة الخديوية خاطبه الموسيوقر ديندوولسبس قنصل فرنسا (Ferdinand de Lesseps) في امرها وكانت له به ألفسة من قبل ثم ألح في الطلب ذاكره منافعتها الجملة وان مصر وحكومتها ينالان من ذلك من العز والسعادة ما لا يقدر ومن كثرة الحاح دولسبس وترغبه وبما أبداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا من حيث سعيد باشا أيضا على موافقة دولسبس مال سعيد باشا الى الايجاب سيما وان كان يرى ان الترعسة المذكورة تصبح حدا فاصلا بين مصر والدولة صاحبة السيادة التي يخشى بأسها فاصدر أمر بإعج الشركة الغير المعلومة الاعضاء وهي التي ألقها دولسبس التزام فتح القنال المذكور (٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ م) ثم اتفق الطرفان على تعيين لينان باشا وموجيل بك لرسم أراضى البرزخ وعمل الميزانيات اللازمة وتحديد محل الترعسة وتعيين الاراضى التي تحتاجها وتقدر تكاليفها وغير ذلك واهتم سعيد باشا بكل ما في وسعه لانجاز الاعمال التمهيدية ثم اجتمعت اللجنة المختلطة ونظرت في تلك الاعمال وعقدت شروطا لذلك (٥ يناير ١٨٥٦ م) ومما جاء فيها أن والى مصر لا يصدر أمره بالشروع في حفر الترعسة المذكورة الا بعد ترخيص الباب العالى وان الشركة تتعهد بعمل ترعتين احدهما بجزيرة لمرور السفن من البحر الابيض الى البحر الاحمر مارة في برزخ السويس وتكون الثانية نيلية لمرور السفن من النيل الى الترعسة المسالحة المذكورة وان ما يلزم للترعتين من الاراضى وكان ملكا للحكومة المصرية تتنازل عنه للشركة بلا مقابل وما كان يملو كالالهالى فان الشركة تدفع ثمنه بمساعدة الحكومة المصرية وقبل سعيد باشا أيضا ان يساعد الشركة بعشرين ألف عامل تكون تحت يدها على الدوام حتى ينتهى فتح الترعسة وغير ذلك من المساعدات ثم أصدرت الشركة أسهما قيمتها ٢٠٠ مليون فرنك فابتاع سعيد باشا من هذه الاسهم باسم الحكومة المصرية ١٧٦,٦٠٢ ثم ابتدأت الشركة في العمل على ساحل البحر الابيض المتوسط (٣ ابريل سنة ١٨٥٩) كل ذلك وحكومة فرنسا لا تقترط رفة عين بواسطة سفيرها في الاستانة عن بذل المساعى الجملة لجعل الباب العالى يصادق على فتح الترعسة المذكورة ولما منجحت مساعى دولسبس في ذلك وفي بيع السهام وشروع في الاعمال واشتهر هذا العمل وعلمت الدولة الانكليزية مالوا الى مصر وقتئذ من الميل لاتمام هذا المشروع وبارازة الى عالم الظهور بحال مصر ورجالها وكان هذا الامر يتناقى نواياها السياسية التي من أهمها منع كل دولة أوروبية قوية من الاستئثار بعمل عظيم في مصر أخذت في المعاكسة وإقامة العراقيل ونشرت جرائدها مقالات عديدة تظعن فيها على هذا المشروع وتعارض في انجازه وتقول بعدم نجاحه وامكان عمله وغير ذلك وأخذت تخابر الباب العالى على يد سفيرها بالاستانة ليسمى جهده في توقيف العمل وتقيظت من والى مصر حتى انها أعدت سفننا الحربية لتذهب الى الاسكندرية مهتدة وحصلت المخبرات بين الباب العالى ومصر في هذا الشأن وكثر الخوف في الديار المصرية حتى ان قنصل فرنسا الموسيو سباتيه (Sabatier) كتب (٢٠ يوليو ١٨٥٩) الى الفرنسيين المقيمين في برزخ السويس يشير عليهم بمبارحته

وان كل من تأخر عن الرحيل لا يلوم الانفسه وكثر الغلط في شأن قدوم الأساطيل الانجليزية وبما زاد الخوف وأقلق الافكار ان الدولة العثمانية كانت غير راضية عن فتح القنال وليت الدولتين العثمانية والانجليزية تتحكما في مساعيهما ومنعنا شق هذا القنال الذي شق المرأثر وجلب المصائب والزيا على هذه البلاد التعيسة ثم توسط نابليون الثالث في الامر بالطرق السياسية وتجار مع الدول فهذأت الاحوال وتذلت بعض المصاعب وكان العمل مع ذلك مستمرا ولم يأت يوم ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٦٢ الا وقد شقت الشركة القنال المذكور حتى وصلت الى بحيرة التمساح كل هذا ولم تحصل الشركة على فرمان التصريح من الباب العالي اكتفاء بتصريح والى مصر وهو ما لا يسمح به القانون الدولي ولكن من يقرأ ومن يسمع ولهذ اندد كثير من الكتاب بقولهم ولو أن فتح هذا القنال يعود على شركات الملاحة ودول البحار بالفوائد العظيمة لتقر به الطريقتين أوروبا والممالك الشرقية وهو أمر يشكر عليه سعيد باشا ولكن كان الواجب عليه النظر مع حكومته فيما يعود على بلاده من المنافع والمكاسب التجارية والسياسية الحقيقية لان القنال في أرض مصر وفتح عمل مصر وأبنائها وكان لابد من ذلك في عقد الشركة قبل أن يصدق ويصرح ولا يحق لاحد ما أن يعانعه في ذلك

وفاة سعيد باشا - كانت وفاة محمد سعيد باشا بنظر الاسكندرية في يوم ٢٧ رجب من سنة ١٢٧٩ هـ وعمره ٤٢ سنة ومدته حكمة ثمان سنوات وتسعة أشهر وكان رحمه الله جوادا كريما عادلا له فراسة ومعرفة بأمر كثيرة حاز نصيبا من المعارف عفيفا دينا زار قبر المصطفى سنة ١٢٧٧ واستحب معه ١٢ بلو كمن البيادة و ٩٠ جنديا من السوارى ونصف بطارية من الطوبجية ورافقه كل من كامل باشا ومحمد راتب باشا وطلعت باشا وسليم باشا و ابراهيم باشا وعبد الله باشا وعلى باشا وخوشريف مكة المكرمة و زكي باشا وكيل الشريف وغيرهم وعاد بعد شهر وستة أيام وتخلفه في الولاية ابن أخيه اسمعيل باشا

(اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا)

١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ

كان مولد اسمعيل باشا سنة ١٢٤٦ وتربى تربية علمية حسنة في مدارس فرنسا مع اخوته أحمد باشا الاكبر ومصطفى باشا فاضل الاصغر وتقلب في مدة سلطته سعيد باشا في ادارات الحكومة المصرية فاختر بأحوالها بنفسه ولما انفرد بالحكومة بذل جهده في تحسين البلاد فارتقت الى درجة لم يسبق لها مثيل في هذه البلاد كما سئبته في مواضعه لانه صرف قصارى الهمة والعزيمة في امتداد نطاق التجارة والزراعة والصناعة وملا أراضي مصر بالترع والطرق الحديدية والخطوط التلغرافية حتى أوصلها الى بلاد السودان وأجرى المياه العذبة في شوارع القاهرة ونظر الاسكندرية في أنابيب حديدية على يد شركائ اجنبيية و اضاع شوارع مصر واسكندرية بالانوار الغازية ووسع معامل السكر التي كان سلفه أسسها بالوجه القبلي وأسس معامل الورق بيولاك بجانب المطبعة الأميرية التي أدخل فيها كثيرا من الاصلاحات وجلب لها أحسن الآلات حتى أصبحت من

أحسن المطابع وترجت في أيامه الكتب العديدة من اللغات الافرنجية الى اللغة العربية لالتفات الناس الى تحصيل العلوم وصرح في سنة ١٢٨٦ بتأسيس جمعية لنشر المعارف في البلاد بمساعي المرحوم معارف باشا جعلت تحت رعاية ولي عهد الحكومة توفيق باشا اعظاما لشأنها وقد اقامت هذه الجمعية فائدة جليلا بما طبعته من المؤلفات المهمة القديمة في كل العلوم العربية وأنشأ الكتبخانة الخديوية التي يدرب الجماميز وجمع فيها أندر المؤلفات بين عربية وتركية وفارسية وغيرها واعنتى بدار التحف المصرية اعثناء عظيمًا وعين لادارتها (١٨٦٣ م) مارييت بك (Mariette) المؤرخ الشهير والحاصل أن مصر دخلت في أيامه في دور التمدن الغربي الحديث واتسعت بها موارد الثروة واتفق أن قامت في أول أيامه الحروب الداخلية بممالك امريكا المتحدة وبذلك انقطع ما كان يرد منها من الاقطان الى انجلترا فتهاقت طلابه على مصر فأثرى الناس من ذلك وأكثر وامن زراعته

زيارة السلطان عبد العزيز خان لمصر - انه في السنة الاولى من تولية المرحوم اسمعيل باشا قدم مولانا السلطان عبد العزيز خان لمصر زائرا كما سبق في الجزء الاول فاحتفل به الخديو احتفالا لم يسبق له مثيل وفي مدة اقامته بئر الاسكندرية صلى الجمعة بجامع سيدى الاباصيرى في مقصورة خصوصية كالمهي العادة وأقام بالقاهرة في سراى المرحوم محمد على باشا التي بالقلعة وصلى الجمعة بجامع محمد على باشا بالقلعة داخل مقصورة أيضا وضعت بجوار المنبر وخرج لصلاتها في موكب عظيم سار فيه بين يديه الامراء والذوات العظام على الاقدام وكانوا أعدوا الجلالتة مقاصير أخرى بالمسجد الحسينى وبالمسجد الزينى فلم يصل فيها لانه لم يقم بالقاهرة الا سبعة أيام زارا أثناءها أشهر الامكنة ثم عاد الى دار الخلافة وقدم له الخديو وابور فيض جهاد هدية ليكون له يمتا خصوصا لقبه وسمى من يومئذ بالسلطانية وأوصى الخديو بولنדרه على وابور آخر لركوبته دعاه المحروسه كما أوصى بعض معامل فرنسا فبنوا له سفينتى مصر والغربية

المعارف في عهده - لما جلس المرحوم اسمعيل باشا لم يكن بمصر من المدارس الأميرية الا ثلاث فقط ولما كان يعرف قيمة العلوم لحسن تربيته كما سبق وأن سعادة الأمم مرتبطة بتربيتها في المعارف وجه عنيته والحق يقال الى هذا الامر وأنشأ كثيرا من المدارس بمصر والاسكندرية ومدن الاقاليم حتى بلغ عددها أنشأ منها ٤٣ مدرسة (١) جمع فيها من شبان القطر عددا وافرا

(١) مدرسة الطب والولادة وكانت مدرسة واحدة فوسع نطاقها وفصلها عن بعضها سنة ١٨٦٤ والمدرسة التجهيزية تأسست ١٨٦٤ م ومدرسة اسكندرية تأسست سنة ١٨٦٤ ومدرسة المبتدئان تأسست ١٨٦٣ والمهندسخانة تأسست ١٨٦٦ والطب البيطرى تأسست ١٨٦٧ ثم أقيمت سنة ١٨٧٩ ومدرسة المحاسبة التابعة للجرية تأسست سنة ١٨٦٧ وأقيمت سنة ١٨٧٣ ومدرسة الزراعة التابعة للجرية تأسست ١٨٦٧ وأقيمت سنة ١٨٧٥ ومدرسة المساحة والمحاسبة تأسست ١٨٦٨ ومدرسة الحقوق تأسست ١٨٦٨ ومدرسة الفنون والصنائع تأسست ١٨٦٨ ومدرسة التعرف العربى تأسست ١٨٦٨ وأقيمت سنة ١٨٦٩ وعدة مكاتب متنوعة تأسست في سنة ١٨٦٨ وأقيمت سنة ١٨٧٢ ومدرسة الفنون العسكرية تأسست سنة ١٨٦٨ وأقيمت سنة ١٨٧٢ ومدرسة طنطا تأسست سنة ١٨٦٨ ومدرسة أسبوط تأسست ١٨٦٨ وفرقة الرسم بالمدارس الملكية تأسست سنة ١٨٦٩ وأقيمت سنة ١٨٧٩ وفرقة القاشين تأسست سنة ١٧٦٩ وأقيمت سنة ١٨٧١ ومدرسة

هذا خلاف المدارس الحربية التي أنشأها ونظمها وجعلها كمدارس فرانسافي النظام وبذلك أعاد إلى مصر التي كانت مركز العلوم والفنون كما يعلمه كل من له الملم بالتاريخ أنخرما كانت فقدته من أسباب السعادة ومدحه الكتاب على ذلك ولقبوه بعبد محمد مصر ويعلم من الاسانيد الكتابية ان تلامذة المدارس المنتظمة بلغت زمن المرحوم محمد علي باشا ٣٠٠٠ تليد فقط أما في زمن هذا العزيز فقد زاد عددهم عن ستين ألفا ما بين سنتي ١٨٦٣، ١٨٧٣ وبلغ في هذه السنة الاخيرة ٨٩٨٩٣ تليداً وإذا قابلنا هذا العدد على سكان القطر وقتئذ البالغ عددهم ٥٢٥٠٠٠٠٠ نفس بحسب الاحصاء الرسمي خص كل عشرة آلاف نفس ١٧٣ تليداً وهذا وان قل بالنسبة لاكثر بلاد أوروبا ولكنه يعد نجاحاً عظيماً بالنسبة لبلاصمصر وعين أدهم باشا مديراً للمدارس وناظر الاوقاف (٥ ش ١٢٧٩) ثم فصل في ٩ صفر سنة ١٢٨٠ وأحال المدارس على شريف باشا الذي كان يومئذ رئيس المجلس الاحكام وفي ٢٢ الحجة سنة ١٢٨٤ عين على مبارك باشا مديراً للمدارس والاشغال ثم فصل سنة ١٢٨٧ وعين مكانه بهجت باشا (٢٤ ج) وجعل على مبارك باشا على نظارة الاوقاف وفي ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ أعاد على مبارك باشا مديراً للمدارس والمكاتب مع بقاءه على الاوقاف ونصب بهجت باشا على الاشغال العمومية ثم في ٢١ ج سنة ١٢٨٩ جعل البرنس حسين باشا ناظر المدارس والاشغال والمكاتب الأهلية وعين على مبارك باشا مستشاره وفي ٢٠ جادى الثانية من سنة ١٢٩٠ تعين مصطفى رياض باشا ناظر المدارس ثم فصل عنها في ١٠ محرم سنة ١٢٩٠ وتعين مكانه ثابت باشا (١٠ ربيع الثاني) ثم في ٢٤ رجب سنة ١٢٩١ فصل ووجهت نظارة المعارف والاشغال الى البرنس طوسون باشا وتعين ثابت باشا مستشاره وفصل في ٢٨ رجب سنة ١٢٩٢ ثم وجهت الى منصور باشا وفي ٢٧ جادى الاولى من سنة ١٢٩٣ أعاد رياض باشا على نظارة المعارف ثم فصله في ١٢ شوال سنة ١٢٩٤ ونصب مكانه اسمعيل أيوب باشا ثم صرفه في ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٥ وأعاد اليها على مبارك باشا وفصل في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٦ وأعاد اليها ثابت باشا فبقى وزيراً لها حتى تنازل اسمعيل باشا عن الريكة الخديوية وكان في انشاء هذه المدارس فائدة كبرى لا تقدر حيث ينبغ منها كثيرون أفادوا البلاد واستفادوا هذا خلاف ما كان باوربا من التلامذة المصريين الذين رسلون

السان المصري القديم تأسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٥ وفرقة عمليات المرور تأسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٢ والمدرسة النبية للبنات تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة بنى سويف تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة المنية تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة القرية تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة الجمالية تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة باب الشعربة تأسست سنة ١٨٧٤ ومدرسة السيدة زينب تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة شيخون تأسست سنة ١٨٧٤ ومدرسة بولاق تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة العقادين تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة النحاسين تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة العيان والخرس تأسست سنة ١٨٧٥ ومكتب الجبانية تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة رشيد تأسست سنة ١٨٧٦ ومكتب الامام الشافعي تأسست سنة ١٨٧٨ ومدرسة عابدين تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة مصر القديمة تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة القشن تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة قلم الترجمة تأسست سنة ١٨٧٨ ومدرسة دارالعلوم تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة الحسينية تأسست سنة ١٨٧٣ ٥١ من كتاب الاحصاء للفاضل أمين بك سبى ناظر مدرسة المتديان ودارالعلوم

سنويا على مصاريف الحكومة اما لا كمال معارفهم أو لتلقي العلوم بالمدارس المختلفة هناك فكانت قواؤها على الديار جمة ومنافعها مهمة اذا وجدت لها من بينها عددا كبيرا من الرجال أصحاب الاستعداد خدموها في اداراتها المختلفة ولا تزال أعمال خدماتهم تذكروا شاهد للعموم الى الآن ففتسكروا

ثورة احمد الطيب في قو - ظهر في اول حكم الخديو اسمعيل باشا في بلدة قو من أعمال مديرية جرجا رجل يدعى احمد الطيب أصله من الصعيد الاعلى يزعم انه شريف جعفرى ويدي العلم والولاية والمكاشفات فالتف عليه كثيرون في زمن قليل وصار يطعن على الحكومة وأعمالها ويرى الحكام بالمرقوق من الدين وحدث أن اشترى أحد الاقباط هناك جارية وحاول تصديرها فأظهرت الامتناع فأغظت عليها فلما علم احمد الطيب بذلك قام لتخليص الجارية المذكورة وتبعه كثيرون من أخلاط مديرية جرجا وأسيوط ولما خلاص الجارية كما أراد لم يقف عند هذا الحد بل جاوزه وادعى المهذوبه فاستفعل أمره وخافت الحكومة من ثورة شديدة تكون عليها وأمر الخديو بتوجيه قوة عسكرية عليه وهى أورطتان ومسدفعان وكان على الاورطة الاولى البكباشى محمد بك شكرى وعلى الثانية البكباشى فرح افندى المذكور وعلى الاورطتين القائمتان محمود بك طاهر (الآن باشا) وتعين جاهين باشا قائدا عاما على القوة المذكورة فسافرت الى قو على بواخر النيل ولما وصلت انضم اليها فرقة من عساكر الباشو زوق كما فوائحت قيادة رفاعة أغا ورافقها أيضا المرحوم محمد فاضل باشا مفتش وجه قبلى وقتئذ وهو المعروف بالدرملى وقصد الجميع الشيخ احمد الطيب وجوعه واشتبكت المعركة بين الطرفين من الساعة العاشرة عريسة نهارا وبعد ساعة انهزم الثائرون وقتل زعيمهم احمد الطيب المذكور قتله أحد عساكر الباشو زوق وزال أثر الثورة بالرة وبقيت العساكر هناك ثلاثة أيام حفظا للامن وقتل في هذه المعركة كثير من الثائرين وخرت بيوتهم وسلبت أموالهم وبقى عددوا فر منهم الى البحر الايض مدة حياتهم ثم عقا الخديو عن باقهم

البحرية في عهد الخديو اسمعيل باشا - سبق الكلام في مقدمة هذا الجزء عن الاصلاحات التى أدخلها اسمعيل باشا في الادارة البحرية من أول جلوسه واهتمامه باعلام شأن دار صناعة الاسكندرية وذلك بأن أعاد ورشها ومعاملها وجمع لها الصناع من أطراف البلاد وجدد فيها كثيرا من الآلات والمسابك حتى أصبحت تكفى لاحتياجات البواخر المصرية واستغنت عن كثير مما كانت تحتاجه من البلاد الاجنبية وكان على البحرية يومئذ احمد باشا الجوخدار ووكيله مصطفى بك التوصيلى ومدير دار الصناعة مصطفى بك جركس ثم عين احمد باشا المذكور مديرا للقلم المشترك الذى أنشئ حديثا فكانت جميع مصالح الحكومة تطلب منه ما يلزمها من البلاد الاجنبية فيشترى بها بالناقصة وبذلك توفر للحكومة مبالغ عظيمة ووجهت نظارة البحرية الى عبد اللطيف باشا (١٢٨٠ هـ) وجعل محمدا ثقف بك ناظرا للترسانة وأوصت الحكومة بعض معامل انكاثرة وفرانسابان تشيد لها سفن حربية ولما وصلت تلك البواخر اختار لها عبد اللطيف باشا من رجال البحرية الملقاة من يرى فيهم الاهلية وصدر أمر الخديو أيضا بإنشاء قروبت حربي بالاسكندرية ولما أتت قومه أنزل الى البحر باحتفال كالجرت العادة حضره الخديو بنفسه وسمى هذا

القروبت لطيف باسم ناظر البحرية وشرعوا في بناء قروبت آخر حربي وفي بناء منزل لاديوان البحرية وعمره ومسجد سيدي المجاهد القريب من الميناء وأجريت اصلاحات أخرى مفيدة وتعين بعض ضباط البحرية في ادارات تابعة للبحرية مثل بحري قبودان فإنه تعين مأمورا للشتروات الوقفية وجعل مكانه بعد وفاته (١٢٨٤ هـ) اليوزباشي مصطفي قبودان عرفي ونصب شاهين قبودان مأمورا للفلائك وصنادل الديوان والبكاشي خلف الله قبودان مأمورا لورشة التيالة وما يتبعها من البراطيم والشمندورات والمحاطيف والجنائزير والاحبال والمقص وغيرها من الاشياء الباقية من الدونما القديمة ثم لما أبدل المقص المذكور بأله الونش الحديدي الكبير (١٢٨٨ هـ) الذي جعل لرفع الاثقال تعين له محمد الدكش قبودان الذي تعين فيما بعد بادارة الليمانات والفنارات مع مدير هاميكوب باشا وفي تلك الاثناء اتبع لطيف باشا ناظر البحرية سبع سفائن شرعية جعل ربانها من قبودانات المراكب الشرعية التجارية واستخدمها في نقل الاخشاب والاحطاب اللازمة للبحرية والعسكرية من بر الاناضول وكان ذلك من أحسن الاعمال وأفيدها لمصر ولما وصلت المراكب التي أوصت عليها الحكومة الخديوية من بلاد أوروبا بأمر الخديو بنقل فرقاطة الابراهيمية وواور سمند من البحر الابيض الى البحر الاحمر عن طريق رأس عشم الخير وكان ذلك قبل فتح القنال فسافر الاول سنة ١٢٨١ هـ تحت قيادة مصطفي بك العرب وعرج في طريقه على زنجبار فأكرم سلطانها السيد ماجد ابن السيد سعيد من بالسفينة المذكورة من المصريين وأهدى قبودانها سيفا مجوهرها وأشياء أخرى وأرسل معه مكتوبا وديا الى خديو مصر وكتب الخديو له يشكره على ذلك^(١) وسافرت الثانية في سنة ١٢٨٢ تحت قيادة سليمان قبودان حلوة كما مر بالجزء الاول ثم لما وصل مصطفي بك الى السويس جعل باشا بمصر العموم السفائن فيها وكان على قبودان الديب مأمورا لادارة الخوض ولما رقى مصطفي بك العرب الى رتبة اللواء جعل

(١) الملك العظيم والسلطان المنعم سلطان زنجبار صانه الله تعالى من الاسكار سلام يسقر عن اخلاص المودة سناء وتناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحيات تمشك بفتحاتها المحافل وتمسك باذيالها السمات الشمائل الى حضرة خلاصة الامجاد الاكرام وينبوع المحامد والمكارم مختر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من أشرف صفحات الايام نور قبالة وانفتحت كلمات الانام على شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترتخت بوجوده أعواد المنابر فكانتها الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الانعم المشار اليه أعلاه حرم الله علاه ولا زالت تغور الملك معاليه باسمه ورياح السعد في نوابه باسمه وعبود الخطوب عن سدة ناله وغوث السرور على ساحتها دائه أمين وبعده فقد وصل الى متر فكم الكريم وتلقينه بما ينبغي له من التكريم فحصل لي مزيد المسرة بجهة مزاج تلك الحضرة وأخبرني أيضا مصطفي بك قبودان سفينة الابراهيمية أنه لما وصل الى جهة مملككم المحمية خطي من جنابكم العالي بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدي ما ناله هناك من صنوف الالتفات والاسعاد وأوصل الي أيضا من طرفكم التشريف فرسين كريمين من الصافيات الجياد فأحاط بي من السرور والابتهاج بما أبدتوه من معالي هممكم ولا سيما ما تكرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدم قدمكم ما يقصر في وصفه اللسان ويقتصر عن تعريفه بان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفع له مجال التقرير والتحرير فشكل الله تلك الهمم العوالي وأبقاها مادامت الايام والليالي وهذا المحب محمد الله في صحبه وعافيه ونعمه من الله تعالى وافيه ولا زال مشمول القلب بالموودة اليكم مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاته والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل ما يلزم من هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام في حرق شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٢ هـ من المحب المخلص اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على اه من الامارات الفكرية

وكيلا للبحر به بدلا عن مصطفي بك التوصيلي الذي نقل الى مصلحة الانجارية به بدار صناعة بولاق بدلا من محمد بك مهدي البحري (١٢٨٢ هـ) وتعيين جمالي بك باشا بجو غابله بالسويس وقبودانا لفرقاطة شيرجهاد وفي سنة ١٢٨١ هـ أمر الخديو بفتح مدرسة للبحرية وانتخب لها عبد اللطيف باشا من اولاد ضباط البحرية ٢٢ تلميذا وجعلها اولاً في زرع غرة واحد ثم نقلت الى وابور النيل الذي سمي بعدئذ بالفيوم لتكون تحت نظارة قبودانه محمد بك الرودسلي وكان يعلمهم بعض العلوم البحرية ثم ما وصلت فرقاطة شيرجهاد الى السويس نقلت المدرسة المذكورة اليها وتعين للتدريس بها مصطفي قبودان شاهين ونبغ من المدرسة المذكورة طلبة استخدمتهم الحكومة في بواخرها المستجدة ثم فصل لطيف باشا من البحرية وصار شاهين باشا ناظرا للجهادية والبحرية معا وأوصى الخديو بأحد معامل فرانس على عمل ثلاث مدرعات حربية واحدمعامل النمسا على مدرع رابع وأمر ناظر البحرية بفتح مدرسة بحرية يدرس بها ما يدرس بالمدراس البحرية بأوروبا فصدع بالامر وانتخب لها من فيهم اللياقة من المدارس الملكية الاميرية وهم الخازنون على المعلومات الابتدائية وكنت من ضمنهم وجعلت تحت نظارة مكيلوب بك الانكليزي وكان استقدمه الخديو ليكون معلم فن الملاحة للامير ابراهيم باشا رابع انجاله ولما ارسل الامير المذكور الى أوروبا بجعل مكيلوب بك ناظر للمدرسة البحرية المذكورة وكان يدرس فن الملاحة وسير السفائن وكان وكيله عبد الرزاق بك يدرس اللغة الانكليزية وعلم التاريخ والطبيعة وعلى سلامة أفندي يعلم علم الهيئة والجغرافيا ويعلم ابراهيم أفندي رسم خراط البحار ومصطفي بك صادق الرياضة والجبر وعلم المثلثات المستقيمة والكروية واليوز باشي عثمان أفندي طلعت استعمال السلاح والقوانين العسكرية والمسترجسون فن الطوبجية والسيف البحري والارمسة والمسترا برايم فن الطور بيد البحري وسليمان أفندي زهدى اللغة التركية والخط وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات موزعة على الكيفية الآتية

السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	ملحوظات
جزء أول من فن الملاحة	جزء ثاني من فن الملاحة	الآلات البخارية	
استعمال الكرة الصناعية	الكائنات الجوية	مناورة بحرية	
علم الطبيعة	فن الطوبجية البحرية	لغة انكليزية	
حساب المثلثات الكروية	لغة انكليزية	جغرافيا	
جغرافيا	جغرافيا	التاريخ البحري	
خراط البحار	تعليم السلاح	القوانين البحرية	
تعليم السلاح	القوانين البحرية	خراط البحار	
فن المدافع	خراط البحار	مسائل بحرية	
فن الارمسة	فن المدافع	تطبيقات	
تعليم المجداف	تعليم المجداف	تعليم السلاح	
تعليم سير الفلائك	سير الفلائك بالشراع	فن المدافع	
تعليم السباحة	تعليم الارمسة	تعليم الارمسة	
اللغة التركية	استعمال الكرة السماوية	اللغة التركية	
القوانين العسكرية	اللغة التركية	القوانين العسكرية	
لغة انكليزية	القوانين العسكرية	فن الطور بيد	
.....	فن الطور بيد	

واستمر التعليم بهذه المدرسة على هذا المنوال أربعة أعوام تقريبا وكانت نظارة البحرية تعنتي بها كثيرا وهمت بشأنها وأمر رحمه الله أيضا فانتخبوا أربعة من التلامذة أرسلوا الى البلاد الانكليزية يتعلم اثنان منهم فن انشاء السفن وهما حسن فريد افندي وحشمت افندي ويتعلم الاثنان الآخران وهما محمد أنيس افندي ومحمد عارف افندي وعمل الآلات البخارية كل ذلك بقصد توسيع نطاق البحرية المصرية ولما تعلم المذكورون ما أرسلوا لاجله عادوا الى بلادهم وألحقوا بدار الصناعة ثم انه في أواخر سنة ١٨٦٨ لما قرب انتهاء فتح قنال السويس شيدت الحكومة أربعة فنارات على سواحل البحر الابيض عند رشيد ودمياط والبرلس وبور سعيد وشكلت للفنارات ادارة خاصة وأحالت رياستها على مكيلوب بك المذكور وجعلت سليمان حلاوة أفندي القبودان (١) مدرسا لفن الملاحة وحل المسائل الفلكية بالمثلثات الكروية بالمدرسة البحرية ثم ان مكيلوب بك اجتهد حتى تمكن من اضافة أعمال مينات مصر الى الفنارات وكانت ادارة ميناء الاسكندرية لغاية سنة ١٨٧٠ ميلادية خارجة عن الادارة المذكورة ورؤسها محمود قبودان كله يوسف وكان مكيلوب يسمى كثيرا في ضمها الى بقية المواني ويعارضه لطيف باشا الذي كان خلف جاهين باشا على البحرية ثم انتهى الامر بحصول مكيلوب على مرغوبه وأنتم عليه الخديو برتبة أمير اللواء وسن للفنارات والمواني نظاما خاصا هذا وكان بالبحر الأحمر أربع منارات أيضا بمجھات زفويا والزعفران

(١) ولد سليمان حلاوة ببلدة قصر بغداد من أعمال المنوقية سنة ١٢٣٥ هـ ثم الحق وهو في العاشرة من عمره بمدرسة الاسكندرية الاميرية ولما تعلمها القراءة والكتابة والمعلومات الابتدائية ألحق بمدرسة الطوبجية (١٢٤٧ هـ) فتلحق بها العلوم الرياضية والرتبة جاو بش ثم باجواب وش ولبراغته جعلوه معلما لفرقة من التلامذع اتماراه على تلقى العلوم وكان من معلميه وقتئذ المرحومان مظهر باشا وسجبت باشا وفي سنة ١٢٥٠ نال المترجم رتبة الملازم وفي سنة ١٢٥٣ عين بمدرسة البحرية مدرسا للمهندسة والحساب وكان مع ذلك يتلقى العلوم البحرية وكان من معلميه اثنان من الاجانب أحدهما تلياني والاخر مالطي وقد ظهر عليه في كل هذه الادوار استعداد قريب ومهارة فاقمة ولما رأى ان علم الملاحة انما ينهت قواين المثلثات المستقيمة الاضلاع والمثلثات الكروية أخذ يطلع على الملاحة على هذه القواين حتى برع في فنون الملاحة وتقدم فيها جدا ثم لما علمت العلمان الاوروبو بان المذكور ان أحيل عليه تعليم فنون الملاحة وعلم الحساب أيضا وخصافته ومهارته كان يلقى على التلامذة القضايا النظرية والعملية بطريقتة بسيطة ويرهن لهم عليها بكتابة سهلة مفهومة فاستفادوا وبرعوا ثم عينه الحكومة مع غيره لاكتشاف حدود مصر من جهة الغرب وتعيين الابعاد التي يمكن للسفن الاجنبية الدخول منها فعمل لذلك خريطة مفصلة ثم عين مرة أخرى لاكتشاف المرافئ التي في السواحل المذكورة فذهب ورسم لذلك خريطة أخرى ثم في سنة ١٢٧١ لما أليت المدرسة البحرية جعل المترجم ضمن ضباط نخبة فيض جهاد وأطروا عليه تصحيح سائط الكرونومتر ثم عينوه لتقدير حساب الاسفار به أيضا وفي تلك المدة بالرتبة اليوزباشي وفي سنة ١٢٨٢ نال رتبة الصاغ قول اعانني وجعل قبودان بالباخرة ممنوهم في الرتبة البكباشي وأمرته الحكومة بالذهاب الى بلاد الانكليز لاصلاح بعض آلات باخرته وان يأخذ معه جها من فقراء المغاربة كانوا تخلقوا بمصر وتوسلهم الى بلادهم وقد كان في هذه السفرة يصعب ما شئ لا يتشار الوباء بين أولئك الججاج ويرفض كل المواني انزالهم بها ولما أخرجهم الى بلادهم وأصلح باخرته أمر بالوران حول قارة افريقية لا يصال الباخرة المذكورة مدينة السويس فقام بذلك خير قيام ثم في سنة ١٢٨٧ نقل الى المدرسة البحرية التي كان يديرها مكيلوب بك الذي نقل الى ادارة الفنارات أما المترجم فأطروا عليه هناك تدريس فنون البحرية والفلكية فأفاد التلامذة فائدة عظيمة وألقى فن الملاحة كتابا يسمى الكوكب الزاهر في فن البحر الزاخر ثم تقلب في عدة وظائف الى أن أحيل على العاشرة سنة ١٣٠٠ وكانت وقته حسنة رحمه الله رحمة واسعة

والاشرفى وأبى كيزان ولما كانت هذه الفئانات قليلة بالنسبة لكثرة سخور البحر المذكور وأخطاره أمره الخديو قشيداً أخرى سملت بها الملاحة بالبحر المذكور وهي فنار رأس الغرب (١٨٧١ م) وفنار سخور الاخوين الشمالية (١٨٧٣ م) ثم فنار جزيرة شدوان (١٨٨٩ م) ولما مات مكيلوب باشا خلفه موريس بك ورقي الى رتبة باشا واستقل الاميرال بلونتلد بآدارة ميناء الاسكندرية ثم جعلت المصلحتان فصارا ادارة واحدة

ولما كان شاهين باشا ناظرا للبحرية اقمى من فرنسا الحوض العوام الذى كان أوصى عليه الخديو (١٨٦٨ م) ويعرف هذا الحوض بالدوك وقد بلغت تكاليفه ١٢٦,٣٣٦ جنهما مصر يا وطوله ٤٦٣ قدما وعرضه ٧٩ قدما وعمقه ١٧,٦ قدما وزنته ٣,٨٠٠,٠٠٠ من الكيلوغرامات وبه آلتان بخاريتان قوة كل منهما ٢٥ حصانا وله بابان يفتحان ويغلقان حسب الارادة وفصحات بالجوانب وغير ذلك وهو سهل الاستعمال كما يعمله أرباب الملاحة (١) ولما تم بناء قرويت الصاعقة أنزل أيضا باحتفال ثم أرسل الى مدينة طولون تحت قيادة ابراهيم بك عربكرلى تركيب آله البخارية وكان يسجبه باخرة الجعفرية وبها تلاميذة المدرسة البحرية للتمرين وكانت بها أيضا بعض طوائف المدرعات المصرية التى تم بناؤها بمدينة طولون المذكورة سنة (١٨٦٨ م) ولما اعيد لطيف باشا لظاهرة البحرية بالسنة المذكورة باشر أعماله بما كان متصفا به من النشاط والصدق ثم أمره الخديو بالسفر الى سلانيك للوقوف على معدن الفحم الحجرى الذى أمر السلطان بان مصر تستغله فسافر على قرويت لطيف وكان قبوده انه محمد بك الرودىلى ٢٠ ابريل ١٨٦٨ م ولما وصل الى سلانيك بحث فى أمر المعدن المذكور وهو ومن معه من المأمورين وأخذوا منه كمية للتجربة وفى عودته عرج على قوله وطاشسيوز والاسنانة العلية ثم عاد الى نجر الاسكندرية ولما طلع المهندسون على الفحم المذكور وجدوه لا يصلح لعدم نضجه وكانت مصر قبل ذلك تبحث كثيرا على معادن الفحم بسواحل البحر الاحمر فتمتع على شىء منها وذلك لاشاعة القول بوجود هذا الفحم ببلاد اليمن على مقربة من ساحل البحر الاحمر جنوبى ومحاو لكن يظهر أن ما مورى الاجانب الذين عينوا لهذا الامر كانت لهم مقاصد فى اخفاء ذلك لتمتع بلادهم بالريح الوافر كما هو معلوم وأرسلت البحرية قرويت لطيف الى انكثرة لاصلاحه مع قبودانه سليمان بك أبى داود وعاد فى ٥ مايو سنة ١٨٦٩ وكانت أرسلت قبل ذلك فرقاطة محمد على لاصلاح مر اجلها فى مالطه مع سوارىها والذى المرحوم سرهنگ بك ثم فى سنة ١٨٧٢ أرسلت الحكومة ستان من بواخرها وهى الشرقية والدقهلية والبحيرة والرحمانية والقيوم وشبين الى لوندرة لاصلاحها وتغيير آلاتها وجعلها من الطرز الحديث وأرسلت أيضا فى تلك السنة باخرة المحروسة لاصلاحها وزيادة طولها ٤٠ قدما وتغيير مر اجلها

(١) متى أراد إدخال سفينة بهذا الحوض لاصلاحها تفتح الطاقات الجانبية المذكورة فيدخل الماء فى صناديق عظيمة متينة فى جوانب الحوض فيهبط الحوض الى قاع الماء فتدخل السفينة الحوض حينئذ وتثبت باخشاب تعرف بالناطيل ثم ينزح الماء من الصناديق المذكورة بالآلتين البخاريتين المذكورتين فيصنف نقله فيطفو على وجه الماء بالسفينة وبذلك يتمكن الصناع من اصلاح قاعها ومتى انتهى العمل منها تفتح الطاقات ثانية فيدخل الماء فى الصناديق فيهبط الحوض الى قاع البحر فيصيرج السفينة ويمتاز الحوض العوام عن الحوض الحجرى بمميزات منها امكان نقله من ميناء الى آخرى وسهولة هبوطه وصعوده وقلة مصاريفه وغير ذلك

وكان بها قاسم باشا ولما أصحبت عادت الى القسطنطينية وكنت يومئذ من ضباطها ولما عادت ترقى قاسم باشا الى رتبة فريق وجعل وكيل البحرية (١٨٧٣ م) ورتى محمد كامل باشا الى رتبة اللواء وجعل قبودا نا للبحر وسة وفي هذه السنة احتفل الخديوي بوزواج أنجاله الامراء محمد توفيق باشا وحسين باشا وحسن باشا وكان احتفالا باهرا جدا ثم فحوشهم من الزمان بحيث ضربت الامثال بفخامته وذكرا باعراس بوران و بنت طيلون وغيرهما مما ورد ذكره في التاريخ وأنعمت الحضرة السلطانية على كل منهم برتبة الوزارة ثم أدخل الخديوي أنجاله المشار اليهم ضمن الوزراء ليتم نوا على الاعمال فجعل ولده الاكبر محمد توفيق باشا رئيسا لمجلس النظار والداخلية والامير حسين باشا ناظرا للدارس والاقواف والاشغال العمومية والامير حسن باشا ناظر للجهادية والامير طوس باشا ناظرا للبحرية بدلا من لطيف باشا الذي اشتهر بالسعي في ترقية البحرية المصرية (١) ومنه وور باشا للسلطنة وجعل مصطفى باشا العرب مديرا لوابورات البوسنة الخديوية وموسى بك ناظرا لدار الصناعة وتعين مكانه في وابورات المحر وسة جمالي بك الذي كان سواريا لشيرجهاد بدلا عن مصطفى بك كجولو الذي كان خلف محمد رائف بك الذي ترقى الى رتبة اللواء وتعين باشبوغ السفائن الحربية بالبحر الاحمر وناظرا لدار صناعتهم بدلا من محمد باشا الرودسلى (٢) الذي توفى (١٨٧٥ م) وفي سنة ١٨٧٤ انتقلت فرقاطة شيرجهاد من بور سعيد الى الاسكندرية وتركها المرحوم والذى وتعين باشمعاونا للبحرية

(١) لطيف باشا هو من معاتيق المرحوم محمد على باشا الكبير والى مصر ولما بلغ عمره ١٩ سنة أدخله المدارس الاميرية ثم نقل الى مدرسة البحرية التي كانت تحت ملاحظة القبودان كاملو (١٢٤١ هـ) وبتمام دروسه فيها عين قبودا نا على البوارج الحربية التي كان الخديوي جدها عقب ضياع سفنه في لوارين وحضر صاحب الترجمة واقعة عكا (١٢٤٦ هـ) وكان وقتئذ سواريا على فرقاطة البصرة ثم أخذ يترقى حتى صار مفتشاً على دار صناعة الاسكندرية ثم عين ناظرا لدار صناعة بولاق وفي سنة ١٢٦٢ هـ نسيبه محمد على باشا مفتشاً على الاقاليم الوسطى وأمره بضبط رجل شقى كان زعيما العصاة من اللصوص كانوا يتهبون مشحونات المراكب التي تنفق على السواحل ويقرون بها هرا الى الجبال فآخذ لطيف باشا يبحث عليه حتى وقف على امره بأنه باوى الى امرأة تسكن البرارى فاطمها بلال لتعلم به بواسطة علامة وهي أن توفد لرافيرى دخلتها من بعد وقد كان وضبط الرجل بالقوة وحوكم في ديوان الخاقانية الذي أنشأه محمد على باشا وجعل لنفسه حق المحضور فيه عند الاقتضاء وفي سنة ١٢٦٥ عين المترجم حكمدارا لسودان ثم فصل منه وصار يتقلب في كثير من الوظائف الملكية الى سنة ١٢٨٠ التي عين فيها ناظرا للبحرية ثم فصل سنة ١٢٨٤ وأعيد اليها ثانيا سنة ١٢٨٨ وبقى فيها الى سنة ١٢٩٠ ثم نقل منها عضو فى المجلس الخصوصى حتى التى فى سنة ١٢٩١ ثم اعتزل الاعمال طلبا للراحة وتوفى سنة ١٣٠٢ مأسوقا عليه (٢) محمد باشا الرودسلى أصله من عائلة من جزيرة رودس وحضر منها مع أخيه سليمان الى الديار المصرية فادخلها أحدهما فهما فى المدرسة الاميرية ثم تعما العلوم فى المدارس البحرية وذلك فى عهدنا كن الجنان محمد على باشا ثم صار من ضباط السفن الحربية فولما أعاد محمد على باشا أسطول الدولة العلية بعد انتهاء المسئلة الشامية هرب سليمان قبودان المذكور مع من هربوا فى الاسطول الى الاستانة وخدم فى بحر يتها أم صاحب الترجمة فبقى مستخدما بسفن الدولة المصرية تنتقل من سفينة الى أخرى وفى سنة ١٨٥٤ سافر ضمن ضباط احدى البوارج الحربية التي أرسلها المرحوم عباس باشا الاول لمساعدة الدولة فى حرب القرم بعد انتهائه وعودته الى اساطيل صارا المترجم يترقى الى أن جعله المرحوم سعيد باشا قبودان سفينة الخصوصية وبقى نائلا الرعاية الى أن جعل قبودا نا لباخرة النيل ولما أنشئت المدرسة البحرية فى أوائل حكم الخديوي اممبيل باشا جعلها لطيف باشا ناظرا للبحرية فى وابورات القيووم تحت رئاسة المترجم وكان قائما بتعليم تلامذته ثم أحيل عليه نقل الجيوش الى جزيرة كريدى فى نهرها سنة ١٢٨٣ فقدمت فى حقه شكوى لعدم قيامه الخديوية ثم أحيل عليه نقل الجيوش الى جزيرة كريدى فى نهرها سنة ١٢٨٣ فقدمت فى حقه شكوى لعدم قيامه

وأرسل وابورشندي تحت قيادة عبد اللطيف قبودان ترك الى بورسعيد ليكون فيه قره قولا ثم لما نصب طوسون باشا ناظر اعلى المعارف والاقواف في ٩ ستمبر سنة ١٨٧٤ وجه الخديو تطارة الجهادية الى البرنس حسين باشا وأحال عليه تطارة البحرية وصارت من وقتئذ تطارة البحرية يتولاها ناظر الجهادية والحاصل ان القوة البحرية بلغت يومئذ درجة عظيمة وهما هي السفن التي كانت تتكون منها القوة المذكورة

السفن الحربية وغير الحربية التي كانت في زمن المرحوم اسمعيل باشا

(رکائب خصوصية)

طول	عرض	عمق	الجزء المغمور في الماء من القاع	الجزء المغمور في الماء من المؤخر	ما يتحرك من الفحم في كل ساعة ٢٤	حجمها	مقدار ما تسع من الفحم	قوة الآلة	سرعتها بالبل	نوع منبها	مدايقها	جهة عملها	أسماء البواخر
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل		عدد عيار		
٤٤٧	٥٤	٠٢٩	١٦	١٨	١٩٠	٣٥١٧	١٠٠٠	١٦٨٠٠	١٦	حديد	٢٤ ٨	لوندرة	المخرومة
٣٧٦	٣٩٦	٢٤٦	١٨	٢٠	٠٩٠	٣٦٢٤	٧٠٠	١٢٦٠٠	١٢	»	٢٤ ٦	بولون	مصر
٢٩٥	٢٣٧	٢٠	١٥	٢٠	٠٧٥	٣٦٠٠	٥٠٠	١٠٥٠٠	١٠	»	١٢ ٤	بولون	الغربية

البوارج الحربية

طول	عرض	عمق	الجزء المغمور في الماء من القاع	الجزء المغمور في الماء من المؤخر	ما يتحرك من الفحم في كل ساعة ٢٤	حجمها	مقدار ما تسع من الفحم	قوة الآلة	سرعتها بالبل	نوع منبها	مدايقها	جهة عملها	أسماء البوارج
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل		عدد عيار		
٢٩١	٣٦	٠٢٦	١٦	١٨	٠٥٥	١٧٦١	٣٤٠	١١٤٠٠	١١	حديد وخشب	١٢ ٢٨	امريكا	فرقاطة محمد علي
٢٥٧	٣٤	٠٢٤	١٨	٢٠	٠٧٠	٢٤٣٤	٥٠٠	٠٨٤٥٠	٠٨	خشب	١٢ ٢٨	تريسته	فرقاطة شيرجهاد
٢٢٠	٣٥	٠٢٥	١٦	١٨	٠٤٨	١٢٥٠	٣٠٠	١٠٣٠٠	١٠	خشب	١٣ ٠٦	اسكندرية	قرويت لطيف
١٧٨	٢٥	٠٢٥	١٦	١٨	٠٣٤	١٠٧١	٤٥٠	١٠٥٠٠	١٠	خشب	٤٠ ٠٥	انكثرة	مدفعية الخرطوم
١٤٩	٢٥	٠٢٥	١٦	١٨	٠١٠	٣٠٠	١٠٠	٠٤٠٧٠	٠٤	مدرع ب ٤	٢٤ ٠٨	انكثرة	دارعة دنقلة
٢٣٥	٣٤	٠٣٤	١٠	١٨	٠٤٦	١١٠١	٣٠٠	١١٢٠٠	١١	خشب	٢٤ ٠٨	اسكندرية	قرويت الصاعقة
١٦٢	١٧	٠١٧	١٠	١٨	٠٣٥	١٠٧٨	٤٧٦	٠٨٠٠	٠٨	خشب	٤٠ ٠٧	انكثرة	مدفعية سنار
١٢١	٢٤	٠٢٤	١٠	١٨	٠٠٩	١٠٧٨	٢٦٠	٠٦٠٠	٠٦	مدرع	٧٠ ٠٢	فرانسا	زرخ غسرة ١
١١٠	٢٤	٠٢٤	١٠	١٨	٠٠٤	١٠٧٨	٢٥٠	٠٦٠٠	٠٦	مدرع	٧٠ ٠٢	فرانسا	زرخ غسرة ٢

واجب الخدمة فيها وبق قبودان في البوارج الخديوية الى ان صار قبودان الوالي والغربية وسافر به في أوائل سنة ١٨٧٤ بمعية العائلة الخديوية الى الاستانة وهناك ترقية اللواء وجعله الخديو قومندا عاما على سفن البحر الاحمر فأقام في سراي القومندانة يؤدي خدمتها الى أن توفي في أوائل سنة ١٨٧٥ م

اخراج تلك الباخرة بعد ذلك وكان قبودانها يسمى على قبودان كوتره (١٢٨١ هـ) وفي سنة ١٢٨٢ هـ غرق وابورنجدسوارية سليمان قبودان السكر يدلى بالبحر الأحمر من ملاطمة لشعب بجهة سواكن يعرف بساق عنيب وغرق معه قبودانه المذكور واثنان من ضباطه هما سليمان قبودان وعمران قبودان وعدد كثير من ملاحيه وبينما كانت السفن المصرية تجزيرة كريد من المرحوم امعيل باشا أثناء ثورة سنة ١٢٨٣ هـ غرقت باخرة نور الهدى سوارية بحسن قبودان على ساحل اكر وتيرينما كانت ذاهبة الى حانية وفي سنة ١٨٧٢ غرقت باخرة أسوان سوارية محمد سراج قبودان أثناء ذهابها من سواكن الى مصوع لصادمتها صخر او نجت معظم طاقتها وفي السنة المذكورة أيضا غرق القرويت الشراعى غرة ٢ وكان قبودانه يدعى حسناكى الكري يدلى امام مدينة اضاليه بزوجة شديدة بينما كان يجلب أخطابا للجهادية وغرق معه أغلب طاقته واثنان من تلامذة المدرسة البحرية وفي سنة ١٢٨٥ هـ بينما كانت باخرة الشرقية سوارية عبد اللطيف قبودان ترك مارة امام قره برون القريب من ازميز تصادمت مع باخرة قليب المصرية سوارية محمد قبودان الجزائرى فغرقت وفي سنة ١٨٧٩ م بينما كانت الباخرة سمندو ذاهبة الى جزيرة سان موريس القريبة من مدغشقر تنقل آلات لمعمل للسكر كانت ابتاعها احدى الشركات الانجليزية من الدائرة السنية هبت عليها بزوجة شديدة فأغرقها وكان قبودانها المطايدعى لوسكو ومعه القبودان على بحمت أفندى وقد نجا ونجا معهما كل الطائفة لوجود سفينة انجليزية كانت قريبة منهم وبينما كانت فرقاطة محمد على راسية امام صالى بازار بالبوسفور في شهر محرم سنة ١٢٩٤ صادمتها باخرة انكليزية تحمل غللا لا فغرقت الباخرة الانكليزية وأصاب الفرقاطة المذكورة بعض أضرار أصحلت بالاستانة ودفعت الشركة التابعة لها السفينة المذكورة قدران المال حسب القوانين البحرية وفي شهر ربيع الاول من السنة المذكورة احترق قرويت لطيف بالبحر الأحمر وكتب مصطفى باشا العرب مدير وابورات البوسنة الخديوية وكان قائما بأعمال قاسم باشا وكيل البحرية الذى سافر مع السفن المصرية مدة حرب الدولة مع الروسيات قري راوفيا (١) أبان فيه سبب احتراق القرويت المذكور وقد أدرجناه أسفل العميقة لتمام الفائدة

(١) في ١٧ مارث سنة ١٨٧٧ هـ رقت وكالة قومندانية السويس ان وابور لطيف حال حضوره من مصوع السويس وهو بالبعد من قنار الزعفران بستة أميال والبعده من ساحل أفريقيا بسبعة أميال أحرق وأتلف بسبب النار التي ظهرت من قنارته وان طاقه والنفوس التي كانت فيه حضرت مع وابور انكليزى الى السويس ولعرفة حدوث هذه الحالة المحزنة كانت بأى كيفية وتحقيق ما اذا كان أحد مسؤولا في هذا الخصوص من عدمه كنت استأذنت وسافرت الى السويس ولدى السؤال والاستفهام عن الكيفية من السيد قبودان شرف سوارى الوابور المذكور ومحمد رف قبودان مفرداته وسائر ضباطه وطاقه قالوا انه في حل ما كان قداما للسويس بالبعد عن قنار الزعفران بستة أميال وعن شاطئ أفريقيا الذى كان امامه بسبعة أميال وبصافته في هذا الحال مرور وابور بين انكليزيين وإعماله المناورة اللازمة حال مرورهما ظهر بفته من أحد قنارته لهيب وشب في قنار الكورته وظهرت شعلة من جهة المدخنة بارتفاع باعين ومع بذل الجهد فى اخماده بواسطة الجراد والطلوميه ما أمكن بل كان الهيب يتزايد فلما صبت عليه المياه حتى التهب صارى الوسط وعربات الستة عشر مدفعا بالتي كانت بالكورته ولحقت النيران الجوانب العلوية منها والاربعه وعشرين صندوقا نتيقه حجر وأحاطت بكافة أطراف المراكب وصارت الطلوميه وغيرها عذبة التأثير وقد شوهد ان صناديق النتيقه كانت تحترق فتفرقع وتنفذ كالبارود فحوت الدفلة على الاسكاه لاجل الوصول الى البر قبل بوقت وبعده ان مشت المراكب طول مراكب اوثلاثة أطلق البانهمهندس البحار يدون اذن

ايجاد ادارة البوسطة الخديوية - كان الخديو اسمعيل باشا من يوم جلوسه موجه اعنياته لانشاء المواصلات البحرية ولذلك امر بانشاء شركة بحرية كبيرة دعاها بالقومانية العززية بعد ان ابطل الشركة التي كانت تأسست مدة سبعة اشهر وتعرف بالمحمدية وجعل أموال هذه الشركة الحديثة مقسمة الى سهام كي يتمتع الكل بفوائدها فابتاع الاغنياء قدر اعظيما من أسهمها وخصص لها أولاسبع بواخر وهي الخجاز ونجد والقباري وجدة والبحر الأحمر والنيل والجعفرية وأسيوط والبحر الابيض المتوسط وأوصى على انشاء بواخر جديدة ببلاد الانجليز وتعين مصطفى بك الطوسيلي وكيل البحرية مديرا لهذه الشركة وكانت السفن المذكورة تتردد على أهم ثغور الدولة بالبحرين الابيض والاحمر وعلى بلاد اليونان (١٢٨٠ هـ) ولما أتت السفن الجديدة الى ثغرى الاسكندرية والسويس جعل حسين شيرين باشا مديرا وميالشركة المذكورة وعاد مصطفى بك الطوسيلي الى وكالة البحرية واستدعت الحكومة جميع ضباط البحرية الذين كانوا بالمصالح الاخرى أوفى المعاش واستخدمتهم بتلك البواخر وجعلت طوائفها من عساكر البحرية القديمة فانظمت ادارتهم وأحوالها وأسفارها انتظاما عظيما وأقبل عليها التجار والمسافرون اقبالا اغاظ الشركات الاجنبية الاخرى فمضى ارادها وطارصتها وكان المرحوم اسمعيل باشا لما رأى كثرة أرباحها أراد ان يكون ذلك للحكومة خاصة يتمتع به هو لا غير فابتاعت الحكومة أسهم الشركة من المساهمين ولو بقيت في أيديهم لاعتانت كثيرا على تعريف الناس فائدة الاشتراك في العمل والسعي وراء المنفعة ثم جعلت لها الحكومة مصلحة أميرية سميت بمصلحة وابورات البوسطة الخديوية وتعين مصطفى باشا العرب مديرا لها وللانجليزية في سنة ١٨٧٣ م واستخدم في مدته كثيرا من القبولات النساء والبنات والمالطيين وحرم أهل الاستحقاق والجدارة من خدمة بلادهم ومن المضحكات المبكات ان يقال ان سبب ادخال الاجانب في هذه المصلحة هي المنافسة التي كانت بين قاسم باشا ومصطفى باشا فلا حول ولا قوة الا بالله ولما حل الاجانب محل الوطنيين نقل من بقي من الوطنيين الى السفن الحربية ولم يبق منهم في مصلحة البوسطة الا القليل وصار فندى بقو باشا مفتشاعاما أو مشاركاله في الاعمال لا يقطع في أمر الا بعد أخذ رأيه ولما انتظم البريد وتزايدت

فبقيت المركب في محلها وفي الحال سرت النيران في أطرافها وصارت تعسر ذهاب أحد من المقدم الى المؤخر وبالعكس ولذا صار انزال طاقم المركب وعساكر السته عشر مدفعا رايو الاربع مائة وثمانين نفرا ركابا الذين كانوا موجودين بالفلاكت وقد أخذت فلاكت الواورين الانكليزيين السابق ذكرهما بعض الركاب من سطح البحر والبعض من جهات المركب التي لم تصلها النيران وفي اخر الامر ألقى بنفسه الى البحر سوارى الواور وباطائه وصف ضابطاته العبر عنهم عند البحرية بالكذابين وبعد نقل الجميع بالفلاكت الانكليزية الى مراكزهم احترقت كافة اربعة المركب المذكورة ووقفت والتمت كسختها النيران وبقيت مع المياه وتلفيات الانفس هي عشرون نسمة منهم تسعة بحرية وستة طوبجية بية بما فيهم البكباشى احمد افندى أسعد الطوبجي وواحد معاون واحد نورباني وأسباب تلفهم ان الواور رمز كان في الحركة قبل ان يقف قطع البكباشى المذكور برفقه احبال احدى الفلاكت التي كانت في المؤخر ونزل هو والانفار فيها فجاءت تحت الرطاس وتلفت وتلفواهم أيضا وقد علم من اخبار واغورا انكليزي لحفاظة السويس أنه في الساعة السابعة من صباح اليوم الثاني فرقت جبه خانة المركب المذكورة وتلفت ما كان باقيا من الشحنة وفي أثناء ذلك صدر امر لسعادة مكيلوب باشا مديرا القنارات واليمانات المصرية بتعقب الكيفية وامر للخلص بعودته الى اسكندرية في ١٢ ربيع اول سنة ١٢٩٤ مصطفى العرب

علاقته بمصلحة وابورات البوسته الخديويه ضمت مصلحة وابورات البوسته الخديويه للبوسته المصريه وفي ١٨٧٩ اضيف الحوض العوام الى مصلحة وابورات البوسته الخديويه وكاوشيد والهذه المصلحة فور بقاءه عظيمه بدارصناعه الاسكندريه لتعمل ما تحتاجه السفن من الاصلاح وكان حوض السويس وضع تحت ادارة مصلحة وابورات البوسته الخديويه ايضا من سنة ١٨٧٥ ميلاديه وقد بلغت عدد وابورات هذه المصلحة في عهد الخديو اسمعيل باشا كما في الجدول الآتي

وابورات القومانية العزيزية التي سميت فيما بعد بالبوسته الخديويه التي كانت بالبحر المتوسط الابيض من ابتداء تشكيكها واسماء القبونات التي تعينوها اولاً

طول السفينة	عرض السفينة	عمق	مقدار جرت المغمورة في الماء من الترس	مقدار جرت المغمورة في الماء من الترس	مقدار الترس من القسم في كل ٢٤ ساعة	مقدار الترس من القسم في كل ساعة	مقدار الترس من القسم في كل ساعة	فوزها كينها	عرضها بالميل	وقتها	اسماء البواخر	اسماء ورتب القبونات الذين تعينوها في اول تشكيكها
قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل	المدن			
٠٢٢٥	٠٣٥	٠٢٦	٠١٥	٠٠٢٤	٠١٦	٠٠٢٣	٣٦٠	٢٥٠	حديد	»	البحيرة برطس	فائقم مصطفى بك لاغودا كي
٢٦٩٦	٠٣٥	٠٢٤	٠١٧	٠٠٣٨	١٧٦	١١٨٠	٢٤٠	٣٥٠	»	»	الذقهلية	فائقم سرهنك بك
٠٢٦٩	٠٣٣	٠٢١	٠١٦	٠٠٣٦	٠١٨	٠٩٦٥	٤٤٧	٢٥٠	»	»	الغظا	بكتاشي سليمان قبودان أبوداود
٠٢٧٠	٠٣٥	٠٢٥	٠١٥	٠٠٣٥	٠١٧	٠٩٩٠	٣٨٠	٣٠٠	»	»	فليوب	بكتاشي محمد قبودان الخرزاري
٢٦٨٦	٠٣٤	٠٢٨	٠٢١	٠٠٣٢	٠٢٣	١٠٣٣	٣٨٨	٣٠٠	»	»	الزحمانية	بكتاشي محمد راشد قبودان
٢٧٦٧	٢٦٨	٢٤٢	٠١٩	٠٠٣٤	٠٣٠	١١٦٠	٢٤٠	٣٥٠	»	»	الشرفيه	فائقم حمالي بك
٠٢٣٢	٠٣١	٢١٨	٠١٦	٠٠٢٠	١٧٦	٠٨٦٤	٢٥٥	٢٠٠	»	»	المحلة	بكتاشي أحمد قبودان ترك
٢٣٥٧	٢٩٧	١٣٣	٠١٤	٠٠١٥	١٤٥	١٧٦	١٨٢	١٦٠	»	»	شين	بكتاشي ابراهيم قبودان واصل
٢٥١٢	٣٠٢	١٦٩	٠١٧	٠٠٢٢	٠١٨	١٣٨	١٧٥	١٨٤	»	»	الزقازيق	بكتاشي مصطفى قبودان سرعسكر
٠٢٨٨	٠٢٤	٠٢٣	٠١٥	٠٠٣٤	٠١٣	١٠٨٠	٤٥٠	٣٠٠	»	»	الفيوم بدولاب	فائقم محمد بك الرودسلي
٢١٩٦	٠٣٠	٠١٧	٠١٥	٠٠٢١٦	٠١٦	٠٦٢٦	١٨٠	١٤٠	»	»	دمهور برطس	بكتاشي محمد كامل قبودان
٢٥٧٦	٣٠٨	١٦٩	١٥٦	٢٣١٣	٠١٧	٠٧٩٨	٢٢٠	٢٠٠	»	»	المنيا	بكتاشي كل اسمعيل قبودان
٠٢٥٠	٠٣٢	٠٢٤	١٧٦	٣٠٠٠	٠١٩	١٠٦١	٣٣٥	٢٠٠	»	»	دسوق	بكتاشي عثمان قبودان بعماتاكي
٠٢٢٦	٠٢٨	١٥٦	٠١١	٢٣١٠	٠١٢	٠٦٢٦	١٤٨	١٢٥	»	»	مسير	بكتاشي خورشيد قبودان
٢٢٦٨	٠٢٨	١٥٦	٠١١	٢٤٤	٠١٢	٠٦٢٦	١٦٠	١٢٥	»	»	البيجيلة	بكتاشي مصطفى قبودان طوقاق
٢٢٥٢	٠٢٣	١٤٨	٠١١	٢٢١٢	٠١٢	٠٥٠٩	١٥٠	١٢٥	»	»	المنصورة	بكتاشي حسين رحيمي قبودان

ثم نقل كثير من قبونات هذه البواخر الى السفن الحربية من بعد سنة ١٢٨٣ هـ وترقى غيرهم لقيادة البواخر المذكورة

حتى احتج الامر لتوسيع نطاق المواصلات بين البلاد الآسيوية وبين مصر عند ذلك دعت
الضرورة (١٨٥٦ م) لانشاء مرافق كبير بالبحر الاحمر تخدم فيه السفن عند الحاجة وتقام على
جوانبه المباني اللازمة لسهولة الشحن والتفريغ والتخزين فأمر المرحوم سعيد باشا بالنيان بك مدير
الاشغال العمومية بالبحث عن مكان مناسب لذلك ما بين السويس والقصر كما ذكرناه وبعد النظر في
ذلك تقررا انشاء مرافق بالسويس وبناء الحوض الجري المذكور وشرعوا في البناء سنة ١٨٦٦
وتم سنة ١٨٧٤ م وجعلوا المرفأ فأن سمي أحدهما ميناء ابراهيم وجعل للبوارج الحربية
ومسطحه ١٦ هكتار أي ١٦٠,٠٠٠ متر مربع وجعل الثاني للسفن التجارية ومساحته
٢٣٠,٠٠٠ متر مربع وجعلوا امام المرفأين من جهة البحر رصيفاً من الأحجار جعلوا به فتحة
عرضها مائة متر لدخول السفن وخروجهما وبجانبيها فتحات وطول رصيف الميناء الغربي ٥٥٨
مترا وطول رصيف ميناء التجارة ١٥٢٨ مترا ويفصل الاثنين عن بعضهما رصيف عرضه
١٠٠ متر وطوله ٥٥٠ مترا جعل عودياً على الفتحة المذكورة هذا اما اصلاح ميناء
الاسكندرية فهو أنه لما قرب فتح قناة السويس ورأت الحكومة انه ربما انتقلت أهمية اسكندرية
التجارية الى بورسعيد بعد فتح القنال وافترق ان بعض الشركات الاجنبية كان طلب من الحكومة
ان يتعهد باصلاح مدخل ميناء الاسكندرية وبناء مراسم لوقاية السفن وأرصفتها ترسو عندها
للشحن والتفريغ على البر مباشرة ولما كان أحسن هذه الطلبات وأوفقها شروط الحكومة
شروط ميسو غرنفيلد (Greenfield) وشركائه من رعايا دولة بريطانيا العظمى أحالت عليه
الحكومة انشاء ميناء الاسكندرية سنة ١٨٦٨ في مقابل مبلغ قدره ١,٥٠٠,٠٠٠
ليرة مصرية (١) وفي أول مايو سنة ١٨٧١ شرعوا في العمل وكان أوله بناء جسر كبير يعرف
بجسر الامواج طوله ٢٨٨٨ متراتها ٥٧٣ من رأس التين الى الجنوب الغربي والغرب
و ٢١٥ تمتد بالحناء و ١٧٠٠ مترتها الى الجنوب الغربي وجعلوا به فتحة للسفائن
السرعية بين طرف هذا الجسر ورأس التين وأتموه في ديسمبر سنة ١٨٧٣ وأتموا انشاء المواصل
والارصفة في أوائل سنة ١٨٨٠ م وطول هذا المواصل أو الجسر ١١٤٠٠ متر من الجهة
الجنوبية الغربية و ٩٧٠٠ من الجهة الشمالية الشرقية ومتوسط عرضه ١٣٠ قدماً وطول
الموصل المتصل بالترسانة ٧٦٠ قدماً وعرضه ٢٠٠ قدماً ولا يخفى أن ترعة المحمودية تفصل
أرصفتها عن بعضها فاجتمعها قسمين تضمهما قنطرة متحركة قائمة على التربة المذكورة وهذه
القنطرة تفتح في أوقات معينة ليتيسر لسفن النيل الذهاب الى البحر وطول الارصفة التي في شمالي
مدخل الترابي ١٦٥٠ متراً وهذه المباني انتظمت الميناء وسهل على السفن نقل البضائع
وتفريغها بالمخازن التي بنيت على الارصفة المذكورة ومن تمام النظام أيضاً ان جعلوا فوق الارصفة

(١) كانت الشروط تشغل على المواد الآتية (أولاً) بناء جسر لكسر الامواج ومنع تأثيرها عن الميناء طوله
٢٣٤٠ متراً كله من الاحجار والصفور الصناعية ويمتد من رأس التين (ثانياً) بناء مواصل أي
رصيف من الاحجار الصلبة يمتد من رصيف محطة القباري الى حوض الترسانة طوله ١٠٢٠ متراً (ثالثاً) بناء
أرصفة أخرى يمتد من رأس المواصل المذكور وتتمت عندها الحوض المذكور (رابعاً) تظهير الميناء بالكرات
ليسهل على المراكب التجارية الكبيرة الرسو على المواصل مباشرة اهـ من أعمال الجمعية الجغرافية الحديثة

نحو ١٥٠ شعبة أو عامودا من الحديد على شكل المدافع لتربط بها السفن أحبالها عند رسوها ثم أنشئت فوق الارصفة مبان عظيمة لمصلحة الكبارك ثم ديوان سنة ١٨٨٥ م وقد عادت كل هذه الاعمال على الحكومة والتجارة بالفوائد الجمة

اصلاح الشرطة - لما كان الخديو اسمعيل باشا يصر في التمشية بالممالك المنتظمة الاوروبوية رأى من الواجب أيضا تشكيل قوة من الشرطة يعهد اليها امر حفظ الامن بداخل البلاد فأنفى سنة ١٢٨٠ هـ طائفة القواسم من عموم الضبطيات والقره قولات والاقاليم وذلك بأن جمعهم وأرسلهم الى السودان ليكونوا بها جنودا والقواسم جنود بغير انتظام مجتمكون كان جلهم من الاتراك الاشداء وجعلت الحكومة بين الشرطة الجديدة نفرا من أهل أور و باغا بهم من ايتاليا لكثرة الاجانب عصر وانتخبت الحكومة لتنظيم الشرطة ضابطين طليانيين هما الموسيو كارليسيمو (Corlesimo) والمركيز نيجري (Marquis Negri) وعهد اليهما تنظيم ادارتها أيضا وشكلوا كذلك أورطين عرفتا بالمتحفظين للخفر بالقره قولات أورطه بمصر وضع عليها البكاشي يعقوب سامي أفندي وهو المنفي بسيلان الآن وأخرى بالاسكندرية وعليها البكاشي السيد أفندي قنديل وكانت الشرطة وأورطنا المستحفظين تابعة للضبطيات والمدريات

مساعدة الخديو في اطفاء ثورة العير - لما اشتدت الفتن ببلاد اليمن وتغلب الأئمة عليها لاهمال الدولة العثمانية أمرها وعدم تيقظها عينت الوزير قانصوه باشا واليا عليها سنة ١٠٣٩ هـ ثم قدمها ومعه جيوش كثيرة ودخل مكة وقبض على أميرها الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن الحسين بن أبي تمى ثم قتله خنقا وولى اماره مكة للشريف مسعود بن ادريس بن الحسن ثم توجه الى اليمن ووقع بينه وبين الأئمة حروب كثيرة وآخر الامر وقع بينه وبينهم صلح وهدنة ثم انقضى الامر باخراجه من اليمن كرها (١٠٤٥ هـ) فكان آخر الوزراء باليمن وصار أهل اليمن يخرجون الاتراك منها ويقعون بهم (١٠٤٨ هـ) واستقر أمر اليمن للأئمة صنعاء ثم ضعف أمرهم وكثرت الفتن بينهم حتى كان في كل قطر من اليمن امام كل هذا ولم تلتفت الدولة العثمانية الى اليمن الا في سنة ١٢٦٥ حينما علمت بتضعف أحواله وتفرق كلمة سكانه فاستولت على تهامة في دولة السلطان عبدالمجيد ابن السلطان محمود ثم استولت على أعلاه تدريجيا وأخذت في تنظيم ادارته ومد نفوذها في انحاءه وفي عهد السلطان عبدالعزيز قام أمير العسير محمد بن عائض (١٢٧٩ هـ) بالثورة على الدولة وقصد الاستيلاء على تهامة اليمن فقاومه ياور على باشا متصرف الجديدة وصدأعماله الآن بعض البنادر بقيت في قبضته فطلب السلطان من الخديو اسمعيل باشا ارسال بعض الجنود لتغلب على ذلك الثائر فصدع بالامر وأرسل ثلاث أورط من المشاة وبعض المدافع والخيالة وكانت هذه الجنود تحت قيادة المرحوم الميرالاي اسمعيل صادق بك ولما وصل الى جدة عقد واليا اعزت حتى باشا مجلسا جمع فيه الشريف عبدالقادر باشا وبعض أمراء العسكرية واسمعيل صادق بك قائد الجنود المصرية المذكورة وبعد المداولة تقر رسوق الجنود المصرية والعثمانية من جهة قنفده وتمكن الجنود بعد قتال طويل من تسكين الفتنه وقدم محمد بن عائض الطاعة فتوسط له اسمعيل باشا وعفا السلطان عنه وجعله قائما سخي العزيزية باليمن ثم عادت الفرقة المصرية طافرة مشكورة

العمل وأنعم الخديوي على قائدها برتبة اللواء مكافأة على ما أظهره من الشجاعة وحسن التدبير وتوسط الخديوي أيضا فانعم السلطان على أمير العسيران المذكور برتبة الميرمران ولما أجب الباب العالي ممتس اسمعيل باشا أرسل للامير المذكور يبشره بذلك ويظهر له التودد في أوخر شعبان من سنة ١٢٨٢ في مكتوب بليغ من انشاء المرحوم عبد الله فكري باشا (١)

مساعدة الخديوي ولد وتوفي حرب الجبل الاسود وكريد - انه في أوائل جلوس اسمعيل باشا على الاريكة الخديوية قامت الثورة بالجبل الاسود وسيهان البرنس ميركو والدا مير الجبل الاسود نيقولا ساعد ثوار هرسك (١٨٦٢ م) وحرصهم على المقاومة فسافت الدولة الجيوش على الجبل الاسود لترد أميره المذكور ودخل السرديار عمر باشا يقود جيشا قويا بلاد الجبل وعند ذلك اذعن أميره لطلبات الدولة (٣١ اغسطس سنة ١٨٦٢) كما تقدم ذلك في تاريخ الدولة ولما سافر المرحوم اسمعيل باشا الى دار الخلافة لاستلام فرمان الولاية وتقديم واجب الشكر للخليفة طلبت الدولة منه ان يعزز جيوشها التي باروملي بجنود من مصر خوفا من ازدياد الاضطراب عليها بتلك

(١) من خديوي الاقطار بالمصرية وما والاها من الاقاليم السودانية الى حضرة الامير الكبير ذي الحسب الشهير محمد باشا بن عائض قائم مقام صفيق العزيزية اليمانية دامت معاليه وسعدت أيامه ولياليه بسلام يفوح عرف الثناء في أنثائه ويلوح لطف الولاة من أرحائه احمد اليك الله سبحانه وتعالى على نعم تدوم بالشكر وتوالي وأسأله لنا ولكم ولجميع المسلمين دوام السلامة وحسن الحال في الدنيا والدين وأطال عليكم بحسن مودة تألفت عليها الخواطر وصفت لسيها السراير فدل على الطواهر وقد كنت طاعتكم أولا بما اقتضته اخوة الاسلام وأوجبت له رغبتى في اتحاد كلمة الموحدين على الدوام ومحبتي لبقاء البيوت القديمة المشيدة الاركان مصونة الجوانب من أن تطرق الى ساحه هما حاصروف الزمان وعرفتكم أنكم اذا برتمت محاقيل فيكم من عدم المطاوعة وأنبتت مائة مئة في حسن نيتكم من البقاء في دائرة المناجعة فاني منعه ذلكم بجاهر أرفع وأخرى ومتكفل بأن توجه اليكم رتبة أمير الامرا فلما أظهرتم ما أعلم فيكم من الطاعة الحقيقية وأنتم تم خلوص الطوبى بجانب الدولة العلية السلطانية ترتب على أن أفى بما وعدت وأتقنى أثر ما عهدت ليحقق لديكم من بعد أن اسمعيل كان صادق الوعد فكانت دار الخلافة العلية بما هو الواقع من عدم الخلاف واستملت لكم من جانب السلطنة السنية أعطاف الالطاف وحررت اليكم نائيا بالبنشارة بحصول ما سقت اليه الاشارة والذي أوجب تأخر ما ذكر لا عن نادىكم اغما هو تأثير ما قد قيل فيكم بما أغر الصدد وأوعر سهل الامور فارتأت كرر مر اجعنى في نفي ثابثة الشبهة عن جهتم وأعيد المكتوبة في اثبات حسن نيائكم وبراءة ساحتكم حتى تحقق لدى السلطنة ما انتم عليه من حسن الحال وزال من النفوس آثار ما سقت من القيل والقال فصفت الآن لكم القلوب وتم بحمد الله تعالى الامر المطلوب ووردت لنا من الباب العالي مكتوبة رسمية تعلن اتحادكم بتلك الرتبة الالهية بعنوان الباشاوية وصدر في ذلك فرمان سلطاني بزيادة الاعزاز وقد بعث به على الفور الى حضرة الباشا والى الخجاز ليبادر برسالة اليكم وعن قريب يكون فرمان عشية الله اليكم فتح نأها رتبة بجر فضلها ورفعها فخره أنت أهلها ومحملها ومكرمة يشرف بهيبتها النادى ونعمة تسر الاحبة وتسوء الاعادى وان لكم عندي محبة تقرب على بعد ديارها ومودة تدوم ان شاء الله على عهد استمرارها وصفاء لا يالف التكدر حماه ووفاء لا يعرف التغير مرماه فاني أحب ذوى المحل القديم وأراهم أهلا للوداد والتكريم وأنفس في موافاتهم على تنائى جهاتهم وأرغب في مصافاتهم على اختلاف حالاتهم وأتقنى دوام خيرهم ولا أقبسهم على غيرهم تلك محبة جبلت عليها ومزية وفقى الله اليها وسنة ألفتها منذ عرفتها وشنشنة كلفت بها وما نكلفتها فكونوا واقفين بدوام مودتنا اليكم وليكن لنا أيضا مثل ذلك لديكم وقد بعثت اليكم نائيا أحمد فندى النبي ليشافهمكم بالسلام منا ويغلكم بعض تفاصيل المودة الحقيقية عنا والله يوفقنا للخير والسداد ويدوم ناعلى منهج الرشاد وييقننا جميعا على أحسن حال بجاه شفيع الامة ونبي الكمال آخر شعبان سنة ١٢٨٢ الأثار الفكرية صحيفة ٦١

الارجاع فارسل الخديو في الحال فرقة من كبة من الالين تحت قيادة اللواء المرحوم على غالب باشا بعد عودته من السودان وكان ذهب اليه صحبة القواسمة الذين مرز كرههم وكان على الالاي الاول حسين بك عاصم وعلى الثاني خورشيد بك عاكف ولما وصلت هذه العساكر الى الاستانة استعرضت امام الحضرة السلطانية بميدان بيقوز ثم سافرت الى جهات مناسير عن طريق سلانيك ولما كانت احوال ولايات البلقان وقتئذ تزداد اضطرابا وقيام حكومة الصرب تعترض على اتفاقية مؤتمر الاستانة (١٨٦٢ م) الذي قرر بقاء العساكر العثمانية ببلادها في بلغراد وسمندره وفتح الاسلام وشيائس وألزمته الاهالي المسلمين من سكانها ببيع كافة املاكهم الى اهاليها ومهاجرة البلاد في اقرب زمن وكانت الدولة رفضت اخراج جنودها من الصرب رفضا تاما الا ان اشتعال نار الثورة بكر يد اضطرها لقبول مطالب الصرب اخيرا خوفا من ثورة عامة بالروملى ولما زاد لهيب الثورة في كريد باللسانس اليونانية والتحرر يضا الاجنبية وكانت جنود الدولة موزعة بالجهات التي تخشى من قيامها طلب المرحوم السلطان عبدالعزير من المرحوم اسمعيل باشا ارسال بعض الفرق المصرية للمساعدة في تسكين فتنة كريد ايضا فليطلب وأرسل أربعة الالاي وهي الالاي الحادى عشر ويقوده خالد بك والالاي الثالث ويقوده اسمعيل كامل بك والالاي السابع ويقوده راشد حسنى بك والالاي السادس ويقوده راشد راقب بك وأربع بطاريات جبلية بذخاثرها وكان يقوده هذه القوة الفريق شاهين باشا ومعها اللواء اسمعيل صادق باشا وكان على فرقة أركان الحرب القائم على بك المجرى والبكباشى عبدالقادر افندى والملازمين عرافندى رشدى وصالح طاهر افندى وسافرت هذه الجنود في ربيع الأول من سنة ١٢٨٣ هـ على عشر بواخر مصرية هي فرقاطة محمد على قومندانية قاسم بك والغريسة قومندانية فوزان بك الفرنسوى (Voisin) والجعفرية قبودانية موسى قبودان والشرقية قبودانية جمالى بك وأسطول عليها فوصل قبودان والفيوم وعليها محمد بك الرودى والقهلمية وعليها المرحوم والذى سرهناك بك والمجروسة وعليها فدرى بك ونور الهدى وعليها حسن قبودان وقلوب وعليها أحمد قبودان تركا وأبقى الخديو بعض هذه البواخر بكريد للمساعدة في نقل الجيوش الى النقط العسكرية وكانت تلك البواخر تحت قومندانية قاسم بك ونقلت أيضا الى كريد العسكر المصرية التي كانت بمناسير ثم حدثت واقعة عظيمة بين النوار والجنود المصرية في جهة يقال لها أبوقرون جرح فيها اللواء اسمعيل صادق باشا جرحا بالغا فنقل الى مصر وعزل شاهين باشا عن قيادة الجنود وتولاهما مكانه الفريق اسمعيل سليم باشا ناظر الجهادية وأشيع بين ضباط الجيش المصرى ان سبب هذا التغيير شكوى القائد العام العثمانى من تداخل شاهين باشا مع العصاة في أمورهم حقوق الدولة كما سياتى ولما حضر الفريق اسمعيل باشا اتفق مع قائد الجيش العثمانى على خطة ثم حدثت واقعة ارقايا وكانت من أعظم الوقائع انهزم فيها الثوار هزيمة منكرة بجسائر جسيمة وقد أظهرت العساكر المصرية في هذه الواقعة لإقداما وشجاعة خلدت لهم ذكر احسن سيما الالاي السادس فأحسن الخديو على قائده راشد حسنى باشا برتبة اللواء وأرسل الجيش خطا بابايعا من انشاء العالم الفاضل المرحوم عبدا لله فكرى باشا وكان مديرا لقلم التحريرات والعرضيات بالمعية السنوية بمدحهم فيه

ويظهر سروره من شجاعته^(١) وفي تلك الاثناء ترقى قاسم باشا الى رتبة اللواء وجعل أمير الاعلى السفن المصرية ونصب مكانه المرحوم والدى سرهنك بك وأنعم عليه برتبة الميرالاي لما أبداه من الاعمال المفيدة له وقل الجيش وهي شق ترعة عند مكان يدعى سوية لتسهيل انزال الجنود في الفلايك ومنها تصعد الى السفن فتنتقلها الى مدينة أسفا كية وسبب ذلك انكسار مرسي الفلايك التي كانت هناك وكان بواسطتها تنزل الجنود الى السفن فلما كسرت أصبح انزال الجنود الى السفن متعذرا جدا الا بالترعة المذكورة وأرسل اليه الخديو مكتوباً يظهر له فيه امتنانه من أعماله (٢٤ رمضان ١٢٨٤ هـ) ثم عينت الدولة مصطفي نائلي باشا مأموراً فوق العادة للبحث عن أسهل الطرق والامور الموصلة لاجساد الثورة في زمن قريب ولما وصل تقدمت الجيوش من كل جهة الى قلب الجزيرة تطارداً الثوار في كل مكان وكانت البواخر الحربية العثمانية والمصرية تحت قيادة الفريق ابراهيم باشا الموردي تنقل الجيوش على سواحل الجزيرة للتصديق على الثوار في كل جهة

(١) الى من باشا واقعة ارقادي من الضباط الجهادية وأفراد العسكر المصرية سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدي لاولكم وآخركم ويسدي لأموركم وأمركم لازمت محققين من الله نصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين في نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم في كروب الحرب عزائم وصوركم في قطوب الخطوب بواهم وأعلامكم للفتح والتمكين علائم وياهمكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والغفار في رواحكم وعدوكم نوامس وبعد فازلت أشوق من أخبار شجاعتكم مايسر الخواطر وأشوق من آثار براعتكم مايقرا النواظر واثما بعزمكم وجزكم في المضايق مبتهجا عما أبدىتموه من حسن السوابق حتى وردة فأور الشريعة من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية يسوميات الوقائع العسكرية مشتملة على وقعة ارقادي ونفصيلاتها وما كان من رسوخ اقدامكم وثباتها واقدامكم في جهاتها واقحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتضخيم مستعصماتها وتدمير اشقاء العصاة وكبتها حتى زلزلت صياصياها وذلك نواصيها ودناكم فاصيها ودان اصحابها هكذا تكون رجال الجهاد وابطال الجلال والجلاد وهكذا اتفتحت الحصون ويرزى النصر الحصون وذلك فليتنافس المتنافسون فقد اسفر لكم بحمد الله وجه النهاية وانقرتكم بعون الله غرس الاماني وأبدت مائدت العساكر المصرية من حسن الشهرة في الامور العسكرية فحصل لي من الانس والسرور بهذا البشارة ما لا تقدر الالسن ان تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن اقطاري وظهرت نيرات افكارى وتحققتم انكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون في تأييد ما لكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصرتكم بين الاهل والديار وسارت الرجايا بحسان هذا الاخبار كأنقلته صحائف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرح صدور اهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع اهل بلدانكم وابتسمت غرور اوطانكم وافخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت ارواح الشهداء من اقربائكم والمأمول في أنظاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حمتكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي أمر القتال والحرب وبطبع الجميع ويسهل كل صعب متبوع وتعود والوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزيز وقرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقى الاقل والحرب للرجل العسكى والبطل الجرى سوق عظيم وموسم كريم تشتري فيه غوالي المعالي باعلى العوالي وتنا فيه منازل الاكرام في ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفجر الصادق بمرامى المدافع والبنادق وقد علمت ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمل لا تقصر الآجال كما ان الحنين وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لا تقبل التغيير ولا التقديم ولا التأخير والشجاعة صبر ساعة ثم يتكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في توارخ الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا بأداء حقوق الجهاد وانبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بمونة الله تمام هذا المرام وكجاودتم براعة المطلع فاحسنوا براعة الختام

ثم عينت الدولة المشير البحري الحاج وسيم باشا قومه نادانا عام على البوارج الحربية المعينة لحصر الجزيرة وأعلنت دول البحار بذلك (١٢٨٤ هـ) وبينما كانت السفن العثمانية تتجول حول الجزيرة تلاقى وابور عز الدين سوارية حسن بك بباخرة الروم تدعى إركادى كانت تنقل الذخائر والاسلحة من بلاد اليونان لشوار الجزيرة خفية فأطلقت الباخرة العثمانية عليها النار بعد ان طلبت منها التسليم قرب ساحل قبركو بو وفسرت الباخرة اليونانية المذكورة الى الساحل وخرجت منها طائفتها بعد ان اقتبها النيران فأسرع البحارة العثمانيون وأطفئوا النار ثم أخذوها الى الاستانة وأصلحوها هناك وأضيفت على الاساطيل العثمانية وبعد ذلك بدأت القننة بـ كريدونعا (١٢٨٤ هـ) وبعد ذلك بقليل توفي الفريق المصرى اسمعيل سليم باشا عقب مغص اعتراه في يوم واحد وأشيع بين الضباط المصريين انه مات مسموماً لتناوله من حلوات أتت اليه من مصر ونقلت جثته الى مصر ودفن باحتفال وعين الخديو مكانه الفريق عبدالقادر باشا الطوبجى الا أنه لم يمكث هناك طويلا حيث تعين محافظ المصوع التي أحييت ادارتها وقتئذ الى الخديو به المصرية بفرمان سلطاني (١٢٨٣) وتعين مكانه بكريدمحمد راتب باشا السردار ولما طال زمن الثورة أتى الى كريد الصدر الاعظم على باشا المنظر في أسباب ذلك فعزل عمر باشا عن قيادة الجيش العثماني لتراخيه في الحركات العسكرية وسوء سلوكه ونصب بدله حسين عوفى باشا فسكنت الثورة في زمن قليل ثم عقدت دول أوروبا في باريس مؤتمرا لمسئلة كريد عينت الدولة فيه فؤاد باشا أمورا من قبائها ولما أخذت القننة عادت الجيوش العثمانية والمصرية الى الاوطان واحتفل الخديو اسمعيل باشا بقدومهم احتفالا شائقا وأقام لها الولائم بالعباسية بمصر

مساعدة اسمعيل باشا للاكبر في حرب الحبشة - لما سعد تيودورس ملك ملوك الحبشة على تختها سنة ١٨٥٥ م كان المستر ولتر بلودن (Plowden) قنصلا لاندنكلين في الحبشة وقد توصل هذا القنصل الى الاندماج ضمن خدمة هذا الملك المخلصين لما رتب لدولته في ذلك واستمر المستر المذكور في الخدمة حتى قتل في ثورة داخلية سنة ١٨٦٥ وفي سنة ١٨٦٢ أرسلت ملكة انكلترة القبطان كاميرون (D. Camecon) مكان المتوفى وأصحبه بجملته هدايا ولما وصل أراد تيودورس أن يرسل الى انكلترة سفارة وبعث بذلك مكتوبا فلم تلتفت نظارة خارجية انكلترة الى مكتوبه فاغتاز من ذلك (١٨٦٣) واشتد غضبه لما لم يتجاوبه حكومة فرانس ايضا على مكتوبه اليها وكان عين له سفيرا ينوب عنه لدى الدولة الفرنسية فلم تعترف به وعند ذلك قبض على من بيلاده من الاوربا وبين بين تجار وقسوس وسجنهم وكان منهم مستر كاميرون قنصل الانجليز المذكور فاغتاز كل من فرانسوا وانجليترة وخطبته في ذلك فلم تفلحوا و أخيرا أرسلت انجليترة مأمورا يدعى المستر فلود (Flod) سنة ١٨٦٦ لاطلاق سراح المسجونين فرفض تيودورس طلبها وعزمت الحكومة الانكليزية على تخليصهم بالقوة الا أنها استعانت قبل ذلك بالخديو اسمعيل باشا فكتب الى تيودورس كتابا من انشاء المرحوم عبد الله فكرى باشا (١) (اكتوبر ١٨٦٧)

(١) ما كتب من الخديو اسمعيل باشا الى الملك تيودورس سلطان الاقليم الحبشية بعد الدبلوماسية - بعد التبعات الزاهرة والتسليمات الباهرة والسؤال عن الخطر الكريم والدوام العزم والتكريم أرى لما بيننا من

ينصحه فيه ويخوفه بأس إنجلترا وان عناده وبال عليه فلم يلتفت الى ذلك فسأقت انكثرة عليه جيشا عظيما تحت قيادة الجنرال روبرت ناير (Robert Napier) في سبتمبر من سنة ١٨٦٧ م وكان هذا الجيش يتألف من ١٤,٦٨٣ جنديا يتبعه ٢٨,٠١٦ من الخدمة ومعه ٣٦,٠٩٣ من حيوانات النقل والخيول و ٤٤ فيلا وسافرت هذه القوة على أسطول مركب من ٢٣٥ سفينة سرعانية و ٩٤ باخرة حربية وغير حربية يقوده الاميرال ترون (Tryon) ثم نزل هذا الجيش بفرضة زولا وأمر الخديو عبد القادر باشا بحفاظ مصوع اذذاك بمساعدة الجيش البريتاني في كل ما يحتاجه فارسل عبد القادر باشا بعض سناجق الباشوزوق الى زولا وجعل جمالي بك قومندان فرقاطة شيرجهاد باشوغا للبوخار المصرية الست التي خصصت لمساعدة الانجليز بالبحر الاحمر وهي كفيت والتاكه وشندي وأسوان والطور وشيرجهاد وأخذت السفن المذكورة تنقل له ما يلزمه من الاقوات من السويس وصرحت مصر أيضا لكثيرين من تجارها وأهاليها بمرافقة الحملة المذكورة فشرح ذلك صدر الحكومة الانكليزية وأعلنت شكرها للخديو ثم انتصرت الجيوش الانكليزية على الاحباش واحتلت مدينة مجدله ولما رأى تيودورس انه واقع في يد أعدائه لامحالة أطلق على نفسه طبنجخة فمات قتيلا أما الانجليز فانهم لم يقموا بالحبشة طويلا فعدوا الى بلادهم سنة ١٨٦٨ وذلك خوفا من انتقاض البلاد عليهم باجمعها لانها كانت وقت دخولهم على خلاف في الرأي مع تيودورس وأخذ الانجليز معهم عند خروجهم ابن النجاشي وكان حديث السن وأدخلوه مدارس بلادهم ليتربى على أخلاقهم ويكون فيما بعد عندهم كسلاح يقا تلون به الحبشة أو مسوغ يجيز لهم المداخل في أمورها ولكن قدر الله ومات ذلك الصبي بعد سنين فلائل

حقوق الحوار ولصوق المدار بالدار أن من الواجبات العينية واللازمات المرعية البدء النصيحة كلما اقتضى الحال والاشارة عليكم بما فيه الخير والسلامة في الحال والمال وقد تحقق الآن عندنا بوجه اليقين الخالي عن الظن والتخمين أنه لما طالت مدة الحبس بذلك الطريق على فصل الانكليز ورفقائه المسيحيين رأيت حكومة الانكليز أن من الواجب عليها واللازم المأمور لديها استعمال الحالة الجبرية في استخلاصهم بالقوة العسكرية رعاية لمن في حمايتها ووقاية اشرف دولتها ولذلك لزمها قطع روابط الحب مع حضرتكم والاعلان بالحرب على جهتكم وهما جهزت عليكم من أجل ذلك جيشا كبيرا وعسكرا كثيرا وافرا بالعدد مستكمل الآلات والعدد ولا يخفى على فطنتكم وحسن خبرتكم أن دولة الانكليز من قديم الزمان مشهورة بالشجاعة والقوة والبأس والسطوة وما كان سكوتها الى هذا الوقت كل هذه المدة المديدة والاعوام العديدة الاتباعا عن الشر ورغبة في بقاء الصلح والخير وأمل في اطلاقهم بغير قتال والافراج عنهم بحسن الحال فاذ لم تحصل على هذا المرغوب فلا بد لها من إشعال نار الحروب واستعمال القوة الجبرية والحالة القهريه بما لا يخفى سوء عاقبته وشر نتيجته ولا بد أن يكون قد أحاط علمكم بما صنعتته الدولة المذكورة في بلاد الهند وفي بلاد الصين مع كثرة أهاليها وسعة أراضيها وبعد فواجبها ثم ان بارينتاوين هذه الدولة مودة قديمة وعلائق بحكمته ومحببة قوية وهذا العساكر والجنود عند دخولها الى جهتكم يكون مروها بالاضرور من أراضي الحكومة المصرية ولا سبيل لمنعها عن المرور وصد هاجم القصد المذكور الا بالمبادر من حضرتكم الى اطلاق المحبوسين المذكورين وتسيبهم الى بلادهم مسرورين قبل اشتعال نار القتال واشتداد الاحوال وتلف الرجال وضياع النقوس والاموال فلذلك دعيتني المحبة الوفيرة وصفاء السريرة وحقوق الجبرية ان أنصح لحضرتكم في هذا الامر وأشير عليكم بالتباعد عن ذلك الشر فان أردتم الخير لكم ولببلادكم والسلامة وحسن العاقبة فقبلوا هذا النصيحة الودادية والاشارة الحبية وأسرعوا باطلاق القنصل الموي اليه وباقي المحبوسين المذكورين وأرسلوهم الى جهته مصوع أو الى آخر حدود حضرتكم

الاحتفال بفتح ترعة الويس - سبق الكلام على هذا القنال الذي أوصل البحرين ببعضهما في صحيفة ٧٦١ من الجزء الاول وكذا في تاريخ المرحوم محمد سعيد باشا وما له من الاهمية وغير ذلك ونقول الآن ان كثيرين من ملوك مصر سعوا في توصيل البحرين ببعضهما كما ورد في التاريخ منهم سبتي الاول أحد ملوك العائلة التاسعة عشرة فانه سعى في توصيل النيل بالبحيرة المرة التي كانت تتصل في زمنه بالبحر الاحمر وقال استرابون (Estrabon) وغيره ان رمسيس الثاني هو اول من سعى في هذا الامر وكان ذلك في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريبا وقال غيره ان نياخو الثاني أحد ملوك العائلة السادسة والعشرين احتفر في سنة ٦١٠ ق م ترعة سبق الكلام عليها في مقدمة هذا الجزء وكان امتدادها ٦٢ ميلارومانيا أي ٥٧ ميلا انجليزيا ولما امتلك دارا الاول ملك الفرس الديار المصرية أمر سنة ٥٢٠ ق م بحفر الرواسب الرملية التي كادت تسد هذه الترعة وتوسيعها ولا تزال آثارها باقية الى الآن بالقرب من الشلوفه وقال هيرودوت ان طول الخليج الموصل بين البحرين كان مسيرة أربعة أيام وعرضه كاف لمرور سفينتين من أكبر السفن في آن واحد بكل سهولة وهو يتفرع عن فرع النيل الذي يصب عند مدينة بيلوزه ويتجه شرقا حتى يصل الى البحر الاحمر اه وروى دسيلاون وديودور الصقلي أن بطليموس الثاني لم يهمل أمر هذه الترعة وكذا حصل الاعتناء بالمواصلات المذكورة في زمن الرومان ثم أهملت الى أن فتح العرب البلاد فحصل الاتصال بخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي زمن أبي جعفر المنصور أمر فردد هذا الخليج لقطع المواصلات عن المدينة عندما نار أهلها وأراد هرون الرشيد توصيل البحرين المذكورين ببعضهما فنهأ جعفر وزيره عن ذلك وقال له يا أمير المؤمنين ان خرق السويس خرق في الاسلام ثم في عهد السلطان مصطفى خان الثالث العثماني خطر يباله أن يعيد اتصال البحر الاحمر والابيض كما كان قديما وكلف البارون دوطوت (Tott) القرنسوى بدرس هذا المشروع ولم يتم لموت السلطان ولما احتل الفرنسيون الديار المصرية في أواخر القرن

آمين مطمئنين مع التكرم باخبارنا عن ذلك لتبادر باخبار الدولة الانكليزية به رجاء أن تجزئها كرها من التقدم اليكم والسير عليكم فانهم اذا دخلوا حدودكم وتزلوا بلادكم بهذه الجيوش الكثيرة والمجوع الغزيرة والادوات الكاملة والمدافع الهائلة والاسلحة النارية والعدد الحربية والآلات العسكرية يلحق جهة حضرتكم من ذلك الامر خطوب عظيمة وكروب جسيمة وأحوال ذميمة كما أن من المعلوم بالضرورة أنه ان حصل تلف لهؤلاء المحجوبين فلا يكون ذلك موجبا لتأخير حركة الانكليز بل يكون موجبا لاشتداد غيظهم واحتداد غضبهم وتقوية عزيمتهم على السير عليكم لاجراء الانتقام الشديد والعقاب المرير والامور الفظيعة والاهوال الشنيعة مما لا ينبغي تحريه ولا يحسن ذكره وتسطيره فان قلبتم النصيح والوداد واخترتهم مسالك الرشود والسداد صيانة للاموال والارواح ورعاية لبقاء الصلح والصلاح فذلك ظني في درايستكم وحسن سياستكم وأولى من خراب البلاد واتعاب العباد واشتداد الامور وامتداد الشرور والوقوع في كل أمر محذور أمل ان خالفتم وأخلفتم الظن وأردتم ابقاء المذكورين بعد هذا في السجن فاعلموا أن لا بد للانكليز من أن يدوسوا أرضكم بهذه الجنود الحاضرة والقوة الوافرة والشدة الباهرة والصلوة القاهرة فعند ذلك لا تنفع الندامة ولا تمكن السلامة وتكون الفرصة قد ضاعت زمانها وانقضت أوانها وتعذر امكانها ونضطر نحن أيضا لان نزول ما عندنا من المودة اليكم ونكون حينئذ نضعهم عليكم لمخالفتكم نصيحتنا وعدم قبولكم اشارتنا والعاقلة يتخارخيرا الامور ولا يلقى نفسه في الشرور وقد قنا بواجب النصيحة وبقي القبول وذلك منكم غاية المأمول ونهاية المستول ما جنادى الاخر سنة ١٢٨٤ من الآثار الفكرية

الثامن عشر الميلادي اهتم نابليون بوناپارت بأمر اتصال البحرين ببرزخ السويس وجاب جهات البرزخ المذكور بنفسه وعين لذلك لجنة من المهندسين منها المهندس الشهير بطرس لابي (Pierre Lapie) فرأوا نخطا في حسابهم أن البحر الأحمر يعلو عن البحر المتوسط الأبيض بثلاثين قدما ولذلك أشاروا بعدم مناسبة فتح هذه الترععة فقال نابليون عند ذلك ان هذا العمل الخطير الذي لم يساعدني الوقت على انفاذه سيأتي يوم ربما نالت فيه الدولة العثمانية نخر فتحه ومن وقتئذ بقي أمر هذا الاتصال موقوفا الى ان قدم الموسيوفردي بنفد دواسبس وتحصل على رضا محمد سعيد باشا بفتحها (٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ م) كما سبق وعينت الحكومة من قبلها لينان بك وموجيل بك لرسم أرض البرزخ المذكور وعمل الميزانيات اللازمة وتحديد محل الترععة والأرض اللازمة لها وتندير التكاليف وعدد العملة وغير ذلك فكلف المذكوران بكل عمل من ذلك طائفة من المهندسين المصريين ولما تمت الأعمال المذكورة تعينت لجنة أخرى مؤلفة من مهندسي دول أوروبا والعظام وهي فرانسوا وانكثرة والنساواسيا وابطاليا وهو لاندو برسوا وانضم الى هذه اللجنة اثنتان من رؤساء البحرية أحدهما من فرانسوا والاخر من انكثرة لامتحان ما قدره المهندسون المصريون (٣٠ أكتوبر ١٨٥٥ م) وبعد ان نظرت هذه اللجنة في المسئلة المذكورة بكل وجوهها عقدت مصر الشروط النهائية مع الشركة التي رأسها المسيد دولسبس (٥ يناير ١٨٥٦ م) ومن شروط هذا الاتفاق أن يكون لمصر خمسة عشر في المائة من صافي ربح القنال في مقابلة الاراضي التي تنازلت عنها والمساعات التي قامت بها وغير ذلك وتعهد سعيد باشا في اتفاق آخر عقد في ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ بتقديم العمال والفعلة اللازمة لحفر الترععة بشرط أن تدفع الشركة لهم أجورهم ولما نجح الموسيوفردي في مشروعها وابتدأت الأعمال في فتح القنال سعى الانكليز في عرقلة مساعي دولسبس بتحويل بعض الدولة العثمانية تارة وتارة باظهار عدم أهميتها وفائدتها كما سبق ولما كان للدولة الانكليزية النفوذ الاول بدار الخلافة اعترض الباب العالي على هذه الأعمال التي صرح بها والى مصر اشركة لاتعلم أعضاؤها وعلى مباشرتها العمل قبل أن يقر عليه وهو صاحب السيادة وكان دولسبس تعهد بالحصول على تصديق الدولة وأنه ليس لسعيد باشا في ذلك شأن وقد كادت مساعي الدولة تنجح في ابطال هذا المشروع لولا تغلب سياسة فرانسوا بالاستانة وبقيت المخبرات زمانطاويلا الى أن ارتقى الخديو اسمعيل باشا على الاريكة المصرية (١٨٦٣ م) وكان قد تم كثير من الأعمال التي كانت جارية في حفر القنال ولما أظهر الخديو المشار اليه للشركة عدم استحسانه لتكليف أهالي مصر بحفر القنال لان ذلك معطل لأعمالهم الخصوصية وأعمال البلاد كما أشار لذلك الصدر الاعظم على باشا في المكتوب المدرج بصحيفة ٧١٧ من الجزء الاول اضطرب سيرها ووقع النزاع بين الشركة والحكومة الخديوية ودارت المخبرات بسرعة بين الباب العالي ومصر ودولتي فرانسوا وانكثرة سيما ولم يكن صدر الفرمان السلطاني بالتصريح للشركة بعمل القنال الى ذلك الوقت وقد قضت بعد ذلك سياسة الخديو اسمعيل باشا أن يتخذ الامبراطور نابليون الثالث حكما في الموضوع ليفصل النزاع القائم بين مصر والشركة الفرنسية قال العالم الفاضل المرحوم علي مبارك باشا في الخطط التوفيقية ان هذا التحكيم أوقع الحكومة المصرية في بحور الدين وأحوال السياسة الدولية وأجأها الى أن تسير في سياستها الداخلية والخارجية وفي ادارة

مصالحها الكلية والجزئية على سنين يخالف سنينها القديم اه أما امبراطور فرانسافانه حكم للشركة طبعاً وأعطاهما الحق فيما تدعيه فاصدر حكمه في ٦ يوليوسنة ١٨٦٣ بعد ان استشار بعض أهل الدراية بالاحكام القانونية وانتدب خديو مصر فو بار باشا وأرسله الى باريس حتى يطلع الذين كانوا ينتظرون في هذه النازلة على اعتراض مصر ويوقفهم على دخائل المسئلة ولكن لم يفقد ذلك وكان الحكم أن تدفع الحكومة المصرية الى الشركة على سبيل التعويض لعدم قيامها باحضار العمال ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وفي مقابلة تركها للاراضي التي كانت رخصت لها الحكومة المصرية باحيائها وزراعتها ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وفي مقابلة تخلى الشركة عن التبعة الخلوثة وفوائدها ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وغير ذلك بحيث دفعت مصر الى الشركة نحو ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وذلك عبارة عن ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة ولم ينظر نابليون ولا الذين استشارهم الى أن خديو مصر مخ الشركة على القنال وتنازل لها عن مقدار عظيم من الاراضي بلامقابل وجعل أهالي القطر كعبيد لها وغير ذلك ولكن والحق يقال إن هذه المساعدات التي منحها ولى مصر عرفوا أصبحت حقاً للشركة وهي تعرف أن تحافظ عليه وتدافع عنه بكل الوسائل أما حقوق الشرقي فبهما كانت أسبابها وثيقة وشروطها متينة تصبج أثراً بعد عين لتفريطه وجهله والحاصل أنه بعد أن توفر المال لدى الشركة وتحصلت على فرمان السلطاني بمساعي فرانسافا كما تقدم اجتمعت في فتح القنال ثم في شهر مارث من سنة ١٨٦٩ م زار الخديو اسمعيل باشا القنال وركب باخرة من نية بجميع أعلام الدول ومرفيه من طسرف الى آخر فأعجبه ماراه ثم سافر على باخرة المحروسة الى أوربا وزار عواصمها لدعوة ملوكها وأعاضم رجالها لخدمته والاحتفال بفتح التبعة رسمياً ولما عاد الى مصر أخذ في الاستعداد لاستقبال مدعويه بكرم حاشي وأمر فشيدها له تياتروا وديعا وهو الاوبرا الخديوية وأرسل فأحضره مشهورى المشخصين والمشخصات من أوربا وأقام كثير من القصور الفاخرة بمصر وجهات القنال وأصلح الطريق المؤدى الى الاهرام وغير ذلك مما يضيق عنه النطاق ثم أخذ المدعويون بالفود على مصر وكان بعضهم يأتي في بواخر يرسلها لهم الخديو أو الشركة وبعد قليل أصبحت فرضة نور سعيد مشحونة بأنواع وأجناس المراكب والبوارج والبواخر وأجرى الاحتفال رسمياً في ١٧ سبتمبر من سنة ١٨٦٩ م والذين شاهدوا ذلك الاحتفال من الملوك هم أوجين زوجة نابليون وامبراطورة فرانسافا (Eugénée) والامبراطور فرانسافا جوزيف (François Joseph) ملك النمسا والبرنس فرديريك (Frédéric) ولي عهد بروسيا وكثير من العظماء والامراء وكان الاحتفال في غاية الاجبة والجمال مارأى الناس مثله في حسن الاتقان وكمال المعدات الا ما سمعوا به في القصص الموضوعية والروايات المحترمة وبلغ ما صرف عليه ١٩٣,١١١,٠٠٠ ليرة انكليزية وكانت مصر في غنى عن صرف هذا المبلغ الجسم وباليته صرف بالبلاد بين أهلها بل دفع للاجانب لانه عن أشياء أتت من بلادهم ليمتع بها أمر أو هم في أرض القراعنة ولكن الامر بيد الله فلا نوم ولا عتاب

الحاكم المختلط بالديار المصرية - كانت جميع القضايا التي تحدث ما بين الأهالي والاجانب في زمن ولاية المرحوم محمد علي باشا تنظر ويحكم فيها بالمحاكم الشرعية والأهلية بهذه الديار طبقاً لقواعد الامتيازات الاجنبية في الممالك العثمانية ثم لما كثرت التجار في الممالك العثمانية

شككت الدولة نظارة مخصوصة للتجارة (١٢٦٤ هـ ١٨٤٨ م) واضطرت أن تجعل مجلسا مختلطا نصف أعضائه من العثمانيين والنصف الآخر من الاجانب ليحكم في المسائل التجارية بين الرعايا والاجانب على اختلاف جنسياتهم أما الدعاوى الاخرى فكانت تحكم فيها المحاكم الاهلية وعلى ذلك كانت الاحكام سائرة في الديار المصرية ولما كثرت وارد الاجانب الى مصر أخذ القناصل يتداخلون في القضايا التي تقع بين رعاياهم وبين الاهالي بغير أن يحصل اعتراض مامن أصحاب الشأن في الحكومة المصرية وبذلك تمكن القناصل مع طول الايام واهمال مصر حقوقها وتفریطها في أمر رعاياها من جعل دوائرهم كحماكم تفصل في كثير من القضايا التي تحدث بين رعاياهم وبين الاهالي واستمر الحال على ذلك الى ان ارتقى اسمعيل باشا الى مسند الخديوية فسمعي في أن يعيد الى المحاكم الاعلية ما كان لها من الامتياز السابق الذي تؤيده الاوامر السلطانية فوجد العراقل والاعتراضات الشديدة من قناصل الدول ودعواهم في ذلك سوء ادارة المحاكم الاهلية وعدم استقلالها وهو اعتراض وان كان في غاية الحفاية والصدق الا انه اعتراض ظاهري كالا يخفي على الليب لانه لو فرض وكانت المحاكم المصرية بالغة حد الاتقان والاستقلال لاخترق القناصل المذكورون اعتراضات اخرى يتصلون بها من جعل رعاياهم خاضعين لقوانين بلاد شرقية اسلامية ثم أمر الخديويون بارباشا بالبحث عما به يمكن حل هذا المشكل الجسم فاعمل الباشا المذكور فكرته اياما ثم قدم لسموه تقرير او افيافى سنة ١٨٦٧ م بين فيه جميع الامتيازات القنصلية وقال بعدم موافقة حالها التي كانت عليها وقتئذ لأن تلك الامتيازات سنت لهم وقت ان كان عددا الاجانب في البلاد قليلا وكانت الامتيازات المذكورة مخصصة بأمر مبادلة التجارة فقط وان القناصل توسعوا في معانيها حتى جعلوا أنفسهم محامين لرعاياهم ليخلصوهم من الجرائم التي يرتكبونها مع الاهالي وطلب في تقريره اعادة الأمر الى ما كان عليه سابقا والانتشكك بمحاكمة مختلطة كالمحاكم التجارية المختلطة المذكورة التي في الممالك العثمانية وان تكون الاعلية فيها للمصريين واستحسن نوبار باشا وضع قانون لذلك على نسق قانون نابليون والقوانين الاورباوية فقبل الخديوي اسمعيل باشا ذلك التقرير بكل ارتياح وأخبره القناصل رسميا وشرعت الحكومة المصرية تتخبر في شأنه مع الدول الاخرى زمناطوبلا وظهر من بعضها أثناء ذلك عدم ارتياح وامتنعت اليونان من قبوله بالسلكية ثم ألح الخديوي في الأمر وتشكلت في باريس لجنة لنظره تحت رئاسة الموسيودوفيرجي (E. Duvergier) رئيس قسم شوري الحكومة (١٨٦٧ م) وبعد المداولة زأت اللجنة المذكورة ضرورة إنشاء المحاكم المذكورة بلا توسع في نطاقها ثم استمرت المداولة بين الحكومة الخديوية وبين الدول الاورباوية حتى قامت حرب سنة ١٨٧٠ م بين فرانسوا وبروسيا فتوقفت المخابرات زمناطوبلا ثم لما توجه الخديوي اسمعيل باشا كعادته السنوية الى دار الخلافة تداول في هذا الأمر مع وزراء السلطنة وعقد هنالك مجلس (١٨٧٢ م) تحت رئاسة الموسيوفيليب فرنسيس (Philip Francis) فنصّل انكلترة العام في مصر وقاضى المحكمة العليا البريتانية بها والموسيوتريكو (Tricon) فنصّل فرانسوا الجنرال وعينت ايطاليا ميسوجا كوني (Giaccone) وحضره نوبار باشا وبعد المداولة حرر واتقيرا (١٥ فبراير ١٨٧٣ م) بايجاد المحاكم المذكورة لمدة خمس سنوات على سبيل التجربة وقرروا أن تحكم تلك المحاكم في المواد المدنية والجنائية ولكن اتفق عقب ذلك

سقوط وزارة فو بار باشا وتشكيل وزارة يرأسها المرحوم شريف باشا فكتب منشورا الى القناصل طلب فيه ان المحاكم المختلطة المذكورة تنظر فقط في الاحكام المدنية حتى تحصل التجربة في المدة التي تقررت وعند تجديد مدتها مرة أخرى ينظر فيما اذا كان من المناسب احالة مواد الجنائيات عليها أم لا وهذا وقد اتخذت فرانس هذا البلاغ حجة لها ورفضت فيما بعد جعل الاحكام الجنائية من اختصاص تلك المحاكم وقانون هذه المحاكم مأخوذ من قانون نابليون مطبق على نوع ما على بعض قوانين البلاد والشريعة الاسلامية واعلم ان هذه المحاكم وان كانت سببت اضرارا جمة لبعض الاهالي بلهولهم بالاحوال القانونية فيما يتعلق بالمعاملات مع الاجانب وانتقلت بسبب ذلك وبسبب عدم وقوف قضاتها الاجانب على احوال الاهالي والبلاد وقوفات ما وعدم معرفتهم بأنواع الحيل التي يستعملها بعض الاجانب مع الفلاحين خصوصا للاستيلاء على ثروتهم يحكمهم هذه المحاكم وغير ذلك من الامور الا انهم اعلى ما بها احسن من محاكم القناصل بكثير ومن الغريب ان اللغة العربية التي هي لغة البلاد وان كانت احدى اللغات الرسمية التي يجوز الترافع بها امام تلك المحاكم قد أهملت فيها بالكلية ولم نسمع بحصول الترافع بها امامها الا فيما نادر

تأسيس مجلس الشورى - لما كان اسم عيسل باشا من عهد ماو لي الخديوية المصرية دأبنا في ترقية احوال البلاد لاجله ان من أهم الامور وأكثرها فائدة للبلاد هو تأسيس مجلس شورى يكون أعضاؤه من أهل البلاد وكان قبل ذلك شكل مجلسا خاصا وصيا وجعل أعضاؤه من كبار رجال حكومته وأناط به النظر في جميع المشروعات التي كان يرى لزوم ايجادها بصبر وكان يرأس جلساته بنفسه في الغالب وأعضاء هذا المجلس هم الذين قرروا تأسيس مجلس الشورى المذكور حسب رغبته وكبار يدو وضعوا له لائحة أساسية لانتخاب أعضائه وللائحة نظامية في بيان حدوده ووظائفه وأعماله وصدرت أوامره باعتماد ذلك وقد رأينا من الواجب أن نورد هنا نص الامر العالي الصادر بذلك لانه يعتبر أول خطوة خطتها البلاد في طريق الشورى وها هو بعد الدياتجحة

(قد تقدم عقدا المجلس الخصوصي تحت رباستنا للنظر في كيفية انتخاب الاعضاء التي يتركب منها مجلس شورى النواب الذي تقر لدينا تأسيسه وافتتاحه في ديارنا هذه المحروسة بعون الله وعنايته المحفوفة بالظافة ورباطته أملا في حصول ما يترتب عليه من المزايا السنية والقوانين الوطنية والتوسع في دوائر الجمهورية والمدنية كما هو حلى العيان غنى عن البيان وقد تم تنظيم اللائحة الأساسية على ما تقر باستنساخه وتحقق استصوابه وحيث كان من اللزوم بمقتضى البند الخامس عشر من اللائحة الأساسية المذكورة أن يكون لمجلس شورى النواب المشار اليه لائحة تحتوي على بيان حدوده ونظاماته وأعماله وكيفية ادارة أشغاله جرت المناقضة في ذلك بالمجلس الخصوصي تحت رباستنا أيضا وكل تنظيم لائحة الحدود والنظامات المذكورة بمالاح استحسانه وموافقته وها هي صورة كل من اللائحتين المذكورتين وتحتوى الاولى على ثمانية عشر بندا والثانية تشمل على واحد وستين بندا كما سيأتي بيانه وأصدرت أمرى هذا اليكم للاعتماد ما بهما والعمل على موجهما وبالالتوفيق والهداية الى أقوم طريق)

وافتح الخديو المجلس المذكور بنفسه في يوم ١٠ رجب من سنة ١٢٨٣ (١٩ نوفمبر ١٨٦٦) وألقى عند ذلك خطابا (١) كما هي العادة ذكر فيه ميملة الى ترقى الامة والبلاد وغير ذلك وأصدر

(١) من المعلوم أن جدى المرحوم حين تولى مصر وجدها خالية من آثار العار ووجد أهلها مسلوبى الامن والراحة فصرف الهمم العالية لتأمين الاهالي وعقدين البلاد بايجاد الاسباب والوسائل اللازمة الى ذلك حتى وفقه الله تعالى لما

أيضا لكل عضو من أعضائه أمرا بتعيينه في ذلك المجلس لمدة ثلاث سنين شمسية (٢) أشار فيه الى ما تؤمله البلاد من الاعضاء باجتماعهم وابداء آرائهم واجاب الاعضاء بخطاب حوى مختصر تاريخ البلاد وما ناتته من السعادة والتقدم والارتقاء في عهد العائلة المحمدية العلوية وشكروا فيه المآثر الخديوية الاسماعلية بمنح البلاد حقوق الشورى التي سبق ذكرها على نوال الازمان

أراد من تأسيس عمارة الاقطار المصرية وكان والدي عوناله ونصير في حياته فلما آلت اليه الحكومة المصرية اذنت في رأيه في اتمام تلك المساعي الجليلة بكل الجهد والاجتهاد فلو ساعدته غيره لأكملها على أحسن نظام ثم انقلبت احوال مصر بعدهما الى أن قدر الله تعالى تسليم زمام ادارة حكومتها الى يدي ومن حين تسلمته لهذا الآن رأيتم دوام سعي واجتهادى في اكمال ما شرعنا من المقاصد الخيرية بتكثير اسباب العمارة والمدنية أعانني الله على ذلك وكثيرا ما كان يخاطر بيالى ايجاد مجلس شورى النواب لان من القضايا المسلمة التي لا يشكر نفعها وما يها أن يكون الامر شورى بين الراعى والرعية كما هو مسمى في أكثر الجهات ويكفينا كون الشارع حث عليه بقوله تعالى وشاورهم في الامر وبقوله تعالى وأمرهم شورى بينهم فلهذا استفسيت افتتاح ذلك المجلس بمصر تذاكر فيه المنافع الداخلية وتبدي به الآراء المفيدة تكون أعضاؤه مترتبة من منخبي الالهالى نعتقد مصر في كل سنة مدة شهرين وهو هذا المجلس المقدر بعناية المولى فتحه في هذا اليوم على يدنا الذى أنتم فيه أعضاء متخبون من طرف الالهالى وفى أشكرا لله على ما وفقني لهذا الامر المبرور وواتق من فطانتكم بمحصول النتيجة الحسنة من حسن الداولة فى المنافع الداخلية الوطنية وقتنا الله تعالى لما فيه منفعة للجمهور وعلى الله الاعتماد فى كل الامور ما اه من القانون المطبوع ببولاق آخر شعبان سنة ١٢٨٣

(٢) قدوة الوجوه المعتمدين والاعيان المنتخبين فلان الفلانى من البلاد الفلانية بالقسم الفلانى بمديرية كذا زيد اقباله ودام كماله قد علم آل الوطن العزيز وفهم أهل الفطن والتمييز دوام شغف فؤادنا واشتغال أفكارنا بما فيه معمورة بلادنا هذه وسعة منفعة ديارنا وما يقدم أهلها فى مدارج التمدن ويصعد بهم فى معارج التمكن وقد علمت ان ترتب مجلس الشورى الوطنية مما يعود على ديارنا هذه بعز يد المزية كما جرت فى سائر الدول المتقدمة وشوهد بين جميع الملل المتمكنة فان تلاحق الافكار وتصادق الآراء والانظار يستفتح ثمرات الالباب من أغصانها ويستخرج بحسنات الصواب من أفنانها وقد رأيت فى أهل وطننا المبارك بحمد الله تعالى وتبارك من مزيد الاهلية والاستعداد ما يكون عوننا على حصول هذا المراد فلذا رمت بترتيب المجلس المذكور وادشائه وأصدرت لائحة مخصوصة فى كيفية انتخاب أعضائه بحيث يكونون من وجوه أهل وطننا لينوبوا عن سائر أهالى مدننا وبادنا وقد كمل أمر الانتخاب الآن ممن يصلح لهذا الشأن وأنت من انتخاب هذا الخصوص وصديق عليهم فى قرار القوم من المخصوص وعرض ذلك بواسطة سعادة رئيس المجلس الينا فقول بقبوله واستحسانه لدينا فأصدرت هذا البلاغ اعلاما بأنك ممن حاز شرف الامتياز بالعضوية فى ذلك المجلس مجلس شورى النواب الوطنية وذلك بدنت ثلاث سنين شمسية - كما تقر فى اللائحة الانتخابية وكلكم صحاب روية وأهلية وأرباب فطنة جليلة وكل معرفة بالمصالح الداخلية والمنافع الحماية فامل فى سمو أفكاركم وعلو نظاركم أن يكون فى اجتماعكم هذا ما يزيد أوطاننا به فلاحا وتمدنا وتجارى به غيرهما من الممالك المعمورة والمدائن المشهورة اصلاحا وتحسينا فتعاونا فى النظر الصائب وتبيين الفكر الناقب وخذوا فيما يتعلق بهذا المجلس من المصالح الداخلية والمواد التي ترى الحكومة أنها من خصائص هذه الشورى الوطنية وأدوا وظائف هذه الجمعية على وفق حدودها وأبدوا من شرائف الآراء البهية خير موجودها وتبصر والمافية امتلاء أقدارنا بأقطارنا واجتلاء أوطاننا وأوطاننا ومزينة الرفاهية لاهالها وساكنتها على وفق المطلوب وانتظام حال الزراعة والتجارة والصناعة فيما على أحسن أسلوب نسأل الله دوام التوفيق وبلوغ الآمال وحسن الحال والمآل فهو مولى الخير ومولى السكال فى رجب سنة ١٢٨٣ هـ من صحيفة ١٠٠ ج ٥ منتخبات الجواب

وقد أدرجناه أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ولما أراد المرحوم شريف باشا تعريف الاعضاء

(١) صورة جواب النواب - بعدما نشرنا بالاصفاة لالة الجليلة الجامعة جوامع الكرام الجليلة . نبادر الى الاعتراف بما حوته بغاية الانشراح وكلال الارتياح ونقول ان الذي عطفنا من زواجر الاخبار التاريخية وعرفناه من سوافر آثار الديار المصرية انها كانت في الاعصار الخالية رائدة في حلال المقار الخالية وان بقية الاقطار كانت تستمد من نيل معارفها الوافر معترفة بأنها مغترفة في الاصل من نيل عوارفها الزاخر لكن لتداول أيدي من لم يحسن تدبير ملكها من الملوك السابقين تناوبتها فوائب الزمن وتناوبتها أيدي المحن حيناً بعد حين فقدرت معالمها الباهرة وانطمست آثارها فاخرها الزاهرة ولعبت بها أيدي الدهور وتكاثرت فيها الحروب والشرور حتى رجعت القهقري وأصبح غيرها من الممالك في أنواع التمدن متقدمة وملكها متأخرًا وقام أهلها من الذلة والمسكنة ما صاروا به في غاية الخقارة والمهنة البينة الى أن أراد الله أن يعيد شياها بعد الهزم ويجدد ما كان من بقاءها بحسنة قادتها منهم وينقذ أهلها من هذه المهالك وينظمها في سلك أحسن الممالك فشرها بحمد العزيز جنتم كان محمد علي باشا فأعاد لها من العمارة ومحاسن الآثار الاصلية ما كان تلاميذ أفرغ قلبه وقاله في اصلاح حالها وأعمل سيد رأيه وشديد عزمه في إعادة جمالها وكلها حتى زاح عنها تلك الوخامة والبسما حلال الشهامة والفخامة وأحكم فيها معالم التمدن غاية الاحكام وأقام بها دأتم العدل بين الانام ودون فيها دواوين المعارف المنسقة وجمع بها أصناف المآثر المغترفة وجدد فيها القوانين العسكرية وأنشأ بها دورين المدارس العلمية والحكومية حتى ظهرت بعد الخفاء وأزهرت أفتانها زهور الصفاة وعاد اليها من البهاة والبهجة ما كانت فقدته في سالف الايام وانتظمت مصالحتها الاهلية والملكية بحسن تدبيره أحسن نظام مع ما فازت به من غرائب الصنائع الفائقة ومخائب الآثار الرائعة مما شوهه دننا جميعا وتوأم له بتمام العز ريفيا فضلا عما أورثها به الغنى الاتم والفخار الاعم من الاستحكامات الملكية واحكام العمليات الوطنية العائدة بتظيم النفع الى عموم الرعية حتى بذلك حسدت بمصرنا الامصار وصرنا بعمداته متقدمين في درجات العمارة والفخار الى أن خاننا فيه الدهر وسقنا بامفراقه كأمس القهر وانتقل الى دار العيسم في جوار رحمة ربه الكريم ومن أطفاف الله الخفية وارا دته الخير للديار المصرية أن ولي عليها بعده أكبر أولاده وأجلهم قدرا وأمضاهم عزما واعظمهم فخرا الصدر الهمام والبيت المقدم مولانا المرحوم جنتم كان ابراهيم باشا والاحضرة أفتدنا في سبيل آبيه وبنى على تأسيسه الباهرة ما حسنته ماعيه وأخذ ينشئ ما يكمل به رونق الوطن ويحيد من العمارة والآثار الجليلة ما يبقى على مر الزمن من انشاء المجالس الختانية وتكثير الرجال الحربية والاستحكامات الملكية وغير ذلك مما عقده نينه وأضمره طويته خسدتنا الايام عليه فلم تتمتع بعز حكومته الا قليلا حتى نقله الله اليه ثم تولى على الاقطار المصرية وولايتها من لم يراعوا تلك المآثر العظيمة حتى رعايتها ففترت همة مصر السابقة وضعت حركة تقدمها الفائقة الى أن نفعتنا النفعات الالهية وأسعفتنا العناية الربانية بالحضرة الاممالية وأعطى القوس بارها لطفان الله بهذه الديار ومن فيها وقولاها العزيز بن العزيز بن العزيز ذلك الجنب الانغم والدور الاكرم فقام في تنظيم أمورها على سابق وقدم وثمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تجديد ما نههم واحياء ما انعدم وأخذ يداوى تلك العلل ويسد ما تخلل بعد آبيه من الخلل وسعى في مقاصد آبيه ووجد به بأذاني موجبات التقدم والتمدن الوطني غاية جهده شاغلا بله بأقصى أنواع العمارة مديرا مكره فيما يستدعي لهذه الاقطار كل الرفاهية فأبدي من ذلك ما لم يكن في الحساب وزادها من البهجة وأسباب الثروة ما لم ترد في سالف الاحقاب ورتب ملكها أحسن ترتيب وتظم عقده في سلك غريب بلوب عجيب ومن غمام عناية رب العالمين أن ألهم سلطاننا الاعظم ولاغرو بأن الملوك من المهمين حصر وراثته الحكومة على التأييد في نسل اسمعيل بن يتولاها أكبر أولاده بعد عمره المديد فيالها من فكرة جليلة رائقة أسست في هذه الديار من دواعي العمارة الاسباب الفائقة واستلتمت تحسينا لحوالها وتأمينها لحوالها واستقبالها أطال الله عمر سلطاننا المهام وذلك دعاء ان شاء الله مستجاب ثم ازدادت الهمم الاممالية بصرف أفكاره الخيرية العلية فيما يعلى قدر هذا الوطن ويرق انتظام حاله على أسنى

ما يجب عليهم ٤- له إنشاء المجلس وكيفية المداولات والمناقشات ظهر من بعض الاعضاء ما يضحك ويبيك في آن واحد وذلك لعدم معرفتهم ماهي المجالس الشورية ويظهر انه كان للخديو المشار اليه في تشكيل هذا المجلس قوايا لم تظهرها الايام وقال بعض الكتاب الاورباويين ان تشكيل مجلس الشورى في الديار المصرية اتي قبل اوانه وانه عبارة عن أمور ظاهريه

الجيش في عهد الخديوي سعيد باشا - ان المرحوم الخديو اسمعيل باشا من أول حكمه وجه عنايته الزائدة الى ترقية شأن الجندية وترتيبها على الهيئة الفرنسية في أوائل سنة ١٢٨٠ هـ رتب ثمانية ألبيات من البيادة والأيمن من السوارى والأبوابا واحد من الطوبجية البيادة والسوارى ثم أرسل الى فرنسا خمسة عشر ضابطا (١) من أمهر الضباط من كل الاسلحة صحبة الجنرال برنسو ومعهم أحمد بك عبيد بصفه مترجم لمشاهدة التعليمات العسكرية الفرنسية والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية التي أجراها الاوردي المقيم في شالون تحت قيادة المارشال مكاهون وكان عدد ذلك الاوردي ٨٠٠٠٠ من الجنود وكان سفر الضباط المذكورين على فرقاطة شيرجهاد وقبودانها مصطفى بك العرب ولما رست بهم السفينة على مر سيليا احتفل بهم ضباط فرنسا واطمأنهم على كثير من الاعمال العسكرية ثم عادوا ومعهم جملة مؤلفات عسكرية من قوانين ونظامات وغيرها من أنواع الاسلحة والملابس وشرع الخديو في تنظيم جيشه على نظام جيش فرنسا وأمر بترجمة قوانينها العسكرية ثم طلب منها ان ترسل له بعض الضباط لترتيب المدارس الحربية المصرية فأرسلت له سنة ١٨٦٤ م بعض ضباط تحت رياسة الكولونيل ميرشير (Mircher) ومعه ثلاثة ضباط آخرون هم رباتيل (Rebatel) ولارمي (Larmée) وبولاد (Polard) وألحق بهم دو برناردي بك (De Bernardi) وكان مستخدما بعصر من عهد المرحوم سعيد باشا وأمر الخديو بنقل المدرسة الحربية التي كانت بقصر النيل الى العباسية وقسموها الى أقسام بياده وسوارى وطوبجية ومهندسين حربيين وأركان حرب وجعلوا هذه المدارس ادارة خاصة بها لزيادة

سنن ومن كالهمة السنية وقام أرفته ورحمته بالريمة وشفقته بدوام راحتهم وقام فاهيتهم اقتضت ارادته العلية اشاء مجلس شورى أهلية وطنية لما يعلم من أن جمع الآراء في أمور العالمين والمداولة في مصالح الرعية مع عقلاء الوطنيين من مقتضيات حسن النظام وموجبات كمال الائتنام وقام راحة الانام فقوض انتخاب أعضاء ذلك المجلس لعموم الاهالى حتى يكون ما يحكم فيه من الامور بواقع ما لو فهم وعرض جميع ذلك الى حضرة الوالى تبرئا من غوائل المغدورية وتوفير الدواعى العادلة العمومية فكنا نحن المنتخبين من سائر الجهات المصادفين بعموم مولد الحضرة الخديوية أسرا الاوقات واذا كان انشاء هذا المجلس الانيق من أجل المساعي الحميدة وأتم نعمة أسداهاولى النعم الى عبيده فن الواجب الالهم الشكر لتلك الحضرة العلية والتناهي بتلك المنقبة الهية ورفع أكفنا آناه الليل وأطراف النهار بالدعوات فى أجل الاوقات وسائر الحالات أن يخلد عنى قطرها بدوام سعود أقدنا الانغم وولى عهد حضرة محمد توفيق باشا الاعزالا كرم وكذا بقية الانجال النخام ولا يحرم جميعنا من حسن انظارهم ونفائس محاسن أفكارهم بجاء خاتم الرسل الكرام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

(١) وهم شاهين باشا و ابراهيم باشا السوارى وعلى بك رضا الطوبجى وعلى بك وهبى ويوسف بك صديق ومحمد بك رضا ومحمود بك سائى واسمعيل بك أيوب وعبد القادر بك حلمى ومصطفى بك فهمى وعثمان بك غالب وأحمد أفندى حمدى وحسن أفندى مظهر ومحمد أفندى

الاعتناء وكان برأسها ولا الترياق سليم باشا الجزائري ثم ميرشيريك المذكور (١٨٦٥ - ١٨٧١ م) ثم خلفه الجنرال كارولى نوسى برتبة لواء (١٨٧٢ - ١٨٧٣ م) وفي هذه الاثناء جعل سليمان بك نجاشى مأمورا لادارة المدارس المذكورة وعبد الرحمن ذهنى افندى وكيلها (١٨٦٦ - ١٨٦٧ م) ثم جعل الوكيل المذكور معاونا لادارة المذكورة (١٨٦٨ - ١٨٧١ م) وخلف نجاشى بك ياور بك (١٨٧٣ - ١٨٧٤ م) ثم أعيد نجاشى بك لادارته هامة أخرى (١٨٧٤ - ١٨٧٦ م) وكان لكل مدرسة من تلك المدارس ناظر مستقل تابع لعموم ادارة المدارس الحربية وكان تلامذة هذه المدارس ينتخبون من بين تلامذة المدارس الملكية الثانوية والعالية وقد نبغ منهم كثير واشتهروا بمعارفهم العسكرية والهندسية فكانوا أمهر ضباط خرجتهم مدارس مصر الحربية هذا وقد أدرجنا بذيل الصحيفة عدد تلامذة كل مدرسة من هذه المدارس وأسماء الذين تولوا نظارتها على التعاقب (١) وكان للحكومة فى العهد المذكور مدارس عسكرية أخرى أقل من هذه أهمية كان القصد من انشاء بعضها فى الظاهر جعل الاهالى يعملون من أنفسهم للانخراط فى سلك العسكرية مثل مدرسة الخطرية وكان لا يشترط فى قبول تلامذتها الاصححة الجسم وقوته ومعرفة القراءة والكتابة العربية وكانت بالقلعة ولم تكن هذه المدرسة زمن طوبىلا وكان يها من التلامذة ما يزيد عن الثمانيه تلميذ وكان يقصد من بعضها تنوير عقول صف ضباط الجيش بالمعلومات الابتدائية مثل مدرسة صف الضباط التى تأسست سنة ١٢٩١ هـ وقد أفادت هاتان المدرستان وأمثالهما فائدة عسكرية عظيمة فى الفتوحات التى قام بها الخديو المشار اليه فى وسط افريقية وفى اكتشافاته الجغرافية المهمة التى سياتى ذكرها ولما كان المرحوم قاسم باشا وزير الجهادية تقدمت الجندية المصرية على العموم تقدم اعظيما فى المعارف بما أوجده من مدارس الالايات التى كان يدرس بها الضباط القوانين والتعليمات العسكرية وألزم كل من لم يكن منهم يعرف القراءة والكتابة بتعلمها وجعل مكافأة لمن يتقدم منهم فى ذلك وكذا الكمل من يؤلف أو يترجم كتابا

(١) كان عدد تلامذة مدرسة البياده فى أول تأسيسها ٤٩٠ تلميذا وجعل لنظارتها أولا محمد بك أمين (١٨٦٤ - ١٨٦٥ م) ثم خلفه دو برناردى بك (١٨٦٥ - ١٨٦٨ م) ثم منصور افندى حسن (١٨٦٨ - ١٨٧٠ م) ثم محمد افندى رعنا (١٨٧٠ - ١٨٧١ م) ثم جعل لها مدير واداره وهم على التعاقب محمد افندى كامل (١٨٧١ - ١٨٧٤ م) ثم ابراهيم افندى عاصم (١٨٧٤ - ١٨٧٧ م) ثم محمد افندى صاع (١٨٧٧ - ١٨٧٩ م) وبلغ عدد تلامذة مدرسة الطوبىجية فى أول تأسيسها ٢٨٠ تلميذا كانوا ينتخبون من تلامذة مدرسة المهندسة هخانة وتعين لها الموسيولارى (١٨٦٤ - ١٨٧٨ م) وبقى فيها الرتبة الميرالاي وبلغ عدد تلامذة مدرسة السوارى فى أول تأسيسها ١٦١ تلميذا وتعين لنظارتها الموسيولارى السابق الذكر (١٨٦٤ - ١٨٦٨ م) ثم خلفه ياور بك وكان وكيله (١٨٦٨ - ١٨٧٦ م) ثم ألحقت بادارة عموم المدارس وبقيت بلا ناظر واستمرت كذلك حتى ألغيت سنة ١٨٧٩ م أمام مدرسة أركان حرب فانما أنشئت سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وانتخبوا تلامذتها من أمهر تلامذة المدارس الحربية والمهندسة هخانة ومدارس الحكومة الأخرى فكان عددهم أولا ١٠٥ تلامذة جعلت تحت ادارة مرشيريك (١٨٦٤ - ١٨٦٥ م) ثم عين لها هخانة بك عيسى (١٨٦٦ - ١٨٦٧ م) ثم خلفه فيها الموسيولارى بنيل (١٨٦٧ - ١٨٦٨ م) ثم أعيد عليها مرشيريك ثانية (١٨٦٨ - ١٨٧٠ م) وبقى بها الى أن سافر الى بلادها أثناء حربها مع روسيا فاحللت على لارى باشا وبقى عليها الى أن ألغيت فى سنة ١٨٧٩ م

عسكرية ولذلك أقدم الضباط على التأليف والترجمة وكانت العلوم التي تدرس بالمدارس العسكرية تناول كل العلوم المهمة التي تدرس في مدارس أوروبا ويعلم ذلك من الجدول الآتي المشتمل أيضا على أسماء المعلمين

دروس ومدرسي المدارس الحربية سنة ١٢٩٢

مدرسي الطوبخية والمهندسين		مدرسه أركان حرب	
أسماء الاساتذة	علوم	أسماء الاساتذة	علوم
كستيل بك	كيميا	اسماعيل بك	قائمة رانبا
خفاجي بك	استحكامات توبخية	كستيل بك	كيميا
	ابنية عسكرية	خفاجي بك	استحكامات
عبد الرحمن بك	فن طوبخية		ابنية عسكرية
		طوبوغرافيا	طوبوغرافيا
سعيد افندي نصر	فن عسكرية	عبد الرحمن بك علي	فن طوبخية
علي بك سعاد	ميكانيكا	عامر بك	ميكانيكا
	مثلثات مستقيمة	سعيد افندي نصر	فن عسكرية
رمضان افندي	جغرافيا	مصطفى افندي نصر	طبيعة
يوسف افندي عياد	طبيعة	لطيف افندي سليم	تطبيق الجبر على الهندسة
حسن افندي رأفت	قوانين طوبخية	رمضان افندي	جغرافيا
علي افندي ذهن	قوانين بياده	خليل افندي كامل	قوانين عسكرية
علي افندي رسمي	رسم طوبوغرافيا	أحمد افندي زكي	استحكامات خفيفة
	رسم على	أحمد افندي نجيب	هندسة وصفية
محمود افندي زكي	رسم منظور	لطيف افندي سليم	جبر
أحمد افندي زكي	استحكامات خفيفة	حسن افندي نجيب	مثلثات مستقيمة
لطيف افندي سليم	جبر	مسيولوز	خط رقعة
موسيو لوز	فرنساوي	محمد افندي سليمان	فرنساوي
سعيد افندي نصر			
الموسيو بورك	انكليزي	ومسيو بورك	انكليزي
موسيو بلنج	غساوي	موسيو بلنج	غساوي

تابع دروس ومدري المدارس الحربية سنة ١٢٩٢

مدرسة السواري		مدرسة البيادة	
أسماء الاساتذة	علوم	أسماء الاساتذة	علوم
محمود أفندي فهمي	حساب	سيد احمد أفندي	هندسة وصفية
	طبوغرافيا	محمود أفندي شوكت	مثلثات مستقيمة
محمود أفندي شكري	مثلثات مستقيمة	عبد الله أفندي	استحكامات خفيفة
	مستويات رقيقة	وطاهر أفندي	تركي
محمد أفندي سعيد	استحكامات خفيفة	محمد أفندي توفيق	فن اشاره
علي أفندي حلي	هيئة ظاهره	ضباط المدرسه	قوانين عسكريه
محمد أفندي توفيق	تركي	بكير أفندي شوقي	طبوغرافيا
ضباط المدرسه	فن اشاره	عبد الرحيم أفندي	حساب
علي أفندي رشدي	قوانين سواري	أحمد أفندي حلي	جبر
	جبر	الشيخ محمد المنبلي	جغرافيا
محمود أفندي حسني	هندسه وصفية	الشيخ عبد الحافظ	عربي
	هندسه عادية	علي أفندي رسمي	رسم عملي
الشيخ محمود العالم	جغرافيا	أحمد أفندي قدرى	مبادئ حساب
محمود أفندي شوكت	عربي	محمد أفندي ناصح	هندسه عادية
خوجات مدرسة البياده	رسم نظري	محمود أفندي شوكت	رسم نظري
	نمساوى	محمد أفندي حسن	خط رقعه
	انكليزي	الموسيو ابلنج	نمساوى
	فرنساوى	مستر بورك	
	حبشى	محمود أفندي سليمان	انكليزي
		وخليل أفندي زكي	
		رمضان أفندي	
		موسيو لوبز	فرنساوى
		أحمد أفندي حلي	
		مخايل أفندي	حبشى

ولما عاد الضباط الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا تأسس في الجيش المصرى قلم لاركان الحرب
انتخبوا ضباطه من المدعوين العارفين باللغات الاجنبية وجعل لرئاسته الكاونيل تشارلس
يومرى أستون (Stone) أحد ضباط الولايات المتحدة الامريكانية الذين استقدمهم الخديو
من بلادهم وكان الغرض من انشاء هذا القلم تدريب الضباط المصريين على الاعمال
الحربية من جهة ومن الاخرى القيام باعمال الارشاليات والاكتشافات التى عقدت النية
وقتمت على اجرائها بأقاليم السودان وقد استفاد الجيش المصرى من تأسيس هذا القلم فائدة

كبيرة وترقت بها حالته وفي هذا الوقت حضر الى مصر بقية الاورطة السودانية المصرية التي كان أمدها سعيد باشا فاليون في حربته مع بلاد المكسيكا كما سبق وأنم الخديوي على ضباطها وجنودها بالرتب والنياشين ومدحهم على سيرتهم وشجاعتهم ولما انتصرت ألمانيا على فرنسا وظهر للعياض براعة الالمان في التعبئة والنظامات العسكرية بما يفوق الفرنسيين بكثير وكانت العسكرية المصرية على مثال عسكرية فرنسا أمر الخديوي بتعديل الجيش على النظام الالمانى الذى ذاع صيته فترجت القوانين وتعديت الملابس وغيرت الاسلحة وبقي الجيش على هذا النظام حتى وقت ثورته وكان الخديوي اسمعيل باشا يهتم في زيادة القوة العسكرية حتى انه في سنة ١٨٧٣ جعلها تتألف من أربع فرق تتركب كل فرقة من أربعة أليات من البيادة والألين من السوارى والألى من الطوبجية وجعل أورطين من المهندسين وثلاثة أليات من طوبجية السواحل وادارة خاصة لأركان الحرب والمهندسين الحربيين وعدة بلوكات للصناعية وعمال المعامل والجبه خانات كل هذا بخلاف العساكر المستحفظة التي بالمدن والاقاليم وعلى ذلك كان الجيش المصرى يتألف من الفرق التي بالجدول الآتى

قوة الجيش القديم أى قبل يوم ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٣

رقم	الرتب	ميرالاي	فانظام	بكتاي	صالح	بورطاي	ملازم اول	ملازم ثانى	صنفيضباط وسواكر	جنرال	مستافع	تلاسنات	ملحوظات
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٦٠	٠٠	٠٠	فرقة حرس مركبة من ٤ أليات ياده (الفريق راشد باشا حـ
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٦٠	٠٠	٠٠	» » » » عثمان باشا رفوق
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٦٠	٠٠	٠٠	» » » » اسمعيل باشا كاه
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٦٠	٠٠	٠٠	» » » » محمد خسرو باشا
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	٤٨	٤٨	٤٨	٠٤٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » ابراهيم باشا القفر
٠	١	٤	٤	١٦	١٦	٦٤	٦٤	٦٤	٠٦٠٠٠	٠٠	١٦٠	٠٠	» » » » علي باشا رضه
٠	١	٣	٣	٦	٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٣٤٠٠	٠٠	٠٩٠	٠٠	» » » » خورشيد باشا
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	ميرالاي أحمد بك تأس
١	٣	٦	٠	١٠	٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠١٨٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	(الجنرال استون باشا
٠	١	١	٤	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » قلم أركان حرب
٠	١	١	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » مهندسى الحربية
٠	١	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » بلوك الصناعىة
٠	١	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » ورشة الترزيه
٠	١	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » » » الجبه خانات
٠	٠	٠	١	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مستحفظين ياده وسوارى
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	بوليس
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مدرسة أركان حرب
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » المهندسين الطوبجية
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » السوارى
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » الطوبجية
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » الطب البيطرى
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » البياده
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » الخطرية
٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	» » البحرية أى مدرسة أولاد الجنود
٦	١٨	٣٠	٤٦	١٣١	١١٠	٧٧٩	٧٧٩	٧٧٩	٥٣٠	١٠٦	٢٥	١٨٩٠	

وليعلم أيضا ان هذا الجيش خلاف جيش السودان البالغ قدره ١٥ أورطة وكان موزعا على جهات دارفور وسنار ومديريات الاستواء وكردفان والتاكوهر وروبرة ومضوع وسنهت وسواكن وخلاف العساكر الغير النظامية التي كانت بانح

السودان وكافوا أربعة آليات وخلاف الآليات الذي جهز والاربع أوروب المتفرقة بجبهات سنهت
ومصوغ وبربرة وسواكن وبخلاف أرادي الباشوزوق الاتراك والسودانية المعرفين بالشايقية
الذين كانوا بالسودان أيضا البالغ مقدارهم ١٨ أوردت تقريرا

وفي اثناء تطارة البرنس حسين باشا للجهادية والبحرية وضع لارمى بك تصميم انشاء البوليجون
وشرعت أورطة المهندسين في بنائه تحت مباشرة لارمى بك وخفاجى بك وبعدها انتهائه أوجدوا فيه عدة
مدارس أخرى للتمرين منها مدرسة لتعليم ضباط الطومجية الرمى بالمدافع ومدرسة لتعليم ضباط
البياداه الرمى بالبنادق ومدرسة للصف ضباط ومدرسة لتعليم التلغرافات العسكرية ومدرسة
للإشارة وجعلت فيه كتبخانة عسكرية تجلب لها كثير من المؤلفات المتنوعة في فنون الحرب ودار
تحف للأسلحة المختلفة من قديمة وحديثة وأخذ الجيش المقيم بالقاهرة من يومئذ يتمرن على اطلاق
النار في البوليجون المذكور

ومن التأسيسات العسكرية المفيدة التي قام بها المرحوم اسمعيل باشا المجاد المحلات العسكرية
لتثقيف عقول الضباط ووقوفهم على المتجددات العصرية والاختراعات الحربية التي تظهر بانحاء
العالم المتمدن ومن ذلك أنه أمر فأوجدوا جريدين عسكريين مهمتين كانت احدهما تدعى بجريدة
أركان حرب الجيش المصرى والأخرى بالجريدة العسكرية المصرية وكان يقوم بتحريرهما أصحاب
الدراية والعلوم من ضباط المصريين وقد ورد في العدد الثالث من هذه الجريدة الاخيرة الصادر في
غرة شعبان سنة ١٢٨٢ بيان الغرض من تأسيسها قلنا عنها تبصرة لاطالع وتنبها للقارى وهوان
من جملة الترتيبات السديدة والتنظيمات المفيدة التي سمحت بها العواطف الرحمة وحننت اليها
الطباع الكريمة من لدن حضرة اسمعيل باشا خديوم مصر الأنخم من أول تقليده بالرتبة الخديوية
في الديار المصرية بقصد نشر المعارف والعلوم وتنوير الازهان والفهوم في جيل الشبان الخادئين
في هذا العصر من أبناء مصر (أطال الله بقاءه ورضى عنه وأرضاه) انه قد اقتضت مرواثة وتعلقت
عنايته باحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة بالجريدة العسكرية المصرية بحيث تنطبق
وتنتشر بوجه الانظام على طرف حكومتها العلية اذ كان الغرض الاصلى منها أن تنتشر
بالخصوص على سائر الضباط الجهادية وضباط الصفوف والعساكر بالجيش المصرى وعلى
تلامذة المدارس الحربية ولا يختص بالاشتمال على نبوت تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية
المتخصصة عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط بل يندرج فيها أيضا فوائدها الجليلة
وارشادات جلية مما لا بد منه لكل انسان متمدن ولا بأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة
والفنون المتنوعة مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة بادراج يوميات محصل ما يحصل
في سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوابت بقبية أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية
وتظهر هذه الصحيفة المنتظمة في كل شهر مرة فهى شهرية قرية فكل من أراد من المستخدمين
البحرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب
العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته أو نادرة مقبولة من تأليفاته ليساعد المعتنين
بها على دوام تحريرها ويجاهد مع الرفقاء في سبيل العلم والمصلحة التامة على تمام تسطيرها فليوجه
من فضله الى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما استنسب ادرجه في ضمن سطورها أو استصوب
استيداعه في طي منشورها حيث كان المعول الاعلى على حضرته في عموم ادارة أمورها اه

المصانع والمعامل الحربية وغير الحربية في عهد الخديوي اسمعيل باشا - بلغت العناية التي بذلها هذا الخديوي في ترقية وانتشار الصنائع والفنون بالديار المصرية مبلغا عظيما جدا وورد في كتاب الكوكب الدرّي في الاستقراء المصري المطبوع بيولا سنة ١٢٩٠ المتضمن الاحصاء العام الذي عمل في السنة المذكورة وصف تلك الماامل وعددها وما كانت تعمله وسنذكر هنا طرفا من ذلك لضيق المقام فنقول اولها كثرة الاختلاط مع الامم الاوربا وبوابة زادت متاجر مصر واتباع الاهالي والحكومة قدرا عظيما من الآلات البخارية المختلفة مثل آلات النسيج وكبس القطن وحليجه وعمل السكر وشيد الخديوي في دوائره الخصوصية كثيرا من معامل السكر البخارية بمديريات الوجه القبلي واستجلب الآلات الجديدة لطبعة بولاق وأنشأ معمل بخاريا لصناعة الكاغد بيولا ومعمل لعمل الجوخ أحدهما بيولا والثاني بشبري وبلغ عدد الصنائع بهم ما يومئذ ١٦١٢ عام لا وكان يصرف منها ما للعساكر البرية والبحرية وأنشأ أيضا معمل اللطرايش والبطانيات بقوة وأصلح أيضا معمل الغنفاق الذي بآسكندرية ووسع نطاقه حتى كان ما يستعمل فيه سنويا لعمل الاسلحة أكثر من ٤٣,٠٠٠ آفة من المعادن بين مسبوك ومطروق ونظم ورش الحوض المرصود حتى بلغت درجة وافية بالمراد فكانت تصب فيها المدافع وتصنع الادوات والآلات الحربية للجيش وشيد أيضا بطر معمل لعمل الاسلحة المسدسة أي الششخانة وخرط المدافع وأخرى لصب المدافع وأخرى للبنادق وغيرها مثل معامل الخرطوش ومقدوفات المدافع وأصلح مصانع البارود حتى اشتهر ذلك في أطراف المسكونة وما بلغ أمرها المولى محمد بن عبد الرحمن سلطان مراکش بعث لمصر بعض الصنائع من بلاده ليتعلموا في الطباعة وصناعة البارود ولما وصلت مكاتب السلطان المشار اليه الى الخديوي اسمعيل باشا أجاب بقبول طلبه في كتاب اطياف حرره المرحوم عبد الله باشا فكري (١)

(١) أعزاقه أنسار الملك المعظم السلطان الخليل المنعم ذر وهامة الجحد الشايع وغرة جهة الشرف الباذخ محيي ما ترمعالي وحسنة الايام والليالي وحلية العصر الحالى ومن به يقتخر على الزمن الخالى عز الاسلام وكثرة الانام وزينة الايام وخلف السلف الكرام أمير المؤمنين بالديار المصرية لازالت محفوظة بالعناية الربانية أدام الله تعالى دولته وأمدت ما يبده صولته ولا زالت أعلامه منصوره بانه خلفه كقلوب عداه ولا برحت الدنيا تمتعه بدوام علاه أمين بعد سلام تترادف بر كانه وتترى نفعانه وتتوالى على ذلك النادى الكريم غدوانه وروحانه تحمد اليكم الله على نعمه الوافرة ومننه الباهرة والآية الزاهرة ونسأل الله لنا ولكم دوام التوفيق لما فيه رضاه بحجاسيدنا محمد حبيبه الاعظم ومحجبه صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وحجبه وجميع المتقين اليه هذا وقد سررت بورد مشرفكم الكرم المتضمن لزوم المطبعة لذلك الخناب الفقيم وما يحتاجه الخصوص الوارد بشأنهم من زياد التمرين والنهيم وذلك لما فيها من الاثارة على طلب العلم الشريف وتعليمه وتسهيل السبيل في نشره بين البرايا وتيسيره وصيانته كتنبيه الشريفة من تحريف الكتابين وتقريب تناولها الى أيدي الراغبين والطلبين وهذا دليل ظاهر وبرهان باهر على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة واهتمامكم بأمر العلم الكريم وأهله وقيامكم بما يجب من حق فضله فتح الله ببقاتكم الملك والعليا ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا وقد أرسلنا الموماليه الى دار الطباعة وأكادنا على ما مورها بارادة كل ما يلزم لهذه الصناعات والاعتناء بمرتبته على استعمال ادواتها وتوقيفها على كيفية ادارة الآلات وما تركز كيفياتها ثم ورد مشرفكم الباهر على يد الثلاثة المعلمين في صنعة البارود المراد تعليمهم صنعة التبريد ورعايتهم حتى يتصلوا على هذا الغرض المقصود فأرسلناهم الى الباشا واكل ديوان الجهادية المصرية في الحال ووصيناها برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم تلك الصنعة من الاعمال والاشغال وأخذها من أهلها المتقنين وأربابها المهرة من

السودان في عهد الخديوي اسمعيل باشا - حصل ببلاد السودان المصري مدة حكم
 المرحوم الخديوي اسمعيل باشا جلة حوادث وأعمال مهمة كانت نتيجتها توسيع السودان المصري
 عما انضاف اليه من الاقاليم والنواحي وكان حاكم السودان عندما اذنت في اسمعيل باشا على الاربيكة
 المصرية هو موسى حمدي باشا وفي سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٥ م) حدث أن نارت عساكر
 الآلى الرابع من المشاة السودان وانضم اليهم بعض الجنود الذين كانوا معسكرين في التنا كوا ذلك
 لسوء ادارة الحكام وعدم صرف الجوامك لا ولتسلك الجنود مدة ثمانية عشر شهرا فذهبوا كثيرا من
 أموال الخلق ونهبوا القرى وانفق وفاقه موسى حمدي باشا بالخرطوم في أرائل سنة ١٢٨٣ هـ فقام
 وكيله عمر فخري بك بالنيابة عنه وأرسل جيشا تحت قيادة اللواء حسين باشا قائد عساكر السودان
 للعام وسارت قوة أخرى مع الضابط آدم بك من مصر كزولدموني تصعد النوار الذين تمكنوا من هزيمة
 الجيشين المذكورين وتمردوا على ضباطهم أيضا وقتلوا منهم نحو ٤٢ ضابطا وكثيرا من السكان
 وورد في كتاب عن السودان طبع حديثنا الذي حرض عساكر الآلى المذكورين رجل أمر بيكي
 يدعى اندروب بمساعدة رجل يدعى الشيخ الحسنى من أعوان السود هناك وفي تلك الاثناء تعين جعفر
 صادق باشا حاكما عاما للسودان فقصدها من طريق العظمو ورتعين جعفر مظهر باشا وكيله
 وسافر من سواكن بقوة عسكرية لاختاد الفتنه المذكورة وأرسل الخديوي ايضا سائها بين باشا نائبها
 عنه للنظر في أحوال السودان بين ملكية وعسكرية اما جعفر صادق باشا فلم يتبق في السودان الا قليلا
 وتعين وكيله جعفر مظهر باشا حاكما عاما وبذل همته حتى أطفأ ثورة التناكه (١٢٨٤ هـ) ورد
 الى الاهالى ما أمكن رده من الاشياء التي كان نهبها منهم العسكر عند ثورتهم ثم التفت الى أحوال
 السودان بالتعديل والاصلاح ومن ذلك انه قسمه الى ثلاثة أقسام جعل الاول وكان يتركب من دنقله
 وبربرتا بالنظارة الداخلية بمصر مباشرة وجعل مديريات الخرطوم وكردفان وسنار وفيض اوغلي
 والبحر الابيض ومديرية فاشودة تابعة لحكمدار به السودان التي مقرها الخرطوم والقسم الثالث
 وهو السودان الشرقي وكان يتركب من مديريات سواكن ومصقوع والتناكه وماجاورهما من الجهات
 تابعة للخرطوم أيضا وانشأ بالمديريات المذكورة عدة مدارس لتهديب الاهالى وأوجد بها محاكم
 للفصل في القضايا التي تقع بين الاهالى وأصلح لحدار صناعة الخرطوم التي كان أنشأها أحمد باشا
 أبوودان ومن الحوادث التي وقعت في ولايته أيضا ان ظهر رجل يعرف بالشيخ الجعلي بجهات سنار
 انصف بالصلاح فاعتقده الناس لسداجتهم واتف حوله كثير من الدراويش لتبرك به كما هي عادة
 أهل السودان ولما خاف الوالى من عاقبة هذا التجمع ومن شأن هذا الشيخ أخذ يبحث عن طريقة
 يلا في بها أمره فقام بنفسه مستحسبا لبعض الأمور وبلا وكان العساكر ثم دخل على الشيخ
 المذكور وبعد ان حياه وكلمه في شأن هذه الجوع تخلى عنهم بكل الرضا فاخذ الباشا المذكور معه
 الى الخرطوم وأسكنه في تنكية هناك وأرسل على الدراويش ففرقة من الجنود يقودها آدم باشا
 السودانى وكان تعين قائدا عاما لجيش السودان بدل حسين باشا المذكور فقبض على البعض منهم

المتقنين حتى يصحوا على البراعة في أشغال تلك الصناعة هذا والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام وكل ما يلزم
 من هذا الجانب فهو رهن الاعلام والمسؤل لنا ولكم من الله الكريم المتعال دوام حسن الحال وحسن الناكل بجاه
 رسول الرحمة ونبي الكمال حرر في شوال سنة ١٢٨٣ هـ صحيفة ٥٥ من الأناظر العسكرية

وبذلك انقض هذا الجمع الذي لو أهمل أمره لكان أضرب بالحكومة هناك ولما كان المرحوم اسمعيل باشا يسيجى جهده في توسيع أملاكه بجهات السودان ومد نفوذه وسلطته بها كان التمس من الدولة العثمانية أن تحيل عليه ادارة قائمقامتي مصر وعسواكن وكاتمان لمهمات ولايتي الحجاز واليمن من وقت ان فتحنا سنة ٩٦١ على يد اوزدمير باشا فقبلت الدولة ملتسه وصدر بذلك فرمان سلطاني في ١٢ محرم من سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦ م) وتقرر فيه أيضا مقدار ما تدفعه مصر للدولة في مقابل ذلك سنويا وقد ساعد هذا التنازل مصر على مد سلطتها على سواحل الحبشة حيث استولت على جهات زولا واطرافها على حكم اريه شرقي السودان ثم استخدم الخديو بعض ضباط وعاملين امريقانيين وأورباويين لاجراء الاكتشافات في جهات السودان وسواحل البحر الاحمر وعزم قبل اتمام قتال السويس على مد حكمه الى الاقاليم الجنوبية وخطر بذكره سنة ١٨٦٥ م أن ينشئ خطا حديديا بالاقطار السودانية المذكورة تقريبا للمسافات وتسهيلا للتجارة والمواصلات وعهد الى المستر ووكر (Walker) والمستر برى (Brey) النظر في ذلك وانشاء خط بين أسوان والخرطوم أولا ثم عين سنة ١٨٦٧ م اسمعيل مصطفى باشا الفلكي للنظر في انشاء خط حديدي بين سواكن وشندي فرسم الطريق فقط وتعطل المشروع كما تعطل مشروع خط أسوان والخرطوم وعهد الى السير صمويل بيكر (Samuel Baker) سنة ١٨٦٩ م اكتشاف الجهات الكائنة قرب منابع النيل الابيض وضمها الى الحكومة المصرية فخرج مع قوة مصرية كانت ذاهبة الى جهة إقليم خط الاستواء ثم زحف بها هذا الرحلة حتى بلغ بلدة جوندي كرو والبلاد الواقعة على بعد درجتين من العرض الشمالي وبذلك امتد نفوذ مصر الى تلك الاطراف وأعلن رسميا بالحاز المقاطعات الاستوائية بالحكومة المصرية (١٨٧١ م) وأسن الرحلة المذكور باسم مصر أيضا ونقطا عسكريا لمنع تجارة الرقيق منها نقطة كبيرة سميت بالنويفية واستمال الى مصر أيضا مترا ملك أوغنده وكان جعفر مظهر باشا حكاما السودان يساعده ويعد بكل طلباته ولكن لذكائه وبعد نظره بالامور كان يرى أن في تفويض امر اكتشاف جهات السودان الى اجنبي خطر اعلى مصر حتى انه كتب بذلك تقريرا وارسله الى الخديو يبين له مضار ذلك ويشير عليه بان يكون المكلف بامر اكتشاف الجهات المذكورة ضباطا مصريين من اركان حرب الجيش المصري فلم يسمع الخديو لقوله ولهذا الرجل من جليل الاعمال وصاب الافكار ما يخلد له ذكرا حسنا في النار يجمع منها أن حسن باشا حلي الملقب عند أهل السودان بالجويدير كتب له يستأذنه منذ كان مديرا السكر دفان في غز ودارفور فد عليه جعفر مظهر باشا يقول يا حسن باشا (قال صلى الله عليه وسلم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) فافتتح وامتنع وفي حكم اريه جعفر باشا مظهر هذا رغبت الحكومة المصرية ابطال تجارة الرقيق من الاقطار السودانية (١٢٨٣ هـ) وكانت تجارة السودان وتجارة مصر في عهد محمد علي باشا محكرة بيد الحكومة وكان جعل لها الاشوان والمخازن يجمع فيها المحصولات بانواعها ثم تبعها الحكومة بمصر فتا الى التجار ثم لما حصل الاتفاق بين دول أوروبا ومحج محمد علي باشا ورفع يده عن الاختصاص بالتجارة (١٢٥٦ هـ) وأخذ تجارا الاورباويين من وقتئذ يعاملون الاهالي رأسا قام في السودان عدة بيوت تجارية مثل بيت أحمد العقاد وأبي عموري وفرج البصيلي والخواجه غطاس وكجوك علي وخلييل الشامي وجيليو وامبرواز وغيرهم وأخذوا في توسيع

تجارتهم بأطراف البلاد فشكل كل منهم قوة مسلحة من الزنوج المعروفين بالبازنجر بعثوا الى بلاد
الدينكة والشلك بجهات مديرية فاشوده واتخذوا لهم فيها مشاريع (١) وشيد كل واحد منهم في
مشارعه مراكز مخصوصة تسمى بالديوم واحد هاديم يجمع فيها جنوده المسلحة وتجارته التي يجلبها من
مشارعه وينقلها الى الخرطوم على سفنه وبذلك صار لهم نفوذ وسطوة عظيمة في تلك الجهات ولما عاد
السير صمويل بيكر من سياحته الاولى وانتشر خبر استفحال تجارة الرقيق بتلك المشاريع صم
الخدنيو اسمعيل باشا على الاستيلاء على تلك الديوم والمشاريع في مقابلة تعويضات تدفع الى اصحابها
لمنع تجارة الرقيق وأمر جعفره ظهر باشا بذلك فاتفق مع اصحابها على نيف ومائة ألف ليرة مصرية
وكتب التجار المذكورون الى وكلائهم بتسليمها الى الحكومة وعين الحكمدار المسدكور لاستلامها
محمد آغا البستاني والسري ياده على كاشف المعروف بكجول على واليوز باشي محمد افندي لييب
وبعث معهم بعض الجنود لمساعدتهم فقبل بعض الوكلاء التسليم وامتنع البعض وكان من هؤلاء
الزبير رحمت وكان وكيل لبيت أبو عموري وحرض غيره من وكلاء التجارة على الامتناع عن التسليم
للحكومة واتفق مع تابعه رايح وقاما على مندوبى الحكومة فقتلاهم وقتلوا أيضا نحو ١٥٠٠ جندي
من عساكرهم وكانت الحكومة وقتئذ شككت مديرية بحر الغزال وسافر السير صمويل بيكر ثانية
الى تلك الجهات ووصل في سفره الى بحيرة فيكتوريا بانيانزا قال بعض كتبة الفرنج لما انفرد الزبير
اشتمل بالتجارة مع عمه بجهة شكا وبحر الغزال فاشتم من يومئذ وصار رئيسا لتجارة الرقيق وبني
لنفسه في شكا قصر اباذنا كقصور الملوك ورتب له حراسا وجعل على أبوابه الاسود المقيمة
بالسلاسل ونظم له جيشا من البازنجر بالسلح الكامل لمطاردة واقتناص الرقيق فصارت بلدة
شكا من أشهر مراكز تجارة الرقيق يقصدها التجار من أطراف البلاد وقال سلاتين باشا في كتابه
المسمى لنار والسيف في السودان ما ملخصه وفي تلك الاثناء خرج شاب اسمه الزبير من مدينة
الخرطوم ومضى الى بلاد النيل الابيض وبحر الغزال فاتجر في الرقيق والعاج حتى أترى ونسلط على
بلاد بحر الغزال بجده وافتداه وصار من أشهر رجال السودان وجعل يتقدم نحو بلاد دارفور
وكتب الى سلطانها يقول ان الزنوج عبدة الصنم يحل للمسلمين استعبادهم فاجابه السلطان يقول لقد
أصبت ولذلك يحل لنا استعباد العميد باعة الخيل مشي را بذلك الى الزبير نفسه لانه من الجعليين الذين
يقول أهالي دارفور انهم من باعة الخيل اه ولما أحست الحكومة الخديوية بتزايد نفوذ الزبير
وتعاطف صولته رأت لزوم اخضاعه منعا للثقل التي رعنا حصل في المستقبل منه فبعثت جيشا
ظاهرة الاستيلاء على دارفور وكانت مستقلة وقتئذ و باطنه اذلال الزبير فلما بلغ الزبير قدوم ذلك
الجيش تجهز لقتاله وأوقع به وقتل قائده ثم خاف سوء العاقبة فارسل الى الخديوي يعتذر عما حصل
ويطلب العفو فقبل الخديوي منه ملاماة للامر وجعله مديرا لبحر الغزال فكان هذا مبدء ظهور

(١) المشاريع هي الاماكن التي كان يقصدها التجار ببلاد السودان لتجارتهم ويشيدون لهم فيها الديوم وهي كاستحكامات
يصنعونها على شكل مربع من عروق اشجار السط والكتر والحواز بار ترفع متر تقريبا في سمك متر ونصف يقيم التاجر
بداخلها مع حراسه المحمكيين المسلمين وكانت نادقهم في العادة من ذات الطلقتين ومعهم الذخائر الكافية ويرسلهم
بالاموال مع ما يمتنه لمشتري السن والريش والرقيق من داخل السودان ومنها تنصدر تجارتهم الى الخرطوم والى
الجهات التي يقصدونها

الزبير (١٨٧٠ م) وفي تلك الاثناء عين الخديوي جلاوسير بايدي منسنجر (Munzinger) محافظا للمصوع وكان هناك نقض لفرنسا من سنة ١٨٦٢ م وقد اهتم المذكور بتوسيع أملاك مصر في أطراف السودان الشرقي تنفيذ المقاصد الخديوية على يديه في سنة ١٨٧٠ الحاق بلاد البوغامبي وبركة والقضارف بمصر ثم رافقه في تعيين الحدود بين الحبشة والجهات المذكورة أحمد جدى افندى أحد ضباط أركان الحرب (الآن باشا) وبعد ذلك بقليل أدخل أيضا في حوزة مصر الوديان الشرقية التي تنصب اليها مياه بلاد الحبشة ثم نقل أحمد جدى افندى الى التاكة مع علاء الدين باشا لتعيين النقطة التي تقسم بها الحامية المصرية بام ديب وعين الخديوي المير الأي يوسف بك سرور للتفتيش على تلك الجهات والنظر في أحوالها العسكرية وعزل جعفر مظهر باشا عن السودان (١٢٨٨ هـ) وعين مكانه محمد ممتاز باشا وهو من ضباط السوارى المتخرجين من مدرسة المفروزة وعزل بعد سنة لسوء تصرفه وكان معنى بك الشامى مديرا لعمال الخرطوم طعن في سيرته وبأنه يأخذ الرشوة فلما وصل ممتاز باشا الى مصر أمر الخديوي بتحقيق الشكوى وفتشوا منزله فلم يجدوا به أموالا ثم رآوه الى الخرطوم وهناك زجوه في السجن فبقي فيه حتى مات بعد ان فقد بصره ووروى عنه انه لما كان وكيل الحكمدار السودان وكان حسين باشا خليفة السودانى يسى معاملة أهالى بر برحتى انهم كرهوه وفر كثير منهم الى مصر وقد موافق حقه الشكاوى للحكومة كان ممتاز باشا المذكور كلما أتاه من يشتكى من حسين خليفه يقبض عليه ويرده اليه يفعل به كما يشاء وفي ولاية ممتاز باشا حصل ان طعن بعضهم في الدين الاسلامى في نشره عريضة وذيل الفشره بتوقيع رئيس قسس الكاوتليك بالخرطوم فغضب الاهالى وكادوا يبطشون بالقسس لولا تدخل الحكومة بعد ان علمت بان ناشر تلك الورقة التحريك تهديد الاغراض ولما مثل الفاعل امام ممتاز باشا أطلقه بلا محاكمة فزاد هذا في سخط الاهالى على الحكومة وعدوه من الادلة على كفر جميع البيض وفي ولاية ممتاز باشا هذا أيضا تحارب السير صمويل بيكر باشا مع قبيلة يقال لها بارى ليتيسر له اخضاع العشائر المجاورة لها لتظاهرهم بالتمرد والعصيان ثم رتب بيلادهم نقطا عسكرية واحتل بلاد أو نيورو وخلع ملكها المدعو كابرانجا وولى بدله آخر يدعى رونيكا وأنشأ هناك محطة عسكرية بجهة بفسال لها ما سدى ولما أخلص النصح في خدمة مصر عينه الخديوي كما عا ما على المقاطعات الاستوائية فبقي عليها الى سنة ١٨٧٣ م ثم استعفى وعند عودته كتب كتابا يعلم منه انه ترك خلفه حكومة وضعت على أساس مكين وان الاهالى تدفع الضرائب على أكمل نظام وحمد الله على طرد صيادى الرقيق من تلك الجهات

وفي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) تعيين اسمعيل أيوب باشا حكامدار السودان ولما امر البرنس افولس ولى عهد انكلترة بالديار المصرية عند ذهابه الى الهند أتى امام الخديوي على الكولونيل (١) غردون ثناء جيلا وأشار عليه بمناسبة تعيينه مكان صمويل بيكر باشا ولما كان

(١) ولد شارلس جورج غوردون Charles George Gordon في مدينة ولوش من أعمال انكلترة سنة ١٨٢٣ م وانظم في سلك العسكرية بعد ان درس علومها في المدارس الحربية (١٨٥٢ م) وكان من طبعه نبيا للقاء الاهوال والصبر على الكربة وقد اشتهر بالشجاعة في حرب اسكوتلانده وكان جده مهتم بالمواقع العظيمة وكان أبوه ضابطا في الطوبخانية البريتانية وارتقى فيها الى رتبة فريق وحضر غوردون حصار سيستانبول

الخدوي يسمى في ان تكون علاقته مع انجلترا ودية محضة لتساعده على ادرالك امانيه ولكي لا تنقف له في طريق فتوحاته بجهات افرى بقيمة طلب غوردون من بلاده وعينه مدير المقاطعة خط الاستواء وعزم الخديو (١٨٧٤ م) على النظر في احوال السودان نظرا لديمقيا وقسم بلاده الجنوبية الى قسمين اولهما السودان الحقيقي واخر حدوده فاشوده جنوبا وجعله تحت ادارة حكمدار السودان والثاني اقاليم خط الاستواء وهو ما كان جنوبي فاشوده وجعل ادارتها بيد الكولونيل غردون الذي مدسطة الحكومة الخديوية بانحاء بحيرة اوكرتوه وأسس المحطات لضبط السفائن التي تجزر بالريق واشغل من كان يؤخذ منها ويعتق بحرانها الاراضي والقيام بشؤون الفلاحة ثم ان غردون غير مقاصده دفعة واحدة بلا سبب معلوم وعدل عن الحاق اوغنده بمصر بل وأرسل الدكتور ادوارد شنيترز (Schnitzer) الالماني الذي عرف لاحقا بأمين باشا مندوبا من طرفه الى السلطان اميرا ليفهجه نوايا غوردون ورغبانه وأنه يعترف له باستقلاله في بلاده كطلبه والخضوع الاسمي لمصر فساد ادوارد المسد كوروقا له في مكان يدعى خوروكفو وأدى مأموريته (١٨٧٥ م) وورد في كتاب الفه بعض كتاب الانكليز عن غوردون والمهدى طبع سنة ١٨٨٥ م أن غوردون باشا قال إن تجارة الرقيق في السودان ضاربة أعراقها في بدن الشعب حتى صارت منهم كالتقى من العظام وليس في السودان أحد خدائي الغرض منها وليس قيمه من يجب ابطالها وان حالة الرقيق هناك أحسن كثيرا من حالته في الهند الغربية بامر بقا ولذلك فان ابطال التجارة بالرقيق دفعة واحدة غير عادل لان كثيرين منهم يفضلون العبودية على الحرية كما علم بالتجربة فانه حترر كثيرين من رقيق العبودية فكانوا يرفضون الحرية من تلقاء أنفسهم اه ثم ان غوردون ترك السودان وطأ الى مصر وطلب من شريف باشا وكان رئيسا للنظار وقتئذ ان يجبر الخديو برغبته في الاستقالة فقبل استعفاءه ثم عاد الى أوروبا (١٨٧٦ م)

وقد اطلعنا في كتاب طبع بمصر في مطبعة جريدة الاهرام ليس عليه اسم مؤلف على رواية غربية حدثت مدة ولاية غردون على مقاطعة خط الاستواء ولذلك أردنا اثباتها هنا فإذ قد قرأه حتى لا يفوتهم ثم أغرب ما قبل في هذا الموضوع وهي ان الحملات العسكرية المصرية كانت تسافر اثر بعضها الى قلب افرى بقيمة لبث النفوذ المصري بين قبائلها وساكنها وكانت تلك القبائل تقابلهاهم

(١٨٥٥ م) وأظهر فيه شهامة حتى شهده بها كبراء ضباطه وفي سنة ١٨٦٠ م سافر الى حرب الصين وكانت له جهات فاع تشبه له بالراعة والشجاعة والفتون الحربية وبقي في الصين الى سنة ١٨٦٥ م ثم عاد الى انكلترا وقدر اني الى رتبة الكولونيل في الجيش البريتاني وكان لقب من قبل سلطان الصين سرعسكر وفي سنة ١٨٧١ عين قوميرا من طرف دولته في لجنة نهر الطونة المختلطة وفي سنة ١٨٧٤ م مدحه البرانس أوف ولسون و هذا انكلترا عند المرحوم اسميل باشا وأشار بتعيينه مكان السرصوبل ليكر حكمدار المقاطعات خط الاستواء المهسرية فصدرت أوامر بالعالية بتعيينه كذا كرتما استقال سنة ١٨٧٦

(١) وللدكتور ادوارد شنيترز (أمين باشا) في نيس Neisse من أعمال سيليسيا في ٢٨ مارس سنة ١٨٤٠ ودرس في مدارسها الى سنة ١٨٥٨ ثم درس الطب في برينلو وبراين سنة ١٨٦٤ ثم سافر الى تركيا وخدم بمعية حتى باشا السنة ١٨٧٣ بجهات ارضها الشام بلاد العرب وأظهر اسلامه وتسمى من وقتئذ أمين افندي ثم فرجه الى نيس سنة ١٨٧٥ للاشتغال بالتاريخ الطبيعي ثم دخل الخدمة الطبية في مصر سنة ١٨٧٦ وبعثه الخديو اسميل باشا الى الخرطوم والحق مع الكولونيل غورون ضابطا طبييا بالمقاطعة خط الاستواء وكان له امام باللغة الفرنسية والانكليزية والتلغرافية والتركية والعربية

بالخفاوة والخضوع وفي سنة ١٨٧٣ شخصت احدي هذه الحملات المصرية عن طريق اوغنده الى زنجبار وهناك استقبلت بالايثار وأظهر لها السكان ميلهم الى الحكومة المصرية وقابل قائدها ملك زنجبار فاكرم مشواه وأظهر له شديد رغبته في مصافاة الحكومة المصرية وأنه يريد الاستقلال بالعلم العثماني المصري على شرط أن يكون صاحب امتياز يضمن له حقوقه وحقوق عائلته ورعاياه وأخبره انه يخطب باسم أمير المؤمنين وسليمان العثمانيين في كل بلاده ثم عقد مع القائم المصري معاهدة (١) يعرضها على حكومته متضمنة دخول مملكة زنجبار تحت حماية مصر بشرط ان يكون لها ازاء الدولة العثمانية نفس الحقوق التي لمصر ثم قفل القائم المذكور راجعا الى مديرية خط الاستواء بعد ان أناب عنه في زنجبار أحد الضباط المصريين ولم تكن حكومة مصر تعلم بشيء من ذلك أصلا ولم توعد اليه بشيء من هذا القبيل ولما اطلع غوردون سلكه مقاطعة خط الاستواء على تلك المعاهدة اغتاظ جدا إلا أنه كتم غيظه خوفا من سقوط مملكة تطوع اليها عميون الانكليزي في يد مصر وما زال يضرر المكيدة لذلك القائد حتى أوقعه في ورطة ثم دبر هو وقومه طريقة لافساد تلك المعاهدة فحسنوا الخديوان يهادى ملك زنجبار هدية ثمينة وأخبره ان ملك زنجبار قام في وجه النفوذ المصري وأسر جماعة من التجار المصريين وأنه أي غوردون أرسل جندا لاستطلاع أخبارهم فقابلهم ملك زنجبار بأشدهما يكون من العداة ثم حصرهم في احدى النقط حتى اصبحوا على شفير الهلاك وان القصد من ارسال الهدية خلاص ذلك الخندق فانطلت على المغفور له اسمعيل باشا هذه الخيلة وأرسل هدية ثمينة أصحها بكتاب منه الى ملك زنجبار ثم ان غوردون أرسل الهدية مع سائح انكليزي يدعى مستر لو كس وحجز الكتاب والمعاهدة عنده وكتب للملك زنجبار كتابا يحذر فيه من وضع مملكته تحت الحماية المصرية وغير ذلك وبهذا اكتسبت انكلترة مودة ملك زنجبار باموال مصر وعادل هذا الملك عن مخالفتها ثم انسحبت الجنود المصرية من تخوم زنجبار بدعوى انهم أطلقوا من الاسر اه ملخصا وبما يؤيد هذا القول ان صدق قائله أن غوردون باشا صار بعد ذلك لا يولى أعمال خط الاستواء الا لغير مصري

(١) المادة الاولى تكون مملكة زنجبار تحت الحماية الاسلامية العثمانية المصرية ويكون الملك محصورا بالتوارث بين ذرية الملك الحالي أو بين أعضاء أسرته وبالجملة ان امتياز الملك في مملكته يكون شبيها بامتياز سمو الخديوي اسمعيل باشا وأسرته في مصر (المادة الثانية) ترسل الحكومة المصرية بموظفين من قبلها يقومون بتأليف هيئة الحكومة في زنجبار وتنظيم المالية والجند طبقا للنظام المتبعة في الحكومة المصرية ولا يجوز تعيين مصري لاية وظيفة كانت اذ او جنود وطني بقدر على القيام بها (المادة الثالثة) ترسل الحكومة المصرية مندوبين من أصده قائما ورجالها الخبيرين ليؤيدوا كل المنظمات التي تسن في مملكة زنجبار بشأن انشاء نظارات مالية وادخالية وخريرية ونظارة معارف ونظارة أشغال ويكون التسلام من الخرجون في مديرات المملكتة مقدمين على غيرهم في الترشح للوظائف ولا يجوز لغير مصر ان تطلب عساكر من زنجبار الا اذا قدمت حرب دينية بين أمير المؤمنين وعدوا خريف طلب هو نفسه حينئذ جنودا من زنجبار ثم ان علائق مملكة زنجبار وصلات شؤونها كلها مع الدول الاجنبية يكون عقدها وحلها على يد نظارة الخارجية المصرية (المادة الرابعة) لا يجوز للحكومة المصرية ان توظف في مملكة زنجبار اعدا من الاجانب الغير المسلمين الا اذا كانوا من رعاياها فلا بد من حينئذ من منحهم وظائف (المادة الخامسة) ان جميع الاموال التي تجبي من مملكة زنجبار تنفق في شؤونها وما بقى بعد ذلك يؤخذ الى الخزانة المصرية وتكون مصر ملزمة بصرف كل أمانة مالية أو حربية تصيب مملكة زنجبار (المادة السادسة) ينفذ معول هذه المعاهدة بعد اطلاع خديوي مصر عليها واصدار أمر بقبولها اه من صحيفة ٢٨ السودان المصري والانكليزي

فتح دارفور - قبل الكلام على هـ. ذا الفتح نريد الامام لمخلص تاريخ هذه البلاد اتماما
 للفائدة فنقول ان دارفور أي بلاد الفسور هي بعض بلاد النكر ورأها الهارب وزوج شكلمون
 جميعهم ببلغة محرفة عن العربية وديانتهم الاسلام وكانت هذه السلطنة تمتد بقارة أفريقيا
 من شرقها الى غربها وكان حاكمها سلطانا مستبداله من الاحتفالات والعوائد الغربية ما ليس
 في بلاد غيره من ذلك انه لا يكلم أحدا مطلقا بدون ترجمان واذا بصق فيجمع حاشيته بصافه بأيديهم
 واذا بكابه فرسه وهو راكب أو سقط عنه التزم كل فرد من حاشيته أن يفعل مثله واذا عطس تعاطس
 كل من كان في حضرته وكان له حرس مؤلف من النساء المجازز ثم انه في القرن الثامن عشر الميلادي
 تغلص ظل سلطنة دارفور عن مقاطعات النيل الابيض وخسرت بلاد كردفان ومايلها (١٧٧٠ م)
 ثم استردتها بعد ذلك بخمس سنوات وبقيت تابعة لها الى ان فتحها أحمد بك الدفتر دارسنة
 ١٨٢٢ م كما تقدم ذكر ذلك في تاريخ ساكن الجنان محمد علي باشا ويقال ان أصل سلاطينها
 من الطنافة عرب تونس هاجر وابلادهم في القرن الرابع عشر الميلادي ونزلوا في بلاد برنو ووداي
 وبلغ اثنتان منهم السند الغربي من جبل مره وهما اخوان يسميان عليا وأحمد ثم انتقل أحمد الى بلاد
 دارفور ولما بلغ ملكها خبر قدومه وكان من عبدة الاصنام قربه اليه وأحسن مشواه ثم جعله مدبرا
 لاموره فأحسن السياسة وأصلح البلاد فأحبه الاهالي وملكوه عليهم بعد موت ملكهم ولما بلغ ذلك
 الطنافة الذين في برنو ووداي تقاطروا الى بلاد دارفور وسكنوها وانقرض مع طول الزمن أهلها
 الاصليون حتى لم يبق منهم الا القليل في غربي البلاد وكان يحكمهم أمير يدعى السلطان أباريشة
 ويقب بالماموس الاصغر وقد حكم أحمد المذكور عدة سنوات تقدمت فيها البلاد واعتق أهلها
 الدين الاسلامي ثم بعد موته خلفه ولده موسى وخلف موسى ابنه أحمد بكر وسمي هذا اللاجانب
 بدخول بلاده ظن انهم يساعدهونه على اصلاحها وخلف أحمد بكر ابنه محمد دورا وكان له مائة أخ
 قتل خمسين منهم ثم قتل ابنه الاكبر لانه خاف أن يخرج عليه وخلفه ابنه عمر ليلى وقتل في حرب مع
 وداي وخلفه عمه أبو الناسم فقتل في الحرب أيضا وخلفه أخوه محمد تراب وكان شجاعا با - لا عزم في
 أخريات أيامه على توسيع مملكة دارفور وارجاعها الى حدها الاول فقام بخياله ورجاله فاتحها الى ان
 بلغ أم درمان وحاول أن يعبر النيل فجز عن ذلك ثم مات مسموما وخلفه أخوه عبدالرحمن ولما عاد
 الى دارفور وجد ابن أخيه اسحق تسلطن فثارت بينهم حروب قتل فيها اسحق واستتب الامر لعبد
 الرحمن وعبد الرحمن هذا هو الذي بعث سنة ١٧٩٩ بين نابليون بونابرت بتغلبه على الديار
 المصرية وكتب له نابليون يطلب منه أن يرسل اليه أنفي عبدا من الأقوياء يشترتهم بأمواله (١)
 وفي أيام عبدالرحمن هذا انتقل كرسى المملكة من بلدة القبة الى الفاشر ولما مات نصب مكانه ابنه

(١) الى سلطان دارفور في ١٢ ميسيدور من سنة ٧ بسم الله الرحمن الرحيم لاله الا الله الى سلطان دارفور
 عبدالرحمن وصل الى كتابكم وفهمت معناه ولما وصلت قالتمكم كنت متغيبا ببلاد سور بالمعاقبة أعدائنا ومجوعهم
 وأرجوكم أن ترسلوا الي مع أول قافلة أنفي عبدا من السوديكون عمر الواحد منهم ازيد من ١٦ سنة وتكونون
 أشداء أقوياء وانني أشتريهم بمالي وأطلب منكم أن تأمروا قافلتيكم بالحضور الي ناسر بعاون لا تتوقف بالطريق
 وسانفذ أوامري بمحابتها في كل مكان (الجنرال العام بونابرت) معرب من صحيفته ١٦ من التقرير العام عن
 مديريات السودان المصري والبحر الاحمر وخط الاستواء المطبوع بمعرفة قسم المخابرات بانكتر سنة ١٨٨٤

محمد الفضل وكان طفلا فجعلوا رئيس الخصيان قيماله ثم استقل هذا الفتى بالملك لما كان له ثلاث عشرة سنة من العمر وأول شيء فعله أنه حرر قبيلة أمه وحرم أخذ العبيد منها ثم أفسد المفسدون بينه وبين رئيس الخصيان فبارت بينهما حرب وبت بانتصاره والقبض على رئيس الخصيان وقتله ثم توفي السلطان محمد الفضل هذا (١٨٣٨ م) وخلفه ابنه حسين فبذل جهده في اصلاح مملكته ولكن أصابه مرض كف به بصره (١٨٥٦) فاشركه أخته زمرم في الملك معه وكانت سيرتها غير جيدة لكثرة اسرافها وميلها الى الترف فأنفقت معظم دخل السلطنة في قصرها وكانت ولايات بحر الغزال تابعة لدارفور وتؤدي اليها الجزية من العبيد والعاج واذا تأخرت عن أداءها ترحف عليها اسلاطين دارفور وتنهبها وتبيح المسلوب من العبيد والعاج للتجار المصريين وتأخذ بدلها عنها الاسلحة والامتعة الاخرى وكان يقصر السلطان حسين فقيه اسمه محمد البلال من البلاية سكان وداي وبنو قومه السلطان المذكور اليه واعتمد عليه فغاط ذلك زمرم أخته ووزيره أحمد شتا واضطراه الى ابعاده فأتى الخرطوم وأغرى الحكومة بالاستيلاء على بحر الغزال وحفرة النحاس لانهما خراجا من قبضة سلطان دارفور فأرسلته الحكومة مع الجنود المصرية للاستيلاء عليهما فنشبت الحرب بينهما وبين الزبير رجت ودارت الدائرة عليه الا أن الزبير خاف سوء المنقلب فأحسن الى رجاله وترضى الحكومة واقنعها بان البلاية هو الذي اعتمد عليه فعفت الحكومة عن الزبير ملافاة للامر وجعلته مديرا لبحر الغزال فحسن الزبير لحكمه دار السودان اسمعيل أيوب باشا وقتئذ الاستيلاء على سلطنة دارفور كلها وتطوع لذلك وابتدأ بالزحف في أوائل سنة ١٨٧٣ هذا وقد ورد في رواية أخرى انه لما كان اسمعيل أيوب باشا حاكما على السودان وقع خلاف بين الزبير وبين ملك دارفور السلطان حسين بخصوص عربان قبيلة الزيادة الذين كانوا خراجا عن طاعة مملكة دارفور منذ سنة ١٢٨٠ هـ ثم التجؤ اليها نائبة فرارا من سطوة الزبير (١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م) الذي حسن للخبدي فتح هذه البلاد لمصر وعضدته الحكومة الخديوية لاسباب اقتضتها سياستها ثم قامت الحروب بين الطرفين وتقدم الزبير بجنوده سنة ١٨٧٣ فتلاقى مع جيش دارفور المؤلف من ٢٠ ألف مقاتل وكان يقوده الوزير أحمد شتا فهزمه الزبير وقتل قائده المذكور ثم هزم لها جيشا آخر كان أرسله سلطانها تحت قيادة المقدم سعد النور وقتل القائد المذكور أيضا وحسن طالع الزبير كان الامير حسب الله يطمع في مملكة دارفور بعد وفاة أخيه السلطان حسين الذي كان أوصى بالملك من بعده لولده السلطان ابراهيم ولهذا فان الامير حسب الله اغتم فرصة وقوع الحرب بين الزبير وبين سلطان دارفور المذكور وأخذ يتخابر مع الزبير سرا كما يقال ووقع بينهما الاتفاق على أن الزبير يضمن للامير حسب الله ملك دارفور وهو في نظير ذلك يساعده على قتل ابن أخيه السلطان ابراهيم المذكور قال سلانين باشا في كتابه النار والسيف في السودان أنه تلاقى برجل من علماء دارفور فأخبره أن السلطان حسين قال له في آخر أيامه إن الزبير ورجالها سيكوفون آله في يد الحكومة المصرية لثل عرشه وكان يطلب من الله أن لا يحدث ذلك في أيامه فكان كما قال هـ هذا ولما بلغ السلطان ابراهيم خيرا نكسار جيشه الثاني أخذ يجهبز جيشا لنا وطلب الامير حسب الله من ابن أخيه السلطان ابراهيم أن يقوده هو الجيش الثالث لحرب الزبير فاستكبر السلطان ابراهيم هذا الامر من عمه حتى يقال انه قال له من هو الزبير

حتى تذهب اليه يا عمي بنفسك فقال له الامير حسب الله بلسان التصنع والمداينة اعلم ايها السلطان
 ان انهمز انما همزتين امام الزبير قد وقع فيه العرور وجعله يطمع في الاستيلاء على بلادنا واعلم أيضا
 اننا منحصرين الآن بين عدوين فخصر خلفنا وهذا الزبير امامنا فسمح السلطان لعمه بقيادة الجيش
 وبذلك تمت له الحيلة وعمل على هزيمة الجيش الذي يقوده فلما انهمز الى الفاسر وبلغ السلطان ابراهيم
 خبر انهمز الجيش أخذ يجهز جيشا آخر للدفاع عن بلاده ولم يكن يعلم بما هو حاصل بين عمه وبين الزبير
 وقاد هذا الجيش بنفسه باغراء حسب الله المذكور الذي كان يتوقع في كل وقت الفرصة في قتل
 السلطان ابراهيم ليخوليه الجو ويتولى الملك كما وعده الزبير

ولما تقدم السلطان ابراهيم بجيشه وصحبه اولاده والتحم الحرب بين الطرفين قتل السلطان
 ابراهيم وأولاده فانهمز الجيش (٢٥ رمضان سنة ١٢٩١) ثم اجتمع بعض الامراء على الامير
 حسب الله وقلدوه السلطنة عليهم فسار بهم وبن تبعهم من الجند الى غربي دارفور واقاموا في جبل
 طره وهو على مسافة يومين الى الشمال الغربي من الفاشر فحاصره هناك الزبير مدة ثلاثة شهور ثم
 وقع الاتفاق بين حسب الله وبين الزبير على أن يدفع حسب الله الى الحكومة المصرية ١٠٠٠٠٠٠
 ليرة خراج سنوي او تكون مملكة دارفور تابعة لمصر بشرط أن يكون السلطان حسب الله هو الحاكم
 عليها وأولاده من بعده وعلى ذلك نزل السلطان حسب الله من الجبل وتقابل مع الزبير وكانت
 الجيوش المصرية احتلت الفاشر (تندلي) ووصل اليها اسمعيل أيوب باشا حاكم دار السودان
 بجيشه وكان يزحف على دارفور من الشمال (١٢٩١ هـ) ولما عرض الزبير عليه الاتفاقية
 المذكورة رفض قبولها وأخبره بأن خذ يوم مصر يريد مقابلة السلطان حسب الله وتبرأ الزبير من تبعه
 نقض العهد وأخبر السلطان حسب الله بأنه لم يزل على عهده وبعد ذلك قابل السلطان حكام دار
 السودان فاقنعه بالذهاب الى مصر ولما وصلها لم يصرح له بالعودة الى بلاده وكانت تلك حيلة فلا
 حول ولا قوة الا بالله وبذلك زال استقلال دارفور وأسكنت الحكومة حسب الله وعائلته وأتباعه
 العديدين بمصر وأجرت عليهم المرتبات حتى انقرض غالبهم الا أن ولما رأى الزبير رحمت أن النصر
 قد تم على يديه وأن الحكومة المصرية انتفعت بخدمته طلب منها أن توليه الحكم على دارفور
مكافأة له فأبت قال صاحب كتاب الحديد والنار في السودان انه بعد ان فتح الجنود المصرية
 بلاد دارفور عهدت بحكومة وادارة الجهات الجنوبية منها أي دارا وشكا الى الزبير وذلك بناء على
 أمر المغفور له الخديو اسمعيل باشا الذي منحه في آن واحد رتبة الباشاوية وقد كان من الزبير في أيام
 ولايته أنه كان يشكو كثيرا من فداحة الضرائب على الاهالي ولذلك طلب من المغفور له اسمعيل باشا
 أن يأذن له بالتوجه الى القاهرة ليقدم له بذاته واجبات الانتماء وصدق العبودية فأذن له بذلك فسافر
 للحال وبعد ذلك بزمن قليل بارح اسمعيل باشا أيوب بلاد دارفور مستبقيا فيها حسن باشا حلي
 بصفة مدير عام لها أما الزبير باشا فقد دعين قبل سفره الى القاهرة ابنه سليمان نائب عنه وأمره
 بالتوجه الى شكا وفي هذه الاثناء عين غوردون باشا حاكم دارا عمال السودان بدلا عن اسمعيل أيوب
 باشا فشرع في التوغل بداخل البلاد لثقة قدأحوالها ووصل في رحلته الى بلاد دارفور التي كان
 ابتدأ أهلها بالنزوع للثورة ضداً على أسلوب القسوة التي كانت تعاملهم بمقتضاها الحكومة وكان
 قيامهم هذا باغراء وتحريض زعيم كرسى هذه البلاد السلطان هرون سيف الدين وقد أراد غوردون

باشا أن يظهر للناس في ذلك الاقليم ليتمكن بظهوره وحسن تداخله من تسكين الخواطر المضطربة
اه وروى صاحب كتاب السودان المصري والانكليزان هرون المذكور كان صنيعة للاوروپا وبين
فكان المحرض له على ذلك رجل يدعى فريديريك روسي أصله فنصل الالمانية بالخرطوم ثم وظيفه
غوردون وكيلاعنه في جهات النيل الابيض ثم مديرا لدارفور وقد تمكن حسن باشا حلي من
ردع هرون واعادة الامن الى دارفور ويقال أيضا ان الحكومة المصرية لما تم تسل الزير مرغوبه
صمم على المروق من طاعتهم ثم جمع أعوانه ومحالفه تحت شجرة بين شكا والابيض وتعاهدوا جميعا
على أن يكونوا ايدا واحدة ويلبوا طلبه عند الحاجة فجمع منهم حينئذ نحو مائة ألف ليرة وقدم مصر
بعد ان أناب عنه ابنه سليمان طمعا في نوال طلبه من الحكومة بمساعدة اسمعيل صديق باشا المفتش
الذي انتشرت اخبار مكاتبه لدى الخديو في انحاء السودان فلما وصل قابله أمراء وأعيان مصر
بالاكرام والبشاشة ثم لما أراد العودة الى السودان لم يؤذن له في ذلك وبقي في القاهرة كحجور عليه
وعينت له الحكومة المصرية راتباً شهريا لا يقل عن مائة ليرة فبقي بها الى الآن وحصل له مدة
الاحتلال الانكليزي مائتي ألف ذكرو

وبينما كانت الجيوش المصرية توسع الاملاك الخديوية بالاقطار السودانية من جهة الجنوب
الغربي تنازلت الدولة العلية للخديو عن مدينة زيلع ولحققاتها فاضمت الى الخديوية المصرية في مقابلة
مبلغ تدفقه مصر سنويا قدره ١٣٣٦٥ ليرة مصرية وتاريخ هذا التنازل شهر جمادى الثانية من
سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥ م) وكانت زيلع قبلا تابعة للواء الحديدية ولما أتى الفرمان السلطاني
بذلك أرسل الخديو اليها الجنود اللازمة تحت قيادة محمد رؤف باشا وأنعم على أمير زيلع أبو بكر باشا
برتبة الميرميران وبعث أيضا الى بربره حاميه أخرى على قرويت الصاعقة تحت إمرة اللواء البحري
رضوان باشا الذي عين محافظا لها (١) وعزم الخديو من وقتئذ على فتح هرر

فتح مدينة هرر - لما ذهبت الجنود المصرية الى زيلع واحتلتها كما سبق أخذت تستطلع
أحوال هرر وتعرف مسالكها ولما تمت لها المعدات سارت فرقة منها تحت قيادة رؤف باشا في
يوم ١٨ سبتمبر سنة ٧٥ وكانت مؤلفة من خمس أورط من المشاة ونحو ٢٣٦ من الباشوزوق
ومدفعين جبليين يرافقها بعض ضباط أركان الحرب تحت رياسة البكاشي محمد أفندي مختار وهو
الذي صار باشا فيما بعد فتمت هذه الحملة ووصلت بعد قليل الى مدينة هرر بحيث لم يأت اليوم
الحادي عشر من شهر أكتوبر من السنة المذكورة حتى خفق العلم المصري فوق قصر أمير هرر

(١) رضوان باشا هو كريدى الاصل نبع بالمدرسة البحرية ثم التحق بسفن الدونتم ثم نقل الى سفن النيل في عهد المرحوم
سعيد باشا ثم عين قبودا نا ئانيا باخرة أسبوط بالبحر المتوسط الابيض برتبة صاع قول أعلى منذ كان عليها قائم
باشا ثم نقل هذا الى فرقاطة محمد على نقل المترجم معه قبودا نا ئانيا وورق لرتبة البكاشي وكان بها في حرب كريد
(١٢٨٢) ثم نقل قبودا نا الى واورا الجعفرية ثم ترقى الى رتبة قائم (١٢٨٤) ثم جعل مقر دات لوار والبحر وسنة
(١٢٨٥) وورق لرتبة الميرالاي ثم عين قبودا نا القرويت الصاعقة وسافر به الى البحر الاحمر ولما أعطى السلطان
ادارة زيلع وبربره الى الحكومة المصرية بتعيين مأمورا لبربره فاعتنى باصلاح ادارتها وتنظيم شؤونها وشيد بها بعض المباني
ووضع قواعد لتعاطى التجارة في مواضعها هناك فانسرت من ذلك القبائل لما كانوا يجدون فيها من التسهيلات ورافق
مكيلوب في سفره الى المنهرجو باو بلدة كسمابو كما ترقى الى رتبة الفريق وأحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ ثم أحالت
عليه الحكومة مأمورية اخلاص هرر لما ركبها مصر في سنة ١٨٨٥ ثم توفي وترك له بين أقرانه ذكرا حسنا

السيد محمد عبدالشكور وأرسل المرحوم رؤف باشا تقرير الى ناظر الجهادية بمصر بكيةهية هذا
الفتح أدرجنه بجزءه من الفوائد (١) وكان رؤف باشا من ذلك الأمير على حياته وطلب

(١) فعرض لسعادتكم انه بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٨٧٥ عرض من الالاعتاب عن قيامنا من زيلع بقصد
فتح الدر وبوتنفيذ أوامروني نعمتنا حسب التعليمات الجليلة الصادرة لنا فقمنا من زيلع في يوم السبت ١٨ سبتمبر
سنة ٧٥ ويومها بتنا في محطة نخشي وفي الاحد ١٩ منه قننا من هناك وبتنا في محطة أوجاجرة وفي يوم الاثنين
٣٠ منه بتنا في محطة وابع وابع وفي يوم الثلاثاء ٢١ منه قننا من محطة وابع ووصلنا الى محطة داداب
وفي يوم الاربع ٢٢ منه قننا من محطة داداب ووصلنا الى محطة ددبعي وفي يوم الخميس ٢٣ منه قننا من
محطة ددبعي ووصلنا الى محطة هنسا وفي يومها حضر لنا الاوجاجر وويلي قان شيخ مشايخ عربان عيسى
وسومال وأبلى لنا دخوله تحت طاعة الحكومة الخديوية هو وكافة قبائل عيسى والسومال فشهدنا هذا اليوم
دخلنا على الاوجاجر المذكور وكار قبائله الخلع السيدة أحاسن من لدن المكارم الخديوية وفي يوم الجمعة
٢٤ منه قننا من محطة أبي بكر على وفي يوم السبت ٢٥ منه قننا من محطة أبي بكر على ووصلنا الى
محطة علان وفي يوم الاحد ٢٦ منه قننا من محطة علان ووصلنا الى محطة مير كوهلي وفي يوم الاثنين ٢٧
منه قننا من محطة مير كوهلي ووصلنا الى محطة حجابا وفي يوم الثلاثاء ٢٨ منه قننا من محطة حجابا ووصلنا الى محطة
عمرالى سخن وفي يوم الاربعاء ٢٩ منه قننا من محطة عمرالى سخن وسرنا مسافة ساعة ثم وقفنا لدى الطريق وفي يوم
الخميس ٣٠ منه قننا من محطة عمرالى سخن ووصلنا كونه وفي يوم الجمعة أول أكتوبر أقمنا محطة كونه لدى
انحراف مزاجي يومها وبعنا الجمال وفي يومها ورد لنا جواب من أمير هرر بالطاعة فكتبنا له رده وفي يوم السبت ٢
منه قننا من محطة كونه ووصلنا الى محطة بوضه وفي يوم الاحد ٣ منه قننا من محطة بوضه ووصلنا الى محطة
جلديسه وهي آخر حدود عيسى والسومال وفي جميع هذه المحطات لم يكن الدرب صعبا الا فيما بين محطة أبي بكر على
ومحطة مير كوهلي ومن بعدها قننا من جلديسه في يوم الثلاثاء ٥ منه ووصلنا الى محطة جرجر وهي أول حدود
الخالق وفي يوم الاربعاء ٦ منه ووصلنا الى محطة الشيخ شاري وهناك حضر لنا الحاج يوسف نجل الأمير محمد عبد
الشكور وأمير هرر والقاضي عبد الله بن عبد الرحمن قاضي ثاقب مدينة هرر والحاج يوسف من أعيان البلدة والسيد أحمد
نقيب الاشراف ومحمد عبد القادر ترمجان ديوان الأمير ومعهم جواب بالطاعة فاستقبلناهم كاهلوارم وخلعت عليهم
الملابس السنية من لدن المكارم الخديوية وفي يوم الخميس ٧ منه قننا من محطة الشيخ شاري ووصلنا الى بلدة بالاو وفي
يوم الجمعة ٨ منه قننا من محطة بالاو وعند وصولنا الى أفتوح وجدنا جما غفيرا اجتمعوا من قبائل التولي والخالق
الاوخلانهم ومع كونهم بدوا وانحاما لا يستهزئ بهم العاقل في الحروب لانهم أول من شهدوا بيادة مسلحين بالقسي والنبال
ويبادرون بالحرب كانهم منقادون لاصول عسكرية منتظمة فضلا عن كونهم خيالة وبيادة مسلحين بالقسي والنبال
والمزاريق والذوق فعاملناهم بالحسنى ونصنناهم وفهمناهم ما ينبغي تفهيمه لهم حسب التعليمات الكريمة الصادرة لنا
من الالاعتاب فلم يمتد ذلك فيهم ولا عجب في ذلك اذا جهل يؤدي الى الهلاك فن بعد ما كتبت أفكارنا من نصيحتهم وتحقق لنا
عدم اطاعتهم وتصميمهم على المحاربة تحاربناهم يومها وكانت مقتلة صغيرة لم تمكث الا ساعتين وثلاثة وأربعين دقيقة
ونعم ما حصل حيث انه بتسليط النيران الشديدة عليهم من كل جهة أسسوا الياتها طاعين وأعطيت لهم يارق الحكومة
وفي يوم السبت ٩ منه قننا من محطة أفتوح وعند وصولنا الى ايجو وجدنا أكثر من كان متخذا مع أمير هرر وهم
ثلاثة وثلاثين ألف فزمنهم خيالة وبيادة مسلحون بالمزاريق والقسي والنبال فاطعناهم الطريق شاهرين لنا علامة
الحرب متملكين للدربندات فأرسلنا لهم نهبهم عن بعضهم وطعنناهم فأبوا الا القتال وأرادوا ان يجمعوا علينا بقعة
فانجزناهم قتلناهم ولما سلطنا عليهم النيران هلك منهم كثير ولم يبق عليهم تلك الليلة حتى أرسلوا نساءهم طالبين للامان
فأمروناهم باحضار رؤسائهم وهما البوكوري والبوكوراي أعني أكبر مشايخهم وزمن القتال كان سبع ساعات
وعشر دقائق وفي يوم الاحد ١٠ منه قبل قيامنا حضر لطرفنا كل من عثمان بارو وعلي كارور رؤساء قبائل الخالاق
وطلبوا الامان لانفسهم وقبائلهم فأعطينا لهم يارق الحكومة ونصبت في حلهم وباليها من محاربة حيث كان
عليها غم كل أمر ففقدنا اعتبارهم بها من لم يعتبر وندعتنا نفعنا عظيما ولولاها حصل لنا تعريضات كثيرة في الطريق

لما نلغ من مصر ثم ارتاب منه فقته ولذلك هاجت القبائل وسدوا الطريق ما بين زيلع وهر رفاصح
 الخيش المصري وقائدهم رؤف باشا كالمحضور وعند ذلك سارت من مصر على وجه السرعة أو رطنان
 معها بطارية من المدافع على باخرة المحروسة تحت قيادة الميرالاي محمد بك التادي وعين الخديو عمر
 عزمي باشا مندوبا على التحقيق أسباب هذه الثورة وكنت وقتها من ضباط باخرة المحروسة ولما
 وصلت هذه الجنود الى زيلع وعلمت القبائل بما اتستتوا فعدا الامن الى ما كان عليه قبلا وعمكن

وفي يوم الاثنين ١١ منه قنمان محطة سيمو وعند وصولنا الى محطة سكورجه آخرنا بأن أمير هرر رغب بمقابلتنا
 في هذه النقطة فوقها هناك بقصد الاستراحة وانتظار الامير المذكور وفي الحال أرسلنا يارق الحكومة مع
 حسن افندي حلمي بيكائى معاون وعبدالله افندي فوزى صباغقول أغاى أركان حرب وصار نصيبا بغير قهرا على منزل
 الامير واحد أبواب المدينة حيث الساعة واحدة بعد الظهر من يوم الاثنين ١٢ رمضان المبارك سنة ٩٢
 الموافق ١١ اكتوبر سنة ١٨٧٥ وبمدها بعض دقائق حضر لنا الامير مع الضباط المذكورين ومعه
 أعيان المدينة والقضاة فقبول بغاية الرحب والسعة وشيدنا اليوم المذكور وأقيض على الامير والقاضي الاول
 المدعو عبدالتين أحمد الخلع السنية احسانا من لدن المكارم الخديو يتو بعد الا- تراحت توجهنا معه ودخلنا مدينة
 هرر حيث الساعة ثلاثة وأربعون دقيقة بعد الظهر وصحبنا الماكر الخديو به وهالك بيان القبائل الذين أطاعوا
 وطلبوا التدخل في حماية الحكومة الخديوية

عدد القبائل	٤	الجالاقلدى	جميعهم	٣٠	ماقبله
	١٢	الجالالا	»	٣	الجالابورا
	٣	الجالابزرى	»	٣	بمهوره
	٢	الجالابيل	»	٦	الجالاجرسو
	٧	الجالالبييه	»	١٢	الجالازهمون
	٢	جرى	»	٨	الجالاابنوهى باكلها
					٦٢ قبيلة

وغير ذلك جميع المسلمين بإقوات أرجويه سواء كانوا مهاجرين بها أو قدا أفضنا على الامير محمد ثمانمائة ريال ومائتى
 ريال الخبله ومائتى ريال لغامليتة وحرية كل ذلك احسانا من لدن المراحم الخديوية وان كان يستغرب انه في وقت
 قريب عبر ورنأطاع الحكومة الخديوية بمقدار جسم بدون معاربه فأعرض وأقول ان السبب في ذلك أمران
 الاول هو حسن طالع ولى نعمتى الثانى هو ان امرأه هذه الجهة خاصة يتحكرون زراعة البن ولا يعطون رخصه لاحد
 أن يزرع هذا الصنف ثلاثين ويخرج عن حد طاعتهم ولما كان ذلك معلوما للناصر ناخب كل من حضر من المشايخ
 والاهالى ان الخديوى الاعظم دام عزه يريد عمارة بلادكم وتأمين الدرب بأمركم أن تكثر من زراعة البن والموز
 والتمان وهو صنف نبات مخدر قليل لاومى سمعوا مناهذا التنبيه بتوجهون ويخبرون غيرهم من القبائل فلرغبهم
 في زراعة هذه الاصناف وبالخص صنف البن كل من حضر وسمع مناذلك يدعو بدوام العز والنصر للساحة الخديويه
 ثم أعرض وأقول على حسب مراتى الى ان هذه البلادها خيرات كثيرة من صنف الما كقول فان جميع ما يزرع في
 المحروسة من الحبوب موجود هنا وهذه الرخصه من زراعة الاهالى الذين تكون بعد ثلاث سنوات ذات ايراد عظيم من
 صنف البن وان وافق على حسب ما هو مشاهدلى إيمان التجاره تكون من طرف الميرى والتجار يشترون بالعملة ولمان
 تكون نصف الامان بضاعة والنصف الآخر عملة لاجل تداول العملة في يد الاهالى لان وجود العملة في يد الاهالى
 ومعرفة اياها هو السبب الموجب ليلهم للحكومة وحب وطنهم فان الغنى فقيل بالله لا يتحرك ويمتثل لاوامر
 الحكومة بخلاف الفقير وعلى كل حال الذى يتصوب تصدر لنا عنه التعليمات

هذا وأرجو من مراحم ولى نعمتى ارسال مرسحين فضبه لاعطاء واحده منها الامير هرر وجملة تطالقت فصب على أعمار
 لتفصيلها جلايلت ايج الجالا وخالانهم واعطاء جانب لحرير الامير ومن يستحق وكذا مائة ارمن الشيلان العادة

عمر عزمي باشا من اجراء ما مورته ثم اتفق مع أبي بكر باشا أمير زيلع على تنظيم أحوالها ثم عاد إلى مصر ونقل محمد رؤف باشا إلى السودان وعين بعده محمد نادى باشا محافظا على تلك البلاد ورقى إلى رتبة لواء وفي مدة رسم ضباط أركان الحرب هناك خريطة مفصلة عن هذه البلاد أفادت كثيرا وان كان ينقصها كثير من الصحة والضبط فسيببه نقص الاستعلامات الجغرافية وغيرها

تجريدة نهر جو با وجهات قسمها - لما أتم الخديو توسيع أملاكه السودانية من الجهة الجنوبية وأعلن رسميا بأن البلاد التي حول غندكرو دخلت في حوزة مصر وان البلدة المذكورة دعيت بالاسماعيلية وان الكولونيل غوردون صار حاكما لخط الاستواء (١٨٧٤ م) ليم ما كان شرع فيه السير صمويل بيكر باشا من مدينة فوندمصر نحو إلى بحيرة فكتوريا بانيانزا عزم على ارسال تجريدة إلى بلاد الصومال الجنوبية لادخال البلاد الواقعة على نهر جو بالمدكور في قبضة مصر حتى يتيسر له اتصال أملاكها هنا بالهنا من جهات خط الاستواء فجهز لذلك تجريدة عسكرية مركبة من بطارية من الطوبجية وبلوك من السوارى وأورطه من الپياده جعلها تحت قيادة الكونت أميرال ما كيلوب باشا (Mac Killop) والكولونيل لويج بك (Chaille Long) ومعه من ضباط أركان حرب اليوزباشى حسن افندى واصف (الآن بك ومدبر البحيرة) ويرأس المشاة البكباشى حسين افندى فهمى والطوبجية السيد افندى عاكف والسوارى البكباشى فرحات افندى منيب وأقلعت هذه القوة من السويس في يوم ١٧ فبراير من سنة ١٨٧٥ م ولما وصلت إلى بلدة الدوبار القريبة من بربرة عسكرت هناك ريثما تأخذ أهبتها وتستكمل معداتها ثم اتقلت إلى أربع بواخر وهى فرقاطة محمد على سوارية على بك شكركى ونزل بها ميكيلوب باشا وكيه عبد الرزاق بك ولويج بك وقرويت لطيف سوارية أحمد أمين قبودان المعروف بالترك (مفتش وابورات البوستة الآن) ونزل معه رضوان باشا محافظ بربرة وبخرة دسوق سوارية حسن قبودان الصغير وكان بها الفحم اللازم للباخرة الأخرى وطنطسا سوارية محمد قبودان موسى وبها بقية العساكر ولما وصلت هذه التجريدة إلى رأس حافون نزل القائد العام ومعه أركان حرب واستدعى جميع رؤساء القبائل ودعاهم للانتماء إلى الحكومة المصرية فأجابوه إلى ذلك طائعين فخلع عليهم وركز العلم العثمانى المصرى هناك ثم بارح ذلك المكان ولم يبق به حامية وما زال يتقدم ويركز الاعلام المصرية حتى وصل بلدة براوه شرقى نهر الجب وكانت تابعة لحكومة زنجبار فأرست البواخر المصرية هناك ثم نزلت نصف القوة المصرية إلى البر ومعهما ميكيلوب باشا الذى طلب مشايخ القبائل فلما حضر واعرض

الجمركى كذا أربع ساعات ذهب تكون واحدة منها رتبة نفس أو بفصين وحيث ان أمير هرر متضخ يقين انه طابع وصادق للحكومة الخديوية فان استصوب لدى الاعتاب يكون وكيلا للحكمادرتنا وحيث ان أربعة عشر ضباطا حصل منهم غاية الصداقة والاجتهاد فى أثناء السفرة ومقابلة الاعداء مع انه لا يظن ان هناك ما مورية اصعب من هذه الامور لى لما شاهدنا من التعب أرجو ان يحسن لكل منهم رتبة احسانا من لدن المراحم الخديوية وقد وعدناهم فى أثناء الحرب بالعرض للاعتاب ووفاهم الشرف والامر مقوض هذا وقد نتهر بها ثلاثون ألف نفس والعساكر التى معنا الآن ليست كافية لحفظ البلدة من الضرورى حضورا ورطتين من العساكر المنتظمة وبطارية طوبجية بدون مترابوز لوضعها بالمحطات والقبائل وان وافق أيضا يرسل لنا موسيق وان كانت من السودان يكون أحسن تحريرا فى ١٨ رمضان سنة ١٢٩٢ التوقيع محمد رؤف باشا ٥١ من جريدة أركان حرب سنة ثالثة

عليهم أمر الانتماء الى مصر وأفهمهم ما في ذلك من الفوائد لهم فأجابوا بالقبول لما رأوه من القوة المصرية التي حالتهم وأدهشهم بجركتها الحربية التي أجزتها امامهم ولم يكونوا شاهدوا ذلك قبلا وجعل لهم محافظا وحامية من كبة من بلوك من الياذة ثم تقدم هذا القائد حتى وصل الى فم نهر جوبا المذكور وأراد السير فيه بالنفلائك إلا أن الامواج صدته وغرق بعض الفلائك والعساكر ولما أخذ ما يلزمه من مياه الشرب عاد الى قسمايو التي اندهش أهلها لما رأوا هذه التجربة وأقبلوا في زوارقهم سائلين من اين أنت وما المقصود من حضورها فأخبرهم القائد بان القصد انكتشاف نهر الحب ليس الا وانه لا خوف عليهم فزال عنهم الوجع والخوف وبعد ثلاثة أيام زلت العساكر الى البرفسارت نحو النهر وأخذ الكولونيل لويج بالاكتشاف في النهر وحافتيه على زورق بخارى على مسافة ١٥٠ ميلا تقر بياورسم اليوزباشي حسن افندي واصف مجرى النهر المذكور ثم ان بعض مشايخ البلاد المذكورة استنصر خ بالسيد برغش سلطان زنجبار لان الحكومه المصرية تريد الاستيلاء على بلادهم وفي تلك الاثناء أتى مكتوب من محافظ بلدة براوه المصري بانه هو ومن معه من الحامية حصرتهم القبائل ونكثوا العهد وخافوا الموائيق فأمدته القائد بقوة على احدى البواخر ولما كان حشم الباخرة المذكورة قارب الفراغ سافرت أولالمشترى الفحم من زنجبار ولما وصلت استدعى سلطانها قبودانها ولما قابلها سأله السلطان عن سبب حضور جنود المصريين فأجاب بان حضورهم هو لاكتشاف تلك الجهات وأخبره بمسئلة الفحم فصرح له بمشترائه وأمره بسرعة القيام من الجزيرة وترك البلاد التي احتلها قبل أن يتفاهم الامر لانه سيعلم دولة انكثرت بما حدث لانه هو وبلاده تحت حمايتها ولما وصلت الى براوه أخذت تطلق المدافع والبنادق تهديد المحاصرين الذين فروا في الحال وعاد الامن الى ربوعه وأخبر السيد برغش سلطان زنجبار انكثروا جونا كركالس (Dot. John Kirkalors) قنصل جنرال بريطانية هناك بما كان فأرسل القنصل المذكور مدفعية انكليزية للوقوف على حقيقة الامر وتقابل قبودانها مع مكيلوب باشا فتجادت اسوية ثم عادت المدفعية الى زنجبار وأخبر القنصل حكومته رسميا بما كان وأرسل مكيلوب باشا من طرفه عبد الرزاق بك الى زنجبار فبعث خبرا بالتلغراف الى المعية السنية بمصر أعلمها فيه بما حصل وكان الخديو أرسل فديريكو باشا مفتش عموم وابورات البوسنة الخديوية يومئذ للتفتيش على النقط التي احتلتها هذه الحملة ولما عاد قال بان المواصلة بين النقط العسكرية هناك صعبة وكانت الاخبار جاروية بين الخديو ودولة انكثرة ولما لم يقو على معارضتها واثبات حقوقه سيما وان مصر كانت في حرب مع الحبشة أمر مكيلوب باشا بالعودة وهو ومن معه من العساكر وكان اللورد ريني أرسل الى الخديو كتابا شديد العبارة بان فعل مصر هذا يعتبر تعديا على بلاد تخمها برطانية (٢١٨٧٦)

المشاكل مع الحبشة - لما ألحقت الحكومة الخديوية بامسلا كها بلاد البوغوس وبركة والقضارف والوديان الشرقية التي تصب اليها مياه الجاسين على يد من نجر باشا محافظ مصوع كما سبق ارادت تعيين حدود تلك البلاد بينها وبين الحبشة وقصدت الاستيلاء على بعض مقاطعات الجاسين ليسهل على الخديو تنفيذ غرضه عند طريق حديدي بين مصوع والخرطوم على طريق كسله والتاكة فخر ذلك تجريدة جعلها تحت قيادة ارندروب بك (Arendrup) وكان على الياذة منها رستم بك

ناجي وعلى الطوبجية اسمعيل افندي راجي البكاشي ورافة هما من مصوع بعض ضباط أركان الحرب
 تحت رئاسة البكاشي دور هو اس ومعه الملازم أحمد افندي رفعت ولما وصلت الى بلدة سعد زجه
 الواقعة على طريق اسمره انضمت اليها أو رطه سودانية أتت من سنهيت وكان الطريق بين سعد زجه
 ومصوع تشغله جنود مصر به أخرى وفي ٢ اكتوبر من سنة ١٨٧٥ م صدر الامر بسفر
 بعض ضباط من أركان الحرب بينهم البكاشي دنسن الامير بكاني والبكاشي عمر افندي رشدي
 (بك ومدير المنية الآن) والملازمين حسين افندي رفقي وأحمد افندي شريف وأحمد افندي نظمي
 وسافر هؤلاء الضباط من السويس على باخرة سنار قبو دانية بر فواليجو بك المساوي ولما وصلت الى
 مصوع سافرت نوال الى سعد زجه من طريق أسمره ولما رأى نجاشي الحبشة تجول المصريين في بلاده
 لا إغارة أمر ولدا تكيل حاكم الجاسين بالرجوع الى دواريه وهي نقطة فيها جامع شيده العثمانيون
 كانت احتلها عساكر السلطان سليمان سنة ١٥٦٦ ثم سافرت العساكر المصرية من سعد زجه الى
 دواريه ثم الى بلدة جود وفلاسي وكان كلما تقدمت العساكر المصرية ينهقر الاحباش خديعة
 منهم ولما اجتمعت الجنود المصرية تقدم البكاشي دور هو لس بعفر زته الى سيجانيت للمحافظة على
 أهلها ومن فيها من قيسي اورو با ثم تقدمت فرقة جود وفلاسي تقصد عدوه بعد ان تركت بها
 بلو كين مع عمر افندي رشدي ثم نزلت ببلدة عدخاله وهناك انضم اليه بقية الجنود المصري وسارت
 أربعة بلو كات مع الصاغ عطا افندي الى جونديت وأرسل أرندروب بك مكتوباً بالعرابي الى ملك
 الحبشة يوحنا يطلب منه جعل خور الجاش وهو نهر المأرب حداً فاصلاً بين أملاك مصر والحبشة
 وأرسل المكتوب مع رجلين هما الشيخ حق الدين من أكابر مسلمي بلدة دواريه والنائب أحمد من
 أهالي مصوع وكانت له علاقات خصوصية مع ملك الحبشة فلما وصل اقيدهما الملك بالحديد
 وسجنهما ثم بلغ أرندروب ان الحبشة يستعدون للهجوم عليه من ثلاث جهات فصمم على أن
 يبدأ هو بالهجوم قبل مهاجمتهم له وقسم قوته الى قسمين تقدم هو بالقسم الاول منهم ما جعل القسم
 الآخر وقدره سبعة بلو كات تحت قيادة رستم بك ناجي ومعه البكاشي أحمد افندي فوزي وفرقة
 من الطوبجية عليها البكاشي اسمعيل افندي راجي وكان معهم أراكيل بك (Arakel)
 محافظ مصوع ولما وصل أرندروب الى جونديت أرسل يأمر رستم بك بالتقدم في الصباح للاتحاق
 به وترك بلو كين بنقطة عدخاله مع البكاشي دنسن والبكاشي عمر رشدي افندي وبعد ان سار رستم
 بك ثلاث ساعات ورد خبر الى عدخاله بأن قوتي رستم بك ناجي وأرندروب بك قتلنا الواحدة بعد
 الاخرى تماماً لان قوة الحبشة التي هاجتهم كان عددها نحو ٧٥٠٠ مقاتل يقودها الملك
 يوحنا بنفسه وبعده هذه المذبحة أقام ملك الحبشة بجونديت وأرسل فرقة لمحاصرة عدخاله ثم
 بعث كتاباً يدعوا حامية عدخاله المصرية الى التسليم (١) فجاوبه البكاشيان ونسن وعمر افندي رشدي
 بانهم أرسلوا كتاباً الى القائد العام ببلدة سعد قلاي وهما في انتظار الجواب وكان يقصد ان بذلك
 اطالة الزمن ليستمكننا من الانسحاب خفية الى قياخور فتم لهم ما ذلك والتحقا بحاميتهما الذين أصبح

(١) من المؤيد من الله يوحنا ملك الحبشة وما يليها الى ضباط العساكر المصرية بعد دخاله بعد السلام يقول
 مخاطباً لكم انكم تعدونتم على بلادنا واعلموا ان هذا لما لم يكن من أنفسكم فيقتضي تسليم السلاح وان شئتم الإقامة
 ببلادكم ذلك على الرحب والسعة والازدكم الى أوطانكم سالمين ما

عدددهم ٦٠٠ عسكري ولما تحقق ضباط مصر عدم امكان حفظ قياخور المذ كورة تركوها
وعادوا الى بعريزة التي كانت فيما سبق الحد الفاصل بين الحبشة ومصر أما دور هولس فانه لما بلغه
خير ملاشاة القوة المصرية ترجع من معه بكل سرعة الى مصوع مخبرا بما حصل وكان الخديوي في
أثناء ذلك أمر موزنجير باشا حاكم دار شرق السودان والبحر الاحمر بان يجرد على بلاد الحبشة
عسكريا آخر يذهب به من طريق تاجورة الى بلادشورا ومنها الى عندار فأخذ أربعة بلوكات
من البيادة وبطارية من الطوبجية وأبحر من مصوع في باخرة الزقازيق وقبودانها بالبكاشي
محمد أمين توفيق افندي ولما وصلت الباخرة المذ كورة الى تاجورة وأخرجت بها العساكر
أمرهم بالسير أما هو فانه خرج عند رأس جيلاجيفو القريب من جونة قبسة الخراب الواقعة على
بعد ١٥ ميلا غرب تاجورة (٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٥) وسار قاصدا بلدة أوسا الكائنة
بجوار بحيرة أسال وهناك تلاقى مع عسكريه وقابله ابن الشيخ محمد الحدة أمير تلك البلاد وكان يظهر
الموالاة للحكومة المصرية ويضمير السوء لوزنجير باشا لانه بعد أن قدم له كل ما يلزم من المؤن والهدايا
هجم ليلا بجنوده على العساكر المصرية فقتل أولا موزنجير باشا وزوجته شرقتة ثم أخذ يقبل
في العساكر التي دافعت عن نفسها دفاع الابطال ولما كانت قليلة بالنسبة للاعداد قتل منها عدد
كبير وتمكن من بقاء من الهرب والانسحاب الى تاجورة بعد ان لاقى من الصعوبات ما لا امر يدعيه
ومع ذلك فقد تمكن الضابط محمد افندي عزت بشجاعته وإقدامه من ارجاع الجنود بنظام ورسم
الطريق الذي عاد منه لامكان محاصرة المكان الذي حدثت فيه الواقعة المذ كورة عند الاقتضاء ولما
ذاعت اخبار هذه الهزيمة تعين عبد القادر حلي باشا لتحقيق أمرها وأسبابها فتوجه الى تاجورة
وزيلع وبعد ان درس حقايقها قدم تقريرا بما عمله ولما قرأه الخديون تأثر من ذلك تأثرا شديدا وعزم
على محاربة الاحباش

حرب الحبشة - لما حصل ما تقدم رأى الخديون أن أحسن الطرق لرشد شرف العسكرية
المصرية الذي أهانه الاحباش والانتقام منهم على ما فعلوه مع أموري مصر وجنودها هي سوق
الجند على الحبشة مع ان المصريين بين هم الذين تعودوا أولا على الاحباش بلا سبب شرعي نعم ان ملك الحبشة
كثيرا ما أساء الى المسلمين المقيمين ببلادوه وجرت عادة المسلمين التوسل بمصر من القديم لرفع الأذى عنهم
الآن ذلك كان يمكن حسمه بالطرق الودية أولى من حرب عادت على مصر بالوبال والاهوال وأفقدتها
كثيرا من جنودها ونخبه رجالها لانها حصلت بلاتدبر ولا معان ففكر ولا يظن القاري أن الحبشة
كانت في هذا الوقت كما كانت زمن ان حاربها الانجليز من جهة الروابط مشتتة الضوابط لافان
الاحباش بعد حرب الانجليز لهم كان انضم رؤسهم الى بعضهم واتحدوا ونوعا وذلك بساعي النجاشي
حنا كاسا ملكهم في ذلك الوقت ولكثرة معاركهم لعساكر مصر تجزوا وحصلوا على الكثير من
الاسلحة النارية الجيدة وغير ذلك هذا ولما صمم الخديوي على الحرب أمر نجله الامير حسين باشا وكان
وزيرا للجهادية والبحرية اذ ذلك بتجهيز الجيش فصدع بالامر وتعين محمد دراتب باشا سردار الجيش
قائدا عاما للجيش والحرب وجعل ضباط أركان الحرب من المصريين والامريكان الذين في خدمة مصر
وكفوا تحت رئاسة الجنرال لورنج باشا وكان فقد احدى يديه في حرب امر يقا ولذلك اشتهر بأبي ذراع
وكان من هؤلاء الضباط القامقام دولبايك والبكاشي ابراهيم افندي لطفي والبكاشي طورنايزن

والبكباشى عمر افندى رشدى ودورهولس واليوز باشى صورمانى والملازم عبدالرحمن افندى محمد ومحمد افندى عزمى وأحمد افندى رائف وجعل محمد بك رفعت رئيس قلم تركى ديوان الجهادية كاتبا خاصا وصيا للسردار ومحمد على باشا حكيم باشى القصر العيني رئيسا لالاستبانات الميدان هذا وكان الجيش الذى جهز لهذه الحملة يتر كب من ثلاثة لوات وقواده هم عثمان رفقى باشا وراشد راقم باشا واسماعيل كامل باشا ومعهم أيضا خمسة الايات اخرى سميت بالايات السفرية الاول بقوده عثمان بك غالب والثانى محمد بك جبر والثالث زكريا بك والرابع راشد كمال بك والخامس عثمان نجيب بك ويتبعهم أيضا اورطنان من الياذة على الاولى البكباشى على افندى رافت وعلى الثانية مصطفى افندى مأمون والى من السودانين عليه خورشيد بك عا كف وثلاث اورط من السوارى على الاولى البكباشى أحمد افندى عبدالغفار وعلى الثانية البكباشى مصطفى أعنا وعلى الثالثة البكباشى راشد افندى حلى وسبع بطاريات من الطوبجية تحت قيادة اسماعيل بك صبرى على أربع منها البكباشى أحمد افندى سعيد ومن بطارية ساروخ حربى عليها عباس افندى وهبى وبطارية واحدة من مدافع كروب للميدان عليها محمد افندى نجافى ومثلها للصغار من عيار ١٢ سانى وأرودة مهندسين عليها البكباشى على افندى السماع وفرقة للترز عليها القائم مقام مصطفى بك خلوصى وكان مركزها مصقوع والقائم مقام أحمد بك عربى والبكباشى على افندى الروبى وجعل على الحملة وكان مع هذا الجيش نحو ١٨٠٠٠ من الخيول والبغال والجمال وجعل المرحوم على غالب باشا أمورا لتسهيل سوق الجيوش بميناء السويس وأمر المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية بسوق كل السفن والبواخر الاميرية الموجودة بشجر الاسكندرية الى البحر الاحمر وجعل محمد كامل باشا قبودانا بالبحرة الغربية وقاد قاسم باشا المحروسه بنفسه وكنت من ضباطها وأخذت السفن تنقل الجيوش من السويس الى مصوع وبعدها ن أوصلت باخرة المحروسه اورطنين وبطارية من المدافع الى زيلع امدادا لرؤف باشا عادت لنقل الجيوش كبقية السفن الاخرى ثم سافر محمد راتب باشا السردار مع أركان حربى الى مصوع على باخرة الدهلية (٨ ذى القعدة ١٢٩٢ هـ) وكان صدر أمر الخديو بسفر ثلاث أنجاله الامير حسن باشا المرافقة الحملة تشجيعا للجنود وتدر بياله على خوض معامع الحروب (١١ الحجة سنة ١٢٩٢ - ٢٩ ديسمبر ١٨٧٥ م) وكان يصعبه الميرالاي يوسف شهدى بك (الفرىق ناظر الحربية السابق) وزهرا بك (وكيل الحربية الحالى) والبكباشى محمد افندى نسيم ويدر بك الحكيم وغيرهم من ضباط أركان الحرب ثم سافر من مصوع هو والسردار القائد العام وضباط أركان الحرب (١٦ الحجة) ومعهم العساكرين مشاة وخيالة وطوبجية بقصدون بلاد الحبشة مارين على جهات بانقص وبعرضه وعدرسه وقيا خور حتى وصلوا قرع فى ٣ محرم سنة ١٢٩٣ بعد أن تركوا بعض الجنود فى النقط المذكورة لحفظ خط المواصلات بين الجيش ومصوع وعسكر الجيش فى قرع المذكورة وأقام حوله الاستحكامات اللازمة وادخر الذخائر والمؤن اللازمة له وقد كان دخول العسكر المصرى بلاد الحبشة على ما كان عليه من القوة والاستعداد موجب المسارعة الكثيرين من الاحباش الى الدخول فى حماية الحكومة المصرية قد دخل لجر و عمدة عدخاله ومعه نحو ستين من جنوده ثم عمدة جود فلاسى ثم دجاج ولد نكبايل حاكم الجساسين مع جيشه البالغ عدده نحو الالفى تفرقنا على الجميع بالخلع المصرية

وقدم حاكم الجاسين المذكور للا ميرالمرحوم حسن باشا والسردار وبعض القوادجلة هدايا ثم قدم عدة من أعيان وأعلى جهات الكوكرزاي واكمه والجاسين وماجاورهما من القرى والبلاد لطلب الدخول تحت حماية الحكومة الخديوية فقبولوا بالاكرام وأنعم عليهم بالخلع ثم دخل حاكم بحماي ويدي شوم بحماي سبحتوا وأخبرين منهم واطصفاي ولدولد فراس وغيرهم وكانت الجواسيس توافي الجيش المصري كل يوم باخبار جيش الاحباش ومن ذلك اخبارهم ان النجاشي ينوي مهاجمة المصريين يوم الثلاثاء الذي اعتمد المحاربة فيه تيمنا به وتبركا بطالعه وقد كانت محاربتة لجيش ارنر وبك ورستم ناجي بك في اليوم المذكور واخبار السردار الخديوي بذلك فصدر منه الامر بتلغرافيا باتخاذ الطرق المؤدية الى منع وقوع المحاربة في اليوم المذكور وان كان هذا الاعتقاد فاسدا ثم عادت الجواسيس واخبرت بتحرك ملك الحبشة مع جيشه في يوم الثلاثاء الموافق ١١ صفر من سنة ١٢٩٣ وعلى ذلك استعدت العساكر المصرية واخرج السردار باشا بالجنرال لورنج الامريكاني رئيس اركان حربه سبع اوروب من الرجال وارطبتين من الخيالة وثلاث بطاريات من المدافع الجبلية واربع مدافع صغيرة وتسعة سوار يخ حربية الى ميدان القتال البعيد عن الاستحكامات بمسافة ٣٥٠٠ متر تقريبا جعلت القوة المذكورة خورا كان هناك خلفها وكان المصريون شديدا في قرع في اول الامر استحكما ثم تركوه وشيدوا آخر غير لانه اكثر من الاول موافقة وبقى في الاستحكام الجديد أي الثاني بعد خروج القوة المذكورة للقتال بطارية كروب وارطتان من البيادة وبطارية أخرى أما الاستحكام القديم أي الأول فكان خالي من الجنود فلم يكن به سوى الخيام والحراس وقصد العدو في اول الامر محاربة الفرقة التي بطارية قيا خور تحت قيادة عثمان رفق باشا ولمالم يجد منها حركة وانها في استحكام منيع وقادرة على اهلاكة المائتة ذوات عدل عن مهاجمتها وقصد قوة السردار واخذ في مهاجمتها وبعد معركة قصيرة شديدة اختل نظام الاورط المصرية لاحاطة الاحباش بهما سر يعامن الخلف من داخل الخور السابق ذكره ومن الجنبين والامام ولم تمكن سرعة الاحباش وجسارتهم السردار من تشكيل مربع يقاوم به هجومهم العنيف حتى يائيه المدد فانهم المصريون شرهزيمة تكونوا أسرا الاحباش كثيرا منهم وقتل في الواقعة راشدرافهم باشا ومحمد علي باشا الطيب ومحمد بك جبر وتسعة من ضباط الالوف وغيرهم من الضباط والعساكر واستولى الاحباش أيضا على ذخيرتهم وأسلحتهم ولم يتمكن المرحوم حسن باشا والسردار وأركان حربهم ماواخيالة وبعض الجنود المشاة من الوصول الى القلعة الجديدة الابعدان رأوا الهلاك عيانا ولما التجؤ اليها أغلقوا بابها وأمر والطوبجية باطلاق المقذوفات على الاحباش وكانوا يقتفون أثر الفارين وقد فتكت تلك المقذوفات بكثيرين الجنود المصريين الذين تخلصوا من الواقعة وكانوا يقصدون القلعة المذكورة للاتجاء اليها كغيرهم وفي يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٢٩٣ هـ عاود الملك الهجوم بجيشه بقصد الاستيلاء على القلعة المذكورة فارتد خائبا وروى من شاهد ذلك من أسرى المصريين ان الاحباش لما عاودوا من امام قلعة قرع الجديدة منهزمين كانت تلوح على وجوههم علامات الحزن واخذتساؤهم في البكاء والنحيب على ما فقدوه من الرجال في هذه الحروب وكانوا أضعاف قتلى المصريين لان المقذوفات والمهلكات النارية قتلت منهم عددا كبيرا وقد عاب رجال الحرب قائدهم هذه الحملة

ورموا بالخطا في حركة الميدان التي قام بها ومقابلته جيوش الحبشة العديدين بالكيفية التي فعلها
بقولهم ان تعبته كانت مخالفة بالمرّة ان الحرب حيث لم يعمل اكتشافات دقيقة ولم يرتب البلاغ
اللازمة للقوة الزاحفة بل تحرك كانه في ميدان غير ميدان الحرب وعبر خور كان عنك وجعله خلف
جنوده حتى صار الخور حائل دون خط رجعتهم الى القلعة وكان عليه لما رأى جيوش الحبشة أخذت
تتحرك يمينا وشمالا الاسراع بتسكيل قوته على هيئة مربع امارا تب باشا فقد تنصل من مسئوليته
هذه الهزيمة عند عودته لما مثل بين يدي الخديو وقال له ان سمعوكم أخذتم على المواثيق والايمان
بانتي في جميع حركاتي أستشير الجنرال لورنج الامريكاني وقدقت بما أمرتم فكانت النتيجة كما ترون
فلم يتكلم الخديو بشيء وقال الفاضل محمد درفعت بك في كتابه جبر الكسر في الخلاص من الاسر
وقد ظننت انه اذا حصلت هزيمة لعساكرنا المحاربة أدركهم عساكر الاحتياط بالمدد كما شاهدت ذلك
في محاربة كريدفا كون ما بين ذلك قد تمكنت من العود الى القلعة غير ان الامر كان بخلاف ذلك اذ
لم يكن لعساكرنا مدد ولا احتياط على حسب القواعد الحربية اه ولما انتشر خبر موقعة قرع وما
أصاب الجنود المصرية بها وقع الرعب واستولى الخوف على الاورط والبلوكات التي كانت بالطريق
والمعسكرة على الانفراد لحماية الطريق بين مصوع ومر كز الجيش وعارض بعض الضباط ليتخلصوا
من التقدم فلما علم السردار راتب باشا بذلك وان الخوف مشط لهمة العساكر قائل لاقدام الجنود
سيما في ميدان القتال أمر بالقبض على أولئك الضباط وكان منهم البكاشي صالح افندي سري
وحاكمهم وقتل بعضهم رميا بالرصاص وذكروا الفاضل محمد بك رفعت ان ملك الحبشة استدعاه وسأله
بواسطة الترجمان عن أسباب حضور الجيش المصري فقال له ان القصد هو تبادل التجارة بين الحبشة
والمصريين وأخذ يسرد الاسباب فأظهر البكاشي يوحنا رغبتة في الصلح وقال له هل عندك ختم
فتمكثب لنا جو ابايا الصلح فقلت نعم ولكن أخذه الا سرفأمر الملك حينئذ باحضار الختم وقد حصل
وكتب مسودة خطاب عن لسان الملك الى جناب البرنس حسن باشا بعكس مر غوب الملائك من جهة
كونه طلب تحريره عن اساني وذكرت فيه ما معناه

(انني كنت أود استمرار علاقات المودة بيني وبين والدكم الاغنيم ولكن حال دون ذلك تمويهات مستعجرات باشا يحافظ
مصوع وبنه الا كاذب حتى انبني على ذلك حضور ارندر وبك وبك وحضوركم وكان ما كان في وقتي جئتم وقرع
من هدر الدماء بين الفريقين وهذا أمر لا يرضى الله ولا الناس ولم يدر ما هو المقصد والمرام من حضوركم بالجنود الى
بلادنا فالاولى ان ترسلوا مندوبين عندكم أو ترسل مندوبين عندنا للفاوضة في شأن الامر الذي نحن فيه)

وبدء ختمه أخبرت الكاتب بأن من الاوفق أن يكون الخطاب مرسل من قبل الملك ومحتوما
بختمه اذ لا يجوز لي تحرير مثل هذا الكتاب بما في أسير واذا أراد الملك كتابة مني علاوة على ذلك فلا
مانع وأرمت الكاتب تفهيم الملائك كل ذلك وقد عرض في الحقيقة كلامي على الملك فاستحسنه
ووافق عليه ونقلت مسودة كتابي على قرطاس بخط كانهم بدون تغيير فيها ولا تبديل ولا محو ولا اثبات
ثم عرض على الملائك فختمه بختمه ومحل الختم عنده جبين القرطاس أما ختمه فمضوع من فضة وهو
كبير الامة ومنقوش فيه بالحبشية والعربية هذه العبارة وهي (يوحنا ملك ملوك الحبشة وما يليها)
وحررت مني كتابا تركي العبارة الى جناب السردار عما شاهدته من حال جيوش الحبشة من حيث
وفرتهما وكثرتها وما لاح من هذا القبيل مع الاختصار وختمته باسمه لتلقا نظره الى ضرورة حسم

هذه المشكلة بالحسنى اه وقد فتح هذا الخطاب باب المداولات في الصلح وعاد الملك الى غندار ثم تعين من قبل الجيش المصرى على افندى الروبى بكاشى السوارى ودارت المحاورات فى شأن الصلح بشرط ان الاحباش يدون الاسلحة المصرية التى وقعت فى يدهم وان تكون التجارة متبادلة بين الطرفين فامتنع ملك الحبشة عن رد الاسلحة قائلاً ان جنوده ليست منتظمة حتى يتسنى له ان يسترد منهم ما سلبوه وان ما يمكنه رده هو خمسمائة بنديقية على الاكثر وبعد ذلك بقليل تقرر الصلح وأذن الملك بعودة الاسرى (٢٧ ربيع الاول سنة ١٢٩٣) وتبادلت الهدايا بين الخديو وملك الحبشة وعاد البرنس والسردار وكثير من الجيوش الى مصر

غردون والسودان المصرى - وفى أثناء الحرب بين مصر والحبشة عينت الحكومة

جولة من ضباط أركان الحرب جعلتهم تحت رئاسة الميرالاي لوكت بك (Lockett) (١) وأرسلتهم الى مصوع لرسم خرائط تلك الجهات فرسموا خريطة عمومية للسلاسل الواقعة بين مصوع وبلاد الحبشة وكان ذلك من أهم وأفضل ما اشتغل به ضباط الجيش المصرى وكتب الجنرال استون عن هذا العمل رسالة علمية قرئت فى الجمعية الجغرافية المصرية وفى شهر فبراير من سنة ١٨٧٧ استدعى الخديو اسمعيل باشا الجنرال غوردون لخدمة الحكومة المصرية مرة ثانية فعلق الجنرال غوردون قبوله الخدمة على ان يكون حاكماً لعموم الاملاك المصرية بالسودان فأجيب طلبه وكانت العساكر المصرية بالاقطار السودانية المذكورة قليلة وبهض فواجهها خالية منها لان مصر لما ساعدت الدولة فى حروبهم مع السرب والروسيا أرسلت قسماً عظيماً من جنودها ماداد ابقى السودان قليل الجنود ولذلك انتشبت نيران الثورة فى جهات دارفور قال صاحب الرسالة الانجليزية المسماة السودان والمهدى ان الذى كان يحرض أهالى دارفور على شق عصا الطاعة على الحكومة هو الزبير رحبت باشا برسائله التى كان يرسلها الى حلفائه هناك حتى بلغ عدد الثائرين أكثر من عشرة آلاف ولم يكن عند غوردون باشا وقتئذ الا سرمدية صغيرة من العساكر المصرية وأقام فى الخرطوم شهراً أصح فيه دوائر الحكومة كما يحب ويشتهي ثم سافر الى دارفور على ناقه مسجماً به اسم سمانه من الاتراك الباشبورق وما وصل الى الفاشر دخل محملة العصاة وحده وترك أتباعه وحراسه على مسافة منها وكان الجوع فيها ثلاثة آلاف عبدة مسلمين تخاطب رؤساءهم وطلب منهم التسليم وهو يمزج الجد باللين وبذلك سلّموا اليه وأطاعوه وفى مقدمتهم سليمان بن الزبير فقتل غوردون باشا كما على بحر الغزال بأمر الحضرة الخديوية وقفل غوردون باشا راجعاً الى الخرطوم اه وروى ميسيد اليابك (Messedaglia) فى خطابه الذى بعثه بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٧ الى الجمعية الجغرافية الخديوية انه لما تعين الجنرال غوردون باشا حاكماً لاراعام على السودان والبحر الأحمر ومسديرات خط الاستواء (١٨٧٧) كانت تيران الفتنة مشتعلة بدارفور والذى قام بأمرها رجل يدعى محمد رون من قبيلة تدعى فيلاتا مطالباً بالملك وسمى نفسه بالسلطان محمد رون الرشيد الصادق السعيد المنصور بقوة الله المؤيد برسول الله وبعث من طرفه أناساً يحرقون أملاك

(١) وهم القانجام بلع بك والملازم أول مصطفى افندى رمزى (الآن قائمقام بالجيش) والملازم نوافى شقيق يوسف افندى ضيا وحسين افندى رمزى (الآن الاول ميرالاي والثانى قائمقام ياوران للعضرة الفخيمة الخديوية) والملازم اسمعيل افندى صبرى

الأهالى الخاضعين للحكومة المصرية وكان مدير دارفور وقتئذ محمد امام الخبيرى وكان غوردون باشا رقاها الى رتبة باشا وكان له ثلاثة اخوة فى وظائف الحكومة معه وهم جزية بك الخبيرى وكان مديرا للفاشر واجد بك النور الخبيرى مديرا على الغرب ومحمود امام بك الخبيرى رئيس مجلس مديرية الفاشر المحلى وفى مدة هؤلاء الحكام لم تنصلح أحوال تلك الجهات وقد منها الامن والنظام ولهذا عين غوردون باشا عليه احسن حلوى باشا بدلا عن محمد امام الخبيرى المذكور وجعل ضابطا جركسيما يدعى زكريا بك حلوى مديرا للفاشر ورئيسا لجموع الجيش بها وأمرهما بمحاربة هررون فلم ينجحوا فى أول الامر لأن هررون تمكن فى مدة قليلة من جمع عدة قبائل حول الفاشر وحاصرها واستولى فى ليلة مطر على كافة الابار التى حولها وفى أثناء ذلك صمم غوردون باشا على السفر الى دارفور بنفسه فوصل الى الفاشر فى ١٦ يونيو وكان معه حرس عدده ٣٥ نفرا ووجد القلعة محاصرة فدخلها على حين غفلة حتى بهت من كان فيها لما شاهدوه بينهم وفى الحال تغيرت الاحوال وانسحب الثوار الى الجبل فسير عليهم غوردون حلوتين احدهما تحت قيادة زكريا بك المتقدم والاخرى تحت قيادة احسن حلوى باشا فلم يفلحوا فى اخضاع الثوار ثم أذن احسن حلوى باشا باجازه طوبلة يقضيها بمصر وعين مكانه رجليا يدعى فردريك روسى (Frédéric Rosset) وكان تاجرا فى الخرطوم ووكيلا لقنصل المانيا بها وكان غوردون بعث من الخرطوم رومولى جيسى (R. Gessi) التليانى على رأس جيش صغير الى بحر الغزال وبعد ثلاثة أيام من وصول جيسى الى الفاشر اتفق موت فردريك روسى المذكور فجاءه ثم سكنت قنصته هررون وعاد الامن الى ربوعه وفى ٢٢ ديسمبر من سنة ١٨٧٨ عين غوردون باشا ميسيد اليابك مديرا لداره وقومندانا للجيش بها وكان يصحبه رجل يسمى شارل ريجولى (Charles Rigolet) تعين وكيلا لمديرية شاكا ولما وصل ميسيد اليابك الى داره وجد أهاليها على طاعة الحكومة الخديوية وانما تغيبهم من معاملته جنود الباشوزوق ومأمورى التحصيل والمشايع لهم ولكي يقف على حقيقة أمرهم وطلباتهم أظهر لهم فى أول الامر انه سائح ثم علم انهم جميعا يشتكون من هررون وأعماله فاجتهد فى طرده وابعاد الباشوزوق وفى تلك الاثناء ظهر سلطان آخر بكر دقان يدعى محمد صباحى وحاول اخضاعها فقصده غوردون باشا بنفسه وأمر ميسيد اليابك أن يسافر مع القوة العسكرية التى معه لمساعدة جيسى فى بحر الغزال فسافر من بارا ولما وصل وجد جيسى باشا تمكن من قهر سليمان بن الزبير فأمره غوردون باشا بالعودة الى دارفور فعاد الى داره فى أو اواخر اربيل وكان غوردون باشا قد تمكن أيضا من قهر الصباحى وأسرته ثم ألغى مديريةه شاكا وبعث جن معه من الجنود الى داره ثم غيروا بدلى فى المأمورين فجعل (٨ مايو سنة ١٨٧٩) شارل ريجولى المتقدم المذكور مديرا لداره وسعيد بك مديرا للفاشر ونوريك عنقر مديرا لكلكل وأمر اميليانى (Emiliani) مأمور مركز الكولى بالتوجه الى دارفور ثم بعد ذلك بتقليل عين سلاتين بك مديرا لداره بدلا من محمد بك خالد المشهور بزقل اه بتصرف وقال حضرة محمود افندى طلعت فى كتابه غرائب الزمان فى فتح السودان ما ملخصه انه فى أو اواخر شعبان من سنة ١٢٩٥ (أغسطس ١٨٧٧ م) حضر محمد باشا امام الخبيرى (وهو من أعيان السودان الذين أنعم عليهم غوردون باشا بالرتب ورفاههم الى أعلى المناصب) وكان مديرا لمعوم غرب دارفور الى كردفان وزل ضيفا على من يقال له الياس باشا سرتجار كردفان وتكلم بمجلس كان به بعض أعيان تجار تلك الناحية وكان بينهم أحمد التمهدى فقال الخبيرى ان الدولة

الانكليزية لما رأت ظلم الترك بالسودان أرسلت من طرفها غوردون باشا بصفته حاكم مدارا للسودان في الظاهر ولكن في الحقيقة لاجل أن يريح أهالي السودان من الترك وظلمهم وقد ابتدأ باخلاء دارفور منهم (مراده بالترك هنا كل مصري سواء كان تركيا أو مصر يا أو عربيا) ثم قال لهم وسيتبع ذلك في عموم السودان فكونوا متيقظين فها قد ترك عموم دارفور قائمة على قدم وساق تحارب من بقي منهم فلما سمعوا ذلك قابلوا قوله بالاستحسان واتفق ان الثورة حصلت على يد محمد أحمد المتمهدى فساعدته من كان موجودا بذلك المجلس عن طيب خاطر حتى قويت شوكته وادعى المهديوية وكان من أمره ما سأتى ذكره في محله اه وذكرا الفاضل محمد محسن بك الكاتب الثاني للمندوب العالي السلطاني بعصر في كتابه دليل افر بقيقة ما ترجمته ان الخديو اسمعيل باشا لما دعا غوردون باشا للخدمة ثانيا في الحكومة المصرية سنة ١٨٧٧ م نصبه حاكما راعا على ادارة عموم السودان وبتوابعها فعاد الى الخرطوم ولكنه لم يسر في ادارتها كما كان يفعل أولا فلم يشخ ويضم أو غنمته والجهات الغربية للحكومة الخديوية بل ابتدأ في هذه المرة بتضييق الادارة المصرية التي كان وسع نطاقها في المرة الاولى فترك بلاد هرر وتخلي عن إقليم أونيوهر وترك محطات أورندوجاني وأمروني وما سندی وكورنته وفاويزه واعتبر الحدود المصرية العثمانية جنوبا وسواحل نهر سومرست وقسم الاقطار الاستوائية الى قسمين اه ومما يستدل به على انية غوردون لم تكن في الصفاء مثلها في المرة الاولى مارواه صاحب السودان المصري والانكليز بعد ان ذكر مدارس الخرطوم الاميرية والاهلية ومما سعى غوردون في اغناء مصالح دولته هناك من انه أصدر أمر بالغاء المدارس الاميرية بدعوى انها تكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة لا وجوب لها وقال أيضا انه حاول اقفال مدارس الاهالي ومدارس الكاثوليك ولكنه لم يفلح وأمر أيضا بافطال ارسال الطلبة الناجحين بمدارس الحكومة بالخرطوم الى مصر بعد ان عزل جميع الموظفين منهم اه وقال غيره انه بعد ان أقام غوردون باشا في الخرطوم أياما مسافرا الى بربر ودفنقه وهناك بلغه ان الحبشة سيهاجون سنارفعا الى الخرطوم مسرعان فاضح له كذب الاشاعة ثم ذهب الى بوغوس ليصلح بين الاهالي ولما عاد الى الخرطوم أتاه أمر تلغرافى بحضوره الى مصر للداولة معه في أمر مالية السودان فسافر في الحال وبقي في القاهرة شهرا ثم عاد الى الخرطوم من طريق سواكن وبربر ولما تحقق عدم استطاعته الانفراد بادارة السودان كله لان بلاده بعيدة المدى شاسعة الاطراف وان وجوده في كل مكان منها أمر شاق جدا قسم المديران الاستوائية الى قسمين سمي الاول منهم مديريه بنحط الاستواء وجعل مركزها بلدة لادو وعهد بادارتها الى أمين باشا (الكتور شينتر) وجعل الموسيوجسى (Jessi) التلياني الجنس مديرا على القسم الثاني الذي سماه مديريه ببحر الغزال وتمكن جيسى المذكور من اكتشاف جميع الاراضى الكائنة في انحاء مديريته وأحسن معاملته الاهالي وعوّددهم على الاعمال العسكرية وساعدهم على مداير الكب وانشاء السفائن للاتجار فحال أمره الجلابين لان ذلك مذهب لنفوذهم مضيع لمكاسبهم وأرادوا أن ينزعوا سطوته ثم تجمعوا تحت رياسة سليمان بن الزبير لمقاتلته فكان هذا هو الداعى لقيام سليمان ومجاهرته بشق عصا طاعة الحكومة وقال سلاتين باشا في كتابه النار والسيف في السودان ان الزبير باشا كان عين ابنه سليمان نائبا عنه في جهات بحر الغزال فلما رأى ان الحكومة المصرية أبقت اباه في القاهرة اغتاط

وجمع أربعة آلاف من رجاله ونحيم بهم امام داره وعزم على مناوأة الحكومة وأشار عليه رجاله ان
 يقبض على غوردون باشا ويستقل به اباه ثم يستقل في البلاد وكان غوردون على أربع ساعات
 من داره اه ووجه عليه غوردون بعض الجنود تحت قيادة جنسى المذكور فتقاتلا قتالا شديدا
 ثم انتصر عليه وقتله ووجدوا معه رسائل عديدة من الزبير باشا والده تدل على مداخلته معه واشتراكه
 في تلك الثورة قال صاحب كتاب غوردون والمهدى في السودان وبسبب ذلك حكم على الزبير باشا
 بالاعدام ولكن عقا الخديوي عنه وأبقى مرتبانه تجرى عليه من الحكومة المصرية وقال محمود افندي
 طلعت في صحيفة ١٠٠ من كتابه غرائب الزمان في فتح السودان ما ملخصه لما عصى سليمان بن
 الزبير باشا على الحكومة وصارت ترسل اليه الجيوش وهو يكسرها ويبدد شملها وأخيرا أرسلت اليه
 جيشا تحت قيادة القاظم مصطفى بك عبد الله فقواته سليمان وشنت شمل جيشه واستولى على كثير
 من الاسلحة والجنبة خانات والمهمات ولما عيا الحكومة أمره أرسل غوردون للخديوي تلغرافا وقال
 ان الخديوي لما ورد اليه هذا التلغراف أمر الزبير باشا ان يكتب كتابا لوالده بأن يقدم الطاعة للحكومة
 ولما وصل هذا المكتوب لغوردون وأوصله لسليمان التزم بأن يمثل أمر والده ويقدم الطاعة للحكومة
 فجمع رؤس عساكره ومن ضمنهم راج وألزمهم بتقديم الطاعة فأجابوا جميعا الراج المذكور
 فانه تخلف وسار سليمان ومن رافقه حتى وصلوا مر كز المديرية وبو بوصولهم قبض عليهم جميعا بما
 فيهم سليمان ولد الزبير وقتلوهم صلبا ونهبت أموالهم وأمتعتهم وأسلمتهم وبقى راج يحارب مجنونه
 الى ظهور المهدى وانتهى أمر راج بأن ملأ مملكة برنو وهومة سيم فيها لان الى ان قال ولما قتل
 سليمان بن الزبير ومن معه قال الحكمدار بأن هذا الامر ورد من خديوي مصر بالاعدام وهذا
 جميعه ناشئ من أعمال الحكمدار الذي يريد جعل النفرة عامة بين سكان السودان عموما والحكومة
 المصرية مع استمالة الاوين بجانبه ولو بار تكاب أفطع الاعمال اه وروى سلاتين باشا في كتابه
 النار والسيوف في السودان رواية أخرى عن قتل سليمان المذكور ولما كانت تخالف ما ذكرناه
 أدرجناهما التمام النائمة قال لما كان غوردون على أربع ساعات من بلدة داره النازل فيه سليمان
 ورجاله تقدم مع رجلين من رجاله وأسرع اليها ومر بين جنود سليمان فجأة وكانوا مصطفين ثلاث
 صفوف وجعل يحيمهم عينا ويساروا ودخل الحصن بغتة فاطلقت المدافع ترحيبا به قبل ان ينتبه
 الضباط الى ما عولوا عليه ثم أرسل واستدعى قواد ذلك الجيش فجاءه نور عنقره وسعيد حسين وتبعهما
 سليمان بن الزبير فموا التحية المعتادة وأمر لهم بالسكائر والقهوة وسألهم عن أحوالهم ووعدهم خيرا
 ثم صرفهم وأبقى سليمان عنده فأخبره بما بلغه عنه ونهجه ان لا يصغي الى مشيرى السوء الذين يسوقون
 له الخروج على الحكومة وحذره عواقب ذلك وبعد حديث طويل سماحه عما فرط منه وسمح له
 بالرجوع الى رجاله ثم استدعى سعيد حسين وسأله عما يراه من أمر سليمان فقال له انه غير راض ولا يزال
 عازما على مناوأة الحكومة فعينه مسديرا على شكا وأمره ان يذهب اليها لاجل ابن يشاء من الرجال
 ثم استدعى نور عنقره وسأله عما يراه من أمر سليمان فقال انه يحاط برجال فاسدى الرأى فلا يصغى
 الى مشورة الصادقين فعينه مديرا في غربى دارفور وأطلقه لينذهب اليهما حالما ين يشاء من
 الرجال وبلغ سليمان ان رئيسى جيشه أطاعا الحكومة وعيناه مديرين فعنفها على ذلك
 وذكرهما بما ناله من فضل أبيه فقال له لولا انانا مال أبوك شيئا مما ناله من الاسم والمترلة وافترقا عنه

على هذه الصورة من الجفاء فنجح غردون في تفريق شمل سليمان ثم أرسل اليه ثانية وأبان له خطر الحالة التي هو فيها وحثه على الخضوع للحكومة ووعدته خيرا وأمره ان يذهب الى شكابرجاله وينتظره فيها كما تمثل وذهب اليها وجاءها غوردون بعد ذلك ولما رأه خالد الى السكنينة عينه مديرا على مديرية بحر الغزال وأعطاه لقب بك ففرح بهذا اللقب وعاد الى بلاده ولما وصل سليمان الى بحر الغزال نشر في البلاد انه عين مديرا لها وأرسل يستدعي اليه ادريس بك الابتر وكان الزبير قد عينه وكيللا عنه في بحر الغزال وهو دتقلاوي فأشار عليه أصحابه ان لا يلبى دعوة سليمان ثم خاف العاقبة فهرب الى الخرطوم ووشى بسليمان وقومه وصدقت وشايته فعين ادريس هذا مديرا لبحر الغزال بدل من سليمان بن الزبير وأرسل اليها بالجنود فنارت الحرب بينهما ودارت الدائرة على سليمان أخيرا ووشى به أعداؤه الدناقله وأوغر واصدر جسي باشا قائد الحملة عليه وأقنعه انه لا يزال عاملا على الثورة فأمر بقتله وكان عبده راج قد قدر له ذلك ونهاه عن التسليم وحضه على الابتعاد عن الحكومة والايغال في البلاد بسلام يدل على شدة دهائه وحسن نظره في العواقب قال انك ناوت الحكومة بعد ان حذرتك العواقب فلا تتوقع منها عفوا اذا صرت في قبضتها اما ان افسدوني الانفصال عنكم بعد ان شاركتكم في السراء والضراء هذه السنين الطوال ولكنني لأسلم نفسي لجسي وان كان أوربيا لان الدناقلة محيطون به وهو مطواع لهم ثم ذكرهم بالعداوة القديمة بين الجعليين والدناقلة وأشار عليهم بالذهاب غربا وفتح بلدان جديدة أو برفع شكواهم الى الحضرة الخديوية والى غوردون باشا وطلب العفو منهم وقال انهم ان لم يقبلوا رأيه الاول ولا الثاني اضطر الى الانفصال عنهم رغم اعانه فانفصل وجرى لهم بعده ما جرى اه وقد كان المرحوم اسمعيل باشا كثيرا ما يأمر عمال ادارة السودان بالاصلاح ولذلك فانهم يبذلون اقامه الابنية الجسيمة بكثير من مديرياتها وصنعوا المعامل والمخازن والمدارس سيما في مديرية الخرطوم فكانت بها مدرسة عظيمة نبغ منها كثير من الاهلين وعدة معامل وفوريات ارتقت بها الصنائع في تلك الجهات ومصانع لاصلاح الاسلحة والادوات الحربية وعمل البار ودوتت فيها معدات النقل ببحر البواخر العشر النيلية التي بعثها اليها قبل ذلك ومن هذه الاصلاحات اصدار امره الى الجنرال غردون سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) بانشاء دار صناعة نيلية فاهتم هذا بذلك كثيرا وجاءت من أحسن المباني ثم بنيت فيها المعامل والورش المختلفة وبلغ عدد العمال بها ٤٥٠ نفر اختلف الكتاب والملاحين والقيودانات وأمر فشيدها وبها تمان بواخر وبذلك أصبح عدد البواخر ١٦ باخرة اختلف الصنادل والقياسات والسفائن وكانت لاتنقص عن ٣٠٠ مر كبا كبيرا يحمل ١٥٠٠ اردب وأصغرها يحمل ٥٠٠ اردب وعين مصطفى باشا الطوسيه الى أحد رجال البحرية ناظرا لها (١) وما زال غوردون باشا هو والى

(١) أصل هذا الاميرال من طوسيه بولاية قسطنطيني بالاناضول أحقته والده بعد ان الحكومة تم نقل الى المدرسة البحرية التي كانت بعلبيون عكارة ٦ فتعلم علومها ثم رقى ضابطا في سفن الدونوما ولما بالرتبة اليوزباشي جعل يوراجية الامير محمد سعيد باشا منته كان سرعكرا على الدونوما ثم التحق بفرقاطة الشريفة سوارية حافظ خليل بك عند ما أرسلت الى لندن لترتيب الآنها البصارية ولما عادت عين قيودا لوالها بورغرة ١١ بالنيل والافرنق محمد سعيد باشا رقى الى رتبة صاعقون اغامى (١٢٧٠ هـ) وجعل معاونا لولا بظارة البحرية وبعد ثلاثة شهور رقى الى رتبة بكباشي وعين في الخدمات الملكية ثم سنة ١٢٧٧ أحيل على المعاش وفي سنة ١٢٧٩ اعيد الى الخدمة في أول

السودان يواظب على عمل الاكتشافات الجغرافية كمرغوب الخديو ومن ذلك انه أرسل الكولونيل ميسن (Mason) (١٨٧٧ م) لرسم بحيرة البرت نيازافر سمها وطبعت في مكتبة أركان حرب ثم التفت الى انفاذ مشروعات من مقتضاها ترتيب سير السفن في النيل والواهورات في البرحق لان تكون شلالات السودان عقبية في طريق الملاحة والأسفار وليسهل قطع دابر الخناسة والريق الذي لبث غوردون يراقبه ويوقع بتجاره حتى فخر أهالي السودان لضياع أرباحهم من تلك التجارة الراجحة وأصبحوا يبغضون مأموري الحكومة ويكرهونهم كراهة شديدة قال من له اطلاع باحوال تلك البلاد انه مع ماصر فة غردون من الاجتهاد لاستتباب السلم والامان لا تنظام أحوال البلاد فانه لم يصل الى ما يرغب بالتمام بل كانت الاعمال الظاهرة تخالف ما تكن البواطن في ذلك وقال جبرائيل بك حداد في صحيفة ١٦ من تاريخ الحرب السودانية ان سياسة غوردون في السودان لا تخلو من محل للانتقاد والملام ولا يسع المتصف أن يشكر أنها آلت من قبيل منع الخناسة الى ابتعاد قلوب الاهالي عن الحكومة المصرية ونفورهم منها ووجدتهم عليها اه ولما كان شهر يوليو من سنة ١٨٧٩ م حضر غوردون الى مصر وكان المرحوم بوقيق باشا ارتقى على الاريكة الخديوية فامر غوردون بالسفر الى الحبشة لتسوية مسألة الفرضة التي كان النجاشي يطالب مصر بها فسوى الخلاف تسوية مؤقتة وبعد عودته قدم استعفاء منها وذهب الى بلاد الانكليز

الاكتشافات التي صنعها الضباط المصريون في العهد المذكور - لما تم فتح دارفور (١٨٧٤ م) أصدر الخديو أمرا الى الجنرال استون رئيس عموم أركان الحرب بتجهيز رسالة عظيمة لاكتشاف أراضيها وأراضي كردفان فعين الجنرال المذكور فرقتين من الضباط جعل الاولى تحت رئاسة الكولونيل كولستون (Colston) ومعه الصاغ أجدانفندي حمدي والملازمين عمر افندي رشدي (عمر بك مدير المنيا الآن) ومحمد افندي ماهر (ماهر باشا محافظ مصر الآن) ويوسف افندي حلي وخليل افندي فوزي والدكتور بقوند (Pfund) العالم الطبيعي وسافرت من القاهرة في ديسمبر سنة ١٨٧٤ على النيل فوصلت الابيض في ١٢ يونيه من سنة ١٨٧٥ وفي الطريق مرض الكولونيل كولستون مرضا شديدا فقاد الحملة الماجور بروت (Prout) ورقى الى رتبة كولونيل وبقيت هذه الفرقة في الاكتشافات ورسم الخرائط مستدة ثلاث سنوات فرسمت خريطة كردفان بالتفصيل وخريطة جبل مره بدارفور والطرق الواصلة اليها وخريطة لجهات مكركة ونيام نيام وملحقاتها ووجهات خط الاستواء ثم تعين الملازم محمد ماهر

حكم اسمعيل باشا وعين مديرا لقلم قضايا الترسانة بولاق والقوريات والعمليات في سنة ١٢٨٠ رقى لرتبة قائمقام وعين وكيلا للبحرية ثم في سنة ١٢٨١ رقى لرتبة ميرالاي وجعل ناظرا لضم ان الدائرة السنوية أي مصلحة الواهورات والمراكب التابعة لها وفي سنة ١٢٨٢ عين ناظرا للانجرارية بدلا من محمد مهدي بك ثم في سنة ١٢٨٤ عين مفتشا لعموم واهورات القومانية العززية وخلفه في الانجرارية ابراهيم بك حرس ثم عين وكيلا للقومانية المذكورة ثم نقل ثانية لانتظار الانجرارية ثم أمورا لعمارات فوريات أرمنت والطاعة وخلفه في انتظار الانجرارية شعبان بك ثم نقل على فوريات مطاي وبقرقاص وفي سنة ١٢٨٩ عين مديرا لاسنا وفي سنة ١٢٩٠ عين محافظا للسياط ثم مفتشا للمالية ثم أمورا لعمارات الروضة وفي سنة ١٨٧٥ عين محافظا لسواكن وفي سنة ١٨٧٦ جعل مديرا للتاكة وفي سنة ١٨٧٧ عين ناظرا لدارصناعة الخرطوم وفيها رقى الى رتبة اللواء وفي سنة ١٨٧٩ أحيل على المعاش وبقى قليلا ثم توفي

افندى مديرا لبورواللايوكة بحظ الاستواء واستمر فيها الى سنة ١٨٧٨ ثم الحق باركان حرب الجيش وكانت هذه الفرقة امرت بان تنضم الى الفرقة الثانية التي قامت معها من القاهرة في يوم واحد تحت رياسة الميرالاي بوردي (Purdy) التي امرت بالتجول ببلاد ارفور وكان يرافق الميرالاي المذكور القائم مقام ميسن (Mason) والملازمين محمود افندى صبرى (محمود صبرى باشا مدير المتوفية الآن) ومحمد افندى ساهى وسعيد افندى نصر وخليل افندى حلمى والدكتور محمد افندى أمين واثنى عشر نفرا بين صف ضباط وعساكر وتقدمت من نقله جنوبا حتى وصلت الى تندلى أى الفاسر ولها من الاعمال شئ كثير ولكن لم يظهر منها سوى خلاصة وجيزة نشرها ميسن بك وفي سنة ١٨٧٥ أرسل الخديو الموسى وميشل (Mitchell) الاميريكاني مع الموسى اميليانى (Emiliany) التلياني لاكتشاف المعادن التي بجهات الحمامات الكائناتين مدينتى قنا والقصير وفي سنة ١٨٧٧ م بعث الخديو المستر برتون (Burton) لاكتشاف المعادن التي بعدين فى خليج العقبية وقد رافق برتن فى سفرته الثانية كل من الموسى ومارى (Marie) المهندس والرسام لكاز (Lacaze) فجمع برتن مجموعة عظيمة تختص بعلم الآثار القديمة وارفقه بالمجملة تصور ونقوش وأرسل غير ذلك من الرجال الى جهات أخرى فافادت أعمالهم هذه علماء الجغرافيا الآن مصر التي صرفت عليهم الاموال الطائلة لم تستفد من أعمالهم ما يقوم برد تلك المصاريف

الاقيازات الخديوية واميل اسمعيل باشا السياسية والمعاهدات التي عقدت مع الدول - لما زار السلطان عبد العزيز مصر فى أول تولية اسمعيل باشا (١٢٧٩) ورأى هذا من موله ميلا الى جهته وورغبة فى ترقى شأن مصر سخط له فكرة الحصول على امتيازات يعطونها على من سبقه من ولاه مصر ويقرب بهامن الاستقلال التام ويحصر ملك مصر فى ذريته من بعده وقد نجح فى كل ذلك كما سأتى وأكبر شئ ساعده على فوال قصده ما بذله من النقود الوافرة وقدمه من الخف والطرائف النفيسة لرجال الدولة وأصحاب الحل والعقد بأوروبا وقد كانت الامتيازات المذكورة سببا لزيادة نفوذ الاجانب بمصر ومنافعهم بقدر ما عادت على الدولة صاحبة السيادة بالخسارة وضعف النفوذ لاذن ذلك خرجت مصر من قبضتها خروجا لا ترجوز والالا كما يرجو العليل الذى أشرف على الموت عود الصحة اليه وكان من هذه الامتيازات الفرمان الذى صدر فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨١ باضافة جهات مصوع وسواكن والتاكة الى حكومة مصر فى نظير مبلغ سبعة آلاف وخمسمائة كيسه تدفع سنويا الى الدولة العثمانية وقد كان الخديو يسمي أيضا كثيرا فى جعل الامبراطور نابوليون الثالث راضيا عنه ليساعده على ما يتبعى من الامتيازات وكان يوسط فى ذلك أحد قوادنا نابوليون المدعوفلورى (Fleury) وكان مديرا لاصطبلاته ولذلك كانت الصلات متواردة من الخديو الى الجنرال المذكور بلا انقطاع ولما حدثت مسألة الخلاف بين مصر وشركة فتح ترعة السويس رأى الخديو أن يجعل نابوليون حكما بينه وبين الشركة فظان انه ينصف حكومة مصر فخاب ظنه كما سبق ومن الطرق التي استعملها الخديو لنوال قصده أيضا انه زاد من تلقاء نفسه مقدار الخراج الذى تدفعه مصر سنويا وفى تلك المدة كان مساعدا للخديو الذين غمهم بانعاماته يسعون له فى الاستانة وأوربا لينال قصده وقد نجحوا فى المهم من ذلك حيث صدر له فرمان فى ١٢

محرم سنة ١٢٨٣ بمصر حكومة مصر في ذريته بعد ان كانت تقلد لا كبر اولاد محمد علي باشا
 و آخر في ١٢ صفر سنة ١٢٨٣ بخصوص توارث الحكومة الخديوية (١) فتقدم لهذا الامر
 الامير عبد الحليم باشا ابن محمد علي الكبير ومصطفى فاضل باشا اخوا الخديو و وقعت المناقشة بين الكل
 و ذهب عبد الحليم باشا و فاضل باشا الى استامبول للاحتجاج على ضياع حقوقهما الثابتة فلم يقبلها
 واشترى الخديو جميع املاكهما الموجودة في مصر ليمنع بذلك علاقتهم من التطور و سافرت عائلتهما
 الى دار الخلافة لتأتون بهما ثم ان مصطفى فاضل باشا اجتمع عن فر من شبان العثمانيين الى اور بالمسلم
 ينجح في مطالبه و اخذ يطعن في سياسة الحكومة العثمانية وفي أعمال علي باشا و فواد باشا و كانا السبب
 في حرمانه من حقوقه المصرية و كان هو و حزبه يطبعون في لوندرة و باريس نشر ياتهم ضد الدولة ثم ان
 مصطفى باشا عاد الى القسطنطينية و جعل من أعضاء المجالس العالية (١٥ ربيع الآخر سنة
 ١٢٨٦) بعد ان عفا السلطان عنه ثم جعل وزير اللعدلية فصار بذلك من الوكلاء و في تلك الاثناء كان
 المرحوم اسمعيل باشا سعي جهده في نوال لقب أسمى من لقبه الذي كان لا يتعدى اذ ذلك غير و الى
 مصر اذا لبد له بما ناله من الامتياز من عنوان أرقى يعرف به مشعرا بالاستقلال و السلطان و مما اطلق
 يد المرحوم اسمعيل باشا في حكومة مصر تماما القرمان الذي سعي جهده في نواله و هو الصادر له في ٥

(١) و هذه صورته بعد الدباجة أما بعد فانه لاجل كل تأمين لتوارث ولاية مصر الجديد الذي تعينت أصوله بقرمان
 آخر من هذه المرة يلزم أن تكون كيفية تشكيل الوصاية اللازمة لادارة أمور الولاية متى انحلت و كان الولد الوارث صغيرا
 و صبياعا الى الوجهة الآتية و هو انه اذا انحلت الولاية و كان الوارث الذي هو أكبر الاولاد المذكور غير بالغ من الثماني
 عشر سنة فلا يجوز اخرا صيدا فرمان احالة الولاية له انما اذا كان حين بلوغه من الثمانية عشر اقله الوالي السالف من
 طرفه لاجل ادارة أمور الولاية و صبياعا و رتب له كيفية وصاية و حررت مضمونة و وصيته منه و من اثنين من الامراء
 المصرية المستخدمين شهادة و ظهر اجراءها فذلك الوصي و أعضاء الوصاية يباشر و ن ادارة أمور الولاية
 و يعرضون لما ناله الى بيان الكيفية ليحصل الايقاع والتصديق على ذلك بقرمان عال من طرف و لى العلية و لى اذا
 انحلت الولاية و كان الوالي ما أقام هكذا وصيا و لا رتب أعضاء الوصاية فيقتضى اذ تركيب أعضاء الوصاية من
 الدوات الموجودة في الأمور التي هي الداخلية و الجهادية و المالية و الخارجية و مجلس الاحكام المصرية
 و سر داية العساكر المصرية و تقتضى الاقاليم و حالا يتخون منهم و صبياعا الى الوجهة الآتية و هو على أن الدوات
 الموجودة في الأمور التي المذكورة يتداولون متداكرا في فيما بينهم بانتخاب الوصي فالى متى منهم وقع عليه الانتخاب
 باتفاق الجميع أو بانفاق أكثر الأراء يقام وصيا لکن اذا كان نصف الأمور من المارد كرههم يريد انوا النصف
 الآخر يد غير خفيته يقيم من الاثنين المختلف عليهم و صيا من كانت مأمور به أهم بمقدمة على مأمورية
 الآخذ كراف ترتيب الأمور التي المتبدلها من الداخلية كذا كرا نقا و حالا الوصي مع الدوات الباقين أعضاء
 الوصاية يباشر و ن ادارة أمور الولاية و يعرضون عن ترتيب الوصي و تركيب أعضاء الوصاية بمضبطة الطرف ساطنقى
 السنية لکن بصير التصديق بقرمانى الشر يفتم ان الوصي و أعضاء الوصاية المترين من طرف الوالي قبل الطبع
 لا يجوز تبدلهم ولا تغييرهم قبل ختام مدة الوصاية كما أنه لا يجوز في مدة الوصاية تبدل و تغيير الوصي المنتخب ولا
 الاعضاء انما اذا فرغ أحد منهم تلك المدة بقا بقا و انتخاب الباقين ترتيب غيره و اخدامن الأمور من المصرية و ان توفي
 أيضا تلك المدة الوصي الموجود على الوجه المجرر ينتخب واحد غير من أعضاء الوصاية و عوضا عن ذلك العضو
 يصير أيضا انتخاب واحد من الأمور من المصرية و يرضم الى الاعضاء و الوارث الصبي المذكور بعد بلوغه من
 الثمانية عشر يكون قد صار رشيدا و فعلا مختارا فيباشر حيث تد نفسه ادارة أمور الولاية كسلفة و على هذا صابر
 القرار و صدرت أيضا اذنى الموكية في هذا الخصوص سنة ثلاث و ثمانين و مائتين و ألف اه منقول بحروفه
 من محتبات الطوائف بحقيقة ٩٣ خريف

صفر سنة ١٢٨٤ ومضمونه أن يكون الخديو مصر جميع الادارة الداخلية فيكون له النظر في امر
اصلاحها بما يوافق حاله بلا تقييد براجعة الدولة الا في احوال مخصوصة ثم صدر له فرمان في ٥
ربيع أول سنة ١٢٨٤ (٨ يوليو ١٨٦٧ م) أنعم عليه فيه السلطان بلقب خديو ولم ينل
ذلك أحد قبله من ولاة مصر قال المرحوم محمود في حاشي البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار
الاولائل والاواخر في صحيفة ١٩٩ من الجزء الاول ثم طلب اسمعيل باشا من الباب العالي أن يكون
لمصر سفراء وفواب في جميع دواوين الممالك الاجنبية فرأى الباب العالي أن مقصده الاصلي هو
الاستقلال من الممالك التركية العثمانية فرفض طلبه هذا ولم يقبله فاو غر اسمعيل باشا في صدر
الغضب وهدد ديوان الاستانة بأخذ عساكره من جزيرة كريد او يتخوذ على تلك الجزيرة ان لم تنح
طلباته ٥١ وقد شاع بين بعض رجال العسكرية المصرية الذين كانوا في حملة كريد المذكرة انه
لما حصل هذا الخلاف أوعز الخديو سر الى شاهين باشا الذي كان قائدا للعساكر المصرية في كريد أن
يعمل فيها على ترغيب الاهالي الى الانضمام لمصر فأخذ شاهين باشا يزور رجال الاكبروس في المعابد
ويشر عليهم من الذهب والعتايا المصرية سرا وغير ذلك من الاعمال ولما طلع رجال الدولة هناك على
ما يفعله شاهين باشا شدت على الخديو بتغيير ذلك القائد فاستدعاه الى مصر مضطرا ونصب مكانه
ناظر الجهادية اسمعيل سليم باشا المشهور بالفريق كما تقدم ثم بعد انتماء ثورة كريد وعودة الجيوش
لمصر اشتدت الدسائس الاجنبية وزاد الخلاف بين الخديو والباب العالي حتى أوشكت الحرب أن
تشتعل بينهما وانتشرت الاخبار بعزم الدولة على ارسال أساطيلها و جيوشها الى السواحل المصرية
وشرع الخديو في اجراء الاستعدادات الحربية فأنشأ على السواحل من اسكندرية الى بورسعيد عدة
طوائف وقلاع ورمم القديم منها وابتاع نحو مائتي مدفع ضخمة من مهمل ار مسترغ وسلح بها تلك القلاع
واستخدم عدة من الضباط الامريكيين بقيادة الجيش المصري عند اللزوم وابتاع أيضا نحو مائتي
مدفع من مهمل كروب كل ذلك كان يأتي مصر سرا وعين بعض الضباط اتعيين نطق حصون تقام
على ساحل خليج السويس حتى ان الحكومة المصرية اتفقت بمبدئيا مع بعض الاجانب على انشاء
الحصون المذكورة كل هذا حصل بينما كان الخديو يستعد للاحتفال بفتح القنال وقال صاحب
صفوة الاعتبار في صحيفة ١١١ من الجزء الرابع ما ملخصه وقد شد اسمعيل باشا الالتخام بفرانسا
وان كثرة مما جعله آخذ اطريق الاستقلال بالمرّة عن الدولة العثمانية ولما فتح خليج السويس ودعاه
ملوك أوروبا من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة في دعوى الاستقلال تحقق من زائره
ان المقصد لا يتم له فتغيرت سيرته من وقتئذ وعاد لمصافاة الدولة العثمانية ٥١ ولما تحققت الدولة ان
سير المرحوم اسمعيل باشا مخالفا لما كانت ترجوه منه وانها خدعت لما منحتها الامتيازات السابقة
وان سعيه للحصول عليها ليس الا وسيلة يتمكن بها من خلع سلطتها أرادت معالجة هذا الامر بما يمكن
من الحكمة والسداد لانه لم يعد في امكانها تسليح الامتيازات التي أعطتها لاسمعيل باشا سيما وان أوروبا
قد اعترفت بها وصادقت عليها فأصدرت له فرمانا في ٢٤ شعبان سنة ١٢٨٦ (٣ فوبر
سنة ١٨٦٩) جمعت فيه ما ل فرمانات السابقة وحتمت عليه تخفيض الجيش المصري الى
٣٠٠٠ عسكري وأن يبطل التجهيزات الحربية والطوابق والاستحكامات ويكف عن مشتري
الاسلحة ويلقى الشروط التي عقدها مع معامل انكثره وأمريكا ويهمل صناعة المدرعات الحربية

التي كان أوصى عليها بدور صناعات أوروبا (وابتاعت الدولة بالفعل الاربع مدرعات التي كانت صنعت بطولون من أعمال فرانسوا تريسته من أعمال النمسا على ذمة مصر) وان لا يتداخل بعد في الامور السياسية الخارجية ولا يقتصر أموال الامن بنوك أوروبا وان يعرض ميزانية مصر وفاته السنوية على الباب العالي وغير ذلك فتوقف الخديوي في أول الامر عن قبول هذا الفرمان فألحت عليه الدول المتحابة مع الدولة العثمانية بقبوله وأتى الفرمان بحمله أحد عظماء الدولة وهو سرور افندي وقرئ امام الخديوي بكيفية غريبة لم يحضرها أحد من ذوات وأعيان الحكومة كالعادة وأطلقت المدافع ولم يعلم أحد أسبابها الا بعد مدة (٩ نوفمبر ١٨٦٩) وكان الخديوي يسعى بكل الطرق في التخلص من القيود والشروط التي ذكرت في الفرمان المذكور حتى تمكن بواسطة مساعدته من الحصول على فرمان آخر في ٧ رجب سنة ١٢٨٩ يبطل ما كان من التقييدات المذكورة ذكره ان تلك التقييدات أوردت بعض صعوبات ومشكلات في الكمال وسائل عمارة مصر وان توقيف حركة تنظيمات وعمارة مصر بتفويض المساعدات والامتيازات الممنوحة لها مقدما لا يوافق أساس المقاصد الملوكية فلذا تعلقت الارادة السنية السلطانية ببقاء المساعدات والامتيازات المذكورة في فرمان ٥ صفر سنة ١٢٨٤ كما كانت وفي ٢٢ رجب سنة ١٢٨٩ نال فرمانا آخر أذن له فيه باستقراض مبالغ من الخارج وذ كرفيه انه اذا تراءى فيما بعد لزوم استقراض من الخارج في أي وقت ما العمارة الولاية المصرية كان له ذلك بشرط أن يكون القرض على قدر اللزوم وباسم الحكومة المصرية من غير استئذان من الدولة وفي غرة جمادى الاولى من سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٤) نال فرمانا شاملا ومؤكدا لسائر فرمانات التي أعطيت سابقا الى من تولوا الخديوية المصرية ومنح فيه امتيازات أخرى جديدة (١) ولما كانت غاية المرحوم اسمعيل باشا من نوال كل هذه الامتيازات بمجد دولة مصر به قوية واسعة الاطراف

(١) وهذه صورته بعد الديباجة . . . فن المعلوم لديكم أنكم استدعيت منا جميع الخطوط الهاميونية والوامر الشريفة السلطانية التي صدرت من مندوبه الخديوي به الخليفة بطريق التوارث الى العهدة الى مصر السابق محمد علي باشا المرحوم الى يومنا هذا سواء كانت مخصوص تعديل توارث الخديوي به المصرية أو بخصوص اعطاء بعض امتيازات جسمها استوجها موضع الخديوي به وأمر جهة الاهالي وطبائعها الخصوصيه وجعلها فرما نا واحد مع التعديلات اللازمة في أحكامها والتفصيلات المقتضية في عباراتها بشرط أن يكون هذا الفرمان الجديد قائما مقام فرمانات السابقة وأن تكون الاحكام المندرجة فيها ممولها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعواكم هذا بمساعدة الخليفة الملوكية وهما نحن نذكر وتبين لكم أحكامها على الوجه الآتي

لما تحقق لدينا أن تعديل اصول توارث الخديوي به المصرية التي صار تعيينها بالفرمان العالي الصادر في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من شهر سنة ١٢٥٧ الموشع أعلاه بالخط الهاموني وتبديلها باصول حصر الوراثه الخديوي به في أكبر أولاد خديوي مصر بطريق سلسلة النسب المستقيم بان يصير تخصيص مسند الخديوي به الخليل وتوجيهه الى أكبر أولاد الخديوي المذكور وبعد الى أكبر أولاد هذا الاكبر المذكور وهكذا على النسب المستقيم المذكور على الدوام يكون مستلزا لحسن ادارة الخديوي به المصرية وجلبها لاستكمال سعادة أحوال أهلها وسكانها مع ما حصل له بنام استحسان مساعدكم الجميلة المصرية وفيه في استحصال معمر به الاقطار المصرية المهمة الحسيمة ورفاهية أهلها وحصول ووقفا بكم واعتمادنا الكامل عليكم ولاجل أن يكون دليلا بغيره على ذلك قد أخرجنا تعديل توارث الخديوي به المصرية وتعيين وصاياها على الطريق الآتي بانها وهي أن خديوي به مصر الخليفة ومحقاتها وجهاتها العلوية الخارجية ادارتها بجمع قتها مع ما صار لها حقها بما أخرجنا من قتها مقامي سواكن وموضوع

مستقلة سيما وان نوال ذلك ليس بالامر المستحيل عليه بما له من الانصار الذين يسعون في مقاصده
انه الليل وأطراف النهار بدرا خلافة في مقابلة ما يتهاول عليهم من الاموال الوفرة وقد نال بذلك حل
ما يتغنى وهو الاستقلال الداخلي وحصر الورثة في أكبر اولاده أما أوربا فتغير بها بالحكومات

ولحقا هما يصير وجهيهما بدمكم على الطريق المراد كرها الى أكبر اولادكم الذكور وبعده الى أكبر اولادكم
يكون خديو ياعلى الاقطار المصرية من اولادكم واذا اتمت الخديو المصرية بأن يكون للخديو ولد ذكر بصير
نوحها الى أكبر اخوته الذكور واذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة فالى أكبر اولاد الاخ الأكبر وهكذا اتخذ هذه الاصول
فأقراسمرا وقاعدة مربية أيدي في فوارت الخديو المصرية ولا يصير انتقال الورثة الخديوية الى الاولاد الذكور
المتولدة من اولادكم الامات أصلا

ولاجل تأمين اصول فوارت الخديو المصرية سنذكر صورة تشكيل الوصاية المقتضية في ادارة امور الخديوية
بها اذا اتمت الخديوية وكان الوارث الذي هو أكبر اولادكم الذكور صغيرا وصيها هو ان الخديوية المصرية اذا
اتمت وكان أكبر اولادكم الذكور أعني الوارث صغيرا وصيها بان يكون عمره أقل من ثمانى عشر سنة ولو انه بصير
خديويا فعمل حسب استحقاق الورثة في الحال بصدر فرمان من طرف السلطنة السنية بتوايته على الخديوية لكن
اذا كان الخديو السالف عين ونصب وصيا ورتب هيئة وصاية لاجل ادارة امور الخديوية لحين بلوغ الخديو الا لاحق
الصبي الى سن الثمانى عشر سنة وكتب منه وصاية بذلك وختم عليه هو وختم أيضا ثمان من الامراء المصرية
المأمورين باحدى المأموريات المصرية على طريق الاشهاد وأجرى الوصاية هكذا فلو صي مع هيئة الوصاية المذكورة
ياخذ بزمام الادارة في الحال وبذلك تعرض الكيفية الى الباب العالى ويصير التصديق على ذلك الوصي وهيئة الوصاية
من طرف الدولة العلية بفرمان عالو يبي الوصي وهيئة الوصاية على ما هم عليه لحين البلوغ وأما اذا اتمت الخديوية
ولم يعين الخديو السالف وصيا ولا رتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تتشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين
على الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الاحكام المصرية ودرارية العساكر المصرية وتفتيش
الاقليم و بصير انتخاب وصي في الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتى ذكره وهوانه في تلك الساعة تصير
الذات المذكورة والمدولة ما بين هؤلاء الذوات في حق انتخاب وصي منهم فاذا حصل اتفاقهم أو اتفاق أكثرية آرائهم
على تسمية وجعل ذات منهم وصيا بتعيين ذلك النيات وصيا على الخديوية واذا اختلفت الآراء بان رغبت نصفهم في
تعيين ذات والنصف الاخر في تعيين ذات آخر يكون إجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمقدمة في
الذات من تلك المأموريات أعني المأمور على المأمورية المقدم ذكرها على الترتيب المحرر أعني من الداخلية الى
آخرو وتتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده و يباشر ونا ادارة الامور الخديوية مع الوصي وتعرض الكيفية
عصبة من طرفهم الى طرف سلطنتنا السنية و بصير التصديق عليها بالفرمان الشريف وكما انه لا يجوز تبديل
الوصي وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها في الصورة الاولى أعني فيما اذا كان تعيين الوصي وترتيب الوصاية
وترتيب أعضائها بمعرفة الخديو السالف فكذلك في الصورة الثانية أعني فيما اذا كان انتخاب الوصي بمعرفة المأمورين
المذكورين لا يجوز تبديل الوصي ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها في تلك المدة واذا توفى أحد من أعضاء هيئة
الوصاية في ظرف تلك المدة بصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه بدل المتوفى واذا توفى
الوصي في تلك المدة بصير انتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية بمعرفةهم على الوجه السابق وجعله وصيا وانتخاب واحد
من المأمورين المصرية والحاخا بأعضاء هيئة الوصاية بل الذي نصب وصيا بمجرد بلوغ الخديو الصبي الى سن الثمانى
عشر سنة صار رشيدا وفعال مختارا فيما يباشر هو نفسه ادارة امور الخديوية المصرية بمثل سلفه وهذا حسب ما تقر
لدينا واقتضته ارادتنا الملوكية ولما كان ترديد عارية الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رغبة الاهالي
والسكان وراحتهم من أهم المواد المترتبة المرغوبة لدينا وادارة المملكة الملكية والمالية ومنافعها المادية وغيرها
المتوقف عليها تأسيس واستكمال وسائل الرعية وأسبابها فان على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية
تعديل الامتيازات وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديما وحديثا من طرف الدولة العلية الى الحكومة
المصرية واستمرار جريانها خلفا عن سلف وتلك الكيفية هي انه لما كان ادارة المملكة بكل الصور والحالات سواء

الاسلامية وسعيها في تفريق كلمتها وتشيت شملها فلم يتعذر عليه أصلاً نوال تصديقها على ذلك لانه في مصطلحها مكبر لنفوذها وبهذه الوسائل تحصل على فرمان بتاريخ بجنادى الثانية من سنة ١٢٩٢ باضافة مدينة زيلع ولحققتها على الاملاك المصرية في مقابل دفع ١٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية سنوياً الى الخزينة السلطانية وكانت اضيفت اليها قبل ذلك مصوع وسواكن كما سبق وبذلك أصبح كل ما تدفعه مصر للدولة سنوياً يبلغ ٧٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية بعد أن كان ٤٨٠,٠٠٠ ليرة ثم لما أخذت فتوحاته باقر بقية الوسطى اجتمعت في امالة دولة الانكليزية لتساعده في سياسته الاستعمارية فاطهرت له الزد وحسن النية ولكن لما كانت دول أوروبا بالاتساعد مملكة شرقية الاوتستفيد منها فائدة تربو بكثير على تلك المساعدة عقدت معه في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ اتفاقية لتسهيل مراسلات البريد ما بين البلاد المصرية والانجليزية ومستعمراتها وكان النائب عن حكومة الانجليزية الكولونيل ادورد ستانتون (E. Stanton) وعن الخديو المرحوم شريف باشا ناطقاً

كانت ادارتها الملكية أو المالية أو كافة منافعها المادية وغيرها هي من المواد العائدة على الحكومة المصرية والمتعلقة بها ومن المعلوم أن امراد من أي مملكة كانت وحسن نظامها وتراد مهوريتها وأهلها وسكانها لا يتيسر الا بتوفيق معاملاتها وتطبيق لإجرائاتها العمومية بالاحوال والمواقع وأمزجة الأهالي وطبقاتها وفقاً لأهاليها الرخصة الكاملة في اعمال قوانين وقظامات داخلية على حسب لزوم المملكة وكذا لاجل تسهيل غشبية وتسوية كافة للمعاملات سواء كانت من طرف الحكومة أو من طرف الأهالي مع الاجانب وترق وتوسع الصنائع والحرف وأمور التجارة وأمور الضبطية مع الاجانب قداً أعطينا لكم الرخصة الكاملة في عقد وتعبيد المقاولات مع ما موري الدول الاجنبية في حق الكمبرك وأمور التجارة وكافة المعاملات الحارية مع الاجانب في أمور المملكة الداخلية وغيرها بصورة لا تستلزم اختلال معاهدات الدولة العلية البولتيقية وكذا لكون خديو مصر حائزاً للتصرفات الكاملة في الامور المالية قدامها اعطاء المأذونية التامه في عقد استقراض من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية في أي وقت يرى فيه لزوماً للاستقراض بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية وكذا لكون أمر المحافظة وصيانة المملكة الذي هو الامر المهم والمعنى به زيادة على كل شيء من أقدم الوظائف المختصة بخديو مصر فقد أعطينا للرخصة الكاملة في تدرك كافة أسباب المحافظة وتأسيسها وتنظيمها بنسبة الخاآت الزمن والموقع وكذا في تكتير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تعدي على حسب الايجاب والوزوم وكذا أعطينا لخديو مصر الامتياز القديم في حق اعطاء رتبة ميراى من الرتب العسكرية واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط ان المسكوكات الحاررى ضربه بمصر تكون باسما للملكو وأن تكون اعلام وصنائج العساكر البرية والبحرية الموجودة في الخطة المصرية كاعلام وصنائج سائر عساكر الشاهانية بلا فرق وبشرط عدم انشاء سفن زرع أي مدرعة بالحد يد فقط بدون استئذان لا غيرها من السفن الحربية فتم اجرائنا شوها بلا استئذان ولا لاجل اعلان المواد المشروحة أعلاه وتأييدها أصدرنا بالكم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا الملوكية وصار يتوشع أعلاه مخطنا الهمايونى واعطاه لكم ممتماً ومكلاً ومعدلاً ومصر حالخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة الصادرة لهذا هذا التاريخ سواء كان في تأسيس وترتيب ورئاسة الحكومة المصرية أو في تشكيل هيئة الوصاية أو في اذارة الاوامر الملكية والعسكرية والمالية والمنافع المادية والمواد السائرة بشرط أن تكون الاحكام المنسدرجة بهذا فرمان الجديد نافذة وباقية ومرعية الاجراء على ممر الزمان وقائمة مقام احكام فرمانات السالفة على ما تقتضيه ارادتنا الملوكية فيلزم أن تعلموا قد راطف عنايتنا الملوكية وأداء شكرها بصرف جيل هممكم في حسن اذارة أمور الخطة المصرية واستكمال أسباب وقاية امنية الأهالي المنوطة بها واستحصال راحتهم على حسب ما جيلتم عليه من الشيم المرغوبة والغيرية والاستقامة وما اكتسبتموه من الوقوف والاعلومات في احوال تلك الحوالى والاقطار وان تراعوا اجراء الشروط المقررة في هذا فرمان الجديد وأداء المائة وخمسين ألف كيسة التي هي ويركوم مصر المقطوع سنوياً بأوقاتها وزمانها الى خريقتنا الجليله الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية في ذلك تحريراً في سنة ١٢٩٠ هـ من كثر الغائب بحقيقة ٣٠٣

الحقانية والخارجية وقد اشتملت هذه الاتفاقية على ثلاثة فصول بها ٢٨ بنداً ذكر في الفصل الأول منها البنود الخاصة بالمراسلات الخارجية وفي الفصل الثاني البنود الخاصة بمراسلات البوسطة الانكليزية بين الاسكندرية والاسكندرية وفي الفصل الثالث البنود الخاصة بمرور وكياس البوسطة الانكليزية بالقطر المصري ولما انعقد مؤتمر برن سنة ١٨٧٤ تقر فيه ادخال مصر ضمن دائرة الاتحاد البريدي العام وقد ساعد ذلك الحكومة المصرية على الغاء مكاتب البوسطات الاجنبية من بلادها (١٨٧٥) بموجب اتفاقيات خصوصية عقدتها مع حكومات أوروبا ولم يبق من هذه المكاتب العديدة سوى المكتب الفرنسي بالاسكندرية وبورتسعيد وألغت الحكومة المصرية أيضاً بوسطتها من الاسكندرية وكانت لها هناك بوسطة منذ سنة ١٨٦٩ ومن المنافع التي عادت على إنجلترا أيضاً في مقابلة ودادها المذكور لمصر ان ابتاعت من الخديوية سنة ١٨٧٥ (١٢٩٢) ما كان لحكومته المصرية من أسهم قنال السويس وقد درها ١٧٦,٦٠٢ بسعر السهم الواحد ٥٦٢ فرنكا و٦٢٢ ستمياً فيكون ثمن الكل ٤١٢,٧٩٧,٠٠٠ فرنكا و٨٤ ستمياً أي أربعة ملايين ليرة انكليزية وكانت ارباح هذه الاسهم مرهونة لشركة القنال لمدة خمس عشرة سنة وظلت الحكومة المصرية تدفع فوائدها للحكومة الانكليزية من يومئذ الى غاية سنة ١٨٩٤ م ولما انتشر خبر هذا البيع امتعضت فرنسا وأظهرت جرائدها تغيطاً وحقناً لان ذلك يزيد نفوذ انكليزية بمصر ولو وضعت هذه السهام في المزايدة العلنية لساوت أضعاف أضعاف ذلك ثم لما عارضه اللورد روبي بلائحته الشديدة بالهجة التي بعثها اليه بخصوص مسألة تسو اهل نهر الجب بنجبار واضطر ان يرجع الجملة التي كان بعثها الى تلك الاطراف كما مر سعي في التقرب من دولة روسيا فزاد علاقته السياسية معها بواسطة فصلها الخنزير في مصر الموسيود ولكن وصادف ذلك في الزمن الذي كانت دولة الروس قائمة فيه تطرق أبواب المسئلة الشرقية بجمعيات الصقالية التي روجت بضاعتهم في أكثر ولايات الدولة العلية بشبه جزيرة البلقان وكان الخديو كلما وجد بالاسكندرية زور سفيرا روسيا سيانك ربي سرتلك الزيارات مكثوما حتى ان بعضهم اتهم الخديو بتهم لانخالها صحيفة وقد ورد في رسالة طبعت باللغة الفرنسية والتركية باستانبول اسمها مسؤليت تضمنت ما فعلته قناصل روسيا وعمالها من المكر والاسائس في الممالك العثمانية لتحرير الرعية على العصيان على الدولة وكانت هذه الرسائل تحوى كثير من المحررات السرية التي تبودلت بين بعض قناصل روسيا وغيرهم أثناء الحرب وقبلهوبها أيضاً اثنان وعشرون تلغرافاً سراً بحرقه بالارقام صادرة من قناصل روسيا بالاسكندرية واشقوده وراغوزه ومستار وبوسنه سراي وبلغراد وسلافيك وفيومي الجمعية الصقالية في ويانة وعدة رسائل أخرى تلغرافية من مر كز الجمعية الاصلية في بطرسبورغ الى الجمعية ويانة بمآل المذاكرات التي جرت في الجمعية الاصلية وفر وعها وبيان وارداتها ومصاريفها وجواب أمير الجبل الاسود الى أحد أمراء روسيا وصوره مكتوب من المسيو اغنايف سفيرا روسيا بالاسكندرية الى الخديو اسمعيل باشا (١) يحرضه

(١) ترجمة المكتوب المرسل من الموسيو اغنايف بيك أوقلي بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٧٢ الى الخديو أعرض شكري من أجل التحريرات التي تعظمت فقامتكم برسالة من القاهرة بتاريخ ٨ مايو سنة ١٨٧١ وأبادر باخطاركم ان الملاة التي وقعت بين ذاتكم الفخيمة وبين قنصل حضرة الامبراطور القيم بمصر بلغت

فيه على معاهدة الدولة والانضمام سياسيا الى امارات البلقان حتى ينال مرغوبه وغير ذلك فان صدقت هذه الاقوال ولا نظنها صادقة أصلا كانت هذه من أكبر المضار التي قصدتها المرجوم اسمعيل باشا الاستقلال عن الدولة العثمانية مع ان المعروف عنه وسمعه جع من الاعيان انه كان يحب ان يرى الدولة قوية عزيزة الجانب وان كان هو يسعى في الاستقلال خفية سيما وان دولة روسيا لا يمكنها مساعدته في أمر الاستعمار بأفريقيه اما بقية ما ورد في الرسالة المذكورة فنظن انه موضوع والواقع له جمعية الصقالية نفسها قصد اربهاب الدولة وتشويش أفكار رجالها وبث روح العصيان بين شعوبها وبما ثبت بحجة اسمعيل باشا للدولة وان النفور كان بينه وبين السلطان عبد العزيز وبعض رجال الدولة فقط بمبادرته بإرسال الجيوش لمساعدة الدولة في تسكين الثورات التي ظهرت بشبه جزيرة البلقان وذلك بعد ان جلس السلطان مراد على كرسي السلطنة وأعلن ذلك رسميا (١) وان كان يروى عن بعض رجال الدولة اذ ذلك انه قال ان الخديو اسمعيل وان كان أظهر الولاة بسرعة ارسال الجيوش لمساعدة الدولة الا انه يساعد سرا الولايات الثائرة بان تقود مرضاة للروس وسيا وهو قول لم يتحقق أصلا ويكفي لاحضه استمرار ارسال الجنود والمعدات الحربية من مصر الى جيشها هناك هذا وفي خلال الحرب العثمانية الروسية انتهزت انجلترا الفرصة وعقدت معاهدة مع اسمعيل باشا لمنع ابطال تجارة الرقيق بدون وساطة الباب العالي وتعين وضع شرطها من قبل الحكومة الخديوية المرجوم شريف باشا ومن قبل دولة بريتانيا الموسيو وفتيان (Vivian) وصار التوقيع عليها (٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ م) وقد كلفت هذه المعاهدة مصر أموالا طائلة وأوقعتها

مخوبكم وان المعلومات التي عرضتها بتاريخ ١٥ نيسان أعطيتم لها معنى ضد ملاحظة العاجز بالمرّة فهذا استوجب تأني في الوافرة اذا أمكن تدعيم معلومات المذكورة في الوقت الذي كثرها فيه بمخوضات غامضتكم بضع مقصد الخبير وهوان المصالح التركية قديما ابتدأت تدور على محورها اللائق وعليه أعرض تبريكي لأن أوروبا كانت في غاية التعب من المحاربة الاخيرة والافكار انعمومية هي المبالغة الى المسألة والمصالحة فلهذا كان كل من تجارى على اخلال الصلح والمسألة يجدهم أوروبا باعليه ففي هذه الحالة اذا وجدت الدولة العلية من كل جهة قوة تعاكسها فن غير سبب معقول وصحيح اذا قامت بخيوتها على مصر فهل لا يكون في ذلك خيرا ومصلحة لغايتكم واذا وقعت حركة مثل هذه في حكومة غامضتكم وأشيع بين العالم قيام الدولة العثمانية باطاعتها عليكم فلا تكون محاربتها لكم الامدة بعض أيام فقط وهل تظنون ان الدول الذين يعتقدون بأنهم في ايجاد اختلافات في الشرق لا يتداخلون في هذه الحالة وعند ذلك نطلب مداخلتنا التي لا تصادف وانع بالكتابة ومع ذلك بيان ذلك أأدر تعرفكم بصرحة أفكار حكومة الامبراطور في هذا الباب هو انه لاجل الوصول الى اجراء تصوراتنا بيلامكم البقاء مدة أخرى في حال سكون وان تسلموا وتقدروا كالمعدات اللازمة لتجارة طرية وتعتقدوا المعاهدات الداعية والهجومية مع اليونان والصرب والمملكةتين واعلموا أن معاونتنا لكم في هذا الباب لا نسبه فيها وادوموا على منازعة ومعارضة حكومتكم المتبوعة رويدا وفي حال اصرار الباب العالي على الادعاء في المناسبات التي تقع بينه وبين مصر يحصل قول الموقفة ولما يروى زراء السلطان ثباتكم زداد حذتهم وغضبهم ويظهر بالطبع من ذلك حادث وعند ذلك تفهم مصر وتصدق صداقة روسيا صنداقتنا ليست كصداقة فرانسالان فرانسالمنا حيث تجدكم محاربين الدولة العثمانية اكتفت بمساعدته معنو فقط وتركته في محالب انتقام العثمانيين اه صحيفة ١٢١ من مسؤليت

(١) (صورة لتعرف الباب العالي) من المقدرات الالهية قد وقع اليوم باتفاق عومي خلع السلطان عبد العزيز وجلس حصره السلطان مراد خان الخامس الوارث الشرعي على تخت السلطنة العثمانية فندسنا جناب الحق تعالى أن يشملنا بيمته واسعاد في ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ صحيفة ٢٨٩ جز خامس من كبر الرغائب

في مشاكل كانت في غنى عنها هذا بصرف النظر ءا فيها من المحاسن بإبطال هذا الاسترقاق المنافي
لاصول الشرع الشريف وقد أدرجنا صورتها هنا ليقف عليها المطالع (١) وكان من أول ما استلزمته

(١) لما كان من أقصى آمال كل من حكومتى جناب ملكة بريطانيا العظمى وابلادة المتحدة وحضرة تخدم بمصر
التعاون في ابطال منع بيع الرقيق بالكتابة وكان قد صدم اعلى عند معاهدة للوصول لهذا الغرض حصل الرضا والاتفاق
بين الواضعين لمضاهم اذ نادى المذونين بهذا الشأن على تدوين البنود الاتية وهى (بند ١) حيث إنه سابق
صدور لائحة من الحكومة الخديوية تمنع بيع الرقيق السودانى والحبشى في الجهات التابعة لها فتمت هذه الحكومة
المشار إليها بأن تمنع منعاً كلياً من الآن فصاعداً اذ دخل العبيد السودانين والحبشيين باراضى القطر المصرى
ولحقاً سواء كان بطريق البر أو بالبحر والمرارة من تلك الاراضى وبأن تعاقب بأشد الجزاء على مقتضى القوانين المصرية
الحادى العمل بها أو عوجوب مسائلى بيان هذه المعاهدة كل من وجد متعاطياً ببيع الرقيق السودانى أو الحبشى
مباشرة أو بواسطة غيره وكذلك تعهد بان تمنع اخراج الرقيق السودانى أو الحبشى خارج القطر المصرى ولحقاً منعاً
مطلقاً ما لم تحقق وثبتت صحته أو حرته ولا بد أن يذكر ورقة العتق أو بالاسم الذى يعطى لأولئك السودانين
أو الحبشيين من طرف الحكومة المصرى بقبول خروجهم بانهم أحرار ويمكثهم أن يتولوا أمر أنفسهم كيف شاؤوا بلا
قيود أو شرط ما (بند ٢) كل شخص يوجد بأرض مصر أو يحدودها أو بالجهات التابعة لها توسط افر يقبأ
متعاطياً ببيع الرقيق السودانى أو الحبشى مباشرة أو بواسطة غيره تعتبره الحكومة المصرى بتهمة ومن يكون مشتركاً
معها بمنزلة السارقين القائلين فإن كان من تبعها بما كرم امام مجلس عسكري والاتحال حالاً كما كتبه على المجالس
المختصة بذلك وترسل لها المحاضر المحررة من الجهة التى لها من جهات الحكومة المصرى فى المحل الذى ثبت فيه حصول
التجارة وكافة الاوراق والمستندات الدالة على خصته للحكم فيها بمقتضى قوانين الحكومة التى يكون تابعاً لها مادامت
هذه القوانين تحيز ذلك وما يوجد من الرقيق السودانى أو الحبشى بأيدى أى تاجر كان يصير اعطاً أو حرته ومعاملته
بمقتضى المدون ببند ٣ الاقنى والذليل المؤشر عليه بحرف (ا) الختم لهذه المعاهدة (بند ٣) نظراً
لكون اعادة الرقيق السودانين أو الحبشيين لبلادهم بالثانى سواء كانوا من وعين من ايدى التجارين فيهم أو معتوقين
بتعذر حصولها ونشأ منها امالها منهم من الشعب أو من القافة أو وقوعهم فى رقة الرقانيا استمر الحكومة بأن
تجرى معهم الاخرات السابق اتخاذها بغير فتحا حق الرقيق ومد كورة فى الذليل المؤشر عليه بحرف (ا) المحكى عنه
(بند ٤) تستعمل الحكومة المصرى بتسلطها على قدر الاستطاعة لمنع ما يجرى من المقاتلات بين قبائل افر يقبأ
الوسطى بقصد الاستيلاء على الرقيق ويغته وتعهد بأن تعامل القائلين كل من يوجد متعاطياً ببيع الاولاد
أو جملها فإن كان المرئى كذلك من تبعه الحكومة المصرى بتصيرها كتمهم امام مجلس عسكري والاتحال حالاً كتمهم
على المجالس المختصة بالحكم وترسل لها المحاضر والاوراق والمستندات المفصلة فى الدعوى بمقتضى قانون بلادهم كما
هو مذكور ببند (٢) (بند ٥) تعهد الحكومة المصرى بنشر أمر خصوصى يرفق بهذه المعاهدة ويكون من
مقتضاها منع بيع الرقيق بالكتابة فى أرض مصر من ابتداء تاريخ تصدده بالامر المشار اليه وتخصيص فرع الجزاء الذى
يترتب على من يخالف منطوقها (بند ٦) لاجل زيادة الوفوق من منع بيع الرقيق السودانى والحبشى بالبحر الاحمر
ترضى الحكومة المصرى بان السفن الانجليزية تجرى التفتيش والبحث والقبض عند الاروم على أى مركب تكون
متعاطية بتجارة الرقيق من السودان أو الحبش وتسلمها للاحدمركز الحكومة المصرى القريب من محل الواقعة
أو لركز الاوق لاجل الحكم على تلك المركب بما يلزم وكذلك يصير ضبط أى مركب مصرى يتحقق فيها شبهة وجود
رقيق بها للبيع أو تكون تعاطت ببيع الرقيق فى أثناء سفر ينها و اجراء التفتيش وضبط الرقيق يكونان مخرج عدن وفى
ساحل بلاد العرب والجهة الشرقية من افر يقبأ و بما شوا حل مصر والجهات التابعة لها ما يوجد من الرقيق سودانى
أو حبشى بأى مركب مصرى أو بضبط معرفة المراكب الانجليزية به لدى التفتيش يبق تحت اذن الحكومة الانجليزية
وهى تعهد باجراء ما يقتضى لحصوله على غنم الحرية بما للمركب وشحنها وطقم بحر ينها فيصير تسليمها الاقرب مركز
من مراكز الحكومة المصرى لمحل الواقعة أو لركز اللانق لاجل توقيع الحكم عليها بما يلزم فاذا لم يتيسر لقبول ان
المركب الانجليزية تسليمه ما يكون صار ضبطه من الرقيق لمحل تابع لحكومة الانجليزية أو اذ ادعت الضرورة فى مصلحة

هذه المعاهدة من النسخة الرابعة من استدعى الخديو الختال غوردون باشا (١٨٧٧ م) ثانية وعينه
 حاكما على السودان ودارفور والمقاصد استوائية لينة دشروط تلك المعاهدة ويقطع دابر
 النخاسة وتجارة الرقيق ويصلح شؤونها كما قدمناه وقد أتى غوردون لذلك ما يشكر عليه من الاعمال
 وان كان من جهابها بالسياسة ولما امتدت حكومة مصر على سواحل بلاد الصومال عقدت إنجلترا معها
 معاهدة بتعيين قنصل لها بالجهات المذكورة وبأن لا تتنازل لدولة أخرى عن أرض أو حقوق هناك
 وبأن لا تحتكر شيئا من أنواع البضائع والسلع وبأن تعادل رعايا إنجلترا وسفنها هناك معاملة دولة

الرقيق سوداني أو حبشي لتسليمهم للحكومة المصرية بالحكومة المشار إليها لتمهيد بناء على طلب قبودان المركب الانجليزي
 أو الضابط الذي بتعيينه لذلك أن تقبل الرقيق سوداني أو حبشي وتعظيم حريتهم وتخصهم عين الامتيازات التي تخصها
 للرقيق السوداني أو الحبشي المضبوط بعرفة جهاتها كذلك تقبل الحكومة الانجليزية من جهتها بان أي مركب
 انجليزي سائر بندير انجليزي في البحر الاحمر أو في خليج عدن أو في ساحل بلاد العرب أو في المياه الداخلة بالقطر
 المصري أو في الجهات التابعة لهم توجد متعاطية التجارة في الرقيق سوداني أو حبشي بصيرتفتيتها وجزها وضبطها
 بعرفة الحكومة المصرية بانها المركب بشحنها وطقم بحر يتها بصيرتتها بما اقرب جهة من جهات الحكومة
 الانجليزية لا لاجل توقيع الحكم عليها وما يصير ضبطه من الرقيق سوداني أو حبشي تعطى لهم الحر به بعرفة الحكومة
 المصرية وتبقى متولية أمرها إذا حكم بعدم صحة الخبز أو الضبط أو إقامة الدعوى من المجلس المختص بالحكم للحكومة
 التابعة لها المركب التي أخرجت ذلك تكون ملزمة بان تعطى تعويضاً لا تقايب حسب الاحوال للحكومة المركب التي صار
 ضبطها أو إقامة الدعوى عليها (بند ٧) يكون اجراء العمل بمقتضى هذه المعاهدة في القطر المصري لحداصوان
 من تاريخ توقيع الامضاء عليها وفي ملحقات الحكومة المصرية بما يفرقها العليا وبسواحل البحر الاحمر من بعد مضي
 ثلاثة شهور من ذلك التاريخ بناء عليه فقد تحررت هذه المعاهدة بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ ووقعت
 عليها الامضاء وأختام الواضعين أهمهم فيه أذناه الامضاء شريف الامضاقيهان
 صورة تحتها ذيل المعاهدة التي عقدت بين حكومة بريطانيا العظمى وبين الحكومة المصرية في ٤ أغسطس
 سنة ٧٧ بشأن ابطال تجارة الرقيق

ان الحارى لحدالاتن هو ان الضبطية هي المناطة بكل ما يتعلق بالرقيق من نحوعتهم وتربية الاطفال منهم وما
 يشابه ذلك من الاتن يرتب بكل من محافظتي مصر واسكندرية قلم مخصوص لهذا الغرض ويناط بكل ما يتعلق
 بالرقيق في المدينتين المذكورتين من نحوعتهم وغيره أما في الاقاليم والقسم الذي يرتب لذلك يكون تحت ملاحظة مفتشى
 العموم ويكون للقلم المذكور قدر يتقيد به بغاية التفصيل جميع الوقائع التي تخص الرقيق المعنوق وفي حالة ما اذا
 تقدمت شكوى من بعض الفضليات أو من أفراد العامة فعلى القلم المذكور أخذ الاستعلامات اللازمة عن تلك
 الشكوى فاذا ظهر من الاستعلام أحقيتها رسل القضية لجهة اختصاصها لكي يجري فيها مقتضى الاصول المقررة
 للعتق أما ان كانت الشكوى مقدمة من نفس العبد فعلى القلم بعد ثبوت شكواه أن يعطيه ورقة عتق من دفتر قسمة
 يكون مخصصا لهذا الشأن وكل من أخذ من معتوقه ورقة عتقه أو منعه أو اشترك في منعه من الحرية بواسطة اغتصابية
 أو غشبية يعامل معاملة من تخبر الرقيق على الحكومة أن تقوم بلوازمات العبد والمعتوقين فالذكور منهم يستخدمون
 بحسب الاحوال أو بحسب اختيارهم إما في الزراعة أو في الخدمة المنزلية أو في العسكرية واللاتن يستخدمون إما في
 محلات الحكومة أو في منازل معتبرة أما الاطفال منهم فيستمر داخلهم ان كانوا في مدارس أو في معامل
 الحكومة وان كانوا انما يندخلون في المدارس المخصصة لللاتن هذا وكل ما يتعلق بتربية هؤلاء الاطفال يكون محولا
 للملاحظة والتفات محافظتي مصر والاسكندرية الواجب على كل منهما المتابعة مع نظارة المعارف في شأن ما يستحسن
 اجراؤه في حقهم من التربية المذكور الذين يوجدون بارياف بصير وضعهم بعرفة مفتشى الاقاليم في مكاتب البنادر
 أما الالات فيصير ارسالهم لمصر والمعتوق من الرقيق الموجود بالسودان يصير استخدامهم برغبهم اما بالزراعة أو
 بالخدمة المنزلية أو بالعسكرية تخبر هذا التذييل بالاسكندرية في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ للعمل بمقتضى
 من تاريخ اجراء العمل بموجب المعاهدة الاصلية الامضاء شريف الامضاقيهان

تمتازة وفي مقابلة ذلك تعترف انجلترا لمصر باهتلاكها تلك الاصقاع وغير ذلك من المنافع التي تعرف دولة كالمجتمعة الاستفادة منها وقد أدرجنا المعاهدة المذكورة بذييل الصحيفة كعادتنا اتعنا للفائدة (١)

مساعدة اسمعيل باشا للدولة في حرب الصرب - لما ظهرت الثورات بمجتمعات شبيهة جزيرة البلقان التابعة للدولة بتحصينات الروم وسيا وطلبت الدولة المساعدة من مصر كما هي العادة أصدر المرحوم اسمعيل باشا أمره الى نخلة الامير حسين باشا وكان ناظر الجهادية والبحرية بتجهيز اللازم لذلك وكانت الجيوش المصرية عائدة وقتئذ من مصوع عقب حرب الحبشة فجهز منها قوة جعلها تحت قيادة الفريق راسد حسني باشا وجعل اللواء اسمعيل كامل باشا قائدا ثانيا لها وأرسل معها بعض ضباط منهم القائم مقام أحمد نير بك والقائم مقام محمود فهمي بك والصاغ حسن افندي

(١) انه لما أراد كل من حكومة دولة الانكليز والحكومة الخديوية المصرية ان يتفقوا ما بينهما بخصوص اقرار دولة الانكليز على تسلط الحكومة الخديوية بالنسبة لتبعيتها الى الدولة العلية على سواحل بلاد السومال لغاية رأس حنون رخصت حكومة دولة الانكليز جناب الموسى وفيه بيان تفصيل جنرال الدولة المشار اليها بالقطر المصري والحكومة الخديوية المصرية في دولتا لوشرف باشا ناظر خارجيها بتعقد الشروط الاتية وهي (بند ١) مع حفظ وبقاء الاشرطات المتوة عنها بالبند الخامس من هذه المقالة تتعهد الحكومة الخديوية بأنه من تاريخ تنفيذ هذه الشروط ومن تاريخ اقرار حكومة دولة الانكليز رسميا على تسلط الحكومة المصرية على أراضي سواحل السومال تبقى مينه بولهار ومينه بربره بصفة مبنيتين متمازتين اذا لم يكن - متى اتخاذا التدابير اللازمة لغاية الآن لذلك وكذلك تتعهد الحكومة الخديوية بأن لا تعطى في هاتين المينتين أي احتكار أو أي التزام كان لاحد ما ولا ترخص باجراء شيء مما يعطل حركة التجارة فيهما وان لا تأخذ عوائد كاركول على البضائع الواردة اليها زيادة عن خمسة في المائة وعلى البضائع الصادرة الى جهتي تاجوروز وبلع وكذلك في سائر مين سواحل بلاد السومال زادة عملها جاري أخذها في ميني بولهار وبربره بشرط أن يكون تبعه دولة الانكليز وتجارتها وسفنها معاملة كسبعة دولة متمازة في جميع جهات تلك البلاد التي تدخل تحت تسلط الحكومة المصرية (بند ٢) يتعهد حكومة مصر الخديوية بنفسه وعن خلفه بان لا يرخص باعطاء أي قطعة كانت من هذه البلاد التي تدخل في حوزة حكومته بطريق الورثة الى أي دولة كانت من الدول الاجنبية (بند ٣) يكون للدولة الانكليز الحق في تعيين مأموري تفصيلات في جميع المين والجهات الموجودة على ساحل البلاد المذكورة ويكون مأموري التفصيلات السابق ذكرهم متمتعين بجميع الامتيازات والمعافاة وسائر المزايا المعطاة والتي يمكن اعطاؤها الى سائر مأموري تفصيلات أي دولة متمازة ولا يوسع تعيين مأموري تفصيلات من أهالي تلك البلاد أو من أهالي البلاد المجاورة لها (بند ٤) أممن خصوص تجارة الرقيق وأمور الضبط والربط في بحر تلك البلاد فالحكومة الخديوية تتعهد بمنع تصدير رقيق من الجهات المذكورة ومنع تجارة كافي سائر أقطارها وأن تلاحظ أمور الضبط والربط فيها لغاية بربره وكذلك ليس على الحكومة الخديوية من الآن لغاية ما تنظم أمور ادارتها في جميع الجهات من بربره الى رأس حنون سوى أن تلتزم باجراء جميع ما في امكانها لمنع تجارة الرقيق وحفظ أمور الضبط والربط وقد قبلت الحكومة الخديوية أن تكون سفن الانكليز أيضا مأمورة بملاحظة منع تجارة الرقيق وان تضبط وترسل الى المجالس المختصة بهذا الامر جميع السفن التي تراها مشتغلة بهذه التجارة أو تكون مشبوهة بالاستغلال بهذه التجارة في جميع السواحل الموجودة بالسومال التابعة للقطر المصري (بند ٥) تعتبر هذه الشروط متممة وواجبة التنفيذ عندما تتعهد جلاله الخضر الشاهانية الى حكومة دولة الانكليز تعهدا رسميا تاما بان لا تعطى بأى وجه كان الى أي دولة كانت من الدول الاجنبية أدنى قطعة من سواحل بلاد السومال أو من سائر البلاد التي أدخلت في حوزة الحكومة المصرية وصارت جزءا من ممالك الدولة العلية المعطاة الى الحكومة المصرية أو أي قطعة من القطر المصري أو من البلاد التابعة له بطريق الورثة الى أي دولة كانت اجنبية وعلى ذلك صار عقده هذه الشروط ووضع كل من الطرفين امضاءه تحريريا بسكندرية في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ امضا امضا فيفيان شريف

كامل واليوزباشي محمد افندي رحى وعبد المجيد افندي من ضباط أركان حرب وكانت القوة
المذكورة تستر كب من الالاي الثاني من الحرس البيادة يقوده الميرالاي يوسف شهدي بك ومن
الالاي الثالث من الحرس البيادة يقوده زكريا بك ومن الالاي الرابع من الحرس أيضا يقوده الميرالاي
عثمان بك نجيب ومن بطاريين من مدافع كروب يقودهما القائم مقام حسن بك همت وكان عدد
رجال هذه القوة ٧٠٤٥ جنديا أقطع بعضهم أولامن الاسكندرية على بواخر المحروسة والشرقية
والرحمانية في يوم ١٨ جمادى الثانية من سنة ١٢٩٣ هـ ولما وصلت قبايلها أجد طلعت باشا كاتب
ديوان خديو وكان بالاستانة بعنه الخديو لتصفية تركة أخيه المرحوم البرنس مصطفى فاضل باشا
المتوفى يوم ٤ القعدة سنة ١٢٩٢ ثم أبقاه وكيل البحرية بمأمورا بسرعة ارسال العساكر المصرية
الى حدود الصرب وبقى المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية بمأمورا بسرعة ارسال العساكر المصرية
الى دار الحرب ولما عادت السفن المصرية الى الاسكندرية نقلت باقى القوة المصرية تحت ملاحظة
اللواء محمد كامل باشا قومندان المحروسة الى سلانيك وكنت من الضباط الذين رافقوه ولما وصلنا
سلانيك وجدنا فرضتها ملائى بالاساطيل العثمانية والفرنسية والالمانية والنسابة والتلانية
والانكليزية واليونانية وكان اجتماعها بسبب قتل الاهالى قنصلى فرانسوا المانياسى فى جامع
هناك يسمى جامع الساعة لثداخلهما فى أمر فتاة نصرانية أظهرت الاسلام كما سبق فى تاريخ
الدولة وكان قاسم باشا وكيل البحرية حضر اليها على وابور شبين لمقابلة العساكر المصرية فأخذنى
بعيته وبقيت أركان حرب له طول مدة حرب الصرب والروسيا ولما عادت البواخر المصرية عين
الخديو فرقاطة محمد على يقودها القبودان ابراهيم بك عركيرى لتكون مع قاسم باشا فرجع عليها
علمه وحيته جميع السفائن الحربية الراسية بسلانيك وزاره أمير الاتها كالعادة ولما التقت عسكر
الطرفين انتصر العثمانيون فى كل المواقع على الصربيين الذين كان يقودهم القائد الروسى
جرنايف وأظهرت العساكر المصرية البسالة والشجاعة ولما بلغ الجناب الخديو ذلك أنعم على
القواد والضباط بالرتب ورفع درجة المرحوم اسمعيل باشا كامل الى رتبة الفريق وورقى كل من
يوسف شهدي باشا وزكريا باشا وعثمان نجيب باشا الى رتبة اللواء وجعل مكانهم لقيادة الالات على
بك فهمى وخورشيد بك نعمان وحسين بك مظهر

وفى خلال ذلك خلع السلطان مرادخان الخامس لاعتلال صحته وجلس مكانه مولانا السلطان
الغازى عبد الحميدخان الحالى (١١ شعبان ١٢٩٣ هـ - ٣١ أغسطس ١٨٧٦ م)
وأعلن الصدر الاعظم محمد رشدى باشا المشهور بالترجم الالات العثمانية بذلك وأرسل الى الخديو
يعلمه بذلك لتغرافيا كما جرت العادة (١) وكانت الهدنة تقرر بين الدولة والصرب بتدخل

(١) حيث ان جناب السلطان مرادخان الخامس لم يقم من عارض المرض الذى ابتلى به من يوم جلوسه على سرير
السلطنة السنية خلع خلفا شرعيا وحيث كان أخوه جناب السلطان عبد الحميدخان الثانى والى الهدنة وقع بموجب
القانون العثمانى فى هذا اليوم وهو يوم الخميس الموافق ١١ شعبان سنة ١٢٩٣ جلوس مولانا المشار اليه
أعنى السلطان عبد الحميدخان الثانى على سرير السلطنة السنية فترجم من المولى سبحانه وتعالى أن يجعل جلوسه هذا
سبب الخير والسعادة فيلزم اطلاق المدافع فى الاوقات الخمسة وتنوير المنارات والدواوين الميرية على ما جرت به العادة
اه من كثر الرغائب جزء خامس

الروسيا وبقية دول أوروبا وكان ذلك عقب واقعة علمكسناج الشهيرة كما سبق في تاريخ الدولة العثمانية واعتزل رشدي باشا وخلفه في الصدارة مدحت باشا (٤ ذى الحجة ١٢٩٣) ثم عادت العساكر المصرية الى دار الخلافة (١٦ ديسمبر ١٨٧٦) وكانت دول أوروبا وقتئذ تداخلت كمنصوح ترغيب من الدولة اصلاح حال ولايات البلقان والروملان فقبلت الدولة منهم ذلك باخلاص وحسن طوية وأوقفت الحركات العسكرية في كل الجهات ولكن لما كانت أسباب هذه الاختلالات بل المحرض الاكبر لقيام الثورات هي دولة روسيا لما تضمه من النوايا العداوية والمقاصد الخفية ضد الدولة طلبت عقد مؤتمر أوروبا بالاستئانة للنظر في مسائل ولايات البلقان وكانت دول أوروبا بتساعد على أغراضها تسكين الهياج الافكار العمومية ببلادها وكانت الدولة العلية ترغيب حل تلك المسائل أى اصلاح الولايات المذكورة كما يقولون بالمسألة والطريق الودية فعقد المؤتمر وعينت الدولة مندوبين من طرفها لحضوره وقبل أن يقر رشيأما تقر يباحشدت دولة روسيا جيوشها على حدود بلاد المملكتين والاناضول ولما أتم المؤتمر أعماله وعرض قراره رسميا للدولة شكل مولانا أمير المؤمنين السلطان عبداحميد خان مجلسا عاليا عامنا من الوزراء والموظفين وغير الموظفين والعلماء ورؤساء الاديان المختلفة والاعيان في شهر ربيع الثاني من سنة ١٢٩٤ هـ فأقر هذا المجلس على رفض القرار المذكور لان المدون فيه مذكورته مما في القانون الاساسى الذى سنه مولانا السلطان لعموم الامة العثمانية (٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٣) بلا فرق ولا استثناء وأرادت الدول تسوية الخلاف بالطرق السلمية لكنها راعت مصلحة روسيا أكثر لانها طلبت في بلاغها الذى أرسلته الى الباب العالى أن تنزع الدولة السلاح فقط دون روسيا فطلبت الدولة أن يكون نزع السلاح منها ومن روسيا فى أن واحد ولما تقبل روسيا انقطع العلاقات السياسية بين الدولتين وأعلن الحرب رسميا فى يوم ١١ ربيع الآخر من سنة ١٢٩٤ هـ (٢٥ ابريل سنة ١٨٧٧) كما تقدم فى تاريخ الدولة وطلبت الدولة من الخديو المساعدة العسكرية كنص الفرمانات مساهمة الخديو للدولة فى حرب روسيا - لما أتى لتغراف الصدر الاعظم بطلب المساعدة أمر الخديو فأعدوا جيشا عظيما جعلت قيادته لثالث أنجاله الامراء وهو والمرحوم حسن باشا وكان يرافقه اللواء على رضا باشا والزيبر رجى باشا وبلوتس بك الالماني وزهرا بك وتورناىزن بك واللواء كوت صورتانى وميكلىن بك ويعقوب سامى بك ومحمد نسيم بك ومن الاطباء بدر بك وديزارى بك وغيرهم من الكتاب والمأمورين وجعل له بلوك خفر من تلامذة المدرسة الخطرية تحت قيادة الصاغ خليل افندى عفت (صار باشا وكان مديرا للدقهلية) وكان ضباط أركان الحرب تحت رياسة مورى بك وبينهم الصاغ عقول أناسيه عبدالرزاق افندى نظمى ومصطفى افندى صدقى واليوزباشى خليل افندى كامل والملازمين روى افندى فهمى ومحمد افندى زهرى (الآت لواء مساعدا دجوتانت جنرال قسم عربى السردارية) وأحمد فائق افندى (الآت بك مدير جرجا) وحسين افندى فوزى ومصطفى افندى رمزى (الآت قائمقام بالجيش) ومحمد افندى أمين ومصطفى افندى كامل وعبدالرحمن افندى رشدى ومحمد افندى رضى ويوسف افندى ضيا وحسين افندى رمزى (الاول من الاخيرين الآت ميرالاي والثانى قائمقام من باوران الحضرة الخديوية) وعلى افندى حيدر (الآت بك ووكيل مديرية الحدود) وحسن افندى حارث

(الآن بك ووكيل مديرية المنوفية) وكان من الاطباء أحمد جدى بك وفوزى بك وأحمد أفندى خلوصى ومحمد درى بك وأحمد أفندى حافظ وغيرهم أما الجنود الذين أرسلوا فكانوا الايالى بسياده قيادة طه بك لطفى والايالى الثالث من الحرس بقوده راشد بك كمال والايالى الاول من الحرس أيضا بقوده محمد شوقى بك وأربع بطاريات من المدافع بقودها حسن بك حسنى المعروف بالتركى واسماعيل بك صبرى والابان من السوارى هما الايالى الاول من الحرس بقوده محمود بك سائى والايالى الثانى منه بقوده أحمد بك عبد الغفار وأرطه من المهندسين عليها البكاشى على أفندى السماع فكان الجميع ١١,٥٣٠ جنديا وأرسلت الدولة أسطولاً عثمانياً مشكلاً من دارعتى مسعودية وأورخانية وفرقاطى السليمية وخداوند كارت تحت قيادة الفريق حسين باشا الكرىدى لمرافقة البواخر المصرية الحاملة للجنود خوفاً عليها من تعدى سفن الروس المتجولة فى البحر المتوسط أما السفن المصرية فكانت محمد على ومصر والرجانية والغربية والشرقية والبحيرة والدقهلية وكان سفر هذه القوة فى يوم ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ وكتب ياورا حراً بيالقاسم باشا وكيل البحرية الذى قاد هذه البواخر ولما وصلت الجنود الى الاستانة أقلعت من هناك رأساً الى وارنه حيث انضمت الى الجنود المصرية التى كانت فى حرب الصرب وكان يقودها راشد حسنى باشا أما الامير المرحوم حسن باشا فانه بعد ان أقام باستانبول أياماً سافر الى وارنه ثم سافر الى شمشى وقابل السردار عبد الكريم نادر باشا القائد العام ولما عادت رتب خطوط الدفاع حول وارنه ولما عبرت جنود الروس انهر الطونة بلا مقاومة تذكر وعزل عبد الكريم باشا ونصب مكانه محمد على باشا وتقدم بالجيش لصد الروس رافقته بعض الفرق المصرية والتقت مع الروس بجبهات صارى نصوصلر (شعبان ١٢٩٤ هـ) وأظهر المصريون هناك البسالة والشجاعة حتى انطلقت الاسنة بالثناء عليهم ثم أمر محمد على باشا فعادت الجنود المصرية الى وارنه لسبب لا يزال مجهولاً وأمرها فتقدمت من جهة بازارجق من أعمال دورويجه وبعث حسن باشا قوة مع راشد حسنى باشا واللواء زكريا باشا للدفاع عن بازارجق ولما وصلت تقدم منها الايان مع زكريا باشا والى من الطوبجية وآخرون السوارى وانضمت اليهم بعض الجنود الشاهانية وفرقة المعاونة واتخذوا الاماكن اللازمة امام قوة الروس التى كانت بتلك الجهات تحت قيادة الجنرال سيمرمان (Zimmernan) وفى أواخر الحجة سنة ١٢٩٤ أمر البرنس حسن باشا قونستان الفرقة راشد حسنى باشا بان يجرى كشفاً عسكرياً يتعرض فيه للعدو فرتب الهجوم من قولين جعل الايمن تحت قيادة طه باشا والايسر تحت قيادة زكريا باشا ثم تقدمت القوة على هذا الترتيب فقابلت مقدمة الجيش الروسى وابتدأ ضرب النار من الجهتين واستمر أكثر من نصف النهار ولما انكشفت قوة الروس افضح انها تنوف عن ٢٠,٠٠٠ مقاتل وعلى ذلك رأت القوة المصرية عدم المقدرة على مقاومتها فرجعت بانتظام وفى أثناء ذلك استشهد اللواء زكريا باشا وأصيب البكاشى مصطفى أفندى صبرى بجرح مات منه واستشهد أيضاً نحو ثمانية ضباط آخرين وبعض العساكر ونحو ٢٠٠ عسكري تقريباً ولما وصل خبر ذلك الى البرنس حسن باشا أصدر أمره الى راشد حسنى باشا بالعودة الى وارنه وقد استنبذ درج هذا الامر بديل الحقيقة كما جرت عادتنا تماماً للقائده (١) ولما عادت القوة المصرية

(١) ياور خديو وفريق ٢ حى فرقه - أحيط علم - عادتكم انهم قبل كم يوم حصلت مناوشات جزئية

الى وارنه اقامت بها حتى عقدا الصلح بين الدولة العلية والروسيا وليس لها من الاعمال في هذه الحرب الكبيرة الا ما تقدم ذكره ويقال ان الخديو كان يسعى في ان لا يبارح جيشه وانه لم يقصد لم تعلم جيدا ومن المساعدات التي قام بها الخديو أيضا أثناء هذا الحرب ان شكل لجنة بمصر لجمع ما يتبرع به أهل المروءة والحمية امدعافا للجيش السلطانية ومساعدة للجمعية الخيرية العثمانية المسماة بجمعية الهلال الاحمر وقد جمع من ذلك أموالا طائلة لم يصل منها الى الاستانة الا نحو النصف على ما يقال ومن مساعداته أيضا ان اتخذ بجوار قصره الذي بأمر كون بالاستانة استبالية عظيمة لمعالجة جرحى الجيش ومرضاة وعهد بادارتها اطباء مصر بين وجعل أيضا لآخر محمد علي والغربية والرحمانية وطنطا ودسوق والدقهلية والمحلة تحت إمرة نظارة بحرية الدولة لمساعدتها في نقل الجيوش والمهاجرين وسلحتها الدولة بالمدافع ولما عقدا الصلح (١٥ مارس سنة ١٨٧٨ م) عادت الجيوش المصرية الى بلادها على السفن المصرية وعاد أيضا البرنس حسن باشا على ابواب البحر وسنة وأنعم مولانا السلطان على عموم الضباط والعساكر المصرية البرية والبحرية بعلمات الامتياز والنياشين ولما كان فيضان النيل في السنة المذكورة غير واف وخيف من القحط ولم تر وأراضى الوجه القبلي دعا الخديو أعضاء مجلس شورى النواب لاتخاذ التدابير اللازمة والنظر في حالة البلاد (٢٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٥) ولما اجتمعوا بشهرهم في مقالة الافتتاح بانتهاء الحرب وبقرب عودة الجيوش المصرية وقد ذكرنا في ذيل الصحيفة هذه المقالة وجواب أعضاء المجلس عليها (١)

مع العدو والذي جاء وتجمع في قره الياس وجاير أورمان الكائنة على بعد ساعتين من بازار جنق فلاجل استكشاف قوته أسس تاريخه صار اخرج قوة من العساكر المصرية بالشاهانية من كبة من غمانية طواير ومقدار من السوارى وبطارتين طوبجية وعند ما تمركزت أربعة طواير من هذه القوة من يسار قره الياس والاربعه الباقين من عين جاير أو رومان على طريق كلفج هجم من عساكر العدو على جناحنا الايسر قدره عشرة طواير وعشرة مدافع وعلى جناحنا الايمن غمانية طواير وغمانية مدافع وصارت تقسيم الاربعه الايات سوارى التي كانت موجودة مع هذه الطواير على الجناحين فولوانه صار امتداد الحاربة بثلاثين من الساعة الخامسة الى الساعة العاشرة لكن للثبات والشجاعة التي أظهرتها عساكرنا اضطر العدو للتقهقر بعد ما قتل من عساكرنا قدره اربع مائة نفر وجرح ثمانمائة وقد عادت عساكرنا الى مراكزها ولوانه حضر أثناء ذلك اثنا عشر طاورا بياده واثنا عشر مدفعا لمداد العدو ولكن لم تحصل معاربه نظرا لاقتراب وقت الغروب وبما أن أصل مقصدنا هو استكشاف قوة العدو ومعرفة مقدورها فلنا سبب اتساع موقع بازار جنق وكون قوتنا هي الثلث بالنسبة لقوة العدو قد أصدرنا أمرا بانما تهاجمهم الى قرية تدعى أول ما أظهرت السالة في هذه الحاربة هو سعادتنا اللواتي كرى باشا وقد أصيب برصاصة في ثديه الايمن أثناء اعطائه القوم انه اللازمه للعساكر وثلث شرف ارتشاف كوتر الشهادة هو وسنة يوز باشية وملازمون ومائة واحد دوار بعون نفرا ولاغروانهم خلدوا أسماءهم وشهرتهم بصفحات التواريخ وقد ترفت صدور كل من القائم مقام خو رشيد بك سمي وانين يوز باشية وثلاثة ملازمين وواحد وسبعين نفرا بياشين الجراح وحق لهم الفخر والمباهاة بذلك وبعان الاقدام والشجاعة التي أظهرتها عساكرنا المصرية الشاهانية في هذه الواقعة من الامور التي تستحق الذكر صار اخطار سعادتكم لاعلان هذا النصر الميمى على كافة الالايات والاورط مع كمال الشكر اه من قيودات القومندان راشد حسنى باشا

(١) نبدى لكم المنونية من اجتماعنا بالمجلس في هذا العام ونخبركم بأنه بالنظر لشرافى الذى حصل في هذه السنة بسبب تقصير النيل أكثر من كل سنة من السنين التي وقع فيها شرافى نحت اضرار وخسائر كثيرة للاهالى حتى ان معظم مديريات الوجه القبلي مار عواشياً وانما بعض الاهالى رعو احنا قليلا من النارى بالالات والشواذيف وهذا لا يمشى بالنسبة لاصل الزمام وعما ان حصول الشرافى انما هو من الامور القهرية ومن الضير ورى أخذ

لتعلم منه سماحة البلاد وقتها سيما وان في ذكرا مثال هذه الاشياء فوائد لا تخفى خصوصا على
المستغلين بفن التاريخ ثم بعد ذلك استعفى عبد الله عزت باشا من رئاسة شوري النواب وخلفه السيد
أبو بكر راتب باشا الذي كان عضوا بالمجلس الخصوصي

تنازل اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية - ان المسلك الذي سلكه هذا الخديوي في ادخال
مدينة أورو وباصصر والنهج الذي نهج للتحصيل على أسباب الترف العصري والثروة وكذا الاعمال
التي قام بها مثل بناء المعامل والمصانع المختلفة وتسيير التجريدات العسكرية الى الاقطار السودانية
لتوسيع أملاكه ومد نفوذه كما سبق وبناء البساتين والحدائق الغناء والقصور والشاهقة والدور اللطيفة
التي زينها وفرشها بديع النقوش وأخر الرايش والالوان المجلوبة من أرض الافرنج بأعلى الاعمال
واقامة الملاهي العديدة التي كان يستحضر اليها سنويا من أوروبا بأهمهر المشخصين والمشخصات والترع
التي شقها في اشحاء المديرية والطرق والشوارع والافوار التي أوجدتها بمدينة القاهرة والاسكندرية

الاحتياجات والتدابير اللازمة فيما يقتضى من العمليات التي باجرائها تأتي فوائد بحيث اذا كان لا سمح الله يحصل
شراق مثل هذا العام يمكن تخفيف الضرر رويما فيقتضى النظر والمذاكرة في ذلك بالمجلس ونعلمكم بأن الحكومة
متشكرة لكم للساعات التي حصلت منكم في مسألة مصاريف لوازم الحرب على انه وان كان لم يزل باقي شئ من تلك
المصاريف لكن الذي تحصل من المبالغ التي تقررت بالعام الماضي بمجلس الشوري لهذا القصد مع موقوف جمعية طنطا
كل ذلك موجب للتشكر لكم وحيث بحمد الله قد انتهى الحرب فالأموال حضورا العساكر المصرية لهذا الطرف عن
قريب وتقرأ عيننا برؤية أولادنا جميعا وكونهم أذوا ما وجب عليهم من الخدمة للدولة العلية وبعائه بالقرارات الصادر
من مجلس الشوري في العام الماضي ذكر بأنه عند انعقاد المجلس في هذه السنة يتقدم له حساب ايراد و صرف الاعانة
فيطلب من قومسيون الاعانة بيان ذلك كما انه يطلب من الجهادية والبحرية بيان صرف ما استقر لواعده من تلك النفود
من القومسيون المذكور ولا يخفى كما انه بالعام الماضي كان حصل اتفاق يتعلق بمسألة المائسة لكن الارادات
ما حصلت بأكملها بحسب ما تبين وليكون الحكومة كما يلزمها مراعاة الاهالي وتحصيل الارادات بوجه الامكان
وصرف ما هو مقتضى من المصاريف في كذا يلزمها النظر في تأدية حقوق الديانة حتى لا يقال بان قصدها عدم ايصال
حقوقهم اليهم وبهذه المناسبة يكون حصل مراعاة استيفاء حقوق كل جهة فقد ترتب قومسيون مخصوص وسينظر
في هذه المسألة وبالاقرار على ما يترامى موافقة اجرائه الطبيعية تنظم الاحوال بالنسبة للاستحصال على الاراد بحسب
امكان البلاد وانتظام سير امور الحكومة وتأدية حقوق ارباب الدين في اوقاتها والله الموفق الى ما فيه الخير والاصلاح
جواب أعضاء المجلس عن نطق الخديو الأعظم

قد تشرفنا بانتتاح المجلس بحضور عادة الخديو الأكرم وخطيبنا المثلوثي بن يدي سيادته الكريمة وزاد ابتهاجا
بتوجيه نظاره العلية وحسن الالتفات الينا وأصعبنا الى المقالة الجلية ونسكر الاعتراف بالجزء من الاتيان ببعض
ما يجب من التشكر لنعمة المترادفة على هذا القطر وأهله ونعرض بأنه في الحقيقة حصل من شراق هذه السنة ضرر
كبير لاهالي والضرورة موجبة لرؤية الاعمال التي تلزم للتحفظ والاحتياط من مثل هذا الامر المجهول مع دقة النظر
أيضاً في حال الاهالي الذين مسهم هذا الضرر نظرا لاحتياجهم للمساعدة وسينظر في كل ذلك والذي يرد بأفكارنا
القاصرة يعرض للسامع الركية أما مصاريف لوازم الحرب فبالنظر لكون تلك الحرب مليية فالمساعدة بقدر
الامكان فرض من على جميعنا وحيث انتهى الحرب وأمضيت شروط الصلح فنرجو المولى جل شأنه ان تحصل
الراحة وتصلح الاحوال وتحضر العساكر المصرية عن قريب ونخطي برؤية أولادنا جميعا الذين أذوا ما وجب عليهم
من الخدمة للدولة العلية وحفظوا شرفهم وناموسهم العسكري وبحسب ما أشير بالمقالة الكريمة ننظر في ايراد
وصرف الاعانة وأمام مسألة المائسة فالأموال انه في هذه الدفعة يحصل تسويتها بحالة مستحسنة للجميع حتى بذلك
يستحصل على الاراد بحسب امكان البلاد وحسن سير اشغال الحكومة وتأدية حقوق جميع ارباب الدين وايصالها
اليهم في اوقاتها ونبتهل الى المولى عز وجل في أن يديم لنا بقاء سعادة الخديو الأعظم ممتعنا بتعاله الكرام عمر امريدا
وأمد بعيدا انه على ما يشاء بقدر وبالاجابة جدير اه

على الخصوص حتى فاقتنا كثيرا من مدن أوروبا والهباب والصلوات والهدايا والانعامات المتنوعة التي كان يتحف بها الملوك والأمراء وأهل السياسة والقلم ورجال الدولة بأوروبا وأمصر والاستانة وبالاختصار جميع الاسرافات والتبذيرات التي فعلها حظوظه وشهوته أو التي صرفت في سبيل الاصلاح المذكور سيما صرفه عند فتح قنال السويس وفي الاحتفال بتزويج أمجالة الامراء وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر اضطره طبيعة الى الاستدانة والاستقراض من الخارج وليت أن استدانته كانت من مال كتر جو خير مصر ومنفعة أهلها وليتها كانت من رعاياه أو بفوائد قليلة على الأقل بل كانت لسوء الحظ بر بافاحش ومن دول لا ترغب الا في عرقلة مساعيهم وبتثقل مصر الاسيفة بالديون الفاحشة حتى يتسنى لتلك الدول في يوم من الايام أن تتداخل في أعمال مصر صيانة لحقوقها كما حصل وليت هذه المبالغ صرفت في داخل البلاد أو على أهل البلاد بل استجلبت بها أشياء وأدوات ومحرمات من أوروبا ولم تستفد منها البلاد الا ما لا يذكر وما ساعد الخديوي على اجراء مشيئته عدم وجود مجالس مستقلة بالبلاد تناقشه أو تراقب أعماله أو توقفها عند حد ومن الغريب أنه لم يتجاسر أحد من حاشيته أو من كبار رجاله أن ينصحه بصحماؤا خوفا عليه وعلى البلاد من أن يحل بها ما تنكره مع وجود كثيرين منهم اتصفوا بالعقل والنظر في العواقب فلاحول ولا قوة الا بالله وكان سير الخديوي على ما ذكرنا بعضه حجب للاهالي تقليده لأن الناس كما يقال على دين ملوكهم فاستدان كثير من الاعيان والذوات الاموال بالفوائد الفاحشة ورهنوا عليها عقاراتهم ولما لم يمكنهم سد ادها وقعت أملا كهم في يد الاجانب كما وقعت البلاد وانكبوا على الشهوات والمظالم حتى خسروا الدارين وبأوابغضين غضب الخالق وغضب المخلوق ولما كثرت الديون وفوائدها وتعرض على حكومة الخديوي أدائها وامتنعت أوروبا عن تسليفه ابتكر له رجاله الذين غسروهم باحساناته وعمال السوء من حاشيته طرقا يتحصل بهم على الاموال وهي أنهم فرضوا على الاهالي ضرائب متعددة تحت أسماء مختلفة لا تزال أنواعها وأسمائها مسجلة في دفاتر سيئات الوقت المذكور (١) وقد بلغت عشرات أمثال ما كان يؤخذ من الاهالي في عهد سلفه وكانت الضرائب المذكورة قاصرة على الاهالي فقط لا تمتنع الاجانب من أدائها فلهذه الاسباب وما انضاف اليها من ظلم عماله وجبروته وبطشه بكثيرين على غير ذنب معروف وما علم عنه من السعي في الانفصال عن الدولة العثمانية كرهته الخاصة والعامية بعد ان كانت القلوب مجمعة على ولائه في أول حكمه هذا ولو أراد الله سبحانه وتعالى ورزق الخديوي المشار اليه ماشية خالصة السرية تحب البلاد حقيقة لا مكنتها على الأقل تخفيف ما أتاه من الويلات ور بما قدرت على منعه تماما سيما وأنه كان سامحه الله من أحسن من بولوا مصر عقلا وسياسة وتهذبا وقد كثر كرب الاهالي من معاملة الأمورين لهم حياة الاموال بالاقالم حيث كانوا يستعملون في جبايتها كل الوسائط القهريه حتى اضطر المزارعون للاقتراض من عربان اليهود والارام وغيرهم الذين كانوا يتجولون بينهم بفوائد باهظة وكانوا يرهنون مزروعاتهم قبل حصادها ويرهنون أو يبيعون ما يمتلكونه من حلى وأطيان وغيرها وبذلك أصبح

(١) وهما أشهر الضرائب المذكورة السدس تذاكر شخصية عوائد أعنام عوائد ملح وركو الصنائع عوائد قبالة مصاريف سهام عوائد عسكرية عوائد خفرتم الاطاعة مصاريف النيل العونة المقابلة عوائد تنغة عوائد ترعة الابراهيمية عوائد الورد عوائد الجملة والدلالة عوائد المواشي وغير ذلك

كثير من العائلات أسرى للرايين الذين أصبحوا أغنياء عصرهم فكم سمعنا ورأينا من هؤلاء الرايين الفاسدى الذمسة من أضحى بعد الفاقة المدقعة تلك القناطير المنظرة من الاموال والآلاف من الافدنة وأصبحت حالة الفلاح شاقة تعيسة هذا أما إيرادات الحكومة فلم تكن تكفى لسد العوز مع أنهم ازادت عن الخمسة عشر مليوناً من الليرات سنوياً ولم أر أى الخديو ما وصلت اليه الحالة من التأخر والارتباك وتأفف الاهالى استخدم اثنين من الانكليز هما المسترا كتون (Acton) والمسترنيل (Pennel) فى نظارة التجارة والزراعة التى أحدثها فى ذلك الوقت وجعل لرئاستها المرحوم اسمعيل راغب باشا (١٨٧٥ م) ثم ألغيت هذه النظارة بعد قليل لانهم تأت بالفائدة المطلوبة ثم شكل مجلساً علياً لاصلاح حالة المالية بأمر أصدره فى ١١ مايو سنة ١٨٧٦ وجعل لرئاسته رجلاً طليانياً يدعى سيالوجا (Scialoja) كان ناظر المالية بايطاليا فكان من أعمال هذا المجلس المهمة اصدار ميزانية عمومية للحكومة حصرت فيها ديون مصرف كانت ٩١,٠٠٠,٠٠٠ من الليرات المصرية فأنتمت اسبع فى المائة ثم أصدر عقب ذلك أمر بتشكيل صندوق الدين العمومى (١٢ مايو ١٨٧٦) بناء على طلب الدول الاوروبوية حفظ الحقوق الدائنين من رعاياهم وجعل فيه لكل دولة من الدول المذكورة عضواً عبرت من مالية مصرف كان للنمسا الموسيدو كرىمر (De Cremer) وفرنسا الموسيدو بلنير (De Bligniers) ولايتاليا الموسيو بارافيللى (Baravelli) ولانكلترة المستر كاب بارنج (Cap. Baring) وجعل لصندوق الدين المذكور سلطة تكاد تكون غير محدودة فى مراقبة المالية المصرية ثم عين الخديو المسترا كتون المذكور رئيساً لادارة صندوق الدين الذى تخصصت له إيرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وكذا إيرادات دخولية مصر والاسكندرية وجمارك اسكندرية والسويس ودمياط ورشيد وبورت سعيد والعريش وكذا إيرادات السكك الحديدية والتبغ والملح ورسوم التزام المطرية والهويسات والسفن التى تسير بالنيل لغاية وادى حلفاوكذا ما يتحصل من كبرى قصر النيل وقد باع مجموع ذلك ٨٤٥, ٧٩٠, ٥ ليرة مصرية يضاف اليه ٤١١, ٦٨٤ وهو ما يتحصل من أراضى الدائرة السنوية يدفع ذلك أجمعه عند تحصيله وبذلك أصبح المبلغ المخصص لسداد الديون المذكورة ٢٥٦, ٤٧٥, ٦ ليرة مصرية وكان ذلك بمقتضى أمر عال أصدره فى ٧ مايو من سنة ١٨٧٦ ثم صدر أمر عال (٢٥ مايو ١٨٧٦) بتوحيد كل الديون المصرية وتصرخ فيه لاسمعيل صدق باشا ناظر المالية بان يفعل ذلك بعرفة البنك الفرنسى المسمى كتوار ديسكوت وفروعه فاعترض المالىون عموماً والانكليز منهم خصوصاً على ذلك حتى اضطر الخديو لالغاء هذا الامر ثم طلب الخديو من انكلترة وفرنسا أن يعيناه مندوبين لفحص المالية المصرية فعينت انكلترة المستر جورج غوشن (Goschen) وفرنسا الموسيو جوبرت (Joubert) ولما حضر الى مصر فى ١٤ اكتوبر من السنة المذكورة أخذ يتظران فى دفاتر المالية ويدققان فى المصروفات والإيرادات وعند ذلك وقع المرحوم اسمعيل صدق باشا ناظر المالية فى ارتباك وحاف المسؤولية وسوء العاقبة فصار يتفقو بما عيس بكرامة الخديو الذى لما علم بذلك أضر الشرائط المالية عقاباً له على ما صدر منه ثم زاره فى بعض الايام كعادته معه ولم يظهر له أدنى تكدر منه واستحبه معه فى غربته الى سراى الجزيرة وكان بها الامير حسن باشا الذى

أمر جنس السرايا من الجنود بالتقبض على ناظر المالية كاهن والده ثم أنزله الى باخرة كانت مستعدة في النيل لنفيه الى دنقله ثم ذهب الخديو الى سراى عابدين وجمع أعضاء المجلس الخصوصي وقال لهم إن سوء ادارة المفتش في الحكومة هي التي انتجت هذا الارتباك المالي وأنه لذلك استحسن ابعاده الى دنقله وبعث اليه بمحافظ القاهرة في ذلك الوقت فأخبره وهو في الباخرة بما أقر عليه المجلس الخصوصي وقال له أيضا إنه لو دفع قدر من أمواله لتسوية المالية المصرية تحققت عنده عقوبة النفي وجعلته باسيوط بدل دنقله فأجابته بأنه لا يملك شيئا فألغت به الباخرة الى دنقله فأت بها وقد اختلف في أمر موته فمن قائل أنه مات حرقا بعد وصوله الى دنقله بايام ومن قائل أنهم أماتوه خنقا والقوه في النيل أو دفنوه على شواطئه وأن سفر الباخرة الى دنقله تسمية للافكار وهو رأي الجمهور ويستدلون على ذلك بان أحد ياوران الخديو المسمى اسحق بك وهو الذي وكل اليه أمر خنقه قطعت اصبعه عند قيامه بما أمر به وراه الناس كذلك وقال المستر ماك كوان (J. Carville Mc. Coan) أحد أعضاء البرلمان الانكليزي في الوقت المذكور وكان وكيل الخديو بلنديره في كتاب ألفه عن تاريخ الخديو اسمعيل باشا إن المفتش اسمعيل صديق باشا بعد وصوله الى سراى الجزيرة أمر الخديو به فخنق بمعرفة ملاحى الباخرة التي أعدت له بمساعدة أحد البكوات الياوران بحضور البرنس حسين باشا ثم أفلعت الباخرة بمحشته الى الوجه القبلي وألقيت في النيل على مسافة من القاهرة اه وبعد وفاة المفتش أمر الخديو فصدورت أمواله وعقاراته بدعوى انه جعلها بطريفة غير شرعية هذا والتفت الخديو في ذلك الوقت الى كبار عماله ورجال حكومته فغمرهم بالانعامات والرتب لجذبهم اليه ويعددهم عن السعاية والوقية في حقته وغيره وبدل في الوظائف فجعل نائى أميرال الامير حسين كامل باشا ناظر المالية ومحمد ثابت باشا وكيله وكانت لجنة التحقيق المذكورة قد أتمت أعمالها وصرحت بأن مالية البلاد المصرية غنية وقادرة على دفع أرباح وديون مدائنها ولكنها عاجزة عن القيام بما يطلب منها سداد من الديون وفوائدها الفادحة واقترحت توحيد الديون وجعلها دينًا واحدًا وان يخص لها بعض الإيرادات ويجعل لها امر اقبين خصوصيين يلاحظون جباية الإيرادات المذكورة وصرفها في سبيل تسديد الديون وقد تمكنت اللجنة المذكورة من انقاص قيمة ديون الحكومة وفوائدها بعد ان كانت واحدا وتسعين مليونًا من الليرات أصبحت ٥٩ مليونًا فقط وبعد ان كان متوسط فائدة المائة بها ٧ أصبح ٦ ولما قبلت الدول بذلك صدر أمر عال في ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٧٦ م بتعيين مفتشين عموميين على المالية المصرية أحدهما انكليزي وهو الموسيور رومين (Romaine) والاخر فرنساوى وهو البارون دو مالاريت (Baron de Malaret) فشرعا في تنظيم الديون واصلاح المالية ومراقبة حساباتها وفصلها من دين الحكومة دين الدائرة السنوية التي كانت يومئذ تحت نظارة المرحوم حسن راسم باشا وكذا دين السكك الحديدية وميناء الاسكندرية وغيرها فأصبح مجموع دين الحكومة ٥٩,٠٠٠,٠٠٠ ليرة كما سبق وأخذ كل من المستر غوشن والموسيور حوررت ينظران في تحويل ديون الدائرة السنوية بالنياية عن موكلهم امن حاملى سندات استقرار الدائرة المذكورة وعين الخديو أيضا الجنرال ماريوت (Mariott) مفتشا عموميا على السكك الحديدية وميناء الاسكندرية والمستر اسكريفت (Scrivener) مديرا لعموم البحار وبذلك أمن أصحاب الديون على أموالهم

الان اوروبا وجدت بابا واسعا تلج به عند ما تريد المدخلة في أعمال مصر والضغط عليها وسبب ذلك الديون كقلناه فهي أصل المصائب وجرثومة الضياع ولما ظهر بعد قليل للعموم ان مصر يستحيل عليها القيام بما تعهدت به لان اوروبا لم توافق على انقاص مقدار الفائدة بل أبقته كما هي وسيلة لانفاذ ما رهبانها فيها عند ذلك قامت الدول الاوروبابوية وأكرهت الخديوي على تعيين لجنة عالية مختلطة لتحقيق حالة المالية المصرية بجميع أجزائها ولم يسع الخديوي الا لقبول فتشككت في ٣٠ مارس من سنة ١٨٧٨ م تحت رئاسة الموسيوقردينان دولبس ووكالة المستر رفرس ولسن (Rivers Wilsoon) ورياض باشا وكان أعضاءها الموسيوقردينان ولسن والطلبان والمستر بارنج الانجليزي والمسيود وبلنير الفرنسي والمسيود وكرير النموي وظهر لها من الابحاث ان بعض المديرات أرسلت ايراداتها الى ديوان الخاصة الخديوية الى المالية وكان ذلك من أكبر الاسباب التي جعلت تلك اللجنة تشك في اخلاص نوابها المرحوم اسمعيل باشا وميله لسداد الديون فأخذت تعرقل مساعيه وتوقف اطماعه كما أخذ هو بمهارته في ملاطفة وملاينة أعضائها ولكنهم لم ينجح هذه المرة لان الدول صاحبة الدين اضطرته لان يتنازل هو وعائلته للحكومة عن أملاكهم الخاصة لتسديد بعض تلك الديون فقبل وأصدر بذلك أمرا بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٨٧٨ فصارت تلك الاملاك تعرف بالذومين أي أملاك الميري ومع ذلك فإنه لما تحقق ان اوروبا لا تزال تمحذ عليه أراد التقرب منها فشكل وزارة مختلطة تحت رئاسة نواب باشا جعل فيها ناظرا انكليزيا للمالية وهو المستر ريفرس ولسون وآخر فرنسي بالنظارة الاشغال العمومية وهو الموسيوقردينان وبلنير وجعل رياض باشا ناظرا للداخلية وراتب باشا للجهادية والبحرية وعلى مبارك باشا ناظرا للاوقاف والمعارف العمومية وكيلا للنظارة الاشغال العمومية (٢٨ أغسطس ١٨٧٨) وجعل تلك الوزارة مسؤلة عن أعمالها كما هي بالدول المنتظمة وأوجد الشورى في البلاد وان رأى الاغلبية هو الذي يعمل به وغير ذلك من الاصلاحات التي لم تستفد منها البلاد لانهم تمكن فيما تنظر بقصد اصلاح الحقيقي ومع هذا فقد أفادت بعض الفائدة وقد أوردنا في ذيل الصحيفة صورة ما كتبه الخديوي في ذلك الى نواب باشا (١) الذي أعلم قناصل دول اوروبا بذلك رسميا وأرسل لكل واحد منهم صورة من

(١) وزيرى العزيز - إنى أطلت الفكر وأمعنت النظر في التغييرات التي حصلت في أحوالنا الداخلية والخارجية الناشئة عن تقلبات الاحوال الاخيرة وأردت في وقت مباشرتكم المأمورية تشكيل هيئة النظارة الجديدة التي فوضت أمرها اليكم أن أوكد لكم ما توجه قصدى اليه وثبت عزمي عليه من اصلاح الادارة وتنظيمها على قواعد مماثلة للقواعد المرعية في ادارات ممالك أوروبا * وأريد عرضا عن الافراد بالامر المتخذ الآن قاعدة في الحكومة المصرية سلطة يكون لها ادارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة من مجلس النظارة بمعنى أنى أروم القيام بالامر من الآن فصاعدا باستعانة بمجلس النظارة والمشاركون معه * وعلى هذا الترتيب أرى أن اجراء الاصلاحات التي نهت عليها يستلزم أن تكون أعضاء مجلس النظارة بعضهم لبعض كقبلا فان ذلك أمر لازم لا بد منه * يجب على مجلس النظارة أن يتفاوض في جميع الامور المهمة المتعلقة بالقطر ويرجع رأى أغلبية أعضائه على الأقل عددا فيكون حينئذ صدوره قراره على حسب الاغلبية ويتصدق عليها أقر الرأى الذي يكون عليه الاغلبية * يتعين على كل ناظر من النظارة أن يعرض قرارات المجلس المصدق عليها منافى الادارة المنوطه به * تعيين المديرين والمحافظين وأمورى الضبطيات يكون بالمداولة بين الناظر التابعينهم لادارته وبين رئيس المجلس وما يستقر عليه الرأى يعرض علينا بواسطة رئيس المجلس لاجل تصديقنا عليه * الناظر الذي يكون المأمورون وأرباب الوظائف السالف ذكرهم تحت ادارته مباشرة الحق في توقيدهم عند الاقتضاء عن اجراء وظائفهم وذلك بعد اتفاقه مع رئيس هيئة النظارة

كتاب الخديو ثم صادق الخديو على لائحة قدمها له مجلس التفتيش الاعلى (١) باجراء الاصلاحات

وأما انفساهم عن وظائفهم فلا يكون الا بعد اتفاق الناظر التابعين له مع رئيس المجلس والتصديق عليه منا * للناظر أن يختار المأمورين ذوي المناصب العالية اللازمين لادارتهم وأن يعرضوا ذلك علينا للتصديق عليه وأما الوظائف الصغيرة فيكون تعيين المستخدمين اللازمين لها بمخطاب أو قرار من ناظر الديوان * أعمال كل ناظر تجري في الامور التي تكون من خصائصه لا غير وأرباب الوظائف والمستخدمين في كل فرع من فروع الادارة يتلقون الاوامر الامن رئيس الصلحة الذين هم مستخدمون بها وتابعون لها ولا تجب عليهم طاعة أمر غيره * بنعقد مجلس النظارت تحت رياستكم لاني فوضت هذا التنظيم الخديوي الى عهدتكم وجعلت مسؤوليته عليكم * واني أرى أن تشكيل هيئة نظارة حاضرة لهذه الخصوصيات ليس مخالفا لعوائدنا وأخلاقنا ولا لآرائنا وأفكارنا بل موافقا لاحكام الشريعة الغراء وبتميم ترتيب محاكم الحقايقية يكون فيها الكفاية لحاجات همتنا الاجتماعية والمساعدة على تميم مقاصدنا الحقيقية وياتنا الخيرية * ولاني معتمد عليك في اجراء الاصلاحات التي صممت عليها مؤملا أن تكفل للبلاد جميع التامينات التي لها الحق في انتظارها والحصول عليها من حكومتنا ٢٨ اغسطس ١٨٧٨ الموافق غرة رمضان سنة ١٢٩٥ هـ من صحيفة ٥٢ القسم الاول ديكرتات سنة ١٨٧٨

(١) ان من واجبات ديوان التحقيق أن يبحث عن أسباب الاصلاح الذي تقتضيه الحال ويظهرها للعيان ولكن لا بد لنا من الزمن الكافي لاستيعاب ما جعنا من الايضاحات وبيان ما ينبغي من التفاصيل لاستكمال تنظيم المالية على اننا قد علمنا من الأسباب المانعة تعميم التروية وتوفير واردات الخزينة ومن الوسائل الموجبة لانتظام الادارة ما نستعين به الآن على بيان الاصول التي يترتب عليها اجراء الوظائف العمومية على محور الاستقامة بما يوافق منطوق الاوامر الخديوية الصادرة بتشكيل ديوان التحقيق وبناء على ذلك رأينا أنه ينبغي ان لا يؤخذ من الضرائب الامتاعية بقانون منشور في مجموعة رسمية وأن يكون اجراء الاحكام القضائية مرعيا بحيث تصير قوانين الرسوم والضرائب العمومية لا يقع منها أحد من سكان الديار المصرية من أي جنس كان . وان يجعل حياة الاموال أي مأمور والتخصيص تحت ادارة نظارة المالية ويعين لهم في أما كهم مفتشون تناط امورهم بالادارة الداخلية . وان يصلح شأن المحاسبة العمومية وقلم تنظيم البرنامج أي الموازنة وتخذ الوسائل الاحتياطية لسد ما يمكن أن ينشأ عن قلة قبض التبيل من الخلل والنقص في بعض السنين وينفذ قانون المالية على وفق النبد العاشر من الامر الصادر في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بحيث يتيسر للحكومة أن تجمع ضرائبها في الاوقات الملائمة لطالبين غير مهمة بأجل الاستحقاق وبشكل مجاس مستقل ترفع اليه الدعاوى المتعلقة بتخصيص الاموال ومجاس آخر خصيانه الوطنيين من اعتداد المأمورين وتلقى الرسوم اليسيرة التي يصعب جمعها أو تتخذ الوسائل الظلمة ويعوض ذلك بزيادة تلحق بالضرائب الموضوعه على بعض الارضين أو بضرائب جديدة تكون أوفر حاصلًا وأيسر تحصيلًا . وتعديل ضرائب الاملاك ويعين لتخصيلها أوقات معلومة من السنة وكذلك رسوم الجمر وكيفية تحصيل ضرائب الملح والتبغ وتقسيم مياه الترع وينظم قانون اجراء الاشغال العمومية بحيث يفي التسخير الاقضية بترتيب عليه نفع عمومي . وتنظم الخدمة العسكرية وتعين اهمادة محدودة ويكون اجراؤها بالقرعة الشرعية

وان جملة ما يطلبه ديوان التحقيق من الخناب الخديو المعظم أن يعين جميع املاك الدوائر المستقرة لسد الخلل الواقع في موازنة المالية وبيان هذه الاملاك (أولا) املاك الدائرة السنية والخاصة بعد وفاة فائدة الدين المتعلق بهما (ثانيا) املاك الدوائر المعنية في الاثنتين التي قدمها الديوان الى الحضرة الخديوية وهي الاملاك البالغ دخلها ٦٤٦ و ٤٠٠ جنيه (لير مصرية) (ثالثا) الابنية المختصة بالدوائر المشار اليها البالغ دخلها على ما عتده الحضرة الخديوية ٧٧٦ و ٣١ جنيه (رابعا) ما فاتنا ذكره في الاثنتين المرفوعتين في طي هذا العرض من الاملاك التي في المدن أوفى الريف وتناط ادارة جميع ذلك بديوان متسع الحقوق يضبط دخل الاملاك ويبيعها أو يستدين عليها قرض الوفاة الدين المتعلقة بالحكومة أو بالدوائر اه لمخصص من صحيفة ٣٨١ جز ٦ كز الرغائب

بأمر عال صدر منه في شهر أغسطس المذكور (١) وكانت اجراءات الحكومة المصرية الى ذلك الوقت بيد الخديو رؤساء فسادت من يومئذ تجرى بواسطة مجلس النظار المذكور وتنتج عن أعمال الحكومة كل الامراء انجباله وجعل المسمو بارافلى مفتشا لعموم الايرادات والمصرفات الاميرية (١٤ ديسمبر ١٨٧٨) مع حفظ وظيفته في رئاسة صندوق الدين العمومي وجعل المسترفس جيرالد (Fitz Gerald) مفتشا لعموم الحسابات والموسيو جول بلوم (Jules Blum) وكيل للمالية ولما كانت الحكومة يلزمها في ذلك الوقت استتراض النوقد لتسوية بعض ديونها صدر أمر بعدم موافقة نظاره باجراء سلفة قدرها ٨,٥٠٠,٠٠٠ جنيه من الموسيو روتشيلد ترهن عليها املاك الدومين المذكورة وجعل الموسيو بترون والموسيو روسيل ورستم باشا أعضاء لادارة الاطيان المذكورة التي عرفت باملاك المسيرى (٣٠ يناير ١٨٧٩) هذا وأخذت هذه النظارة الجديدة المختلطة تصالح المختل من حسابات المالية وتسوى مرتبات المستخدمين والموظفين وكان تدمير الامة المصرية التي أفاق من فومها فوعاين راديو فامو ما ضد أعمال الخديو والموظفين الاورباو بين الذين أتى بهم من أوروبا وبوسهل اهم ولدولهم بأعماله المذكورة طريق المداخلات في أعمال الحكومة المصرية وكانت مرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين وكذا مرتبات الجيش البرى والبحرى لم تصرف منذ شهر وحتى اضطر ضعفاء الحال منهم الى الاستدانة وبيع ما يمتلكون ومما زاد الحالة اربا كان النظار المذكورين قرر وا الاقتصاد من نفقات الجيش فأخرج بذلك عدد عظيم من الضباط من وظائفهم ولم يكن لهم طريق آخر للعيشة غير العسكرية التي تربوا في احضانها مع ان الموظفين الاجانب الذين في خدمة مصر كانوا يحملون أقاربهم وأصحابهم من بلادهم ويخلقون لهم الوظائف بالراتب الكثير ولو أدى ذلك لاخلع سبيل عدة من أبناء البلاد الذين لا يعرفون لهم وطناسواها ناهيك ان المصرى لا يميل كثيرا الى الهجرة طلبا للرزق في بلاد أخرى مادامت بلاده تفيض لبنا وعسلا بينما يتمتع الاجنبى بخيراتهم ولما وصلت الحالة الى هذا الحد انضم الذين يستخطون عليها الى بعضهم وعرفوا بال حزب الوطنى ولم يكن لهذا الحزب والحق يقال هم الاشباع البطون الجائعة لان حالة البلاد واخلق سكانها تجعلهم في معزل تماما عن التعصبات السياسية والمذهبية ولما انتشرت أفكار هذا الحزب المخروط تحت لوائه جمع من العلماء

(١) وقتت على لائحة دعوان التحقيق فرايتها مفصلة تفصيلا واني وان منعكم ضيق الوقت من استيعاب عدة مسائل لشاكر لكم ولرفقاءكم الذين ساء في سفرهم قبل ان أتى عليهم مشافهة تأتقدم اليكم ان تبلغوهم شكركى . اما نتائج لائحةكم فوافقت عليها ولا بدع في ذلك فهمى النتائج التي عنيت بها رغبة في نفع بلادى وبقى على الاهتمام باجراءها وقد وطنت على ذلك نفسى علما بأن بلادى لم تعد من افريقية وانها من أقسام أوروبا فبالاستدوحة لنا عن اطراح الخطا القديم وسلك السن الملائم لحالنا الاجتماعية وعندى انكم سترون في أمرنا ما قريب تغيرا مهما يحدث بسهولة غير منتظرة فان غاية ما رومه الاستقامة واحترام القانون ولكن ينبغي لنا ان لا ناعتمد على القول الذى لا يؤيد به الفعل واني عازم على طلب حقائق الامور وقد ابتدأت ذلك مشيتابه صدق عزيمتى بان كلفت نوبار باشا أن يشكل لى وزارة وقتلا يرى لهذا الامر شأن عظيم ولكن اذا توفرت شروط إنفاذه يصدر عنه استقلال الوزان وليس ذلك بالثى اليسير فانه ملحة التغيير الامسى المطلوب بل هو فيما أرى أحسن دليل لايات عزيمتى الى انفاذ قراركم وقد ازعمت الرجل ورجاؤنا انكم ستدعون النما عا قريب على انى أروم ان تسيروا وانتم على يقين من ان سعيكم الذى لا يقيم فيه صعبه وعناء سيئ خيرا فان القرنين يمر والنمر يفضح سر يعانى هذه الارض القديمة ٥١ من كثير الرغائب

والضباط والموظفين وقاموا يطالبون بالاصلاحات ويجعل الحكومة نظامية مقيدة مع تقليل نفوذ الاجانب الذي اودى باستقلال البلاد وكانت أقوال هذا الحزب وعدد رجاله كل يوم في ازدياد ولما ضاقت الاحوال بالضباط لعدم صرف مرتباتهم المتأخرة واقفقر الكثير منهم بل مديده للسؤال حتى صار يضرب يومئذ بعوزهم المثل اجتمع منهم عدد عظيم نحو الاربعمائة وقدموا العرائض الى الخديو ملتسئين منه صرف مرتباتهم فأحالههم على النظار ثم اجتمعوا تحت رئاسة ضباط منهم اشتهر بالجرأة واستقلال الفكر وهو البكاشي لطيف بك سليم وكان معلما بالمدرسة الحربية فخطب فيهم خطبة بليغة حماسية وشجعهم على السعي بلا تخاذل حتى ينالوا مرغوبهم ثم ساروا الى نظارة المالية وتبعهم نحو ألني جنسدي وكان ذلك في يوم ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ (١٨ فبراير ١٨٧٩ م) وتقاطر الناس من كل صوب لينظر واما اذا يكون من أمرهم فقبضوا على نوبار باشا وأهانوه هو والمسترير بفرس ويلسون ناظر المالية وألزموها بصرف مرتباتهم ووقع الهرج واللعط والتراحم حتى خيف من حدوث فتنة كبيرة وحضر الخديو بنفسه الى نظارة المالية وأخذ ينصح المتجمهرين فأندهش الضباط لما رأوه بينهم وتفرقوا وسكنت الفتنة وأمر جنابه النظار فصر فوامرتبات الجنود في الحال واستعفى كل من نوبار باشا ورياض باشا تخلصا من المسؤولية ولم يستعف الوزيران الاجنبيان وجعل الخديو نجله الاكبر المرحوم محمد توفيق باشا رئيس المجلس النظار وقد دار على السنة الخاصة ان قيام الجنود بهذه المظاهرة كان من تدبيرات الخديو لانه لما رأى تداخل الاجانب في أعماله سيمان ولا هم النظارة أراد التخلص منهم بسبب لا يريد وهو ارادة الامة التي يعرف الاجانب مقدرات ارادتها وقد تأيدت هذه الرواية من مصادر كثيرة جديدة بالاعتبار منها ان الخديو أعز الى المجلس الذي جمعه من الاعيان وأعضاء الشورى بوضع قانون مالي عام يمكن به من الغاء القرارات السابقة التي أقر الخديو عليها مضطرا ولما اجتمع المجلس المذكور في يوم ١٠ ربيع الآخر من سنة ١٢٩٦ وحضر جمعيته الحافلة بجميع العلماء الاعلام والذوات الفخام والمأمورين الكرام ووجوه البلدة وأعيان المملكة ومعتبري الاهالي اقر الجميع على لائحة عرفت باللائحة الوطنية اشتملت على ثلثة أقسام الاول في تسوية اليرادات والثاني في تسوية الديون والثالث في تسوية مصروفات الحكومة وقد أدرجناها باسفل العميقة انعاما للفائدة كعادتنا (١) ولما عرضوا هذه اللائحة العمومية على سمو الخديو أصدر عليها ارادته السنية الى المشير محمد شريف باشا بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ بوجوب اجراء المواد المذكورة فيها ثم عزل الخديو

(١) صار اطلاقا على المشرو ع المتقدم من سعادة ناظر المالية ووجدناه لا يوافق لوطننا فلاجل سد التخل وتدارك الامر قبل فواته فن بعد المذاكرة بيننا رأينا وجوب بأن نقدم مشر وعادنا فالحقوق العموم داخلنا خارجا مع احترام الشرائع المقدسة والقوانين المؤسسة وهما المشرو ع المذكور من في مع هذا ولكن هذا المشرو ع ماصار اعماله ونحرره الابد حصول علم اليقين لدينا بان ايرادات بر مصر هي كافية لسداد الديون المطلوبة من الحكومة حسب ما هو موضح بالمشرو ع المذكور فلاجل ذلك نحن عن أنفسنا ونوابنا عن أبناء وطننا صمنا خرمنا على بدل كل مجهودنا في تادية ديون الحكومة وبذل كافة ما في وسعنا وطاقنا في اجراء ذلك وبذا صار ختم هذا اعلانا بتسديد ديوننا وانما نتحدثون اتحادا تاما قولنا وفعلا في الاجراء تمحرا بمصر يوم الاربع ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٩٦ محل الاختتام

الوزيرين الانكليزي والفرنسي وأصدر أمرًا عاليًا آخر بتاريخ ١٦ ربيع الآخر

(القسم الاول في تسوية اليرادات) - بمشروع نظارة المالية بمقدار اليرادات مبلغ ٩٤٠١٤٧٥ ليرة مصرية عفاً عن ايراد المقابلة ومستثنى من ذلك المبلغ قيمة ايراد المقابلة البالغ قدره ١٤٠٨٠٤٩٣ ليرة مصرية نظراً لابطالها ومضاف على اليرادات قيمة الامتياز السابق خصمه لاربابه لغاية سنة ١٨٧٦ لاعاد ربط الاموال كما كانت قبل المقابلة وتم مستثنى مبلغ اربعمائة وسبعين ألف ليرة وكسور قيمة المائة ثلاثة الف ليرة المقتضى اعطائها لمن دفعوا المقابلة لغاية سنة ١٨٧٨ ثم ومضاف على اليرادات ١٥٠٠٠٠ ليرة مصرية ايراد جديد على الاطيان العشورية * وحيث ابطال المقابلة ترتب عليه حرمان اربابها من امتيازاتها المسموح لهم بها بمقتضى قانونها فيوافق وجوب استمرارها على ما هي عليه حسب قانونها انما الاسكوت المستحق خصمه في سنة ١٨٧٦ على ما دفع وسيدفع من سنة ١٨٧٧ لغاية ١٨٨٥ على الاطيان العشورية والخارجية يجرى خصمه وتزيله من المربوط على تلك الاطيان في سنة ١٨٨٦ باعتبار المائة خمسة للاسواء بأرباب الدين * وبذلك صارت اليرادات المقررة للحكومة بالمائة من سنة ١٨٧٩ لغاية سنة ١٨٨٦ هي كالموضوع بالجدول غرة ١ وغرة ٢ على الاساس المتخذ لذلك بمشروع نظارة المالية وهذه اليرادات يمكن تحصيلها لان التحصيلات الواردة في سنة ١٨٧٧ تبلغ نحو ٩٥٣٠٠٠٠ ليرة مصرية عفاً عن ذلك مصر وقت الجهات التي كان معتاد خصم مصر وقتها من ايراداتها مثل السكة الحديدية والمحاكم الشرعية وبعض جهات وبهذا المشروع صار اعتبار مصر وقتها ضمن مصر وقت الحكومة العمومية بمعنى ان اليرادات الموضحة بجدول غرة ١ وغرة ٢ هي ايرادات خام

(القسم الثاني في تسوية وتسديد ديون الحكومة) - (سابقه وتشلد) هذه السلفة تفضل على ما هي عليه حسب الكونترا والمحمول عنها بعرفة نظارة المالية (دين السكة الحديدية المعتاز) هذا الدين يفضل على ما هو عليه حسب المنصوص عنه بالذكريت والصادر في شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ (الدين المتخذ) هذا الدين يعطى عليه فوائد قدرها ٦ في المائة في السنة وأمور تسمان منتظم المائة مائة مبلغ ٤٦٠٠٠ ليرة سنويًا بما يحجز من القوائد المذكورة سنوي المائة واحده على ما يتبقى منه من ابتداء سنة ١٨٧٩ لغاية سنة ١٨٨٥ وقيمة المائة واحده المذكورة يجرى مشتري سندات بهامن هذا الدين بالاسعار الحاضرة لغاية المائة سبعين والسندات التي يجرى مشتريها يصير اعداها بغيره صندوق الدين العمومي واذا وجدت الاسعار تعالت عن المائة سبعين فيكون الاطفاء بالقرعة حسب المنصوص عن ذلك بالذكريت والصادر في شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ ثم في سنة ١٨٨٦ تعطى القوائد البالغ قدرها ٦ في المائة سنويًا بحاملي السندات من دون استقطاع ويكون الاطفاء من ابتداء سنة ١٨٨٦ بالقرعة المائة مائة بواقع خمسة أثمان في المائة على ما يتبقى من هذا الدين وبيان تسديدات ذلك موضع بجدول غرة ٥ ومشتري السندات الموضحة هو بخلاف المبالغ الواردة بجدول غرة ٥ التي هي أيضاً لازم مشتري سندات بها (السلف الصغيرة وهي سلفة سنة ٦٤ وسلفة ٦٥ وسلفة سنة ٦٧) هذه السلف تفضل على ما هي عليه بقوائدها ومددها حسب المنصوص عنها بالذكريت والصادر في شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ وتتسدد دفعاتها السنوية بمن ايرادات المقابلة حسب الموضوع بالجدول غرة ٣ (دين السند يكافو الفرنسي ومقاولين مينه اسكندرية) هذه الدين يبلغ مقدارها ٤٩٧٠٠٠٠ ليرة استرليني من ذلك ليرة ٤٤٠٠٠٠٠ للسند يكافو ومرهون عليه حصص المائة خمسة عشر في تأسيس قناة السويس ومرهون عليه أيضاً مصلحة مينه اسكندرية وسندات دين متحد يبلغ ٤٦٠٠٠٠٠ ليرة ومبلغ ٥٧٠٠٠٠ ليرة مطلوب مقاولين مينه اسكندرية ومرهون عليه سندات دين متحد مبلغ ٢٠٠٠٠٠ ليرة وكيفية تسديد ذلك هي أولاً مبيع حصص التأسيس المحكى عنه بعرفة الحكومة ودفع الثمن للسند يكافو وقد تقررت ان لا توجه التقريب مليون ليرة ويمكن ان يزيد عن ذلك ثم ان مصلحة مينه اسكندرية التي صار مبيعها بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليرة يعطى عنها أيضاً للسند يكافو وبذلك يكون الباقي للسند يكافو مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليرة وبإضافة مبلغ ٥٧٠٠٠٠ مطلوب مقاولي المينته تصير الجملة ٣٦٧٠٠٠٠ ليرة هذا يجرى سداده في مدة خمس سنوات ونصف قوائد المائة خمسة في السنة من ابتداء سنة ١٨٧٩ وتسديد ذلك من قوائد وأمور تسمان في ظرف هذه المدة يكون أولاً من قيمة قبونات ٦٦٠٠٠٠ ليرة دين متحد الذي يصير

سنة ١٤٩٦ (٨ ابريل ١٨٧٩) الى شريف باشا باحالة رئاسة مجلس النظارة لعهدته مع نظارتي الداخلية والخارجية وبتهيئ اسم عميل راغب باشا لنظارة المالية وشاهين باشا

ابقاؤهم بطرف السندى كقوة الضمانة ثانيا من باقى ايرادات المقابلة ودفعيات ذلك موضحة بجداول غرة ٤ وبنحو الخمس سنوات ونصف بصيرار تدا سنوات ٦٠٠٠٠٠٠ ليرة الضمانة لصندوق الدين العمومى وبمعرفة بصيرار عداها (مطلوب جزئى لدمقاو ل مينة اسكندرية عن الاشغال التى اجراها من سنة ١٨٧٧) هذا الدين يبلغ تقريبا ٥٠٠٠٠٠٠ ليرة ومرهون عليها ايرادات المينة فيفضل على أصله برهنته انما القوائد تكون خمسة فى المائة فى السنة بدل عشرة والأصل والقوائد تنسد من ايرادات المينة لحين الانتهاء (دين الدائرة السنية) من حيث ان أطيان وأملاك الدائرة السنية قد صار التنزل عنها للحكومة والمخصصات الخدمية لا يمكنها الا ان القيام بوظائف التعهدات المربوطة فى الكوترا والرقم ١٢ يوليو سنة ١٨٧٧ فلحكومة تضمن دفع المائة واحد سنوى على ما يتبقى من الديون المذكورة وهذه الضمانة تبطل متى كانت ايرادات الدائرة تسمح باعطاء ٧ فى المائة على دينها وقيمة دفعيات المائة واحد موضحة بجداول غرة ٦ وادارة الدائرة تكون على حساب الكوترا والممول عنها انما تكون تحت ملاحظة مجلس النظارة (دين الخاصة) هذا الدين يفضل على أصله حساب الكوترا والممول عنه ودفعياته السنوية من فوائده وأموال تسمان تدفع من ايرادات الحكومة حيث المخصصات الا ان ما تسمح بتسديد ذلك وقيمة الدفعيات السنوية موضحة بجداول غرة ٦ (الدين المطلوب الى بيت المال وصندوق الايتام والمكاتب الاهلية) هذا الدين يبلغ ٤٦٨٠٠٠ ليرة مصرى يجرى تشغيله لاربابه بفوائد المائة خمسة فى السنة من سنة ١٨٧٩ وتلك القوائد يبلغ مقدارها ٢٢٤٠٠ ليرة سنوى يجرى دفعه من المصرى وفات المقرر للحكومة الواردة بجداول غرة ٦ لحين ما يمكن دفع المال الاصلى وبما أنه من ضمن ذلك المبلغ جانب مطلوب للايتام والارامل بصندوق الايتام هذا مع معرفة مقدار مجرى صرفه لاربابه فى أوقات الامكان (الدين المطلوب الى بابا نومقاول التركة الاممالية) حيث ان هذا الدين مرهون عليه ايرادات التركة الاممالية فيفضل على أصله والقوائد التى تستحق للذكور البالغ قدرها سنويا ١٤٠٠٠ ليرة حسب المقدر عشر وع نظارة المالية تدفع من ضمن المصاريف المقرر للحكومة الواردة بجداول غرة ٦ (الدين المدفوع باسم سهام الرزنامة) حيث ان هذا الدين مدفوع بمقتضى قانون فيحفظ الحق المعطى لاربابه بالقانون المذكور لحين ما تسمح ايرادات الحكومة بدفعه (دين الحكومة السائرة) هذا الدين مقرر فى مشروع نظارة المالية يبلغ ٥١٥٩٠٠٠ ليرة مصرى بعد التزيلات المذكور عن تزييلها ومضاف على ذلك المبلغ ٢٤١٠٠٠ ليرة مصرى فوائده مستحقة لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بالمائة خمسة فى السنة جملة ذلك ٥٠٠٠٠٠٠ ليرة مصرى فهذا يكون تسديده بالكيفية الآتية وهى اولياتين قومسيون مخصوص بتحقيق المقتضى تحقيقه من تلك الديون ثانيا ما خرا للماهيات والمعاشات والاجرة لغاية سنة ١٨٧٨ يصرف بالكامل من نقود سلفه وتشلد وما يتبقى يصير توزيمه على ارباب الديون وعلى أى الحالات لا يمكن أن يكون التوزيع أقل من خمسة وخمسين فى المائة على فرض وجود ما هيئات ومعاشات وأجربة بقيمة المليون والخمسمائة ألف ليرة المقرر لذلك عشر وع نظارة المالية واذا كان أقل من ذلك فكمال الزيادة بصير توزيمها على ارباب الديون علاوة على الخمسة وخمسين فى المائة ثالثا احتساب القوائد لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ على الخصاصات تكون بالمائة ١٢ فى السنة بالموافقة لاحكام الخصاصات احترامالها وذلك اعتبارا من التواريخ المحكومها بالخصاصات وقوائد باقى المطلوبات التى تكون بدون خصاصات تكون باعتبار خمسة المائة فى السنة من تواريخ استحقاقاتها لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ على المبالغ التى يستحق عليها القوائد وما يتبقى من المطلوبات بعد دفع النقود الباقية من سلفه وتشلد وهذا الباقي الذى يتجاوز عن مبلغ ١٧٥٥٠٠٠ ليرة مصرى عبارة عن ١٨٠٠٠٠٠ ليرة استرلينيه هذا يكون سداه فى مدة أربع سنوات ونصف من ابتداء سنة ١٨٧٩ بفوائد خمسة المائة فى السنة بضممانة ما هو متبقى من ايرادات المقابلة والامور تسمان يتبدى من سنة ١٨٨٠ أما سنة ١٨٧٩ فتدفع القوائد فقط من نقود سلفه ومقدار الدفع السنوية موضحة بجداول غرة ٣ ويعطى أيضا تأمينا لباقى الديون السائرة المقتضى امتدادها علاوة على باقى ايرادات المقابلة جميع أملاك وأطيان الميرى

لنظارة الجهادية وزكى باشا بالنظارة الاشغال العمومية وذو الفقار باشا بالنظارة الحفانية ومحمد ثابت باشا بالنظارة المعارف العمومية والاقواف وعمر لطفي باشا لتفتيش عموم الاقاليم بجمري وقبلى (١) ولما بلغ شريف باشا القناصل الخبرية خبير تشكيل الوزارة على الصورة المذكورة وأن الخديو أمر بزيادة الجيش كما كان قبل شق ذلك على دولتى انكسارته وفرانسا لانهما اعتبرتا عام ١٨٤١ الخديو هذه عدوانية فسهما الى الانتقام منه بكل ماله من الاموال وخابر تادولة المانيا والروسيا

الغير المرهونة ولم تكن لازمة للبرى التى يصير توضيح بانها فى المستقبل تكشف ليعمل عن ذلك فيما بعد وتعرف الحكومة بصيرت يمين قومسيون لبيعها من قيمتها بصير مداد الباقي من هذا الدين اولاً ولو قبل حلول مواعيدته وتوفير القوائد * حيث ان قانون الدين المستحق فى اول ما يه سنة ١٨٧٩ لانه لم يستكمل فى صندوق الدين ونقص اكمالته ٨٠٠٠٠٠ ليرة تقريبا وادارات المقابلة نظرا لصدور رموزات المالية بعدم تحصيلها متأخر عليها نحو مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليرة مقتضى دفعه فى اول مايو السنة المذكورة ايضا فى اجراء مشر وعنا هذا وترتيب الهيئة الاتى القول عنها كل مانقص من هذه المبالغ تكون ملزومين بتأديته من الايرادات العامة تكميل فوائدا الاثنين ونصف فى المائة للدين المتخدى فى مدة ثلاثين يوما من تاريخ ترتيب هيئة النظارات اما النصف فى المائة المتقتضى اطفاؤه من سندات الدين المتخذ بالمستري فيكون اجراءه من اول ايرادات ترمز الجهات المرهونة لهذا الدين من بعد سد اديته الاثنين ونصف فى المائة الفائض (القسم الثالث فى تسوية مصر وفات الحكومة) - حيث مصر وفات الحكومة وهى وركو لاسانة ومخصصات الحضرة الخديو بقوات القاميليا وفوائدهم قتال السويس وماهيات مصر وفات جميع الاقاليم والدواوين والمصالح على ذلك فوائدهم مطلوب باناءه ومطلوب الاوقاف وبيت المال والمكاتب الاهلية لا تتجاوز عن مبلغ أربعة مليون ليرة مصرية وقد صار اعتبار تلك المصاريف فى سنة ١٨٧٩ يبلغ ٤٠٧٦١٣٤ ليرة استرلينة ومن ابتداء سنة ١٨٨٠ تكون بواقع ٤١٠٢٥٦٤ ليرة استرلينة ومندرج ذلك بمجدول غمرة ٦ بحيث انه يمكن اعمال توفيرات من ذلك من دون أن يحصل منها وقوف فى ادارة الاشغال وذلك قياسا على ما كان مرتب صرفه فى سنة ١٨٧٧ ٨٥ واهذه اللائحة خاتمة تحتوى على الفروقات الظاهرة ما بين مشر وع المالية وما بين مشر وع الجمعية وولبها الجداول الستة ومن اراد المراجعة فليراجع مجموعته ديكر بتات سنة ١٨٧٩ صحيفة ٧٨ - ٨٠

(١) انى بصيغة كوفى رئيس الحكومة ومصر بأمرى من الواجب على أن أتبع رأى الامه وأقوم باءه ما يلقى بهامن جميع الوجة الشرعية لكنى لما نظرت السير الذى كانت عليه النظارة السابقة حصل لى غاية الاسف من أن ذلك السير كان على غير رضا الملة والاهالى حتى نشأ عنه اضطراب ونفوس رسى فى جميع القلوب وحركها وكانت قبل ذلك فى غاية الهدوء والسكون وطما الما خبرت النظارة وكلاء الدول ونهتهم على تلك المعوزات فلم يتفقوا الهوا ولم يلتفتوا اليها وازيادة عن ذلك فان النتيجة التى حررها ناظر المالية وأظهر بها ان القطر فى حالة العدم وأبطل العمل بمقتضى القوانين المعترية وتجارى فيها على الحقوق الناتجة كانت سببا لتغيير قلوب الامه ونفوس رها من هيئة النظارة كل النفور وحقق لى ذلك المحضر الذى تقدم لى فى هذا الخصوص فاجابة لما عرض على بذلك وبال نظر اتموته عندى وقد وكلتكم بتكبير هيئة النظارة بناء على الارادة الصادرة فى ٢٨ أوغسطس سنة ١٨٧٨ وأن تكون تلك النظارة مشكله من اعضاء أهليين بمصر بين يتبعون فى سيرهم الطرق المنصوص عليها فى الارادة المذكورة وأن يتحققوا على ما مورياتهم كل التحفظ اذ أنهم مكلفون بالسؤلية لدى مجلس الامه الذى سيجرى انتخاب اعضاءه وتعيين ما مورياته بوجه كاف للقيام بتأدية ما يلزم للعالة الداخلية ومرفوق الامه نفسها ولتجهتد نظار قبل كل شى فى أن تستعد لاستحضار قوانين مماثلة للقوانين الجارى عليها العمل فى أور ويا مع مراعاة عهد الاهالى وأخلافهم وما يلزم لهم وتلفت ايضا تلك النظارة كل الانفات لتنفيذ ترتيب المالية الذى ربه عهد القطر وأعيانه وحصل التصديق عليه منى ولا تتأخر من اجراء اللازم فى ايجاد صلحه لتفتيش الايراد والمصرف لانهاهى التأمين اللازم للقطر والمنافع المرهون عليه ومنصوص عنها فى الارادة الصادرة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٧٦ هذا واعلى بحسن إخلاصكم لخدمة الوطن فلا أشك فى أن تستعينوا على تلك المأمورة بالرجال المشهود لهم مثلكم بالامانة والاحترام لدى الجميع لتتم بكم المقاصد المؤدية الى التمدن والعمارة التى أريد ان يقترن بها اسمى ما ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ التوقيع اسماعيل

واو ستورباو ايتاليا فاقام الجميع الحجّة على ذلك بمحررات أرسلوها الى الحكومة قال ابن دخلان في كتابه المسمى بالفتوحات الاسلامية انه لما ظهر على اسمعيل باشا كثرة ديون أخذها من الدول الاجنبية وأنفقها في غير حقها تشاور أهل الديون على انهم يضبطون خراجات مصر ومخسولاتها لاجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد أن يجعل له عصبية يمنعهم بها فتدخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهدا ومواثيق على أن الامور كلها تكون بيد العلماء والاهالي وبمشاورتهم فلما أحس الانكليز والفرنسيين وغيرهما بان عقاد هذه العصبية سعوافي خلعها اه وقد لعب الموسيو تريكو (Tricoup) قنصل جنرال فرانسوا والمستر فرنك لاسلس (Lasseles) قنصل انكلترة في هذه المسئلة دورا سياسيا مهمهما ثم طلبا بامر دولتهما من اسمعيل باشا أن يعترف الاريكة الخديوية فبأبي ذلك كلية وأخذ يستدلف ذلك بالقوة واجتمعا به قبل العزل بليلة وأخذ ايلخان عليه في التنازل لابنه وولى عهده محمد توفيق باشا فأبى بحجة ان الباب العالي لا يجيزه ذلك فقال له قنصل فرنسا انك قد خالفت الباب العالي في نحو عشرين أمرا فعلا م لا تخالفه في هذا الامر أيضا فقال له اسمعيل باشا اذ كرلى أمر او احدها منها إن استطعت أما الموسيو تريكو فخافته ذاكرته حينئذ وقف صامتا فقال المستر لاسلس أما يجدر بيه وكم ان تظهر واشيا من استقالة لكم عن الباب العالي فأجابه قائلا وما الفائدة من هذا الاستقلال اذا كان أول غمرة من غماره التنازل عن كل ما يبدى من السلطة قد هس المستر لاسلس من هذا الجواب المقهم ثم استمر في الاطراح بيلين الكلام تارة وقسوته أخرى حتى كاد الامر يفضى الى اشهار الحرب عليه من الدولتين المذكورتين كل ذلك وهو مصمم على الامتناع الا بأمر متبوعه الاعظم ارتكنا على ان الحضرة السلطانية لا تقبل المداخل من دول أوروبا في أعمال مضر الداخلية كما هو القانون الدولى وكانت الدولة العثمانية تخلصت قبل ذلك بمدة بسيرة من حروبها مع الروسيا وماشاكلها الداخلية العديدة التي كانت الروسيا أثار غبارها قبل تلك الحرب المشؤمة التي أضاعت منها عدة قبلا من أملاكها بأسيا وأوربا كما هو معروف فلما طلبت منها دولتا انكلترة وفرنسا انزل اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية أرادت في أول الامر حمايته وان كانت في الحقيقة تبتنى ذلك ولكنها لما رأت انضمام باقى الدول الاورباوية الى الدولتين المذكورتين في هذا الطلب وعلمت ان لامناص لها من انفصاله والافضل رغباعتها بتعصب دول أوروبا بالحفظ اناموسها وسلطتها ومنعها لعساها أن يطرأ من اتحاد الدول عليها أسرعت وأرسلت أمر بالتلغراف الى اسمعيل باشا تطلبه بانفصاله عن ولاية مصر وكان ذلك في يوم الخميس الموافق ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ (٢٥ يونيو ١٨٧٩ م)

وأمر آخر الى ابنه محمد توفيق باشا بتوجيه مسند الخديوية اليه

هذا وقد شاع يومئذ بين رجال الحكومة أمر غريب وهو عزم الخديو اسمعيل باشا على ان يتنازل لاحد انجائه وحرمان أكبرهم ولى عهده كقتضى فرمان السلطاني وذلك لاسباب لم يصرحوا بها حتى أشاعوا أيضا بأنه يسمي في الايقاع بولى عهده ولما علم قنصل انكلترة بذلك أخذ كل الاحتياطات اللازمة لحماية المرحوم توفيق باشا من بطش والده ويقال انه في مقابلة ذلك عاهده سرا عند ولايته أنه يجتهد في ترويج المصالح البريطانية بالديار المصرية ويقبل مساعدة انكلترة له ويستشيرها في كل المعضلات وغير ذلك مما أشاعوه وقد أخبرت بعض الجرائد الفرنسية بذلك حتى قال بعضها ان الامير حليم باشا يسمي في نوال مركز الخديوية بمساعدة فرانسوا وان الباب العالي

مرتاح لذلك ونشر بعض تلك الجرائد أيضا صورة معاهدة قال انها التي عقدتها الانكليز مع توفيق باشا وهذه الاقوال لم يؤيدها شيء لئلا نرى يقال أيضا ان فصلي انكسرة وقرانسا بلغا ١٠٠٠٠ عميل باشا على يد شريف باشا بأنه اذ لم يتنازل لا كيرا أنجاله صدر الفرمان باسم عبد الحلیم باشا فاضطر الى التنازل

محمد توفيق باشا بن اسمعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا

١٢٩٦ - ١٣٠٩ هـ

الفصل التاسع عشر

أسباب ومقدمات الثورة العربية والاحتلال البريطاني

لما ورد للمغرب الصداق الاعظم خير الدين باشا التونسي المعلن باتصال اسمعيل باشا عن الاربكة الخديوية وبولية ولده الاكبر محمد توفيق باشا كانت احوال البلاد مضطربة بسبب المشاغل الاهلية والمشاغل الدولية والمصائب السياسية الناجمة عن سوء الادارة الماضية التي أحدثت التداخل الاجنبي في امور البلاد الداخلية بسبب المصاعب المالية التي فصلنا أسبابها ولما كان المرحوم توفيق باشا ممن انصفوا بالذكاء والفطنة ويعلم جيدا ما وصلت اليه البلاد من الانحطاط بسبب سوء الادارة ومطامع الحكام ويتنى من صميم قواده اصلاح الاحوال ومداداة عملها أخذ ينظر في ذلك نظرا لخبير فاطمه أنت الخواطر وأخذت الى الامل بالتحسار المشاكل ولما كان يخاف من الدسائس التي كانت ولاشك تعرقل سيره في طريق الإصلاح سهل لجناب والده اسمعيل الاقامة خارج البلاد فبارح مصر في يوم ١١ رجب من سنة ١٢٩٦ وأخذ معه عائلته وأتباعا عديدين وقدر اوافر من الاموال التي كان ادخرها لنفسه وكان لوداعه بمحطة السكة الحديدية احتفال جسيم أثر على الحضور تأثيرا حتى أبكى الكثيرين ولما أن سفر القطار تشكر لجمهور الحضور وصافح البعض ثم التفت الى نجله المرحوم توفيق باشا وأوصاه بوصية مؤثرة داله على قدره وجوده عقله وهما هي منقولة عن كتاب مصر للصيرين (لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون بأعز البين خديوي مصر فاوصيك باخوتك وسائر الال براواعلم اني مسافر وبودي لو استطعت قبل ذلك ان أزيل بعض المصاعب التي أخاف أن توجب لك الارتباك على افي واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأي ذوى شوراك وكن أسعد حال من أيبك) ثم أفلح من نعر الاسكندرية على يخط المحروسه يقصد مدينة نابل من مدن ايطاليا وأكرم ملك ايطاليا واقادته وأسكنه بقصر بديع من قصوره لما كان بينهما من المودة السابقة وأجرت عليه الحكومة المصرية مرتب شهر ياتقاضاه من خزنتها هذا ولما جلس المرحوم توفيق باشا واستلم زمام الاحكام قدمت الوزارة استعفاء هاجريا على القواعد المألوفة في مثل هذا التغيير قبل الخديوي استعفاءها وشكل وزارة جديدة برياسة المرحوم شريف باشا (١٣ رجب) وكان على نظارتي الداخلية والخارجية وجعل اسمعيل أبوب باشا النظارة المالية وعلى غالب باشا النظارة الخربية ومصطفى فهمي باشا النظارة الاشغال العمومية ومحمود سامي باشا النظارة المعارف والارواق ومراد حلمي باشا النظارة الحفائية وبعث للوزارة منشورا (١) أبان فيه خطته التي يرغب السير عليها فيما يتعلق بسياسته وبما

ينوى عمله من الاصلاحات ففرح الناس والوزراء بذلك وكان اول ما هتمم الوزراء بنظره الديون السائرة قصد تسويتها ونظر وفيما خصص للعائلة الخديوية من المرتبات رغبة في التوفيق بين ايرادات الحكومة ومصروفاتها فجعلوا المحضرة الخديوية سنويا ١٠٠٠٠٠٠ ليرة مصرية ولوالده ٣٠٠٠٠٠ ولما رفع اليه القرار بذلك تنازل لوالده عن ٢٠٠٠٠٠ ليرة تضم الى مرتبه وألقى ما كان خصص لوالده ورحمه وقدره ٥٥٠٠٠٠ ليرة فأزلت بذلك مرتبات العائلة الخديوية من ٣٠٠٠٠٠٠ ليرة سنويا الى ٢٤٥٠٠٠٠ كل ذلك اقتصادا منه لمساعدة المالية بعد ان أنهكها الاسراف وفي أوائل شعبان أصدر أمر الى ناظر الجهادية بعد ان تداول فيه مع الوزراء بصرف عشرة آلاف جندي من الجيش العامل وبذلك صار الجيش يتألف من ١٢٠٠٠٠ جندي فقط ومما نظرت فيه الوزارة أيضا إيجاد مصلحة للتاريخ لمساحة أطيان القطر وصددر بذلك أمر عال تاريخه ١٠ اغسطس سنة ١٨٧٩ وبقيت هذه المصلحة الى سنة ١٨٨٠ ثم استبدلت بلجنة تشكلت تحت رئاسة محمد رستم باشا وعضوية كل من محمود بك الفلكي ورسوبك وموسيو كولفن واعطى الناس بخصوص تأخير صدور الفرمان السلطاني سيما وقد صدر بجزائر أندور وبامشور الباب العالي الى الدول الذي بين فيه كيفية تنازل اسمعيل باشا واضطراره لالغاء فرمان سنة ١٨٧٣ مع حفظ مال البلاد مصرية من امتيازات الاستقلال وأوجس أولياء مصر من هذا الامر خيفة فنهضت دول أوروبا كعادتها في كل ما من شأنه الخط من مقام الدولة العثمانية بالاعتراض على ذلك المنشور حتى يروى ان إنجلترا وفرنسا صممتا اذ ذاك على المناداة باستقلال مصر استقلالاً تاماً اذ لم يرجع

متبعي الانتم وسلطانى الاعظم نصر الله فهذه نعمة لا يودى شكرها الا بحسن القيام باداءه وظمان ذلك المقام وهذا انما يكون بتوفيقه تعالى فعلى السعي والاجتهاد في تشيئة مصالح العباد وادارة أمور الحكومة على محور الاستقامة وانى أعلم ان المقام صعب لكن بحسن الاخلاص وعباريته من حسن القبول من الناس جميعا خصوصا من سكنة الديار المصرية عموما ومن المأمورين كافة أعنتقد ان ذلك الصعب يهون ويحصل التيسير * ولعلنى ان الحكومة الخديوية يلزم أن تكون شوروية ونظارها مسؤولين فى اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسلكا لا يتحول عنه فعلى انما يتشورى النواب وتوسع قواينها لكي يكون لها الاقتدار فى تنقيح القوانين وتصحيح الموازين وغيرها من الامور المتعلقة بها وبحسب مقتضيات الاحوال صارت انتخاب هيئة جديدة يعرفتم وتحت رياستكم وانى معتقد فى أمورى الحكومة المصرية الصدق والاستقامة ومؤمل بانهم يبرون فى المستقبل بالسيرة المرضية ويعرفون أن أعظم الغنى فى النفس وأعلى الشرف العفة وأغنى الخلى حلية الاستقامة وأقوم الطرق طريق الحقى والعندلة فأول ما يجب المبادرة اليه من الامور هو دفع المشكلات المالية التى هى منشأ الصعوبات كلها فيلزم بذل المساعي المتقتضية فى الدفاعها لا يصال الحقوق الى اربابها مع ملاحظة مصارف الحكومة وهذه المسئلة وان كانت صعبة بسبب المضايقة الحاصلة لكن مأمول حصول التخلص منها باستعمال التدابير الحسنة ولا شك انكم تبدلون فى ذلك جهدكم بالاتحاد مع سائر النظار ويجب علينا اصلاح المحاكم والمجالس لاسهاى لمجالس الحقوق وهما يأخذ الضعيف حقه من القوى ونحو الرشيدين جورا القوى ويجب علينا أيضا دعام السعى فى تميم التربية العمومية لتتبرأ ذهان الاهالى بتحصين حال المدارس وتنسيق نظامات مفيدة لها على الوجه المرغوب وأيضا يجب الاهتمام بالشغال العمومية النافعة وتوسيع دائرة الزراعة لانهامنيع الغنى فى القطر المصرى وأيضا التجارة بما يلزم الاعتناء بشأنها والسعى فى تكثيرها واعطاء كمال الحرية لها هذا مع الاهتمام باصلاح ما يلزم من اصول الادارة فى جهات الحكومة بأجمعها وازاحة العباد على قدر الامكان فهذه أظن هاسل الرشاد ومنهاج العدل والسادومسالك تدير المعالك فى كافة الاقطار لاول ان تصرفوا هممكم فى روية أمور الحكومة متحدى القلوب متفقى الافكار وفقنا الله لافيه الخير والصلاح انهولى التوفيق

٣٦ ٣ يوليو ١٨٧٩ اه صحيفة ١٠٢ قسم اول ديكرينات التوقيع محمد توفيق

الباب العالي عن عزمه من نزع بعض امتيازات مصر ولا يخفى انهم ما هم ما وغيرهما من دول
 أوربا اذ ثبان عاملان في فصل ممالك الدولة عنها التمسى لهما عند الفرصة التهام تلك الممالك بلا
 معارض وكانت وزارة خير الدين باشا هي المعارضة في أمر فرمان والحاصل انه بعد مخبرات طويلة
 بين الدول والباب العالي واعتزل خير الدين باشا الصدارة العظمى وتوجهها الى أجد عارفي باشا صدر
 فرمان السلطاني بتولية المرحوم توفيق باشا الخديوية المصرية (١) ولكنه حصل به تعديل

(١) الدستور الاكبر والمعظم الخديوي الانغم المحترم نظام العالم ونظام مناطم الامم مدبر امور الجمهوريات الفكر
 الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب ممهدين فيان الدولة والاقبال مشيداً ركان السعادة والاحلال مرتب
 مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاله على خديوي مصر
 الخائز لترتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل لنبشانه الهماوي المرصع العثماني ونبشانه المرصع المجيدي وزيرى سمير
 الماعلى توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتدار واقباله انه لى وصول توفيقنا الهماوي الرفيع
 يكون معلوماً انه بناء على انفصال اسم عيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ
 وحسن خلد امتكم وصدقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولبنا العلية والمعروف معلوم لدينا ان لكم
 وقوفاً ومعلومات تامة في خصوص الاحوال المصرية وانكم كقول تشوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت
 بمصر منذ مدة واصلاها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعروفة مع الاراضى
 المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالقرمان العالى الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ هـ
 المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه قد وجهت الى عهدتكم
 الخديوية المصرية ولما كان زايد عمران الخديوية المصرية رسعا دتها وتأمين راحة كافة اهلها وسكانها ورفاهيتهم
 هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرفونا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام القرمان العلى الشأن المبنى على تسهيل
 هذه المقاصد الخيرية المبنية في الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قد عانت عنها الاحوال المشككة
 الحاضرة المألومة صارت تبيد المواد التي لا يلزم تعديلها في هذه الامتيازات وتأكدها او صارت تعديل المواد
 المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحها فانقر راجراً لآن هو المواد الاتية وهي ان كافة واردات الخطة المذكورة
 يكون تصديرها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان اهل مصر ايضا من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية المصرية
 ملزمة بادارة مور الملكة والمالية والعديلية بشرط أن لا يقع في حقهم اذى في ظلم ولا تعدي وقت من الاوقات خديوي
 مصر يكون مأذوناً بوضع النظمات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وايضاً يكون خديوي مصر
 مأذوناً بتجديد الشروط مع مأمورى الدول الاحتية في خصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور الملكة
 الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها واجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة
 والاحانب أو الالهى والاحانب مع أمور ضابطية الاحانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهد دولتنا العلية
 البولوتيقية وفي حقوق متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي تعقد مع الاحانب بهذه
 الصورة بصيرت عديتها اليها العالى وايضاً يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بتعدي
 استقرار من الاقتصاعاً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذوناً بتعدي استقرار بالاتفاق مع المداين الحاضر من
 أو وكلائهم الذين يتبعون رجمياً وهذا الاستقرار يكون منحصر في تسوية احوال المالية الحاضرة وبمخصوصياتها
 وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية
 وأودعت لديها لا يجوز لى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة ارض من الاراضى
 المصرية الى العبر مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ايرة عثمانية الذى هو الويكوال المقرر دفعه في كل سنة في
 أو انه وكذلك جميع التود التي تضر بى مصر تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية
 عشر لعلان هذا التدر كلف لحفظ امنية مصر الداخلية في وقت الصلح وانما يجب ان قوة مصر البرية والبحرية
 هي مرتبة من أجل دولتنا العلية بموزان براد مقدار العساكر بالصورة التي تستنصب حاله كون دولتنا العلية بحاربه
 وتكون ربات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرات عساكر الشاهانية ونباشيتهم
 وبياح خديوي مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة أمير الاى والملكه الى الرتبة الثانية ولا يرضخ

كطلب الدولة وهذا التعديل كما يظهر لمن يطلع على الفرمانين المذكورين المدرجين باسفل صحائف هذا الجزء ينحصر في أمرين مهمين هما التصريح للحدود بعقد مشارطات واتفاقيات مع الدول الاجنبية انما يشترط تقديم صورتها قبل اعلانها للباب العالي وبشرط عدم اخلاصها بحقوق الدولة السياسية طبيعية كما هو مصرح به في الفرمانين المذكورين وثانيهما ان لا يؤذن بعقد استقرار باى وجهه من الوجوه الا اذا كان لتسوية احوال المالية المصرية الحاضرة ليس الا ويكون ذلك بالاتفاق مع المدايين الحاليين او وكلائهم ثم ورد الفرمان الى مصر في ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ (١٤ اغسطس ١٨٧٩ م) بحمله صاحب الدولة على فؤاد بك باشا كاتب الماين الهمايونى ويصعبه ابراهيم باشا قبو كتحدا مصر في الاستثناء وتبلى رسميا بقاعة الغورى بالقلعة كما هي العادة وعماله احتفالا عظيما حضره الامراء والعظماء والذوات والاعيان ونوارده المهتمون من كل الطبقات وكذا اقتاصل الدول ثم استعفت وزارة شريف باشا (٣٠ شعبان) فصدر امر عال بالغاء وظيفة رئيس مجلس النظار وصار الخديو بنفسه هو الذى يرأس المجلس وصار كل وزير مسؤولا عن أعمال نظارته وتقرر ايضا ان كل المسائل المهمة التى كانت تنظر في مجلس النظار سابقا يعقد لها مجلس مؤلف من رؤساء الادارات التابعة لذلك الناظر للنظر فيها وجعل منصور باشا بالنظارة الداخلية وعلى حيدر باشا المالية وذوالفقار باشا للحقانية ومصطفى فهمى باشا للخارجية ومحمد مرعشلى باشا للاشغال العمومية وعثمان رفقى باشا للجهادية والبحرية وعلى ابراهيم باشا للمعارف العمومية الا ان هذا الترتيب لم تطل مدته لانه بعد قليل استدعى رياض باشا من أوروبا ورفع عند وصوله الى مصر لسمو الخديو لائحة ببيان تنظيم الادارة المصرية كإبراء ولما عرضها على الخديو استحسنها وأصدر له أمرا (٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩) بتشكيل وزارة جديدة تكون تحت رئاسته فصدع بالامر وشكل وزارة صار هو فيها وزير للاداخلية بالاصالة والمالية موقنا وجعل عثمان رفقى باشا للجهادية والبحرية ومصطفى فهمى باشا للخارجية وعلى مبارك باشا للاشغال العمومية وحسين فخري باشا للحقانية وعلى ابراهيم باشا للمعارف العمومية ومحمود سامى باشا للاوقاف وكان قبل ذلك بسبعة عشر يوما صدر امر خديوى بتعيين مفتشين يراقبان أمور المالية المصرية أحدهما فرنسى وهو الموسىود وبلنير والآخر انجليزى وهو الماجور بارنج ثم اتفقت الحكومة المصرية ودولتنا انجلترا وفرنسا على يدقنصلهم ما بمصر وهما الموسىود وبارنج والمستراد وارمايت (١٥ نوفمبر) بأن لا يكون للمراقبين المذكورين حق المداخلة فى المصالح الادارية والمالية وصدرا أمر عال بتحديد اختصاصاتهم ثم صرح لهما فيما بعد بحضور جلسات مجلس النظار وهو امتياز غريب فى بابها اذ جعل لهما الحق فى الاشراف على كل أعمال الحكومة مع أن أعمالهما

لخديوى مصر أن يفتنى سقنا بدره الابد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية آليه من دولتنا العلية ومن اللزوم وقاية كافة الشرط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية بإجراء المواد السابق ذكرها فقد أصدرنا هذا الجليل القدر الموضح أعلاه بمخطن الهمايونى وهو مرسل حجة افتخار الاعلى والاعظم ومختارا الاكبر والافاضل على فؤاد بك باشا كاتب الماين الهمايونى ومن أعظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للياشين العثمانية والمجيدية ذات الشأن والشرف ما حُرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف اه حفيضة ١٠٤ من مجموعة منشورات ويكر تيات سنة ١٨٧٩

لا تعدى مراقبة الامور المالية ثم التفت النظر بهمة وعزم فأوجدوا كثيرا من الاصلاحات منها جعل الاموال الاميرية على اقساط مقررة تدفع في اوقات معينة من السنة وترقية مراتب الموظفين والمستخدمين وزيادة عددهم بحسب ما يلائم كل ادارة وتشكيل لجنة علمية للنظر في امر التعليم جعلت تحت رئاسة علي باشا ابراهيم ناظر المعارف (٢٧ مايو سنة ١٨٨٠) وأعضاؤها المرحوم عبد الله فكرى باشا ولارميه باشا وسالم باشا ودوربك وورجس بك وفيه دال بك فاجتمعت مرارا وعدلت في بروجرامات التدريس ووسعت نطاق التربية والتعليم في البلاد ثم قدمت تقريراً بذلك صدقت عليه الحكومة التي جعلت المال المخصص لمزاينة المعارف ضعفاً ما كان عليه وأبلغت ميزانية نظارة الاشغال العمومية الى ٦٠٠.٠٠٠ ليرة مصرية وجعلتها نظارة مستقلة وبذلك أمكن النظر في طرق الري الذي هو أساس الثروة بالبلاد وانشاء القناطر والترع والجسور وغير ذلك والحاصل ان البلاد اتعشت بهذه الاصلاحات ودخلت في دور جديد وتنامى الناس أيام الشقاء الماضية تقريبا ولما شاهد المرحوم توفيق باشا آثار هذه الاصلاحات طلب لرياض باشا رتبة المشيرية من الدولة المتبوعة فأجبت طلبه بلا تأخير ولما كان منطوق المادة ٢٣ و ١١ من الامر العالى الصادر في ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ بخصوص تسوية ديون الحكومة يقضى بتأليف مصلحة مخططة للسكك الحديدية وميناء الاسكندرية لان ايراداتها خصصت فيما خصص لسداد الديون المصرية صدر في ٢٣ سبتمبر سنة ٧٩ أمر عال بتشكيل الادارة المذكورة وجعل المستر لجرير الذي كان قبل مدير السكك الحديدية وميناء الاسكندرية رئيسا لها عوضا عن الجنرال ماريوت المتوفى وجعل المرحوم علي صادق باشا الذي كان مديرا للجمارك من أعضائها وصدر أمر آخر في ٦ يناير سنة ١٨٨٠ بالغاء المقابلة وأمر أخرى بالغاء كافة الضرائب الذنينة مثل العوائد الشخصية ورسوم القبانة والصارفة ورسوم الارضية التي كانت تؤخذ بالاسواق الريفية والرسوم المتحصلة من طائفة النجور ورسوم بيع المواشى بمصر والاسكندرية والسويس وضميرسة الانسين في المائة المضاف الى رسوم الاملاك المخصص للمأمورى تحصيلها ورسوم تسجيل العرائض والضمانات والرسوم المضاف الى رسوم القبانة ورسوم الدلالة ورسوم علم الخبز ورسوم الدخولية على الاصواف ورسوم تحقيق الاختام ورسوم السمسة ورسوم دخولية الاواني الفخارية ورسوم جلود السلخانات والرسوم المتحصلة من ايجار ما يبنى في الاراضى الخراجية والعشورية ورسوم قبانة اللحوم ورسوم حراسة القطن بمديرية البحيرة ورسوم سراكي الشيمالين وأصحاب الكارات في الاسكندرية ورسوم تربية الاغنام والماعز في مصر والاسكندرية ورسوم ختم دفاتر القبانة ورسوم السفن المشحونة برمال من جهة الرمل الى الاسكندرية ورسوم كيل الحبوب بالتقليوية والبحيرة ورسوم الغيطان ومبيع الفخار في دمياط وغير ذلك من الضرائب التي كانت وجدت في عهد الخديو السابق اسمعيل باشا لما ضاقت به الحيسل في جمع النقود وامتنتعت أوروبا عن تسليمه اياها فارتاحت الالهالى من أنقال تلك الجبايات والرسوم التي كانت تؤخذ في شافر شام من المحتاجين بعد التعب الشديد لتصرف بلا حساب وفي غير مواضع شرعية كما تقدم ولما أزيلت هذه الضرائب بل الضرائب التمس الوزراء من المرحوم توفيق باشا أن يتجول في أنحاء القطر جريا على العادة المألوفة عند تولية كل أمير جديد سيما وان الالهالى كانوا يمتنون رؤيته متجولا ليه قوموا له باظهار الولاة والاخلاص على ما منحهم من جليل النعم ونخف

عنهم من النقم فسافر على البواخر النيلية في يوم ١٠ صفر سنة ١٢٩٧ (٢٢ يناير سنة ١٨٨٠ م) وقصد الصعيد وألوزاراً كثير بلادها الشهيرة وفعل كذلك بالوجه البحرى وقد قابلته الاهالى جميعا بجزيد السرور وأقاموا الزينات والافراح في كل مكان مرأ وحل به ثم عاد الى القاهرة وفي اليوم الرابع من شهر مايو من السنة المذكورة أصدر قبل سفره هذا بيوم أمرا بإبطال أوراق البون المعروف ببون حلیم باشا (١) وجعل للامير المذكور في مقابلة ذلك ١٥٠,٠٠٠ ليرة مصرية ترا تبا سنويا

قانون التصفية (٢) - قرر مجلس النظاري ١١ يناير من سنة ١٨٨٠ تشكيل لجنة خصوصية للنظر في مبادئ أعمال التصفية جعل مرجع أعمالها منحصرا في ناظر المالية وكاتم أسرارها الثاني وكان الخديو وقتئذ يرغب ان تكون أعمالها فاصرة على تصفية أموال الزمن الماضي واقامة حد فاصل بين الماضي والحاضر حتى لا تكون حكومته مسؤولة عن شئ مما مضى ولكي لا يذكروا التاريخ بأنه هو السبب في انتقال كاهل مصر بتلك الديون التي أصنعت استقلالها كالدين السائر والدين المنتظم فقبلت أوروبا وبذلك ولما قدم المفتشان الانجليزى والفرنسى من أوروبا نظما لأئحة لتسوية الدين المنتظم وقدمها للحكومة في ١٧ يناير من سنة ١٨٨٠ (٥ صفر سنة ١٢٩٧ هـ) ثم تخبر اراع الحكومة طويلا لتسوية الديون الاخرى وأخيرا أصدر الخديو أمرا في ٣١ مارس من سنة ١٨٨٠ بتشكيل لجنة التصفية وبها أعضاء من دول المانيا والنمسا

(١) لما ترك الامير عبد الحلیم باشا الدبارا المصريه بتاع جميع أملا كالتدبير اسمعيل باشا بحجة كتبت في ٢٨ ذى القعدة من سنة ١٢٨٢ (١٤ ابريل ١٨٦٦) وفي مقابلة هذا البيع تعهد الخديو بدفع رأس مال القرض الذى استقرضه الامير المذكور وقدره ٧٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية على شرط ودوت في الحجة المذكورة ثم باع حلیم باشا أيضا الخديو اشار اليه جميع أملا كالتدبير التي يملكها في القطر المصري بحجة ثانية أمضاها كلاهما بالاستانة في ١٢ ربيع الآخر من سنة ١٢٨٧ (١١ يوليو ١٨٧٠) ذكر فيها ان الخديو وانجز سنة المصريه بالتزامن يدفعان للامير عبد الحلیم باشا كل سنة ٦٠٠,٠٠٠ ليرة لمدة أربعين سنة متواليه من تاريخ التوقيع على الشرط المذكور بشرط ان خزينة مصر تسلمه ٨٠ سند اعلى المالية قيمة كل سند منها ٣٠,٠٠٠ ليرة انكليزية وتكون السندات بلا فائدة ويكون دفع قيمتها في كل ستة أشهر ولا يكتب عليها اسم صاحبها وتكون كلها على شكل واحد ونوع واحد وانما يقيد عليها مدنا الاستحقاق اه

(٢) لما فصلت الحكومة المصريه تسوية ديونهم اوشكلت لجنة التحقيق العليا السابق الكلام عليها وجدت ان مصاريق الحكومة ومصاريق الخديو اسمعيل باشا امتد اخلت في بعضها اندا اخلال يمكن معه معرفة الفرق بينهما ولا مقدار المنصرف والمسدد من الارادات بالضبط الشافي ولذلك قدمت اللجنة المذكورة تقريرا في ٨ ابريل سنة ١٨٧٩ أوضحت فيه عدم أمكانها القيام باءا جميع تقاسيط الديون المنتظمة بأنواعها وعمل تصفية للديون الغير المنتظمة بتمامها في آن واحد وقالت أيضا انه لا اجل امكان توزيع ارادات الحكومة الخازن التصرف فيها على مداينها بوجه العدل والانصاف يلزم وضع قانون للتصفية يكون مرعى الاجراء في حق جميع أصحاب الديون وأن يكون معتبرا لدى المحاكم المختلطة ولما حصلت المخاربة بين الحكومة ودول المانيا والنمسا والمجر وقرنساوا وكثيرة وباطاليا أعلنت في الحال بقبولها مبدئيا بذلك القانون وحرر وانه قرر امتددا وختموه بالاختتام المنقوش عليها العلامات المخصوصة بدولهم في ٣١ مارس من سنة ١٨٨٠ وأمضى عليه قناصل الدول المذكورة الختارية الذين يصدر الخديو أمرا بتشكيل قومه سيون التصفية لتتحقق الحالة المالية باسم مصر حاله باستماع ما يسديه له أولو الشأن وتخصيص ما يمكن تخصيصه من الارادات لارباب الدين المنتظم والدين السائر مع مراعاة ابقاء التصرف التام للحكومة في المبالغ الضرورية لتأمين واستدامة سير مصالحها العمومية بالاتفاق مع مجلس النظاري والمفتشين العموميين اه

وفرنسا وبرطانيه العظمى وايطاليا ورئيسها السير ريفرس ولسون وعينت الحكومة من قبلها بطرس بلغالي (اليوم بطرس باشا وناظر الخارجية) ولما قبلت الدول المذكورة بالامر الخديوي المذكور شرعت لجنة التصفية في أعمالها التمهيدية (١٧ ابريل) وحصلت في خلال ذلك مخبرات بين المفتشين الماليين ولجنة التصفية فيما يجب تقريره بخصوص الدين الممتاز والدين الموحد والتعيينات ومناخرات كويونات الموحد والقروض القريسة الاجال وبيان اجمال الدين غير المنتظم ولائحة أخرى متضمنة ديونا متنوعه واستمرت اللجنة تسوى هذه الاعمال وتسن لنفسها قانونا مدته تتيف عن ثلاثة شهور وحصل فيما تبادل خواطر وآراء بشأن المالية المصرية وكان المسئلة المرحوم الامير حليم باشا شأن عظيم بعد ان خصصت له الحكومة المرتب السنوي المذكور وكان الامير يطلب الحضور الى مصر ليعرض بنفسه قضيته على اللجنة فأبى الخديو ورجال حكومته ذلك واتصرت للامير حليم وقتئذ بعض جرائد أوروبا وهي التي كان يعدها بأمواله وقالت كيف يمنع عم الخديو السابق وابن المرحوم محمد علي باشا الكبير من المجيء الى بلاده الا ان العالمين بسر المسئلة كانوا يعضدون المرحوم توفيق باشا لان السياسة التي اتبعها الصدر السابق خير الدين باشا في مسئلة تغيير فرمان سنة ١٨٧٣ م أظهرت نية الدولة نحو الخديو واضطرته الى ترويج سياسة دولتي انكثرة وفرنسا والاعتماد عليهما ثم انه في يوم ١٠ شعبان من سنة ١٢٩٧ (١١ يوليوسنة ١٨٨٠ م) أتمت لجنة التصفية أعمالها وأنتهت قانونها (١) وصدق عليه الجنب الخديو بسراي رأس التين في يوم ١٧ يوليوا المذكور

وقد اعترفت الدول بهذا القانون كسابق وعدها لانه أعظم الضمانات لحفظ حقوق الدائنين من الاجانب وقد احتفلت الامه يوم التصديق على هذا القانون وكان الواجب عليها اظهار الخزن لالفرح نعم لانكر أن بهذا القانون تسوت الديون وقلت فائدتها وانظمت المالية وغير ذلك الا انه هدم أعظم ركن من استقلالها وزيادة على ذلك فانه لم يرد ضمنه شيء لا بخصوص قرض الرزنامة الاهلي ولا قرض المقابلة ولم يفرض له من الفوائد مثل بقية الديون الا التزرا ليسير ولما عاد الخديو من الاسكندرية الى القاهرة تظاهر الناس امام سراي عابدين بمظاهر السرور ولغاثة كثير من الضرائب والرسوم وأرسل المستراد وارد مالت وكيسل انكثرة السياسي الى الابرل غرانفيل (Earl Ganville) ناظر خارجية حكومته كتابا أتى فيه على الاصلاحات التي أتمها الخديو وما أصدره رياض باشا من الاوامر بمنع استعمال الكرياج كآلة لا كراه الفلاح على تسديد الاموال وأبان تحسن حالة الفلاح وانقطاع الظلم وتسديد الضرائب عن طيب نفس واستعداد الاهالي لدفع ما عليهم من الاقساط في آجالها المقررة ولما كان تكاثر منح الرتب من لدن الجنب الخديو يستلزم زيادة المرتبات كالتبع في العسكرية أصعدرت نظارة الداخلية أمر اقررت فيه أن الرتب

(١) وهذا القانون يحتوي على خمسة أبواب (الباب الاول) في الدين المنظم وفيه البنود المختصة بالدين الممتاز والدين الموحد والاحكام المشتركة بين الدين الممتاز والدين الموحد والسلف القصيرة المواعيد وبوظائف مأموري صندوق الدين (والباب الثاني) يحتوي على البنود المتعلقة بالدارة السفينة (والباب الثالث) يحتوي على البنود المختصة بالدين السائر (والباب الرابع) يحتوي على البنود المختصة بالمقابلة (والباب الخامس) يحتوي على البنود المختصة بأحكام عمومية وجد اول بيت فيها حسابات التسويات

الملكية لا توجب زيادة المرتبات وانما هي للنعم عليه حلية شرف ودرجة امتياز فقط ولما رأى كثير من
 العقلاء وأرباب المناصب ان الحكومة انحرفت عن جادتها القوية وانها تم اونت كثيرا بحقوق الاهالي
 وأن النفوذ الاجنبي انبثت عروقه في كل الادارات فن تهاونها انها لم تجعل المقابلة التي دفعها الكثير
 من ارباب الاطيان كبقية الديون في قانون التصفية مع انها أخذت منهم سلفه كما هو مبين في
 لائحته التي سنها المجلس الخصوصي نددوا عليها وانضم الي هؤلاء المنددين كثير من رجال الامة فساء
 ذلك رئيس وزارة الوقت المسذ كورفت العيون خلف المذكورين لتطالعه بأقوالهم ومجتمعاتهم
 وبلغه عن لسان أحد هؤلاء العميون ان شاهين كنج باشا جمع جمعية في حلوان حضرها جمع من
 الذوات والضباط وأكثر فيها من التسديد بآعمال الحكومة بطريقة مهيجة واتفق ان يكتب
 في ديوان المالية عريضة ضد الحالة الراهنة نسبت الى أحد مترجمي المالية وكان من الذين يعتقدون
 ادارة الحكومة وعلى ذلك أخرجت الحكومة من سلك موظفيها بعض من قويت في حقهم الشبهة
 وأبعدت آخرين في مأموريات بعيدة ثم طلبت محاكمة الفريق شاهين باشا فدعى انه جاية ايطاليا
 ولا تجوز محاكمته الا أمام محاكمهم مع ان الحكومة لا تعلم عن هذا الانتما شيا قبل هذا الوقت
 والظاهر ان المرحوم اسمعيل باشا هو الذي سمي له في ذلك لتنجيه من محالب الحكومة لانه كان من
 أخلص رجاله فسافر الى أوربا خوفا من البطش به ولما لم يطالب تذكرة مرور عند سفره ارتكنا على
 حمايته التي تداخل في شأنه فنصل ايطاليا بعدت الحكومة ذلك منه خوفا من جاعن طاعتها وبعد أن
 تداول مجلس النظاري الامر صدر أمر خديوي في ٦ رجب من سنة ١٢٩٧ (١٤ يونيو
 ١٨٨٠) بتجريد الباشا المذكور من رتبة وألقابه ووصفاته الرسمية ومحو اسمه من دفاتر الجيش المصري
 وان لا يمكن فيما بعد من العودة الى الديار المصرية وأبلغته الحكومة هذا القرار رسميا وهو على ظهر
 البواخر قبل سفره ثم أقام في نابولي الى ان مات بعد قليل . قالت جريدة الديب في عددها الصادر في شهر
 يوليو من سنة ١٨٨٠ بعد أن تكلمت عن شاهين باشا كثيرا انه كان من أكبر العاملين على عزل
 واسن ودي بلنير في السنة الماضية وانه من مشرور عالم الكافة وأورو باوان البندين الاولين من هذا
 المشروع يقضيان بسد بور تسعيد وترعة السويس وانه بعد مبارحة الخديو اسمعيل باشا الديار المصرية
 تظاهر شاهين باشا بانه وكيله في عقاراته وذلك لنصب الدسائس والمكايد ولما وقف رجال الحكومة على
 ذلك أظهر أنه ينتمي الى دولة ايطاليا ولما تم تصدقه الحكومة في قوله ذهب القنصل الى نظارة الخارجية
 وأخبر مصطفى فهمي باشا بأن ملك ايطاليا قبل شاهين باشا في تبعة ايطاليا وعلى ذلك لا تجرى عليه
 أوامر الخديو وانه سيسافر الى نابولي في أول باخرة تقوم الى ان قالت وهذه أول مرة رضيت فيها دولة
 بقبول أحد رعايا الدولة العثمانية بلا اعلان حكومته من قبيل ومعلوم ان ذلك لا يجوز بناء على
 القانون الذي أصدره الباب العالي في سنة ١٨٦٩ وقبلته دول أوروبا اه هذا وقد اشتهر
 الخديو توفيق باشا بالميل الشديد الى تعصيد المعارف والتربية العمومية والى العمارة والحرية
 والصلاح فشيء وأصلح عدة جوامع ومساجد وبت بين أبناء البلاد روح الحرية فتألفت قلوبهم
 نوعا ووجهوا انتباههم الى ما فيه صالحهم ولما لم يرق ذلك في أعين ارباب الاغراض من الاجانب
 وغيرهم بشوا زور الفتن سيما وان الحرية التي منحها الخديو للامة تساعدهم على مرغوبهم وأخذت
 الاقوال تذاع عن الوزراء والخديو بما لا يرضى الامة وراجحت سوق الدسائس واختلط الناس بضباط

الجهادية أكثر من قبل فأوغر واصل ورهم حتى آخر جوههم عن حدهم وبسبب ذلك ظهرت الحوادث الشنيعة والفتن المريعة المعروفة بالمسئلة العراقية التي أودت بمباين مصر من الاستقلال وما يجب التنبيه إليه ان الحكومة تصرفت في تلك الاثناء تصرف رعونة ولو أراد الله وأبعد أهل الدسائس لا يمكن ملافاة المسئلة المذكورة من أول ظهورها كما يتضح لك مما يأتي

الحوادث العراقية - اختلف الناس في أسباب هذه الحوادث فمنهم من نسبها الى يد اجنبية ومنهم من نسبها الى ثورة الخواطر الخفية التي ملأت قلوب الشعب الذي كان يمتدرا ما هو حاصل قدس ذوا والاغراض بذور الدسائس بين أفراد الامة وصاروا يوغرون وصدورهم حتى اشتعلت نيران العصبية والغيرة بين أحزابهم فقاموا يطلبون من الحكومة التخلص من ربة الاجنبي بمساعدة الجيش الذي انضم أكثر ضباطه الى زمرة ما يسمى بالحزب الوطني قال الفاضل المرحوم علي مبارك باشا في صحيفة ٥٧ من الجزء التاسع من الخطط ما ملخصه وكانت هيئة النظارسائرة في الطريق الجادة ناشرة ألوية العادل والتسوية بين القوى والضعيف والرفيع والوضيع فاستوجب ذلك اثاره الحق في صدور أرباب الاغراض فتمقروا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلف كثير منهم بضباط العسكرية فأوغر واصل ورهم وألقوا في أذانهم انهم الاحق بتعديل القوانين والتصرف في الحكومة حيث إنهم أهل الوطن وأصحاب القوة وحسنوا لهم ما صنع بعضهم من الثورة السابقة التي لم يعاقبوا عليها فتعصبوا وتمكن منهم الغرور وكان رئيسهم أحمد عرابي (١) أحد أمراء الالابات وقتئذ فاستمال سائرهم وعاقدهم على مضادة الحكومة اه وقال الموسيوي هانس ريزنر (Hans Reisener) في صحيفة ٢٠ من تأليفه ما ملخصه انه ليس من البعيد

(١) أحمد عرابي المشهور رجل بدوي الاصل ولد في سنة ١٢٤٨ على رواية وفي أخرى أن ولادته كانت سنة ١٢٥٧ في قرية بريزة زمن أعمال مديرية الشرقية وهي على ميلين من الزقازيق ولما ترعرع علمه والدم بمبادئ القراءة والكتابة ثم علمه الى رجل قبطي يسمى مختايل غطاس كان صرافا في البلد اقرضه على الكتابة والاعمال الحسابية ومكث معه خمسة أعوام أحسن فيها القراءة والكتابة وبعض الحساب ثم بعته أبوه الى الجامع الأزهر لطب العلم (١٢٦٥ هـ) ومكث فيه أربع سنوات تعلم أثناءها بعض الشيء من اللغة والفقه والتفسير ولما عاد الى بلده الحق بالعسكرية لما أخذوا اولاد العمدة الى العسكرية في عهد المرحوم سعيد باشا (١٢٧١ هـ) وعرفته بالقراءة والكتابة والحساب ترقى الى درجة بلوك أمين بالا ورطة الرابعة من الايام المشاة الاول وعرف في ذلك الوقت بالشيخ أحمد عرابي لصلاحه وتفقهه في الدين ثم ترقى الى رتبة ملازم (١٢٧٣ هـ) والى رتبة نوز باشي (١٢٧٤ هـ) والى رتبة صاغ وبكباشي (١٢٧٦ هـ) ثم صار قائم مقام (١٢٧٧ هـ) وبعدها اعتزل الخدمة العسكرية ثم عاد اليها في أوائل حكم المرحوم اسماعيل باشا (١٢٧٩ هـ) واستمر في الجيش الى أن وقعت بينه وبين المرحوم الفريق خسرو باشا الجركسي خصومة أدت الى محاكمته بمجلس عسكري حكم عليه فيه بالسجن بضعة أيام الا أنه رفض الحكم وطعن في أعضائه فأمر الخديو عند ذلك بإبعاده من الخدمة العسكرية ومن هذا الوقت صار يغضب الجراكمه بغضا شديدا ثم توسط له بعض أصحاب الخبير فألحق باشغال دائرة الخلمية وفي وقت وجوده بها اقرن باشا مشرعة المرحوم الهادي باشا وكانت أخت حرم الخديو المرحوم توفيق باشا من الرضاة وبذلك اتصل لان دعوا الخديو عنه وورده الى درجته العسكرية بأحد الالابات (١٢٩٢ هـ) ومن هذا الوقت أخذ يجمع كلمة الضباط ويؤلف بين قلوبهم بما كان يظهره لهم من الاسف على حرمانهم وضيق حقوقهم ولما كان على جانب من القضاة ومعرفة بالاحاديث النبوية والاقوال الماثورة كانت أقواله تؤثر في الضباط لانهم أجهل منه بكثير في هذا الباب ولما لوى المرحوم توفيق باشا الخديو ترقى المترجم الى رتبة أمير الأي (١٢٩٦ هـ) وهي السنة التي قام فيها بحركته المشهورة ووفلتها المشهورة

تصورا أن يكون عرابي نفسه مأجورا على ٤٠ له ولكنه من المحقق الثابت ان انكساره لم تساعده لما وصل أبدا الى مثل ذلك النفوذ كما أنه من الثابت أيضا انه قد كان لهذا الأخير علاقات سرية مع الباب العالي اه وقال أحمد عرابي نفسه في القسم الاول من تقريره ان الجيش المصري كان مؤلفا من اثني عشر ألبا وفي مقدمه رئاسة عثمان باشا رفقى أريد تقليل الجيش الى ستة أليات وكان ذلك في سبتمبر من سنة ١٨٨١ وكان الميل حينئذ الى التعصب الجفسي في أشد حالة ولذلك كنت ترى ان كل الوظائف والرتب والنياشين والمكافآت تعطى للاجانب الذين هم الشرا كسة ثم الأتراك والمتولدون وغيرهم وأما المصريون الحقيقيون فكانوا محرومين من كل هذه المناصب وبالكاك كنت ترى وطنيا متقلدا احدى الرتب والألقاب السامية وعندما تبدأناظر الجهادية في انتخاب الجيش صار يفت أعذب المصريين ويولى الشرا كسة الذين هم عماليك العائلة الخديوية والمنسبون اليها نوعا والأتراك أيضا وما كان يعطى أحد المصريين مركزا الا لمن احتاج اليهم لاتمام العمد فصعب ذلك جدا على الاهالي وأثر بهم أشد التأثير وأضرهم نار البغض في قلوبهم ضد هؤلاء الاجانب المترسبين عليهم وعند ذلك اتى الى بيتي عدد كثير من الضباط بينما كنت غائبا عن منزلي في ولاية أحد أصحابي وهو أحمد سراج فأرسلوا رسولا واستدعوني من الولاية المذكورة فلما حضرت أظهر والى ما عندهم من الغضب فأخذت في اجساد غضبهم وأسرت عليهم أن يقدموا عرضة للحضرة الخديوية يلتصون بها المساواة وتعيين أحد المصريين ناظرا للجهادية اه وكان من أكبر أسباب هذه الحركة قانون القرعة العسكرية الذي وضعه عثمان رفقى باشا في ٢٣ شعبان من سنة ١٢٩٧ هـ (٣١ يوليو ١٨٨٠ م) حيث يؤخذ من فحواه منع الترقى من تحت السلاح اذ تقررت فيه مدة الخدمة العسكرية تحت السلاح بأربع سنين فقط وهي غير كافية للحصول على معلومات عسكرية تؤهل الى الترقى وانه بعد مضي هذه المدة يتوجه العسكري الى بلده ويبقى رديفا خمس سنوات واحتياطيا ست سنوات فتذمر من ذلك عرابي ورفقاؤه الذين ترقوا من تحت السلاح ورأوا أن هذا القانون لم يعمل الا لاسكاية بالوطنيين وحرمانهم من الترقى وهذه الاقوال وغيرها مكنوا من استمالة قلوب الكثيرين من الضباط وصف الضباط والعساكر وكانت العداوة بين علي فهمي وعبد العال حلمي وأحمد عبد الغفار من أمراء الالات وبين عثمان رفقى ناظر الجهادية قد اشتدت وكان علي فهمي قائدا لا لاي الحرس الخديوي فكان الخديوي يسأله في كل ما يتعلق بالاحتفالات العسكرية وغيرها لان الخديوي لما رأى حرج الموقف أظهر التودد كثيرا لامراء الجيش ليستميلهم اليه وان كان يغضبهم باطنالما كان يصدر منهم من سبب الافعال ولما كانت هذه الاعمال منافية للقوانين العسكرية وان أمر الاحتفالات والمناورات لا بد وان يؤخذ فيها رأى ناظر الجهادية سيما وان علي فهمي وأمثاله كانوا كلما لاحت لهم فرصة عند الخديوي وعند غيره يطعنون على رفقى باشا اشتدت عداوة هذا لضباط الجيش وصار كلما قابل علي فهمي أو أمثاله أطال لسانه عليهم بالتعنيف واللوم ثم اجتمع علي فهمي وعبد العال وأحمد عبد الغفار بمنزل عرابي ليلال نظر في أمر منع تنفيذ قانون القرعة المذكور وفي طريقة الحصول على ما يضمن لهم وللضباط المساواة والترقى فتحالفوا على ان يكونوا كرجل واحد في تنفيذ ما عزموا عليه وجمع كل منهم ضباط الالية واعلمهم بما تقفوا عليه مما هو في صالحهم وحرصوا على مساواة الجرا كسة بعد ان حلقوهم على السيف والمخفف وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بأن يكونوا يدا

واحدة في مشروعهم الوطني والمحافظة على أرواحهم ولما تم ذلك حرر الضباط تقارير وقدموها
 الى امرء الالابات وبناء على ذلك حرر الامرء المذكورون عريضة وقدموها لمجلس النظر طلبوا
 فيها بالنيابة عن جميع الضباط اقالة ناظر الجهادية واستعملوا في العريضة المذكورة ألفاظا شديدة
 فانعقد مجلس النظر تحت رئاسة الخديو وتقرر فيه احالة محاكمتهم على مجلس عسكري عال وتعهد
 ناظر الجهادية بان لا ينجم عن ذلك اقل خطر تخشاه الحكومة ولما انعقد ذلك المجلس بقصر النيل
 وحضر فيه الضباط المذكورون كان معهم بعض ضباط الالاي الاول الذي يقوده على بك فهمي
 ليكونوا كالعيون يخبرون اخوانهم بما يحصل ولما سجن الامرء الثلاثة ونصب ناظر الجهادية
 بدلهم على الالياتهم أسرع حواسيس عرابي وأخبر واضباط الالاي بما حصل فهاجوا وهاجوا
 وقام محمد سعيد اقتدى البكاشي مستعجبا جنود الالاي وهجم على ديوان الجهادية بقصر النيل
 فهرب ارباب المجلس ومن جلستهم عثمان رفقى باشا وكسر العساكر الزجاج والنوافذ وأتلفوا
 الثريات وأخرجوا الميرالايات من السجن وعادوا بهم الى قسلاق عابدين واجتمعت الالايات الثلاثة
 في ميدان عابدين والتس عرابي من الخديو العفوة عنه وعن رفاقه وارجاعهم الى الالياتهم كما كانوا
 وعزل عثمان رفقى باشا عن نظارة الجهادية فقبل الخديو ذلك وأصدر امر في ٧ ربيع اول من
 ١٢٩٨ (٦ فبراير ١٨٨١ م) باستبدال عثمان رفقى بمحمد ساي باشا المعروف
 بالبارودي مع بقاء نظارة الاوقاف على عهده وكتب عرابي الى قنصلي انكتره وفرنسا ينظم من
 تصرف الحكومة فورد عليه الجواب من قنصل فرانس (Baron de Ring) البارون
 دي رنك يمدحه على ثبات عزيمته وشجوعه في سلوكه فعد الناس ذلك من القنصل تحريضا الى عرابي
 واستغرب العقلاء من عرابي ذلك لانه كان يتشكى من وطأة الاجانب ولما اعترضت الحكومة
 مطامعه تظلم الى الاجانب وقال عرابي في تقريره مالمخصه وكتبت كيفية المسئلة تمام الحاضرة
 قنصلي انكتره وفرنسا بوقية وكلاء الدول الفخام ٤٤ اجري والتست منهم التبصر في امرنا والمساعدة
 اللازمة في مثل هذه الظروف ولما تدخل السرماليت صدر امر الخديو بالمساواة الى ان قال
 وتمثلت بين يدي الخديو فأمرني كما امر على فهمي أن أذهب الى كل من قناصل دولتي انكتره
 وفرنسا واننا تظهر لهما كوننا متكفلين وضامنين للراحة العمومية والمحافظة على الاور وباوين
 وعلى أموالهم فتوجهت امتثال الامر مع أخي المذكور وأوضحت لهما أن لا يلقا أصلا اه
 وبعدان سكنت حادثة قصر النيل المذكورة تولى الميرالايات الثلاثة الخوف فأكثر وامن التحفظ
 على أنفسهم من بطش الحكومة حتى صار كل من أراد منهم الانصراف الى بيته يستعجب مغه حرسا
 من الالايه وخصصوا بعض الضباط يطالعونهم في السر بما يقال عنهم أو يدبر لهم من المكاييد وصاروا
 يعدقون مجالس سرية ليلا في منزل عرابي ويقررون بينهم ما يقصدون فعله ومن ذلك أنهم اقترحوا
 على نظارة الجهادية ثمانية أمور وهي صرف نقود بديل التعيينات التي كانت تؤخذ من شون الجهادية
 لاجل شرائها بغير فتحهم من الخارج (الثاني) عدم استقطاع مرتبات الضباط والعساكر في مدة
 الاجازات التي تعطى لهم اذا لم تتجاوز السلاطين يوما واذا تجاوزت هذه المدة يستقطع نصفها فقط
 (الثالث) أن يؤخذ من الضباط والعساكر نصف أجرة في السكة الحديدية سواء كان معهم تذاكر
 رسمية أو لم يكن (الرابع) ابطال ورشة الخياطين وصرف اثمان الملابس نقدا ليصير ابقاعها

من الخارج بمعرفة الالايات (الخامس) ارجاع أحمد بك عبدالغفار الى منصبه (هو قائم سوارى وكان عثمان رفقي باشا قد طرده من الخدمة بسبب مشاجرة حدثت بينه وبين أحمد خلوصى بك الميرالاي) (السادس) عدم جواز الترقى العسكرية من قبل الخديو ما لم يسئل لذلك قانون مخصوص يجرى العمل على مقتضاه (السابع) زيادة مرتبات جميع الضباط والعساكر وكان هذا الطلب بمقتضى عرائض كتب صورها عرابى وأرسلها الى جميع الالايات ليوقع عليها الضباط وتقدم بمعرفة للحكومة (الثامن) سن قانون يشمل حالة الترقى والتقاعد والمكافآت والاجازات وتسوية حالة الاستيداع فقبل الخديو هذه الطلبات جميعها وأصدر أمر فى ٢٠ ابريل من سنة ١٨٨١ م بزيادة مرتبات الضباط والعساكر البرية والبحرية وأمر آخر بتشكيل قومسيون عسكرى للنظر فيما يلزم ادخاله بالجيش من التعديلات والنظامات والقوانين (١) وشرع هذا القومسيون يعدل فى النظامات والقوانين العسكرية ارضاء لخاطر الحزب العسكرى من جهة ولان بعض هاته الطلبات كان عادلا من الجهة الاخرى وفى تلك الاشياء أخذت شوكة عرابى فى الازدياد ونفذت كلمته فى الجيش بعمومه ثم تجاوزته الى الكثير من العمد والاعيان والعلماء بما كان ينشره بينهم من القول بانقاذ الوطن مما حل به من الدمار والبوار وغير ذلك من الاقوال التى تجذب القلوب وتنقلد لها الضمائر كرها سيما وان مآرأه الامة من تداخل الاجانب فى اعمالها وتصرف بعض العمال المصريين تصرفا ينافى الذمة والوطنية كان يقظ لديهم احب الاستقلال بالامر والسير فى جادة العدل والصدق الان ما تظاهر به بعض الناس من المظاهر القبيحة والطيش كحب الانتقام وجر المنفعة الشخصية والسير مع الاهواء النفسانية كل ذلك أغضب قسما كبيرا من عقلاء الامة حتى صاروا يكرهون الحزب العسكرى ويتنون خذلاناه ويعملون على تشتيته كما ستقف على بعض ذلك فيما يأتى وكان عرابى يطلب من مجازييه ان يساعده على انفاذ مقاصده وكان يطعن على أعمال وزارة رياض باشا التى كانت وقتئذ ويرميها بامر منكرة ولذا كان يسعى فى اسقاطها فلما شاع الخبر استدعى الخديو اليه عرابى ومحمود سامى وسألهم ما عن الخبر فانكروا فلم يلج عليهم ما فى طلب البيان الحقيقى اجتنابا للشر وقيل وقتئذ ان الخديو كان ميالا فى السرى الى ابعاد رياض باشا عن الوزارة ولكن لما رأى ان الحزب العسكرى خرج عن الحد وأخل بالنظام العسكرى كان غير راض عن الحالة خصوصا وانها ينمما كان فى مصيفه بثغر الاسكندرية حصل ان صدمت عربة أحد تجارها الوطنيين عسكرا يافا ماتته فحمله رفقاؤه من العسكر الى الجنب الخديوى والتسوا منه النظر فى أمره ولما كان ما فعلوه تم مجما قبيحا وكان الواجب عليهم مراجعة ضباطهم فى ذلك أمر بما كتبهم فى مجلس عسكرى نظرو وجههم عن حد القانون ولما حوكموا ورأى المجلس وجوب عقابهم تداخلى فى الامر عبد العال حلى بك أمير الالاي السودانى وألزم محمود سامى باشا ناظر الجهادية أن يشكو الى الخديو من قساوة الحكم فتكدر الخديو من ذلك وعلم ان محمود سامى باشا

(١) وكان أعضاء هذا القومسيون أفلاطون باشا واستون باشا والخيزال غولدسميث ومحمد عمر على باشا ورشد حسنى باشا واسماعيل كامل باشا ولارى باشا وبلوتس باشا وخالد باشا ومحمد ضيا باشا ومحمد كامل باشا ودور برناردى بك ومحمد شوقى بك وأحمد عرابى بك وحسن مظهربك ومحمد خلوصى بك وعبدالرحمن سليم بك وسليمان بسرى بك وفرهاد بك ومحمد نسيم بك

متحد مع الحزب العسكري ففصله عن نظارة الجهادية قال عرابي في تقريره ما ملخصه وكما نظن ان ذلك العفو حقيقي واذا بيد الشقاق والعداوة والفتنة ياتي في أرض القلوب وذلك ان يوسف كمال بك وكيل دائرة الخديوي أو عزالي بعض جاو يشية الا لاى من السودانين بمخالفة ضباطهم ثم قام ابراهيم آغا وأمر فرج بك الزبي أن يقوى العساكر على قتل ضباطهم فقبضوا عليه وأحضره الى الا لاى فوجدوا معه ورقة من ابراهيم آغا محتومة بخطه يقول فيها انها صادرة بناء على أمر الخديوي وقد اطلع على ذلك محمود سامي باشا ونظرت القضية بمجلس عسكري وحكم على فرج بك بانزاله الى رتبة بكباشي ثم صدر أمر الخديوي بإرساله برتبة الى مصوع ثم قام بعده على لبيب وسليم صائب واجتهد في اجراء الاعمال ذاتها وانكشف أمرهما فخكم عليهما وأرسلوا الى السودان ولما طال الامر أمر محمود سامي باشا أن يقدم استعفاءه فقدمه ٥١ ولما استقال محمود سامي تعيين مكانه داود باشا يكن في ١٩ رمضان من سنة ١٢٩٨ وأصدر داود باشا منشورا وزع على الا لايات بمنع اجتماع الضباط في المنازل والتفرغ الى مباشرة الاعمال العسكرية وان كل من تكلم منهم مع آخر في الامور السياسية سجن بالقلعة وكان داود باشا يتفقد انفاذ هذه الاوامر بنفسه لخرج الحالة وبث عبد القادر باشا أمور ضبطية القاهرة العيون على منازل رؤساء الحزب العسكري لمنع اجتماعهم فوقوع الرعب في قلوبهم حتى صاروا لا يتركون الاياتهم والذهاب الى بيوتهم وبعد عودة الخديوي من الاسكندرية أصدرت الجهادية أمر بنقل الا لاى القلعة وأمير ابراهيم بك حيدر الى الاسكندرية مكان الا لاى حسين بك مظهر فاضطرب الحزب العسكري لهذا الامر وأشاع كذبا بأن القصد من هذا النقل هو اغراق عساكر الا لاى ابراهيم بك بالنيل عند كفر الزيات وتجهز عرابي لعمل مظاهرة أخرى بالجيش وأرسل الى الخديوي ونظارة الجهادية في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ يقول بأن العساكر ستاتي الى سراي عابدين ليطلبوا مطالبهم من الحضرة الخديوية وكتب لقناصل الدول يعلمهم بذلك وان لا يخافوا على رعاياهم البتة وان كل شيء سيتم بالهدوء لان الغاية شريفة يقصدها طلب تحسير البلاد واصلاح احوالها واجتهد الخديوي في منع ذلك وبذل النصائح لكافة ضباط الا لايات ليوقف انفاذ ما عزم عليه عرابي فلم يجد ذلك نفعاً بل اجتمعت عساكر الا لايات في ميدان عابدين تحت قيادة عرابي في يوم الجمعة الموافق ١٥ شوال من سنة ١٢٩٨ وانضم اليهم الا لاى على فهمي وكان أقدم الخديوي قبل ذلك انه سيدافع من داخل السراي عند ميسس الحاجة واجتمع خلق لا يحصون حول العساكر واضطربت المدينة ثم أشرف الخديوي على الجيش من سلامك السراي وطلب عرابي فتقدم امامه وهو شاهر سيفه وحوله أركان حربه فأمره الخديوي بانماد سيفه والترجل عن ظهر جواده ففعل وسأله الخديوي عن أسباب حضوره بالجيش فقال انه وال طلبات عادلة فسأله الخديوي ما هذه الطلبات فقال اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية بالجهد وعزل شيخ الاسلام فقال له الخديوي ان هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية وبينما الخديوي يتحدث معه بذلك أشار القناصل عليه بالدخول داخل السراي خوفاً مما عساه أن يحدث عن تلك المخاطبة وكان القناصل والوزراء وكثير من الذوات داخل السراي وصار السير أو كان كولشن (Auéklond Colvin) المراقب العمومي في المالية وقنصل انكلتره باسكندرية المستر كوكسون (Chas. A. Cookson) وقنصل النمسا

رسلايين الخديوي وعراقي وأخيرا قال قنصل الانكليز لعراقي ان ما طلبته هو من خصائص مولانا
وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة فقال له عراقي اني نائب عن الامة في تنفيذ
الطلبات بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم من اولادها واخوتهم افهم القوة التي ينفذها كل ما يعود
على الوطن بالمنفعة والصلاخ وقال ايضا اتالانتازل عن هذه الطلبات ولا تبرح من هذا المكان ما لم
تنفذ وبعد كلام طويل نصح القنصل الموماليه الخديوي بأن يجيب مطالب عراقي فأجابها فانصرفت
العساكر وكلف الخديوي شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فتوقف اولاً ثم ألح عليه الاعيان ورجال
العسكرية فقبلها على شرط ان يتعهد رؤساء الحزب العسكري بالامتنال للاوامر فتعهدوا له بذلك
وتشكلت الوزارة (١٤ ستمبر سنة ١٨٨١) وصار شريف باشا رئيسا لمجلس النظار ونظرا
لداخلية ومصطفى فهمي باشا للخارجية ووحيد باشا للمالية واسماعيل ايوب باشا للاشغال
العمومية ومحمود سامي باشا للجهادية والبحرية وقدزي باشا للحقانية ومحمد زكي باشا للمعارف والاقواف
وجعل بطرس عالي بك باشكا تب المجلس النظار وبقي خليل باشا يكن وكيل لداخلية وبولوم باشا
وكيل للمالية وتكران بك باشكا تب النظارة الخارجية وتعين حسين بك واصف باشكا تب النظارة
الحقانية وبقى روسو بك مسديرا لعموم الاشغال بنظارة الاشغال وأقلاطون باشا وكيل للجهادية
ثم صدرت الاوامر الخديوية في ٢٤ ستمبر من سنة ١٨٨١ بالتصديق على القوانين
العسكرية الجديدة الخمسة وهي قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون تسوية حالة
الضباط المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وقانون القواعد الاساسية
وقانون الضمان والامتيازات والاعانات العسكرية وكان من اول اعمال وزارة شريف باشا انها سنت
قانونا جديدا لمجلس النواب ولما تم وصدق عليه الخديوي صدر الامر بانتخاب النواب فشرع في
انتخابهم بالمسند والقرى على الصفة المذكورة في القانون الصادر في ٢١ رجب من سنة ١٢٨٣
وعزلت الحكومة ارضاء للحزب العسكري بعض الموظفين منهم عبد القادر حلمي باشا ما مور رضى بطنية
مصر واستبدلته بأحمد باشا الدرهمي وتعين عمر لطفي باشا محافظا للاسكندرية وكان المرحوم شريف
باشا رأى أن من الضروري لتمسك الافكار باعداد رؤساء الحزب العسكري عن العاصمة فأوعز الى
عراقي بالذهاب مع ألابه الى رأس الوادي من أعمال الشرقية والى عبد العال بالذهاب مع الابيه
السوداني الى دمياط فامثلا وسافرا وأجريت لهما عند سفرهما محطة مصر احتفالات عظيمة لم يسبق
لها مثيل وخطب عبد الله نديم أفندي وحسن الشمسى أفندي وغيرهما خطبا حاضنها العسكرية
وعوم الاهالي على التمسك بعمرة الاتحاد والمحافظة على شرف البلاد وكان بعضهم يثر الازهار على
العساكر ويفرق عليهم أنواع الحلوى وقام الناس أيضا بالمحطات بمظاهرات احتفالية هذا
وقد كانت الدولة العثمانية صاحبة السيادة في كل هذا الوقت سا كنه سا كنه حتى كأن ما هو
حاصل حاصل ببلاد لايم مها أمرها فلم يكن لها علم فيما يعرف بالحوادث الحاصلة بمصر الا بما يرد اليها من
القاهرة من التلغرافات الملقق غالبها ولما انتهت أفكار رجالها لذلك تداخلت تداخلا فعليا وأرسلت
وفد برئاسة حضرة المشير على نظامي باشا من باوران الحضرة السلطانية وكان وصوله في يوم عشرة
اكتوبر من سنة ١٨٨١ م وقابلت الحضرة الخديوية هذا الوفد بالاكرام الا أنهم لم يطلعوه على
حقيقة ما هو حاصل لمقاصد خفية ولذلك بقيت النتيجة من ارساله عقيمة سيما وان الحركات العسكرية

كانت أخذت في السكون وقتها وبلغ رئيس الوفد الخديوي سرور مولانا السلطان بمابذله من الهمة في حفظ الامن وقرار الراحة وزار أعضاء الوفد بعض الدواوين وكذا الالاي الثاني وأميره طلبه بك عصمت في قصر النيل وبعده ان أقيمت للوفد الولائم الفاخرة ومتع أعضاؤه انظارهم ببعض المناظر البهجة عاد الى الاستانة مجبوراً لخاطر وقال عرابي في تقريره بينما كانت الاحوال جارية كإذ كرأسل السلطان الوفد العثماني تحت رياسة علي باشا نظامي لكي يبحث في الاحوال والمظالم التي كانت جارية في مصر وقبل وصول الوفد المذكور بيومين صدر أمر بذهاب الالاي حكمداريني الى التل الكبير والالاي الذي تحت حكمه رياسة عبد العال بك الى دمياط وذلك بقصد ابعادنا وعدم اطلاقنا على حقيقة الاحوال ولما وصل علي باشا نظامي وأراد اصلاح الاحوال رفض ذلك حضرة الخديوي مدعي أن الطلبات التي طلبتها الجهادية هي موافقة وعادلة وهو قد منحها برضاه وأظهر أيضاً سروره قائلاً ان العسكرية في غاية الطاعة اه وبعد سفر الوفد أصدر الخديوي أمراً في ٢٦ محرم سنة ١٢٩٩ (١٨ ديسمبر سنة ١٨٨١) بتعيين محمد سلطان باشا رئيساً لمجلس شوري النواب فاجتمعت أعضاؤه وقتحه الخديوي بنفسه باحتفال وألقى على أعضائه خطاباً كان له أشد التأثير ووضع شريف باشا لهذا المجلس قانوناً جديداً جعل فيه للنواب حق النظر في القوانين والمصروفات العمومية وأنه لا ينفذ قانون ولا يوضع نظام ما لم يقر عليه المجلس ثم صرفت وزارة شريف باشا العناية في تنظيم كثير من الامور منها المعارف العمومية لاحتياج البلاد الى نشرها احتياجاً لا ينكر فشككت لها مجلساً عالياً جعلت أعضاؤه من أصحاب الاطلاع الواسع وهم اسمعيل أيوب باشا وقدرى باشا وحسين فهمي باشا ومحمد بك الفلكي وعلي بك فهمي ومنها مسألة موظفي الحكومة وترقياتهم وشككت للنظر في ذلك لجنة عهدت اليها تحضير قانون لذلك ثم التفتت الى أمر المحاكم الاهلية وكانت من أشد ما تحتاجه البلاد لكال نظامها ووضعت لذلك لائحة صدر بانفاذها أمر عال في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ وكان الخديوي أرسل قبل هذا التاريخ بخمسة وعشرين من طرفه نائب باشا ليقدم بالنيابة عنه فرائض الشكر لتبوعه الاعظم على اتر عودته على نظامي باشا واعلم أنه بالنسبة لحركة الافكار في ذلك الوقت خرجت بعض الجرائد عن الدائرة الضيقة التي رسمتها الحكومة في قانونها فالغت جريدتي الحجاز واجبت أي مصر الفرنسية بسبب أن الاولى طغنت في الاجانب والثانية خرجت عن حد الآداب التحريرية في التعبير عن الحضرة النبوية ومن الحوادث أيضاً أن تولى المرحوم الشيخ الانبائي مشيخة الجامع الازهر بدل المرحوم الشيخ العباسي وكان ذلك في ١٩ محرم سنة ١٢٩٩ (١١ ديسمبر ١٨٨١ م) وتعين عرابي باشا وكيلاً لتنظاره الجهادية ارضاء للعسكر به بدلاً عن أفلاطون باشا هذا وأما لجنة شوري النواب التي تعينت لراجعة قانون مجلس النواب الاساسي فانها أقرت على أكثر بنوده الاما تعلق منها بميزانية الحكومة فان اللجنة رأت ان للمجلس تمام الحق في مراجعتها والاعتراض عليها عند اللزوم وان ذلك ردت القانون لمجلس النظار الذين أرادوا أن يغيروا بعض ملاحظات النواب أما النواب فلم يقبلوا وأصرواعلى مطالبهم وهناك بعض أصحاب الاغراض ومن تابعهم من جهة المصريين ومغفلهم أدوارهم مهمة فكانوا يعززون الى النواب والحزب العسكري سراً بالمقاومة والى بعض النظار بعدم التسليم ثم أعاد النظار القانون الى النواب وأحجموه بكتاب جاء فيه ان قنصلى فرنسا وانكاستره يريان لاحق لمجلس

النواب في طلب تقرير الميزانية ولكنهم مامع ذلك يقبلان المخبرة في هذا الشأن بشرط ان يتم الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود القانون المذكور فرفض مجلس النواب تداخل الدولتين وله الحق في ذلك ولكن غاب عن النواب انهم في مصر وأن قانون التصفية الذي اعتبر كأنه وفاق بين الحكومة المصرية والدول يمنع أن يمس أي شيء يتعلق بأمر المالية من الفصول المقررة لتسوية الديون العمومية وأرسل مجلس النواب من طرفه لجنة مؤلفة من ١٥ عضوا إلى الخديو تطلب انفاذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فمرت في طريقها على منزل شريف باشا وطلبت منه جوا بانها يسأفأبى فذهبت إلى الخديو وسألته مطلوبها فوعدها إلى الصباح وانصرفت ووقد بعد هاشم باشا على الخديو مع قنصل فرنسا وانكثرت وقال انه مصر على رأيه فلا يوافق على تحويرات النواب وقدم استعفاؤه فاستدعى الخديو لجنة النواب وكانها بأن تختار رئيسا للوزارة فامتنعت بأن حق اختيار رئيس الظاهر وللحضره الخديو به دون غيره فالح عليهم في ذلك قصد ان يحسم باختيارهم كل خلاف فأبوا ثم استدعاهم في اليوم الثاني وأخبرهم بأن اختياره وقع على محمد سامي باشا فأظهروا ارتياحهم واستحسنهم فاستدعاه وقلده الرئاسة في ١٣ ربيع أول ١٢٩٩ هـ (٢ فبراير ١٨٨٢ م) وجعل أيضا على نظارة الداخلية وصار أجدع راى ناظر الجهادية والبحرية وعلى صادق باشا المالية ومصطفى فهمى باشا للخارجية والحقانية وعبد الله فكرى باشا للعارف وحسن باشا الشريعى للاوقاف ومحمد وفهمى باشا للاشغال وفي عهد هذه الوزارة حدثت أكبر الملاحم وأشهر الوقائع بتاريخ مصر الحديث بل بتاريخ العالم الاسلامى أجمع ان حدثت من أفعال رجالها الذين من الحزب العسكري هذا الانقلاب الحسيم الذى أودى بما بقى للبلاذ من الاستقلال نسأل الله حسن العاقبة وكتب عربى رسميا بذلك إلى الفروع والجيش (١) ونشر نشرة غير رسمية عليهم أيضا (٢)

ولما كانت دولة بريطانيا العظمى تنتظر من القديم إلى الديار المصرية بنظر الاهمية لتكونها

(١) له الحمد قد نلنا بعونه المراد ووصلنا إلى نقطة بها حفظت البلاد وأمنت من غوائل كل معاند مضاد وأعتقت العباد من ريقة الاستعباد وتذلت المصاعب وما ذلك إلا بصدق عزيتكم ووريق ارتباطكم ومين اتحادكم ودوام تحبيكم واتلافكم وقد رليت الان نظارتكم كما كنتم تمنون وقبلتها على ما تعلمون من شاق المناعب والاصحاب اعتمادا على حول الله وقوته وثقة بحسن اخلاصكم وطهارتكم فأتموا منوئيتكم لانعام النجاح بعلازمة ما جيلتم عليه من السكينة وحسن الاستقامة والحفاظة على صدق الاخاء ومناينة العدوان والشقاق بان يكون الواحد هو الكل والكل هو الواحد وتمسكوا بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وبقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ننظر للكبير مناظر الولد للوالد وللصغير مناظر الولد للوالد له متعاضدين على انعام الاصلاح معضدين للحضرة الخديو به الفخيمة بالوقوف الوطيد والحب الاكيد واعتصموا رضائى بحسن المعاشرة بينكم وتزلاتكم حتى لا يكون الحامد عليكم من جهة يشوهها وجه صفاتكم واستجلبوا سرورى بتذكركم قول النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لاصحابه لا يشانه أحدكم بشوكة الا واجدا لها وانى وان كنت متحققا ذلك منكم الا انى لتأكيد الطمأنينة قد أصدرت هذا العادتكم حتى من بعد تلاوته وتفهمه العموم ضابطان وعساكرا البحرية نو كليل سعادتكم أوئل اتباع الاجراء بمقتضاء ١٧ ر سنة ١٢٩٩ فيرسمى

(٢) حيث ان مسند نظارتى الجهادية والبحرية بالجليلتين قد أحيل على عهد تمان طرف حضره الجناب الخديو المعظم بارادسية موشحة بتاريخ ١٥ ر سنة ١٢٩٩! غرة ١١ فاعتقداى ووقوفى بمساعدة حضرتمكم وحضرات

طريق هندوها ومستعمراتها الآسيوية استخدمت سياستهما من تاريخ فتحها البلاد الهند في
منع كل تعدد من الخارج على هذه الديار حتى إنها التحدت مع الدولة العثمانية على حرب
نابليون بونابارت عندما استولى على القطر المصري وأخرجته منه عنوة في سنة ١٨٠١ م كما مر ثم
سعت كثير في عرفلة المساعي لمنع فتح قنال السويس لان رجالها وكبار سواها كانوا يعلمون أن
فتحها يجلب على ديار مصر المصاعب السياسية والمشاعب الدولية ويقع بسببه الخلاف بين عموم
الدول التي لها مستعمرات في المقاطعات الآسيوية حتى صرح كثير من منهم بتلك المصاعب
وأظهر والعالم جهر بأنه اذا فتح القنال المذكور اضطرت إنجلترا الى اتخاذ المركز الاول لها في مصر
للمحافظة على تجارتها ومستعمراتها فقال هنري جون تيمبل لورد بلرستون (Palmerston)
المنظاهر بحبة الدولة العلية العثمانية في البرلمان الانكليزي قبل الشروع في فتح القنال انه اذا وصل
البحر الابيض بالبحر الاحمر بواسطة قنال السويس اضطرت إنجلترا الى امتلاك مصر وكتب
جس اندرو براون رامسي لورد دالهوسي (Dalhousie) والى الهند في تقريره عن سنة ١٨٥٥
ان فتح قنال السويس لا يمكن أن يؤجل الى ما لانهاية ولذلك لا يتسنى لانكسره ان تضمن حفظ
سيادتها التجارية في العالم الا اذا حازت مركزا قويا في مصر ليكون بذلك قنال السويس تحت سلطتها
وغير ذلك من الاقوال التي جعلت انكسره من يوم فتح القنال تراقب حركات الديار المصرية بحراسة تامة
وتخشى أن يمسها يد التعدي من احدى الدول الاجنبية فأوجدت من عظماء رجالها السياسيين
عددا كبيرا في المراكز المصرية من يوم قيام المشكلة المالية واتفقت مع دولة فرنسا صاحبة المصالح
الكثيرة بمصر على التداخل في الشؤون المصرية لضمها تلك الصوايح والمحافظة على مركز الخديوية
حتى لا يمسه سوء من أي وجهه كان كما سبق وذلك لما ظهرت الحركة العربية اضطرت أن تحافظ
على ذلك المركز من تعديت القامئين بتلك الحركة واتفقتا على ذلك ولو باستعمال القوة ومع ذلك فقد
صرحت بجرائدها انكسره وقتئذ وفي مقدمتها جريده الاستاندراد الصادرة في أول سبتمبر سنة ١٨٨١
عن سياسة انكسره في مصر فقالت ان مصر هي مهمة لنا غاية الاهمية لانها أحسن وأقصر طريق
يوصل الى الهند ولا نسمح لاية دولة من الدول الكبرى أن تستولى على مصر استيلاء حريبا فاننا
نفضل مكابحتها على الرضاها - ذا ومع اننا اعتبرنا مصالح الدول الاخرى اعتبارا مقدسا مادامت هذه
المصالح لم تقصر بسلامة مملكتنا الحاضرة والمستقبله وعلى هذا المبدؤ وعلى هذه السياسة أنشر كنا
فرنسا معنا في ادارة مالية مصر ولكن لا يصح أن نشركها معنا في حكم مصر بالقوة الحربية اذا
اقتضت الحال وجود القوة العسكرية نعم اننا لانعارض في وجود عساكر السلطان المعظم فيها ولكن
اذا رضى أي وزير انكليزي بحضور جيش فرنسي مع جيش انكليزي كان هذا خطأ فاحشا يضر
ببلادنا خيرا بليبغا اه ثم لما اشتدت الحركة قامت دولتنا فرنسا وانكسره وأرسلت الائمة (١) على

الضباط والصف ضباط والعساكر في القيام بواجبات هذا النظارة مع الاستمرار في تمشية أحكامها على المحور
اللائق الموافق لنص أحكام القوانين العسكرية قد جرى على قبول هذا المسند الخليل حالة كوني عالما أنتم عليه
من وثوق حضرة الجناب اندريوني بنا ولهذا لم يجرى بحضوركم اخطار ايجاد كرواكي بصيرا علاه على كافة ضباطان
وعساكر الالاي اذ ان حضرتمكم وفقنا الله واياكم لمافيه الخير والصلاح والنجاح افندمكم رسي

(١) الائمة المقدمة من قنصلي فرنسا وانكسره الى الخديوي توفيق باشا في يوم الاحد ٢ ربيع الاول سنة ١٢٩٩
وهي صفة خطاب من الوزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر

يدقنصلهم الى الجناب الخديو برغبة دولتهما في مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التي تزيد الارتباك والقلق في القطر المصري وان الدولتين على وفاق واتحاد تام فيما يتعلق بمصر وغير ذلك من التصريحات التي لماطلع عليها الباب العالي كتب ناظر خارجيته يومئذ عاصم باشا الى سفراء الدولة في عواصم أوروبا ويابان يبلغوا وزراء خارجيتها اعتراض الدولة على لا تحق الدولتين فرنسا وانكلترا (١) وبان تداخلهما يعد تعديا على سيادة السلطنة العثمانية التي تعارض في

حضرة القنصل الجنرال كافناكم غير مرة أن تخبيروا الجناب الخديو وحكومته عن رغبة حكومتى فرنسا وانكلترا في مساعدته ومساعدته حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التي تزيد الارتباك والقلق في القطر المصري فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر لاسيما بعد حدوث الحوادث الاخيرة اخصها صدور الامر الخديوي بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخاربة بين الدولتين واعادة النظر في شؤون اتفاقهما المذكور وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الخديو أن حكومتى فرنسا وانكلترا تريان وجوب تأييد جنابيه في الخديوية وفقا لاحكام المقررة في القرمانات السلطانية التي قبلتها الدولتان قبل اول اسميا اعتبارا انها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة في البلاد المصرية مما فيه مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك في السعي الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث في مصر ارتباكا أو يخل بنظامها وأحوالها سواء كان هذا الخلل وهذا الارتباك ناشئين من أسباب خارجية أو داخلية ولا ريب عندنا ان هذا التصريح العلقى المين لمفاسد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه يطرأ على حكومة الجناب الخديوي من الاخطار وان حدثت فالحكومتان لا تردان في دفعه ولا تخيمان عن صده وفي أمل الدولتين ان الجناب الخديو يعرف كنه المعرفة ما في هذا التصريح فتحقق له الثقة والقوة اللتان لا بد له منهما لادارة أمور القطر المصري محل التوقيع

(١) لأئحة مصطفى عاصم باشا وزير الخارجية الى سفراء الدولة العلية لدى الدول العظيمة احتجاجا على اللائحة المذكورة - يا حضرنا السفير لا يخفى عليكم ان قنصلى انكلترا وفرنسا الجنرالين بمصر قد بلغوا أخيرا الى حكومة الحضرة الخديوية بمعلومات على نسق واحد وذلك طبق الاوامر التي وصلت اليهما من دولتهما فتصرف القنصلين الموي اليهما مع وجود القرمانات السلطانية التي أرسلها الباب العالي فيما يتعلق باحوال مصر والافادات التي أبلغتها أخيرا للممورية العلية الى الخديو يدل على ان التأمينات التي صرحت بها الدولة العلية السلطانية غير مرة لم تقدر حتى قدرها ولهذا السبب لا يمكننا ان نخفي التأثير الاليم الذي شعرنا به من هذا الامر فبناء عليه رأينا انه لا بد لنا من ان نعرض على عدالة الدولة البريطانية الحقايقية بعض معارضات في هذا الامر فنقول ان غاية ممتنى الدولة العلية السلطانية بالاطلاص هو انه تؤكدها المانع والامتيازات التي خصت بمصر وبهذه الوساطة رغبة في راحة تلك البلاد وامنيتها ونجاحها فان جميع مساعيها متوجهة لهذه الغاية ونحن معتقدون انه من المستحيل أن يكون قد ظهر أدنى علامات مادية أو معنوية تدل على عكس ما ذكرناه والذي بعث على التبليغات المتقدمة كره من الدولتين المشار اليهما عن بعض احوال مصر الحقيقية هو من متعلقاتها الداخلية ولا شيء يدل على ان هذا الفعل الاجماعي الذي أبداه القنصلان المذكوران لدى حضرة خديوم مصر جرى على وجه الانصاف وخصوصا ان مصر هي قطعة من الممالك التي في حوزة الحضرة العلية السلطانية التي فوضت السلطة في مصر الى الخديو لغاية أن يحافظ على الامنية وعلى الراحة العمومية وعلى حسن ادارة البلاد والحاصل ان الحقوق لتتوي بسيادة الخديو لهذه الغاية هي من خصائص الباب العالي وحقوقه ووظائفه أيضا ولو فرضنا انه لم يجر اجراء فعل كالدفع القنصلان المذكوران لكان يلزم قبل كل شيء مشاوره الدولة التي لها السيادة على تلك المملكة وان تبتدئ الدولتان بمصر حثابه على هذا الوجه لا غير وبناء على ذلك نعتقد اننا محقون في ان نعتبر فعل الدولتين المذكورتين لدى الخديو رأسا لا يخلو من شائبة ما فلذا اضطر الباب العالي الى أن يبحث عن السبب الذي أغرى الدولة البريطانية ودولة فرنسا بأن تأتيان أمر تحسبه الدولة العلية السلطانية تعديا على حقوق سيادة الحضرة السلطانية على مصر وقد أرسلنا أيضا هذه الملاحظات الى سفير الدولة العلية بباريس فليرجو

هذا التداخل وان المحافظة على سعادة القطر وراحته هي من حقوق الباب العالي وحده وغير ذلك من الاعتراضات وقد أخذت المخبرات من يومئذ بين الباب العالي والدول في مسئلة مصر المذكورة دورا عظيما

وبعد ذلك قدم سفراء المانيا والروسيا وأوستريا واطاليا الى مصطفي عاصم باشا ناظر الخارجية لائحة صرحوا فيها باسم دولهم انها تروم ابقاء الاحوال المؤسسة الا ان يصير على اصول التسويات الاوروپاوية وعلى اصول فرمانات السلاطين العظام ومن رأيها ان الاحوال المؤسسة المذكورة لا يمكن تعديلها الا باتفاق بين الدول العظام والدولة العلية التي لها السيادة على مصر وبناء على ذلك حصلت عدة مذاكرات بين أعضاء البرلمان البريطاني صرح فيها المستر غلادستون رئيس الوزراء في جوابه عن سؤال السيرا ستافورد هنري نورثكوت (Stafford Northcote) رئيس حزب الشمال في يوم ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ قائلا ان مداخلة انكلترة وفرنسا في احوال مصر هي مداخلة سياسية وحقوقية يعني فيما يتعلق بالاحوال المالية والمحاكم المختلطة وهو امر سائق لهم منذ عهد قديم غير ان من الواجب علينا مراعاة بقية الدول في ذلك فانهم غير مستثنيين من مصالح مصر وعلى هذا فان دولة الملكة لم تر ان أعمال المانيا والروسيا وأوستريا واطاليا في تقديمهم لائحة الى الدولة العلية من الامور التي تجاوزوا فيها حقوقهم الثابتة او مراد منه احداث عواقب وانى اعتقد بسبب هذه الاحوال المرتبكة جدا ان الجميع يرتاحون لبقاء التعهدات المبرمة بين مصر والدول وهي التي قبلها الباب العالي وبعوجها فرض لانكلترة وفرنسا في مصر بعض وظائف تؤمن على وجود حكومة مرضية فيها اه

هذا لما وجهت رئاسة النظار الى محمود سامي باشا البارودي وتعين عرابي باشا ناظرا للجهادية فرح أغلب أهالي القطر وأوفدوا من المديرين وبعض المدن الوفود الى الخنازير الخديوي لتقديم شكرهم وسرورهم من هذه التعيين وحدثت عدة مظاهرات سرورية أما الاوربايون فظنوا ان جعل عرابي باشا ناظرا للجهادية هو الابقاع بهم وخلقوا الاضطرابات فلذلك استولى عليهم الخوف والفرع الشديد وأخذ أغلبهم في مهاجرة القطر المصري قال المرحوم محمود فهمي باشا وكان ناظرا للاشغال العمومية في الوزارة المذكورة في تاريخه البحر الزاخر ولما استلم عرابي مسند نظارة الحربية والبحرية سعى في ترقية كثيرين من رفقائه الضباط وقر قانون الضمام والمعاشات بطريقة جمعت القلوب على ولائه وجيران الخديوي توفيق باشا على ترقية نحو من أربع مائة لم يراع في ذلك قانونا ومن الذين رقاهم الى رتبة اللواء عبد العال وعلى فهمي وطلبه عصمت وخرق حرمة القانون العسكري الذي جبر شريف باشا الخديوي على التصديق عليه ومع كونه في نظارة الجهادية فانه كان يتدخل في جميع اشغال الحكومة حتى تلفت ادارة الدواوين وفي مدته فقدت المنظمات والقوانين من العسكرية وصار لاطاعة لاحد لمن فوقه من العساكر والضباط ورفت من ديوان الجهادية من شاء وأبقى من شاء واستبد بجركانه وسكناه وكل من كان له مظالمه من الناس في النواحي القبليّة

من سعادتكم والحالة هذه ان نذكر في هذا المعنى ناظر الخارجية وتبسطوا لهذا الامر على ما ترونه مناسبا للقوام وتبينوا له انما هم في أن تطلب منه ايضا حات وتأمينات تخرج الدولة العلية السلطانية من المقام الصعب التي قامت فيه الا ان بسبب ما حدث أخيرا في مصر ما

التوقيع

والجهات يفد على عرابي بهداياه ليقضى له أشغاله ويبلغه نوياه وكذا في القاهرة تواردت على منزله الستات والهوانم ليؤدوا الى حماة الهدايا والمعارم اقضاء أشغالهم وجبر حالهم حتى امتلاء بيته بالهدايا والنقود وكان ولم يزل يدعى الفقروا متلايته من أهل المنامات وكثر الدجل وضرب الرمل ٥١ ثم في أول مارث سنة ١٨٨٢ استعفى الموسيو د بلمنيو ودعى الى فرنس لعدم سرور وزرائها من مسلكه فتعين بدله الموسيو بريديف (Léon Brédif) مراقبا ومياو كانت وزارة محمود سامي باشا ووضعت لأئحة لمجلس شوري النواب فصدق عليها المجلس وصدر أمر الخديوي بتنفيذها في ٦ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٩ هـ (٢٥ مارث ١٨٨٢ م) ففرح الاهالي بذلك وأقاموا الاحتفالات عومية واشتركت فيهم معهم العسكرية وحض فيها خطباء ذلك الوقت وفي مقدمتهم عبد الله نديم أفندي الناس على الطاعة والائتلاف وغير ذلك ولما صفا الوقت للعسكرية تعدى الاراذل منهم على كثير من أهل الشرف والناموس وكل من اعترض على أفعالهم فتذمر الناس سران ذلك ولم يبقوا احد على اعلان استيائه وكل من تقوه بذلك اندر أو ألقى في السجن ثم انفض مجلس النواب بحضور النظر وكانت الاعمال التي قررها في التماسه منحصرة في تقرير قانونه الاماسي ولائحته الداخلية ولائحة الانتخاب وتوزيع الضرائب وربط التقاسيط على آجال ملائمة لمن المحصول ووضع نظام الرري ولما مثل أعضاءه بين يدي الخديو أعطى كلامهم الامر المؤذن بتعيينه عضوا لمدة خمس سنوات ولما كانت الاختصاصات التي حصل عليها النواب بالقانون الجديد تمنع مداخلة فرنسا وانجلترا في كثير من أمور البلاد وتغل يدى فصلهم ما عن العيب أحوالها كلما أرادوا قدم قنصلاهما الى الحكومة الخديوية لائحة يعارضان فيها اختصاص مجلس النواب بتقرير الميزانية وطلبا أن تكون الواردات المخصصة لوفاء الدين خارجة عن اختصاص المجلس ووافقت بقية الدول على هذه اللائحة وكانت دولة المانيا في أثناء هذه الحوادث متفقة رأيا مع النمسا والروسيا واطالبيا وورد في صحيفة ١٣٠ من الكتاب الازرق لعام سنة ١٨٨٢ ان الكونت مونستر (Münster) سفير المانيا في لوندن صرح الى الارل غرانفيل (Earl Granville) ناظر خارجية بريطانيا في ٣ مايو بان البرنس بسمارك (Bismark) يرى بقاء حالة مصر على ما كانت عليه بقدر الامكان واذا اقتضت الضرورة أي تدخل فتدخل الدولة العثمانية أكثر قبولاً الى الدول وزيادة على ذلك فان البرنس بسمارك لا يود أن يسمع باحتلال انكليزي أو فرنسي أو مشترك إذ أن ذلك في اعتقاده يؤدي الى صعوبات بين فرنسا وانكلترة ٥١ ولكن يظهر أن هذا التصريح لم يكن يرضى انجلترا لانها تسعى من زمن في احتلال القطر المصري خوفا عليه من أن يسقط في يد دولة تهاجمها كما تقدم ولذلك باح مكاتب التيمس البرليني في تلك الاثناء في العدد الصادر في أوائل ابريل سنة ١٨٨١ بالاقوال السرية التي قالها البرنس بسمارك وهي أنه عند انعقاد مؤتمر برلين طلب البرنس بسمارك من الموسيو وادنجتون (Waddington) أن تستولى فرنسا على تونس وقال أيضا ان البرنس بسمارك عند ما رأى دزرائيلي لورد بيكنسفيلد (Beaconsfield) قال له ان الاتفاق مع روسيا أولى من معاكستها فالاحسن ان تتركها تفعل ما يريد لها في الاستانة وأما أنتم فتستولون على مصر في مقابل رضاكم بهذا ولا يظن ان فرنسا تغتاز من ذلك كما يتوهم فانها في مقابل ذلك تستولى على تونس أو سوريا وقال مكاتب التيمس أيضا وكنت أظن أن هذا الكلام

لا يعتد به غير ان البرنس بيمارك أعاد ما ورد من السجورى ولويسيو وادنجتون ولكن لم يجبه اللورد سالسبورى بشئ مما لانه لم تكن البرنس بيمارك وقتئذ معلومة بمعاهدة قبرس التي عقدتها انكلترة مع الدولة العلية (١٨٧٨ م) أما اللويسيو وادنجتون فأجابته قائلاً لانه ليس لفرنسا غاية في تونس وانها لاتسمح لاية دولة بالتمكن منها والضرر باملا كهافي الجزائر اه وبعد ذلك زمن قليل ظهرت مسئله الضباط الجرا كسة فكانت المثيرة للخطوب والمشاكل التي وقعت بالديار المصرية كما يظهر لك من ذكرها فيما ياتي

لا يخفى ان السترفيات التي اجراها عرابي في الجيش كانت على غير قانون ولم يتبع فيها العبدل لانه فضلا عن كونه أحرم الضباط الجرا كسة من الترقى فانه أمر بالحاق الكثير منهم في الالاي السودانى الذى تشكل لتقوية جيش السودان والمستعد للسفر لمحاربة المهدي الذى أخذت شو كته وقتئذ تنقوى على الحكومة في تلك الاطراف فتغيرت خواطراً وألئك الضباط وأيقنوا بالشئ وبلغ عرابي أنهم تكلموا فيه بما لا يليق وعزموا على تقديم شكوى في حقه أو نصب مكيدة له فأمر بالقبض عليهم حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ٤٢ ومن جملتهم عثمان رفقي باشا ناظر الجهادية السابق وألقى الكل في السجن بقشلاق عابدين مهاتين مهدين قال عرابي في تقريره ما ملخصه ولما دعى راشد افندى أنور للائحام معهم رفض لكونه رجلاً حراً كما فأتى حالاً وأخبر طلبة باشا بالذى كان جارياً فكتب طلبية الى الجهادية والى محمود سامي باشا رئيس النظار والى الخديو أيضاً فجرت محاكمة هؤلاء الشرا كسة اه ولما حوكموا في المجلس العسكرى الذى عقد تحت رئاسة راشد حسنى باشا الفريقى صدر عليهم الحكم جميعاً بالنفى الى اقاصى السودان ورفع الى الخديو للتصديق عليه ولما كان هذا الحكم شديداً لانه كالحكم بالاعدام تداول الخديو في أمره مع وكلا دولتي انكلترة وفرنسا ثم استبدل الحكم المذكور بابعادهم من القطر المصرى الا ان مجلس النظار أصر على تنفيذ الحكم الاول فوق الخلاف بين النظار والخديو وصدر من رئيس النظار في مخاطبته مع الخديو بهذا الخصوص كلام خرج فيه عن حدود الادب والحشمة فتغير خاطر الخديو منه أمار رئيس النظار فانه جمع زملاءه وبعدها تداولوا في الامر طويلاً وأقر واعلى طلب انعقاد مجلس النواب بغير اذن من الخديو (في ١٢ مايو سنة ١٨٨٢) ليعرضوا المسئلة عليه وعقد النظار مجملتهم في ذلك اليوم وحضره بعض النواب وكان معهم رئيسهم سلطان باشا وبعدها دولة توجه سلطان باشا مع بعض النواب الى الخديو وسألوه اجابة طلب النظار فأبى فانصرفوا وقصد سلطان باشا قنصل انكلترة وفرنسا وأطلعهم على ما حصل ثم أعاد النظار اجتماعهم ثانية وأقر واعلى الاستعفاء ولكنهم توقفوا اليعلموا من يكون مسؤولاً عما يحدث لانهم تكفوا بحفظ الراحة وأوفد النواب بخسة منهم الى الخديو تسأله صرف المشككة باستعفاء رئيس النظار وابقاء باقى الوزراء لقبول الخديو وكاف مصطفى فهمى باشا بقبول الرئاسة فامتنع ولذلك عادت المسئلة الى صعوبتها الاولى واشتد الاضطراب وطلب الموسيودوفريسينيه (De Freycinet) رئيس وزارة فرنسا من الحكومة البريطانية أن يرسل الدولتان الى المياه المصرية أساطيلهما للمحافظة على حقوقهما فقبلت إنجلترا وأصدرت الاوامر الى أساطيلها بالاستعداد للسفر الى نجرالاسكندرية ولما كانت دولة انكلترة تخشى كثيراً مداخله فرنسا في المسئلة المصرية مداخله تخشى عواقبها أصدرت أمرها الى قنصلها بتسوية

الخلاف نسوية ودية تقابل قنصل فرنسا وانكلترة الخديوي ونصحاء بالاتفاق مع نظاره فقبل وانفردت الازمة وساد السلام في الظاهر أياما ونفي الضباط المذكورون الى سوريا ومن هناك ذهبوا الى القسطنطينية وعادوا الى دواوينهم كما كانوا وأرسلت الحكومة منشورا الى المحافظات والمديريات بزوال الخلاف قال الموسسي وهنس رزني في كتابه عن المسئلة المصرية ولكن لم ينشر صدر الموسيو فردينييه من هذا الحل ولا من خطة وكيل فرنسا في مصر كما يتضح من التلغراف الذي بعثه اليه في ١٦ مايو وأبلغه أيضا الحكومة انكلترة اه (١) ثم تقابل قنصل انكلترة وفرنسا بالخديوي وأبلغاه خبر قدوم الاساطيل الى اسكندرية (١٩ مايو ١٨٨٢ م) وكانت الاساطيل الانكليزية تحت قيادة الويس أميرال يشمب سيمور (T. Beauchamp Seymour) والفرنسوية تحت قيادة الكونت أميرال كونراد (Conrad) وبعد ذلك أتت أيضا عدة سفائن حربية تدول من أوروبا للحفاظ على رعاياهم وفي تلك الاثناء أرسل الباب العالي الى الدول منشورا يطلب منها فيه اعادة أساطيلها من القطر المصري وانه سيرسل الى مصر وفداء ولغامن بعض رجال الدولة وان حكومة جلالة السلطان ترى انه اذا اقتضت الضرورة انزال عساكر الى مصر فلا ينزل اليها الا العساكر الشاهانية ولا حاجة لمساعدة الجيش الفرنسي أو الانكليزي وأوعزت حكومة انكلترة الى سفيرها في الاستانة بأن يخبر الباب العالي أن مقصدها من ارسال الاساطيل حفظ حالة مصر على ما هي عليه ليس الا وانه اذا تسرعت تركيا الى العمل منفردة فان عملها يضر بالحالة الحاضرة في مصر ثم طلبت انكلترة وفرنسا على الخصوص من الباب العالي أن يرجع عن أي تدخل بالقوة وقالت ان ارجاع أسطولها لا يتم الا بعد ان تعود الى مصر وراحتوا ويستتب فيها النظام وبعد وصول الاساطيل أخذ عرابي يهيئ أسباب الدفاع ويقوى الاستحكامات وفي أثناء ذلك نشر السيراد وارد مالت منشورا على قناصل حكومته في القطر المصري يخبرهم فيه بما كان وبين لهم السياسة التي يجب عليهم اتباعها وان وصول السفن ليس فيه ما يوجب تكديرا له الملائق فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية وحذا حذوه في ذلك قنصل فرنسا وبعد أيام قدم قنصل فرنسا وانكلترة بلاغتهما ثانيا الى الخديوي يطلبان فيه اسقاط نظارة محمود سامي باشا وخروج عرابي باشا من القطر المصري مع حفظ رتبة ومرتبته ونياسينته وأن يقيم عبد العال حلي باشا وعلى فهمي باشا في الارياف بجهات لا يخرجون منها ولهما ما يضا مرتبتهما ونياسينتهما أما النظر فانهم أبوا القبول وقالوا انه لا علاقة للدول الاورباوية معنا فان شئنا فليختارن مع الدولة العلية صاحبة السيادة على مصر وأظهروا الاستعداد للمقاومة قال عرابي في تقريره إن الالائحة كانت بناء على رأى ارتآه سلطان باشا غير جائز به كما صرح بذلك غير مرة الى ان قال وعدم قبولها في مجلس النظر لا لاجل حفظ وظائفنا ولكن حرصا على حقوق البلاد التي فوضت لهدهنا وأمانتنا وأما جناب الخديوي

(١) أخشى ان الصلح الذي لم لا يؤدي الى نتائج مستمرة وكنت أفضل ان ينتهز الخديوي فرصة وجود الدولتين في استقلال سلطته ويسقط النظارة ويشكل هيئة حكومة جديدة بمن يثق هو بهم كشريف باشا مثلا وكنت أود صدوره وعقودام عن القواد وأمره الا لايات الذين لهم يد في هذا الحوادث مع بقاء رتبهم بشرط أن لا يعينوا في وظائف وكان يجب تلافى المسئلة بمثل هذا التدبير الذي ان نجح كان به حسم المشكل ولكن هل في الامكان حصوله بعد ان وقع موقعة أرجوان تفيديو في تلغراف انباء عن قبولكم هذا الرأي من عنده وتعريري الاسباب التي دعشتمكم الى تعضيد الاتفاق الحالى بدون عرضه على اه نقلان الكتاب الاررق الباب السابع صحيفة ٢٢١ سنة ١٨٨٢

فقد قبلها ولما كانت هذه المسئلة من المعضلات واختلف فيها بين الخديو والنظار عقد على ذلك
 جلسة بدوان النظارة وتقرر فيها طلب أعضاء مجلس النواب للنظر فيما اختلف فيه وتسوية المسئلة
 بوجه مرضى اه وبذلك انقطعت المخابرات بين القناصل جميعا والوزراء وقطع المراقبات المستر
 كولفن والموسيو برديف علاقتهم مع النظار وسعى سلطان باشار ياس مجلس شورى النواب
 في تخفيف شرائط البلاغ ملافاة للامر فقبل القنصلان واستعفت الوزارة محجة على لائحة
 الدولتين فكلف الخديو محمد شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فتوقف بخانه فحصل فرنسا وأطلعته
 على تلغراف ورد اليه من الموسيو فردينييه يقول فيه انه يأمل أن يقبل شريف باشا رئاسة الوزارة
 وانه يعضده بكل جهده فاشتراط شريف باشا لقبوله أن يقبل عمر لطفى باشا محافظ اسكندرية يومئذ
 نظارة الجهادية وأن تنفذ الجهادية للائحة الدولتين فقبل عمر باشا فأبى معتذرا واصر الحزب العسكري
 على رفض اللائحة وأعلن انه لا يقبل الاعرابي ناظر الجهادية وانه اذا مضت اثنتا عشرة ساعة ولم
 يرجع الى منصبه لا يكون مسؤولا عما يحدث فزاد الارتباك والخوف وأصر شريف باشا على عدم قبول
 تشكيل الوزارة فاضطر الخديو أن يعيد عرابي كما كان (١) وقال عرابي في تقريره انه في صباح ليلة
 استعفاء النظار حضر لثلاثي حضرات قناصل جنرالية دولة روسيا والنمسا والمانيا واثاليا وكلفوني
 بأن أعطيهم كتيبي بحفظ الاور وباو بين جميعهم وأموالهم القاطنين في القطر المصري فاعتذرت لهم
 بأني استعفيت من الخدمة فلم يقبلوا عذري بل أجابوني بأنهم يثقون بقولي وان جميع المصريين
 يطلبون كفالتك للادور وبين فانهم يحترمونهم غاية الاحترام فلو توفى بان رجال العسكرية
 لا يقعون شيئا يخل بشرفهم العسكري وان الاهالي بكرمون نزولهم فاعطيت حضراتهم كتيبي بحفظ
 جميع الاور بين القاطنين بالقطر المصري وحفظ أموالهم كما أحافظ على نفسي وعلى اولادي
 وما لي حين تشكيل هيئة حكومة فانصرفوا مطمئنين اه قال المرحوم محمود فهمي في الجزء
 الاول من البحر الزاخر وفي هذه الوقت طلب عرابي ثلاثة أشياء (أولها) إعادة بلاغ الدولتين
 وانسحاب أسطولهم من مياه الاسكندرية (ثانيها) وضع قانون أساسي مبين فيه حدود كل من
 الخديو ووزرائه (ثالثها) قطع المخابرات والعلاقات مباشرة مع الدولتين ومع عموم الدول
 إلا بواسطة الباب العالي ومن كثرة إلحاح ماليت قنصل انكلترة على الحكومة الانكليزية وحثها
 وتحريرها في هذا الوقت المناسب خابره المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية سرا وقال له
 لا يمكن التداخل في هذه المسئلة إلا اذا قامت جماعة الجهادية وظهر قيامهم للدول إذ يكون هذا
 الوقت هو وقت الدخول وإجراء العمل حسب ما ترغبه ثم صرح غلادستون في مجلس اللوردات
 أن دولته لا بد لها من تأييد كلمة الخديو توفيق باشا بالنسبة لما أظهره في حق الدولة البريطانية من
 الصداقة والاخلاص اه

هذا وطلب سفير إنجلترا وفرنسا في الاستانة من الباب العالي أن يتدخل في مصر باسم

(١) صورة الارادة السنية التي صدرت بإعادة عرابي باشا لولا أنكم استعفتم ضمن هيئة النظار التي استعفت
 لكن مراعاة لحفظ الراحة والامنية استصوبت بقاءكم على نظارة الجهادية والبحرية وأصدرنا أمرنا لهذا لكم لتعلموه
 وتبادروا بإجراء ما فيه انتظام أحوال العسكرية بالطريقة الكافية لحفظ الامنية العمومية على الوجه المرغوب كما هو
 مقتضى ارادتنا اه من الوقائع المصرية

أوربا تداخل غير مطلق بل معين الحدود وأن يأمر عرابي وسائر زعماء الحزب العسكري بالذهاب إلى الاستماتة ويظهر من هذه القيود أن الدولتين كانتا ترغبان في مداخلته الدولة العثمانية في مصر حقيقة أما طابعها ذلك فهو لين فيباعه الممانعة في التعرض للدولة صاحبة السيادة من المداخلته في بلاد تابعة لها حدث بها ما يخل بالراحة وليقفا أيضا على استعداد الدولة لذلك والاولو كانتا ترغبان حقيقة مداخلتهما اشتراطتا عليهما هذه الشروط الثقيلة سيما وان استتقلال مصر الداخلي مؤيد بالقرمانات السلطانية ومصادق عليه من دول أوربا كما هو معلوم وانها بانفرادها لا يمكنها مقاومة أوربا مجتمعة معها كما كانت عليه من القوة ولكن قاتل الله الاطماع والشهوة ما بتية: ولأوربا فكانت مترددة في تأييد سياسة فرنسا وانجلترا ولذلك طابت عقدهم وعرفوا الاستماتة للنظر في أمر مصر فوافقتا إنجلترا وفرنسا اللتان أعلنتا انهما لا يظانان الإبقاء العلم العثماني في القطر المصري وبعد مداولات ومخبرات طويلة تصم الباب العالي على التداخل بحاله من الحقوق التي لا تنسكروا وأرسل المشير مصطفى درويش باشا وعمد اساميا وكان بعبئته السيد أحمد أسعد أفندي وقدرى بك وغيرهما وقال عرابي في تقريره عن ذلك ما ملخصه وبتفقه اي درويش باشا أحوال العسكرية تحق له ان العسكرية محافظة على الطاعة والانتظام وبناء على ذلك طلب من الحضرة السلطانية ثنومائتي نشان لضباط الجيش مكانة لهم وطلب لي أيضا نشان المجدي من الطبقة الاولى اه وقال أيضا ان ثابت باشا الذي أرسل إلى الاستماتة في شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ ليغير أفكار رجال الدولة من جهة العساكر المصرية توصل إلى تغيير أفكار الذات السلطانية فأشيع في دوائر الاستماتة ان العساكر المصرية خرجت عن الطاعة وانهم يريدون تشكيل دولة عربية واني متفق مع الانكليزي على ذلك فكثرت الالغظ واذا بحضرة الشريف السيد أحمد أسعد وكيل الفراسة الشريفة بالمدينة حضر إلى مصر فأرقتة بعريضة تبرأت فيها مما نسب إلى والجيش بغير حق وورد لي من سيادته جواب بقبول تلك العريضة مع طلب محافظتي على الطاعة استجلا بالرضا الحضرة السلطانية اه ولكن قبل أن يتمكن المعتمد العثماني من تنفيذ ما لديه من الاوامر اضطرت الاحوال جدا وهبطت أسعار القراطيس المصرية هبوطا فاحشا وكثير مهاجرة الاوربا وبين زعماء عن تصريحات عرابي بضمانه للامن والراحة خصوصا وانه كان أشيع ان قواد الاساطيل الاجنبية عقدوا شرط وطامع التجار لتوريد الميرة لسفنهم لمدة ثلاثة شهور وقال عرابي في تقريره وفي تلك الليلة حصلت مذكريات ومخاورات في حالة البلاد وما كانت عليه في الازمنة الماضية وما حصل فيها من النكبات وما أرى في فيها من الدماء كل ذلك نتيجة الحكم الاستبدادي وفي الحالة التي وصلت اليها البلاد وفي أمر اللائحة التي قبلها الخديو فلكل أجمع على طلب خلع الخديو اذا لم يرض قبول اللائحة المذكورة وانصرف المجلس اه وخرج الحزب العسكري عن حدوده وأخذ يصرح بخلع الخديو توفيق باشا واجلاس الامير عبدالمجيد باشا مكانه وكان له هذا الامير بمصر في ذلك الوقت شيعة تروج مقاصده وتنشر على الناس محامده وكانت صلواته وأمواله تنهال عليهم ليصلوا إلى الغرض وعند ذلك استدعى الخديو قنصلي فرنسا وانكثرت وأبلغها تهديدات الحزب العسكري له وطلب منهما ابلاغ ذلك حكومتها رسميا ويظهر ذلك باجلى بيان من المكتوب الذي أرسله السير ماليت إلى الارل غرنفيل ونشر في الكتاب الازرق الصادر في سنة ١٨٨٢ وبناء على ما ذكره المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية ان انكثرت تريد تأييد كلمة الخديو

توفيق باشا لما أظهر من الحكمة والحزم والمحافظة على حقوق الدول وامتيازات مصر وسعادة رعيته وراحة التزلا من الاورباويين وغيرهم وقال الموسيوي وهنس رزني صحيفة ٢٥ من كتابه عن المسئلة المصرية انه في ٢ يونيو صرح الموسيوي وفر يسنيه لمجلس النواب بقوله قد تو جهنالى ثغر الاسكندرية مع الدولة الانكليزية ولم يكن سفرنا اليها تصد احتلالها عسكريا كما أحب أن تعتقدوا ذلك ولكن لحماية رعايانا واستشهاد اعلی عدم قبولنا مطالب زعماء الثورة التي انتشرت في تلك البلاد ولنبرهن على النصوص بأن فرنسا وانكلترا كانتا متحدتين وانى لم ارق منبر الخطابة لابن الطرق التي يجب السير عليها ولكن هناك أمر الأوافق عليه الا وهو تدخل فرنسا عسكريا في مسألة مصر وقد قلت في ١١ مايو وكررت في مقدمة خطبتي الأولى ان الغرض الذي يجب أن نجهده دائما نصب أعيننا انما هو بقاء الامتيازات والاجراآت المنوحة لمصر بمقتضى الفرمانات المعلومة لاوروبا وهذه القاعدة التي ترونها لا تقبل أى حل كان اه والماصل ان خوف الاورباويين عموما قد ازداد كثيرا من تصرف الجهادية وسوء معاملتهم لهم حتى إن سكان الاسكندرية منهم تم تسطوا باعاز من قناصلهم للدفاع عن ارواحهم عند الحاجة زعماء يعلمونه من ان الاساطيل حضرت الى ميناء الاسكندرية لحمايتهم ووافقهم أيضا قائدا الاسطولين على التسليح واتفق كل من المستر كوكسن قنصل انكلترا في الاسكندرية مع باقى القناصل هناك على طريقة دفاع اورباوي اسكندرية عن أنفسهم واستندوا في ذلك آراء بعض ضباط الاساطيل الاجنبية ولما بلغ ذلك القناصل الخبر اليه أنكروا ولم يستحسنوه ودامت الاحوال تردا صعوبة واضطرابا حتى ظهرت حادثة ١١ يونية الآتية الذكر

حادثه ١١ يونيو - بينما كانت أحوال الديار المصرية في اضطراب والخوف مستوليا على قلوب التزلا من هياج الرأى العام المصرى ومن أقوال الجرائد الاجنبية التي كانت تثير الاحقاد بين الاجانب والمصريين لاختلاف مشاربها وغاياتها في المسئلة المصرية وكثيرا ما اختلفت الاخبار المفترسة ولا نسى أيضا الهجة الجرائد المصرية في ذلك الوقت حيث كانت تروى الاخبار بصورة تدل على المخاوف في المستقبل وترجم المقالات الموافقة لشرعها عن الجرائد الاورباوية قام الرعاع من أهل الاسكندرية على الاورباويين وحصلت تلك المذبحة التي نشأ عنها انقلاب الرأى العام الاوربي على مصر والقائمين فيها بدعوى الوطنية والمطالبة بالحقوق المفقودة وقد ذكر هذه الحادثة كل من كتب عن تاريخ الثورة المصرية كصاحب مصر للمصريين وصاحب تاريخ مصر الحديث وصاحب البحر الزاخر وغيرهم فلخصنا من أقوالهم ما يأتي وهو انه بمجرد حصول خصام بين رجل حمار مصرى وساطن جرح فيه الحمار وانتصر لكل قوم من أبناء ملته تجمهر بعض الرعاع من الوطنيين وقصدوا الايقاع بالفرنج ومما زاد حنقهم ان الاجانب كانوا يطلقون النيران من الشبايك على كل ما رمن الوطنيين بلا تفرق بين مسذنب وغير مذنب وقبض المتجمهرون على من لا قوه في طريقهم من التزلا وقتلوا منهم عددا كبيرا وقتل من الاهالى عددا كثر وجرح في هذه الحادثة كثير من كبار الاجانب منهم قنصل اليونان وقنصل الانكليز وقنصل ايطاليا وكيه وقنصل روسيا وغيرهم وأمر عرطنى باشا محافظ الثغر يومئذ الامير الاى سليمان سامى داود أن يبعث بالجنود لمنع الاهالى فتوقف حتى يأمره عرابى باشا ناظر الجهادية ولما أتاها الاذن سار المحافظ أمام الجنود ففرق

المتجمهرين وكانوا كسروا كثيرا من المخازن ونهبوها وعند الغروب هددت الاحوال وسكن
 الاضطراب وقبضت الحكومة على كثير من وقعت عليهم شبهة القيام بالثورة وذكروا الموسيوقه
 رز هذه الحادثة فقال ما ملخصه ان احد المالطين انا خادم القنصل الانكليزي كوكسن كان
 ركب عربة سائقها وطني وظل طول نهاره ينتقل من قهوة الى اخرى واخيرا انتهى ركبته ونزل بقهوة
 احد المالطين ابناء جلده فتيه السائق الى القاعة يطلب منه دفع أجرته على تلك المشاوير الطويلة
 فجاءه الماطي السكران بمبلغ ٢٥ سنتيما (غرش صاغ) قد دفه الى السائق الذي لم يش
 لهاطبا فابتدأت الجملات العنيفة فما كان من الماطي الا ان اشهر مديته بعتسه وطعن به اهذا
 المسكين في بطنه فسقط ميتا شهيدا للظلم والاستبداد فجاءه فقاؤه ومعارفة لامسالك القاتل المجرم
 ومنعه من الفرار ليلقي عقاب ماجسته يدها فكان نصيبهم هم الآخرون ان سقط أغلبهم في هذا الزحام
 الكثيف قتلى وجرحى من يديو نابيين مسلمين بغدارات كانت في ركن من المكان اصعبت بهم بصاحب
 القهوة الماطي فأطلقوا الرصاص على هؤلاء المنكودي الحظ فهناك كنت ترى تراكم القتلى
 والجرحى على الصعيد مخضين بالدماء ولا مساعد ولا معين وبعدها صارت المعركة عمومية حيث قام
 الماطيون الساكنون بالقرب من ذلك المكان وفتحوا الابواب والمنافذ وأطلقوا النار على الجمهور
 وبسببهم عظم القتال وعم وأخذ في الازدياد وأطلق العنان للصرير فانفجر بركان غيظهم وحنقهم
 من مثل تلك المعاملات السيئة والاضطهاد المتكررة التي تحملوها زمانا مديدا وأخيرا سار ومع
 التيار فاستمرت المقاتلة بضع ساعات صدرت في أثناءها أوامر عرابي الى قائد القوة العسكرية باعادة
 النظام وفي أقل من لمح البصر ابتدأت القوة العسكرية في العمل فرجع الهدوء والسكينة وأعيد
 النظام بفضلها اه هذا وفي صباح ١٢ يونيه اجتمع القناصل وخاطبوا درويش باشا المندوب
 السلطاني بلهجة شديدة ثم عقد مجلس في سراي الاسماعيلية بالعاصمة حضره الخديو ودرويش
 باشا وشريف باشا وكثير من وكلاء الدول وتقرر فيه ما يوجب الامن والراحة وان يمثل عرابي لما
 يصدر له من الخديو وأخذ درويش باشا على عهده تنفيذ الاوامر الخديوية بالاشتراك مع
 عرابي ورضي وكلاء الدول بذلك وأرسلت بعض الفرق العسكرية الى الاسكندرية وتعينت لجنة
 بأمر الخديو تحت رئاسة عمر لطفي باشا المحافظ بهم مندوبون من طرف القناصل تحقيق أمر المذبحة
 ومعرفة السبب فيها ولكن هذه اللجنة انحلت سر يعا قبل الوقوف على الحقيقة لان قنصلي فرنسا
 وانكثرة امتناعا عن مشاركة أعضائها بناء على ما ورد لهم من دولتهم من الاوامر القاضية بعدم
 التداخل في أي عمل يختص بالبحث عن أسباب حوادث ١١ يونيه المذكورة قال بعض كتاب
 الفرنج ان الحزب العسكري وغيره من الوطنيين كان يرعى الظنون ويتقول في أمر المذبحة حتى
 قالوا ان محافظ النجف يومئذ كان عالما بأمر هامان قبل ولم يتخذ الاحتياطات لمنعها الامر حتى وقالوا
 ايضا ان شريط التلغراف الذي أرسل لمحافظ الاسكندرية بهذا الخصوص اشتراه بعض كبار
 الاجانب بمبلغ عظيم من المال وغير ذلك ولكن ظنياتهم وأقوالهم هذه لم تحققها الايام وفي ١٣
 يونيه سافر الخديو بنفسه الى نجر الاسكندرية ومعه درويش باشا وبوصوله زار قناصل الدول
 مظهرا لهم أسفه على ما حصل ووعدهم باخذ الفتن واستتباب الامن والراحة ولما كان من بقي
 من نزلاء الاوربا وبين عصر لا يزال يتخوف كثيرا عينت دول أوربا بعض بواخرها لنقل من يريد

المهاجرة منهم مجاناً وأمرت إنجلترا فنصلها العام بمصر وهو السير ادوارد مالت بأن يكون بالاسكندرية ليقبى ملازماً للخديو

وقد كانت الوزارة المصرية لم تشكل بعد من يوم ان قدم محمود سائى استعفاءه وامتناعه من عرضت عليهم من قبول رئاستها كما سبق ولهذا بعد ان سافر الخديو الى الاسكندرية استمدى اليه المرحوم اسمعيل راعب باشا في يوم ٢١ يونيو وكلفه بتأليف وزارة فقبيل وصار أيضاً ناظر الخارجية وكان أحمد رشيد باشا الداخلية وأحمد عرابي باشا الجهادية والبحرية وعلى باشا ابراهيم للحقانية وسلمين أبانطه باشا المعارف ومحمود باشا الفلكي للاشغال وحسن باشا الشريعي للاوقاف وعقب ذلك سافر فنصل إنجلترا العام وقصلاها باسكندرية الى أوروبا وبقي المستر كارترايت (W. Cartwright) نائباً عن إنجلترا بمصر وحصلت مداوات ومبادلات آراء بين الدول والباب العالي بخصوص المسئلة المصرية وألحت انكلترة بعقد المؤتمر في الاستانة وأصرت الدولة العلية على رفض عقده ووافقتها المانيا واستوريا وابتاليا والروسيا ثم انحازت ايتاليا الى انكلترة وقال الموسيو هونس رزرتي كتابه أمتريكا فكان يصعب على أى انسان فهم سياستها بل وما الذى عزمت عليه اذ انهم أهدت الى الخديو يهودية ثمينة مرصعة بالماس وكذا أنعمت على عرابي باشا بالنيشان المجيدى الاول ولما استنفهم اللورد دو فرين سفير انكلترة بالقسطنطينية من وزير خارجيتها عن الدواعى التى أوجبت منح عرابي هذا الامتياز أجابه برد معجز بهم ٥٥ وما يؤيد هذا القول وأن سياسة الدولة كانت مضطربة انما غيرت في تلك الاثناء ثلاثة من الصدور رأما الصدور فهم سعيد باشا حيث أقيل وتعين بدله عبد الرحمن نور الدين باشا الذى لم يبق أزيد من ٧٦ يوماً ثم أعادت سعيد باشا ثانية ولم يمكث أكثر من ١٣٨ يوماً حيث تولى بعده أحمد رفيق باشا الذى لم يمكث إلا ثلاثة أيام وأعادت سعيد باشا ثالثة هذا وكانت دول أوروبا مهمة اهتماماً شديداً بمسئلة مصر حتى ذات المصالح القليلة بهم امنن ولذلك حثرت المسيو دوجيرس (Giers) وزير خارجية روسيا السفر الى دولته لدى دول أوروبا بالأمحة مهمة بشأن المسئلة المصرية في ١٨ يونيو من سنة ١٨٨٢ ولما كان المطلاع عليهم يمكنه الوقوف على ظواهر السياسة الدولية في ذلك الوقت استنسبنا ادراجها في أسفل الصحيفة منقولة عن الكتاب الازرق الانجليزي لتمام الفائدة (١) وأخيراً

(١) (أولاً) الاتفاق الاوروبى هو النقطة الاولى التى يجب الاعتماد عليها اذ لا يعمل الا بما يقضى به (ثانياً) يجب الاهتمام الممكن ببقاء الاحوال على أصواتها (ثالثاً) من الواجب أن تكون السياسة الاوروبية هى المنجزه هذا الامر دون سواها وعليه فيقتضى أن يسجل المؤرخ الواقع كانبات من قبل أوروبا وللحقوق العمومية في مصر (رابعاً) اذا لم تتمكن السياسة الاوروبية من ذلك وجب أن مجال الامراتى حكم الاتفاق الاوروبى فهو يرمى ما يقضى ويقضى بما يرى (خامساً) اذا أصر الباب العالي على عدم انضمامه الى المؤتمر وجب أن تتخذ الدول الواسطة الاضمن لاجابته الى ما يجيز من به (سادساً) اذا امتت الحاجة للتدخل الفعلى كان تدخل الحضرة السلطانية أحق وأسلم ولكن على وجه النيابة من أوروبا وبعد اتخاذ الضمانات الضرورية حتى لا تتعدى حدودها معلومة (سابعاً) اذا أبت الحضرة السلطانية وتصدت للتدخل انكلترة وفرانساً مشتركين أو منفردتين وجب أن يتم ذلك باتفاق الدول وبالوكالة منهم وبموجب شروط محدودة ولا بأس من تدخل فرنسا في سورياء والاستفادة منه ولعل الدول تصعب الغازين بلجان خصوصية (ثامناً) خاتمة التدخل يجب أن تكون إعادة الاحوال الى أصولها على ان هذا النظام لا يتخلل من الشوائب التى عرفت بالاختبار ولعلهن يعمدن الى اصلاحها بما يلاحظ منزلة الحكومة المصرية مقابل أوروبا وما اضطرت اليه من الاعمال ولا بأس من اتخاذ الفرصة المناسبة لادخال بعض التغييرات التى يسلمها الفريقان ولو كان

انعقد المؤتمر بالاستانة في يوم ٢٤ يونيه وكان يتألف من مندوبي الدول الست الاورباوية وبقية الدولة العليسة على امتناعها فلم تستترك فيه وفي الجلسة الاولى منسوخ المشدودون المذكورون على بروقوقول (١) كالعادة في المؤتمرات السياسية بأنهم لا غاية شخصية مطلقا لدولة من دولهم في عقد هذا المؤتمر وانهم لا يبتغون زيادة نفوذ بمصر أو حيازة ارض أو مال أو غير ذلك مما يزيد في نفوذ احداهن ولكن من نظر الى أعمالهم وجددها تحالف أقوالهم ولهذا انطلب لهم ولدولهم من الله حسن العقاب على ما فعلوا ويفعلون باسم الانسانية وكانت انكثرة ترى انه يستحيل إعادة الامن في مصر بدون قوة فعالة فلهذا أصدرت الاوامر الى الاميرال سيمور الواقف بأساطيله امام الاسكندرية بالاستعداد للاعمال الحربية الهجومية كما أصدرت أوامر بتجهيز الجيوش اللازمة للحرب عرابي باشا وكانت تحض دول أوروبا على مساعدتهم في ذلك حتى يكون عملهم بمرامهم أما الدول فكانت على حذر من دخول انكثرة الديار المصرية للسلاويدي تداخلها الى عمل يكرهه ثم أقر مندوبو الدول في جلسة المؤتمر على ارسال لائحة مشتركة الى الباب العالي (٢)

من الواجب احترام ما اتفق عليه من العهود أما شوائب المراقبة المشتركة بين فرنسا وانكثرة فقد رهنها الاعمال وبقاؤها خطأ ولعله يحسن أن تبدل المراقبة من ثنائية الى دولية فبذلك تزداد أهميتها الادبية وتوفيتها من سوء تصرف المعتمدين فان لجنة التصفية والمحاكم المختلطة هي دولية وقد أنت بنتائج حسنة ولعلهن يستنسن حصر المراقبة ضمن حدود تتكفل بوقاية المصالح الاجنبية دون تداخل في نظامات البلاد فتعتمد المناظرة بكل ما تقدم في المؤتمر هذا واقبل الخ ١٨٨٢ يونيه سنة ١٨٨٢

التوقيع
جبرين

(١) صورة البر وقوقول الذي وقع عليه معتمدو الدول في الجلسة الاولى للمؤتمر الاستانة الذي عقد في ١٤ يونيو سنة ١٨٨٢

ان الحكومات التي وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البر وقوقول تتعهد أنها لا تقصد البتة اغتنام ارض ما ولا الحصول على امتياز ما ولا أن يكون لرعاياها من الامتيازات المتجربة ما لا يستطيع أن يناله غيرهم من رعايا أي الدول في مصر وذلك في أية مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها في الخبرات لتنظيم أمور تلك البلاد

التواقيع

لروسيا	لفرنسا	لاستوربا	لالمانيا	لانكثرة	لايطاليا
أونو	ماركزدي فوائل	بارون كالس	كونت هتسفلد	دوفرين	الكونت كورتى

(٢) حصل التوافق بيننا في هذا اليوم على اللائحة التي يجب عرضها على الباب العالي المدينة كيقية تداخل الجنود العثمانية التي سترسل الى مصر وتعديد الشروط التي يجب العمل على مقتضاها وهذا نصها

بعد ان اعترفت الدول الاوربية بوجوب المساعدة الى معالجة علل مصر الحاضرة بالدواء العاجل الناجع قررت في المؤتمر الذي عقد وكلاؤها أن يلجأ الى سيادة الجنب السلطاني ويسأل أن يتداخل في مصر وأن يساعد الجنود برسالة اليه قوة كافية من الجنود لاعادة الامن والنظام الى البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التي تمكنت فيها ونشأتها اهدار الدماء وخراب ألوف من بيوت الاجانب والمسلمين وتضرر كثير من مصالح الاجانب والوطنين * وسيكون من شأن الجنود العثمانية بمصر أن تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للجنود سلطنته ويكون من شأنها أيضا أن تشرع في اصلاح حال العسكرية بمصر وفقا لاصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا ويتم ذلك على شرطه ان لا يكون هذا التدخل موجبا للترقيات النافعة التي نفذت في نظام مصر المدني والاداري والقضائي على غير مخالفة لما تقتضيه الفرمانات السلطانية * والدول الاوربية واقفة على الوثوق في اتجاهها الى الجنب الشاهاني ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله في مدونه وجود الجنود العثمانية فيها معتقدة ان حقوق مصر والامتيازات المنوحة لها تقتضى الفرمانات السابقة لانس البتة ولا يس ايضاً من الاصول المقررة لادارة الاحكام فيها ولا من العهود والمواثيق

يطلبون فيها منه ارسال جنود عثمانية الى مصر لاجناد القننة فأبى اعتمادا على تقارير درويش باشا الذي قال فيها انه ليس في مصر ما يوجب ذلك وهي فرصة ثمينة قد أضاعتها ولا نعلم ما الذي افتمكره رجال الدولة في ذلك الوقت حتى امتنعوا عن التداخل العسكري ولا نظن انهم أصابوا فانخذت انكثرت هـذا الرفض ذريعة لتداخلها بالقوة لاعادة الامن وتأييد سلطة الخديو كدعواها ولما كانت لا تعدم حيلة للتداخل أخذ الاميرال سيمور يتنحل الاسباب مهما كانت طفيفة لمباشرة العدوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع والاستحكامات ويجمعون أسلحة واجهة المكس لسد البوغاز وهذا أمر مهيئ اشرف دولته مههد للاسطوله وكان الامر صدر اليه بأنه اذا لم يمنع المصريون عن اجراء ذلك أطلق القنابل على حصونهم (١) وكانت السفن الانجليزية ممددة وقوفها أمام الاسكندرية تقيس اعماق المياه وتستطلع الاستحكامات ليلا بالضوء الكهر باني ونهارا بالنظارات وان كانت الاعماق والاستحكامات وما يها من المدافع كل ذلك معلوم لديهم مرصد في تقارير عالهم عصر ثم ان المستر كارت رايت تقابل مع راغب باشا وأعلمه بالاوامر التي صدرت الى الاميرال سيمور فأجابته راغب باشا بأنه ليس هناك ما يوجب العدوان وقاله اذا وجد الاميرالات من يحاول سد باب الميناء لهم أن يقبضوا عليه لمجازاته وكانت الحضرة السلطانية أرسلت وقتئذ الى لورد دوفرين سفير انكثرته منير بليرئيس تراجمه المابين يخبره بأنها أمرت الحكومة المصرية بعدم الاستمرار في تحصين الاسكندرية ولذلك فانها تطلب منه ايقاف الاستعدادات الحربية في الاسطول البريطاني فأجابته السفير بعدم امكان اجابة السلطان على هذا الطلب قبل ان يبلغ الامر للحكومة وبعثت الحضرة السلطانية تلغرافا للخديو تاتي فيه المسؤولية الناشئة عن عدم منع التحصينات عليه وعلى نظاره أما فرنسا فانها أظهرت يومئذ عدم مقدرتها على اتباع انكثرته فيما تفعله لانها لا تريد أن تتحمل مسئوليات عظيمة حتى ان الموسيوفر يسينه قال لسفير انكثرته في باريس كلورد بالكتاب الازرق الرسمي انه أمر الاميرال الفرنسي عيار حرة مياه الاسكندرية حينما يستعمل رفيقه الانكليزي القوة الفعلية لان هذا العمل يكون بمثابة اشهار الحرب على الحكومة المصرية وبعقضى القوانين لا يمكن لاي ملكة الشروع في أي عمل عدواني الا بعد مصادقة مجلس نواب امته

الدولية ولا من أعمال التسوية التي نتجت عنها وتقررت في شأنها * أما ممدد استقرار الجيش العثماني في مصر فتكون ثلاثة أشهر ماعدا اذا طلب الخديو تمديدها الى أجل تتفق على تعديده الدولة العلية مع الدول الاوربية وحكومة مصر وتعين قادة هذا الجيش بالاتحاد في الرأي مع الجناب الخديوي أمام صاريه هذا التجريد تفصيلى نفقة مصر وستعين مقاديرها بتاتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الاوربية وحكومة مصر * واذا أجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كلها أو مولاها فكيفية تنفيذ الاحكام السابقة المذكورتم بتوافق يحصل بعد الاتيان بين الدولة العثمانية والدول الست الاوربية اه في ٦ يوليو سنة ١٨٨٢

(١) امنعوا كل عمل من شأنه سد القنال الموصل للينا واعلموا أنه اذا شرع في أي تمكين أو تحصين جديد او وضع مدافع على استحکامات فيجب عليكم أن تعلموا القائد العسكري أنه يبدكم أو امرتكم بامتنع ذلك بل وتأمركم به سنده كله وأن تحير والمدفيعات أن تركز الى السكون في حالة عدم الامتثال غيراً لكم قبل استعمال القوة تعلقون الضمان الكافي الى النوتية والالهائي ومراسك الدول الاخرى الحربية بعدم التعرض لهم كما أنه يلزم قبل الشروع في أي عمل عدواني أن تدعو الاميرال الفرنسي ساوي بالاشترار معكم فيسه أما اذا رفض فلا تؤخر واجرا آتكم هذبل تنفذوها

وبذلك قضت فرنسا على مصالحها في مصر وخالفت سياسة اتباعها مدة قرن كامل وارتكبت أكبر خطأ سياسي في تاريخها واتهم الكثيرون من الفرنسيين الموسيوفرينيين بالخيانة كعادتهم ولكن للحوادث العربية وسياسة الدول الأوروبية فيها السرار لم تنكشف غيو مهاللا آن وكان رجال فرنسا في خلال ذلك يترددون في سياستهم فتارة يعلنون بعدم قبولهم تدخّل الدولة العثمانية عسكرياً في مصر ويقولون أنه إذا تدخلت منعو نزول عسكريها إلى مصر بالقوة وتارة يظهر أنهم سيشترون مع انكسارهم في كل الحركات السياسية والحربية إذا اقتضت الحاجة ذلك ثم أظهروا في آخر الأمر عدم إمكان التدخل قال الموسيوفر هنري بانسا (Henri Pansa) في كتابه المسمى مصر والسودان المصري ما منحه بتصرف ان السياسة الفرنسية في خلال ذلك كانت مهملة في الامور الخارجية الا ما كان منه ضرر على ذات فرنسا حتى ان أغلب الحوادث التي قامت بها الحكومة في جزائر الاوقيانوس وتونس وغيرها كانت بالحاح كبير على مجلس النواب لنوال تصديقه وقد تغيرت في خلال الحوادث العربية أربعة وزارات في فرنسا الاولى وزارة جول فسبى (Jules Ferry) (١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٠ - ١٤ نوفمبر ١٨٨١) والثانية وزارة غامبيتا (Gambetta) (١٤ نوفمبر ٨١ - ٢٧ يناير سنة ١٨٨٢) والثالثة وزارة فرسينيه المذكورة (٢٧ يناير - ٧ أغسطس ١٨٨٢) وأبدلت في أثناءها ثلاثة قناصل جنرالية بمصر الاول البارون دورنج لانه كان يحرض عرابي باستحسانه أعماله والثاني الموسيوفر مونج (Monge) لكونه خالف في سياسته الرسمية مسلكه مع العرابيين والثالث الموسيوفر سيانكفتس (Sienkiewičy) وكان الموسيوفر فرسينيه طلب من مجلس النواب الفرنسي في ٢٩ يولييه من سنة ١٨٨٢ تخصيص مبلغ قدره ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنكاً لان المسئلة المصرية قد وصلت للدرجة الخطارة وصار يخشى على قنال السويس ويلزم تجهيز ثمانية آلاف جندي فرفض المجلس هذا الاقتراح بأربعة وعشرين صوتاً ضد ٧٥ لان أعضاء المجلس رأوا ان سياسة الموسيوفر فرسينيه غير ثابتة بما أنه قال في يوم الاقتراح ان فرنسا لا تود ان تتدخل في المسئلة المصرية بالقوة وانما طلب هذا المبلغ لاستعماله عند الضرورة في المحافظة على قنال السويس مع أن مؤتمر الاستانة كان قرر المحافظة على القنال باتفاق الاول أجمع فاضطر الموسيوفر فرسينيه الى تأجيل طلبه هذا الى مرة أخرى ولم يلج على المجلس في الطلب مع أنه قبل ثمانية أيام أي في يوم ١٩ يوليولما قرر المجلس مبلغ ٧,٨٣٥,٠٠٠ فرنكاً بناء على طلب الاميرال جويريجسبرى (Jaureguiberry) باسم الحكومة صرح فرسينيه امام المجلس بلزوم التدخل في المسئلة المصرية بالقوة فلهذا أقر المجلس على صرف المبلغ بأربعة وعشرين صوتاً ضد ٦٤ أما رفضه الاخير لطلب الموسيوفر فرسينيه فكان لما شاهد فيه من التردد في المسئلة المصرية وتغييره سياسة التدخل فيها بالقوة فحصلت ازمة وزارية سقط فيها فرسينيه يوم ٧ أغسطس المذكور وشكلت وزارة الموسيوفر دوكلرك (du Clerc) الذي لم يظهر في المسئلة المصرية سياسة الحزم لان بريطانيا العظمى كانت تدخلت بالقوة في المسئلة المصرية ومن يومئذ انخرمت فرنسا سياسياً في مصر اه ولما اشتد الخلاف بين الاميرال سيمور والحكومة المصرية تدخلت قناصل الدول في الاسكندرية بينه وبين الجهادية لتعديل الكتاب الذي كتبه طلبه باشا الاميرال وتلخيصه وقرروا

بان يرسلوا الى الاميرال لائحة بذلك فارسلوها له في يوم ٧ يوليو والمذكور (١) واستلمتها وانظره الى الضرر الذي يلحق أهالي المدينة من أجنب ووطنين اذا استعمل القوتة فاجابهم في اليوم نفسه بالجواب المذكور بأسفل الصحيفة (٢) الذي ختمه بقوله انه اذا استمر الجهادية على التحصين فانه سيقوم بتنفيذ ما كتبه الى المحافظ حرفا بحرف ولما ورد اليهم جواب الاميرال اجتمع القناصل ثابته وأخذوا يباحون اقناع أولى الشأن من رجال الجهادية فلم ينجحوا وأخيرا بعث الاميرال سيمور في ١٠ يوليو من سنة ١٨٨٢ خطابا الى طلبه باشا قومندان عسكري الاسكندرية يقول له فيه انه جاري تركيب مدافع في طوابي صالح والمكس وقايتباى وانه يطلب ازالها كما يطلب ازال كل الاسلحة الموجودة في طوابي الاسكندرية من العجى الى برج قايتباى وانه اذا لم يفعل ذلك ضرب الطوابي بمدفعه فاجابته الحكومة المصرية في مساء اليوم المذكور بقولها انها لم تعمل شيئا ما يستوجب اعتداء الاسطول الإنكليزي على نجر الاسكندرية وانها محافظة على شرفها ومقامها لا تقبل مطلقا تنزيل المدافع الموجودة في الطوابي وانها تلتقي مسؤولية النتائج الوخيمة التي ستنتج من ضرب الاسكندرية على المعتدي بغير سبب وبدون اعلان حرب وغير ذلك وكان المستر كارتر ايت وكيل قنصل إنجلترا

(١) لائحة قناصل الدول الأوروبية الى الاميرال سيمور * ان لرعايانا لمصالح مهمة في الاسكندرية ولهم فيها أملاك واسعة وعقارات كثيرة والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرين وهو ملاحظ ان تقدم اليكم ونسألكم هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق بتحصين القلاع أم لا فان كان الثاني فانا نستطيع ان نطلب تعديل الجواب المذكور بحيث يرضيكم ويقنعكم واذ كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون ان تقتنعوا بامر ما فترجوكم ان تبنوا من المهلة التي تتركونها لرعايانا قبل الشروع في القتال ليمتكنوا من الرحيل وانا نناظركم ان اطلاق المدافع سينشأ عنه كيف كانت الحال ضرر عظيم يلحق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ولا بد من ان تهدم به أبنية عديدة لاوربيين وبذالوا انكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظتنا هذه قبل ان تنفذوا أوامرها ما

٧ يوليو ١٨٨٢ التوقيع

دي فوج	بارون كومبج	دي لكس	دي مارتينو	بارون ساورما	دي فورج
للمنسا	لروسيا	لايطاليا	لامانيا	لفرنسا	

(٢) لائحة الاميرال سيمور الى قناصل الدول الأوروبية الجزرية بالاسكندرية

تلقيت في هذا اليوم الكتاب الذي اتفقتم على ارساله الى وتفضلتم فيه بالاستفهام مني عما اذا كنت قد ارتضيت بجواب طلبه باشا على كتابي الذي ارسلته اليه بالامس ثم تكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا في الامر بحيث أحصل بساطتكم على جواب يرضيني فأشكر لكم كثيرا هذه العناية وأجيب على خطابكم بقولي اني أنفذ ارادتكم اذا كان لكم لدى الموما اليه من التفوذ والسلطة ما تستطيعون به ان تجعلوا صادقا في اجراءه وان يبطل عاجلا أشغال التحصين وتقرر بالاستحكامات التي شرع فيها ولا أرى جواب الموما اليه بالكتابة كفايا في جملي على الاقتناع بما يقول وعلى الوفوق بما كذكي في جوابه من انه يجيب طلبي ومهما تكن عبارته هذه الكتابة فانها لا تكفي بالنظر الى المصالح المهمة التي عهد بها الى وأخبركم اني ما أعلنت قط عن عزي على ربي الاسكندرية بنار المدافع واذا اقتضت الحاجة لذلك فاني أوجه قوتي على القلاع والاستحكامات فقط وبذلك لأرى من موجب لخوفكم من تهدم منازل الاوربيين وغيرهم وسارفع الى حكومتى أمر الملاحظة التي أبدتتموها في البشارة الاخيرة من خطابكم ونهتتموني اليها واذا استمر الجهادية على أشغال تحصين القلاع والاستحكامات فاني أنفذ في الحال ما كتبت اليكم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة وكيف كانت الحال فاني قبل الشروع في العمل أعلن عنه ولا بأس اطلاق المدافع الابدأ برابع وعشرين ساعة من تاريخ الاملان ما كتب في السفينة انفسيل بيننا الاسكندرية في ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ التوقيع بوشان سيمور

قابل الجناب الخديوي وأعلنه رسمياً بعزم الاميرال سيمور على مباشرة الحرب صباح يوم الثلاثاء الموافق ١١ يوليو وأخ عليه أن يترك سراى رأس التين ويبدأ إلى سراى الرمل فعمل وكتب رسمياً إلى درويش باشا المنسوب العثماني بالمحافظة على حياة الخديوي وألقى عليه التبعية اذا أصابه مكره وأعلن المذكور أيضاً الاميرال سيمور ودرويش باشا وراغب باشا رسمياً بمبارحة رجال الوكالة الانكليزية القطر إشارة إلى قطع العلاقات وأعلن الارل غرانفيل ناظر خارجية انكلترة سائر الدول بذلك أيضاً ثم سافر الاسطول الفرنسي إلى بورسعيد تاركا بالاسكندرية سفينتين من سفنه وفي ذلك اليوم عقد الخديوي مجلساً حضره درويش باشا وقدرى بك من الوفد العثماني والنظار وجمع كبير من الاعيان والذوات وتذاكروا في أمر البلاغ النهائي المذكور وقرر وا ارسال عبدالرحمن بك رشدي ناظر المالية وأحمد رشيد باشا ناظر الداخلية ومحمد كامل باشا وكيل البحرية وتغرر ان بك من المعية السنية إلى الاميرال سيمور ليبلغه رسمياً ان الطوابي لايجرى فيها أعمال حربية ولم يوضع بها أسلحة مستحقة وان الموجود بها قديم من عهد محمد علي باشا حتى ان أخشابها كلها السوس وان يمكنه مشاهدتها ان أراد ذلك ومع هذا فانها مرضاعنا طاره ينزلون المدافع الثلاثة الكبيرة التي بالطوابي فأبى الا انزال كافة المدافع وان يسهل للعساكر المصرية انها هي التي ترفع المدافع عوضاً عن العساكر الانكليزية ولما عاد المذكورون وأخبروا بما حصل أقر المجلس ان انزال المدافع الموضوعه منذ ٥٠ سنة بلا موجب حربي عار كبير لا يمكن تحمله وانتهى ضربت المراكب على الطوابي تجاوبها الطوابي بالمثل انما تكون الجوابه بعد أن يطلق العدو خمس أو ست مقذوفات من سفنه وانصرف المجلس على ذلك وعرض الخديوي ودرويش باشا ما تقرر على الباب العالي

الحرب والاحتلال - اعلم انه في الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان من سنة ١٢٩٩ (١١ يوليو ١٨٨٢ م) أطلقت العمارة المدرعة الانكليزية الراسية امام الاسكندرية وعددها ١٤ سفينة بين مدرعة ومدفعية (١) المعقود لواءها الاميرال سيمور مدافعها على طوابي ساحل الاسكندرية وهي طابية رأس التين والقنار والاطه وقايتباى وبرج السلسلة وصالح أغا وباب العرب وأم قبيسة والقارية والمكس والناموسية ومرسى القناة والمرابط والعجمي وبعدها قذفت مدافع الانجليز ١٥ مقذوفات سرعت الحصون المذكورة في اطلاق مدافعها واشتدت نيران الحرب بين الطرفين مدة عشر ساعات ونصف ولما كانت هذه الطوابي قديمة وغير متينة تم جمعها وسقطت مدافعها واحترقت مخازن بارود بعضها ولم تصب المدرعات البريطانية بضرر يذكر قال القومندان كاسپار غودرويش الامر بكاني في تقريره الرسمي المطبوع عن الحرب المذكورة وكان مشاهد الهان تلقيات جنود البوارج الحربية

(١) أسماء السفن الانكليزية سلطان (Sultan) - سوبرب (Superb) - الكسندره (Alexandra) - انفديبل (Invincible) - مونارك (Monarch) - بنيلوب (Penelope) - انفلكسيبل (Inflexible) - تمير (Temeraire) والمدفعية يكون (Beacon) كوندور (Condor) - بترن (Bittern) - مجنوت (Cygnet) - ديكوى (Decoy) - هيلكون (Helicon).

الانكليزية في يوم ضرب الاسكندرية كانت قليلة جدا فلم يمت فيها سوى ستة عساكر وجرح ٢٧ فقط ولم يحصل بالسفن الا ما لا يذكر من الاضرار أما الطوابي التي هي من الطراز القديم فقد اندكت عن آخرها وتخربت أسلحتهم وقتل فيها من الجنود ما لا يتقص عن ٥٥٠ شخصا وجرح قدر هذا العدد تقريبا ورحى ضباط القلاع بالجهل لتركهم علامات موانع الصواعق مرفوعة فكانت سببا لاحتراق مخازن البار وبلجودة تصويب وضبط القاء المقذوفات التي كانت تلقىها المدرعات وقت الضرب اه وبعد سكوت المدافع توجه عرابي مع النظار وعرضوا على الخديو ما حصل وقال عرابي اذا كان الغرض هدم الطوابي فقد تم هدمها واذا كان الغرض غير ذلك فما العمل فعقد الخديو مجلسا حضره درويش باشا وبعد المداولة تقرر انه اذا أعادت السفن اطلاق المدافع ترفع الطوابي الاعلام البيضاء علامة طلب الكف عن القتال والمسائلة ثم توجه طلبه باشا على زورق ويقابل الاميرال سيمور ويخبره بأن الحكومة المصرية ليس بينها وبين انكلترة ما يوجب تنكيد الصلات فضلا عن الحرب بل انها دائما محتاطة على حقوقها وحقوق رعاياها واذا كان الغرض انزال المدافع منها فاقدت هدمت الطوابي جميعها وتنكسرت المدافع وليس عندنا قوة تدفع المراكب بل ولا تريد حراقتوجه المذكور صباح يوم ١٢ يوليو وقابل باورا الاميرال وأخبره بما استقر عليه رأى الخديو والمجلس فقال له الياوران الاميرال يطلب احتلال ثلاثة مواقع متجاورة وهي طابية العجى والمكس وباب العرب ليجعلها مركز للجيش الانكليزي وانه يطلب بذلك أمر من الخديو في الساعة الثالثة بعد الظهر وان تأخر الامر المذكور عن الوقت المعين فانه يستأنف الضرب ثانية ويأخذ تلك المواقع قهرا فرفع طلبه باشا وبلغ الخديو ما حصل فعقد المجلس وتقرر فيه اخبار الباب العالي بذلك لان القرارات السلطانية لا تجيز تخليد يوم مصر مطلقا أن يتنازل عن اية قطعة من اراضي مصر وعاد طلبه باشا ابلاغ الاميرال قرار المجلس ولكن لما كانت المدة التي قررها الاميرال غير كافية لاخباره بالقرار المذكور لم يذهب طلبه باشا لمقابلة الاميرال هذا وما رأى الجيش عدم استطاعة رجال الحصون على المقاومة وعلموا ان التسليم عطلوب الاميرال يعقبه احتلال الجيش البريطاني للمدينة صمما على اخلائها ووزعوا الفرسان في انحاءها محتاطة على الامن وأمر النام بالخروج على الفور فخرجوا أفواجا واضطراب ملء قلوبهم والاندھاش مستول عليهم حتى كان الرجل منهم لا يلتفت الى اولاده والمرأة لا تسأل عن طفلها والاطفال تصيح والنساء تبكي والمنظر يفتت الا بكادوا أمر سليمان داود أمير الاي العساكر والرعاع بحرق المدينة فأخذوا يحرقون وينهبون وكان ذلك على غير رضاعرابي وبلا أمر من النظار قال عرابي في تقريره ما ملخصه انه لما أشيع ان المراكب ستجري الضرب على المدينة لتهدمها خرج من كان باقيا فيم اخروجت العساكر بأولادها وزوجاتهم ابغبر انتظام فأمرت عبيد بك أحد امراء الالات بجمع عساكر الاية وبان يمنع العساكر من الخروج ووقفت بنفسي في باب شرقي أمنع العساكر وقيل لي ان سليمان سألني مع جانب من العساكر في حالة جنون وانه يريد حرق البلد فأرسلت له حالا بالخصور فحضر ومعه بلو كان من غير المنتظمين فسألته عما نسب اليه من انه يريد حرق البلد فأنكر اه ولكن المدينة كانت في مساء الاربعا شعلت نار وكان الخديو مقيما في سراي الرمل ومعه نحو الخمسين من الذوات والاتباع والحاشية واجتمع حول السراي نحو ٥٠٠ نفر من عرب البحيرة قبل ان ابراهيم بك توفيق مدير البحيرة وقتئذ بأرسالهم لمساعدة الخديو واشجاده فاضطرب

الجهادية من تجمعهم فصر فهم الخديو كما صرف العساكر والخيالة الذين بعثهم سليمان بك سامي وهم الذين أشيع عنهم وعن احاطتهم بالسراى انهم يريدون القتلك بالخديو وقد تختلف من هؤلاء الجنود ٢٥٠ جنديا من الخيالة معهم أحد البكباشية وانضموا الى معية الخديو ليكفوا في خدمته وطوع امره ثم ذهب عرابى الى جهة المحمودية وأخذ يجتمع عساكره ثم توجه الى عزبة خورشيد الواقعة على مسافة ٥٠٠٠ متر من محطة السكة الحديدية وهناك أخذ في تشييد الطوابى والتاريس وجعل معسكره العام في كفر الدوار ثم أرسل عرابى يرجو الخديو بالانتقال الى القاهرة وأرسل له قطاره المخصوص فلم يقبله وفضل البقاء بالاسكندرية خوفا على نفسه وفي يوم ٢٦ شعبان (١٣ يوليو) حضر زهرا بك من الاسكندرية وأخبر الخديو بخروج جنود عرابى من المدينة وان الاميرال سيمور عزم على ازال جنود بحرية رأس التين وانه يدعو الى سفينته ليكون في مأمن ففضل الخديو الاقامة بسراى رأس التين هو وعائلته وحاشيته ومعهد درويش باشا ووزل الاميرال سيمور وبعض جنوده للسلام عليه ثم قصده بعد ذلك بعض وكلاء الدول وهنؤه بالسلامة وأرسل الاميرال بعض الجنود لظفارة السراى والمدينة لاطمئنان المتخاف فيها من الاهالى وانضج من يومئذ ان الحرب الذى أقر عليه المجلس العمومى المنعقد في يوم ١٠ يوليو تحت رئاسة الخديو كان على غير رأيه وان وافق ظاهر الا انه بعد ستة أيام من خروج عرابى من الاسكندرية بعث الخديو اليه تلغرافا يلقى عليه مسؤولية الحرب ويخبره بمحصول الصلح وبأمره بالحضور الى الاسكندرية للمكاملة وكتب راغب باشا رئيس النظار لكافة مأمورى الحكومة يخبرهم بمحصول الصلح وبأمرهم بابطال التجهيزات الحربية وذلك بعد ان كتب راغب باشا للاميرال سيمور يخبره بأن الخديو عزم على عزل عرابى من وظيفته (١٧ يوليو) وأرسل الخديو أيضا كتابا الى عرابى بمعنى ما تقدم وقد أدرجناه بذييل الصحيفة افادة للقراء (١) أما عرابى فانه امتنع عن الحضور للاسباب التى ذكرها في جوابه المدرج بأسفل الصحيفة (٢) ولما وصل الى عرابى كتاب الخديو بعث بتلغراف

(١) كتاب الخديو الى عرابى بنشا - اعلوا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونفة الانكليزية على طواى اسكندرية وتقريرها انما كان السبب فيه استمرار الاعمال التى كانت جارية بالطواى وتركيب المدافع التى كلما كان بصيرا الاستفهام عنها كان بصيرا خفاؤها وانكارها والآن قد حصلت المكاملة مع الاميرال فأذيانه ليس للدولة الانكليزية مع الحكومة الخديو به أدنى خصومة ولا عداوت وان ما حصل انما هو في مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدونفة وانه اذا كان بيد الحكومة الخديو به جيش منظم ويمثل ومؤمن فهو مستعد لتسليم مدينة اسكندرية اليها ولذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانكليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة فقد تحقق من هذا ان الدولة الانكليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديو به وانه تقرير من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر بأنه لا يصير من امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلمية بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت وأن بصير ارسال عساكر شاهانية لاجل استتباب الراحة بمصر فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التى تجر ونها بوصول أمرنا هذا وتحضر واحالا الى سراى رأس التين لاجل اعطاء التنبيهات المتفضية الشفاهية على حسب أمرنا هذا وما استقر عليه رأى مجلس النظار ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢

(٢) جواب عرابى بنشا الى الخديو - مولاي - فى شريف علم مولاي المعظم ان المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانكليز انما تسببت عن طلبات من الاميرال الانكليزى وبلغت مسامع عظمتكم وعرضت على مجلس نظاركم المنعقد تحت رئاسة سموكم بحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودولتلودرويش باشا نائب الحضرة السلطانية

الى يعقوب سامي باشا وكيل الجهادية بأمره بأن يعرض على المجلس مسألة بقاء الخديوي في الاسكندرية ومسئلة الامر التفرغ في المذكور وكذا مسألة المناوشات الحربية الخاصة من الجيش الانكليزي ضد الجيش المصري بجهات حجر النواتية لانه يستدل منها على عدم حصول الصلح فعقد يعقوب باشا مجلسا عموما في ديوان الداخية جمع فيه وكلاء النظارات ورؤساء المصالح والعلماء والاعيان والرؤساء الرومانيين وغيرهم وعرض عليهم ما أمر به عرابي فأخذوا يتداولون في الامر وقام في المجلس عدة ضباط وطعنوا على الخديوي بأنه باع البلاد والتجأ الى الاعداء وغير ذلك من أقوال السخف والطيش ثم استقر رأيهم على ارسال وفد الى الاسكندرية يتطرق في حقيقة الامر ويطلب من الخديوي والنظار العودة الى مصر عاصمة البلاد فان كانوا مطلق السبيل أجابوهم الى ذلك وان كانوا مكرهين على البقاء تحت حفظ العساكر المحاربة للبلاد فيعود الوفا الى مصر ويخبر المجلس بالخاص فتألف الوفد من علي مبارك باشا ورؤف باشا والشيخ علي قابل والسيد أحمد بك السيوفي وسعيد بك السماخ وتوجهوا الى الاسكندرية ثم عادوا وبقي فيها على باشا مبارك وأحمد بك السيوفي وأخبروا ان الخديوي أصدر أمر بعزل عرابي بعد ان كتب راجب باشا الى الاميرال سيورفي ١٧ يوليو يخبره بأمر الخديوي كما تقدم لان عرابي لم يكف عن التأهب والتجهيز واعداد وسائل الدفاع ولذلك صار يعتبره وحده مسؤولا عما يحدث وأصدر الخديوي أمرا أيضا الى وكيل الجهادية بمصر

ولما تحقق عند جميعهم ان هذه الطلبات مضره بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد قرر رأيهم على معارضة طلب الاميرال ولوأدى ذلك الى الحرب وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة خمسة وعشرين ألف عسكري وصدرت الاوامر الى المديرات بطلبهم وقرر المجلس أيضا انه لا تطلق المدافع من جهتنا الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانكليزية ولما ابتدأت السفن اطلاق النيران على مدينة الاسكندرية لم تقابلها الا بعد عشرين بطلقة ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب أدنى استعداد لاستمرار الاوامر بعدم الاستعداد ثم بعد ذلك أعلن حضرة رئيس مجلس النظار ونظير خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة بان تجعل البلاد حرام على الانكليز وانها صارت تحت الاحكام العسكرية كله وحكم القانون زمن الحرب فبهذه الاسباب يمولاي تكون حكومتكم الخديوية المصرية بحاربه لله ولله الانكليز بوجه الحق والتسرع ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدياد بالدونمة كما هو معلوم لدى عظمتكم وانما كان الحرب هدموا ثامن الانكليز على الحكومة التي لم يسلم منها أدنى شيء يستوجب الحرب فان كان الاميرال في متابع مع سموكم أظهر انه عدل عن المحاربة الى المسالمة فذلك بعد وقوع الحرب بعد طلب الصلح وسعي في تجديد العلاقات ولا يجوز ان يكون انكار الحرب بلزوم تبرؤا من العدوان بعد وقوعهما ولا شك في أني وافق على أفكار سموكم في الميل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة وان كان الاميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد ان تخربت مدافع السفن الانكليزية هدموا حرقها هو جيشها المنظم الذي لم يقع منه أدنى أمر يخل نظامه مستعد لان يستلمها بعد راجح المراكب عن مياه الاسكندرية والمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغي الاستمرار على الاستعداد العسكري كما وافق ذلك رأي سموكم أولا حتى تفارق المراكب السواحل المصرية خوفا مما عسى أن يحدث من قبيل ما سبق فقد صارت المحادثة الماضية برهان جليا على ان الوعد بالمسالمة من الانكليز لا يمكن كمال الثقة به وانما هو لاجل شغلنا عن الاستعداد واقترح مطالب مضره بمصالح البلاد وانني كنت أعني أن أثقل بين يدي عظمتكم لا بداء هذا المحفوظات لكن من الاسف انه تحقق عندي من الاكتشافات الحقيقية ان مدينة الاسكندرية مشغولة الآن بعساكر الانكليز فمن المعلوم عند مولاي أنه لا يمكنني الحضور لتلك المدينة لهذا السبب فاذا احسن لدى مولاي فيلصدر أمره السامي بحضور حضرات النظارات وسعادة رئيس مجلس النظارات الى مركز الجيش للدلالة في هذا الامر لتكون على يدتة من الحقيقة حتى يمكننا بعد ذلك صرف العساكر وركز التجهيزات الحربية والحضور الى المدينة والامر له

يخبره

يخبره بذلك و بابطال التجهيزات فعمد المجلس العمومي ثانية واجتمع فيه نحو خمسمائة تنفس
بينهم بعض أمراء العائلة الخديوية ومعهم شيخ الجامع الأزهر وقاضي مصر ومفتيها والشيخ
السادات والسيد البكري وكثير من العلماء والاعيان والذوات و بطريرق الاقباط وحاخام اليهود
وبعد المداولة طويلا استقر رأيهم على وجوب استمرار الدفاع ولم يكن في إمكانهم أن يفعلوا غير ذلك
وقتئذ لئلا يحل بهم العقاب من الحزب العسكري وكتبوا تلغرافا للحضرة السلطانية بما حصل
وأخذ عرابي يتحصن في كفر الدوار وأرسلت فرق من الجنود الى جهات الصالحية والاسماعيلية
والسواحل وأوقف المجلس أيضا انفاذا لأوامر الخديوية في جميع جهات القطر الداخلية بدعوى
ان الخديوي في قبضة العدو وأنه خرج عن مقتضيات الشرع الشريف وتشكل في مصر مجلس عرفى
بديوان الجهادية أعضاؤه بطرس باشاغالى وكيل الحقانية وحسين باشا وكيل الداخلية ويعقوب
سامى باشا وكيل الجهادية وأجد نشأت باشا ناظر الدائرة السنية ولما تمت خطوط الدفاع بكفر الدوار
هاجم عرابي باشا ضواحي الاسكندرية واستعد الانجليز لقاومته وانتشب القتال بين الفريقين
وكان الحرب سجالا وأخذ بعض المهاجرين يعودون الى الاسكندرية وفي أواسط شهر أغسطس
استعفت وزارة رغب باشا فشكل الخديوي وزارة جديدة يرئسها شريف باشا وكان ناظرا للخارجية أيضا
وكان رياض باشا الداخلية وعزالطفي باشا الجهادية والبحرية وحيدر باشا المالية وعلى مبارك باشا
للإشغال العمومية وخيري باشا المعارف وحسين فخري باشا للحقانية ومحمد زكي باشا للاوقاف وأصدر
الخديوي عفوا عن الضباط المنفيين بتهمة المؤامرة ضد العرابيين فعادوا الى الاسكندرية وأعلن
الخديوي أيضا بعضيان عرابي غيران أوامره كانت لا تأثير لها الا في الاسكندرية فقط لان أوامر الحزب
الوطني ونواهيته هي التي كانت سائرة بين الاهالى وقال عرابي في تقريره أما رأى العام فجميع
الذوات والعلماء واعيان البلاد كانوا يتون بدون انقطاع في كفر الدوار وحتى في رأس الوادى وكل
يجود بما عندهم من الرأى وعباد كرتكون الامة المصرية على اختلاف مذاهبها امام حاربة بالحق
والقانون أو عاصية باغية بالقوة والقهر اه وفي خلالها أخذت الجيوش الانكليزية تفدالى
الاسكندرية لمحاربة عرابي حتى بلغوا يومئذ ١٤,٠٠٠ من المشاة وثلاث فرق من الفرسان
٤٠٠ من الطوبجية عليهم ٣٢ ضابطا ومعهم ٢٦ مدفعا و ٥٤ مهندسا وتسعة آلاف
من الجيوش الهندية وعدد عظيم من خدمة الجسور والتلغرافات والسكك الحديدية وكان
يقود هذا الجيش الجنرال ولسلى (Garnet Wolseley) أما جيش العرابيين في كفر الدوار
فكان نحو ٣٠٠٠٠ بين جنود منتظمة وعربان ومنتطوعين وقد صددهم هذا الجيش
الجيش الانكليزي في عدة وقعات لان المتاريس والاسلحة كانت السرى أقامها العرابيون على
خطوط الدفاع بين ملاحه أبو قير وملاحه مريوط من الرملة البيضاء الى كفر الدوار
جعلت هذا الخط منيعا وقد ازدادت الصعوبات على أهالى الاسكندرية والجيش الانكليزي بعد
مأسد عرابي ترعة المنجودية وقطع مياها عن الاسكندرية حتى اضطر فصل الانجليز أن يخبر زملاءه
من قنصل الدول بمنع عودة رعاياهم الى النغراقلة المأهبة وكانت أهالى القطر تساعد جيش عرابي بكل
احتياجه طوعا أو كرها فاجتمع للجهادية نحو ٨٠٠٠ من الخيل والبغال و ٤٠٠٠ من الجمال
والبقر والجاموس أما الاغنام فثمن كثير وقد تبرع كثير من الاهالى عن طيب نفس وقال عرابي

في تقريره حتى إن من جملة المتبرعين دائرة دواتلور رياض باشا وخيري باشا مع كونهما غائبين عن مصر
وجميع دوائر العائلة الخديوية وأقام عرابي لذلك نزلا في كفر الدواز وفي النسل الكبير وفي كفر
الزيات وكان على نزل كفر الزيات يوسف شهدي باشا وكنيت بعينته مع طائفة فرقاطة محمد علي ولما
وصل الجنرال ولسلي نغرا الاسكندرية نشر نشرة قال فيها انه لم يأت الى مصر الا لتأييد سلطة الخديوي
وانه يحترم دين الاهالي وعوائدهم ويطلب من الاعيان مساعده على قمع العصاة وغير ذلك وقد
أدرجناها بأسفل الصحيفة كعادتنا (١) ونشرت معية الجناح الخديوي أيضا منشورا قالت فيه ان
العساكر الانكليزية تائبسة عن الخديوي في إعادة الامن والراحة الى البلاد وهي تدعو الامسة الى
مسالمتهم وتقديم ما يحتاجون اليه وقد أدرجناها بأسفل الصحيفة أيضا (٢) وفي تلك الاثناء

(١) يعلن الجنرال ولسلي قائد الجيوش الانكليزية ان الدولة البريطانية لم تقصد ارسال الجيوش العسكرية الى
القطر المصري الا لتأييد سلطة الجناح الخديوي فخذ لذلك لا تقابل الامن كان شاكي السلاح خالعا لاطاعة الخديوي
أماما لاهالي الذين يكونون في هذه وسكنة فلا عسهم أدى بل يحترمونهم وتصلان مساجدهم وطائفتهم وما يلزم
للجيش من زاد وغيره يؤدي عنه ولذلك يدعو الاهالي الى تقديم ما يحتاج اليه الجيش ثم ان الجنرال قائد الجيوش يسر كثيرا
ويشرح صدره من زيارته مشايخ البلاد وغيرهم ممن يود المساعدة في قمع العصيان واققاء القبض على العصاة الذين
عضوا الجناح الخديوي أمير البلاد واليهما الشري عن المعين من لندن الحضرة السلطانية في الاسكندرية في ١٩ أغسطس
سنة ١٨٨٢ الامضا الجنرال غارنت ولسلي قائد الجيوش الانكليزية في الديار المصرية

(٢) اراد الخديوي سنة صادرة من المعية السنية لكافة أهالي وسكان القطر المصري ليس يخاف ما أقدم عليه أحمد
عرابي وشيعته الضالة من الافعال المغايرة والنشبات القوضوية التي أخلت بنظام القطر وأضعت الثقة به بل
أورثته الخسائر والاضرابات الجسيمة ولا سيما بانضمام الجيش المصري اليه واتحادهم معه في البغي والمجاهرة
بالعصيان لحكومتنا الخديوية حتى ارتبكت الاحوال وخيفت العاقبة فبادرت الممالك العظيمة بانعقاد المؤتمر الدولي في
الاستانة لتنتظر في المسئلة وتقرر بما به حلها وبعد البحث والمذاكر في ذلك قد استقر رأيهم على اتخاذ الطرق التي يلزم
عليها عودة سلطتنا الخديوية وتأييد هؤولاء الخارجين لتستتب الراحة وتزول أسباب الفاسد حرصا على عمارية القطر
 واحتراما مما عسى أن يلزمه من العمار ولما كانت الدولة البريطانية الانكليزية تهابها المنافع الكبرى ماليا وماديا ولا
سيما بالنظر الى قتال السويس الذي هو طرفها الوحيد للخطبة الهندية المهمة فقد أخذت على عهدتها وتحت امرتها
التدخل الفعلي لقمع هؤولاء المفسدين ومحو آثار الفتن دون أن تمس بحقوق السلطنة السنية ولا الامتيازات المصرية
ولتحققنا أن نيتها ومواعينها في الظاهر والباطن ليس الا اصلاح ولا غاية لها في الاستيلاء على البلاد ولا الفتك بأهلها
لعداوة دينية ولا غير ذلك مما يذمه العصاة تنقرا منهم العامة وتبغيض الهمم في الامة الانكليزية على حسن مقاصدها
المذكورة ولا يزال العاصون على حالهم من المقاومة وتبجيم الحال المؤدى لزيادة الخراب حتى اعتبرتهم السلطنة السنية
عصاة مخالفة للاحكام الشرعية فاستدروا كاللامر ومراعاة للمصلحة العامة فدرخصنا حضرة القائد العمومي للجيش
الانكليزي بالتبول نحو جموع العصاة واستعمال الوسائل القاهرة لتبديدهم وسرعة القبض على رؤسهم لمقاصبتهم
 بما يستحقون من أشد العقاب وعاء أن العساكر الانكليزية يعدون في هذا الحالة نائبين هناك قطع ذرا لفسدين وتخليقة
البلاد منهم ليعودوا الامن والراحة وزول الشقاء عن العباد ومن كانت هذه صفقتهم جد يرون بالمعاونة والمساعدة
 ولا ريب من جهتهم بوجه من الوجوه فينبغي أن لا يرهب منهم أحد ولا يظن فيهم سوء أو مكربها وأن لا يعاملوا بما
يستوجب المناقرة بل على كل مصري يحب وطنه ويحس خرابه أن يعاملهم لقاء حسن نياتهم بالا كرام الائق بهم ولا
 يتأخر أحد عن مساعدتهم في تقديم ما يحتاجونه من المؤنة والمعلوفة بانمايتها السائرة التي هم مستعدون لادائها فورا
 فن فعل كذلك فقد وفي ما يجب عليه من حقوق الوطنية الصادقة واستوجب رضا الله ورضا عنه فضلا عما يرامهم
 من المكرمة ومن أبي وخالف وقابلهم بالمكبرة الوحشية التي لا تجديه نفعا فقد عرض نفسه للتهلكة التي هي أشدها
 وتحققنا أنه من العصبة البانية فأمره كارههم هذا واننا نحذر الناس كافة من سكان البقادر والبلدان والايخص

استدعت الدولة من مصر مندوبين هادريش باشا فاسافر مع حاشيته وبعد ان هاجم الجنرال ولسلي جيش عرابي ورأى مائة استحكامه وانه لو اراد الاستيلاء عليه اخسر خسارة كبيرة وجه قوته على العرايين من جهة قنال السويس وكان يرافق جيشه كثير من ضباط مصر ورافقه أيضا سلطان باشا المساعدة ولما تحول الانجليز الى نجر السويس واستولوا عليه خطر للعرايين سد القنال منعا للسفن الانجليزية من المرور ونحاف دوليس من انظام اس آثره فاتخذ وسيلة يدفع بها عن التربة شر العرايين فتظاهر بمقاومة الانكليز محتجا على حلولهم السويس فانصرف ذهن عرابي باشا الى ان الموسيو دوليس انحاز اليه ويقال ان محررات دوليس الى حكومة فرانساهي التي جعلتها اتخذ الحيادة طر يقها بعد اشتراكها في كل المداخلات الابتدائية مما كان يظهر لها من خطارة الحركة العراية وقيام الامة المصرية بأسرها وانه يعسر على الانكليز الانتصار وكان دوليس من جهة أخرى يخاطب عرابي باشا تلغرافيا بخصوص احترام ترعة السويس ويقول له انه مادامت المراكب الحربية البريطانية لم تتخذها ميدانا للحرب فاحترامها يجعل سياسة باقي الدول الاورو باوية مائلة اليه وغير ذلك من الاقوال التي لولاها لاتبع عرابي باشا كما يقال نصيحة قنصل روسيا الذي قال له ان أردت النجاح فأول عمل تجر به عند قيام العدو ان سد القنال ولما وصلت المراكب الحربية الانكليزية الى مدينة الاسماعيلية (٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٢) وتم احتلالها للقنال وأطلقت المدافع على جهة نفيسه كتب عرابي الى الموسيو دوليس يقول انه مادامت التربة اتخذت ميدانا للحرب فقوانين الحرب تقضى عليه باعتبارها كذلك فرد عليه دوليس بأن يفعل ما يسوغه له قانون الحرب لو ثوقه بعدم قدرة عرابي على سد القنال بعدما احتلته الاساطيل الانكليزية وكان عرابي كتب الى الاستانة يقول بما ان الانكليز خرقوا نظام حيادة قنال السويس فقد صارت مصر مضطرة الى سده وتعطيله ثم أصدر أمره الى راشد حسني باشا فومند ان خط الشرق والى محمود فهمي باشا باشمهندس عموم الاستحكامات بسد التربة الحياوة الاسماعيلية والقنال ان مكنتهم الاحوال الحربية فلم يتمكنوا الا من سد التربة الحياوة فقط وأقام الجنرال ولسلي في الاسماعيلية وبعد ان أتته الامدادات من الهند شرع في الحركات العسكرية واشتبك الانكليز مع جيش العرايين في جهات المسخوطة والمنحمة في ٢٣ أغسطس فاقتتل الفريقان قتالا شديدا اشركت فيه العربان مع العرايين وبعد قليل اضطر راشد حسني باشا وخاله باشا الى التقهقر (٢٥ أغسطس) وأخذ محمود فهمي باشا أسيرا ويقال انه هو الذي سلم نفسه لما

المجروسة عن المهاجرين من بلادهم وانحيازهم لخائب العصاة تطوعا أو كرهامتهم فيدهمونهم بما هموا به أهل اسكندرية عندما خدعهم على تخليتها في أقل برهة ونجح وجههم تمكن الباغون المنافقون من نهب المدينة وحرق أهم جز فيها بقعة فليعتبر العاقل بغيره

فعل علماء ووزراء وعسود ومشايخ البلاد ووجهائها وتجارها الذين تتوسم فيهم الخشية والسكينة والاخلال الحقيقي لخائب الحكومة ويعز عليهم ووليتهم وهم الخيرة بالعواقب أن يدعوا وابتلوا لاواهم بلاذو بنظر وهابين النصيحة المحضه لصالحهم وصالح القطر ويلزموا العامة باتباعها حتى لا يترفعوا ويكفوا آمنين مطمئنين على أنفسهم واعراضهم واموالهم من قبل العساكر الانكليزية فلا يجعهم ضرر ولا يلحقهم كدر ماداموا مجتمعين للعصاة وهذا ما اقتضته اراذتنا ٥١

رام من فشل العرابين وورد في الصحف الانكليزية ان فرق الجيش البريطاني بعد ان حلت في المحسمة
 وتحصنت فيها تجمع العرابيون بقوة مؤلفة من الالين من المشاة و ثلاث بطاريات من المدافع وعسد
 كثير من العربان وهجموا على مواقع الانكليز باهرة راشد باشا حسني وبينما كان القتال جاريا جاء
 الامداد الى راشد حسني باشا على قطار مخصوص وكان قد سبق ذلك ان تشدد العرابيون وركروا
 على الانكليز كرة واحدة ابعدهم قليلا عن المواقع التي كانوا قد استولوا عليها ولكن القادة الانكليز
 هجموا ثانيا على العرابيين وأجؤهم الى الانهزام وانفق ان محمود باشا فهمى وصل الى ساحة القتال
 ساعة الانهزام ولم يكن بحسبته الا حادمه ففاجأه الخيالة الانكليز وألقوا القبض عليه وسيق ثانيا
 يوم الى الجنرال ولسلي فسأله الجنرال عما اذا كان ممن ولوا الادبار ناركين المعسكر بعد الواقعة أو ممن
 دخلوا في الاسر فهاجر فأجاب اني أسير واستمنهزما اه ثم انتقل عرابي الى التل الكبير وأنه من مصر
 على فهمي باشا مع باقي الجيش وأخذ يحشد الجنود و يقيم الحصون هناك قال موسيو هنس رز في
 كتابه نقل عن الكتاب الازرق الرسمي ما لمخصه انه بعد ما طلب الباب العالي من ان كلترة اخراج
 عساكرهم من اسكندرية فائلا ان وجود الخديو والمشيردرويش باشا فيها كافي لاعادة النظام
 جاوبه الارل غرانفيل ناظر خارجيتها بان عرابي جمع جيوشه بهيئة عدوانية في كفر الدوار فلذلك
 أمرنا الاميرال سيمور بانزال رجاله في المدينة أولا لكي يحافظ على شخص الخديو وثانيا للبعد الامن
 والنظام وليكن في علمك اننا لا نريد قط احتلال القطر المصري وانما أعمالنا هذه كلها لحفظ سيادة
 الباب العالي وحقوق سمو الخديو على مصر بما أن جلالة السلطان غير مهتم بذلك اه فعندئذ
 صمم الباب العالي على ارسال جيش عماني الى مصر وأعلن أعضاء المؤتمر ببلاغ أرسله اليهم في
 ٢٨ يوليو من سنة ١٨٨٢ بأن الدولة العثمانية تقبل ارسال جنودها لاحتلال مصر ولكنها
 تشترط جلاء العساكر الانكليزية عنها عند وصول الجنود العثمانية اليها فأجاب اللورد دوفرين
 بالقبول بناء على ما ورد اليه من حكومته ولكن قبل الكلام في ذلك يصدر الباب العالي منشورا باعتبار
 منشورا يعلن فيه الامة المصرية بعصيان عرابي وبناء على ذلك أصدر الباب العالي منشورا باعتبار
 عرابي عاصيا ونشر منته في جميع الجهات نحو ثلاثين ألف نسخة (١) وكان العرابيون ينشرون

(١) البيان نامه الرسمية الصادرة من الباب العالي ب ارادة سيدنا مولانا السلطان المعظم أمير المؤمنين خليفةتنا الاعظم
 اشعارا بجميع المسلمين بأن الافعال التي اجراها عرابي وأعوانه ورفقاؤه في مصر مخالفة لارادة الدولة العلية السلطانية
 ومخفة بمصالحها ومضرة بمصر ومغايرة لمصالح المسلمين وبناء على ذلك تقرر ان عرابي وأعوانه (عصاة) (بغاة) وبهذه
 الصفة تجرى معاملتهم

ليكن معلوما للجميع ان الخديوية المصرية هي مودعة من طرف حضرة علي الخليفة العظمى الاشراف لدى عهد تاسعتهال
 حضرة نغامتلو دولتو محمد توفيق باشا و فالا احكام المأذونية المنووحة بالاوامر العلية السلطانية ولما كان حضرة الخديو
 المشار اليه وكيلا مطلقا لسلطنة السنية في ادارة الامور المصرية كانت اوامر ومطاعة والسولك بما يخالفها موجبا
 لسولية والحال ان عرابي باشا اخلافا لصرح الاحكام القانونية تصار سببا لسوء التعرض لوطنائنا للحكومة وسلب امنية
 المملكة والاخلال بالراحة ولوقوع مضار وتقدان فوائدهم على كثير من الاهالي مالا ونفسا وصار سببا في نهاية الامر
 لوقوع مداخلت عسكرة خارجية في مصر أما تطرق دولة انكليز لمحبة القدعة لسلطنة السنية الى درجة اطلاق
 المدافع على الاسكندرية فكان الباعث اليه التهييزات التي جرت في استحكاماتها وعدم الامنية من أن تسمى أساطيل
 الدولة المشار اليها الراسية في مساهمة هذه الحركات وتعرض المدافع التي كثير مقدارها في تلك الاستحكامات على أن

في ذلك الوقت في جرائدهم وغيرها أخبار وقائعهم مع الجيش بكيفية مضحكة ولسوء النجته ان أغلب

الحكومة السنية قد كررت وأمرها بترك التجهيزات وتعطيلها لكي لا يكون سبيل للاساطيل الانكليزية لايقاع
 التعرض وتعددت النصائح المشفقة المقبولة المنظوبة على كثيرين الادلة المقنعة تنديتاً لوطامة العمل الذي ينتج من
 عكس المسلك فلم يطع عرابي باشا هذه الاوامر ولم يعقل لتلك الوصايا الزواجر ولما ابتدأت الاساطيل المذكورة بحركات
 التعرض على المدينة أظهر ان المقابلة الواقعة من الاستحكامات كانت على شكل دفاع ضروري والحال انه قد ظهر
 وثبت من حركات عرابي باشا ان مقصده الاصلى ان يهاوي ايقاع المملكة في نزاع واختلال اللقاء الالهائي في تبيان واختلاف
 فصول المناقشة الذاتية الغير المشروعة لانه لو كانت نيته وفكره على غير هذا الامل لما كان ولا جعل سبباً وأدى استعداداً
 لاحوال من شأنها ان تجلب على الاسكندرية شديد مضدمات تلك الاساطيل وكان الاجدر به ان يصني للاوامر
 والنصائح التي أمرته بالتوقف من هذه الكوارث وكان ثانياً عمل الفكر في عدم الاستعانة المشروط لزومها بحسب
 الشرع والمسلم بها عند كل فرد مع قطع النظر عما يلزمهم في محبت المقابلة للاساطيل من الاسباب العديدة والشرايط
 المهمة ولكن في سبب اراقه دماء كثيرين من البشر بلا موجب وبما يقصده وأمله ولما جلب على الخطة المصرية
 مداخلة عسكريه أجنبية وألقي الدولة العلية في الموقع المشكل الذي هي فيه اليوم أمان تصديه للحصر على اقامة الحضرة
 الخديوية بقرية ثمانية عقب اطلاق المدافع على الاسكندرية قاله كان مبدأ المداخلة عسكريه بقرية حيث أوجب الحال
 على أميرال الاساطيل أن يخرج الى البر عسكري الاجل استحصال الامنية ثم ان الدولة تنكرت بإرسال هيئة مخصصة
 مؤلفة من حضرة درويش باشا أحد المشيرين ولييب أفندي رئيس محكمة التمييز وأسعد أفندي أحد السادات
 الكرام ووكيل القراشة الشريفة وقدرى أفندي بقصد جلب عرابي باشا الى دار السعادة لتجري عليه التنديتات
 والتلقينات بنوع أبلغ وأزيد ليقطع عن المسلك الغير المستقيم الذي سلكه في مصر ولكن تحصل المسألة المصرية بتحسلاً
 سلباً تدربه اسباب وقوع المداخلة الأجنبية ولثلاثاً ترك سبيل يضطر الدولة اضطراراً مؤلماً لاجل قوتها بغير
 أولئك الافراد الذين اختاروا طريق العقلة وسلكوا مسلكاً غير معقول من غير تعيين بحقيقة الحال أعني من غير تصور
 وادراك للضار التي تلم ببلادهم بالدولة من المسلك الذي سلكوه فلم نال هذه الهيئة جهداً في سبيل اجراء ما أمرت بها
 متبذرة بكافة الوسائل والاساليب وطالما بلغت عرابي باشا الموما اليه نصائح دينية شرعية وعقلية وزمائية فلم
 يلق الطاعة سمعاً وكان جوابه القطعي النهائي والاعلى ثباته في مسلكه معلناً باستمداه للمقابلة كل من تخشى الى الخطة
 المصرية أجنبياً كان أو غير أجنبي وعدم قبول عساكر الدولة العلية اذا قدمت الى القطعة المصرية كما تحقق ذلك من
 التقرير الرسمي المشترك المتقدم من طرف هيئة المرخصين المار ذكرها أماناً فتعاب عرابي باشا من تقاء نفسه
 الخ مصر وتشكيله هيئة ادارية وتصديه للسلوك ضداً للحكومة المحلية فقدر درجة عدم مشروعيته ووخامة عاقبته
 أمر لا يحتاج الى الدلائل والبيانات وهذا أمر واضح جداً وهو انه كلما زادت درجة استمرار عرابي باشا وأعوانه في المسلك
 الذي باتوا يشتغلون به اليوم وقد أسوء لباس المشروعية واستمر المقاصدهم المضرة متعدياً على تغير افراد الناس الغير
 الواقفين على الحقائق يستميلونهم لتابعهم بنشر استراغية تزداد بنسبة ذلك تشذبات دولة انكساراً للحفاظ على اعتبارها
 العسكري وتوسع بالطبع أيضاً دائرة الغوائل السياسية الملمة بالدولة العلية والحاصل ان نتيجة الحال لا تكون
 أدنى فائدة للخطة المصرية التي هي الجزء المهم والمتم للممالك المحروسة السلطانية بل تكون مضرة بها وتكون الدولة
 على الاطلاق غير سالمة من المخاذير ومع ان حركات عرابي باشا التي عددناها أعلاه أعني الحركات التي أوقعها قبل ان
 تهدد الاساطيل الانكليزية بمدينة الاسكندرية ولا سيما تفوقها بالتهين للمقابلة عساكر الدولة العلية بتقاومة مسلحة
 كانت داعية لتشذجهاراته ولكن بناء على مراجعته للحضرة الخديوية والتجاذبه للصفو السلطاني وللراحم السنية
 الملوكانية ومن جهة أخرى بناء على مواقع درويش باشا باسم العساكر المصرية من التأمينات والمواثيق الرسمية في
 سبيل الطاعة للسلطنة السنية وتجدد الارتباط والصدقة للحضرة الخديوية وهي المواثيق والتأمينات التي نشرت
 قبلاً في أوراق الحوادث استناداً على اشعار درويش باشا المشار اليه قد شملت تضرعات عرابي باشا ومسؤولاته بعين
 العاطفة العلية وقرن ذلك أيضاً بالمساعدة بتلطيفه بالنيشان العالي بناء على الانتهاء الرسمي المتقدم من طرف درويش باشا
 المشار اليه ليكون باعنا له على تزايد الامنية وتجدد الانقياد والصدقة ولكن الموما اليه لم يعرف قدر هذه اللطاف

الناس كان يصدقها لجهله وعدم معرفته بشأن الحروب وعلى ذلك كانت ترد على عسراي ورجاله
 تهاني النصر من كل الجهات والملك مثالا من الاخبار التي نشرت تهاجر اندهم عن واقعة المحسمة وهي
 التي خذلوا فيها كما تقدم قالت جريدة الطائف كانت الحرب سجالا بين المتحاربين وأحاطت مراكب
 الانكليز بعسراي في المسخوطة امام الاسماعيليه في يوم الجمعة ١٠ شوال سنة ١٢٩٩
 بعد ان اذاقهم عسراي كرا كاس المنون يوم الخميس وكان في وسط عسراي ناستة آلاف نفر يشتغلون
 في الاستحكامات فلما نزلت عليهم مقذوفات العدو تشتتوا وتحلوا العسراي فعاقروهم عن الحركة
 وعلاصياحهم في وجوه العسراي فلم يتمكن من الضرب لامتلاء الميدان بهم حتى فاجأهم العدو
 برجاله فلم يجذبوا بدمان الرجعة اه وقال رئيس اركان حرب الجيش المصري الشرقي في تلغراف
 ارسله الي يعقوب سامي باشا انتهى سعادتكم بما حصل من الظفر في هذا اليوم على العدو في
 ميدان الحرب بين المسخوطة والاسماعيليه وذلك ان العدو خرج يوم تاريخه (١٠ شوال)
 من الاسماعيليه بأربع اورط من البيادة وأربعة مدافع جبلية وكثير من السوارى فتوجه في الحال
 عبد القادر بك بالايه وأورطه من الاي على بك ومحمود أفندي الرشيدي بأورطه من السوارى
 وبعد ان قابلتهم بلوكلت الخفر والمسدفيات وبلوكلت السوارى أمسدتهم العسراي وانتشر
 العربان واستمر الحرب من الصباح لساعة تاريخه فترزنت اقدام العدو ورجع الى الخلف اه هذا
 ولما قرأ عسراي باشا نشرة الباب العالي بعصيانه في جريدة الجوائب نمرة ١١٠٠ الصادرة في يوم
 الثلاثاء ٢٩ شوال سنة ١٢٩٩ وقع في قلبه اليأس لان حخته الكبرى كانت يدعوى انه قائم
 بالمدافعة عن حقوق الدولة العلية في مصر فنشاور مع صديقه الحميم عبد الله نديم وأقر اعلى اخفاء
 ذلك عن الجند وفي رواية انه جمع مجلسا ونلا عليهم تلك النشرة فارتأى أكثرهم وجوب الاستمرار على
 الدفاع وذهب آخرون الى أن التسليم أسلم ولكن ترجح رأى الاوّلين وقد وصلت النشرة المذكورة
 الى يد كثير من ضباط الجيش وغيرهم فشاغذ كرها وانكسرت القلوب وعم الخوف وانحلت عزائم
 فرق عديدة كانت تستعد لمساعدة العربيين متطوعة من ذلك طائفة أهل كريدو كانوا عزمواعلى
 التطوع في جيش عسراي لعلمهم بحسب ما يشاع ان هذه الحرب برغبة الحضرة السلطانية ولم تكن
 هذه النشرة السبب الوحيد في صرف الوجوه والقلوب عن عسراي وحزبه وان كانت هي السبب الاقوى
 بل كان الخسديو ومن انحاز اليه وأغلب الكبراء والاعيان والحكام وأصحاب العقول يعاكسون
 عسراي ويجهتدون في احباط مساعيه وكانت المكاتب تأتي من اسكندرية من سلطان باشا وغيره الى
 عمد البلاد واعيانها حثهم على مخالفة عسراي وأعوانه وان كل من ساعده دخل تحت طائلة العقاب

الجسيلة وقد شكرها بل استمر على الافكار السقيمة الغير المشروعة وعلى اعلان البغي والعصيان فمن ثم كانت النتيجة
 الطبيعية للاحوال والحركات المشروعة انه دعا ذاته بذاته للحكم عليه بكونه باغيا عاصيا و يلزم أن يعلم أيضا أن حضرة
 الخديو هو من اركان الدولة العلية وامناء السلطنة السنية ومعتمد بها الفخام وأن المحافظة على نفوذه واعتباره أمر لازم
 ووظيفة ما حاز من الامتيازات والاقتراداء عوجب احكام الفرمانات العلية أمر ملتزم وأن الحركات التي تخمس عسراي
 باشا على اجرائها مع هي مقابلة بالكلية لرضا الدولة العلية فلا لى كى يجطاب جميع علماء بأن صفة البغي التي اكتسبها
 عسراي باشا انما هي نتيجة عمل وان محفوظة نفوذ حضرة الخديو بالمسار اليه وامتيازاته هي مقررة لدى الدولة وملتزمة قد
 تحرر هذا الاعلان في ٢٤ أغسطس (آب) سنة ١٨٨٢ اه

وأرسل الخديو أيضاً إلى مدينة بورسعيد وقدموا لفا من سلطان باشا وفردي باشا وركي بك وعمشان بك وغيرهم لدعوة الأهل للطاعة وكفوا أيضاً بالنقل في البلاد لهذا القصد وغير ذلك مثل مساعدة الجنرال ولسلي وامتداده بكل ما يلزمه من المعلومات والاحتياجات وأخذ عرابي يحصن جهات التل الكبير بأقامة متاريس وطوابق تمتد من الصالحية والدار البيضاء حتى جبل عتاقه ليتيسر بها المدافعة عن البلاد بلا خسارة عسكرية كبيرة وبلغ مقدار ما جمعه عرابي بتلك الجهات ٣٠,٠٠٠ جندي نظاي غير البدو والمتطوعين معهم نحو ٧٠ مدفعاً وفي أثناء ذلك أمضت دولة الانكليز مع الدولة العثمانية معاهدة حربية (١) بخصوص ارسال عساكر عثمانية إلى مصر لتساعد الجنود الانكليزية على قمع الثورة تحت شروط منها أن يكون دخول العساكر العثمانية من رشيداً ودمياط أو أوبى قير ومنها أن يكون مقدار الجيش العثماني ستة آلاف فقط ومنها أن يباح للجيشان مصري في وقت واحد وغير ذلك من الشروط وكان سبب عقد هذه الشروط مع الدولة خوف إنجلترا من قوة عرابي من جهة وان تحفظ لنفسها بذلك حقاً من جهة أخرى وهو حق المدخلة واشترطت بأنه لا يتم عقد المعاهدة المذكورة إلا بعد أن تصدر الحضرة السلطانية منشوراً بعصيان عرابي كما تقدم وكان ذلك محاولة منها لأنها كانت تسعى في الانفراد إذا اضطرتها الاحوال إلى قبول مساعدة الدولة وكانت هذه الشروط الثقيلة عقبه في طريق مداخله العثمانيين ومساعدة لترويج سياسة الانفراد التي تطلبها إنجلترا التي كانت جرائدها تلح عليها بالانفراد في تأييد سلطة الخديو وبعد أن استعد الجيش الانكليزي وعلم مقدار العرابيين ومواقعهم بواسطة عميونه هجم الجنرال ولسلي وكان عدد جيشه ١٥,٠٠٠ مقاتل معهم ٦٠ مدفعاً على العرابيين جهة القصاصين في ٢٨ أغسطس فقاوم العرابيون مقاومة تذكروا لها هي الوحيدة في هذه الحرب كلها ثم انهزموا وجرح قائدهم راشد حسني باشا وتولى بعده القيادة على باشا الروبي ويفهم من تقرير إرساله اللورد ولسلي عن هذه الواقعة مقدار مقاومة المصريين (٢) أما جرائد العرابيين فقد طنطنت بها كثيراً كعادتها وعتدتها انتصاراً لإبعاده انتصار قالت جريدة الطائف . . . وعندما بلغ الخبر عرابي باشا أقسم ليذيقهم عذاب الهون وقام من كفر الدوار إلى رأس الوادي وحضر من مصر على باشا فهمي وتم ترتيب الجيش ومواقع الاستحكام برأس الوادي

(١) أولاً ينبغي ان تكون النصر بدة العثمانية مؤلفة من ستة آلاف جندي وان لا يضيف الباب العالي اليها عدداً آخرلاً بما في انكثرة والاتفاق معها على الزيادة (ثانياً) يجب أن يكون حلول الجنود العثمانية في رشيداً أو أوبى قير أو دمياط وان يكون خروجهم إلى المواقع التي تدعى اليها من أحدها هذه الثغور (ثالثاً) يكون جلاء الجيشين الانكليزي والعثماني عن وادي النيل في زمن واحد (رابعاً) لا يقوم الجيشان بالأعمال الحربية إلا بعد اجتماع القائدين العموميين على ما يجب ان يكون موضع العمل (خامساً) يجب ان ينضم إلى الجيش العثماني ضباط من أركان حرب الانكليز وإلى الجيش الانكليزي ضباط من أركان حرب العثمانيين ما صحيفه ٢٠٣ ج ٥ مصر للصبر بين

(٢) قال الجنرال ولسلي عن واقعة القصاصين ان العرابيين هجموا على مركز الانكليز في القصاصين وكانوا مؤلفين من ثمان فرق من المشاة معززة بآتي عشر مدافعاً ولكن الانكليز أكثر من فرقين ونصف فرقة من المشاة وقرقة من الخيالة ولم يكن معهم أكثر من خمسة مدافع حملوا على العرابيين واندفعت عليهم فرقة الخيالة فأعملت فيهم السلاح الأبيض فأدخروا تاركين في ساحة القتال ذخائرهم ولكنهم تمكنوا من استرجاعها بعد ان خيم الظلام اه

في ٢٤ ساعة وفي صباح ذلك اليوم عقد مجلس حربي تقرر فيه هيئة الهجوم على العدو ثم في ليلة الاثنين سهر على باشافه سمى على باشافه سمى في تهيئة العساكر وتعيين النقط واعطاء التعليمات وفي الصباح وقفت العساكر على هذا الترتيب في الجناح الايمن بعد الترتيب الاسماعلية أورطة من البيادة وأورطة من السوارى وجانب من العرب وفي هذا الجناح من يسار الترتيب ثلاث اورط من البيادة خلفها مدفعان وأورطة امداد وهذا الجناح تحت حكم دارية أحمد بك فرج وفي القلب عثمان مدافع من الكروب خلفها ثلاث اورط من البيادة ثم ستة مدافع امداد وهذا القلب تحت حكم دارية على باشافه سمى والطوبىجية تحت حكم دارية حسن بك رأفت وفي الجناح اليسارست اورط من السوارى تحت حكم دارية أحمد بك عبد الغفار يصحبها أورطتان من البيادة ومدفعان تحت حكم دارية عبيد بك ثم تقدمت أورطة اخرى من السوارى وسارت في الصباح الى جهة العدو وتكشف حاله وتناوشه وفي الساعة اثنين من يوم الاثنين ١٣ شوال ابتدأت مدافع مقدمتنا تضرب مقدمة العدو وسار هذا الجيش تحت قومندانبة راشد باشا حتى وقد شغلت بيادة المينة نحو ٦٠٠ مترو شغل القلب نحو ٣٠٠ مترو شغلت الميسرة نحو ١٠٠ مترو سار الجيش في الفضاء المتسع ومقدمتان من السوارى والطوبىجية تضرب مقدمات العدو وترزحها عن مرأ كرها وبعد ان استراحت العساكر قاموا قاصدين جهة العدو الى أن بقي بين الجيشين ٤٥٠٠ مترو وهناك وضعت مدافعنا القلبية على شكل نصف دائرة محيطة بعسكر العدو وامتد سوارينا في هيئة شرجية حتى شغلت ألقى مترو واستعنا بالله وكبرنا وجدلنا وابتدأت مدافعنا بتحية القديوم بصوت عال الى أن قال بجوابهم امدافهم بشدة ثم أخذت النيران ومدافع العدو تضرب في نقط متفرقة واذ ذلك ارتج الجبل وزلزت الارض وغابت الشمس واستحال حصر القنابل التي يعطرها الجندي في ساحة بساطها الانسان الى أن قال فأتمت أفواه المدافع اقوالها حتى ملئت رجالنا جحاسة وعزما وأرسلت الرصاص الحار على الامة الباردة وجوابتها مشاة العدو بينادقها وكلما تحول العدو لنقطة تحولت عليه الرجال والمدافع ومع كونه كان في متاريس حصينة فان المدافع والقنابل أخرجه منها وقطعت عليه المدافع خط الوصول الى المعسكر فثبت ولكن بقدر ما عدم نصف رجاله وفي خلال انسياب نيران البيادة والطوبىجية أخذت السوارى تدافع ميمنة العدو وحفظنا الخط رجعتنا ثم امتدت المدافعة وهجم أحمد بك عبد الغفار على العدو الى أن قال ورأيت راشد باشا حسنى راكبا جواده في نقطة قول العدو عليها امدافه وهو ثابت لا يجررك رأسا ولا يلتفت لجهة بل هو مشغول بالنظارة يتظر بها امرى الرصاص والقنابل ثم يا امرى بتعويل الضرب للجهة التي يرى العدو وفيها ثم دخل الليل وأطلق كل مدافع من مدافعنا ٣٠٠ قنبلة ورمى كل رجل من رجالنا ٥٠ دسة من الرصاص الى أن قال وعند ما اشتد الظلام هجمت سوارينا على سوارى العدو وغير ذلك من الاقوال الدالة على ثبات الجنود المصرية وخفة حركتها كما زعم وورد في تقرير لوكيل الجهادية ان العساكر المصرية غنموا من جيش العدو غنائم كثيرة من ضمنها ٧٠ رجلا انكليزي او عدد وافر من الخيول الافرنجية ومقادير كثيرة من الاسلحة وانهم دفنوا من قتل الانكليز الى يوم كتابة التقرير ٨٠٠ قتيل وكانت خسائر العساكر المصرية ٦٠ قتيلًا والجنود ٨٥ هارون وورد في الجرائد الانجليزية انه قتل من المصريين في تلك الواقعة ٢٥٠ ومن الانكليز ٥٤ بجنديا فقط وكان انتصار الانكليز هذا واستيلاؤهم على المحسنة بعد الخطوة الاولى في شوال التل الكبير وكان

الاختلاف وعدم النظام سائدا بين العربيين فلم تكن الجنود تطيع أو امر رؤسائهم ولم يكن الرؤساء يعرفون ما يفعلون وأغلبهم يتوعد الى عرابي ظاهرا وبعضهم يرسل الجيش الانجليزي أو يفر ملتجئا اليه وغير ذلك ومازاد هذه الحالة ارتبا كما وانحلال الانزع الانجليزي على معسكر عرابي جريدة الجوائب التي جهان مشور الباب العالي بعضيمان عرابي فارخت المفاصل وانحلت العزائم وانقطع الرجاء وجهر الناس بالمخالفة كما سبق فكان ذلك من أكبر أسباب نجاح الانكليزي في جهات التل ان لم يكن هو السبب الوحيد وبعد ان رسم ضباط الانجليزية خطة الهجوم على متاريس التل الكبير أخذوا في تخادعة العربيين ولما عزموا على الهجوم تقدم جيشهم في الساعة الرابعة ونصف على الحساب الا فرنكي بعد منتصف ليلة ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هاجموا على حصون العربيين فلم يقف العربيون امامه أكثر من عشرين دقيقة واستولى الانكليزي على حصون التل وغنموا فيها من المدافع وقتل من جيش العربيين نحو ٢٥٠٨ جنود وأسروا نحو ألفين وغنموا أيضا جميع المؤن والذخائر وفر عرابي الى القاهرة بعد ان سعى في رد المنهزمين فلم يفلح وقال في تقريره وقبل أن تتمكن من انشاء المتاريس عاجلتنا العساكر الانكليزية والهندية وهاجمتنا السوارى ومعها الطوبجية والسوارى التي تطير معها أينما طارت وعلى حين غفلة في ظلام الفجر اشتعلت نيران الطوبجية والياد المهلكة من الطرفين مقدرا ساعتين ثم أنت فرقة سوارى وطوبجيةتها من وراء الجيش فكان ذلك سببا لخذلانه وتشتته في يوم الاربع ٢٩ شوال ١٢٩٩ (١٣ سبتمبر ١٨٨٢ م) ولما حصل هذا الخذلان توجهت من الجبل الى بليس وسوارى الانكليزي على مقربة منى وهناك تقابلت مع على باشا الروبي فتوجهنا الى الشاطى ومن هناك ركبنا وابور السكة الحديدية وتوجهنا الى مصر فوجدنا أهل المجلس جميعه في ديوان الجهادية وحضرات البرنسات أيضا حضر وا بالديوان وبعد المداولة والتيقن بأن دولة الانكليز لا تريد الاستيلاء على مصر تقرر انه حيث الامر كاذر فلا يلزم مدافعة اه وقال محمود فهمى باشا في تاريخه البحر الاخر وفي نفس الليلة التي استعد فيها الانكليز للهجوم على التل الكبير كتب على بك يوسف الى عرابي وكان في المقدمة يخبره بعدم حركة العدو وأقر به من الموقع وانه لا يخشى من شىء ففقد عرابي طول الليل مع الفقراء فى الصيوان الذى كان منصوبا بالحواسه فيه ومعه أولاد الشيخ عبد الجواد كرون الى آخر النصف الاخير من الليل وعند قرب الفجر ناموا جميعا وما يشعر عرابي الاومقد وفات مدافع الانكليز داخله فى صيوانه والعساكر هربانه ومبعدة فى كل جهة فجاءه على الروبي وقال انج بنفسك والقتلت فالحق أن بليس هدمه وركب حصانا وأسرع فى الجرى وما زال مدبرا حتى وصل محطة ميناء القمع ونزل فى وابور الر كاب وسار الى القاهرة ولبس فى منزله هدمه وتوجه الى ديوان الجهادية وأخبر وكيل الجهادية ومجلس الشورى بهزيمة التل الكبير وفراره وفرار الضباط والعساكر من بعد واقعة استمرت عشرين دقيقة واستولى الانكليز على ما كان فى التل الكبير من ذخائر وأسلمة ومؤنات وغير ذلك من اعانات الامة المصرية اه وقال الضباط الذين كانوا يجيش عرابي أقوالا يعلم منها انه قبل هجوم الانكليز على التل الكبير وردنا الخبر من على بك يوسف الشهر يخفص قومندان مقدمة الجيش الى عرابي يخبره بعدم وجود حركة فى الجيش البريطانى فأصدر على باشا

الروي نشرة لعموم الجيش يأمره فيها بجعل نقط الخفر كالعادة أى خفض عدد جنودها وأصدر
 أوامر أخرى بعد ظهر اليوم المذكور بنقل مرآكز بعض الاليات والطوبجية وأن يكون
 بعضهم اماكن البعض الآخر ليكونوا في المعسكر بحسب ترتيبهم فأخذت تتنقل ولما كان امتداد
 المعسكر طويلا لم يمكن لاغلب الاليات والطوبجية أن يصل الى مركزه لدخول الليل فاضطر الى
 الوقوف في الطريق حتى الصباح وفي الليلة المذكورة هجم الانكليزي على التل الكبير فاستولوا عليه كما
 قلناه وأخذوا يطلقون مدافعهم على العساكر المصرية التي كانت في الطريق خارج خطوط الدفاع
 فاقتتل النظام ولما أغلبيهم الى الفرار ومعهم ضباطهم وكان عرابي لما وصل الى مصر أراد إقامة
 خط دفاع بجهات العباسية فخطبه أحد الضباط بقوله انك بجهلك وسوء تدبيرك قد أحرقت
 الاسكندرية وتريد الآن أن تحرق مصر أيضا فاذا لم يكن لك فيها ما يملك فاعلم ان لناس فيها نساء
 وأطفالا وأملا كالانسلم بضاعتها تنفيذا لالغراضك وختم قوله بأني أقول لك ذلك بالاصالة عن نفسى
 وبالنيابة عن جميع الضباط الحاضرين فلا ترجع مناسعة ويكنى ماجرى فرجع من وقتها عرابي
 عن عزمه ثم سار الانكليزي الى القاهرة فدخلوها بلا مناع وبجالة سلمية واستلموا كنسائهم وقلعتها
 وتم بذلك احتلالهم للقطر المصري في يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ قال السير جازنت ولسلي
 قائد الجيش الانكليزي في رسالة برقية أرسلها من الاسماعيلية الى نظارة حربية انكلتية بتاريخ ١٣
 سبتمبر ما ملخصه قد هجمنا على مواقع عرابي المنيعه وكان جيشه مؤلفا من ٢٠,٠٠٠ نفر من
 العساكر المنتظمة و ٢٥٠٠ من الخيالة و ٧٠ مدفعا وستة آلاف من البدو والعساكر
 الغير المنتظمة وكان الجيش الانكليزي مؤلفا من ١١,٠٠٠ نفر شارعين الاسنة و ٢٠٠٠
 نفر مسلحين بالسيوف و ٦٠ مدفعا ولما رأيت أن الهجوم على مواقع العرابي المنيعه في وقت
 النهار يكون سببا في حصول خسائر وتلفيات جسيمة لنا عزمنا على الهجوم عليه في القجر قبل
 طلوع النهار وقطعت في أثناء الظلام الدامس الستة أميال التي كانت بين معسكرى وبين مواقع
 العصاة وكنت أعطيت تعليمات للسوارى وبطريتين من طوبجية السوارى الذين كانوا على ميمتى
 بالهجوم على العصاة بعد بزوغ النهار وكان على مبصرة السوارى فرقة تحت رئاسة الجنرال جرهام
 (Graham) ومعها الحرس تحت رئاسة دولك كلوت (Duke of Connaught) وعلى
 مبصرتهم أيضا كان يوجد سبع بطاريات يعنى ٤٢ مدفعا يتلوا ذلك فرقة أخرى وفرقة من الهنود
 في جنوب الترعه وعلى هذا النظام هجم الجيش عموما وقد أظهر الالاي الارلاندى خصوصا اقدا
 وبساله في الهجوم واستولينا الآن على استحكامات العصاة ومهماتهم ولست أعلم عدد المدافع
 التي استولينا عليها بالتمام غير اننا استولينا على مقدار وافر منها واستولينا على جله قطارات
 ومهمات وذخائر ومؤن وفور العصاة هاربين ألوقا ألوقا ورموا أسلحتهم عندما أدركهم سوارينا
 وكانت خسائرهم جسيمة جدا وجرح الجنرال ولس (Willis) جرحا خفيفا ثم بين أنه جرح ثلاثة
 من أمراء ألياتهم وجمت السوارى على بليس وتوجه الجيش الهندى الى الزقازيق وفر عرابي
 راكبا حصانا وقد جرح راشد باشا في رجليه وعلى فهمى في فخذه في واقعة يوم السبت ١٥
 هذا ولما وصل الجنرال ولسلي مع أركان حربه ومعهم أيضا محمد سلطان باشا الى القاهرة نزل

بسرراى عابدين وبعث بالجنرال افلن وود (E. Wood) الى كفر الدوار فسلمه العربايون هنالك الاستحكامات والاسلحة ثم استلم باقي حصون بورسعيد ورشيد أما حامية أبي قير فتوقفوا عن التسليم فبعث اليهم الخديوي يوسف شهدي باشا فسلموا اولم تسلم حامية دمياط الا في ٢١ سبتمبر وكان عرابي سلم نفسه فادخله الانكليز هو وطلبة ومحمود سامي سجين العباسية وأمر سلطان باشا فقبضوا على كثيرين وألقوهم في السجن وبعثوا أيضا ضباط الجهادية في أضيق السجون وأصعبها وكثرت الوشايات والسعيات وأخذ أصحاب الاغراض والغايات يشون باخصاصهم حيث اتسع لهم المجال فامتلات السجون بكثيرين من العلماء والتجار والكبار والاعيان والموظفين والضباط من كل طبقة واخفى كثيرين من أرباب الشأن في الثورة مثل سليمان سامي داود ومحمد عبيد وعبد الله نديم وغيرهم وداخل الرب قلوب الكثيرين قال عرابي في تقريره مالم تحضه وعند غروب ١٤ اكتوبر أتت عساكر السواري الانكليزية والهندية فرفعت لهم الرايات البيضاء وتوجه رضا باشا (قائد فرقة العباسية المؤلفة من ٣٥ ألف عسكري) لمقابلة الجنرال لو (Lowe) وكذلك أرسلت محافظ مصر ابراهيم بك فوزي لمقابلة الجنرال أيضا وبعد الغروب بساعة ونصف حضر ابراهيم بك فوزي المذكور وأخبرني بأن الجنرال لو يريد مقابلتي في العباسية وكذلك قومندان فرقة عسكري كفر الدوار كان حضري في هذا اليوم الى الديوان فجاءه تلغراف من قومندان فرقة العباسية بأن جناب الجنرال المذكور يريد مقابلته في هذه الساعة فتوجهنا جميعا الى طرف الجنرال لو بالعباسية وكذلك حسب طلب جنابه أرسلت له الميرالاي الذي في القلعة وهو على بك يوسف ولما تقابلت أنا وطلبة باشا مع الجنرال قال الجنرال هل تقبلون جميعا أن تسلموا أنفسكم للدولة الانكليزية فقلنا نعم على شرط أن نكون في ذمة دولة الانكليز وشرفها ثم خلعتنا سيوفنا وسلمناها ليد الجنرال المذكور نيابة عن القائد العمومي الجنرال والسلي وقلنا له قلنا سيوفنا وأنفسنا الى ذمة انكلترة وشرفها فصوت أولادنا وصوت الانسانية يطالب انكلترة وكل انكليزي بحقوقنا ووجنا بكم بالنسبة عن الحكومة الانكليزية وعن كل انكليزي فقبل منا ذلك وقد قبض أيضا على جميع الضباط من رتبة البكباشي فصاعدا وبعض الصناعات واليوز باشية والملازمين وعلى كثير من العلماء وأعضاء مجلس النواب والاعيان والتجار والعمد وغصت بهم السجون في مصر والمدريات والاسكندرية اه وقد بلغ عدد من سجن في هذه المسئلة ثيفا و ٢٩٥٠٠ نفس وفي ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢ عاد الخديوي توفيق باشا الى مصر فاحتفالوا به احتفالا عظيما واصطف له الجيش الانكليزي من محطة السكة الحديد الى سرراى عابدين واستعرض امامه بالميدان هنالك ونوافد الامراء والعلماء والاعيان والعمد الى السراى للتمنشة وزينت العاصمة بالانوار وبعد ثلاثة أيام تشكلت عدة لجان لتتبع التحقيق أمر العصيان ومحكمة المتهمين (١) وخوفامن تحامل أعضاء لجنة التحقيق على عرابي

(١) لجنة التحقيق التي تشكلت تحت رئاسة اممعل اوب باشا أعضاءها على غالب باشا ويوسف شهدي باشا ومحمد زكي باشا وسعد الدين بك ومحمد حمدي بك ومصطفى راغب بك وسليمان يسري بك ومصطفى خلوصي بك ومحمد مختار بك والمحكمة العسكرية التي تشكلت لمحكمة مرتكبي جريمة العصيان أو العدى على السلطة الخديوية تحت رئاسة محمد رؤف باشا أعضاءها ابراهيم باشا الفريق واممعل كامل باشا وحسين عاصم باشا وخورشيد باشا والواء الطوبجية سابقا وسليمان تيازي باشا وعثمان لطيف باشا وأحمد حسين باشا وسليمان نجاتي بك والمحكمة العسكرية

ورفاقه عين الانجليز باللجنة المذكورة الميرالاي شاراس ويلسون (Sir C. W. Wilson) والويس فنصل بين وأرسل المستر بلونت (Wilfred Blunt) الانكليزي صديق عرابي والمشجع له على أفعاله من ابتداء الحركة كلام من المستر برودي والمستر نايبير المحامين بصاريف من طرفه لمدافعة عن رؤساء الثورة وقدم لهما عرابي تقريره مفصلا عن الحوادث المذكورة من أولها الى آخرها ومما ورد فيه عن الامة الانجليزية والمصرية قوله الامة التي فيها نصراء الانسانية الامة المحامية عن المظلومين الامة المحسرة لرقاب العباد المستعبدين الامة المحافظة على اتباع الحق والقوانين مع مصر البلاد التي لا ينكر أحد ما تجرعه أهلها من غصص الاستبداد البلاد التي طالما سفكت دماء أهلها بغير وجه شرعي ولا حكم قانوني البلاد التي عبدت حكماها من دون رب العالمين البلاد التي كانت تظن ان لا منقذ لها من جب الظالمين ولا موصل لها الى فضاء الانسانية الا دولة انكلترة الشفوقة على النوع الانساني تخاب أهلها وبعدها ان قرب أبنائها من فهم ذلك الجب وظنت انها ناجية جاءها الحرس الانكليزي فأوقع القبض على من خرج من الجب ٥١ وقد تكلمت الجرائد الانكليزية عن تلك المحاكمة فقالت التيمس اذ لم تكن سياسة الذين يحكمون عرابي مبنية على الاختصار والايجاز في محامته أو صرف النظر عنها لابدأن تبدي لنا محامته أمورا غيبية وتكون فضلا غريبيا في التاريخ السيامي فقد أفا دمكا تبين ان المستر برودي تحصل على أوراق كثيرة تشمل على صورة ماجرى من المحاطبات والمحركات من بدء الحركة الى يوم القاء القبض عليه ومن المعلوم ان حكومتنا تحصلت على أوراق مشابهة له هذه الاوراق الى ان قال فاذا صححت هذه المحركات لا بد أن تؤثر تأثيرا جسيما في العلاقات بين الباب العالي وبين حكومة مصر الجديدة ٥٢ وفي أثناءها ندد المستر يورك (York) في المجلس على تسليم انكلترة عرابي للتوظيفين المصريين فأجاب المستر غلادستون قائلا لا شك أنه لا يمكن تنفيذ الحكم عليه بدون تصديق الحكومة الانكليزية أولا وفي تلك الاثناء حضر لورد دفرين (Lord Dufferin) معتمدا من قبل دولة انكلترة للنظر في المسئلة المصرية ولم يكن ذلك عن رضامن الباب العالي فنظر أولا في اجراءات مجالس التحقيق ومنع التعدي عن العرابيين ثم أخذ يجمع بالخديوي وبالوزراء ويتداول معهم طويلا في كل المسائل ثم بعد ان درس احوال البلاد وبحث بنفسه في الامور كتب بذلك تقريره المشهور وبعثه الى اللورد غرنفيل ناظر خارجية انكلترة شرح فيه حالة مصر السياسية ومسئلة قتال السويس والجيش والجنדרمة والنظامات الداخلية والمحاكم القضائية والمالية والمعارف والميزانية والري والتاريخ وغير ذلك وفي تلك الاثناء أرسل طوسون بك متصرف مدينة قوله يقول انه قبض على حسن موسى العقاد وسليمان داود اللذين اشتركا في احراق مدينة الاسكندرية وكانا قرا بعا وواقعة التل الكبير

التي تشكلت في الاسكندرية تحت رئاسة عثمان نجيب باشا أعضاؤها رضوان باشا يوسف باشا وصطفى باشا العرب وحسين واصف باشا وعلى بك وهوي وحسين مظهر بك وأما اللجنة التي تشكلت في الاسكندرية لتحقيق مواد السرقة والقتل والنهب والحرق تحت رئاسة عبدالرحمن باشا رشدي أعضاؤها كازيم آرا وأحمد بليغ أفندي والموسيو كليار وأحمد أمين بك ومحمد بك وابراهيم بك فؤاد والموسيو قشيدى ومونولون ولجنة طنطا التي تشكلت تحت رئاسة محمود باشا الفلكي أعضاؤها الطيف بك سليم وجبرائيل أفندي كميل وشفيق بك منصور وموسيو شكوفى وكانت أحكام اللجان المذكورة جميعها عرفية ما

الى بنغازى برا ومن هناك سافر البحر الى بلدة قنديه من جزيرة كريد ولما أتى بهما قال سليمان داودا أثناء محادثته بأن عرابى كان أمره بأن يحرق مدينة الاسكندرية ويقتل الخديو وذلك تأخرت محاكمة عرابى وطالت مدتها بسبب اتهامه بحرق الاسكندرية لما يحتاجه التحقيق من الوقت فطلب أحد أعضاء البرلمان الانجليزى (٢ ديسمبر سنة ١٨٨٢) الاسراع فى محاكمته فرد عليه المستر غلاستون بقوله ان تحقيقات المحاكمة لا تتم قبل أواخر الشهر الحالى ثم استقر رأى على صرف النظر عن محاكمة عرابى فى المسئلة المذكورة ثم امتحت المحاكمة صدر الحكم على عرابى ورفقائه بالاعدام وكان المستر بلونت المدافع عن عرابى ورفقائه والمبرر لاعمالهم كما تقدم حضر الى مصر وتقابل مع اللورد دوفرين وسعى هو وغيره فى ابطال حكم الاعدام بالنفى المؤبد لان الانجليز الذين يدافعون عنه امام المحكمة برؤءه ورفقائه من تهمة مذبحه الاسكندرية وارفاهم ثم تحسوا على أمر خديوى باستبدال ذلك الحكم بالنفى المؤبد خارج القطر (١) ولما رأى مصطفى رياض باشا ذلك استعفى من نظارة الداخلية لانه لم يكن راضيا عن الكيفية التى حوكم بها عرابى ورفقائه (٢١ محرم سنة ١٣٠٠) فخلقه المرحوم أحمد خيرى باشا وروى من كتاب التيمس انه ظهر للمستر برودلى المحامى عن حسن موسى العقاد ان الاميرة زينب هانم شقيقة الامير حليم باشا كانت أرسلت الى حسن موسى العقاد المذكور مبالغ واقرة بحوالاات على يد وكيلها عثمان فوزى باشا لاجل ان يدفعها لرجال الحزب الوطنى حتى يكونوا مع حليم باشا الان حسن موسى العقاد أخذ تلك المبالغ بأجمعها وأقنع جماعة من الحزب بهدائها خفيفة ومواعيد عزقوية ثم أصدرت المجالس العسكرية بالحكم على باقى الضباط المشتركين فى الثورة بنفى بعضهم الى خارج القطر وبعضهم داخله بمدد مختلفة وصدر الحكم على عرابى وحسن موسى العقاد بالنفى مدة عشرين سنة فى مصوع وعلى سليمان داود بالاعدام لثبوت تهمة حرق الاسكندرية عليه مع انه ولا شك مشارك لغيره فى هذا الامر وبعد صدور هذه الاحكام استولت الحكومة على أملاك ومنقولات رؤساء الحزب ونفقتهم مع عائلاتهم الى جزيرة سيلان فسافر وايتخفروهم بعض جنود مصر وضباطها وتنفذ حكم الاعدام على سليمان داود فى نجر الاسكندرية هذا وبعد ما أعلن عرابى بحكم المجلس العسكرى وبأمر الخديو بابدال حكم الاعدام بالنفى روت جريدة التيمس عن مكاتبتها فى القاهرة ان المستر برودلى المحامى عن عرابى اجتمع به مليا فى السجن وأخبره بأن انكساره جعلت مقره ومقر رفقائه الستة سيلان فقال مستهزئا ان هذا النفى يسرفى لان سيدنا

(١) (أولا) الحكم الصادر على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت ومبد العال حلى ومحمود سائى وعلى فهمى ويعقوب سائى المقنضى جزاؤهم بالقصاص وقع تبديله بالنفى الى الابد من الاقطار المصرى وتولمقاتها (ثانيا) هذا العفو يبطل ويقع اجراا الحكم على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلى ومحمود سائى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سائى المذكورين بالنقل اذ ارجع الى الاقطار المصرى وتولمقاتها وتولد ذلك ما دنا لتنفيذ الذى نيط به كل من ناظر الداخلية وناظر البحرية والحرية وقد صدر بذلك ثلاثة أوامر الاول فى تاريخ ٢٢ محرم ١٣٠٠ (٣ ديسمبر ١٨٨٢) فى شأن عرابى والثانى فى تاريخ ٢٦ منه فى شأن طلبة عصمت وعبد العال حلى ومحمود سائى وعلى فهمى والثالث بتاريخ ٢٩ منه بشأن محمود فهمى ويعقوب سائى وبعدها صدرت عليهم الاحكام ارى مجلس النظارة ان تضبط أملاكهم المنقولة وغير المنقولة وأن يعين لهم مقابل ذلك راتب سنوى كاف لمعيشتهم فمسير ذلك أمر عالى فى ١٤ ديسمبر من تلك السنة اه مصر للصربين

آدم لما عبط من الجنة نزل فيها وكان عرابي طلب في أول الامر ان يكون منفاه جبل طارق أو قبرس
وقال هذا المكاتب ان عرابي كتب مكتوبا الى المستر بلانت عز زه وحيديه في لوندرب بتاريخ ٢٣ نوفمبر
قال له فيه اني أريد ان أسكن مع أولادى دمشق الشام وأن تعهد بأنى أتجنب الامور السياسية ولكن
اذا ابت الدولة العلية ذلك فحينئذ اختر لندره وأن تعهد أيضا بان لا أندخل في امور سياسية ابدا
مادمت غائبا عن وطنى اما الرتبة التى جردت منها فلتمنى لاني انما قبلتها كراهة لا اختيارا وكتب كتابا
آخر الى صاحب جريدة التيمس سلمه الى مكاتبه فى القاهرة فنشره المكاتب ومما جاء فيه انى سأترك مصر
وأنا آمن على مستقبليها واثق بان انكثره لانتأخر فى اجراء الاصلاحات التى ناراها الى للحصول
عليها وعن قريب نسمع ان المراقبة الانكليزية والفرنساوية قد انغيتا ولما كنت مصرى الوطن
كانت جميع اعمالى مبنية على اجراء الاصلاحات فيه وحيث ان سو ينجى لم يساعدنى على اتمام مرغوبى
هنا فالأموال انكثره لانتساقى بعد ان تتم مباشرة أنا فترخص لى فى ان أعود الى وطنى ثم أخذ
يشكر الم. ترغلا دستون رئيس وزراء انكثره والورد غرانفيل ناظر الخارجية والورد دفرين سفير
انكثره فى الاستانة والمستر مالت فنصلها لجنرال عصر والمستر بلنت حبيبه وغيرهم اه ومن أغرب
ما كان يشاهد فى خلال الحركة العربية وفود الكثيرين من كبار الكتاب وأرباب السياسة على
القطر من انحاء أوروبا وبالزيارة عرابى باشا ورجال حزبه ويكتبون عنه وعن دعوتهم ومقاصد حزبه فى
جرائدهم الفصول الطنانه فمنهم من كان يطعن فى فعلته ومنهم من كان يمدحها واظهرت أكثر الجرائد
الانكليزية إعجابها بمبادئ الحزب الوطنى المصرى وكذا كثير من الجرائد الفرنسية ومن كان منها
مزددم يلبث طويلا حتى غير من وجهة فاصحح الرأى العام الفرنساوى ميلا للعربيين منتصرا
لدعوتهم وأظهر بالفعل عدم رغبتهم فى تدخلى فرنسا فى مصر تداخلا عسكريا ولا يستبعدان
الانقلاب الذى حصل فى سياسة وزارة فرنسا أخيرا كان منشؤه تأثير الرأى العام فيها وكان كل من
السير وايم جريجورى (W. Gregory) والدكتور صابونجى صاحب جريدة النحلة التى
تشر بلندره والمستر ولفرديانت وغيرهم ممن كانوا يترددون على عرابى وحزبه يكتبون الفصول
والاقتالات الطويلة فى مدح مبادئه ويستلطفون نظر أرباب السياسة البريطانية الى مساعدته لبلوغ
مقاصده وكان بين المستر بلنت المذكور وعرابى باشا مودة كبيرة حتى انه بعد عودته الى انكثره صار
يكتب عرابى باشا على الدوام وقد دعا ثرنا على صورة كتابين صادرين من عرابى الى المستر بلنت
المذكور فاستنبتا درجهما (١) ليرى المطالع درجة تلك المودة بينهما وكيف خدع عرابى وتورط

(١) من القاهرة فى غرة ربيع سنة ١٨٨٢ حضر فصيحة الصديق ومحبنا الذى انا خلاصه وائق الماحد
الاکرم حر الافكار صائب الانظار المتروك لشر يد بلنت أتبع المدعا به الحسنى وحقق نوايا الفضلى بعد
مدانته القاهرة كل قوى حيار ومضى الى الحق لاهل الحى والابصار الذى تحيط علمكم به هو انه وصلنا كتابكم
بتاريخ ١٠ مارس فتهلت بوروده وانشره صيدرى بوفوده ولاشك ان كل حزب يشرح عند ما يرى رجلا
من الاحرار منكم صادقين فى اقوالهم وتخلصين فى افعالهم وطامنين على تنفيذوا بهم العيا القائدة النوع الانسانى
عموما وأهل وطنهم خصوصا وانما فضضت كتابكم استدللت منه على شرفكم بيش الحسنة للنوع الانسانى
وايكم مشهورون من ساعدوا الجهد والاجتهاد فى تأييد مصالح امتكم الانكليزية حيث انكم ترفون انه لا يمكن تأييد
هذه المصالح فى الشرق ولا سيما فى مصر الا بميد المساعدة للصبر بين حتى ينالوا الحرية وبذلك يستعمل كل قوادم عند
القوز بمرادهم ولاغر وفى ذلك فان الواجب على الانكبا للاحرار ان يساعدوا القوم الباذلين عنان الكد لاستقلال

في الامر لجهله بالساليب السيامية امام رجل له فيها وفي ابواب الدهاء قدم راسخة هذا ومن أساليب

بلادهم وصلاحتها ونجاحها ولا نشاء حكومتها مبنية على العدل والانصاف ولا يرب ان مساعيتكم الباهرة الجسدية بالنشاء تجعل لكم ذكرا حسنا وصينا نثر يشاء عند أهل وطنكم ولا سيما عند ما يتضح لهم المهم التي بذلتوها لارتقاء الباطل واماطة اللثام عن الاكاذيب التي نشرها أصحاب الغايات أم من جهة تفتخر بكم من المذاكرين المشاكركين على حسن خدمتكم نحو مصر وانكثرت التي تؤمل انها تكون من أعظم المساعدين لنا على توطيد النظام التام على أساس الحرية اقتداء بالام الحرة المتمدنة وان شاء الله سنرى مساعيتكم بكلية بالفوز وقد اعتبرنا وصولكم الى وطنكم سالمين غانمين فالاحسن على القوة والنجاح ثم اننا نشكركم ما تفضلتم به علينا من النصيحة وعلى هذا شيط حضر تكتم باننا باذلون غاية ما في وسعنا المحافظة على الهدوء والسكينة والنظام فاننا نرى ان تأدية ذلك من أهم واجباتنا ولذا ابدلنا الجهد لذلك هذا الغرض ونؤكد لكم ان الامور سارة فان السلم يستول على البلاد ونحن باذلون الطاقة مع اخر اننا المحبين للوطن في مراعاة حقوق القاطنين في أرضنا بصرف النظر عن جنسيتهم مع مراعاة اعتبار جميع العهود والعتبات والمواثيق الدولية ولا نسمح لاحد بدسها ما دامت أوربا متمسكة بعهودها ومحافظة على عقودها ومراعية للعلاقات الودية معنا أمن جهة تهديدات كبار صيارة أوروا وبافتحتم لها بالحزم والثبات فاننا نرى ان تهديداتهم لا تضر الابناء منهم وبالذول التي تنقاد وراضلا لانهم ومطمع نظرا فاننا أهل بلادنا من الرق والعبودية والظلم والجهل ورفع شأنهم الى ذروة المعالي حتى يتسرفهم منع اعادة الاستبداد الذي كان سببا في دمار مصر وبوارها وهذه الاقوال هي أفكار كل مصري فطن حريص لوطنه اه ما أما الكتاب الثاني فهو

من القاهرة في ٦ ابريل ١٨٨٢ حضره صديقتنا الصادق والخل الوفي المتر ولقر يد بلنت بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله حيث شاءت وولنا الحرية والاصلاح ووقفنا الطرق للفلاح والنجاح نجيب علمكم التريف انه وصاننا كتابكم الثاني بعد ان أرسلنا اليكم رد جوابكم السابق وانتهز هذه الفرصة السعيدة لاعيد لكم خالص تشكركاتي وأثرت عبق الثناء عليكم بسبب أعمالكم المأثورة ومساعيتكم المشكورة فاني أرى ان الواجب على وعلى كل ذي ذمة تطاهرة ويرتخا لصفة بل الواجب على الوري قطبة أن يشكروا صناعتكم الجميل ومسعاكم الحليل وكما انه يحصل المنافع والقوا تدبير الافراد تمكن بينهم المراد كذلك الحال بين الامم وكذا كانت غاية بغيرنا احكام الوداد تأييدا للصالح المشتركة بيننا وبين الدول التي نحن متمدون لها بالمواثيق فانه بواسطة هذا الوداد يتيسر الذين لهم حق في بلادنا ان يتمتعوا بثمرات المعاهدات والمواثيق التي نرى ان الواجب علينا مراعاتها والذب عنها فاذا التحلت عبر الوفاق وتمكن التسور والاتفاق لا يضر دلا بما فقط بل يضر أيضا بجميع الدول الاخرى ولا سيما ملكة تريايا العظمى ولا يخفى على كل سيامي ثاقب العقل غزير الفضل الفوائد التي تعود على انكثرت من التحاب معنا وساعدت على مشروعا أما من جهة فلم المرافقة فمكن على يقين من اننا لا نصدى له وتادية وظائفه حسب الحقوق المحولة له بموجب المعاهدات الدولية ولم يكن في نيتنا ولا في يد أي انسان كان في هذه البلاد من حقوق المراقبين أو المتعدي على أية معاهدة دولية كانت أو المروق عنها فاذا كان نواب الدول في هذه البلاد أمناء في أمورهم ومتيقظين لصالح دولهم تعين عليهم مساعدة في مشروعا ولا هي الوطنية حقيقة وان ظهر وبالافعال ما وعدوا به من الاقوال أي بان يطالبوا بين أفعالهم وأقوالهم وقد عرضنا على بدل ما في طاعتنا لاجل الامتثال ما بين الامم المتقدمة ثبت المعرف والاستقلال بظلم الوارف وتأييد الاتحاد والنظام وانصاف كل انسان من الظلام ولا نرى شيئا من هذا العزم الموافق مقدار حجة أو داني فلا يؤخرنا التهديدات ولا تريعنا التهوريات ولا نلين الالاميات الودية التي نعرف قيمتها أم من جهة هذا البلاد فلم يشكروا صافيه وقد بدلتنا الجهد لثقتهم من الامم اللذيمة التي تخافت من الحكومات السابقة أمن من جهة الاستيلاء التي سأتموا معنا فأرسلنا لكم جوابا بالاعتراف على يد الشيخ صاحبكم ومن زده نفسه عن الهوى رأى بطلان كل اشاع في أوروبا عن زيادة مصاريف العسكرية فان ميزانية العسكرية لم تزد بار واحدة ولم تنقص قرشا واحدا عما قرر في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨١ وقت وزارة دولتولوشريف باشا وبناء على هذا كن على يقين بان الاشاعات التي كلفتم

السياسة ما أرسله بلنت لصديقه عرابي وهي عدة نسخ من النشرة التي أصدرتها جمعية السلام الانجليزية في لوندري بتاريخ ٢١ يونيو من سنة ١٨٨٢ تحت إمضاء رئيسها المستر جوزيف بيس (Joseph W. Pease) وكاتم أسرارها المستر هنري ريشارد ولاهية ماورد فيها عن المسئلة المصرية أدرجتنا ترجمتها بالحرف الواحد بذيل الصحيفة لتتمام القائمة (١) ثم شكلت الحكومة لجنة عسكرية تحت رياسة طه باشا المعروفة من نداخل في الحركة العسكرية من غيره من ضباط العسكرية وأصدر الخديوي في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨٢ أمر بالعفو عن الضباط الذين من درجة ملازم ويوزباشي

نفسكم بذكره لم يشعها الامن لم يختر الحقائق ويسؤن أن يرى جرائد أورب بالتمتدنة تنشر دائما هذه الاكاذيب ونطلب منه تعالى أن يرشد أورب بلبسياسة أورب وبالحق ليطلعوا ويقفوا على حقيقة حال بلادنا حتى يخدموا بلادهم وبلداننا بتقوية ممر الوفاق والمصافاة ونطلب منه تعالى أن يجعلنا تتمتع بركة السلم والوفاق الودي والسلام ختامها الامضاء أحمد عرابي

(١) أصدقات الاعزاء

يستحيل على أصدقاء السلام ان لا يراوا عجز يد الاهتمام الاحوال الحاضرة بعصر فلان المراكب الحربية الاوربية موجودة بسكتندرية وبدلا عن معاونتها في حفظ السلام قد أدت بتعريضها غير الاهالي الوطنيين الى حصول ثورة دمج فيها كثير من النفوس مع انتشار الهرج والمرج والهول بالملكة وتختي ان مصر نفسها تكون على وشك وقوعها في اختلال السلطة اختلالا عموما مستظلاما مع انه مشاهد حصول ما يكون أشد تهلكتة في المستقبل وسيبده اطماع الدول الاوربية المتنافضة المحبة لنفسها وهذه الارتباك نشأت عن الخرج تدريجا عن دستور عدم التداخل في المصالح الداخلية للمالك الاخرى الذي حافظنا عليه على الدوام والظاهر ان رجال السياسة البريطانيين قد أوقفوا خطر هذه الاعمال عندما صاروا استدعواهم للتداخل في المصالح المصرية وفي سنة ١٨٧٥ لما أرسلت الحكومة البريطانية المستر استيفن كيف (M. Stephen Cave) بناء على رغبة الخديوي السابق امعيل بلنا لفحص مالية مصر طبع لورد دربي في ذهن ذلك الفاضل أن يلتفت حتى لا يصدر منه وعد ما يتخاذا في عمل من الاجرا آتسواء كان بالاستشارة أو بدونها يستبين منه رغبة التداخل بدون اقتضاء في مصالح مصر الداخلية ومن سوء الحظ لم يصر مراعاة هذا الاحتياط على ممر الزمان وصار امتداد تداخل حكومتها والحكومات الاخرى زيادة فزادت حتى انتقلت في الحقيقة مراقبة المصالح المصرية من الوطنيين الى أيدي الاجانب وصار اجراء ذلك عراقات وقومسيونات أوقعت الامسة بدون علمها أو رضاه في مسؤوليات جسيمة أشد خطرا لانها صارت مسؤوليات متصلة بالامم الاخرى ولما علم لنا من الموائع البرلمانية الموفوق بها أن موجودا كثير من ألف وثلاثمائة أجنبي مستخدما في فروع المصالح المصرية العديدة يبلغ مجموع مرتبهم ٣٧٣٧٠٤ جنهات وجدنا انه ليس من العرب عصيان المصريين ضد هذا النظام الناقل للسلطة الرسمية والنقود والقوى ومكاسب حكومتهم الى أيدي الاجانب ومن سوء الحظ ان صفة التداخل قد تغيرت أيضا تدريجا وبعد ما كان في الاصل مقصودا ان يكون نصيحة ومساعدة ودية صار امرا وتهديدا أهاج غيظا مر او مقاومة منظمة وقد نتبأت الحكومة الحالية بهذا الخطر وسجدت كليا رغبة عملها على استقلال مصر

وقد ذكر لورد جرنفيل في رسالته الباهرة المؤرخة في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الالفاظ الاتية وهي (ليكن مفهوما جاليا ان اسكاتره لا ترغب وجود وزارة مختز به لها في مصر اذ من رأى حكومة جلالة الملكة ان الوزارة المختز به المؤسسة على مساعدة دولة أجنبية أو على النقود الشخصى لو كبل سيماسي أجنبي لا تكون مفيدة للملكة المديرة لها ولا للملكة المظنون بقاء الوزارة لفاقدتها وانما هي فقط تصد الاهالي عن اطاعة ملكهم اطاعة حقيقية وتحدث دساتن معاكسة ومخلة بنقود الدولة) ومن سوء الحظ ان قواعد السياسة المذكورة لم يتسكن بها ولا ترى الاضرار التي تنبأها اجانب لورد جرنفيل وكان يسترحم الانقاذها قد حصلت بحالة جسيمة ثم ان الاحتجاجات المبني عليها سياسة التداخل هذه هي الاتية

فقط مستثنيا منهم من قررت اللجنة اشتراك في الثورة وأنتم بنياشين مختلفة الدرجات على
٥٢ ضابطان من ضباط الجيش الانكليزي وأنعت الحكومة الانجليزية على الجنرال ولسلي قائد
الجيش الانكليزي العام بلقب لورد أوف كير واى لورد القاهرة وقال المستر غلادستون في خلالها
لمجلس النواب بأنه يؤمل عقد معاهدة مع مصر غايتها الاصلية ان تدفع مصر مصاريف الاثنى عشر
ألف جنسدى الذين يحتلونهم موقعا مع تعيين زمن الاحتلال والنهج على منوال سابقة احتلال
انكلترة ببلاد فرنسا بعد حرب واترلو ولم يقل بأنه اذا كان عزم على عقد معاهدة أخرى بخصوص
مستقبل ادارة مصر واذا كان يطلب من الدول الاشتراكية في ذلك أم لا وقال أيضا في مجلس النواب
قد طلب منى ان ايبين تبؤنا للمصر فأقول اننا تبؤنا مصر في ١٤ سبتمبر ومن ذلك الوقت كانت الحكومة
مشغولة بنقل الذخائر والعساكر ولم يتبق بمصر الامن كان بقاؤه ضروريا وشرعنا في نقل العساكر
الى بلادهم في ١٤ اكتوبر واستمر نقلهم حتى ٨ نوفمبر وبعدها كان جيشنا بمصر نحو ٢٣٠٠٠

(أولا) انه من المهم لا ننكثه ان نحافظ على طريقها الهند من قنال السويس غير انه من المؤكد ان أردنا طريقة
للحفاظة على هذا الطريق هي تحريرنا من الالهائى المار هذا الطريق البحرى بارضهم على العداوة الشديدة ضدنا
بسبب سياسة التداخل فى أمورهم بالاستبداد وعلى ذلك فتعويهم على العبث به غضاوا تماما (ثانيا) انه من
الضرورى حماية ارواح وأملاك الرعايا البريطانيين المقيمين بمصر ولكن ليس من الواضح تماما ان ارواح وأملاك
الرعايا البريطانيين بدلا من أن تصير حمايتها قد وقعت فى الهلاك بسبب سياسة التداخل والتهديد (ثالثا) من
البين الذى لا غرض فيه ولا اشكال ان بعض رجال مملكتنا استملوا نفوذهم فى البونات المصرية وأنه من الضرورى
حماية أرباحهم (وهذا سبب أقوى للتداخل من غير من الاسباب) واننا نحاس بكل قوة على اقامة الحجة ضد هذا
المبدأ وتنتقم قريبا من الزمن الذى فيه توضع هذه الامه العظيمة توضيحا قطعيا انه اذا أراد رجال مملكتنا ان يدخلوا فى
مضاربات تجارية تنقدية فى ممالك أخرى للمصالح على مكسب لهم يتعين عليهم اجراء ذلك تحت مسؤوليتهم الخاصة ولا
يتوقعون بدلا دما، ومال الامه باجمعها الحماية تقودهم وجميع ديونهم

ويمكن أن يقال بل قبل غالبان المراقبة تعود بالفائدة على مصر وان الكلاء الانكليزية والفرنساوية هم كفى
للتصرف فى مصالحها الداخلية عن المصرين أنفسهم فمن الجائز أن يكون ذلك حقيقيا ويكون سيقا قويا يقبول
مساعدهتهم مساعده تودية عنه ما يستلزم غير ان ذلك لا يكون حجة لاستعلاء أنفسنا عليهم وسلب كامل حكومة
مملكتهم بقر بيانا ذلك يمكن تدريب الناس على الاستقلال ومساعدة أنفسهم بجعلهم فى حبال تقودها الاغراب وليس لنا أن
ننقده بما يتبعى اجراءه وسط بحر مملوء بالارتباك والتهلكة وليس من المعقول أن يتوقع منا أن ننسبر بطريقة للنقاد
من العراقيل التى وقعت فيها الامه بسبب عدم مراعاتهم الاصول التى أوصينا بها وحافظنا عليها ولا شك ان أحسن حل
لهذه الصعوبة أن تقر دول أوربا فى المؤتمر المقبل على قانون خال عن الغرض وان ترجع عن تدخلها فى مصر وتتركها
سليمة من مقانلات مطامعهم التزاعية وعلى كل حال ندعوكم أيها الاصدقاء الاعزاء أن تتضمنوا معنى فى تحديد اقامة
جنتنا ضد سياسة التداخل التى أدت الى ارتباك كالتنا لا ن ومهما انهم أمر أو حصل شك فيه فلا ينهم
عليها مطلقا ان تلك السياسة قد خابت من كل الوجوه فقد أثارت الغضب الشديد فى مصر وقادت الى اعدام حياة
وأملالك الأوربا وبين وجعلت نظام مصر التجارية باكله فى اختلال وارتباك وأحدثت معظم المسائل المرتبكة بين
السلطان والدول الغربية ونهت غير الامم الأخرى ووضعت جميع من تخصهم هذا الامر فى موضع صعب خطر
يكفى أغلب أفكار رجال السياسة الأورو با وبين بما يجاد طريقة للتجائنه

تحريرا فى لندن بشارع شورودغرة ٢٧ بجمعية السلام ٢١ يونيو سنة ١٨٨٢ بالنيابة عن اللجنة
(الرئيس) يوسف وليام بس - (السكرتير) هنرى ريتشارد

جندى صار الآن ١٢٠٠٠ واذا تقرر ذلك فقد وصلنا الى هيئة جديدة وقتية لانه ليس مقصودنا ابقاء جيش الى امد غير معين في مصر اه ثم خفضت بالقطر جيش الاحتلال المذكور فبعثته ٦٧٦٣ جنديا (يونيو من سنة ١٨٨٣) وسلمت قيادته للجنرال استيفنسن (Stephenson) ولما كانت الخسائر التي تكبدتها تجار الاجانب والوطنيين وقت حريق الاسكندرية لم تسو الخكومة امرها ولم تعرض على اربابها حصول بينها وبين قناصل الدول مقاضات انتهت بتأليف لجنة في اسكندرية للنظر في طلبات الذين يستحقون التعويض لما تكبدوه من الخسائر اثناء ذلك وفي ٢ يناير من سنة ١٨٨٣ صدر عفو خديوي عن جميع أهالي القطر المصري المتهمين بمشاركة العربيين وأمر آخر في ١٥ صفر بالعفوعن ضباط الجيش وعدم حرمانهم من معاشاتهم اذا استحقوا منها شيئا وبذلك زالت تأثيرات تلك الفتنة المشؤمة وارتفع عن الناس خوف التهمة ثم اشترك بعض الاعيان مع سلطان باشا وبعثوا الى لورد دلسلي سيقال يكون تذكارا على انتصاره على العصاة وبعثوا مع السيف كتابا عربيا كتب بخط جميل على رق غزال يتضمن الشكر له ولدولته فبعث من طرفه جوابا الى السير ماليت الوكيل السياسي والقنصل الجنرال في مصر لينوب عنه في تبليغ شكره الى سلطان باشا ورفقائه وقد أدرجنا هذا الجواب باسفل الصحيفة كعادتنا عمالما للفائدة (١)

الاصلاحات في عهد المرحوم توفيق باشا بعد الاحتمال - انه بعد ان استقامت للخديوي الاحوال وعادت السكينة الى ربوعها كان من أول مداخلات الانجليز في احوال البلاد ارسال لورد غرانفيل ناظر خارجيتها الى سفراء انكلترة في الاسماتة وباريس وبرلين وويانا ورومية وبطرسبورغ (٣ يناير ١٨٨٣) لائحة مشتملة على مبنى سياسة انكلترة الجديدة في مصر وكان يود نادراجها بأجمعها ولا انها طوية جدا فلما استتبنا فاذكر ما لها باسفل الصحيفة لاهميتها في هذا الباب ولا شتمها على الاعمال الادارية التي تنوي انجلترة عملها بمصر فن شاء من اجتمعا بأجمعها فليراجعها بكتاب مصر للمصريين مثلا (٢) وقد أخذت المخابرات عن هذه

(١) ان ناظر الخارجية أرسل الى بواسطه ناظر الجهادية السيف الذي أهداه الى أهالي القطر المصري واني أرجوكم أن تقدموا شكري وامتناني لسعادة سلطان بشار رئيس مجلس النواب ولأعضائه وكذلك لاهالي القطر المصري على ما بهنوا عليه من استحسانهم للخدمات التي أدتها التجربة التي سخطت قيادتها لاجلاله الملكة واني أقبل هذا التذكار بنفس بكل امتنان وافتخار ولا أعتبره تذكارا غنيا الذي بل أعده نساء على الجيش الانكليزي وقنازاد دسوري بالطريقة الاختيارية التي طرزوا بها هذا العمل وان حسن نصوص النميقة المرسله مع هذا السيف لبرهان فاطح على ان مقاصد التجربة قد تمت مع النجاح وعلى ان نتيجة أعمالها قد جلبت ميل أهالي القطر المصري واستحسانهم واني أشعر بالجزع من تقديم ما يجب من الشكر والامتنان لسعادة سلطان باشا ثم الى كل من اشترك في تقديم هذا التذكار المعترى بواسطة سعادته وفي مزيد الامل بأن المساعدة التي قدمتها دولة انكلترة في مدة الحوادث الاخيرة تكون واسطة لنا ليدنجح الشعب المصري وسلمه في المستقبل ما

(٢) (١) الفرق في خليج السويس ان انكلترة ترى ان حرية السفر فيه في أيام السلم أو الحرب تكون مطلقة وأنه يعين وقت معلوم لرو السفن الحربية فيه وقت الحرب ولا يسوغ أن يحصل فيه أدنى مناوشات حربية الا اذا كان ذلك لوقاية مصر وكذلك لا يسوغ بناء استحكامات فيه أو فيما يليه (٢) المحاكم المختلطة والتعديلات اللازمة لجراؤها فيها (٣) المحاكم الاهلية والاصلاحات التي ينبغي للتديوان يجرها فيها (٤) التواء قلم المراقبة للاقتصادات المالية وكون المالية لا تمنع شيئا من حقوق المداينين (٥) اقامة اجراء النظم المتعلقة ببيع الرقيق (٦) تشكيل قوة عسكرية في مصر لوقايتها من تعدى احدى الدول (٧) تشكيل مجلس من أهل مصر للنظر في مصالح البلاد الادارية فهذه المواد السبع هي لمخص اللائحة المذكورة اه ما

اللائحة دورا عظيمين الباب العالي ودول المانيا وأستراليا واطاليا والروسيا وفرناسا حصل في خلالها ان أشار الانكليزي على الخديو بانباع ماورد في تقرير لورد دفرين فانواع الخديو لذلك آمننا مطمئنا ولم يخطر في باله ان ذلك ابداء المعارضة أو التوقف أصلا لصفاء سيرته وكرم أخلاقه وثوقه من أن المحتملين لا يريدون للبلاد الا أن تكون في أعلى درجات الارتقاء ثم يبارحونها من ودين بالشكران كما صرحوا بذلك رسميا وبما أخذ عليهم من المواثيق التي يعلمها الكل ولمارات الدولة الانجليزية مقدرتها على ارضاء فرانساسعت في الغناء المراقبة الانكليزية الفرنسية على المالية قصد الانفراد بالعمل فكبير ذلك على رجال فرانسافي مقدمتهم الموسيو دوكلارك (Duclere) رئيس الوزراء وناظر الخارجية حيث قال في مجلس النواب يوم ١٥ يناير ١٨٨٣ عند شرحه المسئلة المصرية انه لما كانت دولة انكلترة أرادت أن تتصرف وحدها اضطرت فرنسالى أن تعيد لنفسها حرية العمل الى أن قال انه يرجو من المجلس أن يوافق على منهاج الحكومة كما انه يرجو من أوربنا ذلك أيضا وقد وزعت الحكومة على المجلس الكتاب الاصف الذي يحتوي على المحررات التي كتبتهادولة فرانسافي المسئلة المصرية واتضح منها انها كانت دائما تلج على ابقاء أحوال مصر المقررة على ما هي عليه وان جواب اللورد غرنفيل على تلك المحررات يتضمن جزم انكلترة بمداومة اجراء نفوذها الخيري (كذا) في مصر وقد يتضح أيضا من المحررات المذكورة ان الموسيو دوكلارك كتب رقيما الى دولة انكلترة بتاريخ الرابع من الشهر المذكور قال فيه انه لا يمكنه أن يعترف ان كبح العصاة يوجب الغناء المراقبة وغيرها من الدوائر المختلطة المقررة في مصر وان منهاج انكلترة يوجب على فرانسأ أن تعيد لنفسها حرية العمل اه ولكن ان لهم مقاومة السياسة الانجليزية فحكم رأيناوكم سمعنا ما اعترى السياسة الفرنسية من الهزيمة امام السياسة الانجليزية وحصل من ذلك أن تهج الرأي الفرنسي واعترض وأكثرت من الصحب والصحاح كعادته فلم يجز ذلك نفعا وألغيت المراقبة المذكورة فعلا وقدم الموسيو دوفورج وكيل فرانسالسياسي لائحة الى الحكومة الخديوية أقام فيها اللجنة على الغائما المراقبة (٢١ يناير) ومما قاله فيها حيث انه لا يحق لمصر الغناء المراقبة فهي مسؤولة عن العواقب المالية التي تتسبب من هذا الالغاء ثم حصل المراقب الفرنسي مسيوليون برديف الى بلاده وصدرا الامر الخديوي في ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ بتعيين المستر أوكلند كولفن (Auckland Colvin) مستشارا ماليا للحكومة المصرية ولما كان قانون مجلس النواب أكبر عقبة في طريق انفاذ المشروعات الانجليزية لما اشتمل عليه من اختصاصات النواب التي تخول لهم الاشراف على جميع أعمال الحكومة وعدم انفاذ ما لا يوافق منها ألغوا المجلس وقانونه وابدوه بمجلس شوري صدر بتشكيله الامر العالي في ٢٣ جادى الآخرة سنة ١٣٠٠ (١ مايو ١٨٨٣) وقانونه يحتوي على تشكيل المجالس الآتية (أولا) مجالس للديريات يكون لكل منها حق تقرير رسومات فوق العادة لصرفها في منافع عمومية استلزمتها حالة المديرية انما لا تكون قراراتها فطعية الا بعد تصديق الحكومة عليها (الثاني) الجمعية العمومية ومن اختصاصاتها ان لا يجوز ربط أموال جديدة أو رسوم على منقولات أو عقارات أو عوائد شخصية في القطر الا بعد عرضه على الجمعية العمومية واقرارها عليه (الثالث) مجلس شوري القوانين وخص بالنظر في القوانين التي تسن حديثا قبل نشرها وذلك في نظامه بان لا يجوز اصدار

قانون أو وأمر تشتمل على لائحة ادارية عمومية مالم ينظر فيه هذا المجلس لاخذ رأيه والحكومة مخالفة رأيه انما عليها اخباره بالاسباب التي اضطررت اليه للدول عن رأيه بحيث لا يترتب على ذلك جواز مناقشته في الموضوع (الرابع) مجلس شوري الحكومة ولم تعد دوظائفه وتبين أوجه اختصاصاته ولم يفتح الآن ثم اعنت الحكومة باصلاح حالة القضاء والمحاكم فكانت المحاكم التي أنشئت من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا أشبه بمحاكم مختلطة وكانت قضايا الانكحة والمواريث والمبايعات والوصاية على القصر من اختصاصات المحاكم الشرعية أما القضايا الاخرى مدنية كانت أو تجارية فكانت تنظر في محاكم خاصة بها وكانت تنقسم الى ثلاث درجات محاكم ابتدائية ولها فروع في كل مديرية ومحافضة وتعرف باقلام القضايا ومحاكم الاستئناف ومجلس الاحكام ومقره العاصمة وكان لهذا المجلس الحق في الغاء قرارات المحاكم الاخرى ثم لما رأى الخديو اسمعيل باشا ان هذه المحاكم لا تنفي بالمرد عمال الكثرة نوافد الاجانب واستيطانهم بمصر وحدوث المساكن العديدة بينهم وبين الاهالي أوجد المحاكم المختلطة كما تقدم وكانت الحكومة المصرية رأت ما في المحاكم القديمة من النقص وانطلت فشكات في سنة ١٨٨٠م لجنة عهدت اليها وضع القوانين اللازمة للمحاكم الاهلية ولما تمت عملها وأرادت تشكيلها حالت الحوادث العربية دون تنفيذها الى أن أتت وزارة شريف باشا بعد الثورة في ١٤ يونيه من سنة ١٨٨٣ فشكات المحاكم المذكورة وصدر بذلك أمر خديوي الانها لم تعدم اولاً في جهات القطر لعدم مساعدة الاحوال المالية فاقصر واذن ذلك على انشائها بالاقليم البحرية فقط هذا وقانون هذه المحاكم من مخرج من القانون الفرنسي واليطياني والبلجيتي مطبق بعضه على الشرع الاسلامي وفي كثير من بنوده مخالفة صريحة لاخلاق الاهالي ودينهم مما لا يكون في بلاد اخرى لها شريعة نامة تناسب الزمان والمكان كالشريعة الاسلامية الغراء ومن الاصلاحات أيضاً تشكيل فرقة عسكرية تعرف بالجندرية للحفاظ على الامن بالبلاد سلمت قيادتها لاحد ضباط الانجليز وهو بيكر باشا (Valentine Baker) وكان قبل في خدمة الدولة العثمانية ثم جعل أيضاً مقنناً عاماً بالبوليس (١٨٨٢ م) وكان جنود الجندرية يومئذ ٢٠٠٠ من الخيالة و ٣٠٠٠ من المشاة ورجال البوليس ١٩٣٠ نفر اي بينهم نحو ٨٠٠ أوربي وكان على البوليس والجندرية خلاف بيكر باشا عدة ضباط من الانجليز منهم الكونستانت كولس بك وهرفي بك وجونسون بك وفينك بك وشارلس بيكر باشا وفي سنة ١٨٨٣ داهم القطر الهواء الاصفر وكان أول ظهوره بدمياط ومنها امتد الى داخل القطر واتخذت الحكومة التحوطات الصحية الواجب عملها في مثل ذلك واعنت بأمر الصحة والنظافة ولما كانت عمالها اوربياً يخاف من سريان هذا الداء اليها من مصر لكثرة مخالفتها التجارية مع مصر أرسل بعض دولها أطباء للبحث عن ماهية هذا المرض وكيفية سريانه وفتكده وعلاجه وكان من هؤلاء الاطباء الدكتور كوخ الالماني والدكتور سميسون الانجليزى والدكتور وترىو الفرنسي وقد بلغ مقدار من ما توأ به هذا الرباع بمسبب التقارير الرسمية نيفواستين ألف أسمة هذا ولما أرادت انكثره تغيير خطتها في مصر عينت قنصلها العام السير أدارد مالت سفيرها في برلين وجعلت مكانه بمصر السير افلن بارنج (Sir Evelyn Baring)

فخضر في سبتمبر من سنة ١٨٨٣ وكان قبل مدير المالية الهند بعد انفصاله من عضوية صندوق الدين المصري (٢٢ يونيو سنة ١٨٨٠) وكانت وقتئذ ثورة المهدي في السودان قد اشتد أمرها بعد فقد جيش هكس باشا (Hicks) (١ أكتوبر ١٨٨٣) كما سئذ كره في محله فدخلت المسئلة السودانية في دور خطير وأشارت يومئذ الحكومة الانكليزية على مصر بالتخلي عن السودان فلم يقبل المرحوم شريف باشا رئيس النظر ذلك اصلا لعدم لزومه وقال بإمكان اخضاع السودانين وأن في ترك السودان المصائب الكبرى على مصر وقد حققت الايام قوله ولكن سياسة إنجلترا ومنافعها وقتئذ كانت ترغب ذلك وبقي شريف باشا مصر على رأيه أياما لاسباب منها ان مصر لا يحق لها ان تنازل عن مقدار شبر من أرض مصر والبلاد الخاضعة لها ومنها ان التنازل يزيد في الثورة ويشجع القاطنين بها وغير ذلك وبما جعل شريف باشا متمسكا به هذا هو ان المرحوم توفيق باشا أشار عليه بقبول التخلي عن السودان ومنها ان المحتلين يريدون ان الوزراء يقبلون نصائحهم بلا تردد أو معارضة كما يعلم من صورة استعفاء شريف باشا الذي أدرجناه بأسفل الصحيفة (١) وكلف الخديويونو بارباشا بتشكيل وزارة جديدة بشرط قبول ما أشارت به انكتره وهو اخلاء السودان وابقاء سواكن للحكومة فقبل (١٠ يناير سنة ١٨٨٤) وصار نوبار باشا رئيسا للنظر وناظر الحقتانية والخارجية ومحمد ثابت باشا للدخلية وعبد القادر حلمي باشا للحرية والبحرية ومصطفى فهمي باشا للمالية وعبد الرحمن رشدي باشا للاشغال العمومية ومحمود باشا الفلكي للعارف العمومية ثم استدعت الحكومة غير دون باشا بناء على مشورة إنجلترا وكافته بالسفر الى السودان لاختلائه من الموظفين والجنود المصرية وارجاعهم الى مصر وفي تلك الاثناء قابل الموسيو وادنجتون سفير فرنسا في لوندن ولورد غرنفيل وذا كره في مسئلة السودان ومن جهة ما أخبره به بناء عن رأى دواته انه يلزم أن تبقى الاقطار السودانية تابعة لمصر بالصفة التي أسستها الامانات السلطانية في أيام المرحوم محمد علي باشا لانه لا يمكن لدولة فرنسا ان ترى ملكة مجاورة لمملكة كاتابا بقرية على اصول جديدة اه ورأت الدولة العلية السلطانية يومئذ ان المسئلة المصرية يلزم أن تكون مسألة تستترك فيها جميع الدول وقال لورد غرنفيل في خطاب تلاه في مجلس النواب في شهر فبراير من سنة ١٨٨٤ ان الخطر طوم لما كانت مفتاح مصر كان من الضرورة انها الان تقع تحت أيدي المتهددين وقال أيضا جوابا عن سؤال لورد سايسبري انه ليس للسودان أهمية لانكتره ولا للهند ولا لمصر وانه ليس في عزم انكتره أن تلحق مصر بها ولكن عزمنا لو طيده وان لا يخرج عساكرنا منها فقبل أن نؤسس فيها حكومة وطيدة راسخة وكذلك لا يمكننا أن ندير مصالح مصر في لندرة ولكن نرسل اليها رجالا أهمل دراية وممارسة ومن المحتمل ان

(١) بعد الديباجة - قد اقترحت علينا دولة ملكة انكتره المعظمة أن تخلي السودان وليس لنا حق في فعل ذلك لان هذه الولاية من مستلكات الدولة العلية التي فوضت وقايتها الى عهدتنا وتطلبت دولة الملكة أيضا أن تقتدى بنصائحها بدون مذاكرة فيها ولا يخفى ان هذه الاقتراحات مخالفة لتفحوى النظمات الشورية الصادرة في ١٨ من شهر أغسطس سنة ١٨٧٨ التي نص فيها على ان الخديوي يجري أحكام البلاد باسترا كما يعنى النظر قبناه على ذلك فسطر هنا الى أن تطلب من مقامكم العالي أن تقبلوا استعفاءه لانه لا يمكن لنا والحالة هذه أن ندير البلاد على اصول

ظروف الاحوال توجهنا الى أن نزيد مدخلة في احوال مصر ومع هذا فان هذا الامر لا يغير
تصريحنا الاساسية المبينة على بقاء مصر كما هي بالنسبة الى علاقتها مع الدولة العلية اه
ولما كانت الحكومة الانكليزية لم تتدخل بعد في ادارة مصر الداخلية بصورة فعلية ثم عن لها
الآن ان تتدخل عينت المستر كليفور دلويد (Clifford Lloyd) وكيلاً لنظارة الداخلية بمرتبة
عظيمة وكان رجلاً جافاً الطباع حاد المزاج قال عنه صاحب مصر للصيريين انه أدخل في وظائف
الحكومة المصرية عدداً كثيراً من مجانسيه وكان منه أن تطاول بعد ذلك الى الاستبداد بالرأى
والاستقلال في العمل بانفاذ ما يريد واجراء ما يشاء من غير استشارة مجلس النظار فوقع بينه وبين
نوبار باشا رئيس النظار من أجل ذلك خلاف شديد واستحكمت النفرة بينهما بحيث كاد رئيس النظار
أن يستعفى من منصبه اه ولما حدث الخلاف المذكور تدخل السير افلن بارنج في أمره واستقر
الرأى على بقاء نوبار باشا في منصب رئاسة النظار وبقاء المستر كليفور دلويد في وكالة الداخلية
مشروطاً عليه أن لا يتجاوز حدود وظيفته وكان ذلك أمراً مؤقتاً لانه بالرغم عن حصول هذه التسوية
بقيت النفرة متمكنة بين الرئيس والوكيل ولهذا أرسل نوبار باشا صهره نجران باشا ووكيل الخارجية
يومئذ الى انكلترة ليكلم المستر غلادستون رئيس وزارتها فيما يأتيه وكيل الداخلية المذكور من
التعديت التي أدت الى نفور زائدينه وبين الموظفين الوطنيين ثم سافر السير بارنج الى لندنه ويقال
ان سفره يومئذ كان بطلب حكومته للاستعلام منه عن ذلك وبعد أيام قلائل استعفى كليفور دلويد
من منصبه بايعاز من حكومته ثم اجتمع نوبار باشا في عزل من بقي في نظارة الداخلية من الموظفين
الانكليز فصد أن لا يكون للوكيل السابق اترقيها وكان استعفى أيضاً محمد ثابت باشا ناظر الداخلية
لانهم يقبل أن يكون آله في يد كليفور دلويد وأحيلت نظارة الداخلية موقفاً على نوبار باشا ثم أحيلت
نهاً على عبد القادر باشا حلي ناظر البحرية والبحرية (٢٧ مارث سنة ١٨٨٤)

وكان وقتئذ مصر على الانكليزية في مصر عامان ولما رأى الباب العالي وفرسان انكلترة آخذة مع
الزمن في تثبيت قدمها في مصر فتحاباب المسئلة المصرية وكان ذلك في عهد وزارة جبول فسرى
الفرنسوية (Jules Ferry) وقامت الجسرا انكلتزية تجرض حكومتها على وضع حاجيتها
على مصر فاستاء الباب العالي جدا لظهور هذا المقصد الجديد من خلف الحجاب وأخذت المخبرات
بينه وبين الدول دوراً عظيماً ولم تهدأ الافكار الابعدان أعلنت وزارة غلادستون رسمياً عدم صحة هذا
الامر هذا وكانت المالمية المصرية قد أصابها في خلال تلك الحوادث عسر من كثرة المصر وفات
فاقترحت الحكومة الانكليزية (١٨٨٤) عسدمؤتمراً للنظر في مسئلة مصر المالمية فقبلت
الدول هذا الاقتراح الافرنساقفان انفردت في رفضه وعدم الموافقة على عقده في بادئ الامر وطلب
الباب العالي أن لا يكون بحث المؤتمر قاصراً على مسئلة واحدة في مسائل مصر بل يجب أن يتناول
سائر الاعمال الجارية في مصر فماعت انجلترة في ذلك ووافقها بعض الدول وكانت انكلترة وقتئذ
صرحت (يناير ١٨٨٤) ببناء على طلب دولة النمسا والمجر أنها لا تنوى قط ضم مصر الى ممتلكاتها
أو وضع الحماية عليها وقام لورد روبي بعد ذلك في مجلس النواب البريطاني مؤكداً تلك التصريحات
قائلان السبب الوحيد لتأخير جلاء جيوشنا عن مصر هو مسئلة حرب السودان ومع ذلك ففي أقرب
مناسبة سنفي عما وعدنا به لاننا قلنا علناً بأن دخولنا الى تلك الديار ليس بقصد المكث بها ثم اتفقت

المانيا وأستراليا وابطالبا والروسيا والدولة العلية على عقد المؤتمر المذكور في لندن وجعلوا سفراءهم
 هناك نوابا عنهم وكان رأسهم أرل غرنفيل ناظر خارجية إنجلترا وكان أول اجتماعهم في يوم ٢٨
 يونيو من سنة ١٨٨٤ وقد أقاد هذا المؤتمر مصر كثيرا لأنه تقرر لها فيه ميزانية أصلية وتقرر فيه
 أيضا أنه إذا مضت ثلاث سنوات من تاريخ فقرار المؤتمر واستمرت المالية المصرية معرضة لخطر
 الافلاس تشكل لجنة دوائية مالية لتتظرف في المسئلة وترفع أيدي الانكليز من العمل وبما استفادته
 مصر من المؤتمر المذكور أيضا اتفاق الدول فيه على أن الاور وبا وبين القاطنين الديار المصرية
 يجب عليهم دفع عوائد المبانى وعوائد التمتع اسوة بالمصريين وأخذت الحكومة في مصر من
 وقتئذ تم باصلاح أحوال ماليتها الساكنة مسلك التوفير فألغت كثيرا من أقلام الحكومة وعزلت
 كثيرا من المستخدمين المصريين خوفا من تشكيل اللجنة الدولية التي هدد المؤتمر الانجليز بان عقادها
 إذا لم يحصل نجاح في المالية وبما اتخذ من التدبيرات لم تمض سنتان حتى ظهرت نتائج الاصلاح المالى
 وكان السيد كرفنسنت (Edgar Vincent) تعين مستشارا للمالية بدل السيد اوكند كلفن الذى
 رفته دولته وجعلته ناظرا لمالية الهند فأخذ المستشار الجديد بذل غاية جهده في تقليل النفقات
 ما أمكن لاصلاح المالية وكانت ايرادات الحكومة في سنة ١٨٨٣ تبلغ ٨,٣٥٠,٠٠٠ جنيه
 مصرى ونفقاتها العادية ٨,٦١٧,٠٠٠ جنيه والغير العادية ٥٧٤,٠٠٠ جنيه فيكون
 النقص ٩٣٠,٠٠٠ وبذلك كانت حالها قريبة من الافلاس وشرع المستشار أيضا في استبدال
 معاشات المتقاعدين فاستبدل الكثير منهم معاشاتهم ما يبلغ من النقود أو أطينان يوازي عنها قيمة
 المعاش المستبدل ثم رأت الحكومة بعد ذلك ان استبدال المعاشات لا يكون إلا بأراض أميرية فقط
 سواء كانت من أراضي الدومين أو الاملاك الحرة لتخفيف قرض روتشلد السابق الكلام عليه
 وبذلك تضرب على الاراضى المعطاة في نظير المعاش خراجا سنويا لان اراضى الدومين التي بالمديريات
 الغير مملوكة ايرادها لصدوق الدين لا تدفع الدومين عنها خراجا فزادت بذلك ايرادات نوعا
 ثم رأت الحكومة الانكليزية وقتئذ ان ترسل من طرفها مندوبا عاليا آخر الى مصر لينظر في
 المسائل المالية وأحوال الادارة الداخلية ليطمئن قلبها ويستريح بالها مما تخشاه من مداخلة الدول
 الاورباوية فأرسلت في أوائل سبتمبر من سنة ١٨٨٤ (القعدة ١٣٠١ هـ) لورد نورثبروك
 (Lord Northbrook) ثم قدم معه بواقاض مسلم من قضاة الهند يدعى سميع الله خان انتخبه
 ليكون شريكه في المهمة التي عهد بها اليه فأخذ هذا المندوب في الاهتمام بما أتى من أجله وهو انقاذ
 الجزائر غوردون الذى كان بعث الى الخرطوم لاختلال السودان من الحاميات والموظفين المصريين
 وكان المهديون حاصروه في الخرطوم ومنعوا عنه المواصلات مع الخارج وفي تقريره ووقية
 لعلاقات مصر مع السودان ويجابد طريقه لضمان قرض يعقد لاداء تعويضات الذين أصابتهم
 انفسا من تجار الفريج وغيرهم أثناء الثورة العربية والبحث في الوسائل الصحية لارضاء خواطر
 الدول البحرية بأن يجعل في مصر ادارة مستقلة بذاتها لذلك فأخذ يوط في البلاد المصرية شمالا
 وجنوبا ويقابل رجالها ووزرائها ويستطلع أفكارهم وزار أيضا القاضى الهندى العلماء والفقهاء
 وحادثهم طويلا في أمر البلاد ثم بعد ان قضى المندوب المذكور أياما في مصر عاد الى بلاده (٢٨
 اكتوبر) وكان مما أشار به الغاه جيش مصر واستبداله بجيش من رجال الشرطة ويقصد من ذلك

ظاهرا توفير المبلغ المقرر لهذا الجيش للخزينة المصرية الا ان الحكومة عارضته في قصده هذا فقبل اعتراضها وتقرر تخفيض الجيش الى ثلاثة آلاف جندي ليقتصد بذلك ١٥٠,٠٠٠ جنيه وقدمت الحكومة مقتررا مطلقا لم يجز قبولها كما رواه صاحب مضر للمصريين وصاحب تاريخ مصر الحديث وغيرهما ومع ذلك فان مصر اتبعت من التفسير والمذكور أشياء كثيرة منها اصلاحات المالية لما اشتد العسر المالي بها ورأت انها لا تقوى على القيام بمصاريفها الكثيرة ما تبذله من النفقات واتخذت لذلك عدة طرق عادت عليها بالفرج بعد الضيق منها توقيف استهلاك الدين وقتيا الامر الذي عارضت فيه الدول وفي مقدمتهم فرنسا واحتجت ورفع كلاؤهما في صندوق الدين دعواهم الى المحاكم المختصة في القاهرة وكان لذلك رجة عظيمة ولكن ما لبثت ان سقطت الدعوى واندمج الاحتجاج بالحكمة التي تمكنت بها الحكومة من القيام بتعهداتها وهو سرعة استئانة ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات (١٨٨٥ م) دفعت منها تعويضات الاسكندرية وسدت بالباقي العجز الذي حصل في ايرادات السنين السابقة ثم استدان مليوني جنيه أيضا لاصلاح الري وفي سنة ١٨٨٦ لما نقصت مصاريف السودان دخلت المالية المصرية في دور جديد من الراج خصوصا لما قبلت الدول في السنة المذكورة اجراء تسوية جديدة للدين الممتاز والدين الموحد ودين الدومين ودين الدائرة السنوية فتغيرت كيفية الاستهلاك بما يناسب أحوال مصر وفي سنة ١٨٨٧ زادت الايرادات كثيرا بالغاز راعة التبغ البلدي من بلاد مصر والغاء الرافقي بين مصر وبلاد الدولة العلية واحتكار التبغ لمدة عشر سنوات بشرط ان يدفع المحتكر للحكومة نصف الارباح متى زادت المقطوعة السنوية عن ثلاثين ألف كيلو غرام هذا غير مبلغ رسم الاحتكار وغير ذلك من الموارد التي زادت بها ايرادات الجمارك ولما كان للرحوم اسمعيل باشا وعائلته مبلغ على الحكومة وكانت تسويبتا تعود عليها بالربح تخابرت معه بخصوص تسويبتا فقبل وجعل بالتوكيل عنه وعن عائلته شخص يدعى المستر ماريوت من كبار رجال الانجليز (Mariott) وكانت تلك المطالب تبلغ ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الليرات المصرية وأصلها الاموال التي أنفقها هو وعائلته على الاراضي التي تخلى عنها الحكومة المصرية فقصنتها والمرتب الذي تقرره عند تنازله ومكافأة مالية على تركه للحكومة بقية الاراضي والسرايات والقصور بما فيها من الاباث والامتنعة الثمينة التي استولت عليها الحكومة (١٨٨٠ م) وعن الدواب التي استولت عليها الحكومة عند استيلائها على الاراضي التي تركها لها وغير ذلك وقد ربحت المالية من هذه التسوية ما يزيد عن ٢٢,٠٠٠ جنيه مصري سنويا وأعطت الحكومة لاسمعيل باشا وعائلته أطمينا من أملاكها بما قيمته ٢,٢١٠,٠٠٠ خص الخديوي منها ما يساوي ٥٦,٠٤٠ جنيه مصري اماما تبقى له وللأمرء والاميرات أن يجعله فانه

صرف لهم نقدا واوراقا مالية

ومن الاصلاحات التي تمت في المدة المذكورة أيضا تشكيل مصلحة الصحة العمومية وكانت هذه المصلحة من عهد الرحوم محمد سعيد باشا برأسها كلوتشي باشا (Cloutci) (١٨٦٠ - ١٨٧٥) ثم خلفه فيها تروتسي بك (Nourotei) وكانت يتبعها مصلحة الكرنينيات ثم انفصل مجلس الكرنينيات عن مجلس الصحة العمومية فأضحى كل منهما ادارة خاصة ولما صدر الدكرتينو الخديوي في ٨ فبراير من سنة ١٨٨٦ بتشكيل مصلحة الصحة العمومية بمصر المحروسة تكون

تابعة لنظارة الداخلية جعلوا فيها اللجنة الصحية تشكل من ستة أعضاء تحت رئاسة الرئيس للنظر والبحث في كافة المسائل المختصة بأمر الصحة العمومية (٢٧ ديسمبر ١٨٩١) وقد أجزت هذه المصلحة عدة اصلاحات ضرورية لفائدة البلاد فحسنت حالة المستشفيات القديمة وشيدت غيرها وأوجدت لها صيدليات حسنة في عموم الأقاليم وغير ذلك وتعين لادارتها العامة أولاجرين باشا ثم خلفه روجرس باشا (٢٧ ديسمبر من سنة ١٨٩١)

ومن الاصلاحات المهمة أيضا الري وتعميمه وهي من أمهات المسائل التي اعتنى بها المرحوم محمد علي باشا كما سبق لشدة لزومها بالبلاد مصر وكان من أجل تسهيل الري شق ترعة عظيمة تعرف برباح الشرق أو الرياح التوفيقية وتخرج من عند القناطر الخيرية بجوار الراحين القديمين وهما رياح المنوفية ورياح الغرب واعلم انه لما انتظمت نظارة الاشغال العمومية وصارت نظارة مستقلة في زمن الخديو اسمعيل باشا وضع مهندسوهايين وطنيين وفرانسويين عدة مشروعات بحسبة لتحسين حالة الري بالبلاد وجعله على قاعدة عادلة الا انه لم ينفذ معظمها لعدم المال التي ما تعين عليها المرحوم علي مبارك باشا أخذتهم في تنفيذ الكثير من المشروعات القديمة والحديثة كتروميم المباني واصلاح ما يحتاج للاصلاح من الترع الكبيرة والصغيرة وانشاء القناطر والسدود الكثيرة التي ورد ذكرها في تقريره المقدم منه عن أعمال سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٢ ووسع أيضا وقتئذ نطاق مصلحة التنظيم واصلاح الطرق ولما استقال روسو باشا الفرنساوي من نظارة الاشغال تعين مكانه الكولونيل سكوت مونكريرف (Scott Moncreff) (٢٢ يناير ١٨٨٤) وقد أخذ هذا المهندس في اجراء ما به تحسين حالة الري في القطر المصري وكتب عن ذلك تقريراً طويلاً بلجاهاً ولازم من الاعمال لاصلاح ترع القطر وقناطره ووزع اجراء تلك الاعمال على خمس سنوات مقبلة فأقرت الحكومة عليه وزادت في ميزانية الاشغال مبلغاً وافراً وخصصت لاصلاح الري مائة الف ليرة كما سبق ولم يكن يعرف عنها هذا الكرم في الايام السابقة وهو ما ساعد عمال الانجليز على اتمام كل مشروعاتهم في زمن وجيز ومن الترع التي تم انشاؤها في هذا العهد المذكور ترعة بنى عامر بالشريعة بقصد اتصال مصرف أبي الاخضر بترعة أم سلمة واتصال هذه ببحر موبس وترعة بجهة شبين القناطر لاتصال الترع الشبينية بترعة الاسماعيلية وترعة جديدة تصل ترعة فارسكور بالبحر الصغير وترعة على الشاطئ الايسر لفرع رشيد بجهة العطف لري الاطيان الواقعة بين النيل وبحيرة اداكوت ثم الترع النوبارية لري الاراضي البائرة التي وهبها الحكومة للاهالي بقصد زرعها وهي التي صدر بها أمر عال (١٨٨٤) هذا أما القناطر فمنها قنطرة موازنة لقم بحر موبس وهو ليس بفصل ترعة الشريعة وسدبها وقنطرة موازنة بقم ترعة المنصورة وآخر بترعة البوهيمية وقنطرة بترعة أم سلى وغير ذلك من الاصلاحات وهذه الاصلاحات وان أفادت مصر كثيراً كما هو الحق وكانت سبباً في احياء قدر وافر من الاطيان الا انها كانت غالية الثمن على مصر وتعين لهذه الاعمال عدة من المهندسين مثل المستر جارستن (Garstin) والمسترويلككس (Willcocks) والمسترفوستر (Foster) والسكايتن براون (Brown) والميجر روس (Ross) وغيرهم وكانوا بوظيفة مفتشين للري في المديرية وقد بذل هؤلاء المفتشون الجهد بمساعدة مهندسي الوطنيين حتى أفضت مصلحة الري الآن من أهم المصالح وأكثرها منفعة لمصر ومما يذكره مقررنا بالسكر في هذا الباب أن الحكومة

ألغت تفضير الاهالى في حفر الترع وعمل الجسور كما كان يحصل سابقا وجمعت ذلك في مقابلة
أجرة معلومة وكان هذا الالغاء بصدور أمر عال من المرحوم توفيق باشا في ١٩ ديسمبر سنة
١٨٨٩ م (١٣٠٧ هـ) وبذلك تخلص المصريون من أثقل حمل كان أبناؤهم يتنون تحته
من عهد الفراعنة ووضعت الحكومة للرعى قانونا خاصا به لا يزال العمل به وجبهه للآن

ولما كانت أعمال الرى لا تزال محتاجة لمبالغ كثيرة غير ما صرف صدر أمر خديوى سنة
١٨٨٦ بتخصيص مبلغ مليون جنيهه ليصرف في سبيل أعمال الرى الصناعية وتعيين الكولونيل
وسترن (J. H. Western) مديرا عامال هذا العمل ومعه ثلاثة من مهندسى الانجليزية وغيرهم
المستريد (Ried) والمستردمستر (Dempster) والمسترجلى (Algie) وكان أول
مأثر عوافيه تقوية القناطر الخيرية لاحتياجها الى ذلك وكان روسو باشا مديروم الاشغال قال
في تقريره سنة ١٨٨٣ صدق عليه المرحوم على باشا مبارك ناظر الاشغال وقتئذ ان القناطر
الخيرية لا يتيسر استعمالها لجزئيات جسمية من المياه الا اذا صار تجديد الترميمها وقد أصاب في قوله
لانه بعد اصلاحها احتاجت الى الترميم ولا يزال تصرف عليها الاموال الكثرية لآن سنويا وما
أجرة النظارة المذكورة غير ما ذكر انشاءه وليس بمجهة المنصورة وآخر على بحر القاصد بالغبية
وتوسيع عدة ترع بمديرية الشرقية ولكن بالاكثر من شق الترع وتحويل مياه النيل اليها قل الماء
بانيل قال السير كولونيل منكرىف المشرعنا في توزيع المياه على الترع بواسطة القناطر الخيرية لم يبق في
النهر الا قليل من الماء حتى تعسرت الملاحه فيه مدة أربعة أشهر تقريبا والآن قد انتهت عمل ترعتين
صالحتين للملاحه احدها ما توجه الى العاصمة من المنصورة ودمياط والأخرى الى الاسكندرية
وانتهت عمل هويس الترع الثانية (١٨٩١) وبذلك وجد خط صالح للملاحه يبلغ طوله سبعين
ميلا في وسط الدلتا تتفرع منه ثلاثة خطوط ملاحية طولها ٤٣ ميلا منها ٣٠ ميلا تنكفي
اسفر السفن الكبيرة وترعة شين التي هي أحد الفروع الملاحية القديمة القليلة ثلاثون ميلا سير
السفن الكبيرة أيضا وجرالآن بناء أربعة هويسات جديدة جهة البرارى ذات بوابات كبيرة
لتسهيل الملاحه اه

ومن الاصلاحات التي لا تنكر فائدتها أيضا السكك الزراعية التي صدر بانشاءها أمر عال في ٢٦
فبراير من سنة ١٨٩١ حيث سهل بها النقل وانتشر بين البلاد الامن ومن الاصلاحات والتجديدات
التي تمت في عهد المرحوم توفيق باشا واقتضتها ظروف الاحوال انشاء المحاكم الجزئية في أنحاء القطر
وانارة بعض المدن الريفية بزيت البترول ومداسلاك التليفون بالمدن الكبيرة وانشاء عدة خطوط
حديدية وشراء كثير من الزابورات وعربات السكك الحديدية وتخفيض أجرة النقل في السكة
الحديدية والتلغرافات مما عاد على الاهالى بالتسهيلات وعلى المصلحة بزيادة الإيرادات وتوسيع نطاق
البوستة بالاتفاقيات الدوائية التي عقدت بين الحكومة وباقي الدول وادخال الاصلاحات الجمة فيها
فزادت إيراداتها وعظمت أعمالها حتى أصبحت تفوق نظيراتها في كثير من الممالك الاوربانية
ومن الاصلاحات المفيدة المهمة أيضا تنظيم حالة السجنون وقد جعلت لها الحكومة ادارة خاصة
عهدت برئاسة الدكتور هنرى كروشنك باشا الانجليزى (Henry Crookshank) (١٨٨٣)
فأوجد لها نظاما بديعا وشيئ منها عدة بيجهات القطر وأدخل فيها صنائع كثيرة لتشغيل

المسجونين حتى لا يكونوا مدة مجتهم بلا عمل وليتعودوا على حب الكسب وترك أسباب الفساد ومن الصنائع التي أدخلت بها عمل الحصر وغزل القطن وعمل الاحذية وأطقم الخليل وغير ذلك وكان هذا النظام أول موجد له عصر المرحوم محمد علي باشا فيما كان يعرف باسم الاصلاحية الا أنه كان ناقصا كثيرا سيما وقد أهمل مدة من خلفه على أريكة مصر وأرادت الحكومة في ذلك الوقت وضع قانون عام للجرائد والمطابع والمطبوعات لئلا يسهل من التسيب بداء أعمالها الجارية على غير نظام سيما الجرائد الاجنبية وعلى الاخص الفرنسية منها واهتمت بذلك كثيرا وأرسلت الى باريس تفران باشا والى لندن المستر ويست لخبايرة حكومتهم بما في شأن ذلك فرفضت فرنسا الا بشرط محاكمة أصحاب تلك الجرائد بالمحاكم المختلطة أما إنجلترا فانها أظهرت ارتياحا لذلك والحمد لله على ما تم لانه لو نجحت الحكومة في مشروعها لاصبحت الجرائد المصرية الآن مقيدة تقييدا لا ترى الحق منه الا من سم الخياط والفضل في هذه المسئلة وغيرها عائد بلا شك على اشتباك مصالح أوروبا بمصر ومنازعاتها التي وان كانت عمادت على مصر في بعض الاحيان بالمضار الا أنهم افادتها كثيرا وفي سنة ١٨٨٥ أرسلت الحكومة الانجليزية الى مصر مندوبا عاليا لدرس الاحوال المصرية ووضعها على قاعدة تناسب المصالح البريطانية ولما عرضت الدولة العثمانية على ذلك أجابها إنجلترا بأنه أخون مندوب انجليزي يأتي مصر وهذا المندوب هو السيد رومندولف (H. Drummond Wolff) فقصدا الاستانة أولا ليتفق مع الباب العالي على ما يختص بأمورته وكان هذا اللورد من المشهور عنهم الميل للدولة العثمانية وبعد ان تشرف بمقابلته مولانا السلطان أخذ يتباحث مع كل من الوزير بن محمد كامل باشا وعاصم باشا بخصوص مصر وكان أقصى آمال الدولة العثمانية أن تضرب لانكتره أجل للخروج من مصر ولكن حصل في خلال ذلك قيام أهالي الروم ابلى الشرقية وطلبهم الانضمام الى امارة البلغار فارتبكت الدولة وأعلنت الدول كعادتهم بالروم عقد مؤتمر في الاستانة لانظر في هذه المشكلة الحديثة التي حركتها الدساتر الاجنبية في الوقت الذي قامت فيه الدولة لتسوية المسئلة المصرية فأسقط السلطان صدارة سعيد باشا ووجه مسند الصدارة الى كامل باشا وعقد المؤتمر وحسمت النازلة بأن قبلت الدولة بلا كراهة ادارة الروم ابلى الشرقية على أمير البلغار وكان ذلك من حسن نظر مولانا السلطان وبصيرته بالعواقب كما يعلمه كل واقف على حالة الدولة امام أوروبا سيما في الوقت المذكور وهذا وكانت المخبرات توقفت طبعيا بين الباب العالي والسيد رومندولف ثم عينت الحضرة السلطانية كامل باشا ومحمد عارف باشا الاستئناف المخبرات معه فتمت بوضع أساس لاصلاح الادارة المصرية تتكون به فادارة على السيد وحدها من غير قريب وان تعقد مع السودانيين تسوية ملائمة لهم عند الامكان وأن لا يرسل الى مصر جنود عثمانية بل يتظم الجيش المصري وأن تستمر الفرمانات السلطانية نافذة مرعية كما كانت ومتى تم تنفيذ هذه الاصلاحات جميعها خرج الجيش الانكليزي من مصر وكتب بذلك اتفاقية بين الطرفين ترى صورتها بأسفل الصحيفة (١) (٢٤ أكتوبر ١٨٨٥) وعينت الدولة مع السيد رومندولف

(١) اتفاقية ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ المذكورة (أولا) ترسل كل من الدولة العثمانية وانكتره مندوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتقدم المندوب العثماني متفقا مع جناب الخديوي أو مع من يعينه هو وهذا الغرض المبين في الوسائط النافعة لتسكين السودان وتفاوض المأموران والخديوي في جميع التدابير التي يمكنها تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراءها برضا الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان العاليان ومعهم الخديوي

مندوباً عاليها عنهم هو الغازي أحمد مختار باشا ولما حضر الى مصر وكان حضوره بعد مضي شهر من حضور المندوب الانجليزي أخذ يجتمع به ويبادل النظر والرأى في جلسات كانت تعقد تحت رئاسة المرحوم محمد توفيق باشا ثم وضع الغازي مختار باشا لائحة لتنظيم الجيش المصري قال فيها تأليف الجيش المصري من ١٦,٣٠٠ جندي منهم ٢,٠٠٠ لحماية سواكن و ٤,٠٠٠ يكونون بالوجهين القبلي والبحري و ١٠,٣٠٠ للدفاع عن الحدود المصرية وقال ان وادى حلقا لا يصلح أن يكون حشد للتخوم بل يجب التقدم الى مديرية دنقله وجعل نفقات هذا الجيش ٣٥٠,٠٠٠ جنيهه مصري ثم وقع اختلاف بين المندوبين بخصوص مسئلة ضبط الجيش المصري فكان من رأى الغازي مختار باشا أن يكون الضباط اتركا ومصريين كما كان سابقا وخالفه السيردر ومندولف وأوجب انتخابهم من الانكليز ولم يقتصر الغازي مختار باشا في تقريره على الجيش بل ضمنه أقوالا أخرى تختص بفرع الادارة المصرية ولما رفعه الى الدولة اعترضت عليه دولة انكثرة ورفضته بجملة وخصوصا لقول الغازي بأن الاولى أن يستخدم المال الذي تصرفه الحكومة المصرية من خزائن اعلى جيش الاحتلال في الجيش الوطني وقد كان أصحاب النظر يرون حتى قبل حضور المندوبين الى مصر ان إنجلترا سترفض ولا شك كل رأى يرثيه المندوب العثماني لامور منها حب الاستئثار بأموار مصر ومنها ان كل ما يقرره المندوبان والخديوة أو من يعينه يجب أن يكون باتفاق الجميع كالوارد بالاتفاقية المتقدمة ولما سقطت وزارة غلادستون المعروفة بوزارة الاحرار (١٨٨٥) وتولت وزارة الماركيز سلسبورى (Marquis of Salisbury) المعروفة بوزارة المحافظين استدعت انكثرة معتمدها من مصر وبقى الغازي أحمد مختار باشا وسقوط وزارة غلادستون يشعر بأن إنجلترا غيرت خطة سياستها في المسئلة المصرية ووجدت مسوغا لحل رباط الاتفاقية السابقة كما يعلم مما يأتي ثم ألح الباب العالي بواسطة سفيره في لوندن رستم باشا على سلسبورى بأن يعين زميلا لانجلاء العساكر الانكليزية عن وادى النيل (يناير ١٨٨٧) فأرسلت انكثرة وقتئذ السير هنرى درومندولف ثانية الى الاستانة (فبراير) وبعد أن تشرف بمقابلة السلطان أخذ يتذاكر مع كامل باشا وسعيد باشا ثم طلب من الصدر الاعظم كامل باشا أن يكون أساس المفاوضات على أربعة أمور وهي (أولا) استقلال مصر تحت سيادة الجنب السلطاني والغاء العهود والامتيازات القنصلية (وثانيا) أن تكون حالة مصر من قبيل الحيادة على مثال بلاد بلجيمقا (ثالثا) حرية المرور من قنال السويس زمن الحرب والسلم (رابعا) اخلاء إنجلترا لمصر بعد أن تجتمع الدول على وجوب ذلك أما الدولة فلم يكن منها الا رفض هذه الشروط رفضا باتا لا يحقها بحقها بالمرة طالبة قبل كل شئ تحديدها من

اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان العاليان مع الخديوة في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن لهم أن يدخلوا التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة القرمات السلطانية (خامسا) يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذا لم تكن مغالفة للامتيازات المضمنة في القرمات السلطانية (سادسا) عند ما يرى المندوبان العاليان ان هناء الحدود استقر وصارت -هذه الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها ارضيا يقدم كل منهما تقريرا الى دولته له - فقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية بالبلاد المصرية في وقت مرضى (سابعا) يقع امضاء هاته المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوما وتكون مبادلتها مضمونة في القسطنطينية اه

الانحلاء وكتبت الدولة عن ذلك الى انكتره المحرر المذكور صورته بأسفل الصحيفة (١) وبعد مخبرات بين السيرونف والمركيز نلسبورى عرضت الدولة الانكليزية انفاقا آخر جعلته أساسا للخبرة (٢) ثم اقترحت الدولة بعض شروط رامت ادخالها على ماسيعقد من الاتفاق بين الدولتين وأهمها أن الدولة العلية هي التي يحق لها دون سواها ارسال جيش الى القطر المصرى لاعادة الراحة اليه لى حدوث فتنة فأظهر ناظر خارجية انكتره الميل الى النظر في ذلك وكان مندوب انكتره يطلب من وكلاء الدولة في الباب العالى قبول الحيادة واستئناف الاحتلال الانجليزى أما الدولة فطلبت أن تستبدل لفظه الحيادة بلفظتى أمنية البلاد وقال ناظر خارجية انكتره في جوابه انه متى توفر هذان الشرطان يعنى الحيادة واستئناف الاحتلال فان انكتره تسحب عساكرها من مصر في زمن معين وان عدم تصديق الدول على الوفاق الجديد يمنع الحصول على أمنية البلاد واذا اتفقنا على اخلاء مصر بدون تصديق الدول فنكون قيدا نأفلسنا وأطلقنا الحرية التامة لبقية الدول ولما كانت سياسة روسيا تضاد كل اتفاق يحصل بين انجلترا والدولة العلية كما أن سياسة انجلترا تضاد ذلك بين روسيا والدولة العلية لتبقى منفردة تقابل في ذلك الاثناعشر مسيو نيلدوف (Nelidow) سفير روسيا في الاستانة

(١) انه طبق للوفاق المبرم ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ بين الباب العالى ودولة برطانية العظمى قد أنجز مندوبان العاليان اللذان توجهتا الى مصر مأمورين بها ورعا عنها تقاريرهما ومنها يظهر ان الامن قد استتب في ربوع السودان على قدر الامكان وان الجيش المصرى قد تألف حسبما سمحت به ميزانية البلاد وان الادارة المصرية جارية على محور النظام ما عدا الادارة المدنية والمحاكم وما ذلك الا بالنظر للامتيازات القنصلية وطبقا للبند الخامس من الوفاق المتقدم المذكور سيبحث مجلس وزراء (الاصل وكلاء) الدولة ويؤيد في الوقت ذاته المعاهدات المبرمة بين الجناب الخديوي والدول العظام مادامت لا تخيف بالامتيازات التي حصل عليها القطر المصرى بمقتضى القرمانات الشاهانية ولاجل اعادة الجيش المصرى الى عدده الاصلى البالغ نحو عشرين ألف جندي مع اجراء الاقتصاد في فروع الميزانية المخصصة لمصر وقت الادارة العمومية ولاجل النظر في الطرق اللازمة لسوء التصرف الخالى الناجم عن الامتيازات القنصلية والمعدود من الموانع الجسيمة لحسن رفاهية الاهلين حصل الاتفاق على الشروط الاتية لسحب العساكر الانكليزية من القطر المصرى وهى (أولا) اذ دولة جلالة الملكة تسحب عساكرها من مصر والبلاد التابعة لها بعد عام ونصف من تاريخ هذا الوفاق (ثانيا) ان عددا قليلا من الضباط الانكليز الكائنين في الجيش المصرى يقعون في مصر ويبارحونها في مدة عام واحد من تاريخ الانحلاء ويشتغل مكانهم في الجيش المصرى ضباط عمانيون (ثالثا) ان ادارة الحكومة المصرية تثلث مضمونة من الدولة العلية التي تحفظ لنفسها الحق في التدخل العسكرى في تلك البلاد لحماية سلطة الجناب الخديوي واعادة الامن اليها عند اختلاله واذا حصلت فيها مداخلته من الخارج فعساكر الدولة العلية تصدها بالاشتراك مع العساكر الانكليزية (رابعا) بما ان مصر والسودان لا يمكن بقاؤهما منفصلين من بعضهما بالنظر للروابط الطبيعية الموجودة بينهما وبما ان السودانيين لا يمكنهم فرض الطاعة الواجبة عليهم نحو جلالة السلطان العظيم عند ما يجدون المضيق عدله السامى فالدولة العلية ستطلب من الجناب الخديوي أن يختار الوقت المناسب لاعادة السودان تحت حكم الحكومة المصرية اه

(٢) (أولا) تبقى مصر كما هي حسب نصوص القرمانات السلطانية (ثانيا) يبقى خليج السويس على الحيادة وتضمن الدول سلامة مصر (الثالث) تبقى العساكر الانكليزية في مصر مدة ثلاث سنين وعند انقضاءها يلبث الضباط الانكليز في رئاسة الجيش المصرى سنتين (الرابع) لا يخرج انجلترا عساكرها من مصر بعد ختام السنة الثالثة من التوقيع على هذا الوفاق اذا حدث اضطراب جديد في مصر داخلها كان أم خارجيا (خامسا) يحق لانكتره احتلال مصر بعساكرها العثمانية اذا وقع اختلال بها أو حتى أن ترسل دولة أجنبية عساكرها الى مصر (سادسا) تستدعى الدولة العلية وانكتره ببقية الدول للتصديق على هذا الوفاق وتطلبان من الدول اجراء بعض التعديلات في المعاهدات الدولية الختلفة للاجانب في مصر جملة امتيازات اه

مع السير دو رومندوف وسأله عن مبرمخابرات فقال له اذا قبلت الدولة العلية المطالب فانهم تعرض على الدول للتصديق عليها فقال نليدوف للسير ولف ان سياسة الروسيا في مصر سائرة على حفظ الحقوق السلطانية ومنع بقية الدول من الاعتداء على تلك الحقوق والروسيا تعتبر بقاءه انكسرت في مصر بصورة غير قانونية خير من ابرام وفاق م. ستديم. يكون من أحكامه الانحياز بحقوق الحضرة السلطانية وقال له ايضا ان الجناب الساطاني اذا منح دولة الانجليز حق استئذان الاحتمال فيكون قد تنازل لها عن جانب من سيادته على مصر ثم انعمت انجلترا مع الدولة على شروط منها أن تبقى انجلترا بمصر فسرقة من جنودها الاخضاع السودان والدفاع عنه وأن يخرج انجلترا عساكرها من مصر بعدمضي ثلاث سنوات من تاريخ التوقيع على المعاهدة الا اذا حصل في مصر ما يستدعي بقاءها كإغارة خارجية أو ثورة داخلية فانها تبقى به مدة ستين آخرين ثم تجلي تماما كما يجوز لها احتلاله هي والدولة العلية اذا حدث به ما يستدعي ذلك وغيره من الشروط التي وردت بالوافق المذكور المدرج بأسفل الصحيفة (١) ثم وقع كل من كامل باشا الصدر الاعظم وسعيد باشا

(١) بعث الجناب الساطاني العظيم و جلالة ملكة انكلترا وايرلاند و امبراطورة الهند طبقا لاحكام الوفاق المبرم في القسطنطينية بتاريخ ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ بمندوبين عالين الى القطر المصري وعان كلامهما قدم تقريرا الى دولته عما شاهد من احوال وادي النيل فقد استحسن الجناب الساطاني العظيم وملكته انكلترا القيمة أن يبرم وفاقا جديدا طبقا لاحكام اتفاقية ٢٤ اكتوبر المنوطة فافين جلالة السلطان محمد كامل باشا الصدر الاعظم الحائر على نيشان الامتياز العالي الشان والنيشان العالي العثماني المرصع من الصنف الاول والنيشان المجيدي من الصنف المذكور والحائز لياشين عديدة من الدول الاجنبية ومحمد سعيد باشا وزير الخارجية الحائز للنيشان العالي العثماني المرصع من الصنف الاول والنيشان العالي المجيدي من الصنف المذكور مع جملة ياشين أخرى حازها من ملوك أوروبا وبأما مورية خصوصية تتعلق بالمسألة المصرية وعينت جلالة ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهندا الفتيمة جناب السير هنري دو رومندوف مستشار جلالتهم في مجلسها الخاص الحائز لنيشان الصليب الاكبر ونيشان سان ميشيل وسان جورج والنيشان العالي من صنف لبنان في ذات الأمور به بخصوص مصر وبناء على الأمور التي فوضت لعهدتهم اتفقوا على ما هوآت

(المادة الاولى) تبقى القرارات السلطانية المرعية الاجراء في القطر المصري محفوظة على الدوام ما خلا في الاحوال التي يدخل عليها بعض التعديل بموجب الوفاق الحاضر (المادة الثانية) يحتضن القطر المصري جميع الاراضي المنصوص عنها في القرارات السلطانية (المادة الثالثة) تستدعي الدولة العلية جميع الدول الموقعات على معاهدة برلين للتصديق على وفاق يتضمن حرية الملاحة في قنال السويس وتعتزف الدولة العلية بأن يكون القتال المذكور حرا على الدوام ومفتوحا في زمن الحرب والسلام لسير جميع السفن الحربية والبواخر التجارية على اختلاف اعلامها بشرط أن تقوم بدفع عوائد المرور وتخضع لقوانين مصالحة القتال الحاضرة والمستقبل وتتعهد الدول بعدم احدث عوائق لحرية سير البواخر في وقت الحرب و باحترام جميع الاملاك والمحلات المختصة به ويكون من أحكام ذات الوفاق أن لا يسوغ لاحدى الدول أن تبني قلاعا على ضفاف القتال أو أن تجرى عليه أعمالا عنوانية ما لم تكن على بعد مسافة ثلاثة اميال بحرية أي خمس كيلومترات ونصف من بورسعيد والسويس ثم تبين على وكلاء الدول السياسيين الذين يقعون على هذا الوفاق أن اراقبوا تنفيذ بنوده ومتى طلب أحدهم اجتماع البقية تدارك كمنع حوادث تهدد طمأنينة القتل فيلزم الاجتماع تحت رئاسة مأمور بخصوص يعينه جلالة السلطان الاعظم أو الخديوي العظيم للبحث والتعري عن حالة الخطر ويشعر ون بعد ذلك الحكومة المصرية لاتخاذ الوسائل التي من شأنها أن تمنى حرية المرور فيه وفي حال من الاحوال يجتمع وكلاء الدول في مصر مرة في كل عام لمراقبة تنفيذ ما تقدم (المادة الرابعة) بما ان احوال السودان قد اقلقت الخواطر في القطر المصري الذي لم تستتب فيه الراحة حتى الآن من جراء الحوادث

ناظر الخارجية على الوفاق وملكاته ورفع لجلالة ملكة انكلترة فصدقت عليه وبعثت به الى السير درومند ولف في الاستانة ولما كان هذا الوفاق لا يناسب سياسة بعض دول أوروبا وعلى الخصوص دولتي روسيا وفرنسا الساعيتين في ايجاد المشاكل التي تربك الحكومة الانجليزية كما علمت بعث الموسيو فلوران وزير خارجية فرنسا بالأمحة الى الدول قال فيها ان السير هنري درومند ولف

السياسية التي طرأت عليه وهذا من شأنه أن يقضي باتخاذ تدابير كانت فوق العادة لطمأينة الخوف وحفظ الراحة والامن في داخلية وادى النيل فبناء عليه يسوغ لانكلترة أن تدافع عنه وتولي رئاسته تنظيماته العسكرية وهي تبقى لاجل هذه الغاية ذاتها عددا كفيما من جنودها وتستمر في ملاحظة احوال الجيش المصري بوجه العموم ما للشرط المتعلقة بانسحاب الجنود الانكليزية من القطر المصري ووزوال مراقبة انكلترة لاحوال جنديته فيصير بينهما في الاحكام المدرجة بالمادة الخامسة من هذا الوفاق (المادة الخامسة) ينبغي على انكلترة أن تصحب مساكرها من القطر المصري عند انقضاء مدة ثلاث سنين من تاريخ هذا الوفاق ولكن اذا حدث في ختام هذه المدة ما يتهدد مصر بالخطر سواء كان من الداخل أو من الخارج وقضت الضرورة تأخير انجلاء العساكر الانكليزية عن مصر فبقيت عليها اخلاؤها عندئذ والخطر وبعده مرور عامين من حصول الانجلاء تعتبر احكام البند الرابع ملغاة وعند انجلاء العساكر الانكليزية عن وادى النيل يتبع القطر المصري بالامتيازات التي تنفخ من استتباب الراحة في روعه ولدى التصديق على هذا الوفاق يطلب من الدول العظام أن تعضى تعهدا تعترف بمقتضاه عدم مس الاراضي المصرية ووجوبه لا يجوز ولاية دولة أن تنزل فيه عساكرها بأي حال من الاحوال الا في الظروف الميئنة في القانون الملق بهذا الوفاق ولكن يجوز للدولة العلية أن تنصرف بما لها من الحقوق باحتلال عساكرها في وادى النيل اذا حدثت به دواعي خوف من حصول الهجوم عليه من الخارج أو اذا اختلفت في داخلية الامن وامتنعت الحكومة الخديوية من تقيم واجباتها نحو الحضرة العلية السلطانية أو توقفت عن اجراء تعهداتها الدولية أما دولة انكلترة فبمقتضى ما ان ترسل عساكرها في الظروف الميئنة أعلاه لاحتلال القطر المصري متخذة الاحتياطات اللازمة لازالة الاخطار عنه وبتعيين علم اذا ذلك ان تراعى كل المراعاة حقوق السلطة السائدة وينبغي على العساكر الشاهانية أو الانكليزية أن تجلي عن القطر اذا احتملته وذلك متى زالت الاسباب التي قضت بحدخلتها أما اذا طرأ ما عاق الدولة العلية عن ارسال جنودها الى وادى النيل متى تقوضت فيه دعائم الامن يجوز لها أن ترسل من قبلها نائبا على اقليم به مادامت فيه العساكر الانكليزية متحذات مع قائدها العام وكما قضت الاحوال أن ترسل إحدى الدولتين بعساكرها تعين عليها أن تشعر التامة بذلك طبقا لاحكام هذا الوفاق (المادة السادسة) متى وقعت الدولتان المتعاقدتان على هذا الوفاق تعين ايهما ان يحيطها بالقبضة الدول الموقعت على عهد نبرلين والتي أبرمت عهدا مع خديوية مصر واستنداتها للتصديق على هذه (المادة السابعة) يلزم أن يقع على هذا الوفاق من جلالة الساطن وملكة انكلترة في مسافة شهر واحد اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا أو قبل هذا اذا كان الامر ممكنا وبناء عليه قد وقع على هذا كل من المأمورين الواضعين اختتامه في ٢٤ ايه

التوقيع

تحريرا بالاستانة العلية في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧

ولف وكامل وسعيد

ملحق (أولا) اذا حدث ما عاق حرية السير في قنال السويس يسوغ للدول الموقعت على هذا الوفاق المبرم بتاريخ هذا اليوم أن تسير من عساكرها في القطر المصري بقصد العبور من بحر الروم الى البحر الاحمر (ثانيا) لا يسوغ لاحدى هذه الدول أن تسير من عساكرها في مثل هذه الحالة أكثر من ألف جندي في آن واحد وبمقتضى أن يكون مرورها بطريق السرعة الكافية (ثالثا) عندما اضطرت إحدى الدول لأن تعبر بعساكرها في القطر المصري يلزمها أن تشعر بذلك بحفاظ الميناء التي تنزل منها جنودها وذلك بواسطة فصلها الجنرال قبل مباشرتها الامر بمسافة ٢٤ ساعة وهو ملزم بملاحظة مرور العساكر المذكورة

التوقيع

كامل وسعيد ودرومند ولف

حاشية يصرح الموقعون بذبله أن يعتمدوا النسخة المحررة باللغة الفرنسية في هذا الوفاق تحريرا في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ اه من الكتاب الارزق

والوزراء العثمانيين وقعوا على وفاق بخصوص مصر ضد مصالح الدولة العلية والجمهورية الفرنسية ودول أوربا بالرغم عن أنهم وعدوا فرنسا بعدم إبرام أقل وفاق قبل اشعارها مقدما وقال ان في ذلك الوفاق خطاين (أولا) ان الدولة العلية تبجح لانكتره بأن تشاركها في السيادة على وادي النيل (والثاني) ان انكتره لم تحدد ميعاد معلوما لانتهاء مدخلتها في القطر المصري وانشرت دولة روسيا الدولة العلية بقولها اذا صدق الباب العالي على الوفاق المذكور فجميع المعاهدات التي تضمن سلامة الاراضي العثمانية تصير ملغاة واحجبت فرنسا أيضا وقدم سفيرها الموسيو مونتبلو (Montebello) وكذا سفير روسيا الموسيو نيليدوف الى الباب العالي الانذار بالوعيد اذا صدق الجناب الساطن على الوفاق المذكور ووعدهما في محررهما بمساعدة الدولة في كل النشأج التي تترتب على عدم تصديق الحضرة الساطنية على الوفاق المذكور (١) فاجتمع المرخصون العثمانيون بالسيد رومندوف وتذاكروا مليا واضطر الباب العالي أن يطلب من انكتره اطالة مهلة التصديق على الوفاق فرفضت انكتره طلبه ثم طالت المخبرات والمكاتبات في هذا الموضوع الذي انتهى بالرسالة التلغرافية التي أرسلها ماركي زالسبورى الى السير ويليام وايت (W. A. White) سفير انكتره بالاستئذان فيها ان رسمت باشا سفير الدولة العثمانية في لوندرة طلب تعديل الوفاق المبرم بخصوص مصر والذي استحقته فرنسا والروسيا فرض ماركي زالسبورى هذا الطلب مصرحاً بأن احتلال عساكر الانكليز لقطر المصري سيلبث الى أن تتحقق انكتره بأن الحكومة المصرية صارت قادرة على مداركة كل خطر يتهدها سواء كان من الخارج أو من الداخل وقد أرادت انكتره بذلك الوفاق أن تحمي مصر من مثل هذا الخطر فعارضت الدولة العلية ذلك فصارت هي وحدها مسؤولة عن امتداد أجل احتلال العساكر الانكليزية لوادي النيل اه والخاصل انه من وقتئذ توقفت المخبرات في هذه المسئلة وطرحها الانجليز من فكرهم ظاهررا واهتموا بانفاذ ما أشار به رجالهم في تقاريرهم من الاصلاحات التي تعود عليهم بالنجاح في المسئلة المصرية وكانوا في خلال ذلك تمكنوا من عقد اتفاق مع فرنسا بخصوص حيادة قناة السويس السابق الكلام عليها بصحيفة ٦٦ من هذا الجزء

هـ وان بعد الى ذكر حوادث مصر الداخلية فنقول انه في شهر يوليو من سنة ١٨٨٦ بعث الجناب الخديوي يوسف شهدي باشا مفتش عوم أقلام القرعة العسكرية مندوبا فوق العادة الى الحدود بجهات وادي حلفا لمخاطبة مشايخ السودان في مسئلة مبادلة التجارة والوقوف على

(١) عزمت دولة فرنسا زما كيدا على رفض التغيير الذي سجدت لقطر المصري من اجراء ابرام الوفاق الانكليزي العثماني الجديد واذا صدق عليه فالجمهورية الفرنسية مصالحة لها التي يتهددها الخطر بسبب اختلال الموازنة في البحر المتوسط وتضطر الى أخذ التدابير اللازمة واذا امتنع الجناب الساطن من التصديق عليه فأنسفير فرنسا الموقع بذيله مرخص من قبل حكومتها باعطاء التأمينات الكافية للحضرة السلطانية وبأن أوكد الدولة العلية بان دولة فرنسا تتحى العثمانية من كل النتائج التي تترتب على عدم تصديق الحضرة السلطانية على الوفاق المذكور ومن حيث لم يبق موجب للجناب الساطن في التردد في هذه المسئلة فان رفض التصديق على الوفاق بسر عوم الاسلام وبتوطد عاتم الوفاق بين الدولة العلية والجمهورية الفرنسية ولاشك ان العظمة السلطانية ترى من المناسب احكام علاقتها مع فرنسا واستحسان سيادتها المنزهة عن المظالم والاغراض المضرة بمنافع العثمانية

مونتبلو

في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٧

أفكارهم من حيث ثورة المهدي الأن مأموريته لم تأت بفائدة تذكر وقد ورد في الرقيم الرابع والعشرين الصادر من السردر ومنسدولف الى مر كيزنلسبورى ان كلام من الجناب الخديوى ودولتو لم يختار باشا أرسلاب يوسف شهدي باشا بمرافقتى الى وادى حلفا لمختابرة قبائل السودان العصاة وقد علمت ان الصلات التجارية عادت الى سابق مجراها مع السودان وقال في رقيه الثلاثين ان الحضرة الخديوية ودولتو لم يختار باشا انتخاب يوسف شهدي باشا وأرسله الى التخوم السودانية فبعث منها بتقارير الى الحضرة الخديوية تضمنت ما احتوت عليه تقارير الدوائر العسكرية الانكليزية من ان الاحوال في السودان آخذة في الهدوء والراحة ولا يخشى من حصول اعتداء الامن قطاع الطرق وهذا امر كثير الحصول في البلاد الغير المتمدنة وان التجارة بين مصر والسودان عادت الى سابق مجراها اه وفي ٣ فبراير من سنة ١٨٨٧ حضر رسول سودانى يدعى الشيخ دفع الله خوجال من قبل أمراء كردفان ومعه عريضة الى الجناب الخديوى يطلب بها انتقاد تلك البلاد من الضيق واعادة الاقطار السودانية الى حوزة الحكومة الخديوية فتشرف بمقابلة الخديوى والغازى مختار باشا والجنرال استيفنسن قائد جيش الاحتلال فوعده وباجابة طلبه متى سمحت الاحوال واستقال عبدالقادر جللى باشا من نظارة الداخلية والحريية لخلاف حصل بينه وبين السردار السير غرنفيل باشا (Sir Grenfell) ورجال الداخلية وعهدت النظارتان بعده الى مصطفى فهمى باشا ناظر المالية الذى خلفه فيها محمد زكى باشا مدير عوم الاوقاف وخلفه فيها عثمان غالب باشا وقد كانت احوال نوبار باشا الانسرا الخديوى في تلك الدفعة وان سياسته قد تغيرت عما كانت عليه حتى خرج في بعض أقوال معه عن الحد فلذلك عزله من رئاسة مجلس النظار (٧ يونيه سنة ١٨٨٨) عزلا يكتفى من يريد الوقوف على صفته ومقداره النظر في أمر الخديوى اليه حيث قال له (انه بناء على ما وقع في جلسة المجلس بالامس وما هو الا تكرار ما حدث أكثر من مرة من التبان في الآراء مما رأيت منه استحالة بقاءك في منصبك فلهاذا قد فصلتك من وظيفتك وعهدت برئاسة الوزارة وتشكيل هيئة جديدة الى صاحب الدولة رياض باشا) وكتب الى رياض باشا كتابا بالطفيف العبارة يعده فيه بتعزيده في الاعمال ويذكره بان الحكم في مصر يكون باتحاد الخديوى مع الوزراء وبمشاركتهم وقد أدرجنا الكتاب المذكور باسفل الصحيفة كعادتنا (١) فصار رياض باشا رئيس النظار وناظر الاداخلية والمالية ومصطفى فهمى باشا للحرية والبحرية وذوالفقار باشا للخارجية ومحمد زكى باشا

(١) ان ما تصفتم به من الغيرة الوطنية والاخلاص لنا قد دعا الى أن نطلب منكم القيام بتأليف هيئة نظار جديدة وليكن في علمكم اننا لاتأخر مطلقا عن تعزيدهم ومساعدتهم المساعدة الحققة الصادرة في الاعمال المهمة السامية التى دعوناكم لادائها وان ما جاء في أمرنا الصادر بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ هو المنهج الذى زوم اتباعه والسير على مقتضاه وليس هناك من عظيم حاجة الى تكبيركم باهم ما تضمنه ذلك الامر من المواد الاساسية وهى ان حكمتنا و اجراء يكون مع مجلس نظارنا بواسطة وان نعهد اليكم رئاسة هذا المجلس مع ابقاء الحق لنا في الرئاسة على جلساته بذاتنا كلما رأينا ذلك لزوما وان نرفع كلمة الاستقامة والاصلاح وحسن الترتيب والاقتصاد في جميع ادارات القطر والسعى في ايجاد الرظية واحياء التقدم في جميع أنحاء البلاد حسا ومعنى فهذه مقاصدنا التى نبتغيها وان شاء الله تعالى يتسنى لنا الحصول عليها بمساعدةكم وفي ذلك نعتمد كل الاعتماد على فطنتكم وهمتكم ونشاطكم وغيرتكم التى برهنتم على علم امارا وكن أيها العزيز وانقا محبتنا لكم اه تحرير ابراهيم رأس التين نقل من مجموعة الاوامر العالية صحيفة ١٣٤ الامضاء محمد توفيق

للاشغال العمومية وحسين فخرى باشا اللحقانية وعلى مبارك باشا المعارف (٩ يونيو ١٨٨٨)
 ولما علم الناس بما كتبه سمو الخديو الى رئيس نظاره فرحوا بواجدها بالوزارة الجديدة سيما وان رياض
 عدة مشروعات مهمة حال دون تنفيذ بعضها الحوادث العربية واتي ماتم منها باجزل الفوائد
 وأشهر الاعمال مدة هذه الوزارة أن الحكومة أجرت لمدة معلومة بشروط معينة شركة
 يرأسها أحد أغنياء الاسرائيليين يسمى سوارس سكة حديد حلوان وصرحت لها بتوسيع
 نطاقها فجعلت الشركة المذكورة محطة جهة باب الموق بدل ان كانت محطتها العمومية جهة
 القلعة ومدت لها خطا حديديا مارا وسط بعض الشوارع وبذلك ترفت أحوال مدينة حلوان وابتنى
 الناس بها المنازل اللطيفة والقصور الجميلة سيما القصر الخديوي الذي كان المرحوم توفيق باشا
 كثيرا ما يقيم به ولما كانت حالة الاهالي المالية تستدعي الالتفات وان الخديو المرحوم توفيق باشا لم
 يتأخر مطلقا في إيجاد كل ما يعود على الاهالي بالرعاية والنعم أصدر أمره بالغاء عوائد المدخولية
 والقبانة والذبيح والحجلة والدلالة من أكثر بلاد الوجهين البحري والقبلي فانسر الناس ودعوا له بخير
 وحصل أيضا من أسباب ترقى التجارة ان صرحت الحكومة بأمر عال لجماعة من أغنياء الوطنيين
 بتأليف شركة للملاحة في النيل دعيت بالتوفيقية وسبب ذلك كثرة توارد صياحي الفريج الى مصر
 سنويا المشاهدة آثارها والتمتع بلطيف هوائها شاء لان ما حدث من الحوادث بمصر نهب أهل أوروبا
 لمشاهدة مصر أكثر من قبل وكان بالنيل قبل ذلك شركة انجليزية تعرف بشركة كوك وأولاده
 تشكلت في عهد الخديو السابق اسمعيل باشا فزادت بهم الملاحة بالنيل سهولة وكثر عدد الزوار
 والسياحين خصوصا وان في عهد الخديو توفيق باشا اكتشف مدير ودار التعف المصرية كثيرا من
 الآثار القديمة (١٨٩٠) مما زاد في شأن دار التعف المصرية هذا وقد كانت نفوس الناس تتوق
 من قديم الى تأسيس مجالس بلدية بكل مدن القطر العظيمة تنظر في تحسين حالة المدن صحيا وتجاريا
 ولما علموا بعيل المرحوم توفيق باشا ووزرائه لاجراء الاعمال النافعة طلب أهل الاسكندرية تأسيس
 مجلس بلدي لهم فوافقهم الحكومة عليه الا أن قانونه أتي محققا جدا بحق الوطنيين حتى لم ينتخب
 منهم بين أعضائه الا التز واليسير وبقية الاغلبية للاجانب مما لا يكون في بلد أخرى أصلا ومن قانون
 المجلس المذكور ان يكون بين أعضائه كل من محافظ الاسكندرية والنائب العمومي بالاستئناف
 المختلط ومدير عموم الجمارك ورئيس نيابة المحكمة الاهلية ومفتش الصحة ومفتش رى القسم الثالث
 وستة تختارهم دائرة الانتخاب وثلاثة ينتخبهم تجار الصادرات ومثلهم ينتخبهم تجار الواردات واثنان
 ينتخبهم ما أحسب الاملاك ومن حسنات توفيق باشا العديدة أيضا ان صدر منه أمر في تلك المدة بأن
 يخص مبلغ ٢٥٠٠ جنيه مصري سنويا بالاصلاح شأن الكتبخانة الخديوية (١٨٨٩)
 فترقت بذلك حالتها جدا وتمكنت من مشتري وطبع كثير من المؤلفات المفيدة ولما كانت المحاكم
 الاهلية أتت بالفوائد العظيمة بالوجه الجري وكان تعميمها بالوجه القبلي يتوقف على مساعدة
 المالية ومعرفة فوائدها بالوجه الجري وقد توفر هذا الامر ان صدر الامر العالي بتشكيلها
 بالوجه القبلي أيضا (٢٩ يونيو ١٨٨٩) فقابل أهالي الصعيد ذلك بالارتياح والسرور
 ولما استعفى السيد جارفنت المستشار المالي (١٨٨٩) صدر أمر خديوي بتعيين
 السيد ألون بالمر (Elwén Palmer) مكانه وقد اهتم هذا المستشار بحسين مالية البلاد التي

هي أهم شئ يجتهد الانجليز في تحسينه وانما ارادته حتى يطمئن بال ارباب الديون من الاور وباوين فلا يطلبون من حكوماتهم المداخلة لتأمين حقوقهم وقد تمكن هذا المستشار بعساعدة الحكومة من تحويل الدين الممتاز فتوفر بذلك للحكومة مبلغ وافر ثم اهتمت الحكومة في تخفيف بعض الضرائب وتعديل بعضها (١٨٩٠) وعرضت على مجلس شورى القوانين مسئلة تقسيط الاموال وتقرير عوائد الدخولية والتي رياض باشا على أعضائه خطبة نفيسة افتمتها بالاعتذار للاعضاء من تكرار البحث في موضوع عينه مسئلة تقسيط الاموال وكون سير هذا التقسيط مرضيا أم لا ومسئلة تقرير عوائد الدخولية وما جرى فيها من الخلف بين المجلس والحكومة واستطرد الكلام بالمناسبات التي ذكر الاموال العمومية وما جرى من الاصلاحات منذ تولية الخديو توفيق باشا ولما كانت الخطبة المذكورة شاملة لتوصف الحالة التي كانت عليها مصر قبل ذلك وما جرى فيها بعد من الاصلاحات رأينا ضرورة ذكرها بأسفل الصحيفة ليطلع عليها حضرات القراء (١)

(١) ان تولية مولانا الخديو كانت مبدأ تاريخ حياة جديدة لمصر والمصريين فأقول ما فهمناه وقتئذ اننا خرجنا من الظلمات الى النور ومن الظلم القاسم الى العدالة المطلقة ومن الاستبداد المحض الى الحرية الحقة . كان كل اهتمام الحكومة السالفة أن تحتج طرق جلب الاموال من الاهالي أيا كانت الوسائل لا يعينها على الناس أو ما تولى وكلكم يتذكرونها لم تكتم في زمن من الارمنة بالضريبة التي قررت لها بل زادت عليها ضرائب متعددة كالسدس والثلث والمقابلة والاسهم وما أشبه ذلك مما يختص بالاطيان فضلا عن انها اذا رأيت بلدا عاطلة قد تلقت أرضها تحمل ما يكون عليها على أرض قريبة منها أو بعيدة فلا يمضي زمن حتى تعود الارض الخصبة عاطلة لكثرة ما تحمل من المطالب وربما هجر أهلها وافي أضرب لكم على ذلك مثلا . أول ما موريتية توليتها في البلاد هي مدير الحيرة والموجهت اليها في سنة ٧٣ رأيت ان بلدا يقال لها ترسة قد تلقت أرضها وعجز أصحابها عن زراعتها فكان من أمر الحكومة اذذاك انها حملت الاموال التي كانت تحصل عليها منها البلاد الأخرى كاجية بلد الزمره فظمت عندي هذا الامر واجتهدت في البحث عن طريقة تخفيف ويلات هذه البلاد التي تدفع عمالها لزرع منها شيئا أو قيراطا وتوصلت بعد ذلك الى أن أهل البلد التي تلقت أرضها يعفون من نير الحضره ليمكنوهم من الاشتغال باصلاح أراضيهم حتى تستعد للزراعة وجعلت ذلك محضتهم المكلفين بها وما زالوا يجتهدون حتى صلحت الارض ولولا ذلك لما مضى زمن حتى نشاهد تلك البلاد الرابحة قد حملت مطالبها على غيرها . وعلى هذا الحال كان سير الحكومة المصرية وقتئذ الذي كان من نتيجته اليوم اننا نؤدي كل سنة نحو خمس ملايين من الجنينات كالجزية المقرضة ولم تكن وظيفة الرجال الذين يخشى بأهمهم وسطوهم اذذاك (وقد كان من العدل أن تنتفع بهم البلاد) الا انهم رسولوا الى المديرات فيمكنون الازمنة الطويلة لاهم اهمهم الا سد جشع الحكومة في طلب الاموال . هذا من حيث الارض في ذاتها اماما كان يضرب على حاصلاتها فتلك أمور وقضية لا أظنكم تجهلونها ومن نسفا فليذكر أيام خائف باشا (الله رحمه) حيث كان يكلف كل يوم باخترع سيئة تسبيل في مجراهاد ماء الاهالي من تلك المظالم فن يقارن بين تلك الحالة وما وصلنا اليه الآن (وان الباعث على حضورى الآن هو النظر في طريقة تضمن راحة الاهالي واصلاح الادارة بعد اجماعنا على تخفيف تلك المصائب ثم ازالها) يظهره الفرق بين ما كنا عليه وما نحن عليه . أما الضرائب التي كانت تلقى على عواتق الاشخاص كالفرقة وما أدراك ما الفرقة فقد بلغت في زمن الحكومة السابقة ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه سنويا فضلا عن عوائد المصلح التي كان يدفع فيها لشخص تسعة قروش صافا وغته الا أن كبارهم لم تكن توزع بوجه يقبله العقل ومثل عوائد الارز والقبانة والطوائف وغمرة الملابس وعوائد الانتخاب وعوائد الخيل وما كان يضرب على الاطيان التي توزع فتميلازيادة على الضريبة الاصلية وكيف كانت بدلوية العسكر يتورسوم المشيخة التي زعموا انها وضعت سنة على التماس مشايخ وعمد بلاد الوجه البحري فصدر وقتئذ أمر عال يقضى بتعديرتقارير العمدة المشايخ على ورق غمسة وان يكون رسم هذه الوظائف من ٢٥ الى ١٥٠ جنيها وكلكم خبير بان مثل هذه المبالغ كان توزع على الاطيان

ومن الاصلاحات المقرونة بالشكر ان صدر امر خديوى بتسوية الديون المطلوبة من الاهالى

فيؤخذ اختلافاً او ظمناً من الفلاح المنكود الحظ . هذا كله كان مع اختلال الادارات واعوجاج سير المصالح وارتكاب اعمال ولا اطيال الشرح في هذا فلسم بعيد من امره فضلاً عن اختلال الاحكام في القضايا بين الناس فتذهب الاموال والانفس فريسة الاغراض والمطامع بل ان رجال المظاهر لم يكونوا آمنين على انفسهم فيبيتون وقلوبهم راجفة . تعلمون اني في تلك المدة تقلدت وظائف سامية وتقلبت في مأموريات مهمة وفي اثنائها مضت على مدة لا تقل عن ستة أشهر لا اخرج الى باب دارى فيها ولا يصل الى احد ولو كان أقرب الناس لى * ما سبب ذلك * سكوت * وعلى ذلك الحال كانت معاملة أمناى بل أشد من ذلك كان . كان مجلس النواب وقتئذ آله صماء يتخذ لتفنيدها المظالم والتوقيع على السبئات لا يستدعي الاعتد ما تكون فكرة أبرزتها المطامع ويقض حيث ينهش الامر فان تلك الحال مما أنتم عليه الآن توضع بين يديكم المشروعات فتشعرون فيها بغاية الحرية غير محابين ثم لكم من الاعتبار والاحترام بين هيئة الحكومة مما أنتم جديرون به فلذلك أكرر وأقول اننا منذ تولي جناب خديوى بنا المظالم حتى لنا أن نقول (خرجنا من الظلمات الى النور) والمساعدة البلاد بتولية مولانا الخديو الحالى واطمأنت القلوب أخذنا ننظر في ازالة تلك المظالم شيئاً فشيئاً وكان من ذلك اننا ارنا رسوم المشيخة التي كانت من أقطع السبئات ونظمت طريقة مشيخة البلاد التي كانت تتخذ وقتئذ حبال لنهب أموال الاهالى ووسيلة الى خراب ديارهم وسعيها في تخليص المالىة من مخالب الارتباك ومعلوم ان انتظام المالىة روح الحكومات وأمن عمران الهيئات الاجتماعية وحققت الدماء بعد ان كانت مهددة وسمعت شكوى المظلوم وتظمت طريقة التفاضل بعد ان كان الفلاح يدفع ومحاسبه الايام والحساب وتجاوزت الحكومة في سنتي ٧٩ و ٨٠ عن كثير من المناخرات شفقة ومرحمة بالاهالى وكيف ان الحكومة السابقة رجعت عما تنازلت عنه بسبب اصابة الاراضى بالشرق بعد سنتين زعمانها انه ظهر لها عدم استحقاق أولئك المساكين للشفقة التي كانت عاملتهم بهماى الوهم ولا اطيال الحديث في هذا الموضوع فانتم به ادرى وبالجملة فقد ركت الوزارة في المدة الاولى وعند تسليم احتياطى ١٣٠٠٠٠٠ ١٠ جنيه تبيين لكم ان تولية مولانا محمد توفيق باشا جاءت رحمة من الله تعالى أفقدتنا بها العزة الالهية فنحن نشكره على ذلك فقد قال الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم . ومن باب الحديث بنعمة الله أذكر لحضراتكم ما وصلت اليه احوالنا الاخيرة من التحسين ولا حرج على في ذلك فقد قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث . كثيرا ما كنت أسمع من بعض اعيان البلاد في المدة التي لم أكن أبشر فيها اشغال الحكومة المصرية عبارات الرضا عن وجود السخرة على عاتق الفلاح ذلك لان البلاد ألفتها من قديم الزمان حتى كأن الله ضرب على أهلها الشقاء الدائم ولكن كان يتملك مني الاسف منها اذا تذكرت عيشة هؤلاء في هذه التعاسة المميتة فلما أن عدت الى الاشتغال بهم الحكومة أخذت في الاسباب حتى وفق الله وأرسلنا عن البلاد عار هذه الحالة الفظيعة وأقول انها لو كانت في بلاد غير هذه البلاد لاقاموا كل عام تذكارا لاجلها ليكون من أجل الاعياد . وأندكر اني كنت قد وعدت حضراتكم وقتئذ انه لو صادقت فرنسا على تحويل الدين لا يمكننا ان نستعمل فائدة هذا التحويل ولا نحتاج الى تحميل الاهالى شيأ من العونة التي قدرت وقتها وقد مكنتنا الفرس من استعمال مبلغ ثمانين ألف جنيه من فائدة تحويل الدين التي حصل عليها اقرار الدول في هذا العام من أصل مبلغ المائتين وخمسين ألف جنيه الذي فرض ابتداء على الاراضى نوصلا الى الاتفاق على المقاولات العمومية التي نتجت من ازالة السخرة ونظرا لان الحكومة باذلة جهدها في تخفيف ما على عاتق الفلاح هان عليها ان تقتصد في نفقاتها وقامت بدفع مبلغ السبعين ألف جنيه مضافة على المبلغ الناتج من التحويل وكان ذلك من ميزانية مصاريفها المخصصة لها ومضت هذه السنة والاهالى حل من دفع شئ في مقابلة ازالة السخرة فكان بذلك وقفا ما وعدت به حضراتكم ولازلت واقربان الحكومة مستمكن باى الطرق تكون من اعفاء الاهالى ان تحملهم منها شيأ في المستقبل . وفضلا عما تقررى أذهانكم فان أعمال السخرة لم تكن فاصرة على وسائط الري وحفظ الحسور وانشاء القناطر وما أشبه ذلك بل كانت تشمل كل الاعمال العمومية حتى ان الفقير الذي لا يملك قوت يومه يصبح ويمسي ويقضى طول حياته في الشقاء والنذل الى غير ذلك من الاتلاف التي كانت تحيط بالمزرعات والاراضى اذلا هناك من يحفظها من ان تضع تحت أرجل السخرة فن لم يرحم من غيره ولا يرحم غيره . ولم يقتصر الامر على مثل هذه الفوائد بل ان الحكومة سعت ايضا في ازالة

للحكومة وغالبها متأخر من أموال الاطيان (١٨٩١) وتنازلت الحكومة للعديي الاقتدار عن مبالغ كثيرة من الضرائب المنفردة في أول سنة ٩٠ تجاوزت عن مبلغ ١٢٦٠٠٠ جنيه صدر بها أمرال وضعت فيه البيانات الكافية عن متفرقات ضرائب كانت ولاشك على الاهالي ولا بد انكم اطلمتم عليها منشرة في الجرائد الرسمية وغيرها . أسلفت لحضراتكم ان الحكومة المصرية السابقة كانت ماهرة في اختراع الاساليب الخالصة للاموال وكثرت لكم أمرال الفردية ورمادار بأفكاركم انها ماقية عند ما تسمعون ذكر البطانطا (أي وائذ الرخص) فأريد الا ان أبين لكم الفرق بين الخالتين كانت الفردية (أي الوريكو) اغاية سنة ٨٩ مبلغ ١٥٠٠٠٠ جنيه سنوية جزية على أعلى القطر فادخلت سنة ٩٠ الاوقد أزيل منها بأمر خديوي مبلغ ٧٠ ألف جنيه وبقي منها عليهم ثمانون ألفا وبتنفيذ الامر العالي بخصوص البطانطا . كمننا ان تخفض هذا الباقي الى أربعين ألف جنيه فكانت النتيجة انه من ابتداء هذا العام الى الآن أصبح مبلغ المائة وخمسين ألف جنيه أربعين ألفا فقط . وكان عدد المولدين قبل الثمانمائة ألف نفر فأصبح عددهم الآن ٦٠٠٠٠ فقط بل ان مدينة القاهرة كانت ترفع وحدها سنويا مبلغ ٣٢٠٠٠٠ جنيه وقد صار المقرره لياها عشرة آلاف فقط . هذا ما تقره لديكم وعلمه الخاص والعام فلا سبيل الى انكار شي منه ومن الذي تقرر العاؤ في هذه الاثناء أمر وائذ الاغنام والشعاري وأصناف أخرى يبلغ ما يؤخذ عليها الآن ستين ألف جنيه فن تصور كنه هذا التحسين ربما أسرع الى فكره ان هذه المشروعات قد مست جانب المالية المصرية ولكن مع كل هذا أقول لحضراتكم ان المبلغ الاحتياطي الذي في صندوق الدين يشغل بفائدة متجددة مستمرة لما يتقوا وصل الآن الى تسعمائة ألف وستة آلاف جنيه ولدى الحكومة مبلغ احتياطي أيضا قدره ١٢٨ ألف جنيه . وقد قولت نزام الوزارة وعلى الاهالي كثير من المتأخرات من الاموال والعشور ولم يكن ثم سبيل الى الزام الحكومة على ترك شي منها ولا تأخير طلبها بالفعل كان صاحب الارض يطالب بما عليه في عامه وبالمتأخر عليه وربما كان تراكم هذه المتأخرات لديه وسبيلة الى قوره ويؤل الامر الى عجزه عن القيام بالمطالب وتكون العاقبة تجر يده من العقار والدار فربما ان الاصلاح أن توقف أولا سير التحصيل ثم يعين لتحقيق هذه المتأخرات والحث عن أسبابها رجالا ممن تولوا وظائف سامية واهم الخبرة التامة بالاعمال والاحوال وبعد اجراء هذه الوسائل عدلت طريقة تحصيل هذه المتأخرات بعد أن تجاوزت الحكومة عن مبلغ ١٦١٠٠٠ جنيه . هذا ولم تفرغها الحكومة في أثناء ذلك عن اجراء اصلاحات كثيرة تعد من الامور الجوهرية في وسائل ترقية الامم فقد نزلت آخرة البوستة والتلغرافات ووسعت نطاق السكان الحديدية وأنشأت من أعمال الري ما ضمنته مستقبل الاراضي وهي تبحث الآن عن ابراز كثير من المنافع العمومية العائدة على البلاد بالرخد والسعادة وان شاء الله يكون ما في نيتها من الاصلاحات في زمن قريب دون أن تحمل الاهالي شيأ من نفقاتها . هذا الى ما أبشركم بما عزمت الحكومة عليه في أمر ضريبة بدلية العسكرية فان النسبة منصرفه الآن الى نحوها بالكافية عن عائق الاهالي حتى لا تناسم شبان البلاد بما يشبه البيع والشراء فن تصببه القرعة العسكرية يشرف بخدمة الوطن ومن لا تصببه عاش بين يدي والديه قري الراعين (بقول وما دام اسم بدلية العسكرية موجودا فالناس يبعدون عن اعتقاد ان في الخدمة شرفا وفخارا) وان لم تكن اليوم كحالها في السابق . أيها السادة أصبحت الآن التفت عينا وشمالا مند هشامتهما كما في في حلم لا علم اذا تخصصت في خاطري ما وصلت اليه احوال الثامن السعادة منذ تولي خديويتنا الحالتي فلا محجب اذا كررت هذه الكلمة بينكم مرارا (انا خراجنا من الظلمات الى النور) ليس يعيبه عليكم ما كنتم تشاهدون من حالة الفلاح وهو يرسف في قيود الديون ويجري في ذبول الاعسار والفاقة والفذل من كثرة الضرائب وهو الا ان طيب الخاطر منع البال لا يخشى من عجات تلك المظالم ولا يخاف غائلة الحاكم . وكان المثار بطريق البنك العقاري والمحكمة المختلطة يرى الالوف ملقاة في جوانبها مكبة الرؤس عليها سمات الخسف والنيل فيقارعهما الرجل يوم يجرد من أملاكه ويصبح لا يملك تقريبا ولا قطميرا فاشدكم الله ماذا تشاهدون اليوم من حالهم ليس قد أصبح البنك ولا هنالك من يقصده من الاهالي الا لبيع ارض وشراء دار أما تبدلت حالة أولئك الذين كانوا يقصدون المحكمة المختلطة لالبيع اراضيهم وعقاراتهم وصاروا يقصدونها اليوم لتسجيل ما يشترون بأضعاف ما كانوا يبيعون منذ أعوام قليلة اما كلكم تشهدون بأن ثمان الاواضي قد وضعت في التل والثلاثين في زمن يسير (نعم نعم) لاشك ان اعترافكم واعتراف الجميع الآن بما وصلنا اليه مما يعبت بنا الاجزال شكر المنعم وولى النعم . أصبح كل فرد من المصريين حرافى أعماله لا يتعدى الكبير على الصغير ولا يستعين العظيم

وافرة فابتعت الاهالى سرورا وتحسنت حاله الفلاح ونفض عنه غبار الاعسار وفي السنة المذكورة
 أيضا طلبت الدولة العثمانية من الحضرة الخديوية تحويل صرف بعض من مبلغ الخراج الذى تدفعه
 مصر الى الدولة سنويا الى بنك روتشيلد (Rotschild) فقبل الخديو وأصدر أمر فى ٢٠
 مارس سنة ١٨٩١ بقبول مصر ذلك وانتهت ستم على الدفع لمدة ستين سنة بتبدئ من
 ١٠ ابريل من السنة المذكورة وقد أدرجنا لامر المذكور بأسفل الصحيفة لاهميته (١)
 وكانت الحكومة شغلت لجنة للنظر فى المكاييل والموازين والمقاييس وكلفتها بوضع طريقة يجرى
 العمل عليها التعداد المستعمل منها عصر ودخول الغش والغبن عليه فاخترت لذلك الطريقة الاعشارية
 المترية لضبطها وسهولتها وصدر بها الامر العالى (١٠ ابريل سنة ١٨٩١) ومن وقتئذ ابتعت
 مصالح الحكومة الطريقة المترية الاعشارية فى حساباتها
 ولما ظهر بالحكام الاهلية ما يدعوا الى اصلاحها وادخال بعض النظامات فيها طلبت الخديوة

حقيرا واول الامر فقيرا وبلدت تلك الاحكام الاستبدادية بالعدالة واعتبار الحق والواجب فى كل شئ ولكن أقول بلا عناية
 ولا مدهانة من مرجع كل هذه الاصلاحات التى أصبحنا نقتن بها عائلة الى ملاذ الجنب الافخم خديونا المعظم فهو
 والحق أقول أعظم الناس شفقة على الاهالى وأجلهم مرحمة وأسبقهم الى اغناق الخير على البلاد يعز عليه ان يرى جزئية
 من الجزئيات لا تنطبق على أمياله الشريفة فلندع لسموه بطول البقاء وودام الاقبال (دعاه وتهيل وفرح وتأمين) اه
 (١) نحن خديو مصر - بناء على ما صدر من الباب العالى من ابرام عقد فى ٥ مارس ١٨٩١ بين حكومة صاحب الجلالة
 الجنب السلطاني الشاهاني وبين الخواجات ن . م روتشيلد وأولاده بلوندرس والخواجات روتشيلد اخوان
 بباريس والبنك العثمانى السلطاني بخصوص قرض عنوانه القرض العثمانى بقائمة ٤ فى المائة على وىر كومصر
 ويخصص للقيام بتسديد السندات التى مازالت متداولة من سندات قرض الديفانس العثمانى المعقود فى عام ١٨٧٧
 واتباعا لامر السلطاني الصادر فى ٢٥ رجب سنة ١٣٠٨ نعلن بهذا اننا نتعهد للخواجات روتشيلد
 وأولاده الذين عينوا فى الامر السلطاني المشار اليه بأن ندفع لهم فى لوندن من تاريخ ١٠ ابريل سنة ١٨٩١
 مبلغ ٢٨٠٠٦٢٢٢ جنيتها انكليزيا و ١٨ شلنا و ٤ بنسات وبذلك يكون هذا المبلغ خالصا مما هو مخصوص له
 الآن بواسطة تسديد سندات الديفانس كما يتضح ذلك من العقد المشار اليه آنفا

وبناء على ذلك تدفع الحكومة المصرية سنويا فى مدة ستين سنة بتبدئ من ١٠ ابريل أعنى لغاية استهلاك
 القرض الجديد الذى بقائمة ٤ فى المائة المذكور الى الخواجات ن . م روتشيلد وأولاده فى لوندن مبلغا
 لا يجوز تخفيضه وقدره ٢٨٠٠٦٢٢٢ جنيتها انكليزيا و ١٨ شلنا و ٤ بنسات ويخصم هذا المبلغ من وىر كو
 مصر الواجب علينا وعلى خلفائنا فى الحال والاستقبال دفعه الى الحكومة الشاهانية العثمانية

ويدفع هذا المبلغ ذهبيا فى المواعيد المحددة فى الجدول الآتى ويكون الدفع الاول فى ١٠ يونيو سنة ١٨٩١
 صدر بمصر القاهرة فى ٢٠ مارس ١٨٩١ (١٠ شعبان سنة ١٣٠٨) الامضا

محمد توفيق

بسمان الدفعات

بسمان	بنس	شلن	جنيه انكليزى
١٠ يونيو من كل سنة	٠٠	٠٠	١٠٠٠٠
٣١ يونيو	٠٠	٠٠	٩٥٠٠٠
١٠ سبتمبر	٠٠	٠٠	٢٠٠٠٠
٢٥ سبتمبر	٠٢	٠٩	١٥٣١١
٣١ يناير	٠٠	٠٠	١١٦٠٠٠
١٠ مارس	٢	٩	٢٤٣١١

تعيين مراقب يسعى في اصلاح المعوج من أمرها وقد وافق المرحوم توفيق باشا على هذا الطلب وعارض النظر كثيرا ولكنهم قبلوا أخيرا واشترط رياض باشا أن يكون تعيينه لسنة واحدة فقط بأمل استخدام معارفه في اصلاح المحاكم وتعيين لذلك المسترجون سكوت (John Scott) وهو من أرباب الاطلاع الواسع وذوى الخبرة وقد شرع المستشار في زيارة المحاكم وتفقد أحوالها والبحث فيما يحتاجه من النظام وكان من أول أعماله أن أشار بتعيين فاضلين أجنيين انجليزيين في محكمة الاستئناف الاهلى ووضع تقريراً عن حالة المحاكم جاء فيه وجوب استقلال القضاء واقامة مراقبين على نظام المحاكم وسير القضاة ولما قدمه الى الوزارة نشأ عنه اختلاف سبباً لأنه لم يحدد فيه المراقبة ولا اختصاصات المراقبين فرفضه رياض باشا وكتب فخري باشا ناظر الحقايق تقريراً آخر بين فيه رأيه في سير المحاكم والاصلاحات الواجب ادخالها عليها فظهر بذلك الخلاف في الرأي ثم صدر قرار من مجلس النظر في ٢٢ يناير سنة ١٨٩١ بعقد لجنة لدراسة التقريرين واعطاء الرأي فيه ما وقد اختلف أعضاء اللجنة المذكورة في الرأي لان البعض منهم أقر على عدم صلاحية التفتيش الموجب عزل قضاة الاستئناف كما ورد بتقرير المستشار القضائي ولان ذلك يقلل من استقلالهم ويؤثر على أفكارهم في الاحكام في حين ان القضاء يوجب الاستقلال في الذمة والرأي ورأى البعض الآخر الفوائد في المراقبة القضائية بشرط أن لا تؤثر على استقلال القضاء وقالوا اذا كان لا بد من المراقبة فالاحسن تشكيل لجنة دائمة يكون لها حق المراقبة والاهتمام بشؤون المحاكم الجزئية والابتدائية وتقيده باختصاصات يكون من جلتها عزل قضاة المحاكم الابتدائية وترقيتهم عند الاقتضاء وقد كان هذا الاختلاف في الرأي مما شجع قنصل إنجلترا العام على أن يطلب من المرحوم توفيق باشا عند عودته من سياحته الصعديية تعيين السير سكوت مستشاراً لانتظار الحقايق كما سبق فتوقف رياض باشا وعزم على الاستعفاء لولا أن أمره الخديو بالبقاء ثم تقرر في جلسة النظر التي عقدت في يوم ١٤ فبراير تحت رئاسة الجناب الخديوي تعيين السير المذكور مستشاراً (١٥ فبراير سنة ١٨٩١ - ٦ رجب ١٣٠٨) ولما كان هذا التعيين مخالفاً لما رأى فخري باشا في تقريره قدم استعفاءه بعد أيام وتعيين بدله ابراهيم بك فؤاد ورتقى الى رتبة الميرميران أما رياض باشا فانه قدم استعفاءه أيضاً رغم ان الحاح الكثيرين عليه بالبقاء وقال في صحيفة استقالته انه لا اعتلال صحته أصبح لا يستطيع القيام بمهام المأمورية المهمة التي هو مكلف بها فقبل الخديو استعفاءه وكلف مصطفى فهمى باشا بتشكيل وزارة جديدة (٢٤ مايو ١٨٩١) فقبل وصار أيضاً ناظر الداخلية وعبد الرحمن رشدي باشا للمالية ومحمد زكي باشا للاشغال والمعارف وحسين فخري باشا للحقايق ويوسف شهدي باشا للجرية والبحرية وتغرنا باشا للخارجية وعين محمد شريف باشا وكيلاً للخارجية وأحمد سكري باشا وكيلاً للداخلية وصار السير كفتش باشا مفتشاً لعموم البوليس مكان شارلس بيكر باشا الذي أحيل على المعاش (ابريل سنة ١٨٩١) مع بقائه بوظيفة اذ جوات جنتال للجيش المصري فترقى البوليس في زمنه وتحصل رجاله على عدة امتيازات عسكرية ثم التفتت الحكومة بارشاد المحتلين الى مصلحة بيع الملح فجعلت له وللنظرون المستخرج من وادي النظرون مصلحة خاصة تحت نظر المستر هوكر (Hocker) (١) (١٩ يوليوسنة ١٨٩١) فقلب

نظامها القديم وسن لها قانونا جديدا فرخصت قيمة الملح وامتنع الاهالي لذلك عن تحمل مشقة تهريبه
 تقر يافانسر الاهالي من ذلك وازداد ايراده للحكومة وشيئا أيضا لاستخراج النطرون معامل جديدة
 ثم تنازلت الحكومة فيما بعد عن حق استخراجها الى شركة أجنبية (١٨٩٧ م) ومن
 الاصلاحات التي تمت في عهد المرحوم توفيق باشا أيضا انشاء فرع حديدي بين الفيوم وسنورس
 والغاير رسوم الرخص التي كانت تؤخذ من الاطباء والصيدلية والقوابل وتخفيض أجرة المراسلات
 داخل مدينة القاهرة وغيرها من المدن العظيمة ولما انعقدت الجمعية العمومية افتتحها الخديو
 بنفسه وألقى على اعضائها خطابه كالعادة وبشرهم باقرار حكومته على الغناء كسور الضرائب
 واعفاء كافة الاماكن التي لا تزيد قيمة ايجارها السنوي عن خمسمائة قرش من عوائد الاملاك
 وكان في ذلك رحمة كبيرة للفقراء وبالجملة فان كل هذه الاصلاحات التي كانت اقصى امانى
 الخديو توفيق باشا قد تمت في عهده وارتقت بها البلاد ارتقاء عظيمًا

المعارف في عهد الخديو توفيق باشا - لما كان المرحوم توفيق باشا تربيته علمية
 جيدة كان شديد العناية بترقية المعارف بصرف كثير مما ساعد بنفسه على انتشارها وكثيرا ما حض
 الوزراء والافراد على ذلك ومهد السبل لترقية شأن أبناء البلاد حتى انه قبل ان يتولى الخديوية كان
 انشا بجوار قصره بالقبة مدرسة عظيمة يصرف عليها من أمواله وقد تخرج منها عدة من الشبان
 وبعدها كان عدد المدارس الاميرية في أول عهده ٣٣ مدرسة أمر على باشا ابراهيم وكان ناظرا
 للمعارف بفتح مدارس جديدة أخرى وبينما كان يهتم في ذلك ظهرت الحوادث العمالية فغالت
 دون تنفيذ تلك المقاصد الحسنة وممرت أيام نظارة محمد زكي باشا (١٤ سبتمبر ١٨٨١ الى
 ٢ فبراير ١٨٨٢ م) وعبدالله باشا فكرى (١٠ فبراير ١٨٨٢ الى ٢٦ مايو ١٨٨٢)
 وسليمان باشا أباطه (٢٠ يونيو ١٨٨٢ الى ٢٧ اغسطس ١٨٨٢) وأحمد خيرى
 باشا (٢٨ اغسطس ١٨٨٢ الى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٣) ومحمد درى باشا (٢٤

الاسبق اسمعيل باشا فان العناية بها كانت كثيرة وقد ورد في كتاب الكوئب الدرر في الاستقراء المصرى المتضمن
 نتيجة الاحصاء آت التي أجزتها نظارة الداخلية بتاريخ ٤ ربيع أول سنة ١٢٩٠ (أول مايو ١٨٧٣)
 ان الملاحات الشهيرة انتعاشت ملاحه وهى ملاحات دمياط ورشيد وموزة بالحاجة بفارسكور والبلابى بالمينزلة
 والبراس بالفسرية وترنساوسكندرية وهوارية وبور سعيد والامماعلية والسويس وكان يستخرج منها سنويا
 ٧٢٣١١ إردبا وكان عدد المواشى التي استخدمت لنقل الملح عليها ١٣٦٨ رأسا والفعلة المستعملون في
 استخراجها ٦٨٥ نفر هذا بخلاف الملح الذي كانت تستخرجه الحكومة من ملاحتي زاوية ودارة قر بيان سواكن
 فقد بلغ المستخرج منه نحو ٣٠ مليون قنطار وكان يتصدر منه الى جدة وعدن والهندار بعة ملايين قنطار قيمتها نحو
 مليون من القيرسكات وهذا وكان يبيع الملح في الديار المصرية على الاهالي جاريا بصورة غير مرضية الى أن اعتفت
 الحكومة في عهد الخديو توفيق باشا بأمره وجعلت له ادارة مخصوصة كاتقدم وقال المرحوم على مبارك باشا منذ كان ناظرا
 للاشغال العمومية في تقريره عن سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٢ لما كان تقدم هذه الصلحة المهمة متوقفا على اتمام
 المشروعات التي حصل التصميم عليها في سنة ١٨٨٠ قد بدلت الحكومة طرفا من العناية في اتمامها فانشأت
 في سنة ١٨٨١ اثنتين وثلاثين شونة بالأقاليم لصيانة الملح وحفظه وأصلحت بعض أشوان قد بعة واعدمت جملة
 ملاحات صغيرة لافالدهم منها وازداد عدد الخفراء فبلغ ٤٢٦ نفر بعد أن كان ٣٤٧ نفر في سنة ١٨٨٠ هـ
 واعتنى بأمره أيضا رباش باشا في وزارته (١٨٨٨ - ١٨٩١) اعتناء زائدا

مايو ١٨٨٣ الى ٧ يناير ١٨٨٤) ومحمود جدى باشا الفلكي (٢٩ يناير سنة ١٨٨٤ الى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥) وهى على حالتها القديمة ولما عين عبد الرحمن رشدى باشا ناظرا للاشغال والمعارف (٢٠ يوليو ١٨٨٥) التفت اليها بمساعدة وكيله يعقوب ارتين باشا وقال فى تقريره الذى قدمه عن حالة المدارس اذ ذلك ما ملخصه ان المدارس التى مضى على النظام الذى كانت عليه الى ما قبل هذا العام نحو العشرين سنة مع كونها آتت ولا تزال تأتى للبلاد بفوائد لا تشكر ومن اياتها كرفقشكر يظهر ان قدالم بها منذ عهد ليس ببعيد ما وقفها عن السير فى طريق التقدم حتى أخذ بعض الناس بساقتها بالسنة حداد وجعلها عرضة للظعن والانتقاد ورشقها بسهام اللوم الشديد و فوق اليها سنة القدر والتنديد ولما فوضت ادارتها الى عهدتنا رأينا من الوجوب علينا ان نبحث عن العلة التى بعثت على انحطاطها فى أعين بعض الناس فظهر لنا بعد البحث الدقيق ان بها جملة أمور قابلة للظعن فأخذنا على أنفسنا ان تزيل تلك الاختلالات ونقوم بهذه الاعوجاجات اه و ذكر اللورد دوفرين فى تقريره الذى رفعه الى اللورد غرانفيل عقب الاحتلال فضلا عن المعارف قال فيه انه من العنى عن البيان ان كلام من مساعينا المنح مصر ادارة حسنة تحبب ما لم ننظر نظرا دقيقا فى كل فروع المسائل التى تتألف منها تلك الادارة وتخصص كلامها بما يلائمها فليس للمصريين حق فى التشكى من وجود عدد وافر من الاوربيين فى الادارات اذ كان من المستحيل فى الوقت الحاضر وجود وطنيين نائلين كل الصفات المرغوبة والتهديب المطلوب للقيام بالمصالح المسلم زمامها للاجانب لضرورة الحال فان كان يرغب التخلص من هذا التشكى الشرعى فلا وسيلة لذلك الا بان تأخذ الحكومة المصرية بعزم ثابت وطوية سلمية أمر تهذيب الخيل الجديد اه ثم ذكر المدارس الموجودة يومئذ فى القطر المصرى وهى المذكورة بأسفل الصحيفة (١) ثم قال اذا أمعنا فى هذه البناية المتسعة الجامعة مشتملات التهذيب والمتوجهة بالجامع الازهر

(١) (أولا) الجامع الازهر وهو مدرسة جامعة يدرس بها علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية وبه من الطلبة نحو ثمانية آلاف طالب على ثلثمائة أستاذ (ثانيا) المدارس التى انشأها مرسلوا الاجانب ونحلهم ويبلغ عددها ١٥٢ مدرسة تحوى ١٢٤٤٧ طالبا منهم ٦٤١٩ أو ٥٢ بالمائة من المصريين وخزينة الحكومة تدفع ميعينات سنوية لبعض هذه المدارس (ثالثا) (مدارس الحكومة وتنقسم على الوجه الآتى)

(١) مدارس بسيطة ابتدائية مشيدة فى مدن وقرى القطر المصرى ويبلغ عددها ٥٣٧٠ وتحوى ١٣٧٥٥٣ طالبا وجزأ من ٤٠ من عدد سكان القطر ويعلم فيها قراءة وحفظ القرآن الشريف غيا ويزاد فى بعضها تعليم الخط والحساب (٢) مدارس أولية عالية ويوجد منها ٢٧ تحوى ٤٦٦٤ طالبا فأحداها فى العاصمة ونفقتهما دخلت فى ميزانية نظارة المعارف وتحوى ٦٤٨ طالبا وهى مثال للدارس الموجودة والمنوى انشاؤها فى مراكز المديرية والقرى الكبيرة ومدى التعليم بها أربع سنوات فى خلالها يتقوى الطالب فى قراءة القرآن الشريف وكتابة اللغة العربية وعلم الحساب وفى غضون السنة الاخيرة منها تعطى له مبادئ التاريخ والجغرافية ومبادئ لغة أجنبية (انكليزية أو فرنسية أو ألمانية) حسب رغبة الطالب والخط الاوروبى و يترقى الطالب من هذه المدارس الى المدرسة المجهزة فى القاهرة ومن هذه يتدرج الى المدارس العليا ونفقة المدارس الأولية قائمة من ايراد بعض الاطيان فى الوادى وهى التى وهبها حضرة الخديو الاسبق امميريل باشا لهذه الغاية وتؤدى من وزارة الاوقاف والاحسانات لخصوصية (٣) المدارس المجهزة فى مصر تحوى ٢٩٢ طالبا يتدرج منها الى المدارس العليا ومدى التعليم بها أربع سنوات فى خلالها يتعلم الطالب لغة أجنبية والعربية والرياضيات والطبيعات والكيمياء والتاريخ الطبيعى والتاريخ العام والجغرافيا والخط العربى والافرنجى والتصوير وفى ست مدارس أولية

المنتشر صيته في آفاق الارض خيل لنا ان المصريين هم الشعب الاكثر تهديبا على سطح الكرة ولكن من نكد الطالع نرى الحال بالعكس فالولد المصري يبلغ الحلم صغيرا وله قابلية خاصة لتعليم اللغات والرياضيات لكنه متى وصل الى درجة محدودة في التقدم لا يتشى نحو عقله تشى نحو جسمه في ادراك العلوم العالية وان الزواج البسار هو أحد العلل الرئيسية التي تقطعه عن اطراد رضاة ألبان المعارف وكم من الطلبة تراهم جالسين على مقاعد التعلم وهم حاملون على مناكبهم أحمال الزواج وان ضعف البصر مانع آخر لنجاحهم وهناك أيضا علة يجب مداواتها فانهم يستخدمون في التعليم قوة الذكاء الى حد الافراط ويغفلون عن تمرين بقية القوى العقلية وطريقة التعليم في الجامع الازهر جافة وغرسها في العقول عقيدة لا تثمر فائدة ولا نتاجا حين العمل وقلمنا ينبغ تليذ من الصفوف الاولى في مدارس الحكومة بانتهاء مدة دروسه الى درجة تؤهله للانتقال الى مدرسة أعلى على انه ينتقل اليها لثوب مناب الخارح منها ويعلا الفراغ فتكون النتيجة انه يساير دروسا عالية حالة كونه لم يتم دروسه السابقة ثم قال ان المدرسة التجهيزية هي الوحيدة التي يؤخذ منها التلامذة لمدارس الصنائع والفنون وهي غير كافية لسد الطلب ولكن يمكن سد هذا الخلل مؤقتا بأخذ تلامذة مدرسة الصنائع والفنون من تلامذة مدارس المرسلين الاجانب لانهم أنجح من تلامذة مدارس الحكومة لكن الوزارة عارضت ذلك حتى الآن بقولها ان تلامذة مدارس الاجانب لا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون باقي الفنون وبما ان مدرسة المهندسخانة ومدرسة المساحة ومدرسة الصنائع ذات بغية واحدة أعني اخراج مهندسين وميكانيكيين فلربما أفاد ادماجها في سلك واحد تحت ادارة واحدة ومدرسة الحقوق التي يجب ان يتسقى منها القضاة وأرباب المجالس مشيدة على أسس غير ملائمة لمقتضيات القطر وبما ان المجالس الوطنية والمجالس العدلية من المسائل الوافرة الاهمية فيجب توسيع هذه المدرسة بزيادة عدد أساتذتها وانتقاء عدد وافر من تلامذة مدارس الحكومة والاجانب وادخالهم فيها ويجب تنظيم مدرسة اللسان على أساس يوصل الى نوال العدد الاكبر من المترجمين والمستخدمين الثانويين لمصالح الحكومة فان أكثر المترجمين

يتشأصف ويعلم به علوم المدرسة العليا على مدى سنتين (٤) مدارس الصنائع والفنون وهي (١) مدرسة الطب وتحتوي ١٧٦ طالبا ويحق بهامدرسة الصيدليات وطبها سبعة ومدرسة القواويل وطبها ثمانية عشر (مديرها فرنسوى) (ب) مدرسة سائر الفنون (المهندسخانة) وتحتوي على خمسين طالبا (ت) مدرسة المساحة وتحتوي على ٣٩ طالبا (ث) مدرسة الفنون والصنائع وتحتوي على ٥١ طالبا (مديرها فرنسوى) (ج) مدرسة الشرع (الحقوق) وتحتوي على ٣٧ طالبا (مديرها فرنسوى) (ح) مدرسة اللغات وتحتوي على ٢٣ طالبا (مديرها فرنسوى) (خ) مدرسة المعلمين وتحتوي نحو ٦٠ طالبا (مديرها فرنسوى) (د) مدرسة الفعلة وتحتوي على ٧٩ طالبا وهي تحت ادارة مدرسة الفنون والصنائع ويندخ بها تلامذة المدارس الاولية الذين لم تظهر منهم أهلية للدروس العالية (ذ) مدرسة العميان والحرس وتحتوي على ٧٥ طالبا من الجنسين (ر) مدرسة البنات وكان لهن سابقا مدرستان احدهما لعائلات النبوات والثانية لعائلات الفقراء لكنهما اندمجتا سويا وتحتوي ٣٠٠ طالبة (ز) المدرسة العسكرية في القاهرة (مديرها فرنسوى) (س) المدرسة البحرية في اسكندرية وازيادة عن ذلك يوجد بولوروا ٤٩ شابا مصريين من مدارس الصنائع والفنون لانعام دروسهم والحكومة المصرية تتفق على أربعين منهم والتسعة الاخرون يتفقون من طرف أهاليهم وهم موزعون كما يأتي ٤٧ في فرانسوا وواحد في انكتر وواحد في سويسرو يتعلم ١٤ منهم الطب و ١٠ الشريعة و ٢ الهندسة و ٢ الهندسة الآلية و ٨ يتجهزون للدخول في مدرسة البيطرة و ١٣ يتجهزون للدخول في مدرسة الطب اه

الرسامين في الوقت الحاضر من السوريين الذين برعوا بسبب حسن التعليم الذي تلقوه في مدارس
 المرسلين الامير كان والفرنسيين والالمان في سوريا وقد تقدم عهد الكتب المستعملة في المدارس
 العالية وما ذلك الا لتأخر ترجمتها ونشرها باللغة العربية وما يحتاج اليه القطر مدرسة زراعية
 لانه زراعي صرف فمحصوله تبلغ سنويا نحو ١٥ مليون جنيه ولا ريب ان هذا الايراد ينجح اذا
 اذا استخدمت الطرق العلمية في التسميد وتبديل المزرعات وطلبة هذا العلم المنتقون من اصحاب
 الاطيان في المديرية يستطيعون تمرير أنفسهم واختبار دروسهم في الدوائر الزراعية
 الواسعة كالدائرة السنية والدومين ومن أهم ما يحتاجه مدارس الحكومة مفتشون مهرة فاذا عين
 هؤلاء تحت رئاسة مفتش عام يراع زالت أكثر عيوب الطريقة المستعملة الآن على انه ولوتعين هؤلاء
 لما أمكنهم أن يراقبوا كل مدرسة الامرة في السنة لان المدارس بالقطر تزيد عن ستة آلاف ويكون
 من واجبات المناظرين ان يلاحظوا تعيين الاساتذة ولا يقبلوا غير البارعين منهم وان يلاحظوا امتحان
 التلامذة ولا يدعوا تلميذا ينتقل من صف الى أعلى او من مدرسة الى أخرى منها ما لم يتحققوا انه بلغ غاية
 الارب ويكون من خصائص المفتش ان يرفع عن عائق الحكومة نفقات الذين لا يتبين له ان عندهم
 أهلية لتلقي العلوم العالية ومن شؤون المفتش أيضاً ان يزور مدارس الاجانب ليضيف الى علومها
 علوماً أخرى من شأنها ان تؤهل تلامذتها للدخول في مدارس الحكومة العليا وفي مدارس الصنائع
 والفنون فان لم تكن طريقة التنشيس حسنة فكل القوانين والترتيبات مهما كانت هيئتها علمية
 ودقيقة تعتبر عديمة الجدوى وبما لي شاهدت عميانا فصب السبق الذي ناله البلغار والارمن في
 مدرسة (رورس ترينين كوج) بجوار الاستانة أرا في شديد الغيرة لتحصيل مثل تلك النتائج
 بادخال سننها في القطر المصري واحال ان أمل التقدم ضعيف طالما ان العامة تتعلم اللغة الفصحى
 العربية لغة القرآن كما في الوقت الحاضر حاله كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لان نسبة اللغة
 المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني والاعريقي الحديث الى الاعريقي
 القديم وعربية الفلاح لغة فائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذ لم تؤخذ هذه الاحتياطات
 الضرورية للحصول على النتائج الفعلية في المدارس العديدة التهذيبية التي أسرت اليها في سمر الجليل
 الحديد كسابقه غير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة في العسكرية أو في الصنائع أو في الخدمات
 العمومية وتظل عبارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا مسمى اه ببعض تلخيص نقول وعلى
 ما في هذه العبارة من الاعتراضات التي لا تخفي على اللبيب سعي كثير من أدباء الانجليز في جعل
 اللغة العربية الدارجة هي لغة المحادثات والمكاتبات والمراسلات ومن هؤلاء المستر ويليام
 ويلكس المفتش بنظارة الاشغال العمومية وقد وقع قوله في ذلك عند علماء وأدباء المصريين موقعا
 غير مقبول واعتراضوا عليه اعتراضا شديدا فمن ذلك قولهم ان اهمال اللغة الفصحى اضاعه للدين
 وعلومه وكذا اضاعه الجنسية التي في المحافظة عليها عز الامة ومنها ان اللغات الدارجة بمصر مثلا
 كثيرة فلعنة الصعيد الدارجة غير لغة البحيرة وهما غير لهجة كثير من أقاليم مصر ولذا لا يعرف أي لغة
 يجب السير عليها وغير ذلك من الاعتراضات الحققة المسلم بها ثم لما وجهت نظارة المعارف الى على مبارك
 باشا (١١ يونيو سنة ١٨٨٨) وجه عنياته المشهورة لزيادة تحسينها ومهد سبل انتشار المعارف

بالمدراس الاميرية التي فتحت في زمن نظارته وعددها ٢٥ مدرسة مختلفة باتجاه القطر (١) ولما شعر الناس بالحاجة الى التعليم لان الجهل من رعيه وخيم فهو الذي جرع على هذه البلاد الاذن وابتهلها بصنوف المحن التمس الناس بجميع جهات القطر بطلبات قدموها ومحاضر حرروها ففتح المدارس ببلادهم وتعهد الكثيرون منهم بالقيام بمصاريف تلك المدارس ولما رأته الحكومة ذلك قررت انشاء خمسمائة مدرسة جديدة تفتح تدريجيا كل سنة حتى قال يعقوب ارتين باشا عن تلك النهضة العلمية في كتابه المسمى القول التام في التعليم العام ومن الامور الجديرة بالذكر هو ان الاهالي لا اشتغالهم بمسئول بنيتهم وتعليمهم التعليم الصحيح وتعوديهم على التربية الحقة تراهم لا يبالون بالنفقات فيدخلون اولادهم مدرسة الابتدائية بالناصرية والقسم الابتدائي من المدرسة التوفيقية والحال ان المصروفات المدرسية فيهما ازيد بكثير منها في غيرهما من المدارس الابتدائية وذلك لظنهم ان التعليم والتربية فيهما ينبغي ان يكونا احسن منه في غيرهما بما ان المصاريف المدرسية فيهما ازيد بكثير من غيرهما اه وفي ١٩ ديسمبر من سنة ١٨٨٨ صدر امر عال بتشكيل لجنة استشارية بنظارة المعارف تؤلف من اهل العلم والفضل للنظر في مشروعات القوانين واللوائح المختصة بالتعليم وغيره مما من شأنه تحسين حالة المدارس وتسهيل طرق التعليم وقد اقرت هذه اللجنة على عدة اصلاحات لوروعي العدل في انفاذها لانت بغائده عظيمة وعلى ذلك كمالنا لى للامة طريقة احسن واسلم من الاهتمام بامر التعليم بنفسها بواسطة جمعيات تؤلف لذلك يساعدها اهل اليسار من البلاد ولا يصح الاعتماد على الحكومة في كل امر فلا يحسبك جلدك مثل ظفرك ولما كان بعض مدارس الحكومة تابعها لمصلحة الاوقاف انفتحت مع نظارة المعارف في سنة ١٨٨٩ على ان تديره تلك المدارس نظير مبلغ قدره ٤١٠٠ جنيه مصري تدفعه الاوقاف للمعارف سنويا وبذلك انتظمت مدارس الاوقاف وقررت الحكومة ايضا الغاء ادارة الارسالية المصرية باوروبا وتقرر ان تعطى نفقة لا تزيد عن ٢٥٠٠ فرنك سنويا للطلبة المرسلين من قبلها المجاورة بالمدارس العالية و ٢٠٠٠ فرنك سنويا لكل تلميذ يتلقى باوروبا بالدراسة التجهيزية وتقرر ان لا يرسل في المستقبل الى أوروبا على نفقة الحكومة الا تلامذة يختلف عمرهم بين عشر سنوات و ١٢ سنة ليكون لديهم الزمن الكافي لاتمام دروسهم هناك ومضار هذا القرار عديدة منها ان التلميذ المصري متى التحق بمدراس أوروبا

(١) المدرسة الحربية الجديدة: تأسست في سنة ١٨٧٩ وسبقها الكلام عليها ومدرسة المنصورة تأسست في سنة ١٨٨١ مدرسة قليوب تأسست في سنة ١٨٨١ مدرسة الجيزة: تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة طوخ تأسست في سنة ١٨٨٢ المدرسة التوفيقية بشبرا تأسست سنة ١٨٨٠ مدرسة دمياط تأسست في سنة ١٨٨٨ مدرسة السويس تأسست سنة ١٨٨٨ مدرسة سوهاج تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة بورسعيد تأسست سنة ١٨٩٠ المدرسة المحمدية تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة عباس ببولاق تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة محمد علي في السيد زينب تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة الزراعة في الجيزة تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة السنبلاوين تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة قفنا تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة اسنا تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة ادفو تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة الابراهيمية تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة بلبليس في سنة ١٨٩١ مدرسة أسوان تأسست في سنة ١٨٨٩ مدرسة القيوم سنة ١٨٨٨ مدرسة دمنهور تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة شبين الكوم تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة الزقازيق تأسست سنة ١٨٨٣ من كتاب الاحصاء الحضرة الفاضل أمين بلتساى

وهو بهذا السن قبل ان يتمكن من دراسة لغته الاصلية جيدا وقبل ان يعرف شيئا من عوائد
واخلاق ودين وطنه ينقلب اجنبيا متى عاد فيكون ضرره في الغالب أكثر من نفعه وغير ذلك من
الاضرار التي لا تخفى على البصير ومن أراد زيادة ايضاح فيما تم بتظارة المعارف اذ ذلك فعليه
بكتاب يعسوب آرتين باشا على التعاميم العام بمصر المطبوع ببغداد سنة ١٨٨٩ وكتابه على المعارف
العمومية بمصر مطبوع بباريس سنة ١٨٩٢ وكتابه القول التام في التعليم العام المطبوع بمصر
وتقارير المعارف السنوية والتقارير التي يرفها جناب لورد كرومر وكييل دولة بريطانياه السيامي
بمصر الى دولته سنويا ولما تولى محمد زكي باشا نظارة المعارف (١٤ مايو سنة ١٨٩١)
وضع للدارس قانونا اخليا عاما يشمل واجبات نظار المدارس والمدرسين والضباط والتلامذة
والعقوبات التأديبية وقبول التلامذة بالمدارس وغير ذلك وقد تم حوز هذا القانون مرارا وما زالت
المعارف آخذة في الترفي والتحسين بهمة القابضين على زمامها

البحرية في عهد الخديوي محمد توفيق باشا - سبق الكلام في مقدمة هذا الكتاب على أحوال
البحرية في الوقت المذكور ولكن نزلت بها بعد ذلك نوازل أتت على وجودها فأردنا ذكرها هنا وذكر
الاسباب التي سببت عياشتها والغناء وجافها وقفل أبوابها ومبيع سفنها فنقول انها لعقدت
الحكومة الخديوية معاهدة تمنع تجارة الرقيق من انحاء بلادها التي كانت تمتد اذ ذلك بداخل
أفريقية وعلى ساحل البحر الاحمر والمحيط الهندي كان للبحرية من هذا العمل الشأن الاول
بالمحافظة على سواحل البلاد المصرية للقيام بما تعهدت به مصر من منع التجارة المذكورة ولا يتأتى
لهذا الا بالمحافظة على دوام حياة اوجاق البحرية المصرية وترقيته كالجاري بالممالك الاخرى الا ان
الذين تولوا البحرية كان أغلبهم من غير العارفين بطرق الارتقاء الحاصل في العالم البحري الاوربي
فكنت ترى جسم البحرية المصرية مكوونا من هيئة عسكرية حربية في الظاهر ولكنه كان في
الحقيقة فاقد النظام الحربي تماما فلاقوانين مدونة ولا نظامات موضوعة ولا تعليمات حربية جارية
بين جنوده مع ان روح الحياة التي تقوى ذلك الجسم وتحفظه من الزوال تسد قوتها من تلك
الضروريات وكان كلما سألهم خبيرا بما جاز ذلك قالوا بالاكتفاء بالقوانين التي وضعها قدماء رجال
البحرية المصرية سنة ١٢٤٢ هجرية لاساطيلها كمن الجنان محمد على باشا باللغة التركية
مع ان معظم ضباط البحرية المصرية وقتئذ لم يكونوا على جانب عظيم من معرفة اللغة التركية هذا
على فرض ان ما بتلك القوانين العتيقة لم يتغير فبالك بها اذا كانت نسخت بسبب تغير شكل وهيئة
السفائن التي بعد ان كانت تسير بالشرع صارت تسير بالبخار وبعدها كانت تصنع من الخشب صارت
تسبب بالحديد وغير ذلك من التبديلات والترقيات التي حصلت في جميع الاسلحة والآلات الحربية
والأدوات البحرية التي وضع لكل منها قوانين ونظامات حديثة على مقتضيات الزمان فاذا نسبنا ذلك
لجهل الرؤساء بما تجتهد من السفن الحربية وغيرها كنا مخطئين لاننا كنا نشاهد الكثير من أساطيل
دول البحار تزور سنويا الفرض المصرية ويتبادل قوادها الزبارة مع قواد سفن مصر الذين كانوا
يشاهدون بانفسهم ما بتلك السفن من النظامات وحتى لم يهتم أحد منهم بترجمة بعض المؤلفات
البحرية الاورباوية مع ان الكثيرين من ضباط البحرية كانوا يطلعون على المؤلفات الحديثة التي

وضعها وترجعها ضباط الاساطيل العثمانية واقد كانت عاقبة هذا الاهمال مشؤمة وكان هؤلاء الرؤساء أعداء للتقدم حتى كان بعض العارفين يرى ان شركات الملاحة العادية ارقى منها وبعد ان مضى على السفن المصرية عدة سنوات وهي على ما علمت من التأخر والاهمال تثلث اجزاؤها لعدم تعهدتها بالاصلاح في الوقت اللازم فانحط شأنها بعد تلك الخدمة التي قامت بها امدة الفتوحات السودانية وفي حروب مصر مع الحبشة ومدة حرب الدولة العلية للصرب والروسيا في زمن الخديو الاسبق اسمعيل باشا ولمارات ادارة البحرية ان اصلاح تلك السفن أصبح بالاهمال يحتاج لمبالغ وافرة ليست متوفرة لديها ابان عصرها المالى اضطرت الى ربط أغلبها داخل الميناء وكان وكيل البحرية المرحوم قاسم باشا عازل من منصبه بامر الخديو اسمعيل باشا لخلاف وقع بينه وبين موريس بك مأمور خفر السواحل الا ان المرحوم توفيق باشا رده الى وكالة البحرية ثانية وكان في ذلك الوقت محمد كامل باشا قومندان ابوابور المحرسة (١٢٩٦ هـ) وموسى بك قومندان الفرقاطة محمد علي وناظرا لدار صناعة الاسكندرية (١٨٨٠ م) وكان المؤلف برتبة قبودان ثان للدار عسة ونقله المتقدمة في خفارة ميناء بورسعيد وبعد قليل أحيل موسى بك على المعاش وخلفه في فرقاطة محمد علي البكباشي احمد شقير قبودان وفي نظارة الترسانة القائم مقام محمد رامين توفيق بك ولكنه لم يلبث طويلا حيث عين مأمورا بحريا صحبه على رضا باشا الذي جعل محافظا لسواحل البحر الاحمر وفي خلالها وقعت مسألة سيلول التي تقدم ذكرها وقتل فيها بعض الطليانين فعينت الحكومة لجنة تحت رئاسة ابراهيم رشدي باشا وعلاء الدين باشا محافظ مصر وبعض رجال العسكرية وأمين توفيق بك من قبل البحرية لتحقيقها وسافرت على ابواب الجعفرية قبودانية على بك شكري (١) لوقوع الحادثة المذكورة في ملفقات الحكومة المصرية وقد انضج لهم من التحقيقات ان مشايخ بلاد عصب كانوا نكحوا الضابطين ومن معهم من العساكر الطليانية بعدم التجول في داخلية البلاد فلم يذعنوا لتصحيحها مقصدا منهم ما احدث امر تستفيد منه حكومتها ثم عادت اللجنة ولم تنههم أحدًا بجنائية وفي أثنائها باعت وكالة البحرية فرقاطة شيرجهاد و باخرة شندي (١٨٨٠ م) فتأسف رجال البحرية على ذلك وتطروا منه سيما وانه كان في الامكان اصلاح فرقاطة محمد علي بنفقة قليلة ونجم من ذلك تنديد ضباط البحرية بأعمال الرؤساء وقدم بعضهم تقارير سرية الى نظارة الجهادية والبحرية شرحوا فيها الحالة السيئة التي وصلت اليها البحرية التي بلغت في زمن ساكن الجنان محمد

(١) على بك شكري أصله من بلدة ببيان من أعمال مديرية البحيرة وكانت ولادته في حارة المغاربه بأسكندرية سنة ١٢٤٥ هـ ولما بلغ من العمر تسع سنوات ألحق ب مدرسة رأس العين الاميرية (١٢٥٤ هـ) وتعلم فيها مبادئ العلوم ثم في سنة ١٢٦١ التحب به حسن باشا الاسكندرا في للدرسة البحرية التي كانت يومئذ يفتون عكا المعروف بقرية ٦ فقيم فيها فنون البحرية على القبودان أنطون التلياني وكان الامير محمد سعيد باشا يحضر فيها دروس البحرية ايضا ثم رقى المترجم الى رتبة اسبران ولحق بسفن الدونماسة ١٢٦٤ هـ ثم عين ضابطا بفتون بنى سويف مذ كان قبودانه الامير سعيد باشا وصار بعدئذ ينتقل من سفينة الى أخرى ويترقى حتى صار قبودانا لوابور كفت سنة ١٢٨٣ وصافره عند سفريات بالبحر الاحمر مدة حملة الانكسار على الحبشة وفي سنة ١٢٨٧ عهد اليه الخديو اسمعيل باشا مأمورية نقلت بواخر من الشلالات لتوصيلها الى الخرطوم فقام بهذه المأمورية أحسن قيام فأحسن اليه برتبة قائم مقام ثم أحسن اليه برتبة امير الالى سنة ١٢٨٨ وتعين قبودانا لفرقاطة محمد علي عند مات عينت لمأمورية قسمها بجمعية مكيلوب بك السابق الكلام عليها (١٨٧٥ - ١٨٧٧) وفي سنة ١٨٧٩ جعل ملاحظا لسفن المري بالسويس وفي سنة ١٨٨٢ أحيل على المعاش

على باشا مبلغا عظيما من التقدم وبينوا فيها بعض الاصلاحات التي تحتاجها ليعود اليها بهض مجددا وقد اوردنا صورة تقرير من تلك التقارير بأسفل الصحيفة ليطلع عليه القراء ويحيطوا علما بكيفية اوسع مما كانت عليه حالة البحرية في الوقت المذكور (١) وكانت آمال اولئك الضباط تذكيرا واولياء

(١) قد كانت لنا في عهد ساكن الختان محمد علي باشا بحرية عظيمة وصلت الى درجة قربت بها مصر ان تعد من الدول البحرية ذات الدرجة الثانية فكانت الترسانة الموجودة الآن بمصر فاسكندرية صالحه لان تبني في زمن واحد ثلاث مراكب من ذات البطارياتين أي من نوع القبايق وذلك من حسن تقدم فرقة الصنایعية العسكرية التي كانت تشكلت تحت مراقبة مهندسين مصريين حازرين جليل هذا الفن وديقه من الترسانات الاوربوية حتى وصلت هذه الفرقة (التي كان عددها يقرب من الاربعة آلاف) الى درجة اعتبرهاها مهندسو ترسانات أوروبا من الطبقة الاولى وحتى ورد عنها جملة مدائح طويلا في التواريخ الاوربوية . على انه بعد هذه الدرجة الرفيعة والشان العظيم وبعد ان وصل عدد المراكب البحرية الى ما فوق الاربعة وستين مراكب بخلاف السفن النقاله طرأت عليها الطوارئ فصارت في حالة الابداس والاضحلال ولم يبق منها في الترسانة سوى اعمامها في الدفاتر ثم حصل تغيير كلي في هيئة السفن فتبدل الشراع بالبخار وتدرعت جوانب السفن بالحديد وصار يشتري بعض سفن تجارية الا انه اطول مدة الاستعمال حصل بها وبقراناتها عدة تحريبات ولكن للأسف ما كان يمكن تمهيراها وتصليحها بالترسانة لان القاريات المصرية كانت من الطرز القديمة على حين ان أمثالها في ترسانات أوروبا وبولوسارت في ميدان الاختراع والتحصين شوطا بعيدا وتقدمت في طريق الابتداء والتقدم امدام مديا فصارت القاريات التي كانت تستغل بخمسائة نفر تستغل بالبخار ثلاثين فقط مع السهولة والسرعة وزيادة على ذلك عدم وجود صنایعية بصير للتشغيل فكل ذلك كان باعثا على عدم اصلاح أي ختل في قران أي مركب فكانت تترك وتعتبر غير صالحه ثم تباع وهكذا اخسرت مصر جملة مراكب بحرية كان يمكن اصلاحها بمبالغ قليلة وذلك لوانتبع المقرر في جميع البحريات وهو ان قرانات المركب البخاري يلزم تغييرها كل ست سنوات ولو جارت الدول الاجنبية في ادخال التحسينات والاختراعات بالترسانة خطوة بخطوة وجعلت الصنایعية من الجهادية بدلا عن الملكية التي تباع بومية الخباز منهم ثم لا يزيد عن اربعة من قران أي نحو مائة وخمسة عشر جهادا الامر الذي لو كان حصل لما كان تكلف كل من قرويت الصاعقة وقرويت لطيف نحو مائة واربعين ألف ليرة سوى من الاجلحة مع انه يمكن مشتري مثل أحدهما من الخارج بمبلغ لا يزيد عن اربعين ألف ليرة بكافة أجهزته وآلاته . وليس هذا فقط هو الخلل فان الادارة البحرية والتعليمات البحرية بها ليست على أساس لانها مكفية بالقوانين والتعليمات القديمة التي صارت بلاشك بحكم الحال والزمان ملغاة ومنسوخة . وهذه أوروبا بنت لبحرياتها قوانين ورتبت لها نظمات حديثة متوافقة وملائمة لانواع المدرجات المستجدة والاختراعات المتبدعة وأما عندنا فقديم على قدمه . فهذه النهاية المحزنة التي وصلت اليها بحريتنا بعد عجزها ومجددها هللتني بصفتي وطني وبصفتي بحري في أن واحدا ان أقدم هذا المذكرة شارحا فيها كيفية علاجها من هذا الداء بعد ملاحظة ان يكون الاصلاح تدريجيا والميزانية لا تساعده على بذل مصروفات كبيرة دفعة واحدة وذلك انه يقتضي

(أولا) قلب قاريات الترسانة على الصنوع الجديدة ولو في كل عام واحدة حتى بعد خمس أو ست سنوات ترى عند ترسانة صالحه لبناء وتعمير المراكب بمبالغ زهيدة (ثانيا) تشكيل بلوكين صناعية وتوزيعهم على كافة الصناعات بحسب اللزوم فان مصاريفهم لا تزيد عن مصروفات طائفة مركب واحدة وبذلك يكونون في مدة تغيير القاريات قد وصلوا على درجة نستغني بها عن الصنایعية الملكية (ثالثا) تعمير المراكب الموجودة بالتدريج وتغيير قراناتها وما لا يصلح منها التغيير يكون من ضمن مراكب القروية المعينة لاجراء المراسيم البحرية داخل الميناء وتعلم به العساكر المستجدة مبادئ التعليمات البحرية (رابعا) سرعة ترجمة وتنقيح القوانين البحرية لا راجع النظام البحري الذي اندثر بالكليّة وصار اجساما بلا جسم (خامسا) اصلاح حال المدرسة البحرية وترتيبها على نغز المدارس البحرية الاجنبية (سادسا) فاض مدرسة ميكانيكية بحرية لعدم الاحتياج الى مهندسين أجنب (خصوصا ان المركب الحربي في سائر الدول لا يجوز ان يكون به مهندسون أجنب في وقت الحرب ولاجل مسايرة الاختراعات الجديدة مثل ان المراكب التي كانت تحرق في الاربع وعشرين ساعة تسعين طونن لا تفهم

الامور بأهم ما يحتاجه الديار للحفاظ على سواحلها من جهة ومن جهة أخرى السعي وراء الحياة الى تلك الادارة التي نشأ بعضهم فيها وصرف جزأ عظيم من سني شبابه في الاسفار الخطيرة التي عادت على الاوطان بعد النفوذ على الساحل الافريقي وقد أفاد هذا التقرير بفائدة مهمة اذا وجد قلوبا واعية اذ ذلك حيث صدرت الاوامر الى البحرية بتشكيل لجنة لتنقيح القوانين ووضع الجديد منها واصلاح بعض السفن ولكن لما كان

ما كل ما يتنى المرء يدركه * وثأني الرياح بما لا تشتهي السفن

قامت الحركة العربية وأعقب ذلك الغاء البحرية بالمره وبيعت بواخرها وسفنها كما سبق في المقدمة وكما سننبه

وفي أثناء ذلك أصلح قرويت الصاعقة وجعل لتمرين تلامذة المدرسة البحرية و صار البكاشي السيد شرف افندي قبودان له و عينوني له مأمورا بالبطارية ومعلم الفنى الحرب والطوبخية البحرية (٢٩ مايو ١٨٨١ م) وتعين معنا البكاشي على افندي قبطان المديب مأمورا لتعليم فنى الارمه واستعمال الشراع وبعد ان تمت معدات السفينة المذكورة أفلعت بالتلامذة وكنت أنا بها وبعد تمرين دام شهرا ونصفا عدنا (١٢٩٨) ثم أمر القرويت المذكور بالسفر الى السويس للمحافظة على سواحل البحر الاحمر (٢٤ نوفمبر ١٨٨١) ولما توقف قبودان عن السفر تعين لقيادته المرحوم والدي سرهنك بك وكان اذالك بوظيفة باشمعاون للبحرية وفي خلالها تشكل مجلس حربى تحت رئاسة

صارت الان تحرق أقل من خمسة وعشرين ولا تخفى فائدته مثل هذه الاختراعات التي يلزم ادخالها عندنا في الحال (سابقا) اصلاح هيئة ملابس العسكرية البحرية وتنظيم مدها مثل ملابس عساكر البحرية الاخرى لانها الان غير موافقة للصناعة البحرية ولا تحمل المدة المقررة لها (ثامنا) تشكيل قومسيون حربى من ضباط البحرية اللائقين لممارسة التعليمات الجديدة اللازمة مع استحضار كافة الكتب المستعملة في صائر البحرية ليقب منها ما يصلح للتعليمات من دناو بذلك تقدم الضباط وتنشر المعارف البحرية في عهد قريب (ناسعا) تعيين مركب أو اثنتين لتمرين الضباط والعساكر والتلامذة على كيفية السير بالشراع وخلافه ولوشهرين في السنة خارج البوغاز وفي ساحل القطر لعدم الكلفة كما هو جارد واماني جميع الجربات وكلما لزم للركاب البحرية عساكر وخلافه يؤخذون من المراكب المذكورة (عاشرا) تميم طواقم الخمس مراكب البحرية الموجودة بالبحرية بعد تعبيرها بشرط ان يكون التقسيم بحسب القوانين البحرية حتى يمكن اجراء التعليمات بها واما تمرين الضباط والعساكر على التعليمات البحرية التي يتأني في المستقبل فتقديم مراكب كبيرة منهم بشرط ان تكون التعليمات بحسب النظامات المستعملة مع اعادة تدافع وابورات الخراطوم وسنار والطور التي كانت فصلت عنها (حادى عشر) اتمام الآلات البحرية في المراكب واستحضار ما يلزم من الاسلحة المستعملة مثل الساروخ الحربى البحرى والمدافع الصغيرة المصنوعة لمنع فلائك التوربيد وهى التي على شكل المتراليوز فوضع في بورردو المراكب لكل مركب أربعة على الأقل (ثانى عشر) وضع قنار كهربائى لكل مركب من الفئارات النقالى الصغيرة الحجم المخترعة جديدا لغرض ازالة الاقن واجراء الاكتشافات واستعمال الاشارات ورؤية المراكب وفلائك التوربيد وفي ظلام الليل - ثم انه مستعمل في بحريات الدول مراكب صغيرة من أنواع الجانبونات أى المدفعية التي تحمل الواحدة منها ٦ أو ٤ مدافع وتؤدى مأمورية مركب حربى كبير من المأموريات العادية كتفظ السواحل والقصر قولات وخلافه مع رخصتها وقلة مصاريفها لان من الواحدة لا يزيدن ٢٥ ألف ليرة بما فيه من الاسلحة وطائفة لا تزيدن ٨٠ نفرا ويخترق في كل ٢٤ ساعة أربع أو خمس طونيلات فقط عندما تكون مكينتها من الطرز الجديد ويومع مراعاة تغيير المراكب المذكورة لبعضها بعضا في المأمورية ودخولها الاحواض مرتين في السنة أو الاقل مرة واحدة في السنة تتصل من ذلك فائدتان مهمتان الاولى حفظ المركب وصونها للغاية خصوصا اذا كانت المأمورية في بلاد حار الثانية تمرين الطائفة على التعليمات والسفريات البحرية في المناسبات جدا مذكره أمثال هذه المراكب للقطر وبذلك تعود البحرية المصرية زاهية زاهرة وتصير باهية باهرة

أحد عجبي ترى البحرية

الفريق راشد حسني باشا التحقيق الشكوى المرفوعة من ضباط البحرية في حق وكيلها قاسم باشا (١) الذي أحيل على المعاش بعد ذلك بقليل وصرف النظر عن التحقيق وخلقه في وكالة البحرية بمحمد كامل باشا وصارت عين حسين فهمي بك قومنداناً بباخرة المحرسة وفي منتصف صفر من سنة ٩٩ تعينت بوظيفة قبطاناً لفرقاطة محمد علي وبعد عودة الصاعقة من البحر الأحمر تعين المرحوم والدي ناظر المصلحة الانجرارية والترسانة النيلية بدل أحمد باشا حسنين (٢) الذي اختص بمصلحة

(١) قائم باشا هذا أصله من موره حضر الى الديار المصرية صغيراً عقب عودة الجيوش منها بمعية ابراهيم باشا الكبير ثم لحق بالمدارس الاميرية (١٢٥٥ هـ) وبعد ان تعلم العلوم الابتدائية نقل الى المدرسة البحرية فغلتق علومها على القبطان انطون التلياني وأحمد قبطان مطش ثم قضاطاً بالدونما (١٢٦٥ هـ) وفي سنة ١٢٧٠ نقل الى سفن النيل وجعل قبطاناً في باخرة برتبة ملازم وصار يترقى فيها الى أن نال رتبة الصاغقول اعلى (١٢٧٥ هـ) وجعل قبطاناً بالباخرة أسبوط بالبحر الابيض المتوسط ثم رتبة البكاشي (٢٣ ربيع آخر ١٢٧٦ هـ) وعين قبطاناً للفرقاطة محمد علي بعد اصلاحها بانكثرة وفي ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ رقى بالمر الحديوي اسمعيل باشا الى رتبة قائم مقام وفي ١١ جمادى الآخرة من السنة المذكورة جعل ميرالايحيث كانت أسفاره وقتئذ جميعها بمعية الحديوي لما اشتعلت نيران الثورة في جزيرة كريد (١٢٨٣) بعينه الحديوي بفرقاطته مع باقي السفن لتوصيل الجيوش المصرية لمساعدة جيش الدولة بها فبقى في ميناء سوادة باشاً وبعاً على البواخر المصرية مدة الحرب ورقى الى رتبة اللواء (٨ رجب ١٢٨٣) المذكورة وهين وقتئذ والدي المرحوم سرهنگ بك قومنداناً على الفرقاطة محمد علي الحاملة علم المترجم ثم بعد عودة الجيوش (١٢٨٤ هـ) عين المترجم قبطاناً بالباخرة المحرسة المخصوصة لركوب الجناح الحديوي بلا من قدر يكو باشا وصار يرافقه بالركاب العالي الى كل جهة يقصد هاتماً في سنة ١٢٩٠ سافر بها المترجم الى لوندرة لتطويلها وتغيير ممر اجلها وكنت وقتئذ ضمن ضباطها ثم بعد العود رقى المترجم الى رتبة الفريق (٥ ربيع الآخر ١٢٩١ هـ) وجعل وكيلاً للنظارة البحرية وخلقه في قومندانية المحرسة بمحمد كامل باشا وفي مدة حرب مصر للعبثه قادم المترجم وابور المحرسة كما مر حيث كان قومندانها كامل باشا معينا قومنداناً لباخرة الغربية واشتغلت بالبحر مع باقي البواخر الحديوية في نقل الجيوش المصرية الى مصوع ثم بعد ذلك عين المترجم سنة ١٢٩٣ مأموراً بالسوق الجيوش المصرية في حرب مصر وبالروسية حيث جعلت تحت امرته البواخر المصرية العينية في هذه المأمورية وكنت معاً والله طول هذه المدوة بعد العود عاد الى الوكالة ثم في سنة ١٢٩٥ عزل من البحرية بسبب شكوى قدمها في حقه موريس بك مأمور خفر السواحل الى الوزارة المختلطة بدعوى ان المترجم تعدى على خفيار المصلحة المعين على باب ديوان البحرية وفي سنة ١٢٩٦ أميد لوكالة البحرية نائباً بامر الحديوي محمد توفيق باشا وفي سنة ١٢٩٧ فصل عنها عقب أعمال المجلس الحربي الذي تشكل تحقيق الشكوى التي تقدمت في حقه من كثيرين من ضباط البحرية ثم نسب له الاشتراك في الحوادث العرايبية وأخيراً صدرت الاوامر الحديوية باحاله على المعاش في وزارة راجب باشا (١٢٩٨ هـ) وفي مساء الخميس (١٩ رمضان سنة ١٣١٥) انتقل الى رحمة ربه في القاهرة فدفن بما يليق به من الاحترام رحمه الله رحمة واسعة

(٢) أحمد باشا حسنين أصله من قرية مينة حبيب من أعمال مديرية الغربية وتخرج به أبو صغيراً وأدخله مدرسة رأس النين الاميرية سنة ١٢٤٩ هـ وبعد ان تعلم فيها مبادئ العلوم دخل المدرسة البحرية التي كانت باحدى سفن الدونما (١٢٥٤ هـ) وكان وقتئذ يبلغ سن الثامنة عشرة وبعد ان تعلم علوم البحرية فيها ترقى الى رتبة ملازم نان بسفن الدونما وفي سنة ١٢٦٦ عين لواءاً بفريروز رتبة المرحوم عباس باشا الاول ببحر النيل ورقى لرتبة ملازم اول ثم في زمن المرحوم محمد سعيد باشا بلغ رتبة الصاغقول اعلى وجعل قبطاناً بالباخرة حجازي فرح العبد لركوبه الوالي وبق فيها يترقى الى سنة ١٢٨٠ وفيها نال رتبة ميرالاي وصار قبطاناً لركوب باخرة الحديوي اسمعيل باشا بالنيل وسافر فيه عدة أسفار مع أكبر الاور وبابو بين لحدالك اللات ووادي حلفا وأخيراً رقى الى رتبة اللواء الرفيعة وأحيل عليه أشغال نظارة وابورات الانجرارية (١٨٧٧ م) وفي سنة ١٨٨٠ انفصلت ادارة الانجرارية من الركاب الحديوية بالنيل وبقى هو ناظر اعلى وابورات الركاب وتعين المرحوم والدي سرهنگ بك ناظر لترسانة

بواخر الحديدية وأرسلت الصاعقة لخفارة بورسعيد مكان الدارعة دنقلة التي ذهبت الى
السويس وتعين لقيادتها مصطفى افندي العنتابلي ثم غرقت الدارعة المذكورة عند سفرها الى
مصوع بجوار رأس كسار وأنقذت جنودها باخرة الجعفرية (١٨٨٤) ثم لما احتل الانجليز
البلاد تعين عمر طفي باشا ناظرا للبحرية والجهادية في وزارة شريف باشا وأسندت وكالة البحرية الى
المرحوم حسين شرين باشا (١) الذي لم تطل أيامه فيها حيث توفي بعمر سبعمائة سنة ذهابه الى فرنسا لتغيير
الهواء كإشارة الاطباء (١٨٨٢) ولما أحيل بعض ضباط البحرية على المعاش والاستيلاء عقب
ما نسب اليهم من الاشتراك في الثورة تعين لوكالة البحرية مصطفى باشا العرب الذي شرع في كسر
ومبيع معظم البوارج الحربية والنقلية وكذا موجودات دار الصناعة كإمر في المقدمة ثم ألغيت
البحرية وأحيل الوكيل المذكور على المعاش وأنعم عليه برتبة الفريق (٢) (١٨٨٢) فكان آخر

بولاق وبواخر الانجرارية (١٨٨١ م) وبق المترجم قائما بخدمته في النيل الى أن رقى الى رتبة الفريق وأحيل
على المعاش (١٨٨٩) وخلقه على وابورات الركائب على يد عبادي ثم توفي المترجم وهو في المعاش سنة ١٨٩١ م
تارك احسن الذكر

(١) حسين شرين باشا هذا جركسي الاصل من معانيق ساكن الجنان ابراهيم باشا الكبير الحقه وهو صغير عدرسة
قصر العين سنة تأسسها (١٨٢٥ م) وبعد ان تعلم فيها العلوم الابتدائية انتخبه العزيز محمد علي باشا ضمن
التلامذة المنتخبين للدرسة البحرية في سنة ١٨٢٨ فدرس علومها ثم لحق ضابطا بسفن الدونما التي أنشأها
العزيز (١٨٣١) ونال في سفنها رتبة اليوزبائي (١٢٤٧) ورقى في سنة ١٢٥٠ الى رتبة صولقول اعاشي
وفي سنة ١٢٥٣ رقى الى رتبة صاغقول اعاشي وفي سنة ١٢٥٥ صار بكباشي وقبوا نالا احدي الفرقاطات وفي
سنة ١٢٥٨ رقى الى رتبة القائم مقام وجعل قبوا نالا احدا للقباطات وخدم في مصالح أخرى ثم رقى الى رتبة المير الالاي
(١٢٦٢) وجعل قبوا نالا غايون الذي سافر به المرحوم ابراهيم باشا الى الاستانة لاستلام فرمان الولاية وكان المترجم
عيل الى عمل الحبر حتى انه أزال غضب العزيز عن الضباط الذين غرقت سفينهم بجوار جزيرة ساقر عند سفره الى استامبول
ثم في سنة ١٢٧٩ أحسن عليه الخديو اسمعيل باشا برتبة الميرميان الرفيعة وجعل مدير العموم القومية العزبية التي
شكها بعد الاغن القومية الجسدية فقام المترجم بتدعيمها وترتيب ادارتها أحسن قيام ثم جعل بعد ذلك مدير العموم
الجمارك (١٢٨٩) وخلقه فيها صفر باشا وصار يتقلب في المصالح الملكية الى ان أحيل على المعاش ولما أتى دور
الثورة العرابية انتخبه الخديو توفيق باشا لوكالة البحرية سنة ١٨٨٢ ولكن لم تطل أيامه فيها حيث أصابه مرض
عضال وأشار عليه الاطباء بتغيير الهواء فسافر الى فرنسا ولما وصل الى ميناء مرسيليا نفاذ الله فترك ذكر احسننا
(٢) مصطفى باشا العرب هو ابن المرحوم السيد علي المصري ولد في بلدة دكر من أعمال المنوفية سنة ١٢٢٨ هـ
ونشأ بدارس الحكومة وتخرج من المدرسة البحرية (١٢٤٥) ورقى اسيرانا (١٢٤٦) ولحق بفرقاطة
فوقه ثم نقل الى فرقاطة رشيد ورقى ملازمًا ثانيا بقرويت التماسح (١٢٤٨ هـ) ونال رتبة الملازم أول سنة
١٢٥٠ ورتبة يوزبائي ثاني (١٢٥٥) ويوزبائي أول (١٢٦٥) ثم تعين بواور في قبض جهاد ولا زال يترقى
الى ان أتم عليه محمد سعيد باشا رتبة الصاغقول اعاشي (١٢٧١ هـ) ثم عين قبوا نالا لقرويت وسياسح البحر
(١٢٧٤) وتوجه به الى انكتره لاصلاحه وجعله فرقاطة وصي به تدعيمه على وعاد به سنة ١٢٧٦ هـ وأنعم
عليه برتبة البكباشي (١٢٧٧) ثم عين قبوا نالا باخرة النيل (١٢٧٨ هـ) وسافر بها الى انكتره لاصلاحتها ولما
وصلها وجدتها غير صالحة للاصلاح صدر أمر الخديو بعمل باخرة أخرى من الحديد فسميت بالتيسل وهي التي سميت
فيما بعد بالقبوم ولحق بالبواخر الحديدية ودعى المترجم من انكتره ونصب قبوا نالا باخرة قبض جهاد ولما أهدى
الخديو اسمعيل باشا هذه الباخرة لاسلطان عبدالعزير خان جعل المترجم قبوا نالا دارعة ابراهيمية التي سميت بشري جهاد
وأنعم عليه برتبة قائم مقام (١٢٧٩ هـ) وسافر بها الى سواحل فرنسا الى عند نفرض من البحر المتوسط
الابيض وأنعم عليه الخديو برتبة مير الالاي (١٢٨٠ هـ) والذشان المجدي الثالث ثم أصدر أمرًا بفرقاطة

رئيس قوتى وكالة البحرية ولم يسبق من بواخر الدول المصرية الا الجعفرية وقبودانها عبد الرحمن كاشي بك بالبحر الاحمر والصاعقة وقبودانها بوليجو باشا بوسعيد وفرقاطة محمد علي وقبودانها محمد أمين باشا باسكندرية وكانت السفن المذكورة تابعة لمصلحة النترات واليمان ثم باخرة المحروسة وقبودانها حسين فهمى باشا وهي تابعة للجمعية السنوية كما مر وفي سنة ١٨٨٤ بينما كان وابورنطا وقبودانها أحمد مسلم بك ذاهبا الى سواكن لتقل ذخائر الى بيكر باشا اصطدم بصخر فغرق وانقذت جنوده باخرة المحلة

ولما سافرت الجنود الانجليزية والمصرية في سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ لمقاتلة السودانين قامت البواخر النيلية بنقل الجنود المذكورة وما يلزمها من الذخائر والادوات وكانت السفن المذكورة تأسفل العميقة (١) هي التي تنقل الجنود والذخائر الى جنوبي الشلال الاول وبعدها انتهاء التجربة المذكورة شيدت سردارية الجيش المصرية ببعض بواخر من ذات المجلة الخلفية في النيل جعلتها طلباتها الخصوصية وقد استغنت الحكومة عن بعض بواخرها النيلية فابتاعها شركة كوك وأصلحتها وأضافتها الى سفنها التي كثر عددها وفي تلك المدة أحيل المرحوم

المذكور الى السويس عن طريق رأس شمخ الخير فقادها المترجم وعن طريقه على فرض الغرب الاقصى وعلى انكسرته وبعدها انصلح فيها ما تحتاجه الفرقاة من الاصلاح أقطع منها وادار بها حول قارة افرقية مارا على جزائر قنار ياوسنت هيلانه ورأس شمخ الخير ولما وصل الى زنجبار شرف سلطانها السيد ماجد الدارعة المصرية وأهدى قبودانها المذكور سيفا وجوهرا واشياء ثمينة وأعطاه خطابا وبعض الهدايا الى الجناب الخديو وهنا في الخطاب على وصول الدارعة الى تلك البلاد وتودد اليه بعبارة المحبة كما مر في بله ثم بعد وصول الدارعة الى السويس اتفق ظهور حريق بوابور دسوق (١٢٨٣) فابتكر المترجم طريقة تغريق الباخرة في عمق مناسب فانطلق منها النار ثم اخرجت نائمة وفي خلالها أصيب المترجم بعرض في عينه اليسرى فأرسله الخديو اسمعيل باشا على نفقة الحكومة الى فينا عاصمة النمسا العالجة وبعث شفائه وعودته أحسن عليه برتبة اللواء (١٢٩٤ هـ) وقلد وكالة البحرية وأحسن عليه بالذشان الجيىدى الثاني (١٢٨٦ هـ) ونال من ملك ايطاليا وسام سنت لازارو وموريس ثم أهداه ملك ايطاليا وسام كردون ايطاليا (١٢٦٩ هـ) وفي سنة ١٢٨٩ عين مديرا لعموم ادران وابورات البواخر الخديوية بدلا عن صفر باشا وفي مدة حروب روسيا أحيل عليه أعمال وكالة الخريفة لتعيين وكيلها فقم باشا في مأمورية تسوق الجيش المصري في الاستانة وفي سنة ١٨٨٠ أحيل على المعاش ثم في سنة ١٨٨٢ قلد وكالة البحرية بعد وفاد المرحوم حسين شرين باشا وبقى الى ان باعته الحكومة معظم بواخرها وانقضى دارصناعة الاسكندرية ثم أحيل المترجم على المعاش سنة ١٨٨٤ بعدما أحسن عليه الخديو برتبة الفريق ولم يلبث في المعاش طويلا حيث عاجلته الوفاة في يوم ٨ ربيع الاول ١٣٠٣ (١٨٨٥) وشيعت جنازته باحتفال لا يثق رحمه الله

(١) وهي (الفيوم) وعليها محمد قبودان مصطفى (والغربية) وعليها أحمد قبودان (والمخلة غرة) وعليها موسى قبودان (ومسير) وعليها ابراهيم قبودان سكوتى (والرطس غرة) وعليها محمد قبودان الباجورى (وبنى سويف) وعليها محمد قبودان وصفي وكلها كانت فوق الشلال أما التي كانت تحت الشلال فخمسة عشر وابوراهي باخرة (مصر الكبير) وعليها علي قبودان عند اليب (والعزيرية) وعليها محمد قبودان حبيب (والسودان) وعليها أحمد قبودان غفري (والسعودية) وعليها عبد الله قبودان درويش (وطهطا المستحم) وعليها مصطفى قبودان عاطف (وغرة ٤) وعليها علي قبودان الحلبي (وقنا) وعليها محمد قبودان علي (ودمياط) وعليها محمد قبودان خطاب (وجاى فرح) وعليها القبودان خليل رشدى (والمنيا) وعليها محمود قبودان سميت (والبحيرة) وعليها سليمان قبودان سيد أحمد (والنصرية) وعليها سليمان قبودان بخاقي (وشرخيت) وعليها أحمد قبودان خورشيد (وطير سعد) وعليها علي قبودان الزنقي (وغرة ١١) وعليها علي قبودان البيل

والدى على المعاش (١) وأحيلت ترسانة بولاق على نظارة الاشغال العمومية التي أخذت في بيع بعض بواخرها ولم يبق من مصالح السفائن التي في النيل سوى مصلحة وبورات الركائب الخديوية ووجهت ادارتها للمير الالى على بك عبادى وبتبعها خمس باواخر هي فيض ظفر وفيض ربانى وفيروز وزينة البحرىن وهىما يوتى بالبحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر بواخر البوستة الخديوية وأحيلت ادارتها على المسترروف (F. B. Rouff) بدل هالتون باشا الذى نقل بقومسيون السكة

(١) والذى المرحوم سر هنك بك هو ابن عبد الله افندى الكريدى بن على أغا كانت ولادته في قضاء ريمون من أعمال كردستان حضره ابراهيم باشا الكبير مع كثيرين من شبان جزيرة كريدند كانت تابعة للحكومة المصرية عقب الثورة التي قامت فيها ذاك وكان سنة لما حضر الى مصر لا يتجاوز السادسة ثم الحقه محمد على باشا عند بداية الجهادية بقصر العين سنة ١٢٤١ ورقى فيها أوفيانى سنة ١٢٤٥ ثم الى جاويش سنة ١٢٤٦ وفيها نقل على المدرسة البحرية برتبة مساعد ثان بفرقاطة الجعفرية ثم نقل مع المدرسة الى فرقاطة البعيرة سنة ١٢٤٧ برتبة مساعد أول في مدة حرب الشام وبعدئذ نقل الى قليون غمرة ٣ وفي سنة ١٢٤٨ نقل الى غوليت الصاعقة وأحسن عليه برتبة ملازم ثان (١٢٤٩) و برتبة ملازم أول (١٢٥٠) وتعين بقلبون غمرة ٤ (١٢٥١) وفيها رقى الى رتبة يوزباشى واقرن باشا القائد عمر قائد بنى سليمان الجزائرى الذى اتخذ نغرا الاسكندرية وطنا نامياله كما ذكر في صحيفة ٣٦٩ من الجزء الاول من هذا الكتاب وخدم في فرقاطة منوف (١٢٥٣) و بقلبون غمرة ٩ الى سنة ١٢٥٥ ثم نقل قبودانا نايبا الى قريوت فتمتور بمعية سعيد باشا وتعين بقلبون عكا (١٢٥٦) وفي سنة ١٢٥٧ عين بمصلحة الانبسة ببنى سويف ثم أعيد الى اللدونه بقلبون غمرة ١٢ (١٢٥٨) وفيها نقل بقلبون غمرة ٧ ونقل قبودانا نايبا بقلبون غمرة ٨ وفي سنة ١٢٦٤ جعل قبودانا أول المدفعية فواصلت جديد وأنعم عليه برتبة الصاغفول أعظم وسافر بمعية ابراهيم باشا عند سفره الى دار الخلافه لاستلام فرمان الولاية وبعد عودته جعل سوارى بفرقاطة النيل في سنة ١٢٦٦ ثم عين بعد ذلك مع طوائف البحرية للعمل جسر السكة الخديوية بين مصر والاسكندرية ثم بعد ثلاث سنوات جعل قبودانا الفرقاطة رشيد ولما تمهزت الاساطيل للحرب القريم عين قبودانا نايبا بقلبون القريم غمرة ١١ وسافر الى البحر الاسود وفي خلال الحرب عين قبودانا بالفرقاطة شيرجهاد وكانت أمركت السير على سواحل القوقاز وبعد عودته العساكر والاساطيل عين مأمورا لشئون المهامات البحرية وبعد ذلك قديم مستودع بالمالية ثم بعد سنة عين مأمورا لمطابخ سعيد باشا وبعد سنتين ونصف أحيل على المعاش ثم في أوائل حكم اسمعيل باشا أعيد الى الخدمة الاميرية (١٢٧٩) وعين ناظر القلم دعاوى ضبطية اسكندرية وفي سنة ١٢٨١ عين عضوا بمجلس الضبطية ثم نقل الى القومانية العزيزية وعين مأمورا لبيع البحر مدالج وبعد عودته جعل قبودانا بالباخرة قليب و صار يسافر بها الى الاستانة وتصادف الله في سنة ١٢٨٢ شب حريق هائل في القسطنطينية فتوجه بنفسه وساعد في اطفائه وبلغ ذلك ما سمع جلالة السلطان عبدالعزير فائق عليه امام الخديو اسمعيل باشا فأعظم عليه بال نشان المجيدى الرابع وكتب له كتابا أظهر فيه ممنونيته منه في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ غمرة ١٨ سائرة وصورة هي الآتية

(رفعت لوسر هنك قبودان سوارى وابور قليب) - ان الحريق الهائل الذى حصل بقضاء الله وقدره بالاستانة العلوية استلزم شدة أسف وتأمم العموم وبما انه علم من لشعار قومانية الاستانة ومن اخبار سائر الناس انكم أنتم وجودكم مع الانقار البحرية في اطفاء الحريق المذكور بواسطة طلبات الواوير سواريتكم وأبرزتم مساعى الغيرة الزائدة جسمياتكم تضحية بالنسبة والانسانية والحمية فغيرتكم الصادقة في هذه الحركة في الحقيقة ضار تقديرها حق قدرها واستحسانها كلية ولهذا قد أحسننا عليكم بالنشان المجيدى من الدرجة الرابعة ليكون أتراعنا على ما استجلبتموه من محظوظيننا والتفاتنا فلزم أن تبذلوا الجهد في تأدية الخدمات الاميرية وفي سائر الاحوال والخصائص المماثلة لذلك حتى تحصلوا على زيادة توجهاتنا والتفاتنا واعلموا انكم بارادنا قدركم وحيثكم بين الاقران والامثال قد حزننا أمرنا هذا وأصدرنا اليكم ما اسمعيل

الحديديّة (١٨٨٧ م) ومن وقتئذ انفصلت مصلحة بواخر البوسطة الخديوية عن إدارة البوستات المصرية ثم استغنت الحكومة أيضا عن باخري الجعفرية والطورفة وفتت ما في السنة المذكورة وباعتهما في سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٨٩٢ باعت أيضا فرقاطة محمد علي وقروبت الصاعقة وأحالت قبودانهم محمد أمين توفيق باشا (١) وبروليجو باشا التماساوي ومن معهما

ثم أحسن عليه بربته القائم مقام (٩ رجب سنة ١٢٨٢) وجعل قبودا نا بالبخرة الدقهلية وبعده قليل اشتملت نيران الثورة بكر يدوقم الخديو اسمعيل باشا بساعدة الدولة فبعث اليها بالجيش وعين بعض البواخر وكانت باخرة الدقهلية من ضمن ماتعين لنقل الجيوش وبقيت مرافقة للجيش في سواحل الجزيرة المذكورة ولما كانت تنقل بعضهم من جهة سوا إلى اسقا كجامع سفن الدولة غلت الامواج واشتدت الرياح فنكسرت الاسا كل الخشبية الموضوعة لانزال الخيول والمهمات منها الى الصنادل والقلائك فحصل عطل وكانت الضرورة قاضية بسرعة توصيلها إلى تلك الجهة فاخترع المترجم فتح ترعة واصلة إلى البحر فأدخلت القلائك والصنادل فيها وشجعت بسهولة تسهل بذلك النقل فشكره ابراهيم باشا الموردي قائد الاسطول العثماني ومصطفى نائلي باشا قائد الجيش العثماني وغيرهما ولما بلغ ذلك مسامع الجناب الخديو أتم عليه بربته تيمم الأي وذلك في ٢٢ رمضان سنة ١٢٨٣ ونصبه قومندا ناعلي فرقاطة محمد علي الخاملة لتعلم الاميرال قائم باشا أو صدر لترجم أمرا فيعا أظهر فيه العواطف والارتياح وهما هي صورته بالحرف الواحد

عزتلوسر هنك بك - انه بمطالعة جرنال الوقائع الوارد لنا من طرف - عا دة قائم باشا هذه الدفعة رقم ١٦ رمضان سنة ١٢٨٣ علم لدينا تفصيلات المناورة التي اجرى قوهما في أثناء نقل العساكر من جهة سوا إلى اسقا كيه حال وجود أمواج بكثرة في الساحل وتشتت الاسا كل التي عملت وتعد نقل الحيوانات وفضلا عما هو محقق ومعلوم عندنا من مهارتكم في الفنون البحرية وصداقتكم في الخدمات التي تؤدونها فإن حسن غيرتكم هذه قد استلزمت كل ممنونيتها ولنا فاقدها جهنا لحضرتكم رتبة الميرالاي الرفيعة وعيناكم سوارا بالفرقاطة وابور محمد علي وقد تحرر منافي تاريخه إلى نظارة البحرية وإدارة القومانية العزيزة المصرية وبالباشا التماساوي بذلك وأصدرنا أمرنا هذا اليكم اعلانا بمنونيتنا فيعلم لكم ذلك

التوقيع
اسمعيل

وبعد مودة العساكر من كرسيد صدر له الامر بالقيام إلى جزيرة مالطة لتعير فرقاطة محمد علي وتغيير مرآجلها فقام بهذه الأمور بقتير قيام ثم سافر بعد ذلك بعبية الخديو إلى ترستة وطولون وغيرهما من موانى البحر الأبيض المتوسط وفي سنة ١٢٨٨ عين سوارا بالفرقاطة شيرجهاد التي كانت بعينة لخفارة تورسيه وفي سنة ١٢٩١ عاد بها إلى اسكندرية لاجل التعير فعين باشماعا والنظارا البحر بتم أحسن عليه بالنيشان العثماني الرابع وفي سنة ١٢٩٩ سافر بأمر سفيرية بواور الصاعقة للمحافظة على سواحل البحر الاحمر وبعده انتهاء المأمورية عين ناظرا لدار صناعة تولاق والانجرارية وفي خلالها كانت الحملة الانجليزية والمصرية على السودان سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ فبذل المترجم المهمة في تشييل التقلبات العسكرية بواورات الانجرارية وفي سنة ١٣٠٥ أحيل على المعاش ثم توفى إلى رحمة الله تعالى في ١٦ القعدة سنة ١٣١٤ وشيعت جنازته باحتفال رسمي سارت به العساكر البرية والبحرية وبدمعوارية التراب أطلقت بنا دقها ثلاث مرات

(١) محمد أمين توفيق باشا هذا ولد بمصر (١٢٥٩ هـ) من والده محمود أفندي توفيق الذي كان معاونا للدويان الخديو في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا ثم لحقه أبوه بالكتاب الأهلية فتعلم فيها العلوم الابتدائية ثم لحق بمحاظنة مصر بقلم تركي تحت ملاحظة المرحوم أحمد خيري باشا ثم كان كتابا له ولما فتح المرحوم سعيد باشا المدرسة البحرية بالقلعة تحت رياسة رفاعة بك الحنق بها المترجم تلميذا (١٢٧٢ هـ) فدرس بها العلوم العسكرية وغيرها ثم لما فتح سعيد باشا المدرسة البحرية في اسكندرية انتقل ضمن التلامذة المنقولين عليها من المدارس الحربية (١٢٧٦ هـ) فدرس علومها على المرحوم أحمد مطوش قبودان وسافر لاجل التمرين بفرقاطة شيرجهاد إلى الغرول تحت قيادة فدر بكو بك وبعد تمام دروسه رقى إلى رتبة اسبران بفرقاطة سباح البحر الذي كان يتابعه سعيد باشا لكونه متخصصا به ثم نقل إلى

من الضباط على المعاش ونقلت المدرسة البحرية الى باخرة المحروسة التي أحيل قومندانها حسين فهمي باشا (١) على المعاش ١٨٩٧ وأحسن عليه برتبة الفريق وخدمته لقيادة المحروسة على بك عبادي مع بقاءه بادارة الر كائب الخديوية في النيل ورقى الى رتبة اللوا وقد اهتمت مصلحة خفر السواحل في زيادة سفنها وبواخرها وجعل عليها الميرالاي ميلماس بك (A. C. Middlemass) مدير ابعود فاة موريس بك في حرب سواكن ١٨٨٣ مدة حمله بيكر باشا الجيش الجريد - انه بعد هزيمة العراقيين في واقعة التل الكبير (١٢ ستمبر ١٨٨٢) واحتمال الجيش الانكليزي لمصر عرضت مسألة الغاء الجيش المصري بتسامه وتنظيم جيش جديد فذا كرا النظر والخديوي في هذه المسئلة فكان من رأى المرحوم خيرى باشا مهردار الخديوي يومئذ وغيره ممن يفكر ون في العواقب ان الغاء الجيش المصري يترتب عليه لزوم وجود قوة اخرى في البلاد لحفظ الامن فيها وهذا الشك يجعل ضرورة اطالة زمن الاحتلال حتى يتم تدريب الجيش

باخرة فيض جهاد برتبة الملازم ولما اهدى المرحوم الخديوي السابق اسمعيل باشا الباخرة المذكورة الى السلطان عبد العزيز عين المترجم بواخر القومية العزيرية (١٨٦٤) ورقى الى رتبة ملازم أول ثم نقل الى فرقاطة محمد على ورقى الى رتبة يوزباشى (١٨٦٥) ثم تعين لباخرة المحروسة وسافر تبعه الخديوي الى فرنسا بحضور معرض سنة ١٨٦٨ ثم نقل بعد عودته الى قرويت لطيف وسافر فيه حصة ناظر البحرية عبد اللطيف باشا الى سلاينك وبعض ثغور الاناضول للبحث على معادن الفحم الحجري التي كان اسمعيل باشا يبحث عنها ثم سافر به بعد ذلك الى انكتره تحت قيادة سليمان بك أبوداود وفي سنة ١٨٧٠ رقى المترجم الى رتبة صاغقون أعلمى وعين قبودان نائبا للقرويت المذكور وفي سنة ١٨٧٢ رقى الى رتبة الصاغقون أعلمى وعين قبودان نائبا لباخرة الغريسة وفي سنة ١٨٧٤ رقى الى رتبة البكاشى وجعل قبودان الاحدى بواخر البوسنة الخديوية بالبحر الاحمر وخدم في نقل الجيوش مدة حرب الحبشة وفي مدة حرب الروس جعل قبودان نائبا لفرقاطة محمد على الذي قادها ابراهيم بك عبر بكيرلى ثم في خلاها جعل قبودان لباخرة دسوق التي عينت لمساعدة بواخر الدولة في نقل العساكر والمهاجرين وبعده ذلك عين بامر الخديوي توفيق باشا مندوبا ببحر ياغية على رضا باشا محافظ سواحل البحر الاحمر لمنع بيع الرقيق والتفتيش على أعمال المحافظات ورقى الى رتبة القائم مقام (١٨٨٠) وعين ناظر الدارصناعة الاسكندرية ثم عين عضوا في القومسيون الذي تشكل تحت رئاسة ابراهيم باشا رضى لتحقيق مسألة قتل الرالة التلية بجهات يبلول من أعمال مصوع ثم عين في زمن الحوادث العراقية قومندا بالباخرة الجعفرية ومأمورا على سفن البحر الاحمر ورقى الى رتبة الميرالاي في ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٢ وبعده ذلك عين قومندا لفرقاطة محمد على وفي سنة ١٨٨٧ رقى الى رتبة اللوا وفي سنة ١٨٩٢ أحسن عليه بالنشان المجيدى ثم أحيل على المعاش عندما تقرر مبيع الفرقاطة المذكورة وله سيرة حسنة للمائة أخلاقه وكانت وفاته بعصر ليلة الجمعة ٢١ شعبان سنة ١٣١٥ (١٣ يناير سنة ١٨٩٨) فشيبت جنازته بما يليق بمقامه رحمه الله رحمة واسعة

(١) حسين فهمي باشا هذا كانت ولادته في مدينة القيود (١٢٥٩ هـ) وكان والد اسمى محمد صدق بك القبرصلى من رجال العسكرية المصرية فالحقه بالمدارس الاميرية فتعلم فيها العلوم الابتدائية ثم لما شكل سعيد باشا المدرسة الحربية بالقلعة تحت رئاسة رفاعه بك الحقه والده فيها (١٢٧٢) ثم نقل الى المدرسة البحرية (١٢٧٦) فتم فيها علومه البحرية على المرحوم أحمد مطش قبودان وسافر بفرقاطة شبرجهاد للتعليم الى انكتره مع التلامذة تحت قيادة قدر يقو بك ثم بعد ذلك رقى ضابطا وعين بواور فيض جهاد برتبة اسبران ثم نقل الى فرقاطة محمد على ورقى فيها ملازم ثاني (١٢٨١) وبعدها بسنة حضر وابور المحروسة ركوبة المحضرة الخديوية بمن انكتره فانتخب المترجم من ضمن من انتخبوا له ورقى الى رتبة الملازم أول ثم الى رتبة اليوزباشى (١٢٨٦) ثم أحسن عليه برتبة الصاغقون أعلمى (١٢٨٩) ثم عين بامر الخديوي قبودان ثاني للواور وأحسن عليه برتبة الصاغقون أعلمى (١٢٩١) ثم رقى فيه ايضا الى رتبة البكاشى ٦ صفر

الجديد وتنظيمه كما ينبغي مخالفه في رأيه آخرون وكان منهم ناظر الداخلية وناظر الحربية وانضم الخديو توفيق باشا الى رأيهم وذلك لسدة حنقه على الجيش المصرى انتقاما منه على الثورة التى قام بها وذلك ترجيح رأى القائلين بالغاء الجيش فأصدر الخديو المرحوم توفيق باشا أمرا فى ٣ القعدة من سنة ١٢٩٩ (١٧ سبتمبر ١٨٨٢) بالغاء الجيش المصرى الغاء تاما وصرف عوم العساكر التى جاهرت بالعصيان الى بلادها وابقاء الضباط و كبار قادة الجيش لحمايتهم ثم أصدر أمرا آخر بالغاء القوانين العسكرية القديمة وهى التى كان الخديو صدق عليها فى وزارة محمود ساسى باشا كما تقدم واذن لناظر الحربية والبحرية بأن يطبق مؤقتا فى حق الضباط وصف الضباط البريين والبحريين أحكام الامر العالى الصادر بتاريخ ٢٥ ذى الحجة من سنة ١٢٩٦ فى شأن نفعات انتقال الموظفين الملكيين الى حين وضع قانون جديد للعسكرية وصدرا أمرا آخر بالغاء الامر الصادر بتقرير مرتبات الضباط وصف الضباط والعساكر البرية والبحرية وأن تعاد مرتباتهم الى ما كانت عليه قبل صدور الامر العالى المؤرخ فى ٢١ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٩ وأن تلغى جميع الزيادات التى أضيفت الى رواتب الاستيداع ومعاش التقاعد وبينما كانت الحكومة المصرية مشغولة بتقرير وتوطيد الراحة والقبض على من اشترك فى الثورة ومكافأة الذين ساعدوا الجيش الانكليزى فى اطفاء لهيبها وفد لورد دوفرين (Lord of Dufferin) معتمدا من قبل دولته للنظر فى أمر مصر ووضع تقرير بذلك (٢٥ ذى الحجة من سنة ١٢٩٩) ولمدرس أحوال البلاد رأى من الواجب ايجاد جيش وطنى منظم قال عنه ما يأتى لقد أفضت فى رسالى السابقة المؤرخة بتاريخ ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٨٢ عند الكلام على نظام الجيش المصرى والجنדרمة والبوليس فلم تكن بعد حاجة لاعادة الافاضة فى النتائج التى انتهى اليها ولا خفاء أن مصر الاصلية تحدها الصحارى من ثلاث جهات فلهذا لا ينبغي أن تكون القوة العسكرية فيها وافية العدد حتى قال كثير من الناصر انها لا تحتاج الى قوة عسكرية مطلقا . ولكن يحتمل حدوث بعض أمور تستلزم ان يكون فى البلاد بعض الفرق المتمرنة والمتدربة على الفنون العسكرية وطالما سمعنا بان قراها كانت منبثا لادجالين والمتعصبين الذين يدعون برسالة فائقة الطبيعة ويهتمون باقناع السذج الذين لا يتأخرون عن أن يصدقوهم وبلاستقراء يتولد عن ذلك هيجان دينى لا يلبث أن يمتد خطبه ويتسع خرقة لم تتخذ على الفور القوة اللازمة للقبض على زعيمه وتبديد شمل أنصاره كما حدث ذلك أكثر من مرة . وهنالك من جهة أخرى العربان الذين

(١٢٩٣) وقام مقام ١٦ شعبان (١٢٩٧) وفى أول ظهور الحوادث العراقية صدرت الاوامر الخديوية بتنصيب محمد كامل باشا على وكالة البحرية وتعيين المترجم قومندا زلواورا المحروسة مكانه وأحسن عليه برتبة الميرالدى (١٨٨٤) وبعد ختام الحوادث وحاله مصطفي باشا العرب على المعاش وأحيل على المترجم ادارة وكيل البحرية فبقى فيها الى أن صدرت الاوامر بلغوها واستقل بقومندان البحرية المحروسة التى تتبعت ميزانيتها من يومئذ الى المعية السنوية وأمر الخديو بجعل المترجم باورا الله مع بقائه قومندا على ركو بته المذكورة ثم أحسن عليه برتبة الميرالدى فى ١٧ القعدة سنة ١٣٠١ ثم رقى فى ٢٤ شعبان سنة ١٣١٤ الى رتبة القريب وأحيل على المعاش وفى مدة الثلاث والثلاثين سنة التى خدمها فى هذه الباخرة من سنة ١٢٨٢ الى ١٣١٤ سافر عدة سفريات الى جميع مين البحر المتوسط الايبس والى لوندرو فى البحر الاحمر ونال فى خلالها ميدالية حرب الروسية (١٢٩٥) والنجمة المصرية (١٣٠٠) ومداليتى الامتياز الذهب والفضة (١٨٩٣) والشان الجيئدى الثالث (١٣٠٠) والعثمانى الثالث (١٣٠٢) والجيئدى الثانى ١٣٠٨ وعندما حالته على المعاش كتب له الجناب العالى أمر امدح فيه خدماته الصادقة

كثيرا ما يلقون راحة البلاد وبعثت عنهم أنفسهم الى أن يطرقوا أغنى المدن المصرية حتى القاهرة
نفسها اذا علموا أنها خالية من القوة العسكرية ولكن يجب أن تكون هذه القوة ساكنة غير أن
مجرد استخدامها يعتبر دليلا على أن الادارة قصرت في تلافى بعض الخطوب بطريقة فعالة على حين
كان يجب أن يستدركها . وعندى أن تنظيم جيش مؤلف من ستة آلاف رجل يكفي للقيام بالغاية
التي أشرفنا اليها ويجب أن يكون هذا الجيش مصريا محضاً أي نعم ان من كان في مركزه هو الخديو
ولا سيما بعد الكوارث الحديثة عييل كل الميل الى استئجار قوة عسكرية تحوطه كما كان دأب الحكام
الشرقيين في سائر الاعصار ولكن ليس من لزوم مثل هذه الاحتياطات . أما الجيش ولو أنه منظم
بطريقة تستدعي الارتكان عليه في القيام بمطالب الحكومة الشرعية فلا يلزم أن يكون تنظيمه
بطريقة تجعله كآلة عمياء للجور والظلم بل يجب تأليفه بطريقة يعلم منها القابضون على زمام الاحكام
انه لم ينظم ليستخدم في المقاصد الاستبدادية المؤسسة على مبادئ الظلم . وأنه وان يكن من الواجب
للوصول الى هذه الغاية منع استخدام العنصر الاجنبي سواء كان من الالبيين أو الاناطوليين أو
غيرهم الا أنه لا يترتب على ذلك أن يعدم من الخدمة من كان من الأتراك المصريين مترشحات النوال
رتب سامية في العسكرية بل من الحكمة أن تقوى صفوف عساكر الفلاحين الضعفاء بعنصر قوى
مجرب وذلك بأن ينظم معهم أبناء أولئك المحاربين الباسلين الذين جاورا به المغفور له محمد علي باشا
من مصر الى قونيه وبناء على مجرد ارادة الخديو ووزرائه ارادة مطلقة يجعل الجيش المصري مدة
من الزمن تحت قيادة جنرال انكليزي ويعين بعض ضباط انكليزيين أيضاً في بعض الفرق ولعمري
إن لزوم اتخاذ هذه الطريقة لا يحتاج الى دليل وبرهان ولا يمكن أن تلام الحكومة المصرية عليه
اذا كان من ينتهز ترتيب جيش قوى فعال أكثر من تلك القوة التي بعد ان أقدمت بادىء بدء على
الفتك برسائم بارهنت أنها غير قادرة على الذب عن الدعوى التي كانت متمسكة بها وكانت علة
لعصيانه ومن المعلوم أن عيب الجيوش المصرية كان ناشئاً عن عدم كفاءة الضباط فن الضرورة
حينئذ ازالة ذلك العيب بواسطة رجال ذوي كفاءة واستعداد في الامور العسكرية يعلمونهم ويكونون
قدوة لهم أما القيادة العليا للجيش فتبقى على الدوام الى سمو الحضرة الخديو بله ولكن لا يكون وجود
الانكليزيين حائل دون ترقى الوطنيين أو مانعاً لهم من تولى الرتب السامية واختير أن تقسم البيادة
المؤلفة من ثمانى أورطات الى لواءين ولا تستخدم الضباط الانكليز الا في أحدهما فقط بمعنى أنه يخصص
من الثمانى اورط أربع ينال فيها المصريون جميع الوظائف ويكون قائدها العام جنرالاً مصرياً أما
الاربع الباقية فيكون أمراء الألبانها وقائمة مقاماتهم من الانكليز وسيلحق بها أيضاً ثلاثة من الضباط
الانكليز للاستعانة بهم مؤقتاً عن تنقيب أو يمرض من أولئك الموظفين فيها . وعلى هذا النمط
تجرى خدمة العاوججية التي ستؤلف تحت امره أمير الأي انكليزي من أربع بطاريات اثنتان منها
مركبتان من ١٢ مدفعاً يكون لكل منهما ضابطان انكليزيان والاثنتان الاخرى من المركبتان
من ثمانية مدافع تولى أمرهما ضباط مصريون . وستنظم فرقة السوارى من خمسمائة فارس
تولى الوظيفتين الاولى والثانية فيه قائدان انكليزيان ويعين انكليزي آخر بوظيفة دونهم وستؤلف
أورطة من مائتى رجل لر كوب الهجن وأورطة أخرى من مهندسى الاستحكامات وأن يرفع راتب
العسكري من عشرين الى ثلاثين غرشاً في الشهر . أما الضباط الانكليز فيكون استخدامهم

بمقتضى اتفاق يشترط فيه الزامهم بتعلم اللغة العربية ونأدية امتحان فيها بعد زمن تحدده مدته في تلك الموائيق ويكون مجموع الضباط الانكليز ٢٧ ضابطا وهاك بيان القوة التي يتألف منها الجيش المصري ٥٦٠ من السوارى ٤٦٤ الطوبجية معهم ٢٠ مدفعا أربع بطاريات ٤٧١٢ بياده ثمان اورط ٢٠٥ هجانه ١٠٤ مهندسون ١٠٢ طوبجية سواحل ومجموع ذلك ٦١٤٧ بين ضباط وأنفار وفي هذا التقرير من الاقوال الحكيمه مالا يخفى على البصير ولكن لوء الحظ لم يعمل بكل ما جاء فيه الاوقيا ثم أهمل بعضه وألغى البعض الآخر كما تعلم مما أتى وعلى ذلك صدر أمر عال بإنشاء الجيش الجديد (ديسمبر سنة ١٨٨٢) وأرسلت الحربيه اللواء يوسف شهدي باشا الى المديرية لجمع العساكر من مواليد سنة ١٢٧٨ على مقتضى قانون قرعة سنة ١٢٩٦ الموضوع في مدة المرحوم عثمان رفقي باشا وصدرا أمر أيضا بان يكون الجنرال السير افلن وود سردارا للجيش المصري (Sir Evelyn wood) ورئيسا لركان حربيه برتبة فريق فأخذ هذا في انتقاء الضباط الانكليز وكانوا جميعهم من المنتظمين في سلك الهندية الانكليزية العارفين باللغة الفرنسية وعلى مقتضى شروط حررها معهم قد استنسينا ذكرها بأقل الصحيفة تمامًا للقاءة كعادتنا في ذلك (١) ثم انتخب من الضباط المصريين الذين لم يتدخلوا في الثورة ومن الذين انتخبهم لجنة الانتخاب التي شكلت تحت رئاسة طه باشا كسابق فأدخلهم في الاورط الحديدية وفي فرق الطوبجية والخيالة والهجانة وقسم الجميع الى لواءين جعل لقيادة اللواء الاول الجنرال

(١) شروط دخول ضباط الانكليز في الجيش المصري . يلزم ان ضباط الانكليز الذين يدخلون في العسكرية المصرية يكون لهم المام بالكتابة والقراءة في اللغة الفرنسية ويلزم أيضا ان يعضوا امتحانا ابتداء في العري الدارج المتعارف من بعد مضي ستة شهور من دخولهم العسكرية وامتحانا آخر بعد اثني عشر شهرا * الضباط الذين يعضون الامتحان الثاني يشرف يدفع اليهم ما نعتبه مكافأة * يسوغ للضباط الانكليز ان يتركوا العسكرية المصرية بناء على طلبه بعد ان يخبر بذلك قبل ثلاثة اشهر مقدما وبأخذ استحقاقه لاخر يوم خدمته في العسكرية واذ استغنت الحكومة المصرية عن خدمته فعلى ان يتركها قبل ثلاثة اشهر ويعطى له مكافأة شهر عن كل سنة أمضاها في خدمات العسكرية سواء كان مستخدما على حسب هذه الشروط أولا والمكافأة لا تكون في أي حاله أقل من ماهية ثلاثة شهور * الضباط الذي رفقت من الخدمة بأقرار السردارية بناء على سوء سلوكه لا تعطى اليه مكافأة وانما يعطى له مصاريف السفرية لحدا انكتره أو الهند على حسب مقتضيات الاحوال * لكل ضابط الحق بحسب دواعي المصلحة أن يأخذ في كل سنة اجازة شهرين بدون استقطاع أو تنقص ماهيته وعلى أي حال لا تجاوز الاجازة من شهرين في كل سنة انتهت أو ابتدأت في خدمات الحكومة المصرية سواء كان الضابط مستخدما على هذه الشروط أم لا * في حاله مرض أي ضابط يسوغ للسردار أن يعطيه اجازة مرض على حسب ما يراه موافقا ويستنسبه * ماهية الضباط الا التي من انكتره أو من أي محل آخر الى مصر يتبدن ثمان أربعة عشر يوما قبل وصوله الى مصر وتوقف الماهية يكون بعد أربعة عشر يوما بعد ان يركب واور البحر أو بعد انتهاء شروط دخوله في الخدمة ويعطى لكل ضابط يترك الخدمة المصرية ٣٠ جنيناهم كان متوجه الى انكتره أو ٥٥ جنيناهم الا لكل ضابط يكون عائدا الى الهند ولا تعطى هذه المبالغ الا اذا قدم الضابط شهادة داله على انه أخذت كره الواور واذ انتهت خدمة الضابط لمناسبة مرض اعتراه في خدمة الحكومة المصرية يعطى اليه ماهية ثلاث شهور ومكافأة ولكن لا ينبغي ان هذه المكافأة تمنع الماهية التي أخذها سابقا تجاور ماهية ثنتين * كل ضابط انكليزي يكون له حصان ويكون شترام من طرفه يعطى عليه بأقرار السردار وتصديق نظرا للحربية * كل ضابط مستخدم في البحرية مدة ثلاثة شهور واذ استغنى عن خدماته بعد انتهاء هذه المدة تكون الشروط الموضحة أعلاه ملغاة الاجراء ما عدا مصاريف السفرية والمرتبات والعلية

وقتها منه تغيير تقريره وامتنع فبناء على امتناعه نظم الضباط الانكليز الجيش المصرى على حالته الحاضرة
 اه أما التنظيم الجديد فهو وانهم ألغوا وظيفة قومندانى اللوائين من الجيش وجعلت كل أورطة
 من الاسلحة قائمة بذاتها يتبع بعضها قومندان قسم المحروسة وهى الوظيفة التى جددت بدل وظيفة
 اللوائ الملقاة وبعضها حاميات سواكن والحدود التى وضعت تحت قيادة محافظ سواكن والحدود ثم
 سافر يوسف شهيدى باشا مفتش ٤٠ يوم القرعة للتفتيش على أعمال المجالس المذكورة بعد ان فصله
 من وظيفة اللوائ وسافرت معه وظهر لنا أثناء ذلك بعض ملحوظات استعدت وضع ذيل لقانون
 القرعة العسكرية وصدر بتنفيذها أمرع (١١ جمادى الثانية ١٣٠٣ هـ - ١٧ مارث
 سنة ١٨٨٦) وفى خلالها كانت المخبرات جارية بين انكساره والباب العالى بخصوص تسوية
 المسئلة المصرية قال السيد رومند ولف فى رقيم له الى مركز السبورى ان الصدر الاعظم سألنى
 عن عدد الجنود التى يؤلف منها الجيش المصرى وان رأيه أن يكون مؤلفا على الاقل من سبعة عشر
 أو ثمانية عشر الفا فاجبت به بأن مالية البلاد لا تحمل نفقة هذه الكمية من العدد فضلا عن كونه
 غير لازم بالنظر لوجود نحو سبعة آلاف عسكري بين جنسدرمه وبوليس وهذا القدر كاف لحفظ
 النظام الداخلى المعهود الى القوة المدنية وأما العساكر الجهادية فوجودها لحماية البلاد من
 الاعتماد الخارجى وإحال أن فى الاوقات العادية يكفى لحماية القطر رفوف العدد الذى ذكرتموه
 فخامتكم الى أن قال وسألنى أيضا عن السبب الذى حال دون قبول المشروع الحربى الذى قدمه
 دولته لمؤختار باشا وما إذا كان يتسنى تعديله الآن أجبت به أن ذلك يستلزم الاستيلاء على
 دنقله وهذا مخالف للسند الثانى من الوفاق وبمخلاف ذلك فإن دولة الغازى طلب ارسال جيش جرار
 لا يستطيع البلاد أن تقوم بنفقتهم وتوجد موانع أخرى خلاف هذه منها اننى قبل ابرام الوفاق
 المذكور طلبت غير مرة أن ترسل الى مصر عساكر سلطانية عثمانية لتمنع ثورة السودان فرفض
 الجناب السلطانى ذلك اه وبعد هذه المحررات التى يطول شرحها تقرر جعل الجيش المصرى عشرة
 آلاف مقاتل فاستدعى السردار بناء على ذلك فى سنة ١٨٨٦ نيفا و ٥٧٠٠ جنسدى نظمهم
 فى الجيش ثم شكل المجلس العسكرى العالى المستديم وجعله تحت رئاسة زهراب باشا نكته كل من
 استعمل غشا أو تخالفا فى أعمال القرعة العسكرية ثم انه فى شهر ما يومن سنة ١٨٨٦ عين الخديو
 يوسف شهيدى باشا مندوبا عاليا من قبله لمخبرة مشايخ الحدود بمختلف أوجلمهم على مسالة الحكومة
 المصرية والانقياد اليها ومخبرتهم أيضا بعبادة التجارة مع السودان لان الكساد الذى أصاب تجارة
 السودان جعل الحكومة المصرية تلتفت لذلك فقام فى أثناءها أحد ضباط الانكليز وهو الكولونيل
 جروف (Grove) وقدم تقريرا ذكر به ان فتح التجارة مع السودان ليس بالامر المهم ويقول
 أيضا ان امر إعادة التجارة مع السودان يصعب تقريره مادامت الدراويش مستمرة على مهاجمة
 الحدود المصرية وفى ذلك الوقت جعل ونجت بئر رئيس الادارة القرعة بدلا من يوسف شهيدى باشا
 وتعينت أنا وكيداله بوظيفة مساعد للادجوتانت جنرال فى أعمال القرعة برتبة بكباشى ولما تشكل
 قلم المخبرات جعل ونجت بك مديرا له وجعل زهراب باشا مكانه فى القرعة العسكرية وجعل الميرالاي
 محمد نسيم بك رئيسا للمجلس العسكرى العالى المستديم ومن أخبار الحربية أيضا ان جعل
 كفتش باشا محافظا لسواحل البحر الاحمر (٧ ستمبر ١٨٨٦) وأحيل قلم السودان على قلم

المخابرات وجعل اللواء محمد مختار باشا مساعدا لادجوتانت جنرال بالقسم العربي بالسردارية وعين هولدمت باشا (Hollid Smith) قومندان للحدود وبدل سر مشيد باشا بعد قليل تعين ود هوس باشا (J. H. Wodhouse) محافظا لمديرية الحدود وجعل هولدمت باشا محافظا لجهات سوا كن (١٣ سبتمبر) ولما كانت أحوال السودان تحتاج للعناية بها اتخذ نورتم اطلب السردار عن نقل باشا زيادة عدد الجيش المصري فأجيب طلبه وبلغ الجيش وقتئذ نيفاو (١٤٥٠٠) مقاتل وصدر أمر خديوي بجعل الجنرال كتشنر باشا بوظيفة ادجوتانت جنرال بدل بار باشا الذي كان بوظيفة ادجوتانت جنرال منذ سنة ١٨٨٥ م ثم أحيل عليه أيضا فتفتش عموم البوليس (١٨٩١) ولما تعين اللواء محمد مختار باشا رئيسا للمجلس العسكري العالى جعل محمد بك زهرى مساعدا لادجوتانت جنرال بالقسم العربي مكانه ثم لما عينت الدولة البريطانية السير غرنفيل باشا في جيشها (مارس سنة ١٨٩٢) أصدر سمو الخديو عباس باشا أمرا بجعل الجنرال كتشنر باشا سردارا للجيش المصري برتبة فريق وجعل رندل باشا بوظيفة ادجوتانت جنرال وستل باشا مفتشا وعميدا للبوليس ووسع وانطاق قلم المخابرات وجعل ونجت بك مديره وأوجد و بالخريرية قليا يقال له قلم السكرتير المالى جعلوا لرئاسته جاكسون بك (H. W. Jackson) ثم خلفه أولبرى بك (W. E. O' Leary) وجعل روجرس بك (J. Rogers) مديرا لقلم التعيينات وغوردون بك (W. Gordon) مديرا لادارة المهمات وأضافوا اليه أمر الجيخانات وقسم الهندسة وجعلوا الميرالاي مكسويل بك (J. G. Maxwell) بوظيفة كاتم لاسرار الخريسية وجعلوا جالوى بك (F. J. Gallwey) طبيبا عاما للجيش وأحالوا عليه المستشفيات العسكرية ولما انتقل محمد مختار باشا لادارة الخاصة الخديوية أعيد فضلى بك لرئاسة المجلس العسكري العالى وكان تعين مأمورا للجيخانات ولما استعفى هولدمت باشا من محافظة سوا كن جعلوا مكانه لويدي باشا (G. F. Lloyd) ١٨ سبتمبر ١٨٩٤ وجعلوا هنتر باشا محافظا للحدود ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ وفي أثنائها تعين زهراب باشا وكيلا لانتظار الخريسية وورق كل من محمد زهرى باشا وأحمد فضلى باشا الى رتبة لواء وجعل الاخير منهم مكان زهراب باشا في رئاسة القرعة العسكرية ولما استعفى لويدي باشا خلفه في محافظة سوا كن برسوز باشا (C. G. B. Parsonis) ولما أقمرت الحكومة على إعادة فتح السودان المصري في أوائل سنة ١٨٩٦ زادت عدد الجيش فجعلته ثمان عشرة أورطه بياده وخمسة بلوكات هجانه وست أوط خياله وخنس بطاريات طوبجية غير أوط انشاء السكك الحديدية التي أخذوا بعدها كلما تقدموا اليسهل نقل الجنود والذخائر والى هنالتهى ما أردنا ذكره مجملا من أخبار العسكرية الجديدة التي شكلت بعصر بعد الغاء الجيش القديم وما حدث فيها من التغييرات المهمة ولما كانت المدارس الخريسية من أهم أركان الجيش أردنا ذكر أحوالها بمجمل أيضا تنوير للقراء

المدارس الخريسية - لا يخفى أنه لما ارتبكت أحوال المالية المصرية سنة ١٨٧٩ وقرر مجلس النظار يومئذ وجوب توقيريشى من نفقات الجيش ألغت الحكومة جميع مدارسها الخريسية التي أوجدتها في أول حكم الخديو السابق اسمعيل باشا الآن المرحوم توفيق باشا أصدر أمر بعد ذلك بإعادة تشيكلها اذ اغتناء للجيش عنها وجعلت تحت نظارة اللواء لارى باشا

الفرنسوى وألحقوا بها ٨٠ تلميذا وقسمت الى أربعة أقسام وجعلوا دراسة القوانين والتعليمات العسكرية على ثلاثة أقسام قسم للسيادة وأخر للسوارى وقسم للطوبجية وكان بكل فرقة من هذه الفرق بعض تلامذة يدرسون أعمال أركان الحرب والمهندسون العسكريون كانوا ينتخبون من أرقى طلبة الفرق المذكورة وترتب لذلك البروجرام اللازم وذكرت فيه العلوم والمواد التدريسية فكانت العلوم التي تدرس بموجب علم المستويات الرقبة والجبر والرياضة والهندسة الوصفية والهندسة العادية والحساب العادى والمثلثات المستقيمة والكيمياء والطبيعة والجغرافيا والقسمغرافيا والرسم العلى والرسم النظرى واللغة العربية والانكليزية والفرنساوية وحسن الخط وفقن الطوبجية والاكتشافات العسكرية وفقن الاستحكامات والطبوغرافيا العسكرية وقوانين الپبادة والطوبجية والسوارى وتعليم ركوب الخيل وتعيين لتدريس ذلك ما يلزم من المدرسين (١) ثم لما أمر الخديو محمد توفيق باشا بتسكيل لجنة عسكرية (٢١ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٨) للنظر والبحث فى القوانين والنظامات العسكرية والستريتب الذى عليه المدرسة الحربية لايجاد ما ينبغى اجراءه فيها من التعديلات سنت اللجنة المذكورة قانونا للمدارس الحربية وصدرا الامر الخديوى بتنفيذه (٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨١) وكان ذلك فى وزارة شريف باشا وكان محمود سامى باشا وقتئذ ناظرا للجهادية والبحرية فجاءه هذا القانون بأحسن التعديلات اللازمة (٢) وقبل أن يحصل تنفيذ هذه النظامات اشتملت نيران الثورة العراقية فحالت دون تنفيذها وبقيت المدرسة الحربية سائرة على نظامها السابق حتى انتهاء سنة ١٨٨٧ حيث أدخل فيها النظام الجديد وعين لها السردار غرنفيل باشا البكاشى هولموت (Huleatt) قومندا نا ووضعه لها كويرك بك (J. O. Quirk) مذ كان نائبا عن الادجوتانت جنرال نظامها الداخلى وازداد عدد التلامذة يوما ثم حتى بلغ ٩٠ تلميذا وقسمت الى أربع فرق وبتبعها فرقة للسودانيين وجعلت الدراسة نوعين دروس مشتركة لجميع التلامذة ودروس مرتبة على حسب الترق فالمشتركة هى القوانين والتعليمات العسكرية والجغرافية واللغة الاجنبية والطبيعة والكيمياء والرسم والخاصة هى الطبوغرافيا والاستحكامات والتربينات فى الطوبجية والسوارى والجنباذ والشيش ثم لما ازداد عدد الجيش زادت السردارية عددا للتلامذة حتى أبلغتهم ٢٠٠ تلميذ وقسموا

(١) وهم عبد الرحمن بك على ومحمد افندى كامل و بكير افندى شوقى و ابراهيم افندى مزى وعبد الله افندى نصرت وحسن افندى لى وعثمان افندى عفت ومحمد افندى حلمى وعبد الباقى افندى حلمى والمسترديكسون والموسيو بونديه وحسن افندى نجيب والشيج محمد الريفانى

(٢) فكان يحتوى على تسعة أبوابها ٧٦ مادة بها جميع ما تحتاجه المدرسة من الاصلاحات (الباب الاول) يحتوى على ما يختص بمتحدى المدارس الحربية (والباب الثانى) يحتوى على ما يختص بكيفية قبول التلامذة ومدى اقامتهم بها وتقسيمهم الى فرق (والباب الثالث) يحتوى على ما يختص بالعلوم اللازم تدريسها (والباب الرابع) يحتوى على ما يختص بمجلس معارفها (والباب الخامس) يحتوى على ما يختص بالامتحانات وترتيب درجات التلامذة (والباب السادس) يحتوى على ما يختص بشغال التلامذة العلمية وما يتعلق بالمدرسين والمساعدين (والباب السابع) يحتوى على ما يختص بالتعليمات العسكرية والتعليمية (والباب الثامن) يحتوى على ما يختص بالخدمات الداخلية فى المدرسة وبالضبط والربط والمسكافات والعقوبات (والباب التاسع) يحتوى على ما يختص بالادارة فى المدرسة الحربية

العثماني فرق ولما عين المستربراين (H. E. Brian) بوظيفة معلم أول للمدرسة ومدرس لعلم الرياضة والجبر واللغة الانكليزية (٥ سبتمبر ١٨٨٩) أصدر السردار أمرا (٩ يناير ١٨٩٠) مبينا الاختصاص كل من القومندان والمعلم الاول فكان اختصاص القومندان النظر في كل ادارة المدرسة وكان اختصاص الثاني النظر في بر وجرامات وجداول التدريس وما يخص التعليم ونفخ البروجرام القديم بحيث جعلت العلوم والفنون التي تدرس في المدرسة بكيفية تناسب الظروف واحتياجات الجيش والعلوم المذكورة هي الحساب والجبر والهندسة العادية والجغرافيا والتاريخ ولرسم وحسن الخط واللغة العربية والانكليزية والفرنساوية وفق الاستحكامات والطبوغرافيا العسكرية وقوانين القيادة ثم الجنباز وعريشات الطوبجية والسوارى ثم تعيين القائم مقام دونيك (B. D. A. Donne) قومندان أورطة الاساس قومندان المدرسة ولما انتهت مدته خلفه القائم مقام فريث بك (H. C. Frith) (٩ ابريل ١٨٩٣) وفي تلك الاثناء توفي لارمى باشا ناظر المدرسة فصدر امر السردار كشنر باشا بتعيين مكانه ناظر المدرسة المذكورة (سبتمبر ١٨٩٣)

ولما انتهت مدة فريث بك المذكور من خدمة الجيش المصري نصب مكانه اوليرى بك (٢١ اكتوبر ١٨٩٥) الذي تعين بعد قليل سكرتيرا ماليا عربية (١٨٩٦) ومن ذلك الوقت لم يتعين للمدرسة قومندان لاشتغال الجيش باسترداد السودان وقد ترقى من المدرسة منذ توليت نظارتها الى نهاية سنة (١٨٩٧) نحو ٣٥٢ ضابطا بالجيش منهم ٢١ في الطوبجية و ٣٣ في السوارى و ٩ في الهجانة و ٢٧٨ للقيادة و ٥ للبوليس و ٤ للبحرية و ٣ لادارة التعيينات العسكرية

السودان المصري دمر بتمهدي - اعلم انه لما استعفى غردون باشا في اول حكم المرحوم الخديو توفيق باشا من حكمة ادارة السودان (نوفمبر ١٨٧٩) كما تقدم أصدر الخديو امر بتعيين محمد رؤف باشا مكانه (مارس ١٨٨٠) وأمر آخر شمل التعليمات التي رأت الحكومة وقتئذ وموضعها الادارة تلك الاقطار الشاسعة وقد أدر جنابها بأسفل الصحيفة لاهميتها كما هي عادة وهي تشتمل على اصلاح المالية والادارة الملكية ومنع تجارة الرقيق وغير ذلك (١) وكان غوردون باشا تمكن في مدة ولايته من ابطال بيع الرقيق وشدد في ذلك جدا حتى انه عاقب

(١) انه نظر الثقتنا بما أنتم متصفون به من الاهمية لاداء الامور المهمة المفوضة لاما نتمتكم والحالة هذه لارى لزوم اسباب في شرح وتفصيل ما يجب اتخاذه واجراؤه من الوسائل والاعمال المؤدية لنجاح ما مور به تصمم التي نحن ناظرون اليها بعين الاهمية وهي تقدم وانتظام احوال مملكة واسعة مثل السودان وبذل ما يجب من المساعي للوصول الى توطيد اسباب عماريتها وتقدم ورفاهية اهلها بتوسيع نطاق دائرتي التجارة والزراعة اللتين هما أعظم منابع الثروة العمومية المنزلة من الزروريات - سيجلاب دقة نظركم الى بعض مواد مهمة وهي الآتي ذكرها (أولا) مالية السودان وكالاتي ان لفظة المالية تشمل كافة ما يلزم ويمكن تقريره وتخصيصه من الاموال والعوائد بطريفة لا يتأتى منها الاضرار بحالة الاهالي والا اجماف بحق الخزينه وكذا تقدير ما يلزم من المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط أن تكون كافلة لحسن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فانا اول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية من كافة ايرادات ومصروفات الحكمدارية ببيان أنواعها أو مفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر ما يكون موجودا من الديون بأنواعها أو أسماء أربابها او كيفية الوصول الى سددها هذا ومن الزرور ان الحكومة

كثيرا من النخاسين بعضهم بالسجن والبعض بالقتل قال حضرة جبرائيل حداد افندى في كتابه المسمى تاريخ الحرب السودانية ان كل عادة تمكنت في بلاد لا تطلع منها دفعة واحدة من غير مقاومة ونفور وهياج من تمكنت فيهم طبقة المفاطرت عليه الطباع من الارتياح الى القديم المألوف والنفور من الجديد غير المألوف ولولم يكن بذلك صالح فكيف ومعظم الصالح متوقف عليه ولهذا لم يتخل سياسة غوردون في السودان من مثل لا انتقاد والملام ولا يسع المنصف ان يسكر انهما آلت من قبيل منع النخاسة الى ابتعاد قلوب الاهالى عن الحكومة المصرية ونفورهم منها ووجدتهم عايناهم ولما سافر رؤف باشا الى مقر وظيفته مر بأكثر مرارا كثرها كثر الحكومة انتفقا الاحوال وكان يصحبه الميرالاي محمد مختار بك بوظيفة أركان حرب له وأبدلت الحكومة أيضا احكام الاقاليم فعينت القائم مقام محمد بك اسكندر مديرا لكرديفان وعلى بك رائف مديرا للقضارف ورجب بك صديق مديرا للتاكة وحسين بك شكري مديرا لسنار وابراهيم بك الصبان مديرا لبربر ثم شرع محمد مختار بك ومعاه بعض الضباط في اجراء الاكتشافات ووضع الخرائط بجهات بربر وقوز رجب وكسلا وعطبرة والقبلايات والقضارف بشرق السودان وتوغلوا في جهات لم تظاها قبلهم قدم سائح مثل جهات البازات الداخلة والخارجة وخور الجاش وغيرها ولما عادوا الى الخرطوم سار الضابطان على افندى زكافى وعلى افندى خيرى الى سنهيت لمساعدة البعثة الاكتشافية التي مع راشد كمال باشا قومندان حدود الحبشة تحت رئاسة البكاشى محمد عزت افندى وكانت مكلفة برسم خريطة حدود الحبشة من مصوع الى جبال رهينة الواقعة قبلى نهر الهد بقليل ولما تمت الخرائط المذكورة بعثوها الى الجنرال

تكون عالمه بكافة أحوال السودان اجمالا وتفصيلا وبمثل أنواع الضرائب والعوائد وسائر الاموال المقررة والجارى تحصيلها وكيفية استعمالها وصرها فينبغي ان ترسلوا صورة من هذه الميزانية الى نظارة المالية واستمرار ذلك السنو باوان تقاسموا الى النظارة المشار اليها في كل ثلاثة اشهر وحساب ايرادات ومصرقات الحكمدارية بالبيان الكافى وذلك كما الجارى بكافة مصالح الحكومة وبما ان كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الامر فيه هو الى نظارة المالية فجميع ما يقضيه الحال من المخبرات والاستثانات في هذا الشأن يكون خاصا بالنظارة المشار اليها (ثانيا) الادارة الملكية يلزم تنظيمها واجراؤها على صورة تلائم أحوال تلك البلاد ما يختص بهذا القسم من المخبرات وما يترامى لزوم تغييره وتبدله من المواد والنظامات ذات الاهمية وعزل وتنصيب ارباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكمدارية وما يتعلق بالادارة الملكية والاحوال الداخلية مما شأنه استحصال اوامرنا من جميع ما ذكر من هذه الأنواع فينبغي ان تكون المخبرة عنه مع نظارة الداخلية واما ما يتعلق بالامور القضائية فبمساواة كانت شرعية او نظامية فيصير منه على قواعد المتبعة والحالة هذه انما يختص بهذا القسم من المخبرات واورا من لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب أولا المخبرة عنه مع نظارة الحقايق ثم ان الرخصة التي كانت ممنوحة لاسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الاحكام الشرعية كانت اوسياسية في المواد القضائية الحقوقية والجنائية قدام بقينها العهد تتكم أيضا ما عدا احكام القصاص الواجب استحصال اوامرنا عنها (ثالثا) القسم العسكرى من المهم عند وصولكم الى مركز الحكمدارية ان توجهوا وانظاركم والتفتانكم الى تنظيم واصلاح الحالة العسكرة بحسب ما يقضيه احتياج تلك البلاد وتوطيد الامن والنظام العام بكافة أنحاء المملكة خصوصا تقوية حدود الحبشة والحفاظة عليها في الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الامن والاطمئنان للوقاية من وقوع اذى مهاجمة على هذا الحدود لانكم عارفون جيدا بأفكارنا وافكار اعضاء حكومتنا في هذه المسئلة وهى اننا لا نقصد اى تجاوز كان على جيراننا ولا نريد اى فتوح جديدة انما نجل قضيتنا بالدفاع عن ارضنا بالسلامة اذا وقع اذى تعد على حدودنا فهذه الافكار هى التي تكون أس عملكم في ترتيب وتنظيم عسكرة السودان مع مراعاة اجراء القانون العسكرى وكافة ما يتعلق بهذا القسم من المخبرات والاستثانات هو خاص بنظارة الجهادية وهذا مع بقاء حيازتكم الرخصة المعطاة لاسلافكم بتنفيذ احكام القانون العسكرى في الجنائيات وسائر الاحوال حسب ما تصدر

استون رئيس أركان الحرب فدرجهما في الخريطة العمومية التي كان يباشر عملها من النتائج المتحصلة في مدة الثماني عشرة سنة التي انقضت في الفتوحات والاكتشافات والمباحث العلمية والمراجعات الفنية ولما أتم محمد رؤف باشا التفتيش على مرا كز السودان الشرقي وأصلح ادارتها قصد انخرطوم يصحبه محمد لبيب بك وكان قومندا للموقع أم ديب ولما أخذ في تنفيذ الاصلاحات المتقدمة المذكور اعترضه عقبات كثيرة حيث لم يكن يعلم شيئا عن ثورة الافكار في السودان وأن أحوالها على وجه العموم كانت وقتئذ مضطربة والكثير من الاهالي تركوا زراعتهم وعمدوا الى تحصيل معاشهم بالسطو والسلب وبيع الرقيق خفية حتى تعسر على رجال الحكومة جباية الخراج ووجد عساكر الباشا بوزوق والشايقية وغيرهم من الجنود المحيكة يستعملون القسوة في معاملة الاهالي الذين نفر وا من ادارة الحكومة وتمكن الحق في قلوبهم عليها وصاروا يتوقعون بابالفرج أو مناصبا يمكنهم من شق عصا طاعتها قال الموسي وهنس رز زرفي كتابه وكان الاور وپاويون والمصريون مبعوضين عند الاهالي على السواء اذ كانوا كأنهم يتسابقون الى افساد أخلاق السودانيين واضطهادهم لهم بغير حق الى أن قال وانا نورد هنا الحوادث الاتية التي أمرها معلوم في تلك الاقطار وذلك ان دي ملزلك (de Malzac) الفرنسي الذي كان موظفا سابقا في السفارة الفرنسية بآيتينا كان مكابلا على الاتجار بالرقيق على رؤس الاثهاد مع ان هذا الامر كان منعه الخديوي كل المنع وروى هو جلن (Heuglin) ان دي ملزلك هذا وجد ذات يوم أحد العبيد يجتاب جارية من محظياته فضلبه على شجرة كان زينها يجامح بعض السودانيين وجعله دون مبالاة غرض الغد ارته ومن أمثال ذلك ما روى من ان جون بتريك (John Patrick) قنصل انكارتة باخرطوم عزل عن منصبه لكونه كان يتعاطى تجارة الرقيق وكذا بندر (Binder) النمساوي كان يروج هذه المهنة تروى بجافلا غرابة اذا ازداد سخط مثل هذه القبائل اه ومع ما اتخذ رؤف باشا من الاوامر والتاكيدات بمنع ذلك لم يجد نفعالظهور المشا كل المسالية في مصر التي أعقبتها الثورة العربية التي أحدثت اختلال النظام واستئجال القوضى وتداخل اليد الاجنبية فتضعفت أحوال الحكومة وضعفت قوتها العسكرية في السودان وهي التي ألزمت هذا الحكمدار الخديوي الى عزل كثير من الجنود بدعوى انقاص النفقات مع طرح الربع من رواتب الموظفين والعسكر بين فكان هذا داعيا الى تشديد العزائم

به مضايقة المجالس العسكرية فان حكم العزل أو تزيل رتبة أو ترقى الضمباط جميع ذلك لا بد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية (رابعا) من المعلوم ان مسئلة منع تداول بيع الرقيق هي في غاية الأهمية أولا لان بيع الرقيق أمر مخالف للانسانية ومحل باحترام بنى آدم المنصوص عليه بالتكريم ثانيا من الواجب المتعين علينا ايضا مراعاة المعاهدات المعقودة بين حكومتنا الخديوية والحكومة الانكليزية في بطلان تجارة الرقيق ولو أن ما تعلمه وتشرق به من أفكاركم في هذه المسئلة وما أنتم عازمون عليه من المساعي الحميدة لنحو آثار هذه التجارة الذميمة لا يستوجب تكرار التاكيدات غرا ما من الواجب علينا أيضا انبات ما نحن عليه من شدة العزم والنيات في هذه المسئلة لتوقفوا عما لكم فيما تصدونه من الوسائل المؤثرة والاحتياطات اللازمة لذلك لكي لا يسمع من الآن فصاعدا بمحصول أمر مغاير من هذا القبيل في كافة البلاد والطرق المودوعة تحت ادارتكم هذا وحيث ان الاقطار السودانية بعيدة عن مركز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات المهمة التي تحصل سواء كانت بالحدود أو بخلافها فتبادرون بالاجبار عنها بوقت وقوعها الى طرفنا والى نظارة الداخلية بالتلغراف وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم للعلومية والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا اه من مجموعة الديكرينات

والثورة التي قامت بها الاهالي تحت زعامة الشيخ محمد داود بن عبد الله الشهير بالمهدي ولما بلغ الحكومة الخديوية ذلك رأت لزوم تقسيم السودان الى قسمين لتسهيل مراقبة أحواله وأصدر الخديو أمرًا يجعل شرق السودان المكون من مديريات الناكه وسواكن ومصوع وسنيت والقلبات وما يتبعها ادارة قائمة بنفسها منفصلة عن الحكمدارية وأضاف اليها محافظه عوم سواحل البحر الاحمر وتعين عليها علاء الدين باشا مدير اعاما (٨ محرم ١٢٩٩ الموافق ٣ نوفمبر ١٨٨١) واعتنت الحكومة اعتنازا ثابرا بمرحله الحدو والحبشة فوضعت فيها الحاميات الكافية وكان المهدي لما ظهر نشر على الاهالي عدة مكاتيب يدعوهم فيها الى الانضمام الى دعوته ويحذرهم مخالفتها ويحرضهم على خلع نير الحكومة المصرية ولما علم رؤف باشا بهذه المكاتيب وهول عليه الامر من حوله من الرؤساء الخانين أظهر جيننا شديدا حتى قيل انه أظهر ما يليق بما كرم مثله وبعد المفاوضات عزم على مداركة الامر قبل استيفاله فأرسل من طرفه محمد بك أبو السعود وأمره بأن يأتيه بمحمد أحمد الى الخرطوم وكان خبر ذلك وصل الى المهدي فلما أنه أبو السعود بك وطلب منه التوجه معه الى الخرطوم ليبرئ نفسه مما ينسب اليه قال له الى تقول هذا القول وأنا رسول من الله وأنا هو المهدي الموعود به وفي قول آخر انه قال له وأنا سيد البلاد بنعمة الله ورسوله فقال له أبو السعود ان كنت كما تدعي فلماذا تعصى الحكومة وأنت تعلم انها حكومة اسلامية فأجابته انها ليست كما تقول ولو كانت اسلامية حقيقة لما ضربت المكوس والخراج على رقاب المسلمين فقال له أبو السعود اني أنتصمك أن لا تصدى لمقاومة الحكومة والافتكك بك عسا كرها فأجاب ان بنادق العسا كرا لا تضربني ولا باتباعي وغير ذلك من الاقوال التي شاعز كرها ثم عاد أبو السعود الى الخرطوم مضطربا وأخبر رؤف باشا بما سمعه وراه فأرسل رؤف باشا ضابطين وقرتين من الجنسديهما ٣٠٠ نفر ومدفع وسار معها أبو السعود بك المذكور فسافر واعلى النيل في باخرتين الى جزيرة آبا وقال رؤف باشا للضابطين من يأتي به منكأرقيه الى رتبة البكاشي فكان هذا سبب حبوط مساعيمه لانهم اختلفا فيمن تكون له القيادة وكان محمد أحمد لما بلغه قدوم العسا كرا المذكور أوعز الى شيعته بقتلهم وان من فعل ذلك أنه الله ثوابا عظيما ولما وصلت الجنود الى البر وخرجوا من الباخرتين واقربوا من البلد الذي يقسم به المهدي أخذوا يطلقون البنادق على الكواخ ووجد أحد الجنود رجلا يحيط به جماعة من الرجال فظنه المهدي فهجم عليه وقتله ولكن لم يكن الرجل كما يظن لان المهدي كان مع أتباعه مختبئين في الهشيم ولما لاح له الفرصة داهم الجنسديته وأعمل فيهم السيف فقتل منهم نيفا و ١٢٠ نفرا وهرب الباقون تاركين سلاحهم ونجوا سباحة الى البواخر وكان أبو السعود في انتظارهم لانه لم يجسر على النزول الى البر وأطلق من في السفينتين مدفعا ففر المهدي ومن معه وعاد أبو السعود بك مع من بقي من الجنود الى الخرطوم وكان محمد أحمد جرح في ذراعه فأشار عليه عبد الله التعايشي وزيره بأن لا يخرج بذلك أحدا ولما انتشر خبر انتصار المهدي وكان الناس في رية تعلمهم بعدم قدرته على مناوأة الحكومة مالوا اليه لانهم بعد قليل أصدرت الاوامر بسفر عشر بواخر وثلاثة آلاف جنسدي مع عشرين مدفعا لحصر جزيرة آبا والقبض على المهدي وأتباعه فسارت البواخر والجنود تحت قيادة علي بك أبو كوكبة وكان ذلك في إبان فيضان النيل فحصرت البواخر الجزيرة وصوبت المدافع أفواهاها اليها ومع ذلك فقد عادت التجربة المذكورة بلا فائدة وشعر المهدي وأصحابه بالضعف عن المقاومة

وكان التعاشي نصيح المهدي بالابتعاد عن الخرطوم من كز قوة الحكومة فقبل نصيحته وأذاع بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة في جبل ماسه لتلقى الاوامر الالهية وبأن يخرج الى الضفة الغربية على زوارق مصنوعة من العنيج (الفلين) وان لاخوف عليه من قبائل البواخر حتى يهبط الى الشاطىء بسلام وكان الشاطىء يبعد عن الجزيرة بنحو خمسة أميال فاطاعوا اشارته وجعلوا عمالهم وذخائرهم على تلك الزوارق وهبطوا جميعاً آمنين وبعد ان تحصن هناك جعل له من وقتئذ أربعة خلفاء أولهم عبد الله التعاشي وثانيهم علي ولد لحو من قبيلة الدقهيم ورابعهم محمد الشريف من أقاربه ولم يعين الثالث ويقال انه عرض ذلك على الشيخ السنوسي (١) فأنكره ولم يقر عليه هذا ولما قصد المهدي جبل ماسه مع جماعته أرسل محمد سعيد باشا مدير كردفان جيشاً قدره ١٤٠٠ مقاتل لاقفائه أثره وكان المهدي التجأ الى جبل الغدير الكائن في الشمال الغربي من فشوده مستجداً بأهله وبذلك لم يتمكن سعيد باشا من قتاله ثم جمع راشد بك الكردي مدير فشوده ٢٤٠٠ مقاتل من العساكر النظامية والشلوك واستعجب معه كيكونوا بزعيم قبائل الشلوك وقصد المهدي فالتقى به وقائمه فكانت الغلبة للمهدي وقتل راشد بك وأكثرت عساكره النظامية (٩ ديسمبر ١٨٨١) واستولى المهدي على أسلحتهم وذخائرهم ولما انتشر خبر ذلك عمت الفتنة جميع أنحاء السودان وكان اتباع المهدي

(١) الاستاذ السنوسي هو القطب الشهير العلامة الكامل المكمل العارف بالله تعالى السيد محمد بن علي السنوسي من ذرية الحسن المثنى ابن الامام الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد سنة أربع أو خمس ومائتين وألف بصره استغنى من أعمال الجزائر ونشأ بها وطلب العلم بعديته فأس واشتغل بالطريقة الدرقاوية ثم رحل الى مكة المشرفة ولقي بها العارف بالله تعالى الاستاذ أحمد بن ادريس وأخذ عنه وبرع في الطريق وأقام ملازماً للعبادة والعلم والارشاد وبنى زاوية بجبل أبي قبيس ثم رحل الى الجبل الاخضر من أرض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ وبني بتلك الجهات جملة زوايا وأقام حتى ولد ولداه السيد محمد المهدي سنة ١٢٦١ والسيد محمد الشريف سنة ١٢٦٣ وفي تلك السنة عاد الى مكة فأقام في زاوية بجبل أبي قبيس نحو سبع سنين مشتغلاً بآراء الحديث والفقه فشق عليه وهرع اليه الناس للتلقي عنه ثم رحل عائداً الى الجبل الاخضر فلما جمع رحلته عسان بلنا الاول والى مصر اذ ذاك بنى له زاوية بتاج الفاهرة عند الشيخ القالى بجهة باب الحديد لكنه لم ينزل بها وانزل في فواحي كرداسة بالجيزة فهرع الناس لزيارته والتبرك به وسار نحو المغرب الى الجبل الاخضر المذكور فقبل بجبل عرف بالعزبات (بالعين المعجمة) وهو قصر قديم قيناه وأصلحه وسماه العزبات (بالعين المهملة) وأقام به مدة سنتين وفي تلك المدة أرسل بعض تلامذته الى محل بالعصراء يسمى الجنبوب على مسافة عشرة أيام من العزبات وثلاثة أيام من سيوة فقبول له زاوية انتقل اليها سنة ١٢٧٣ فأقام بالنشر الطريق والعلم والارشاد الى الله وانتفع به كثير من عرباً ابادية بتلك الجهات كثيرهم وصلح حالهم على يده وفشاهقهم العلم والصلاح ثم توفي في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ وله مؤلفات كثيرة منها يقاظ الوسمان في العمل بالسنة والقرآن والسلسل المعين في الطرائق الاربعين والمنهل الرائق في الاسانيد والطرائق والشمس الشارقة في أسماء مشايخه المغاربة والمشاركة وظم بعده بنشر اعلام العلم وترية المرادين وارشاد السالكين ولده وخليفته السيد محمد المهدي السنوسي الحنفي ومعه أخوه السيد محمد الشريف السنوسي وجماعة من الطلبة والمشايخ بناحية الجنبوب المذكورة ثم انتقل سنة ١٣١٣ الى واحة الكفرة الواقعة على مسافة ٢٠ يوماً الى جنوب سيوة لاسباب سياسية وابتعاداً مما نسب اليه من حب القبائل على الخروج على الدولة العثمانية وشيد فيها زاوية صارت داراً قائمة الآن وله عدة زوايا في الغرب ومصر وجزيرة العرب معدة للعبادة وتعليم العلم والقرآن وضيافة الواردين والمترددين وقد تجاوز الحديد الاسبق من أموال زاوية له موجود سيوة وعما يتبعها من شجر الزيتون والتخل مع مواصلته بالرعاية والبر والعناية وقد انتشرت طريقته بين أهالي الغرب ووجهات السودان الآن انتشاراً عظيماً

أخذوا يطوفون على القبائل يدعونهم الى الجهاد فقامت قبائل الشلوك والبكاش في شمال كردفان وقبائل روفواى والبشيرية بين بربر وسواكن على الحكومة وفى تلك الاثناء أخذ المهدي يهيئ المعدات الحربية ويسن للناس سننوا وشرايع ضمنها منشورا كبيرا أو رد ملخصه صاحب كتاب السودان المصرى فنقلناه عنه لتمام الفائدة (١)

ولاية عبد القادر على باشا - لما علمت الحكومة باشتداد الثورة فى السودان وكان ذلك فى ابان الحوادث العراقية أصدر الخديوى امر بتشكيل نظارة جديدة للسودان (٢) جعلها تحت رئاسة عبد القادر على باشا (٢١ ربيع الثانى ١٢٩٩ - ٢١ فبراير ١٨٨٢) لاتخاذ التدابير اللازمة فى المسئلة السودانية وملاشاة فنتتها ما محمد رؤف باشا فانه عزل من ولاية السودان وقام بجبلر باشا النموسى (Giegler) مقامه بالخرطوم وكان قبل ذلك مديرا لبحر الغزال حيث خلفه لبتن بك الانجليزى أما بجبلر فانه أخذ فى مقاتلة الثوار وتقوية حراس المدن البعيدة فأرسل قوة قدرها ٥٠٠ مقاتل مع الكاشف صالح أغا لتقوية حامية سنار البالغ عددها ٢٥٠٠ جندي تحت قيادة مديرها حسين بك شكرى وكان السودانىون هاجوها واضطر واقائدها الى الالتجاء بعساكره داخل القشلاقات وقد تمكن صالح أغا المذكور من الوصول اليها بعد معركة شديدة انتصر فيها على العدو ورفع الحصار عن سنار وبعث بجبلر باشا أيضا قوة مؤلفة من ٦٠٠٠ مقاتل

(١) (أولا) تحريم التبغ ومعاقبة شاربيه بأى شكل يحلده ٨٠ سوطا ويحبسه مدة أسبوع (ثانيا) منع الاذكار لانهابدهة فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يفعلوها وانه كان يجلس مع أصحابه كان الطير على رؤسهم (ثالثا) ابطال مهود الطريفة والرقية والشعوذة وصناعة الكيمياء وكل أعمال الدجالين والمشعوذين وقصاص من يرتكب شيئا من ذلك على مقتضى نص الآيه انما جزاء الذين يحارون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآيه (رابعا) العدول عن ترك النساء تخرج من البيوت وترك التزين والتبرج وابطال ابيان الرقص والغناء ومن فعلت ذلك أدبت بجلدها ٢٧ سوطا ثم زاد العقوبة كلما عادت الفاعلة فى غيرها ولجت فى طغيانها حتى تعاقب بحلقت شعر رأسها (خامسا) كل سب كان فيه تخديش للثاموس يعاقب عليه صاحب مئة اثنين جلدة وحبس أسبوع (سادسا) كل لعن أو شتم نحو بواكلب أو يابخر يعاقب لافظه بالعقوبة بنفسها المتقدمة الذكر وهى تحمل أيضا من سب حيوانا أو جمادا وبالجملة لا يجزى العن والسباب على لسان الاتحق العقوبة على لافظهما (سابع) كل لفظ شؤء وجهه الادب وبرزعن ظل التزاهة يعاقب صاحبه بالعقوبة الآتفة اه

(٢) صورة الامر العالى الصادر بتشكيل نظارة السودان تحت رئاسة عبد القادر على باشا نحن خديوم مصر انه مراعاة لاستكمال شرائط الانتظام فى ادارة عموم السودان وتمكين الضبط والربط فيها واستدعاء ذلك جعلها ادارة واحدة لتأيد ارتباطها بغير مركز حكومتها و بناء على ما عرض لطرفنا من مجلس نظارنا تأمر بما هوآت (أولا) جعلت ادارة جهات عموم السودان بمقام مديرية شرقى السودان ومحافظه سواحل البحر الاحمر ومديرية هرر وزبايع وبربر وتجرة حكمدارية واحدة (ثانيا) تشكيل نظارة جديدة بعنوان نظارة الاقاليم السودانية ولحقاتها ويكون مركزها بمصر القاهرة ماصدر بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ توفيق

وفى شهر ابريل من سنة ١٨٨٢ صدر أمر آخر تقسم فيه السودان الى أربعة أقسام الاول يسمى بحكمداية اقليم غرب السودان ومركزها الفاشر ويتبعها دارفور وكردفان وشكا وبحر الغزال والثانى يسمى بحكمداية اقليم وسط السودان ومركزها الخرطوم ويتبعها سنار وبربر ودقنة وفشود وخظ الاستواء الثالث حكمداية اقليم شرقى السودان ويتبعها التاكا ومحافظتنا سواكن ومصوع الى باب المنذب الرابع حكمداية عموم هرر ويتبعها زيلع وبربر ومركزها زيلع

تحت قيادة يوسف باشا السلافي وعبدالله ولد دفع الله لقائمه المهدي بجبل الغدير ولكن لما وصلت
الى جهة كاواهرب منها ٥٠٠ جندي دنقلى وانضموا الى المهدي ثم وصل يوسف باشا مع باقي
الجيش الى فاشوده واخذ يحارب الدراويش وحصل انه في مساء ٧ يونيه من سنة ١٨٨٢ هجم
العدو على رجاله وهم نيام فقتل منهم عددا كبيرا وقتل معهم يوسف باشا وعبدالله ولد دفع الله فكان
انقلاب يوسف باشا بهذه الصورة الضربة القاضية على سلطة الحكومة في تلك الاطراف واعتقد
السودانيون من يومئذ بصدقه دعوى المهدي فزاد ميلهم اليه واعتقدوا بهم به وصاروا يقدسون أقواله
ويطيعون أمره طاعة عمياء وفي تلك الاثناء قام رجل يدعى الشريف أحمد طاهر مدعي انه وزير
المهدي وجمع له عصابة بالقرب من أبي حراس فتوجه بجبل باشا عليه بقوة على باخرتين وطلب
منه التسليم فابي فساق عليه الصبح يوسف أغا الملك فهزمه الشريف ثم عاد بجبل باشا الى أبي حراس
وجمع قوة ثانية من العساكر المنتظمة وعساكر الباشا بوزق والشكرية تبلغ ٢٥٠٠ مقاتل
جعل قيادتها العبد الكريم باشا أحد أمراء القبائل فهاجمهم أحمد طاهر المذكور فهزمه وقتله
وبعث برأسه الى الخرطوم وفي تلك الاثناء بعث الياس باشا أحد أغنياء تجار كردفان بابنه عمر الى
المهدي ليخبره بحال الابيض وزين له الاستيلاء عليها وكان محمد سعيد باشا مدير كردفان يفكر بانه
لا بد للمهدي من الزحف عليه فأخذ يستعد للحصار فشيده الحصون والتاريس وحفر الخنادق حول
الابيض وكان لدى سعيد باشا من الجنود ستة آلاف معهم اثنا عشر مدفعا ولكنه لم يدخر الاقوات
الكافية لحصار طويل فلما منه ان الحكومة لا بد من أن تنجده ثم أقبل المهدي على رأس جيش يبلغ
٦٠٠٠ مقاتل ولما اقترب من الابيض خرج اليه أكثر الالهالي وكان وعدهم بان من أقفل منهم بابه
وخرج اليه فهو آمن قال سلاطين باشا في كتابه وكان المهدي كاتب تجار الابيض وكانوا على جانب عظيم
من الثروة وهم من أدري الناس بضعف الحكومة فالتمحاز كثيرون منهم اليه ولا سيما الياس باشا أغني
تجار كردفان وكان قبل مديرا عامالها وعزل من منصبه وكان بينه وبين أحمد بك دفع الله ضغائن
وأحمد بك هذا هو أخو عبدالله ولد دفع الله الذي قتل مع يوسف باشا السلافي كانه قدم وكان صديقا لمحمد
باشا سعيد مدير الابيض تخاف الياس باشا أن يوقعه اذا انتصر على المهدي فجعل يجمع الاتباع
سر الينحاز بهم اليه ووافق بعض التجار خوفهم ان المهدي يأخذ أموالهم ويسبي نساءهم اذا
كانت الغلبة له وسر العلماء بقيام واحد منهم لما واة الحكومة وتوقعوا أن يتسلطوا على البلاد كلها
تحت رايته إن هو تغلب عليها وطرد الأتراك منها اه ولما حاصر المهدي الابيض أرسل رسلا من
طرفه الى محمد سعيد باشا يدعوه الى التسليم فقتل رسلا له فحق المهدي لذلك جدا وهجم على المدينة
بجموعه فصدده محافظوها مرتين وقتلوا منهم ألوفا كثيرة وكان ممن قتل محمد أخو المهدي ويوسف أخو
الخليفة عبدالله التعايشي وغيرهما من الامراء فتضعفت أحوال المهدي بذلك حتى قال البعض
انه لو اتبع سعيد باشا يومئذ مشورة أحمد بك دفع الله وخرج في إثر المهدي ورجال لقتله وأثنى
فيهم وانقرض اسم المهدي وبه ولاكن ارادة الله لا تغلب ثم ابتعد المهدي عن حصون الابيض وبقى
محاصرا لها

ولما وصل عبدالقادر حلمي باشا الى الخرطوم (١١ مايو ١٨٨٢) أخذ يقوى حصونها
ويزيد في حمايتها ويطارد الثوار بعزم وحزم فانتصرت قوته من الجيش المصري على الثوار بقرب

كشجّل ورفعت الحصار عن البركة وتغلب بجبل باشا على الثوار بقرب سنار وتغلبت فرقة مصرية أخرى على الشيخ رجة في أولاد منرج واستقدم عيد القادر باشا راشد كمال باشا محافظ حدود الحبشة إلى الخرطوم ثم أرسله إلى قشوده ومعها قوة عسكرية ولما هاجها السودانيون قصدتهم حاميتها مارا ولكنهم لم يتركوا حصارها وانتصرت فرقة مصرية أخرى في شاقورة وهاجم الشيخ مديوم من عمال المهدي بلدة شكوا وأبادها ولما اجتمع لاري عبد القادر باشا ١٣,٠٠٠ مقاتل بعث بنجدة إلى الأبيض قدرها ألفا مقاتل فقاتلها عراب الجوامعة في الطريق وهزموها ولم ينج منها سوى ميتين وكان العرب يشددون الحصار على بارا وفي أثناء الحصار شبّت النار فيها فاحترقت مخازنهم والمالم يبق لحاميتها شيء من القوت اضطروا إلى التسليم لعبد الله ولد النجومي (ديسمبر ١٨٨٢) ولما بلغ ذلك المهدي فرح وأطلق مائة مدفع فارتعبت من ذلك حامية الأبيض وفي أثناء هاجم أحد مشايخ المهدي المدعو جاتجو على تل جونا في بحر الغزال واستباحها ثم بعث عبد القادر باشا بنجدة ثانية إلى الأبيض تحت قيادة علي بك لطفى فهزمتها الثوار بالقرب من مكان يدعى الكو ولما رأى عبد القادر باشا اشتداد الحالة طلب من مصر نجدة فأرسلوا إليه خمسة آلاف عسكري ولما اشتد أمر الحصار بحامية الأبيض وعدمت القوات ولم يتمكن عبد القادر باشا من نجاتها كما سبق كتب محمد سعيد باشا في يناير سنة ١٨٨٣ للمهدي يعرض عليه تسليم الأبيض فقبل فسأله بعد حصار دام خمسة أشهر وقال سلاطين باشا في كتابه إنه بعد أن دام الحصار خمسة أشهر وقل القوت وغلت الأسعار حتى صارت الفرخة بأربعين ربالا ومات أكثر السكان والعساكر جوعا اضطر سعيد باشا أن يسلم وكان عازما أن ينسف مخازن البار وقبل التسليم ولكن الضباط توسلوا إليه أن لا يفعل خوفا على من بقي حيا من نسائهم وأولادهم ووعده المهدي قبل التسليم أنه لا يناله شيء من الأذى هو وضباطه وأرسل اليهم محمد بن العريق بالجيب المرقعة التي يلبسها الدراويش فلبسها هو ومحمد بك اسکندر التومندان ونسيم أفندي وأحمد بك دفع الله ومحمد بك حسن وغيرهم فخرجوا إلى المهدي فقاتلهم جالسا على جلد المعزى شأن الاتقياء الزهاد فقبضوا أيديه فقال أنه عاذر لهم على مقاومتهم لأنهم لم يكونوا يصدقون دعوته ثم حللهم عين الطاعة وقدم لهم عراوماء وطلب منهم أن يتركوا نعيم الدنيا ولا يهتموا إلا بالحياة الأخرى وغير ذلك من الكلام ثم نهيت جنود المهدي الأبيض ولم يتركوا السكان شيئا وكانوا يجلدون ويعذبون لكي يدلوا على الأماكن التي أخفوا فيها أموالهم وكتب سعيد باشا تقريرا عن تسليم الأبيض وأرسله إلى الخرطوم مع رسول فأنجز أحد الموقعين عليه واسمه يوسف منصور المهدي واعتذر له هو ومحمد بك اسکندر على تخمهم إياه فقبل عذرهم وأرسل لوقته من قبض على الرسول وأحضره التقرير وشاع حينئذ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ظهر للمهدي وأخبرهم بهذا التقرير واعتنم المهدي تلك الفرصة وقتل جميع الموقعين عليه من الضباط إلا يوسف منصور ومحمد بك اسکندر وجعل الأول قومندان على المدافع والثاني معلما لجنوده ولما امتدت الثورة في مقاطعة دارفور بذل مديرها سلاطين باشا جهده في إخمادها فلم يستطع وقال عند ذلك في كتابه إن أكثر رجاله خانوه ولما نثس من المدد وأعياء وأعيار جاله الجوع اضطر إلى التسليم وكان في دارة قاعدة دارفور والجنوبية ضابط غني جدا اسمه زغل بك وكان من أقارب المهدي فكشفت بعض إخصائه بالاشيخاء إليه فاستدعاه سلاطين باشا وقرره فأقر بذلك ناسبا ميلة إلى المهدي

الى ما بيننا من النسب ولكنه قال انه لم يزل أميناً في خدمة الحكومة فطلب منه سلاتين باشا أن يحمل له رسائل الى الخرطوم وأن يبذل جهده ليمنع المهدي عن الزحف على دارفور الى أن تصل الحملة التي أرسلتها الحكومة المصرية لتأيد سلطتهم في السودان فان نجحت الحكومة فسلاتين باشا يشفع به عندها والافيسلم البلاد للمهدي أما الرسائل التي أرسلها معه سلاتين الى الخرطوم فوصف فيها أحوال البلاد بالاختصار ثم حلف زغل بالطلاق أن يكون أميناً فيما أوتمن عليه ثم سار الى الأبيض فاطلق له المهدي مائة مدفع ترحيباً به وشاع حينئذ ان بلاد دارفور سلمت كلها للمهدي فلم يبق حاجة للزحف عليها فصار المهدي يهتم ببلاد النيل وبعث الامراء الى جهات مختلفة وفي جلته هم عثمان دقنه وهو نخاس من سواكن بعثه الى شرقي السودان ليعرف قل الحكومة المصرية ويمنعها عن ارسال حملة ٥٥ وكان عبد القادر باشا خرج وقتئذ من الخرطوم بجيش وقصد المسيلية فاتصر على الثوار في جهة تسمى مانوك ثم في يناير سنة ١٨٨٣ قصد سنار ليخرج الدراويش الذين كانوا تحت قيادة ابن المكاشفي منها وكان ترك امام الخرطوم جانباً من الجيش تحت قيادة حسين باشا مظهر فاتصر في واقعتين على الدراويش انتصاراً كاملاً في مشرع الادي ورفع الحصار عن سنار وتغلب صالح بك على أحمد المكاشف المذكور في جبل سنخيدى وبينما كان عبد القادر باشا ظافراً منصوراً حتى كاد يلاشي أمر الثورة صدرت اليه الاوامر بالعودة الى القاهرة على غير سبب معروف وتعين بدله أولاد سليمان باشا نيازى ثم صدرت الاوامر الجديدة في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٣ بالغاء نظارة عموم السودان وبتعيين علاء الدين باشا حكاماً للجمهورية السودان ومخلفاته وجعل راشد كمال باشا حكاماً للسودان الشرقي والبحر الاحمر وايجاد ادارة خاصة باشغال السودان ومخلفاته في رئاسة مجلس النظار وكان عليها ابراهيم توفيق باشا ثم خلفه أحمد شكري بك ١٨٨٣ ولما كانت أعمال عبد القادر باشا العسكرية بالسودان وتجهيزاته الحربية وحفره الخنادق واقامته الحصون والمعاقل حول الخرطوم بسرعة وانتصاره الباهرة المذكورة واوامر العسكرية المتتابعة التي كان يصدرها لواء حاميات الجهات المتباعدة للدفاع عن نقطتهم حتى تمكنوا من صد هجمات القبائل الثائرة طمأنت خواطر الأهالي في الخرطوم وتحققوا أنه من ذوى المهارة والخبرة بأساليب الادارة فوفدت عليه كثير من القبائل وأظهرت الولاة للحكومة على رؤس الاشهاد ولما علم المهدي ذلك وأن عبد القادر باشا نوى طرده من كردفان خاف جداً حتى صار يظهر ذلك في خطبه ومن ذلك خطبة ذكرها صاحب كتاب السودان المصري والانكليز وقد استنبذ ذكرها هنا لما فيها من الفائدة وهي بجزءها

ليس بين رجال الحكومة التي أنا وفيها وأصلها حاربوا بنا رجل كعبد القادر باشا كثير الدهاء والحيل فضلاً عن الشجاعة والمعرفة التامة بالفنون الحربية مما جعل النصر حليفه في مواطن كثيرة من مواطن الحرب والنزال ومما يجعلني أضرع الى الله تعالى بأن يكفيني وأصحابي ثم عبد القادر باشا واحتم على كل المؤمنين الذين دخلوا في دعوتي وانظموا في سلك تابعيتي بأن يجتنبوا القيام في الجزيرة بآية مشاغبة تضطرهم الى الوقوف في ساحات الحرب مع عبد القادر باشا وانى أوصيهم بكمسان دعوتي وعدم الظهور بتعاليمى وأدبى في الجزيرة مادام عبد القادر باشا متمولياً على السودان وقايضاً على زمام أحكامه وليواظب كل أصحابي على رفع أصواتهم

بعد كل صلاة هذه الدعوة (اللهم يا قوي يا قادر اكفنا عبد القادر) هذا ما فاه به المهدي على
رؤس الاشهاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على مبلغ ما اصاب المهدي من الفشل باعمال عبد القادر باننا
وكيف انه كان يجب لهذا الرجل حسابنا كبيرا اه وكان عبد القادر قبل عودته من الخرطوم
كتب تقريرا وافيا بان فيه بما له من الخبرة والدراية ما يجب على الحكومة عمله وقال صاحب
السودان المصري والانكليز ما ملخصه واتذكر ان المهدي قال لي يوما بعد سقوط الخرطوم ما معناه
لو كانت الحكومة جرت على الخطة التي رسمها الهاج عبد القادر باشا لما قدرت على بسط نفوذى
في السودان ولا استوليت على الخرطوم اما هذه الخطة فلخصها انه لا يجب تسيير حملة على المهدي
في كردفان لانها غير مضمونة الفوز لعدة وجوه منها ان لدى المهدي من المقاومة عددا كبيرا
يستطيعون مع مواقع البلاد الطبيعية ان يهاكوا اعظم قوة تدخل بلادهم ومنها انه يلزم الحملة نحو
٢٥ ألف جندي لحفظ خط الرجوع وهذا غير ممكن لان مجموع عساكر الحملة لا يتجاوز هذا العدد
وانها اذا سارت وليس لها خط اتصال تمكن العدو من حصرها وابطالها بسهولة ومنها ان انصار
المهدي يحاربون الا ان رغبة في الثواب ويعدون قيامهم وجهادهم من فرض الدين فهم لا يهابون
الموت ويقا تلون مستيتين لاسراز الشهادة فاذا القوا الحملة وقد رانها فازت عليهم وهو امل ضعيف
فذلك لا يكون الا بعد ان نفقدا اكثر من نصف مقاتلتها ولا داعي الى ذلك لان الحكومة لا تعترض عن
حسارها من المال فضلا عن الرجال من مقاطعة كردفان التي هي في قبضة المهدي ثم انه اذا عدلت
الحكومة عن تسيير الحملة الى كردفان ترتب عليها ان تبذل قصارى الجهد في اطفاء نيران الثورة
المستعرة في الجزيرة واستئصال جرثومة القلاقل منها وهو امر يمكن الحصول عليه بعد ٦٠ يوما من
مقارفة سيرها فاذا توطن الامن في الجزيرة وعادت المياه الى مجاريها وجب على الحكومة ان تقيم
الحصون على حدود كردفان وتضع الحاميات الدفاعية لمنع تقدم الدراويش الى السودان
المتوسط ومديريات النيل الاعلى فان ذلك يمنع سريان نار القلاقل ويحصرها في السودان الغربي
واما قلاقل السودان الشرقي فتمتقدر الحربية المصرية على تسكينها من جهة سواحل البحر الاحمر
ورب معترض يقول ماذا كانت الفائدة في ترك السودان الغربي يبرح فيه المهدي وانصاره فيجيبه
ان المهدي عبارة عن فوضى وقد فرح السودانيون بها لانها تخلصهم من نير الحكومة وقد اقلحوا
في الخلاص من هذا النير ولكنهم استجاروا من الرضاء بالنار لان وطأة المهدي ستكون عليهم اشد
من وطأة الحكومة كثيرا وان موارد اليسار ستضرب في السودان الغربي وهب انهم تنضب فهمى
لا تقوم بنفقات الامم المنتفة حول المهدي وعليه فلا يمضى زمن طويل حتى يشعر وبالضيق وتتقسم
تلك التباثل الى قسمين أحدهما يكون الجنود والثاني الاهالى وحينئذ يعجز الفريق الثانى عن تقديم
ما يكتفى الفريق الاول في دفعه الى الظلم والاعتساف فيصبح متظلمبا مستغيثا ولا سبيل للمهدي الى غل
يد الجور المتكفلة بحمايته والذود عن حياضه لانه لو فعل لثارت عليه الجنود وانقضت من حوله ومن ثم
تتولد العداوة والا حنين الفريقين ويمسى الاهالى يطلبون الخلاص من جور المهدي ولا سبيل لهم
الى نيل هذه الامنية بالاعطاشة الحكومة وموالاتها فيسهل عليها حينئذ قهر المهدي بقوة يسيرة
وخسارة طفيفة هذا ملخص رأى عبد القادر حلى باشا ولكن الحكومة لم تنجح الى العمل به اه وقال
صاحب الكتاب المذكور ايضا لما انفصل عبد القادر حلى باشا من حكمة دارية السودان وخلفه

المرحوم علاء الدين باشا عولت الحكومة على تسير حملة هكس باشا الى كردفان أما بن المكاشفي فبعد ان فزمن وجهه عبد القادر باشا شخص الى البحر الابيض وعسكر عند نقطة الجبلين على ضفة النيل الابيض وأخذ يوالي غاراته الشعواء على أطراف سديرية الخرطوم فلم ترا الحكومة بدامن تسير حملة السودان اليه بقيادة اللواء حسين مظهر باشا وهو من الضباط المصريين الاذ كياء ذوى الشجاعة والبأس وكان يشدد النكير على الحكومة لتعويلها على حملة هكس باشا وكان رأيه فيها لا يختلف عن رأى عبد القادر باشا وبلغنى انه فرغ تقريرا الى الحكومة الخديوية أبان فيه سوء نتائج الحملة وهو لا يختلف كثيرا عن تقرير عبد القادر باشا السابق ذكر خلاصته الا أنه ذيل به بنظرة في مستقبل السودان جاء فيها مامعناه لا يجهل أحد أن السودان هو مصرف التجارة المصرية وان ماناته الديار المصرية من سعة الثروة منذ ختمت اليها أمر لاريب في صحته وفضلا عما تقدم فان السودان عموما والخرطوم خصوصا هو المتسلط الطبيعي على النيل الذى هو حياة مصر ومصدر غبطتها وهنائها وعلبه فان اهمال أمر السودان وتركه تحت رحمة المهدي لا يعد أن يأتي معه يوم تقع فيه السودان في يد دولة من الدول اللاتي يطعنن الى ابتلاعه وهن على ما نلم ساهرات لا ينغص لهن جنن واذا وقع السودان في يد احداهن باتت مصر تحت رحمة تلك الدولة المالكة للسودان وأسمى النيل في قبضة يدها وتصرفها ولا تخفى نتائج ذلك على أحد وختم كلامه بقوله ان تسير حملة على المهدي بصير مثل هذا الامر وشيك الحصول داني الوقوع اه ولترجع الى ما كتبصده من سيرة الحملة فنقول انها كانت مؤلفة من ١٢ ألف مقاتل من الجنود النظامية سارت من الخرطوم الى نقطة الكوة وهاجت أمراء المهدي كولد كريف وغيره من الذين كانوا يناوشون مراكز الحكومة في البحر الابيض وأظهر قائدها المذكور من الحكمة ما ضمن له الفوز على العدو وسرح عسكر اضبط مدينة شاة واسترداهم من الدراويش ثم سارت الحملة بجزرا الى الجبلين وهناك التقى بين المكاشفي ونسبت الحرب بينهما مدة ثمانية أيام اسفرت عن هلاك جيش ابن المكاشفي ثم قفلت الحملة راجعة الى الكوة وبعد ان مهدت الطريق عادت الى الخرطوم

حكمة هكس باشا وهزيمة - اعلم انه في مدة ولاية عبد القادر باشا على السودان أرسلت الحكومة من مصر الكولونيل ستيورت (Stewart) الى السودان ليرفع لها تقريرا عن أحواله وما يجب لاطفائه ثورته وبعد تادية ما أمر به عاد الى مصر في شهر ابريل من سنة ١٨٨٣ مارا بسنار والقضارف وكسلا وسنهيتم ومصوع وكانت الحكومة أخذت ترسل من مصر الجيوش الى سواكن وعينت على رضا باشا حكامدارا العموم هرر ومملقاتها مكان محمد نادى باشا وجعلت الميرالاي حسين مظهر بك وكيل الحكمدارية عموم السودان (يوليوس سنة ١٨٨٣) وسليمان نيازى باشا حكامدارا لشرقي السودان وسواحل البحر الاحمر بدلامن راشد كمال باشا الذى عين أمير اللالايين الاول والثاني الموجودين بالسودان وجعلت محمدا مختار بك محافظا لمصوع وقومندانا لالعساكرها ومحمد توفيق بك من موظفي حكمدارية عموم شرقي السودان محافظا لسواكن بدلامن راسخ بك ثم عينت الجنرال هكس باشا (M. G. W. Hicks) (١) رئيسا لاركان حرب عموم الجيش

(١) الماجور جنرال هكس باشا هذا كان من ضباط المعاشات وأصله من الجيش الهندى الاتيغليزى لحق بجيش بومباي سنة ١٨٤٩ وخدم في قتاله (١٨٥٧ - ١٨٥٩) ولحق بحملة روح الكند تحت قيادة

المصري بالسودان فوصل الخرطوم في ٥ مارس سنة ١٨٨٣ ولما صممت الحكومة على ارسال جيش لاسترداد مدينة الابيض كتب هكس باشا الى الحكومة يقول انه لا يتحمل مسؤولية هذه الحملة الا اذا كانت له القيادة العامة عليها فاجابته الحكومة الى ما طلب وامرت علاء الدين باشا حاكم دار الخرطوم بمرافقته وارسلت الى هكس مددا من القاهرة معه ستة مدافع من طرز نوردين فلقد ثم اردفته بفرق أخرى من العساكر المصرية الذين كانوا تحت قيادة عرابي وعبد العزل وغيرهما من رؤساء الثورة العرابية قال موسيو هنس رززان العشرة آلاف مقاتل الذين أرسلتهم الحكومة بقيادة هكس باشا لم يكونوا من ذوى الاهلية والكفاءة وان كل من رأى هذا الجيش عند مبارحته القاهرة يتحقق من عدم نجاح المأمورية التي عهدت اليه فان معظم جنوده كانوا يقاتلون قبل ذلك بزمن غير بعيد مع العصاة الذين كانوا تحت الراية العرابية حتى استلزم الامران يؤخذوا في الاغلال والقيود للسفر على الواورات مشيعين بعويل النساء والاطفال اه وارسلت الاوامر الى سلالتين باشا بجمع العساكر في الفاشر وكان بلغ هكس باشا ان بضعة آلاف من المهديين بقيادة الامير أحمد المكاشف قد تجمعت في جهة كوا القريبة من جزيرة أبانخرج اليهم بفرقة وان تصر عليهم وقتل أحمد المكاشف وعددا من قواده ورجاله فكان لهذه الواقعة تأثير حسن في ارجاع ثقة أهالي سنار والخرطوم بالحكومة وبعدئذ طلب هكس زيادة الجيش للحملة على كردفان ولما لم يجب قدم استعفاءه في ٢٣ يوليو ١٨٨٣ ثم اجيب الى طلبه فاسترجع استعفاءه وسار علاء الدين باشا الى شرق السودان فاستحضر أربعة آلاف رجل وفي أواخر اغسطس تمت كل المعدات واجتمعت الحملة في أم درمان واستعرضها هكس باشا وكانت تتألف من سبعة آلاف من المشاة وأربعمائة من الباشا بسبوزوق الخيالة ومائة جندي مدرعين بالدروع القولاذية وأربعة مدافع من طرز كروب وستة مدافع نوردين فلقد وعشرة من المدافع القصيرة وكان من قواده هاسليم بك عوني والسيد بك عبد القادر و ابراهيم بك حيدر ورجب بك صديق وكان الباشا بسوزوق بقيادة خير الدين بك وعبد العزيز بك ووالى بك وملمم بك ويحيى بك وكان على الطوبجية والسوارى عباس بك وهبى ويتبع هذه الحملة ٥٥٠٠ رجل وخمسمائة حصان وكان معهم ان الضباط الافرنج الكولونيل فركوهار (Farquhar) بصفة رئيس لاركان الحرب والمajor سكندروف (Seckndorff) وورزر (Warner) وماسى (Massey) والمستر أيفانس (Evans) بصفة رئيس للخبرات واليوز باشى هرلت (Herlth) وغيرهم وكان يرافقه من مكاتبى الجسر ائد الاورو باوية مكاتب التيمس والدالنيوز والجرافيسك وفي ٩ سبتمبر بارحت الحملة أم درمان وفي ٢٠ منه وصلت الى الدويم وهناك اجتمعت بعلاء الدين باشا أما هكس باشا فكان لا يزال في الخرطوم وقبل خروجه أرسل تلغرافا الى القاهرة بتمسير الحملة مينا الصعوبة التي سيلاقيها في طريقه نظرا لحرارة وقلة المياه وكان من رأيه ان يسير الجيش من الدويم الى الابيض عن طريق باره وطول هذا الطريق ١٣٦ ميلا أقيمت على طولها مراكز بها جنود لحفظ خط

الجنرال بيني وحضر عدة وقائع مع جيش فاروز شاه بجبهات بارلى وكان أيضا بالجيش الذى فاده الورد كلايدى حرب بنى مارديجيهات دوندا كبريا وحضر واقعة الاستيلاء على قلعة بوكسار وغيرهما من الوقائع ورافق الحملة التي حاربت الحديثة تحت قيادة اللورد بايرون في الاستيلاء على مجده ونال رتبة اميرالاي وعلما ترتب له المعاش من الحكومة الهندية وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر وعينه الخديوى رئيسا لاركان الحرب بالسودان و قائدا عاما للجوشه

الرجعة الى الدويم فيفتح اولاباره وبعد الاستراحة بها يخرج على الابيض فلما جاء الدويم تفاوض مع
علاء الدين باشا في ذلك فقال له علاء الدين باشا انه ارسل من حاس له خلال الديار فاخبره ان طريق
بارة قليلة المياه وان احسن طريق للابيض عملى هذه القوة الكبيرة هو طريق خور ابوجبل والرهد
جنوب الكثرة مياها وان طولها وان كان ٢٥٠ ميلا الا ان منها مائة ميل يسير بها الجند
بكل راحة لسهولتها وكثرة مياها وان ما بقى منها توجهه المياه ايضا فاقنع هكس بذلك واقصر على
مسير الجملته عن طريق خور ابوجبل ثم تقدموا ولما وصلوا شات استولوا على ابارها (٢٤)
سبتمبر) وانشوا بهما سركا عسكريا وكان الجنود منذ خروجهم من الدويم يفتكرون في العواقب
الوخيمة التي ستحل بهم وكان سيرهم على شكل مربع متاهب للقاء العدو في مقدمته الادلاء فالاطلاع
فالضباط العظام وادركان الحرب ثم المربع وفي داخله الذخائر وكانت دواب الجمل جاعت وخارت
قواها حتى مات كثير منها في الطريق وفي ٣٠ سبتمبر وصلت الجملة الى قرية تسمى رزيقة تبعد
٣٠ ميلا عن الدويم ثم حدث خلاف بين هكس وعلاء الدين بشأن خطة السير فكان من رأى
علاء الدين باشا ان النقط العسكرية في خط الاتصال لا حاجة اليها لانها تقلل عدد الجيش وخالفه
هكس باشا بان ذلك لا بد منه لحفظ خط الرجعة وبعدهم اولات ترج رأى علاء الدين اما محمد احمد
المهدى فانه لما علم عسير الجيش المذكور عليه جمع مجموعهم وحرصهم على الصدق في القتال وعسكر
بهم قرب شجرة كبيرة بضواحي الابيض للافادة المصريين ثم وصلت التجريدة الى الرهد في ٢٥
اكتوبر وبعدها استراحت بها ستة ايام تقدمت تقصد كشجيل وبينما هي تخرق غابة وقد أضلت
الطريق اطاح بها المهديون من كل جانب وابدوها عن آخرها بحيث لم يبق منها الا نفر قليل وقد
ورد في كتاب السودان المصري والانكليزي اقوال يستدل منها ان موظفي الحكومة في السودان كله
خاصتهم وعامتهم بيضهم وسودهم كانوا يرون ان فوزهم له هكس على المهدي في انحاء كردفان بعد
من رابع المستحيلات وان الكثيرين منهم ومن التجار المصريين والسودانيين والاورو باو بين حتى
الموسيو وهزل فنصل دولة النمسا والمجر في الخرطوم عرضوا رسميا للحكومة المصرية ولسمو الخديو
عدة مرات يلتمسون العمدول عن تسيير الجملة ولكن معروضاتهم لم تحز قبولا لاسباب سياسية وقال
في صحيفة ٢٣٩ من كتابه وما كذت الجملة تفارق الدويم حتى ظهر في الخرطوم منشور بتوقيع
الاستر باور فنصل الانكليزي في الخرطوم جاء فيه ان جنود جملة هكس باشا من جنود عرابي الذين تمردوا
على الحكومة الخديوية وان حكومة جلالة الملكة تسعى لاراحة تلك الحكومة من مفاسدهم ولا
سبيل الى ذلك غير ارسالهم الى المهدي وغير ذلك من الاقوال التي لانها صحيحة لان احوال السودان
واشتداد الثورة يومئذ في اطرافها اضطر الحكومة الخديوية الى تسيير الجيوش لاطفاء نيرانها
وقال سلاتين باشا في كتابه وقد اخطأت الحكومة المصرية في ظن ان هكس ورجاله عشرة آلاف
يستطيعون ان يخمدوا الثورة ويقهروا المهدي بعد ان تغلب على كردفان كلها واخذ الاسلحة من
حاميها وضم جيوشها الى جيوشه ووصف جنود هكس وسيرها ووصفها على ان الخوف كان
مستوليا على نفوسها وان هكس نفسه سار سير المستقتل وقتر رجل من جيشه ومضى الى المهدي
واخبره عما فيه من الخلل وما يلاقه من العناء اثناء الطريق من قلة الماء فوثق المهدي بالغلبة وقال
لرجاله ان النبي (عليه السلام) ظهر له ووعده بعشرين امانا من الملائكة يقبلون لهجده وكانت

الحكومة المصرية قد أدت لهكس باشا انه يجيد مجده في أثناء الطريق قدرها ستة آلاف مقاتل ويجيد اناسا يدونه الى الماء فلم يجده - يرجنود الاعداء ترصده في سيره فخارت عزائم جنوده وجعل المصريون منهم ينادون بمصر فين ياستي زينب دى الوقت وقتك فيجيم - م السودا نيون ده المهدي المنتظر ده المهدي المنتظر ثم هجم عليهم أكثر من ١٠٠,٠٠٠ من رجال المهدي دفعة واحدة ودخلوا المربع فلم يثبت امامهم الا الضباط الاوروايونيون وفرسان الاتراك فانهم بقوا في مواقفهم الى أن قتلوا عن آخرهم - م وقطع رأس هكس باشا ورأس البارون سكندروف وأرسل الى المهدي والذين نجوا من رجال هكس باشا وسلموا أسلحتهم لم يسلموا من القتل اه وقال غيره انه بعد ان فارق هكس ورجاله الدويم عقدوا مجلسا حريا للنظر في مسألة المحافظة على خط الرجعة فقرر رأيهم على عدم ترك جندي واحد في الخلف فكان هذا عين الخطا وأرسل هكس باشا رسالة بريقة بتاريخ ١٧ اكتوبر يقول فيها (نحن الآن على مسافة ٢٠ ميلا من نوارلى واني متأسف لاننا لم نحفظ خط الرجعة فقد أفادني حاكم السودان ان العرب سيقطعون عنا الذخيرة والزادو ويحيطون بنا من كل ناحية بعد ان يوغل جيشنا في البلاد ووزع على ذلك ان يرك الماء يستجف فلا يمكننا استنقاذ الماء الا بحضرة الابار وصحبة العساكر الجديدة والحرس الجديد اه وهي آخر رسالة وردت منه ويظهر ان الادلما الذين كانوا معه خافوه فقادوه الى غاب وعرضوا المسلك بقى فيه مع الجيش ثلاث ساعات حتى قطعوه ولم يخرجوا منه حتى لقوا العدو ويحيط بهم فصف هكس باشا جيشه على هيئة مربع وقاتل الاعداء طول النهار فانهم زموا وباتت العساكر في ساحة القتال وفي صبيحة اليوم الثالث من نوفمبر قام هكس للقتال وفسرغ الماء من جنوده ولكنهم ثبتوا على العطش والقتال ثبات الابطال حتى قتل عدد عظيم من الفرقة ودارت الدائرة على العدو ثم باتت العساكر ليلة ثانية في ساحة القتال وفي اليوم الرابع ساروا نحو أربع ساعات فقابلهم العدو بنيران شديدة وكان الظما يقاثلهم وكان الطريق وعرا حتى ان هكس باشا لم يقدر على استخدام مدافعه ولم يتمكن من صف جيشه على مايرام لكثرة الأشجار فتفرقت جنوده وأحدق العدو بهم من كل جانب فبددوه وقتل قاده وقيل ان علاء الدين باشا ذبح في بداية الحركة وأما هكس باشا فكان آخر من قتل وقد قال صاحب كتاب السودان المصري والانكليزيان حسين مظهر باشا كتب في ذلك اليوم ما يأتي أنا حسين مظهر باشا من الذين نخر جوا في مدارس مصر الحربية وأنا الآن قائد الفرقة الثالثة من الجيش المصري في السودان وقد وصلنا الى هذا الموضع (شيكان) منذ ثلاثة أيام ومنذ أمس فقد نال الماء وصنف البطيخ الصغير فبلغ منا الظمة في هذا اليوم مبلغه ونيران العدو تهطل علينا كالطر وقد هلك أكثر دواب جملنا وهلك أكثر عساكرنا واحتل النظام وتمرد الجنود على الضباط وهم هائجون منذ أمس يطلبون قتل الجنرال هكس ونحن وسعاد تلو محمد علاء الدين باشا نجتهد في اخفائه عنهم أنفة من أن يقال ان ألوف من المصريين قتلوا رجلا أجنبيا بينهم لاسباب سياسية وانني أكتب هذه السطور والموت محقق بنا من كل جهة ولأمل لنا في الحياة الى غد الاثنين الا اذا لم يهجم اجنا العدو وجرعة الماء بيننا الآن أن ندر من الكبريت الاحمر وقد كنت أود القطار بل ولكن طرأ على ما اضطرني الى ترك الكتابة والتأهب للوت ومفارقة هذه الحياة وأختم هذه النبذة بالاسف ليس على حياتي بل على ألوف من أبناء وطني ما وانا مستسلم حكومتهم الى أعدائهم فواسفاهم وأسفاه اه وروي ايضا

صاحب الكتاب المذكور ما لم يخصه انه في صباح يوم الاثنين ثالث محرم أمسك الدراويش عن اطلاق
التيران وبعده شروق الشمس ركب المهدي واستدعى الامير عبد الرحمن النجومي بجياله ورجله وأمره
بالهجوم على الحملة من جهة الجنوب وأمر يعقوب أمير الراهبة الزرقاء بالهجوم من جهة الشمال الشرقي
وموسى حلاًو أمير الراهبة الخضراء بالهجوم من الجنوب الغربي فهجم الجميع وقتكوا بالجنود وأخذ
هكس يصرخ بل صوته ويقول أنا هكس الانكليزي خذوني أسيراً فابتدره فارس بطعنة وهكذا كان
هلاك حملة الجنرال هكس اه وروى سلاتين باشا أنه كان وقتئذ يحافظ على بلاد دارفور وحكمادارته
ولكن لما بلغه ما حصل به هكس باشا وجيشه أيقن بالضياع فأضطر الى التسليم وكتب الى المهدي
يعرض عليه التسليم بشرط أن يرسل واحداً من أقاربه يسلم له البلاد وان يؤمن من فيها على دماهم
فعين المهدي الامير زغل المتقدم ذكره مديراً لجموع بلاد الغرب فسلم له سلاتين في ٢٣ ديسمبر
سنة ١٨٨٣ ووردي صحيفة ٢٠ من كتاب السودان المصري والانكليزي عن سلاتين باشا انه
تدين بدين الاسلام وختن نفسه قبل ثورة المهدي بزمان وسمى نفسه باسم عبد القادر فلم يصدقها الاهالي
ولم ينصاعوا لارشاده بل ظلوا مقيمين على السكينة والهدوء الى ان قام المهدي بدعوته وثار على الحكومة
اه وبعده انكسار جيش هكس باشا واستيلائه على الابيض أرسل الى المهدي وفدا يعرض عليه
التسليم فقام عليه الجنود والموظفون فوطن نفسه على ارسال وفد ثان برئاسة محمد بك خالد زغل وكيل
مديرية داره وابن عم المهدي فلتقاء المهدي بالترحيب والاحترام وكان المهدي كتب الى ابن عمه
محمد خالد المندكور يحرضه على القيام بدعوته في دارفور ومصالحة جنود الحكومة على الشروط
التي عرضها سلاتين باشا ولما تم الامر سافر سلاتين باشا لمقابله المهدي في جهة تسمى الرهد قال صاحب
الكتاب المذكور في صحيفة ٣٢٥ وفي غضون اقامة المهدي في الرهد قدم عليه سلاتين باشا
من دارفور وكان مكرماً عند المهدي لانه سلم دارفور بلا مقاومة كما قدمنا فأرسل المهدي
مندوباً للقائه خارج البلدة وقرأ عليه سلام المهدي الذي لولا انحراف صحته لكان خرج الى لقائه
بنفسه وكان سلاتين باشا يومئذراً كاجواداً وحاملاً بالانبا كان يقذفها في الجواشياء المقابلة ويقسم
بالله انه يري أعداء المهدي بقباله ويقول هكذا يكون قتالي عن راية الامام المهدي المنتظر وكان
يتعجب شوقاً الى نعيم الجنان وحينئذ الى ميادين القتال لشرب كأس الشهادة والفوز بهذه الامنية
التي لا يتنى انصار المهدي غيرها ولما مثل بين يدي المهدي بالغ في اكرامه والنفق الى أصحابه وقال
لهم ان عبد القادر سلاتين هذا من الاخوان الصادقين فصادقوه ولا تنفروا منه وامتد سلاتين باشا
عينه الى المهدي وقال له يا يعنى كما بيعت السابقين الاولين من أنصارك فقبسم سروراً وبابعه البيعة
العامة ولم يبايعه البيعة الخاصة كما سأله وبعد ذلك أنزله في أكوخ بجوار منزل الخليفة عبد الله
التعايشي الذي وكل اليه مراقبته السرية وايقافه على دنائله وأمره وكان المهدي والتعايشي
لا يظهران له غير الوثوق به فأرسل اليه التعايشي جوارياً وعلمنا ان خدمته وكانوا في الحقيقة عيوناً
عليه الى أن كان من أمره وقيام أولئك الارقاء عليه وضبط الكتاب الذي كان يريد ارساله الى
غوردون في الخرطوم ما سئذ كره اه ولما بلغت اخبار ضياع جيش هكس باشا الى مصر اضطربت
الحكومة ولحق الكثيرين من الناس الكدر والاحزان وأخذت سطوة المهدي تنتشر في جميع أنحاء
السودان وأرسل المهدي الامير كرساوى على بحر الغزال ومعهم ستة آلاف مقاتل وكان مديراً يومئذ

لبتن بك (Lupton) الذي لم يكن معه أكثر من ٥٠٠ جندي وبقية جنوده كانت متفرقة في أنحاء المديرية ففاجأه ألف نفر من جيش الامير كرساوى المذكور وقبضوا عليه وكان الامير كرم الله قد أحاط بشكنة العساكر وأسمر من فيها من الجنود بغير قتال واستولى على جميع مخازن الاسلحة والذخائر وأمسك كل من في المديرية وبعث بنشور وقع عليه لبتن بك الى جميع قواد الخياميات يأمرهم فيه بالتسليم لمجاة الامير كرساوى فانصاعوا كلهم ولم يبدوا أقل مقاومة وأرسل الامير المذكور لبتن بك وبقية الموظفين الى المهدي فأكرم وفادتهم ولبث لبتن بك مرافقا للمهدي الى ما بعد سقوط الخرطوم فعين رئيسا لورشة ملح البارود في أم درمان ولكنه مات في حوالى سنة ١٨٩١ وقصد الامير كرساوى المذكور مدينة (لادو) عاصمة خط الاستواء وهاجها حتى وصل الى داخل شوارعها بعد حرب شديدة ولكن القاتعقام سليم بك هزمه منها وتمكن أمين باشا من دفعه عن تلك البلاد بعد ما أذاق الدراويش خسائر وافرّة واضطر الامير كرساوى الى العدول عن مقاطعات خط الاستواء وفي خلال ذلك أى قبل مبارحة جملة هكس باشا الخرطوم كان عثمان دقنة (١) الذى تكلم عنه سلاتين باشا كما مر قد شخص الى المهدي وبيعة فكتب له المهدي منشورا الى أهل السودان الشرقى يشرح لهم فيه ضعف الدين الاسلامي وما أصاب أهل السودان من الظلم والحيف وطلب منهم القيام بنصرته وقال لهم انه أرسل من قبله الشيخ عثمان بن أبي بكر دقنة لسوا كن نائباعنه وطلب منهم مبايعته ونصرته وبشرهم بما آتاه الله من النصر والاستيلاء على كردفان فتمكن عثمان دقنة بذلك من تهيج أهالى شرق السودان والتف عليه منهم عدد وافر بجهات سنكات وبلغ توفيق بك محافظ سوا كن أمره فتوجه اليها بنفسه وكان توفيق بك استقدم رئيس قبيلتى الشعياب والنوراب وسألهم ان يكونا دليليه فى الطريق وان يعيناه على امسال عثمان دقنة فأجاباه الى سؤاله ولكنهما بعد وصول توفيق بك الى سنكات هربا ولحقا بعثمان دقنة ثم طلب توفيق بك عثمان دقنة اليه فلم يحضر وبعد قليل وصل اليه كتابان من المهدي يقول له فيها انه لما كان المصريون أقل رتبة واعتبارا فى عيني من المسيحيين واليهود والكافرين وجب أن يسلموا جميع الاسلحة والذخيرة وباقي مهمات الحكومة الى عثمان دقنة وزيري وقال الرسل لتوفيق بك انك ان لم تعتل لهذا الامر فسنتفذه بحمد السيف فوقع توفيق بك فى حيرة عظيمة وتحصن بالسنتين نفر الذين كانوا معه داخل شكنة سنكات المذكورة

واقعة سنكات - لما كان توفيق بك محافظ سوا كن محاصرا فى سنكات زاد عدد الثوار تحت امره عثمان دقنة حتى بلغوا ١٥ ألف مقاتل فحاصروهم سنكات وطور كروهي على

(١) عثمان دقنة هذا أصله من قبيلة صغيرة تدعى الدقناب تنسب الى قائد تركى كان أبعدده السلطان محمود خان العدى عن الاستانة وجنّه فى سوا كن منذ قرن فتروج هذا القائد بلما أن حبشية رزق منها عدة كورسمى نسلهم بقبيلة الدقناب وكان آل عثمان يعدون من وجود سوا كن وكان ثلاثة من أعمامه حازو الرتبة الثالثة من الحكومة المصرية وكان له أسلاك كثيرة فى سوا كن استولت عليها الحكومة وهبها لاولاد الشيمخ المرغنى وكان المترجم كثير التردد على القاهرة بتجارة العاج والریش فعرفه فيها الكثيرون من تجارها وكان رأس ماله بلغ ٢٠ ألف جنيه وفى مدة توظيفه الاورباو بين فى السودان قبضوا على قافلته لسبب وجود رقيق فيها فكما عليه بالاعدام بعد ان صادروا أمواله فتمكن من الهرب بعد ان قاتل رجال الحكومة ثم جاء القاهرة وعرض مظلته للتفوية له الخديو لاسبق اسمعيل باشا فلم يسمع وعاد بدون طائل فأصابه الفقر وبقى الى ان صدع بدعوة المهدي وقام لينتقم من الذين ظلموه اه

مسافة ٤٥ ميلا من سواكن ووصل خبر حصارها الى مصر فجزمت الحكومة على تجهيز
قوة لخلاص طوكر أولا ثم سنكات ثانيا وأصدر الخديو أمر بتعيين حسين واصف باشا حاكما
على السودان الشرقي وسافر الى سواكن وأرسل محمود باشا طاهر بجيش مؤلف من ٥٠٠ مقاتل
من سواكن الى الترنيكيات (٣ نوفمبر ١٨٨٣) ومعه القومندان منكريف (Moncrieff)
من البحرية البريطانية وانضم الى هذه القوة بعد وصولها سبعمائة نفر من الجنود السود تحت قيادة
قاسم بك الذي قتل في واقعة طماي ثم نزلت هذه الجنود من السفن وسارت في الصحراء فاصد طوكر
وبعد سير عشرة أميال وصلت الى مكان يدعى السيتراب والتقت بجموع عثمان دقنه فهزمتها
وشنت عليها وقاتل القومندان منكريف وولى محمود باشا طاهر الادبار والتجأ الى السفن في
الترنيكيات ثم عاد مع من بقي من الجيش الى سواكن وصدر أمر الخديو بتشكيل مجلس حربي
في سواكن تحت رئاسة حسين عاصم باشا الحاكمة محمود باشا طاهر على فراره واستمرت المحاكمة الى
ان حصلت هزيمة بيكر باشا الا في ذكرها فصرف النظر عن محاكمته وبقى عثمان دقنه حول سواكن
يوالي الغارة عليها بالانهار فأرسلت الحكومة عليه جملة أخرى بقيادة البكاشي كاطم أفندي
فالتقى بها عثمان دقنه في جبل تكبيريت وقتل بها ولم ينج منها غير عدد قليل وفي خلال ذلك
أشارت انكتره على الحكومة المصرية بتزك السودان واستقدام جميع الجيوش والموظفين
(٢٠ نوفمبر ١٨٨٣) فتوقف المرحوم شريف باشا رئيس الوزراء عن قبول هذا الامر
كما فرأى إرسال يومئذ ورد غرانفيل محررا الى السير بارنغ (اللورد كرومر) يقول فيه لاريد
انني في غنى عن ان استلقفكم الى انه من المسائل المهمة التي تتعلق بادارة شؤون مصر واستتاب
الامن فيها الذي هو من واجب حكومة جلالة الملكة مادام احتمال الجنود الانكليزية
الموقت موجودا ان تكون على يقين ان النصائح التي تعطى من قبلكم الجناب الخديو قياما
بواجباتكم معمول بها فيلزم ان تعلموا النظر وحكام الاقاليم صراحة انه مادامت المسؤولية
الآن على عاتق انكتره فحكومة جلالة الملكة مضطرة لان تكون على يقين من نفاذ السياسة
المرسومة لذلك فمن اللازم اذن على النظر والحكام ان يتخلوا عن وظائفهم اذ لم ينصاعوا لتلك
السياسة اه وعليه استقالت وزارة شريف باشا وتشكلت وزارة نو بار باشا فأقرت على ترك
السودان قال صاحب كتاب السودان المصري ما ملخصه انه لما علم أهالي الخرطوم بقرار الوزارة
النوبارية بتجمهر و امام مكتب التلغراف وهم يصيحون بالويل والثبور وكتبوا عرضة طوية الى
جلالة السلطان عبد الحميد خلاصتها انهم يقطعون كل علاقتهم مع الحكومة المصرية ويسألون
جلالته عودة احتلال العساكر الشاهانية لمواني البحر الاجر التي تنازل عنها جلالته الى الحكومة
المصرية وارسل مائة ألف عسكري لاعادة السودان باسم حكومة الجناب السلطاني فاذا أجابهم
جلالته الى ذلك عمدوا الى موقعة مسمو البيرمار كويب التاجر الفرنسي في الخرطوم على اقتراض
عشرة ملايين جنيه من الممالين الفرنسيين فيخصص منها أربعة ملايين لتفقات الجنود من دار
السعادة الى الخرطوم ولدا السكة الحديد من سواكن الى المدينة المذكورة وتعهده عشرون تاجرا
بجلب ٣٠ ألف قنطار من العاج في كل سنة من ايراد بحر الغزال وخط الاستواء وبعدها أرسلت تلك
العرائض البرقية أوقفها المأمورون في إحدى المحطات فأخذ الناس يتزحون عن الخرطوم اه وفي

خلالها عرض الجنرال غوردون نفسه للخدمة لاختلال السودان وقبيلت الحكومة المصرية
استخدامه (٢٦ يناير ١٨٨٤) واتخذت انكثته وقتئذ على نفسها صيانة الموانى البحرية
في البحر الاحمر وعينت الاميرال هيوت (Sir W. Hewett) قائدا على المدفيعات التي ساقها
الى سواكن واستلم قومندانية الدفاع عن تلك السواحل وفي خلالها عاهدت الحكومة الى الزبير
باشا بتجنيد بعض السودانيين للسفر بهم الى السودان عن طريق سواكن وارسل الزبير باشا
خطابا من طرفه الى عربان سواكن يدعوهم الى الطاعة وقد اعترضت جمعية منع الرقيق في لوندرة
على استخدام الزبير

عامة بيكر باشا - لما وصلت احوال السودان الى ما علمت عين الخديو الجنرال بيكر باشا
مفتش عموم البوليس مع عساكر البوليس والجنسدرمه من خلاص البلاد المحصورة في شرقي السودان
وقبل سفر هذا الجيش استعرضه الخديو ثم اصدر امر البيكر باشا بتاريخ ١٧ صفر سنة
١٣٠١ صرح له فيه بأن يكون مطلق التصرف في اطفاء ثورة تلك الجهات وقد اوردنا صورة هذا الامر
باسفل الصحيفة اتماما للقائدة (١) فسافر اليها يوم ١٨ ديسمبر وكان سبقه الميرالاي سرتوريوس
بك (Sartorius) رئيس اركان حرب والميرالاي عبد الرزاق بك وموريس بك وغيرهم من
الضباط ولما وصل اصدر بعض الاوامر الى حسين واصف باشا حاكم دار شرقي السودان فحصل
بينهما اختلاف فيمن يكون له الرياسة فآراه بيكر باشا امر الجناب الخديو المخول له التصرف المطلق
فاستعفى حسين واصف باشا من الوظيفة وقبل استعفاؤه وعاد الى مصر وخلفه سليمان نيازي باشا
ثم توجه الجنرال بيكر مع نحو بابا الاميرال هيوت الى مصروع ليجال فرؤساء قبائل العرب والحبشة
ضد الثائرين بقصد تسهيل طريق لانسحاب حامية الخرطوم عن طريق كسلة وكانت الحامية
المدكورة وقتئذ تحت قيادة الكولونيل كوتلجن وكان حفر حول الخرطوم خندق اطوله ١٤٠٠
مترا فلما وصل بيكر باشا مصروع (٣١ ديسمبر ١٨٨٣) ارسل من حاميتها بعض العساكر
السودانيين الى سواكن تقوية لجيشه واستعاض عنهم في مصروع بعساكر مصرية ولما عاد الى

(١) حيث اتفعايناكم بمأمورية اطفاء الثورة القائمة بالجهات الكائنة بين بربر وسواكن وحفظ خط
المواصلات بين هاتين النقطتين وهذا بناء على ما هو معلوم ومشهور عنكم من الهمة والاستعداد في الامور العسكرية
فقد رأينا لزوم الايضاح لكم بوجه الاجمال عن افكارنا فيما يتعلق بالبحر كانت التي تستدعيها مأمورية ريسكم المذكورة
وهو انه من لوازم هذه المأمورية ان تستعملوا أولا كافة الوسائل السلمية والطرق السياسية بقصد استجلاب
قلوب مشايخ العربان على اختلاف قبائلهم للطاعة والانقياد قبل استعمال القوة وبعان العساكر الجندرمه
الموجودة الآن بسواكن سينضم اليهم اوطرطة سودانيون تحت قومندانية الزبير باشا الذي لكم الرياسة عليه
مباشرة فلاشك في انه يهل عليكم اجتناء غرات مال لباشا المور اليه على القبائل السودانية من النفوذ المشهور ولقد
رخصنا لكم في هذه المأمورية باستعمال القوة الملكية والعسكرية في جميع انحاء السودان التي تصلون اليها كما لنا
صرحنا لكم بتفصيل احكام الاعدام التي تصد من الحماكم العسكرية على رجال العسكرية بالأمم والمحاسن
الاعتيادية على رجال الملكية ولكم ايضا ان تضعوا تحت الاحكام العرفية كل مدينة أو إقليم يري لكم لزوم وضعه
تحت هذه الاحكام وأن تجر وامقتضاها هذا ما اقتضته ارادتنا فيما يخص بالاعمال التي تمكن ادارتها يدكم
ولنا الثقة التامة في استعدادكم وفي اخلاصكم الثابت لنا كما ان مأمولنا الحصول على أكبر المنزلة وأحسن النتائج
من المأمورية الموكولة لعهدتكم في ١٧ من سنة ١٣٠١ (٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٥) من مجموعة
الاوامر والذكريات صحيفة ١٨٦ التوقيع محمد توفيق

سوا كن أخذ يستعد للقتال وفي يناير سنة ١٨٨٤ وردت لهم رسالة من قائد حامية طو كرشح فيها حالتهم الخطرة وقال اذ لم تأت بهم النجدة بعد ثلاثة أيام اضطر الى التسليم للشوارفصم بيكر باشا على انقاذ طو كرا ولا يخرج من سوا كن بحرا ونزل على الترنكيتات وكان جيشه يتألف من ٣٦٥٦ نفرا منهم ٣٠٠ من سوارى مصرى و ١٥٠٠ سوارى تركى و ٥٦٠ من جنود رمة اسكندرية و ٥٠٠ من جنود رمة مصر و ٤٥٠ من سودانية مصوع و ٤٢١ من سودانية سنهيت و ٤٢٩ من بيادة الاتراك و ٦٧٨ من السودانية الذين مع الزبير و ١٢٨ من الطوبجية معهم ستة مدافع ومع هذا الجيش نحو أربعين جنديا من البوليس الافرنجى وتقدم به يوم ٢ فبراير وفى ١١ منه شرع فى الزحف نحو طو كرا وكان سيرهم عاديا وليس على شكل مربع وكانت المدافع فى المقدمة والخيالة فى الجوانب وبينما هم على هذا الشكل الغير منتظم داهمهم الدراويش وكانوا محتبئين فأسرع بيكر باشا فى وضع رجاله على هيئة مربع ووقف هو وأركان حربيه مع طليعة الخيالة فى ميسرة الجيش الا ان الوقت كان غير كافى لاتمام التعمية قال صاحب كتاب السودان المصرى ما لمخضه وكان عثمان دقنه قسم جيشه الى أربع كتائب جعل كل كتيبة لزاوية من زوايا المربع وأقام هو فى كتيبة خامسة لزاوية مقدمة المربع. ولما دنت الحملة من الكمين الامامى صاح عثمان بانصاره قائلا لهم الى الشهادة والفوز بقرب الله تعالى فى دار البقاء فانقضت جنوده على الحملة بجلبنة وصياح يصم الاذان وفعل مثلهم بقية الكتائب اه خال العدو بين بيكر باشا وبين عساكره ولكنه حمل ببطائه على الاعداء واحترق صفوفهم وأتى الى المربع فقتل من حاشيته كثير من جملتهم عبد الرزاق بك الرئيس الوطنى لاركان حرب الجنرال وطاهر بك الصاغ الذى حضر معه من الاستانة وموريس بك الذى كان بجانب المدافع والقبودان فورستيه وليكر (Forestier-Walker) والضابط كورل (Corroll) وغيرهم ولما وصل الى المربع تحت نيران البنادق وجد العدو قد دخل المربع وقضى الامر ولم يبق فى اليد حيلة لدفع المصاب ويقال ان الطوبجية لم تطلق مدافعها الا طلقة واحدة ثم ولت الادبار مع باقى العساكر الذين حل بجمعهم الرعب وثاروا الجبال مذعورة ونفرت فى جوانب البيداء تدوس من صادفها من العساكر وكنت ترى الدراويش يجمع على المئات من العساكر ولا يبالي حيث لم يجد امامه أحدا يقاومه حتى خيل لهم أنهم ابطال زمانهم والحاصل ان العساكر المنهزمة قصدت طريق الترنكيتات والعدو يتعقبها ويقتل كل من أدركه منهم وكان انهم زامهم بغير انتظام ولا ترتيب ما عدا عساكر مصوع السودانيين فانهم تقهقروا وبهيئة منتظمة حتى شهدت لهم الكتاب بالسالة والشجاعة وعاد بيكر باشا وخاف العدو من مدافع الاسطول الذى كان فى ميناء الترنكيتات فرجع عن المنهزمين عند وصولهم الى الحصن ولم يكن فى ميناء الترنكيتات مدافع واحد يومئذ فالتبع العدو باقى الجيش لذبحه عن آخره وعند وصوله الى الميناء وبعد ذلك اتضح ان عدد الذين قتلوا فى هذه الواقعة بلغ أثنى نفر منهم ٩٦ ضابطا وقتل من عساكر الزبير السودانيين ٤١٠ ومن أورطة اسكندرية ٤٩٦ ومن الاتراك والتليانيين عدد غفير والمظنون ان معظم القتلى قتلوا وقت الهزيمة وسميت هذه الواقعة بواقعة التلب ولما انهزم بيكر باشا بهذه الصفة صدر أمر الخديو بالنعون عن محمود طاهر باشا وعقب ذلك سلم توفيق بك مدينة سنكات بعدما قاوم مقاومة دلت على شجاعته ولكن الدراويش أبادت قوته بتمامها وقتل هو ثم سلمت

طوكر أيضا الى عثمان دقنه وغنم في هذه الوقائع جميع الاسلحة والذخائر والدواب واشتهر أمره وعلت منزلته بين الدراويش وفي غضون ذلك ظهرت دعوة المهدي حول كسلا وثارا الاهالي فيها وقتلوا ثلثمائة جندي وضباطهم وبعث عثمان دقنه أميرا من قبله يدعى مصطفى هدل وحصر كسلا عودة غوردون باشا الى الودان - لما قبلت الحكومة الخديوية استخدام الجنرال

غوردون باشا لاختلاء السودان قدم من انكثرة يصحبه الكولونيل ستيورت (Stewart) كاتم أسراره ورئيس أركان حربه بعد ان أرسل له لورد غرنفيل أمرا أدرجنا صورته بأسفل الصحيفة (١) واحتفل الانجليز بوداعه في اندرطة احتفالا عظيما وقالت الجرائد وقتئذ ان لورد ولسلي جل له صندوقه الى عربة القطار ولورد غرانفيل قطع له تذكرة السفر ودوق كامبردج فتح له باب العربية ولما وصل الى القاهرة (٢٥ يناير ١٨٨٤) تقابل مع السير بارنج (لورد كرومر) الذي زوده بايلزم من التعليمات والنصائح وقال له ان الحكومة الانكليزية قد فوضت اليك أمر اختلاء السودان وانها تطلب منك إعادة حكم الامراء الذين كانوا يحكمون فيه عندما فتحه محمد علي باشا وأجازت لك ابقاء العساكر حتى يسهل عليك اختلاؤه وغير ذلك هذا ولما تقابل مع الخديو توفيق باشا سلمه أمر ابتيغينه كما كالعوم السودان وفوض له أمر اختلائه من العساكر والموظفين وكل من يرغب من أهاليه المحجى الى مصر وان ينشئ حكومة منظمة في كل مديرية اذا ما مكن وقد عثرنا على صورة هذا الأمر في صحيفة ٥٥٠ من مجموعة جرنال الجنرال غوردون في الخرطوم تأليف اجنت هيسك (Egmont Hake) فادرجنا تعريبه بالحرف الواحد في اسفل الصحيفة لتمام الفائدة: (٢) وكان المرحوم توفيق باشا يهتم كثيرا في تخليص المصريين الذين بالسودان مما هم فيه

(١) سيدى - ان دولة الملكة تريد ان تسافر ويدون تأخير الى مصر حتى تحرر وانقرر في الاحوال الحاضرة في السودان والتدابير التي يقتضى اجراءها لتأمين الاتحداكات المصرية الموجودة هناك ولتأمين السكان الاوروباء وبين الذين في الخرطوم فيلزمكم والحالة هذه ان تتأملوا في هذا القضية ثم تخبروا بالوسائل التي يلزم اتخاذها لمباشرة اختلاء داخل السودان ولتأمين ادارتها وحلها التي تحت سيادة الحكومة الخديوية وفي خلال ذلك يلزمكم دقة نظركم بصورة خاصة في التدابير الفعالة اللازمة في ان اخراج المأمورين المصريين من داخل السودان لا يكون سببا في اعادة بيع الرقيق وستلقون أوامركم من وكيل الملكة وقنصلها العام في القاهرة سرفلسن بارنج وبواسطته أيضا ترسلون الينا تقاريركم ويمكنكم أيضا ان تملوا مأموريات أخرى مما ترى الحكومة الخديوية من المناسب تفويضه اليكم وعند ذلك يكون تبليغ هذه الاوامر اليكم بواسطة الوكيل المشار اليه ويكون بمعيستكم لمساعدتكم في مأموريتكم الكولونيل ستوارت تم عند وصولكم الى مصر تتوجهون الى سرفلسن بارنج وتقع بينكما المذاكرة في هل يقتضى الحال ان تتوجهوا بنفسكم رسالى سواكن أو الخرطوم أو ترسلون الكولونيل ستوارت عوضا عنكم ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ اه

من الجواب

(٢) من خديومصر السعادة غوردون باشا

لا يخفى عليكم ان استدعاءكم الى هذه الديار وذهابكم الى السودان انما هو بقصد اختلاء تلك الاماكن وانسحاب جيوشنا مع مستخدمي الحكومة الموجودين هناك وكذا جلب مبريد الحضور معهم من السكان مع جميع متعلقاتهم ولى الثقة التامة بان سعادتكم تعتنون كل الاعتناء في اتمام هذه المأمورية باستعمال احسن الطرق والوسائل التي يظهر لكم ضرورة عملها لحفظ تلك الجيوش والمستخدمين والسكان والتجار سواء كانوا من الاهالي أو من الاجانب الذين يريدون الحضور معكم وبعدهم هذه المأمورية لتخذون الاحتياطات اللازمة لتكون حكومة قوية في مديريات السودان ليستمر فيها النظام ويؤمن من وقوع الكوارث التي تنافي من أمه جاهلة تركت ونفسها

من الضيق حتى انه قال للبارون دي مالورتي (Baron de Malortie) لم يكن في استطاعتي ان ابدى دليلا عن حسن مقاصدي باحسن من تعيين غوردون باشا حاكما راعوميا ومنحه كل السلطة في عمل ما يراه ضروريا لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتي وحكومة جلالة الملكة حتى اني قلدت له نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون وقد قبلت سلفا ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الى ذلك اذ ما يراه حسنا من التصرفات يكون الزاميا بالنسبة اليها ثم اني بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه الكيفية في هذا الباشا لم اشرط عليه الا شرطا واحدا وهو ان يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة العناصر المتعدنة من اوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية بمكان فان قلبي يذب عند ما أفكر في الالوف الكثيرة من رعاياي المخلصين الذين تكفي غلطة منه لهلاكهم وانى لا اشك في انه سيبذل كل ما في وسعه لحقن دماء أكثرهم على الاقل فان نتج بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم موانئ السودان الشرفي فله الشكر مدى الدهر على رعيته التي ترتعد فرأئها من توقع ما يخشى حصوله بعد حين أما قولك انه ينبغي في مشروعه فهو من قبيل المجازفة مني في الكلام كثيرا فان امامه قوات أكثر منه عددا وأهوا لا غير أنا راجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على اصدق مساعدة وأسرع معونة مني أنا وحكومتى بقدر ما متصل اليه بالإمكان اه هذا وقد صرح المستر غلادستون امام البرلمان بأن الحكومة الانكليزية تأخذ على عاتقها كل مسؤولية المأمورية التي أقيمت مقابل سد هالي غوردون باشا أدبيا وسياسيا وكذلك صرح لورد غرنفيل امام مجلس اللوردات بما يقرب من ذلك (١٩ فبراير) وفي أثناء تلك المسدة راجعت نظارة الحربية المصرية دفاترها فعملت منها ان الموجود بالسودان بين دنقله وغونديرو من العتائر النظامية ٢١,٠٠٠ معهم ٨٤ مدفعا مختلفة العيار وبكثير من المدن والقرى مخازن ملاء بالآلات والذخائر الحربية ولما تذاكرت في كيفية ارجاع هذه الجنود والذخائر علمت انه يلزمها ذلك على الاقل نحو ستة آلاف رجل وان أحسن طريقة لنقلها تكون الى مصوع عن طريق شها الى الحبشة أما اذا كان النقل بواسطة النيل فيلزم ذلك على الاقل ١٣٠٠ سفينة هذا خلاف السفن التي تلزم لارجاع المأمورين والاهالي المصريين الذين يرغبون العودة الى أوطانهم واعلم انه كان يوجد للحكومة في ذلك الوقت بدار صناعة الخرطوم نحو ١٦ سفينة بخارية وأكثر من ٣٥٠ شرعية بين سفينة وزورق وقد وقعت كل هذه الاشياء في يد السودانين كما ستعلم مما يأتي ثم سافر غوردون باشا الى المحل مأموريته (٢٧ يناير) عن طريق عظمور أبو جدو وبروشندي وأعلن للاهالي في طريقه صراحة باباحة تجارة الرقيق وأوراها ان الحكومة المصرية لاتعارضهم في ذلك لان السودان أصبح دولة مستقلة عن مصر وان المهدي جعل سلطانا على كردفان ولما وصل الى الخرطوم قابله العموم

بلا حاكم وانني معتمد على الاعتماد على نباهتكم وجراء تكلم النسيان اليها وجهت انفا هذه المأمورية بالطريقة المرغوبة

في ٢٧ يناير سنة ١٨٨٤ هـ من جنرال الجنرال غوردون في الخرطوم
محل الختم
(محمد توفيق)

فيها بالفرح والسرور وتوافقوا على يديه وقدميه يقبلونها فأنخطبهم قائلاً اني قد حضرت لتخليص
السودان مما رزى به ولم أجد محفوفاً بالجنود بل اتكت على معونة الله فلا أحارب الا بالصلاح العدل
وليكن معلوماً انه من الآن فصاعداً لا يكون في البلاد عساكر باشوزق يعيثون ويفسدون فوقع
كلامه موقع الاستحسان عند الاهالي واستتبت الراحة في الخرطوم نوعاً ثم أحرق علانية كل دفاتر
الحكومة والآلات الجلد وألف مجلساً من أعيان الاهالي وأطلق سراح معظم المسجونين فأظهر
الاهالي له الميل حتى ظن انه فاز بالغرض ثم بعث الى مصر جانباً من حاميه الخرطوم المصريين وكان
يريد أن يجعل كل حاميه الخرطوم من العساكر السودانية وغير ذلك من الاعمال التي عملها قصد
استمالة الاهالي اليه ثم بعد قليل ظهر له عكس ما كان يرجوه حيث عاد الثوار الى ما كانوا عليه من
التعديت وسفك الدماء ولما تعسر عليه تنفيذ الاوامر المعطاة له قال بلزوم بقاء الحكومة المصرية
في السودان بقاء حقيقياً بحيث تكون صاحبة السيادة عليه وان تعين هي فيه الحماكم العمومي
وحكام المديرات وأن تكون مصر للسودان بمنزلة محكمة عليا وقال اني أرغب برغبة شديدة في
اخلاء الجيوش والموظفين عن السودان لا تركه مرة واحدة وأن يغيرا الفرمان الذي أنا حامل له
بأنه يبق لمصر المراقبة الادبية والسيادة على السودان وانني مع ابداء هذا الطلب أرى من
الواجب علي بادي بدء أن أقول لكم ان مراقبة الحكومة المصرية المراقبة الادبية على
السودان ستكون بمنزلة من تعود عليه المسؤولية وأن لا يؤثر أحد على التعينات التي تعينها
الوزارة المصرية أقل تأثيراً إذ ان مركزها أعلى من ذلك وانني على يقين من أن تنفيذ السياسة
التي عرضتها آنفاً ليس من ورائها أقل خطر على حكومة جلالة الملكة ولا على الحكومة
المصرية وانها توطد بعض التوطيد ثقتنا في مستقبل الاقطار السودانية ولما وصل هذا التقرير
واطاعت عليه دولة الانجليز لم تقبل منه ذلك لمنافاة لخطة التي في المسئلة السودانية ثم ان غوردون
أراد الاستعانة بمن له راية تامة باحوال السودان فطلب أن يرسل اليه الزبير باشا وتكر رمنه الطلب
بالحاح فعارضته جرائد انجلترا وحكومتها في ذلك ولم تسمح أيضاً السموان الحديوي بقبول هذا الطلب
وبعد ذلك كتب غوردون الى حكومته بوجوب كسر شوكة المهدي قبل اخلاء السودان وقال لو
امتلك المهدي الخرطوم تجاوزها الى حدود مصر وأقلق راحة الحكومة الخديوية بمدة طويلة
فيجب قهره لتؤمن غوائله ثم طلب من حكومته أيضاً ان عمده بمائة ألف ليرة خلاف ما أخذه معه
من حكومة مصر وان تبعث بمائتي جندي من الهند الى وادي حلفا وضابطا انكليزي الى دنقلا
يتظاهرا بأنه قادم للتفتيش على المحلات المناسبة لحلول الجيوش القادمة وغير ذلك من الافكار
والاقوال ولما تصابى غوردون باشا من عدم اجابة مطالبه اقترح تسليم السودان الى الدولة العلية
صاحبة البلاد وكانت انكلترة وقتئذ تحتجز الباب العالي ليتنازل لها عن السودان الشرقي فرفض
الباب العالي طلبها فضاياتا و بقيت مسئلة السودان ترد اذا رقبنا كما

وفي تلك الاثناء أرسل غوردون باشا الكولونيل سيمور برسالة ودية الى القبائل الساكنة
على سواحل النيل الابيض وأصحبه بمائة جندي وعشرة من السودانيين على باخرتين ولما وصلوا
الى بلدة الشيخ طوخ ابراهيم البعيدة عن الخرطوم بنحو ستين ميلاً وجدوا فيها ٢٥٠٠ مقاتل من
قبيلة البقارة وتعدوهم بالقتل وكان الشيخ طوخ ابراهيم المذكور بالابيض وأرسله المهدي لينع

تقدم الكولونيل سيتورت ولما يس الكولونيل من نوال شي عاد إلى الخرطوم ثم أرسله غردون ثمانية إلى البلاد المجاورة للخرطوم فلم ينجح في هذه الأمور به أيضاً وكان القصد من هاتين المأموريتين استمالة القبائل النازلة بتلك البلاد إلى مصر وترك دعوة المهدي وبعد ذلك بأيام قليلة شرع العصاة في محاصرة الخرطوم قال سلاتين باشا في كتابه ما ملخصه ولما بلغ غوردون باشا الخرطوم نشر منشورا جعل فيه المهدي سلطانا على كردفان وبعث إليه بالهدايا وطلب منه اطلاق الاسرى وأباح التجارة ولو كان مع غوردون قوة تسمى ظهره لرضى المهدي بذلك ولكن لما بلغه انه جاء الخرطوم وحده استغرب أمره واستخف به فرد له الجواب يدعوه فيه إلى التسليم وكان عبد الله التعايشي يطلب من المهدي أن ينشر على العموم نشرة يعلمهم بها بأنه خليفة ليمينغ بذلك كيده الحاسدين له من الامراء فنشر عليهم منشورا بهذا المعنى (١) فصارع عبد الله التعايشي من وقتئذ لا حمر الناهي في كل الامور وكان أهالي الخرطوم يظنون ان غوردون باشا انما جاءهم ليخرج منها بالمامية فإبراهم أمره وفشاداء الخيانة في ضباط جيشه فحاكم بعضهم في مجلس عسكري وقتلهم ومن العقبان التي صادفها غوردون باشا أثناء وجوده بالخرطوم مارواه صاحب كتاب السودان المصري والانجليز قال ان غوردون قابل في الخرطوم عدة صعوبات منها انه وجد مقاومة من الجمعية الوطنية التي كانت تشكلت بالخرطوم تحت رياسة من يدعى أحمد أفندي العوام وكان منفيها بالاشترا كفي الثورة العربية فعزم غوردون باشا على تفريق جوعها فاستدعى إليه أحمد أفندي العوام ومنحه الرتبة الثانية وراتبا عظيما وعينه سكرتيرا له ولكن العوام رفض قبول المنصب والوظيفة وقال لغوردون انه لا يقصد غير سعادة مواطنيه فأخذ غوردون يحاول إقناعه فلم يفلح ورجع العوام وكتب في النشرة الاسبوعية التي كان يصدرها كل ما جرى له مع غوردون باشا وقال ان غوردون قال له ان المصريين شعب لا يعرف معنى الاستقلال ولا يسرى في عروقه دم وطني يدفعه إليه وكان من رأى رجال هذه الجمعية فصل السودان عن مصر فصلا مؤتمرا يمثا تخلص من مصر والزام الدولة العثمانية بتسكين ثورة السودان وبقاء العساكر الشاهانية فيه وفي سواحل البحر الاحمر لا تفارقه الا بعد حل المسئلة المصرية ثم ماتت الجمعية الى الانجاء لدولة اجنبية وبالفعل خابرت الموسيوهر بين فصول فرانسافى الخرطوم ولكنه مات مع رجائى البعثة التي بعثها غوردون باشا مع الكولونيل استيوارت والمسترفرنك بيويرقنصل انكثرت بالخرطوم على سفينة بخارية لمقابلة جملة ثورردولسى (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) وكان غوردون باشا تغلب على الجمعية وقتل رئيسها المذكور

وورد في صحيفة ٢٨٥ من الكتاب المذكور ما ملخصه انه لما وصل كتاب غوردون باشا وهديته الى المهدي جمع حوله الامراء وتلاه عليهم وكتب رد اظاهره التعظيم وباطنه التوبيخ والوعيد

(١) بسم الله الرحمن الرحيم اعلموا يا نصارى ان نائب الصديق (أبي بكر) أمير جنودنا المشارة في رؤا النبي هو السيد عبد الله بن السيد محمد الله هوني وأمانه ظ كرموه كتمكر موني واخضعوا له كاتخصعون لي ونقوابه كاتشعون في واعتمدوا على كل ما يقول ولا تخالفوا في عمل فان كل ما يعمل انما يعمل به امر النبي أو امرى واذا أراد الله ونبيه شيئا فليس علينا الا الطاعة ومن ارتاب في ذلك فهو كافر يهودى ان قبل الخليفة عبد الله هو أمير المؤمنين وهو خليفتي ونائبى فنقوابه وأطيعوا أو امره ولا تملوا في شي مما يقول اه من كتاب النار والسيوف في السودان

(١) ثم خطب المهدي في قومه وتلا عليهم الكتابين وقال هل من رجلين يبيعان حياتهما من الله تعالى ويذهبان بكتابي هذا الى غوردون فبرز له ألوف فأمر بالاقتراع فأصابت رجلين من خدام المهدي أحدهما يدعى محمد أحمد الصافي والآخري يدعى أحمد فرح فسارا حتى بلغا مدينة الخرطوم وأوصلا الجواب الى غوردون وكان غوردون ورد عليه كتاب آخر من عوض الكريم باشا ابن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية لانه فيه على قدمه الى الخرطوم بغير جنود وأخبره ان دعوة المهدي انتشرت في كل أنحاء السودان ولم يلتفت الناس لما جاء به غوردون من الدعوة السياسية وانه أي عوض الكريم باشا لم يدخل في تلك الدعوة وقد ذهب بقبيلته فامتنعوا في صحراء بره كما تمتع ابن أبي جن بقبيلة الحمد في وادي العطش لعدم قبوله دعوة المهدي وكان المهدي وقتئذ قد قسم جنوده الى ثلاثة أقسام وجعل لكل قسم منها تحت امره خليفة من خلقائه الثلاثة وجعل الخليفة عبد الله رئيسا عليهم وأعطاه راية زرقاء وأعطى الخليفة عليا واولاد حلور راية خضراء والخليفة محمد شريف راية حمراء وهي راية الاشراف ولما انقضى شهر رمضان ادعى المهدي أن النبي ظهر له وأمره بفتح الخرطوم فأمر امرأه كلهم بالجملة عليها ولما قرب المهدي بجيوشه من الخرطوم جاءه محمد شريف استاذ الذي طرده من حلقة وهو نائب فرح به وأكرم مشواه ٥٥ وكتب المهدي الى غوردون كتابا يقول له فيه سلم تسلم أنت ورجالك واني أنا المهدي الحقيقي وان آيت التسليم حاربتك واعلم أن رجالي أكثر من رجالك فان حاربتك دارت الدائرة عليك وكررا النصيحة بالتسليم اما غوردون باشا فلم يجاب به بشيء هذا ولما رأته الحكومة الانجليزية أن غوردون أصبح محصورا لا يمكنه فعل شيء بعثت جيشا لانهاذ حاميات شرق السودان تحت قيادة الجنرال جيرا لجرهم

علا الجنرال جيرا هم وواقعه الطيب وظاى - لما وصل الجنرال جيرا هم الى سوا كن انضم اليه بيكر باشا وأركان حربيه ومن معه من الجنود المصرية وبعسان تداولا طويلا صهم جيرا هم على اتباع خطة بيكر للوصول الى طوكرمع أن الخبر كان وصل الى سوا كن بسقوطها في يد المهدي وبين وسارت الجنود الى فرضة البرذكتيات وكانت تتألف من ٢٨٥٠ من البيادة و ٧٥٠ من الخيالة و ١٠٠

(١) انك تقول ان لا قصد لك غير حقن الدماء وفتح طريق الحج لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونسبت ماسفكته من الدماء بلا مس وهل ظننت اننا نجعل مالك من اليا دى السودان في اثاره القلاقل في أنحاء دارفور والنيل الاعلى لغرض واحد وهو ايقاع السودان في مهاوى الفوضى بغية ضمها الى الاملاك الانكليزية والفرق ظاهر بين مساعيتكم السابقة وبين امرنا الحاضر فانا لا نبي ملكا ولا جاهلا ولا شيئا من حطام الدنيا وناية ما نسعى اليه هو أن تجرد لهذ الامة ما لندرس من معالم ديننا التي لا ريب في أن تفويضها كان بسعيك واعمالك التي لا يشكر فادها أحد وأما فتح طريق الحج فانه خديعة منك وتظاهر بحماية الدين الاسلامي مع انك لا تؤمن بحرف مما جاء في هذا الدين وقد سمع هذا القول منك غير مرة أيام توأمتك على الحكم دار يتنمذ اعوام وعليه فاذا كنت ممن يشفق على المسلمين فانطق بالشهادتين كما فعل عبد القادر سلاتين باشا مدير دارفور وديتري مجداده وغيرهما من المسيحيين الذين صار لهم مالنا وعليهم مالهنا فاذا فعلت ذلك صدقتنا بأنك مشفق على المسلمين غير على مصالحهم ثم تقول ان جلاله الملكة سمعت الى سلخ بلادنا من حكومة التركة وعينتك حاكما عليها مستقلا وانك ترف الينا هذ البشرى ولم تعلم أنها نسومنا بذلك خسفا لا يحتمله أى النفس وبعد ذلك استنظر الى ذلك اعتراف جلاله الملكة بسيادة المهدي على السودان الغربي فاسكر عليها ذلك ورفض اعترافها بهذه السيادة وانكر أيضا سيادتها على سبلى الهند وانقرتة ونصغ لغوردون عزايمة الخرطوم وأبدر برحف جيوشه عليها اه

من الطوبجية معهم ١٤ مدفعا ومن ٨٠ من المهندسين الملوكية الانجليزية وكان يرافق هذا الجيش ١٥٠ جنديا من بيادة البحرية الانجليزية أرسلهم الاميرال هيوت قائد السفن الانجليزية الراسية امام سواكن وقبل أن يقابل هذا الجيش العصاة تقرر في مجلس حربي ارسال مكتوب للعربان بالنصيحة ليرجعوا عن غيرهم وأرسل هذا المكتوب مع الميرالاي هر في بك فوضعه على عصا في المكان الذي حدثت فيه واقعة الطيب الالية المذكور ولما لم يأت الكتاب المذكور بنتيجة تقدم الجنرال مع جيشه وكان مشكلا اياه على شكل مربع وفي وسطه الجبله مواشيهما وكافة مهمات وذخائر الجيش وكان العدو قد تحصن في جهات طماي بالقرب من مكان يدعى الطيب ومعه مدافع كروب التي كان غنمها من المصريين ولما اقترب مربع الانجليز منهم خرج عليه جماعة من الخنادق من خلف المتاريس فانقضوا عليه كالنسر فتمجج الانكيز من شجاعتهم وعدم اكرانهم بالموت فأبادوهم بالرصاص وكانت قتلاهم على مسافة عشر خطوات فقط من المربع وما زال جيش الانكيز يتقدم حتى امتلك حصنهم بعدما اغياهم قتال العرب وجرح وقتل من الانكيز عدد كبير ولما دخلوا الحصن رأوا قرية الطيب وآبارها فتقدموا اليها واقتنى فرسان الانكيز اثر الفارين من العرب وكان مشاتهم يكمنون لهم في الوعور والادغال ويذعرون خيولهم ويطعنونهم برماحهم وبجرابهم ولا تقدر فرسان الانكيز على الوصول اليهم لقصر سبب وفهم ولذلك استجلب الانكيز نحو ستمائة حربة من حراب الاعداء وطلحو افرسانهم بها في تلك الواقعة وقتل من الانكيز في الطيب ثلاثون وجرح مائة وخمسون وقدرت خسائر العرب بالعين وثلاثمائة قتيل ثم قامت جنود الانكيز من الطيب في صباح اليوم الثاني فاصده طوكر فوصلت اليها ولم تقابل في طريقها احد من الاعداء ووجدت المدينة خالية منهم ليس فيها سوى ٧٠ رجلا سلوا المدينة بلا قتال ثم بلغ الجنرال جراهم (٢ مارث) ان الدراويش قد تجمعوا في قرية يقال لها الدبة واقعة على مسافة خمسة أميال من طوكر فلما قصدها بجيشه لم يجد فيها احدا وغنم منها مدفعا و ١٥٠٠ بندقية وذخائر كثيرة ومهمات حربية أنلقها بأجمعها ثم عاد الى سواكن واتفق مع الاميرال هيوت على مخابرة القبائل بالصلح فأرسلوا الى عثمان دقنه والى سائر المشايخ فأجابهم عثمان دقنه بأنه لا يسلم أصلا وانه لا يبد من القتال فقصده الجنرال بجيشه في وادي طماي (١١ مارس) ولما كان في الطريق أرسل فرقة من الفرسان لاستطلاع اخبار العدو ثم تقدم بالجيش جاغلا اياه على شكل مربع اتقاء مفاجأة العدو وجلالته الشديدة الدالة على شجاعته ثم ظهر العرب على بعد فردهم بكرات المدافع وبعدان بات في الطريق وهو على حذر من أن يهجم عليه العرب ليلاتقدم في الصباح ثم بعث الخيالة للاستكشاف ولما شاهدت العرب أمرت بالعودة الى ميسرة الجيش ثم ظهر المهديون في عدد عظيم بعد ان ظن الجنرال جراهم أنهم ولوا الادبار وعند ذلك أمر المربع بالوقوف واطلاق القنابل اما العرب فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولم يتزحزحوا من أما كنهم ولما رأى أمر أوهم أن رجالهم خافوا من قنابل الانكيز جلاوا في مقدمتهم وجرحوا سيوفهم وصاحوا بصيحة واحدة واختاروا الموت في القتال عن العيش في الهزيمة فاشتدت قلوب رجالهم وجلاوا معهم وأطلقوا رصاصهم على المربع وتقدم الانكيز بلافاة العرب حتى اقتربوا منهم فهجم ضلع المقدمة عليهم بحراب البنادق وأسرع في المسير وأما بقية أضلاع المربع فلم تجسر ان تتبعه لاشتغالها بدفع جلات العرب التي أحاطت بها فاضطرت الجنود الانجليزية ان تمشى الهوبا فانفصل ضلع المقدمة عن المربع فتمكن

العدو من خرقه بقلوب لآتهاب الموت ثم وقف ضلع المقدمة وحاول القواد أن يصابوه بالربيع فلم يمكن لأن العرب كانت التحمت بالانكليز حتى اضطروهم الى التقهقروا وكوامدافعهم وكثيرا من ذخائرهم التي غنمها العرب وقتك العرب بعسكر الانكليز فمكاذر بعا وقد اندهش قواد الانكليز من مهارة العرب وسرعتمهم في الطعن اما الربع الثاني فانه أخذ في اطلاق رصاصه على العرب وورغم ان هجماتهم عليه تمكن من التقرب من الربع الاول وحماه بذلك تمكن الربع الاول من التشكيل ثانية وهاجم المربعان العرب ففتك قافيمهم وصداهم عن التقدم وبذلك استرجع الانكليز المدافع التي كان غنمها العرب منهم ثم تقدم الجنرال جراهم الى آبار طماي حيث كان التظا قد اشتد بالعساكر والخيل ثم عاد الى حصنه وكان العرب فروا قبل ذلك الى رؤس الآكام وبلغت خسائر الانكليز في هذه الواقعة خمسة ضباط و ١٥٠ نفرا وجرح ثمانية ضباط و ١٢٠ نفرا ما قتل العرب فكانت كثيرة جدا وبعد ذلك فقل الجيش راجعا الى سواكن

ولما كان عثمان دقنه هو بطل هذه الوقائع والمجور الذي تدور عليه أعمال العرب الحربية بتلك الاطراف أعلن الاميرال هوبت بأن من يأتيه بعثمان دقنه حيا كان أو ميتا فله خمسة آلاف ريال ولما كان هذا الامر يحيط من شأن العسكرية الانكليزية صدر الامر بالغاثة فألقى وفي ٢٥ مارس تقدم الجنرال جراهم بجيشه حتى وصل بلدة طمانيب ولم يقابله العدو فأحرقها وعاد الى سواكن ثم بارح سواكن ولم يبق بها الا بضعة مئات للحماية من الدراويش وفي تلك الاثناء اشتدت الحالة بحامية كسلاو وعدموا القوات وذلك لحاصرة قبائل الهند ودولة لها وكان قائد عساكرها المدعو عفت بك يكرر الطلب بالنجدة ولما كان يتعذر على الحكومة لإنجاده لكثرة القبائل العاصية وشدة بأسها تقرر ارسال مندوبين أحدهما من قبل الدولة الانكليزية والثاني من قبل الحكومة المصرية الى نجاشي الحبشة حنا كاسه ليعقد معه معاهدة بنجوبها حاميات جهات عمديب وسنميت وغيرها من الحصار ويعودوا الى مصر مارين ببلاد الحبشة بمساعدة جنودها فتعين الاميرال هوبت من قبل انكثره ومازون بك محافظ مصوع بالنيابة عن الحضرة الخديوية وقبل وصولها ما شاعت الاخبار بسقوط كسلاو ثم عقد مع النجاشي معاهدة بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٨٤ مقتضاها تخليص الحاميات المصرية من الحصار بمساعدة جنود النجاشي بشرط ان يستولى الاحباش على ما يتلك المدن من الآلات وذخائر الحرب وان يسلم خديومصر وملك الحبشة المجرمين الذين يفرون الى بلادها وان يساعد خديومصر على تعيين قسم الحبشة من مصر كما هو حاصل ويستولى ملك الحبشة على بلاد بوغوس التابعة لمصر وغير ذلك وأنه لو حدث فيما بعد خلاف بين خديومصر وملك الحبشة فتكون ملكة الانكليز حكما فيه بينهما وقد أوردنا صورة المعاهدة المذكورة بذييل الصحيفة كعادتنا قلنا عن كتاب قاموس القضاء والادارة (١) هذا

(١) انعقدت المعاهدة بين جلالة ملكة المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى واولاد وسلطانة الهند وجلالة يوحنا نجاشي الحبشة والبلاد التابعة له الذي أطلقه مولاه عز وجل ملكا على صهيون والجناب العالي محمد توفيق خديومصر وذلك انه لازالة الخلاف الحاصل بين يوحنا نجاشي نجاشية الحبشة ومحمد توفيق خديومصر ولاقرار السلم بينهما قد اتفق الثلاثة على عقد معاهدة يجب عليهم وعلى ورثتهم وأخلافهم مراعاة أحكامها وقدمت هذه المعاهدة عن يد الاميرال السير ويليام هيويت رئيس عموم المراكب الانكليزية في الهند الشرقي وقد استنابته جلالة ملكة

ولم تأت المعاهدة المذكورة بكل الفائدة المطلوبة ثم شاع بعد قليل خبر سقوط الحاميات المصرية المحاصرة وأصبحت أحوال شرقي السودان في هرج ومرج

واعلم انه بعد عقد المعاهدة المذكورة مع ملك الحبشة أرسل الملك حنا كاسه جيشا بقيادة الرأس دهنشوم فأنتدحامية القلابات في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ وأرسل جيشا آخر بعد ذلك الى الجيزة فأنتدحاميتها أيضا (يوليو ١٨٨٥) وأرسل عساكرهما الى مصوع عن طريق بلاده وأما حاميات أمديب وسنهييت فانهم مارا تان لاطاقة لهما على نجدة كسله وفاقتمان الحصار فانسحبتا الى مصوع فدخلتاها الاولى في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ والثانية في ١٩ منه وأمام مصوع فقد احتلها الايطاليان في فبراير سنة ١٨٨٥ وأما هرروز يلغ وبربره فقد أرسلت الحكومة مصر ورضوان باشا البحري فأخلاه في فبراير سنة ١٨٨٥ وسلم هرر الى أمير من سلالة الامراء الذين حكموها قبل دخولها في حوزة الحكومة المصرية ثم ما سارت الجنود المصرية عنها حتى زحف عليها الملك منليك ملك الحبشة الحلى من شوة فأخذها بالقتال ولا تزال بيد الحبشة أما يلغ وبربره فقد سلمها رضوان باشا لالانسكايز ولزالناييدهم الى اليوم تابعتين الى محافظ عدن وأما كسله فانها بقيت

الملكيين المتحدتين بريطانيا العظمى ويرانده وسلطنة الهندوعن بدجلالة نجاشي نجاشية الحبشة الذي لم يستب أحدًا وسعادة مازون بك محافظ مصوع الذي استنابه جناب خديو مصر العظم وقد عقدوا هذه المعاهدة بعد الاتفاق على أحكامها (م ١) ابتداء من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة يجوز لكافة البضائع ومنها السلاح والذخائر ان تنقل من وإلى الحبش على طريق مصوع (م ٢) ابتداء من غرة سبتمبر سنة ١٨٨٤ الموافق اليوم الثامن من ماسكرام سنة ١٨٧٧ ترد الى جلالة نجاشي نجاشية الحبشة البلاد المعروفة ببلاد البوغوس وعند اخلاء جيش الخديو العظم محاي كسالو وعديب وسنهييت ترد كذلك الى جلالة نجاشي نجاشية الحبشة وتصير ملكه الابنية الموجودة في بلاد البوغوس التي هي الآن ملك الجناب الخديو العظم وترد لجلالته مع هذه الابنية كافة الذخائر ومهمات الحرب التي تكون حينئذ في تلك النواحي أيضا ملكه (م ٣) يتعهد جلالة نجاشي نجاشية الحبشة بأن يسهل لجيش الجناب الخديو العظم الانسحاب من كسالو وعديب وسنهييت واجتياز اتيويا الى مصوع (م ٤) يتعهد الجناب الخديو العظم بفتح كافة التسهيلات التي يحتاج اليها جلالة نجاشي نجاشية الحبشة في أمر تعيين قسس حبشيين في اتيويا (م ٥) يتعهد جلالة نجاشي نجاشية الحبشة والجناب الخديو العظم بأن يسلم لبعضهما البعض المجرم أو المجرمة من الذين يفرون من بلاد أحدهما الى بلاد الآخر لتخلص من العقاب (م ٦) يتعهد جلالة نجاشي نجاشية الحبشة بتحكيم جلالة ملكه انكلتر في تسوية كل خلاف عساه أن يحصل بينه وبين الجناب الخديو العظم فيما بعد التوقيع على هذه المعاهدة سيصدق على هذه المعاهدة جلالة ملكه بريطانيا العظمى ويرانده وسلطنة الهند وجناب خديو مصر العظم ثم ترسل الى ادوا في اقرب ما يمكن من الوقت - بعد ان علمت هذه المعاهدة تادوا في الثالث من يونيو سنة ١٨٨٤ الموافق ٢٧ من جوف سنة ١٨٧٦ قد وقع عليها وختمها باختتامهم السير ويليام هيوت بالنيابة عن جلالة ملكه بريطانيا العظمى ويرانده وسلطنة الهند وجلالة نجاشي نجاشية الحبشة بالنيابة عن نفسه وسعادة مازون بك بالنيابة عن جناب خديو مصر العظم ختم جلالة نجاشي

الامضا هيوت الامضا مازون

واقفنا وصدقنا على المعاهدة الميمنة آفنا بعد الاطلاع عليها والنظر فيها وتكون أحكامها مرمية الاجراء بأكملها ولا اعتماد قد تحرر هذا موثقا بتوقيعنا عليه

تحرر في سراي طايدن ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٤ الامضا محمد توفيق

بأمر الحضرة الخديوية رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية

الامضا فوبار

تحت الحصار وعجز الملك يوحنا عن نجهدها وكانت التبعيدات تأتي المحاصرين من أم درمان ومن عثمان دقنه ومع ذلك فقد كان في وسعها اطالة مدة الحصار لقوة استحكاماتها والوان الزائد فسد منها وأكل الناس اللحوم المحرمة ويئسوا من التبعة فاضطروا الى التسليم بعد ان صبروا صبرا الكرام وذلك في ٢٩ يوليوسنة ١٨٨٥ وأمام ديارات خط الاستواء فكانت المواصلة بينهما وبين جميع أملاك الحكومة الخديوية منقطعة فاضطر نوبار باشا الى اصدار أمر الى مديرها أمين باشا بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ أطلق له فيه حرية العمل فيما يتخذ من الوسائل وأشار اليه بأخذ ما يلزمه من النقود من السرجون كيرك (Sir John Kirk) فنصل جنرالنا كثره في زنجبار ولاهمية هذا الامر في المسائل السودانية أدرجناه في أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١)

تشديد الحصار على غوردون باشا في الخرطوم - لقد تعجب الناس من أعمال محمد أحمد المهدي وتصرفاته في أمر محاصرة الخرطوم بعد ان علم الغرض من مأمرية غوردون باشا وهو اخلاء عموم السودان من الجنود والمأمورين المصريين واعادة حكم الامراء وهو الامر الذي يسعى اليه المهدي ولكن يظهر انه كان يريد الزام غوردون والمأمورين المصريين والجنود باتباع دعوته ومبايعته بالمهدية ولو بسفك الدماء وأنه يخشى ان يأخذ المصريون لذي عودتهم المهمات والذخائر والامتعة التي كانت الدراويش تحارب من أجلها كما قضت به شرائع المهدي الذي أثرت دعوته في عقول أغلبهم وأرسل غوردون وهو محاصر رسالة الى السرصموثيل بيكر (٨ ابريل ١٨٨٤) يقول له فيها انه عنده من المؤن والذخائر ما يكفيه خمسة أشهر وان المحاصرين له يبلغ عددهم ٢٥٠٠ ولما بلغ غوردون ان الحكومة الانكليزية لا تنوي ارسال جنودها لانعاشه بعث الى السرصموثيل بيكر يقول ألا يقربنا أغنياء الانكليز والامر بكمين ٢٠٠,٠٠٠ ليره فنستأجر بها ألفين أو ثلاثة آلاف من جنود الدولة العلية ونرسلهم الى بربر ثم بعث برسالة برفية الى السرافلن بارنج يقول فيها علمت منك أن قصدك أن لا عدنا بتبعة الى هنا أو الى بربر وأمسكت عنى الزبير فلذلك أراني حرا أن أفعل بحسب مقتضيات الاحوال فساخذ الثورة اذا استطعت والافاني أذهب الى خط الاستواء ويبقى العار على الذين أهملوا حامية سنار وكسلاو بربر ودنقله عالم الحق العلم انه لا بد لكم من محاربة المهدي وقهره في ظرف وعرة وأحوال عسرة اذا كان قصدكم حفظ السلام والطمأنينة في القطر المصري وقال مسيو هتس رزرتي كتابه وأعقب غوردون ذلك بعبارات التقرير على السير ملت وكولفن والسير شارلس ديلاك الذين يتهمهم غوردون بانهم سبب هذه

(١) مصر في ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ (٢٧ مايو سنة ١٨٨٥) الى المساعدة أمين باشا كما جردون وكروان ثورة السودان اضطرت حكومة الجناح العالي الخديوي الى ترك هذه الجهات ونبأ على ذلك فليس في استطاعتنا أن نبعث اليكم بأقل مدد ومن جهة أخرى فخص لا تدرى ما هي الحالة التي صرتم اليها أنتم ومن معكم ولهذا نتعذر عليه نارسم الخطة التي يجب أن تتبعوها وهذه الرسالة التي تستلصكم عن طريق زنجبار بواسطة السرجون كيرك فنصل جلالة الملكة فكنتو رياي زنجبار بقصد بان تترك لكم حرية العمل بمتضى ما ترونه موافقا لحالتكم وانما نجبر لكم أن تحصلوا على النقود اللازمة لكم بواطة حوالا على السرجون كيرك وأكرر لكم القول بأنكم مطلقوا بحرية في عملكم حتى تحصلوا أنتم رجالكم على الوجه الاحسن من الحالة التي أنتم فيها وأحسن طريق تتبعونها اذا كنتم مصممين على مبارحة جوندو كرو وهي الطريق الموصلة الى زنجبار فاذا اعتمدتم على

رئيس مجلس النظار

نوبار باشا

الرجل أو البقاء فخير وما

الاحوال المحزنة ثم كتب اليه السير بارنج ينصحه بمبارحة الخرطوم والعودة الى مصر فغضب
 غوردون من هذه الفكرة وكتب اليه يقول انه لا يمكنكم استدعائي من هنا وانه يستحيل على
 اطاعتكم الا اذا بارح جميع المستخدمين المصريين هذا المكان فاني عينت منهم في عدة وظائف
 وصاروا بذلك معلمين لدى المهدي ومحمل انتقامه فبأى وجه أقابل العالم لو تركتم وتعلقت باذيال
 الفرار اه وهي همة وشفقة عظيمة من غوردون أنابه الله عليها ولما علم الضباط والجنود بالخرطوم
 نية الحكومتين الانجليزية والمصرية وشاهدوا قوة المهدي ونفوذه مال بعضهم سرا الى معاضدته
 ليأمن على نفسه ومن ذلك انه لما أراد غوردون خلاص حامية بلدة حلفاية قاومه عرب الشايقية
 بخيانة اثنين من الباشاوات السودانيين كان أرسلهما تحت قيادة الكولونيل ستيوارت فهربت
 عساكرهما وجرح ستيوارت (١٦ مارث) وهرب سكان حلفاية فرارا من القتل وثار الباشا بوزق
 وغردوا ولما ظهرت ادانة الباشيين المذكورين من ضربهم ما غردون بالخاص ثم تمكن غوردون من
 تخليص حامية حلفاية ثم ثارت البسلاد التي بين بربر والخرطوم واشتد الامر على غوردون الذي لما
 رأى ان الزاد قارب الفراغ من الخرطوم أباح للذين يريدون الخروج منها أن يخرجوا وقال سلاتين
 باشا في كتابه ولو فعل ذلك قبل ان يقل الزاد لا يمكنه أن يحفظ المدينة الى حين وصول التجدة ولكن
 شففته على المستضعفين وأوردته وجنوده المهالك وفي تلك الاثناء حاصر العصاة بربر فأرسل مديرها
 حسين باشا خليفة رسالة برقية (٢٠ ابريل سنة ١٨٨٤) الى مصر يقول فيها ان الاهالي في
 هرج ومرج والعصاة محدقة بنامن كل جانب فاهتمت الحكومة بامر بربر واتفق الماسجور كنشتر باشا
 مع قبائل العبادية على انقاذها وأرسل المستر كوزي (Cuzzi) وكيل قنصلناوا انكثرت فحقها يقول
 انهم صاروا على أسواحل وأعقب ذلك برسالة برقية يقول فيها انه خرج من بربر قاصدا كرسكو وان
 حلفاء المهدي دخلوا بربر من جنوبها وشرقيها وأما حسين باشا خليفة فبقى محصورا في السراي وكان
 غوردون يتهم كوزي المذكور باسقاط مدينة بربر بالخيانة وبعد ما استجمل أمر العصاة في السودان
 وانحلت شوكة الحكومة المصرية في أطرافها انتهت الحكومة الانكليزية الى ضرورة انقاذ غوردون
 لثلاثتهم بالجبن فأرسل ارنل غرنفيل ناظر خارجيتها الى المستر اجرتون (Edwin H. Egerton)
 في القاهرة بتاريخ ٢٣ ابريل بأمره بإرسال رسالة برقية بالارقام الى غوردون يسأله فيها عن القوة
 اللازمة لخلاصه من الخرطوم وعن مقدارها وطريقها الى الخرطوم ووزمان ارسالها ففعل وفي أوائل
 مايو ابتداء الانكليزية في التجهيزات الحربية وبعد أيام صدرت الاوامر الى جيش الاحتلال بعشري
 ١٢,٠٠٠ رجل للحملة وكانت بعض أوط الجيش المصري الجديد سافرت الى أسوان ولحقها باقي
 الاورط تحت قيادة الجنرال غرنفل وفي ١٩ ابريل قتل المهديون حامية شندي بينما كانت تحاول
 الوصول الى بربر وبعث مصطفى بك ياور (الآن باشا) مديردنقله رسالة برقية بطلب من الحكومة
 ان تمدد بالرجال فأجابته بعدم امكان ارسال المدد وانه اذا لم يستطع مقاومة العصاة رجاله فليهبجر
 المدينة فأبى أن يتركهم كره وبعث ثانية بطلب من الحكومة مددا وبقول اذا أنجستدعوني بسبعة
 آلاف عسكري فاني أعود ففتح السودان وكان غوردون بعثه (شعبان سنة ١٣٠١) بكتاب
 يستعلم فيه منه عن مكان عساكر الامداد وهذه صورته الى (مديردنقله) - الخرطوم وسنارفي
 غاية الحفظ وحامله محمد أحمد يعطيكم الاخبار فبوصوله عندكم أعطوه كامل حوادث

جهة وجود عساكر الامداد ومقدارهم وانحرطوم به غناية آلاف عسكري والنيل أخذ كثيرا في الزيادة وسلموا رافعه مائة ريال مجيدي من الميرى في ٢٨ ش سنة ١٣٠١ غردون ولما سقطت بربرقوى أمر المهدي وبين وترددت رسالهم بين حلقا وقد نقله وكروسكو ويحضون القبائل على العصيان ثم أخذت القوة العسكرية الانجليزية في الزحف على انحرطوم

حظ الانكبير على انحرطوم تخليص غوردون باشا - لمارات الحكومة الانكليزية ضرورة تسير جملة الى انحرطوم لانقاذ غوردون جهزت الجيوش وأعدت المعدات وشيدت كثيرا من الصنادل والزوارق البخارية لتسير في النيل وبذلت الحكومة الانكليزية والمصرية ما في وسعهما السرعة إرسال الجملة فأرسلت الحكومة الحديدية من بواخرها النيلية ستا الى مافوق الشلال الاول وجعلت ١٥ اخرى تسير ما بين أسيوط وأسوان واستجلبت من انجلترا عدة من بخارة كندا وافر بقية لمعرفة بهم بالملاحه في الانهر والبحيرات ولما استعدت التجربة عهدت قيادتها الى لوردولسلي وكان عددها ١٥٠٠٠ مقاتل من كل الاسلحة وانضم اليها الجيش المصري بالحديد وفرق من جيش الاحتلال وكانت الاوامر المعطاة الى لوردولسلي من حكومته هي اولاً اختيار غوردون باشا والكونولونيل ستيورت ومتى تم له ذلك لا يتوغل في أراضي السودان خطوة سواء كان لانتقاذ كسلا أو سنار أو غيرهما لأن رأى الحكومة الانكليزية هو أن تستقل السودان عن مصر وتعود حدود القطر المصري الى وادي حلفا وثانياً أن يؤسس حكومة في انحرطوم خصوصا والسودان عموما تدبر أمورها بعد انصحاب حامية انحرطوم وأعلمته حكومته في ختام التعليمات أن الحكومة المصرية تعين مبلغا كافيا من النقود الى من يتعهد بإدارة أمور السودان وحفظ الراحة فيه لمنع التعدي عن أراضي مصر وتنشيط التجارة بين البلدين ومنع الاتجار بالرقيق منعاً تاماً وبينما القوة المذكورة تسائرة شاع مجيء أسطول غوردون الى شندي ومنها الى بربر للاحراقها ثم تقدم ككتشر باشا وكان في مقدمة الجيش لاستطلاع أحوال السودانين وعلم اطلاق سفن غردون الثلاث على بربر وأرسل خبر بذلك قال فيه أيضاً ان الباخرة التي فيها الكونولونيل ستيورت رفيق غوردون شحطت بين الشلال الرابع والخامس فانقض عليه الاعداء وقتلوه هو ومن كان معه وكان يرافقه أيضاً المستر فرنك فور (Frank Power) قنصل انكلترة في انحرطوم ومكاتب التمس والموسيوهر بن (Herbin) قنصل فرنسا فيها (١٨ سبتمبر ١٨٨٤) وطلب من هؤلاء الثلاثة أن يسيروا الى دنقله ويكتبوا تقريراً عن حالة السودان الحقيقية والسعي في انقاذ غوردون والاهالي المصريين وبعد ضرب بربر عادت السفينتان الباقيتان الى انحرطوم مع خشم الموس باشا ثم لما وصل لوردولسلي الى وادي حلفا عهد الى فرقة المهندسين بعدادسكة حديدية بين حلفا وسرس على مسافة ٣٠ ميلا ولما وصل الى دنقله سلم لديرها مصطفى باشا ياورينشافي سان جورج وسان ميشيل المنعم عليه بهما من ملكة الانكليز مكافأة له على خدماته في حفظ دنقله وجهاتها فصار من يومئذ يلقب بالسير مصطفى ياور ثم وردت رسالة من غوردون الى لوردولسلي تاريخها ٤ نوفمبر يقول فيها انه لا يقدر على حفظ انحرطوم اكثر من أربعين يوماً ويشير عليه بالجحى بهرجاله عن طريق امبو كول فالتمه فأرسل لوردولسلي لذلك في السير خوفاً من سقوط انحرطوم فجدت العساكر في السير برا وبحرا ولما وصل كورثي (١٦ ديسمبر) قسم جيشه قسمين جعل القسم الاول منه تحت قيادة الجنرال أول (G. Earle) وكان يتألف

من ٢٢٠٠ نفر معه ٢٨٠٠ رجل و ٤٠٠ حصان وأمر بالسير في طريق النيل ومعاينة الذين قتلوا الكولونيل استيورت فسار إلى أبو جند لفتح طريق العظمور لسهولة النقل وجعل القسم الثاني تحت قيادة الجنرال سير هيربرت ستewart (Sir Herbert Stewart) وأمره بفتح طريق الخرطوم المارة بالتمتة وكان هذا القسم يتألف من ٢١٠٠ نفر معه ٢٠٠٠ رجل فسار الجنرال ستewart (٣٠ ديسمبر) في فرقة من الجنود لاستكشاف أحوال الآبار الواقعة في عظمور بيوضه ثم زحف على التمه فوصل آبار جكدول (١٢ يناير) وبارحها بعد يومين نارا كفيها حامية قليلة وبعد يومين وصل إلى شلال أبي طليح وبعث طليعة للاستكشاف فعادت وأخبرت بوجود خيام واعلام للدراويش معسكرة على مسافة ميلين غربى تلك الآبار فأمر الجنرال بالمبيت هناك وفي اليوم الثاني جعل جيشه على شكل مربع وأمر رجاله أن يتربحوا ويتركوا مطيهم في الزبيسة مع باقى دواب الحملة وترك الحراستها ١٥٠ جنديا وتقدم بالربع لامتلاك الآبار لان الماء لا يلبث أن يتقدم من معسكرهم وبعدهم ساعة هجم عليه الدراويش فصدتهم وبعدهم قهرهم استولى على الآبار المذكورة وثاني يوم استقدم من كان بالزبيسة وفي ١٧ يناير بارح آبار أبي طليح نارا كسرية صغيرة لحمايتها وقصد التمتة حيث ينزل على النيل إلى الخرطوم وكانت العساكر قد أعيانها تعب النهار وسهر الليل وهلك من الجمال عدد وافر والحاصل ان الجيش أصبح في حالة سيئة وفي صباح يوم ١٨ منه وجد أن النيل يبعد عنهم ستة أميال والتمتة إلى جنوبهم ولم يكده الجيش يتف حتى سمع أصوات طبول السودانين آتية نحوهم من التمتة كانوا على ما كانوا بقدمه فاخذ الجيش يتقدم حتى صار على أربعة أميال من النيل ثم أمر الجنرال ببناء زريبة وحال العدو بينه وبين النيل وأخذ يطلق النار عليه من خلف الأشجار والصخور وقبل أن تتم الزبيسة اشتدت نيران العدو فشكك الجنرال بالربع ثم وقف خلف المدافع وبيده النظارة يراقب حرركات العدو فأصابته رصاصة يرح منها جرحا بليغا مات به وكان بجانبه المستر سن جر هيربرت (St: Leger Herbert) فأصيب هو أيضا برصاصة مات بها ففي الحال تولى القيادة الكولونيل سير شارلس ولسن (Sir Charles Wilson) رئيس قلم المخبرات وسار بالربع قاصدا النيل مهاجما السود يسالة غربية فردهم منزعين بعد جهد جهيد وأدرك الربع النيل أخيرا وعسكر على ضفته وفي الصباح أقبلت العساكر التي كانت في الزبيسة ثم انتقل الجيش إلى قرية جنوب التمتة تسمى القبة وقد بلغت خسائر الانجليز عددا كبيرا وبعده قليل رأى الانكليز العلم المصرى يخفق على ثلاث يواخر قادمة في النيل من جهة الخرطوم فعملوا ان غوردون أرسل هذه البواخر لتقل العساكر إلى الخرطوم فلما وصلت وجدوا بها ٢٥٠ جنديا من الباشبوزق وأربعة مدافع فالتصموا اليهم لمساعدتهم واذا بباخرة أخرى وصلت من الخرطوم بالمهمات والذخائر وكان بالباخرة التي وصلت من الخرطوم خشم الموس باشا ومن الضباط الكبار محمد نصحي بك (الآن باشا) ومحمد بك طلعت وأحضروا معهم كتبا عديدة من غوردون وأخبروا ان الخرطوم في ضنك شديد واذا لم تصلها النجدة يخشى من سقوطها وكتب غوردون يقول ان رجلا يسمى فرج باشا السودانى وكان غوردون رفاقه إلى وظيفة مهمة في الخرطوم وسلمه قيادة قسم من الحامية قد خانه سرا وهو الآن يخبر الاعداء ليسلم لهم المدينة وقال انه قادر على الفرار بنفسه ولكنه لا يحب أن ينجو وحده ويترك الحامية للمهاجرين

(٢١ يناير سنة ١٨٨٥) عند ذلك تجهز السرشاراس ولسون وسافر الى الخرطوم في مرآكب غوردون بعد ان أصلح آلتها اللورد شاراس بريسفورد (Lord Charles Beresford) الميرالاي البحري الذي كان يرافق الحملة (٢٤ يناير) واستحجب معه عشرين جنديا من الانكليز ومائتين من السودانيين واثني يوم صدمت الباخرة التي كان فيها ولسون صخرا فوقفت يوما بتمامه ثم استمروا في السير وبعد قليل رأوا رجلا من قبيلة الشايقية يناديهم من الشاطئ الشرقي ويقول ان الخرطوم قد سقطت منذ يومين فلم يصدقه ولذلك تقدم هو ومن معه بالباخرتين حتى قربوا من جزيرة توتق القريبة من الخرطوم فأطلق عليهم السودانيون المدافع ثم نظر ولسون الى الخرطوم فرأى جنود المهدي ترح فيها واعلامه تتحقق فوق حصونها فعاد بالباخرتين وقد لاه ضباط الانكليز على تأخره وعدم ذهابه حال وصول مكاتب غوردون قال سلاتين باشا في كتابه النار والسيف ما ملخصه وكان غوردون قد أرسل خمس سفن من سفنه البخارية الى الممتدة بقيادة خشم الموس وعبد الحميد ولد محمد لكي تنتظر الجيوش الانكليزية فيها وكان واثقان النجدة تأتية ولهذا لم يقتر بما عنده من الزاد فلما أبطأت النجدة وكاد الراد يفرغ من الخرطوم وكان المهدي علم ان طليعة الجنود الانكليزية التقت بجنوده في أبي طليح وقتلت منهم ألوفاً وفي جملة الذين قتلوا موسى ولداً لخوا الخليفة وغير ذلك خاف العاقبة واجتمع بقواده وقرقراهم على بذل المجهود في فتح الخرطوم قبيل وصول الجنود الانكليزية وخرج هو وخلقائه وقطعوا النهر وجعل يحث رجاله على الجهاد وبعدهم بفر دوس التعيم وأمرهم أن لا يصحوا بل يهاجوا المدينة صامتين حتى لا يشعر بهم أحد ثم قفل راجعاً ففعل رجاله بأمره وباغتوا الخرطوم صباح يوم ٢٥ يناير وأعملوا السيف في أهلها فانتحلت عزائم الجنود ورموا سلاحهم من أيديهم وفتحت أبواب المدينة ودخلها الدراويش وهجموا على سراي الحكومة ووضعوا السيف فيمن فيها ولاقاهم غوردون على سلم الديوان وقال لهم أين سيدكم المهدي قطعناه واحدمهم برمح فخر على وجهه ولم يبقه بكلمة ثم جروا الى ساحرة السراي وقطعوا رأسه وأرسلوه الى المهدي فقدموها اليه في منديل وأوروه الى سلاتين باشا وقال لهم المهدي كنت أود أن تأتوني به حيا مديعاً انه كان يأمل أن يسلمه للانكليز ويستبدل به أحد عربي فيساعده على فتح مصر اه هذا ولما سقطت الخرطوم أرسل المهدي المكاتب للاقاليم والاطراف يخبرهم بفتح الخرطوم وقد عثرنا على صورة الكتاب الصادر منه بذلك الى عامله على بحر الغزال وخط الاستواء فأدرجناه بجره وفيه (١) وبعد سقوط الخرطوم

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المتقرب الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وعامله كرم الله بن الشيخ محمد ولاد الله بلطفه وحرسه بعين عنايته أمين منا لكم جزيل السلام ورحمة الله وبركاته ثم أعرف الحبيب انه يعتقدني وعد الله الوفي ولطفه الخفي قد صار قوت حديته الخرطوم بعون الخي القويوم وذلك يوم الاثنين الموافق ربيع آخر سنة تاريخه بعد انقلاق الصبح بواسطة أنصار الدين فقد استعدوا واقصموا الخندق نو كلا على رب العالمين فلم يكن قدر ربع ساعة أو أقل الا وحل بأعداء الله محال من قطع دابرهم عن آخرهم وحصارهم مع شدة استعدادهم وفي أول الصدم ولو الا دباره نهزمين بين يدي جنود الله الانتصار ظانين السلامة بدخولهم الحيشان وعلق أبوابها فاتبعهم ضرب بالسيف وطعنا بالرمح حتى كثرت الصياح واشتد الاتين وخذلوه في الحين ثم استحصلوا على الباقيين الذين غلقوا الابواب خشية من نزول العذاب فأخذوا وقتلوا تقتيلا ولم يبق لهم بقية الا القليل من الموالى والذرية وأما هدو الله الغردون فعلى قدر ما أئذناه ولا لطقناه بأن يرجع وينسب الى

جاء الدراويش الى فرج باشا السوداني وسألوه أن يدلهم على الخبايا التي فيها نقود غوردون وبقي
 تجار الخرطوم فأقسم لهم أنه لم يكن عند غوردون نقود وأنه لا يعرف أين خبايا التجار أموالهم
 فقالوا له أنت تكذب ومراكك أن تحسر زالنقود كلها بنفسك لأنه إذ لم يكن عند غوردون نقود
 ولا فضة فن أين اصطنع كل هذه النياشين الفضية فان لم تدلنا على كنوز غوردون والتجار قتلناك
 فعادوا أقسم لهم قسمه الاول وقال ان النياشين التي ترونها هي رصاص وليست فضة فان
 الفضة قد نفدت من غوردون منذ زمان طويل وكان في أواخر أيامه يعامل الناس بالورق
 عوضا عن النقود (١) ثم ذكرهم عما صنع معهم من المعروف بفضه لهم أبواب المدينة
 وتسليمهم اياها فهجم عليه أحدهم وضربه بسيفه فقتله هذا ما للسيير شارس ولسن فصاحقه
 في عودته صعوبات وكسرت باخرته فبعث زورقا الى المعسكر الانكليزي في أبي كرى وبقى هو فوق
 الصخور فسار اللورد شارلس برسفورد في باخرة وأتقده بعد صعوبة شديدة

امارقة الجنرال أول فانها بعد ان سافرت من كرتي على خط النيل ووصلت الى كريكات الكائنة
 قرب جزيرة دلكنه بعد المساق (٩ فبراير) علمت أن السودانيين قرييون منها فامر الجنرال ببناء
 زريبة ويبنما كأقوام تمون بذلك أقبل العدو من الشلال فصفا الجنرال جيشه على هيئة قولين
 متوازيين وتقدم على العدو وأحاط به ولكن مركز العدو كان حصينا وبعد مناوشات بالبنادق
 استصوب الجنرال الهجوم وأمر جنوده بتركيب السنج فتمكنوا من اخراج السود من خلف الصخور
 وتقدم الجنرال الى كوخ صغير كان هنا لئيلم ما بداخله فوثب عليه أحد العصاة ورماه برصاصة في رأسه
 ثم ضربه بالبندقية فوق قتيلا يتخبط في دمه واستلم بعده الجنرال بركنبري (G. Brackenbury)

الله فلم يكن يقل لسبق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلغ أجله منها وحصد بالندامة ما زرعه من خطايا وأسكنه
 الله دار غضبه التي ساءت مستقرا ومقاما فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاء
 وفيما لم كانت الجنة مسكنه وما أواه جعلنا الله وإياكم من الفائزين آمين برضانا الأكبر وعظم خيره المستقر وقد فاز
 بالشهادة عشرة من أصحابنا في هذا الفتح ولم يصب من الباقي من من جراح أو نكبة وذلك الفضل من الله وما النصر
 الا من عند الله ومحمد ناسكرا لله على نصر الدين فافعلوا انتم كذلك والسلام ١٢ ربيع أول سنة ١٣٠٢
 الامضا وختم عامل المهدي على بحر الغزال وخط الاستواء
 الحقيق كرم الله

(١) وهامى صور قائمة من تلك القوائم منقولة عن كتاب المهدي والاشيخ المطبوع باندرسن سنة ١٨٨٥

خمسة غروش ميري
١٤١٥٠

هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور
 من تاريخه

٢٥ ابريل سنة ١٨٨٥ الختم غوردون باشا

قيادة الجيش وأمر العساكر بالهجوم على الاعداء فهزمهم وبذلك انتهت الواقعة وكان قتلى الانجليز غير الجنرال ارنل اثنين من أعظم الضباط وسبعة عساكر أما الجرحى فأربعة ضباط و ٤١ جنديا كذا ورد في أخبارهم وكان اللورد ولسلي أرسل الجنرال بولر (Sir Redvers Buller) ليستلم قيادة الجيش مكان الجنرال ستيورت بعد قتله وأمره بفتح المتمة وكان الانكليز أرسلوا جيشا آخر تحت امره الجنرال جراهم الى سواكن لفتح طريق بربرومد طريق حديدي ولم يتمكنوا من مدقطة منه الا بعد المشاق العديدة حيث كانوا يقاومون في أثناء العمل عربان قبيلة الهندوه وفي أوائل مايو من سنة ١٨٨٥ جاء اللورد ولسلي الى سواكن وتفقد موقعها وحصونها ثم لمارات المنجلترة ان محاربتها للسودانيين قليلة الجدوى سيما وان أهل السودان قاموا بأجمعهم قررت اخلاء البلاد السودانية من عساكرها وقالت بعض جرائدها ان ذلك كان لاسباب استدعتها سياسيتها الخارجية فأصدر لورد ولسلي الى جميع الفرق الانكليزية الاوامر بالانسحاب من السودان ففلق أهالي دنقله خصوصاً هذا الامر حيث كانوا عائنين في راحة تحت حكم حكام مصر وهاجر منهم ومن أغلب الجهات السودانية الى مصر عدد كبير خوفاً من الاضطرابات الحاصلة في السودان ولما خافت مصر على حدودها من مهاجمات عساكر المهدي أرسل المرحوم توفيق باشا أخاه المرحوم الامير حسن باشا الى الحدود السودانية (٢٥ فبراير سنة ١٨٨٥) لمخاطبة رؤساء القبائل الثائرة ودعوتهم الى الطاعة فلبت في الحدود بجهات حلفازنا (١) ثم عاد على غير طائل ويظهر مما رواه البعض ان مأموريته هذه لم تكن ترضى الحكومة الانكليزية ولما احتلت العساكر الانكليزية سواكن ابواقها العدد اللازم من الجنود للدفاع عنها وتمحصن الجيش المصري في وادي حلفا وركوسكو واسوان للدفاع عن مصر وقام الجنرال غرنفل باشا الذي خلف الجنرال سرفلن وودي سردار ية الجيش المصري فأنشأ هناك الحصون اللازمة وعين نقط الدفاع ولما تم ترك السودان للدر اويش كان المهدي لا يزال في حصن أم درمان بجهاز جيوشه ويعتد مدعته لافتتاح الديار المصرية ولما جاءه عثمان دقنه مهنتا بخروج الجيوش الانكليزية أهدها سيقا وجدد معه التحالف قال سلاتين باشا لمبلغ المهدي ان الانكليز تركوا السودان طابت نفسه وأيقن ان البلاد صارت له وجمع رجاله وقال لهم ان الله نقب مامع الانكليز من القرب فانسال الماء منهم او ما نواعطشا اه وقد استبقى المهدي كثيرين من

(١) الامير حسن باشا هذا وللسنة ١٨٥٥ واتحق في مدرسة الانجال (١٨٦٣) وبعده ان ربي فيها سافر مع اخوته لا كمال التعليم في مدارس أوروبا و باو بعد اتمام التعليم رجع الى مصر فالحقه والده في الوظائف العسكرية وكان ميالا اليها بطبعه ثم بعثه مع الجيوش المصرية في حرب الحبشة (١٨٧٥) كسابق وبعده عودته فاد الجيش المصري في حرب روسيا (١٨٧٧) وأحرز في خلالها ارفع نشانات من الدولة ولما عاد منها قوبل في مصر باحتفال شائق ثم سافر مع جناب والده المرحوم اسمعيل باشا الى نابولي (١٨٧٩) وبقى في أوروبا الى أن أذن له بالعودة الى مصر (١٨٨٣) وبعثه اخوه الخديو السابق المرحوم توفيق باشا من قبله الى البلاد السودانية كملو رفوق العادة لتطويع أهاليها (١٥ فبراير ١٨٨٥) وبعده رجوعه من هذه الامور بتهوجه الى دار الخلافة وهناك شرفه جلاله مولانا بالسلطان بتقليد وظيفة يورجنابه الملوكي وفي أثناءها أذن السلطان للخديو الاسبق اسمعيل باشا بالاقعة في سراي أمير كون بالاستانة فحضر الهامع طائمه وبعده قليل أصيب الامير حسن باشا بعرض لم يعمله طويلا فمات في يوم ٢٢ مارت سنة ١٨٨٨ وأمر جلاله السلطان بنقل نعشه الى مصر حسب وصيته فنقل على بخرة عثمانية وجاءه معه أحد قرناه الحضرة الشاهانية ودفن في مشهد النبي دانيال في نغرا الاسكندرية باحتفال باهر

ضباط مصر وحكامها الذين كانوا مع غردون وبجهاة انحاء السودان وكان ممن استبقاه حسين باشا خليفه وجعله أميراً على عربان العبايدة الا أنه انتهز الفرصة بعد قليل وفر الى مصر فرتبت له الحكومة المعاش اللازم وفي تلك الأثناء كتب شرمسيده باشا الى الملك يوحنا ملك الحبشة يعرض عليه عشرة آلاف بندقية في مقابلة انقاذه حاميه كسله ولكن أتى هذا الأمر متأخراً حيث سقطت كسله بعد حصار طويل وذبح الدراويش حاميتها ثم انسحبت العساكر المصرية من سنهيت الى مصوع فدخلها الأحماس وأخلى المصريون أيضاً رر وعادوا الى زيلع وعينت الدولة الانجليزية من قبلها كما تقدم وتسلم جميع المباني وأملاك الحكومة المصرية هناك وكانت شياً كثيراً ثم وصلت حاميه القلابات مع البكاشى سعد أفندي رفعت الى مصوع ومن مرض المهدي مرضاً شديداً ولم يعبأ أحد بمرضه لانه كان يدعى أن النبي عليه السلام أخبره بأنه سيقم مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يموت في الكوفة وقال سلاتين باشا في كتابه ولما اشتد مرض المهدي بالحمى المحرقة قال لمن حوله ان النبي اختار الخليفة عبد الله التعايشي ليخلفني بعدموتى فأطيعوه كما كنتم تطيعونى ثم تشهدو وضع يديه على صدره وأسلم الروح (١) وكان الخليفة تان الآخران وأقارب المهدي حضوراً فباعوا الخليفة عبد الله فوق جثته الى أن قال وكان المهدي بأمر بالزهد في الدنيا وينهى

(١) محمد أحمد المهدي هذا ولد في قرية تسمى الخناق بالقرب من السلال الثالث سنة ١٨٤٣ ميلادية وقيل انه ولد بجزيرة رقوم من أعمال دنقلة من عائلة فقيرة تدعى انها من الاشراف الحسينية وكان أوفقها فعمله القراءة والكتابة وسار به الى الخرطوم وهو صغير فأتى في الطريق ولما عظم شأنه بنى له قبة على قبره تسمى اليوم بقبة السيد عبدالله ويقال ان محمد أحمد حفظ القرآن الشريف وهو في سن الاثنتي عشرة سنة ولما أراد منه ان يعلم حرفته وهى بناء المراكب وكان ساكناً بالقرب من سنار فمضى به ذات يوم فقروا من عنده وأتى الخرطوم وعكف على درس علم التفسير ثم مضى الى بربر وانظم في حلقة محمد الخبير فآتم دروسه ثم عاد الى الخرطوم وانظم في حلقة الشيخ محمد شريف ابن الشيخ نور الدائم ابن الشيخ الطيب من شيوخ الطريقة السمانية فآخذها عنه ثم انتقل الى الجزيرة بعبدة (أوبان) في النيل الأبيض ومكث فيها خمسة عشرة سنة منقطعاً الى العبادة ومطالعة الكتب الدينية فانشر خبره بالصالح والورع فغاطر عليه الطلبة وكان بعضهم يعيش من زرع الارض ومن الصدقات ثم حصل بينه وبين شيخه محمد شريف خلاف فاخبر محمد أحمد تلامذته ان الشيخ محمد شريف طرده بتآنا وأنه عازم على الاتجاه الى الشيخ القرشي وهو أيضاً من شيوخ الطريقة السمانية وكان بينه وبين الشيخ محمد شريف مناظرة شديدة ولما بلغ ذلك الشيخ محمد شريف استدعى محمد أحمد ووعده بالصمغ فآبى قائلان لا أريد أن تتداني لدنقلاوى مثلى وذهب الى الشيخ القرشي فرحب به فاشتهر ما دار بينه وبين شيخه الاول واستعظمه الناس ثم أذاع محمد أحمد انه انفصل عن شيخه المذكور لانه وجد بخلاف الشريعة والسنة فآتصوب الكثير ونفعله هذا وبلغ صيته بلاد دارفور ولما عاد محمد أحمد الى بيته في آباجاه الزوار من أطراف البلاد بالهدايا وقبلها منهم شاكرًا وفرقها على الفقراء زهداً فدعى بالزاهد ثم جاءه بلاد كردفان وألقى رسالة دعاها المؤمنيين الى تطهير البلاد من مفاسد الحكام ووزعها على أخصائهم سرا ولما مات الشيخ القرشي بنى له محمد أحمد قبعة على قبره وأناه وقتل عبد الله بن محمد التعايشي (سمى بالتعايشي نسبة الى قبيلة من البقارة) وانظم في طريقته وأقسم له بيمين الطاعة وكان اسم محمد أحمد قد اشتهر بأنه عازم على تطهير الارض من المفاسد وأطلعها التعايشي على أحوال القبائل واستعدادهم للقيام على الحكومة بأقل إشارة وكان محمد أحمد تروج بعده من بنات المشايخ ذوى الجاه والنقوذ وذلك رغبة في اشتداد اذار وتعزيز نجبته ووزنه لطماع في نفسه قال سلاتين باشا في كتابه ولما علم ان الهامى بكرهون الحكومة أشد وطأ تاملهم سيما بعد ان عين غردون باشا الياس باشا السودانى مدبراً عامه الى كردفان وكان كثير من السودانين يعدون أنفسهم أحق منه بهذا المنصب انتهز محمد أحمد

عن الملاذوق دأ بطل الرتب والمناصب وساوى بين الفقراء والاعنياء واختار الجبة المرقعة لباسا فصارت لباس كل اتباعه ولكنه خالف كل ذلك فعلا وجمع بين المذاهب الاربعه المسالك والشافعي والحنفي والحنبلي بالغاء أكثر ما اختلفوا فيه واختار بعض آيات من القرآن وفرض على الناس حذوها وتلاوتها كل صباح وسهل الزواج بتقليل المهر فانه جعل مهر البكر عشرة ريات ومهر الثيب خمسة ومن طلب أكثر من ذلك أو قبل أكثر من ذلك أخذت أمواله كلها وأبطل ولائم الاعراس والسكر والرقص واللعب والسباب ومن خالف ذلك فقصاصه الجلد وأبطل أيضا فرضة الحج إلى مكة ومن شك في أنه المهدي المنتظر أو خالف أمر من أو امره قطعت يده ورجله اليسرى وشاهدان يكفيان لذلك وان لم يوجد شاهدان ادعى أن النبي ظهر له في الحلم وأخبره بجزية المجرم فيحكم عليه بغير محاكمة وأبطل كل كتب السنة والتفسير وحرق كل الكتب التي فيها شيء يخالف ما أمر به وهذا ما عمل به جهارا أما في بيته وبيوت خلفائه وأمرائه وأقاربهم فلم يرا الا انعماس في كل ضرورب الخلاعة والسكر وأنواع الملاذاه وقد ذكر صاحب السودان المصري والانكيزر فصلا عن مذهب المهدي وأصوله فقال فيه ان مذهبه كان مستنبطاجه من المذاهب الاربعه التي أصلها من الكتاب والسنة وذلك بأنه كان عدل الى مذهب الامام وحذف منه كل تشديد في أمر العبادات كالوضوء والغسل ثم انتقل الى الحدود (العقوبات) فحذف منها كل تخفيف ورفق وأضاف اليها تشديدات الائمة الثلاثة وأما النكاح والطلاق (الشخصيات) فاقبس فيهما من مذهب الامام مالك ومنع زواج البالغة بلاولي ولا مهر مما أجازها الامام أبو حنيفة وحكم بطلاق امرأه الغائب بعد سبعة شهور اذا لم تترك لها ما تنفقه في حاجتها الا اذا كانت غيبه الزوج في موطن الجهاد فيكتب اليه القاضي ويجدله موعدا يحمل زوجته اليه في خلاله وبعد هضي الاجل يحكم القاضي بطلاقها منه وقضى على رجل قتل آخره مع امرأته أن يؤدي بينة بانتم ما كانا كافرين على حرام فحجز المتهم عن تأديتها فأنفذ فيه عقوبة القذف أولا ثم عقوبة القتل ثانيا وأما المعاملات (القضايا المدنية) فسار فيها على مذهب الامام أبي حنيفة وأضرب عن تحميل الشاهد مع قبول الطعن الشرعي في عدلته ولما تولى التعايشي أشار بعدم قبول الطعن في الشاهد مع تحليفه الأيمان على المحض الشريف وكان يقضى برد المطلقة بالثلاث الى مطلقةها قبل أن تتزوج بغيره انا كان طلاقها قبل حلول دعونه وزعم ان ما نفا من قبل الله عز وجل هتف به وكلمه قائلا ليس عليكم في الدين من حرج وردوا طالق الثلاث الى زوجها الاول الخ وقضى أن لاتقام دعوى

فرصة حركة النفوس المذكورة ورأى انه لا يمكنه ان يجمع كلمة الاهالي الاعلى مسئلة دينية لا اختلاف شعوبهم وعصبيتهم فادعى انه المهدي المنتظر اه وكتب الى أصحابه وخلائه من الدراويش والفقهاء في أوخر ما يوسنة ١٨٨١ بأنه سيكون مهديا بعد سنتين وانه يحكم بالعدالة والانصاف في الدنيا ويقيم قائمة الاموال ويظهر الدين والسلا من التراث والمصريين والاوروبويين وغير ذلك وصادف ان مسدبر فشوده لم يبلغه وفره ثروة محمد أحمد وعلوم منزله أرسل يطلب منه مبلغا عظيما من المال مدعيا انه يطلبه اعانة للدريه فاقى دفع المال فكتب اليه المدير يتهدده وبالفعل أرسل العساكر لتنفيذ ما هدده به فقتلهم المهدي بجموعه ثم في شهر رمضان من سنة ١٢٩٨ (أغسطس ١٨٨١) جاهر بدعواه المهديه وتبعه ألوف من أهل السودان وكان الشيخ محمد شريف قد أخبر رؤف باشا بقاصد محمد أحمد ولكن رؤف باشا حمل ذلك على ما بينتهما من العداوة وهذا بعد ذلك حصل من المهدي ما ذكر من أفعاله الى ان مات

مظلمة على أحد أعمال الحكومة في إبان سلطتها على السودان وكل دعوى قبل سقوط الأبيض لا تسمع الا اذا كانت دعوى ميراث أو أمانة اه وفي تلك المدة سلبت مدينة سنار للدر اويش الذين كانوا يحاصرونها بقيادة الامير عبد الكريم وولد التجوي وحصلت أيضا واقعة جنس الآتي الكلام عليها واقعة جنس - بلغ الجنرال غرنفل باشا سردار الجيش المصرى ان أتباع المهدي قد قدموا الى الحدود المصرية لخرى رض القبائل المسالمة للحكومة على شق عصا الطاعة فبعث بفرقة من الجنود المصرى الى جنوبى حلغا (أغسطس ١٨٨٥) وأرسل معها المحم شكور بك كاتم أسرارهم لتفهمهم الا هالى ان قصد الحكومة المدافعة عنهم وعن بلادهم ومنع تعدى الثائرين من نهب القرى فسافرت القوة المذكورة من عكاشة على باخرتين وصحرت على مشايخ البلاد الواقعة على ساحل النيل وأفهمتهم بالامر ثم نزلت بمحس في بلدة كوشه وأخذ محمد الخير الخوجلى عامل المهدي يجهتي دنقله ووبرر يحرض المشايخ على العصيان فلم تقض أيام حتى ثارت العرب وبجدهم وحوول كوشه وأخذوا يطلقون المدافع على الحصن الذى فيه العساكر (١٦ ديسمبر ١٨٨٥) وفى ٣٠ منه صمم السردار على مهاجمة العدو وطرده من فواجى حصن كوشه فقسم قوته الى قسمين أرسل احدهما تحت إمرة الجنرال بتلر (Butler) الى بلدة جنس فسار مسافة ثلاثة أميال يقطع أرضا عسرة ولما ظهر له العدو أطلق عليه المدافع على مسافة ١٥٠٠ متر ولم يتمكن من اصابته لاختفائه خلف الروابي والآكام وكان يتقدم نحو العساكر الذين هاجموا فأخذوا يطلقون عليه بنادقهم حتى انهزم ووصل الجيش أخيرا الى جنس وأحرق بيوتها أما القسم الثانى فكان تحت قيادة الكولونيل هوج (Hughes) من الجيش الانكليزى وتقدم به الى أبى صارى حيث تجتمع السودانيون فساق عليهم سرية من العساكر الانكليزية والسودانية وحصل بين الطرفين واقعة شديدة انهزم فيها المهديون واستولى الجيش على مدفعين وجرح فيها البكاشى حسن أفندى رضوان (الآب بك ومدير بنى سويف) وفى هذا الزمن صرحت انكثرة لا يتالبا باحتلال مصوع تحت شروط اتفق عليها الطرفان وانسحبت الجيوش المصرية منها وكذا من زيلع وبرره فاحتلتها الجيوش الانكليزية وأبطلت أمر الحكومة فيها بما كره عدن ولما رأى الفرنسيون ذلك أخذوا فى توسيع أملاكهم فى جهات أبوك (١) واحتلوا ناجوره وغيرها من تلك السواحل التى كانت معدودة من أملاك مصر

(١) لا يخفى ان معظم السواحل التى تشكلت منها مستعمرة أبوك المذكورة كانت معدودة من أملاك الخديوية المصرية فلهذا رأينا لزوالها ما يسع المقام فنقول انه من عهد ما اتخذت دولة انكثرة مدينة مدن (١٨٣٩ م) محطة لسفنها الذهبية والآتية من هندا الشرقية وفرنسا تبحت على نقطة نظيرها فى تلك الاطراف فوعزت الى مسيو هنرى لامبرت Henri Lambert فتصلها فى عدن بانقاذ مقصدها فبتاع ميناء أبوك الواقعة فى حوض ناجوره من خليج عدن مع ما حوالها من الاراضى البالغ مساحتها ٢٥ ميلا بربعان مشايخها سنة ١٨٥٥ وقال آخرون ان سبب ذلك ان فرنسا بعد ان تحققت من نجاح الموسيو فرديندندوليس فى فتح شمال السويس اهتمت بان يكون لها فى تلك الاطراف محطة وتولج السفنها فى طريق مستعمراتها الشرقية ثم لما علمت انكثرة بالامر أصدرت أوامرها الى محافظ عدن فاحتل جزيرة بيم الواقعة فى مضيق باب المنذب خوفه من ان فرنسا تحتلها (١٨٥٧) ثم فى سنة ١٨٦٢ عقد مسيو شيفر Scheffer معاهدة امتلاك ميناء أبوك المذكورة ووروى البعض ان الفرنسيون بعد عقد معاهدة الامتلاك المذكورة أهملوا ميناء أبوك زمانا طويلا الى ان طلب منليك الثانى ملك

احتلال ايطاليا لمصوع - قد استنسبنا قبل أن نتكلم على هذا الاحتلال ذكر كيفية وجود ايطاليا في تلك السواحل فنقول انه لما انتهت دول أوروبا من انفاذ معاهدة برلين طمعت انظارها الى أفريقيا فوسع بعضها مستعمراته هناك واتخذ البعض مستعمرات جديدة ولذلك لم ترد دولة ايطاليا سبما وانها تسمى في ان تكون من الدول العظمى أن تنازع غير هيا في هذا الخصوص فوجهت مطامعها لانشاء مستعمرة لها في سواحل بلاد الدنا قيل على البحر الاحمر ولما كانت تلك السواحل معدودة من أملاك الحكومة الخديوية انتهزت فرصة الارتباك المالية التي أشغلت مصر في المدة المذكورة وتدخلت مع بعض المشايخ واحتلت إحدى جزر تلك الجهة (١٨٧٩ م) ويقال ان الخديو السابق اسمعيل باشا ساعدها معنويا على تنفيذ مقصدها هذا ولما بلغ علاء الدين باشا محافظ مصوع وقتئذ ذلك أخبر الحكومة فأصدرت له أمرها تلغرافيا بالتحرى والبحث فأرسل اثنين من ضباط أركان الحرب وهما البكاشى عبدالله افندى فوزى (الآن باشا) واليوزباشى مصطفى افندى رمزى (الآن بك) على وابور سنار المعين لخفارة ميناء مصوع الى جهة عصب لتحقيق المسئلة بطريقة سرية وبعدها تأكدوا من الامر علموا أيضا ان الطليانيين شيدوا بعض المباني هناك وأوجدوا عرسى عصب سفينة حربية دائمة وغير ذلك ولما عرضت هذه البعثة خريطة اكتشافها على الحكومة اعترضت مصر على عمل ايطاليا رسميا وأجابت هذه بانها اشترت جزيرة عصب وما حولها من سلطان ذينكلى لخزن الفحم لسفنها المتجولة في تلك المياه (١٨٨٠ م) وبعدها ان استمرت المخبرات بين الحكومتين زمنا انقطعت من غير أن يتم شئ فيها ووسع ذلك فان حقوق مصر على تلك البلاد لا ينكرها الا كل من يعتق في نفسه القوة ويهرب من عدالة الشرائع سيما وانها في الوقت المذكور قدم الجنرال استون باشا الامريكانى رئيس أركان حرب الجيش المصرى تقريرا ضافيا وافيا أبان فيه بدلائل لاترددين تاريخية وسياسية حقوق مصر على تلك البلاد المذكورة ولما تعين على رضا باشا الطوبجى محافظ تلك الجهات في السنة المذكورة أمره بمصر بالبحث والنظر في هذه المسئلة مع مشايخ تلك الجهات فقدم تقريرا جامع له وقد روت جريدة ايطاليا الصادرة بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٩ خبر هذا الاحتلال بقولها انه في ١١ مارس من

شوا في سنة ١٨٧٧ من المارشال مكاهون Mac Mahon رئيس جمهورية فرنسا ذلك أن يساعده على مبادلة التجارة بين فرنسا والحبشة فأخذ رئيس الجمهورية بأهمية هذا الطلب واستمرت المخبرات في هذه المسئلة طويلا الى أن ارتقى الموسيو جريفي Grévy رئاسة الجمهورية فحصل الاعتناء بأمر طلب منليك (١٨٨١) وزادت أهمية ميناء ابوك من وقتئذ خصوصا بعد احتلال الانكليز لصر وفي سنة ١٨٨٥ لما تركت مصر أملاكها السودانية وسعت فرنسا دائرتها مستعمرتها المذكورة وأضافت اليها ميناء تاجور حتى أصبح لها في تلك السواحل ما مسطحه ٣٨٦٠ ميلا مرعاها من السكان نحو ٢٥٠٠٠ نسمة فعندئذ حولت انكثرت ابصارها الى جهات ابوك حيث خافت على هرر والحبشة فسألت فرنسا في ذلك التقدم فقالت لها انها لا تريد المساس بهررقاينى على ذلك ان عقدت فرنسا مع انكلترة معاهدة سنة ١٨٨٨ تقررت بها حدود مستعمرتها المذكورة وجعلت قرية نجاة الغربية من زبلع ورأس جبوق الحد الفاصل بين مستعمرتها المذكورة والاراضى المصرية التي احتلتها الانكليز في السواحل الصومالى ثم في سنة ١٨٩٧ عقدت فرنسا مع منليك ملك الحبشة معاهدة نالت بها امتياز انشاء الخطوط الحديدية داخل البلاد الحبشية لترويج التجارة ومن هذه المستعمرة أخذت بعض الحملات الفرنسية لتقديم الى داخلية السودان في الوقت الحاضر

سنة ١٨٧٥ اشترى القومندوررو بانينو (Rubattino) الايطالى من باريجان سلطان راحيتا في البحر الاحمر جون آصاب أو عصب وجزيرة درما يكيا بمبلغ ٤٧٠٠٠ جنيهه انجليزى دفعته الحكومة الايطالية من خزينتها فلما اتصل هذا الخبر الى علم الحكومة المصرية أقامت اللجنة وقالت انهم تعارض الدولة الايطالية في احتلال هذا الموقع لما لها من حقوق السيادة على سلطنة راحيتا فعرض فرمان ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) الذى أحالت به السلطنة العثمانية ادارة محافظة مصوع وملحقاتها على الحكومة المصرية ثم طلبت من حكومة ايطاليا اصدار أوامرها بالجلاء عن جون آصاب في أقرب زمن فأجابتها الحكومة الايطالية بجواب تفند فيه ما تعزوه الى نفسها من الحقوق السياسية على تلك السلطنة وأنها لو كانت تعلم أن جون آصاب من ملحقات الخديوية المصرية لمعلمت بما تنقضى به عليها الظروف وقتئذ (انظر الكتاب الاخضر في المهرر المقدم الى الوزير منسيني Manzini في ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢) وفي السنوات العشر التي تلت هذه الحادثة لم تبد الحكومة المصرية اعتراضا ولكن لما شرع الموسيوررو بانينو في أواخر عام ١٨٧٩ في انشاء مركز تجارى بأصاب تداخلت الحكومة الانكليزية في الامر واستفسرت منه عن مشروع وقررت رفضت هاته الحادثة الى تبادل الخبرات السياسية بين الحكومتين الانكليزية والايطالية ولكن هذه الخبرات كانت عقيمة النتيجة وأمام مقصد ايطاليا في احتلال جون آصاب وجزيرة درما يكيا فيعلم صراحة من الرسالة الآتية التي بعث بها الشفالييه ما يكافيلى (Machiavelli) الوكيل السياسى لدولة ايطاليا في مصر القاهرة بتاريخ ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨١ وهي مدونة في الكتاب الاخضر وفي مؤلف الموسيو كالا (Chialla) أحد أعضاء مجلس السناتو المعنون باسم مصوع وهذا نصها مختصرا

سألتى دوتة لوشريف باشا عما اذا كانت الحكومة الايطالية تعتبر جهات راحيتا تابعة لها فبادرت الى اجابته بالنفي وقلت له ان مقصدنا ينصرف الى احترام النظام الموجود فيها أعني تأييد شوكة السلطان باريجان صاحبها فقال دولته وماهى مصلحة ايطاليا من تفضيل وجود هذه السلطنة بقبضة شيخ مستقل على أن تكون تابعة للحكومة المصرية فأجبت أنه الاتفاقيات الودادية المبرمة مع هذا الشيخ واستحالة التسليم بزعم الحكومة المصرية فيما يتعلق ببلاده من الامور التي تجعلنا على تأييد حقوقه خصوصا واننا بدون ذلك نجعل حقوقنا على جون آصاب عرضة للعدوان فقبل منى دولة شريف باشا هذا الكلام بتمام اللطف والارتياح اه

وفي جلسة مجلس نواب ايطاليا التي انعقدت بتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٨٨١ قال الموسيو منسيني ما يأتى مضت بضعة شهور والخبرات دائرة في مسألة آصاب حيث حاولت الحكومة المصرية التي كان كبير نظارها وقتئذ دولتور يا ض باشا أن تحتل بغتة أراضي راحيتا وهى الموقع البحرى القريب من آصاب احتلالا عسكريا فأقام قومندان السفينة ايتورى فييراموسكا (Pieramosca) اللجنة على ذلك ثم اتفقت مع وزير البحرى على ارسال أوامر صريحة الى سفننا الحربية لمنع نزول الجنود المصرية في راحيتا ولكن على شرط ان يكون هذا المنع عقب اتخاذ وسائل الحسنى والاقناع وتجنب وقوع معركة بحرية بين سفننا وسفن بريطانيا العظمى وقد أتى هذا الحزم بالنتائج التي كانت منتظرة منه حيث عدلت حكومة مصر عن انزال جنودها في أراضي

راحيئا ومع هذا فقد طرأت صعوبات جديدة في أوخر سنة ١٨٨١ حينما بعث قومندان الدارعة الانكليزية دراغون (Dragon) من عدن رسالة تلغرافية قال فيها ان الموسيويانكي (Bianchi) القومسيرو الايطالي في آصاب روى له في ٩ ديسمبر أنه أبرم مع سلطان راحيئا اعتراف فيها هذا الامير بوجود أراضي بلاده ومن ضمنها راحيئا تحت حماية الحكومة الايطالية وفي الواقع أن السلطان باريحان المذكور قد أبرم مع هذه الحكومة بتاريخ ٢٠ سبتمبر اتفاقية تكفل له وخلفائه من بعده مساعدة وحماية ايطالية في مقابلة تعهده بمجملته أمور من أهمها عدم تنازله عن شئ من أراضي بلاده لدولة أجنبية ثم بتوديات المراسلات والخبرات بعد ذلك بين انكتره وايطاليا وقد أخذت هذه المراسلات جزأ عظيما من الكتاب الاخضر المقدم الى مجلس النواب الايطالي في سنة ١٨٨٤ وفي ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢ انفتحت انكترته مع ايطاليا على التصريح العلني الذي ينبغي أن تفوه به الحكومة الايطالية على الملائمة حقيقة نواياها في البحر الاحمر وقد أوردناه بأسفل الصحيفة ليطلع عليه القراء (١) وقد فسر الموسيوي منسني هذا التصريح في ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ بقوله ان الواجب على ايطاليا توقي كل احتلال في سلطنة راحيئا عاجلا أم آجلا لما يكون فيه من الخطر والاضرار بمصالحها أكثر مما في الاستيلاء العثماني المصري اه ثم بعد ذلك زمن قليل احتجت ايطاليا على الحكومة المصرية بخصوص قتل بعض رجالها في جهات بيلاول واتهمت مشايخها بذلك وطلبت من الحكومة المصرية تحقيق ذلك على يد مندوب من طرفها وأخر طلياني فأرسلت الحكومة ابراهيم رشدي باشا من قبلها الى عصب على باخرة الجعفرية ورافقه علاء الدين باشا وبعد عمل التحقيق انضج عدم ادانة المشايخ لانهم نصحوا المقتولين من ضباط وعساكر ايطاليا بعدم التجول في داخل البلاد فلم يقبلوا منهم النصيحة كما تقدم الان المندوب الطلياني لم يقنع بذلك وعلى هذه الصفة انتهت التحقيقات ثم خشيت الحكومة المصرية من تعادي اطليان على أراضيها فأسست في السنة المذكورة نقطة عسكرية في بيلاول جعلت فيها ١٥٠ عسكريا وشيدت لهم حصنا صغيرا وبقيت هذه القوة هناك الى يناير سنة ١٨٨٥ حينما أشارت انكترته على ايطاليا باحتلال مصوع وبعد ذلك بعثت ألف جندي الى جهات بيلاول اقصاص الذين قتلوا رجالها هناك ولما لم يجدوا القلة أخذوا يوغلون في بلاد الحبشة فأرسل اليهم يوحنا ملك الحبشة قائدا من قواده لطردهم من بلاده فالتقى بهم في جهة يقال لها دوعالي وألحق فيهم وكانوا خسمائة جندي فلم ينج منهم الا بعض الجرحى عادوا الى مصوع وأخبروا بما جرى لهم في هذه الواقعة التي يسميها البعض أيضا بواقعة -بحاني (٢٥ يناير ١٨٨٧) ثم بعد ذلك لما قامت حكومة ايطاليا تضرب الرسوم على جميع السكان من وطنيين وأجانب في مصوع توقفت فرنسا ويون والسويسيون واليونانيون في دفع تلك الرسوم وكانوا جميعا تحت حماية قنصل فرنسا لعدم وجود وكلاء آخرين فيها باقي الدول

(١) تعرف حكومة ايطاليا فيما يختص بها بسيادة الباب العالي ومصر على ما سبق من سواحل البحر الاحمر الغربية جنوبي وشمالي آصاب ومع ذلك فإنه لما كانت الحكومة الايطالية مضطرة بتعهداتها السابقة الى تدليل الصعوبات التي ربما يلاقونها ايطالان راحيئا بخصوص آصاب فلأما مول من الباب العالي ومصر أن يعتبر امر كره الحانك ويسعي في حفظه وبقائه على ما هو عليه بشرط ان لا يتنازل لاحد من أجزاء أخرى من بلاده وتعهده الحكومة الايطالية من جهة أخرى بعدم السعي في توسيع نطاق أراضي آصاب مما يلي حدودها الحالية

وأخذت هذه المسئلة دورا عظيما حيث قامت الحكومة الفرنسية وتعارض حكومة ايطاليا سياسيا وقالت لها ان مصوع هي جزء من ممالك الدولة العثمانية والعهد المخولة امتيازات للاجنبيين هي مرعية فيها ثم سعت فرنسا ايضا في اغراء حكومة اليونان على موافقتها في هذا الاعتراض وسارت بقية الدول الاوروباوية في هذه المسئلة كسرها المعروف في جميع بلاد الشرق حيث كانت سياستهم فيها مساعدة لحكومة ايطاليا على تأييد مطامعها الجديدة فلم تلبث حتى أظهرت انكارها تبعية مصوع للدولة العلية العثمانية بالمحررين اللذين أرسلهما السنور كرسي (Crispi) الى سفراء ايطاليا في جميع عواصم أوروبا وبتاريخ ٢٥ يوليوسنة ١٨٨٨ وقد استسبنا درجهما في أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ولمفهم من التلاعب السياسي والكلام الشديد الذي استعمله الوزير

(١) (المحرر الاول) ان الجنرال الايطالي في رئيس الجيوش في مصوع قررفي ٣٠ م يوضريه على جميع أصحاب العقارات وعلى جميع التجار الموجودين فيها سواء كانوا من الوطنيين أو الاجنبيين بقصد صرف ما يتحصل من هذه الرسوم على انشاء الشوارع العمومية وتنوير المدينة بالتغاز وغير ذلك وأصدر أمر آخر بتاريخ ١ يولييه بتقرير رسوم رخصية على جميع من يتعاطى تجارة المسكرات أو غيرها من المواد الالتباسية فلم يذعن لهذه الاوامر نحو ثلاثة وعشرين تاجرا من هؤلاء التجار توفقوا عن القيام بدفع هذه الرسوم ومن هؤلاء التجار فرانسوا بان وواحد من بلاد سويسرا و٢٠ يونانيا وهم متممون لعدم وجود تفصيل لهم في مصوع الى وكيل فرنسا وهو الوكيل الاجنبي فيها فابتدت حكومة فرنسا دعواهم وقالت ليس للايطاليين حق في تقرير هذه الرسوم على الاهالي الفرنسيين وعلى من كان تحت حماية فرنسا بان كان متحميا اليها واستشهدت على ذلك بالعهود المخولة امتيازات للاجنبيين فان هذه العقود والعهود مرعية في مصوع ولا بأس من المناظرة والمناقشة في هذه القضية ولا بأس من التسليم مؤقتا بهذا الغرض الذي احتج به اخصامنا وان لم نعتقد بصحته ولم نصدق نقول هل وجود العهد يقضى علينا بعدم تقرير رسوم بلدية على الرعايا الاجنبيين أو المتحمين لاية دولة من الدول الاجنبية ما لم تفصل على رضا حكوماتهم ودولهم فالجواب لا أظن ذلك وعلينا أن ننظر في الامور الجارية في هذا الخصوص في الاقاليم العثمانية مثل بوسنة وهرسلو وقبرس والبلغار وهذا على فرض وجود العهود نامات المخولة امتيازات للاجنبيين ولقناصلهم ومراعاتها في مصوع ولكننا لا نذهب هذا المذهب ولا نعتقد هذا الاعتقاد فان سلطه ريكافى مصوع غير مسلم حاولت تنظم للوطنيين فيها كما وبما اس شرعية بل يزيدونقول بأنه لو وجدت في مصوع المعاهدات المخولة امتيازات للاجنبيين بسبب سيادة تركيا المدعى بها وبسبب ادارة المصريين انها فقد ألغيت وبطلت منذ ثبوتها مصوع وإنشاء ادارة منتظمة فيها موافق استملت أمة غربية ادارت مملكة شرقية فلا لزوم لمراعاة العهود نامات المخولة امتيازات للاجنبيين وقد أنشأ في مصوع ادارة منتظمة بكفالات وضمائمات تتكفل بالنظام والنزاهة عن الغرض مدة ثلاث سنين مضت ومن الغريب أن جميع اليونان الذين تأخروا عن سداد الضرائب المحلية باغراء المغريرين واقساد الذين لالزوم الى ذكرهم استعانوا بالعدل الايطالي في ذاقوا حلاوته وقبلوا أحكامه بدون معارضة وبما يحسن التنبيه عليه هو أن حكومة اليونان لم تتخذ قبل اختيارها لراع حكومة فرنسا هذه العهود والمواثيق المخولة امتيازات للاجنبيين أساسا لدعواها اه

(المحرر الثاني) ان ايطاليا تبوأ ت مصوع في ٥ فبراير سنة ١٨٨٥ في ظروف جديدة بأن تذكر وهي انما استغلت غوائل الثورة المهدوية ونخني من زحف المتهمدين على مصر أمرت الحكومة المصرية بتجمع عساكرها بأن استدعت حاجيتها الموجودة في الجهات القاصية وبما أن مصوع كانت خارجة عن خط الدفاع الذي اتخذته الحكومة الخديوية كان من المتعين عليها الاجلاء عنها ولما طلب من ريكافو تلك الجهة أبت وامتنعت وبسبب امتناعها رفضت وفضت الطرف عن الحقوق التي كان يمكنها أن تدعي بها على هذه النقطة المهمة في البحر الاحمر وان كانت هذا الحقوق هي غير حقيقية أما الممالك الختابة فتضلع ان له لم يخامرها أسف ولا حسد انشرفت لمارات ايطاليا مسئولية عليها فان استيلاءها عليها هو كفالة وضمائم على النظام واتمدن على سواحل البحر الاحمر فاطالب في مصوع بناء على تبوئها تبوؤا حقيقيا وبناء على موافقة ومطابقة ذلك للقنصيات القانونية

المذكور في محرره في حق فرانسالذين لو كنا صدر في غير هذا الزمن لابتنى عليهم اشتعال نيران الحرب بين الدولتين ولكن انقضى ذلك الزمن وتداخلت دول التحالف السلافي ومعهم انكتره وساعدوا ايطاليا في المسئلة وانتهت المناقشات والمجادلات باجماعهن على ترك ايطاليا في مصوع وتعلقت مسئلتها بذيول المسئلة المصرية وتعاهدت انكتره مع ايطاليا بخصوص شرقي أفريقيا بعدة اتفاقيات كان آخرها اتفاقية ٥ مايو سنة ١٨٩٤ وهي التي اكتسبت بها ايطاليا الحق الاستيلاء على هرر وأراضي واسعة على سواحل البحر الاحمر وبلاد السودان التي خرجوا بجعل فيها النيل الأ على يسير بين أملاك ايطاليا والكونغو ولكن الحوادث التي طرأت بين ايطاليا والحبشة الآتي شرحها حالت دون تنفيذ ما رتب ايطاليا في استعمار تلك الجهات فبقيت المقاطعات المذكورة من حقوق ايطاليا على صفحات الخرائط وفي طي المعاهدات الى الآن منتظرة الظروف التي تجعل ايطاليا قادرة على استعمارها اياها والتنازل عنها الى غيرها

وكان المهدي لما امتدت سلطته وعظم شأنه هددد الاحباش واسترد منهم بعض المواقع ولما قام التعاضد بعد وفاة المهدي استطال على الاحباش لما فعلا مع السودانيين قبل ذلك وفي ٩ مارس سنة ١٨٨٩ نشبت الحرب بين الملك يوحنا وبين الدراويش فتغلب يوحنا عليهم أولا واستاق سباياهم ثم هزمهم هزيمة منكرة وقتل الدراويش من جيشه أزيد من عشرة آلاف مقاتل وقتل هو في الواقعة وعند ذلك ظن الطليانيون ان قد خلا لهم الجحور ومهدت السبل لامتلاك بلاد الحبشة فسماهم واستعمرتهم من مومثارتريا (Erythrée) وكأوا يثقون بمليك ملك شوى اجدى ممالك الحبشة لانه أحسن الى روادهم فشدوا أزره واعترفوا به ملكا وأهدوا اليه عشرة آلاف بنديقة وكثيرا من الميرة وعقدوا معه في اشيايلى معاهدة ورد في أحد بنودها أن يكون تحت حماية

واذ قيل هل طرأت حادثة منذ ذلك الوقت تغل بمآلته من الحقوق فالجواب عن ذلك انه لم يحدث شيء من هذا القبيل فان تركيا أرسلت الى الدول منشور ا يظهر له أثر ولاخبر أمان فرانسالتي نظرت بعين الحسد والغيرة الى امتداد نفوذ باقي البحر الاحمر والتي عادت على بذل المساعي المستمرة للاضرار بسلطانها تلك استندت على الكلام الذي قاله سفير ايطاليا في باريس للويسوفري وزير خارجة فرنسا في أثناء محادثة ودية حرت بينهما وقد كان كلام السفير هذا من عند نفسه وتلقاه ذاته وكان متكلمها به بامه وهي انه اذا تبوأ دولة تبوأ فعلا حسب بند ٣٥ من قرار مؤتمر برلين فهذا يكون تبوأ مصوع فلتخذت فرنسا هذا الكلام حجة علينا وقد أخطأ علم الدول الكبرى بتبؤنا لمصوع بأن أرسلنا تلغرافين الى سفراء ايطاليا أحدهما بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٨٥ فأعلانا في شهر فبراير سنة ١٨٨٥ كانت كافية لاحاطة علم الدول بامتلاكنا لها وقت مقدمات الامور الرسمية السورية المتعين على كل دولة حسب بند ٣٤ من قرار مؤتمر برلين ان تجربها عندما تستولى على أية جهة من ساحل أفريقيا أو تدخلها تحت حمايتها وترى قبيلت ورضيت بالامور الواقعية التي خرجت الى حيز الفعل ونظم كلامنا فالتين انه بناء على ما تقدم ذكره سبق الكلام عليه حكومة ايطاليا مقتنعة بأن تبوأ مصوع هو بالنظر الى الظروف التي حصلت التبؤ فيها وبالنظر الى مراعاة حقوى شرط قرار مؤتمر برلين موافق ومطابق للشرط الشرعية المرعية الواجب توفرها في الامتلاك الشرعي الذي لا يشارع فيه وورد في هذا المحرر بان الشكاوى لم تأت من تركيا بخصوص الغاء العهود بامتيازات الاجنبيين بل ان هذه الشكاوى هي كالعادة الجارية آتية من فرنسا التي فازت في جذب اليونان وجعلها ضمن دائرتها فهذا الشكاوى هي من فرنسا التي يظهر بانها تعتبر تقدم ايطاليا السلمى بضعف قوتها كان فان أفريقيا ليست واسعة اسد مطامع جميع الدول اه من الكتاب الاخير

إيطاليا ولا يجازر الدول الأجنبية الا بواسطتهم او كان ذلك في النسخة الطليانية فقط أما النسخة الحبشية من المعاهدة المذكورة فلم يكن بها ذلك أصلاً ولما علم به أنكره كل الانكار ولم يقبله وحصلت مخابرات طويلة في هذا الخلاف اتهم الطليانيون فيها فرنسا وروسيا بتخريض منليك على مناواتهم ولما تبين منليك من خبث نية الطليان أخذ من ذلك الحين يعي الجنود ويتدارك الاسلحة والذخائر حتى اجتمع تحت رايته ٧٠,٠٠٠ مقاتل وبينما كانت المخابرات والمناقشات دائرة على معاهدة اشياي الى المذكورة سقطت وزارة الموسيو كريسبي (Crispi) وقامت وزارة دي روديني (Di Rudini) وكان أعضاؤها يكرهون التوغل في أفريقيا ويميلون الى الاقتصاد في النفقات الجريسة فبعثوا لجنة تحقيق الى مستعمرتهم المذكورة فلم تجد فيها ما يقابل بالنفقات الكثيرة التي أنفقت عليها فاستدعى الجنرال غندلني (Gandalvi) قائد جنود المستعمرة وأرسل الجنرال باراتيري (Baratieri) بدلا عنه وهو مشهور بالبسالة ومن كبار الكتاب غارب الدراويش وقهرهم وأصلح شؤون المستعمرة الايطالية من كل وجه وكان الجنرال بلدييرا (Baldissera) والجنرال غندلني قد سعيا في تجنيد كثيرين الاهاالي فلم يفلحوا لترفعهما وضباطهما عن الجند أما الجنرال باراتيري فنجح لانه عاش مع الجند كأنه واحد منهم ولما عاد الموسيو كريسبي الى الوزارة ثانية (ديسمبر سنة ١٨٩٣) أقر على فتح كسلا وأمر الجنرال باراتيري بذلك ففتحها بعد ان هزم الدراويش (١٦ يوليو سنة ١٨٩٤) وأقام لذلك الطليان الاحتفالات وكان منليك وقتئذ مشغولا بالحروب الداخلية وعند عودته أتاه رؤساء البلاد وحشوه على محاربة الطليانيين خوفا من ان امتلاكهم لكسلا يسهل عليهم امتلاك بلاد الحبشة كلها ويقال ان رأس منغاشيا أحد الامراء أتى الى منليك خاضعا وكان قبل ذلك قد استحكم النفور بينهم ما وطلب منه أن يملكه على بلاد تجرة فقال له أنكون ملكا بلا مملكة اذهب واطرد الطليانيين من البلاد أولا ثم ننظر في طلبك فتوجه واجتمع برأس الولا فكان معهما من الجنود ١٢,٠٠٠ مقاتل ثم زحف الاثنان على الطليانيين البالغ عددهم ٣,٦٠٠ مقاتل كاهم من الافريقيين المتحكين بينهم ٦٥ ضابطا و٤٢ جنديا من الطليانيين فدارت الدائرة على الاحباش فانهم زموا (١٨٩٥) وبذلك وسع الطليانيون أملاكهم وضموا اليها بلاد تجرة وانغاشيا وشيدوا فيها الحصون وبعث رأس منغاشيا ورأس مكوين يطلبان الصلح من الطليانيين فعقد بينهم الاتهاما عادا فانضموا (نوفبر سنة ١٨٩٥) الى منليك وقاما معه لحرب الطليانيين ثم بعد أيام قلائل أقبلت جنود شوي الى جهة يقال لها امبا الابج وأحاط عشرون ألفا منها بجنود الماجور توسيلي (Tosselli) وكان عددها ٢٤٠٠ فلم يسلم منها سوى ثلثائة وقتل توسيلي فدفن برأس مكوين مع سائر الضباط بالاكرام ويقال انه قتل من الاحباش في تلك الموقعة نحو ٣٥٠٠ ثم أقبل منليك بنفسه يقود جيشا يتألف من نحو ٧٠٠٠ مقاتل وحاصر حصن مكالي وكان به ضابط يدعى غالينافو (Galliano) معه ١٥٠٠ نفر فحاصره منليك الى ان فرغ ماؤهم ثم سلوا فردهم الى ادغرات سالمين وعاش منليك بجنوده في مستعمرة الطليانيين وعند ذلك جرت المخابرة في شروط الصلح وأصر منليك على حذف البند السابع عشر من معاهدة اشياي القاضى بجعل بلاد الحبشة تحت سيادة ايطاليا وعلى رجوع الطليانيين الى تخومهم الاولى فلم يقبل الموسيو كريسبي ذلك وأمر الجنرال باراتيري بمحاربة منليك فتقدم

المدكور بجيش عدده ١٧,٠٠٠ مقاتل نحو بلاد عدوه ثم قسمه ثلاثة أقسام جعل على الاول الجنرال دابورميديا (Da Bormida) وعلى الثاني الجنرال اريغوندي (Arimondi) وعلى الثالث الجنرال البروتوني (Albertone) وقبل اشتباك القتال جمع باريتيري مجلسا حريا وتشاور في الامر فقرر القرار على مناجزة الاحباش وتقدمت الاقسام الثلاثة ثم احاط الاحباش بفرقة الجنرال البروتوني فتغلبوا عليها وكان الجنرال دابورميديا يتبعها فاحاط به الاحباش أيضا قبل أن يصل الجنرال اريغوندي لتجده فدارت الدائرة على الطليانيين (أول مارث ١٨٩٦) وخسروا خسارة عظيمة وقتل منهم أزيد من خمسة آلاف جندي وأسرا الاحباش نحو ثلاثة آلاف أسير واستولوا على جميع أسلحة الطليانيين وزخائرهم وعلى ٧٢ مدفعا وجرحوا جنرالين وهمادابورميديا واريغوندي وأسروا الجنرال البروتوني وعددا كبيرا من الضباط فأضطر الجنرال باريتيري عند ذلك الى التقهقر بباقي عسكره الى جهة ادبيكي الواقعة على مسافة ٧٠ كيلومترا من عدوه ويعتذر الطليان عن نكبتهم هذه بان الجنرال البروتوني أخطأ المكان الذي أرسل اليه أولا لوجود مكانين باسم واحد وهو قول غير مقبول عند رجال الحرب حتى لو صح والحقيقة ان عسكر الطليان لم تبلغ بعد في القوة والظام العسكري ما بلغته عساكر الدول الاخرى وكذا ضباطهم كان يتقصر كثير من الدربة والمهارة الحربية كما حققه أهل الانصاف

ولما وصلت أخبار هذه الواقعة المشؤمة الى بلاد ايطاليا ماتت البلاد واضطربت وخيف من الثورة فسقطت وزارة كريسبي وخلفتها وزارة وديني واضطر الطليانيون أن يعودوا الى تخومهم القديمة في مستعمراتهم الجديدة وأضحى من كرههم في بلاد الحبشة حرا فافقرت وزارتهم الجديدة تقوية حاميتها فعموا بجنود أخرى اليها وعزل الجنرال باريتيري من القيادة العامة وبعثوا اللجنة تحقيق عسكرة وعينوا الجنرال بلديسيرا قائدا عاما ومن يومئذ اشتهر منليك ملك ملوك الحبشة وزوجته توتي التي شاركته في تلك الحرب في انحاء العالم الاوربي وبعثت الروسية وفرنسا وانكثرت اليه بعثات بالهدايا وعقدوا معه المعاهدات لتكمين الروابط بينهم وبينه وأقر واجمعوا في مقدمتهم ايطاليا باستقلال الحبشة وكانوا لا يعترفون لها بذلك من قبل وعزمت ايطاليا على ترك كسلها مصر ثانية وكان الجيش المصري قد تقدم تحت قيادة السردار كتنر باشا وفتح دقله ثم تخطاها الى بربر فدخلت ايطاليا عن كسله ودخلتها الجنود المصرية (ديسمبر ١٨٩٧) تحت امره اللوا برسوزباشا (C.S. B. Parsons Pacha) محافظ وقومندان قسم سواكن وبنظن ان حكومة ايطاليا تنازلت عن مصوع أيضا لعدم قدرتها على تحمل نفقات المستعمرات التي تحتاج الى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والى الرجال المحنكين وغير ذلك

خلاص أمين باشا واطلايميريات خط الاستواء - سبق الكلام على أمين باشا هذا وخدمته للحكومة المصرية في السودان مدة قضا معظمها كما على المقاطعات الاستوائية التابعة لمصر يمكن من المحافظة على الامن فيما مدة قيام المهدي ولما ضايق المهدي ويون لبتن بك (Lupton) مدير بحر الغزال (١٨٨٤) أخذ يكتتاب أمين باشا ويطلع على الخطر المحقق بعديريته ظن ان أمين باشا ربما يتوصل بذلك الى مساعدته وذلك أثناء محاصرة الدراويش الذين

بعثهم المهدي تحت إمرة الامير كرم الله لفتح بلاد بحر الغزال وأخيرا سادت المديرية المذكورة في يد الدراويش الذين قتلوا كل حامية بلدة بورقا ومقاتلهم (١٦ ديسمبر ١٨٨٤) وتقدم الامير كرم الله ولما تضايق أمين باشا وسدت عليه المنافذ صار يرسل مكاتباته عن طريق أوغندا ولكن الكثير منها أخفق قصد بسبب عداوة ملك أوغندا للانجليز وقتله الاسقف الانكليزي (١٥ نوفمبر ١٨٨٥) ولما بلغ الحكومة المصرية ذلك كتب نوبار باشا رئيس وزراء الوقت المذكور الى أمين باشا محررا بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ فوض اليه فيه أمر الانسحاب الى زنجبار عن طريق أوغندا أو البقاء فيها كما تقدم ذكر ذلك ثم وصلت من أمين باشا مكاتيب أخرى عن طريق أوغندا أيضا (٢٦ فبراير ١٨٨٦) ولما اطع عليها الدكتور ينكر الألماني (Junker) وكان ضيفا عند السير جون كرك (John Kirk) فنصل انكتره في زنجبار أرسل لوقته أخبارا الى أوروبا بضرورة ارسال حملة لتخليص أمين باشا لخرج مركزه (٥ ديسمبر ١٨٨٥) فاهتمت الدولة الانكليزية وبالمجامع العلمية باوربا بما مر أمين باشا واختارت انكتر لهذه المهمة المسترساتلى السائح الشهير نظيرته بأحوال أواسط افريقية (١) وجعل له أحد رجال الانجليز ٣٠,٠٠٠ جنيه قال الكولونيل شل لونيغ بك في كتابه ان انكتر لم تكلف المسترساتلى بهذه الأمور إلا للاغراض السياسية كانت ترمى اليها من القديم هذا ولما وصل ستانلى الى بلاد الانكليز قالوا له ان الدولة الانكليزية ستبذل كل ما فى وسعها لاغاثة أمين باشا وخلصه من جهة ومن الأخرى لاخلاد ديريات خط الاستواء من العساكر والموظفين المصريين وأخذوا يباحثونه فى الطرق التى يسلكها للوصول بكل سهولة الى أمين باشا لأن الطرق الموصلة الى المكان المذكور والقرب من بحيرة البرت نياز اسمالى خط الاستواء

(١) المسترساتلى (Stanly) هذا أصله انكليزي واشتهر بعلمانه الجغرافية ولم يكن له من يستند عليه فى بلاد هاجرا الى امريكا وهو صغير فاستخدم بإدارة جريدة النيويورك هير الدباجة قليلة ثم رقى فيها الى أن صار مكاتبيا بارعا لها وفى مدة الخمس عشر سنة التى أقامها فى امريكا بال شهر فى التحرير وتزوج فغدا بحبة للسياحات وصادف انه فى سنة ١٨٧٤ اتفقت مصلحة تاجر يدعى نيويورك هير الدوا والتلغراف على تسيير حملة الى داخلية افريقية على مصر واهتموا بالاستطلاع أحوال البلاد السودانية الواقعة بين شرق القارة الى غربها فاكفروا استنانلى بذلك فقبل بكل سرور ورايه الى السياحة ثم سافر من زنجبار فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٤ وجال فى داخلية البلاد وفى ٦ ابريل سنة ١٨٧٥ ظهر رحلته حول بحيرة فكتور يا نياز التى اكتشفها الكبتن اسبيك (Speke) سنة ١٨٦٤ ثم وصل الى مملكة أوغندا وكان الملكها امتيزا وقتئذ علاقات دالمية مع الكولونيل غوردون وكان الملك يعترف بأن غوردون وكيل سمو الخديوى فى المقاطعات الاستوائية وقد تمكن استنانلى من تنصير الملك امتيزا المذكور وكان استنانلى يفتى أن يكون أول المكتشفين لتلك البلاد وبحيراتنا ولكن سبقه اليها من اشتهر قبله فى نوال سفره الاكتشافات ثم أخذ استنانلى يحرض بكتابه الجمعيات الدينية لتسفير المرسلين الى تلك البلاد لتنصير أهاليها بالفعل نتج حيث قامت بعد قليل تلك الجمعيات وجمعيات أخرى علمية بتسيير عدا رساليات الى تلك البلاد ولكن الملك امتيزا لم يثبت فى الدانة المسيحية بل ارتد الى ديانته الوثنية وطرده الكثيرين من الاجانب وقتل فى خلاها عدا من القسس منهم الاب هنسكتون (Hannington) وكان امتيزا يومئذ يعترف بالسيادة لمصر وقال شل لونيغ بك وفى أثناء سياحة استنانلى المذكورة سعى برفع العلم الانكليزي فى تلك البلاد ولكنه لم ينجح وانما بعد عودته من السياحة كاشف انجلترا بآرائه فقبلتها بلا اعتراض وسعت فى امتلاك تلك الجهات اه وقد استوت على ساحلها الذى كان تابعها للحكومة زنجبار حتى تمكنت من الاستيلاء على أوغندا بالاتفاقيات التى عقدتها مع المانيا سنة ١٨٨٦ و١٨٩٠ وتنازلت لالمانيا نظير ذلك عن جزيرته هلووند (Hélgoland) وأمرت المانيا المجاور دسمن (Wissman) بتحويل أنظاره الى طريق بحيرة زنجبار

خمس وهي طريق الحبشة من مصوع وطسريق وشوامن عصب وطريق مساي من بمبازه وطريق اوغندامن امام زنجبار وطريق نهر الكونغو وكانت الجرائد تشير باتباع أقصرها وهو طريق مساي ولكن استتالي اختار طريق الكونغو وبعد ان تجهز بالمداد والادوية سافر الى مصر فصدر أمر الخديو باعطائه عشرة آلاف ليرة من مالية مصر ومائة جندي من السود وسلمه الأوامر اللازمة لامين باشا (٥ جادى الاولى سنة ١٣٠٤) وسافر ستالي أولا الى زنجبار (فبراير ١٨٨٧) وهناك عقد محالفة مع تيبو تيب أمير العرب بالنيابة عن ملك البلجيك مؤداهان يرفع الامير المولى اليه راية ولاية الكونغو الموضوعه تحت حمايه الملك المشار اليه فوق شلالات استتالي ويمنع قبائل البدو في تلك الانحاء من التعدي على استتالي وجماعته وان يقدم له الرجال والامدادات اللازمة لهذه الخدمة كل ذلك نظير مبلغ معلوم اتفقا عليه وبعد انتقائه الرجال والادوية من زنجبار سافر بحرا على طريق رأس الرجاء الصالح فوصل بلدة بنانا من أعمال الكونغو في ١٨ مارس ومنها ركب بواخر شركة ولاية الكونغو وسار بها في النهر المذكوبر مع رجال حملته ولما وصل بلدة ليوبولد فيل ركب بواخر وزوارق أخرى وسافر في نهر أرومبي (يونيه) ثم قصد بحيرة فيكتوريانا زبارا وفي أثناء الطريق ترك في بلدتي كيلينكا لونكا وبومبويا بعض رجال التجربة وقد كتب استتالي في خلال رحلته هذه عدة مكاتيب لاصحابه يصف لهم ما لاقاه من الصعوبات وقد عثرنا على صورة كتابين من الكتب المذكورة كتب أحدهما لصديقه المستر بروس (Brose) (١) يصف له فيه الغاب الكبير الذي مر منه بعد مبارحته نهر نيبوكو وكتب الثاني الى السير وايم ماكنين (W. Mackinnan) رئيس شركة شرقى أفريقيا الانكليزية التي اشتركت في مأمورية استتالي المذكورة (٢) يصف له فيه إقليم أيدوري فأدرجناهما بأسفل الصحيفة لتمام الفائدة

(١) عزيزي بروس - تصور رغبا أفتينا بقطر ما متلبد بالانجم والرم والوعوج تحت ظل أشجار أنواعها تفوق الاحياء لا يخرقها نور الشمس علوها من مائة قدم الى مائة وغمانين وقد تكاثفت في أرضها الاشواك كالمطين والقناد والهوى والوهاد متعرجة في أرجائها تجرى فيها أحيانا أنهر كبيرة وارسم على لوح ففكرتك هذه الاجمة الوسيعة الشجرا المتعاقبة عليها كل أطوار الحياة النباتية بين درجتي الانحلال والنمو وبين القسيل والدوحة فترى هنا شجرة قديمة معلقة فوق رأسك كما بشعرة تنداعى للسقوط وتكاد تهبط عليك فتقطعك وهناك أخرى ساقطة في خط عرضي تسد عليك السبيل والتمل والهوام والحشرات من كل الاجناس والانواع والاقادار تظن وتفتخ وتكس وتتحف وتصرحولك والقرود والشبازي فوق رأسك تفضحك وتوانب والطيور تمر وتصصر وتصفر وتهدر وتقعقع وتسبح بأصواتها الغريبة والحيوانات ترار وتعوى وتهر وتغوى وتضغيب وتجبل وترى حراجل الايفال تهزول وتعدو على الجانبين وجيل المحن تقرات الاقوياء الابدان السمرا اللوان كامنسين وراء سوق الاشجار الضخمة في الزوايا المظلمة كاصنام جامدة أو كيدوع يابسة بأيديهم الحراب المسومة متوجهة نحوك ليرموك بها على غرة والامطار تغدق شآبيب ويعاليل رذاذا وودفوا بلاأكثر أيام السنة والهواء حامل جرائم الجنيات الويلة والقيام منتشر نهارا والظلام يهدلهم ليلانم تصور غاية كهذه ممتدة من بلعوث الى بترهيد (أى من أول انكثرا الى آخرها) فاذا استطعت أن ترسم في فكرتك صورة كهذه أمكنك معرفة بعض ما كابدنا في هذه الرحلة الهائلة اه

(٢) كما ورجلنا نجحنا كهيما كل عظام وانخط عددنا من ٣٨٩ الى ١٧٤ وقد نيس أكثر نلس الحياة لان الارزاء القادحة والدواهي الهائلة كانت قد توالى علينا وتعاقت حتى ظننا أن لانهاية لهذا الدوح الشاسع ولم يصدق رجالنا الا فر يقون أن سوف نرى سهولا ومواشئ ونصل الى بحيرة نيارا ويزى الرجل الابيض (امين باشا) بل كافر الا يعيرون الحجج والبيدات ولا يكثرنون بكلامنا اللطيف فان الجوع والاعلام المبرحة كانت قد ذهبت بصبرهم

ثم لما بلغ استانلى البحرية ولم يسمع شيئا عن أمين باشا وقومه أعينته الوسائل فعزم على أن يقفل راجعا
ولما وصل الى أيبورى بنى صرحا سماه فورت بودوومن هناك أرسل مفرزة تحت قيادة الملازم
ستيرس ليأتى بالسفينة والذخائر والامتعنة والقبطان نلسن (Nelson) والطبيب بارك
وكان ترك كل ذلك ببلدة كيشكالونكا كما سبق ولما أتت عداستانلى الى البحرية (ابريل ١٨٨٨)
ثم أرسل المستر جيفسن (Jephson) فى السفينة الى موقف مصوا الواقع فى أقصى تخوم
منحصر أمين باشا وذلك بناء على رقيم ورد له من الموحى اليه أثناء غيابه إذ كان قد بلغه قدوم رجل
أبيض الى طرف البحرية الجنوبي فحل استانلى فى نفس المحل الذى كان قد وصل اليه فى ديسمبر سنة
١٨٨٧ وفى ٢٩ ابريل ١٨٨٨ ظهرت له السفينة المسماة بالخدوتسير على مياه البحرية وبعد
برهة أتى المحلة أمين باشا بنفسه والسنينور كاساتى (Casati) والمستر جيفسن المذكور ولا
تسل عن عواطف الحبور والابتهاج التى سادت حينئذ على هذين الرجلين الفاضلين فى هذا اللقاء
الغريب بعد مغامرات واطوار ترعدلهولها الابطال ففرح استانلى وتبادل مع أمين باشا
الأحاديث والمسامرات ثم سلمه الاوامر وعرض عليه ثلاثة أمور ما أن يعود هو وعساكره الى مصر
واما أن يكون محافظا للمقاطعات الاستوائية من طرف بلجيقة وله فى مقابلة ذلك ألف وخمسة ايرة
سنويا ويغفر رتبة جنرال والثالث انه فى حالة ما اذا كانت حاميات خط الاستواء ترفض الرجوع معه
الى مصر فله أن يجند بعض الرجال من حوالى بحيرة فكتور باليرافوقه فى العودة ثم بعد أيام نقل استانلى
محلته الى مكان أوفرملاية أما أمين باشا فأبى الرجوع مع استانلى ومعادرة رجاله والاقليم
الخصيب الذى كان سائدا عليه وصرف استانلى الشهر كله فى محاجته واقناعه بالعود معه لكن على
غير طائل حتى كاد يأس ولأن النفقات والمشقات التى كابدها لاجله تذهب ادراج الرياح ولما رأى
استانلى تردد أمين باشا وضياع الزمان عبثا خطر على باله المماجور بارتلوت (Bartelot) وسائر
رجال التجربة الذين كان قد تركزهم فى يامبوى فاعزم على الاياب اليهم لعله يلاقيهم قادمين فى الطريق
نفسها فودع أمين باشا وترك معه المستر جيفسن وتعاهد على ان الباشا يخبر قومه بمقاصد استانلى
ومراحله ثم سارا استانلى برجاله الزنجباريين ولم يأخذ معه الا كمية قليلة من الزاد والامتعنة فجد فى
السير حتى بلغ قلعة فورت بودو وفى ٨ يونيو سنة ١٨٨٨ وبوصوله أعطى الاوامر اللازمة لقواده
وهم الملازم ستيرس (Sterese) والقبطان نلسن والدكتور بارك وأخذ يضرب مع أنصاره
البالغ عددهم ٢١٢ نفرا فى ذلك الدغل الهائل الى أن وصل بعد ثمانية أيام الى كيلينسكالونكا وبعد
شهر بلغ أوغار وهناك تحصل على قوارب ركبها فى النهر واجتمع ببقية رجاله ولما وصل بونالايا

وبدأت آمالهم ادراج الرياح ففسدت أخلاقهم وانحطت آدابهم فباعوا ألحمتهم ونيابهم بقبضة سنابل خنطة
أو بيضة تجوب ذرة وفر وبصناديق الامتعنة وغيرها فلبثنا فى ايبورى ثلاثة عشر يوما شبع أجوافنا بالتمام الدجاج
والماعز والموز وغيرها الخنطة والبطاطة الخ وكنا لا نزال بعيدين عن البحرية ١٢٦ ميلا ولكن لما كانت قد تجددت
قوانمنا ولنا من الزاد لم نعبأ بهذه المسافة الباقية وبعنا سدلنا اينما الظلام بحجوف الكأبة ١٦٥ يوما شاهدنا
فى الختام أنوار الغزاة تتألق على تلك الحقول الخضرة والطبيعة متوشحة بظارف الجمال حتى كدنا لا نصدق ما نراه
بعيوننا ولم يدر فى خلدنا اننا سنظفر برؤية أقاليم خضراء كهذه فتوالت الرجال سرورا ودوت تلك الاقطار
داصوات الهتاف والتهليل ووفضت الاوقاش تدويها جماها على تلك البقاع كأنها استأنفت ما كان لها من النشاط
والجدل فى يوم رحلتها الاول ٥١ من كتاب قلادة البحر فى غرائب البر والبحر

الواقعة على مسافة اضع مر ااحل عن يامبوياتلاقي بالمستربوني (Bonny) أحد رجال
الماجوربارتلوت مع شزيمة قليلة من رجاله فأخذ يقصر عليه أخبار النازلة التي أصابت
بارتلوت وقيام الرعاع عليه وفتكهم به في ١٩ يوايوسنة ١٨٨٨ وانه هو اى بوني والمسترجيمسن
(Jameson) ذهب الى بنغاله لاستخدام جمالين آخرين ثم أصاب جيمسن المذكور مرض
الحمى فمات بها وبقي هو عفرده فأنتم استانلى بمده الاخبار حيث فقد أربعة من قواده الخمسة الذين
عهد اليهم قيادة مؤخر تجريدته البالغ عددها ٢٧٥ نفرا ولم يقابل منهم الا بوني و ١٧ نفرا
معهم قليل من الذخائر والامتعة وغيره فاكتب استانلى في الحال الى تيبوتيب رئيس العرب وطلب
منه ان يدركه بالرجال والمدد ثم بعد ذلك أوغل في ذلك الدوح المرة الثالثة حتى وصل الى صرح بودو
بعد صعوبات جمة فوجد رجاله ما كئيب ولمالم يبلغه خبر عن أمين باشا ولا عن المسترجيمسن اضطربت
أفكاره فرحل بعد ثلاثة ايام الى البحيرة وجازسهول أيبويرى وبطاح البار يغالمره الخامسة
وكانت الاالهالى هنالك عرفوا استانلى فأمدوه بالاقوات ولما بلغ البحيرة أتاه رقيم كان بعثه اليه المستر
جيمسن ورسالتين من أمين باشا يخبرانه فيها انهم ما في أسر العساكر النائرة عليهم ما وأن المهديين يمشون في
ذلك الاقليم فسادا تحت قيادة الامير عرصالح الذي بعثه التعايشى للاستيلاء على مديريات خط الاستواء
وقد استولوا فاعلا على مدينة لادو فحجرا استانلى لهذا الخبر ولكن لميا كان الدراويش قد استظهروا
على ضباط أمين باشا العصاة رأى هؤلاء الضباط انهم في حاجة الى مهارة الباشا العديكرية فأطلقوه
من الاسر غير ان سلطته كان قد تقلص ظلها ثم سار مع المستر جيمسن والسنوير كاسافى الى وادلاى
ولما تقدم الدراويش جنوبا فرأى أمين باشا ورفيقاه الى نور بجو البعيدة عن محله استانلى بنحو
مرحلتين ثم بعد قليل تلاقى الجميع مع استانلى المرة الثانية ودارت بينهم المحاورات والابحاث ثانية
بخصوص العودة واطلع استانلى أمين باشا على عدة مكاتيب كان أخذها معه من خارجة انكتره
ومن ضمنها كتاب أرسله أمين باشا الى انكتره سنة ١٨٨٦ يقول فيه انه يكون سعيد الان يعيد
مقاطعات خط الاستواء لانكتره واولاى مملكة أخرى تحميها فاستاء أمين باشا لما اطلع على ذلك
وقال لاستانلى ان الانكترين أخطوا في نشر كتابي هذا لانه كان خصوصيا لهم فما الذى يخلج فكر
المصريين في ذمتى عندما يطلعون على كتابي هذا وبعد مؤامرات ودسائس ومكاييد من قبل
العساكر المصرية وضباطهم عزم استانلى وأمين باشا وجماعتها المتحدون على الاياب سوية فحلوا
من كافال في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩ وكان عدد الالفيف الراحل معهما ١٥٠٠ نفس بينهم
النساء والشيوخ والاولادو بعدما كبدوا عدة مشقات يطول شرحها ووصلوا في أول شهر ديسمبر
الى ميبكى وهي قرية تبعد عن الساحل اربع مراحل فتواردت عليهم فيها رزم الرسائل
والمخاطبات ولما بلغت التجريدة زنجبار أمست موكبا حافلا عظيما وفي ٤ ديسمبر قابلهم
الماجور وسمن المأمور الالماني فى ميناء بغامو بوفراقهم الى الميناء وكانت المدينة مزدهنة بالاعلام
وقابلهم فيها القواد والكبراء والاعيان من قبل امبراطور المانيا وملكة انكتره وملك البلجيك
والجماع العلمية ثم أطلقت المدافع تبشيرا بقدمهم ما فى المساء آدب الماجور وسمن مأدبة انيقة
اضيفه سقط فى خلالها من شؤم الطالع أمين باشا من طاقة الردهة العليا المرتفعة عن الاراضى
نحو ٢٥ قدما فأغنى عليه وتمشم ولكنه أخذ يتعافى تدرى تحت عناية الدكتور بارك

والطبيب الألماني ثم بعد ذلك رفض استئانلى الحضور الى مصر وخيرا البقاء في خدمة الامان
بجهات زنجبار وحضر استانلى مع المصريين الى مصر واحتفلوا بعودته احتفالا عظيما وأدبت
الحكومة المصرية مآدب رسمية اكرامه وألف عن رحلته هذه كتابا سماه ظلمات أفر بقيمة
أما أمين باشا فانه عاد ثانية الى خط الاستواء لاستحضار سن الفيل وغيره من الاشياء التي كان
ادخرها هناك ولكنه بعد قليل قتل بالقرب من شلالات استانلى وهو ذاهب الى غربى أفر بقيمة
ومعه ٢٠ طن من العاج واختلف الرواة في سبب قتله ويقال ان أوراقه كلها وحوادث رحلته
الى آخر سنة ١٨٩٢ محفوظة عند رجل بلجى ولما رأته انكثرت أن المانيا قد أرسلت روادها مع
الدكتور بترس لاستكشاف جهات خط الاستواء لانشاء مستعمرة فيها طبق نصائح أمين باشا لتصل
بها بين مستعمرتى كامرون وزنجبار خشيت انكثرت من توغل المانيا فطلبت من الشركة البريطانية
التي أنشئت سنة ١٨٨٥ تحت رئاسة السروليم ما كتون ان تقوم بعهودها السياسية التي
ارتبطت بهما معهما فشككت في الحال حملته في مدينة بمباسا تحت قيادة الضابطين جاكسن
(Jackson) وجاج (Jage) فوصلت هاته الحملة في ١٤ ابريل سنة ١٨٩٠ الى منجز
قاعدة بلاد أوغنده ثم بعد قليل حصل اتفاق بين المانيا وانكثرت (يوليو سنة ١٨٩٠) من مقتضاه
ان الاولى تعترف للتانية اعترافا صريحا بحقوقها السياسية على مجرى النيل الاعلى ورأت الشركة
ضرورة انشاء سكة حديدية من بمباسا على الاقياوس الهندى الى بحيرة فيكتوريانا تا يبلغ طوله
٧٥٠ ميلا وحصلت بينها وبين الحكومة البريطانية عدة باحثات أعلنت في خلالها الحكومة
البريطانية الشركة على انها ستجلى عن أوغنده في أوخر سنة ١٨٩٢ ثم لما سقطت وزارة
لورد سلبمورى وقامت بعدها وزارة غلادستون تغيرت سياسة القائمين بترك أوغنده وكانت
الحكومة الانجليزية السير جردبرنال (G. Portal) قصلها العام بزنجبار بالذهاب الى
أوغنده وتقديم تقرير عن أحوالها وقد كان ذلك وصادق المستر غلادستون على جميع مشتملات هذا
التقرير ومنها انزال علم الشركة في أوغنده ورفع العلم الانكيزى في مكانه وقد تم هذا في ابريل سنة
١٨٩٣ ثم بعثت الما جوره كدونلد (Macdonald) ببعض الجنود وأخذت تقدم نحو النيل
الاعلى وابتدأت هناك أعمال السكة الحديدية المنوى ايصالها بالسكة الحديدية السودانية المصرية
وبسكة حديد رأس الرجاء الصالح

باني عمادى السودان - اعلم أنه لما استقل المهديون بالسودان المصرى تشبهوا
بالممالك الاخرى فخطبوا للمهدى وخليفته فوق المنابر وضربوا النقود بأسمائهم ما فيها ما ضرب
في سنة الهجرة وهى هجرة المهدي على زعمهم ومنها ما ضرب بوجهه وذلك وكتبوا على إحدى وجهيها
أم درمان وتحتها ١٣٠٤ هـ وهى سنة استقلالهم وفي أعلاها رقم واحد وتصدون به السنة الاولى
من سلطنتهم وعلى الوجه الآخر ما يشبه الطغراء العثمانية علم القطة مقبول يريدون بذلك ان
تلك النقود مقبولة عند حكومتهم وأخذوا من ذلك الوقت يتعاملون بها قال سلاتين باشا انه بعد
ان تربع الخليفة عبد الله التعايشى في دست الخلافة التفت إلى بيت المال فطرد منه أحد وولد
سليمان امينه لانه كان يوزع الاموال على أقارب المهدي بغير حساب ونصب مكانه ابراهيم ولد عدلان

وهو رجل خبير بضر وب المنكاسب فنظم أساليب الدخل والنفقة وأكثر الموارد على أنواعها وضرب
الريالات ما زجا فضتها بالنحاس ولما توقف التجار عن قبضها هدم الخليفة فاضطروا الى التعامل
بها ولكنهم رفعوا الاسعار ودعا الخليفة قبيلته وأسكنها في أم درمان وقصد بذلك أن يأمن بهم اغدرات
الزمان ثم تغير الخليفة على ولده لان فقتله ونصب خلافه على بيت المال وسار بقتل الموسر بن علي
أقل عنوة ليصادرهم في أموالهم وفي أوائل حكمه سعى الى جلب قلوب الشعب فأظهر انه سافر في
خطة المهدي فبنى على قبره مقاما كبيرا وهو بناء مربع طوله ١٢ مترا وعرضه ١٠ أمتار وسلك جدرانه
متران وفوقه بناء مسدس ارتفاعه خمسة أمتار وفوق ذلك قبة ارتفاعها نحو ١٣ مترا وزين جدرانه
من الداخل وعلق فيه ثريا كبيرة كانت بيدار الحكومة في الخرطوم وقام ببناء ذلك بناؤنا مصر يون
وقد خدم السعد الخليفة في أول حكمه حيث قامت رجاله ببحر بوب تد كرفي سيدل المهدي مستبسلين
عن غير دينية واعتقاد راسخ اه ومن أشهر حوادث هذه المدة ان ولدا النجومي وهو من أشهر قواد
الدر اويش سارا الى سنار بأمر التعاشي ففتحها (أغسطس ١٨٨٥) وكان على حصارها الامير
عبد الكريم وهو من أقارب المهدي فدفعته حاميتها فلما فقت وعاد مع ولدا النجومي الى أم درمان
(سبتمبر) عزله الخليفة عن قيادة الجنود السودانية وجعلها تحت إمرة اخيه الامير يعقوب لانه
نسب الى عبد الكريم الخيانة في حرب سنار وزجه في السجن مكبلا في الحديد فبقى فيه حتى مات
(٢٥ ديسمبر ١٨٨٦) ومنها تسليم حامية كسلا الى الدر اويش وكانوا محاصرين لها كما مر فقتلوا
الكثيرين من حاميتها وأرسلوا مناسنة آلاف جمل محملة بالاموال والارزاق الى أم درمان وقلد
التعاشي كلامن ولدا النجومي وعمان دقنه ومحمد الخير وأبو عتجر رتبة أمير الامراء وبعث الاول
على إمارة بربر ودنقله والامير أباجر جاعلى إمارة كسلا وجعل عثمان دقنه أميراعلى شرق السودان
وفي تلك الاثناء تعدى بعض السودانيين على الاحباش وأخربوا كنيسة من كنائسهم ثم التجؤا الى
القلبات بعد ان أسرا الاحباش منهم عدة والبالغ الخليفة التعاشي ذلك أرسل مكتوبا الى يوحنا
نجاشي الحبشة يطلب منه إعادة الاسرى وتعيين مقدار الفدية التي يريد اعانهم وبعث في نفس ذلك
الزمن قوتن الدر اويش مع الامير بونس الى القلبات وأمره أن يحصنها الترد الاحباش ان قصدوها
بسوء ثم ظهر بعد ذلك بالقلبات رجل ادعى النبوة وسمى نفسه بالمسيح عيسى والتف عليه خلق
كثير فتضايق الامير بونس وبلغ الخبر التعاشي فأمر الامير أبو عتجر وهو من أكبر القواد لان
جيشه كان يتألف من ١٥,٠٠٠ من حملة البنادق و ٤٥,٠٠٠ من حملة الرماح والتبال و ٨٠,٠٠٠
فارس بقتال ذلك الرجل ومحاربه الاحباش فلما وصلها مع فرقة من جموعه قبض على عدة أمراء
اظهروا ثامرهم على قتل بونس ثم أمره الخليفة بقتلهم فقتلهم

وبعد ان أعاد أبو عتجر السكينة في القلبات سار بجيشه نحو رأس عادل من أمراء الحبشة
وقهره في واقعة حصلت بينهما واستولى على مهمات الاحباش وذخائرهم وأسر زوجته رأس
عادل المذكور وابنته وفتح مقاطعة أشمره واستولى على غندار وأحرقها وعاد الى القلبات ظافرا
بالسبايا والغنائم وبعثها الى أم درمان وأمره التعاشي أن يزيد في حصون القلبات فائلا انه رأى
في منامه انه يحارب الاحباش ولكن المنية عاجلت أباعنجر فمات وعمره لا يتجاوز ٣٢ سنة وخلفه
الامير زكي طومال وكان النجاشي يوحنا ملك الحبشة لما بلغه خبر تعدى الدر اويش على بلاده سار

بجيش عظيم الى القلبات للانتقام فلما وصلها قسم جيشه الى فرقتين وهجم على المدينة من جهتين فاستولى على جهة منها وأخذ يفتك بأهلها ويجمع الغنائم أما القسم الآخر فكان يهاجم الحصون وفي خلالها أصيب ملك الحبشة برصاصة فقتل (٩ مارس ١٨٨٩) فدارت الدائرة على الاحباش وتقهقر واوعسكروا على مسافة نصف يوم من القلبات ولكن الدراويش تبعوهم وباغتوهم هناك فهربوا وتركوا متاعهم للدراويش فغنموه ووجدوا من جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا وهو مصنوع من الفضة محلى بالذهب وسيفه وكبا من سلا اليه من ملكة الانكليز والمعاهدة التي كان عقدها معه الاميرال هيوت ومازون بك فحملوا كل ذلك غنيمته الى أم درمان وقد ذكر الكونت استانولى في تقريره تفاصيل هذه الواقعة فقال انها حدثت في المتمى فى ١٠ مارس ١٨٨٩ بين الدراويش والاحباش وقد سقط النجاشي يوحنا فيها جرحا يجرح خطر وهو يتقدم عسكره لاغتصاب القلعة التي شيدها الدراويش هناك وقال انه قد خيم يومئذ ضباب كثيف مكن الدراويش من قتل كثير من الحبشان أما النجاشي فقد نقل الى معسكره ثم مات فى اليوم الثانى وان الدراويش فى ليلة ١٢ الشهر المذكور جعلوا على مضارب الحبشان فقتلوا كل من فيها ولم يبقوا على أحد وان الملك منليك ملك شوه لما بلغه هذا الخبر تقدم بقسم من جنوده فاحتل احدى مدائن الحبشة ثم انضم اليه خلق كثير حتى بلغ عدد جنوده ١٣٠٠٠٠ مقاتل وعند ذلك نادى بنفسه ملكا وزحف بجيشه الى احدى مدائن الحبشة المقدسة ليمتوج فيها ثم أرسل كتابا الى ملك ايطاليا يخبره فيه بموت النجاشي وبكل ماجرى وبانه عازم على ارسال بعثة اليه الى رومة لتقديم عبارات المودة بالنيابة عنه هذا أما النجاشي فقد نجح فى قمع الثورات الداخلية والايقاع بالثائرين فى كل مكان وفى ١٩ ابريل سنة ١٨٨٧ تخلف حسين بك البهنساوى احمدا الضباط المصريين وكان فى اسر الدراويش وحضر الى سواكن عن طريق الحبشة ولما كان اميراعلى الاى الخامس وحكمدارا لخط النار فى حصار الخرطوم اتهم بأنه قصر فى الدفاع اوله يد فى سقوط الخرطوم فشككت نظارة الحربية بعصر مجلسا عسكريا لبحثه فظهرت براعته مما نسب اليه وبذلك رتبوا له معاشا

واقعة سرس دوحادث سواكن - بلغ شرمسايد باشا قومندان الحدود (٢٧ ابريل سنة ١٨٨٧) بأن قوة من الدراويش وصلت الى سرس يقودها امير يدعى نورالكتري فسار اليها بفرقة مؤلفة من خمسمائة مقاتل فهزم نورالمدكور وقتل فى الواقعة وبعد ذلك عامر دشمسايد باشا الى مصر وتعين مكانه هولدمت باشا (٢٣ مايو ١٨٨٧) وفى شهر أغسطس من هذه السنة قتل المهديون صالح بك شيخ قبيلة البكباشى فى جهات آبار المحس وفى شهر اكتوبر حصلت بعض وقائع صغيرة بين فرقة مصرية كان يقودها ودهوس باشا وبين المهديين بالقرب من عبكة وفى ١٦ ابريل سنة ١٨٨٨ عين ودهوس باشا محافظا للمديرية الحدودية وقومندان للجيش فيها أما من خصوص سواكن فانه لما كان كشنر باشا محافظا وقائدا للعساكرها تجتمع الدراويش تحت قيادة عثمان دقنسه فى جهات هندوب وقصدوا مهاجمة سواكن فسار اليهم بفرقة مصرية وناوهم القتال (١٧ يناير سنة ١٨٨٨) ولقى منهم مقاومة عنيفة وأصيب بجرح بالغ اضطره للعودة الى مصر للعلاج ولذلك عادت الفرقة المذكورة ولم تنل من خصمها ما تبتغى

ولما خيف من بطش عثمان دقنه بسوا كن ولها شرع المصريون في اقامة الحصون حول سوا كن وفي
 أثناء ذلك حصل قتال بين المهديين والمصريين قتل فيه الكولونيل تاب (W. R. Tapp) قومندان
 الاورطة الثالثة المصرية (٤ مارس) وبعض العساكر ولما شفي الجنرال كشنر باشا من
 بجراحه عاد لمركزه في سوا كن (١٤ مارس) وكانت المداولة في خلالها حاصله بين الو كالة
 البريطانية والجنرال دورمر (J. C. Dormer) قائد جيش الاحتلال والجنرال السير غرنفل باشا
 سردار الجيش المصري بخصوص اخلاء سوا كن لاشتداد أمر المهديين الذين شرعوا في حصارها
 وبعدهم دولات افر وابلزوم حفظها وتعين الكولونيل هولدميث باشا قومنداننا ومحافظا لجهاتها
 (١٣ سبتمبر ١٨٨٨) بدلا عن الجنرال كشنر باشا الذي دعي الى مصر وعين ادجوتانت جنرال
 للجيش المصري بدلا عن بار باشا المستعفي وكان المهديون قد تحصنوا بالخنادق المنيعة حول سوا كن
 تحت امره عثمان دقنه ولما خرج بعض الفرسان المصريين لاجراء الاكتشافات اطلق عليهم
 المهديون وعلى سوا كن المدافع والبنادق بشدة حتى اضطر والعودة بعد ان قتل بعضهم فطلب
 هولدميث باشا التجدة من مصر ولما كان الجيش المصري يومئذ لا يتجاوز زعدده ٩٤٠٩
 جنود طلب السردار من الحكومة زيادة عدده فوافقت على ابلاغه ١٢٠٩٥ مقاتلا وبذلك
 تيسر له امداد سوا كن بثلاث اورط سافرت اليها من أسوان عن طريق القصير وأرسل الانجليز اليها
 ايضا فرقة من جنودهم (ديسمبر ١٨٨٨) ولما وصل السردار الجنرال غرنفل باشا الى
 سوا كن بعث بالكشافين تحت قيادة الجنرال كشنر باشا لاستطلاع أحوال عثمان دقنه وجيشه
 ثم قاد الجنرال غرنفل الجيش بنفسه وهاجم الدراويش الذين كانوا متحصنين على مسافة قريبة من
 الطابية المسماة بالجيزة فأخرجهم منها بعد ان دافعوا دفاع الاسود وتعرف هذه الواقعة بواقعة الجيزة
 (٢٠ ديسمبر) وكان يساعد العساكر المصرية والانجليزية في هذه الواقعة عدة بواخر انجليزية
 من أسطول البحر المتوسط كانت راسية في داخل الميناو بلغت خسارة المهديين ٥٠٠ قتيل
 ولم يبق من الجيش الانكليزي والمصري سوى ستة أنفار وبلغت جرحاهما ٤٢ جريحا ثم
 زادت الحامية الحصون حول سوا كن خوفا عليها ثم عاد الجنرال غرنفل مع الجيش الانكليزي
 (٤ يناير سنة ١٨٨٩) بعد اجراء الاكتشافات الحربية على السواحل أما الجنرال كشنر باشا
 فانه بعد ان تم بناء الطوابي المسماة منصور وهاشين وطماي عاد أيضا (٢٥ يناير ١٨٨٩) ثم
 حضر الى سوا كن مشايخ قبائل الهلايب وهم من البدو والمخالفين للحكومة المصرية وطلبوا من
 هولدميث باشا المساعدة ضد الثوار فأعطاهم سلاحا ثم اشتد عيث المهديين حول سوا كن وضد
 من والى مصر من القبائل فانضم عربان الهدندوة والقواعصة فسد من خرج على الحكومة من
 البدو وأظهر مشايخهم في سوا كن رغبتهم في ذلك وحصلت بينهم وبين الثوار عدة مقاتلات كانت
 الحرب فيها سجالا ثم سافر عثمان دقنه (١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٩) من طوكرا الى أم درمان وأتاب
 عنه أمير ادي أبو جريجر فكان سفر دقنه فرصة مناسبة لمصر حيث قاد هولدميث باشا العساكر
 المصرية وهجس على الدراويش في طوكرا فأجلاهم عنها واحتلتها العساكر المصرية وبينما كانت
 تلك الحوادث تجري في جهات سوا كن ظهر ولد التجومي في الحدود بجلقا

حوادث ولد النجومي وواقعة طوشكي - اعلم أن التعايشي لما انتصر في كثير من حروب مع المصريين والانجليز تاقت نفسه الى فتح القطر المصري وتولاه الغرور والى حدانه أرسل ثلاثة مكاتيب مع رسله أحدها مولانا السلطان والثاني للملكة الانكليزية والثالث لخد يوم مصر يدعوهم جميعا الى التسليم والاذعان لسلطانه ولما استشار بعض رجاله (أوائل ١٨٨٩) بخصوص البحر يدعى مصر وصفوها له ووصفوا له القاهرة وقصورها وغياضها وأموالها فتاقت نفسه الى فتحها واختار لهذا الفتح عبد الرحمن ولد النجومي لشهرته بالمهارة والاقدام ثم جهزه بجيش جده من الجعليين والذناقله ممن جاورا واحد ومصر وجعلت دنقله مركزا لحركة هذا الجيش وجعل يونس ولد الدغيم أميراً على دنقله ثم بعث كتاباً آخر الى مصر فيه الاذكار والوعيد وبعث برأس النجاشي يوحنا الى يونس أمير دنقله على أن يرسلها الى وادي حلفا تهديد المصريين وأمر ولد النجومي بالزحف على مصر فخرج من دنقله ومعه ٨٠٠٠ مقاتل وفي ٢٢ يونيو من سنة ١٨٨٩ وصل الى سرس فانضم اليه الامير عبد الحليم بجموعه وما زال يتقدم نحو الشمال حتى تلاقى مع الجيوش المصرية المعشكرة على الحدود وكان يقودها ودهوس باشا وحدثت بين الجيشين مقاتلة صغيرة ببلدة ارجيلين وهي على ثلاثة أميال الى الشمال من حلفا (٢٠ يوليو ١٨٨٩) كان الفوز فيها للمصريين ولما تم للسردار نقل الجيش الى الحدود وسافر مع أركان حربه وسافرت أيضا بعض فرق جيش الاحتلال الى أسوان وكان ولد النجومي لا يزال يتقدم مع جموعه وكتب اليه السردار يدعوه الى التسليم فأجابته بالرفض وقسم السردار الجيش الى قسمين جعل معظمه يسير على البر الغربي للنيل والآخر على البر الشرقي وكان ولد النجومي يسير بجيشه على البر الغربي وتناوش الطرفان مرارا ثم وصل السردار الى طوشكي وهي قرية صغيرة على البر الشرقي بين كروسكو وحلفا على بضعة أميال من هيكل أبي سمبل شمالا وفي صباح ٣ أغسطس سنة ١٨٨٩ بعث طلّاعه للاكتشاف ولم تكده هذه الطلائع تشرف على معسكر الدراويش حتى رأوهم هاجمين كالجراد فتقدم السردار بالجيش وكان قد علم بما عليه جوع ولد النجومي من الجوع والعطش فانتشب القتال بينه وبينهم ولم تمض ساعات حتى انهزم الدراويش بعد ان قتل منهم نحو ١٢٠٠ وأسروهم نحو ٤٠٠٠ بينهم كثير من النساء والاولاد وغنم المصريون أعلامهم وسبيو فهدمهم ورماحهم وأشياء كثيرة من ذخائرهم وكان بين قتلاهم ولد النجومي نفسه وعدة من أمرائهم وهرب عثمان الازرق وعلى ولد سعد وحسن النجومي وميرغني سوار الذهب وغيرهم من الامراء ولم يبق للجيش المصري سوى ٢٥ قبيلة وكانت جرحاه ١٤٠ جريحاً وأرسل السردار بتاريخ ٤ أغسطس سنة ٨٩ يصف هذا القتال من أوله الى آخره وصفامطولا وقد أوردناه هنا التمام الفائدة قال بناء على نتيجة الاستكشاف الذي عمل يوم ٢ الجاري بمعرفة البكاشي بيتش أمرت جميع العساكر الراكبة تحت قيادة اللوا كنشرباشا بعمل الاستكشاف يخرجون لاجله من توشكي في صباح يوم ٧ الجاري وتوجهت بنفسى معهم معجوبا بأركان حربي وكان الغرض من ذلك اظهار قوة امام العدو وقطع المواصله بينه وبين كشافيه للوقوف على أخباره ومعرفة ما اذا كان معسكر النجومي باقيا في المكان الذي كان فيه فلما صرنا على مقر بن من الدراويش ضبطنا بعض الهجانه فعلمنا منهم بأن النجومي قام في ذلك الوقت قاصدا جهة الشمال وحقيقة بعد برهة وجدنا العدو في حالة السير فلما أحس بنا

تقدمت رجاله المسلحة بالبندق الى الامام وأطلقت النار على السوارى فأمرت اللوا كئشتر باشا بسحب السوارى خلف تل صغير واقع على مسافة نصف ميل من شمال معسكر العدو وترتيب خط نار من الهجانة وهم وقوف على أقدامهم ثم استولينا على نقطة ثانية مع الامل في جذب العدو لجهة الشمال ولكننا تركناها بعد ذلك ونبأنا نقطة أخرى خلفها على مسافة تسعمائة ياردة من جهة الشمال ولما تباع من تقدم العدو بقوة أرسلت الى توشكى طالباً بحضور الفرقة الاولى من البيادة المؤلفة من الاورط السودانية التاسعة والعاشر والثالثة عشرة ومدفعين من الطوبجية السوارى وقد استمر اطلاق النار من السوارى والهجانة وهم على أقدامهم على شرخه جيسة الدراويش وكان الدراويش يقوونهم بالتدريج وفي الساعة ثمانية ونصف صباحاً رزت رجال العدو المسلحة بالحرب في قوة كبرى من مضيقين في الجهة الشمالية من المعسكر رافعين عدداً كثيراً من الرايات فاحتشدوا خلف شرخه جيتهم ثم تقدموا بسرعة فالتمسنا بالانسحاب الى الورا وحل العدو سريعاً في نقطتنا التي تركناها فتمبأنا نقطة أخرى تحت تل واقع على بعد ميلين تقريباً من الجهة القبليّة الغربية من توشكى وكان العدو مستمر على التقدم علينا بنشاط ولكن في الساعة التاسعة وصل مدفعان من الطوبجية السوارى فأوقفت نيرانهما تقدم العدو وحولت بالتدريج خط سيره الى الشمال الغربي فمرت قوته جميعها من امامنا على مسافة نحو ألفي ياردة في جمع كثيف ولم تزل الطوبجية تلتقي عليه نيرانها بتأثير كلى وقد لاحظنا وقتها انه في ظل تقدم العدو كان جم غفير من توابع معسكره ووجهة جمال سائرين الى المرتفعات من الجهة الشمالية الغربية واختفوا سريعاً عن العيان فانضح لنا من ذلك أن العدو لا بد أنه كان قاصداً جهة ابريم لضرب خيامه فيها فأرسلت عند ذلك الى توشكى طالباً بحضور الفرقة الثانية من البيادة المؤلفة من الاورط المصرية الاولى والثانية والاورط الحادية عشرة السودانية وبطارية الميدان الثانية المصرية ثم ضمت الفرقتان مقدماً مع بعضهما وجعلنا تحت قيادة اللوا ودهاوس باشا ومعهم بصنفة قومندان للفرقة الاولى القائم مقام هنتر بك وبعدها دعوت اللوا كئشتر باشا الى تحريك العساكر الراكبة خيولاً مقدمة العدو وللممكن من فرقته الكبرى اذاً كانت مستمرة على السير الى جهة الشمال تحت حماية المسلحين منهم بالبندق والحرب فاستولى الباشا المشار اليه بالتعاقب على عدة نقاط في الجهة اليمنى القصوى وبهذه الكيفية نجح في اتمام المقصود لانه أوقف سير الدراويش وكانت فرقتنا الاولى البيادة قد وصلت في الساعة العاشرة صباحاً وحلت في النقطة التي كانت موجودة من قبلها فيها الطوبجية والسوارى والهجانة كل منهما على أقدامه وهذه النقطة عبارة عن سلسلة أجمات صخرية على بضعة أربعمائة ميل من النيل وشاغلة سطح ألفي ياردة من الشمال الى الجنوب تقريباً وفي أثناء ذلك كان رجال الدراويش المتسلحون بالبندق والحرب قد استولوا على بعض تلال صخرية مقابل نقطتنا وعلى مسافة ثمانمائة ياردة من فتقوا فيها أسرى وعاوروا عدداً وافراً من الرايات فوق هذه التلال التي كانت قد امتلأت رؤسها بالذين بيدهم بندق ومن خلفهم احتشد الذين معهم الحرب فرغبة في اعدام جناحهم الايسر بالنار أمرت اللوا ودهاوس باشا بملاحقة البيادة الى اليمين فما كاد رجالهم المتسلحون بالحرب يرون امة قد ادخلت الاورط التاسعة حتى أسرعوا تحت قيادة الامير عبد الحليم بالهجوم في قوة عظيمة على الجهة اليمنى من نقطتنا فتقدموا بعزم واحد لكنهم قتلوا عن بكره أربعمائة ياردة

تحت قومه - دانية القائمقام لو يدبك فبعدان أمددت الاورطة نفسها بابلوك من الاورطة الثانية
 برئاسة البكباشى من تيرامرتها بالتقدم وتبوء وجهه اليسار من نقطة الدراويش وأمرت في الوقت
 نفسه جميع العساكر بالتقدم في آن واحد مع توجه الجناحين الى الامام بالسرعة للاحاطة بباقي
 النقطة فهجمت الاورطة العاشرة السودانية بنيات واقدام تحت قيادة القائمقام رون بك على القلب
 وطردت الدراويش من المرتفعات ثم حملتهم خسائر جسيمة عند تفهقرهم من الجهة التي كانوا محتمين
 فيها وراه التل واستوت على عدد كبير من راياتهم أمام عين الاعداء الافقي وهو عبارة عن تل منفرد
 فهجمت عليه الاورطة الثالثة عشرة السودانية وقد كان عدد الدراويش حاملي البنادق في تلك
 الجهة بالغاحدا كبيرا حتى انه ترتب على ذلك انخذال وقتي فقتل من الاورطة اثنا عشر عسكريا
 وجرح منها ثلاثة وخسرون في بضع دقائق فأظهر القائمقام كسرت عند ذلك من الشجاعة ما استنض
 به همه رجاله فالتحموا جساميهم مع الدراويش فهجم عليهم هؤلاء امرارا عديدة بشجاعة
 القنوط وقد رأينا عندها أن معظم قوة الدراويش كانت منحصرة في هذه الجهة والقلب وقد قتل
 منها ما كثر أعظم أمراء البقارة والجليلين ووجدنا جث عبد الحليم وواد جباره ومكين وغيرهم من
 الامراء اتضحت لنا حقيقة قتلهم فيما بعد ووجدنا أيضا وراء الجهة اليسرى من قلب نقطة الدراويش
 ما ينيف عن الالف منهم موتي وقد كان للطوبجية المجتمعة تحت قيادة الميرالاي رندل بك والاورطة
 الاولى المصرية تحت امره القائمقام كولس بك والاورطة الثانية المصرية تحت قيادة القائمقام
 شكسبير بك والاورطة الحادية عشرة السودانية وقائدها القائمقام ليدمكدونلديك اليد الطولى في
 المساعدة ما ديا على الاستيلاء على يسار نقطة الدراويش وذلك بالقاء النيران المتتابعة على مجموع
 الدراويش التي كانت محشودة من الخلف وقد انضمت الاورطة الاولى الى الاورطة الثالثة عشرة
 عند الهجوم الانتهاء على هذه النقطة واستوليا فيها على أكثر من ثلاثين راية وقد كانت القيادة
 في هذا الهجوم بيد القائمقام هنتر بك فجرح بحربة في ذراعه عند التحام الفريقين بدأ يسد على قة
 التل وفي أثناء هذه الحركات كانت السوارى والهجانة على عين خطنا تمنعان نيرانهما الدراويش
 من ارسال المدد الى نقطتهم الاولى أو الهجوم علينا من الجنب فلما رأى الدراويش اننا استولينا
 على نقطتهم الاولى تفهقروا في وسط سهل واسع قاصدين أرضا مرفعة في جهة الغرب وفي تلك
 اللحظة كان ولد النجومي را بكا حصانا ومجته في جمع شمل دراويش المتفرقين فأشار الى عليه أحد
 الاسرى فأمرت ألاى الهوسار تحت قيادة القائمقام أرون والسوارى المصرية تحت قومندانية
 البكباشى بيتش بالهجوم عليهم وفي الوقت نفسه تقدمت الهجانة بسرعة وأطلقت النار من قريب
 على جناح العدو المتفهقر وكذلك تقدمت الطوبجية السوارى الى اليسار بحركة تدرت نعل حتى
 وقفت على مسافة مرمى الصلقوم وقد كان الدراويش وصلوا عندها بعد قليل من الرايات الى
 الحلول في نقطة أخرى قوية غربي نقطتهم الاولى وعلى مسافة ألقى ردهمنا أى في الجهة التي كنا
 شاهدنا نوابع المعسكر وجمال الحملة ذاهبين اليها في ابتداء الواقعة وفي الظهر أمرت الاورطة الحادية
 عشرة السودانية وعلى جناحها الاورطتين المصريتين الاولى والثانية وأسندتهما بالاورطتين
 السودانيتين العاشرة والثالثة عشرة والاورطة التاسعة السودانية على الجناح الايمن من الخلف
 بالتقدم على هذه النقطة وقد كانت الطوبجية قد ضربت بها من قبل بما دفعها فتقدمت الاورطة

الحادية عشرة بغاية الثبات على نقرة طبولها وصوت بوريه اولكن الدراويش قد كانوا تكبدوا كثيرا فلذا لم يدوا الامعارضة خفيفة ثم فروا هاريين من التلال سر يعاقتبعتم السوارى المصرية بعد ما دارت من جهة الجناح اليمين ولما وصلنا الى المرتفعات وجدنا معسكر العدو في الجهة المنخفضة تحتها فاستولينا عليه وعلى كية وافرقة من الطبول والخراب والسيوف والسروج والزرز ولوازم الخيام وغيرها بعد قتل عددهم من الدراويش داخل المعسكر وخارجه

أما بقية قوة الدراويش ففرت متقهرة الى جهة الجنوب الغربى واقتفت السوارى آثارها في الصحراء على مسافة أكثر من ثمانية أميال من توشكى فلما رأيت الخيل قد هلكت تعبوا والعساكر وهنت عزائمهم مما عتراه من المشقة والعطش في هذا اليوم الطويل الذى أبلوا فيه بلاء حسنا أمرت بايقافهم عن اقتفاء أثر العدو في الساعة الثانية بعد الظهر وقبل ذلك رأيت السوارى بجلا محلا يحاول الهروب وحوله نحو العشرين درويش حافظن في الاول انه حامل مدفعه فاطلقت السوارى المصرية النار عليه وبان من كان حوله فولوا من نار السوارى الذين على أقدمهم فتقدم هؤلاء اليه ولما صاروا على مقربة منه بيضعة بردات نهض الدراويش بسرعة وهجموا عليه ثم بعزم أكيد فجرحوا بعضاهم ولكنهم قتلوا عن آخرهم فأتضح بعدها ان الجبل كان حاملا لجنسة ولد النجوى وكانه لازموه أى حراسه جمعوا شملهم حوله وماوا عليه فحى بجنته الى المعسكر وتحقق هنالك معرفته بواسطة كثير من قبيلته نفسها ثم عادت جميع العساكر الى المعسكر فوصلوا اليه في الساعة الخامسة بعد الظهر وقد قتل في هذه الواقعة من الدراويش ألف وخمسمائة رجل وأسروا منهم أكثر من ثلاثة آلاف وفيهم عدة من الجرحى اه

ولما بلغ خبر هذا النصر الخديو المرحوم محمد توفيق باشا بعث الى السردار يهنئه بكتاب رفيع العبارة وأوردنا صورته بأسفل العمدة (١) وبعد انتهاء القتال جمع السردار قتلى هذه الواقعة من

(١) سعادتو باشا حضر تلى

ليس يخاف على دوايتكم ياسردار العزيز ان أهم ما يتضر به الانسان في هذا العالم هو الذكر الجليل على العمل الجليل وأدى ذكر أجمل مما يكتب في ارضاء عنان البسالة وتثبيت قدم الشجاعة ومديده الغير وحفظ حدا الحمية لقمع العدو ودفع الصائل وردع الباغى وصدع المتعدى وقد علمت من اطلاقى على تقرير سعادتكم حرفيا مع ما عرضة على مسامعنا شقاها حاضرة البكاشى على بك حيدر المهود اليه رفع ذلك التقرير الينا أنكم والله الحمد ناتم كل هذه المزايا المحترمة في واقعة توشكى التى جرت في يوم ٣ أغسطس سنة ٨٩ حتى فزعتم بفسر لواء النصر وبسط بسط القوز كما علمت أيضا انه اشترك في يل تلك المزايا مع سعادتكم جميع من كانوا مشمولين بقيادةكم العامة من الامراء العسكرية والضباط الكرام والعظام ومن دونهم الى النفر من الافراد العسكرية المصرية والانكليزية (وأخص منهم الاى الهوسار الذى مديده المساعدة لعاكرونا المصرية هذه المرة أيضا كما حصل منه في سواكن) وغيرهم من القسم الطبى والملكى من الذين تزين التقرير بضمين بيان أسمائهم فضلا عما سبقتين به من صحف التاريخ وحيث أوجب كل ذلك عندى من السرور والانتراح والشكر والارتيلج أضعاف ما حصل عند تلقى الاخبار التلغرافية التى وردت قبل مع القيام بواجب الحمد والشكرتته من وجبل على منة السلامة ومنحة النصر قد حررت هذه السعادتكم بصورة خصوصية تقدير المابذلتهم من جزيل الصداقة وجميل الهمة وانى أتى التناء الجليل على رجال الجيش الكرام الذين قاموا بواجباتهم المحترمة حتى القيام مؤاملا من همتمكم بتبليغ ذلك اليهم على الافراد وانى أسأل الله تعالى أن يوفى قنادا وما لما فيه خير البلاد آمين هـ

الجنود المصرية وجعلهم في مدفن واحد بنوا فوقه بناء نقشوا عليه باللغة العربية حفر ما يأتي
(شيد هذا الأثر تذكرا لواقعة طوشكي التي حصلت في ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهم فيها
جيش العصاة السوداني المرسل تحت امره عبد الرحمن ولد النجومي فتشتبوا بعد قتل أميرهم وكان
الجيش المصري تحت قيادة سعادة سردار غرنقل باشا وفي هذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية
الذين استشهدوا وهم بالمسدان) وقد كانت هذه الهزيمة الضربة القاضية على نفوذ التعايشي
وتعاظمه بالسودان وقال سلاتين باشا في كتابه ما ملخصه ان نجح ساعد التعايشي مال الى الافول
بعد واقعة طوشكي مع الجيش المصري التي قتل فيها اولاد النجومي والاهراء الذين معه وألوف من
رجالهم وأسرى من بقي منهم وبلغ عدد القتلى والجرحى والاسرى ستة عشر ألفا ثم واقعة طوكو التي
دحر فيها عثمان دقنه وغير ذلك ويظهر أن غرض الخليفة الآن الاحتفاظ بما عنده وأخذ يوصي
أمره أن يلزموا خطة الدفاع ٥١ ولما سار الخديو محمد توفيق باشا سياحته الثانية (١٨٩٠ م)
في الوجه القبلي لتفقد أحوال الاهالي أرخى لسياحته العنان حتى باغ وادي حلفا فعاين معاقلها
وحصونها واستعرض الحامية فسر من نظامها وركب الى مكان واقعة طوشكي ووقف أمام قبر
شهداءها يتأمل ما أظهر جنده من المسألة في ذلك القتال الذي كان فاتحة النجاح للمصريين وخذلان
الدرابيش حيث عرفوا به قدرهم ووقفوا عند حدهم

وفاة الخديو محمد توفيق باشا - كان رحمه الله قبل أن يعرض صحيح الجسم قوى البنية

ظاهر الصحة ثم اعترته ليله الجمعة أول جدي الثانية من سنة ١٣٠٩ (يناير ١٨٩٢) قشعريرة
فاشتكى الى طبيبيه الخصوصيين وهما عيسى جدي باشا وسالم سالم باشا فأشارا عليه بملازمة
مخدعه وقررا بأنه أصيب بعرض كان انتشر اذذاك ويعرف بالترلة الوافدة وبعد أربعة أيام أحس
بالعافية وأراد النهوض من المخدع الى خارج قصره بمحلولان فأشير عليه بالبقاء حتى يحصل على كمال
الشفاء وقد رآه أن فاجأه النكسة في اليوم الخامس ولما اشتد عليه المرض قلق أطباؤه واستدعوا
آخرين وهم الدكتور كومانوس بك والدكتور هيس فلما عاينا حالة المرض أثناعلى الفورانه
مصاب بذات الرئة على اثر تلك التربة الشديدة وان حالته خطرة فاجتمع الوزراء والامراء والاعيان
بالقصر كل ذلك وأغلب الناس لا يدرون بما هو حاصل لاميرهم ثم اشتد به المرض كثيرا ولم تمض
الساعة السابعة وربع من مساء يوم الخميس السابع من شهر يناير حتى فارق هذه الدنيا وفي الحال
انتشر نعي الفقيه في أطراف القطر وسارت به الاسلاك البرقية الى عواصم البلاد الاجنبية وأعلن
رئيس النظاردولتنا العلية العثمانية بذلك واستدعى ولي عهد الخديوية المصرية جناب الخديو
الحالي عباس حلمي باشا الثاني أطال الله بقاءه وكان في وينا عاصمة النمسا يتلقى دروسه هو وشقيقه
الامير محمد علي باشا وورد منه على رئيس النظار خبير بالبرق يمدى فيه شديدا حزنه وانه على أهبة الحضور
ويوصيه بالسهر على أعمال الحكومة (١) ووردت أيضا رسالة برقية من الصدر الاعظم جواد باشا

(١) ان خبر وفاة سيدى ووالدى قد أدهشنى وهذا مصاب عظيم ليس بالنسبة لعائلتى وحدها بل بالنسبة لجميع القطر
المصرى أيضا فتنى وصلتني منكم الاخبار الا كبدت عن الواجب الذى يصير تخضير فى تربيته أسافر بلا تأخير وأخبركم
بالتغراف عن ساعة السفر وانى على يقين من أن الاعمال تستمر سائرة الى حين وصولى على أحسن محاور بهمة عطو فتكم
ورفتائكم ٨ يناير سنة ١٨٩٢ محكم عباس

بما صدرت به الارادة السلطانية في ذلك (١) ثم تقاطر الناس من كل الجهات ونكست الاعلام في الشكنات ودور القناصل وبقى الاماكن ايدانا بالحداد وقررت هيئة الحكومة طريقة احتفال تشييع الجنازة وان تكون من سراى عابدين بعد ان تنقل من حلوان ثم سارت الجنازة في منتصف الساعة التاسعة عريية من يوم الجمعة باحتفال عظيم جدا سارت فيه الجيوش وأرباب الرتب وذوو الصفات من ملكيين وعسكريين وأجانب بهيئاتهم وصفاتهم الرسمية وكانت عساكر جيش الاحتلال مصطفة على الجانبين من السراى الى آخر طريق العقيقى وبعد ان صلى على الفقيد في مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه سار وابه حتى واروه التراب رحمه الله رحمة واسعة وكان رحمه الله رحيمًا بالامة ورفًا كرمها على الرعية حميد السجيا كرم الطوية سليم الثبة محبا لذوى قرابته وعائلته كثير الحلم تقيا شهيد وأصلح كثير من المساجد والجوامع وعنى بتشييد أركان الدين وتقويم دعائمه وأصلح حالة الاوقاف الخيرية والاهلية وغير ذلك مما مبرك من أعماله وهو الذى جعل مصلحة الاوقاف ادارة خاصة تابعة له رأسا خوفا عليها من عبث بصيها وفصل ناظرها من هيئة النظار وأصدر بذلك أمرا عاليا لرئيس النظار بتاريخ ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٠١ (٢٣ يناير ١٨٨٤) وقد أوردناه بأسفل الصحيفة (٢)

(خديو نا الحالى عباس حلى الثانى أدام الله أيامه ١٨٩٢)

هو الامير الخليل والشهم النبيل عباس حلى باشا الثانى ابن المرحوم محمد توفيق باشا ابن المرحوم اسمعيل باشا ابن المرحوم ابراهيم باشا ابن المرحوم محمد على باشا الاكبر كانت ولادته في غرة جمادى الآخرة من سنة ١٢٩٢ (١٤ يولييه ١٨٧٤) وبعد ان أتم دروسه الابتدائية بمدرسة الاحراء الخصوصية بمصر أرسله المرحوم والده الى بلاد السويداء ليلتحق بها الا ولاد الامراء والكبراء وبينما كان مشتغلا بدروسه بمعاهد فيه من النشاط والاهتمام أناه هذا النبأ المحزن فسارع بعودته هو وحاشيته الى مصر هذا ولما وصل تلغراف الصدر الاعظم جواد باشا الى صاحب العطفوة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار بعث تغرا نا باشا ناظر الخارجية الى كافة وكلاء الدول السياسيين فى القطر المصرى يعلمهم بتبوي الخديو واقدنا المعظم عباس حلى باشا الاريكة الخديوية (الست ٩ يناير

(١) بناء على ما عرضنا على الحضرة الشاهانية بأنه من مقتضى فرمان ورائه الخديوية المصرية قد آلت الخديوية الى حضرة عباس حلى باشا كبر اولاد المرحوم محمد توفيق باشا وانه حين ما يصل حضرته الى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة عطفوتكم بالاشتراك مع هيئة المظار قد صدرت الارادة بذلك فلزم الاخطار ٨ يناير سنة ١٨٩٢

جواد صدرا عظم

(٢) حيث ان الاوقاف لا يتخلوا بحال فيها عن ثلاثة أنواع أى ما أن تكون خيرية بمغضة أو مشتركة بين خيرية وأهلية أو أهلية فقط وبانقراض مستحقها تسير خيرية وفى كل هذه الأنواع من الوجوب أن تكون الاحكام المختصة بمسائلها بالتطبيق للاحكام الشرعية وبذلك المناسبة لاتعلق لها ولا ارتباط بالنظارات الموكول لمساوية الامور الادارية والسياسية كاتقدم حصول المداولة مع دولتكم بهذا الشأن وبناء عليه اقتضت ارادتنا أن نجعل ادارتها قائمة بذاتها غير تابعة لنظارة من النظارات والوامر التى تصدر عن شؤونها يصير تاقيمها مباشرة من لدنا والذى يتعين لادارتها يسمى مديروم الاوقاف وقد عيننا محمدر كى باشا لهذه الوظيفة وصدرا له امر نافي تاريخه بما يلزم اجراءه وأصدرنا هذا الدولتكم العلموية

محمد توفيق

(١٨٩٢) بكتاب متحد المعنى والعبارة أوردنا صورته بأسفل الصحيفة (١) وكان سمو العز بزبارح مينار يسته على باخرة مسوية وصلت الى ميناء الاسكندرية في صباح يوم السبت الموافق ١٦ من شهر يناير وبصحبته شقيقه الامير محمد على وكان في انتظاره بالميناء أربع بوارج حربية انجليزية حيثه باطلاق المدافع ونشر الرايات وحيثه كذلك جميع السفن الراسية في الميناء وكان بانتظاره على رصيف الميناء أمراء العائلة الخديوية والوزراء ووكلاء الموظفين والبارون هيدلر قنصل جنرال النمسا والمجر لتقديم مراسم التحية ونزل بسرأي رأس التين فاستقبل العلماء وضباط الجيش المصري وجيش الاحتلال والقناصل ورجال المحاكم الاهلية والمختلطة وموظفي الحكومة والاعيان ثم ركب مركبته فاصدا محطة السكة الحديدية وكان الازدحام شديدا على جانبي الطريق ولما تحرك القطار الذي يقوله اطلقت المدافع ايذا ناعبار حته الثغر وبعد ظهر ذلك اليوم وصل بالسلامة الى محطة القاهرة فقول بدوى المدافع وتم ليل الجوع ثم سار الى سراي عابدين حيث كان في ميدانها عساكر جيش الاحتلال والجيش المصري ومع كل قائده الاكبر ولما وصل حفظه الله استقبله البرنسات والنظار وعارف بك سكرتير دولة الغازي مختار باشا بالنيا بة عنسه لانحراف اعترى صحته دولته يومئذ وبارر رجال المعية السنوية وأظهر الجناب العالي مزيد ارتياحه ثم وقف لاستماع تلاوة التلغراف الشاهاني الصادر من الصدر الاعظم وبانتهاء تلاوته أطلق من قلعة الجبل مائة مدفع ومدفع وعزفت الموسيقى بالسلام السلطاني وكان الجناب الخديوي في أثناء ذلك واقفا واضعا يده على الرأس تعظيما للحضرة السلطانية وفعل كذلك جميع الحاضرين ثم عزفت الموسيقى بالسلام الخديوي وصاحت الجنود ثلاثا بكلمة (أفتديم جوق يشا) ثم قدم تغران باشا ناظر الخارجية الى جنبه العالي حضرات القناصل وبعدها ذهب اليه والكبير المعدل للتشريفات فاستقبل العلماء وكان النظار قدموا استعفاءهم كالعادة فلم يقبل وأقرهم على ما كانوا عليه وبعث الى صاحب العطفة مصطفى فهمي باشا ارادة سنوية بذلك (٢) وفي يوم الاثنين ١٨ يناير استقبل الجناب العالي وكلاء الدول السياسيين بسرأي عابدين وألقى الموسيوا وترنجادي موريجون قنصل جنرال دولة اسبانيا أقدم القناصل خطايا جمع فيه بين التهانى والتعزية وأجاب به الجناب العالي شاكرامنا ثم

وكان جنبه العالي لما تبوأ الأريكة الخديوية بعث بالتلغراف الى دار الخلافة يعرض شكره وامتنانه ودعواته الخيرية على مقام الخلافة العظمى فورد له الرد من ثريا باشا باشا كتاب الميامين الهمايوني (١٦ يناير ١٨٩٢) بمحظوظية وارتباج الحضرة العلية السلطانية وفي ٢٥

(١) (بعالدينا بة) انه يجوزنى أن أنبئكم بوفاء مولاي الفخيم الجناب الخديوي محمد توفيق باشا توفيق رحمة الله في مساء اليوم السابع من هذا الشهر بقصر الخملواتي اثر مرض لم يعمله سوى بضعة أيام واتي بعواصلتكم بهذا المصاب الذي حل بالبلاد أنشرف ببلاغ جنابكم ان الجناب الخديوي المعظم عباس حلى باشا قد تبوأ الأريكة الخديوية خلفا لساكن الجنان والده الفخيم طبقا للفرمانات الشاهانية العالية وتفضل سيدي بقبول فائق اجترامى ٩ يناير سنة ١٨٩٢ ناظر الخار جيه تغران

(٢) قد اقتضت ارادتنا بقاء هيئة النظار الحالية التي تحت رئاستكم كما كانت وغاية أملنا ادارة شؤون حكومتنا بصورة مرضية بالتحدام واتفاقكم مع رفقاتكم وأصدرنا لكم أمرنا هذا ليكون معلوما لكم ولتبليغه لحضرات النظار ففسأل الله المستعان أن يوفقنا جميعا لذلك آمين ١٧ يناير ١٨٩٢ غرة ١ عباس حلى

ينار استقال كل من صاحبي السعادة محمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي وعني ذى الفقار باشا سرتشريفاني من منصبهما فقبل منهما ورتبت أقلام المعية السنية ترتيبا جديدا فجعل دوما رينو باشا مديرا للأقلام الافرنجية ومحمود باشا فهمي مديرا للأقلام العربية ومحمود شكري باشا مديرا للأقلام التركية ومحمد علي بك رئيسا للقلم العربي والعرض خالات وعين الدكتور كومانوس بك طبيعا خاصا للحضرة الخديوية بدلا عن الدكتور سالم باشا وأقبل الدكتور عيسى حدي باشا من وظيفة طبيب العائلة الخديوية وتعين أحمد مظلوم باشا محافظ عموم القنال رئيسا للتشريعات ثم أقسم الجيش عين الطاعة للحضرة الخديوية كما هي العادة المتبعة في الممالك المتقدمة من انه عند جلوس الملوك والامراء على كرسي الممالك يقسم لهم الجيش عين الطاعة وأصدرت نظارة الحربية الاوامر بالجميع الجنود لاداء ذلك اليمين فاجتمعت في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ يناير سنة ١٨٩٢ في ساحة عابدين ثم وقف يوسف شهدي باشا ناظر الحربية اذ ذلك والسيرغرفيل باشا سردار الجيش المصري الى جانب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الامبابي شيخ الجامع الازهر الذي عهد اليه سمو الخديو تخليف هذه اليمين ووقف ضباط أركان حرب الجيش حولهم على شكل دائرة وأصدر السردار الاوامر فترجل قواد الاسلحة عن خيولهم وتقدم كل ضابط امام فرقته وقرأ الجميع اليمين بصوت جهوري وقد أوردنا صورة اليمين المذكور بأسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ثم استعرض السردار الجيش امام الخديو وتم هذا الاحتفال الذي لم يسبق له مثيل في عهد الخديوية المصرية

ولما كان ميعاد انعقاد الجمعية العمومية قد أقبل اقتحمه جنابه العالي بمخاطب لطيف ومما جاء فيه انه أمر بالغناء لضريبة العونة وتنقيص عن المصلح والغناء خصنامه الحرف والصنائع (٢)

(١) أقسم بالله ثلاثا لا يكتبه منزله وهو موبر له ودمتي وشرفي واعتقادي أن أكون صادقا مخلصا أميناً للحضرة الفخيمة الخديوية ولحكومتها السنية مطيعا للجميع وأمرها الكريمة وجميع الاوامر المحقة التي تصدر الى من رؤسائي من هذا لاراد جنابه العالي في البر والبحر داخل وخارج القطر معاديلين يعاديه ومسالمين يسالمه مدافعا عن حقوق بلاده محافظا على سلاح لا أتركه من يدي اعدو قط حتى أذوق الملمات والله على ما نقول وكيل اه

أما صيغة اليمين الذي قاله الضباط الانجليز فهو

أعلن بشر في باعتباري ضابطا وذا شرف انني في خدمتي للحضرة الفخيمة الخديوية أثناء مدة شروط خدمتي الحالية والثالية ان تجددت أقوم بأداء الواجبات التي تعهد اليها باخلاص وأمانة وأخلص وأبذل غاية جهدي في بث وتقوية شعائر الولاء والاحترام لذات جنابه العلية وعائلته الكريمة فممن يكون تحت امرتي اه

(٢) يسرنا أن تعلمكم في اجتماعنا اليوم أول مرة بحضوركم انما مع غيا بنا عن ديارنا كنا نتبع أعمالكم بكل الاهتمام مفضلين بوجوده في القطر تنوب عن أهاليه فكونوا على يقين من أن غاية مقصدنا المحافظة على امتيازات هذه الهيئة المرتبط بها نجاح مصر ومستقبلها ولذلك كان من أول ما هتممنا به أن جمعناكم حولنا ويسرنا أن ننشركم في أول اجتماعكم هذا باننا بالاتفاق مع هيئة حكومتنا قد قررنا الغناء لضريبة التي كنتم وافقتم على بطها في جلستكم المنعقدة في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩ في نظير الغناء لعونة بتمامها وتنقيص عن المصلح والغناء عن خصنات الصنائع واننا نقوم الا بواجب مقدمس فنذكر ان الفضل في اتخاذ هذه الاجراءات التي من شأنها تخفيف الاحمال عن عاتق الاهالي انما هو راجع لحسن ادارة وحكمة ساكن الجنان والدنا الابر ولما بدله من الحزم والنبات في تدبير اراءات الخريفة واستعمالها بغاية الاقتصاد وانما سنأثر على المنهج الذي اختطه لنا وأملنا انه بعون الله ومعاضدنا لامة تكون مساعينا وأعمالنا عائدة على مصر بالسعادة والرفاهية ان شاء الله اه من صحيفة ٤٤ مجموعة أوامر سنة ١٨٩٢

وعقب استلام سموه زمام الاحكام اهدت الدول العظيمة لجناحه اسمى وساماتها كما منحته مولانا السلطان نشان لياقت وكثرت الروايات بخصوص الفرمان الشاهاني وتأخر صدوره

الفرمان الشاهاني - قدم من دار الخلافة العظمى في أول إبريل من سنة ١٨٩٢

المشير أحمد أيوب باشا يحمل فرمان التولية فقبول بما يليق به من الاكرام وكانت سفارة انكلترة في الاستانة لاحظت أن الفقرة المختصة بجدود الديار المصرية ليست كالموجودة في الفرمان الصادر الى ساكن الجنان محمد توفيق باشا فلما عرضت ذلك على نظارة خارجية لتندرة كسبت الى السير بارنج (لورد كرومر) بمخاطبة الحكومة الخديوية واستلقت انظارها الى هذا الامر وحصل من ذلك عدة مخابرات بين الحكومة وبين السير بارنج والمرسيدور فرسو (de Reverseaux) والموسيو كوياندر (Koyander) وكلي فرنسا والروسيا عصر من جهة وبين الحكومة الخديوية والباب العالي من جهة أخرى فنشأ عن ذلك تأخير ثلاثة اياما ولما انتهت الازمة وردت لفرمان من الصدر الاعظم (٨ إبريل ١٨٩٢) بابقاء ادارة شبيهة بجزيرة طور سيناء في عهدة الخديوية المصرية على الطريقة التي كانت بها من عهد الخديو الاسبق اسمعيل باشا وضم جهات ضبا والمريخ والعقبة والوجهة الى ولاية الحجاز ثم احتفل بقراءة الفرمان في ميدان سراي عابدين بحضور أمراء العائلة الخديوية والوزراء والقناصل والعلماء وقضاة المحاكم المختلطة والاهلية وكبار رجال المصالح وأعيان الوطنيين والاجانب وبعد تلاوته وتلاوة تفرغ الصدر الاعظم انتفض الجمع وهدأت الافكار وقد وردنا صورة الفرمان والتفرغ بأسفل الصفحة فليطالعهما من شاء (١)

(١) الدستور الاكبر والمعظم الخديوي الاقنم المحترم نظام العالم ونظام منازم الامم مدبر امور الجمهور والفكر الثاقب متمم مهام الامام الراي الصائب ممد بنين الدولة والاقبال مشيداً ركان السعادة والجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل لأمور السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديو مصر الخازن لرتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل لثبانتنا الهماوي في الموضع المجيد ولثبانتنا العثمانى من الطبقة الاولى وزيرى سيمير المعالي عباس حلى باشا ادام الله اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله

انه لدى وصول توقيعنا الهماوي في الرضيع يكون معلوما لكم انه بناء على ما قضى به الله من انتقال جنتمكان محمد توفيق باشا خديو مصر الى رحمة تعالى واعلاما بجليل التفاتنا ونظرا الى حسن خدامتكم وصدقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من أن لكم وقوفاً ومعلومات نامة بخصوص الاحوال المصرية وبأنكم كفها لاصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة الميمنة في الفرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ٢ ربيع الثاني سنة ١٢٥٧ هجرية والميمنة أيضاً في الخريطة المحقة بالفرمان المذكور مع الاراضى المنضممة اليها طبقاً للفرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هجرية وذلك بمقتضى ارادتنا الشاهانية الصادر في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ ولانكم أكبر اولاد جنتمكان الخديو المتوفى وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية توفيقاً للقاعدة المقررة بالفرمان الشاهاني الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ القاضى بأن الخديوية المصرية تتول الى أكبر اولاد البكر بالبكر ولما كان ترديد عن ان الخديوية المصرية يتوسعدها وتأمين راحة أهاليها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغو بنا ومطلوبنا كنا وجهت لفرماننا شاهانيا لتحقيق هذه الغاية الحميدة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ التي جنتمكان والذكم بتوايته الخديوية المصرية وضمنها المواد الاتية ان جميع ارادات الخديوية المصرية يكون تخصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان أهالي مصر أيضاً من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملازمة بادارة أمور المملكة الملكية والمالية والعسكرية بشرط أن لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات خديو مصر يكون مأذوناً بوضع المنظمات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضاً يكون خديو مصر مأذوناً بفتح وتبديد المشارط مع أموري

ثم استقال السردار غر نفل باشا من وظيفته فصدر الامر العالى بتعيين اللواء كوشتر باشا مكانه برتبة فريق ثم أصدر أمرا آخر بادخال بعض التغييرات بالمعية السنية فسميت الاقلام باسماء دواوين فصار يقال ديوان عربى خديوى وديوان تركى خديوى وهلم جرا

ولما رأى مولانا السلطان حسن الخطة التى انتمجها سمو العباس أهـدى اليه النيشان العالى العثمانى المرصع واحتفل بتسليمه على يد الغازى أحمد مختار باشا المنسوب العالى السلطانى بمصر (٢٥ صفر سنة ١٣١٠) ولما كان من صفات العباس الخنوع على الامة والميل لكل من يعلى شأنها وشاهد من ذلك الناس عواما من أقواله وأفعاله قامت طائفة من محبى الخير منهم وشكلوا جمعية سميت بالجمعية الخيرية الاسلامية تحت رعاية سموه لاعانة فقراء المسلمين وتعليم أبنائهم وجعلت لها قانونا واعترفت الحكومة بهارسميا (١٥ جا سنة ١٣١٠) وباراد هذه الجمعية

الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة أمورا المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التى بين الحكومة والاجانب والاهالى والاجانب مع أمور مضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البوليتية وفي حقوق متبوعية مصر لها ولكن قبل اعلان الخديوية المشارطات التى تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضا يكون حائرا للتصرفات الكاملة فى أمور المالية لكنه لا يكون مأذوبا بقدر استقرار بوجه من الوجوه وانما يكون مأذوبا بقدر استقرار الاتفاق مع المدينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يتعينون رسميا وهذا الاستقرار يكون مخصصا فى تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصصا بها وحيث ان الامتيازات التى أعطيت لمصر هى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التى خصت بها الخديوية وأودعت لديها فلا يجوز لى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية للتعمير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية الذى هو الوير كوا المقرر دفنه فى كل سنة فى أو اونه وكذلك جميع النقود التى تضر فى مصر تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع مسا كزيادة عن ثمانية عشر ألفا لان هذا القدر كاف لحفظ أمانة بلاد مصر الداخلىة فى وقت الصلح ولكن حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة كذلك من أجل دولتنا وزان يرا دمقدار العساكر بالصورة التى تستدعى فيها حالة دولتنا العلية بحاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المبررة ترتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياسينهم و يباح لخديوى مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة أمير الالى والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوى مصر أن يثبى سفنا مدرة الابد الاذن وحصول رخصة صر بحة قطعة يسه من دولتنا العلية ومن اللزوم المحافظة على كل الشروط السابقة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا الجليل القدر الموضح أعلاه بخطينا الهمالونى وأرسلناه تحريرا فى ٢٧ شعبان العظم سنة ١٣٠٩ من هجرة صاحب العزة والشرف

(٢) ترجمه تا عرف دولتو فقامتوا الصدرا الاعظم جواد باشا الى الجناب الخديوى العظم بتاريخ ٨ ابريل

سنة ١٨٩٢

معلوم لدى جنابكم العالى ان جلالة مولانا السلطان الاعظم كان قد صرح بالحكومة المصرية بتوضيح عدد كاف من الخند بجهات الوجه والمولى بطن وضموا العقبة الواقعة على شواطئ الحجاز وكذلك فى بعض جهات من شبه جزيرة طور سيناء بسبب مرور الحمل المصرى ولما كان جميع هذه الجهات غير مبنية أصلا فى خريطة سنة ١٢٥٧ المسجلة الى جنتمكان بمعدلى باشا بالمدينة ما الحدود المصرية لذلك أعيد الوجه أخيرا الى ولاية الحجاز بمقتضى ارادة شاهانية كما أعيد اليها ضوا والمولى بطن وضممت العقبة كذلك الآن الى الولاية المذكورة أمل من جهة شبه جزيرة طور سيناء فهى باقية على حالتها وتكون ادارتها بغير فئا خديوية المصرية بالكيفية التى كانت مدارتها فى عهد جسدكم اسمعيل باشا ووالدكم محمد توفيق باشا

من مبالغ يدفعها أعضاؤها سنويا ومما يتبرع به أهل الخير من المسلمين وأسست الجمعية المذكورة أربع مدارس ابتدائية بمصر والاسكندرية وطنطا وأسيوط وفي أواسط السنة المذكورة قام خلاف بين أعضاء مجلس ادارة طائفة الاقباط الاورثودكسين وبين بطريركهم بخصوص مسئلة الاوقاف الكنائسية والاصلاحات التي يريد الحزب الناجم منهم ادخالها على قانون مجلسهم الكنائسي اذ ان أعضاء المجلس المذكور فاعترضوا على ذلك بايعاز من البطريرك ووقفوا عن ادخال أى تغيير كان لان ذلك يقلل من نفوذ البطريرك والقسوس ويحط من سيطرتهم فقام ذلك الهرج والمرج بين أفراد الطائفة وأغلق الرهبان أبواب البطر كنيسته ووقف عقلاؤهم من حدوث انقسام في الطائفة فقرر أخيرا مجلسهم لزوم ابعاد البطريرك وهو الانبا كيرلس الى دير براموس وابعاد مطران الاسكندرية انبا يونس لدير بولا بالجبل الشرقى ولما طلب أعضاء مجلسهم ذلك من الحكومة صدر به الامر العالى بناء على قرار مجلس النظار منع الاضطراب (٣١ أغسطس ١٨٩٢)

وزارة رياض باشا - انه بعد عودة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار من أوروبا وأصيب بالثقل الوافدة فلزم البيت أياما لا يخرج ولما طال تعييبه عن حضور المجلس بعث اليه الجناب العالى محمود شكرى باشا وكونه بتقديم الاستعفاء فاستعفى واستدعى الجناب الخديو حسين فخري باشا وكلفه بتشكيل وزارة جديدة فاعترض لو رد كروم باسم الحكومة البريطانية على ذلك ثم حصل الاتفاق على تكليف رياض باشا بتشكيل الوزارة فتم الامر وصدر الامر العالى بها (١٩ يناير ١٨٩٣) وكان رئيسها ناظر الداخلية ومحمد زكى باشا للاشغال العمومية والمعارف ويوسف شهدي باشا للحرية والبحرية وتغر ان باشا للخارجية وبترس غالى باشا للمالية وأحمد مظلوم باشا للحقانية ثم استقال زكى باشا من نظارة المعارف فأحيلت على رئيس النظار وزادت الحكومة الانجليزية عددها من الجناب فيبعدان كان ثلاثة آلاف جندي فقط أصبح أكثر من خمسة آلاف على اثر ما حصل من الخلاف الشديد حين تكليف فخري باشا بتشكيل الوزارة كما تقدم

وكان عامة الاقباط متهيجة ساخطين لابعاد بطريركهم فالتس بعضهم من رياض باشا اعادته من منفاه ولما نظرو في مسئلتهم بنفسه استصدروا امر عاليا باعادة البطريرك والمطران من منفاهما وكان لعودتهما احتفال قام به الاقباط في تلك الاثناء وحضر الى ثغر الاسكندرية (١٥ فبراير) اسطول البحر المتوسط الفرنسي وكان يتألف من ٢٢ باربعة بين مدرعة ونسافة تحت قيادة الكونت أرميرال دورلودوت دى ايسار (Dorlodot des Essarts) وزار قائده مع عتده من أركان حربه الخديو المعظم في القاهرة فاحتفل به وبعده بليقياهم أعظم احتفال ولما كان مولانا العباس سافر الى الاسكندرية في ذلك الوقت كعادته السنوية في كل صيف ناب دولة رياض باشا رئيس مجلس النظار عن الحضرة الفخيمة الخديوية باحتفال كسوة الكعبة المشرفة يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣١٠ (٦ مايو ١٨٩٣) بحضور الوزراء والامراء والاعيان والاهالى على جارى العادة كما ناب أيضا عن سمو الخديوى باحتفال قدوم المحمل في يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ١٣١١ (١٨ سبتمبر من السنة المذكورة) وكان أمير الحج في السنة المذكورة محمد نصي باشا زيارة الجناب العالى لدار الخلافة - لما كانت الفرمانات السلطانية تقضى بأن كل من

يتولى الاريكة المصرية يذهب الى دار السعادة لاستلام فرمان نفسه وتاديه واجب الاحترام للذات الشاهانية وكانت الحوادث المصرية لم تمكن سموه من الذهاب الى الاستانة لتأدية هذا الواجب عزم على السفر الى دار الخلافة وأصدر أمرا لرياض باشا بأن ينوب عنه مدة تعييبه ثم سافر على باخرة الفيوم (٦ يوليو) وسار معه الغازي أحمد مختار باشا وكان تعين لاستقبال سموه كل من رائف باشا وشاكر باشا و ابراهيم باشا من الياوران العظام وقابله مولانا السلطان استقبال الاب لابنه بماشف عن جليل الرعاية وفائق الالتفات وعلق بيده على صدره نشان الامتياز العالي وكان كثير من أعيان المصريين وذواتهم قصدوا الاستانة في خلال ذلك فنالوا في ظل السياحة الخديوية من التعطفات الشاهانية ما ألهمهم الشكر وكانت الامة المصرية عن بكرة أبيها فرحة مستبشرة من تمكين الارتباط بين الخديوية المصرية والمتبوع الاعظم وبعدها مكث سمو الخديوي الى السابع والعشرين من شهر يوليو واستأذن بالسفر فأذن له وأقام له الاسكندرايون الزينات والاحتفالات الشائقة الفاتحة ولاتسل عن قدمها من كل أنحاء القطر لمشاهدة الطلعة الخديوية

ولما تقدمت ميزانية سنة ٩٤ (ديسمبر سنة ١٨٩٣) لمجلس شورى القوانين كما هو مقتضى قانونه وبمبحث فيها كعادته انتقد أعضاء المجلس على أكثر أوجه الميزانية المذكورة وقدموا تقريرهم بذلك الى الحكومة وذكروا في مقدمته ما آلت اليه حالة الاهالي من الضنك كما يستدل من رهنهم لا أكثر من مليون فدان من الاراضي خلاف الرهن الغير المسجل بالمحاكم وان ديونهم تبلغ نحو عشرين مليوناً من الريات وطلبوا في تقريرهم توسيع نطاق المعارف وعمل بعض الاقتصادات من مصر وفات بعض المصالح للوصول الى تخفيف الضرائب عن الاهلين وغير ذلك فتوجه رياض باشا بنفسه الى مجلس شورى القوانين ومعه بقية النظارة والمستشار المالى (١٤ جادى الثانية من سنة ١٣١١) ولما انعقد المجلس قام الوزير رياض باشا واولا جواب الحكومة على تقرير المجلس ولما كان هذا الجواب بمثابة تاريخ تعلم منه حالة الحكومة سابقا وما وصلت اليه وما أدخل عليها من الاصلاحات رأينا من الضرورى ذكره بأسفل الصحيفة بأكمله (١) افادة للقراء ولانه من أنفس الامار التي يعنى بها المؤرخ

(١) بعد ان اطلعنا على التقرير الذى قدمه سموه وفحصنا ما أبدى فيه من الآراء والمخوضات فيما يتعلق بغيرانية الحكومة عن سنة ١٨٩٤ قد حضرنا أمامكم فى هذا اليوم (أولاً) لتبدي لخصراتكم تشكرا لتعالى المهمة التي بذلتها في فحص وتدقيق هذه الميزانية (ثانياً) لاعلامكم بحالته وقررة الحكومة في هذا الشأن علمنا من مطلع التقرير أن أساس ما بنى عليه من الاحكام هي الارقام المستدل بها على مقدار الدين والرهنات التي على الاهالي المسجلة في سجلات المحاكم أما ان الاهالي عليها ديون والهاء قارات مرهونة فهذه لا يشكر أحد كما أنه لا يشكر أيضاً ان هذا ولا شئ من طبيعة التعامل العام السارى بين الامم افما الذى نتردد فيه ونقول انه لا بد أن يكون هناك بعض المبالغية أو فرغ عدم تحقيق تخلفه بعض السهو والغلط في الاستكشاف والتقدير فهو جسامته هذه الارقام والقول بأن ديون ومرهونات الاهالي التي كانت في سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨١ اثناعشر مليون جنيه قد بلغت في هذا المدة الاخيرة الى مبلغ فوق العشرين مليوناً في التحقيق ان جسامته هذه الارقام بما يدهش الاذهان وجديرة بالتحقيق والتحرى حتى تظهر صحتها للعيان وهذا ما فوت الحكومة أن تفعله مع غاية التدقيق وأما ما بنى على هذه الارقام من الاستدلال على أن حالة الاهالي قد ساءت وأن الضيق والفقر اخذ في الازدياد مثل ما نذهبنا وتردد لمن جسامته أرقام الدين والرهنات الواردة بالتقرير بحقيقة قد يصعب علينا أن نقول ان حالة الاهالي قد وصلت الى هذه الدرجة من الفقر والضمك ولا يريد بذلك أيضاً أن نقول ان حالة الاهالي على العموم قد بلغت الى حد الكمال من التروة والرفاهية

وفي ٢٥ سبتمبر عين محمدا ماهر باشا محافظ الاسكندرية وكيلًا لنظرية الحربية والبحرية بدلا من المرحوم علي غالب باشا وخلفه في المحافظة المذكورة ابراهيم نجيب باشا وحدث ما بين وكيل

مع الاعتراف حقيقة بهبوط أسعار المحصولات بموطأ فحشا عن ذي قبل أي من منذ عشر سنوات مضت انما لا يتردد في أن نقول كما سبق في اعلانه وايضا حه امام هذا المجلس من منذ أربع سنونات مضت تقر بيان حالة الالهالي والحكومة معا آخذة في التحسين والتقدم من يوم الى يوم من ابتداء توية المغفور له توفيق باشا وانه من ذلك الوقت أي من ابتداء سنة ١٨٧٩ ميلادية ابتدأت أن تتغير الاحوال وتتبدل الشؤون ودخلت الحكومة والقطر معاني عصر جديد بل في دور سعيد وتيسر للحكومة من وقتها أن تلم شعنها وتنظم أحوالها وتسمى في كل ما يؤهل الى رفاهية الالهالي وسعادتهم بحيث أصبحت حكومتنا تجاري الحكومات المنتظمة العادلة حتى انه بلغ ما توقع لها من المال النقدي وكان محفوظا في البنك العثماني في ذلك الوقت ما يقارب المليون ونصف من الجنيهات وبهذا الكيفية كان من باكورة أعمالها أنها أجرت جملة تنظيمات واصلاحات سواء كان في ادارة الحكومة أو في شؤون الالهالي وخففت وأزلت عن عاتق الالهالي كمشيرا من الاحمال التي كانت تثقل تحت ثقلها الامة المصرية ولو انه تخال هذا السير بعض الوقوف وذلك بسبب المصيبة العظمى والطامة الكبرى التي داهمتنا وهي الثورة العسكرية المشؤمة وقد أقتت بواسطة الجيش الانكليزي كاتعلمون انما ما تكبدنا من الغرامات والتعويضات وما تفرغ عن ذلك من أنواع الخسائر بالطبع وضع ماليتنا في حالة اضطراب وضيق ومع ذلك استمرت الحكومة على سيرها هذا في طريق التقدم والاصلاح ولو كان حينئذ او ما وصلنا الى سنة ١٨٨٩ ميلادية الا وكانت أحوالنا المالية قد تدهورت والحكومة ابتداءت في مباينة مشروعاتها التي كانت توقفت عنها برهة من الزمن ولا شك أنه من هذا الوقت والحكومة الجديدة لم تأل جهدا في أن تتخذ كل الوسائل لتخفيف أفعال الالهالي حسب امكانها واستطاعتها وخلصه القول أنه من بعد كل ما حصل من الغاء جملة عوائد ورسوم وغيرها يبلغ مقدارها ما يقارب المليون جنيهه وورقها من عاتق الالهالي وما حصل من التنظيمات والاصلاحات والترقيات في عموم القطر والحكومة وما حصل من تخفيف ضرائب ووجه قبلي بما يبلغ مقدار تقر بياض مائة وثمانين ألف جنيهه ومن بعد الغاء العونة وتحسين حالة الري بما صرف عليه من المبالغ الباهظة وصرف ما يقارب المليون جنيهه على الاعمال الهندسية التي علمت في الوجه القبلي لاجل منع حدوث شرقي عند تقصير فيضان النيل وشوهد في السنة الماضية نتائجها المقيدة ولا حاجة بنا لان نشرح ونفصل لكم ذلك كله لانكم تعرفونه حق المعرفة فبعد ذلك كله أظنكم تعذروننا اذا لم نقل ان حالة أهالينا لم تحسن من ذي قبل وليست سائرة في طريق التقدم والسعادة من يوم الى يوم وانها والحال هذه في تلك الدرجة من الضيق والفقر وعلى كل حال فإن الحكومة الجديدة ليس لها مشغل شاغل ولا أمر مهمها الا التفكير والتدبير فيما يؤهل منه الفائدة والمنفعة للالهالي واصلاح وتحسين أحوالهم ولا تتأخر في أي وقت من الاوقات عن اجراء وتنفيذ ذلك كما استطاعت وهذا هو الامر الوحيد الذي وضعته نصب عينها وانا انما السادة الكرام على تمام التوفيق بان كلامكم يعلم ويعتقد صدق نية واخلاص طوية هيئة الحكومة الجديدة وبالاخص ما هي عليه من الشرائط الوطنية وانها لا تنصرف عن هذا الامر العظيم ولا تتحول عن الاستمرار في هذا السير المستقيم حتى تبلغ أهاليها مناصحها الاوفر من الاصلاحات والترقيات المؤدية للراحة والرفاهية وازدياد الثروة العمومية وانما تقر وتعرف أنه لا يكون ذلك الا بتخاذلنا معكم ومساعدتكم ومعاضدتكم لنا انتم وعموم الالهالي لانه لا شئ في أن يدان مع الجماعة وكما قل سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) ومع كل ذلك فحاشا وكل أن نحمل لنفسنا أدنى تأثير بل المؤثر في الحقيقة هو الخلق وجل وعلاقة الواجب علينا هو اخلاص النية واتباع خطة الاعتدال والاشتمامة في كافة أمورنا والموالي عز وجل هو الموقف للصواب

(باب المستخدمين) قد تأملنا وتروينا طويلا في هذه المسئلة ويصعب علينا حقيقة أن لانشار كركم في بعض ما أبدت نمو من الملاحظات سديا الا أنه لا يعزب عنكم ظروف الاحوال وأحكام الزمان التي وضعنا في هذه الحالة الغير الطبيعية ومع ذلك لا بد أن نعرف بانها يوجد بعض ضمن هؤلاء الموظفين الكبار الاجنبيين الذين يتناولون مرتبات عالية قد أنوا بخدمااتهم عادت على البلاد بالمنفعة وأمان جهة الحكومة فلا شك كما هو ليس يخاف عليكم أنها لم تأل جهفا في وقت من الاوقات في السبي والاهتمام في توظيف الالهاليين بدل الاجانب كما استطاعت وكما ساعدنا الوقت والحال وكما تأكد لديهن ان كد لوطني يمكنه أن يقوم مقام الاجنبي وتنتهش أن لا يعضي زمن طويل حتى يزداد عدد

الحربية المذكور وسعادة السردارتباين في مسألة الادارة الحربية طال النزاع فيها وانتمت بتحكيم جناب وكيل دولة انكلترة السيامي في القطر المصري

المصريين في الوظائف العالية وعلى أي حال فكل ناظر من النظائر مسؤول عن كافة أمور نظارته ما باليا واداريا فلا شك أنه يلزمه أن يراعى الملاحظات التي أبدىتموها فيما إذا كان هناك وظائف مكررة أو هناك ماهيات زائدة عن الحد أو لا فائدة بها وأجراء ما يقتضى من ذلك كما أنهم مكلفون قبل كل شيء بأن لا يصرفوا في نظارتهم شيئا غير محله وبناء على ذلك لا شك أن كلامهم يهتم ويجهت في تطبيق كل ما أتت به من الملاحظات في هذا الباب اغا بوجه التسديد وبصورة لا يتأتى منها أدنى خلل لسير المصلحة العمومية وخالكم بواقفوننا على هذا الرأي

(المصاريف السرية والنثرية والعمومية والسائر والغير منظورة مع مصاريف انتقال المأمورين) هذه المصاريف لا بد أنه علم بحضراتكم من مراجعتكم أبواب الميزانية العمومية أنها ممتزجة في كل النظارات ومخصصة لامور وأشياء مختلفة وهي على أنواع كثيرة بعسر من أول وهلة من غير بحث وتروفي دقة تفها الا تيان بمحو أو انبات في شيء منها وما أنه كالأخفاكم أن كل ناظر مسؤول عن عمله وعمايصره من المصاريف في نظارته وكل ذلك موكول لعهدته فلا شك انه لا يتأخر من إيقاؤها وواجباته من محو وإزالة ما يجسد من ذلك غير ضروري وغير مفيد للمصلحة من بعد البحث والتنقيب وما قوله من هذا الباب نقوله فيما يتعلق بمصاريف انتقال المأمورين كما هو وارد بالتقارير (التيارو) ان المبلغ الذي تردون توفيره من مصاريف التيارو لا أظنه شيا كثيرا الاهمية ولا شك انه بوجود هذا التيارو يحصل بعض حركة يتأتى منها بعض أخذ وعطاء في الاشياء الصغيرة والامور الجزئية لا تلحظ من المنفعة وانما ما قلتموه من لزوم مساعدتنا لحكومة لايجاد تيارو وعربي فلا تأخر من موافقتكم عليه

(الاشغال العمومية) تعلمون حضراتكم ان الحكومة الخديوية لم تضمن لغاية الآن تصرف كل مالزم لاصلاح حالة الري في القطر والحمد لله قد قورن عاها هذا بالصح وما صرقت له لم يضع هباء منثورا بل بواسطته قد ازدادت كمية الاطيان المزروعة وتزايدت المحصولات بكيفية عوضت علينا بنحس اثمان المحصولات وعلى هذا لا نظن أنه يوجد واحد منا غير يمتن مما أتت به مصلحة الري من الاعمال والمنافع التي تشكر عليها وأماما أبدىتموه من الملاحظات بشأن تنزيل خمسين ألف جنيهه من المخصص لمصاريف المبانى بالمدن من ميزانية هذه المصلحة بدون أن عس ما هو مقره بها الاعمال الري والحال أن أغلب عجلات دواوين الحكومة بالمديريات والمراكز والمحاكم والاستباليات والمكاتب في حالة سيئة لا يتأتى تركها على ما هي عليه بل في جهات كثيرة كثير من عجلات المحاكم والمراكز والمكاتب وغيرهما أخذ بالاجرة وكذلك يوجد أعمال من المبانى العمومية يرتب على اجرائها فوائد كثيرة فالنظر لهذه الاحوال التي تعد من الضروريات أظن ان حضراتكم توافقوننا على اجراء مثل هذه الاعمال التي هي من أكبر المنافع العمومية ومن ضروريات الحكومة وأماما هو واجب من زيادة التدقيق والتروى في أنه لا يعمل شيء من المبانى التي لم تتحقق فائدته او التدقيق في كيفية وصحة التكاليف لأن تكون زيادة عاها لازمة والنظر أيضا في مسألة المقاولات فكل ذلك نشار ككم الرأي فيه انما حيث ان كل ذلك من الامور الادارية فلا تأخر ان نبحث فيها ونخذ ما يكون الاصلح للمصلحة العامة والاوفر بالنسبة للمصاريف

(نظارة الحربية) أظن ان لاحاجة بنا للبيان درجة أهمية الجيش ووجوده في حالة منتظمة انما نظرا لكون الحالة التي عليها هذا الجيش لا بالنسبة لحالة الحدود تعد تقريبا حالة سفر لا حالة حضر فيلزمنا حينئذ زيادة التروى والتدبر قبل أن نخذ أي قرار كان في كيفية مصاريفه ولهذ في السنة القابلة ان شاء الله سبحانه وتعالى في تلك المصاريف وان وجدنا هناك زيادة يمكن تنزيلها بدون اخلال بنظامه فلا تأخر من اجرائه

(ادارة البوليس) لا تظنوا أيها السادة ان الحكومة أهملت البحث والنظر في ميزانية هذه المصلحة بل قد خصصتها واشغلت بها ولما هو معلوم عندها من أن عدد انفار البوليس الموجود الآن ليس بقدر الكفاية بالنسبة لما هو محتاج اليه الامن فقد زادت عليه في هذه السنة القابلة ٢٣٢ نفرا ويبلغ مقدار نفقاتهم ٣٧٢٤ جنيتها وصار توفير مبلغ ١٢٢٥ جنيتها من موط ميزانية سنة ١٨٩٣ الماضية من أصل هذه الزيادة انما لا أقول لكم ان هذا كل ما كان يمكن أن نفعله نحو هذه الميزانية وهذه المصلحة الا أنه ما لا يدرك كله لا يترك كله وضرورة

زيارة الخندق العظيم بلاد الحدود - لمولانا الخديوي عباس باشا شغف زائد بالسياحة والوقوف على الاحوال والاعمال بنفسه شأن الخريص على ملكه الراغب في ترقى أحوال أمته ولذلك رغب في السفر الى الحدود وتطرق جيشه المدافع عنها بذاته ليطمئن خاطره واستصحب معه وكيل الخريصة

الاحوال تقضى علينا الثاني والتروى قبل أن تأتي بشئ من الاعمال والاخص بالنسبة الى مثل هذه الادارة الموكول اليها المحافظة على الامن العام ولا بد أن يسهل علينا في ظرف السنة القابلة أن نبعث بحثا مدققا فيما يمكن ادخاله فيها من الاقتصاد والتعديلات والاصلاحات بدون الاخلال بحسن سيرها

(مصلحة عموم السجون) هذه المصلحة ولو أنها كلفت الحكومة مبالغ كثيرة الى الآن الا ان الحق يقال انها أتت بقوائدها وخدمت خدما مهمة من تحسين أحوال السجون والمحبوسين تشكر عليها حتى صارت بيوت السجون التي صار بناؤها واستعدادها مجددا تكاد تضاهي أمثاله في أعظم البلاغات المتقدمة وهذه المصلحة مشغلة دائما متنوع خصوصي في بناء وتجديدها لدعوة اليه الحالة من بيوت السجون وتنظيم أحوالها وهو موجود منها الآن وبالخاص اشغالها بادخال أنواع الصنائع في دائرة السجون لتشتغل بها المحبسون وهو ما ينتج عنه فوائد ومنافع عيمة سواء كان ماديا أو معنويا وهذه القوائد لا تلتصق الا بواسطة وجود ادارة تخصصت بالسجون وبما ان المبلغ الذي تسكفه هذه المصلحة من مكرها العموي الذي أشرتم الى الغائه هو قليل في جانب ما أتت به هذه المصلحة مما ذكر من الخدمات المهمة بالنسبة لتحسين السجون وتخفيف ويلات المحبوسين فضلا عما لا يحكم لا توافقون على هذا الرأي بسد ما علمت فوالله هذه المصلحة

(مصلحة خفر السواحل) حقيقة لا نتكبر ان هذه المصلحة في غاية الاهمية من جهة منع التهريب الذي يترتب عليه حفظ ايرادات الكبارك وازدادها وهي قد دخلت في نظام جديد في زمن قريب بما هذا لا يمنعنا من أن نشار ككم فيما أبدت نمو من جهة البحث والتدقيق في كيفية مصاريف هذه المصلحة وتوظيف من أمكن من الضباط الاهلين الذين تحت الاستيداع وكل ذلك بدون خلل في سير هذه المصلحة

(مصاريف جيش الاخلال) اننا نشعر مثل كل مصري بالاخماسات الطبيعية المنبثقة منها ورغباتكم وأمانتكم في ازالة مصاريف جيش الاخلال من الميزانية لكنكم تعرفون حضراتكم مثلنا نظروف الاحوال التي قضت علينا بها وبما ان هذه المصاريف كانت سنة ١٨٨٥ ميلادية ما تبقى ألف جنيه وتنازلت بالتدريج حتى صارت من مدم مبلغ خمسة وعشمان ألف جنيه فهذه الامتناع من الامل بأن هذه المصاريف تقصص تدريجيا الى أن ينص أثرها بلرة بواسطة الخازن دوله بزيطانيا العظمى مواعيدها الاكيدة لنا بالايجراء انما أكبر واسطة وأقواها للوصول الى هذه الامنية هي التزامنا بحطة الاعتدال والحكمة واجتنابنا كل ما فيه شائبة الغلو والتطرف في أقوالنا وأفعالنا والمثابرة على العمل بجهد ونشاط مع التعاون والتعاقد فيما بيننا من الافعال والتقدم وليس على الله بعسر أن يتم مقاصدنا

(المطبعة الاميرية) لم يفت على الحكومة ما أبدت نمو في هذا الشأن وهذا الفكر حتى انها بقتكم اليه وأصدرت منشورا مؤكدا لكافة المصالح يمنع طبع أي شئ كان من مطبوعاتها الا بهذه المطبعة الاميرية ونفذت عملا

(مجلس بلدية الاسكندرية) ان الفائدة من وجود مجالس بلدية بالمدن هي كبيرة جدا لانها تمكن الاهالي من الاشتغال بأمور مدنيهم واصلاحها وترشدهم للاهتمام بنظرهم هامهم بأنفسهم وتعمل المساواة بين الافراد في الضرائب والعوائد على هذا البلد تأسس المجلس البلدي بالاسكندرية وتوضحة لكم تعلمون أن هذه المدينة هي والحالة هذه المركز الوحيد لتجارة عموم القطر ونقطة الاتصال المعول عليها فيما بيننا وبين الممالك الاوروية حتى هذه الوسطة توضع نطاق التجارة والزراعة والصناعة اللاتي هي السبب الوحيد في ازدياد ثروتنا ورفاهيتنا وبناء على ما لهذا المركز من الاهمية قد تقاطرت اليه الشعوب الاوروية من كل جانب وسكنته قديما أو حدينا حتى صارت هذه المدينة مسكونة مأهولة بالوف منهم بل يوجد فيها بينهم ألوف من العائلات قد استوطنتها من زمن بعيد واستولدت بها بطون متشعبة وصار لهمهم الملاك وعقارات جسيمة بحيث يمكن أن يطلق الآن على هذه العائلات انها مصرية محضة لولا المحافظة على جنتها الاصلية بحيث صار الناطق الى هذه المدينة لا يتردد من أول وهلة في أن

وكان كما حصل بمكان تظاهره السكان بأنواع التعلق بمداد على عظيم ميلهم اليه ولما وصل الى الحدود تفقد استحکامات أسوان وكر وسكو وحلقا واستعرض حامياتها العسكرية ونظر في ذلك نظر المنتقد فأبدي عنها السعادة السرر من المخطوطات ما رآه سموه ولما كانت تلك الملاحظات مما لا يرضاه السرر اقدم

بعدها في عدد المدن الاورو باوية وفي الحقيقة صارت تتباهى على نفور البحر المتوسط فكل هذا الاجتماع وهذا الاختلاط قد تسبب عنه لاشك اتحاد المنفعة التي هي أساس كل الاعمال ومدار الثروة والعمارة فالحق يقال انه لم يتأت من هذا الاجتماع والاختلاط اتحاد المنفعة بين الوطني والاورو باوي فقط بل حدث عنه أيضا ترقيات مادية ومعنوية جمه كان من تأثيراتها اشتراك في الافكار والحاسيات فيما يؤول منه القائدة على المدينة وسكانها وكل ذلك حقيقة من شأنه أن يسرنا جميعا فبالنظر الى هذه الاحوال والمناسبات لا يمكننا الا نشك ان نقيس هذه المدينة المهمة التي امتازت في سائر احوالها بسائر مدن القطر فاذا علم لكم ذلك نقول ان وجود مجلس بلدي بسكندرية ضروريات مدينتها وأما مآظمها لثنا فيه الآن من بعض الخلل فلا يعاب وأمره مستدرك لانه كما لا يخفى كم أنه حديث الفتاة وكل أمر في مبدئه صعب ويندون لا يطرأ عليه في مسيره بعض من الاشكالات وبناء على ما لهذا المجلس من الاهمية وبالنظر لما تأمله الحكومة والاهالي معامن القوائد التي تعود على المدينة فالحكومة الخديوية صارفة كل مساهمها في ازالة كل ما من شأنه ان يلقي العثرات في طريق نجاحه حتى يأتي بالقائدة المقصودة وكذلك بناء على ما دلت عليه التجربة أن قانون الانتخاب الحالي يحتاج الى بعض التعديل لاجل توسيع نطاق حقوق الانتخاب عما هو عليه الآن وهذا الامر أيضا مستشغل به الحكومة وتجري ما تقتضيه الحال ويكون فيه امتنان العموم

(مصلحة الدومنين) أي مصلحة الاملاك والاراضي الاميرية حقيقة كل من انتهى مدموم وجوده في ايرادات هذه المصلحة ولان تكرا أيضا ان ادارة هذه المصلحة الزراعية في البلاد والقرى هي لاشك في حالة انتظام واقتصاد وأنه لا يمكن أن يقال ان المصاريف الزراعية في ثنائيتها أزيد مما يلزم لخدمة الزراعة كما هو جار عند سائر المزارعين بل حقيقة نقول انها في حالة لا يتأتى اقتصادي منها والا كان ذلك سبب التأخير الزراعة وان الاراضي التي تزرعها وتخدمها على ضمتها تحسنت واستصلحت ومقدار محصولاتها ازاد وأخذ في الازدياد والاستصلاح من يوم الى يوم وكل الذوات المتولين هذه الادارة هم من نخبة الرجال الذين يوثق بهم ويعول عليهم ومعهم وفقهم كل نشاط وكل هذا مما يعطينا الامل أنه لا يمضي زمن قليل حتى ان هذا البحر ينجمي وحضراتكم تعلمون انه في كل سنة يباع ويعطى لارباب المعاشات بطريق الاستبدال مقادير جسيمة من اطيان هذه المصلحة وأما التداخل في أمر ادارة ومصاريف هذه المصلحة مباشرة فلا شك انكم تعلمون أنه محظور علينا باداعي ما نحن مرتبطون به من القيود والشروط التي لا حاجة بنا للاتيان بها هنا

(مصلحة الغاء الرقيق) لا ترد في أن نشترك معكم على أن هذه المصلحة قد سقطت عما كانت عليه من أهميتها الاولى والمبلغ المقرر لها والحالة هذه في الميزانية يمكن أن يكون فيه زيادة من الضرورى حتى ان الحكومة الخديوية لم يفت عليها ملاحظة هذا الامر اذ بات في أن تبص فيه وانما نتأسف على أنه لا يمكننا والحالة هذه أن نتخذ قرارا قطعيا باحالة هذه المصلحة على البوليس وعلى خفر السواحل بادئ بدء لاشك ولا شبهة في أن الامة المصرية والحكومة المصرية هي الامة والحكومة والبقعة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يحق لها الحق في أن تتفخر بأنها توصلت الى نحو الرق من أرضها بما تكلفته من العناء وما صرفته من خالص مالها من المبالغ الباهظة لخدمة الانسانية لا غير وهذا الحق لا بد أن تخلدها الذكرا الجميل في صحائف توارخ الامم وتر يد قدره في نظر العالم المتمد فظن ان الواجب علينا في هذا الحالة هو الاعتناء بالمحافظة على هذا المبدأ انما مع ذلك لا نقول لكم ولا نكلمكم بصر فثني من الاموال يكون في غير محله أو في غير لزمه حاشا وكلنا بالنظر الى هذه المسئلة من هذه الوجهة نقول في الواقع ونفس الامر انه قد سدت أبواب جهة الورد من الخارج من كل ناحية حتى انه من منذ ما يقرب على الثمان سنوات بل أكثر لم يتمكن أحد من ادخال رقيق داخل القطر وان كان ظهر في أثناء هذه المدة ثني من ذلك فهو لا يعتد ولا يعاب به كلية ومع ذلك لم يهمل مجازاة مرتكبيه في الوقت والحال قانونيا وأما داخلية القطر ففي الحقيقة لم يبق شغل لهذا المصلحة الا اعطاء اوراق الحر بقلن بطلبها من الرقيق الذين هم في حقيقة الامر احرار بمقتضى القوانين سواء أخذوا تلك الاوراق أو لم يأخذوها

استعفاة ثم رده وحصل من ذلك مفاوضات بين لورد كرومر ووزارة خارجية لوندرة والوزارة المصرية وكثرت الاشاعات واختلفت الاقوال وسافر رياض باشا مع محمود وشكري باشا الى القيوم لمقابلة سمو الخديو الذي أصدر عقب ذلك ارادة يشكر بها الجيش والضباط ويثني عليهم وعلى السردار

انما نقول اننا ولا شك لا نقدم على هدم ما بنيناه بأيدينا وأظن انه متى علم لكم ذلك توافقون على هذا الرأي فبناء على هذا المبدأ تعدكم الحكومة الخديوية بانها تستمر على البحث والتنقيب في هذه المسئلة وخصها باطرافها كما بدأت به ومتى تأكد لها ان هناك مبالغ يستحق حذفها وتزيلها من ميزانية هذه المصلحة أو تعدد يلها بأى صورة كانت فلا تتأخر ان تخبر به في السنة القابلة ان شاء الله تعالى

(المبالغ المقتصدة أو المتوفرة) انما تتفقون معكم كل الاتفاق على التأسف من وجود هذه المبالغ بدون استعمالها فيما يعود من الفائدة انما نعدكم بأن نبذل كل ما في وسعنا للوصول الى استعمال تلك المبالغ فيما يعود بالنفع على البلاد من عمل الخزائن بأسوان وبقيس بواسطتها تدبير توزيع مياه النيل وزراعة اراضى الصعيد ضرر وعط صبغية وزيادة تحسين حالة الجهات البصرية

(المعارف العمومية) لم أبلغ أيها السادة الكرام اذا قلت اني أول من يفتخر ويباهى حقيقة بسرعة انتشار العلوم والمعارف والتربية العمومية عندنا وعظم المسافة التي قطعناها في هذه المدة الوجيزة في طريق التقدم والنجاح و بما وصلت اليه حالة المدارس والمكاتب وكيفية التدريس والتعليم من الترقى والانتظام الا ان ذلك لا يعنى من أن أشارككم في الرأي بأن أقول انه اذا نظرنا لاحتياجات البلاد ونسبتها العصر الحاضر ونسبتها لما حدثت عندنا من الثناء الجديدة والرغبة الشديدة لتحصيل العلوم والمعارف مما وصلنا اليه ما هو الاثني زهيد وانما في غاية الاحتياج الى جملة اصلاحات وبالاخص فيما يتعلق بانتشار التعليم الاولي بين طبقات الاهالي في البلاد والقرى لاننا نعلم جميعا ان ليس واسطة لترقى الامة غير التربية والتعليم والحكومة الخديوية تأخذ الى هذه المسئلة بعين الاهمية والاعتبار حتى انه بصفتي ناظرا للمعارف قد طلعت هذه السنة علاوة ستة عشر ألف جنيه على ميزانية المعارف ولو اني لم تحصل على الكلي وهذا الضرورة الحكومة لتسوية ميزانيتها العمومية حتى يمكنها ان تستحصل على مبلغ مناسب لتخفيف الضرائب انما قد استحصلت على علاوة اثني عشر ألف جنيه وهذا ليس بقليل بالنسبة لسنة واحدة ومن هذا يظهر لحضراتكم أن ادارة المعارف سارية في طريق النجاح والتقدم حتى انه دخل في مدارسنا ومكاتبنا هذا العام ألف وخمسمائة تلميذ زيادة عن العام الماضي وكذلك قد قررنا إعادة مدرسة الصنائع بالمصورة والاربع مدارس الاخرى التي كانت الغيت في العام الماضي وانما متشبهون بفتح بعض مكاتب أخرى من جديد وسنشرح في هذه السنة في تنفيذ مشروع المرحوم علي باشا مبارك الذي كان أهمل المتعلق بإنشاء خمسمائة كتاب للتعليم الاولي بالقرى والبلاد لانتشاره بين طبقات الاهالي ولتكون أغود جالسا ثمثالها وانى لا أخالكم الاوافقون على هذا الامة هو الحقيقة انما ان الواجب على أن أعلن لكم بدون أدنى تردد بأنه مهما فعلت ومهما ساعدت وصرفت الحكومة على توسيع نطاق التربية والتعليم حسب احتياجات الاهالي وحسب مقتضيات العصر لا يتأتى لها كلية الوصول الى الدرجة المطلوبة من ترقى البلاد ماديا ومعنويا بما لم يعد اليها يد المساعدة من الاهالي عموما ولا اغنياء خصوصا سواء كان بالمال وبالاعمال وكافة البلاد المتقدمة ما وصلت الى ما هي عليه الا أن من درجة التقدم واتساع نطاق التعليم والتربية الاجساد و معاونة الاهالي عموما ولولا ذلك لما كان حصل ضد هائلي من هذا الترقى فلا يلزم علينا جميعا أن نضع هذا الامر المهم نصب أعيننا وأن نبحث الاهالي ونصحهم ونشوقهم على هذا العمل الخيري العائده منفعته عليهم خاصة سواء كان بكاتبنا أو بخطابنا ومن كل ما ذكر يلزم أن تكونوا مطمئن البال من جهة المعارف والتربية لانى أو كد حضراتكم بأن التعليم والتربية لا بد ان لا تكون سارية وجارية بصورة تلائم وتوافق عوائدنا وادابنا وحاسياتنا الوطنية والله التوفيق

(الجامع الازهر) هذه المدرسة الكلية الدينية الوحيدة في العالم الاسلامي كل منابع علمها من الاهمية والاعتبار عند كافة الامم الاسلامية المنبثه في أقطار العالم شرقا وغربا ولذلك فان الحكومة الخديوية من مبدئي تأسيسها الى وقتنا هذا نظرت لها بعين هذا الاعتبار ومنحتها في كل الاوقات ما استطاعت من المساعدات وكذلك

(١) وبعد عودة جنابه العالى الى المحرسة تعيين محمد ماهر باشا محافظا لعموم القنال بدلا من أحمد شكرى باشا (١٥ فبراير) وخلقه في وكالة الحربية زهرا باشا وأتمت جلالة الملكة على الجنرال كتنر باشا بنشان سن ميشيل وسن جورج وصار يلقب سير وفي ١٩ شعبان ١٣١١ (٢٥ فبراير) ورد تلغراف همايونى للجناب العالى الخديو يبشره بأن الحضرة السلطانية أهدهن قصرا بديعا لاقامته بالاستانة فأجاب على ذلك بالشكر والامتنان

وزارة توبار باشا - في ١٥ ابريل سنة ١٨٩٤ رفع صاحب الدولة رياض باشا استغفاه الى الجناب العالى فقبله وعهد الى صاحب الدولة توبار باشا بتأليف وزارة جديدة فقام بمعاها اليه فكان هورثيسا وناظرا للداخلية ومصطفى فهمى باشا للحربية والبحرية وحسين خرى باشا للاشغال والمعارف العمومية و بطرس على باشا للخارجية وأحمد مظلوم باشا للمالية و ابراهيم فؤاد باشا للعقانية وتعين أحمد شكرى باشا وكيل للداخلية بدلا من محمود رياض باشا المستعفى هذا وكانت الحكومة عازمت على اقامة معرض وطنى للصنائع بالاسكندرية تشميطا للمصنوعات والصناع المصريين ولما تمت معداته افتتحه الجناب الخديو بنفسه (٢٢ ابريل) وهو أول معرض أقيم في القطر المصرى عرضت فيه أغلب المصنوعات المصرية ومن الحوادث في تلك المدة ان اعتصب عمال الفحم (٢١ مايو) في بورسعيد وكان لاعتصامهم تأثير كبير تعطلت بسببه البواخر المارة من القنال حتى اضطرت الحكومة الى التدخل فى الامر وسبب ذلك ما يفعله معهم رؤسائهم من الخيف عليهم فى أجورهم ولما تم الاعتصاب وضعت لهم الحكومة قانونا يسرون

الحكومة الخديوية الحالية سارت على هذه الخطة بعينها بل انها تعد من أول واجباتها المحافظة على هذا المدرسة العظمى ومد يد المساعدة اليها ماديا ومعنويا ولهذا فان الحكومة مائلة كل الميل لمشاركتكم فى مقاصدكم نحو هذه المدرسة العظمى التى هى مطمح أفتقار العالم الاسلامى وهى عازمة على الاتحاد مع مولانا الامة اذا لاجل شيخ الجامع وبعض المتبحرين من أفضل العلماء لدرس حالة هذه المدرسة والاتفاق والنظر فى الاصلاحات التى ترى لزوم ادخالها فيها مما يكون ملائما ومطابقا لقواعد الدين المنيف حتى يتم منفعتها وتكثر فائدتها والحكومة مستعدة لان تفهمها ما تستطيعه من المال

(الخاتمة) أيها السادة الكرام يلزمنا قبل أن نتم الكلام وقبل الانصراف من هذا القام أن نعترف جميعا عليه الجناب العالى الخديو العظم من شديد الميل والمحبة لسعادة أهل بلاده وبأن أفكار ومساهمته العالية على الدوام متجهه ومنصرفه لما فيه الخير والنفع العميم وزيادة ترقى واصلاح أحوال البلاد والامة المصرية عموما بحيث ان ما يأتى لنا ونحظره بالناس جميعا من الافكار وسائر الاعمال من هذا الطريق المحمود ما هو الا مقتبس من آرائه الصائبة وأفكاره النيرة التى هى بلاشك روح جسم الامة والحكومة ولذلك نرفع أكف الضراعة والابتهال الى المولى المتعال بأن يعين علينا بطول حياته وأن يجعل كافة أعماله الجليلة ومقاصده الخيرة آية مقرونة بالفوز والفضل حتمتعا بكل الصحة والعافية وخير كلمة نختم بها هذا المقال هى (فليعش خديو بنا العظم)

(١) المساعدة السردار

قبل أن أترك الوجه القبلى للعودة الى مصر أريد أن أكررها أنظهره من العناية وحسن الالتفات للحيث عند زيارتي الحمود أو يد حسن رضائى الذى ابدته لكم من جهة حسن حالة الخيش ونظامه واننى لسرور من أن أهتئ الضباط الذين يرأسونه مصر بين كانوا أو تكايزا واننى لم تباح ايضا بأن أقدرنا على امننا التى أدتها الضباط الانكليز لحيثنا حتى قدرهاوا ملنا أيها السردار أن نعلمنا أمرنا هذا الضباط والعساكر

عباس
حلى

نحمر بالقبو موى ٢٦ يناير ١٨٩٤

عليه فيجمعهم من ضياع حقوقهم وبذلك عادوا الى أعمالهم (١٠ ديسمبر) آمنين مطمئنين وفي مدة تغيب الحضرة الفخيمة الخديوية بسكندرية ترأس نوبار باشا على حفلة سفر المحمل الشريف وهو الذي سلم زمام جل المحمل الى المرحوم شاكرا باشا أمير الحج وذلك بحضور الوزراء والعلماء والاعيان كما هي العادة وكان ذلك في صباح يوم الخميس ١٩ ذي القعدة سنة ١٣١١ وهذه هي ثاني مرة قام بها نوبار باشا نائباً عن الجنب العالي الذي هو نائب مولانا الخليفة في رئاسة مكتب الحج الشريف الى بيت الله الحرام ومن هذا يستدل على دماثة أخلاق الشعب المصري وبعده عن التعصبات

ولما كان سمو مولانا العباس عزم على الذهاب الى الاستانة لتقديم فريضة الولاء للحضرة السلطانية وصدوله الاذن بالتصريح من لندن جلالتهما بالبحر في ٢٢ يونيو على يخط المحروسة بعد ان أصدر امر اعاليا نوبار باشا بأن يكون نائباً عن سموه مدة تغيبه وقد نال سموه في دار الخلافة من الرعاية والاحتراف شيئاً كثيراً وأنعم مولانا السلطان على شقيقه الامير محمد على باشا بالنيشان العثماني وبعده ان أقام مولانا العباس في الاستانة أياما مطلب التصريح بالسفر الى أوروبا بتغيير اللهاة فأذنت له الحضرة السلطانية فبارح الاستانة على يخط المحروسة الى مدينة البندقية فوصلها في ٢٠ يولييه وزار بعض جهات ايطاليا والسويسرية والمانييا وهولنده ثم عاد الى القطر المصري بالسلامة في ١٤ سبتمبر - ومن الحوادث الشهيرة التي حصلت مدة وزارة نوبار باشا ان باعت الحكومة الى شركة اجنبية قدر اعظيما من اطمين الوجه البحري يعرف بتفتيش بسنديله بثمن هين وكانت قامت شركة وطنية لشترى هذا التفتيش فتعطلت مساعيها ولم تنجح ومنها ان مصلحة منع بيع الرقيق التي يرأسها شيفر بك (Charles Schaeffer) ألقت القبض على جماعة من اعيان ووجهاء البلاد بدعوى أنهم اشتروا و باعوا رقيقا وهم المرحوم على شريف باشا رئيس مجلس شورى القوانين ومحمود الشواربي باشا عضو شورى القوانين وحسين واصف باشا وعبد الحميد بك الشافعي واحالتهم مع النحاسين والحواري والمشتركين على مجلس عسكري عال شكل لمحاكمتهم الاعلى شريف باشا فانه ادعى الانتماء الى حكومة ايطاليا ثم صدر حكم المجلس على عبد الحميد بك الشافعي وغيره من النحاسين بالسجن لمدة مختلفة وتبرأت ساحة شواربي باشا وحسين واصف باشا وكان لهذه الحادثة تأثير كبير في القطر لان المتهمين فيها من بكار القوم ثم عفا الجنب العالي عن عبد الحميد بك الشافعي (٢٧ اكتوبر ١٨٩٤) اما على شريف باشا فلم يثبت انتمائه لاطاليا وهو وان كان أقر رسميا بشترى الرقيق ولكن صدر امر بصرف النظر عن محاكمته واستقال من رئاسة مجلس شورى وخلفه فيه عمر طفي باشا

ومنها ان نوبار باشا رفع في يوم ٣ نوفمبر تقرير الى الجنب العالي يطلب فيه الغاء نظام البوليس ووظيفة مفتشه العام وتعيين مستشار للداخلية بناء على ما طلبه لورد كرومر من التغيير في نظارة الداخلية وبعده ادوات طويلة وأخذ ورد أصدر الخديوي امره بانقاذ ذلك وتعين المستر غورست (J. L. Gorst) مستشار للداخلية ووضعت مسؤولية الامن العام على المديرين والمحافظين وسمى قلم البوليس بقلم النظام ومنها ان صرحت الحكومة لشركة بلجيكية اجنبية بانشاء ترامواي كهربائي في العاصمة (يناير ١٨٩٥) ومنها اصابة نوبار باشا بكسرى في رجله

أثر فرعه من ثور بغتة بينما كان يتعهد مرزوعاته بجهة شبرى فحمل الى منزله ولازم الفراش أياما وهو يشكو الالام حتى أصبح في حاجة الى تبديل الهواء فسافر الى أوربا بالتماسا للصحة (مايو) وفي ١٢ فبراير من سنة ١٨٩٥ رزق الجناب العالى بالاميرة أمينة هانم من محظيته له وفي ١٩ منه (٢٤ شعبان ١٣١٢) احتفل بسرراى القبة العامرة بعه قدزواجه على صاحبة الدولة والعماف الاميرة اقبال هانم والدة المولودة المشار اليها وقام باجراء صيغة العقد الشرعية صاحب السماحة عبد الله جمال الدين أفندى قاضى الديار المصرية ومن الحوادث أيضا ان حصلت مشاجرة بين ثلاثة من عساكر البحرية الانكليزية وبعض من سوقة مدينة الاسكندرية فرفعت دعواهم الى المحاكم وكثر قول الناس في مسئلة المحاكمة وأخيرا طلبت الرولة البريطانية اصدار امر عال بتشكيل محكمة مخصوصة تحكم فيما يقع بين الاهالى وضباط وعساكر جيش الاحتلال أو بحرية المراكب البحرية الانكليزية الراسية فى إحدى الموانى المصرية فصدر الامر بذلك (٢٥ فبراير ١٨٩٥)

وفاة الخديو الاسبق اسمعيل باشا - فى ٣ مارث سنة ١٨٩٥ (٦ رمضان ١٣١٢) نقل السلط البرقى خبر وفاة المغفور له الخديو الاسبق اسمعيل باشا بسرراى أمير كون فى دار الخلافة حيث يقيم بعد ان صرح له جلالة أمير المؤمنين بالاقامة فيها هو وعائلته كما هم ثم نقلت جثته من الاستانة على الباخرة توفيق ربانى إحدى بواخر البوسنة الحديدية ودفنت بجامع الرفاعى (١٣ مارس) باحتفال عظيم لم يسبق له مثال مشى فيه الجناب العالى وأمرأه العائله الحديدية وجميع رجال الحكومة والقناصل الخترالية وكل أرباب الخينيات والمظاهر وكانت وفاته بعرض السرطان أصابه فى أمعائه ومعده وقليه وكان رحمه الله من كبار رجال العصر ذابأس وصوله واقدام شهدته له بذلك أعماله التى سردناها فى تاريخه وكان شديدا الحافظة قوى الذاكرة التى خانتها سنة ١٨٧٥ حينما باع الاسهم التى لمصر فى قنال السويس وكان من صفاته أنه يتطير من يوم الخميس فلا يعمل فيه عملا ذاشأن وكان حسن الغرائز واسع المدارك قوى البدهة لا تقوته بادرة الاستدركها رحمه الله وفى ٢١ مارس سنة ١٨٩٥ وصل الى القاهرة سلاتين باشا التماساوى (١) الذى كان مديرا

(١) سلاتين باشا هذا غساوى الاصل ولد ببلاد النمسا سنة ١٨٥٨ وشب على حجة الاسفار والاقدام على الاخطار فقدم ببلاد السودان سنة ١٨٧٤ سائعا وهو فى الثامنة عشر من عمره فبلغ دارفور وفى تلك الاتمام حدثت فى انعامها ثورة فنع حكم دارالخرطوم الاجانب من الدخول الى السودان خوفا على حياتهم فعاد سلاتين الى الخرطوم والتقى هناك بأمين باشا (الدكتور شنتزلى) الذى تولى مديرية خط الاستواء بعد ذلك وكان الجنرال غوردون اذ ذاك حكمدار المديرية خط الاستواء فاستأذناه بالقدوم عليه فأذن لهما فصارا اليه فى لادوم كز الحكمدارية المذكورة ثم بعد ذلك عاد سلاتين باشا الى بلاده بدعوة من أهله وتعين ملازما فى الجيش النمساوى ثم لما عاد غوردون باشا الى السودان وصار فيها حكمدارا عاما كتب الى صاحب الترجمة سنة ١٨٧٨ يستقدمه الى الخرطوم فسافر اليها مسرا عينه مفتشاً ماليا يجول فى السودان ينظر فى شكوى الناس ثم فاد حتى صار مديرا على دارفور كما ذكرنا فى باب ولما انكسر جيش هكس باشا وتحقق قرب سقوط مديريه كردفان بعث الى المهدي وسلمه البلاذ فاستقدمه الى الأبيض وقابله فى الرهد بالصورة السابق ذكرها ثم ضمها الى التعاضى فصار من ملازميه ثم رافقهم فى مسيرهم على الخرطوم وحصارها فلما سقطت الخرطوم وقتل غوردون وفى وفى المهدي وخلفه التعاضى بقى سلاتين فى جملة الملازمين له وقال عنه صاحب كتاب السودان المصرى والانكليزي انه كان يقضى أوقاته فى رفع صوته بكلمة الشهادتين بطريق لم يعرفها الدراويش من

للحكومة بدارفور وأسره الدراويش سنة ١٨٨٤ تمكن من الفرار من قبضة التعاشي من أم درمان بمساعدة ونجبت بك مدير قلم الخبارات والبارون هدلر (Heidler) قنصل جنرال النمساوي القطر المصري

ولما كانت دواعي الارتباط تزداد وثقابين مصر والاستانة من يوم تولى مصر أفندينا عباس باشا الثاني عزم حفظه الله على التشراف بمقابلة الحضرة السلطانية في هذه السنة أيضا فسافر الى الاستانة في ١٥ يوليو على يخته المحروسة ولما وصلها احتفل به مولانا أمير المؤمنين احتفالا عظيما وقلده نيشان خاندان آل عثمان وهو أكبر نياشين الدولة ولم يتقلده الا امبراطور المانيا من الملوك وأعضاء العائلة السلطانية فقط وقد قابل أهالي القطر المصري ذلك بالسرور وعظيم الارتياح ليلهم عموما لتوثيق روابط الائتلاف بين مصر ودار الخلافة

وزارة مصطفى فهمي باشا الثانية - لما عاد نوبار باشا من أوروبا (٦ نوفمبر ١٨٩٥)

رفع الى الجناب العالي استعفاءه لسبب انحراف صحته فقبل سموه ذلك وعهد الى مصطفى فهمي باشا تشكيل وزارة جديدة فقام بمعهد اليه (١٢ نوفمبر) وكان هو رئيسها ونظر للدخلة وتعين حسين نخري باشا للاشغال العمومية والعارف وبطرس باشا عالي الخارجية وأحمد مظلوم باشا للمالية وبرايم فؤاد باشا للحقانية ومحمد عباني باشا للخريرية ومن أشهر الحوادث في عهد هذه الوزارة عقدت الدولة الانجليزية مع مصر معاهدة جديدة لابطال بيع الرقيق وسبب ذلك نقص مواد وشروط ضرورية لم توجد في المعاهدة القديمة وقد أدرجنا صورتها بأفضل الصحيفة اتماما للقائدة (١) وعلى ذلك صدر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٦ أمر عال بمنع الاسترقاق

قبل وهي تشبه ترتيب الانعام اللاتينية من مد الصوت وخفصه ورقمه وكان كوتشي الايطالي ينتقد عليه في ذلك ويقول يلزم لسلطين ارغن كي يتم به رونق الصلاة التي يقيمها البلاونهارا على باب التعاشي اه وكان لابساتياب الدراويش وهي المرقمة والعمامة يقضى نهار واقفا عند باب التعاشي يقرأ القرآن وينتظر أمر واذ ركب مشي في ركابه والتعاشي تارة يرضى عنه وطورا يغضب عليه فان رضى خلع عليه الخلع وأهدى اليه الهدايا واذا غضب ضايقه وبقي كذلك حتى ماتت أخباره أثار به في بلاد النمسا وكانوه وأخذوا يسعون في تقليصه فوضوا مبلغا من النقود في تصليته النمسا بمصر فتعاونت القنصلية مع قلم الخبارات المصرية وكانت تعلم به وبأحواله فمضى مديرها ونجت بك بأمر انقاذه وانفذ اليه بعض العرب المعلومين لديه والعارفين بدخائل السودان وبذلك تخلص سلاتين من أسرا المهدي يوم ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٥ قاطعاهراء بيوضة ثم عبر النيل الى الجبر ومينها الى بوجدومباري فمطموورها الى أن وصل أسوان في صباح ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ وقطع هو والعربان المسافة من أم درمان الى أسوان برافى ٢٥ يوما ولما عاد ألف كتابا عن النار والسيوف في السودان وصف فيه أحوال المهدي والتعاشي وما يعرفه عن تلك البلاد

(١) حيث ان النصوص العمومية من المعاهدة المعقودة بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين الحكومتين الانكليزية والمصرية بشأن منع الاسترقاق والتفاسه والاوامر العالية المختصة بها جعلت عملا للشك فيما اذا كان من الممكن معاقبة مشتري الرقيق بصفته فعلا أصليا أو غير كالتجربة لتسببه في هذا التجار وتشويقه له * وحيث من المتقضى اتخاذ كافة الطرق اللازمة للوصول الى ابطال الاسترقاق والتفاسه * وحيث انه قد لسان الوقت الذي يمكن فيه تقويل قضانا المحاكم الاهلية حق النظر والحكم في مواد الخنج والجنابات المتعلقة بالاسترقاق والتفاسه الجارى نظرها الآن أمام المجالس العسكرية * وحيث من الضروري جمع كافة النصوص المتعلقة بالاسترقاق والتفاسه * فقد قررت حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى من جهة وحكومة الحضرة الفقيهة الخديوية المصرية من جهة أخرى تعوير المعاهدتنا المذكورة المؤرخة ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بادخال التعديلات

والعقاب عليه ولائحة للملاحة السفن المصرية المارة في البحر الاحمر لتعاطى التجارة المذكورة وكان بعض الاعيان التفت الى ما رقى امر الزراعة بمصر اذ عليها مدار المعيشة فشكلوا جمعية

والاضافات اللازمة فيها وكذلك اتفق الموقنان على هذه المعاهدة بما هما من الرخصة في ذلك على ابدال المعاهدة القديمة المعقودة في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بالمعاهدة الآتية

(المادة الاولى) تتعهد حكومة الحضرة الفخيمة الخديوية بأن تمنع كليه ادخال الرقيق الابيض أو الاسود أو الحبشي المعد للبيع في الاراضي المصرية ولمحقاتها و مرور منها بطريق البر أو البحر وتتعهد كذلك بمنع اخراج الرقيق المذكورين من الاراضي المصرية أو من ملحقاتها منعا كلياً الا اذا ثبت لديها قطعياً انهم احراز أو معتقون ويتوضعون بأوراق العتق أو الجوازات التي تعطيها اليهم الحكومة المصرية قبل سفرهم ان لهم حق التصرف في أنفسهم تصرفاً مطلقاً بغير تقييد وصار الاسترقاق والتخاسة ممنوعين في الحال والاستقبال في كافة الاراضي المصرية ولمحقاتها

(المادة الثانية) تتعهد الحكومة المصرية بنشر قانون يشمل على كافة ما يقع مخالفات النصوص والمعاهدات والامور العالية المختصة بمنع الاسترقاق والتخاسة وعلى العموم كافة الخلع والجنابات المتعلقة بها والعقوبات التي يلزم تطبيقها ونس في هذا القانون على معاقبة مشتري الرقيق و يقتضى نشره في بحر السنة أشهر التالية لتاريخ التوقيع على هذه المعاهدة التي تعتبر جزءاً متمماً لها

(المادة الثالثة) كل ما يقع مخالفات النصوص القانون المنشور عنه في المادة الثانية يحال للحكم فيه بصفة انتهائية اذا كان المتهم تابعاً للحكام الاهلية على محكمة تشكل من خمسة قضاة من محكمة الاستئناف الاهلية يكون اثنان منهم على الاقل من الاجانب ويستمر الحكم في الخلع والجنابات التي تقع في التوروس وسواحل البحر الاحمر والمنطقة البحرية الميمنية في المادة السابعة والاراضي المصرية في جنوب اسوان بمعرفة المجالس العسكرية وتتعهد الحكومة المصرية بأن تنشر في ظرف ستة أشهر من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة امراً علياً يبيد الاجراءات التي تتبعها المحكمة المختصة والمجلس العسكري في تحقيق تلك الدعاوى والحكم فيها

(المادة الرابعة) اذا لم يكن المتهم من رعايا الحكومة المصرية تيسر في الحال لاجل محاكمته الى المحاكم المختصة بذلك مع المحاضر التي تقدم من السلطة العليا المصرية التابعة اليها الجهة التي ضبطت فيها المخالفة وكافة المستندات الاخرى والاشياء المثبتة للجريمة

(المادة الخامسة) لكل رقيق موجود في الاراضي المصرية حق في حريته التامة المطلقة وله ان يطلب أوراق هتفه متى أراد ذلك

(المادة السادسة) على الحكومة المصرية أن تستعمل كل ما يكون لها من القوذف على قبائل أفريقيا الوسطى لمنع المحاربات التي تحصل بينهم للحصول على الرقيق و يبعه

(المادة السابعة) تقبل الحكومة المصرية رغبة في الوصول الى ابطال الاسترقاق والتخاسة بالكلية بأن كل مركب مصرية تناجر في الرقيق وتكون حولتها أقل من خمسمائة طون ولا يمكن تفتيشها والبحث عنها وضبطها اذا اقتضى الحال معرفة الطرادات الانكليزية وكذلك كل مركب مصرية تحملها بهذا القدر يشبه فيها وجه حق بانها معدة لهذه التجارة أو انجرت في الرقيق أثناء السفر الذي قويت فيه ويمكن حصول التفتيش أو الضبط في المنطقة الممتدة ما بين شطوط المحيط الهندي (بما في ذلك شطوط خليج الجهم والبحر الاحمر) من يلو جستان لغاية رأس نائجلان (كليمان) وبين خط وهمي يتبع أو لاخط زوال نائجلان الى النقطة المقابلة للدرجة السادسة والعشرين من العرض الجنوبي ثم يمتد بهذا العرض ويحيط بحجز برتمدغشقر من الشرق على مسافة عشرين ميلاً من جهتها الشرقية والشمالية الى أن يقطع خط زوال رأس العنبر ومن هذه النقطة تمد المنطقة بخط مضرف متصل بشاطئ يلو جستان بعد أن يمر في البحر على مسافة عشرين ميلاً من رأس الخديج كل ما ضبطه الطرادات الانكليزية من الرقيق في مركب مصرية يبق تحت تصرف الحكومة الانكليزية التي تتعهد بانحاء الطرق الفعالة بضميمة حريتهم وتسلم المراكب بما فيها من البضائع والملاحين الى الاقرب أو الاوفق من جهات الادارة المصرية للحكامتها

للقاوضة في ذلك فأقرت على انشاء معرض سنوي للازهار والنباتات والخضراوات وعرضوا ذلك على الحكومة فأقرت عليه وساعدته مساعده مالية وفي ٢٥ يناير ١٨٩٦ افتتحه

امام المجلس العسكري المنصوص عنه في المادة الثالثة ومع ذلك في كل الاحوال التي يرى فيها قومندان الطراد الذي ضغط المركب المتاحرة في الرقيق انه يستحيل عليه ايداع الارقاء المقبوض عليهم في محل انكليزي أو رأى بسبب ظروف أخرى انه من الاوفق ومن صالح هؤلاء الارقاء أن يسلموا للجهات الادارة المصرية فتعهد الحكومة المصرية بناء على الطلب الذي يقدم لها من قومندان الطراد أو من الضابط الذي انتدبه لذلك بأن تقوم بشؤون الارقاء المصنوعة وتضمن لهم حريةهم وكافة الامتيازات الاخرى الممنوحة للارقاء الذين تضبطهم الحكومة المصرية وتقبل الحكومة الانكليزية من جهة أخرى بأن كل سفينة حاملة للعالم الانكليزي وجدت متجربة الرقيق في المنطقة البحرية المذكورة يمكن تفتيشها وضبطها أو حجزها معرفة جهات الادارة المصرية ولكن بشرط تسليم السفينة بما فيها من البضائع والملاحين الى اقر بسلطة انكليزية للجماعة بها وتحرر الحكومة المصرية الارقاء المصنوعين ويبقون تحت تصرفاتها واذا رأت المحكمة المختصة بالنظر في دعوى الرقيق انه لم يكن محل القبض على السفينة وحجزها واقامة الدعوى على المتهمين فترزم الحكومة التابعة لها الطراد بأن تدفع للحكومة التابعة لها المركب المقبوض عليها تعويضا ملائما للظروف

(المادة الثامنة) يسرى مفعول هذه المعاهدة من تاريخ اليوم الذي يصير فيه واجب التنفيذ كل من القانون المتعلق بالجنائيات والجفح المختصة بالرقيق وقانون الاجراءات التي تتبع امام المحاكم المختصة بالنظر فيها اللذين تعهدت الحكومة المصرية كما تقدم ينشرهما في مجرسته أشهر من تاريخ عقد هذه المعاهدة وتبطل المعاهدة المعقودة في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ والاوامر العالية المختصة بهام يوم العمل بهذه المعاهدة ولكن يستمر سران المعاهدة الاولى والاوامر العالية المختصة بهام حلل الميعاد المذكور و بناء على ما ذكر امضى الواضعان امضاءهما على هذه المعاهدة ووقع كل منهما عليها بختمه اه عمل بصرفي ٢١ فوبر ١٨٩٥

المعمد السياسي للدولة بريطانيا العظمى

وكيلها وقنصلها الجنرال بصير
كرومر

ناظر خارجية حكومة الحضرة الخليفة الخديوية
بطرس عالي

ملحق حرف (أ) وهو جزء متمم للعاهدة المعقودة بين حكومتى مصر وانكلترا في الحادى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٥ * تستمر الحكومة كفى السابق على ابقاء ادارة خصوصية لمنع النخاسة وتكاف هذه الادارة بكافة ما يتعلق بالارقاء وبعثهم وتبقى لهم مراقبة اقلام الرقيق المشككة بالمديريات والمحافظات وتقوم هذه الاقلام بكافة ما يتعلق بالارقاء وبعثهم ويمكن انشاء اقلام جديدة لاعتناق الرقيق اذا اقتضى الحال ذلك ويكون تحت تصرف ادارة منع الرقيق قوة مخصوصة للحفاظ على طرق الصحراء وسواحل البحر الاحمر وعلى العموم كافة المواقع التي يمر منها الرقيق الى القطر المصري اما جلبه اليه أو لروءه منه وعلى ادارته منع الرقيق أن تلاحظ مراعاة الدقة في تطبيق القوانين واللوائح بالاسترقاق والنخاسة وأن تبحث عن الجانين وتستحضرهم امام المحكمة المختصة مع تقديم الادلة المثبتة للجريمة

ملحق حرف (ب) مصر في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٩٥ الى سعادة بطرس باشا على ناظر الخارجية تعهدت الحكومة المصرية بأن تقوم باحتياجات الارقاء والمعتقنين عنقتضى ملحق حرف (أ) المتمم للعاهدة المعقودة في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين حكومتى مصر وانكلترا بشأن منع النخاسة وقد اتفقتا على أن الحكومة البريطانية تعدل عن الاشتراط فى المعاهدة الجديدة اذا تعهدت الحكومة المصرية من جهتها بأن تدفع ماوى الرقيقات المعتقت اعانة سنوية قدرها ثلثمائة جنيه مصري ومن المعلوم أن الحكومة المصرية لا تدفع هذا المبلغ اذا اتفقت الحكومتان على أنه لا لزوم لهذا المأوى وانى أرجو مساعدتكم التفضل باخباري اذا كانت الحكومة المصرية تقبل هذا الحل وأنتهز هذه الفرصة لتبليغ سعادتكم فائق احتراسي

الامضاء

كرومر

الجناب العالي بذاته وكان أقيم في حديقة الازبكية ورأس لجنته دولة البرنس حسين كامل باشاعم
الجناب الخديوي فكان أول معرض أقيم لذلك في الديار المصرية وتقرر ان يكون هذا المعرض سنويا
اعادة فتح السودان - بينما كان الناس في أواخر شهر رمضان المعظم يستقبلون عيد الفطر
(١٣١٤) وردت على مصر اشارة بريقة من إنجلترا بتجهيز حملة لاعادة فتح السودان لمناسبة
الاحوال لهذا الفتح وأشيع ان الغرض من التجربة المذكورة مساعدة الطليانيين الذين أصبح
هم كرههم حرجا امام الدراويش بعد هزيمة الاحباش لجيوشهم وأشاع البعض ان القصد من التجربة
منع الفرنسيين من التقدم الى جهات النيل وعلى ذلك صدر قرار وزارى بعد أخذ رأى الحضرة
الخدوية (١٣ مارس ١٨٩٦) بإرسال الجنود المصرية للاقطار السودانية فسافرت اليها
تساعا عن طريق النيل وألحقت حاميات سواكن بعساكر الحملة وخلقتها هناك عساكر هندية
وانجليزية وطلبت الحكومة من صندوق الدين مبلغ ٥٥٠,٠٠٠ ليرة مصرية من المبالغ
الاحتياطية المودعة لها فيه للقيام بهذا العمل الجسم فقبل أعضاء الصندوق جميعهم الاعضوين
الفرنسي والروسي فلم يثن ذلك من عزم الحكومة وأخذت المبلغ غير ملتفتة الى معارضة العضوين
المذكورين الذين أقاما الحجة على الحكومة بخطئانها في عملها وبأن لاحق لها في أخذ أى مبلغ
كان الا بمصادقة جميع أعضاء الصندوق لان كل واحد منهم ينوب عن جميع أصحاب الدين ورفع
بعض أصحاب الديون دعوى على صندوق الدين والحكومة معا امام المحاكم المختصة بطلبان فيها ان
يسترد الصندوق ما أخذ منه ولما كانت الحملة المصرية في احتياج الى بواخر نيلية حربية
ابتاعت مصر من إنجلترا عدة منها وطلعت قطعها الى وادى حلفا وهناك صار تركيبها ولما تجهزت
الذخائر والمعدات قاد السردار السير كيتشنر باشا بالجيش وكان كما تقدمت الطريق الحديدى
لتسهيل عليه المواصلات ونقل الجنود والذخائر وجعل لحراسته بعض فرق الفرسان والهجامة
والبدو كما عين حراسا لحماية الابار التي بالعصراء الشرقية ولما وصل الخط الى بلدة الكرمة (مايو)
استولى الجيش على عكاشة (٢٥ منه) وأخذ يتقدم منها ويوارى ويداو وصل السكة الحديدية
الى آبار أم البقول (أول يونيو) ولما كان عسس الدراويش يجهت في قطع المواصلات ومنع
عمال السكة الحديدية من العمل تقدم السردار بالجيش الى بلدة فركة وهزهم وغنم العساكر
منهم كثيرا من الاسلحة والطبول والجمال والخيول وغنم أيضا نحو ٥٠٠ رأس من الماشية

ملحق حرف (ث) نظارة الخارجية غرة ٣٧٨ مصرفى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٥ الى جناب اللورد كرومر الوكيل
السياسى لجلالة ملك بريطانيا العظمى

بخطابكم المورخ ٢٨ أكتوبر سنة ٩٥ تفضلتم بتذكيرى أن الحكومة المصرية قد تعهدت بمقتضى نصوص
ملحق حرف (أ) المتمم للعاهدة المتعددة فى ٨ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين حكومتى انكلترا ومصر بشأن
منع الاتجار بالرقيق بأن تقوم باحتياجات الارقاء المتقين واننا تفننا قريبا على أن تعدل حكومة جلالة الملكة عن هذا
الاشتراط فى العاهدة الجديدة اذا تعهدت الحكومة المصرية من جهتها على دفع اعانة سنوية قدرها ثلثمائة جنيه
مصرى الرماوى الرقيقات المتعقات وانكم تريدون جنابكم أن يضاف على ذلك انه اذا اتفقت الحكومتان على أن
لا لزوم لبقاء هذا الرماوى لا تدفع الحكومة المصرية هذا المبلغ فعليه أحيط علم جنابكم بوصول محرركم وأتشرف
بإبلاغ جنابكم بأن الحكومة المصرية تقبل دفع مبلغ ثلثمائة جنيه مصرى على الشروط المتقدم ذكرها وأرجو
من جنابكم قبول فائق احترامى

الامضا
بطرس بك

وعدة مراب شراعية ووجدت في بيت مالهم نحو ١٦٠ اردبان من الذرة وأسرت ١٣٠ نفسا بين رجال ونساء وتقدمت السوارى الى بلدة سوارده فاحتلها وبعده ذلك شرع الجيش في مد السكة الحديدية الى كوشه واستغل بنقل الواورات من الشلالات وكان مرض الهيضة الا سيوية الذى انتشر بمصر في تلك السنة وصل الى الجيش فأ مات منه قدرا كبيرا لكنه لم يمكث الا أياما قليلة ولما بلغت السكة الحديدية كوشه أرسلت الحضرة الخديوية تلغرافا الى السردار وعده على نشاطه وتطلب اليه ان يعلن أسفها لعموم الجيش على ما حصل به من الموت والتعب وكان ذلك قبل سفرها الى أوروبا وقد أدرجنا صورة هذا التلغراف بأسفل الصحيفة ليطلع عليه من شاء (١) وأرسل السردار اسموه يشكره على ذلك ويبلغه شكره وسرور جميع الجنود ثم اجتازت السفن الحربية الشلالات وقد نال الجيش من ذلك ومن انشاء الطريق الحديدي من التعب والنصب ما لا يمكن وصفه وكانت العواصف المحرقة والامطار الغزيرة لاتقطع حتى ان السيل جرف الطريق الحديدي على مسافة ٢٠ ميلا بين سرس والمرات فاجتهد السردار في اصلاحها ثم عاد الجيش الى الزحف واجتازت البواخر شلال حنك وهو الشلال الثالث وتقدم السردار بالجيش الى الكرمية في البر الشرقى فوجد ها خالية من الدراويش لانهم لجؤا الى الحفير وتخصسوا فيه بجميوشهم وسفنتهم الشراعية وكان معهم وابور بخارى فبعث المدرعات عليهم وأخذت تطلق قنابلها وساعدتها المدفعية البرية حتى أغرقوا باخرة الدراويش فانتهز الدراويش ظلام الليل وهربوا الى دنقله وعند ذلك احتل السردار بجميوشه المكان المذكور (٢٠ سبتمبر) وغنمت العساكر المصرية منها كثيرا من الذخائر والحبوب ووجدوا بها ٢٧ مر كبا مشحونة بالحبوب ثم زحف الجيش الى بلدة الزورة فوصلها في ٢٢ سبتمبر وكان معسكر الدراويش بمكان يعرف بالديم بعد عنها بسمة أميال وكانت المدرعات المصرية قد وصلت في سيرها الى دنقله فوجدتها خالية فغنمت منها عدة مراب وعاذت الى الحفير ثم سيرها السردار ثانية الى دنقله لاستطلاع مراب الدراويش فوجدتهم مجتمعين في الديم فتقدم الجيش اليهم في ٢٣ سبتمبر والمدرعات أمامه فلما وصلت أطلقت عليهم المدافع ولما قرب الجيش تفهق الدراويش الى التلال الواقعة غرب الديم فهاجهم السوارى والهجانة والطور بجمية السوارى فاضطر والى الهروب قاصدين أم درمان وبربر ودخل باقي الجيش الديم وهي بلدة متسعة كان شيدها الدراويش فغنم الجيش منها كل ما وجدته من الذخائر ومن ضمنها ثلاثة مدافع وعدة بنادق وسيوف وحراب ووصلت المدرعات دنقله واحتلتها ورفعت العلم المصرى عليها ودخلها الجيش ظافرا (آخر سبتمبر سنة ١٨٩٦) ولما ورد تلغراف احتلالها

(١) رأس النين في ٦ أغسطس سنة ١٨٩٦

سعادة السردار بكوشه - انى أسف على وفاة الملازم ثاني جمعة أفندي زاهر وتجدد ظهور الهيضة الواثية وأهنتكم أنتم وجميع ذوى الشأن على اتمام السكة الحديدية الى كوشه والامل ان تبلغوا الجميع انى أقدر المشقات التي تحملوها حتى قدرها وكذلك النشاط الذى أبدوه أثناء الحراشيد والى وسأسر عند ما يبلغون ان الواورات اجتازت الشلالات سالما وقيل سفرى الى أوروبا بالفائدة صحتى أرغب ان أعرب لكم ولا ركان حركم وللجنود على اختلاف أسلحتهم ان يرتاحوا الى النشاط والبسالة الذى أظهره وها فى مقابلة العدو والحرب والى وأو كد لكم مداومة اشتراكى بالحاسيات معكم وستكون أفكارى دائما عندكم وانى أطلب منه تعالى ان ينحكم كل شياخ وفوز على العدو ويهبكم السلامة من الكوليرا والمرض

عباس

أطلقت المدافع من قلعة العاصمة تبشيرا بفتحها ومن الغنائم التي غنمها الجيش درع من الزرد وخوذ من الفولاذ من أسلحة الصليبيين وسيف عليه كتابة بالقلم الفرنسي القديم وآخر عليه شعار ملوك الانكليز القدماء وفي ١٣ أكتوبر عاد السردار مع أركان حربه إلى القاهرة فاستقبل في محطتها باحتفال عظيم وأولمه الجناب الخديوي وليمة فاخرة في اليوم الثاني بسرأي رأس التين باسكندرية وأنعم عليه بالنشان العثماني الأول وعلى قواد الحملة بنيامين أخرى مكافأة لهم على عملهم ومدح السردار الجيش المصري في تقريره بقوله جرت هذه التجربة في الجيش المصري فوجدته متصفا بصفات البسالة والاقدام والصبر على الشدائد والاعتاب مع تمام المحافظة على النظام وقد أظهر رجاله من الهمة والنشاط في كثير من الاعمال الشاقة والاحوال الصعبة ما يوثقه لكل مدح حتى كان بعض العساكر المصرية يجفون ما بهم من المرض والتعب ولا يباليون بتقرح أقدامهم من المشي إلى الحقوب اخواتهم الذين سبقوهم إلى ساحة القتال اه وكتب المستر هيليارت روج (A Hilliard Atteridge) مكاتب جريدة الديبلي كرونكل الانجليزية وكان مرافقا للحملة كتابا مطولا سماه (Forwards Khartoum) أي الزحف على الخرطوم شرح فيه حوادث هذه الحملة وأكثر من المدح في السردار وأر كان حربه وقواد الفرق وأثنى على العساكر المصرية ثناء كثيرا وقال لورد كرومر فنصل إنجلترا العام بمصر في تقريره الذي رفعه إلى من كيز سلسبري عن أحوال مصر انه لما فتحت مديرية دنقلة قسمت اداريا إلى أحد عشر قسما يرأس كل قسم مأمور عسكري أو مفتش من الضباط برتبة زباشي وبعاونه ضابط من البوليس برتبة ملازم وبعض من نخبة رجال البوليس وسمى قائدا للجيش العام كما للمديرية وعين معه بعض الموظفين الإداريين ليعاونوه على اتمام واجباته الرسمية ثم قسمت أيضا عسكريا إلى أربعة أقسام يرأس كلا منها قائد عسكري مسؤول عن ادارة الاقسام التي تقع ضمن دائرة اختصاصه امامها كم المديرية وأهم ما يحتاج اليه مدير دنقلة الآن هو ان يكون فيها سكان فقد كان عدد سكانها ٥٨,٠٠٠ نفس في يناير سنة ١٨٩٧ منهم ٤٠,٠٠٠ من الاناث والاطفال فزادوا في السنة الماضية ١٩,٠٠٠ نفس منهم ٦,٠٠٠ من البقي الرشد مع ان الحرب كانت قائمة على ساق وقدم والمديرية عرضة لغارات الدراويش وتبلغ مساحة الاراضي التي تصلح للزراعة فيها ٧٩,٠٠٠ فدان والذي يزرع منها أقل من ٢٠,٠٠٠ فدان اه وبعد فتح دنقلة صدرت الاوامر الخديوية بعمل مداليات من الفضة لتموزيعها على الجنود تذكارا للانتصار المذكور وسميت بمدالية السودان ونقش على أحد وجهيها نقش كتب في أسفله لفظ استرجاع السودان والوجه الآخر اسم سمو الخديوي عباس حلي الثاني وتاريخ عملها وهو ١٣١٤ هـ وجعل لتعليقها شريط من الحرير الاصفر في وسطه خط أزرق علامة على نهر النيل المار في أرض مصر الصفراء وجعلت لها مشابك عليها أسماء الوقائع تعطى لكل فرد حضرها وهذا الوسام هو ثاني وسام عمل في الديار المصرية في عهد العائلة الخديوية لان الاول صنع في عهد الخديوي السابق المرحوم محمد توفيق باشا عقب الحوادث العراقية وهو على شكل نجمة من البرونز منقوش على ظهرها حرفين بالفرنسية هما (M. T.) وهما الحرفان الاولان من اسم الخديوي محمد توفيق باشا وعلى الوجه الآخر صورة أبي الهول والهرم ومحاطة بدائرة منقوش عليها بالعربي والانكليزي لفظة الخديوية المصرية والسنة التي عملت فيها وهي ١٨٨٢ م

وفي أواخر شهر يونيه من سنة ٩٧ قاد السير كينغز باشا السردار الجيش المصري وتقدم به من دنقلة الى الامام عن طريق النيل واستولى اللواهنتر باشا بفرقة على أبي جدي في ٧ أغسطس بعد سرفساق قطع فيه نحو ١٣٢ ميلا وفي هذه الموقعة قتل الكولونيل سدينيك (Sidney) قائد الاورطة العاشرة السودانية والبكاشي فتر كلارنس (Fitz Clarence) من الاورطة المذكورة ونحو ٢٧ نفر من عساكرها وجرح ٦١ نفرا ولما فتحت أبو جسد أخلى الدراويش بر بر من تلقاء أنفسهم على غير انتظار وولجوا الى شندي والمتممة وكانت المنمة الى عهد قريب عاصمة قبيلة الجعليين المواليين للحكومة فاستفادت الحملة من ذلك . وفي ١٩ نوفمبر تم اتصال خط السكة الحديد الممتدة من حلغا الى أبي جدي في العطور وعمل في هذا الخط سبع محطات سميت ثمرة ١ وثمره ٢ الخ واحتلت بعض الفرق بر بر في ١٢ سبتمبر وبعد ان عبرت المدفعيات الشلال الخامس بعث السردار اثنين منها الى المنمة للاستكشاف فلما وصلتا الى قرب الشلال السادس أطلق عليهما الدراويش النار من حصونهم التي شيدوها بجهات المنمة فعادا بعد الوقوف على مراکز العدو . وبعد قليل فتح الطريق بين سوا كن وبر بر وسارت فيها القوافل على عادتها القديمة وابتدأ السردار في مد السكة الحديدية من أبي جدي بر بر وبعد احتلال بر بر بأشهر اقتنع التعايشي بأن الجنود المصرية ستوالى الزحف الى عاصمته فاعتمد على الدفاع وجمع معظم جيشه في أم درمان وحشد بعض فرق من الدراويش في شندي والمنمة والاما كن التي على ضفتي النيل عند شلالات سيلوكة

وفي ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٧ استلمت الاورطة السادسة عشرة المصرية وبطارية من الطوبجية بحضور بر سوز باشا محافظ سواحل البحر الاحمر وسوا كن مدينة كسله من الجيش الايطالي الذي كان احتلها احتلالا وقتيا كما سبق بحسب منطوق الاتفاقية التي عقدت في ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ بين الحكومة الانجليزية والاطليانية (لم نعتز على نصوصها) فسير أهالي كسله بالجنود المصريين سرورا شديدا ثم بعث السردار بعض الفرق الى الدامر على رأس نهر عطبرة واسترد عدة أماكن حربية من يد الدراويش بمساعدة العساكر الوطنيين هنالك الذين كانوا قبلا في خدمة الطليانيين وأوصى السردار بر سوز باشا بالمحافظة على حدود الحبشة ثم بلغ السردار ان التعايشي جهز جيشا من دراويشه تحت قيادة الامير محمود لتعرض له أثناء تقدمه على أم درمان فعزم على مهاجمته وجمع معظم الجنود المصرية في بر بر ثم تقدم بها الى نقطة كنوز ثم الى رأس الهودي وطلب التجدة من الجنود الانجليزية فاستقر الرأي على امداده ببعض أورط وبعد قليل سافر اليه أربع أورط وهي كامرون هايلندرس وسيفورث هيلندرس ولسكلوشير ووروكستر تحت قيادة الجنرال جتاكر (Generale Gatacre) وقال لورد كرومر في تقريره عن ذلك هذا واذما مست الحاجة الى منجذات أخرى أمكن ارسالها على جناح السرعة ولكن لا استصوب ارسال جنود انجليزية الى السودان أكثر مما يحتاج اليه منها نظرا الى رداءة الهواء وصعوبة نقل الزاد والمهمات فيما وراء السكة الحديدية . ومن الغريب ان معظم نجاح الاعمال الحربية في السودان يتوقف على وسائط السرعة والنقل أكثر مما يتوقف عليها في أكثر البلدان اه واقعه العطرية - لما عزم التعايشي على الهجوم وساق قوة من دراويشه تحت قيادة

الامير محمود الى المنة كما قلنا تقدم السردار بالجيش المصرى والانجليزى الى رأس نهر عطبرة وعسكر به في أم ضبيعه ثم أخذ يستعد للحرب وبعث بالاطلاع برا وبحر الاستطلاع حركات الدراويش فبلغه ان الامير محمود اعب النبل بجيشه الى شندى وتقدم به نحو نهر عطبرة وعسكر على ضفته على بعد ٣٠ ميلا شرق أم دابية وانه أقام زريبة كبيرة وشيد بداخلها الحصون والخفر للدفاع وذلك بإشارة عثمان دقنه الذى أرسله التعاضد لمساعدة الامير محمود وان جيشه يبلغ ١٦٠٠٠ مقاتل منه نحو ٣٠٠٠ فارس مسلحين بقرينات رانتون (وهذه أول مرة حملت فيها سوارى الدراويش أسلحة نارية) ونحو ٨٠٠٠ مسلحين بالبنادق والباقي بالسيوف والحراب وان معهم عشرة مدافع وفي يوم الخميس ٧ ابريل سنة ١٨٩٨ تقدم السردار بالجيش الى أبى غدار وفي اليوم التالى صباحا هاجم معسكر الامير محمود المذكور وبعد قتال شديد فازت عساكرنا على الدراويش فوزا مينا وأسرت الامير محمودا وقد أوضح كثير من الضباط الذين شهدوا الواقعة ان الجيش سار مساء يوم الخميس المذكور من أم دابية وبعد ساعتين استراح الى الساعة الواحدة صباحا ثم ابتدأ فى الهجوم على الزريبة المتحصن فيها الدراويش وكان الجيش يتألف من أربع بطاريات طوبجية و ١٢ مدفعا من نوع مكسيم وبعض السوارى الخربية وثلاثة لوات يداه عدد المحقات التى كان بها السوارى والامداد وكانت الطوبجية تحت قيادة الامير الاى لونغ بك (E. J. Long) وموجودة فى الجناح الايمن أما مدافع مكسيم فقد توزعت على الجناحين والوسط وكان اللواء الانجليزى تحت قيادة الجنرال جتاكر وموجود فى الجناح الايسر وكان يتركب من ثلاث أورط وكان اللواء أن السودانىان تحت قيادة مكدونلدىك (H. A. Macdonald) ومكسويل بك (J. G. Maxwells) وموجودان أحدهما على اليسار تعضده عساكر لويس بك (D. J. Lewis) الاحتياطية والاخر عن يساره أما السردار وأركان حربه فكانوا بين اللواتى المهاجمين والامداد فى النقط الاخرى وبهذه الصورة تقدم الجيش ولما صار على مسافة قريبة وقف وأصدر السردار أوامره بالاستعداد للهجوم فخطبت قواد الفرق على العساكر بالتشجيع وفى الساعة السادسة وربع أطلقت الطوبجية القنابل على زريبة الدراويش فدمرت تها تدميراً وقتلت منهم عددا عظيما ثم ظهرت فرسان الدراويش عن يسار الاجمة مولية الادبار من نيران المدافع وبعد نصف ساعة كان فيها الدراويش ساكتين سمع منهم دوى الرصاص ثم انقطع وفى الساعة السابعة كفت السوارى عن اطلاق النار ونفخ فى البوق بالزحف الى الامام واشتغلت العساكر فى اطلاق البنادق تمهيدا للطريق ولم يعض الا القليل حتى دمرت أورطة كرون هيلندرس والاورطة التاسعة السودانية الزريبة تماما ومهدنا الطريق وكان على بعد نحو ثلاثين ياردة فقط من الزريبة سور حصين وعندها حصل الالتحام والاصطدام وصار الحرب بالاسلح الابيض فكان منظر اهاثا ثلاثا وقد نكلت عساكرنا بالدراويش تنكيلا شديدا فكثر جرحاهم وقتلاههم ومن سلم منهم تشتت فى الفياق الى ما وراء النهر وفى الصغراء الجنوبية وفى مقدمتهم عثمان دقنه الذى هرب مع جوع خيالة الدراويش فاقتفى أثرهم لواء لويس بك والسوارى والطوبجية الراكبة وأسمر من الدراويش نحو أربعة آلاف أسير بينهم الامير محمود الذى وجد محتبثا وكادت العساكر تقتله ولكنه قال أنا الامير محمود فقبضوا عليه وكان لاسره ضجة فرح بين الجنود الانجليزية والمصرية وهذه الواقعة

من أهم الوقائع السودانية بل لم يحصل مثلها من تاريخ الحوادث السودانية قال أحد أفاضل الضباط ان معسكر الامير محمود كان عبارة عن حفر من كبة من ثلاثة خطوط خلف بعضها جعلت الاتربة الخارجة منها دروة ولها وكسيت بقطع من أخشاب الدوم بحيث كان عمق الحفرة مع ارتفاع الدروة يسمح للقائل خلفها أن يضرب النار من تكرا وخلف تلك الخطوط مكان اسكنى الامير محمود وهو محاط بثلاثة خطوط أخرى بها الدراويش المخصوصون لمزاسمه وكانت حيواناتهم موضوعة بداخل حفر أيضا وكان جميع المعسكر محاطا بزريبة على شكل بيضوي مصنوعة من قطع الاشجار وقدرت قتلى الدراويش بنحو أربعة آلاف قتيل

وقد اوضح السردار مجمل هذه الواقعة في تلغرافه الذي أرسله الى الجناب الخديوي وفيه يقول حصل الهجوم على مراكز الامير محمود المحصنة بنجاح تام وبوضوح ذلك اني زحفت الليلة الماضية من أم دابية فوصلت مع الفجر الى مسافة ميل واحد من تلك المراكز ثم تقدمت الى مسافة خمسمائة ياردة منها وعندئذ ابتدأت في اطلاق المدافع عليها وكان اطلاق اول مدفع في منتصف الساعة السابعة من الصباح وفي الساعة ٧ وخمس وأربعين دقيقة أخذ الجيش اهتبه للقتال ووقف موقف الهجوم وكان الجناح الايسر من الجيش المهاجم مؤلفا من ثلاث فرق انجليزية ثم زحف مجموع الجيش بشدة عظيمة وساق امامه الدراويش الذين كانوا متحصنين في الزرائب والاستحكامات الى جهة النيل وكانت خسائر الدراويش جسيمة جدا لانهم ثبتوا في مواقع الدفاع ولبثوا يضربون الرصاص حتى وصلنا قريبا من حصونهم وقد أخذ محمود أسيرا وفي هذه اللحظة تقفني البطارية الرابعة بدافع مكسيم اثر الفارين أما خسائرنا فقصيرة على قتل اليوزباشي أوركهاوت من أورطة كameron هيليندرس والملازم جيمون بطارية سيفورت وجرح المايجور نايبير واليوزباشي فندلي من فرقة هيليندرس والكونلونيل ماري (وجرحه خفيف) واليوزباشي مالك لاجلند واليوزباشي بيلي والملازم طومسن والملازم فندل من فرقة سيفورت والكونلونيل فرز والملازم بوكس من فرقة لنيكولسن والملازم جريمن فرقة واروديك وهذا ما حصل تقريبا بالنسبة لضباط الفرق الانجليزية أما خسائر الصفوف فسيرسل شرحها بعد ول يقبل ضابط انجليزي من الجيش المصري ولكن جرح منهم اليوزباشي والتي جرحا بليغا والملازم هارلي والبكباشي شكلي ووالتر بجروح خفيفة والعناية بالجرحى زائدة وسأرسل لكم رسالة أخرى فائقة الشرح حينما أقف على بقية الاخبار وفي اليوم الثاني ورد التفصيل بأن جملة من قتل من الجيش المصري ٥١ ومن جرح ٣٣٥ ومن اللواء الانجليزي ثلاثة قتلى من الضباط وعشرة من العساكر وتسعة جرحى من الضباط وتسعين من العساكر وأما قتلى الدراويش فبلغت ثلاثة آلاف بينهم كثير من الامراء وكانت غنائم الجيش عشرة مسدافع وكية وقرعة من البنادق ونحو مائة راية وعسد عظيم من طبول الحرب والاسلحة البيضاء والماسية وماشا كل ذلك وجد للمصريين بين الغنائم ناجالا امير محمود مصنوعا من الجلد ومن يتا برش نفيس فعلم من ذلك ان قواد التعاشي كان لهم تيجان باليونان وقت اللزوم وقد بعث مولانا الخديو وملكة الانجائز وامبراطور الماسيا بهنؤن السردار على انتصاره وقرئت تهنيتهم على الجيش فقابلها بالدعوات ثم عاد السردار بالجيش الى بربر واشتغل بمد الطرق الحديدية و بانتمام بناء الثلاث بوخرامرية الجديدة وهي السلطان والشيخ والمالك التي جلبها من انجلترا

وفي خلال ذلك عرض السير ميخائيل هكس بيتش ناظر مالية انكتره (٧ يونيه ١٨٩٨) على مجلس نوابها صورة قرار بتنازل انكتره لحكومة مصر عن مبلغ الثمانمائة ألف جنيهه التي كانت اقرضتها باها الجملة السودان في عام ١٨٩٧ حينما امتنع صندوق الدين عن التصريح لمصر بأخذ ما يلزمها من النقود للجملة المذكورة وأشار الى نجاح تلك الجملة لنجاح عظيم او الى تجديد تجارة السودان حيث المديرات السودانية تعود الى الحياة شيئاً فشيئاً قال ولا جرم ان الزحف على الخرطوم سيكون أعظم مشقة من كل ما جرى حتى الآن ولكن القوات التي يقودها مسعادة السردار السير هربرت كينشر باشا مستعدة لجميع الطوارئ وسيكون عدد الجنود الانكليزية هذه المرة أكثر عدد رآه أهل السودان فيها حتى الآن ثم ان الجيش المصرى قد تحسن تحسناً عظيماً وارق الدراويش اقدمهم ولكنه لا ينتظر ان تبقى في الخرطوم حامية عظيمة من الانكليز زمنا طويلا وهذا والحكومة الانكليزية لاتنوي مباشرة أعمال أخرى بعد فتح الخرطوم تستغرق نفقات عظيمة لفتح المديرات الواقعة قبلى الخرطوم ولكن أسطول المدفيعات يسير في رحلات لازالة كل حائل في سبيل التجارة فى النيل كما ورأيه انه اذا حسنت علائق الوداد مع القبائل الساكنة غربى الخرطوم أمكن فتح بلادها للتجارة وبحث مصر و بريطانيا العظمى المنافع العظيمة من تجارتها وقد حسب نفقات الزحف على الخرطوم بمبلغ ٧٥٠,٠٠٠ جنيهه وهى نفقات يعسر على مصر دفعها فصادق المجلس على هذا القرار بانفاق ١٥٥ صوتا ضد ٨١ ٨١ وقررت بعد ذلك نظارة بحرية انجلترا ارسال ثمان أوروب انجليزية و بطاريقتى مدافع وأورطنى سوارى و بولك من المهندسين الى السودان لمساعدة الجيش المصرى فى فتح أم درمان وجعلت لقيادة هذه القوة كلا من الجنرال ووكب (Wauchope) والجنرال ليتتون (Lyttelton) وأخذ السردار يستعد للسير وبعث لورد ساسبرى رسالة برقية الى لورد كرومر بمصر فى ٢ أغسطس من سنة ١٨٩٨ بينه فيها ما يقوله السردار بعد فتح الخرطوم فقال ان حكومة جلالة الملكة لاتقصد بعد احتلال الخرطوم أن تعمل الاعمال الحربية العظيمة التى تستغرق النفقات الكثيرة لاحتلال المديرات السودانية القبيلية بل تأمر السردار بارسال جملتين احداهما فى النيل الابيض والاخرى فى النيل الازرق وقد سمحت لك بأن تؤلف قوتى هاتين الجملتين على ماترى بمشاوره السردار ثم يقود السردار هربرت كينشر جملة البحر الابيض بنفسه الى حد فشودة و يأخذ معه عددا قليلا من العساكر الانكليزية اذا اتفقت أنت و اياه على مناسبة ذلك وأما الضابط الذى يقود جملة البحر الازرق فيسير الى حد الشلال الذى يتدفق عند سدروسيرس على ما يظن ولكن لا يجوز له أن ينزل جنودا لتسير فى البر الى ما وراء المكان الذى تصل اليه البواخر فى البحر الازرق فاذا التقي فى طريقه نقط للاجباش قبل وصوله الى روسيرس وجب عليه أن يكف عن المسير عندها ويحجر بجارى و ينتظر الاوامر واذا لقيت جملة من الجملتين مأورين فرنسويين أو حبشانيين تجنب كل قول أو فعل يفيد اعتراف الحكومة الانكليزية لفرنسا أو للحبشة بحق امتلاك جزع من وادى النيل اه

بمرزومة القبايسين ودخول الجيش أم درمان - اعلم انما وصلت هذه الاوامر للسردار كان الطريق الحديدى بلغ جهات عطبرة وتم بناء البواخر الحربية الثلاثة ولهذا أمر السردار بسرعة تجهيز المعدات وامتداد الخطوط التلغرافية الى الامام مصاحبة لطلائع الجيش ثم أخذوا

في ارسال الآلات والادوات الحربية والمؤن والذخائر الى النقط الامامية بكل سرعة وانت الاورطة
الخامسة المصرية من سواكن الى بربر بطريق البر وانت ايضا الاورطة الثامنة عشرة من مصر
وشرعت الجنود الانكليزية تفد من بلادها وتساقر رأسا الى معسكر العظيمة على السكك الحديدية
والتحق بأركان حرب السردار كل من البرنس أوف نك والبرنس كرتيان وعدة ضباط انكليز والتحق
بالجمله أيضا عدة مكاتب للجرائد الانكليزية فقط ثم أمر السردار بتقدم سرايا المصرية برأحت
قيادة الجنرال هنتر باشا الى النقط الامامية وكان يقودها كل من مكدونالد بك ولويس بك ومسكوبيل
بك ثم تبعها الاولى الانجليزية بحرا وعسكرت في مكان يدعى مغايا ثم كعب السردار مع أركان
حربه احدى البواخر النيلية وقصد سبلوكه فوجد فيها حصونا للدرابيش الا انها خالية ليس بها أحد
ووجدان البواخر تستطيع عبور شلالها بسهولة فأمر عدة مدفعات من أسطول الجمله بالعبور
والتقدم لعمل الاكتشافات وكان الجيش بأجعه وصل الى جهة تدعى ولدجد (٢٣ اغسطس)
ثم حشد السردار جميع الجيش على ضفة النيل الغربية وكان عدده ٢٢٠٠٠ مقاتل وهناك
استعرضه وكان بينه وبين أم درمان يومئذ أربعون ميلا ثم أمر بتقدم السرية الاولى تحت قيادة هنتر
باشا وساق بعدها باقي السرايا يتبع بعضها بعضا

قال مكاتب روتري في أخباره انه صعد في اليوم المذكور على ذروة صخر ونظر الى البلاد المحيطة
بسبلوكه فرأى وادي النيل ممتدا امامه ومغطى بالنباتات الزاهرة الرائعة ونظر غربا فرأى الصحراء
على بعد صفراء اللون تلعب من نور الشمس وتمكن بواسطة المنظار من رؤية سرية هنتر باشا تحرف
الى الامام والمطر ينهمل عليها وفي الجهة الشمالية رأى جبال الرويان تناطح السماء وهي سلسلة
جبال صخرية يخترقها النيل عند سبلوكه وفي خلالها الملح جماعفيرامن الهارين من أم درمان
بجملهم وقطعان أعنابهم وحالهم مثل الهلع والخزع ثم في يوم ٢٦ أغسطس احتلت البواخر
الحربية جزيرة صغيرة امام جبل الرويان وكانت كائب العرب الموالية لمصر تسير على ضفة النيل
اليمنى ولما وصل الجيش بلدة الهجيرة عسكر فيها امام جبل الرويان والتحق به هناك السردار وأركان
حربه وكان الجنرال رندل باشا قادما على احدى المدفعات وبينما هو سائر قرب شندى أصيبت باخرته
بخرق في جانبها فنفذ الى داخلها الماء ولما ملت على جانبها طلبوا بها البر ولكنهم قبل الوصول اليه
غرقت منهم ولم يظهر منها سوى مدخنتها وساريتها ونجا رندل باشا هو ومن معه وخرجوا الى
البرحتى مرت باخرة الظافر فركبها الى المعسكر ثم تقدم الجيش وعسكر في وادي عبيد جعل كان
معسكر الدرابيش من قبل ومن هناك أخذ السردار يستطلع حالة الاراضي المجاورة برا وبحرا ثم
تقدم وجعل جزيرة النيل مستودعا للذخائر والمؤن واقامة المستشفيات ولذلك استغنى عن حفظ خط
المواصله ثم رتب كيفية الزحف على أم درمان فجعله على شكل خط مؤلف من الاولى وعين لكل
لواء مركزه وأمر بالتقدم الى الجنوب وأمر قائد الاسطول بالتقدم فأقبح بسفنه ملك والفتاح
والناصر ووصف مكاتب روتري صورة ذلك الزحف قال انه في يوم الثلاثاء ٢٩ أغسطس زحف
الجيش بعد الظهر بألوية مزدوجة وكان الليل مطيرا جدا فسار اللواء المصري بقيادة لويس
بك في طريق الصحراء واللواء الانكليزي الذي يقوده الجنرال ووكوب عن يساره حذاء النيل
وكانت المدفعات تحمي مبصرة الجيش والفرسان والطوبجية تحمي ميمنه وكان منظره مؤثرا جدا

والمشاة وعددهم ١٥ ألفا من حنون فصيلة فصيلة مستعدين أن يصطفوا للحرب لادى اول اشارة والمدفيعات تجارى الجيش فى سيره مجازاة بحيمية وفرسان الانكليز والهجانة فى طليعة الجيش وبعد مسيرة عشرة أميال وقف الجيش ليستريح ولكن فرسان الانكليز ظلوا سائرين واحتلوا هضبة الشيخ الطيب وكان الاعداء قد جعلوا هامر كزاللاستطلاع لان الواقف عليها يرى ضواحي الخرطوم وأم درمان والنيل على مسدها والنظر بالمنظار يرى محل التقاء البحر الابيض بالبحر الازرق وهو محل ذوشان فى التاريخ وفى صباح الاربعاء استطلع الفرسان مدينة أم درمان نفسها استطلاعا تاما واكتشف الاسطول الحربى الخنادق التى تحصن الاعداء فيها ولكونها فى منخفض من الارض كما يفعل الدراويش عادة لم يتمكن الاسطول من معرفة قوتهم بالضبط ثم أصدر السردار أمرا الى الاسطول مباشرة اطلاق القنابل على مكان العدو فابتدأت سفنه فى الضرب وظهر من الاخبار الرسمية الواردة من السردار على رئاسة جيش الاحتلال انه أرسل المدفيعات المصرية فسارت فى النيل حتى صارت بازاء حصون الاعداء المقامة على الضفة اليمنى المواجهة لحصون أم درمان فأطلقت قنابلها عليها حتى دمرتها تدميرا وغتت مدافعها كلها وما زالت تسفنها حصنها بعد حصن حتى غادرتها اطلاقا بالية وكذلك الحصون المقامة فى جزيرة توتى الواقعة بين أم درمان والخرطوم كل ذلك ولم تصب مدفعية من المدفيعات بعطب ولم يلحق بأحد من عليها ضرر وكان لمدافعها وترز فعلى شديد وقتك ذريع وقال أيضا انى وصلت يوم الخميس المسد كورا الى ميل ونصف عن كرى وكانت نقط الدراويش الامامية قد تقهقرت واجتعت على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الغربى أما جيشنا المحارب فكان ينتظر نتيجة اطلاق المدفيعات للقنابل على جزيرة توتى فى الضفة اليمنى من النيل ولما وصل السردار الى كرى المذكورة أرسل الى عبد الله التعايشى كتابا يدعوه فيه الى التسليم ويقول له فيه ان سلمت عاملك معاملتة العدل وان آيت وأصررت على القتال فندعوك الى الخرو وج من أم درمان لتكون الواقعة خار جاعنها لانا لا نريد بانساء والاطفال والشيوخ الطاعنين سواء لانسب أن يلحقهم الضرر فلذلك نسألك أن تجعلهم خارج السور فى مكان لا تصل اليه قنابلنا أو رصاص البنادق اذ لا بد لنا من الاستيلاء عليها فقبل التعايشى أن يخرج جيشه من المدينة وعسكر فيما بين أسوارها بين التلول القريبة منها وراء الجهة المعروفة هناك بخور رش بالك ثم لحق التعايشى بجيشه ليلة الجمعة وبات معهم بعد أن بشرهم بالنصر وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرهم ببيعة الكفار والرجوع الى صلاة الجمعة فى وقتها بسجد المهدي وكان السردار فى هذه الليلة نفسها قد وصل بجيشه الى قرية بحيمية التى تبعد عن أم درمان بأربعة أميال وكان الظلام حالكا وتلك الجهة تكثرفها الروات والغابات بحيث يظن الخبيرون أنه لو كان التعايشى هجم فى تلك الليلة على معسكر السردار لواقع به ولكن الله قدر النصر والسلامة لمصر فبات الجيشان ولا علم لهما بما كان بعضهما ولكن السردار كان يعلم بمكان جيش العدو وقوته وفى صباح يوم الجمعة لم يشعر الجيش المصرى والانجليزى الا والدراويش يتقدمون نحوهم فرقة بعد أخرى على هيئة منتظمة حتى تمكن السردار من تقدير عددهم من نظامهم بخمسة وثلاثين ألفا وكان معسكر المصريين على هيئة هلال نقطته الوسطى قرية بحيمية التى جعلها السردار مركزه ولا ركان حربه وفى طرف الهلال من جهة أم درمان

العساكر الانجليزية وآخروها إلى عجيبة العساكر المصرية وبينهم جميعا العساكر السودانية ثم
الطوبجية ومعهم ٦٥ مدفعا منها ٢٣ من طرز مكسيم الجميع على خط واحد ثم دخلت السوارى
في مواضعها واذ كرست استيفنس (G. W. Stevens) مكاتب جريدة الديلى ميل فى كتابه
المسمى مع كتنرالى الخرطوم (With Kitchener to Khartoum) ان الجيش عند
ماعدسكر حول قرية عجيبة الواقعة على بعد ميل الى جنوب مرتفعات كرى ليله اول سبتمبر كان
يتألف من ٢٢,٠٠٠ مقاتل تقريبا وكان على شكل زاوية منفرجة وفرقة الماسجور جنرال جتاكر
(Gatacre) الانجليزية فى الجناح الايسر ولواؤها الثانى لىتلتون (Lyttelton) على رأس
الجناح وبجانبه بطارية مدافع الميدان وكان يتألف هذا اللواء من أربع اورط وهى رايفل
بريجيد ولانكشير فوزيلير ونورغريند فوزيلير وغرنادير غادر وعلى يمينه قائد لواءهم الاول ووشوب
(Wauchopé's) ويتألف لواءهم من أورط ورويك وسيفورث وكرون ولانكولوس وخلفهما
الفرقة الرماحة الحادية والعشرين وعلى يمينهما اللواء الثانى المصرى ويقوده مكسويل بك ويتألف
من ثلاث اورط سودانية وهى ١٤ ١٢٩ و ١٣ وواحدة مصرية وهى الثامنة التى كانت على
رأس الزاوية وعلى يمينه اللواء الاول قياة مكندو نلديك ويتألف من ثلاث اورط سودانية وهى ١١
و ١٠ و ٩ واورط مصرية وهى الثانية وعلى يمينه فى رأس الجناح اليمين اللواء الثالث المصرى
قيادة لويبريك ويتألف من أربع اورط مصرية هى ٤ ١٥ و ٣ و ٧ واللواء الرابع المصرى
أيضا قيادة كولينسون بك (Collinson's) ويتألف من أربع اورط أيضا هى ١ ٥٩ و ١٧
و ١٨ وكان هذا اللواء بصفة احتياط فى وسط المثلث على شمال القرية وكانت المدفعايات جميعها
تشغل مراكزها على خط مستقيم وأورط السوارى والهجانة على مرتفعات كرى والجناح الايمن
كان معززا بثلاث مدفعايات حريمه فى النيل كما ان الجناح الايسر كان معززا بمدفعايتين أيضا فى
النيل هذا أما جيش الخليفة فكانوا يقدرونه بين أربعين وخمسين ألف مقاتل مقسم الى ثلاث فرق
كانت الاولى من تحت قيادة عثمان الازرق ووجهتها مهاجمة قرية عجيبة المعسكر فيها الجيش المصرى
والانجليزى وكانت الثانية تحت قيادة على ولد حلو ومعها الراية الزرقاء ورفقته وولد التعايشى الاكبر
عبدالله شيخ الدين ووجهتها الصعود فوق مرتفعات كرى لتهدق بجناح الجيش الايمن والثالثة تحت
قيادة الخليفة عبدالله نفسه وأخيه يعقوب وكانت واقفة خلف جبل سرجهام وعلى ذلك كان
يرحف جيش المهدي اه

ولما وصل جيش التعايشى الى آخر مرعى المدافع المصرية أخذت تطلق قنابلها عليه ولم يزل
الدرراوى يش يتقدمون على جيش السردار حتى التحم جناحهم الايمن بجناح الجيش المصرى الايسر
الذى يشغله السوارى الانكليزية فكاد الدرراوى يش يفتككون بهم واستمر جناح الدرراوى يش الايسر
ساررا يتقدم نحو الجناح الايمن من الجيش المصرى الذى هو مركز السوارى المصرية فلم يلتمح به الا
بعد ساعة وربع كانت العساكر الانكليزية انتصرت فيها على جناح الدرراوى يش الايمن واستمر القتال
بعد ذلك بين الفريقين خمس ساعات ولما انكسر جناح الدرراوى يش الايمن سار الجيش الانكليزى حتى
قطع عليه خط الرجعة الى أم درمان فاحصر الدرراوى يش بين نارين ولذلك لم يسلم منهم الا القليل الذى
التجأ الى الصحراء والذى دفع بالدرراوى يش الى هذا التهور فى الهجوم حتى انحصر واين النيران انهم

كانوا يحاولون الالتحام الكلى بجيش السردار لاستعمال السلاح الابيض الذي تعودوا الانتصار به في وقائعهم ولما خلت الطريق من الدراويش بين عجيبة وأم درمان تقدم السردار حتى وصل الى خورشبال ونزل للاستراحة وكان التعاشي في هذه الاثناء قد رجح الى أم درمان فدخل منزله وضرب النفير المسمى عنده (بالبيعة) فلم يجبه أحد من حزبه ولما استبطأهم ساروا رجلا من أحد أبواب منزله مسافة ميل ونصف الى أن خرج من باب أم درمان الجنوبي ثم ركب فرسه وأمر نائبه واتباعه بأن يلحقوه فلحق به من لحق وبقي من بقي ومن لحق به ابنه عثمان الملقب بشيخ الدين وعثمان دقنه و يونس الدقن وغيرهم ويقال انه قد فرمعه من جنوده نحو العشرة آلاف بالسلحهم وعدتهم

أما السردار فإنه لم يجمع على أم درمان في الحال لان الجيش كان ظمآن متعبا ولما استراحوا دخل السردار بجيشه أم درمان وذهب الى بيت التعاشي وسأل عنه فقيل له انه موجود فيسه لانهم لم يعلموا به وبه فأمر السردار بحصار البيت فحاصروه وبعد قليل تحقق الجيش ان التعاشي فرهاربا في أثناء استراحة السردار وقال أحد من شاهد حرب اليوم المذكور انه لما دخل الجيش المدينة فعلت الاورطة التاسعة السودانية والعرب الموالون للحكومة من الافعال ما يجمر له وبجه التمدن بخيلا ويقال ان أغلب جنودها كانوا من اتباع الامير محمود ولهم معرفة تامة بأم درمان فانطلقوا في أنحاء المدينة يعيشون فيها الفساد يهيمون ويسلبون ويفسكون ولما علم السردار بذلك أمر مشددا بمنعهم وبمراقبتهم وقد كان بيت مال التعاشي محط آمال السردار فإنه أمر عند دخوله المدينة الاورطة السابعة تحت قيادة الميرالاي ابراهيم بك فتعي بالمحافظة عليه ويقول أهل أم درمان ان التعاشي لم يأخذ معه من أمواله شيئا ويقولون ان بينها كثيرا من الفضة والذهب ووريش النعام وقرن الخمرية وسن الفيسل ولكن تداول على الالسنة فيما بعد أن التعاشي كان نقل أمواله ونفقاته من أم درمان الى مكان مجهول قبل ذلك بسنة من الزمان وبعد ان تفقد السردار أبنية المدينة ومعاملها أمر بجمع الاسلحة وقسمتها على جنود الجيش لتكون عندهم بمنزلة التذكار وأرسل الاخبار البرقية بانتصاره هذا الى رئاسة مجلس النظار عصر قال انه في فجر يوم ٢ سبتمبر هجم جيش الدراويش باكله تحت قيادة الخليفة بنفسه على القوة التي تحت قيادتي ولكن الدراويش اضطروا للتقهقر بعد أن تكبدوا خسائر جمة ثم بدأت بالتحرف على أم درمان وعلى مسافة أميال منها هجم العدو علينا هجمة شديدة وفي هذه المرة تشتت شمل جيشه وتمزق كل ممزق واحتلنا أم درمان بعد الظهر بلا مقاومة تذكر وأما الخليفة فقد ولي الادبار وفرسانا في اثر ما طاردتهم والمدفيعات ونيفلند و ابراهيم فوزي و ١٥٠ أسير مصر ياق دخلصوا كلهم من الاسر وهم بغاية السلامة معنا وكان سلوك الجميع جديرا بالمدح والشناء وفي مساء يوم السبت سلمت بقية قوات الخليفة والاسرى كثيرون وأما خسائر الجيش فبالجارج من الضباط المصريين تسعة توفي منهم واحد وقتل من العساكر المصرية ٣٥ والجرح منهم ٢٧٩ وخسائر الجيش الانكليزي ثلاثة منهم الضابط غرنفيل ابن أخي الجنرال غرنفل باشا قومندان جيش الاحتلال الحالي والمستر هوارد مكاتب جريدة نيو يورك هرالد و جرح سبعة ضباط وقتل ٢٤ عسكريا و جرح ١٠٣ امان خسائر الدراويش فقدت القتلى نحو ١٠٠٠٠٠ والجرحي نحو ١٦٠٠٠ والاسرى نحو أربعة آلاف

فيكون مجوع ماقتل وجرح وأسرى منهم نحو ٣١,٢٠٠ نفر وشرح مكاتب جريدة الدالى تلغراف الانكليزية هذه الواقعة في رسالة بعث بها الى جريدته قال أصبحت وفي استطاعتي ان أبعث لكم شرحا وافياعن اليوم الثمانى من واقعة أم درمان ولا يخفى كم انه لم يكن في الامكان ارسال ذلك في يوم الواقعة نفسها بسبب الخطر الشديد على المراسلات فاضطرت حينئذ أن أضبط الواقعة في مذكري واليكم الشرح الوافى عن حملة الدراويش الذين هاجونا أول يوم فأصدر السردار أو امره للدولة الانكليزية بعد أن سارت الجنود المصرية والسودانية تمهد الطريق قبل ذلك والغاء العدو وللتقهقر ولم يحصل في اليوم الاول غير هذه الحركات وفي اليوم الثمانى كان التعاضى برجاله مستعدا للقتال على تل عال ثم استأنف الحملة على الجنود المصرية وحينئذ اندفع كالسيل الجارف الى الامام غير أن المصريين والسودانيين قابلوهم بشجاعة وثبات مدح عليهم ما أعظم الجيوش المدربة على القتال السنين الطوال وقد اصطقت الجنود المصرية على خط واحد مع الهوامكندونلند السودانى الذى كان جناحه اليمين مرتكزا على النهر والجناح الايسر واصلا الى سفح الاكمة العالية كلهم جميعا واقفون للتمرين أو الاستعراض لا يبالون بالموت الزؤام ولم تظهر عليهم علامة تاللاضطراب والقلق حتى في النقط التى كان الهجوم عليها قويا بشديد بل استمرت الجنود على اطلاق سيرانها بثبات غريب ومهارة فائقة ينصب رصاصها فيفتك بالعدو الذى بلغ عدده خمسة عشر ألفا وأكثر فكان ذريعا ولما كان السردار في هذا الحين يتدبى بالزحف على أم درمان حيث الساعة ٨ صباحا وقد رأى ما هو واقع أمامه في الجناح اليمين اضطرا أن يوقف سير الجنود ويحول وجهها للاخذ بناصر الجنرال مكندونلند وقد كان لأنه بقيت الجنود المصرية والسودانية على ما كانت عليه ثباتا وشجاعة حتى ان الجندي الواحد أفرغ في هذه المعركة ساعتئذ ١٢٠ خرطوشا في الواقع ونفس الامران الانتصار الباهرا كتسب في تلك الساعة وان لم يأت لنصرة الجنود المصرية والسودانية في هذه المعركة الهائلة من الجنود الانكليزية سوى أورطى (سيمفورت) و (الكرون هالينسدرس) ويمكننا أن نقول بعد ذلك بكل ارتياح ان الفضل في رد الدراويش على الاعقاب والقضاء عليهم في ذلك اليوم هو للجنود الخديوية المصرية والسودانية وفي ذلك الوقت علمت بطارية مكسيم وأورطة الميدان الثانية والثلاثون عملايذ كوقد كانت بالقرب من الواقعة ذروة عالية كانت عليها فتنة من الدراويش تطلق الرصاص فسار اليها السردار بالجنود الانكليزية وطرد هاهنا من مكانها ثم صحبت المدافع بسرعة بحبيبة الى أعلى الذروة التى كانت تجاوز السهل المنبسط الذى كان ميدان القتال بين الجنود المصرية والدراويش ولما وضعت المدافع في ذلك المكان أرسلت الى البقارة ناراحامية أصلتهم وأضرت بهم فاضطروا الى التقهقر ولكنه لم ينته القتال وقتئذ فقد حاول الدراويش أن يسد فعاورة ثانية عن جهة الوادى غير ان الجنرال مكندونلند امير الالى اورطة السودانية أدار مقدمة جنوده بتحويل وجهها جنوبا وناهيك بهذا العمل الصعب في موقعة هائلة لا كما يكون مثله وقت الاستعراض والتمرين غير أن الجنود انتظمت بسرعة غريبة مدهشة وبعد بضعة دقائق كانت نيران بنادقها تنصب على الدراويش حتى اضطرتهم وهم أشجع البقارة وأقدرهم على القتال الى القهقرى فخفت بذلك وطأة هجومهم الشديدة عما كانت عليه في أول الواقعة وكانت الجنود الانكليزية في ساعة هذه الواقعة واقفة تشاهد القتال اذ كان العمل كله للجنود الخديوية ثم مدح شجاعة الدراويش وقال

كل ماضى لم يثن من عزيمة رجال التعاشى الراجلين بل هو قد زادهم حماسة واقداما و كاتمانيران
 حب الانتقام اتقدت فى صدورهم فساروا الى الامام آخذين السهل عرض وجوههم مطالبين
 بنار أولئك الفرسان البواسل وقد ظلوا هكذا يلبون على شئ يؤيطلقون بنادقهم آفاقا واهم
 زاحفون على جنودنا حتى صار الجواقم مغبرا بسهامهم ولكن لحسن حفظنا كانت مراميمهم عالية
 فكان رصاصهم يتطار فوق رؤسنا بغير جدوى وكانت هذه جملة الخليفة الاخيرة تتحقق فى وسطها
 رايته السوداء وقد أخذت مدافعا وبنادقا تصب عليهم نيرانا حامية حتى قطعت صفوفهم ولا سيما
 المدافع التى كانت على مرتفع مطل على الوادى فانهم اعلمت عملا يذكر الى أن قال وكانت الراية
 السوداء المنقوشة ببعض الكلمات الدينية تتحقق وحولها يسقط الدراويش زرافات ووحدا نا
 صرعى بقنا بل مدافعا و رصاص بنادقنا الى أن فر الخليفة التعاشى و بقيت الراية بين رجلين
 لا يفارقانها حتى سقطا الى أن قال ولقد استمر بعد ذلك المنظر المؤثر اطلاق النيران من جنودنا بضع
 دقائق حتى خلا الجومن رائحة الدراويش وكان بعضهم قد طلب الفرار وبعضهم ألقى بسلاحه الى
 الارض كدرا وحرنا و صار عشى الهوى بنا غير مكثث بالرصاص الذى يتبعه ولم يسلم الينا غير التزر
 اليسير وبذلك تم القضاء على قوة التعاشى الى أن قال وأمانحن فحولنا وجوهنا نحو أم درمان حيث
 انتهت الواقعة وتم الانتصار الباهر وكانت الطريق الموصلة الى تلك المدينة فى سهل مغطى
 بالثبث الملحقة بالمرقات البيضاء وكان من ضمن القتل على أخوان الخليفة ومشير محمد يعقوب شيخ
 الدين والامير عثمان الازرق وقائد آخر من أعظم قواده وبعض الامراء المختلفين وأما التعاشى
 فقد فر كما ذكرنا آفاقا واقتفت الفرسان والطوبجية أثره ولكنهم تظفروا به اه هذا ويقال ان
 التعاشى أرسل قسما عظيما من جنوده قبل واقعة أم درمان الى كردفان ليكونوا له نصراء فيما بعد
 وذلك حينما افتكر فى قوة الجيش المهاجم وعلم مقدرته وجودة أسلحته ونظامه فان صدقت هذه
 الرواية كانت الجنود المذكورة غير الجنود التى فرت معه يوم الواقعة قالت جريدة بولتيس كرسبندانس
 الألمانية يظهر ان الخليفة حارب الجنود الانكليزية والمصرية مقتنعا ان لا أمل له بالنجاح امامها
 وعليه لاقاها بقسم من جنوده وأبقى قسما كبيرا للجدد به الجملة وبعيد الكرامة حتى سنحت له الفرصة
 أوليقيم العراقيل على الأقل فى سبيل تأييد الحكم الانكليزى المصرى فاذا صح ذلك كان على جيش
 السردار مهمة عظيمة بعد ولم تكن معركة أم درمان وما سبقها غير بدء الحرب السودانية الحقيقية
 لان الحملة حاربت الى الآن على ضفاف النيل وكانت المواصلات ووسائل النقل متيسرة برا وبحرا
 أما الآن فلا بد لها من اختراق الصحراء بعيدة عن قاعدة أعمالها ومن احتلال كردفان ودارفور
 ليقطع خط النيل فى يدها طبقا لما كان خديو يومصر السابقون يفكرون فيه ويسعون فى تحقيقه
 وختم المكاتب رسالته بقوله انه لا يبعد من ثم أن تقوم الحملة الانجليزية المصرية بأعمال جديدة فى
 الشتاء القادم اه واتخذ السردار منزل الامير يعقوب أخى التعاشى الذى قتل فى الواقعة مسكنه
 ورفع عليه العلم المصرى والعلم الانكليزى ثم جعل مكسويل بك قومندا لالام درمان والبكباشى بتر
 الذى كان حكاما بوليس مديريه الجزيرة سابقا حكاما بوليس فيها وبعد ذلك قصد خراب الخراطوم
 وتفقد رسومها الدارسة ودارصناعتها وما من المهمات والذخائر والادوات والاسلحة وأمر
 بالمحافظة عليها ثم أطلق سراح جميع المسجونين بين مصريين وغيرهم وأصدر نشرة من فيها الجنود

الانكليزية والمصرية على فوزهم العظيم وينتج على آدابهم وحسن سلوكهم في الموقعة الفاصلة التي قضت على قوة الدراويش وأخذت بشار غوردون ثم رفعت الراية الانكليزية والراية المصرية على الخرطوم أيضا ولما وصلت أخبار هذه الانتصارات الى مصر وأروبا وردت الرسائل التلغرافية بالتأني الى السردار من جلالته ملكة الانكليز ومن سمو لانا الخديو ومن جلالته امباطور المانيا ومن كثيرين من عظماء الرجال ورفت الحكومة الانكليزية السردار كفتش باشا الى رتبة بارون وأتمت عليه بمبلغ عظيم قدره ٢٥٠٠٠ ليرة وأتمت الحكومة المصرية على رجال الحملة بمرتب شهرين مكافأة لهم على أعمالهم ولما كانت التهمة المقامة على قبر المهدي في أم درمان تم دمت بمقتوفات البواخر قبل الواقعة بيوم اجتمع غوردون بك ابن أخى غوردون باشا ومكسويل بك وبعض من ضباط الجيش الانكليزي أثناء سفر السردار الى فاشوده وهدموا ما بقى من القبة بالديناميت نحو آثار المهدي بالكلمية ونشوا قبره وأخرجوا جثته ولم تكن بليت بعد ووجدوا جلد رأسه ناشفا على الجحمة ورأسه ولحيته بقية من الشعر ووجدوا تحت رأسه هلالا من الفضة في وسطه نجمة من الذهب وفي عنقه سحجة وهو راقد على فروة فأخذ غوردون بك رأسه ليرسلها الى لندن لتعرض في معرض الجحاح مما جثته فنشرت في جوانب الصحراء وبذلك تم الانتقام لغوردون وورد في الكتاب الازرق الانكليزي الرسمي انه لما فتحت الخرطوم قابل سفير إنجلترا الموسيو دل كاسي ناظر خارجية فرنسا (٧ سبتمبر سنة ١٨٩٨) فهناها هذا الفوز ثم قال له وأظن ان الاسطول الانكليزي يسير في النيل حالا الى الجنوب فاذا اصاب ظني فلا بد ان يلتقي عمال قليل بالكبتن مرشان ولذلك يحسن أن تعلم الحكومة الانكليزية انه أعطى أصرح الاوامر وأوضحها فأن خبر صريحها انه انما هو رسول للندن ولا سلطة له أن يحكم في مسائل الحقوق الخاصة بالحكومتين الانكليزية والفرنساوية وحدهما دون سواهما وخذران يأتي أمر ايفضى الى المنازعات المحلية ثم سأل السفير ان يخبر لو رد سال يسرى بذلك وأعرب عن أمه بان يصدر الاوامر الى قائد قوات المملكة المصرية في النيل بان لا يأتي أمر ايفضى الى منازعات محلية فيما يتعلق بمسائل الحقوق فشكر السفير الناظر على تهنئته وسأله هل جاء الحكومة الفرنسية بأخبار عن الكبتن مرشان حديثا أو أين محله الآن فأجاب انه وصلنا أخبارا منذ ٨ ساعة عن الكبتن مرشان ولكننا لانعلم محله الآن لان تلك الاخبار وصلتنا بعد زمان طويل والارجح ان الكبتن مرشان وصل الى النيل بعد ذلك ولذلك تخشى الحكومة الفرنسية من وقوع النزاع عند التقائه بالاسطول الانكليزي فأرسل السفير في ذلك اليوم أى في ٧ سبتمبر يخبر لو رد سال يسرى بذلك وفي ذلك اليوم عينه أرسل المستر نزل رود (Rennell Rodd) سكرتير قنصلية إنجلترا بمصر تلغرافا الى لو رد سال يسرى يقول فيه ان السردار علم بعد البحث ان في فشودة ثمانية ضباط فرنسويين وعثانين عسكريين ممن أهل السنغال وان الراية الفرنسية مرفوعة عليها ويظهر ان ليس فيها أحباش ولا في سوبات مع انه كان قد بلغنا منسذمة انهم كانوا في تلك الجهات وكان الخلية قد أرسل باخرتين الى فشودة فاطلقوا النار عليها وبقيت احدها ما جنوبا ورجعت الاخرى الى الخرطوم لتخبر الخليفة بما كان اه وكان السردار لما سمع من باخرة الدراويش المذكورة ان جلالته الفرنسية تحت رئاسة ضابط يدعى مرشان (Marchand) احتلت فشودة خابرو كالة البريطانية بمصر فصدرت الاوامر بما يلزم فركب في يوم ١٠ سبتمبر

١٨٩٨ ثلاث بوارج حربية وهى الفاتح والناصر والملك وأخذ معه الاورطة الحادية عشرة
والاورطة الثانية عشرة المصرتين ونحو مائة عسكري من الانجليز وبعض مدافع وسار فى النيل حتى
وصل مقابل فاشودة يوم ٢١ ستمبر المذكور فرسانهالك ولم يعض الا القليل حتى جاءه بعض
الفرنسيين فى صندل من الحديد يسألونه من انتم فقال لهم ثم سألهم ومن انتم قالوا اننا من رجال
مرشان فلاحظهم السردار وأكرمهم وطلب منهم أن يخبروا مرشان بمجيشه وأنه يروم الاجتماع به
فأما أن يأتى اليه أو يذهب هو اليه فرجعوا وكان مرشان قد بنى حصانه على خور على ضفة النيل
ورفع عليه الراية الفرنسية وأقام فيه رجاله وعددهم احدى عشر أوروبا وباقى غيره و ١٥٠ سنغاليا
وغيرهم وهم يلبسون الطرايش ومعهم خمسة صنادل من الصاج فلما عاد اليه رجاله وأخبروه
بكلام السردار ركب صندل مع بعض رجاله وجاءه زيارة السردار فأحسن السردار ملتقاه ونزل
كلاهما الى السفينة المصرية حيث اختلفا لمدة ثلاث ساعات ثم خرج مرشان فودعه السردار الى سلم
بارجته وركب بعد قليل هو والميرالاي ونجبت بك لرد الزيارته وفى صباح اليوم التالى اختار السردار
بقعة على ضفة النيل تبعد نحو مائتى ياردة عن الراية الفرنسية شمالا ونصب عليها الراية
المصرية ونادت الجنود حينئذ افنديز حوق يشانلا ثم وضع أربعة مدافع بجانبها وترك الاورطة
الحادية عشرة هناك وسار ظهر يوم ٢٢ ستمبر جنوبا مسافة ستين ميلا الى نهر صوب بقعة فرجع
الراية المصرية عليها أيضا بجفلة كالجفلة التى تمت فى فاشوده وترك فيها نصف الاورطة الثانية
عشرة ووقفل راجعا ويقال انه طلب من مرشان وجماعته ان يأتمعه فأبوا الا بأمر دولتهم وكان
السردار اقتصر كثيرا فى محادثة مرشان واقتصر على ابلاغه البلاغات الرسمية فقط ثم عاد الى
الخرطوم وبعث عن ذلك رسالتين الى وكالة البريطانية بمصر فأرسل مستر رود عنهما تلغرافين الى
لورد سالبرى أحدهما فى ٢٢ ستمبر والثانى فى ٢٥ منه وهما

(الاول) وصلتني من السردار خبر من رفع قبلى الخرطوم بنحو ٣١٠ أميال يقول فيه لاريب
ان الجنود التى هى فى فاشوده جملة مرشان وانه ليس للجيش أثر فى جهات صوبات ولا النيل
الابيض وان قبائل دنكا والشلك ساعدت الحملة ظننا منها ان رجالها انكيز ينصرون الحكومة
المصرية فلما علمت انهم لبسوا كذلك قالت انها نجت عنهم وقد طلب السردار من قبائل الشلك
ان تقابلوه وهو يؤمل ان يصل الى فاشوده بعد ثلاثة أيام وقد فاجأ الدراويش وهم ينتظرون وصول
المدد من الخرطوم للهجوم على الفرنسيين فشتت شملهم بعدما قاوموه مقاومة شديدة وغنم
باخرتهم واحد عشر زورقا وهو يقول انه يفرغ الجهد فى المجى عبر مرشان ورجاله معه وقد اتصل به انهم
أقاموا الحصون وحفروا الخنادق فى فاشوده (والثانى) قال فيه رجعت الآن من فاشوده وقد لقيت
فيها الموسوم مرشان وعثمانية ضبطت و ١٢٠ عسكريا وكذا فادرفه والراية الفرنسية على دار
الحكومة القديمة وسكنوا فيها فكتب اليه كتابا قبل وصولي بيوم أخبره فيه انى قادم الى فاشوده
فى الصباح التالى أى فى ١٩ ستمبر جاء فى زورق صغير رافع الراية الفرنسية بجواب من
مرشان وفيه يقول انه وصل الى فاشوده فى ١٠ يوليو بعدما أمرته حكومته باحتلال بحر
الغزال حتى ملتقاه ببحر الجبل وأيضا بلاد الشلك على الضفة اليسرى فى البحر الابيض الى فاشوده
وانه عقد معاهدة مع مشايخ الشلك مقتضاها بسط حماية فرنسية على بلادهم وأرسل المعاهدة الى

حكومته لتصادق عليها عن طريق الحبشة وطريق البحر الغزال أيضا ثم وصف القتال الذي جرى بينه وبين الدراويش في ٢٥ أغسطس وقال انه كان ينتظر هجومهم عليه هجوماً أعظم من الاولي فتدارك ذلك أرسل باخرته جنو با في طلب المدد ولكن وصولنا منهم من اعادة الكرة عليه فلما وصلنا الى فاشوده جاء الموسيوس مرشان والموسيوس جрман الى باخرتنا فآخبرتهم ما من فوري ان وجود قوم من فرنسا وبين في فاشوده و وادي النيل بعد تعدد با على حقوق مصر والحكومة الانكليزية واعترضت على احتلالهم لفاشوده ورفعهم الراية الفرنسية على أملاكهم والخذوي أشد الاعتراض فأجابني الموسيوس مرشان ان الاوامر صدرت اليه صريحة باحتلال تلك البلاد ورفع الراية الفرنسية على دار الحكومة في فاشوده وانه يستحيل عليه الخروج من ذلك المكان الا باوامر حكومته وهو ينتظر ان اوامرها لا تطغى فساأته عما اذا كان يقاومنا في رفع الراية المصرية على فاشوده وهو يعلم ان معنى قوة أعظم من قوته فتردد ثم قال انه لا يستطيع المساومة فرفعت الراية المصرية حينئذ قبلى الراية الفرنسية بنحو خمسمائة ياردة على ركن منهدم من أركان الحصون المصرية القديمة المشرفة على الطريق الوحيد بين مكان فرنسا وبين داخلية البلاد لان المستنقعات تحيط بكان فرنسا وبين من الشمال وهي سباح لا تعبر وقبل سفري من فاشوده مجنو بادفعت الى الموسيوس مرشان كتابا اعتراضت فيه اعتراضا رسميا بالنيابة عن الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية على احتلال فرنسا لجزء من وادي النيل لان ذلك يكون تعديا على حقوق الحكومتين وقلت اني لا اعترف باحتلال فرنسا لجزء من وادي النيل وتركت في فاشوده حامية وهي عبارة عن أورطة سودانية وأربعة مدافع وبخرة مدفعية تحت أمر المايجور جكسن وعينته قوم من اندالوز فاشوده ثم سرت الى صوبات ورفع الراية عليها وأقت نقطة فيها في ٢٠ سبتمبر ولم أر الا جاش أتر اعلى نهر صوبات وليكني أنبث ان أقرب نقطة لهم تبعد ٣٥ ميلا عن ذلك النهر ووجدت بحر الجبل غاصا بالطحالب والاعشاب فأمرت مدفعية ان تسير في بحر الغزال للاستطلاع متوجهة جهة مشرع الرق وعدت فلما مرت بفاشوده في وجوهي شمالا أرسلت الى الموسيوس مرشان كتابا أقول فيه ان نقل المواد الحربية ممنوع لان البلاد موضوعة تحت الاحكام العرفية وجاء شيخ قبيلة الشلك وكثيرون من رجاله الى معسكر المايجور جكسن وأنكرانه عقد معاهدة مع فرنسا وبين وقد أبدت القبيلة كلها من يد السرور بالرجوع الى طاعتنا هذا والموسيوس مرشان تعوزه الذخيرة والمؤونة وكل ما يرسل اليه لا يصله الا بعد أشهر ثم انه منقطع عن داخلية البلاد وسائط النقل في الماء عنده لا تبقى بالمراد وليس له اتباع في البلاد ولو تأخرنا أسبوعين عن قطع دابر الخليفة للاشئ الدراويش حملته ولم ينجها أحد من أيديهم انتهى عن الكتاب الازرق

واعلم ان مرشان هذا هو ضابط فرنساوي تحت إمرة ميسيو ليونارد (Liotard) حاكم عموم الكونغو الفرنسية وكان ليونارد بفرنسا في هذا الوقت ولما علم به مكاتب احدى الجرائد ذهب اليه وقابله ولما سأله عن مرشان وحملته قال أقوالا استسبنا درجها في أسفل الصحيفة (١) لتمايم الفاتدة ولما عاد السردار الى الخرطوم أخذ يتظر في أحوال البلاد التي تم له فتحها وأرسل

(١) قال الموسيوس ليونارد لادو وبحر الغزال كانتا تابعتين للحكومة المصرية من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٨٣ أي الى ما بعد واقعة هيكس بشا وتسلم سلاطين باشا بلاد دارفور وانصب لبتون بل من مدير بحر الغزال المذكورة

بعض السرايا في البحر الأزرق على البواخر المصرية لتمام فتح بلاد سنار وجهات القلايات وسار برسوز باشا فاستولى على القصارف بعد ان فرق جموع الدراويش المجتمعة هناك تحت رئاسة ولد الفضل أحد قواد جيوش التعاشي ثم عاد السردار الى مصر في يوم الخميس ١٦ أكتوبر سنة ١٨٩٨ فاحتفلت الحكومة وادارة جيش الاحتلال باستقباله احتفالا باهرا وباتمام هذا الفتح العظيم عاد السودان المصري الى مصر ولم يسبق خارجا عن أملاكها القديمة بالسودان المصري سوى كردفان ودارفور ومقاطعات خط الاستواء ومديرية بحر الغزال

ودخل احتلال الفرنسيين لفاشودة في دور سياسي عظيم وكان مسيو هانوتو (Hanotaux) وزير خارجية فرنسا السابق كتب عن تقسيم افريقية رسالة في مجلة باريس سنة ١٨٩٦ قال فيها انه يجب على كل فرد من الجمهور ان يعرف أنه اذا احتلت جملة مرشان مدينة فاشودة فما الفضل في ذلك الا لرجال الحكومة الفرنسية الذين وضعوا هذا المشروع منذ زمن من مديد قاموا بتنفيذه بناء على الخطة التي رسموها له وكل من نزع منهم الى القول بانحطاط فرنسا وهبوط نفوذها الاستعماري فما عليه الا ان يطرح نظره على خريطة افريقية وآسيا يدرك مقدار خطته فيما ذهب اليه من النظر والاعتقاد اه

اذ انها سقطت في يد المهدي ولم تقتكر انكثره بشأنها مطلقا في ذلك الوقت حتى سنة ١٨٨٨ أي عند تأسيس ولاية الكونغو الحرة ولما كانت هذه الولاية مجاورة لأملاك فرنسا في شرق افريقية ابتدأت المخبرات معها في أمر تسوية الحدود التي انتهت بتحديد حكومة الكونغو الى مركزها الحالي في الاو بنجي وما والاها نتر قال النيل فلذلك سارت حملتا بحيرة تشاد تحت رئاسة الموسيو بونشاب (Bonchamps) وحملة بحر الغزال تحت رئاسة مارشان وكان خروج مرشان من فرنسا في سنة ١٨٩٦ يرافقه ثلاثة تيز باشيه وهم جرمان (Germain) وباراتيه (Baratier) ومانجان (Mangin) والملازم لارغو (Largau) والترجمان لاندروان (Landeroin) والحكيم البحري ايميلي (Emily) واتى عشر صف ضابط فرنسي والملازم البحري ديه (Dyé) وأنيط هذا الأخير مقل مدفعية في الاو بانجي الى بحر الغزال وبعد ان تجهزوا بجميع المعدات خرجوا في أول مارس سنة ١٨٩٧ وبرفقهم مائة تيز سنغالي من مدينة برازا فيل (Brazzaville) بالكوتو ثم انقطعت الاخبار عن مارشان الى ١٧ سبتمبر وفي يونيو سنة ١٨٩٨ عرفتنا الاخبار الواردة ان حملة مرشان وصلت مشرع الرق وهي نقطة تقابل بحر الغزال ببحر الحمر وبعد ذلك اتجه مرشان الى فاشودة بعد ان عمل الاكتشافات اللازمة وظهر له منها ان مقاطعة بحر الغزال واسعة الاطراف وانها كثيرة المستنقعات وسكانها قلائل ومناخها غير صحي تولد فيها الحميات ولا يمكنه على أي حال تمكن من الوصول الى هناك بعد ان قطع الغابات الضخمة مرة على الاقدام ومرة على القوارب التي كانت معه ولم يصادف في طريقه مقاومة من القبائل أو غيرها بل بالعكس كانوا يعدون اليه يد المساعدة ويأخذونهم جمالا وقد حملوا القوارب المذكورة والمؤن والذخائر وانه كان عنده ثلاثة آلاف رجل يحملون المعدات وهم راضون عنه ومن معاملته قال ولو اردنا عشر من الف رجل لوجدنا ذلك ميسورا وأهل بحر الغزال أقل من السنغالين شجاعة وثباتا الا انهم مطيعون ماداموا يعملون بالحسن وقدم مدح مرشان بقوله انه ضابط باسل قوي الارادة حرا لثقة كثر شجاع القلب لطيف المعاشرة وهو شديد الوطنية الى درجة عظيمة وان الضباط الذين تحت امرته هم خلاصة رجالنا وأفضل جنودنا شجاعة وثباتا ولا يعرف مرشان غير وظيفته ومركزه ولا يتحرك من مكانه بل يبقى في فاشودة حتى تصدر له الاوامر من حكومته وانه تم هذا العمل بكل نجاح باهر ومودة غريبة اه وقال كاتب الديبلي تلغراف ان الميرالاي ونجت بك مدير قلم المخبرات المصرية تعهد جنود مارشان المائة وخمسة عشر نفرا فقال انهم ليسوا من السنغال بل هم من أهالي تيمبكتو ويقول الضباط الانكليزيان هؤلاء الجنود الذين أحضرهم مرشان من تيمبكتو هم من أجنال الجنود التي رأوها في افريقية اه

وقد ورد في الكتاب الأزرق انه لما اطلع لورد سالسبري على تلغراف في السير أورد مونسون
 (Sir E. Monson) سفير إنجلترا بباريس وتلغراف المستر نزل رودس كرتير الو كالة
 البريطانية بمصر أرسل تلغرافا الى السفير إنجلترا بباريس في ٩ سبتمبر ١٨٩٨ يقول له فيه اذا
 عاد الموسيود لكاسي (ناظر الخارجية الفرنسية) الى هذا الموضوع فقل له انه بعد الحوادث
 الحربية التي حدثت في الاسبوع الماضي أصبحت كل الاراضي التي كانت خاضعة للخليفة
 ملكا للحكومة الانجليزية والحكومة المصرية بحق الفتح وان الحكومة الانجليزية ترى ان هذا
 الحق لا يقبل المناقشة ولكنهما مستعدتان لحل سائر المسائل المتعلقة بالاراضي التي لا تدخل لها
 فيما تقدم حلا جيبا يبحث فيه الفريقان بتمام الحرية كما يروم سعاده فلخص السفير كلام لورد
 سالسبري هذا بالفرنسية وقابل ناظر الخارجية وأطلع عليه فقراه وراجعها ثلاثا ثم أجاب ان
 عبارة الاراضي التي كانت خاضعة للخليفة عبارة مبهمه وانه لا يعلم الى أين تمتد تلك الاراضي مع انه
 بذل العناية في درس مسائل الاراضي الاثريه اما كان ناظر المستعمرات الفرنسية ثم عاد السفير
 فقابله في ١٨ سبتمبر فقال الموسيود لكاسي اني أعلم بمكان الموسيود مرشان الآن ولكن هب انه في
 فاشوه كما تقول الجزائر الانجليزية فهل مراد الحكومة الانجليزية ان تفهم الحكومة
 الفرنسية انه لا يحق له ان يكون هناك فأجاب السفير لاريب عندي قط ان الحكومة الانجليزية
 تروم ان تكون على غاية الود والصدقة مع فرنسا ولكنها تعدد شروطه من البلاد التي كانت تابعة
 للخليفة وصارت الآن ملكا لبرطانيه العظمى ومصر وأمان جهة حق الموسيود مرشان ان يكون
 حيث هو الآن فتعلمون كما أعلم أنا ان الحكومة الانجليزية أفهمت فرنسا صريحا انها تعدد دخولها
 الى وادي النيل الاعلى عداوه فلماذا أرسلتم هذه الجملة وانتم تعلمون سوء العواقب التي لا بد منها اذا
 بلغت الجملة المكان الذي بلغت فاجابه الموسيود لكاسي ان فرنسا لم تعترف بمنطقة النفوذ الانجليزي
 في وادي النيل الاعلى بل ان الموسيود هانو تو اعترض عليها جهارا في مجلس الشيوخ وكذلك الموسيود
 كورسل سفيرنا كتب الى لورد كمبرلي يعترض عليه الما قال السرداورد جرائ ما قاله في ٢٩ مارس
 سنة ١٨٩٥ على انه ليس هناك جملة تسمى جملة مرشان بل مرشان من الضباط التابعين للموسيو
 ليونار فان فرنسا عينت الموسيود ليونار مندوبا على نهر الاونجي الأعلى سنة ١٨٩٢ وأمرته
 أن يحافظ على مصالحها في الشمال الشرقي ولما كان مرشان تابعه فقد تلقى كل أوامره منه وأعاد
 الموسيود لكاسي قوله للسفير مرارا انه ليس هناك جملة لمرشان ورجاله حتى رضح في ذهن السفير من
 كلامه ان مراده هو ان الموسيود ليونار أرسل مرشان ففعل ما فعل لان فرنسا فعلت فعل الاعداء
 فسأله السفير عن الزمان الذي أرسله ليونار فيه فأجاب ان ذلك كان منذ سنتين فقال السفير ولكن
 الحكومة الانجليزية أثبتت للفرنسا وبين قبل ذلك بزمن طويل انها تعدد دخولهم الى وادي النيل
 عداوة لها فأجاب ناظر الخارجية ان مصر كانت قد فقدت السودان سنة ١٨٩٣ وان فرنسا
 حذت في مسيرها الى النيل حذ وانجلترا في فتح مسير به بخط الاستواء ثم ذكر اسبابا أخرى من هذا
 القبيل وعاد فاستدرك عما فاتا ولكن لا محل للمناقشة بيني وبينك قال السفير فوافقته على ذلك ثم
 أثبت له بصريح العبارة انه اذا كان الموسيود مرشان قد احتل نشوده فقد أمست الحال محفوفة
 بالاحظار لان الحكومة الانكليزية لا توافق البتة على بقائه فيها ولا ترضى ان تنازل مصر عن

حقها في استرجاع كل البلاد التي كانت خاضعة للخليفة وأصلها من أملا كما ثم قلت له والواجب يقضى على أن أتكم بتمام الحربه وان لا يمكن ان يكون الاتفاق على هذه المسئله بالاخذ والعطاء فصغى الى مجرد الانتباه ثم اجابني جوابا فخوا انه اذا كانت الحكومتان تتناقشان في هذه المسئله بالسكينه وكانتا رغبان عن اخلاص في اجتناب النزاع فلا ريب انهما يتحلان احلا سلميا مرضيا أما فرنسا فاني أعلم على يقين انها لا تريد الخصاص بل كل رفاقي النظاري يتمون مثلي دوام حسن العلائق بيننا وبين المجترة فاذا كان هذا ما تريد ومونه أنتم أيضا (وأنا مرتاب فيه لما يظهر لي من كلام الجرائد الانجليزية) فلا خطر فأجبت ان الحكومة الانجليزية لا تريد محاصمه فرنسا ولكن لأرى فائده من اخفاء الحقيقه عنه وعدم اظهار اخطارها له وان الحكومة الانجليزية قد عزمت عزما باتأان لاترجع عن الحصول على حقوقها وقد تحاميت ذكر كل عبارة تشتم منار الحجة التهديد وأما في سوى ذلك فاني أفرغت جهدي حتى أظهر له باجلى بيان وأصرح عبارة انه يستحيل علينا أن نسمح ببقاء الفرنسيين في فاشوده اه ومن أمعن النظر الى هذه الاقوال والى لهجة الجرائد في هذه المسئله والى أقوال الموسيوليوتا يظهر له ان مسئلة أعالي النيل و فاشوده طوبيلة المباحث و ربما استغرقت زمناطو بلا حتى يتم الاتفاق عليها بين الدولتين فلهذا استنسبنا ختام هذا الفصل بأمل العوده اليه ان شاء الله في تاريخي فرنسا والمجترة اذا حدث بينهما ما يقتضى العوده لاستيفاء ما يتم في هذه المسئله التي أخذت أهمية عظيمة في الوقت الحاضر

هذا وما يجب التنبيه عليه انما أشارنا نظر خارجية فرنسا أثناء كلامه مع سفير انكلترة الى أن فاشوده ليست من الاملاك الانكليزية بل هي كانت تابعة لمصر وأنه ليس مع انكلترة و وكيل رسمي عن مصر للمطالبه بحقوقها في هذه المسئله عند ذلك أرسلنا نظر خارجية مصر الى وكيل دولة انكلترة السياسي بمصر محررا يرجو فيه ان تنوب حكومته عنها في المطالبه بحقوق مصر على فاشوده وقد أدرجنا صورة هذا المحرر ليقف عليه القراء (١) أما المخلص ما حصل في مسئلة فاشوده بعد ذلك فهو ان الحكومة الفرنسية عادت بانحيبه والخذلان وتنازلت عن مدعياتها في مسئلة فاشوده وأمرت مرشان باخلائها على غير شرط

الكوليرا في القطر المصري - ورد في الفصل السابع من تقرير مصلحة الصحة العمومية عن الكوليرا التي تفشت في القطر المصري في سنتي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ انها ظهرت أولا في طرسوس من بلاد آسيا الصغرى في ٢٤ مايو سنة ١٨٩٥ ثم أخذت تنتقل في تلك البلاد الى أن دخلت الحجاز ثم مصر أخيرا اما الحكومة المصرية فقد اتخذت لذلك الاحتياطات اللازمة كعادتها فأقامت عدة مراكز للتعجر الصحي منها مركز الطور وهو لجميع الحجاج على الاطلاق ومنها مركز رأس ملاح وبجعله للتعجر الثاني على الحجاج المصري بين فقط وفي نخل للحجاج القادمين بطريق البر وفي عيون موسى وغيرها وعلم من التقارير الرسمية التي وردت من الطبيب المرافق للعمل المصري في تلك

(١) ان حكومة مولاي الخديوم تعفلت أمر استرجاع السودان كما تعلمون جنابكم لان السودان مصدر حياة القطر المصري ولم تنصّب الحكومة المصرية بمن تلك البلاد الا مكرهه بحكم الضرورة فالغاية المقصودة من فتح الخرطوم تصبغ فائدها انما تسترد وادى النيل الذي سحقت لاجله مصر ضحيا عظيمة واعلم الحكومة المصرية بان بريطانيا العظمى وفرنسا تتفاوضان الآن في مسألة فاشوده فوضت الى ان كلف جنابكم مساعدته الذي لورد ساسبري حتى يعرف لمصر بحقوقها التي تمتاز فيها وورد اليها جميع المديرات التي كانت محتلة لها قبل نور محمد أحمد الخديوي بطرس على

السنة ان الكوليد ظهرت في ٢٦ يونيو أثناء السير بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وانها كانت شديدة الفتك ولما وصلوا المدينة توفي بها أمير الحج محمد خسر وباشا في يوم ٢ يوليوس سنة ١٨٩٥ وكان أول ظهور هذا الوباء بتغرديمياط ثم سرى كعادته إلى أغلب بلاد مصر واهتمت الحكومة باتخاذ الاحتياطات الصحية لمنع انتشاره واتفق ان أصيب به اول شهر يونيو أحد مجاوري رواق الشوام بالجامع الأزهر ولما بلغ خبره قسم الضابطة توجه طبيب القسم ومعاون البوليس الى الجامع وطلبوا نقل المصاب الى المستشفى ليعالج فيه فأبى رفاقه ذلك وقاوموا رجال الحكومة ورجعواهم بالطوب عندما استعملوا القوة لآخذة قهرا وكان محافظ مصر محمد ماهر باشا وحكمدار البوليس كولس باشا حاضرا هناك فاضطرا أن يأمر العساكر باطلاق الرصاص على الطلبة ارها بالهم فأصيب به خمسة مات منهم ثلاثة وقبضوا على كثير من الطلبة وساقوهم الى السجن ثم أصدرت الحكومة قرارا أبعدت به منهم ستين طالبا كلهم من رواق الشوام لانهم هم الذين قاوموا رجال الحكومة وحاكمت منهم ١٣ واقفلت رواق الشوام لمدة سنة وكافأت المحافظ بال نشان العثماني الثاني اعترافا منها بحسن صنيعه هذا وما زال الوباء بمصر يحصد الاعمار حتى شهر سبتمبر وكان عددهم مات به بحسب التقدير الرسمي ١٧١٣٢ نفسا وفي شهر أغسطس سافر الجناب الخديوي الى أوروبا قصد تغيير الهواء بعد ان أناب عنه رئيس النظارة وطولت لمصطفى فهمي باشا ثم عاد باليمن والاقبال إلى نجرالاستكندرية في أول أكتوبر

ولما كانت الحكومة ترى اختلالا ونقصا في أعمال مصالح بيت المال وصممت على ايجاد نظام يصلح من أمرها صدر أمر عال (١٩ نوفمبر) بأن لا يكون لبيت المال فيما بعد تداخل في أمر التركات وان تلغى أقلامه وكل الرسوم التي كانت مقررة له وان تشكل مجالس حسبية في القطر المصري لتنصيب الاوصياء والوكلاء على الورثة القصر والغائبين وغير ذلك ومن الحوادث أيضا وقوع خلاف كبير بين مجلس شورى القوانين والحكومة بخصوص الميزانية وذلك بان اعترض مجلس الشورى على بعض فصول الميزانية فقامت بينه وبين الحكومة منجبة كان الفوز له فيها لو ساعده قانونه الاساسي ومنها أيضا ان الحكومة رأت بعد المسافة بين دار التحف المصرية وبين المدينة مما يصعب معه الامر على الزوار والمتفرجين سيما وان السراى التي بها المتحف يخشى عليها من الحريق وغير ذلك مما يقولونه فأقرت على بناء دار تحف جديدة احتفلت بشق أساسها على الارض الواقعة بحرى قصر النيل في يوم ٧ يناير وأقامت لذلك حفلة كبيرة ولما أتى يوم طلعة المحمل احتفل به رسميا كالعادة يوم ١٠ القعدة من سنة ١٣١٣ (٢٣ ابريل ١٨٩٦) في ميدان محمد على وحضر الاحتفال مولانا الخديوي وسلم زمام المحمل الشريف الى أمير الحج الفريق عبد الحليم عاصم باشا السريا ووركان ذلك بحضور النظارة والامراء والعلماء وجهور الاهلين ثم في يوم الاثنين تفضل مولانا الخديوي بوجه الى محطة العباسية لتوديع ركب المحمل وأميره وهى أول مرة ودع فيها خديومصر ركب الحج الشريف بنفسه يوم سقره ولذلك ابتهج الناس بما حصل من مولانا الخديوي

الاعانة العسكرية العثمانية - لما قام الخلاف بين دولتنا العثمانية وحكومة اليونان بخصوص مسألة جزيرة كريدو بلغ التشاغل من حكومة اليونان ان أرسلت بفرقة من عساكرها الى كريدومع الكولونيل فاسوس (Vassos) وغير ذلك مما يخالف ما يدعونه حقوق الدول وقواعد

الملل وتدأخت دول أوربا في أمر الخلاف واضطرت الدولة العلية الى القيام بالاستعدادات العسكرية وحشد الجيوش على الحدود اليونانية مما هو معلوم ومفصل في الكتب التي وضعت في هذا الحرب وانقطعت العلائق بين الحكومتين قام اليونان العديدون الذين بالبلاد المصرية وأخذوا في جمع الاعانة مساعدة لحكومتهم فعند ذلك نارت الحمية في نفوس المصريين فألقوا في القاهرة لجنة كبرى تحت رئاسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا لجمع الاعانة للعساكر الشاهانية وجعلت لها الجانافية في سائر بلاد القطر فتبرع الاهالي على اختلاف طبقاتهم وملاهم بقدر عظيم من المال مما دل على تعلق أهل مصر بالسلطنة العثمانية تعلقا شديدا وكان كلما تجتمع لدى اللجنة الكبرى قدر من المال أرسلته الى دار الخلاف للجنة الاعانة العسكرية هناك وبلغ ما تبرع به المصريون وأميرهم زهاء الثمانين ألف ليرة عثمانية

ردم خليج القاهرة - خليج القاهرة هو خليج ضيق يحترق القاهرة من الجنوب الى الشمال تقر بيأوله عند الحنايا المعروفة بالعيون امام جزيرة الروضة وآخره خلف العباسية شمالا وكانت العادة انه متى بلغ النيل في فيضانه ستة عشر ذراعا كسر واسداعلى فيه بحرى الماء فيه وكان ذلك باحتفال كبير ومهرجان عظيم يحضره رسميا بعض رجال الحكومة ويبحر فيه من الالعاب النارية والقصف والخلاعة بالسفن شئ كثير وقد اختلف المؤرخون في الذى احتقر هذا الخليج أولا قال المقرئ ان الذى حفر الخليج هو طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه الى مصر في أيامه وبعده جده اندرومانوس الذى يعرف بإيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن قليس الجسد ونى وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربع مائة سنة وبعده جده عمرو بن العاص لما فتح مصر في عام الرمادة وأقام في حفر ستة أشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة الى الجاز فسمى خليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يبين مبدأ ولا اتجاهه ولا البلاد التي مر عليها ثم ذكر في ظواهر القاهرة أنه في سنة مائة وخمسين هجرة أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بدمه فردم وانقطع السير فيه وقال في موضع آخر وفهم هذا الخليج لم يكن هو الموجود الآن ولم أدر اين كان في الجاهلية وأظن أن اوله كان عند مدينة عين شمس أو بحريها اه وقد تكلم المرحوم على باشا مبارك في صحيفة ١١٤ من الجزء الثامن عشر من كتابه الخطط الجديدة عن الخليج وروى أقوال استرابون وهيرودوط وكثير من المؤرخين ثم قال وقد بعد النيل عن مدينة عين شمس فبالضرورة انقل فم الخليج الى حيث كان النيل ولا مانع من أنه بعد ان ظهرت الارض التي بنيت فوقها القاهرة وقربة أم دين امتد الخليج الى نحو هذه الجهات حسبما اقتضاه الحال ثم لما أخذت العرب بلاد مصر اشتغل عمرو بن العاص بتعديل الخليج وجعله صالحا للملاحة ولا يبعد أنه جعل فيه قريبا من الفسطاط من بحريها اه وقال لورد كرومر في تقريره الاخير عن ردم الخليج ما يأتي أفضى مد الترمواى الكهر باقى في شوارع القاهرة الى ردم الخليج وهو ترعة قديمة كانت تمر سابقا في قسم من القاهرة وكان يحتفل بفتحها كل سنة عند ارتفاع النيل احتفالا يظن ان أصله يمتد الى أيام فتوحات العرب الاولى غير ان هذه الترعة أهملت منذ سنوات بسبب الاصلاحات التي تمت في الري فصار الاحتفال بفتح الخليج مجرد صورة فقط ثم ان مصلحة الصحة ألحقت على الحكومة مرارا في وجوب ردم الخليج ولما فشت

الذكوليراسنة ١٨٩٦ لم يفتح وقتيا وكان يظن ان الاهالي يستنكرون ردمه وابطال الاحتفال به
 فلذلك لم يشدد في الامر كما يقتضى غيرانه ظهر على مر الايام ان اهتمام الاهالي ببقائه مبالغ فيه وعليه
 قرر في السنة الماضية على ردمه وشرع في ذلك حتى امتلا وأصبح الان سكة عمومية ولم يبال
 أهالي القاهرة بدمه أقل مما لابل ان أصحاب المنازل المبنية على جانبها يرحبوا كثيرا بزيادة أثمان
 أملاكهم اه هذا وصدراً مرعاً لردم الخليج في أول فبراير سنة ١٨٩٧ واعتبر مكانه من المنافع
 العمومية مع نزاع ملكية العقارات وأجزاء العقارات المقامة فوقه بالطريقة القانونية ومنحت
 الحكومة امتيازاً جديداً الى شركة الترامواى الكهربية بالعمامة بأن تمد خطوطها الى الاهرام
 بشرط ان تردم الخليج المذكور على مصر وفيها وتمد فوقه خطوطاً توصلها بباقي خطوطها المارة بمصر
 العتيقة الى العتبة الخضراء والسيدة زينب والقلعة وبولاق والعباسية وقررت الحكومة ابقاء
 الاحتفال الذى كان يصنع لفتح الخليج لانه انما يفعل في الحقيقة لوفاء النيل ولانه مرتبط باعياد
 المصريين وفرحهم بوفاء النيل الذى بوفائه يجب ربط الخراج على أطيان مصر كما يخرج بذلك اعلام
 شرعى من المحكمة الكبرى وقد احتفل بذلك في السنة التى ردم فيها كالعادة وناب عن الحضرة
 الخديوية فيه صاحب السعادة مصطفى فهمى باشا رئيس النظارة وفي هذه السنة (١٨٩٧ م)
 أحضرت الحكومة سكان القطر المصرى واتضح منسهم يبلغون ٩,٧٣٤,٤٠٥ نسمة على
 التفصيل المذكور بأسفل الصحيفة (١)

بيع بواخر البوستة الخديوية - فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٨ باعت الحكومة المصرية
 الى شركة الخواجات آلن والدرسن (Allen Alderson) وفرنكو (Franco) بواخر البوستة
 الخديوية وكان البيع المذكور نجاة لم يعلم به أحد من قبل ولم تساهم به الحكومة شركة من شركات
 الملاحه ولم تعلنه في جرائدها وعلم من الشروط التى عقدتها المالية مع المشترين ان المباع لهما
 هو جميع البواخر الخديوية (٢) وما يتبعها بالاسكندرية والسويس قبلا اسكندرية بالحوض
 العوام والحوض الخجى المعروف بالحوض الخجى وملحقاته من الماكينات والآلات ومستودع
 الفحم وفور بقة السفن السابق الكلام عليها والمخازن والجسور المعروفة بالمواص وسقائف
 التصليحات وملحقاتها ومحلات ادارة المصلحة وبوابعها وكل الادوات المتعلقة بها من زوارق بخارية
 وغير بخارية كالواعين والصنادل والروافع وغير ذلك وبالسويس الحوض الخجى وملحقاته وآلاته
 ومنسكن المدير الذى هو ديوان قومندانية السويس والمكاتب والمخازن المشيدة بجانبه والمعامل

(١) ظهر من التقرير الابتدائى عن تعداد الانفس الذى فى سنة ١٨٩٧ أن سكان القطر المصرى هم
 ٩,٧٣٤,٤٠٥ منهم ٨,٩٧٨,٧٧٥ مسلمون و ٦٠٨,٤٤٦ أقباط منهم طوائف مختلفة وارتوذ كس
 ٥٣٤,٧٩ وكتوليك ٥٦٣,٤٣ وبروتستانت ١١٨,٩٤ ويهود ٢٥,٢٠٠ وأديان أخرى ٢٦٨ واما
 بحسب الجنس فبلغ الذكور ٤,٩٤٧,٨٥٠ والامات ٤,٧٨٦,٥٥٥ وبحسب الجنسية فالمصريون
 الاصليون ٩,٠٧٧,٥٥٠ والعربان المتحضرين ٤٨٥,٣٠٣ والعربان الرحل ٨٨٦,٧١ والاجانب
 والتزلاء ٢١٢,٥٢٦ والسوريون ونحوهم ٤٠,٢٥٠ وبحسب التابعية اليونانيون ٣٨١,٧٥
 والظليانيون ٢٤٤,٦٧ والاسكندر ١,٩٥٥,٧٠٧ والفرنساويون ١٤١,٥٥٠ والنمساويون ٧٢,١٧ والباقيون
 غنمانيون وهم ٩,٦٣٠,٩٣٤

الجاورقة والسقائف المعروفة بالبواكي وكذا الاراضي والنباتات الموجودة فيها ادارة توكيل السويس والمسكن التابعة لها والخازن العمومية المتعلقة بها وميناء البواخر الصغيرة وبالجملة كل ما هو موجود ومتعلق بالمكان المسمى بالانصارى في مدينة السويس وما يتبع ذلك من زوارق بخارية وشراعية وصنادل وآلات رافعة وغيرها كل ذلك يبلغ لا يتجاوز المائة وخمسين ألف ليرة مصرية وذكر في تلك الشروط ايضا ان هذه الشركة تتعهد بأن تبنى في ظرف أربع سنوات من تاريخ هذا البيع حوضا جديدا عواما يسع أكبر البواخر وحددت في الشروط مقدار الرسم الذي تأخذه الشركة من البواخر التي تدخل في الحوض المذكور وغيره لاصلاحها وتعهدت الحكومة للشركة بأن تعطيها مبلغ ستة آلاف جنيه في كل عام بمثابة مساعدة لها لمدة خمسة عشرة سنة من تاريخ عقد البيع نظير تعهد الشركة للحكومة باستمرار سفر بواخرها أسبوعيا بين الاسكندرية والاسنانة ومواني سورية وسواكن تحت راية البوسنة المصرية الحالية المستعملة في البواخر حالا وتعهدت ايضا بنقل البريد المصري بدون مقابل في كل الخطوط التي تذهب اليها بواخر الشركة وقد لهج الناس بهذا البيع وتكلموا فيه طويلا لما فيه من الغبن على الحكومة وقد اعترض الباب العالي رسميا على هذا البيع

الخزان - لا يخفى ان مسألة خزن مياه النيل في زمن الفيضان للانتفاع بها في زمن التخريف من المسائل المهمة جدا وذلك اشتغل بأمرها كثير من الدول التي حكمت مصر ومنهم قدماء المصريين الذين كانوا يبذلون الجهد في منع جريانها ويجزء كما هو معروف بأقامة السدود والرصف في مجراها ومن ذلك ان امتنعت أول ملوك الدولة الثمانية عشرة أنشأ بحيرة كبيرة في الفيوم دعاها اليونان بحيرة موريس وتكلم عنها هيرودرت وديودور الصقلي واسترابون وغيرهم وقال المستر كوب وبت هوس الامريكاني (Cope white House) في مقالة له مترجمة عن نسخة عربية قديمة كانت عند الكاردينال

تابع لعلامة ٢ الموجودة بصحيفة ٥٥٨

أسماء البواخر	حمولة بالطنونيلاطة	قوة آلاتها بالحصان البخارى	قوة آلاتها بالحصان البخارى	أسماء البواخر	حمولة بالطنونيلاطة	قوة آلاتها بالحصان البخارى
برنس عباس	٣٤ ٢٠٢٧ ١٠٠	٧٥٠	٧٥٠	القيوم	١٠٧٠	٣٠٠
توفيق رباتي	٣٤ ٢٠٢٧ ١٠٠	٧٥٠	٧٥٠	المحله	٨٦٤ ٣٤ ١٠٠	٢٠٠
القاهرة	٣٤ ٢٠٢٧ ١٠٠	٧٥٠	٧٥٠	شمسين	٦٧ ٦٧٧ ١٠٠	١٦٠
الشرقية	١١٦٠	٣٠٠	٣٠٠	مسير	٦٦ ٦٢٦ ١٠٠	١٢٠
الدقهلية	١١٠٨	٣٠٠	٣٠٠	النخيله	٦٦ ٦٢٩ ١٠٠	١٢٠
الرحمانية	١٣٠٠	٢٠٠	٢٠٠	—	—	—

مازارين (Mazarin) (وزير فرنساوى) لما كان يوسف عليه السلام وزيراً أو لا بعصر وفى قبول لدى سيده الملك الريان بعد أن بلغ (أى يوسف) من العمر ما يتوفى عن المائة سنة غار منه ندما الملك وأمر المملكة بمنفيس نظر الصولته ومحبة سيده الملك له فقالوا الملك أيها الملك العظيم ان يوسف قد صار الآن كهلاً ومعرفته قد قلت وجماله قد اضمحل وأحكامه قد اختلفت وآراؤه قد اعتلت فقال الملك اقترحوا عليه عملاً على قبول التجربة ولما كان القيوم فى ذلك الزمان يسمى بالهون أى البركة وكان مستعملاً لقبول وصرف مياه الصعيد بدون انتظام تشاور الندماء فيما بينهم واقترحوا على يوسف أن يحول مصب النيل عن البركة ويصنى ماءها لتكون محلها اقليم يزيد فى ايرادات المملكة فوافق الملك على اقتراحهم وطلب يوسف أمامه وقال له أنت تعرف مقدار حرجى لابنتى وان الوقت الذى يجب على فيه أن أهديها اقليماً من المملكة لتكون سيدة عليه قد حان وحيث لم يكن عنسدى أرض تقي بالمقصود سوى أرض الهون المغورة بالمياه لقربها من تحت مملكتى واحاطة الصحراء بهم ان جميع الجهات حيث تكون ابنتى مستقلة مصنونة فأريد أن أهديها اياها فهل لك أن تصلحها فقال يوسف اى نعم أيها الملك المعظم ومتى تريد أن يتم ذلك لانه سيتم بعون الله القادر على كل شىء فقال له الملك خير البر عاجله فاذ ذلك أوحى الله الى يوسف بحفر ثلاث ترع الاولى من الصعيد والثانية من الشرق والثالثة من الغرب فجمع يوسف العمالة وحفر ترعة المهنا من الاشمونين الى اللاهون ثم حفر ترعة الفيوم والترعة الشرقية مع ترعة أخرى بالقرب منها تسمى ترعة بنى حامد كانت غر بيا وبهذه الكيفية تصرف المياه من الهون وحيث شجع جيشاً من العمالة فقطعوا شجيرات الطرفاء وخلافها التى كانت نابتة هناك ونقلوها بعيداً ولم يأت وقت صعود النيل الا والبركة صارت أرضاً صالحة للزراعة فلما زاد النيل دخل الماء من ترعة المهنا وسار فيها بطول وادى النيل لحد اللاهون ثم اتجه نحو ترعة الفيوم ودخلها بمقدار عظيم حتى ملأها وبهذه الكيفية تحولت البركة الى أرض تروى من النيل وعلى هذا حضر الملك الريان وبعيته ندماً مؤه الذين كانوا أشاروا عليه بان يقترح على يوسف هذا العمل فلما رأوا نتيجة عمله تعجبوا من مهارته وقوته الاختراعية وصاحوا قائلين أى شىء يستوجب العجب أصرف البركة واتلاف النباتات المضرّة أو تحوّل سطحها الى غياض نضرة وحيثئذ قال الملك ليوسف فى كم من الزمن صيرت هذا الاقليم فى الحالة العظيمة التى أراها فأجاب يوسف فى سبعين يوماً ولما سمع الملك هذا التفت الى ندماؤه وقال أظن ان انساناً آخر لا يقدر ان يعمل هذا العمل فى ألف يوم ومن هذا الوقت تغير اسم الهون أى البركة بالقيوم اه وقال آخرون ان لفظه فيوم مشتقة من الكامة القبطية فيوم التى معناها بحر أو بركة وهو الاصح وقد تحسنت أراضى الفيوم بكثرة ماؤها حتى امتدحها الفراعنة والبطالسة والرومان وخلفاء الاسلام رضى الله عنهم ثم أصابها التقهقر والانحطاط بسبب الاهمال ووجد بعضهم فى أحد التواريخ العربية بخصوص الخزان ما يأتى انه فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العلوى بلغه خير أبى على محمد بن الحسن ابن الهيثم البصرى وما هو عليه من الاتقان فى فن الهندسة فتاقت نفسه الى رؤيته ثم نقل له عنه انه قال لو كنت بعصر علمت فى نيلها عملاً يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص فقد بلغنى انه يعمد من موضع عال هو فى طرف الاقليم المصرى فازداد الحاكم اليه شوقاً وسيراً اليه سراجة من المال ورغبه فى الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقاءه والتقىا

بقرية على باب القاهرة المعزية تعرف بالخنسوق وأمر بانزاله واحترامه واقام ريثما استراح وطالبه بما وعده من أمر النيل فسار ومعه جماعة من الصناع المتولين للمعارة ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له ولما سار الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الامم الخالية وهي على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة وما اشتملت عليه من أشكال سماوية ومثالات هندسية وتصوير مجيب تحقق ان الذي يقصده ليس ممكنا فان من تقدمه وافي العصور الخالية لم يعزب عنهم علم ما علمه ولو امكن لفعلاه ففترت همته ووصل الى الموضوع المعروف بالخنادل قبلى مدينة أسوان وهو موضع مر تقع ينحدر منه ماء النيل فعيناه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشى على موافقة مراده وتحقق الخطأ والغلبة عما وعده وعاد بخلا ومخذلا واعتذر بما قبل الحاكيم ظاهره وواقفه عليه ثم ان الحاكيم وولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لارغبة وتحقق الخلط فى الولاية فان الحاكيم كان كثيرا الاستحالة من بقاللدماء بغير سبب أو باضعف سبب فأجال ابن الهيثم فكرته فى أمر يتخلص به فلم يجد طريقا الى ذلك الا اظهار الجنون وانخبال فاعتمد ذلك وشاع وذاع ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكيم وبعد ذلك يسيرا أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه واستوطن قبة على باب الجامع الازهر أحد جوامع القاهرة واقام بها متسككا واشتغل بالتحقيق والنسخ والافادة اه

وفى زمن ولاية سالك الجنان محمد على باشا ووجه عنايته فى أمر البحث عن أحسن الطرق لتوفير مياه النيل وأمر باشه هندسه الشهير لينان باشا بان يتخذ التدابير اللازمة لجعل بحيرة موريس خزانا كما استعملها القدماء فاكتشف المهندس المذكور هذه البحيرة وعين بنفسه موقعها القديم وعمل مقايضة تقر بيبية عن الاشغال التي تلزم لها ونظر الكثرة المصاريف رجع محمد على باشا عن فكرة استعمالها ثانية كخزان وأمر بتشبيد القناطر الخيرية (١٨٥١) وبعد ذلك التفت لينان باشا الى جبل السلسلة حيث ظهر له أنه مناسب لان يبنى فيه قنطرة أخرى للموازنة ويعمل بجوارها أيضا قنطرة فم لترعة جانبية ولكن نظر الجسامه المصاريف عدل العزير عن هذا العمل أيضا ثم ان الخديو الاسبق المرحوم اسمعيل باشا كلف ببحث باشا باعادة البحث فى مشروع لينان باشا فلم يستحسن أفكاره ونظرياته فى هذا الامر فسأل اسمعيل باشا السير جون فاولر (Sir John Fowler) المهندس الانجليزى وكان مستشار المد الطرق الحديدية المصرية عن رأيه فى مسألة تخزين مياه النيل فقال له السير المذكور يا مولاي ان النيل يأتىك اليوم بوجهه فلا تعمل فيه عملا يوجب أن يعطيك به ظهره فصرف الخديو من يومئذ النظر عن هذا المشروع ثم انه فى عهد المرحوم الخديو السابق محمد توفيق باشا زار الموسى ودولاموت (de la Motte) الفرنسوى ببلاد النوبة (١٨٨٠) مع المهندس كوتريل (Cotterill) واشتغل بمسألة الخزان وافكر أنه ينشئ سدا على النيل فى جبل السلسلة وان تكون المنطقة التى قبلى جبل السلسلة خزانا تخزن فيها مياه النيل وقدرت المصاريف اللازمة لذلك بمبلغ أربعة ملايين ليرة مصرية ويسع الخزان المذكور من الماء سبعة آلاف مليون متر مكعب ثم اشتغل بذلك أيضا ميجاكيم (Jacquet) الفرنسوى باشه نتش القناطر والسدود سنة ١٨٨٢ وكتب تقريرا عن تدفيعه من ابا الخزان وحصرها فى خمس مزارب رئيسية وهى (أولا) تخفيف غائلة فيضان النيل (ثانيا) تخفيف مضار الفيضانات الواطية وذلك

انه اذا علم من الاخبار الواردة من الخرطوم مثلا ان النيل سيكون ضعيفا في السنة المقبلة فإنه يجتهد في تخزين مياه كثيرة في أوائل زمن الفيضان ثم يصرف جزء منها عند قرب انتهائه وبهذه الكيفية يمكن زيادة الفيضان زيادة مصنعية كما هو حاصل الآن بصرف الأحواض الوجه القبلي حيث انه في حين الصرف يراعى ان ذلك الصرف يرفع سطح ماء النيل لانتظام الري اللازم في بعض مناطق الوجه البحري (ثالثا) زيادة المسطحات التي تزرع صيفيا فالمانع من توسيع نطاق تلك الزراعة التي عليها مدار ثروة القطر المصري التجارية هو قلة الماء في زمن الصيف خصوصا زراعة الارز الذي هو أنفع واسطة لاصلاح الارض النانقة (رابعا) احياء أراض كثيرة بغسلها أو بالاباء لتطهيرها من الاملاح بعض التطهير ثم زرعها بالارز ثم غيره من المزروعات (خامسا) تغريق شلال أسوان حتى يمكن للراكب أن تعبره في أي وقت شأنت بلا خطر وهي منية عظوى لانه بواسطتها يمكن أن تكون الملاحة حرة سهلة بين مصر وشلال وادى حلقا

وفي هذه السنة قام المستر كوب ويتوس الامر بكافى المذكور و اشتغل بخزان وادى الريان وأشار بتجديده وخابر الحكومة في ذلك مظهر الهاالفائدة التي تعود عليها وقد اجعت أفكارا الكثيرين من المهندسين باستحسان هذا المشروع ولكن الحكومة لم ترض يومئذ ان تستغل بهم ذال الامر للعسر المالى ومع ذلك فان السيراسكوت منكر يف كاف الكولونيل ويسترن (Western) مدير الاعمال الصناعية اذ ذلك بأن يفحص مشروع المستر كوب ويتوس فنظر فيها وعمل عنها مقايصة تفر بية ولكن لاختلاف وتباين آراء المهندسين وللصعوبة المالية أجلت الحكومة النظر في المشروع المسد كوروا أخذت نظارة الاشغال تتم اصلاحات الري المنوبة وكان مسيوروسو باشا (Rousseau) كتب تقريرا (٢٤ ابريل ١٨٨٣) عن الري اعتمده المرحوم على مبارك باشا ناظر الاشغال يومئذ ومما ورد في هذا التقرير ان نظارة الاشغال تستخدم الآن مياه النيل بحسب سيرها الذى تتبعه والحالة هذه عند دخولها في نهر أرض مصر بعد أن تتجاوز شلال اسوان وقد كانت هذه النظارة تؤد لاصلاح شؤون الزراعة بالوجه القبلى أن تتكلم عن بعض مسائل قديمة العهد فيما يتعلق بانشاء حياض كبيرة بجهة كوم امبو وفي نقط أخرى متعددة امام تلك الجهة لتتكون تلك الحياض منظمة مطرقة مياه النيل لانه نظرا لعدم استيفاء الاكتشافات الاولية وعدم الوثوق حينئذ بنتائج هذا المشروع رؤى انه لا يناسب ابراز من القوة الى الفعل اه واشتغل بعد ذلك بأمر الخزانات مسيور باروا (Barois) ومسيور برون (Prompt) العضو الفرنسوى فى السكة الحديدية الذى أشار بعمل عدة سدود فوق الشلالات لتخزين المياه لتتكون المقاومة متساوية ويمتنع كل خطر يتصور حدونه لو اختل احد السدود وكتب أيضا مسيور شارل كونارد (C. Cotard) رسالة فى الطرق التى يبحث فيها جمعية المهندسين الفرنسوين فى باريس (١٥ فبراير ١٨٨٤) ثم لما تم معظم اصلاحات المنوبة منذ زمن طويل نظرت الحكومة (١٨٨٩) الى مسألة الخزانات فكلفت مستر ولكوكس مع جماعة من أفاضل المهندسين الوطنيين ببحث مشروع مسيور ودولاموت المتعلق بانشاء خزان فى بلاد المنوبة وغيره فقام أولئك المهندسون بمعاهد اليهم وبحثوا وبحثنا نشر نتيجته مسستر ولكوكس فى تقرير انكليزى طبع فى أوائل سنة ١٨٩٤ اشتمل على نتائج أبحاث أربع سنوات وقد ألحقه مسستر جاستن وكيل نظارة الاشغال العمومية بتقرير وصف فيه عوم

النقط التي تليق لذلك وتكلم عن مزايا كل طريقة وعميوها وما يتكلفه كل سد من المصروفات وما يعود على الحكومة وأرباب الاطيان من المكاسب وقال ان أصـلـحـها عندـه هو سد يبنى في شلال أسوان ويكون منسوب ارتفاع الماء فوقه ١١٤ مترا وتلوه في المناسبة والمنفعة سد في بلدة كليشة ويكون منسوب الماء امامه ١١٨ مترا ثم سد في جبل السلسلة حيث يكون منسوب الماء فيه ١٠١ مترا ثم خزان وادي الريان حيث يكون منسوب الماء فيه ٢٧ مترا وغير ذلك من الايضاحات الهندسية وتكلم عما يتصوره البعض من الاخطار العديدة التي تحدث من عمل السدود مثل تعرض القطر المصري للهجمات العسكرية الاجنبية التي ربما تجعل زمام السد في قبضة الهاجم فيض ذلك بالقطر المصري ضرا عظيمها وتتعمل فيه الزراعة ومثل حدوث الزلازل أو ان بناء السد ربما يكون ردثا فينكسر السد دفعة واحدة فيحدث منه طوفان عظيم يلف كل أراضي القطر المصري من أسوان الى القاهرة ومثل ان مياه الخزان ستكون راكدة وربما يتسبب عن ذلك تعفن فيها فيحصل منها تسهم مياه القطر المصري وتصبح غير صالحة للاستعمال وبعد ان أتى على كل هذه الاخطار فندها واحدة فواحدة ثم عينت الحكومة لجنة من مشاهير المهندسين الاوروبيين للنظر في مشروع الخزان أحدهم انجليزي وهو السير بنيامين بيكر (Sir Benjamin Baker) مهندس ترعة مانستروثاينهم فرنسوى وهو مسيوبولى (Polet) المفتش العام للرافى والسدود في فرنسا وثالثهم طليانى وهو السنيور طوريشلى (Torricelli) استاذ الهندسة الزراعية في ايطاليا وأطلقت لهم حرية البحث في كل الجهات وبحسبوا أيضا في الاحوال التي بها يمكن تأسيس سد شمالي وادى حلفا صالح لان يكون خزانها والاحوال التي يمكن بها عمل خزان في وادي الريان وحسبوا التصميمات والرسوم والمقاييس التي عملت لكل تصميم من التصميمات المختلفة وفي مسائل الصحة العمومية بعد تخزين كمية عظيمة من المياه كل ذلك لانتخاب تصميم من التصميمات المذكورة وبعد البحث اختلفوا رأيا وبذلك عادوا الى بلادهم ثم أقرت الحكومة على بناء الخزان في أسوان وأن يجعل ارتفاعه أقل مما قدر له قبل لكي لا يتلف هيكل انس الوجود وعينت السير بنيامين بيكر مستشارا لنظارة الاشغال العمومية مدة انشاء الخزان وجعلت مرتبه ألفي جنيه في السنة (١٨٩٧) ثم عقدت الحكومة مع المستر جودايرد (J. Aird) وشركائه (٢٤ فبراير ١٨٩٨) مقابلة بناء الخزان بمبلغ مليوني جنيهه انكليزي فيبنى في جهات أسوان قناطر وكذا في أسيموط على حسب الرسوم التي اختارتها نظارة الاشغال العمومية وتقرر ان يتم هذا العمل في مدة خمس سنوات ثم يسلم للحكومة وتدفق الحكومة المصرية للشركة ٧٨,٠٠٠ جنيهه مصري كل ستة أشهر مدة ثلاثين سنة فيكون كل ما تدفعه الحكومة في تلك المدة ٤,٧٠٠,٠٠٠ جنيهه وروى ان الجناب العالي الخديو شكر السير الن بالمستشار المالي والمستر جارستون وكيل نظارة الاشغال على سعيهم في انفاذ هذا العمل المقيد لرى أراضي البلاد المصرية

بيع اطيان الدائرة السنية - من أهم الحوادث التي حصلت في شهر ابريل من سنة ١٨٩٨ اتفاقية حصلت بين شركة انكليزية فرنسوية مصرية وبين الحكومة المصرية على شراء جميع أملاك الدائرة السنية صفقة واحدة بمبلغ ٦,٤٣١,٥٠٠ جنيهه مصري ولما كانت اطيان هذه الدائرة من أهم منابع الثروة التي تركها الخديو السابق المرحوم اسمعيل باشا للحكومة في زمن

الارتيا كانت المالية كما سبق في أبواب هذا الكتاب بوجوب كشوف مرفقة بمشارطة ٢٠ يوليو سنة ١٨٧٧ رأينا من المهم ذكر صورة اتفاقية البيع التي حصل التوقيع عليها بين الطرفين المتعاقدين في يوم ٢١ يونيو من سنة ١٨٩٨ بأسفل الصحيفة (١) ولما كتبت المادة ٥٥

(١) رئاسة مجلس النظار (شروط بيع الدائرة السنية) بين جناب السراون بلر المستشار المالي للحكومة الجناب العالي الحدوي المصرح له بقرار من رئاسة مجلس النظار من جهة وبين كل من ستر كاسل بلوندره ومسيو قطاوى بياريس ومسيو كرونيه بياريس أيضا ومسيو سواريس بصير القاهرة باعتبار أن هؤلاء الأربعة المتعاقدين يطلق عليهم في هذا العقد اسم المشترين من جهة أخرى انه من حيث بلغ دين الدائرة السنية في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٧ مبلغ ٦٤٣١٥٠٠ جنيه ومن حيث ان الحكومة المصرية ترغب ببيع الاطيان التي يتكون منها الرهن المخصص لذلك الدين بكل ما فيها من المعامل والسكان الحديدية الزراعية والآلات والمخازن والورش والبيوت والمباني من جميع الأنواع والآلات الثابتة والمتحركة والمزروعات والمواشي والنقود الموجودة في الخزينة والديون المقتضى تسديدها وعلى العموم كل ما يأتي توضيحه باعتبار أنه ملك للدائرة السنية وحيث ان الحكومة المصرية تعهدت من جهة أخرى بعدم تسديد دين الدائرة السنية قبل يوم ١٥ أكتوبر من سنة ١٩٠٥ ولكنها تستطيع استعمال زيادة الإيرادات السنوية في استهلاك السندات وكذلك المبالغ المخصصة من مبيع الاراضي الى ما قيمته ٣٠٠٠٠٠ جنيه سنويا فقدم الاتفاق على ما يأتي أدناه

(المادة الاولى) - يتعهد المشترين بواسطة هذا العقد وعلى مقتضى الشروط الموضحة بعهد بشرائه جميع أملاك الدائرة السنية بمبلغ ٦٤٣١٥٠٠ جنيه يخص منه قيمة السندات التي تكون قد دفعت اما بالشراء أو بالاقتراع أو بأية وسيلة أخرى من ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٧ الى اليوم الذي يصير فيه البيع نهائيا ومن جهة ثانية تضاف على المبلغ المشتري به المبالغ التي تكون الحكومة المصرية قد اضطرت الى دفعها للدائرة السنية بسبب الجز (اذا حصل عجز) الذي يخطر وقوعه في المبلغ الضروي لدفع أرباح دين الدائرة السنية منذ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٧

(المادة الثانية) - ان الثمن المشتري به سيدفع بمقتضى القانون الى الحكومة المصرية أو الى ادارة الدائرة السنية يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ تلقاء اسلام المشترين أو الشركة التي يؤلفونها في مقابلة الاستيلاء نهائيا على جميع أملاك الدائرة السنية بشرط أن تكون خالية طبق القانون المصري من كل أمر مثل رهن أو غيره بحيث يكون للمشترين أو للشركة التي تتألف منهم حق الملكية النهائية المطلقة التي لا منازع فيها

(المادة الثالثة) - يوضع دفتر معاينة تفتن فيه كل قطعة من الاراضي التي تتكون من مجموعها أطيان الدائرة السنية بحيث يكون التفتن مناسباً لمجموع القطع وهي القيمة المتبررة كانها مبلغ دين الدائرة السنية المستلم دفعه في ذلك الوقت وبعد وضع دفتر الشروط والمعاينة السالفة الذكر أي بعد أول يوليو سنة ١٨٩٩ تستطيع الحكومة المصرية بمقتضى الشروط الاتية الرام للمشترين أو الشركة التي تتألف منهم باستلام حصة قطع من أطيان الدائرة السنية فتختصها الحكومة بنفسها الى ما توافر قيمته ٣٧٠٠٠٠٠ جنيه تدفع على المثال الآتي ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزي في ٢ يناير سنة ١٩٠١ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزي في ٢ يناير سنة ١٩٠٢ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزي في ٢ يناير سنة ١٩٠٣ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزي في ٢ يناير سنة ١٩٠٤ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزي في ٢ يناير سنة ١٩٠٥ وبعد دفع النصف الاول من كل هذه الدفعات يمكن باختيار المشترين أو الشركة التي تتألف منهم دفع النصف الباقي على أقساط سنوية متساوية لا يجوز أن يتعدل ميعاد الاخير منها عقب ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ وأما باقي أملاك الدائرة السنية فسيُدفع عنها بالمقدار والشروط المحددة في المادة الاولى وبعد خصم الدفعات التي تم تسديدها وفي حالة ما اذا لم تكن الحكومة قد دفعت المشترين قبل أول يناير سنة ١٩٠٠ الى دفع أثمان بعض قطع من أطيان الدائرة السنية كما هو مبين فيما سبق فلا يجوز اجبارهم على دفع أي شيء قبل ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ كاجاء في المادة الاولى فيما عدا مبلغ التسعمائة ألف جنيه الذي سيرد ذكره بعد

من قانون التصفية تقضى بان ما يحصل من البيوع والاجارات المشترط تصديق مجلس الدائرة الاعلى

وللمشترين أو الشركة التي تتألف منهم الحق في رفض استلام قطع من أطيان الدائرة السنية التي تدهلهم عليها الحكومة مقابل دفع قيمتها وفي هذه الحالة يجوز للحكومة أن تباع في المزاد العمومي قطع الاراضي التي يكون المشترطون رفضوا شراءها على المثال المتقدم ولكن على شرط أن يكون غن هذا الاراضي مساويا على الاقل للتقدير المبين في دفتر الشروط والمعانيات وأن يخصم هذا الثمن من مبلغ الشراء العمومي المحدد في المادة الاولى

(المادة الرابعة) - اذا وجد مجلس ادارة الدائرة السنية في كل وقت سابق على يوم ١٥ اكتوبر بر سنة ١٩٠٥ فرصة لبيع قطع من أراضي الدائرة للغير فلا يجوز للحكومة الرضا بهذا البيع والموافقة عليه الا بشرط يتفق عليها بالاتحاد مع المشترين أو الشركة التي تتألف منهم

(المادة الخامسة) - ان المشترين أو الشركة التي تتألف منهم يتعهدون بان يبيعوا في ظرف سبع سنوات من تاريخ استيلائهم على الاراضي قطعاً من أراضي الدائرة والأراضي كلها بحيث يتم التراضي في البيع على وجه يضمن لهم بر محاصفا قدره ٢٠ في المائة على الاقل من المبلغ الذي دفعوا ثمنه لتلك القطع أو الاملاك الدائرة كلها

(المادة السادسة) - للحكومة الحق في نصف الارباح الصافية التي يكتسبها المشترين أو الشركة التي تتألف منهم كما هو مبين بعد دفع جميع مصاريف فوائدهم والدين وبقيّة المصاريف المدفوعة بما فيها الفوائد لغاية ٥ في المائة على المبالغ التي دفعت ليشكون منها رأس المال المنقسم الى أسهم وغيره ويسمى حساب تفصيلي كامل يمكن لظنار المالية أن تنقش عليه وتراجعه بواسطة مندوبها في كل وقت لا فوق

(المادة السابعة) - يودع المشترين أو الشركة التي تتألف منهم في أول أغسطس سنة ١٨٩٨ على سبيل الامانة في نظارة المالية مبلغ ٥٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ضماناً لتنفيذ مواد هذا العقد بالدقوه و يبقى هذا المبلغ مودعا في نظارة المالية ويأتي بفائدة قدرها ٣ في المائة سنويا يدفع في ٣١ ديسمبر و ٣٠ يونيو من كل سنة الى سنة ١٩٠٥ واذا لم يدفع المشترين هذا المبلغ في الميعاد المبين يعتبر هذا العقد لا ضا ولا معول عليه

(المادة الثامنة) - اذا لم يقم المشترين أو الشركة التي تتألف منهم بشراء الذي هو موضوع هذا العقد تماما في ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٥ أو اذا لم يدفعوا المبالغ التي يجب للحكومة الحصول عليها منهم مقابل تسليمهم بعض قطع من الاراضي كما هو مبين في المادة الثالثة من هذا العقد يكون لها الحق في أخذ مبلغ ٥٠٠٠٠٠ جنيه من

المبلغ المودع لديها ولا يجوز للحكومة أن تطلب تعويضاً لهذا من عدم القيام بتنفيذ مواد هذا العقد لان المشترين ولا من الشركة التي تتألف منهم أم المبالغ ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه الباقي بعد ذلك فلا بد أن يعاد اليهم بتمامه ومع ذلك ففي استطاعة الحكومة بدلا عن هذا الدفع أن تتنازل للمشترين أو الشركة التي تتألف منهم عن قطع منفصلة من أطيان الدائرة بقيمة ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه بحيث يكون هذا الثمن موافقا لتقدير دفتر الشروط والمعانيات المذكور في المادة ٣

وهذا التنازل يعمل على وجه يضمن للمشترين أو الشركة التي تتألف منهم ملكيتها ما كية نهائية مطلقة خالية من التعهدات كالرهونات وما أشبه فاذا تم الشراء طبقا لهذا العقد التمام فعلى الحكومة أن تدفع للمشترين أو الشركة التي تتألف منهم مبلغ التأمين وهو ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه من حصتها في الارباح التي تخصها كما هو مبين فيما سبق

(المادة التاسعة) - رسوم نقل التكليف في مبيع أملاك الدائرة السنية للمشترين أو الشركة التي تتألف منهم تعتبر تحت الحساب كالعادة المتبعة في نقل ملكية أملاك الدومين

(المادة العاشرة) - يمكن للمشترين أن يشكوا باعتقضي القانون الانكليزي شركة تاذن لها الحكومة المصرية بالانتفاع من الاملاك التي هي موضوع البيع وجميع ما يتعلق بهما من الاشغال والمشروعات وتولها هذه الشركة أن تستغل بالاشغال أو المشروعات المماثلة ما تقدم سواء كانت هاته المشروعات عبارة عن توسيع نطاق الموجود منها أو عن اشغال جديدة ترتبط بتلك الاملاك ولها أن تقترض النقود اللازمة لها وتصدر للسندات الضرورية لتصلحها المشروع وتشكيل شركات أخرى منفصلة عن الاولى اذا رأت فائدة في ذلك لاجل جميع المشروعات المختلفة وأجزء منها ونقل كل

أجزء من الاشغال أو المشروعات المشار إليها أو جزء من أملاك الدائرة السنية أو كل أملاك غيرها تحصل عليها فيما بعد الى الشركة أو الشركات التي تشكل على المثال المتقدم ويجب أن يكون رأس مال الشركة في كل حال ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه على الاقل يشترك في دفعها رأس مقتدر ون بتشكيل شركة على هذا المنوال ونقل هذا العقد بهما يكون المشترين خالين من كل مسؤولية تنشأ عن مواد هذا العقد

عائلا لا يصح ولا ينفذ الا اذا التحد المراقبان رأيا على . وافقتهما وكان المراقب الفرنسي أظهر التوقف في تنفيذ البيع ذكرت المالية في اتفاقية البيع ان تسليم أملاك الدائرة الى الشركة لا يكون الا في سنة ١٩٠٥ حيث تنتهي مدة المراقبة المقررة على الدائرة السنية ويظن الكثيرون من المشتغلين بأعمال الدائرة السنية المذكورة انه عند انقضاء هذه المدة لو حصلت حوادث أفضت لتجديد المراقبة كالمصوص عليه في المادة ٥٤ من قانون التصفية بما حصل تأجيل أو تأخير في مسألة التسليم ولا يعلم الا الله ماذا يكون اذذاك

البنك الوطني - من الحوادث الشهيرة التي حصلت في هذه المدة أيضا ان أصدرت الحكومة المصرية في ٢٥ يونيو من سنة ١٨٩٨ أمر اخديو بابتشكيل شركة مساهمة مصرية رأس مالها مليون جنيه انجليزي بقصد انشاء بنك مصري اتفقت على كيفية انشائه من قبل فقامت عقب ذلك عدة لجان لمبيع الاسهم ببلاد انكتره وفرنسا والقطر المصري فأقبل الناس على الاكتتاب ايماء اقبال لتقتهم هذا البنك لان الحكومة معضده ولم يأت يوم الثلاثاء الموافق ١٢ يوليو حتى زاد المبلغ الذي اكتتب به سكان مصريين أهالي وأجانب عن خمسمائة وعشرين ألف ليرة كان منها بالاسكندرية ٣٦٠,٠٠٠ وبالقاهرة ١٦٠,٠٠٠ ومن أسباب اقبال الناس على شراء أسهم هذا البنك غير ما ذكر عليهم بأنه سيكون مع الحكومة أو سع نطاقا في المستقبل عن باقي البنوك اذ يصبح ارتباطه بالحكومة أشبه بارتباط البنك العثماني في الممالك المحروسة الشاهانية مع الحكومة بل بعاقبة في الاهمية المالية وتعيين لادارة هذا البنك السير بالمستشار المالي في الحكومة المصرية وهو ممن اشتهر بالبراعة في الاعمال المالية وعلى اثر انتقال السير بالمالي الى البنك الوطني حصل تغيير كبير في هيئة الموظفين فتمعين المسترغورست مستشار الداخلية مستشار المالية وجعل ممثل بك مدير خفر السواحل مستشارا للداخلية

(الفصل العشرون)

البواخر المصرية والملاح في الوقت الحاضر

سبق الكلام على البحرية المصرية وما وصلت اليه من النقص ثم العدم فلم يبق لها من سفنها بعد ان باعت بواخر البوسنة الخديوية سوى سفن وبواخر مصلحة خفر السواحل ويخت المحروسة والركاب الخديوية بالنيل وباخر في البحيرة وخبيرات تابعتين لنظارة الخربية بالبحر الاحمر وأسطول النيل الحربي الذي أوجده الجنرال كتشنر باشا بمر دار الجيش المصري لفتح السودان وسميع بواخر أخرى بالنيل تابعة لنظارة الاشغال والبواخر التابعة للفنارات وادارة البوسنة المصرية في النيل أما سفن مصلحة خفر السواحل فانها أخذت تكثر من عهد مديرها السابق مدلماس بك (A. E. Middlemass) وهو الذي سعى في جعل من يستخدمون في هذه المصلحة من ضباط البحرية والحربية على صفتهم العسكرية

(المادة الحادية عشرة) - يكون للحكومة المصرية الحق في تعيين مدير في مجلس ادارتها الشركة التي يكونها المسترون والتي يمكن نقل هذا العقد الى اسمها وفي حالة وفاة أو استعفاء المدير الذي عينته الحكومة يكون لهذه الاخيرة الحق في كل وقت أن تعين من يخلقه ويؤتمن توقيع الطرفين المتعاقدين على هذا العقد في ٢١ يونيو سنة ١٨٩٨ هـ

وصدراً من خديوي بذلك (٢١ يناير ١٨٩٢) وبجواز نقل صف الضباط والعساكر البحرية الى مصلحة خفر السواحل وبان الضباط البحرية والبرية الذين يتقانون اليها يكونون تحت طلب الحربية والبحرية مع حفظ رتبهم العسكرية وان تكون ترفياتهم بحسب القوانين العسكرية بعرفة نظارة الحربية والبحرية وخدماتهم بحسب كندمة عسكرية وتصرح في هذا الامر أيضاً لمفتش قوم خفر السواحل بأن بسن اللوائح التي يرى لزوم منها بعد الاقرار عليها من ناظر البحرية والحربية وغير ذلك مما جعل المصلحة المذكورة على شكل بحرية عسكرية بقراراتها عين ممثل بك مديرها بعد استعفاها من لباس بك (١٨٩٦) أحالت الحكومة على تلك المصلحة كثيراً من الاعمال فأنسح نطاقها وزادت أهميتها في البر والبحر وصدراً من خديوي ١٣ يناير (١٨٩٧) باعتبار مفتشى المصلحة المذكورة الذين من الدرجة الاولى والثانية من مأموري الضبطية القضائية أثناء تأدية وظائفهم المتعلقة بأمر التهرب واعتنى هذا المدير بأمر تقدم بحريته حتى انه لما وجد أن عدد تلامذة المدرسة البحرية التي بوابور المحروسة غير كاف سعى في إيجاد مدرسة بحرية لمصلحته خصوصاً وأن الاعمال الملاحية سواء كانت في البحر الابيض أو الاحمر أو في النيل تحتاج الى معارف وفنون بحرية وأن سفن الحكومة المصرية سيما واخلصت خفر السواحل الآخذة في الزيادة تحتاج دائماً الى عمال كثيرين خبيرين بتلك الاعمال على اختلافها وان التجارة المصرية كلما اتسعت احتاجت الى توسيع نطاق المواصلات البحرية وكل ذلك يحتاج بالطبع الى زيادة السلاحه هذا وان سفن الحكومة التي في البحر الابيض والاحمر والنيل هي أيضاً تعد واسعة العمل كثيرة العمال وهي بالطبع تفتقر الى وجود منسج مخصوص يخرج منه البحر يون الذين يقومون بخدمة السفن ولا منسج الا المدرسة البحرية فلهذا التمس المدير المذكور من سمو الخديو المعظم النصريح له بانشاء مدرسة بحرية في مصلحته بدلا عن المدرسة الموجودة في واپور المحروسة ولما كان مولانا الخديو يعيل الى كل ما يرقى شأن البلاد حسا ومعنى أجاب ملتسه بكل ارتياح وعليه انشأ في احدى واخلصت مصلحته المسماة ديب البحر مدرسة بحرية انتخب لها ستة تلامذة من حازوا المعارف الابتدائية وتعين اليوزباشى محمود ميجت افندى قبودان مدرس الفن الملاحة والعلوم الرياضية بها و آخر انكليزى لتعليم اللغة الانكليزية والفنون البحرية الاخرى (أوائل سنة ١٨٩٧) وقبل عودته مولانا الخديو من نعر الاسكندرية زار المدرسة المذكورة وأظهر سروره الى ممثل بك ويقال انه حفظه الله وأشار عليه بان يضيف اليها صغرها وقرانها علومها أساسياتى عليه في المستقبل ما كان مصر من الله أن تكون هذه المدرسة على صغرها وقرانها علومها أساسياتى عليه في المستقبل ما كان مصر من الرفعة البحرية في ظل مولانا الخديو عباس باشا الثاني انه سميع مجيب

بواخر اسطول النيل المستجد

الاسم	نوعها	طول بالقدم	عرض بالقدم	مقدار مياه من الماء الطافية	الاسم
الظافر	ذات عجلات	١٤٠	٢٤	٢	بكل باخرة من هذه الثلاث مدفع واحد سريع الضرب
الناصر	خلفية	١٤٠	٢٤	٢	من عيار ١٢ رطل ومدفع من نوع هاوتزر وثلاثة
الفاخ		١٤٠	٢٤	٢	مدافع من نوع مكسيم وفنار كهربائي للاكتشاف
					وسارو حربي
الملك	ذات عجلات	١٤٠	٢٣	٢	بكل باخرة من هذه الثلاث مدفع من نوع هاوتزر
السلطان	برعية	١٤٠	٢٣	٢	ومدفعان فطر الواحد منهما ٧٥ مليمترا وأربعة
الشيخ		١٤٠	٢٣	٢	مدافع مكسيم وفنار كهربائي للاكتشاف وساروخ
					حربي

ويتبع هذا الاسطول خمس باواخر كمدفيعات أيضا وهي أبوليج والتمه وطماي والتيب والبرنس عباس وبكل واحدة منها مدفع كروب من قطر ٩ سنتيمترات ومدفعان من نوع نوردفيلد وساروخ حربي وبكل باخرة تسعة عمال لادارتها

وتخدمه البريد بالنيل ١٣ باخرة أخرى منها عشر فوق الشلالات وهي عبكة وعكاشة وسمنة وحنك وامبيجول وكيجيار ودال وتنجور وشجرة النوبة والطاهرة وثلاث تحت الشلالات وهي ايزيس والكسندر ووترلي وعدد خدمة السفن المذكورة نحو ١٢٠ نفرا

بواخر مصالحة الفنارات

الاسم	عائده
قومندان أول	١
قومندان ثاني	١
مهندس أول	١
مهندس ثاني	١
ضابط درجته ثانية	١
ضابط درجته ثانية	١
رؤساء وملاحين	٤٦

الفنارات المصرية بالبحر الابيض المتوسط

الاسم	الموقع	عروض شمالية	أطوال شرقية	اسم ماء القنار	معلومات
اسكندرية	رأس التين	٤٣ ١١ ٣١	٤٠ ١٥ ٢٩	١٨٤٨	٤
البريلام	في طرف البحر من الجنوب الغربي	٣١ ١٠ ٣١	٣٠ ٥٠ ٢٩	١٨٧٦	٣
القماري	في طرف المولص	١٨٧٧	٣
العمايه	بقرب برج العرب	٣٠ ٥١ ٣٠	٣٠ ١٥ ٢٩	١٨٧٣	٨
رشيد	عند مصب النيل	٣١ ٢٩ ٣٠	٣٠ ١٩ ٣٠	١٨٦٨	٥
البرلس	رأس البرلس	٣١ ٣٥ ٣٠	٣١ ١٩ ٣٠	١٨٦٨	٥
دمياط	عند مصب النيل	٣١ ٣١ ٣٠	٣١ ١٥ ٣٠	١٨٦٨	٥
بورسعيد	على ساحل البحر في غربي جسر البريلام	٣١ ٥٤ ٣١	٤٥ ١٨ ٣٢	١٨٦٩	٦

الفنارات المصرية بالبحر الاحمر

ملحوظات	عدد الخدمة	سنة بناء الفنار	أطوال شرقية	عرض شماليه	الموقع	أسماء الفنارات
	٣	١٨٨٠	٣٢,٣٢,٤٥	٢٩,٥٧,٢٠	على الساحل الشمالي من خليج السويس	فنار السويس الاعلى
	٣	١٨٨٥	٣٢,٣٤,٢٠	٢٩,٥٧,٠٠	على مصب السويس	الكريك
	٩	١٨٥٦	٣٢,٣٢,٤٥	٢٩,٥٣,٣٠	على ميناروك الجديدة	زينوبيا العوام
	٩	١٨٦٠	٣٢,٣٩,٤٠	٢٩٦ ٣٠	على رأس زعفران	زعفران
	٩	١٨٧١	٣٣,٠٦,٠٠	٢٨,٢٠,٤٠	على رأس الغريب	رأس الغريب
	٤	١٨٦٢	٣٣,٤٣,٠٠	٢٧,٤٨,٠٠	على بوغاز جوبال	الاشترفي
	٤	١٨٨٩	٣٤,٠٢,٢٢	٢٧,٢٦,٥٣	في جنوب جزيرة شدوان	شدوان
	٤	١٨٨٣	٣٤,٥٠,٣٤	٢٦,١٨,٥٠	صخور الاخوين الشمالية	الاخوين
	٤	١٨٦٣	٣٥,٥١,٠٠	٢٤,٥٦,٠٠	على رصيف الكيزان	أبو الكيزان
	٧	١٨٨٨	»	»	»	نار مدخل البوغاز

بوانحر وسفائن مصلحة خفر السواحل

ملحوظات	صيف السفينة	تاريخ البناء	عمق من الكوكريه الى القرينة	عرض الوسط	طول القرينة	حمله	أسماء السفن	
								سنة
		١٨٨٤	١٣,٣	٢٣,٣	١٨٠,٠	١٤	١٢٨,٩٣	نور البحر
		١٨٩١	١٤,٩	٢٢,٠	١٨٢,٦	١٣	١٣٢,٤٥	عباس
		١٨٨٥	١٢,٠	١٦,٠	٩٧,٦	١١	٢١,١٠	ظريف
		١٨٨٦	٩,٠	١٦,٠	١٠٠,٠	١١	٢٩,٠٠	ورده
		١٨٨٦	٧,٢	١١,٨	٦٨,٠	١٠	٠٧,٦٣	سريع
	شراع	١٨٨٥	٧,٢	١٣,٨	٦٩,٠	١٠	٣٩,٠٣	نسيم
	بخارى	١٨٩٠	٤,٦	٩,٨	٥٩,٦	٠٩	١٧,٠	النيل
		١٨٩٠	٤,٦	٩,٨	٥٦,٩	٠٩	١٧,٠	خبر سرور
		١٨٩٥	٠٣,٤٨	رفلس
	شراع	١٨٧٧	٨,٠	١٥,٦	٥٩,٠	١٠	٤٤,٠١	قطيرة عمرة
		١٨٨٥	٣,٩	١٢,٦	٥٠,٣	٠٧	٢١,٠١	بسيل
		١٨٩٠	٤,٠	١٤,١٠	٦٠,٠	٠٧	٢٠,٠١	مبروكه
		١٨٩٠	٤,٠	١٣,٦	٥١,٠	٠٧	٢١,٠	غزاله
		١٨٩٠	٤,٠	١٣,٦	٥١,٠	٠٧	٢١,٠	المر
		١٨٩٠	٤,٠	١٣,٦	٥١,٠	٠٧	٢١,٠	طير البحر
		١٨٩٥	٠,٠	٠,٠	٠,٠	١٢	١٠,٠	سولا

الفصل الحادى والعشرون

القوة البرية بالديار المصرية

طريقة الدفاع عن القطر المصرى

كان يودنا أن نكتب شيئا عن طريقة الدفاع في القطر المصرى مدة دول الفراعنة ولكننا لم نعثر في كل ما وقفنا عليه من الكتب الاعلى شذرات لاتي بالمراد وقد استفسرنا من اذ كرما يأتى وهو مارواه مؤرخو العرب عن ذلك قال المقرئى قال ابن عبد الحكم لما أعرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فانفق من عصر من النساء أن يولين منهم أحدا أو أجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلو بنت ذبا كان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكبرنا وأشرفنا وقد ذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصنا أحديق به جميع بلادنا فأضلع عليه المحارس من كل ناحية فابالانا من أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة فيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يجرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيما بينهم الخبير من أى وجه كان في ساعة واحدة فنظر وافي ذلك فغمت بذلك مصر عن أردادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار الجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة فلما كتبهم ثلاثين سنة اه وقال صاحب العقد الثمين في صحيفة ٢١٢ عند ذكره حوادث نقطان الاول اول ملوك العائلة السنودية الممتدة للثلاثين ان مدته كانت هيجانا واضطر بالان دولة الفرس كانت متعلقة الآمال مشتغلة البال باسترجاع مصر اليها الى أن قال خبير التجهيزات الحربية الهائلة واستعد للدفاع فكانت العساكر المصرية تحت قيادة (خابرياس) اليونانى وكان معسكرهم على ساحل بحر الطينة بعد ان حصنه بالمتاريس والاستحكامات والخنادق التى سميت باسمه بعد الحرب اه فيمتضخ مما تقدم على ما فيه ان الدفاع عن القطر المصرى قديم وقد اعتنت به كل الدول التى حكمت مصر بعد قدماء المصريين الى ان كان حكم المرحوم محمد على باشا الاكبر ومن أتى بعده من سلطانه فأقاموا بها من الاستحكامات والقلاع ما يأتى ذكره

اعلم ان اهم نقطة الدفاع المعنى بها من القديم في هذه الديار هى النقط الواقعة على حدودها الثلاثة الشمالية والجنوبية والشرقية وكانت الخطوط الشمالية اهمها الوقوع على سواحل القطر الممتدة على البحر الابيض المتوسط ولقربها من الدول البحرية المشهورة منذ القدم بقوة الاساطيل

وأما الخطوط الواقعة على الحدود الجنوبية فأهمها النقطة القريبة من شرقي شاطئ النيل وغربيه وكذا النقط التي على سواحل البحر الاحمر التي يخشى عليها من أساطيل العدو ولكونها سهلة المواصلات مع داخل القطر فكان أهم نقطة الدفاع هي المقامة على نغور مصر كما سبق في الكلام على النغور المصرية اما التي بالحدود الشرقية فأهمها ما كان مقاماتها على دروب التجارة التي تترقبها القوافل بين القطر والبلاد الآسيوية هذا أما الحدود الغربية فلا يخشى عليها الا أنها تعد من القديم كاستحكامات طبيعية لوجود صخرات لينة القديعة العديعة الماء المشابهة لبحر من الرمال وقد كانت الدول التي حكمت مصر من القديم بين فراغة وفرس ويونان ورومان وعرب واكراد وواليك وجزا كسه تعتنى بأمر هذه الخطوط لاهميتها العسكرية فشيدها على نقطها المهمة كثيرا من المعقل والحصون والقلاع التي يشاهد آثارها واطلالها اللات وكافوا على تلها بالالات الحربية وبالجنود ولم يكن هذا الاعتناء قاصرا على القوة البرية فقط بل كان يشمل البحرية ولذلك اهتموا أيضا بصناعة السفن الحربية كما سبق في المقدمة وما ذلك الا ليمنعوا بها العدو ويحرموا الدفواني السواحل المصرية من جهة وللحفاظة على التجارة البحرية المصرية المنتشرة في سائر البلاد المتاخمة للقطر من الاخرى واستمر الحال على ذلك حتى ارتقى المرحوم محمد علي باشا كرسي الولاية المصرية فوجه عناية له لامر الدفاع عن البلاد ووشيده في نقط كثيرة من تلك الخطوط عدة حصون وقلاع واستقدم من فرنسا مهندسين لذلك مثل جليس بك الذي عهد اليه عمل الاستحكامات والنظر في اتخاذ طرق الدفاع وبناء اللازم من الحصون على الحدود المصرية وبعدها نظر هذا الرجل في الامر مع رجال العسكرية المصرية فقدم تقرير او افيان بما رآه ذكر فيه آراءه على خطوط الدفاع المذكورة وما يلزم لها من الحصون والقلاع لتكون واقية بالمراد فقال ان أهم خطوط الدفاع عن الحدود الشمالية ثلاثة الاول خط الساحل ويحتاج الى اقامة حصون قوية يمكن بها المدافعة عنه وصدهجمات الاساطيل التي تقصد البلاد بسوء والثاني لا يحتاج لشي لانها معززة بطبيعة الاستنقعات والبحيرات الموجودة فيه وهي بحيرات المسئلة والبراس وادكو ورشيد وبوقير ومربوط واما الخط الثالث فيمكن الدفاع عنه عند اللزوم باقامة بعض استحكامات خفيفة على المسالك الواقعة بين البحيرات المذكورة وهذه المسالك هي التي توصل خط الساحل بالوجه البحري وداخل القطر ومنها يمكن صد العدو اذا تغلب على خط الساحل وقصد دخول القطر وقال أيضا بلزوم اقامة بعض الحصون على الحدود الشرقية بجبهات الصالحية لوقوعها على طريق سورية المعتاد وجهات الاسماعيلية لوقوعها على طريق وادي التيه الذي يوصل مصر ببلاد العرب وجهات السويس لانها فرضة مصر على البحر الاحمر وبجبهات اخرى على البحر الاحمر كالطور والقصير وغيره من ساحل عيذاب والعقبة التي اتخذ فيها القديما الحصون ولم يذ كر شيئا مهمما عن الحدود الجنوبية لان السودان كان ثم اذالك فتحه وضمه الى مصر ولما صدق العزير على رأي المهندس المذكور اخذ في عمل الاستحكامات اللازمة واصلاح القديم منها وبقى العمل بما جاري الى عهد المرحوم عباس باشا الاول كما ذكرناه في فصول هذا التاريخ فأصلحت قلعة الجبل واقامت بعض مواقع عسكرية اخرى في جهات العباسية من ضواحي مصر وما تولى سعيد باشا سار في طريق والده أبي القنوجات فاتخبط بنظره الصائب امام جزيرة روضة البحر بين موقعين أهم المواقع الدفاعية لانه أعظم نقطة للتحصين ولانه يمكن أن يصل المدد منها الى كافة النغور بالسهولة واستصوب أن يشغله بالحصون

الحصينة والقلاع المتينة بحيث لو طمع طامع في الدون من هذه المواضع صدده عنها بالقوة بواسطة المياه المنصرفة من عيون القناطر لما أنه يترتب على ذلك في زمن التعريق اندفاع الماء الى ما حول القلاع من المجارى والخنادق وانتشاره منها الى أبعاد مسافة يشغلها عسكر العدو ثم عزها بالمدايع والأسلحة والجنود وهي المعروفة بالقلعة السعيدية وقد وصفها المرحوم الفاضل صالح الخيلك بحمدى وكان وكيلاً لاشغال الطوابى بها في قصيدة لطيفة حوت كل اصطلاحات فنون الاستحكامات هذا وبقيت كل الحصون المذكورة على حالتها التي كانت عليها سنة ١٨٧٢ حين أمر الخديو السابق المرحوم اسمعيل باشا باصلاح ما كان منها على السواحل المصرية الشمالية لتكون صالحة لوضع المدافع الضخمة فأصلحت اصطلاحاً سطحياً (١٢٨٧ هـ) ثم ركب بها مدافع من نوع ارسترنغ من عيار عشر بوصات وتسع بوصات وسبع بوصات وكانت العناية بها يومئذ زائدة بالنسبة لمنو بانه السياسية فجعل لها ادارة خاصة عرفت بقلم الاستحكامات عهد برؤاستها المرحوم محمد باشا المرعشلى ولما قصد إقامة بعض الحصون على برزخ وخليج السويس حرصت الدول وفي مقدمتهم فرنسا الباب العالى وخوفته من ذلك لما فيها الذاتية فصدر فرمان بمنعه فامتنع وذكر الكولونيل بيشر (Becher) حالة الدفاع في القطر المصرى في ذلك الوقت في رسالة طبعت في باريس سنة ١٨٧٣ تسمى بما ترجمته طريقة الدفاع العسكرى عن القطر المصرى وهي موجودة في مكتبة تطارة الحربية بمصر

وذكر كثير من الكتاب خطوط الدفاع التي كانت في حدود القطر الشمالية قبل تدمير حصون الاسكندرية (١١ يوليو سنة ١٨٨٢) فقالوا انها كانت تحتوى على عدة حصون وقلاع وطواب منها ما هو على بعد ٣٠,٠٠٠ متر الى الغرب من البحى وكانت ثلاث قلاع وهي النجوس وبرج أبوصير وقلعة أبوصير وبعد الواحدة عن الاخرى ١٦٠٠ متر أما الدفاع عن نجر الاسكندرية بجزر افكان يومئذ عند على مسافة ١٧١٧٠ متر من قلعة قايتباى الى البحى ومن حصونه حصن المرباط بالجهة الغربية ازاء البوغاز المنسوب اليه وهو على الجزيرة المسماة به فكان به أربعة سدافع ضخمة من طرز ارسترنغ من عيار ثمان بوصات واثنان من عيار تسع بوصات وثلاثون من النوع المسبى أو بوس قديمة وخسة هوانات وخلف هذا الحصن حصن آخر على الرأس الغربى من القرصة يعرف بحصن البحى وهو قليل الاهمية لعدم بناءه والى الغرب من هذا الحصن طابية الدخيلة تبعد عنه ٣٦٠٠ متر ثم طابية باب العرب وهي على بعد ٢٨٠٠ متر الى شرقى الدخيلة وعلى بعد ٢٠٠ متر من طابية المكس الجديدة والى الشرق منها بنحو ألقى متر طابية المكس القديم وهي على مرتفع من الارض وعلى الساحل في المكان المعروف بمرسى القناطر وهذه الطوابى الثلاث معدة للدفاع عن مسدخ البوغاز الغربى المعروف ببوغاز المرباط والبوغاز العموى وكان بطابية المكس المذكورة ٣١ مسدفاً من المدافع القديمة منها أربعة من ذوات العيار الكبير وعلى طول المرفأ القديم حتى البحيرة الداخلة عدة متاريس واستحكامات منها طابية القرية المعروفة أيضاً بالطابية اليسرى الكبرى وتبعد عن المكس القديم بنحو ٥٢٠ متر الى الشرق وبها خمسة مدافع وطابية ام قبيسة وهي الى الشرق على بعد ١٤٠٠ متر وبها ١٨ مدفعا و برج مسدفاً برفيه مدفعا و قلعة صالح أغا القديمة وهي على بعد ٤٠٠ متر الى شرقى أم قبيسة والطوابى المذكورة كلها

مسلطة على المرسي ومسلحة بستة وخمسين مدفعاً معظمها من النوع القديم المسمى اوبوس
 وفي الجهة الاخرى من المرفأ عند منتهى شبه جزيرة فاروس بالقرب من رأس اونستوس المعروف
 برأس التين قلعة الفنار وهي مشرفة على الميناء الداخلة وعلى البوغاز من جهة الشرق ومحتوية
 على مساكن خشبية تسع ألني جندي ومعززة باربعة وعشرين مدفعاً قديمة منها خمسة من نوع
 ارسترنغ أحدها قطر عشر بوصات ووزن ١٨ طناً وأربعة قطر الواحد منها تسع بوصات
 ووزن ١٢ طناً وعلى الشاطئ الشمالي من رأس التين المذكورة عدة بطاريات أخرى مسلحة بسبعة
 عشر مدفعاً بعضها من ذوات العيار الكبير وعند منتهى خط هذه البطاريات مدفع واحد من نوع
 ارسترنغ قطره ثمان بوصات وفي الجهة الشرقية من هذا الخط طابية تعرف بالاطة وهي تبعد
 ٢٣٠٠ متر عن الفنار الى الشرق واستحكام قائم على رصيف متصل باليابسة بخندق ضيق تدخله
 مياه البحر وبعده بعض مدافع قديمة ومدفع واحد ارسترنغ من قطر عشر بوصات وعند
 منتهى خط شبه جزيرة المذكورة برج يعرف ببرج قايتباي وقلعة فاروس أيضاً وهو مبني بالبحر
 يسع اثني عشر مدفعاً ويشرف على متسع البحر ومدخل الميناء الشرقية ويشترك معه في
 ذلك الحصن المعروف بطابية قاربون وهو على رأس شبه جزيرة ضيقة في الجهة الاخرى من القرضة
 شمالي محطة الرمل ويمتد الى داخل البحر يحميه برج آخر هناك يعرف بطابية السلسلة المسماة
 قديم رأس لوشياس

هذا أما الدفاع عن نغر الاسكندرية برافكان بواسطة سورها العربي القديم الباقي بعضه لآل
 بجهة باب رشيد و باب سدرو و باب السورى ويحميه عدة متاريس أو استحكامات قائمة على مرتفعات
 مطله على بحيرة مريوط وترعة الحمودية والطريق الحديدية وعليها ابنية هي بقايا الحصون التي أنشأها
 الفرنسيون حول المدينة مدة حمله بوناپارت (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) وكانت معززة من الخارج
 بطابيتين تعرف احدهما بطابية كفار بالمى المعروفة اليوم بحصن نابليون أو كوم الناظورة والثانية
 بطابية كرتين أو كوم الدكة و متراس كيو ياتزه المعروف بقلعة باودا أما اليوم فالطابيتان الاولتان وهما
 كوم الناظورة وكوم الدكة قائمتان في قلب المدينة لقيام البناءن حولهما وأهميتهما الحربية مفقودة
 لعدم الاهتمام بهما وعدم وجود أسلحة جيدة فيهما على سعتهما والاولى منهما مطله على داخل المرفأ
 القديم حاكمة عليه لارتفاعها وعند باب العرب استحكامات تعادل طوابي المكس ارتفاعاً وتسد
 لسان الارض الواقع بين الملاحة وبحيرة مريوط وهي واقعة الى ما وراء المقطع القديم الذي خرقة
 الانكليزية سنة ١٨٠١ عند محاصرة الجنرال منوليدخلوا به مياه البحر الى البحيرة فغرقت يومئذ قرى
 كثيرة وتحولت الى صحراء واسعة يابسة والى مستنقع مضر بالحمة أما خط الدفاع الذي على
 الساحل بين طابية السلسلة وأبو قير فانه في غاية المناعة بالطوابي المشيدة عليه وهي طابية المنطرة
 الواقعة الى شرقي طابية السلسلة بنحو ٢٩٤٢٨ متراً الى شرقيها يبعد ٣٩٠٠ متر طابية
 تسمى التوفيقية والى شرقيها يبعد ١٨٠٠ متر طابية تعرف باسم كوسه باشى والى الشرق منها يبعد
 ٨٦٤ متر قلعة أبو قير والى الجنوب الشرقى منها يبعد ٢٤٥٠ متر طابية الرمل وفي جهة الشرق من
 هذه الطوابي سدا أبو قير وهو معززة باربعة أبراج لجاشته ويعرف الاول ببرنجي برج وهي تبعد عن
 الرمل ٢١٠٠ مترم الى شرقيها يبعد ٨٠٠ متراً يكتنحى برج ومنه الى الشرق يبعد ١٩٠٠ متر

٣ بجى برج والى شرقية يبعد ١٢٠٠ متر ٤ بجى برج وعلى آخر السدمن جهة الشرق يبعد ٣٠٠٠ متر توجد طابية تعرف بالكوم الاحمر ويبعد ٣٢٥٠ متر عن اللى الشرق طابية المعديه هذا وغير ما ذكرنا ساحل اد كوحى رأس رشيد معزز بتسع طواب تسمى الاولى هلالية الكلخ وهى على بعد ٢٨٠٠ متر الى شرقى بحيرة المعديه والثانية المعديه ثم طابية الكلخ وهى تبعد ٢٥٠٠ من شرقى الاولى والرابعة هلالية ايد كو والخامسة طابية ايد كو والسادسة هلالية العلامة والسادسة طابية العلامة والثامنة هلالية النفر والتاسعة طابية النفر وكل واحدة منها تبعد عن الاخرى بنحو أربعة آلاف متر والى غربى هذه الطوابى بنحو أربعة آلاف متر بوغاز رشيد وعليه من الغرب طابية غرب البوغاز ومن الشرق طابية شرق البوغاز ويبعدان عن بعضهما بنحو ثمانمائة متر وهناك استحكام آخر يعرف بلعنة قايتباى واقع على منتصف المسافة بين مدينة رشيد وطابيتى البوغاز السابقتين وطابية أخرى فى أبى مندوز وهى قائمة على تل عال جنوبى رشيد ولما كانت المسافة بين رشيد والبرلس البالغ طولها ٥٧٠٠٠ متر كلها مستنقعات وتعد من الموانع الطبيعية لم تبني عليها استحكامات وعلى رأس بحيرة البرلس طابيتان الاولى تسمى طابية غرب البرلس وهى تبعد ٥٦٢٠٠ متر من شرقى رشيد والى الشرق يبعد ٨٠٠ متر طابية شرق البرلس وهى على بعد ١١٢٥ متر الى الشرق من طابية فنار البرلس وفى المسافة التى بين الفنار المذكور وبوغاز جصه طابيتان الاولى تعرف بالعباس وهى على بعد ١٩٨٠٠ متر الى الشرق من فنار البرلس والى الشرق منها بنحو ١٤١٧٥ متر طابية القرعة ثم الى شرقى بوغاز جصه المذكور بنحو ١١٨٠٠ متر طابية جصه والى شرقها بنحو ١٢٤٠٠ متر برج يعرف بأوجنجى برج والى الشرق بنحو ٤٠٠٠ متر برج يعرف بايكنجى برج والى شرقه بنحو ٤٢٠٠ متر

البرج الاول

أما بوغاز دمياط فيحويه طابيتان عظيمتان هما طابية غرب البوغاز وطابية شرقيه والمسافة بينهما لا تزيد عن ٥٩٠ مترا وهناك طابية أخرى تعرف بالعزيزية وهى قديمة على الشكل المعروف فى فن الاستحكامات بالبسيهون أى كثير الاضلاع أقامها الفرنسيون وبدا دخلها جامع وقشلاق ومخازن وفى المسافة التى بين دمياط وبورس عميد وطولها ٦١١١٠ أمتار طابيتان الاولى تعرف بطابية الديبة وتبعد عن شرقى طابية شرقى بوغاز دمياط بنحو ٣٢٥٥٠ متر والى شرقها بنحو ١٣٢٧٠ متر طابية تعرف بالجميل وهى على أشتموم الجميل وأغلب هذه الطوابى هلالية الشكل قليل منها رابعى وكانت كل واحدة منها مسلحة بثلاثة مدافع من نوع ار مسترغ وستة مدافع من النوع القديم المسمى أوبوس مختلفه العيار الاقلعتى قايتباى وأبومندور رشيد فكانت مدافعهما قديمة وقد أهملت هذه الاستحكامات باجمعها تقرىبا بعد وفات سنة ١٨٨٢ حتى تخربت الآن أما خط الدفاع بالحدود الشرقية فهو عبارة عن قلعة قديمة بالعريش وأخرى مثلها بالعقبة ولم يقم استحكامات فى حدود القنال سوى الطوابى الترابية التى شيدها العرابيون فى حوادث سنة ١٨٨٢ بجهات التل الكبير والصالحية وآثارها ظاهرة لآن ولما أخرجت الحكومة المصرية جنودها من السودان فى سنة ١٨٨٥ شيدت بعض نقط حربية فى وادى حلنا للدفاع عن حدود القطر من هجمات الدراويش فشيد السردار غر نفييل باشا معسكرا كبيرا يمتد على ساحل النيل

الشرقي طوله أني متروا فام حوله خمس طواب منها في جهة الجنوب بقرب ساحل النيل طابية سميت طابية غمرة واحد والى الشمال طابية أخرى عرفت بطابية غمرة خمسة وعلى شرقي المعسكر على كيلومتر واحد ثلاث طواب عرفت بغمرة ٢ و ٣ و ٤ و بعدها عن بعضها واحد وكلها على شكل مضلع وأقاموا على بعد ربع ساعة من طابية غمرة خمسة الى الجنوب طابية التوفيقية والى الجنوب منها بعد ساعة طابية أخرى عرفت بطابية الخور والى الجنوب منها طابية جس وعلى نحو ٣٣ كيلومترا من حلفا الى الجنوب طابية سرس ولما فتح السردار كتنشربا شاد نقله وبر بأفام في الحدود الجديدة بمجسات دنقله وكورتى ومروى وأبو جرد وبر والدا مر بعض الحصون وخصص لحفارة آبار حكدول التي في عطور بموضه قبائل الجعليين الخاضعين للحكومة الخديوية

الطرق الحديدية - اعلم ان السكك الحديدية أصبحت في الوقت الحاضر من أهم طرق المواصلات وانفع أسباب تقريب المسافات كما لا يخفى فكما اتسع نطاقها في بلاد ازدار وراج سلعها التجارية وهي فضلا عما لها من المنافع التجارية والانتقالية وابتعاد الامن والعمارة بالبلاد التي تمر بها الفائدة الرئيسية في نقل الجيوش ومعداتهم الى الاماكن البعيدة في أقصر زمن لهذارا أينما من الضروري ذكر السكك الحديدية المصرية في باب الكلام عن قوة مصر العسكرية فنقول جميع السكك الحديدية التي بمصر تابعة للحكومة المصرية ما عدا بعض خطوط شيدتها الشركات على السكك الزراعية وهي المعروفة بالسكك الضيقة وأول هذه الخطوط الممتدة من القاهرة الى اسكندرية ويعرف بالخط الطوالى وطوله ٢٠٨ كيلومترات و ٧٤٠ مترا ويمر بقلوب و بنها و طنطا وكفر الزيات ودمهور وكفر الدوار وسيدى جابر ويتفرع منه عدة فروع منها خط من بنها الى الزقازيق وطوله ٣٤ كيلومترا و ٩٨٣ مترا ويمر على شبلنجه ومينا القمح والزنككون وخط من بنها الى ميت بره وطوله ١١ كيلومترا و ٢٦٥ مترا وخط من طنطا الى دسوق ويمر بمحلة زوح وقطور وقلين وشباس وخط من طنطا الى زفتى وطوله ٤٤ كيلومترا ويمر بمحلة زوح والسمنطه وخط من طنطا الى المنصورة ومنها الى دمياط ويمر بمحلة زوح والمحلة الكبرى وسمنود وطنطا والمنصورة وشربين وفارسكور وكفر البطيخ وخط من شربين الى بيبله وطوله ٢٩ كيلومترا ويمر بيسندبيله وبلقاس وخط من طنطا الى اشمون وطوله ٦٢ كيلومترا ويمر بتلاوشين الكوم وشنوان ومنوف وسهادون وخط من ايتاى البارود الى مصر وطوله ١٢١ كيلومترا ونصف ويمر بكوم حماده وكفر داود وادخلها طنطبه ووردان وأوسيم وامبابه وخط من دمنهور الى الرحمانية وطوله ٢٠ كيلومترا ويمر بسنهور وخط من المربعين الى قلين ويمر بسنحا ومحلة موسى وقلين وخط من الصالحية وفاقوس الى أبو كبير ويمر على فاقوس والغابه وأبو كبير وخط من المنصورة الى مصر عن طريق الزقازيق وبلبيس ويمر على السنبلارين وأبو الشقوق وأبو كبير والزقازيق وبلبيس وشبين القناطر وقلوب وشبرا ثم مصر وخط من الزقازيق الى السويس ويمر على التل الكبير والقصاصين والخمسمة والاسماعيلية وجنيفة والسويس ومنها الى الحوض وخط ضيق من الاسماعيلية الى بورسعيد ويمر بالقنطرة ورأس العش وهو تابع لشركة القنال وخط من كوبرى اليمون بمصر الى المطرية والمرج وطوله ١٤ كيلومترا ويمر بسراى القبة والمطرية وعين شمس والخطوط المسد كورة كلها بالوجه البحرى خطوط الوجود القبلية - بالاقليم القبلية خط واحد عظيم يمتد من القاهرة الى بلدة شجع حمادى وفي النية مسده الى أسوان وهو يمر بامبابه والجيزة والبدرشين والعياط وبوش وبنى سويف وبنا

والفشن ومغاغة وبني مزار وقارصنا وصالوط والمنية والروضة وماوى وديروط ومنفلوط وأسيوط
وأبوتيج وطماوط هطا وسوهاج وجرجا وبريس وفرشوط ونجع جادى وطوله ٥٥٦ كيلومترا
و ٢٨٤ مترا يتفرع منه عند الواسطة خط الى مدينة الفيوم وأبو كساه وغير بالعدوة والفيوم
وابشواى وطوله ٦١ كيلومترا وأربعة أمتار ويخرج خط آخر من الفيوم الى سنورس وطوله ١١
كيلومترا و ٧٦٨ مترا

المخطوط المحمدية بالسودان - كان الشروع فى مدا الخطوط السودانية بالسودان سنة ١٨٧٧ م
فى عهد الخديو الأسبق اسمعيل باشا بقصد توصيلها الى الخرطوم وكانوا يريدون مدا الخط الاول منها من
حلفا الى بلدة كوه مارا على الشاطئ الشرقى من النيل وقدر واطوله وقتئذ بنحو ٢٥٧ كيلومترا وكان
التصميم انه متى وصل الى كوه يعبر على قنطرة حديدية حتى يصل الى بلدة أم البقول بعد ان يمر على
ثمان محطات منها حنك و دنقلا الجديدة و دنقلا العجوز وطوله ٣٤٩ كيلومترا ثم يمد من أم البقول
الى شندي عن طريق صحراء بيوضة مارا بخمس محطات منها أبو حلفا وجبل النوس ومن هناك يمتد
الى البحر الاحمر عن طريق كسلة ومصوع وشرع العمال فى العمل وصرف عليه نحو ألفي الف ليرة
مصرية ومع ذلك لم ينته منه شىء يذ كرفاضطر الخديو لا يقف هذا المشروع الجليل لسبب ارتباك
المالية المصرية ثم لما قامت ثورة المهدي وسافت انكساره الجيوش لاستخلاص الجنرال غوردون
باشا مدت الحكومة خطا حديديا من وادى حلفا الى عكاشه طوله ٨٠ كيلومترا (١٨٨٤ م)
ولما عادت الجيوش وانخذت الحكومة فى وادى حلفا خطوط الدفاع أهمل خط عكاشه المذكور
ثم لما تقرر إعادة فتح السودان وابتدأ الجيش فى الزحف على دنقلا (١٨ مارس سنة ١٨٩٦) أخذ
السرديرال الجنرال كتنر باشا فى مدا السكك الحديدية لسهولة المواصلات فوصلت الى آبار المرات
(٥ مايو ١٨٩٦) ثم الى آبار أم البقول أو امجبول ثم الى عكاشه (٢٦ يونيو) ثم الى
كوشه (٤ أغسطس) وفى ٢٩ أغسطس هطلت الامطار فخربت منها نحو ١٢ ميلا فاعيد
اصلاحها ثم وصلت الى بلدة السكرمة وتبعد عن حلفا جنوبا بنحو ٢٥٥ أميال تقريبا (أول مايو سنة
١٨٩٧) ثم بعد فتح دنقلا مدت السرديرال طريقا آخر من حلفا الى أبو جرد وعم ٤٦ فى ١٩ فوغير من السنة
المذكورة ومن أبى حمد الى بروت فى أوائل مارث من سنة ١٨٩٨ ومنها الى بلدة الداى على نهر عطبرة
القوة العسكرية المصرية

اعلم ان القوة العسكرية بالديار المصرية كان معتنى بها من عهد دول القراينة كما يعلم كل من طالع
التاريخ فكانت القوة العسكرية تزداد عندهم من أول مراتب الامة وأعظم فرقة من فرق الملة إذ
كانت عليهم احراسة المملكة ولهذا كانت الحكومة تهب الجنود قسما كبيرا من الاراضى يستغلونها
ليصدق دفاعهم عنها والذود عن حياضها وكانت الاراضى العسكرية معقاة من سائر المطالب الميرية
وكان لكل جندي نحو ستة افدنة هذا خلاف ما كان يصرف له من الغذاء والعدة وقد بلغت الجيوش
المصرية فى زمن هيرو دوت ٤٠٠,٠٠٠ مقاتل وقد أجمع المؤرخون على أن الجيوش المصرية بلغت
فى مدة العائلة الثامنة عشرة وهو زمن ارتفاع شأن مصر ٦٠٠,٠٠٠ من المشاة ونحو ٢٤,٠٠٠
من الفرسان و ٢٧,٠٠٠ من العربان المسلحة بالحرب وقد زادت هذه القوة مدة سيزوستريس
الاكبر الذى اشتهر بالفتوح وادخل تحت طاعته بلاد النوبة والحيشة وسنار وبلاد العرب والشام
وبابل ونيوى وقطعة كبيرة من آسيا الصغرى وبلاد فارس وجزيرة قبرس وعدة من جزائر الارخبيل

وكان الملوك هم القادة للجيوش في ميادين الحرب ثم أخذت قوتهم مصر بعد ذلك في الانحطاط فالغيت
الجيوش الاهلية واستبدلت قوانينها العسكرية وصار جنودها من الشعوب الاجنبية في مدة حكم
الفرس واليونان والرومان والعرب والاكراد والمماليك فلم يكن المصريون يحملون السلاح للامانة
عن وطنهم بل كانت جيوش هؤلاء القاطنين هم الذين يؤدون الخدمة العسكرية في الديار المصرية
حتى زمن ولايته سالك الجنان محمد علي باشا لانه رحمه الله من يوم ان جلس على كرسي الولاية المصرية
أوجد فيها جيشا عظيما منظم من الاهالي كما ذكرناه في تاريخه ثم اقتدى به بنوه من بعده الى يومنا
الحاضر كما ذكرناه في تاريخ كل منهم

نظام الجيش المصري - كان أول من أدخل النظام الجديد في الجيش المصري هو افندينا المرحوم
محمد علي باشا الاكبر صاحب المآثر الجميلة الكثيرة كما تقدم وكان من حسن نظره في العواقب وجودة
سياسته أنه لما عزم على ذلك خاف من ثورة تكون بين الجنود الاتراك والالبانيين وغيرهم المشكل منهم
الجيش المصري حسدا منهم وتعدا على إدخال نظام مقتونه لانه مخالف لما دركهم الكاسدة الفاسدة
سيما وأنه يعلم جيداً ان الدولة العثمانية اعترها الفشل وثار عليها جنودها مراراً حينما همت
بإدخال النظام الجديد في جنديتها كما ذكرناه في تاريخها بالجزء الاول فلذلك رأى من الصواب ان يكون
تنظيم الجيش الجديد وتدريبه في مكان بعيد عن قاعدة الديار المصرية حتى لا يعبه أو يثقل الجنود
فاختار مدينة اسوان لبعدها عن الانظار حتى اذا تم له ما أراد أمكنه بالجيش الجديد قمع كل عصيان
من الجنود القديم وقد وفقه الله لما أراد الحسن نيته وطيب سيرته وقد وقفنا على كلام في هذا المعنى
جدير بالاعتبار دال على ما حصل للمصريين اذ ذلك من الفرح بهذا الجيش الجديد وهو وان كان
غير جامع لكل ما يجب أن يقال في هذا الشأن الا أنه مع ذلك مفيد لكل من يريد الوقوف على افكار
الناس في ذلك الوقت والكلام للمرحوم الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى في تاريخه الذى ألفه عن
المرحوم محمد باشا الكبير وهو محفوظ بالكتبخانه الخديوية قال في مقالته السابعة

اعلم أيها الناظر في هذا المرقوم العارف بقضايا المنطوق والمفهوم ان الملة المحمدية اشرف الملل قد
شرفها الله وصانها عن مواطن الزلل لا يضاهى شعارها ولا يضطرب منارها ولا يبطأ نورها ولا
تغرب شموسها ولا تأفل بدورها ومن المعلوم ان لها قوانين وشروطا ولكل شرط وقانون حدا
مضبوطا ولها أركان معلومة مقررة مفهومة ولكل ذلك أساس كبير وأصل محقق بغير تكبير
لا بد لها من وجوده مستديما إما بالفعل وإما بالقوة تنويه برفعة قدرها وتكراما واجب أن يدوم
لحكامه ومتحتم شرعا ان تبيين تعيين ليعيان أحكامه وحكامه وهو الجهاد في الطغاة من البغاة والفجار
وتحورق الخوارج الضالين وجميع المفسدين في الارض من الفاسقين لا بد من اقامه هذا الامر
والانسلط زيد على عمرو ولا يمكن اهماله في سائر الاوقات تارة بالفعل وتارة بوجود الاستعدادات
قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده أمر بهذا الحمد او كفاية القادرين من عباده وقال تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال جل وعز ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى أن قال في وصف الوزير محمد علي باشا
الكبير انه آمن نظره في أهل هذا الوادى فوجدهم لا يجيبون في مواطن الحرب من بنادى
لا ينعون عدوا يقاتلهم ولا يصدون مغنطايضجهم لا يدرون ما الشجاعة ولا يقدر على
الصبر لحظة من ساعة لا يمكنهم صيانته أما كتبهم ولا يدفعون من رام خراب مساكنهم مع أن القطر
مشحون بالعدد الكثير ومملوء بمئين من الالوف فهم الجاه الغفيري في عدد الرمل والحصى لا يمحضرون

بطريق الاستمقا فلما راهم أفنديناهم هذه الشؤون وعلى صفات لا يقبلها ذوو الوهم المؤمنون تدارك فسادهم وطلب ان يروج كسادهم وأحب انقاذهم من الجبن ومذمته واخراجهم من ذل الهون بعلى همته فأرسل الى القرى والبلاد وجمع الشبان اولى القوة الشداد وأمر ان يجيؤا من كل جهة بعدد ليجتمع منهم ما يكون صالحا للمدد وقصد ان يعلمهم طرائق الحرب ويوقفهم على ادراك كيفية الطعن والضرب وصمم على هذا الامر الجسيم وجزم ان يجعل لهم من قمع الاعداء وفي قسيم وأحضر رؤس أهل التعليم والرجال العارفين بهندسة القراءة والتفهم وأمرهم بتعليم اوائك الشبان أنواع الحروب وكيفية تقاصيل ضرب مكاحل النيران وأرسل الى عظيم أتباعه من لا يتسك عن اغراضه واتباعه المستديم على حبه العاكف على وده وقربه محمد بيك كتحداى حضرة أفندينا سابقا دام علاه فخطبه أفندينا في تحييز هذا المعنى وان يكون متوليا قامسة وتشبيد ذلك المبنى وأمره أن يصقل سيف عزمته وينتضى حسام رأيه وسورة شهامته وأكده عليه وأبرم وفوض اليه الحكم فيما يلزم فاشتر ذلك عند العالم وحده عليه عقلاء بنى آدم ونظره للخاص والعام أن ذلك اذا تم من أكبر الانعام وتأملت الاذ كياه في ثمراته وفوائده ومحاسن فنونه وفرائد عوائده فالتزم ذلك حضرة الامير الجليل وقام بكل اللوازم من كثير وقليل وذهبت الرسل الى البلاد والقرى لاحضار الشبان وحنوا المسير واحسنوا السرى وتوجه حضرة محمد بيك الى نغراسوان فأقام به متفردا في العصر والوان وأحضر عنده كبار المعلمين وأرباب المعارف الذين باتقان النظام عالمين وحضرة الصدر العلى ذى العز والفخر الجلى يرسل اليه كل ما لزم له الحال وجمع ما يحتاجه بتلك الجهات والحال وفي كل حين يرسل له الاوامر ويحضه على تحييز ذلك الشأن فيمتثل ويبادر ووالى عليه ارسال الشبان أنواعا وأجناسا متواصلين اناسا يتلون اناسا فوسموا باسم العساكر الجهادية واشتهروا بذلك لقبه هذا الاسم ونعمت الشهرة السنية وجعلهم في مكان رحيب فسمح خصب وأقام لهم للمؤنة وأكثر لهم أنواع المعونة وأعطى كل رجل مكحلة بارود محكمة القوام حتى استعد للحرب أولئك الاقوام ولزمهم الرؤساء للتعليم وساستهم بالتدرب على هذا الامر الجسيم وشددوا عليهم في اتقان تلك المعاني والمدارك ليكونوا من أرباب الحروب والمعارك وجعلوهم صفوف صقوف صقوفاً وعلوهم الضرب أشكالا وصنوفاً واستداموا معهم مجتهدين وبنفهمهم الدقائق مجتهدين تارة صقوفاً وتارة دوائر والحرب لا يزال على تلك الصفات دائر والصفوف اشكال مختلفة والدوائر كذلك وكلها منسجمة مؤلفة صناعات في أشكال الحروب بجمية ونكات في فنون الفراسة غريبة بحيث اذا وقف منهم صف وهو مائة انسان وحاربوا بتلك الصناعة فلا يلاقهم الا الف من الفرسان واذا سار منهم ألف رجل للحرب لا يثبت تجاههم من الآلاف الكثيرة أحد كان من الشرق أو من الغرب لانهم على قوانين معلومة موصوفة مركزية وراصة فيهم ومعروفة لا تختل صفوفهم ولا تضرب صنوفهم ولا يتأخر رجل عن رجل يفعل القليل منهم ذلك والجل ولا زال يجاهد في تدريبهم وتخليقهم بصناعة الحروب ويجربهم كل يوم صباحا ومساء مستروحا بشأنهم ومسنأنا حتى حصل الغرض الاكل يتقدم حضرة السيد الافضل صاحب السيف والقلم وأمير البنود والعلم الشجاع الغضنفر والهزير القصور مولانا سيدنا ابراهيم باشا نجل الصدر العلى ذى العز والفخر الجلى فلما قدم تمت بقدمه الامور وساسهم بتدبيره المناور ولازم اذمان تعليمهم وأكثر عناية بتدبيرهم حتى اتقنوا هذه الصناعة وربحت بحجارة تلك

البضاعة وأحكوا المقصود والغرض وتحققوا بعرفان ما أوجبه عليهم وافترض وبقى لهم ذلك طبعاً واخلاقاً حتى ألفوه بل أنبروا بحبه كأسادهما فأقاموا شعار الشجاعة وانضموا عليه به وفاقا وساد البيض والسمر على كل من سواهم وزادوا وفاقا وكثرت جمعهم والتأم مع السياسة والحجاسة شملهم وما زال حضرة افتدينا إبراهيم باشا يسوسهم بتدبيره ويجمعهم على التعليم بحقايق فنونه وتحريره ضابطاتهم الضبط الكامل حتى انتظم الامر بالعرفان الشامل فقد قام بذلك أتم القيام ولازم تعريفهم تلك القوانين وأكدهم الالزام فهو ابقاه الله أكبر عضد لهم وأعظم من أعانهم على ذلك ودلهم وهذه الحالة من أعظم الاحكام وأكبر المفخر والله القائل لكم تركوا الاول والاخر اه

وذكر مسيو ادوارد غوين (Edouard Gouin) في تاريخه العسكري المطبوع في باريس سنة ١٨٤٧ المسمى مصر في القرن التاسع عشر كلاما طويلا عن عسكرية محمد علي باشا ومخارباته شرح فيه ادوارها وتوقيتاتها وهو موجود بالمكتبة الخديوية في قن شافلي راجعه هذا وجعل المرحوم المشار اليه حق الرياسة العليا على الجيوش المصرية بربه كانت أوجز برفه لنفسه وجعل أنجاله قواد الجيوش فكان المرحوم طوسون باشا قائدا في حرب الوهايين وقادها إبراهيم باشا في حرب مورة والشام وقادها اسمعيل باشا في السودان وكان ناظر الجهادية ينوب عنه في الادارة العمومية العسكرية ثم قاد الجيوش المصرية المرحوم سعيد باشا كما ذكر في تاريخه وجعل المرحوم اسمعيل باشا قيادا للجيوش المصرية لانه لاجاله الامراء فكان الامير حسين كامل باشا ناظر الجهادية وقادها الامير حسن باشا في حروب الحبشة والروسيا كما تقدم ثم جعل اسمعيل باشا لقيادة الجيش قائدا عاما يعرف بالسردار وبقى الامر على ذلك حتى الغاء الجيش القديم وتشكيل الجيش المصري الجديد (١٨٨٣) الذي أدخلت عليه المنظمات العسكرية الانكليزية فأفادته نظاما واتقانا بعد الخلل الذي أصابه في الحوادث العربية وأصبح ناظر الحربية رئيسا عاما على الادارة العمومية الحربية والسردار هو القائد العام للجيش تحت اذن القائد الاعظم وهو الحضرة الفخيمة الخديوية مباشرة ويسلي السردار في قيادة الجيش الالادجوتانت جنرال وهو وكيل السردار ورئيس أركان حرب عموم الجيش ويتبعه أركان حرب السردار وهم الضباط العظام المترشحين على أقلام الادارة العسكرية بسردارية الجيش وهم كساعدين للالادجوتانت جنرال في الاقلام العسكرية طر يقم جمع العساكر - تؤخذ العساكر اللازمة للجيش المصري بحسب قانون القسرة الصادر بتاريخ ٩ جادى الثانية من سنة ١٣٠٢ هـ (٢٦ مارس ١٨٨٥ م) وجعل هذا القانون كل مصرى تابع للحكومة المصرية مكلفا شخصيا بالخدمة العسكرية بلا تمييز بين حالته وديانته ومدته هذه الخدمة كما ورد في الامر العالى الصادر في ١٤ شوال سنة ١٣٠٦ هـ (١٢ يونيو ١٨٨٩ م) خمس عشرة سنة الامن أعفاهم القانون المذكور من أداء الخدمة العسكرية والمدته المذكورة موزعة كما يأتي ست سنوات في الجيش العامل وخمس سنوات في البوليس وأربع سنوات في الرديف وبالتفان أيضا ان كل من قضى خدمة العسكرية بالجيش أو البوليس ودعت الضرورة لابقائه في الخدمة المدة الثالثة يراذم رتبته مكافأة له على ذلك وان الذين يمضون المدة الاولى اذا زاد عددهم عن القدر اللازم للبوليس يبقى الزائد منهم في الجيش العامل مدة الخدمة المقررة لهم في

البوليس ووردي المادة الخامسة من قانون القرعة انه عند الحاجة لجمع كافة عساكر الرديف للخدمة في الجيش فلا يكون ذلك الا بأمر الحضرة لفخيمة الخديوية

تركيب الجيش - يتألف الجيش المصري الآن من ١٨ أورطة من البيادة منها ١٢ من المصريين وست من السودانيين ومن عشر أورط من السواري ومن بطارية واحدة من السواري ومن أربع بطاريات جبلية ومن ثلاثة بلوكات من الطوبجية للمخافين ومن ثمانية بلوكات من الهجانة نصفهم من السودانيين وأورطتين من البيادة لاشغال السكة الحديدية السودانية ومن قسم طبي وآخر للعمل ولكل أورطة من البيادة ثلاثة ضباط بكباشية وضابط واحد برتبة صاغقول أغاسي وستة بوزباشية وستة ملازم أول واحد عشر برتبة ملازم ثان و ٧٩٢ بين صف ضابط وعساكر هذا في الاورط المصرية أما السودانية فعدد ضباطها كافي الاورط المصرية الا أن صف ضباطها وعساكرها يبلغون ٨٠٢ ولكل أورطة من الجنس بين فائدين برتبة قائم مقام ولها تسعة موظفين ملكيين وست عربات و ١٨ بغل للعمل أما البنادق المسلحة بها الاورط المذكورة فجميعها من صنف هنري مرتين

أما جيش الاسلحة الراكبة فيقوده ضباطان كل منهما برتبة قائم مقام وهو بتر كيب من عشر أورط من السواري لكل أورطة قائدين برتبة بكباشي معه بوزباشي واحد واثنان برتبة ملازم أول ومثلهما برتبة ملازم ثان و ١٤٨ بين صف ضابط وجندي ويتبع كل أورطة أربعة موظفين ملكيين و ١٤٢ حصاناً وأربع عربات لنقل ذخائرهما وقسم الهجانة من الاسلحة الراكبة يقوده ضابط برتبة قائم مقام معه أربعة بكباشية واثنان برتبة صاغقول أغاسي وهو يتألف من ثمانية بلوكات أربعة عساكرها مصرية ومثلها عساكرها سودانية فللمصرية منها أربعة بوزباشية وأربعة ملازمين أول وخمسة ملازمين ثواني معهم ٤٠٠ بين صف ضابط وجندي ولهم ٤١٢ هجيناً والسودانية أربعة بوزباشية وأربعة ملازمين أول وخمسة ملازمين ثواني معهم ٢٠٠ بين صف ضابط وجندي ولهم ٢٠٦ جمال وسلاح هذا القسم هو السيف والمزراق والقرينة من صنف هنري مرتين أما الطوبجية أي المدفعية فيقودها ضابط برتبة ميرالاي وتتألف البطارية السواري منها من ستة مدافع وقائدها برتبة قائم مقام معه ستة ضباط و ١٥٤ بين صف ضابط وجندي ولها ١٣٣ حصاناً أما بطاريات الميدان فلكل بطارية منها قائد وستة ضباط وتركب من ١٦٠ بين صف ضابط وجندي ولها ٣٢ حصاناً و ٣٢ بغلاً و ٢١ جلاً وبلوكاً وطوبجية للمحافظة عليهم قائدين برتبة قائم مقام معه بكباشي واحد وصاغقول أغاسي واحد واربع بوزباشية وثمانية ملازمين أول وثمانية ملازمين ثوان وتتألف من نحو ٤٩٥ بين صف ضابط وجندي وبلوكاتها قابلة للزيادة والنقصان بحسب الظروف ويتبعهم ١٥ موظفاً ملكياً والمدافع التي معهم هي من صنف كروب وجتان السريعة الاطلاق هذا اما قسم أركان حرب عوم الجيش فعليه ثلاثة كل منهم برتبة أمير لواء وسبعة كل منهم برتبة أميرالاي وأربعة كل منهم برتبة قائم مقام وأربعة بكباشية واثنان كل منهم برتبة صاغقول أغاسي وخمسة بوزباشية ويتألف هذا القسم من ٣٧٧ بين صف ضابط وجندي ومعهم ٣٥ حصاناً أما العساكر المخصصة للمحافظة ببلاد النوبة فيقودها ضابط برتبة ميرالاي معه قائم مقام واحد وبكباشي واحد وثلاثة بوزباشية وقسم دنقله عليه قائد برتبة أمير لواء واثنان برتبة ميرالاي وثلاثة برتبة قائم مقام وخمسة بكباشية و واحد برتبة صاغ وثلاثة

يوزباشية ويتألف من ٩٠٠ بين صف ضابط وجندي ومعه من الخيول ٢٥ وقسم سواكن عليه قائد برتبة لواء معه ثلاثة بكباشية واثنان برتبة صاغ ويوزباشى واحد وملازم اول واحد وملازم ثان واحد ويتبعه قسم كسله

أما طوبجية القلاع ومهندسو الحرب فتابعان لقسم الحوض المرصود المعروف أيضا بقسم الأشغال الحربية وهو تحت رئاسة ضابط برتبة قائم مقام معه ثلاثة بكباشية وخمسة ضباط ويتألف من ٢١ بين صف ضابط وجندى ونحو ٧٥ موظفا ملكيا وهذا خلاف حاميات شبه جزيرة طورسينا وهي مقيمة بقلعة نخل وقلعة التويبع ومحطة الطور يرأسهم ضابط برتبة قائم مقام معه عشرون موظفا وثلاثون عسكريا

والجيش قسم طبي تحت رئاسة طبيب برتبة ميرالاي معه أربعة بكباشية ونحو ٤٢ طبيا عسكريا وقسم طبي بيطرى تحت رئاسة طبيب برتبة قائم مقام معه بكباشى واحد وستة أطباء بيطرية وأما الموسيقات العسكرية فهى تابعة لقسم عسكرية المحروسة وتتألف من خمس موسيقات اثنتان منها البيادة وواحدة للإسلحة الراكبة وواحدة للحدود وواحدة لسواكن وعلى الجميع مفتش برتبة بكباشى وعلى كل موسيقى رئيس وتتألف الموسيقى البيادة من أربعين شخصا وموسيقى السوارى من أربعة وثلاثين شخصا وأما موسيقى سواكن والحدود فتتألف كل واحدة منهما من واحد وعشرين شخصا

جدول بيان الجيش المصرى النظمى كما هو الآن أى فى سنة ١٣١٦ (١٨٩٨)

أصناف العسكرية	عربات للتقل	مدافع	خيول وبعال وجمال	فوابع وموظفين ملكية	صف ضباط وصاكر	ضباط
قسم أركان حرب ٤٠٠م الجيش	»	»	٣٥	٠	٢٧٧	٢٥
قسم النوبة	»	»	٥	٠	١٠٠	٦
قسم دنقلة	»	»	٢٥	٠	٩٠٠	١٦
قسم سواكن	»	»	١٠	٠	١٥٠	٨
أوست عشرة أشرطة بيادة مصرية	٧٢	٠	٢٠٤	١٠٤	٩٥٠٤	٣٢٢
أورط بيادة سودانية	٦	٣٦	١٠٨	٥٩	٤٨١٢	١٦٨
أورط سوارى	١٠	٤٠	١٤٣٨	٤٤	١٥٠٣	٦٢
بلوكات هجانة مصرية	٤	٠	٤١٦	٠	٤٠٠	١٧
بلوكات هجانة سودانية	٤	٠	٢٠٦	٠	٢٠٠	١٦
بطارية سوارى	١	٠	١٣٠	٠	١٥٣	٦
بطاريات طوبجية	٤	٠	٣٢	٣١٤	٧٣٢	٢٨
بلوكات طوبجية للمحافظة	٣	٠	١٨٢	١٢	٤٩٢	١٢
أورط لاشغال السكاك الحديدية السودانية	١	٠	١٢	٠	٧٠٩	١٨
أقسام الحملة ومأمورى المراكز والادارة وقوابعهم	٠	٠	٤٥٠٠	٠	١٦٥٠	٦٦
القسم الطبي	»	»	»	»	٢٨٨	٥٦
القسم البيطرى	»	»	»	»	٣٠	٧
الجملة	١٤٨	٢٢٠	٧٤١٠	٢٠٧	٢٢٠٠٠	٨٢٣

ويتبع هذه القوة فرق العربان الغير المنظمين وهي تتألف من نحو ١٥٢١ نفر عليهم واحد وعشرون زيساً أما أسلحة الجنود النظامية فجميعها من بنادق هندي مرتيني أما جنود الحملة وأورطة السكة الحديدية وكذا العربان فأسلحتهم من بنادق رانطون والطوبجية مسلحة بمدافع كروب ومدافع سريعة الضرب ومدافع مكسيم وأنابيب الساروخ الحربى هذا خلاف المحقات الموجودة في مصر وقسم المحروسة والمدرسه الحربيه وتوابع المهمات والتعينات وبلوكى الپياده وأورطة السوارى التابعين للحرس الخديوى وأورطة الخفر الثانية لقسم الضبط أى البوليس واذا ضيف الى هذا العدد جميع عساكر الامداديه القديمه الذين فرزتهم مجالس القرعه بعموم مديريات القطر في سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٠ و ١٨٩١ وسجلتهم في قوائم العسكريه القديمه في سن يختلف بين خمسين وأربعين سنة وعساكر قسم النظام أى قسم البوليس وخفر السواحل فيكون الموجود بالقطر المصرى من الجنود كالاتى بيانه

صف ضباط وعساكر	ضباط	صف ضباط وعساكر
الجيش العامل	٨٣٣	٢٢٠٠٠
البوليس بعموم المدن والمديريات ما خلا العساكر الاجانب منهم	٢٤٣	٥٣٣٦
جنود خفر السواحل لغاية سنة ١٨٩٨	١٣٦	١١٥٥
الموجود تحت السلاح	١٢١٢	٢٨٤٩١
عساكر الامداديه القديمه الموجودين تحت الغلب وهم بين سن خمسين واربعين	٢٥٠	١٩٧٥٠
المجموع الكلى	١٤٦٢	٤٨٢٤١

يقول المتوسل بجاه المصطفى الفقير اليه تعالى محمود مصطفى خادم التعجيب
بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القااهرة

تم الجزء الثانى من حقائق الاخبار عن ذول البحار تأليف صاحب الشمائل المرضية والمدارك السامية العلية سعادة اسمعيل بك سرهنگ ناظر المدارس الحربيه بلغه الله كل امنية ولعمري إنه لكتاب طابق اسمه معناه وجمع من المحاسن والاطائف فوق ما المره يتناهى في عهد الطلعه الداورية الخديويه العباسية أيد الله ملك دولته ووالى إنعامه على رعيتيه مهورنا بنظر من عليه جميل أخلاقه يثنى سعادة وكيل المطبعة الاهلية محمديك حسنى فى أوائل شعبان المعظم ١٣١٦هـ من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم

تم الجزء الثانى وتلوه الجزء الثالث وأوله نار يخ فرنسا

مرکز الوثائق والبحوث



3001800000676

المكتبة

